

PUBLICATION PROTEGEE

PAR LA

LEGISLATION SUR LA PROPRIETE

LITTERAIRE ET ARTISTIQUE

LOI N **57_298** DU **11** MARS **1957**)

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والسير

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

1937

Volume 1

MICROFILM ÉTABLI

PAR

**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE
DE LA PRESSE**

PARIS

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.
La Reproduction totale ou partielle est soumise à
l'autorisation préalable des ayants droit et à
celle de l'A.C.R.P.P. qui conserve un exemplaire
du microfilm négatif.*

© 1998 A.C.R.P.P.

PROVENANCE DE LA COLLECTION

**INSTITUT DU MONDE
ARABE**

Cote: 833 (051) RIW

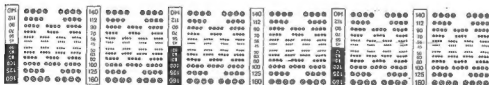


ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx9

A.C.R.P.P



MIRE ISO N° 1

NP 2-45-007

AFNOR

Cedex 7 - 92080 PARIS-LA-DÉFENSE

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها للشؤون
أحمد حسن الزيات

محل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان

٥٠ في الممالك الأخرى

١ من العدد الواحد

الوزارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦

الحيطة المحفزة - القاهرة

تليفون ٤٣٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر ونصف

السنة الأولى

١٩ ذو القعدة سنة ١٣٥٥ - أول فبراير سنة ١٩٣٧

العدد الأول

الرواية.

إلى الذين ملكهم الجلال ولم يملكوا الأمانة عن آثاره ؛
إلى الذين تيمهم الحب ولم يحسنوا العرف على قيثارته ؛
إلى الذين شاقهم الأدب ولم يستطعوا النفوذ إلى أسرارهِ ؛
إلى الذين اعتقلهم الهم ولم يجدوا الفكاك من إسهاره ؛
إلى هؤلاء جميعاً أقدم هذه المجلة . وما جئ إلا نفحة
من الشعور الانساني الرفيف ، ولعة من البيان
الروحي المشرق ، شتلاتي عندها الأذواق السليمة ،
وتتعارف عليها الشاعر الكرم ، وتتألف بها
عبقرية الشرق وعبقرية الغرب

والله وحده هو العليم بما تكاد في سبيلها وفي
سبيل أخيه من النماء والأبشار والمجد . وفي سبيل
الأدب كل أني يحتمل ؛ وفي حب العربية كل
بذل يروض ؛ وفي خدمة الوطن كل صنف يهوى

أحمد حسن الزيات



فهرس العدد

صفحة	الرواية
١	أحمد حسن الزيات
٢	شوه القمر لموباسان
٦	أحمد حسن الزيات
١٣	الذي يضحك أغنياً ، يضحك كثيراً
١٩	الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المسازني
٢٧	لوتان من الحب ليلاسكوا باتيز
٣٢	الأستاذ عبد الرحمن صدقي
٣٩	خضام الأستاذ محمود تيمور
٤٦	الينورا لادجار آلن بو
٥٠	الأستاذ محمود الحنيف
٥٩	مقتل رضوان كشتيا
٦٣	الأستاذ محمد فريد أبو حديد
٦٨	المجهود ضائع لمجريت كندى
٧٤	الأديب أحمد حسي مري
٧٩	جوليا أو هيلوز الجديدة لجان جاك روسو
٨٤	أحمد حسن الزيات
٨٩	يوميات نائب في الأرياف
٩٤	الأستاذ توفيق الحكيم
٩٩	اغترافات في مصر لألفرد ديه موشيه
١٠٤	الأستاذ فلينكس فارس
١٠٩	الأوديسة لموميروس
١١٤	الأستاذ دريني خشبة
١١٩	مفالية جبل إفريست
١٢٤	عالم



لنفسه مكان الله حتى يجد، وغالباً ما كان يجد .
فليس هو الذى يفتنم في سورة من التقي الخاشع
بهذه الجلة : « مولاي ! لقد جلت مقاصدك عن
عقول الناس ! » وإنما يقول : « أنا خادم الله فيجب
أن أعرف علل تدييره وحكم تصرفه ، إن لم
يكن على وجه اليقين ، فلي وجه الحدس والتخمين .

ففي رأيه أن كل شيء في الطبيعة إنما خلق على
مقتضى نظام عجيب ومنطق مسلم ، (لماذا) و(لأن)
يتعادلان دائماً في ميزان عقله . فالعجز يزغ ليستيقظ
الناس في مسرته وهجته ؛ والنهار يضجح ليشتع
الثمر وينضج الحصيد ؛ والطير يهي لتجها الأرض
وترتوي الزروع ؛ والشاء يقبل ليأوى الناس إلى
الصاحب ؛ والليل يحللك ليلقوا بأنفسهم في
أحضان الكرى ؛ والفصول الأربعة إنما تنطبق
كل الانطباق على حاجات الزراعة وهجته
أن تداخل القسيس شبهة في أن الطبيعة لا غرض
لها ، وأن كل شيء فيها إنما يخضع لقرووات
الوقت والإقليم والمادة . ولكنه كان يكره الأداة ؛
بكرها من وراء وعيه ، ويحتقرها محض غريزة .
وكان كثيراً ما يردد قول المسيح : « أيها المرأة ،

للأب الفرسى جى دومباسد بقلم أحمد حسن الزيات

كان الأب مارنيان يحمل اسمه الجري (١) عن
جداية . والأب مارنيان قسيس كبير (٢) متمسك
ضاربي الجسم ، تأثر النفس ، إلا أنه مستقيم خبير .
فأبت العقيدة لا يتذبذب ، صادق الإيمان
لا يشك ، وهو يعتقد مخلصاً أنه يعرف الله ويستطيع
أخبار حكيمته ، وأغراض مشيئته . كان إذا سار
أحياناً بخطاه الوالدة في مبحث مسكنه الريفى الصغير
ونظر في الشيء بعد الشيء ، فقام في ذهنه هذا
السؤال : « لماذا خلق الله هذا ؟ » ثم يبحث
عنه الجواب ويلج في البحث ، متخذاً فكره

(١) كانوا في الزمن الثامن يلقون المحدثين الذين دخلوا
في الكنيسة بـ « مارنيان » . ومارنيان لقب هذا القسيس اسم معتبة ليطالية
تقع في الجنوب الشرقى من ميلانو . وقد انتصر فيها الفرنسيون
على كلوشتر سنة ١٤٠٤ م . وعلى التماس سنة ١٤٠٩ م .
(٢) أكبر (grand) لقب كان يعطى للأولين للنازيين
في طبقتهم من المبلدين والكنيسة والسادة الخ .

هل بينك وبينى شركة ؟ » ثم يعقب على هذا بقوله : « كأن الخالق نفسه ساخط على هذا المخلوق ! »
 حتى في رأيه الطاعة التي غشيها الدنس اثنتي عشرة
 ساعة كما زعم الشاعر ؛ وهي التي أعوت الإنسان
 الأول ولا تزال تواصل عملها الهلك في بنيه ؛ وهي
 السكان الضميف المخطر الذي يكدر صفو العالم في
 علن وخفية . ولقد كان ينفذ روحها الجذاب
 أكثر مما ينفذ جسدها الهلك ؛ وكان كثيراً
 ما يتسسم عليه حنان المرأة فيتشيط من عاطفة الحب
 التي تتلج دائماً في نفسها ، وإن كان هو في حصن
 منيع من تأثيرها . وهو يرى أن الله لم يخلق المرأة
 إلا قننة للرمز وعنة . فهو جدير بأن يتقنها كما يتق
 الشرك ، فلا يدنو منها إلا على حذر . ولعلها أشبه
 ما تكون بالفن حين تبسط ذراعها وتفتح شفتيها
 للرجل . كان لا يتسع صدره إلا للراعبات ، لأنهن
 نذرن أنفسهن لله فاعتصمن برعايته . ومع ذلك كان
 يقسو عليهن لأنه لا ينفك يحس في صميم قلوبهن
 المغالوة الضارعة ذلك الحنان الأبدى الذي يدرك
 وهو قسيس - أثره في نفسه . كان يحس
 ذلك الحنان في نظراتهن وهي أشد من نظرات
 الزهيمان إخضالا بالدمع وابتهالا بالورع ، وبحسه
 في مجالهن الروحي وقد اختلطت به عواطف
 جنسهن ، وبحسده في زعات جهن إلى المسيح ؛
 وذلك الحب يوغر صدره بالحنن لأنه يرى فيه
 حب المرأة وهوي الجسد . يحس ذلك الحنو الملمون
 في وداعهن نفسها ، وفي رخامة أمواتهن لدى
 الحديث ، وفي أطرافهن الفضيضة عند النظر ، وفي
 جموجهن المستكنة حين يؤنبهن بقسوة على خطأ

كان يحدتها عن الله ويسارها جنباً إلى جنب
 في مسالك الحقول فتجعل حديثه دُرّ أذنبا ، ثم
 ترسل نظرها في السماء والعشب والزهرة وقد ترامت في
 عينها سعادة الحياة وزهرة العيش ؛ فإذا رأت فراشة
 تطير عدت وراءها قنصتها ثم صاحت : « انظر يا عماء
 ما أجملها ! إن نفسي تنازعني إلى تقبيلها ! »

هذه الحاجة إلى (التقبيل) البادية في
 لئها هوام الطير وحب الشجر ، أزعجت القسيس
 وهاجت بلابل صدره ، لأنه رأى هنا كما رأى
 هناك هذا الحنو التأمل الثابت الذي يثبت دائماً
 في قلب المرأة . وفي ذات يوم أقبلت امرأة ساذن
 الكنيسة ، وهي مدبرة منزل القسيس ، تخبر الأب
 مارنيان في حيلة شديدة أن ابنة أخيه عاشقة ؛
 كانت القس يخلق لحيته فقبحته روع الخبر
 فبغت ووجم ، وترك الصابون على وجهه وأقام ساعة
 لا يتحرك ولا يطفرف . فلما ذهب عنه الدهش
 وتاب إليه الرشده صاح في وجه المرأة قائلاً : « هذا
 غير صحيح ! إنك تكذبن يا ميلاني ! »

ولكن المرأة الثورية وضعت يدها على قلبها
 وقالت : « لستى الله يامولاي القس إذا قلت في ابنة
 أخيك الكذب . أقول لك إن لها عاشقاً تخرج
 إلى لقاءه كل مساء بعد أن تنام عين أخيك ؛ ولئها

كان إذا ما خرج من ديرهن نفث مسوحة واندفع
 بهزول كأنها يفر من خطر . وكان له بنت أخ

صفوها المنظمة ترسم بالظلال على المشى افئفها
الرقية المحصورة ، على حين كانت شجرة زهر
المسل المتسلقة على جدار منزله تسطع بالنفحات
اللذيذة الحلوة ، فتطيف في السماء الفاتر الزاهر نوعاً
من الأرواح المطورة

أخذ القسيس يتنفس مله رثيه ، ويمب
النسيم كما يمب السكير الخمر ؛ ثم مشى وتبدل الخطو ،
مأخوذ اللب ، مشترك الخاطر ، لا يكاد يجرى على
باله ذكر ابنة أخيه . فلما صار بين الحقول
وقف يتأمل السهل كله وقد غمره سحر الليل البهى
وأغرقه ضياء القمر اللاطف

وكانت الضفادع في كل لحظة ترسل في الفضاء
أناشيداً القصيرة الأيقاع المدنية الصوت ،
والبلايل البعيدة تضيف إلى ضوء القمر أغانيها
المتقطعة التي تهيج الأحلام وتحض على القبل . ثم عاد
الأب عشى وقد أحس فجأة بقلبه يسرق ويقونه
تخور دون أن يعلم لماذا ، وود لو يجلس حيث كان
فيتأمل جلال الله ويشمل جمال صنعه !

وهناك على ضفة النهر قام صف عظيم من شجر
الحور متمرج مع الساحل ينبعث من خلاله
غمام رقيقة من الأصوات المختلفة ، وفوق الشاطئ
الورع ومن حوله انمقد بخاراً أبيض قد اخترقته أشعة
البدر فلعق وتفضض ، ثم غطى مجرى الماء بما يشبه
القطن الرقيق الكشف

وقف القسيس مرة أخرى وقد تخلت قلبه
رقة نامية لا تقاوم ، ثم تخالجه شك مرعب ،
واستولى عليه قلق مهم ، ثم نشأ في خاطره سؤال
من نوع ما كان يلقيه أحياناً على نفسه : « لماذا خلق
الله هذا ؟ إذا كان الله قد جعل الليل لباساً ونامساً
فلا هو للشعور ولا للعمل ولا للذكر ، فلماذا جعله

ليلتين على ضفة النهر ؟ وتستطيع أن تراهما
بميينك إذا ما ذهبت هناك بين الساعة العاشرة
ومنتصف الليل »

أمسك الرجل عن خلق ذهنه ، وأخذ عشى
ويُصنف في مشيه كدأبه في ساعات التأمل الخطير .
يوماً استأنف خلق لحيته جرح نفسه ثلاث مرات
فيما بين أنفه وأذنه ؛ وظل طول يومه صامتاً متلداً
وقد انتفخت أوداجه من النياط ، وانتسف لونه
من الغضب . اجتمع فيه فزع القسيس أمام الحب
القاهر ، إلى حق الوالد ذى الخلق ، والوصى ذى
الضمير تمكبه به طفلة فتخذه وتسرقه . أضف إلى
هذين وجوم الأمانة الذى يمتري الأهل حيناً تلمهم
الفتاة أنها اختارت زوجها دون رأيهم وعلى رغمهم
فرغ من عشائه ثم حاول أن يتلهم قليلاً بالقراءة
فلم يستطع ، وأحس بالنياط تزداد فورية في صدره .
فلما دقت الساعة عشرين تناول عصاه ، وهي
هراوة ثقيلة من شجر البلوط يستخدمها دائماً في
جولاته الليلية كلما خرج إلى عيادة مريض .
نظر وهو يتنعم إلى المصا الضخمة ، ثم أدارها في
كفه القوية القروية دورات رحوية مهددة ؛ ثم
رفعها فجأة ، وهو يحرق الأرم ، وأهوى بها على
كرسي خطمت مسنده . ثم فتح الباب وأراد
الخروج ، ولكنه وقف على عتبة مشدوها من
اثنالاق ضوء القمر ، وهو ضوء لم يشهد مثله قبله
أجداً . وكان الله قد وهب الأب مارنيان فكراً
وناباً لا يهيه إلا لأبناء الكنيسة ولأمرء القريص ،
فوقب ذاهلاً متأثراً بجلال الليل الساجى وجمال
القمر الشاحب !

كان كل شيء في حديثه الصغيرة غريباً في
الضوء اللطيف ، وكانت أشجارها المثمرة في

المختوضرة، وبحث قبة الشجر الخائض في الضباب اللامع، شخصين عشيان جنباً إلى جنب. كان شخصان اقترى أطول من شخص الفتاة، وكان الحبيب قد طوق بيده جيد الحبيبة، وهو من حين إلى حين يقبلا فوق الجبين. فبعث عنصر الماشقين الحياة فجأة في هذا النظر الهامد، فكأنه لاشتاله عليهما وتملقه بهما إطار صاغته يد الله خاصة لهذه الصورة كان الماشقان كأنهما كائن واحد؛ وهذا الكائن الواحد هو الذي خلق الله له هذا الليل الساكن الساكن، وقد أقبلنا نحو القميص كأنهما الجواب الحى أرسله الله إليه عن سؤاله

كانت القميص لا يبرح واقفاً وقد اشتد وجيب قلبه، وزاد اضطراب شعوره، ولم يبق لديه شك في أنه يشهد حدثاً من أحداث الترواة كقرام (روت) و (بوز)، وأن ما يراه إنما هو قضاء لشئمة الله أراد أن ينفذه في هذا الخرف الفخم الذى تحدثت عنه الكتب المقدسة. ثم أخذت تدوى في رأسه آيات (نشيد الأناشيد) بما فيها من صراخ الرغبة ونداء الجسد وحرقة الفزل. فلم يملك أن قال لنفسه: « لعل الله قد خلق هذه الليالي ليجهلها لغرام الناس غلالة من الجمال الأعلى » ثم تكس على عقيقه أمام هذين الماشقين المتماثلين وكأنهما لا يزالان عشيان !

تلك كانت ابنة أخيه وذلك كان حبيبها. ولكنه الآن قد سأل نفسه: ألم يكن على وشك أن يمضى الله؟ أليس الله قد سمح بالحب مادام قد أحاطه بمثل هذا السنا الباهر؟ ثم ولى مدبراً وهو ولهان خزيان كأنهما دخل معبداً لا يحق له أن يدخله !

أحمد حسن الزيات

أبهى من النهار، وألطف من السماء، وأعذب من الفجر؟ ولماذا يشف هذا الكوكب البطيء الغرار حجب الظلمات فيكون أقرب إلى الشمر والسحر من الشمس؟ وكأنه خلق رصينا كنتوما ليضيء للناس أشياء هي أدق على النهار وأخفى؟ لماذا كان أبرع الطيور المردة لا تسكن في الليل كما تسكن الطيور الأخرى، وإنما تسجع بأغاريدها وسط الظلام المضطرب؟ لماذا ضرب هذا النقب الشفاف على وجه العالم؟ لماذا يأخذ القلب هذا الارتجاف، ويملك النفس هذا الانفعال، ويسترى الجسم هذا الممود؟ لماذا تظهر هذه المقاتن الغريبة مادام الناس ضاحكين في أسرهم لا يرونها؟ لمن هذا الشهد السحري اللليل وهذا الفيض الشمسي اللليل الذى ينسكب من السماء على الأرض؟



وحاول القميص أن يجد لهذه الأسئلة أجوبة فلم يوفق؛ ولكنه أبصر هناك على جواشئ الراج

فقلت بيأس : « أوه... أظنه ملأنا... »

سافر ليبحث مع شريكه
أمر هذه الشركة الجديدة التي
يريد أن يؤلفها.. إنك تعرفه ..
لا يعترف بييد ، ولا يطيق أن
يقعد بلا عمل »

فسرني أنها تكذب لتستر
حماقتها ، وكنت أعرف أن هذه
كذبة لأنه أخبرني بما تم فالأمر
مفروغ منه ، ولا حاجة به إلى
سفر جديد ، ولكنها لم تكن
تدري أي أعرف هذا ، وإلا

الذي يضحك والخير ، بضحك كثير
للأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني



للجأت إلى كذبة أخرى

وقضيتا النهار على خير ما نستطيع ، وإذا بنا
بعد العصر نتلقى هذه البرقية :

« اصطدمت السيارة وتحطمت وإصابتي خطيرة ،
فهل تستطيعين أن تحضري ؟ سيكرن سيد بانتظارك
بسيدي جابر » خليل »

فذهرنا جميعاً فقد كان من الواضح أن الحادثة
أكبر مما زعم . ولم تستطع أختي أن تغبض نفسها
فبككت ، وهمت أي أن تخرجها عن البكاء ، فقلت
لها : دعها فإنا خلق الله للناس عبداً . فقامت
ترتب لها أشياءها في الحقيبة ، وتضع معها ما قد
يحتاج إليه زوجها مخافة أن تكون حقيبتها قد
فقدت في الحادثة ، أو تركت مع السيارة المحطمة
وقلت لأخي : « إذهبي معها وسألني بكاء غداً
فاني مضطر إلى البقاء الليلة ، وأبرقوا لي إلى الصباح
بعد أن تزور ليطمئن قلبي »

لما جاني رسول
أختي برقة منها يدعونا
فيها - أي وأنا - إلى

قضاء العيد معها لأن زوجها
سافر إلى الإسكندرية ، أدركت
أن في الأمر شيئاً وأن خلافاً
لابد أن يكون قد شجر بينهما ؛
ولكن دقة إحساسها بالواجب
جلتها على البقاء في بيتها بدلاً
من أن تجيء هي إلينا . ولم تفت
أي دلالة هذه الدعوة فقد سألتني :
« أظن أن شيئاً حدث ؟ »
قلت : « لا بد » فقلت : « أتري

أن نأخذنا ؟ » فهزرت رأسي ، فليس أكفل بفساد
الأمر بين زوجين - في رأيي - لمن الدخول بينهما
وكان وجه أختي وحده كافياً للارتفاع بالظن
إلى مرتبة اليقين . نعم كانت تبتسم ، ولكن
ابتسامها كان متكلفاً ، وكلامها أكثر مما ألفنا منها ،
وحركاتها أسرع ؛ وكان لونها ممتعاً حتى لقد
احتاجت إلى الأحمر لخديها وشفتيها . وكان الجو
بارداً فأحتجنا إلى ما ندق به فجاءتنا بمقد صار البقم
فيه جراً ، لأنها تذكره مدفأة التكبرياء أو البترول
لشدة تخفيف التكبرياء للجو ، والبترول له
رائحة لا تطيقها

وسألناها وأنا أتيسم : « وأين المين زوجك ؟ »
وكان لا بد أن أسأله عنه وإلا كان اجتناب
ذكره ولسياً بالفتنة إلى ما عسى أن يكون قد وقع
بينهما . وما دامت هي لم تتزل شيئاً فقد يريكم أن
تلم أفتنا نعلم

نصنع الآن ؟ ... فكر ... فكر ... فقد ضاع عقل ... فريدة ! من يدري في أيدي من من الأشرار ستقع الآن ؟

قالت : « وأى أيضاً معها ... وهينتان لا واحدة يا صاحبي »

فقال : « وهينتان ... هل تعني أنك تعتقد ... »
قلت : « بالطبع ... أى معنى لهذه البرقية عين ذلك ؟ . إنها شرك ... وليس المهم الآن حل اللغز بل السفر وراءها لانه اذها ... لثمنهما من الوقوع في أيدي هؤلاء الأشرار كائنين من كانوا »

فقال : « صدقت ... قم بنا »

قلت : « سيارتك لا تصلح لهذا .. ألا تستطيع أن تجد لنا سيارة قوية ... تستميرها من أى صديق ؟ وفي هذه اللحظة أقبل أخى فتشهدت واستبشرت ، فقد كانت له سيارة جديدة من طراز هلسون تستطيع أن تطير بنا ، فدفعته إلى الباب وسبقته إلى السلم وأنا ناديه وأدعوه أن يسرع ورائى وكان أخى يكره السرعة فتوليت أنا القيادة وجلس هو وكيه معه وراءنا ، وجلس خليل منى ، وكان لا بد من التهل حتى نخرج من المدينة والإعطنا للشرطي ، وكنت كالجالس على الحجر ولكن ما حيلتي ؟ ...

واحتزننا شبراً بعد أن ضاع ربع ساعة ثم حين سألت أخى : « هل الأنوار قوية ؟ » ولم تكن في حاجة إلى السؤال ، فأتى أنا السائق وأمأى مفتاح اللود وفي وسمى أن أجرب ، ولكن السؤال جاء دليلاً على مبلغ اضطرابي ... ودليل آخر على هذا الاضطراب هو أننا لم نختار أخى ما الحكاية فراح يكلم كل شئ ويقول له :

وودعتهما في المحطة ونعدت إلى البيت - بيت أختي - حينما كاسف البال موجه القلب ؟ وجلس في البيت أفكر في هذا الحظ السيء ، وأسخط على خليل ، وأقول لنفسي : لعل كان لا بد أن يصنع هذا الأحمق ما صنع ، وأن يعلن إلى زوجته الجفوة ليلة العيد ؟ وروح يكسر عظامه أيضاً ويرج زوجه هذه الرجة الشنيعة ؟ . ولكنه لقي فوق جزائه ... مسكين ! . ومن يدري ماذا جرى له ؟ ولعله الآن مشغول على الهلاك ، وإنها لقسوة أن ألومه . ثم انه كان مثال الزوج الصالح ، ولم تكن سيرته معها قط إلا سيرة الحب الذي لا يعنيه من الدنيا سوى زوجته ، فإذا ياترى جرى حتى كانت هذه الجفوة المشنومة ... ؟

وإني جالس أذعن سيجارة في أثر أخرى وإن ما يعلم الله من الحزن ، وإذا بخليل داخل كالثقلبة فالتفتضت واقفاً ، وحدقت في وجهه مذهولاً وفي مفتوح كالأبله . فلما رآني كذلك وقف هو أيضاً وسألني أول ما سأل : « أين فريدة ؟ »

فأحسست أني سأسقط على الأرض فاعططت على أقرب كرسي ، ورففت يدي إلى رأسي . فأقبل على بهزني بمنف ويقول بصوت عال جداً : « أين فريدة ؟ ... قل ... انظري ... ماذا جرى ؟ »

.. فحاولت أن أتكلم ، ولكن لساني وقف في حلقى فأشرت إلى البرقية المشنومة وكانت مطوية على النفذة ، ففتاولها مستغرباً ، ولم يكذبقرأها حتى صرخ : « إيه ؟ »

فأفوجيت لساني وقلت : « ماذا تظن ؟ .. من أرسل هذه البرقية ؟ »
قال : « لا أدري ... ولكنكم لم تظنوا ... ماذا

السيارة كبيرة ومثينة وثابتة لا تقلبت بنا وقتلتنا .
ولكن أختي خبير بالسيارات والتي لا يعرفه عنها
لا يستحق أن يعرفه أحد . والحق أنها كانت سيارة
أصيلة بل هي سيارة وكثي ، ولكن بالي لم يكن في
ذلك الوقت إلى شيء من هذا ، بل إلى ما يق من
الوقت حتى يصل القطار إلى طنطا أو دمهور ،
وإلى مبلغ الأمل في إدراكه قبل أن يبلغ سيدي جابر
وتأدى إلى صوت أختي يقول : « هل تعلم
ياروكسي أن اسماعيل مهمل (يعني) . . . أموافق
أنت ؟ . هذا ما كنت أنتظر . . ولكنه ينقص
أن تعلم لماذا . . أريد أن أسرك إليك ياروكسي
بالسبب . . اسمع إذن ولكن لا تجرب . . لقد أردت
أن أستعير حقيته الصغيرة . . أقول لك الحق
ياروكسي . . بيني وبينك ياروكسي . . استعرتها
فلا . . ولكن وجدت أنه أهمل أن يضع فيها
الفتاح ولهذا جئت إلى بيت الأخت لبي أجده
فأخذ الفتاح . . أعرف ما تريد أن تقول فأنت
ذكي . . بالطبع لم يكن ينتظر أن يعطيني الفتاح . .
ولكني كنت سأخذه على كل حال . . أوه ! بطريقة
من الطرق . . من غير أن يشعر بالطبع . . »
وقد هممت مرات أن أسيح به ولكني
كبت نفسي فليس هذا وقت الاختلاف على
الحقائق ، ولكنه ظاهري مع ذلك أنه أخذها وهو
يعلم أن فيها أشياء ، فقد كنت أعددتها لرحلة
قصيرة فلما جاء رسول أختي عدلت وكان ما كان . .
ونويت أن أغتم أول فرصة تسع لاستردادها . .
بطريقة من الطرق . . كما يقول . . والباقي أعظم
ولم أكن أعلم أن أدرك القطار في طنطا فلم
أستغرب أن أعرف أنه تركها قبل وصولنا بمشـر

« يروكسي . . إنه يسأل عن الأنوار هل هي
قوية ؟ . كأنه لا يعلم . . لا بأس . . هل تظن أن
من حقه أن ينتظر جواباً ؟ . . نعم . . الجواب
تجصيل حاصل . . بالطبع . . الحق معك . . ثم إنه
أرسل النور أمامه وهو يضيء إلى مسافة أميال . .
أليس كذلك . . ؟ ولكن إلى أين بنا ياروكسي . . ؟
نعم ؟ . . أقول إن هذه هي الطريقة الأمريكية في
الاستيلاء على السيارات واعتصامها من أصحابها
الشرعيين ؟ . . إنها كذلك على التحقيق . .
وإني أراك مصيباً دائماً في ملاحظاتك ياروكسي . .
أوه ! . . تسمون ؟ . . يروكسي . . إنه يخطبنا
الأرض . . فهل تظن أنهما ارتكبا جناحة ؟ . .
وهكذا وهكذا . . »

ولم أكن أستطيع أن أقول له شيئاً لأن عيني
على الطريق . وكان خليل يساعدني فينظر إلى عداد
السرعة ويخبرني بالرقم الذي ترتق إليه ، وينظر في
العامة كك فيطمئنني أو يزجيني ، وأخي ماض في
هذه حتى بلغنا بنها . ولم أدخلها بل آرت أن
أخذ طريق سيارات النقل لأنه أقصر وإن كان
غير ممد ، واجتانباً للبطء الذي نضطر إليه في
شوارع المدينة . وبعد أن اجتازنا (الكبرى) الجديد
ثم جسر السكة الحديدية — أو الزلقان كما يسمونه —
أطلقت للسيارة العنان ، فحمل خليل ينظر ويقول :
« مائة . . مائة وخمسة . . وعشرة . .
وعشرون . . وخمسة وعشرون . . إصـ
إصـ . . لا شيء . . هذه دجاجة . . »
فقال أختي : « أظنها ذهبت إلى جننها — جنة
الدجاج — قبل الأنوار . أترأى سباقاً ياروكسي ؟ »
وبلغت السرعة مائة وثلاثين كيلو ، فلولا أن

ولم تكذب فعل حتى دخل، فركبت - بلاذكرة -
وماذا بهم ؟ خليل ورأى ؟ ومشيئا خلال
الركبات حتى وجدنا أختي فأنحطت بجانبيهما
بلا كلام

ولو كان في رأسي ورأس خليل عقل لنزلنا
بهما من القطار وعدنا بالسيارة على مهل ، ولكننا
لم نفكر في شيء حتى كان القطار في طريقه إلى
سيدي جابر ، فادركنا أننا نمرضنا لغرامة فادحة
لم يكن لها داع ، وكان في الوسع اتقاؤها لو عطينا
بأن نخبر المفتش أو أحدًا من رجال القطار أننا
راكبون من هنا فقط وسندفع الأجر في القطار .
على أن الثقة بأننا أنجبنا الفريستين هونت علينا
الخشاسة

وقلت لأختي : « هذا زوجك ... البريقة
مريفة فما الرأي الآن ؟ »

ولكنها لم تكن في حال تسمح لها بإبداء رأي .
وأى رأى هناك يمكن أن يثير به أحد ؟ . لقد
ضاعت الفرصة الذهبية في دمهوور ، ولو كنا أخبرنا
أخي على الأقل لاستطاع أن يرق إلى بوليس سيدي
جابر بالموضوع ، ولكننا لاستمراد السفر في هذه
الحالة معنى ، أما الآن ...

على أننا قلنا إن الفرصة لم تضع وإن من الممكن
إذا تركنا الاثنين تسييران أمانا وحدها وبعيوننا
عليهما أن نرى القى سيتقدم لهما نأبغا عن خليل ،
وقد نستطيع في ذلك الوقت أن نجعل البوليس
يقبض عليه ... على كل حال لم يبق إلا هذا ...

ولكننا لم نجد في سيدي جابر غير الجمالين .
ووقفنا بعيدا ووقفت الاثنين تنتظران أن يتقدم
الهما أحد - رجل أو امرأة - حتى (البوفيه)
لم يكن فيه أحد . ققلنا لعله ينتظر في الشارع ،

دقائق ؛ واحتجنا إلى البزين فضيمنا دقائق أخرى ثم
استأنفنا السير بأقصى سرعة لنموض - سلفا -
التأخير الذي لابد منه في كسر الزيات . واعتراى
ما يشبه الحى فلم أعد أبالي كيف أقطع الطريق .
وكنتم ربما صادفت مركبة ، أو رجلا على حمار
أو جمل ، فأمرق ولا أعتى نفسى باليمين والشمال . ولم
يكن الطريق بعد كسر الزيات على خير ما يمكن أن
يكون ، ولكنى لم أحفل فلك ولم أتفرق بالسيارة ؛
وكان أختى ترى هذه السرعة الجنونية - فقد بلغنا
أربعين بعد المائة وأصررنا عليها - فيقول لسكبته :

« أنظر يا روكسى . . إن الخيئت ينتقم منى
- أعتى منا فانك شريكى في كل شيء - لأنى
استمرت حقييته . . من أجلها يريد أن يفجئنى فى
السيارة . . أى والله يا روكسى . . فتعال نيك على
ما كافتنا من مال بضيع الآن فى هذه السكة
المنحوسة . . ثلثائة وخمسون جنبها خرجت عنها
من حر مالى . . وماذا يعنيه هو ؟ . يأخذها
بلا استئذان ، وينجبنى عن مجلسى فيها ، ويردنى
إلى الوراء . . هل هذا يليق يا روكسى ؟ »

ولولا أن خيلك صاح فى هذه اللحظة :
« القطار ! القطار ! سنسبقه يا اسماعيل !
سنسبقه بالنا كيد ! الحمد لله ! » لضى أختى فى
هرائه . وكنا قد قاربنا دمهوور ، فلما بلغنا مدخلها
عاد أختى إلى التفرقة ، ولكنى لم أسمع شيئا لأن أذنى
كانت تطن . ودونونا من المحطة فوقفت وفتحت
الباب وقلت لخليل : « أنزل . . بسرعة » فصرع
يفتح الباب من ناحية وأختى يقول : « ألم أقل لك
يا روكسى إنه سباق . . بين السيارة والقطار ؟ »
ولم أسمع بعد ذلك شيئا لأنى ذهبت أعدو إلى
الرصيف الذى يقف عنده القطار

وصفتها لكل من في اللحظة فظن واحد أنهما هاريان من سجن ، واعتقد أن أنهما مجنونان خطران ، واقتنعت أنا بأن لافائدة من البحث ، وأن أبي - رحمه الله - أخطأ حين رافى بهذا المخلوق وزعمه أخا ، وأن أبي أخطأت أيضاً في ربطنا بهذا المخلوق الثاني الذي أخفوا أمره عني حتى خطف أختي فصار واجبي الآن بعد أن عرفته أن أخفيه أنا عن الناس . ما علينا ... فلندع هذا التاريخ القديم ... أظنكم ستضحكون حين أقول إنى احتجت أن آكل وأن أطمم روكمى ... وقد يسركم أن تعلموا أنى أحب أن أنسى فترة هذا الأكل ، وأن أمحوها من تاريخ حياتى الحافل بالضحيات في سبيل من لا يستحقون شيئاً ... ولكنى هكذا دائماً ... كريم مفضل وجزائى من النبل بل ممن يرحون في إيراد نعتي الجحود والكفران ... ما علينا أيضاً ...

وقلت لروكمى : « تعال يا صاحبي فان هذا بلد لا يستحق أن يشرف بوجودنا فيه ، فانرجع إلى بيتنا في مصر » وقد كنت أسلمت السيارة إليه وهي سليمة لا شيء بها ويشهد شريكه في المؤامرة أنها أهدتكم ، ولكنى حين أردت أن أدير محركها أبى أن يتحرك ... ولا أطيل . قضيت نصف ساعة في هذا البرد حتى استطلعت أن أنفهما بالحركة والعودة إلى دفة البيت

وكانت السيارة كأنما ركبها قبلى ألف عفریت ، ولكنى صبرت وقلت : عوضى على الله ! وهذا جزاء من يكون له أخ كهذا ونسب كهذا .. وأظن أن الفجر بدأ يطالع حيناً بلقنا شبرا فنتشهدت وتمهلت في السير ، وإذا بشرطى يستوقفنى فوقفت ، فدار حتى سار إلى جانبي وقال وهو ينقر على الزجاج :

فأومأنا إليهما أن يخرجاً بأماننا ، فلم يكن حظنا خارج اللحظة أحسن من داخلها . ولم تبق فائدة من التفوق فركبنا وهمنا بالفضى إلى الفندق ، ولكن خاطراً خطراً في فجأة فنزلت وذهبت إلى مكتب التلغراف وبعثت برقية منه

وفي اليوم التالي كنا في مصر

ولكن هذا لم يكن كل شيء . وهنا يحسن أن أذكر أخى يتكلم :

« لعله يعنيك - يريد أختي وأبى - أن تعرفا كيف كانت عودتى البارحة بعد أن تركنى هذان المخلوقان . لا فائدة من قولى انتظرت ، فان هذا القول لا يدل على شيء ، فقد تركنى فجأة وذهب يمدو كائى أجرب ، حتى محرك السيارة لم بمن بأن يقفه . ستقولون جميعاً إنه كان معذوراً ... فليكن فان الجدال عبث ، وستسمعون بأشياء أخرى أرجو أن يكون عذره فيها أوضح ... وكان موى روكمى كالآأحتاج أن أقول ، ولا أدرى ماذا كنت أصنع لو لم يكن هذا الرفيق موى ؟ ... لعل كنت أجن أو يحدث لى شيء من هذا القبيل ... ما علينا . هل أقول إن الأمر طال على وأنا قاعد في السيارة ؟ كلا ... وهل أقول إنى كنت ميتاً من الجوع ؟ ... كلا أيضاً ... وأختصر حكاية بحملة فأقول : إنى زلت من السيارة وسرت في الاتجاه الذى رأيتهما بقصدان اليه ، ولم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء ، فقد كان كلامهما دأثراً كله على القطار وجوب سبقه ، وإن كان فبا عدا ذلك لا معنى له عندى . ولم أجدما في اللحظة كما تعلمون لأنهما شاءا أن يركبا القطار من غير أن يبعثا بكلمة ؛ وقد سمعتهما يقولان : إنهما أدبا أجر إلركوب مضاعفاً ، وهذا حسن وإن كان قليلاً ... ولكنه يرد بعض الفسلة . وقد

« تفضل مي إلى الكر كركول »

فقلت : « الكر كركول ... ؟ »

قال : « نعم ، تفضل ازل »

فقلت : « ولكن لماذا ؟ . ماذا صنعت ؟ .

إني لم أكن مسرعاً ، بل كنت أسير بسرعة خمسة أمتار في اليوم والميلة »

فقال بلهجة جافية : « ازل ولا تحوجني أن أجرك بالقوة »

فقلت لنفسي إنك المكابرة والجدال عبث ؛ ولا شك أني سأجد رجلاً يفهم في مراكز البواليس وذهبت معه ، فقال : « أقصد هنا » فقدمت حيث أشار ولم يترك قطعلت به وقلت : « ألا تسمع من فضلك بأن تخبرني لماذا جئت بي إلى هنا ؟ » فنهزني بمنف فتهويت إلى الكرسي وروكسي

بين يدي ...

ولم أر أحداً مستمتعاً سوى ... وأخيراً جاء شرطى آخر وجلس إلى مكتب وأخرج أوراقاً وبدأ يستعمل للكتابة ، وسألني عن اسمي وعنواني وموطني ، وعن السيارة ورقمها ؛ ثم سألني بنجش : « ماذا معك فيها ؟ »

فابتسمت وقد خيل إلى أنه ظنني من مهربي المخدرات وقت بساطة : « ليس مي سوى روكسي » فقال : « إيه ؟ » قلت : « يعني الكلب اسمه روكسي » فقال : « يا حبيبي يا خوي ... كان عامل لي قمع ومالك كلب . اتملواها ونجبلوا والله » فلم أدر ماذا أقول له . وأعفاني هو من الكلام فسألني : « هل معك مفتاح السيارة ؟ »

فناولته المفتاح فنادى شرطياً وطلب منه أن يفتحها أمامي ، وأن يجيء بما يجده فيها فلم يجد إلا الحقيقة ... انحكوا ... انحكوا ... لا بأس ...

ستجني ساعة أثار فيها لنفسي ...

فلما جادوه بالحقيقة ابتسم ابتسامة عريضة جداً وتهد مرتاحاً وقال لي : « لا شيء ؟ . هه ؟ . طيب »

فابتسمت أنا أيضاً وقد صرح عندي أنه يحسني من المهريين وأيقنت بقرب الفرج

وشرع يسألني عن الحقيقة فقلت له : إنها لأخي ، وذكرت اسم الأخ المحترم فأدهشني بأن سألني هل أنا أعترف بأن الحقيقة لأسماعيل أفندي زنت وقطران ؟ . فقلت بالطبع أنا معترف . . إنه أخي فقال : « أخوك ؟ . أوافق أنت أنه أخوك ؟ » فضحككت وقلت : « بالطبع وافق . . ولكن ما هي الحكاية ؟ »

فقال : « أين الفتح ؟ »

قلت : « معه . . لم أخذه منه » وسمعت بأن أقص عليه القصة ، ولكني رأيت أنها مملالة بصدق ، فأقصرت . فقال : هل تستطيع أن تثبت شخصيتك ؟ فقلت : « بالطبع . . ماذا تظن . ؟ » ودنمت يدي في جيبتي لأخرج له أوراق السيارة ورخصة القيادة وغير ذلك مما عسى أن يكون في جيبتي ، فساء راعني إلا أن الجيب خال ليس فيه قصاصة واحدة . وأظن وجهي فضحني على الرغم من محاولتي أن أتماسك وأتجمل ، فقد سألني بعد ذلك مباشرة عن السيارة ولن هي ، فأيقنت أنني وقعت وقلت له : « اسمع . . إنك تطيل بلا داع . . لا بد أن يكون قد حدث خطأ ، ومن سوء الحظ أنني نسيت الأوراق كلها في البيت ، فاذا سمحت فأرسل مي شاويشاً أو عشرة إذا شئت إلى البيت لأجبتك بكل ما يزيل الشك ويرج ضميرك »

فلم يبال بهذا الاقتراح المقول وقال : « هل

وطعام روكتى ؛ ولا أنكر أنى شربت قهوة أيضاً وإن كانت أشبه بمثل القول السودانى ، أو بماء الوحل السخن . ولكن هذا لم يكن ذنب البوليس وأخيراً فى الساعة الثامنة دخل ضابط علينا فنظرت إليه بيلادة فقد قترت وبئست ، ولم أعد أبالى ما يجرى لى ، ولكنى لم أكدرى وجهه حتى انتفضت واقفاً وصحت به : « حدى .. الحمد لله .. أين المحقق ؟ »

فاستغرب وسألنى عن الحكاية فقصصتها عليه فضحك ملء شديقه ... مذهش أن يضحك الناس من هذه الفصول الباردة ... والباقي لا يحتاج إلى كلام ... جئت إلى هنا ونمت ساعة أو اثنتين على هذا الكرسي بئياً ... ولكنه ينقصك يا حضرة الأخ أن تفسر للبوليس مزاحك ... فقد صار الأمر مزاحاً مع البوليس لامي ... »

فلما استطمنا أن تتكلم وتقالب الضحك قلت : « هون عليك ... فاني أعرف ماذا أقول ... ولكنى أرجو أن يكون ما حدث درساً لك » فقال وفي عينيه نظرة خبيثة : « وأنا أرجو أن يكون ما حدث لكم درساً كذلك » فقال خليل : « ما ذا تعنى ؟ »

فقال أخى : « أتعنى أنك لو لم تكونوا عميلاً لمرغم أن البرقية ليست لكم ... للعجار ... رقم ٢٢٣ وقد تشابه الرقمان على السامى — الاثنان والثلاثة — واتفق أن اسم الجار خليل أيضاً ، واتفق أنكم عُمي لتبصرون ، ولولا ذلك لقرأتم الرقم واسم الذى أرسلت إليها البرقية ... هذا ما أعنى ... فقوموا كقولوا عن سيئاتكم يا حيلة ودعوني أضحك فقد أخذ الله لى بشأى سلفاً »

إبراهيم عبد القادر المازنى

أنت مصر على دعواك أنك أخو إسماعيل ؟ » فقلت : « الحقيقة أنى مستعد للتبرؤ منه ، ولكن إلى أن أتمل لا يسمي أن أنكر أنه أخى » فقال : « إذا كنت أخاه فلماذا يبعث ببرقية كهذه ؟ »

وناولتها فقرأت فيها الحكم على ! وللرجل المذر لأنه إذا كان إسماعيل هذا أخى فلماذا يطلب من البوليس أن يحجز السيارة رقم كذا وفيها حقيبة صفها كيت وكيت ؟ ؟ . لا تفترض من فضلك ... لقد كانت عبارة البرقية يفهم منها أنك تريد حجز السيارة أيضاً . ولا أكتفم أنى لم أجد جواباً لهذا السؤال وأنى استحييت أن أقول إنه مزاح بارد ..

وحزت ماذا أصنع ولم يفتح الله على بحيلة تخرجنى من هذا المأزق الثقيل ، وكان النهار قد طلع ؛ ولكننا ما زلنا فى البكور ولا يلىق أن أزعج الناس فى مثل هذا الوقت ، فمدت إلى اقتراسى أن يبعث منى من يشاء إلى البيت فرفض ؛ فسألته عن الأمور من هو عسى أن يكون من معارفى ، فانهرفى بلفظة ، ففساهلت وسألته عن الماوان أو غيره فلم يزد على أن قال : « بلاش دوشة » فناشدته أن ينظر إلى ثيابى وأن يفكر هل هذه ثياب مجرم أو لص ؛ فقال وهو يضحك : « إن بين الصوص من هم أشد أفاقه منك » فوضعت أصبى فى الشق وأسلمت أصرى إلى الله

وختم المحضر على هذا — أى على أنى لص ولا شك ، وأن البوليس حاذق فطن ولا شك . . ولست ألوم البوليس فقد كانت كل القرائن ضدى . وأشهد له أنه كان دقيقاً فقد سمح لى بأن أشتري — أعنى أن يبعث من يشتري لى — شيئاً لطعائى

فيا لا يحصى عديده في
مباريات السيف وصيد
الحمام ، كأس الشرف
في سباق السيارات
الأعظم بين باريس
ونابولي ، حتى لتظهر
غرفة مكتبه يوماً بعد
يوم مظهر حجره الأكل
لكثرة ما يشاهد الانسان
فيها من أكوام الشرف
مصقوفة على الناضد
وبلحق به هذه
الانتصارات في فن
الالعاب والرياضة نصيب
من جاء رجل العلم ، لأنه
في الآونة الحاضرة مهم
بالطيران ، فهو يحاق كل
أسبوع أو ما يقرب من
ذلك ؟ وهو يقطب
حاجبيه وعلى وجهه سمات
الساج في الأفكار
وغوامض الأسرار إذا
ما تكلم متكلم في مجلسه
عن مسائل الآلات

لونا من جزر الحب

للكاتب الإسباني بديسكو إبانيز

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صديقي

هذه القصة آتة من آيات الكاتب الإسباني
إبانيز ، وهو واحد من أفذاذ الكتاب الفلال الذين
يفض بهم العصر الحاضر ، لقرضه عن التبذل الأباي
اعيداً لأذواق السامة ، ولعق إحساسه بالحياة ،
وصدق تحليله لألوان المواقف الانسانية منها دقت
فروقها وخفيت مسارها ، مع وضوح نظرته
للأشياء ، ودقة الملاحظة ، والاحاطة بالموضوع من
غير فضول ؟ وهذا كله مفرغ في قالب أبقى للمرش
س الأوصاف

وقراء الصحف لاشك ذاكرون أن إبانيز كان
إلى جانب عبقريته القصصية كاتباً سياسياً متلب
الحية شديد التنبؤ . وقد كابد النفي والأسفحال
الشاقة والسجن مرات عدة في سبيل أفكاره ؟
ومع هذا فإن بلدته ومسقط رأسه « بلنسية » ظلت
على عهده وانتخبته ليرلمان ثمانى مرات . وقد طاف
العالم ثم استقر أخيراً في باريس حيث التقط الذي
يشتد حوله كارهو الملكية ودعاة الجمهورية الأسبان
وقضى إبانيز في منفاه عام ١٩٢٨ أى قبيل
إعلان الجمهورية الأسبانية . فلما أن قامت الجمهورية
أعادوا رفاقته على بارجة حربية الى أرض الوطن ،
واحتفلوا بدفنها احتفالاً وطنياً رائعاً

- ١ -

ظل أهل باريس
كلهم ، بمن يرتادون
مشارب الشاي الراقصة ،
أو المشارب غير الراقصة ،
حيث يفتح المجتمعون فيها
باغتيال الناس والخنوض
في شؤونهم ، كل هؤلاء
ظلوا يسمرون أسبوعاً
كاملاً ويميدون ويميدون
في موضوع زواج موريس
دلفور ، وريث مصانع
دلفور وشركائه (ويبلغ
رأس مالها من الملايين
مائتين وخمسين) بالحسنة
أوديت مرسالك ابنة أخى
علم من أعلام الذواب .
ولئن خفت اليوم اسمه
فانه كان قبل هذا مرشحاً
مرتين لرياسة الجمهورية
وليس بالحدث النادر
في الحياة البازيسية زواج
ملك من ملوك الصناعة
بأميرة من أميرات

وما يتعلق بها

وأما ، فهي عند صواحبا « أوديت » ، أوديت
فريدة زمانها ؛ وهي عند سائر الناس الأئسة مارساك .
إسم شهير بارز في كل ما ترويه الأخبار عن الأناقة ،
في كل المنتديات الساحرة ، وفي كل صحف الأزياء

الجمهورية ، بل قلما يكون في هذا مؤونة حديث لدى
نصف ساعة ؛ إلا أن لذين المروسين مكانة بممتازة !
أما هو فيتراعى كثيراً في أحلام النساء مثلاً
فيه كل أشكال الأناقة وكل المعارف البشرية : كأس
الشرف في أبهى مسابقات الخيل ، وكأس الشرف

وفي أوئل عام ١٩١٤ انتمت لعبة جديدة وقات قيامها بين الملية الططاري من أهل باديس والمواسم الأوردية والأمريكية التي تأتم بباديس كأنها منها بمثابة ضواحيها وأعمالها ، فكان أهل الأناقة يهزون أردافهم ليرقصوا « التانجو » وفي طليعة هذه الخلائق الممعة في رقص التانجو رقص موريس وأوديت

أما هو فقد اتصل سرّاً بأستاذ من أهالي الأرجنتين ، وآلى على نفسه ألا ترى عيناه النجلان وأنوار المدينة إلا يوم يمدق هذا العلم الجديد مثلما حذق فيه من العلوم . وفي ذات ليلة من الليالي الزاهية قدم موريس ليحني إعجاب القوم ، وهومت المصايح الكهربائية في فندق من فنادق الشانزابز به يحرك قدميه في حذاءهما اللامع العالي السكب ، ويهز قوامه المهضوم السبوك المهبوك في سترته المحكمة ، وينفض رأسه الجليل ، وشمرة الجدد مرسل إلى الوراء كتلة وضئئة كطلاء الملك لامة

وأما هي فقد أثارت هذا الإعجاب بنفسه في بقعة أخرى من المرقص ، وكما يحس الكوكبان قرب كل من الآخر فيتأثران ويتجاذبان ، كذلك يهفو موريس وأوديت كل منهما نحو الآخر ، ويتهافت عليه ، يحدهما باحث لا يقاوم من اثلاف طبائهما وتمازج نفسيهما فليس يفرق بينهما مفرق وما من ذلك الحين رقصان أحدهما للآخر . وقد أصبحا لا يلقيان الانسجام المنشود بين ذراعي النير . وكانا لا يجرحان بكلمة على الصمت الحافل بالأسرار أثناء الرقص المقدس ، بل قوة روحهما جماء منصرفة في رصانة وتفكير إلى حركة أقدامهما وإلى تنفي أعطافهما في اهتزازات موزونة متوافقة .

وكان مشاهير الخطاطين من ذوى الفكر والابداع في شارع « دى لا يه » يعتمدون على الآتنة مرسك في مسهل الحفلات الكبرى في الحياة الجاريسية في رفع شأن ما تلبسه من مبتدعات قرأهم الناشطة التوقدة ، فالت قوامها الذي لا يضارعه قوام ليدع القواني كاسفات من الغيرة متحصرات . هيفاء ، لا زيد وزنها على الخسعين كيلو إلا قليلاً ؛ لها نحو بلغ غاية الحسن النشود ترتسم في إهابه الرفاف عظمتا التروقة الدقيقتان وكأنهما قاعدة أنيقة لمنود رقبتهما المردة النحيلة ، ولوحنا كنفهما مفصلتان لليمان كأنهما جناحان ناجحان ، وساقاهما طويلتان مستويتان لا تكاد تبين لها ريلة ، وهي تعرضهما في طلائفة ومن دون أن تخشى الغواية والفتنة ، تحت حافة ثوبها الحريري القصير . وخلاصة القول في قوامها أن كساده من اللحم رومي في توزيعه التفتير ، بحيث لا يربو مقدار اللحم درهما عما يكفي لتلبس المروق وتلطيف الحاد من حنايا الأصانع والأوصال . فهو جسم يمكن نمته بأنه « هوائي » ، أو نبارة أخرى هو حجة للماء الفراغ في داخل الثياب اجتناباً لمشيا وحدها . وفي أعلى هذا الكيان الحى وجه جميل أطالته ذفن مدية ، تفتت فيه حلقة صغيرة قرصية هي فيها الدقيق البديع ؛ وتلح لوزتان كبيرتان هما عيناهما العجاوان ، وتهدل لمان على الأذنين كأنهما سالفتا محارب من محاربة الثيران الأسبابان وقد صفقت غداً من مجتمعة في شكل البرج القائم تشبك فيه الخصل المصطنعة المارية بمحصل الغانية . هي ربة الجمال المصري كما قد يتصورها ويبدعها واضع رسوم الأزياء في أحلامه المبقرية وخياله البدع

تطنى عليه نزوات الخيال والمفارقات في طراز من
الأثاث خليط من البيزنطية والفارسية وهو بعد -

رييب ميونيخ الألمانية

وكانت الأم دلفور متشحة دائماً بالسواد ،
رصينة مفكرة كمن عرف قيمة هذى الحياة ، وهى
تشهد - من غير أن تبدو عليها بادية - ما تأتبه
هذه الفتاة الوافدة في الزمن الأخير من ضروب
الأهواء والبدوات البتكرة : مهرجانات شرقية
تقلب الدار الواحدة رأساً على عقب ؛ حفلات شاي
راقصة ، والنفاذ في غلالل من الكتان الرقيق
شفافة ، منطبقة عليها من الضيق كالنمد ، موشاة
بأزهار كبيرة الحجم بارزة الطرز ؛ تأسر عاصر
جسمها وهزلها

ولما كان الابن مشغولاً بأوديت يبيدها ، فقد
اجتهدت الأم أن تلتصق العذر لكل أهواء كتبها
الصغيرة وطفرات مزاجها . هى فتاة مسكنة ؛
لقد نشأت من غير أم فعاشرت طليقة كالغلام

- ٢ -

وقامت الحرب . وكان من بوادر آثارها أن
بدت أمارات الرعب في عيني الغانية سيدة قصر
دلفور الجديدة ، فهي متسعة الحدقتين مرئاة النظرة .
أيمكن مثل هذا البلاء ؛ وفي الساعة التى يكون فيها
المرء أشد ما يكون لهماق وانبساطاً

أما الحجة فقد لاح عليها أنها كبرت ، وأنها
خرجت من اقتباس حياتها وإعراضها عن العالم ،
فاستقرت نظرتها - رصينة بطيئة على الأشخاص
وعلى الأشياء ، كأنما هى تتعرفن من جديد .
وهى في زمانها قد رأت الشيء الكثير ، وبادات
أول ما بادلت من كلات الحب رجل الصناعة دلفور

ولقد علما علم اليقين ان حرمة رقصهما أبدا الدهر
رهينة بأن يبقيا مدى الحياة شريكين

وهكذا نما الحب بينهما ؛ وهكذا تم قرانهما .
واستيقظت باريس بأسرها في ذات صباح قبل موعد
يقظتها اليهود بساعتين لتشهد حفلة القران . وكان
زين الحفلة تشريف عواهل الصناعة أجمعين ، وعدد
لا يحصر له من رجالات السياسة أصدقاء عم
المروس . ولم تخاف أحد أن أدنى ربة فيما يجمع شمل
المروسين من وشائج صباية وغرام ، كأطيب وأوفق
ماروبه الأساطير بين الأنام

وقد سلك موريس سلك الفاشق الحق . فودع
الوداع الذى ليس وزاده عودة تريجي سائر عشيقاته
على اختلافهن ، وكلهن من كاهنات الفنون الرفيمة ؛
التمثيل والفناء والرقص . لقد انتهى عهد الجمالات
وحسبه منذ اليوم امراءه الصبية ودراساته الدلمية الجديدة
أما هى ، فما برحت تحب المازلة كذى قبل ،
جربا مع المادة ليس إلا ، ومن غير أن تسمح لأحد
بالاجترار المقتحم . وما ذلك إلا ليزيد حافظ الاحساس
بالخطر استمتاع زوجها بها

وقد جعلوا مقر هئائهم في قصر دلفور ، وهو
باء غم شيدته أول محول من أصحاب الملايين في الأسرة
على مقربة من حدائق مونسو ، في وسط مساكن
أقاربه الأغنياء المولدين . وتطل واجهة القصر الخلفية
على هذه الحدائق . وقد اعتكفت الأملة دلفور في
الطابق الأعلى بما بقى لها من أثاث البذخ القديم ،
وتخلت عن بقية البار لابنها وزوجة ابنها ليتسنى
للمروس أن تشبع بلاعائق أهواءها في زينة البيت
وزخرفه . فإذا هذا المنزل العاصر بالأثاث الأرجواني
المذهب والمقاعد الفخمة من طراز نابليون الثالث ،

كل صوب تنمقد حولهن ممن لا يرتدين هذا الزي .
وفي هذه الأثناء يتسلل بنجوك ملابس مسرودة من
أشغال الأبرة للجنود ، وهن عزهوات بما يبدو
عليهن من قلة حذق هذه الأشغال ، شأنهن في ذلك
شأن علية العقيلات شرعت خادمتهن في تلقينهن
شيئا من أشغال المنزل
وتتردد بينهن الأحاديث كلها من هذا القبيل :
— إن زوجي يحارب في الأتراك . والسيو
دلفور في أي الميادين هو ؟

وكان مقر السيو دلفور في إحدى الجهات في
ناحية البلجيكيك ؛ وكانت امرأته تقص مناصراته
وهي تدير حولها لحظ الخيلاء : لقد نوه به مرتين
في النشرة العسكرية ! لقد أنعم عليه بوسام ! لقد
منح شارة !
ولكن كان عدد الأبطال كوابل المطر . فيعجز
في نفس أوديت شيء من الامتناع والمقاضاة ،
وهي تسمع النساء الأخريات يذكرن عن أزواجهن
مثل ما تذكر
آه ! ألا يسمعه التفوق ؟

وفي ذات يوم رجع قصر دلفور في حدائق
مونمو بنويات فظيمة من الانفصالات العسية
والتعجب واسطفاق الأبواب وأزير السيارات
ووفود الأطباء . لقد جرح الملازم دلفور جروحا
خطيرة من انفجار قنبلة ؛ وأرادت أوديت أن تسافر
على الفور لتسهر إلى جانب مريض زوجها ، لكن
هذا مستحيل ! فأسودت الدنيا في ناظرها ووددت
لو تموت ، ذلك على حين بقيت الأم ناصبة القامة
شاحبة ، ناضبة العينين ، تطرف بأجفانها وتعض
شفتيها .

في عام ١٨٧٠ ، أثناء حصار باريس ، ثم شهدت
وهي عروس صبية مأساة الحكم الثوري المأثر في
فترة عمره القصير

ودعى نجلها للسفر إلى الميدان في حين بدأت
امراته تعجب فيه بالرجل الجديد في حلة الضابط
الرسمية للمنظمة عليه أجل انسجام . والتي ضاعفت
رشاقته الكاملة الرجولة . ولقد أحب أن يلتحق
بالطيران ، إلا أن الطيران كان في طور الطفولة في
أول نشوب الحرب ، فبقى في المدفعية تبكيرا في
القيام بالخدمة

ورغبت أوديت أيضا في أن تؤدي منغمة
لبلادها . وكانت صواحبها غدايات رائحات في
المستشفيات . فصحت عزيمتها بمجازة من حوافز
الأريحية على التطوع ممرضة ، لأنها كانت شديدة
الاحجاب بالحلة البيضاء ، والبرنس الأزرق ، وعصابة
الرأس الناصبة . فهذا الرداء البسيط الجديد يلائم
جمالها كل الملاءمة . وكانت لفرط هيامها بالظهور
في هذا الزي الأخير من الثياب تقادر للمرضى أحيانا
كثيرة للطواف في سيارتها متنزهة في غلب بولونيا ،
رافلة في النعالة البيضاء المزودة بالصليب الأحمر على
الأردان وعلى الصدر

أما الأملة دلفور فكانت تقضى أيامها ولياليها
في المستشفى من غير أن تخلع ثوبها الأسود السرمدي
وليست تخالو الحرب أيضا من متنها ومباهجها :
فتمه حفلات الشاي المقصورة عليهن معشر النساء
دون غيرهن ، بمعزل من الرجال ومحضرم الضايق ،
إذ يرهقون بالجماملات الفارغة . وهن جميعهن في
هذه الحفلات متشحات بالثياب البيض كأنهن
الخادومات في إدارات الحمامات ، ونظرات الحسد من

ووردت الخطابات تل الخلفيات ، وكلها مكتوبة
بغير خط ، إلا أنها إملاؤه ، فقلت الأم واسمعت
من أصدقاء المائلة الأقدمين ، وهم قوم من ذوى
الرسالة فلا ريب يكتبون عنها بعض الخير :
— إن جروحها بليقة ، ولكن لا خطر عليه .
تسحب ! المهم هو أن يعيش .

وفي ذات صباح هبت أوديت من فراشها ،
وقد أيقظتها بقة حركة اضطراب غير عادية في
القصر ، فأزاحت ستار إحدى النوافذ ، فوقع
بصرها في خارج الباب الحديدى على سيارة مقفلة
عليها إشارة الصليب الأحمر ، ثم تبينت بصوبة من
خلال ظنف الزجاج المدود فوق الدرج الخارجى
رهطاً من الناس صاعدين يجهلون بين أيديهم شيئاً
ملفوماً يحاطون له بألف احتياط ، وكأنه قطعة من
الأثاث يخشى عليها التلف ، فقفز قلبها في صدرها :
موريس !!

وأفرغت عليها بمض الثياب ، وانطلقت من
غير أن تستكمل هندامها راكبة تنحدر في السلم ،
إلى بهو الطابق الأدنى ، وتناول الخدم مذعورين
راجفين منها .

اقتحمت القاعة ، وفي الحال عرفت الرأس
الموجع للسند إلى وسائد الديوان
هذا هو ، مشوهاً أظلم تشويه ، بخد الوجنتين
بأخايد متراكبة متشابكة من الندوب الزرقاء
الكافية ... ولكنه هو

لم تبق له غير عين واحدة . أما العين الأخرى
فإن موضعها توارى عصابة سوداء يحجم بحجرها
الأجوف ، ثم مرحت أوديت بطرفها في صدره ،
صديقه المتور تحت قماش سترته الزرقاء ، سترته

ولما عادت أوديت إلى الظهور في المجتمعات
الخاصة داخلها شيء من الرضى ، فلم يعد اليوم بين
سواحها من تجرأ على الاقتباس لها . لقد جرح
موريس ، وجرحه خطير ، والسكل مشفقون على
ما صار إليه هذا الزوج الفتان الذى ابتلته الحرب
هذا البلاء الشديد .

وهون الاحباب المسام على أوديت جزءها
فجئت تألف شيئاً فشيئاً فكرة هذه الجروح
النافسة . أية جروح هي يا ترى ؟ تخيلت زوجها
أعرج يطلع ، في إحدى يديه عصا ويده الأخرى
تتوكأ على ذراعها . ما ألمحها زوجين إلا إن المستقبل
ما يقى . يدخر لها ساعات هناء طويلة . ولسوف تغاه
وتحبوه السمادة بثمان الأم الرؤوم ومناعة الحبيبة .
وفي أصيل ذات يوم في شارع رويال ، وقع
بصرها على ملازم من الرتبة الثانية ، وهو جديف
يكاد يكون غلاماً ، يسير إلى جنب خطيته ،
وأحد كفى سترته مهمل خاو . موريس هو الآخر
فقد ذراع ؛ هي موقنة بذلك ، وهذا هو السبب
في أن خطابات المكتوبة على عجل ، الناطقة بسرور
مزعج ، هي دائماً إملاء وليس بخط يده . ولكن
ماذا بهم ؟ ستكون هي بسند زوجها ، وستنوب
ذراعها عن ذراعها المفقودة ، فما يشوقها مثل رؤية
طلته ، والتطلع إلى خيالها في صفاء عينيه ، والتجلى
بنظره الحلو الداعية الساخرة في لطف . آه !
تأشد حبا إياه .

وكان سواحها يتلقينها دائماً بمرعدات نفس
التساؤل : « كيف حال الجرح ؟ » ، وهي تجيب
راسخة اليقين : « في تحسن مطرد ، وهو قادم قريباً
إلى باريس . »

اللائيات الرخوة بترت سواعده التشعبة ، بازاء مادة
نخامية لا قوام لها لفظتها الحرب . هذا صاحب
الملايين الذى كان شديد الحب للحياة ، أبطل أبد
الدهر على هامش الحياة ! لقد أحدثت بلبته قرأنا
حواله ، حتى كلبه المحبوب ين على قيد خطوات منه
يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، كأنما هو سب دوافع
تداول عليه دراكاً ، من ولاء لسيده ونزع منه
ولسوف بظل الحال مدى عمره على هذا
النوال . . . آه هذا الموت ! الموت المجل ! وعلى
حين فجأة تنحى جمع الخدم . هذا شخص يفتنى
القاعة ؛ ولح الجريح المشوه رأساً بجلاً بالمشيب
يتقدم نحوه ، وأحس على وجنتيه المندودتين بالجراح
لس فم يتمسح بهما ، ويأثم لثمات الواله المصابة
السدلة على مقلته الجوفاء ، وأحس رشاش دمع
سخين يبلل جبينه ، وذراعين تطاوقا فى شنف
وحركة عصبية بذنه الناقص التكون كأنهما
تملان طفلًا

وتصاعدت أنه :

— أماء !

— ولدى ! ولدى !

نمرة : هين الرمن صدى

آلام فتر

للشاعر الفيلسوف جوة الأسانى

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد مسمه الزيات

وهى قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

وعنها ١٥ قرشاً

الضابط القديسة . ولكن هنا تزلزلت المرأة وتمخلد
جلدها كمن صدمته مفاجأة فظيمة — وما أشدها
صدمة وأعنفها — فإذا به قد صرخت ، أن جسمه
الجريح ينتهى هنا ، بغير ذراعتين وبغير ساقين .
ما هو إلا جذع أبتر ، بقى بفضل معجزات الجراحة
خرقة ممزقة فى نهايتها رأس حى
وتنم الفم — الأسود من حريق اللحم — فى
ضراعة وذلة :

— أوديت ، أوديت !

كأنما يلتمس الصفح عما هو رازح تحته

من بلاء

ولكن كانت أوديت قد ولت بحفلة تدفع
من طريقها الخدم المتجمعين أمام الباب ، وانطلقت
على وجهها تركض فى أطباق النزل العليا لانى
ما تفعل ، مولولة كأشد ما ولت لمرأة فى مأساة
إغريقية ، تصطدم بالآثاث والحيطان ، وتغرق
شعرها المالحول ، وقد جن جنونها من دهشة ونزع
واشمزاز

وهذا المخلوق المشوه المسوخ الحلقة زوجها !

وواجب عليها البقاء إلى جانبه طول حياتها !

ولم يزل ين فى الطابق الأدنى ذلك الصوت

الضارع الوجل مسترسلاً : أوديت ، أوديت !

واغمر بدورقت بالدموع عينه الوحيدة . السكل

يهربون ، حتى الخدم يتأملونه من بيد ويحاول كل

منهم الاختباء وراء زميله وهو متاهف على الحرب ،

ومع ذلك يشرب بمنقه وعلى وجهه سماء مبهمة

من تطلع الفضول وانقباض النفور

وكان القوم يتجنبون لسه ، كأنهم منه بأزاء

كعلة غريبة تعاطفها الأنفس ، بأزاء أخطبوط من

وحبيزة . تعالى يا حبيبتى

نجلست « سلام »

سامية بجوار أمها ، وروح

الثورة ما زالت متأججة

في صدرها . فاحتضنها

أمها وقبلتها . ثم قالت لها

وهي تحاول الابتسام :

— أريد أن تنفام يا حبيبتى .

هل التظلم حرام ؟ أتسكين في

حي لك يا « سلام » ورغيتي

في إسمادك ؟

— مطلقاً

— فإذا كنت قد اخترت

« شوق » زوجاً لك فلأننى

وحدة أفضل شاب يليق بك .

إنه شاب غنى ، ذكى ، حائر لا رفغ

الشهادات . ألا تعلمين أن فتيات كثيرات يتفانن

عليه ، وينتظرن عودته بفارغ صبر لينصبن له شبا كهن؟

— فلياً لكنه ... !

— لماذا تركه لمن ؟ لماذا ؟ وهل نجد

أحسن منه ؟

— ومن قال لك إننى أبحث عن زوج ؟

فنظرت إليها أنها نظرة جزع وألم ، وأخذت

يدها وشدت عليها في تأثر ، وقالت في صوت

خنوق :

— ألم هذا المناد يا « سلام » ؟ وإلى متى

تحيين هذه الحياة المملة ؟ بعيدة عن المجتمعات ،

بعيدة عن وسائل الهجة والبسرة . أريدن تحطيم

قلب أمك التى لم يبق لها فى الدنيا سواك ؟ أليس

بأخص صامية

للأسنان محمد تيمور



— أنت استدعيتى

يا أماء ؟

— نعم يا « سلام » ؛

استدعيتك فهلا حضرت

لماذا ؟

فابتسمت « سلام »

ابتسامة استخفاف وقالت :

— مطلقاً

— ولكننى أؤكد لك أنك

تعرفين ، ويسوؤنى منك هذا

التجاهل المصحوب بالازدراء .

لو كنت مكانك لما وسعتنى هذه

الدنيا بأكلها ، ولكننى الآن

على أحسن زينة وأزهى ملابس

أستعد لمقابلة خطيبى الجميل

— خطيبى ؟ !

— لا تتبرى غضبى يا « سلام » . اذهبي

واخلصى ملابس الركوب . إنها ملابس زرية لا تلحق

مثل هذه الظروف . اذهبي وربى شعرك وزينى

نفسك

— ولكننى ذاهبة كما تعلمين لأقوم بنزهتى

اليومية على ظهر فرسى « مبروكه »

— ألا يمكنك أن تتركى نزهتك يوماً واحداً ؟

يوم عودة خطيبك من أوروبا بعد غيبة ستة أعوام !

فلمعت عينا « سلام » بريق الغضب . وقالت

وهي تضرب قدمها بعصاها الصغيرة :

— لقد كررت على سميعك يا أبى أننى لا أعرف

لى خطيباً

— تعالى . تعالى اجلسى بجانبى برهة . برهة

قضاها في ربوع أوروبا يتعلم في معاهدها ويستمتع في مناتنها . عاد إلى دار الأمرة القديمة حيث قضى زيماني طفولته وشبابه . عاد إليها ليحيا حياة الاستقرار والعمل المنتج

زُل من السيارة ، ووقف أمام الباب يحدق فيه ، ذلك الباب الضخم الهرم ذو النقوش الأثرية . لن ينسى مطلقاً يوم خرج منه منذ ستة أعوام يطلب المجد وكأنه منتش بمجرة لذينة تلهب ذنبه . . . لم يحدث تغيير يذكر . كل شيء على حاله . فالبواب كما هو مشرق بانتمائه بحبيبه في لفته المعتادة ، والبستاني يهرع إليه ويقبل يده ، ويقدم له زهر التر ، والحديقة على حالها مهملة بأشجارها الكثيفة وطرقاتها غير المستوية . . . وأخيراً حجرة ، أجل حجرته كما كانت ، لم يتغير شيء فيها . كأنه تركها بالأمس . إن «تفسير» المعجوز لم تهمل إعداد القلة النظيفة البخرية ، والمنشفة المزهرة ، و . . . وطلعت عليه ذكريات الماضي الجليل فنظر حوله في غبطة وقال :

— كل شيء على حاله يا «تفسير» ؟ فما أسمعني بك ! وأخذ يتحدث معها : يسألها عن المنزل وأهله وما جرى فيه أثناء غيابه . سألها عن أشخاص كثيرين وأموز شتى . ولكنه نسي شخصاً لم يمر لسانه بذكره . فنظرت إليه «تفسير» نظرة استغراب وقالت :

— ولكنك لم تسألني عنها . . . ؟

— من تقصدين ؟

— هي ياسيدي . هي صديقتك الصغيرة

— ؟

— «سلام» ياسيدي

أملئ الوئيد في الحياة أن أراك مع زوجك وأطفالك سعيدة هائلة البال ؟ ... لماذا تريد أن تحرميني هذه الأمنية يا ابنتي ؟

«ورفت يد ابنتها إلى فها وقبلتها قبلة حنو ورجاء ، وأستأنفت قولها :

— لقد تقدم لك أناس كثيرون من أشرف رجال البلد وأرفهمهم ، رفضتهم جميعاً ؛ رفضتهم بلا سبب ، فلم ذلك ؟ وأخيراً يعود «شوق» . قريبك ، وهو من لحك ومن دمك ، وقد نشأ وترى معك في بيت واحد ، يعود بمدغية طويلة فيجد منك الرفض والاهال !

وتأثرت «سلام» بمنظر أمها ، فاحتضنتها وقبلتها ، وقالت لها في رفق :

— ولكنك يا أمي تتكلمين عن أشياء سابقة لأوانها . فهل خطبتي «شوق» رسمياً ؟ — رسمياً . . . كلا . ولكن الجميع يفعلون أنه خطبك . ولكننا نتحدث بذلك منذ كان بيننا — قبل أن يسافر إلى أوروبا

فتجهت وجه «سلام» بفتة ولم تجب . وخشيت أمها أن تسي إليها من حيث لا تدري . فلامقتها وقالت :

— لا يسؤلك كلاً يا حبيبتي
وقامت «سلام» تريد الخروج ، فقالت لها أمها :
— لا تطلي زهتك يا حبيبتي . لا تنسى أنه سينحضر قبل الفداء . . . عليك أن تساعدني في ترتيب المائدة . أما أنا فذهابي إلى المطبخ لعمل الشوكية

وعاد «شوق» إلى الدار بمدغية طويلة

— هالو «سلام» كيف حالك؟

فأجابته في لهجة عادية بلا حماسة:

— الحمد لله، وأنت؟

ودُهِش «شوق» من لهجتها، ولكن راعته نبرات صوتها. وأخذ يتأملها طويلاً، فلذا هي في قوام ممشوق ومحركات رشيقة وشمال حلوة، فيها طراوة ونباذية على الرغم مما يبدو عليها من إهمال.

ونالت «سلام» اللجام للناس وأصدرت له أوامرها، ثم سارت متجهة ناحية السلام و«شوق» سائر بجانبها صامتاً، وقد أحسن على الفور بشيء يحيره ويحبه فيها. وأخيراً تكلم فقال:

— يتجمل لي أن كل شيء على حاله في هذا

المزحل لم يتغير، سوى أمر واحد هو...

وظهرت الست «أمثال» والدة «سلام» وكانت على أحسن هيئة، مزينة فستاناً منقوشاً مفتش كأنه الورق المقوى. وشعرها يلعب من تأثير المكواة الحامية. تقدمت نحو «شوق» في نهال، وبسطت ذراعيها، وقالت في صوت متهدج:

— أهلاً وسهلاً بابنتنا العزيز. أهلاً وسهلاً بابنتنا

الحبيب. إن يوم عودتك ليوم عيد لنا عظيم! ومطوقته بذراعيها وقبلت رأسه. وسمته يقول:

— إن سروري رؤيتكم لا يقدر

ومسحت الست «أمثال» عينها الدمعتين

وقالت:

— لقد كنت أسأل عنك دائماً ولا يهدأ لي

بال حتى أطمئن عليك

وتأملته طويلاً وقالت:

— ماشاء الله! ماشاء الله! ربنا يحسن لك

شبابك يا ابني

— أوه «سلام»؟ كيف هي؟ ألا تزال نحيلة ضئيلة كالسمكة المقددة!

— السمكة المقددة! ... إنها ملء العين والمخاطرة. ممن على عسل ياسيدي!

— أنت تبالغين. ولكن خبريني: أما زالت ترتدى ميدعتها الزرقاء البرقشة يبقع الخبر؟

— ما هذا الكلام ياسيدي؟ إنك تتحدث عن الصغيرة «سلام» التي لم تكن تبلغ الرابعة عشرة بعد. أما الآن فهي غيرها بالأمس. إنها ترتدى الفساتين على آخر زى، وترتدى نقعها كمزوس ليلة ودخلتها...

— وأين هي؟

— خرجت راكبة فرسها لتتروى نزهتها اليومية

— راكبة فرسها؟! أمر مدهش للغاية! — هناك ياسيدي! ليس هذا كل شيء.

إنها تعزف على البيانو كأمر المازقات، وتتكلم الفرنسية كاللب، وتقرأ الجرائد، وتفهم في كل شيء.

وسمع في تلك الآونة صهيل فرس ووقع حوافرها على أرض الحديقة الصلبة. فهرعت «تسفير» إلى النافذة ثم صاحت مهللة:

— إنها هي!

وأطل «شوق» من النافذة؟ وما كانت حينها تقف على «سلام» حتى صاح مدهوشاً:

— أهذا ممكن!

وزل «شوق» ليستقبلها، فراها تترجل بالقرب من الباب، فتقتحم نحوها ومد يده وهو يقول:

ورفعت فتوقا في ملابسي
ونظر إليها ، فابتسمت ابتسامة رسمية . وقالت
تسفير :

— إنها كانت تفصل وتخطط جميع (مرابها)
فقال شوق :

— هذا صحيح . وعلى ذكر المرابيل أذكر
كيف أتيت مرة الجبر على واحدة فأنلقها
تماماً ...

ألا تذكرين ذلك يا « سلام » ؟
فقالت في لهجتها الرسمية :

— لا أذكر

— كان ذلك قبل سفري ببضعة أيام ، عندما
جئت تطلبين مساعدتي في حل بعض المسائل
الحسابية فلم تجيب . ثم حوّل رأسي ناحية الباب
وقالت للخادمة :

— متى تحضرين الأكل يا سيده ؟

بدأ الأكل وانتهى ، و « سلام » لم تفتح فمها
إلا لتجيب بنعم أو لا ، أو غير ذلك من الكلمات
الرسمية ، وكان كل ذلك مصحوباً بابتسامة مقتضبة
أو إشارة مقتضبة ، وكانت أمها تقف كالرجل ،
وطالما رمتها بنظرة تأنيب حادة أو عتاب مر .
أما « تسفير » . فقد بدأت بفشل مروع في
محاولتها لإخفاك « سلام » أو تحريضها على الكلام .
وقد أنقذ « شوق » الموقف بمحدثه المسلى عن سفره
وحياته في أوروبا وما اعتمد أن يفعله الآن

وترك الجميع حجرة المائدة . وذهب « شوق »
إلى الشرفة ليندخن سيجارة ؛ وانتحى ناحية في
ركن بعيد ، وأخذ يفكر فيما مر عليه الساعة من

ووقع بصرها على « سلام » فأكفهر وجهها ،
وقالت لها في لهجة نائرة مكتومة :

— أبهذه الهيئة تقابلين زوارك ؟

ثم التفتت سريعاً إلى « شوق » وقالت :
— لم تقصد « سلام » أن تظهر أمامك هكذا .
لقد جئت بها الفرس وضلتها فتأخرت في العودة
على غير رغبة منها ، فلم تستطع أن تغير ملابسها ...
فقالت « سلام » في هدوء وهي تداعب
عصاها :

— كلا يا أمي . لم تجمع بي الفرس ولم تضللي .
فنفرت إليها أمها نظرة ملتهبة ولم تتكلم . وقال
« شوق » وهو يبتسم :

— إن ركوب الجياد رياضة جميلة . وإن أحوالها

اختفت « سلام » بعد هذه المقابلة ، ولم تظهر
إلا وقت النداء . وكانت ترتدي فستاناً علوياً غاية
في السداجة . ولم تعن بزينة . فثارت نائرة أمها ،
ولكنها لم تستطع أن تتكلم . والتفت « شوق »
نحو « سلام » وقال في لهجة مخففة :

— لقد أحسنت اختيار هذا الفستان
يا « سلام » . إن لونه وتفصيله يشهدان بذوق سليم
فأجابه في لهجة مؤدبة عليها مسحة الجفاء :
— أشكرك

وقالت « تسفير » المجوز :

— إنه من تفصيلها يا سيدي . ألا تعلم أن
« سلام » خياطة ماهرة ؟

فقال :

— لقد كانت وهي صغيرة تجيد تفصيل
البلاطى لقطعتها ، وطالما خاطت لي أزواراً ساقطة .

وعجب « شوق » من أمر نفسه . إن اهتمامه بهذه الفتاة يزداد يوماً بعد يوم . لقد عرف مواعيدها فهو يراقبها ويستمتع بمراقبتها ويحديتها القصير المتور كما استطاع إلى ذلك سبيلاً . وهو بجوار الباب كلما خرجت للركوب وكلما عادت . وهو تحت نافذة حجرتها يصنع في شوق وحنين لأنغام البيان التي تعزفها . وهو في الحديقة وقت زولها إليها عصرًا لتجتمع الزهور . يسير جيئةً وذهاباً في المشي الكبير وفي يده كتاب مطبق . ويبادلها التحية من بعيد أو من قريب . وكان أحب الأوقات إليه أن يذهب إلى غياً يطل على شرفة حجرتها حيث كانت تتمدد على مقعدها الطويل بمد خروجها من الحمام تجفف في الشمس شعرها الأسود الطويل ، وقدمها الماربتان اللشربتان بحجرة فاتنة تلمان في الضوء القوي . فكان يمجبه هذا المنظر الرائع ويشتهي أن يشبع عينيه منه طيلة العمر

وكانت « سلام » تمشي في مملكة خاصة بها هي نفسها . لا أقارب ولا أصدقاء تزورهم أو يزورونها . أحب الأشياء إليها زهرة على ظهر فرسها في الأماكن الطلقة الفسيحة غبطاناً كانت أو رملاً ، أو كتاب تقضى الساعات تستمع إليه صامتة ، أو أمام « البيان » تقضى إليه ويفضي إليها بشكايك طوال . . . هذا العالم الذي تمشي فيه « سلام » والذي يترامى للناس ضيقاً مملولاً أخذ يتكشف لشوقي عن دنيا واسعة ترزخ بالكناز ؛ ولكنها ظلت دنيا بعيدة النال عنه

وكره « شوق » هذا الغموض الغريب القائم بينه وبين « سلام » . فاستولت عليه فكرة جريئة اعترم تنفيذها مهما يكلفه الأمر نزل يوماً إلى الحديقة وكمن للفتاة . وبعد قليل

مشاهد ، وهو حائر لا يستطيع لها تفسيراً . وبينما كان على هذه الحال رأى « سلام » تدخل الشرفة . وما كادت عينها تقمان عليه حتى توقفت عن السير وتأهبت للعودة وهي تقول :
— لا مؤاخذه !

وبار إليها « شوق » وقادها إلى الطنف وقال لها في عتاب :

— أزعجتك مرأى إلى هذا الحد ؟

— أنت بلا شك متعب وتطلب الخلوة لتستريح !

— الحمد لله . هذه أول جملة طويلة أسمعتها منك منذ حصوري

— ماذا تعني ؟

— أذكرين كيف كانت « سلام » الصغيرة تملأ المنزل كله بكلامها وضجيجها ؟

فابتسمت في إجمال وقالت :

— إن « سلام » الصغيرة قد ماتت !

— ولكنها تعود إلينا أبهى وأعظم مما كانت . وأمسك يدها بداعها فسحبها منه وخرجت . و « شوق » ينظر إليها في حيرة

ومضى أسبوعان « وسلام » لم تغير مسلكها نحو « شوق » كما أنها لم تبدل شيئاً من حياتها التي اعتادت أن تحياها . فلم تكن تطيل وقوفها معه . بل تقتصر على السلام وتبادل الكلمات القليلة . وكان يحس بأنها تتجنب مرأه بقدر استطاع ، مع محافظتها على المظاهر في أدب ولياقة . ولم تستطع أنها بمثلها تارة وتويخها تارة أخرى أن تحملها على تغيير مسلكها . فتركها وشأنها خشية أن تسوء العاقبة .

— ألم تدري شيئاً من أمرى يا «سلام»؟

ألم تكتشف شيئاً مما يضرهم في قلبي بحولك؟ فلم
تجيب .. وكانت تنظر أمامها ولا تتحرك ..

فقال :

— لماذا لا تجيبين؟

وأراد أن ينال فيها ، فأبعدتها عنه وهي تقول
في إصرار :

— دعني واخرج . قلت لك دعني واخرج !

فصمت برهة وهو متعجب متحير ، ثم قال :

— أألى هذا الحد تكسريني يا سلام؟

— أجل . أكرهك . أكرهك

— ولماذا تكسريني؟

— لأنك أناني ، بظال ، قلبك من حجر ...

ألم أكرهك لئلا تسفر؟

— أذكرها بكلم يمد

— أما أنا فأذكر حوادثها كأنها حدثت

أمس . إن مشاهدتها محفورة في ذاكرتي

وصمت برهة تستعيد ذكريات الماضي ، ثم

قالت في لهجة أقل حدة من ذي قبل :

— ... كنت مشغولاً بترتيب أشيائك .

روح ونحيبي وأنت تصفر متعيطاً ، وكنت أنبئك

صامتة وأنظر إليك في بحس . فالتفت نحو يفتة

وقلت في جدّة : « أجلسي هنا ولا تنبيني » .

فجلست وأنا لا أفهم سبب حديثك ، وأجسبت

نفسى فيما يكون قد بدر منها في مكان سبيك في

غيبك ... كانت عيناى لا تفارقناك وأنت تخرج

ونحن مشغولاً دائماً بأشيانك وجفائلك ، أنعم

صبرك في الروى الواحد وأنا صابرة . وطلت

جلستى ، وأوشكت أن تغفل الحقائق ، ففسرت

أوليت وأخذت تعطف الزهور . وكان المكان خالياً

بغيره الصمت . وخرج « شوق » من مخبئه ،

وانسل إليها من الخلف فأمسك رأسها وأداره ناحيته

يسرعة ، وطلع على فيها قبلة صميغة حارة . ثم

ركعها ...

فوقفت الفتاة برهة أمامه مصمومة لا تتحرك

ولا تتكلم . ثم أجزفت بفتة وجهها واحتقنت عينها

وقالت وهي ترتجى :

— أجزؤ على ذلك؟

وتهدج صوتها وأجسبت . ثم رآها ترفع يدها

في وجهه . ولكنها أزلتها ، واستندت ذنبره

وجرت صوب المنزل . ووقف « شوق » راقبها

حتى اختفت . لقد رأى عيناها تلغمان بوميض

عريب لم يره من قبل . وجرى خلفها حتى وصل

إلى حجرتها ، فوقف بجوار الباب يتسمع .

فوجدتها قد ألقت بنفسها على السرير وأندفت تبكي

في شدّة وحرارة ؟ فصر عليها حتى انتهت من

البكاء ، ثم دخل الحجرة في خطوات بطيئة ، فراها

جالسة على السرير تحققت بقايا دموعها . وما إن

وقع بصرها عليه حتى أشارت له إلى الباب وقالت

في حدة :

— اخرج !

فتقدم بحولها وقال في هدوء :

— ألا أستطيع أن أعلم سبب هذا الخصاص ؟

فصاحت :

— خصاص ؟! أى خصاص ؟!

— خصاص أو جفام . سمع كاشانين

وجلس على مقعد بالقرب من السرير ، وقال

في جنون وإخلاص وهو يتحدث في فيها بحديثاً عريقاً :

أوابتسامة، تحمل المعنى الذى أطلع فيه .. ولكن لم يلفظ لسانك بتلك الكلمة، ولم تبد منك هذه الإشارة ... وفى يوم رحيلك ذهبت إلى الهوى مبكرة واختبأت خلف إحدى الستائر. وانتظرت هناك طويلاً، وأنا أرتجف وقلبي يندق بشدة ... ورايتك أخيراً وحولك أهل المنزل تودعهم ويودعونك. وتذكر اسمهم اسمًا اسمًا، ولم أسمحك تسأل عنى أو على الأقل تبعث إلى تحيتك. وخرجت وأنت مبتلج الوجه، تصفر بذلك اللون الذى الروى الواحد؛ وخرج الجميع يتبعونك إلى الحديقة، وأقبلوا الباب، فلم يمد فى الهوى سوى. فتركت غيبي وهرولت إلى حجرة الفرش، وحسبت نفسى فيها طول اليوم، أذرف الدمع صامتة ... من ذلك اليوم كرهتك وكرهت «الرجل» فى شخصك. لقد كنت وقتئذ صغيرة جاهلة غبية، يحق لك أن تقول ذلك. ولكن كان لى قلب، وكانت لى أحلام، فبستت ذلك القلب، وحطمت هذه الأحلام. أما أنت فقد تجمع فيك كل شيء: ذكاء، وعقل، وعزيمة. ولكن كان يمزك شيء واحد وهو فى نظرى كل شيء ... فتمتم شوق:

— ... ولكن كان ذلك فيما مضى،

أما اليوم ...

— لقد فات الأوان، إن الهواية التى بيننا

سحيفة جداً، ولا يمكن أن نتخطاها

وصمتت، و«شوق» ينظر إليها ولا يتكلم، وطال صمتها. وأخيراً قام «شوق» وتناول يدها فى سكون، وطبع عليها قبلة عميقة، ثم خرج بلا كلام!

بفتة بدافع قوى يدفعنى نحوك. فقفزت وتملتق بك، وقلت لك فى سداجة بريئة: «لماذا لا تأخذنى معك؟»

فغظرت إلى فى سخرية وغيظ، ثم دفعتنى بيدك، وخرجت من الحجرة كالزوبعة. فى تلك اللحظة شعرت لأول مرة بأن غشاوة كانت تنشى عنى وأنها أخذت تنقشع. فخرجت أحرى إلى حجرة الفرش وجلست القرفصاء فى ركن من أركانها، ولم يخفى الظلام؛ بل أنست به، لأنى كنت فى حاجة إلى الوحدة والتفكير. وأخذت أعرض حياتى معك على ضوء جديد، فوجدتها غريبة جداً ... أجل كانت غريبة جداً، كنت أعتقد أننى لا أستطيع أن أعيش بدونك. كنت أنزل إلى الحديقة وانتظر عودتك من المدرسة. أعد الدقائق واللمحظات، فما أكاد ألمحك حتى أهرع إليك مهلة باشة فتستقبلنى فى جفاء، وتلق على تحيتك كما يلقى السيد تحيته على خادمه. ثم تعطينى عفتك المكتظة بالكتب فأحملها لك راضية إلى حجرتك ... وكنت أحب أن أحادثك لأسليك فتصدنى وتشعرنى بأن حديثى سخيخ لا يليق أن يسمعه شخص مثلك. وإذا حدثتنى فحديثك دائماً عن شخصك وعن مشروعاتك وعن النجاح الذى ينتظرك ... دائماً عن نفسك، دائماً ... وكنت أصنى إليك فى اهتمام وأشفق، ولا أمل حديثك. وأنصورك وقد غدوت عظيماً من العظماء، كقائد منتصر أو كملك كبير، ينظر الناس إليك نظرة الخشوع والاكبار، وأنظر إليك أنا نظرة العبادة. وكنت أنتظر منك — فى ذلك الوقت — بالرغم من ذلك، شيئاً، شيئاً واحداً. كلمة، أو إشارة،

ومضت الأيام ولاحظ الناس على «شوق»
تغيراً كبيراً ! لقد قلَّ كلامه ، وغاضت ابتسامته ،
وكثر تفكيره ، وآثر الوحدة في حجرته . أو في
ركن ناء مخف في الحديقة ، يقضي وقته يفكر في
كآبه . وكان يتجنب جهد إمكانه مقابلة «سلام» ،
فاذا اضطر إلى لقائها سلم عليها في أدب ، ولم يطل
وقفته . أما هي فقد عجبت وازدادت انطواء على
نفسها . وكانت عينها الواسعتان السوداوان
قد أخذتا في الذبول وانطبعت عليهما آثار البكاء ،
تنطقان بحيرة وقلق وبأس دفين !
وفي ذات يوم من الأيام كان «شوق» في
حجرته يرتب أشياءه في حقائبه ، تساعد «تسفير»
المجوز . وكان يعمل صامتاً ، ولا يجيب على أسئلة
«تسفير» إلا في اقتضاب ، والمرأة حائرة حزينة ،
وسمعا شوق تقول :
— وإلى أين تسافر يا سيدي ؟
— خارج القطر

— أين ؟ ...
— لا أدري !
— ولماذا عدت إلينا إذن ؟
— العلم عند الله ...
... وفي الصباح المبكر تأهب المنزل لوداع
«شوق» ، وخرج الفتى إلى البهو وهو يحمل
معطفه على يده . كان يسير متمهلاً ، ويسلم على من
حوله في وداعة عليها مسحة الكآبة . وقبل أن
يتخطى الباب وقف والتفت حوله يؤمل أن يرى
شخصاً معيناً بين الحاضرين ، فلم يجده ، ووقع
بصره فجأة على إحدى الستائر وكانت تهتز ، فأخذ
يحقق فيها وقلبه ينبغض أهو الهواء يحركها أم هوشى .
آخر ... ؟ وطالت وقفته كما طال تحديقته في
الستارة ، وقد تابعت خفقان قلبه ... ولكن
الستارة سكنت ولم تعد تتحرك ... غَوَّل وجهه
نحو الباب وهو يوسع الخطى نأ

محمد نيمور

المطبعة الكتاب :

الشيخ عفا الله

وقصص أخرى

تأليف الأستاذ محمد نيمور

يطلب من جميع المكتبات الشهيرة وبالأخص من مكتبات القاهرة الآتية : النهضة بشارع
المداين رقم ١٥ . الأبحلو بشارع قصر النيل رقم ٣٣ . الوفد بشارع الفلكي رقم ٥٣ . دار النشر
بشارع عابدين بجوار سينما رويال . وثمن النسخة خمسة قروش
كذلك المطبعا :

نشوء القصة وتطورها

ثمن النسخة قروش واحد

المهد الثاني من وجودي .
وعلى ذلك فإذا حدثتك
عن شيء من عهدي
الأول فصدقه ؛ أما عن
المهد الثاني فأنت غير
بين أن تقابل ما أحدثك
به عنه بما يستحق من
الثقة ، أو أن ترفضه رفضاً تاماً ؛

كانت تلك التي أحببتها في
صدر شبابي والتي أتلو عليك
من ذكريات غرامي بها ما أتلو
في هدوء ووضوح ، الابنة
الوحيدة لخالتي الوحيدة التي
ودعت هذا العالم من زمن
بعيد . وكانت ابنة خالتي هذه
تدعى أليينورا ؛ ولقد عشنا
متلازمين في وادٍ كثرت ألوان

زرعه ، سميناها « وادي الألوان » ، وما كانت
تستطيع قدم غريبة أن تهتدي إلى مسالك هذا
الوادي ؛ ذلك لأنه كان يقع على رهوة عالية تحيط
بها شجيرات شاهقة كثيرة ما تحجب الشمس عن
عند من بقاعه . وفضلاً عن ذلك لم يكن يمر لأحد
حتى تشق الأقدام طريقه فيه ؛ وكثيراً ما كنا
نضطر ونحن عابدين إلى منزلنا أن نفسح طريقنا
بأيدينا بين الأغصان المشبكة في كثير من الشقة ،
كما كنا نطأ بأقدامنا آلاف الزهرات فنفضي على
الكثير من معال الجمال في هذا الوادي ... هكذا
عشنا وحيدين سعيدين لا نعرف شيئاً عن الحياة
وراء وادينا الجميل ، أنا وخالتي وأليينورا

أليينورا
للكاتب لأريكي إدجار آلن بروس
بقلم الأستاذ محمود الخفيف



لقد انحدرت من
قوم أخص صفاتهم الخيال
المشوب والماطة اللطيفة ،
ولقد دعاي الناس بالمجنون ؛
ولكن الناس لم يصلوا
بعد إلى رأي في الجنون .
نعم لأنهم لم يستطيعوا أن

يفرروا ما إذا كان الجنون هو
الذكاء في نسقه الأعلى أم إنه
ليس من الذكاء في شيء . لم
يستطيعوا أن يقطعوا برأى في
القضية الآتية :

أليست كثرة أفكارنا
التميزة بالسمو ، بل وجميع
ما يتصف منها بالنضوج والعمق ،
إنما هي صادرة عن مرض
فكري أو حال غريبة من حالات

العقل تسمو وتنظم على حساب غيرها من ملكات
التفكير ؟ وإن هؤلاء الذين يحملون في النهار خليقون
أن يصلوا إلى أشياء تنيب عن لا يحملون إلا في
الليل - ففي رؤايم الشاحبة تترأى لهم لمع من
الجلود ، حتى إذا ما استيقظوا سرت في أجسامهم
النشوة أن كانوا على حافة السر الأكبر !

وعلى هذا أقول إني مجنون ! أو على الأقل أسلم
أن هناك ناحيتين في وجودي الفكري تتميز
إحدهما من الأخرى ؛ فأولاهما ناحية البصيرة التي
لا تقبل الجدل ، وتتصل بذكريات المهد الأول
من حياتي ، وأخرها ناحية الشك والنموض ،
وتتصل بالحاضر كما تتصل من الذكريات بما يكون

الحال خمسة عشر ربيعاً قبل أن يعرف الحب طريقه إلى قلبينا ، إلى أن كنا ذات مساء جالسين تحت هاتيك الأشجار ، وهناك تمانقنا ونظراً إلى خيالينا



في « نهر السكون » . ولم تنفرج شفتانا عن كلمة أثناء هذا العناق ، وظللنا صامتين بقية النهار إلا عبارات مضطربة خائرة عما كنا ننوي أن نفعله في الند . وكأننا أخرجنا من النهر قوة خفية أشملت في روحنا جذوة آباءنا الأولين ؛ فلقد أحسنا أن حدة الماطفة التي امتاز بها جنسنا على مر القرون مشفوعة بما عرفوا به أيضاً من قوة الخيال قد دب دينها في نفسينا ؛ وسرعان ما بث ذلك في « وادي الألوان » روحاً جديدة .

رأينا يد التفسير تمتد إلى كل شيء هناك . فقد انبثقت زهرات بيضاء فاصمة في شكل النجوم على أغصان لم يكن زينها زهر من قبل . وازدادت نضرة البسط الخضراء في أعيننا ، وكانت إذا

في هذا الوادي الحبيب يجري نهر ضيق عميق قد انحدر إليه من منبته فوق هاتيك الجبال ؛ وكان لهذا النهر الجليل ريق غريب أشد لهما من كل شيء إلا عيني أليئورا ؛ وكان كثير المنعطقات ، إلا أنه كان يجري ساكناً وادعاً ، يشمر المرء على ضفتيه بعيل قوى إلى السكينة والهدوء ؛ ومن أجل ذلك سمينا « نهر السكون » . وكانت تمتد على ضفتي هذا النهر ، وعلى ضفاف النهران التي تنساب إليه بسط وثيرة من العشب النضير ، سالت في نواحيها الألوان التي تملأ الجو بمبيرا الفياح ، فن زهرات صفراء فاقمة وساطمة ، إلى زهرات بيضاء يستوقف البصر بياضها ، إلى قرنفلات حمراء ملتبة ، إلى ورود قرمزية رفاقة ، إلى عجابر بنفسجية باسمة ، إلى غير هذه وتلك من مؤلف الزهر وشنتته ، مما يزدان به الوادي ويبلغ به حداً بعيداً من الجمال البقري ، ذلك الجمال الذي كان يتحدث إلى قلبينا في صوت جهوري عن الحب وعن عظمة الله الخالق البارئ المصور .

وكانت تنتثر في أنحاء وادينا أشجار باسقات يحدها المرء هنا وهناك في بقاع من العشب الأخضر شبيهة بما يراه النائم من الجنات ، وكانت تجمع جذوعها بين سواد الأبنوس وبياض الفضة ، وكانت ناعمة ، ناعمة تفوق كل شيء في نعيمها إلا خدى أليئورا . ولولا ما كانت تراه العين في ذراها من الأوراق لأوحى إلى المرء خياله بأنها مجموعة من ثماين سوريا الهائلة ، تؤدي في تمايلها واجب الخضوع إلى القوة المسيطرة عليها وهي الشمس ؛ في هذا الوادي الساحر كنت آتجول كل يوم أنا وأليئورا ، ويدها في يدي ، وقضينا على هذه

لقد أحسنت أن أصبح النون عيس قلبها ، وأنها كيمض الزهرات النضة في الوادي ما خلقت قامة الجبال إلا لتموت ؛ ولكن الرعب الذى يعمته القبر كان يترأى لها في فكرة كشفت لى عنها ذات مساء وقت الطفيل على ضفة « نهر السكون » . كان يزعمها أن تفكر أنى جنباً أوارى جنبها في « وادى الألوان » لابد أن أنصرف عن هذا المكان الجليل ، ومن ثم فلا بد أن ينصرف حبي الذى أمنحها إياه الآن فى هيام وشدة إلى فتاة غيرها ممن يشرب خارج الوادى ، إلى فتاة عادية ممن يصادفهن المرء كل يوم في هذه الدنيا

هناك أقيت نفسى في لفحة وسرعة على قدمى أليئورا وفحت أمامها بقسم أشهدت الله عليه أنى لن أتزوج بعدها أية فتاة من بنات الأرض ، وأنى لن أظهر ما عشت ما يشعر بتغافلى عن ذكرها المزرعة ، أو ذكرى حبها الصادق القوى الذى غمرت قلبى به وجعلتني أعرف في ظله نعيم الحياة ؛ ثم أتجهت ببصرى ثانية إلى السماء وأشهدت على قوى الله المسيطر على ملكوت السموات والأرض . وإن اللعنة التى رضيت أن ينزلها على إن أنا حننت فى عيني ، وصورة المذاب التى قبلت أن يحل لى ، ليمثان فى الأقدسة من الرعب والفزع ما لا أسمع منهما بتفصيل فى هذا القام . ثم نظرت إلى عيني أليئورا اللامتتين ، فرأيت ريقهما يشتد مع كلاتى ، ثم رأيتها تتنفس الصعداء كما لو أنها ألفت عن صدرها عبثاً كل زهقها . ولم تلبث بعد ذلك أن أخذتها رعدة شديدة وتساءلت دمعها السخين . ولكنها قبلت عيني وصدقت دعواى . وليت شعرى ما هى ؟ ألم تكن طفلة غريبة ؟ يا لها من فتاة بريئة ! لقد

انطفأت الزهرات البيض لا تلبث أن تحمل ملهين عشرات من الزهرات الحمر المشتعلة ؛ فضلاً عن ذلك فقد دبت الحياة فى مسالك الوادى ، فلقد رأينا الطاووس فى موشيته المبكرة يختال فى حاشية من الطيور الجميلة ما كانت تقع عليها الأعين من قبل . ورأينا ماء النهر يزخر بالسماك الفضى اللون ، وقد انبعث منه خرب حلو ما تزال تملو نغماته حتى تنتهى إلى مهددة جميلة ، أكثر قداسة من أنغام قيثارة « أولوس » ، وأحلى غناء من كل صوت للأصوت أليئورا . وإذا رفعا أبصارنا إلى السماء رأينا قوس الغمام الذى كنا نراه من قبل عظيم البعد ، قد اقترب منا حتى ارتكز من طرفه على قمم الشعاب المحيطة بنا فظللنا ألوانه الجميلة وحولت ما كان يكتنف الجبال من كآبة قابضة إلى رواء بارع ، وصرنا حياله نشمر كالوكان يحجزنا إلى الأبد فى بقعة من الجبال والمظلمة كان جمال أليئورا جلالاً ملائكياً ؛ ولكنها كانت فتاة ساذجة بريئة ، فلم يتخذ ذلك الحب الذى أيقظ قلبها من الخديعة حجاباً يخفى قوته ويستر توقده . تبينت ذلك فى خلال حديثنا بين الأزهار فى « وادى الألوان » ، حينما كانت تشير إلى ما طرأ على الوادى من تغيير

وأخيراً ، حدث أن أفضى بنا الحديث ذات يوم إلى الخاتمة الموزنة التى لا بد أن يصير إليها أهل الفناء . وكنا نجس دموعنا أنباء ذلك الحديث ؛ ومنذ ذلك اليوم رأيتها تماود الكلام فى هذا الموضوع ، وصارت يدخله فى جميع أحاديثنا ، على نحو ما تراه فى أغاني شاعر شيراز من تكرار الصور فى شكل عبارة يكسبها شكلاً أخذاً من الايضاح والبيان

الندى ، واختفت الحياة من مسالك الوادى ، فلم نعد نرى الطاووس فى زامى ألوانه ، اللهم إلا فى أويقات كانت تأخذه العين فيها كاسفاً حزناً راحلاً عن الوادى إلى قمم التلال تتبعه جناات الطير اللواتى أتين معه قبل ذلك . واختفت من مجرى نهرا تلك السمكات الذهبية الفضية التى كانت تزينه من قبل ، وأخذ يخفت ذلك الخمر الحلو الذى كانت تفوق غمامه وهدده أغانيه من قبل قيثارة « أولوس » سحرراً ، والذى كان صوته أكثر قداسة من كل صوت إلا صوت ألينورا ؛ أبجد يخفت ذلك الخمر حتى احتبس وعاد النهر إلى سالف سكونه ، وذاب قوس النعام ، وتلاشت فى السموات ألوانه البهيجة التى طالما خللتنا فى هذا الوادى

ولكن ألينورا صدقت وعدها ؛ فطالما أصبحت حفيف رهط اللائكة ؛ ولطالما استنشقت العبر المقدس فى أرجاء الوادى . وفى ساعات تأملاتى حينما كانت تتوالى نبضات قلبي ، كنت أتبين فى هسيس الرياح التى تمس جيبى نهداتها التى وعدتني ؛ كما كنت أتبين فى كثير من الأحيان غممة تتناوح بها ريح المساء . وحدث ذات مرة ... آه ولكنها مرة واحدة ! حدث أن أقفت من نومة عميقة كأنها الموت . على ضفط شفتين علويتين كانتا تلتصقان شفتي .

ولكن الفراغ الذى أحسسته فى قلبي أبى أن يتلى حتى على هذه الصورة ؛ وتأقت نفسى إلى الحب الذى أفهم من قبل ذلك القلب حتى طفع به . وأخيراً أصبح الوادى يبعث ألم لغواذى لما يشهده من ذكريات ألينورا ، فتركته إلى غير رجعة ، وأخذت طريقى إلى مضطرب من هذه الدنيا حيث

جملتها عباراتى تنظر حتى إلى الموت نظرة هدية ويسر . ولقد أفضت إلى بعد ذلك بأيام ، وهى تخطو إلى الموت خطوات هادئة ، أنها جزاء وفاً لما فعلت ولما أخذت على نفسى العهد الذى أتلج خاطرها وطمأن روحها ، ستمنى فى المساء حينما تسلم الروح ، وإذا سمح لها فستظهر لى فى جلاء بين أطيايف الليل . وإذا كان هذا فوق مقدور الأرواح فى جناتها فسوف تشعربى بوجودها بمختلف الاشارات فأسمع نهداتها فى رياح المساء ، أو أشمعر بالهواء محملاً رائحة غير اللائكة ونفحات الفردوس ... وفى مثل هاتيك الأحاديث الحلوة تنفرج عنها شفتاها الجليتان أسدت روحها البريئة إلى بارى الحياة

كان قوام حديثى حتى نهاية هذه المرحلة من تاريخ حياتى الاخلاص والصدق ، ولكنى حينما أجتاز ذلك السياج القائم فى طريقى ، ذلك السياج الذى كونه موت حبيبتى ؛ وحينما أخطو أول خطوة فى المرحلة الثانية أحس كأن ضباباً ينمقد أمام بصرى فيتركبى فى حيرة . لا أدري إن كان ما أتو به من حديث سيحمل على التعقل أم سيحمل على الجنون ! ولكن دعني آت بالحديث على سرده تماقت السنون وثيدة الخطى . طويلة المهل ، وما زلت مقباً فى « وادى الألوان » ، ولكن يد التغير قد تناولت للمرة الثانية كل شيء هناك ؛ فلقد تناثرت تلك الزهرات الشبيهة بالبحر ولم تعد تراها العين بعد ، ورغبت تلك البسط الخضراء عن لونها الساطع ، وانطلقت الزهرات المحر واحدة بعد واحدة وجلت مكانها زهرات شبيهة بالميون السود ، كانت تذوى فى بقاء ، ولم يكن يعلق بها

تزرخ الحياة بالغرور والتعاب والفوز !!

أفئيت نفسي في مدينة غريبة ، كان كل شيء فيها جديراً بأن ينق من الذاكرة أحلام الجيلة الى وراثتها من « وادي الألوان » ؛ فلقد أذهلني وحير عقلي ما وقعت عليه عيناى من مظاهر العظمة والآبهة في ردهات البلاط ، وملأت نفسي قبعة السلاح ، واستوقف بصري جبال النسوة ومفاتيهن ، ولكن روى على الرغم من ذلك ظلت أمينة للمهد الذي قطعتة والقسم الذي أدبته ؛ وزيادة على ذلك كان شبح أليئورا وكل ما يشمرني بحضورها يملأ السكان حولي في سكون الليل ! ولكن ... على حين فجأة تلاشت كل هاتيك الرؤى وأظلمت الدنيا في عيني ، ووقفت شتدوها أمام الفكرة اللذاعة التي ملكتني . أمام العزم المربع الذي ملك قيادي ! ذلك أنه وفدت على الحاشية الملكية المرحاة حيث كنت أعمل ، فتاة من بلاد نائية لم أعرفها ، فتاة استأثرت بلبي ، وأخذ سحرها بمجامع قلبي ، منذ اللحظة التي وقع فيها على شخصها بصري ؛ فتاة لم أتردد ، ولم أحس بمشقة عند ما أحنيت رأسي لها في أشد ما يكون عليه الماشق من حماس ، بل وفي أحط ما يتطلبه الحب من عبودية ! وأين ما شرت به من عواطف نحو فتاة الوادي الصغيرة من هذا الهوى المشبوب وهذا الهيام الجامح ، وهذا التحنث الذي ينبض به قلبي حيناً أريق روى عبرات سيالة ، وأنا ملقي على قدي « ارمتجارد » ؟ ومن هي « ارمتجارد » ؟ أليست ذلك الخلق السكوى الذي يرق حتى عند الأثير ؟ أه ... يا حسن ! يا أحسن ذلك الملاك الرفاف « ارمتجاد » . ما أطهرك

وما أعظم قداسك أيها الملاك ! إنها تملأ جوانب نفسي فلا أفكر في سواها . وحيناً ألقى نظرة على عيناها التجلاوي ، وأرى مدى ما في معناها من عمق ، لا أفكر إلا فيهما . وفيها لقد تزوجت غير خائف مما استزلته على نفسي من اللعنات ، ولم أشعر يوماً بشيء يزغبي لحنني في عيني . وحدث مرة — ولكن مرة واحدة في سكون الليل ، أن تسربت إلى حجرتي خلال الستائر تلك التهديدات الناعمة التي هجرتني ، وحولت فيها إلى صوت جميل مألوف قائله :

« نيم في سلام ! فان روح الحب تحكم وتسيطر ؛ وإذا كنت تحمل في قلبك اليوم تلك التي تدعى ارمتجارد ، فلقد غفر لك ما كان منك تجاه قسمك أمام أليئورا ، وأصبحت بريئاً من الأثم لأسباب سوف يكشف لك عنها حيناً ترقى إلى السماء !
محمود الخفيف

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لاهرتين

مترجمة بـ

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٢ قرشاً

في أرضنا هذه إذا كان
في العالم أرواح ؟

والحق أن محاولة
إقناع أمثال هؤلاء من
أعسر الأمور ، فإن كل
إنسان يستطيع أن يمال

أسئلة معجزة من هذا النوع

فلا يجد أحد جواباً عنها

ومن المستحسن بسد ذلك

أن أوجه حديثي منذ الآن إلى

من يصدقوني ، فاني رجل

لا أطيق أن أكذب فيما شهدته

بمعنى ، ولا أحتمل أن يسخر

أحد من القول الصادق

اعتدت أن أذهب إلى

صديقي (علي) في منزل قديم من المنازل الأثرية

الموقوفة قد استأجره ليجمه محرقاً يذهب إليه بين

حين وحين لكي يخلو إلى التصور ، لأنه كان

مصوراً ماهراً لناظر الطبيعة . وكان ذلك المنزل ملي

ما قال لي ذلك الصديق سكنا في وقت من الأوقات

للأمير رضوان بك الكبير أمير مصر وصاحب

المبارات الأثرية ، وقطب دائرة الأدب والفن في

أواسط القرن الثامن عشر

وكان رضوان في حياته الخاصة من أشد الامراء

ميلاً إلى الترف والهو ؛ وكانت له قصور عدة جميل

وأحداً منها لمجالس لهو وطربه ، يجلس في أمهاته

النخعة مع طائفة مختارة من الأدباء وأهل الفنون

والموسيقيين ، فيقضى فيه ليالي كانت مضرب

قصّة قصيرة

مقتبسات من كتابي المختار

للأستاذ محمد رشيد أبو حديد



عيل أهل هذه الأيام

ولا سيما الشبان منهم إلى

التكذيب ؛ فهم إذا سمعوا

شيئاً ووجدوه غريباً عن

نصورهم أسرعوا إلى

الأجابه قائلين : « هذا

كذب » والتكذيب لا يكلف

الانسان شيئاً أكثر من أن

يهز رأسه ويقول في تؤدة ووقار :

« هذا غير معقول » وقد يقرن

قوله هذا بابتسامة هادئة دليلاً

على التسامح ، كأن العقل الانساني

قد عرف كل شيء ، فإذا كان

شيء غير معقول ، كان غير

مقبول . والحقيقة أن العقل

الانساني لم يدرك إلا أبسط ماف

الكون ، ولم يفهم إلا أقل ما في الخليفة . فأسرار

الكون لا تزال بميدة النال عنه مستمصة عليه ؛ وما

أحرأ أن يصدق وأن يتنازل قليلاً عن كبريائه وعناده ؛

فاذا قال قائل مثلاً إن العالم مملوء بالجان لوى أهل هذا

الزمان أعناقهم ونظروا إلى القائل شراً . وقالوا

متهافتين : « جان ! يقول صاحبنا هذا إن العالم مملوء

بالجان ! كأنه قد رأى الجان بيمينه ! »

ولولأمل هؤلاء قليلاً لملوا أنهم غثثون ، فإن

العين لا تبصر إلا بعض الموجودات ، فإذا هي لم

تبصر شيئاً فليس عدم إبطار هادلياً على عدم وجوده .

وكذلك إذا قال أحد : « إن العالم مملوء بالأرواح »

فان من يسمه من أهل هذا الزمان حرى بأن يجيبه

في سخرية وصلفت قائلاً : « أرواح ! ولم تبق الأرواح

والاعتبار . ولعل هذا الشعور كان ناشئاً من جو المحترف ؛ فقد كان مكانه قديماً يشمر الداخل فيه أنه قد ولج بمض القرون الماضية . فاذا صعدت إلى سطحه رأيت حياى الجبل الشرقى الشرف على القاهرة وعليه القلعة الشتيقة قلعة صلاح الدين تطلع كأنها تحدث عما شهدته من جليل الحوادث وعجيبها . فاذا نظرت حولي رأيت مآكن الساجد تشرف على الحى كما كانت تشرف من قرون ، ورأيت البيوت القديمة المهذمة ، وكأنها تقول : « رب يوم كنا فيه نعج بالحياة ونعظمرب بالبول والمواطف ؛ فاذا نحن قد دكنا الزمان ، وعنى غلينا البلى ، وأصبحت مملأنا أطلالاً وأكواماً ! »

كان كل شيء حولي يحدث عن الماضى ، ولا يجبا فيه إلا ذكر الماضى . فكنت وأنا هناك أنسلخ من عصرى ومن الحياة الصاخبة حولي لأعيش حيناً مع أجيال الأجداد أجالهم وأحاذهم وأناجهم ، وكنت كلما التفت إلى الجدران ورأيت إحدى الجمجتين الملتقن عليها خيل إلى أنها قد اكتست فصارت على عهدى ، إذ كانت آدمية حية ؛ وتصورت حيناً أنها تبسم إلى وتناجبنى بما كان من ملذاتها ومسرأها . وحيناً أنها تقطب بهوى وتساورنى بما كان من آلامها وشقاوتها

وكنت إذا ذهبت إلى ذلك المكان لا أبقى فيه إلا ما دام النهار ؛ فاذا ما أقبل الليل أسرع بالخروج منه قبل أن يخيم الظلام عليه ؛ فلقد كنت فى الحق أخشى أن يظلمنى فيه الليل إذ كنت فى قرارة نفسى أفزع من جوه كما يفزع الانسان من الليل فى جوار القبور

وذهبت مرة فى يوم من أيام الشتاء على دعوة

الأمثال فى الروعة والأبهة ؛ ولكن مؤامرات منافسية وحصاده اتخذت فى قصوره سبلاً خفية انتهت بإفساد بعض مماليكه عليه ، فخافه واحد منهم فى قصره وضربه بطلق نارى أصاب ساقه ، وكان سبباً فى موته بعد قليل . ويقال إنه قد ضرب تلك الضربة فى ذلك البيت الذى اتخذهُ صديقى لمخترفه ولوث دماؤه أرضه فى أثناء هربه من المؤخرين به وكانت صديقى يحيط ذلك المحترف بغريب الأثاث ، ولا سيما ما كان منه على نسق أثاث المصور الماضية ؛ فكانت فيه أنواع مختلفة الأشكال والأعمار ؛ فقطع قديمة من الخشب المحروط (المشبك) ، وقطع من النحاس المكفت ، وقطع من الأبئوس المعلم بالصدف والماج ، كما كانت فيه كراسى قديمة من القش وأخرى من الخيزران ؛ وقد علق على الجدران قطعاً من تماثيل بعضها يمثل وجوها ، وبعضها يصور أجساماً ، وبعضها يمثل بعض الآثار الفنية من مخلفات اليونان والرومان ، ونصب بينها بعض لوحات من لوحات تمثل الريف المصرى وحيوانه ، أو تمثل حدائق مصر ومناظر فيطأها ، وأدلى من السقف مصابيح من أعماط كانت مستعملة فى الأزمان الغابرة فى مختلف المصور . وكان أعجب ما علق على تلك الجدران بعض عظام للحيوان والانسان بينها ججمتان صفراوان تنظران إلى الجالسين كأنهما تقولان لهم : « لقد كنا كاتكونون » وكنت أجد فى اختلافى إلى ذلك المحترف شيئاً كثيراً من السرور : سرور من نوع خاص ، ليس كالسرور المعتاد الذى يهز النفس ويسمها إلى المرح والضحك ، بل سرور يملأ النفس بشعور قوى من الارتياح يشوبه كثير من الليل إلى الجدد

لم يكن لي معها مجال للتفكير ، وانجلبت الضجة من
اثنين يتحادثان ، وقد أقبلنا من وراء ستار من
الدرياج الأخضر رأيتني إلى يساري

ورأيت أحدهما شاباً صغير السن في نحو
المشرين ، جميل الصورة ، أبيض الوجه ، أصفر
الشعر ، يلبس عمامة مطرزة بوشى مذهب ، وعليه
لباس غريب لا عهد لنا به اليوم ، فهو سراويل
فضفاضة من الحرير الأحمر فوقها حزام أصفر
عسجدي ، وقد لبس فوق ذلك كساء من الحرير
الأبيض ضيق الأكمام عليه طراز من وشى مزركش
بخيوط ذهبية . فكان في مجموع هيئته صورة لما
تنقله إلينا أخبار التاريخ من صور ممالك الأمراء
بمصر قديماً . وأما رفيقه فقد كان شيخاً
يلبس ثوباً من الحرير المخطط الذي يلبسه اليوم
أصحاب العام ، وقد شد على وسطه حزاماً من
الحرير الملون المنقوش ، وجعل على رأسه عمامة
ساذجة بيضاء ، وكان يحمل في يده حقيبة صغيرة
وطستنا من النحاس الأصفر مما كان مثله لا يزال
مستعملاً عند الحلاقين منذ جيل . ولما اقترب
الشخصان سمعت نجواهما

قال الشاب هامساً : سيحضر الأمير بمسد
قليل فاستمد

قال الشيخ : لقد دعاني الأمير على غير عادة

قال الشاب : هو مجلس حافل

فسأل الشيخ هامساً : بقصر الأركية ؟

فهم الشاب رأسه علامة الإيجاب وقال :

سيحضر إليه هناك ندماؤه جبريل والقمي وقاسم
والادكاوي

فهمز الشيخ بعينه ، وتبسم قائلاً : ليلة أنس
من لياليه !

من صديقي ، وقضينا اليوم هناك حتى غروب
الشمس . وكنت أشتغل في أثناء ذلك بكتابة قصة
من التاريخ ، وكان صديقي منهمكاً في رسم ثور
مصرى قاعد إلى جنب مزود ، فلما أقبل الظلام
تنهت إلى نفسي ونهت صديقي قائلاً له : « لقد
آن أن نذهب » غير أنه تردد وقام إلى مصباح
فأشعله وقال : « إنني أحب أن أبقى هنا إلى
أن أنتهي من هذا الثور فقد طلبه معنى أحد الأعيان
ووعدت أن أرسله إليه في الغد ، ولا أملك أن
أطلق من موعدي ، فإنا قضيت من جزءاً من الليل
حتى أعمته كنت شاكرًا » . فلم أشأ أن أراجع
صديقي في رجائه ، وكنت كذلك أحس من نفسي
ميلاً إلى الكتابة ، فرأيت في البقاء هناك فرصة
لإتمام ما بدأت كتابته ، فرضيت أن أبقى ، وأقبلت
على ما كنت فيه ، وأقبل صديقي على إتمام صورة
ثوره بحماسة وسرور . ثم تبنت من الكتابة بعد
حين ، فاستلقت في مكاني ، فإذا بي وقد استولى
النماس على فممت ، ولم أدر كم بقيت على حالي تلك
إلى أن تلبثت على خيعة هائلة حولي فقممت مذعوراً
ونظرت حولي فرأيت نوراً عجباً ساطعاً من المصباح
ورأيت المكان حولي على غير ما كنت أعهده ،
فلقد كان مكسواً بأنواع الفراش والأثاث ، وعليه
أنواع شتى من الستور والطنافس ، وصفت حوله
الوسائد والسبايد والزرابي ، وسمعت في المكان لضطاً
كثيراً ، كأن أشخاصاً يتخاصمون فيه ، وكنت
من دهشى لا أستطيع أن أذكر أن كنت ، ولا
من أنا ، ونسيت ذكر صديقي ، ولم أملك نفسي مما
دخلها من الروع . فجلست القرفصاء في الركن
الذي كنت فيه وتعلكني خشوع ، وعلتي رهبة

يبضاء مسحوقة سكبها من الورقة ؟ ثم أقفل الحق
وبعد عنه وهو ينفى أغنية قصيرة ، وجعل يساعد
الشيخ على إعداد الماء وترتيب الزجاجات والماء
وقد عراني وأنا أنظر إلى هذا شيء عظيم من
الفرع ، ولكني لم أجرو على التحرك من مكاني
بل ضغطت نفسي في ركني ، وجعلت التصق
بالوسائد التي بجواري ، وأنكش بينها خوف أن
يقع نظر أحدهما على

وقد عجبت إذ لاحظت أنهما وإن اتجها نحوي
أحياناً يتجاهلان وجودي ، فداخاني من ذلك
شيء من الاطمئنان وأفرخ روعي

وسمعت بعد حين حركة من تجاه الباب وصلصلة
سلاح ، وأصواتاً مختلطة ، وصاح صائح في الخارج
يقول : « الأمير رضوان كئخذ دام عزه ! » ثم
فتح الباب وأقبل منه شخص بدين في ثياب زاهية
تبرق بما فيها من الذهب ، وما يتخللها من الوشي ؛
وقد انفتحت على رأسه عمامة هي أشبه بالناج عما
عليها من الجوهر والوشي . ومنذ أقبل الرجل انحنى
الشاب المحناة عظيمة كما يركع الناس في الصلاة ،
وحيا الشيخ تحية بالغة ؛ فسلمت أن ذلك هو الأمير
الكبير الذي كان الرجلان يذكرانه في حديثهما .

ولم يلتفت ذلك الرجل إلى أحد ، بل ذهب إلى
كرسي عال من الأبنوس المطعم بالصدف والماج
وجلس عليه ، فامتلاً الكرسي به ، وترجع من
ثقله ؟ ثم جعل الشيخ يحلق له رأسه ، ويسوى
له من لحية وشاربه ويضمخهما بالمطور والأدهان ؟
ولما فرغ من ذلك التفت إليه الأمير وقال له
هامساً : « هل أحضرت الدواء ؟ »

فتبسم الشيخ وهن رأسه علامة الإيجاب
وقال : « مولاي ! ها هوذا »

فتبسم الشاب وقال : ليالى رضوان كئخذ
المشهورة !

ثم اقترب منه وقال بحذر : والدواء ؟ هل
أحضرته ؟

فسأل الشيخ باهتمام : هل يريده الليلة ؟
فهمس الشاب : ليلة أنس وفرح ؛ هل
أحضرته معك ؟ الدواء ... ؟

فضحك الشيخ وأخرج من جيبه حقاً من
الفضة ورفقه نحوه قائلاً : « ها هوذا »

فتقدم الشاب نحوه وقد اتسعت عيناه وقال
بشيء من اللفة : « أرنى »

ثم مد يده إليه فأخذه بشيء يسير من القهر ثم
فتحه وجعل يشمه

فاقترب الشيخ منه ، ومد إليه يده لاسترجاع
الحق قائلاً : « حاذر ! »

قال الشاب : « لماذا أحاذر ؟ » ثم مد يده
إليه يوشى كأنه يريد أن يذوق منه

فقال الشيخ : « لا تذقه ، لا أسمح لك ، هذا
ليس لك ؟ هات الحق »

فتبسم الشاب وقال : « لماذا تخاف على منه ؟
أهو سم ؟ »

فأجاب الشيخ مقطباً : « قبحك الله ! وهل
أحل السم ؟ »

فأعاده الشاب إليه وقال : « لا بأس ؛ استعد
الآن ، سيأتي الأمير بعد قليل »

فأخذ الشيخ الحق وذهب به نحو منضدة
فوضعه فوقها ، ثم اتجه نحو منضدة أخرى وجعل
يرص عليها آلاته . وفيما هو مشغول في ذلك اقترب
القباب خلسة من الحق ، وأخرج من منطقتة ورقة
مطوية ، ثم فتح الحق بخفة هجينة ، ورمى فيه مادة

فزاد اضطراب الفتى وقال: وهو يلوث لا يكاد
يبين كلماته :

« لا . لا أذوقه . ليذقه هو . أظنه مسموماً .
لماذا لا يذوقه هو ؟ إنه مسموم . »

فصاح الشيخ حاتقاً : « مسموم ! يا لك من
لثيم وقح ! »

فقال الفتى : « إذن ذقه » والتفت نحو الأمير
قائلاً : « لقد علمت أنه مسموم . قد دسه عدو
الأمير عبد الرحمن كتحصداً — وانفق مع هذا الوغد
على قتلك »

فقام الأمير نأراً عند ما سمع هذا وقال للرجل :
« ذقه . أو ذق هذا » وجرد سيفه الذى كان
مدلى إلى جانبه

فتقدم الشيخ جريئاً إلى الحق ، وتناوله وهو
ينظر إلى الفتى المضطرب وقال له بمنق :
« مسموم ؟ أنت لثيم كاذب منافق . هل أسم

سيدى ؟ » ثم أخذ منه بأصبعه قطعة فابتلعها ، ثم
أخرى ، ثم ثالثة . وقال :

« لم أكن أخاف إلا فعل هذا الدواء فى وأنا
رجل مسن . مسموم ؟ يا لك من منافق ! »

غير أن الدواء ما كاد يستقر فى جوف الرجل
حتى وضع يده على بطنه ونظر إلى الأمير وقال :

« يا للمعجب ! كأني ابتلعت كل أمواتى ،
كان أحشائى تنقطع »

ثم زاد به الألم فجعل يصصر بطنه ويلوى وجهه
وارتمى وهو يتوجع ويصرخ ويستجير

فنظر الأمير إليه دهشاً وبقي صامتاً وهو ناظر
إليه لحظة طويلة ، ثم انفجرت شفتاه عن ابتسامة
مرة وقال :

واتجه نحو للنضدة التى كان عليها الحق فأحضره
وقدمه إلى الأمير

فقال الأمير : « متى يؤخذ ؟ »

قال الشيخ : « قبل النوم بقليل ، بالخطات
قصيرة ، فهو مؤكد وقوى »

فسأل الأمير : « أهو مجرب ؟ »

فقال الرجل : « مولاي ! عبدك ماهر فى
صناعته »

فنظر إليه الأمير وقال : « أحب أن تذوقه
أولاً »

فقال الشيخ فى صيحة مكتومة : « أذوقه ؟ »
قال الأمير : « نعم » ، ورفع حاجبيه متعجباً

وهو ينظر إلى الشيخ المتردد . وقد رأيت الفتى
عند ذلك يضطرب فى مكانه ثم عاكف نفسه وتكلف

الهدوء ، والأمير مشغول عنه بالنظر إلى الشيخ
فقال الشيخ فى شيء من الارتباك : « ولكنى... »

فقاطعه الأمير فى شيء من الغضب قائلاً :
« هل تخاف أن تذوقه ؟ »

فأسرع الشيخ مستندراً يقول : « مولاي ،
لا أخاف شيئاً ولكنى رجل شيخ »

فقال الأمير مستمراً فى غضبه : « وما ذا ؟ »
قال الشيخ : « ليس هذا لمثل ؛ فليذقه هذا

الشاب وأنا ضامن سلامته بحياتى » .
فتردد الأمير لحظة ، ثم نظر نحو الفتى وناداه

قائلاً :

« تعال يا حسن . ذق من هذا »

فاضطرب الفتى وتردد لحظة ، ثم انفجر قائلاً :
« مولاي ! »

فقال الأمير متعجباً : « ما ذا ؟ »

دخان غطي السكان حيناً ، ثم سمعت خبطة قوية على الأرض فظنرت وإذا بالأمير صريع إلى جنب الشيخ المسكين ، وقد قبض بيده اليمنى على ساقه وهو يئن ، وسمعت أصواتاً غنائية في الخارج تتباعد كأنها تهرب وهي تكتم الصيحات ، ثم رأيت الأمير يتحرك ثقيلًا وهو قابض على ساقه ، وقام وهو يمرج فأخذ سيفه في يمينه وانكأ عليه كأنه عصا ، ثم سار في بقاء شديد والدم ينزف من ساقه غزيراً ويلوث الأرض ، وخرج من باب صغير في خلف الحجر وهو يئن ويتوجع ويقول في سريه : « لأقطنك أرباً ... آه أيها الخائن آه ، إذا نجوت ... وهيأت لي النجاة »

ومضت مدة قصيرة بعد ذلك ، ثم سمعت أقداماً من وراء الباب الكبير تسير كأنها في حذر وخوف ، ثم فتح الباب وظهر منه رأس الشاب ، وسمعت من خلفه صوتاً يسأله « هل مات ؟ »

فنظر الشاب حول الغرفة حيناً ثم صرخ فزاعاً : « أين هو ؟ إنني لا أراه ، ويلنا ! لقد نجنا ! هلموا لنندركه قبل أن يفوتنا فيهلكنا » ، فاشتد اللفظ وزادت الضجة واختلطت الأصوات ، ثم تباعدت الجلبة شيئاً فشيئاً حتى عاد السكون وخيم على السكان . وعمراني في أثناء ذلك خوف لا أستطيع أن أسفه ، ولم أدر ماذا صنعت . ثم غبت عن الوعي فلم أفق إلا على صوت داء شديد يهز القفصاء ، فقممت ونظرت فيها حولى فرأيت نافذة الحجر مفتوحة قد افتتحها الهواء الشديد ، وسمعت الطر ينهمر كأنه أفواه الميازيب ، وكان البرق يلعب متتابعاً ، والرعد يقصف كأنما هو دوى الدافع في ميدان القتال

ورأيت صديق داخل إلى الحجر عقب ذلك

« كم أخذت أيها الخائن ثمنًا لخيانتك ؟ أكنت تطمع أن تكون من الأمراء إذا أنت قتلتني ؟ أكنت تأمل أن تمتد بك العمر مائة عام بعد هذه الشيخوخة لنتم نهار خيانتك ؟ ذق إذن طعم السم الذي كنت قد أعددت له »

ثم اقترب منه وركله برجله ركلة عنيفة قلبته على الأرض فبدا وجهه المحترق المتقاص من الألم ، وكان منظرًا بشعاً عظيماً

وحاول الشيخ الكلام فلم يستطع إلا حروفًا مقطعة يذفها بين الآهات والأناث ، فلم أستطع أن أجمع منها إلا قوله :

« إنني الآن على شفا القبر فلا أكذب ... خذ مني كلمة صدق أمام الله الذي سألتاه بمد قليل ... لم أؤس لك السم بل قد دسه لك هذا المملوك الخائن الوافق ورايك ، فانه لم يقرب أحد من علية الدواء إلا هو ، ولقد لحتته يقرب منه وأنا أجهز عدتي ، ولكن القضاء غلب على فلم أظن إلى قصده ... فاحذر هذا القادر والله على قولي شهيد »

وما أتم الرجل كلامه حتى انقلب على بطنه ثم فارقه الحياة

ونظر الأمير نحو المملوك فلم يجد ، إذ كان قد اختفى مسرعاً كالأرنب عند ما سمع كلام الشيخ فالتفت نحو الباب وضيق صائحاً وهو غاضب ، غير أن الصدى وحده هو الذي أجب تصفيقه وصياحه ، وتبع ذلك صمت مثل صمت الصحراء في الليلة الهادئة . ورأيت وجه الأمير قد اربد وانسمت بعدفتاه وبدا عليه اضطراب عظيم ثم تتم قائلاً :

« عجيب ! إنني أحس حولى بنذر الشر »
ثم خطا نحو الباب محترساً ولم يكذب يبلثه حتى فتح فجاء ودوى في الحجر انفجار عظيم ، وعلا

فنظرت إليه نظرة عتاب وقلت له :
لقد كانت ليلة لا أظن أنني سوف أرى مثلاًها
في سائر حياتي ، ثم جعلت أقص عليه ما رأيت
وأنا ألثمت من الاضطراب .

ولكن ذلك الصديق كان من أولئك
الشكاكين الجفأة الذين لا يرضون أن يصدقوا
شيئاً ، فلما أعمت له قصتي تضاحك وقال :

« ليتك أخذتني معك في حلك العجيب
لأشاركك في هذه التسلية البديعة »
وأما أنا فلم أجد ميلاً إلى معاورته ، ولكني
كنت فيما بعد لا أزوره في عترة إلا في ضحوة
النهار الواضح

محمد فريد أبو حديد

وهو مسرع لهفان ينادي : « ماذا بك يا أخي ؟
لقد سمعتك تصيح صيحة منكرة ، أبك شر ؟ »
وكأنني كنت عند ذلك قد نسيت ذلك
الصديق ، فأكدت أراه حتى قت أنفص من
الخوف ، ولم أطمئن حتى اقتربت منه — ولما
استطعت الكلام سألته : « ما معنى هذا ؟ »
فقال : « لقد انتهيت من صورتي متأخراً »
فقلت : « أية صورة ؟ »

فقال : « لا بأس عليك . تعال اجلس . لقد
رأيتك نائماً فلم أحب أن أزججك فذهبت للنوم في
الحجرة المجاورة ، وكان اللطو لا يسمح لنا بالخروج
على كل حال . ولكن لم أراك في مثل هذا
الاضطراب والالتراج ؟ »

كل من يريد الحج يجد

في كل خطوة سلامة

من البيت إلى السويس طريق مرصوف وسكة حديد مريحة ، وفي السويس لوكاندة
مصر المشهورة بكل أسباب الراحة ، وفي البحر زمزم وكوثر وفيها أبدع مافي
الباوخر الضخمة من متاع . وفي أرض الحجاز الأمان الوفور والطرق المهددة
والسيارات ، وفيها أيضاً لوكاندة مصر في جده وفي مكة ، وفيها كذلك شيء جديد
لم يحده الحجاج في المواسم الماضية وهو تنظيم العملة المحلية حيث يجدون كل
عشرين ريالاً سعودياً يجنيه واحد ذهب سمرأ ثابثاً

اعتزموا الحج واغتسموا مرة واحدة

واستزيدوا من فوائده للصحة والدين

أيقن (نك كايثور)
في ربيعہ الثالث
والعشرين أنه لن يوفق
في اختيار زوجة سالحة
بعد أن رأى أصدقاءه
يلقون بأنفسهم في هوة
لا سبيل إلى النهوض
منها

الجمهورية الجزائرية

للكتابة الإنجليزية مرجب كسي
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسي

من كل قلبه، ويقدمها
من أعماق نفسه؛
ولقد كان موتها هو
الصدمة الوحيدة التي
تلقها (نك) في حياته .
ثم قال أخيراً :

— إن زوجتي
يجب أن تكون ملدة

بكل شيء، طالما واجباتها جد العالم؛ يجب أن تكون
متهذبة عاقلة؛ يجب أن تكون سليمة الذوق حسنة
الاختيار تخضع لأمرى، وتتصاع لرغبي، ولا تدل
إلى برأيها إلا إذا سألتها ذلك. فقال صديقه (آلان)
وكان جالساً بالقرب منه في لحظة الهيكية :

— الأفضل أن تكون صاه خرساء ... ثم
استطرد (نك) كأن لم يسمع نهيم صديقه :

— يجب أن تكون جميلة الوجه باسمة التفرغ،
تبذل ما في وسعها لأسمادي؛ وبالطبع يجب أن
تكون أيضاً متدبنة متواضعة ... فصاح آلان :

— مسكينة هذه الفتاة ! مسكينة هذه الفتاة !

— لقد أفرطت في الغرأ بها المجوز . لن
تكون مسكينة قط ، بل ستكون أسعد فتاة على

وجه البسيطة . . . فقال كامبيرون :

— ليس هناك فتاة تجمع كل هذه الصفات
يا (نك)؛ وأؤكد لك أنك لن تجد بفتيتك بين فتيات

العالم ... اللهم إلا إذا أتيت بطفلة وريديها كما يحب ...

— أصبت يا صديقي ... هذا ما سأفعله !

— ماذا ! قالها كامبيرون في دهشة

— لقد فكرت في ذلك ملياً ، وأخيراً قر

عزى على أن أبحث عن طفلة يتيمة أنوسم فيها

الذكاء ، أرسلها إلى قصر سانت ماري لتنشأ في

قال مرة لصديقه كايرون في ثورة من ثوراته
على الزواج :

— إن ذلك الزواج المصري لا يخرج عن
كونه موتاً محققاً — إن الرجل الماقل لا يمكنه
أن يقف مكتوف اليدين إزاء امرأة تمل عليه

إرادتها . إن هؤلاء النساء المصريات مندفعات
طائشات ... ولا أعلم لماذا يتهاافت الرجال ويرتمون

على أقدامهن أهلاء ضفراء ؟؟ فضم صديقه قائلاً :

— سيأتي دورك يا صديقي ، وسنرى أنك

أول من يتهاافت عليهم

— لن ترى ذلك في حياتك يا كايرون

— هذا صحيح ولكن لا تنس يا صديقي

أنك رجل وم رجال !

وأعقب ذلك برهة صامتة أطرق فيها (نك)
برأسه مفكراً . إنه لا يمتقد أنه مثل هؤلاء الرجال ...

إن كل أعماله وتصرفاته تدل على أنه مختلف عنهم
جد الاختلاف . لقد كان ممتازاً في جميع مراحل

عيشته وأدوار حياته . لقد كان أرزق منهم في
مدرسته ، وأذكى منهم في جامعتهم ، وأعقل منهم

في ميدان حياته ، وأرغد منهم في عيشته المنزلية .

لقد كان يملك قصرآ في سانت ماري بضاحية

شوشير يعيش فيه مع أمه الشقيقة التي كان يعبدها

في أفكاره إلى أن استرعى نظره فجأة طفلة تبكي بالقرب منه

لقد كانت تبكي لأنها - كما قالت - فقدت شريطها الأزرق في الحديقة . وقبل أن تنتهي من وصف الشريط والمكان الذي سقط فيه ... قال لك لنفسه :

- لقد وجدتها ... لقد ظفرت بها أخيراً كانت جميلة الوجه ، ساحرة العينين ، لم يشوه رداء الملجأ الأصفر من جمالها الرائع . ولقد أصاب كايثور في شعرها الأصفر ، وفي عينيها الزرقاوين غابة مناه ... ما اسمها يا ترى ؟ ... « سالي كريميان » إنه اسم ظريف ، وكلم عمرها ؟ : ثلاث عشرة سنة . حسن ثم حسن ، أماسها الوقت الكافي لتتعلم ... وهل هي ذكية ؟ أراد أن يتأكد من ذلك فقال :

- أنتعلمين هذا ؟

- نعم ؟ « قالتها في نهدي حميق »

- وما الذي دوست اليوم ؟

- لقد نسيت

وهنا أطرق كايثور في حزن ، ولكنه لم يكتم بهذا القدر من الأسئلة فقال :

- أحفظين قواعد الرحمة السبع ؟

- نعم أحفظها ... ثم أخذت في عددها على أصابعها في تودة وثبتت مما أدخل في روعه أنها على جانب غير قليل من الذكاء ... ولكن ماذا عن الموسيقى والفناء ؟ أترأها يجيد الفناء ؟

أخذت تنفي أمامه أغنية الصيف ، فبدأ صوتها عذباً جميلاً ، وغناها موقماً ملحناً كأنه غناء البابل في هدأة السحر

- هذا جميل !

وجلس كايثور معها على مقعد خشبي في الحديقة ثم أخذ يتحدثها عن الطبيعة ، ثم عن قصره في

كنف عمتي (أليس) وتحت رعايتي النشأة التي أريدها . فقال آلان ضاحكاً :

- إنني لم أسمع في حياتي بمثل هذه الفكرة . أتعني أنك ستسجنها في قصرك في سانت ماري ؟ - كلا ... كلا ليس هذا ما أعني . لن تكون دائماً في سانت ماري ؛ بل كثيراً ما سأتاد وإياها مطالع الفن وودور الموسيقى حتى أذهب من طباعها وأرقق من ذوقها ، وأجعل منها تلك الفتاة التي تسمدني في حياتي . لن تعلم شيئاً لا أرغب فيه ، ولن تحظى بمعرفة شيء لا أريده لها . فقاطعه آلان هازناً

- كني كني يا صديقي ... أرجو أن تسمح لنا بالانصراف

مضى نك يبحث عن ضالته غير عاى بهزه أصدائه وسخرية الناس منه . ولكن أتى له أن يجد طفلة بتيمة ؟ لقد كانت المزييات ينظرون إليه نظرة شك وارتياب رغم تهاقن على من يقبى هؤلاء الأطفال . ولقد نما مرة إلى سمه أن هناك امرأة في كدمنستر تأوى الأطفال اليتامى ، فأسرع إليها ظاناً أنه سيعثر على ضالته المنشودة ، ولكن خاب ظنه فقد وجد أن أكبر الطفلات لا تتجاوز الخامسة من عمرها ؛ وهذا مناه أنه لن يتزوج حتى يبلغ الأربعين

واستأنف نك بحثه فلم يثبط الفشل التواصل من عزمه ، ولم يكسر هذه الأصدقاء من رغبته .. فقصده ذات يوم إلى ملجأ للأيتام في الضواحي بعد أن قدمه صديق له إلى مدرسة الملجأ ، ودعته هذه بدورها لزيارته ؛ فلما وصل إلى الملجأ جلس ينتظرها في الحديقة ... وكان المكان جميلاً ، والحديقة رائمة التنسيق على الرغم من بساطتها . جلس نك يسبح

سأنت ماري ، وعن جمال موقعه ، وعن ذلك النهر الذهبي الذي يجري من خلفه ، وعن دوعة ما يحيط به من الحدائق وما يتخللها من زهر رائح الأفواف وما يكتنفها من مناظر الطبيعة التي تسحر الميول وتبهر النفوس

وأخيراً بعد هذا التمهيد الطويل سألها في هدوء عما إذا كانت ترغب في الذهاب لتقيم معه في سانت ماري . ولقد رأى نفسه متسرعاً في توجيه هذا السؤال قبل أن يقابل مدبرة اللجأ ولكنه كان مشوقاً إلى معرفة رأى فتاته الصغيرة .

فسأته وقد بدت الدهشة في عينها :

— أقيم وحيدتي في ذلك القصر الكبير ؟
— هناك أيضاً حمى أليس ، وستجبك كثيراً
— إنني لا أحب العات . لقد كانت لي حمة كثيراً ما كانت تضربني على أذني . وفي تلك اللحظة طرق سمعها رنين الناقوس ، فقفزت الصغيرة في خوف قائلة :

— لقد انتهى الدرس وستخرج المربيات فيجدينني هنا ويماقبنني . . . إنه ليس مسموحاً لنا بدخول الحديقة . وأسهرت إلى الباب الصغير الذي يصل الحديقة بملب الأطفال ، ولكنه كان موصداً .. فصاحت في خوف :

— ماذا أفعل ؟ ماذا أفعل الآن ؟ لقد كان هذا الباب مفتوحاً منذ هنية ! . . لماذا استيقظتني بجانبك ؟
— لا تخافي يا عزيزتي ... لن أدعك تماقبن . سأقول لمن إلى استيقظت

— كلا كلا ... يجب أن تساعدني على أن أنسلخ الحائط إلى اللب ... هيا أسرع ! أسرع ! وأشارت إلى حجر كبير مثبت في جانب الحائط فصعد طائماً ، ولكنه أبصر فوق السور قطما

لا أحتمل عقابهن !
— يجب أن نستاذن المدبرة أولاً يا عزيزتي
— إنها لن تدعني أذهب معك قط قبل أن تكتب إلى والدي والوالدي
— إلى من ؟ قالها في دهشة
— إلى والدي والوالدي ... وهناك أسليبع طويلة قبل أن يصل الرد
— ماذا ؟ ماذا ؟ ألك والد والدة ؟ ... إذن لست بتيمة !

— كلا ... أكنت تمنقد ذلك ؟
— بالطبع كنت أعتقد ذلك ! ... وماذا تفعلن في ذلك اللجأ ؟
— هذا غريب ! أذهبو المدرسة ملجأ ؟
— لست إذن بفقيرة ؟ فرفعت وجهها في كبرياء ثم قالت :

— فقيرة ! إنني خامسة أغنياء العالم — إن والدي تيودور كريجمان المئري الأمريكي المروف ... قالت ذلك في غضب مما جعله يغمغم مبتدراً في طريقه إلى الباب ... حقاً لقد قرأ أن المئري الأمريكي كريجمان أرسل وحيدته إلى إحدى مدارس إنجلترا خوفاً عليها من رجال المصايبات في أمريكا ... وهنا أدرك كاثور خطأه ، فقد دخل هذه المدرسة ظناً منه أنها اللجأ الذي يقصده

مضت بعد ذلك فترة من الزمن خلا فيها إلى نفسه وانقطع عن العالم ، وجفا أصدقاؤه فلما أسمعوه

تعمل كامبيرون في جلسته ، وهو الآن يده على جبهته ، ثم وقفوا جميعاً عندما بلغت نهاية الدرج وأخذ كايثور يدها وعلى ثمره ابتسامة غفر ونهر وقدمها إلى صديقيه باسم « أسترا » ثم أخبرها على المائدة أنها تنتمي إلى قبيلة نوريه وأن جدّها وهبه إياها منذ سبع سنوات ؛ ثم قال :

— وبالطبع كانت لا تعرف إذ ذاك كلمة انجليزية ، وقد كان هذا جيلاً ، فقد أتاح لي فرصة تثقيفها بكل ما أحب ، وأظن أنها تتكلمها الآن كاحدى بنات إنجلترا

— بل أكثر من ذلك ... إنها تتكلم الآن أربع لغات أوروبية ، فضلاً عن أنها تعرف قليلاً من اليونانية ، وشيثاً من اللاتينية . ولقد أتمت لها فرصة الاطلاع على زبدة الأدب الأوربي ، وخلاصة الأدب الشرقى . وأعقب ذلك برهة من الصمت ثم قال :

— إن لها ذوقاً حسناً في الاختيار ، وبالرغم من قرب عهدا بالموسيقى بمجيد العزف على البيانو والقيثار. وسنسمعها سوياً بعد الغداء

وانتقلوا بعد تناول الغداء إلى غرفة الموسيقى حيث أسمعهم قطعة على القيثارة ، ثم أخذت تنفي لهم أغنية نورية ، فبغت في نبراتها مسحة من الخشونة ، ولاح في سوتها شيء من الجفاء ، وغلب على وجهها طابع الجود الحسى ، ورائت على الفرفة هدأة عميقة ، والكلك يصفون كأنهم تحت حلم ضريع لا سبيل إلى الخلاص منه . والحقيقة أنها كانت جلسة عمل للصديقين

ولما أقبل الليل وآوت أسترا إلى مخدعها خلا كايثور إلى صديقيه يستطلع رأيهما ... أما كامبيرون فخاف أن يصد صديقه وغنم بكلمات التهنة ، وأما آلان فقال :

من هزه وسخرية ؛ إلا أنه بعد ستة أشهر من ذلك جرت على السنة أمدها إشاعة مؤداها أن كايثور عثر على الفتاة التي رجعها في مقاطعة بروكس ، وأحضرها معه إلى إنجلترا ... ثم تفرق أسداؤه بعد ذلك ، فساfer كيرون إلى كينيا ورحل آلان إلى استراليا ، ثم انقضت سبع سنوات قبل أن يسمع أحدهما شيئاً عن كايثور ؛ ولكن شاء القدر أن يجتمع به بعد هذا الممر الطويل فعاد إلى إنجلترا سوياً ، وما علم كايثور بذلك حتى كتب اليهما يسألها زيارته في سانت ماري بعد هذا النياب الطويل ، ليجدوا عهد الشباب الزاهر ، وليستعيدوا ذكريات الماضي السعيد ؛ فليبا طلبة وهما أشد ما يكونان شوقاً لرؤيته ، وتشوقاً لمعرفة ما صنعه طوال هذه الفترة تلقتهما عمتة (أليس) على باب القصر في بشر وترحيب ، فلما دخلوا أخذوا يحوّلان بينهما في نواحيه ، ويرسلان بصرهما في أرجائه وأبناؤه ليريا ما عساه قد جد ... ولكن كل شيء كان على ما هو عليه من قبل ، حتى الزهور الصناعية الموضوعة على المائدة كانت هي بعينها التي اعتادت والده كايثور أن تضعها قبل موتها

ولما جلسوا إلى المائدة أثار دهشتها أنها معكدة بخمسة أشخاص ! لمن هذا القعد الخامس يا ترى ؟ أهنالك ضيف ثالث ... ولماذا يتلفت كايثور حوله كأنما يتوقع حضور أحد ؟

وأخيراً بعد برهة من الحيرة والتساؤل وقع نظرها عليها وهي تهبط الدرج ... لقد كانت طويلة كشجرة الجود ، سوداء كظلام الناية ، ضيقة المينيف يشع منهما بريق خفيف ، بارزة الخدين صغيرة الأسنان من غير تناسق ولا توافق ... وبالجملة لم تكن انجليزية الحلقة — من أين أتى بها يارى ؟ أى أسبانية ؟ أم هي من الشرق ؟

ولم يطق كايثور أكثر من ذلك ، فقطع النقاش واستدار مولياً وجهه شطر الباب ... لقد كان على وشك أن يمين موعد زواجه قبل أن يزوره صديقه .

حقاً إنه لم يتحدث استرا في هذا الشأن ، ولكنه يعلم جيداً العلم أنها تجارية في رغبته . أما عمته (أليس) فقد رأى منها أنها لا تنظر إلى هذا الزواج بين الرضا وإن لم تصارحه بذلك . وأما أصدقائه فهم يمارسونه أشد المارضة . ماذا يقول يا ترى ؟ جلس يفكر ويفكر على يستقر على رأى ، أو يثبت على عزمه ، ولكن بدون جدوى ... وبغاة أفاق من تفكيره المميط فقد وقع نظره على فتاة في الحديقة أثارته دهشته ... أبصرها خلال نافذة المكتبة وكانت عارية الرأس ، شقراء الشعر ، ذات ثوب أزرق قصير ، ورأى ما يجمع ثمار التوت من الحديقة آمنة مطمئنة كأن ليس للحديقة من يملكها .

قام منهضاً ونزل إلى الحديقة مسرعاً ثم صاح بها :
— ماذا تملين يا هذه ؟

ولكنها بدل أن تجفل منه كما كان يتوقع استدارت إليه في ثؤدة وقالت :

— أهذا أنت يا وخيل إليه أنه يعرف ذلك الوجه . وجعل يفكر أين رآه من قبل ... ولكنها قطعت عليه حبل تفكيره قائلة :

— إنك لم تحدثني عن هذا التوت اللذيذ ، لقد حدثني فقط عن القصر والحديقة وعن النهر ، وأؤكد لك أنك لو حدثني لأدبيت أنني بتيمة وصحبتك إلى هنا

— أهذه ... أهذه أنت يا سالى ؟

— لا تقل إنك لا تعرفني ، إن وجهك لم يتغير

— وأظن أن وجهك أيضاً لم يتغير كثيراً

— لقد كنت أفكر في زيارتك طوال هذه السنين ، أفكنت تفكر في ؟

— والله ما أدرى أى شيء فيها أثار إعجابك فجملك تملها اليونانية واللاتينية و ثم أروف منها كما دة :

— لعلها كانت جميلة عندما عثر بها !

وبدا الغضب في وجه كايثور ولكن آلان لم يعبأ به ومضى متابعاً كلامه :

— هل ... هل ستزوجها ؟ ... وأعقب ذلك فترة من الصمت ثم أجاب كايثور في تردد

— بالطبع هذه رغبتي منذ أنيت بها

— وهل هي تعلم ذلك ... أعنى هل فأحبتها في هذا الشأن ؟

— لقد شئت وهي تعلم ذلك ولم يبق إلا أن نحدد الموعد

— يا للخبيل وإذا كان كامبيرون قد خشي أن بدلي برأيه في أول الأمر فإن صراحة آلان مع كايثور شجعت على ذلك فتدخل في الحديث ، وظل النقاش قائماً بينهم إلى وقت متأخر من الليل

وفي صباح اليوم التالي كان الحزن يادياً على وجه كايثور . كان يشعر بأن آماله تحطمت وأن جهوده ذهبت أدراج الرياح ؛ ولم يمض طويلاً من الوقت حتى اصطدم بالآن للمرة الثانية ... فنار آلان قائلاً :

— إنها جافة الطباع ... وأظن أن الأفضل أن تتركها تمضي لسيلها . إن كل ما لفتته إياها لم يهذب من طبعها ... إنك تتعقد أنك تحبها ، ولكن لا أظنك تحبها إلا كما يحب الفنان ما أبدعت بداه

— إنك تهذى أيها الرجل ولا تفهم ما

تتكلم عنه !

— بل أفهمه كل الفهم ... إنك لا تعرف إلى الآن ما هي حقيقة الحب

— كلا ... نعم نعم إننى ... فقطاطته
 — يحيل إلى أنك غير متأكد من ذلك
 — إن الأمر لم ينته بعد ... ولكنه فى حكم
 المنتهى
 — ألم تخاطبها فى ذلك ؟
 — كلا ... أهى نعم لقد ... ولكنها قاططته
 وهى تشير بيدها جهة البهين :
 — ماهذه البوابة الجميلة ... دعنا نمر منها
 ولم يتكلم كايثور وهو يفتح لها البوابة ، ولكنها
 عادت تقول :
 — يجب أن تحدثنى عنها — أهى يتيمة ... ؟
 يلوح لى أنك شديد المطف على البتاي
 وجعل كايثور يتحدثها عن أسترا إلى أن قالت
 أخيراً :

— وهل هى موافقة على هذا الزواج ؟
 — بالطبع إنها موافقة عليه
 — إذن لماذا لم ينته الأمر بعد ؟
 — إن أسدقائى يمارضون فى ذلك
 — إذن فهذا هو السبب ... ثم قالت وهى
 تنظر فى ساعتها :

— أظن أنه أن لى أن أعود ... ودارا على
 عقبيهما وسارا تجاه الباب دون أن يلفظا أحدهما بكلمة
 واحدة ؛ وكانت سيارتها واقفة فى جانب الطريق ،
 وكانت مظهرها يدل على أنها حقاً غامسة أغنياء
 العالم ، قالت :

— لماذا لا تأتى لزيارتنا فى لادلاو
 وقبل أن يُقدّر كايثور معنى ما نطق به قال :
 — الأفضل ألا أقبل . ولكنها قالت فى سرمة :
 — إننا فى فندق « الثلاث ريشات »
 ثم انطلقت السيارة كالدهم المارق . وهنا فقط

وأعقب ذلك فترة من الصمت ... والحقيقة
 أنها لم تخطر على باله ؛ ولكنه لم يشأ أن يقول لها
 ذلك . فقال :

— بالطبع ياسالى ... كنت أفكر أفيك ...
 ولكن ما الذى جعلك تذكرين زياتى الآن ؟
 — إننى لم أكن فى انجلترا بعد أن تركت
 المدرسة

— وأين كنت إذن ؟
 — فى الخارج ... وقد راق لنا أنث تقوم
 برحلة هذا الصيف فى روع انجلترا ... فلما باطنا
 (لادلاو) مساء أمس وجدت قصر سانت مارى على
 الخريطة فقصدت توأ إلى هنا
 — راق لنا ! ... راق لى ؟

— والذى والذى ... إننى لست بتيمة
 بعد ... أين النهر الذى حدثتى عنه ؟
 فقال مشيراً إلى ما وراء القصر ، فى هذه
 الجهة ... أنغبين فى رؤيته ؟
 — أجل ... أعطى قبمتك فان الشمس شديدة
 الحرارة

ففعل طائماً ؛ وسارت معه فى صمت ...
 وبرغم أنه لم يرها إلا مرة واحدة من قبل فقد
 كان يشعر بمحورها شعوراً خفياً مخالفاً جد المخالفة
 لذلك الذى يشعر به نحو أسترا ... ولم يساوره مثل
 هذا الشعور من قبل إلا عند ما كان جالسا بجانب
 سالى فى حديقة المدرسة ، قال :

— ولكن حديثى كيف قضيت هذه السنين
 الطويلة ؟

فأخذت تسرد عليه مازارته من البلدان ،
 وما طافت به من الممالك ، إلى أن قالت أخيراً —
 وماذا عنك ؟ ... ألم تتزوج بعد ؟

أدرك كايثور أنه نسي قيمته

جلست السيدة كرمجان في فندق الثلاث ريشات تنتظر ابنتها في شيء من القلق، فقد كانت تخشى عليها من قيادة السيارة بنفسها. وأخيراً هتفت في سرور:

— شكرًا لله... فقد رأيت سالي وهي مقبلة عليها من أعلى الدرج
— من أي مكان في العالم أتيت بهذه القبة يا سالي؟

— إنها قيمته

— إذن لقد قابلته

— نعم لقد قابلته. وأخذت تقص على أمها كل شيء، فقد كانت لا تخفى عنها خبراً ثم قالت أخيراً:

— إنني أشعر بعيل غريب إليه. ولا أعلم لماذا عاك على مشاعري

— ولكن ما الفائدة ما دام سينزوج من هذه الفتاة التي تدعى... ما اسمها؟

— استرا... ولكن لا يمكن أن أصدق ذلك... لقد رأيته في الحقيقة قبل أن أقابله تحدث رجلاً ذا قميص أزرق وتمده بالزواج وقد عرفتها بعد ذلك من وصف كايثور، أما الرجل فلم أتبين وجهه وفي صباح اليوم التالي ظهر كايثور في فندق «الثلث ريشات»... لقد قال إنه جاء ليسترد قيمته.. وكان الحزن بادياً على وجهه. ولما سألتها سالي عن السبب لم يحاول أن يكتمه عنها... والحقيقة أنه كان في حاجة إلى قلب يعطف عليه... وقد وجدته في سالي. قال لها في حزن:

— لقد حطمت استرا اليوم كل ما بنيت

الآمال... على رغم كل ما بذلته في سبيل تثقيفها، ورغم كل ما نحيت به في سبيل إسماعها، تريد اليوم أن تتزوج من رجل آخر يدعى توينج وبدأ في تبرأته شيء من الألم الدفين، ولاح في صوته ما يخالجه من الحزن واليأس، وظهر في عينيه ما تكتمهما من الدموع... إنه ليليدو ألياً حقاً أن يقضى حياته في تثقيف فتاة وتهذيبها وإعدادها لتكون زوجة لرجل آخر... أخذت سالي تسرى عنه وتخفف من وطأة حزنه، ومن حدة ثورته، ثم اقترحت أن يخرجوا في زهرة قصيرة ولكن إلى أين يأتى؟... قال كايثور:

— أشاهدت قلعة للدلاو الأثرية؟

— أتعنى ذلك البناء القائم في خارج المدينة؟

حسن... انتظري حتى أحضر قبمتي...
وخرجت سالي ولكنها لم تسرع باحضار القبة؛ بل صمدت متباطئة وأخذت تقيم أظافرها في تكاسل، ثم أبدلت ثوبها، وأكملت خطابها، وجلست صامدة، وقد بدأ السرور في عينها... وأخيراً أقبلت عليها أمها تقول:

— إن صديقك في انتظارك أكثر من ساعة

يا سالي... إنك قاسية في معاملته

— ولكني سأزوج به

— أحقاً ما تقولين؟

ونظرت الأم إلى ابنتها قرأت الجواب في عينها، فضمتها إلى صدرها وقبلتها قبله حارة طويلة... حقاً إن كايثور غير جدير بزواج خامسة أغنياء العالم، ولكن أسرة كرميجان كانت من الديوقراطية بحيث لم تكن تبحث عن الجاه والمال، بل كانت تبحث عن سمادة بناتها

أحمد نسي ميسى

مقدمة المؤلف :

لا بد للحدث
الكبيرة من مسارح ،
وللشعوب الفاسدة من
قصص . ولقد شاهدت
أخلاق عصرى ثم
قدمت هذه الرسائل
إلى النشر ؛ وليتنى
عشت في عصر تحملى
آدابه على أن أقدمها
إلى النار !

جوليا

أو

هيلينز الجديدة

ليان هيك روسو

بقلم أحمد حسن الزيات

أنت وصف الأمكنة
قد ناله التحريف البالغ
في مواضع كثيرة ، إما
لأن الكاتب يريد أن
يجنح القارى ، وإما
لأن الواصف لا يعرف
أكثر من ذلك
ذلك كل ما أريد
أن أقوله ؛ ولكل
امسى أن يفهم الأمر
على ما يشاء

لم يوضع هذا الكتاب ليسير في الناس لأنه
لا يرضى إلا القليل منهم ؛ فالتأديبون من أهل الذوق
سينفرون من أسلوبه ؛ والتمثتون من ذوى الوفاق
سيفزعون من موضوعه ؛ والذين لا يمتقدون بالفضيلة
سيرون ما فيه من المواقف خارجا عن الطبيعة .
سيستخيط البر والفاجر والفيلسوف ، وسيؤذى
شعور الفتاة اللعوب ، ويسوء كرامة المرأة الصالحة ؛
قلت شعري من يرضى إذن ؟ لعله لا يرضى سوى ؛
ولكن الحق أن السخط عليه لن يقف عند حدود الوسط
إذا امتصت التبة على قراءة هذه الرسائل فأدرك
بالصبر على ما تجد فيها من أخطاء اللغة ، وشققة
الأسلوب ، ووضع الفكرة المطروقة في المبدأ الملتزمة .
قل لنفسك قبل أن تقرأ : إن الذين كتبوها لم يكونوا
فرنسيين ولا عبريين ولا أكاديميين ولا فلاسفة ؛
وإنهم بين ريفي وأجنبى وأليف خربة وحديث سن ؛
وكلامهم أشبه بالأطفال الذين تصور لهم خيالهم الشاعرة
أن من الفلسفة ما يهزون به من يرى الحديث
لم أخشى أن أجهر بما في نفسى ؟ إن هذا

أما - وإن كنت أحمل هنا لقب الناشر - قد
عملت بيدي في هذا الكتاب فلا أضرب نفسي
فيه . فهل صنعتك كله ؟ وهل هذه الرسائل بأسرها
من نسج الخيال ؟ ماذا يهمك من هذا أيها الناس ؟
إنها عنديكم ولا ريب حديث مغترى
كل أمرى حر الخلال يجب عليه أن يمتد
بما ينشر من الكتب ؛ فأنا أضع اسمي على رأس
هذا الكتاب لا لأسجل ملكيته ، ولكن لأتحمل
نجمته . فإذا كان فيه شر فالى مرجعه وعلى إثمه ، وإن
كان فيه خير فلا أبتنى من ورائه شرقا ولا نباهة
إذا كان هذا الكتاب كتاب سوء فاما يجبر
على استلحاقه والاعتراف به . ذلك لأننى لا أحب
أن أظهر في عيون الناس خيرا مما أنا عليه في الواقع
أما حقيقة الوقائع التى تدور عليها حوادث
القصة ، فأصرح بأنى ذهبت مرارا إلى بلد
الماشقين فلم يرد على سمى ذكرى للبادون ديتانج
ولا لابنته ، ولا للسادة : دى وروب ، والورد إدوار
بومستون ، ودى ولار . كذلك أنه القارى إلى

الجبر الإقلاق

الرسالة الأولى

الى جوبيا

أشعر كل الشعور أن لا مناص يا أنسى من الحرب منك . ولقد كان من اللازم أن أنتظر أقل مما انتظرت ، أو بالحري كان ينبغي ألا أراك قط . ولكن ما العمل اليوم وكيف اغلاص ؟ لقد وعدتني الصداقة ؛ فانظري إلى اضطراري ، وفكري في حقيقة ما بي ، ثم أشيري عليّ .

تعلمين أني لم أدخل بيتكم إلا من دعوة من السيدة والدتك . علمت أني تغتبت بعض مواهي

ثقافة محمودة ، قرأت من القيد في بلد يعوزه المليون أن تستخدم هذه الواهب في تربية ابنتها التي تميدها . وأنا بدوري قد زهاني أن أزين هذا الجلال الطيبى البالغ ببعض الأزهار ، تجرؤت على أن أتمهد بهذه العناية الخطرة دون أن أتسلف النظر إلى ما فيها من الخطر ، أو على الأقل دون أن أقف من خطرهما على حذر . لن أقول لك إنى بدأت أؤدى نعم جرائي ؛ فاني أمل ألا أذهل عن واجبي فأنتقل عليك بمحدث لا يليق بسمك ولا يلتئم مع طبيعتك ، وأن أقصر عن الاحترام الذي يجب لخلقك وكالك ، أكثر مما يجب لهتدك وجالك . أنا إذا تأملت فمزاني على الأقل أني أنألم وحدي . لا أريد سعادة تشكفها سمادتك

على أننى مع ذلك أراك كل يوم ، وأشعر أنك من غير قصد ولا فكر تضاعفين أكلاماً لا تستطيعين أن تشككيها ، ولا ينبغي لك أن تعلمها من الحق أني أعلم الرأي الذي تحليه الغلظة في مثل هذه الحال لا الأمل ؛ ولو استطعت أن أوفى

الكتاب على لهجة القوطية أقرب إلى نفع النساء من كتب الفلاسفة . بل لعله يفيد أولئك اللاتي لا زلن يحتفظن بأثارة من حب الصلاح والنزاهة وهن يمين حياتهن المضطربة الملوثة . أما أثره في الفتيات فذلك أمر آخر ، إن الفتاة المنيقة لم تقرأ قصة قط ؛ ولقد وضعت لهذه القصة عنواناً ينبه القارىء وهو يفتحها إلى طبيعة الكتاب الذي يريد أن يقرأه . فالفتاة التي تجرؤ على أن تقرأ منه صفحة واحدة على الرغم من هذا العنوان هي فتاة خاسرة . وليس لها أن تمزق خمارها إلى هذا الكتاب ، فإن الداء قد خاصر ما من قبله . فن بدأت منهن القراءة فلتتهما ؛ فليس بعد ذلك في نفسها ما يحضره ، ولا في هذا الكتاب ما يحذره

إن الزاهد المتحدث إذا قرأ الجزء الأول من هذا الكتاب فامتص ثم رماه وانفجر بالحق على ناشره . لا أعيب إسراره ولا أشكو ظلمه ؛ ولو كنت مكانه لما فعلت غير ذلك . ولكنه إذا قرأ كله ثم جرؤ بمد ذلك أن يمدني على نشره ، فليقل ذلك — إن شاء — لكل ذي سمع من الناس ما عداي ؛ فاني لأستطيع أن أحمل نفسي على احترام مثل هذا الرجل

اذهبوا أيها الكرام الذين أحببت العيش فهم وهدمت الخلاط بهم أنتم أيها الذين وأسوتى على سباب اللثام وشتائم الفجرة ! اذهبوا بعيداً فاجثوا عن أمثالك . فروا من المدن قلن مجذوم فيها . اذهبوا إلى الخلوات التواضعة فأنسوا زوجين غلصين تتوفى بينهما وبينكم الآلة ، ورجلاً ساذجاً حساساً يجد في طبعه الليل لما أنتم عليه ، ومنزلاً عن الناس معتبراً بالمالم يلومكم على أخطائكم وخطاياكم ثم يقول مع ذلك في حنان وعطف : « هذه هي النفوس التي لا بد منها لنفسى ! »

أنا أسلم بأن المرء يستطيع أن يتخيلك أروع جمالاً من جمالك ، ولكن من المحال أن يتخيلك أجدر بالحب وأخلق بالرجل الفاضل مما أنت عليه أجرو أحياناً على أن أزمم وأزعم بأن الله جعل بين حسينا وذوقينا وحميرنا مطابقة خفية . فنحن ما تزال في زهرة الصبي ، فيقول الطبيعة فينا لا تتغير ، وأهواؤنا لا يبعد أن تتفق

لقد رأينا قبل أن نكتسى الزى الوحيد العتيد للعالم أن لنا طريقة واحدة في الحب والنظر ، فلم لا أجرو على أن نخيل أن ذلك الانسجام الذي أراه بين أحكامنا هو بين قلبينا كذلك ؟ إن من نظراتنا أحياناً ما يتلاقى ، وإن من زفراتنا ما يصمد فوق واحد ، وإن من عبرتنا المواربة ...

آه يا جوليا ! لو أن هذا التوافق صادر عن بعيد .. لو أن الله سخر لنا .. جميع القوة البشرية .. آه عفواً لقد صلت غشيت رطابي آمالاً . إن حرارة رغباتي أوتت موضوعها الأماكن التي يموزه إلى أبصر في خيفة ورعب ما يتأهب له قلبي من المذابح والألم . لا أحاول أن ألتقي ألى ، ولو كان في وسي أن أكرمه لكرهته . احكمي على عواطفك إن كانت نقية أو مشوبة بنوع الغفو الذي طلبته منك . أغضضي إذا سطعت منبع الدم الذي يحبيني ويعتني ، فلا أجنى غير أن أحيا أو أن أموت . أنا أضرع إلى قسوتك كما يضرع عاشق إلى رحتك

أجل لقد وعدت . وأقسم لأبذل الجهد الجاهد في استرجاع ما عذب من قلبي ، وترسيب هذا الرنق الوليد في قرارة نفسي . ولكن رحماك ! حولي عن هذه البين الوديمة التي تنزع على الموت . واستري عن عيني قسباتك وحركانك وهيتك وذراعيك ويديك وشمرتك الأشقر . اخذني غباوة

في هذه الفرصة بين الفطنة وبين الاعتبار المناسب لملت نفسي على اتخاذه ؛ ولكن كيف أجدر الوجه الوجه لأن أترك بيتاً دبت في نفسها التي فتحت لي فناءه ، وأعدت على آلاءه ، ورأت في بعض الفناء لأعز شيء عليها في العالم ؟ كيف أحرم ذلك الأثم الحنون سرورها بأن تفجأ زوجها ذات يوم بتقدمك في الدروس ، وهي إنما أخفت عنه خبره لهذه الغاية ؟ أيبني أن أفارقها على هذا الوجه . الرذول دون أن أقول لها شيئاً ؟ أيجب أن أسرح لها بموضوع اعتدالي ؟ أليس في هذا التصريح نفسه إهانة لها من رجل لا يميز له مقام أسرته ولا طبيعة ثروته أن يعقد أسباب رجائه بك ؟ أنا لا أرى يا أنسى غير وسيلة واحدة للخروج

من المأزق الذي أنا فيه : تلك الوسيلة هي أن ألد التي أفتني فيه تنشلي منه . ليأني من قبلك المذابح كما يأتني الخطأ . فأشمرى قلبك الرحمة لي واحظري على الوجود في عضر . أطلي أهلك على كتابي . أغلق بابك من دوني . اطرديني على الوجه الذي تحبين ، فاني أحتمل كل شيء ولا أستطيع من تلقاء نفسي الفرار منك

أنت ، تطرديني أنا ، أهرب منك ! ولماذا ؟ أمن الاجرام أن يكون المرء حساساً بالفضل ، وأن يحب ما يجب على كل امرئ أن يحبه ؟ لا يا جوليا ! إن جاذبيتك بهرت عيني ، وما كانت لترزع قلبي لولا الجاذبية الأقوى التي تحببها وتذكها ؛ تلك الجاذبية هي اجتماع الحساسة القوة بالمذوبة الصافية ؛ هي ذلك الزمان الحنون لآلام الناس ؛ هي ذلك الذهن المستقيم وذلك الدوق السليم اللذان يستمدان تقادما من تقاء النفس ؛ هي على الجملة سحر المواعظ ، وهو أقوى من سحر الشخص ، وذلك ما أعبدته فيك

درس لولا فطنتك وحكمتك لما استطعت أن تتبعه .
 كذلك هذا التفاوت الذى تتكلفينه فى طبعك
 ومظهرك ينقلب مضرة علىّ . عليك . إنك تؤذيني
 بهذا الثقل ، ثم لا أستطيع أن أنصوّر الباعث
 الذى يخرجك عما عهدت فيك من رصانة العقل .
 هل لى أن أسألك لماذا تكونين لموباً مرجة فى
 الجمع ، ووقورة عتشة فى الخلوة ؟ لقد كنت أرى
 أن الأمر يجب أن يسير على النقيض ، وأنك لابد
 تصورين سمات وجهك على نسبة عدد الحضور ؟
 ولكنى أراك بدل أن تفعل ذلك تعاملىنى على حال
 مطردة من التردد والاضطراب ، فتصطنعين الهجة
 المتكلفة بينى وبينك ، والهجة النبيلة بيننا وبين
 الناس . سوى بينى وبين غيرى فى حديثك
 ووجهك ، فلى بذلك أكون أخف أنا وأقل لومة
 إذا كانت الرحمة الطبيعية التى آثر الله بها
 النفوس النسبية الحرة تعطف قلبك على شقاء
 هذا البائس الذى تظهرن له بعض التعجّل ، فان بعض
 التمييز فى معاملتك إياه يخفف من ثقل مصابه ،
 ويمينه على احتمال صمته وعذابه . وإذا كانت
 حساسة صدره وحرج أمره لا يلفغان موضع الرأفة
 من نفسك فتريدن أن تتوسلى بالحق إلى إهلاكه ،
 فانك تستطعين أن تفعلين ولن تجعديه إلا صاراً
 لا يشكو ، وساكناً لا يثّر ؛ أنه يؤثر أن يهلكه
 أمره ، على أن يهلكه فورة طائشة تجعله أنثى فى
 نظرك . وآخر القول إن لك أن تحكى فى أمرى
 وتصرفى فى مصرى . ولّى أن أقول لى واضح وجه
 المذنب أن أرتبب فى نفسى هذا الأمل الجرىء ؛
 وإذا قرأت هذه الرسالة فقد فملت كل ما أريد أن
 أطلبه منك ؛ على أننى لم أطلب شيئاً يجوز عليه
 الرفض حتى أخشاه
 (الرباب) (ينبع)

نظراتى الرغبة . احبسى ذلك الصوت الأخاذ بالقلب
 فلا يسمعه سامع حتى يتأثر . كوفى مخلوقة أخرى
 ليستطيع قلبى أن يحفّ إلى نفسه
 أقولها لك بن غير مواربة ؟ إنك فى الألاماب
 التى يقتضيها فراغ الأمسية ، ترسلين نفسك أمام
 جميع الناس على ألفة شديدة الأثر على النفس ،
 فلا تكونين مى أشد احتشاماً واحتياطاً منك مع
 غيرى . أقرب الأيام أمس ؛ كنت على وشك أن
 تمنعنى أن أقبلك عقاباً على مخالفة النظام فى اللب ،
 فقاومت مقاومة خفيفة ضئيفة ، ولكنى لحسن
 الحظ تماشيت أن أصر . ثم أدركت أن اضطرابى
 الذى كان يزيد وزيد سيؤشنى بى على الحسارة
 فأمسكت عن اللب . آه لو كنت استطعت على
 الأقل أن أستمع بهذه القبلة على هواى ا إذن
 لكنت آخر أنفاسى وأنت وأنا أسعد الناس ؛
 فاشتدك الله إلا ما تركت هذه الألاماب ،
 فقد تكون لما عواقب وخيمة . كلا يا جولييا ، كل
 إنسان له خطره . من الخطر الذى لا حيلة فيه إلى
 الخطر الذى لا وزن له . إني اضطرب كلما است
 بدى فى اللب بذك . ولا أدرى كيف يتفق أن
 ألقاها دائماً ؛ فلم تكد تقع على يدى حتى تستقانى
 رعدة ويمترين ذمول . إن اللب يعنى بالجمى ،
 أو بالجرى يصيب بالهذيان ؛ فأنا لا أبصر ولا أشعر ،
 وفى هذه اللحظة المحبولة لا أدرى ماذا أقول
 ولا كيف أقول ولا أين أخفى ا
 وفى ساعة القراءة أجد ضراً آخر : إذا رأيتك
 لحظة من غير أمك أو ابنة عمك نكسرت معارف
 وجهك فجاء ؛ ثم اتخذت هيئة الجذ واسطمنت
 لهجة الفتور حتى يسلمنى احتراى إياك ، وخوفى
 من عدم رضاك ، حضور البدنية وقوة الحكم ،
 فأغتمنى فى اضطراب ومشقة يبيض الكلاثن من



يَوْمِيَّ نَائِبِي الْإِذَافِ

للأستاذ توفيق الحكيم

« لماذا أدون حياتي في يوميات ؟ لأنها حياة
هنيئة ؟ كلا ! إن صاحب الحياة الهنيئة لا يدونها ،
إنما يحياها . إنني أعيش مع الجريمة في أصفاد واحدة .
لأنها رفيق وزوجي أطالع وجهها في كل يوم ، ولا
أستطيع أن أحادثها على أفراد . هنا في هذه اليوميات
أملك الكلام عنها ، وعن نفسي ، وعن السمكيات
جيباً . أيتها الصفحات التي لن تنفرا ! ما أنت إلا
نافذة مفتوحة أطلق منها حربي في ساعات الضيق »

١١ أكتوبر سنة . .

أويت إلى فراشي البارحة مبكراً ؛ فلقد شعرت
بإلتهاب الحلق ، وهو مرض يزورني الآن من حين
إلى حين . فقصبت على رقبتي خرقه من الصوف ،
وعمرت بقطع من الجبن النقي مصائد الفيرات
الثلاث ، ونصبتها حول سريري كما تنصب الألغام
الواقية حول سفينة من سفن الصليب الأحمر ،
وأطفأت مصباح النفط وأغمضت عيني وأنا أسأل
الله أن ينم الفراش البشرية في هذا « المركز » بضع
ساعات ، فلا تحدث جناية تستوجب قيامي ليلاً
وأنا على هذه الحال . فلم أكد أضغ رأسي على الخدعة
حتى كنت حجباً ملق ، إلى أن حركني صوت
الخفير يضرب الباب ضرباً شديداً ، وينادي خادمي
صائحاً : « اصبح يادسوق ! » فعلمت أن جناية وقعت ،

وأن الفراش لم ينم لأنني أردت أنا أن أنام . فنهضت
لوقتي وأشملت المصباح ، ودخل على خادمي يفرك
عينيه بيد ويقدم إلى بالأخرى (إشارة تلفونية) ،
فأدנית الورقة من الضوء وقرأت : « الليلة : الساعة
٨ مساء ، بينما كان المدعو قمر الدولة علوان ماشياً على
الجسر بالقرب من « ديار » الناحية أطلق عليه عيار
ناري من زراعة قصب ، والفاعل مجهول ، وبسؤال
المصاب لم يعط منطلقاً وحالته سيئة ، لزم الإخطار »
« العمدة »

فقلت في نفسي : لا بأس ، تلك حادثة بسيطة
تستغرق مني على الأكثر ساعتين ؛ فالضارب
مجهول ، والمضروب لا يتكلم ولا يثرثر ، والشهود
ولا ريب : الخفير النظامي الذي سمع صوت العيار
فذهب إليه خائفاً متباطئاً فلم يجد بالطبع أحداً في
انتظاره غير الجثة الطريفة ، والمممة الذي سيزعم
لي خالفاً بالطلاق أن الجاني ليس من أهل الناحية ،
ثم أهل الجني عليه الذين سيكتمون عني كل شيء .

« حياة رأس سعادة البك كان لابساً ... ». ولم أُرَ ضرورة للتحقيق في هذه المسألة ، فالأمر لا يخرج عن اثنين : إما أن الخفير لا يعرف القميص من اللباس وهو شيء غير مستغرب ، وإما أن سعيد افندى قد عاد فخلع قميصه ونام من جديد ، وهو شيء أيضاً غير مستغرب . وما دمت أنا وحدي المشغول رسمياً عن التأخير ، فلا نفع إذن من صياح مع سعيد افندى غير تصديق رأسي ، وأنا أحوج الناس إلى الراحة الليلية ، وإلى توفير الجهد والكلام للتعبئة الحقيقية التي من أجلها نتجشم ما نتجشم . ولم يلبث الفتور أن دب في أعصابي ، فاستندت رأسي إلى ركن السيارة وقلت لمن معي : « عمل الحادث على بعد ثلاثين كيلومترا ، فلا بأس من أن أنسى مسافة الطريق » وأغمضت عيني ، وتحركت سيارتنا وخلفها « البوكس فورد » وبه الكاتب والمعاون والباشجاووش والمساكر . وما كدنا نخرج إلى الطريق الزراعية حتى سمعنا صوت غناء في جوف الليل ، فأخرج المأمور رأسه من النافذة في الحال وصاح : يا حضرة المعاون ! نسيتا الشيخ عصفور . ووقفت القافلة ؛ وإذا الصوت يخرج وانحفاً من دغل « بوص » على حافة غيط !

... ورمش عين الحبيبة يفرش على فدان ...
فأسرع الماوان منادياً : « اطلع يا شيخ عصفور . حادثة ! » فظهر ذلك الرجل العجيب الذي يهيم على وجهه بالليل والنهار ، لا يعرف النوم ، يفنى عين الأغنية ، ويلفظ كلمات ، ويلقي بتنبؤات ، يصني إليها الناس ؛ ذلك الرجل الذي لا يفرحه شيء مثل خروجه إلى الحوادث مع النيابة والبوليس ؛ فهو يسم عن بعد بوق « البوكس فورد » ويتبعه

ليثاروا لأنفسهم بأيديهم . فسألت خادمي عن الساعة وكتبت في ذيل الورقة : « وردت الساعة الماثرة ، وقائمون لضبط الواقعة » وملت من فوري إلى ثياني فارتديتها على عجل كما يصنع رجال الطاقء ، وأرسلت في طلب كاتب التحقيق وسيارة النيابة ، وأوفدت من يوقظ مساعدي الجديد وهو شاب رقيق الحاشية حديث عهد بالعمل ، كان قد أوصاني أن أستصحبه في الواقع ليكتسب الخبرة والمران . ولم ألبث أن سمعت يياني بوق سيارة المركز « البوكس فورد » بها المأمور ومعاون الإدارة وبعض الجنود . فنزلت إليهم فوجدت كل شيء قد أعد ولا ينقصنا الا كاتب التحقيق ، فلم أعجب . لأنني ما أبطأت يوماً في القيام إلى الواقعة إلا كان السبب كاتب التحقيق ، في أي بلد كان ، وفي أي مركز . والتفت إلى الخفير وقلت : « أنت متأكد أنك ناديت سعيد افندى ؟ » فسمعت في الظلام صوت الحذاء الضخم يضرب الأرض ، ولحمت يداً ترتفع بالتحية العسكرية فوق (اللبدة) الطويلة ذات الرقعة النحاسية ، وفقاً يتحرك تحت شارب أسود كبير كأنه ذنب القطة : « لبس القميص قدامي يا سعادة البك ! » . ورأينا أن ننطلق بسياراتنا فنمر بمنزل الكاتب فنستصحبه . فركبت أنا ومساعدتي والمأمور سيارة النيابة حتى بلغنا منزلاً قديماً في طرف البلدة . فصاح الخفير وكان قد تعلق بسلم السيارة ليدلنا على الطريق : « إنزل يا سعيد افندى . » فأطل الكاتب من نافذة قصبة وهو في جلباب النوم : « حادثة ؟ » فصاح الخفير : « حادثة ضرب نار » . وما أشعر عندئذ إلا بيد المأمور قد خرجت من نافذة السيارة وتزلت على قفا الخفير : « يا خفير يا ابن ... لبس القميص قدامك يا ابن الـ ... » .

وانتهت على وقوف السيارة بعد زمن ليس بالقصير ،
فتفتحت عيني فإذا نحن أمام ترعة وإذا
« المدينة » في انتظارنا لننتقل إلى الضفة الأخرى . فزلنا
جميعاً وامتلاً بنا القارب كأننا غرق في زورق النجاة ،
أو « أزيار » من الفخار في مركب بالصعيد .
وسارت بنا « المدينة » حتى بلغت الشاطئ الآخر
ونحن لا نسمع في سكون الليل العميق غير سلاسلها
تضرب الماء ، ولا نرى من حلك الظلام شيئاً . ولم
تكد تطلأ أقدمنا البر حتى سمعنا صهيل خيل ؛ وإذا
أمامنا « الركاب » من خيول « نقطة البوليس »
وحجر الممدة ، مهبأً لملنا إلى مكان الحادث . وآه
من الخيول ! لقد تقدم إلى أحد الجنود بجواد
مطهم لإجلالاً لتدري . ورأيت هذا الحصان
يتبختر ويفحص الأرض بحوافره ، ولا يصبر على
الهدوء حتى أعتلى ظهره ، فملت أني لا محالة واقع
على الأرض . ولطالما كتبت أفع من فوق تلك
الظهور اللابة التي لا يحكمها غير فارس بارع ،
لأراكب نائم . ولطالما فضلت عليها الحبر الهادئة ؛
غير أني نظرت خلفي فإذا أكبر القافلة قد امتطوا
الخيول ولم يبق الحبر إلا للأوباش ؛ ففجئت أن
أترل عن جوادى وأن أحاذى في الرتبة الشيخ
عصفور ، وقد اعتلى حملاً أشهب وخزه بصولجانه
الأخضر فانطلق به في ذيل الجياد . أسلمت امرى
لله ، وسرت في المقدمة قائداً مترنحاً من الخوف
والتمب ، إلى أن غفر النوم بجفوني فلم أشعر بشيء .
ولجأة وجدت جسمي قد طار من فوق الجواد
ووقع على عنقه ! فقد قفز الحصان في قناة ماء قفزة
شديدة خلصتني من فوق ظهره خلساً . فقلت :
« ما حسبتاه لقيناه ! » وبحثت بالخفير للتحق بركابي :
« الحصان يا خفيرا الحصان ! » . فوقف الركب واختل

أيها ذهب كالكلب الذي يتبع سيده إلى الصيد .
لماذا كل هذا ؟ طالما سألت نفسي : ألا يكون لهذا
الرجل سر ؟ . ودنا الرجل من « البوكس » قائلاً
في شبه احتجاج :

— كنتم طالعين من غيرى ... ؟

فأجابه الباشجاويش باسمًا :

— أبداً ! لو كنا نعرف عنوانك لبلغناك

الأشارة

فقال الرجل :

— طيب . هات سيجارة

فقمزه الباشجاويش سريعاً وقال له في صوت

خافض :

— اسكت ، يسمعك البك المأمور

فقال الشيخ عصفور :

— هات سيجارة يا حضرة الباشجاويش ،
لأنى أنا البلية « باشخرمان »

وصعد الرجل إلى « البوكس » فورد « كأنه
يصعد إلى « روتر رويس » بعد أن انزع من
الدغل عوداً أخضر جملة في يده كالصولجان .
وانطلقت السيارتان بين المزارع وقد نامت الطبيعة
وسكنت الأصوات ، إلا من نقيق الضفادع ، وهفيف
الحشرات ، وتفريد الشيخ عصفور المتصاعد من
جوف « البوكس » . وقد أغفيت أنا أيضاً إغفاءة في
التي اعتدتها لكما ركبت إلى واقعة ، إغفاءة مقطعة
لا تمنى أحياناً من سماع ما يدور حولي من الكلام .
وكان مساعدي إلى يساري متيقظاً يدور عليه المعب
ويريد أن يسأل عن كل شيء فيمنعه الخوف من
إزعاجي ، فالتفت إلى المأمور بجواره ؛ وسرعان
ما اشتبك في حديث طويل لم أع منه شيئاً كثيراً ،
فهو وحده الذي أنامنى النوم العميق طول الطريق ،

النظام ؛ وأوسع الأمور رجاله شتيا وصيفا وأمرأ ونهيا . وأعادوني إلى ظهر جوادى وأنا أقول لأدارى خجلى : يظهر أن الحصان نام وهو ماش ، أو خاف من ثلج فائر فجح . على كل حال أمسك اللجام يا خفير . فأمسك خيران اللجام ومشيا بي رويدا رويدا مشية هادئة منزنة أعادت إلى نفسى هجوعها ، فلم أصح إلا فى مكان الواقعة . وأبصرت ضوء الصاييح والمشاغل فى أبهى الأهالى المجتمعين حول المصاب . . . فطار التنب من رأسى كما تطير البوم من وكرها على الضوء المقرب . وأسرعت فى النزول من فوق صهوة الجواد وشققت طريقا بين الناس الذين هتفوا فى صوت خافت : « النبابة حضرت » . ودنوت من ذلك الجسم الممد على الأرض ، وحدقت فى ذلك الوجه المعربى بالتراب والدم ، فعلمت أنه حقيقة لن يتكلم . وقد وجدت ملاحظ « النقطة » غارقا لذنبه فى بحر « محضره » التى سأضرب به عرض الحائط ؛ فالنبابة متى حضرت بحثت كل شئ من جديد . وبأثرنا التحقيق مفتتحين بمحضر الماينة ، فأمسك الكاتب ورقة وقلما ودنا منى فأملت عليه الديباجة المروفة : « نحن فلان وكيل النبابة ومعنا فلان كاتب التحقيق . الليلة الساعة كذا وردت إلينا الاشارة التليفونية رقم كذا ونصها كذا . وعليه قنا بسيارة إلى ناحية كذا ، فبلغناها ساعة افتتاح هذا المحضر الخ الخ . » ذلك أنى أحب دائما أن أعنى بتحرير « محضرى » وأن أجعله مرتباً ترتيباً منطقياً . والمحضر هو كل شئ فى نظر أولى الأمر : وهو وحده الشهادة الناطقة للنائب بالذقة والبراعة . أما ضبط الجانى فأمر لا يسأل عنه أحد . وعلى « الديباجة » وصف الأسابة والملابس والموضع الذى وجد فيه الجنى عليه

فما قصرنا . وأملت على الكاتب أوصاف ذلك الجرح النارى التى رأينا ثقبه التسع فى كتف المصاب . وقد حدث فىنا أرى من « حشار » بندقية أطلقت على بصد غير كبير فهتكت اللحم وأزقت الدم . وقد وصفنا الوجه خير وصف . وهو لرجل قارب الأربعين وسيم قسيم : تلك الوسامة الريفية بما فيها من رجولة وصحة وقوة . ولم يفتنا ذكر وشم المصقور المرسوم فى أعلى صدغه ، ولا لون شارب الضارب إلى الصفرة ، والثياب أحصيناه من « الدقة » والجلباب النزلى وكيس النقود الذى لم يمس ، إلى السروال « البفته » الأبيض ذى التكة الحمراء . ثم ، لم ننس تكة اللباس ونوع نسيجهما ، فإن ذكر التفاصيل دليل على الدقة والعناية . هكذا تعلمنا التحقيق كابرا عن كابر ؛ وأذكر أنى تركت ذات مرة جريحا يعالج سكرات الموت ، وجملت أصف سرواله وتكته و « بلفته » و « ليدته » ، فلما فرغت انحنيت على المصاب أسأله عن المتدى عليه ، فإذا بالمصاب قد توفى . ولم ننس وصف المكان ، وهو طريق ضيق بين مزارع قصب على الجانبين . ولا يجب ، فإن لكل نوع من الزرع محصوله من الجرائم : فمع ارتفاع الثرة والقصب يبدأ موسم « القتل بالميار » ، ومع اصفرار القمح والشعير يظهر الحريق « بالجاز والقوالج » ، ومع اخضرار القطن يكثر « التقليع والأثلاف » . واثنتين من الجرح المحتضر ، ولم يمد يدهما أمره بعد أن ملأنا « محضرا » بأوصافه ؛ فذكرناه فى دمه تحت رعاية ضابط « النقطة » حتى يأتى لحله إلى المستشفى رجال الأسماف . وذهبتا إلى « دوار » العملة حيث كانت فى انتظارنا القهوة . وآه من قهوة « الممد » إلى أممها دائما « الكلوروفرم » ؛ فما من مرة

— عيارين يا سماعة البك

— متأكد؟

— عيارين يا سماعة البك

هنا ثقل التحقيق وسحابة المهنة . أفهم أنت يكذب التهم ، فهو حقه الطبيعي ؛ وما أطمع قط أن يصدقني متهم . ولكن الشاهد ، ماذا يحمله على أن يلقى على وجه الحقيقة كلفاً من التشكيك والتناقض ، لوجه الله تعالى ... ؟

ومضى التحقيق في شباب مظلة لا أمل معها في الوصول إلى شيء . فما من أحد يعرف الجاني ؛ وما من أحد يتهم أحداً ؛ وما من أهل المضروب في هذا البلد غير أم عجوز مريضة كسيحة ضعيفة البصر لا تستطيع الكلام ، وغير زوجة ماتت منذ عامين وترك طفلًا صغيراً لا يصلح للوقوف أمامنا في موقف السؤال . وما من أحد بدلى بتعليل مقبول أو غير مقبول لهذا الحادث . وما من أحد يعرف أن بين الصواب وبين إنسان على وجه البسيطة عداوة أدت إلى ارتكاب الجريمة . أهبط إذن شيطان من الجحيم فأطلق على الرجل النيار ؟ لا أحد يندري . لقد وجدت ما حسبت . إنني منذ قرأت « الإشارة » أدركت أن القضية ميتة . وهل أستطيع أنا « بتحقيق » أن أبحث الحياة فيها لا حياة فيه ؟ إن لم يقبل على الشهود بالصدق ، وتعاوني الأهل بالغيرة والاخلاص ، فأى « محضر » في الوجود يوصلني إلى التشرف مرة بمعرفة جان من الجناة ؟ وجاءت نوبة الممدة في الشهادة ، وحلف المين وبدأنا نلقى تلك الأسئلة التي لا تقدم ولا تؤخر ... وإذا بنطيط يملو من ركن الحجرة وينطلي على التحقيق . فالتفت فإذا المأمور قد « كوع » على « الكنية » ؛ ورأى الممدة بهذه الالتفاتة منى ، فاستأذنى وأتجه إلى

إلا أحدثت عندي عكس المقصود من شربها ؛ ولست أدري الملة ؛ غير أنني سمعت ذات ليلة عمدة من هؤلاء الممد يصيح في تابه أمامنا : « هات يا ولد قهوة بن » ، ولم أفهم وقتذاك معنى لضافة لفظ « البن » إلى « القهوة » . أترى النص على البن « صراحة » جاء من قبيل التأكيد ، أم على سبيل التشريف والتكريم ؟ لست أعلم . إنما الذي علمته يومئذ واستوتقت منه أن هذا « اللفظ » الأخير وإن دخل في تركيب الجملة ، لم يدخل في تركيب القهوة . وجلسنا في « النظرة » على فرش من قטיפنة ذهب وبرها ولونها ؛ ووضع الكاتب أوراقه على خوان أعرج ، تملوه رخامة مكسورة ، ونشر المحضر « تحت » مصباح كبير له دوى وطنين قد جمع حوله هوام الليل ؛ وصحت : أطلب الشهود . فصاح المأمور لصيحي : « اجمع الشهود يا حضرة الماعون » . وارتعى على مقعد رحب في ركن الحجرة ارتخاء أدركت معها أن ليس بعدها غير نفاس وغليظ . وجلس مساعدي على مقربة مني يرمق ما يجري بيسون قاترة ثم عن كسل بدأ يداعبها مداعبة النسيم للأوراق . وجاءوني بالغفيرة النطاي التي سمع صوت البيار وهرع إلى مكان الجريمة أول من هرع . فلم يخب ظني في شيء إلا في قوله إنه سمع عيارين ، مع أن الوارد في « الإشارة » عيار واحد ، والأصابع ثمن عيار واحد ، وأقوال الحاضرين متفقة على أنه لم يذو في القرية سوى عيار واحد . لاحظ هذا الرجل من الكذب ؟ لست أدري . وتركنا جوهر القضية وانصرفنا إلى مسألة البيار والعيارين . فسلأنا الجميع من جديد فأجابوا مجمين : عيار واحد يا سماعة البك — سمعت يا خفير ...

المأمور وأيقظه في لطف :

— يا شيخ عصفور :

فبرز رأس الرجل المजيب من خلف كرسى من القش بركن مظلم من أركان القاعة ونهض بصوت جليانه الأخضر كأنه يقول : « لييك »

— رأيك يا شيخ عصفور ؟

فلم أطق صبرا . ما كان ينقصنا حقاً إلا أن نستشير المتوهين في قضايا الجنائيات ! فنظرت إلى المأمور نظرة ذات معنى ، فاقترب منى وقال :

— الشيخ عصفور كله بركة . مرة دلنا على بندقية متهم مدفونة في قاع التربة !

— يا حضرة المأمور بدلا من سؤال الشيخ عصفور والشيخ طرطور كلف خاطرك وانتقل مع الماوان والمساكر وفتشوا دور الشتبه فيهم من الأهالي

فصاح المأمور :

— يا حضرة الماوان !

فأقبل الماوان من خارج الحجره وقد سمع قولى ، وقدم إلى رئيسه « محضر تفتيش من قسيمة واحدة » :

— أجريننا التفتيش يا فندم !

فلم ينظر فيه المأمور وتناولنى إياه ، فخرت بعصرى على الكلام الطويل المريض وأنهيت إلى المبارة المألوفة : « ... ولم نمر على شيء من الأسلحة أو الممنوعات . »

فأشرت في ذيل الزرقه : « يرفق بالحضر » ، ووضعت رأسى في كفى أفكر فيها ببننى عمله في هذه القضية ، وفيمن يبننى سؤالهم حتى نكمل محضرا عشرين صفحة على الأقل . ذلك أنى ما زلت أذكر كلمة رئيس النيابة يوما لى وقد تناول محضرا فى عشر صفحات :

— تفضل يا بك على السرير في القاعة

وقاده في أدب ولطف إلى حجره أخرى داخلية . ثم عاد أمامى يدلى بما عنده من أقوال رشيمة « تجارية » قد دمعت بطابع الوظيفة ؛ ألفاظها وعباراتها تكاد لا تتغير بين عمدة وآخر . وهى على كل حال لا تنفع ولا تضر ، وتلقى على نار الحادث برداً وسلاماً . ولم يكد حضرة المدة يقع بامضائه الذى يضاهى نيش الدجاج تحت أنواله ، ويتنحى عن موقف الشهادة ، حتى فتح باب الحجره الداخلية وظهر المأمور وهو يحك جسمه بأغافره ويلتقط بأسبابه أشياء على ملابسه ينفضها عنه ، وهو يرعى وزيد :

— سرير ! أعوذ بالله ! انت عمدة أنت ... ؟

فعلت ما حدث بالقمام . وخبعت في نفسى . وتظاهرت بالإنهماك في عملى فلم أرفع وجهى عن الأوراق . وجلس للمأمور في مقعده جلسة من قد ذهب النوم من عينيه ذهاباً لا رجعة له تلك الليلة . ولم يلبث أن صاح في المدة :

— هات قهوة والسلام . اعلمها موزونة وحياة

عينيك

ثم وجه إلى الكلام كأنه يريد أن يسلى مسهره :

— القضية على الجبل ؟

وهو يرى بهذا الاصطلاح إلى استطلاع حال القضية ، وبمدى نجاحها النجاح الذى يؤهلها للذهاب برأس المتهم إلى المشقة . فأجبتة في صوت غير مرتفع دون أن أنظر إليه وكأنى أخطب نفسى :

— القضية على السرير !

ونجاة نهض المأمور عن مكانه كأنما قد تذكر مفتاح البر وصاح :

فأجاب في براءة الطفل وسذاجة الأبله :

— الولد في حضن البنت !

— أى بنت ؟

— البنت ، أخت المرحومة امرأته

— بنت كبيرة ؟

— « عيلة »

فنظرت إلى الماوان وأمرته أن يحضر هذه البنت في الحال . ولم يمض قليل حتى بدت غادة في السادسة عشرة من عمرها ، لم تر عيني منذ وجودي في الريف أجمل منها وجهاً ولا أرشقى قدماً ؛ وقفت بعتبة الباب في لباسها الأسود الطويل كأنها دمية من الأبنوس طعمت في موضع الوجه بالماج . وقال لها العمدة مشجعاً :

— ادخلي يا « عروسه »

فتقدمت في حياء ، واضطربت خطواتها ، إذ لم تعرف بين يدي مَنْ من المجالسين يجب عليها الوقوف . فوجهها العمدة إلى فوقفت في وجهي ورفعت إلى رمشين ... ولأول مرة يرتج على في « التحقيق » فلم أدر كيف أسأله . . . ولم يرها الكاتب ، فقد كان موقفها خلف ظهره . فلما لحظ سمعت ظن في تمبا ، فممس القلم في الدواة ورفع رأسه إليها وهو يسأله :

— اسمك يا بنت ... ؟

فما إن وقع بصره عليها حتى حلق فيها ولم يمد إلى الورق . ونظرت حولى فوجدت مساعدي الناعس قد أفاق ونشط وأخذ يرمق الصبية بعينه الواسعتين ؛ وقلت بصري إلى الأمور فإذا به الساعة في غير حاجة إلى قهوة ولا إلى بن ؛ وزحف الشيخ عصفور حتى بلغ موطن قدي فأفهي كالكلاب ينظر إلى الفلاحة الحسنة فأغرا فاه . حقاً إن للجلال

« مخالفة ؟ جنحة ؟ » فلما أخبرته أنها قضية

قتل صاح دهباً : « قضية قتل تحقق في عشر صفحات فقط ؟ قتل ! قتل رجل ! قتل نفس آدمية في عشر صفحات ؟ ! » فلما قلت له : « وإذا ضبطنا الجاني بهذه الصفحات القليلة » لم يعبأ بقولي ومضى وزن المحضر في ميزان كفه الدقيق : « من يصدق أن هذا محضر قتل رجل ؟ ! » فقلت له على الفور : « إن شاء الله في المرة القادمة نراعي الوزن ! »

مر بخاطري كل هذا وأنا مطروق صامت ... وإذا صوت الشيخ المتوه يرتفع في القاعة منشداً :

« فقتل عن النسوان ،

تعرف سبب الاحزان ،

ورمش عين الحبيبة ،

يفرش على فدان ... »

لم أغضب على الشيخ الذي امتن حمة التحقيق بهذا النقاء ، ولم أطرده خارج القاعة ، ولكني تفكرت قليلاً في مغزى كلامه لو أن له مغزى ينفعني . . . كل ما يجوز الالتفات إليه ككلمة « النسوان » ، والتفتيش لا عن المشبهين بل عن النسوان . أى نسوان ؟ إلى لم أر قضية خلت من النسوان مثل قضيتنا هذه . فالضروب يعيش وحيداً بعد أن ماتت زوجته ، ولا أحد معه غير أم عجوز كسحاء لا يبنين أن تحسب في النساء . لا ريب أن هذا المصنف لا يقل ما يقول . هذا الشيخ الأخضر من فصيلة البناء لا شك ، يردد الألفاظ والأغاني دون أن يعنى بها شيئاً من الأشياء . لكن مهلاً ! إن المجنى عليه طفلاً . فهل تلك الأم القنبرة المريضة هي التي تمنى بشأه ؟ « تعال يا عمدة ... » وألقيت على العمدة هذا السؤال :

والطلاب ؟ أهو غلومنه في الحرس على هئاتها ؟
أهو لا يجد الزوج الكفء ؟ إنها لا تعلم حقيقة
سره . وإنها تريد أن تعلم . وإن هذا ما يحيرها
أحياناً ، وما ييكها . إنها تريد أن تعلم . تعلم
ماذا ؟ ... لا شيء . لا تستطيع التعبير ... إن
التعبير هبة لا يملكها كل الناس

وبعد فالتعبير يستوجب العلم بحقيقة الشعور
الراض في أعماق النفس ... وهذه الفتاة فيما تخيل
إلى ذات نفس كدغل « البوص والقصب » لا يصل
إلى قاعها من الضوء غير قطع كالدناير تتراقص في
ظلام القاع كلما تامل القصب ...

على أى حال قد بدأت قطع من الضوء تتساقط
أيضاً بين سطور « المحضر » ، وبدأنا نضع أيدينا
على عصب نابض من أعصاب القضية ، وهمت
أن أطلب فتجاناً آخر من القهوة وقد طاب المجلس
وحلا التحقيق . وإذا الماوان يسأل ملاحظ النقطة
وقد ظهر الباب :

— أحضر الأسعاف ونقل المصروب ؟

— من زمان !

فأدرت الصببة كل شيء ، فانطلقت من فمها
صيحة كتمتها في الحال خجلاً منا ؟ غير أنى
ما شككت في أن لها دواً وانفجاراً داخل نفسها .
وأردت أن أمضى في عملي لما وجدت أمامي غير
فتاة يميني بكلام أبت لا شبع فيه ولا غنى . ورأيت
أن أرجى التحقيق فقلت :

— استريحى يارم ...

ونظرت إلى المأمور :

— الأحسن أن نكمل التحقيق الصبح

فأشار إلى النافذة ، فإذا النهار يدخل منها
متلصصاً ، وقد خدعتني عنه الصباح المضى .

لهيبة ... ورأيت أن أملك سريعاً ناصية نفسي قبل
أن يتكشف الأمر ، فقلت لاصاحبة الجال وأنا
أكبح عيني حتى لا أنظر إليها :

— اسمك ؟

— ريم

لفظته في صوت ... هز نفسي كما تهز الوتر
أنامل رقيقة ، فما شككت في أن صوتي سيتهيج
إن أقيت عليها سؤالاً آخر ، فتريت ؛ وبدت لي
دقة الموقف وأيقنت ببطء التحقيق إذا قدر لي أن
أقف كالدائح بين السؤال والسؤال . فاستجمعت
ما بقى عندي من شتات القوة والعزم وهيئمت
بأسئلة لا أنتظر الجواب عنها إلا جملة ، وقلت لها
تكلمى في كل هذا ... ولبثت أنظر ، فعلمت منها
المحب العجاف ! إنها حتى الآن لا تعلم ما جرى
للمجنى عليه ! فقد أيقظوها من النوم الساعة
وجاءوا بها أمامى دون أن يذكروا لها شيئاً ؛ ولم أشأ
أن أخبرها الآن بما وقع وقد آنت منها أشياء
لا يدركها إلا مجرد الأحساس ...

سألها : ألم يخطبها خاطب ؟ فكان الجواب :
بلى ؛ آخر من تقدم إليها حتى جميل لم ترفضه ، ولكن
زوج أختها وهو في مقام ولها تردد في القبول كما
تردد دائماً في قبول الأيدي الكثيرة التي ارتفعت
تدومها كما ترتفع أيدي المؤمنين باللهاء ! ...
« أو تحقدين عليه من أجل هذا ؟ » . فكان
الجواب كذلك : لا ، قالتها في نبرة حارة ؛ حرارة
خاصة أدركتها كذلك بإحساسى . « وهل كان
بينك وبين الفتى الخطيب اتصال ؟ » . نعم لقد
اجتمعنا أمام الدار مرتين في لقاء برى . وقد
علم أنها لا تكرهه زوجاً ، ولكنها تكره مخالفة
ولها . وذلك الولى ما غايته من رد الخطيبين

ثم سمعت المأمور يتنهر المتوء قائلاً له : « افطن لنفسك . صاحبك غرقت في الرياح من سنتين ... » ولم يكن في عقلي وقتئذ غير صورة الفتاة في إطارها الأسود وصرها التي لم أنفذ إليه بعد . إن سرها هو سر القضية . وإنى لتدفعني إلى استجلاء الأمر رغبة لا شأن لها بالعمل . إنى أيضاً أريد أن أعلم . وسارت القافلة حتى بلغت مصرفاً متسعاً عميقاً زاخراً بالماء ، ركبت عليه خشبة من جنود النخل في عرض الذراع . وأراد الخفير أن يدفع في هجز حصاني ليجتاز بي المصرف على هذه الخشبة التي في ضيق الصراط فانتبهت وصحت :

— أنت مجنون يا خفير ... أمرٌ من هنا أنا والحصان ؟

فبنت على وجه الرجل دهشة :

— سبق لك يا سعادة (البك) المرور من هنا بالليل أنت والحصان

فنفرت إلى الخشبة في شبه رعب :

— أنا ؟ عديت بالليل المصرف من هنا على هذه الخشبة ؟ وكنت وقها فوق الحصان ؟ مستحيل !

— الطريق واسع يا بك والحصان عاقل ...

ولم أرد أن أصنى إلى كلام الخفير أكثر من ذلك . فإذا كانت هذه الخشبة طريقاً متسعاً في نظر هذا الرجل فهو من غير شك سيجتاز الصراط في الآخرة راكباً جلا . أما عقل الحصان فإن ضمنه هو ، وهو ليس راكبه ، فما يحملني أنا الراكب على هذه الضائقة الخطرة ؟ وأسعرت قنزلت إلى الأرض واجترأت المصرف ماشياً على قدمي فوق الخشبة ، معتدلاً على عصاي ...

توفيق الحكيم

(يجمع)

فاستويت على قدمي إذ ذكرت للفور أن جلسة الجليح اليوم ، وقد فاتني أن أدبر الأمر من الليل حتى يخلفني فيها نائب من الزملاء ؛ فلا مفر لي إذن من العودة العاجلة حتى أحضر الجلسة في الميعاد .

— يا حضرة . المعاون ! هات البنت في « البوكس » ...

وأقفلنا المحضر على أن نستأنف التحقيق بعد الجلسة في دار النيابة . وقتنا إلى « الركائب » فامتطيناها عابدين .. والشيخ عصفور خلفنا يصيح ويلوح بموده الأخضر في حركات التأثر المحتاج :

— هي بعينها !

والمأمور يمجيه :

— اعقل ... !

— هي بعينها ، برمشها .. عرقها ، برمشها .

— اعقل يا شيخ عصفور ، وافطن لنفسك ، تقع من فوق الجحش !

ودب التنب في أعضائي فأنحنيت على ظهر الحصان ، ولكن نسيم الصباح الرطب كان يضرب وجهي ضربات خفيفة كأنها لطات مروحة في يد ماجة ظريفة ، فلم أفقد نشاطي وطفقت أفكر ، وإذا غناء المصفور يرتفع بنبقة شديدة كأنه شيء قد انجلى مع قلبه :

— ورمش عينها يفرش ..

ولم أسمع البقية ، بل سمعت شيئاً سقط على الأرض فالتفتنا فالتفتنا الشيخ عصفور بأطواره على الأرض قد فرش ... فوقتنا . وأسرع إليه الخفراء فخلعوه إلى حماره ، فاستوى عليه وهو ينفض عن جسمه التراب صائحاً مستأنفاً :

— ... على فدان ..

.. وسمعت المأمور ومساعدى يضحكاهن ضحكاً صافياً .



مَنْ اعْتَرَفَ الْفُؤُوسَ



اعتراف فتى العصر

لألفريد موسى

بقلم الأستاذ فليكر فارسي

موسى

منيت في شرح الصبا بطة نفيسة تروعت لها
ثلاثة أعوام ، وهانذا أسرد ما تحمله منها
ولو أننى كنت المصاب وحدى بهذه الملة .
لاخترت كتبها ، ولكن الكثيرين يشكون الداء
الذى أشكو . فالى هؤلاء أوجه رسالتى ، وسواء
استوقفهم بيان أو حروا به غافلين ، فان هذا البيان
سينهش ما أطبقت النوائب عليه من كآبهمش
التململ رجله ليتركها للفخ وينجو بنفسه

الفصل الثانى

في إبان الحروب الامبراطورية ، بينما كان الآباء
والاخوة في بلاد الألمان ، قذفت الأنهار المضطربات
هذا الوجود بسلاطة شاحبة عنيفة مستمرة الأحشاء ،
تلك سلاطة تخضعت الحياة بها بين معركتين ،
وريت في المدارس على دوى الطبول ، فسكان إذ
ذاك ألوف من الأولاد يمدح بعضهم البعض الآخر

في مثل هذه السنة منذ قرن كامل كتب ألفريد
دى موسى الأديب الخالد كتابه (اعتراف فتى
العصر) ليصف الأدواء التى استعصت بأبناء جيله
بعد أن اجتاحت أوروبا بأسرها أعاصير الحروب ،
ووقلت على أطلال عالم مندثر شبيهة نصرت آمالها
وتزعزع لمعانيها

ولقد رغب الى الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات
صاحب الرسالة التى تتر آفاقى الفرق الرقنى بالحكمة ،
وصاحب الرواية التى يغتر لها من الأدب العالمى أصفاه
مورداً لتثقيف الرواطف الحائرة في النشر الجديد ، أن
أترجم هذه الصفحة الأدبية الخالدة ؟ فنزلت عند رأيه
لأنه صادف هوى فى نفسى ، إذ أنى أرى ما يراء الأستاذ
الكبير من أن اعتراف فتى العصر هو خير ما يهدى
لشبية العريضة الواقعة على أطلال حضارتها القديمة
منطلقة الى مستقبل مجهول ، حائرة بين تذكاراتها وآمالها .

عن الاسكندرية فليكر فارسي

الجميع الأول

الفصل الأول

لا يدون تاريخ حياة من لم يبتل الحياة ،
فا أكتبه ليس تاريخاً لحياى

وكان أبناء ذلك العصر ينشقون الحياة تحت تلك السماء الصافية الأديم حيث لمت الأجداد وتوجت الأنوار متمسكة على القواذ ، وماجها ت تلك الشبية أنها ممددة للجهاز ، ولكنها كانت تمقد أن (مورات) أرفع من أن يناله الموت ، وكانت رأت أن الامبراطور يمر بين كرات الدافع ويقطع أحد المبار هازاً بنفثات البنادق فداخلها الشك في انسانيته وحسبته من أبناء الخلود

وما كان ملك الموت ليلقي الذعر في روع هذه الشبية وهو منشج برداء البهاء والجلال تصاعد منه أبحر النجيم كأنه بشير الأمل لا نذير الفناء وكأنه ، وقد حصد بمنجله حقولاً من السنابل الخضراء ، استمد منها القوة فلاح غصن الإهاب فاضر الشباب

لقد أصبحت الشيخوخة وهما من الأوهام ، واستحالت المهود كما استحالت التموش أيضاً دروما غفلت فرنسا ممن يدب على أرضها من الماجزين فلم يبق على تلك الأرض إلا إنصاف آلهة أو أشلاء أموات

وقف يوما هذا الامبراطور الذي حسبه الناس خالداً على أكمة أشرف منها على سبعة شعوب تتناحر ، وما كان يدري أين حكمة إلى آخر العالم أم يقف عند نصف العالم ، قر به عزرائيل وبسمة من طرف جناحه دفع به إلى عباب الأوقيانوس الفسيح

وبلغ دوى سقوطه آذان الدول المنطرفة على أسرة الاحتضار فجلست تقاوم أوجاعها ومد المورك راحتهم للتخلص فاقسموا أوروبا ، واتخذوا من وشاح القيصر مرقعات يسترون بها

شزراً وهم يمرنون على القوة عضلاتهم الضعيفة . وكان الآباء الملطخون بالدماء يلوحون للأبناء من حين إلى حين فيرفونهم لحظة إلى صدورهم المحلاة بالذهب ثم يتركهم إلى الأرض ، ويمودون إلى صهوات الجياد

ولم يكن في فرنسا غير رجل واحد يتمتع بالحياة ، أما الباقون فكانوا يجتهدون أن يعلوا صدورهم من الهواء الذي كان ينشق ذلك الرجل ثم يفر به إلى الناس ، وكانت البلاد تقدم له كل سنة ثمانية ألف من شبانها جزية فرضت للقيصر ليتمكن وهو يجرها كالساعة وراده من بلوغ الأجداد التي يطمح إليها ، بل ذلك هو الركب الذي كان يحتاج إليه ليجتاز الدنيا متجهاً إلى الوادي الخفير حيث تراه على جزيرة قفراء تحت أغصان الصفصاف الباكي

وما صرت في التاريخ ليالٍ ساعدة كالليالي التي صرت في عهد هذا الرجل ، وما شوه في أي زمن من الأزمان مثل هذا المدد الفخير من الأسات ينتجين متفجعات باقيات على الأسوار والحصون ؛ وما أصنى الناس برهبة إلى من يتحدثون عن الموت إصغاءهم في تلك الأزمان ، ومع ذلك لم يشهد التاريخ مثل ما تجلى في ذلك العهد من سرور ومن قوة حياة ، وما أوقدت موسيقى الحروب من حماس في كل القلوب ؛ وما لمت في فرنسا شموس كتلك الشموس التي جففت على الأرض أنهاراً من الدماء ؛ وكان الناس يصفونها بشموس أوسترتز ويمتقدون أن الله أعانها بشرقها لخدمة ذلك الرجل ؛ غير أنه هو كان يطلقها من أفواه مدافسه المرعدة فلا تنمقد من نيرانها النجوم إلا في اليوم التالي لمباركة .

الحروب للحروب ، وراودت أحلامهم طوال خمس عشرة سنة تلوج موسكو وشمس الأهرام . وما كانوا يخرجوا من مدائنهم ، ولكن قبل لهم أن أبواب كل من هذه المدن تقود الى عاصمة من عواصم أوروبا . لقد كان العالم بأسره مأثلاً في خيال تلك الشبيبة ، ولكنها كانت تجنل أبصارها على الأرض والسماء والطرق فتراها كلها مقفرة خالية ، ولا تسمع إلا رنين أجراس الكنائس تقررع الهواء من بعيد

واجتازت الحقول أشباحٌ ناعلة تنخطر على

مهل ساحة أردانها السود

وطرقت الأشباح أبواباً أخرى لتبرز للسكان أرواقاً أخفها الزمان ، وتأمرهم بأخلاء منازلهم .

وانفجرت الحدود الثقلة عن رھط المهاجرين

الذين هرعوا الى فرنسا ولم تزل على وجوههم آثار

ما تزل بهم من الخوف منذ عشرين سنة . وساد

الصخب وعلا الضجيج ، فدهش العالم لمحنة واحدة

تستجلب مثل هذا العدد الفير من الغربان

وجلس ملك فرنسا على عرشه وهو يقاب

نظره في رياش قصره خشية أن يكون قد بقي

عليها أثر من شارات الأجداد البائدة ، فتألب حوله

رھط المائتين عمد بعضهم يد الاستجداء فينهضهم

بالمال ويقدم البعض الآخر له صليبا فينهض مقبلا

هذا الصليب

وناجاه البعض بالديج والاطراء فأشار الى مثل

هؤلاء بالذهاب الى القاعة الكبرى حيث تتكفل

للأسداء بأذاعة عجد الملك العظيم ... وزحف

آخرون عند أقدام العرش عارضين ما أخلق الزمان

من أردبتهم وقد نزعوا عنها شارات العهد البائد ،

يواصل المسافر السير بالسرى ويقتمح الحر والقر ووجهته مقره عياله دون أن يشعر بثقل السهد أو يبالي بما يحدث به من أخطار إلى أن يستقر بين أهله ويجلس أمام الموقد ؛ حينئذ يجمل عليه التعب فلا يجد في عضلاته من القوة ما يستعين به على الزحف إلى مرقدته ؛ وما كانت فرنسا حينذاك إلا مثل هذا المسافر حين مات قيصرها فتملت ، شمعت فجأة بما أختها من جراح ، فسقطت لاتى واستفرقت في نومها حتى حمىها ملاكها الشيوخ ميتة فطرحوا عليها الأكفان البيضاء

ورجع الجيش القديم فلولا أرهقا الصياء وملا

المشيب مفارقها ، فعادت الأنوار تشع حزينة في

باحات القصور المظفرة

حينئذ أقبل رجال الامبراطورية الذين جاؤا

الأنظار ومسلوفاً دماً على نساءهم الشاحبات ،

ويقولون متحدثين عن الترام القديم ، وتحولوا إلى

مياه الندران ينظرون فيها الى وجوههم وقد خدوها

الهرم فتذكروا أبناءهم وهم يقتربون الى الحين الذي

يذكر الانسان فيه من ينعض له أجفانه

وخرج الأبناء من المدارس ، وإذ لم يجدوا

لا سبوغا ولا دروما ولا فرسانا ، أجالوا الطرف

مفتشين عن آبائهم ، فقبل لهم أن الحرب قد انقضى

عهدا ، لأن القيصر قد مات ، وأن سورتي ولكنن

وبلوخر مملقتان على جدران السفارات ، وقد كُتب

تحت كل منهما : (نَحْنُ الصَّامُونَ)

في ذلك الحين ربضت على أطلال العالم القديم

شبيبة تتنازعها الجموم

وكان كل هؤلاء الشبان تقط من الدماء المحرقة

التي غمرت وجه الأرض . ولجوا في أحضان

الصحريه ، ولكنهم شاهدوا وهم عائدون إلى مساكنهم ثلاث جثث لثلاثة شبان تجرأوا على التلطف بكلمة الحرية ، فرت على الشفاء ابتسامة ملؤها الأمل

وارتقى النابر بعد ذلك خطباء آخرون فتكلموا عن مساوى الحروب وأخطار الانتفاض ، وأفاضوا بذكر الطامع وتكاليها قائلين إن الحروب مذابح والمارك مجازر . وتكلموا تكراراً وتكلموا طويلاً حتى تمرّت النفوس من أمانها كما تنمرى أشجار الخريف من أوراقها ، فكان السامعون يمدّون أيديهم إلى جباههم يتلصصونها كما يتلصص المصوم موضع شعوره وهو يفتق من غيبوبته

وقال البعض لقد سقط الامبراطور لأنه أرهق الشعب ، وقال آخرون - إن الشعب أراد الملكية بل الحرية ، بل سيادة العقل ، بل سيادة الدين ، بل الدستور الانكليزي ، بل الحكم المطلق . فارتفع بين هؤلاء المفتريين صوت قائل - لا ، لم يرد الشعب شيئاً ، إن ما أرادته الشعب هو أن يرتاح (يقنع) فليكس فارس

فكان الملك يأمر هؤلاء الخونة بالخلع السنية ... وكانت الشبيبة تشهد هذه المهازل متوقية ظهور خيال القيصر على شواطئه (كان) ليرسل عاصفته الكاسحة على هذه الحشرات

تمترت الآمال وطال السكون ، فلم تلج في الأفاق غير الزنابق الصفراء شارة الملكية التحككة وسأل الفتيان عن الأجداد فقيل لهم : اعتنقوا الكهنوت

وسألوا عن الأمانى فقيل لهم : اعتنقوا الكهنوت وسألوا عن الحب والقوة والحياة فقيل لهم : صيروا كهنة

واعلى المنبر في ذلك الزمن رجل يحمل عقد اتفاق بين الملك والشعب ، فقال : جملة هي العظمة والطامع والحروب ، ولكن هنالك ما هو أجل منها جميعاً : هنالك الحرية

فرفع الفتيان رؤوسهم وتذكروا أجدادهم الذين تكلموا هم أيضاً عن الحرية ، وعادت إلى غيلتهم تلك الدى الرخامية التي كانوا يرونها في زوايا بيوت آبائهم ، وقد تددت شعورها ونقشت على قواعدها تواريخ رومانية

وتذكروا أيضاً أنهم شاهدوا أجدادهم في ليلة تتسم بهزّون رهوسهم ويذكرون ممالك تفجرت فيها الدماء بما يفيض عن النهر الذى أسأله الامبراطور . لذلك دوت كلمة الحرية في أذان هؤلاء الفتيان بصوت نبضت له قلوبهم كأنهم يصخون في آن واحد إلى صوتين : أحدهما صوت الذكري البعيدة المروعة ، وثانيهما صوت الأمل المنشود يتراجع من مستقبل أبعد من الماضي

هزت كلمة الحرية هؤلاء الفتيان بنشوتها

قصص اجتماعية

من: محمد باقر بن محمد بن عبد الله بن عبد الله

مجموعة من القصص الرقيقة الفاتحة لثمانية من أعمال الأدب الفرنسي م : بورجييه - كوييه - أناتول فرانس - موبسان - تيريه - مارسيل برينو - دي بانيل - جان لوران - مع تراجمهم النقدية - ومترجمة بأسلوب فائق في ثلاثة عشر صفحة طبع دار الكتاب ثمته ١٠ قروش وبيع مؤقلاً ٦ قروش بنضم ٤٠ ٪ عدا البريد وهو قرشان لدخل القطر وأربعة خارجة ويطلب من إدارة الرسالة ، ولجنة التأليف والترجمة وجميع الكتاب



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة :

هذه هي القصيدة الثانية الخالدة ، واللحمة المعبرة الكبرى ، للفاهم اليوناني الأعظم هوميروس ، تقدمها لقراء الرواية ، كما قدمنا أختها (الألياذة) لقراء الرسالة من قبل . وستكون ترجمتنا للأوديسية كترجمتنا للألياذة أى ترجمة تلخيص ؟ فقد وردت في تنايا القصيدة تنف أسطورية لأصبر لجمهرة القراء على اللام بها . ومن أجل ذلك آثرنا إظهار الصور الهوميرية الرائعة التي اشتملت عليها الملحمة دون الحواشي الربكة التي تلف روعة هذه الصور

هذه ، والأوديسية مرتبطة بالألياذة ارتباطاً هيناً بحيث لا يعمل بين من لم يقرأ الألياذة وبين هذه الترجمة ، وسنبينه في شرح النقط (القليلة) التي تقتضى المود إلى الألياذة

نصير

لم تكن حرب طروادة معركة بين طائفتين من الناس خفيب ، بل كانت كذلك حرباً عواناً بين طائفتين من الآلهة : أحدهما — وفي مقدمتها

مينرفا (بالأثينا) — تؤيد اليونانيين ؛ والأخرى — وفي مقدمتها أبولو وڤيتيون (بوسيدون) — تؤيد الطرواديين . وقد تناولت الألياذة ذلك الصراع الطويل المائل الذي نشب بين الطائفتين تحت أسوار طروادة ، والذي انتهى بانحسار الطرواديين ، وغلبة اليونانيين ، وحرق طروادة وتخريبها . أما الأوديسية فتقتصر على عثمى واحدة من عقبات تلك الحرب ، ألا وهي عودة البطل العظيم (أوديسيوس) ^(١) إلى مملكته إيثاكا بعد مجازفات جمة وعقبات كثيرة اقتحمها جميعاً بمد طول الجلد والصبر الجليل ، واحتمال أذى (ڤيتيون) رب البحار وألد أعداء أوديسيوس .

ولقد ظلت ملحمتا هوميروس (الألياذة والأوديسية) المين الذي لا ينضب لجميع شعراء اليونان ؛ فكلمهم اتخذوا منها موضوعات دواماتهم ، وكلمهم كانوا ينظرون إليها كعظم الأعلی الذي لا مثل لهم فوقه .

(١) Odysseus أو أوليسيز Ulysses كما سميناه في الألياذة

والآثم، ممزقين في دار الغربة كل ممزق، يتجشمون
المصائب والأحوال، ويتخبطون بين موج كالجبال،
ويخلصون من بحر إلى بحر، ومن رَوْع إلى رَوْع.
فاذا أرسوا على أرض وظنوا أنهم نجوا، أفرزهم
فيها غير الذي رجوا ...

ولقد رقت قلوب الآلهة، وودوا لو أدر كوا
برحمتهم أوديسيوس ... إلا نيتيون الجبار، رب
البحار، الذي يضمر للبطل في أعماقه كل كرامة
وكل بشطاء، وآلى أن يسب على رأسه كل تلك
الأرزاء ...

وحدث أن كان نيتيون في حرب مع الأثيوبيين
فانتهزها الآلهة فرصة سائغة، وعقدوا مجلس الأولمب
في ذروة جبل إلبا، وتفضل الآله الأكبر،
زيوس^(١)، فاقتتح الجلسة بكلمة خلاصة توجع فيها
لما يلقاه بنو الانسان من صروف الحدئان، واستطرد
فذكر مأساة أجا ممنون السكين وما لقيه على يدي
زوجه وعشيقها الأثيم إيجستوس^(٢) من غدر وغيلة،
ثم أحمى باللائمة على هؤلاء البشر البائسين الذين
يقولون إن كل ما يصيبهم من خير وضير هو من
عند الآلهة، وما هو إلا من عند أنفسهم ... ولكن
لا يفهمون!

ثم نهضت ميرثا ربّة الحكمة، ذات السينين
الزرجديتين، فأبدت ما قال أبوها سيد الآلهة،
وأثنت عليه، ثم ذكرت أوديسيوس ... « ذلك
التمس السكين الذي تحبّطه ومحبه البحر،
وقضى عليه — دون أقرانه جميعاً — أن يشقى هذا
الشقاء الطويل، عند عروس الماء الفاتنة كاليسو

(١) Zeus أو Jove أو Jupiter

(٢) هرشنا بكل ذلك في الرسالة في المجلد الثاني من
السنة الرابعة

ولقد خصصنا لقراء الرسالة درامات إسخيلوس
وإحدى درامات سوفوكليس، ورأينا كيف كان
هوميروس رائدهما جميعاً كما كان رائد أقرانهم من
قبل ومن بعد: بندار وهسيود ويوربيدز ...

— ١ —

أنشد يا هوميروس !
وظل في غم الأبد قيثارة المُرّة، ونائيّة
الطرب، وعوده الآن، ونمته الحلوّة الحنون !
أنشد يا شاعر المصنّر الخالي
وحلّ في الأسماع موسيقى مدوّية، وفي الديون
دموعاً جارية، وفي القلوب رحمة ومحبة ؟ وانفج
عرائس الشمر من لدنك سلطاناً، وحكمة وبيانا،
ومريراً ووصلحانا

تفنّ يا شاعر أولمب !

ولترسل من جنتك نعمة تنظم الأفلاك،
ورنة تجلجل في الأفق، وآمة تزلزل قلوب الجبارين !

سقطت اليوم^(١) ونزع المنبر بخيلة ورجله .
فتمأى يا عرائس الفنون فاقتدى أوديسيوس في
ذلك البحر اللحيّ يذره ؟ موجة تلبسه وموجة
تخلمه، لا يعرف لمملكته ساحلاً فيرسو عليه،
ولا شاطئاً فيقصد إليه ... يخبط في البيم على غير
هدى، ويرسل عينيه في الماء والماء على غير
بصيرة ... زرقعة متصلة في السؤو والسفل، وتيه
لأنها في يخبط في أحشائه أسطول السادة المنتصرين ...
والأقدار وحدها تسلم لم ضل أوديسيوس
بجنوده في ذلك المباب، وقد عاد كل أقرانه إلى
هيلاس بمد طول النأي وشحط الدار، إلا هو

(١) Ilam هي طروادة

إلى مولاهما أن ينفذ ولده هرمز إلى جزيرة أوجيجيا ، بنيامين عروس العلاء كاليبسو أن تمد ضربة عظيمة لأوديسيوس ورفاقه ليتودوا عليه إلى أوطانهم ؟ ثم ذكرت أنها تستضي من نورها إلى إيثاكا حيث المشاق المآكين يحاصرون قصر بنوب ، وحيث ابن أوديسيوس النكود ، تلياك ، يشهد خراب مملكة أبيه ولا يستطيع أن يحرك ساكنا لصغر سنه ... « إلى سألبي إحسانه ، وأفتح عينيه على ما ينبغي ... سأجعله يخرج من هذه المزلة الممية ليبحث عن والده ، فانه لم يمد طفلاً بعد ... »

وانطلقت ميترفا فربطت نعلها السحريتين على قدميها الجليتين ، وحملت رعبها العظيم الذي تقطر الناي من سنانها ، ووضعت نأجها الرزح على رأسها الكبير ، وأطلقت ساقها الرمح ، حيث كانت بعد لحظة على مقربة من قصر أوديسيوس ، فغطت من البناء إلى الأرض ؟ وفي لحة انقلبت فالتفت شكل آدميين ، وتغايبت في جبان الأمير منتس^(١) وطيلسانه ، ثم تقدمت فدخلت ردهة القصر الواسعة ، حيث اجتمع المشاق المجانين من أجل ولية ، وتلفتت بمنة ويسرة ، ورأت الفتى السادر السام الحزين تلياك ، وقد تمقتت فوق جبينه هموم ... وهموم ، وتمقتت ملء أسأريه الآلام ... والآلام

وما هو إلا أن لها تلياك حتى أخذه من هيبته شيء عظيم ... ففبت للقائها مسرعاً ، ثم مد لها يده مصافحاً وهو لا يعرف من هي ، وقال :

(١) يروي أن منتس كان بحاراً غنياً وكان يحمل هوميروس في رحلته الواسعة من غير أن يعرفه ، ولذلك كان هوميروس يظن اسمه بذكره هكذا في الأوديسيه

في جزيرة أوجيجيا ، ثمانية أعوام أوزيد . ماذا نه ؟ ما جريرة ؟ لماذا بني هذا البعد الصالح في أقصى الأرض يا أبي ؟ إنه خير عبادك أجمعين . أذكر كم ضحى الأنصيات باسمك ، وقدم القرابين من أجلك ، وحارب أعداءك ، وجاهد شانتيك ! لقد نعى إلى أن كاليبسو تحاول جاهدة أن تستميل قلب البطل ، وأن تنسيه وطنه إيثاكا . . . بالول ! كيف يا أبناء ! وهذه الزوجة التابعة بنوب ! بنوب المحزونة المرزأة ! بنوب التي صبرت وصارت طوال هذه السنين على ما كرستها الدهر به من بعد زوجها ؟ بنوب التي أحافظت على طهرها وإخلاصها ؟ أظن هكذا سجيته في قصرها النيف الباذخ ، ويظل هذا القصر محاصراً بمشاقها المجانين من أسراء الأقاليم ؟ أبي ! يا سيد الأولب ! ألا تترك رحمتك أوديسيوس ، وترده إلى وطنه ليذود هذه الكلاب التي ولدت في حوشه وكادت تمخوض في عرشه ؟ تداركه يا أبي ؟ تداركه بمطقة واحدة منك ، وإفك على إنقاذه لقوى مكين »

واستجاب لها سيد الأولب ، وقضى أن يعود أوديسيوس إلى إيثاكا ؛ لكنه ذكرها برب البحار نيتيون ، وذكرها بما بينته وبين البطل من تراث وقاترات ، « سببها هذه القملة الجنونية التي فعلها أوديسيوس واحد من السيكلوس^(١) ، أبناء نيتيون إذ اقتلع عينه الواحدة التي كان ينم بوساطتها بزينة الحياة ... إطمئن يا بُنية وقرى عيناً ... إننا نحن الأولون ، وسيري نيتيون أنه لن يغاب الألهة مجتمعة أبداً ... »

وشاعت النبطة في أعطاف ميترفا ، وتضرعت

(١) سيأتي ذكر ذلك في الكتاب العاشر من الأوديسيه

ولكن ... أواه ! ... أين هو ! أين أوديسوس العظيم الذى انقضت عنا أخباره ويُسنا من عوده إلى دياره . ولكن حدثني برك من أنت ؟ ومن أى الأقاليم قدمت ؟ ومن رجال البحر الذين ألقوا مراسيمهم عند إيثاكا ؟ أغريب أنت أيها السيد ؟ أم كنت فيها خلا من الزمان من أصدقاء أبى وأجابه ؟ »

وقالت ميروفا ذات العينين الزرجيتين :
« ليهذا بك يا أبى ، فاني مجيبك على كل ما سألت . إنك ترى الآن منتس أمير (جزيرة الطافيين) البحارين ، وسليل انخيايوس الكبير . ولقد أبحرنا من جزيرتنا ميممين شطر جزيرة النحاس من أجل ذلك المصدق الثمين ، وسفاننا ملقية مراسيمها بالقرب من غلات (نيوس) . ولقد كنا وما تزال من أحب ضيفان أليك وأودم إلى فؤاده ، فلما سمعنا بما حل به من شدة ، وبيته من لأواء إستوحينا آلمتنا فغيرنا أنه لابد عائد إلى وطنه سالماً غنياً ، وأنه لابد منتقم من هؤلاء التجار الأشرار ... ولكن خبرني بأربابك ، أى الحق أنك لآنت ابن أوديسوس العظيم ؟ إن ملاعك تشبه ملاعك ، وإنك قريب الشبه منه جداً ، وإن هذا البريق الذى يشع من عينيك هو نفسه الذى كان يشع من عيني أوديسوس ، يا للآلهة ! كم سمحت إلى أليك قبل أن يشد رحاله إلى طروادة ! فهل يقدر لي أن أسمر إليه مرة أخرى ؟ إننى من من وقتها إلى اليوم لم أره ، وهو كذلك لم يرني ... ما أشوقني إليه ! ما أشوقني إليه ! ... »

وشاع يرق من الأمل في نفس تلياك فقال :
« ويحك أيها الصديق ! إننى أنا ابن أوديسوس ما في

« مرحباً مرحباً بالغريب المكرم ! هلم فشارك في ذلك القصرى ، ولتحدث بدمها فيما أقدمك إلينا . مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً ! ... » وإذلف نحو الصالة المزخرفة وتيمته ميروفا ، وفي عنانها زعمها الجبار الذى يقدر من ستانه الشرر ؟ حتى إذا بلغا العمود الأكبر الذى أسندت إليه مئذات الراح ، والذى كان أوديسوس يسند إليه رماحه وعدة حربه ، تناول تلياك الرمح وأسند يده جهده ، حيث برز بكل عظمته وكل جلاله بين رماح المشاق الفاسقين . وتقدم نحو أريكة وثيرة منمزالة ، وسأل منيراً فاستوت عليها ، وكأنه عابث من أن يستمع إليهما أحد ... وأقبلت جارية فيثاة وثامة تحمل طستاً وبريقاً من الذهب ، فصببت الماء على يدي الضيف وبدي تلياك ؟ ثم مضت فأحضرت مائدة نسقت عليها الرود والياحين ، ونشط النادل^(١) يحمل أطباق الطعام والفاكهة والحلوى ، فباتى بها ملأى وعفى بها فارغة ... والتدمان^(٢) فيما بين ذلك يجذب الرق^(٣) إليه ويسقى ... ثم يسقى ... وشرع المشاق المجرمون بدورهم يلتممون ما لدهم وطاب من آكل وشراب ... حتى إذا انتهوا شرع فيميوس فايه وانطلق يبنى وانتهز تلياك فرصة انصراف القوم إلى لهوم وشرابهم فسامل الضيف قائلاً :

« يا أعز الأصدقاء ! أرايت إلى أولئك الفساق ، لو أن رب البيت هنا أكلوا يلهون لهوم هذا أو يفسقون فمهم هذا ؟ كلا ! لقد كانوا إذن أسرع إلى الحرب ، منهم إلى ذاك الطرب ؟ »

(١) النادل خادم المائدة

(٢) التدمان ساقى العراب

(٣) الرق قربة الخمر

الوفية ... الأم الكلوكة ... يملأ ... يملأ ...
البابية المحزونة المصدرة : كثر أوديسيوس الذي
لا يبقى ! يملأون يدها ولا يرحون وقاءها وبكاءها
ولأواءها ... فلا تستطيع أن تردم لجزءها ، ولا
تستطيع أن تبجهم وهي لا تدرى من أسر زوجها ...
وم طوال هذه السنين يربون نساء أبي ، فكيف في
أشرب وأكال ، حتى أفقر الزرع وجف الفرع ،
وما أحسبهم مبقيين على شيء ... حتى على ! !
(يتبع)
درسي غريبة

ظهر مررنا كتابا :

الموجبات في المحادثات

(١) فرنسي وانجليزية وعربي

(٢) فرنسي وعربي مع قصص النظر

تأليف الأستاذ محمد عبد سالم خريج التجارة العليا بليون
ورئيس القسم الأوروبي بدار المحفوظات السوية بالقاهرة
كلما دروس عملية لا تحتاج إلى مرشد ، الأول
بأخذ يدك عن طريق القارة ، والثاني يظل بك على
عقبات النطق ، بكل منها ٥٨ موضوعاً وانما :
مفردات ، محادثات ، رسائل ، صنوان يذلان لك جميع
الصاب ، ليس في غنى عنهما أو أحدهما طالب أو راغب ،
والكتابان مطبوعان بمطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر طبعاً متقناً على ورق جيد

يباعان بجميع المكتبات وتحت كل منها ٩ قروش بخلاف
ويطباع بالجلد من مكتبة مصر بشارع النخلة ، بمصر

ذلك ريب ، والعالم كله شهيد بذلك »
ثم اختلطت الزفة بالخطرة في عيني ربة الحكمة
وقالت : « على رسلك يا تليخوس ! إذن فما هذه
الولائم وتلك السُّمط ؟ وهذا الزحام من أين أقبل ؟
إني لأقلب ناظري في القوم فلا أرى شريفاً ذا حسب
يستأهل أن يُخفى به أو يُقام له وزن ! »

. ويتنفس تلك ويحبب : « أيها العزيز ... لقد
هاجرت الفضيلة من هنا في أثر المهاجر العظيم ،
وكأنها آلت ألا تعود لإلامه ! وكان هو ، تداركته
الماء ! يلقها هؤلاء بنظرة واحدة تكني لتزول
منها الجبال ... وأبناه ! لقد أطمع العاديات فينا
بطول نايه . فيا للنوى ! إننا لا ندرى اليوم أين مقرو
ولا أين مستودعه . ولو قد خر تحت أسوار اليوم
لاجتمع الاغريق من كل حذب هنا ... هنا ...
في حاضرة إيثاكا ليدنفوا دموعهم من أجله ،
وليقموا له نصباً عالياً رفيع الذرى شاهق الأوراق ،
وليكتبوا اسمه الكريم في صحائف صدورهم بمداد
أبدى من التيجيل ... ولكن ... وأسفاه ... !
لقد انتصر انتصار الأبطال ، ثم مضى على وجهه
وراء البحار وفي فجاج التبع ، وغدوما لا تحلم
الحين بنظرة مفردة منه ، ولا الأذن بلفظة عذبة من
لسانه المبين ... تباركت يا آلهة الأولمب ! ماذا
عندك من الأقضية المنجوبة ؟ ! الذئاب ! إني يا آلهة
هذه القباب ! وحوش البرية التي اجتمعت من كل
فج ... من الجزائر المتناثرة في البحر ، ومن اللدائن
الترامية في البر ... من ساموس ودلشيوم
وزاكتوس ومن كل إقليم وكل مصر ... كلهم
يرابطون حول هذا القصر ولا يستحيون ...
الفَساق ! الأوثاب المرابيد ! يطلون يد الزوجة

سلفت قد استطاع أن يصل منه إلى بقعة هي في مستوى عيني ، وليس بين تلك البقعة وبين القمة إلا مقدار ما بين عيني وقمة رأسى . أما ارتفاع الجبل الحقيقي فيبلغ تسعة وعشرين ألف قدم ، وما يقى منه يتعدى مثاليه يبلغ الألف نجسب ، بل إنه في الواقع دون الألف بقليل

وسياتى عاجلاً أو آجلاً اليوم الذى يرق فيه الانسان قمة ذلك الهرم الساخر من قدرته . وليس ما يتساءل عنه الآن هو إمكان صعوده ، وإنما سؤاله هو : « متى يكون ذلك الصعود ؟ »

ويرجع تسمية أعلى جبال العالم باسمه هذا ، إلى « سير جورج إفرست » ، الرجل الذى حدد موضعه وقاس ارتفاعه ، وهو على يده منه ؛ وما كان يمكن قبل أن يدنو منه أحد ، فقد ظل الكثيرون من بواسل التسلقين زماناً يرجون الوصول الى قاعدته ليروا ماذا يستطيعون فعله حيال هذا الجبل الشاهق . ولن ينيسر الوصول الى تلك القاعدة الا عن طريقين ، أحدهما يخترق قرية « نيبال » والآخر يخترق قرية « تبت » ؛ ولكن حكام كلا القريتين كانوا يأبون أن يسمحوا لأحد بالوصول الى الجبل . ذلك أنه عندئذ يخاف « أولبوس » عند الأغريق ، أعنى أنه مقر آلهتهم ، ومن أجل هذا ظلوا زمناً مصممين على منع الدنو منه

ولقد قام « سير جورج إفرست » بتحديد ارتفاعه عام ١٨٤١ . وبعد ذلك بثنائي سنوات سويًا برهنت حكومة تبت على مقدار ما تكنه من شعور المؤدة نحو بريطانيا ، بأن سمحت بما كانت تأباه من قبل



من أفق إلى أفق
مغالية جبل
إفرست !

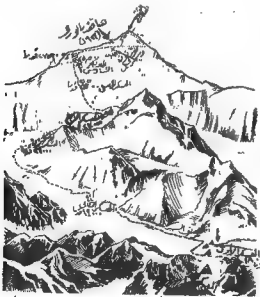
إذا قدر للانسان أن يصل إلى قمة إفرست ، فإنه بذلك يضيف نصراً عظيماً إلى سالف انتصاراته على الطبيعة . وليت شمرى ما غشى أن يجيئ به الأيام في أسر تلك المحاولة الهائلة ؛ على أن الانسان الآن من تلك القمة الشاهقة على قاب قوسين ؛ أجل ليس ثمة الآن من مسافة بين البقعة التى وصل إليها الانسان أخيراً وبين تلك القمة التى تعتبر أعلى مكان في كوكبنا هذا ، إلا بقدر ما تسميه جولة يسيرة . ومن هاتيك البقعة تبدأ المحاولة الكبرى أو يبدأ الامتحان العظيم ، فإن تلك الجولة اليسيرة طالما فهرت الانسان وودنه ، وظلت قمة إفرست على قربها من الانسان قرباً يتعداه ويضايقه ، ثم تطأها إلى اليوم قدم بشرية !

ومن الصعب أن تتبين مدى قرب الانسان من النجاح في تلك المحاولة ، ولكن فلا تحاول أن أبسور الموضوع لذهنك بعض التصوير

هأنذا رجل يبلغ طولى ستة أقدام ، فهل في وسلك أن تتخيل نموذجاً صغيراً لهذا الجبل في نفس الطول ؛ إذا استطعت أن تعمل في خاطرك هذا الجبل الصغير فاعلم أن الانسان في عدة محاولات

ولكن مع أن التسلق لا يبدأ فمّا لا في أول مايو ، فإن ما يسبق ذلك من أهمية يبدأ قبل عدة شهور . فلا بد أن يبحث عن قائد ، ثم لا بد أن يتخير ذلك القائد من الرجال من يصحبه ، وهو في ذلك لا يبحث عن مهرة التسلقين حسب ، بل تراه يبحث عن تقارب قوى احتمالم حتى يواصلوا السير جماعة ، فإن الصمود إلى مثل ما يتنون ارتقاءه من المرتفعات يفقد اللره أترانه ، ويشيع الهياج والاضطراب في أعصابه

ولن يقتصر الأمر على ذلك ، بل لا بد من اعداد أطنان من المؤن وشقي الأدوات وإرسالها جميعاً إلى الهند ، ثم يلتقي الرجال ومعهم متاعهم عند « دراجينج » ، وهناك يستأجر الجالون من الوطنيين وما تطلبه الحملة من حيوانات ، ومن ثم تسير القافلة الطويلة فأصدة الجبل عترة السهول الرملية قارة ، ومتسلقة الشباب المترعة قارة أخرى ! وعند ما تبلغ القافلة إلى قاعدة أفريست نجد نفسها على بعد هائل من مستوى سطح البحر ،



ينشأ المسكو الأول - أو معسكر القاعدة كما

على أن أولى الحملات التي أرسلت على هذا الجبل لم تقع إلا عام ١٩٢١ ، وكانت وجهتها في الحقيقة معرفة ما إذا كان من الممكن تسلقه ليومن البديهي أنهم لو وجدوا ذلك يسيراً فما كان هناك من الأوامر ما يحول بينهم وبين السير إلى القمة ، ولكن الفرض الأساسي للحملة كان معرفة مدى ما يمكن الوصول إليه

ويقع جبل أفريست على بعد ثمانين ميلاً من « دراجينج » أقرب مكان إليه في الهند . ولقد أظهرت المناظير القريبة أن من الممكن تسلقه . على أنه حتى ذلك اليوم لم يتعد أي رجل من البيض في قربه من الجبل أكثر من أربعين ميلاً . ومن للسلم أن ما يقف عليه اللره من للمومات عند سفحه أضاف ما يستطيع الوصول إليه على ذلك البعد ؛ ولكن البعثة على الرغم من ذلك وصلت إلى نتيجتين كلتاها على جانب عظيم من الأهمية : أولاً أنه إذا كان من الممكن تسلق الجبل فلن يكون ذلك لإامن جهة واحدة ؛ والثانية أن كل محاولة لا بد أن بتقرر نجاحها في الفترة ما بين أول مايو ومنتصف يونيو . وعلّة ذلك أنه لا يستطيع أي إنسان الصمود على جوانب ذلك الجبل في معظم شهور السنة نظراً للأحوال المناخية القاسية ؛ حتى إذا كان مايو تحسنت تلك الأحوال بعض الشيء ، ولكن ذلك التحسن لا يدوم طويلاً ، ففي منتصف يونيو يبدأ تهطل الأمطار الموسمية على الهند ، ولن يقف أمر تلك الأمطار عند ما يصحبها من رداءة الجو ، بل إن الثلج في ذلك الوقت يأخذ في الزحف من مكانه وذلك هو الموت

في عروقها متجمدا ؛ وإذا زلت قدمك قيد شبر
فهناك الموت ينتظرك في قرار سحيق ؛ ومع كل
هاتيك الأحوال كثيرا ما يتضارب الحاصلون من
أجل ذلك الامتياز : امتياز حمل الأتقال بين
المسكرات . ولا غرابة بعد ذلك أن يسميهم
التسلقون من البيض « بالجمور »

ولسلك قائد حملة خطته في تمهيتها والسير بها .
وهأنذا أعرض عليك فكرة عامة مما يفلب
حدوثه في تلك الخطط . يتقدم رجلان من البيض
ومعهم ما يطلبون من الحمالين حتى يصير الجميع على
ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم ، وهناك يبنون
المسكر الخامس ويحطون عنده راحلهم ، ليرجوا
أجسامهم المكدودة فترة مما لحما من نصب . وفي
اليوم التالي يستأنفون تصميدهم حتى يلبثوا على
سبعة وعشرين ألف قدم أو نحو ذلك ، وهناك
يبنون المسكر السادس ، فيأوى إليه الأيضان
ويرسلان الحمالين ثانية إلى المسكر الرابع ، وبذلك
يبق الخامس خاليا ، فيسير إليه اثنان آخران من
البيض ويستقران فيه حيث يجدان الكثير من
المؤونة ووسائل الراحة .

وفي صباح اليوم الثالث يخرج الرجلان الأولان
من المسكر السادس ميممين القمة ، فإذا لحقهم
الغشل عادوا إلى المسكر الخامس ، وبذلك يبق
السادس خاليا فيسير إليه صاحب المسكر الخامس ،
ويبيتان فيه ليتهما . حتى إذا تنفس الصباح ، إن
كان ثمة من أصباح ، بما شطر القمة في دورهما وفي
أثناء ذلك يكون الاثنان الأولان في طريقهما إلى
المسكرات السفلى ليرسلا غيرها من البيض كي

يسمونه -- على مدى خمسمائة وستة عشر ألف قدم
من سطح البحر

ومن تلك القاعدة الأساسية تأخذ القافلة في
الضعود ، وراها تقيم المسكرات على مسافات كلا
قطعت مرحلة في طريقها الريب ، ويكون السير
بطيئا متدرجا في الخفة حتى يعود الرجال مقابلة تلك
الرياح المتغيرة . وفي آخر مايو ينشأ المسكر الرابع
عند ما يسمى بالعقدة الثمانية وهي إحدى الشماط
التي تربط أفرست بغيره من سلاسل الجبال ؛ ويكون
ذلك المسكر على ارتفاع ثلاثة وعشرين ألف قدم
وإذا تم بناء المسكرات وضع فيها من المؤن
ما يرجع إليه عند الحاجة ، كما أنه يترك فيها بعض
الرجال ، حتى يكون هناك من الحمالين من يقوم على
طول المسافة متقلين أحيانا من مسكر إلى آخر ،
ومعنى ذلك أن يكون هناك طريق ممدد آمن يربط
تلك المسكرات بعضها ببعض ؛ ويقوم البيض
بتمهيد هذا الطريق وشن عميرات ومسالك في التلج
عند التضاريس الوعرة ، والاستعانة بالحبال
عند الحاجة .

ويكون كلا المسكرين الخامس والسادس
مركزا للهجوم . وإقامة هذين المسكرين من أصعب
وأشق الأعمال ، فإن جانب الجبل في تلك المنطقة
أشبه بسقف المنزل ، ولذلك يندر أن تجد مكانا
لأقامة خيمة واحدة . فاعيك بما يكتنف المكان
من ربح عاصف حامية تلعب الأجسام لها ألما ،
فضلا عن ذلك الزهرير الذي يصل درجة من
الشدة بحيث لو أجلت بك برهة في عمل من
الأعمال وهي عارية من التفاز لابد أن يقف الدم

وفي عام ١٩٢٤ وصلت حملة أخرى إلى قاعدة ذلك الجبل ، ولكن الثلج مالث أن رمى رجالها بقذائفه واستمر عطر وابلاً عنيفاً من دمه ، فبدل أن يصلوا إلى المسكر الثالث في يومين أو ثلاثة ، وصلوا إليه في أسبوعين ، وكانت درجة الجو يومئذ ثلاثاً وخمسين تحت درجة التجمد ، ومن أجل ذلك اضطر المحالون وهم على مام عليه من بسالة أن يستقروا في أماكنهم متلاصقين لا يكادون يستطيعون حراكاً ، حتى تحسن الجو نوعاً فوصل الجميع إلى المقعدة الثمانية ؛ ولكن الثلج لم يرحمهم ورامهم بأكثر عمارمهم به من قبل ، وراح عدد من المحالين ضحية بطشه وجبروته ، وقال البيض كثير من النصب والأعياء من جراء محاولاتهم إنقاذ هؤلاء البائسين ، ولذلك اضطروا إلى أن يرجعوا من حيث أتوا ليستعيدوا قوتهم ويمجدوا عدتهم عند سماعهم الجبل !

وأخيراً بعد عدة محاولات استطاعت تلك الحملة أن تقيم خيمة لمسكورها على ارتفاع ثمانمائة وستة وعشرين ألف قدم ، وهو أعلى مسكر أقيم حتى ذلك اليوم . ولم في ذلك المسكر رجالان من البيض هما « نورتون » و « سمرقيل » ، وفي مبيحة اليوم الرابع من يونيو توجهوا نحو القمة فوصلا إلى علو ثمانية وعشرين ألف قدم ، ولكن « سمرقيل » توقف وتقطعت به الأسباب إذ كان يشكو مرضاً في حلقه ؛ وعول زميله الباسل على الزحف وحده فوصل إلى علو ثمانية وعشرين ألفاً ومائة وستة وعشرين قدماً ، ولكنه ما لبث أن أرغم على الرجوع . وفي تلك الليلة أقعده الثلج بصره !

يستقرا مكانهما في المسكر الخامس على استعداد للزحف

هذه الطريقة يتوفر التسلقون الجدد على التوالي . وإذا كان للثنتين الأولين شرف البدء في تلك المحاولة العظيمة ، فكثيراً ما يصيب من يليهما حظاً أوفر من النجاح ، وذلك لزيادة اعتيادهم تلك الظروف الجوية الرعبة

وصلت أولى الحملات التي أعدت للهجوم على القمة إلى قاعدة أفرست في أول مايو عام ١٩٢٢ وهي السنة التالية للسنة التي وصلت فيها بمئة الكشف والدراسة . ولكن الثلج قعم أعوادهم وأوهن عزيمتهم وقضى على مجهوداتهم بالفشل . سار هؤلاء الأبطال أول الأمر حتى استطاعوا أن يبنوا المسكر الخامس على ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم ، ومن تلك البقعة استطاع بعضهم أن يرقوا إلى سبعة وعشرين ألفاً ، ولكن المواسف الثلجية المروعة كانت لا تفتأ تهدد انخيام بل لم يقتصر خطر الثلج على خيامهم فوصل إليهم في جوالق نومهم ! إلا أنهم على الرغم من ذلك عقدوا النية على مواصلة الزحف ، وتغلب عزيمتهم المصمم فترة على أهوال الثلج ، وما زالوا يكافحون متصربين حتى اليوم السابع من شهر يونيو ، وهنا أثنائهم كارتبة جعلت مواصلة الزحف في عداد المستحيل ، فلقد جرف هيار ثلجي سبعة من المحالين وهوى بهم إلى الموت ميجلين ! وزعماء كان البيض يرغبون أن يضحوا بحياتهم بعد ذلك ، ولكنهم لم يجدوا لأنفسهم الحق في أن يسألوا بقية البواصل من المحالين أن يتبعوهم ؛ وهؤلاء لن يكون لهم نصيب من النخبر إذا قدر للحملة النجاح



عاصفة شديدة على الاحتماء بحميمهم حتى اليوم العشرين من ذلك الشهر ، وفي تلك المدة فقد جميع ما كان بالمسكر من مؤن ، وعلى ذلك فبدلا من أن تواتهم القدرة على الصمود عقب هدوء العاصفة ، نرى أول عمل يقومون به هو تموين المسكر من جديد ، وزادهم نكدًا ما علموه على لسان من أرسلوا الى المسكرات السفلى من مرض أحد المهرة المتسلقين

ولسنا في حاجة بعد ذلك أن نأتي على كل ما حدث من المحاولات للوصول الى القمة ، وحسبك أن تعلم أن « جوجاز » أصيب بتجمد هينيه ، كما تراكم الثلج على أهداب الرجال لجفدها ؛ على أنهم استطاعوا رغم الصعوبات الهائلة أن يقيموا المسكرين : الخامس والسادس ، ولكن لم يقسن لأحد أن يصل الى أبعد مما وصل اليه « نورتون » عام ١٩٢٤ ؛ وما لبثت الأمطار الموسمية أن أرسلت سيولها ، وأخذ الثلج ينهار كتلا هائلة ، فاضطرت حملة عام ١٩٣٣ أن ترجع سهوومة كسابقتها

والآن بعد ثلاثة أعوام تصرح « تيب » ، بالزحف من جديد ، وهناك في المسكرات السفلى يقيم مستر « رتلدج » ورجاله يستمعون الى ما يحمله اليهم جهاز اللاسلكي من الهند من أنباء الجو وحالته ويتطلعون الى القمة في لهفة مقدرين ومؤملين ...

فبالت شعري ماذا تجبؤ لهم الآلهة هذه المرة ؟

وفي تلك الأثناء كان « فالوري » أحد المتسلقين في طريقة على جانب الجبل يريد القمة ، وكان فالوري ، هنا أحد أعضاء البعثة التي قامت بأعمال الكشف عام ١٩٢١ ، ولقد اشترك أيضا في محاولة الوصول الى القمة عام ١٩٢٢ ، فكانت إذا تلك المحاولة التي نحن بصديدها ثالث محاولاته . ولقد زاده اليأس قوة ومضاء ، فمول على السير فأما الى قمة الجبل وإما الى هاوية الموت ؛ ولقد وصل وصديقه « ارفين » الى المسكر السادس وأقاما هناك ليلة ؛ وفي الصباح التالي سارا نحو القمة ويعلم الله وحده ماذا كان أمرها إذ لم تقع عليهما عين بعد ؛ وكانت تلك الأساة المخيفة خاتمة الحملة الثانية ، وبمدها انقطعت المحاولات تمتع سنين

ولا بد أن تكون حكومة « تيب » قد رأت من تلك المآسى أن الآلهة في تلك القمة المستعصية إنما كانوا يتزولون القصاص المادل بمن كانوا يحاولون الدنو من عرشهم ، وعلى ذلك رفضت تلك الحكومة السماح مدة بمحاولة جديدة ، حتى عادت في النهاية فسمحت بها في خريف عام ١٩٣٢ . وسرعان ما بدأت أعمال التهيئة والاستعداد ، وفي السابيع عشر من إبريل عام ١٩٣٣ ، أقيم مسكر القاعدة من جديد

وفي هذه المرة لم تواجه الحملة الثلج خصب بل واجهت المرض أيضا ، يفقد فل المرض من عزائم القائمين بها ، وكان العدد الأقل من هؤلاء الرجال من يصلح حقًا لتلك السمن الهائل . وأول نتيجة لذلك أنهم لم ينتهوا المسكر الرابع الا بعد شهر ، أى في اليوم الخامس عشر من مايو ، ثم أرغضهم

« هائم »

عن الانجليزية

(طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

إدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للقصص والبرائح

نفسر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الأولي

١٥ فبراير سنة ١٩٣٧

العدد الثاني

والأناقة الفرزية ،
والدهن المتصرف اللون ،
فهي التي تجعل من
سواسية بنات الشعب
سيدات وعقائل
كان الألم ياج عليها
عنيقاً كلما شمعت بأنفها
خلفت للنسيم والترنم ،
وهي إغما تعيش في هذا
السكن الحقيق بين هذه

المجلة
La parure
للطبيب الفرنسي جي ربي مرسات
يقلم احمد حسن الزيات

كانت من أولئك
الفتيات الأنينات
الرشيقات اللاتي يحسبن
ولادتهن في أسرة من
أمر الوظفين خطأ من
أخطاء القدر . لم يكن
لديها صديق يحقق
الزواج السعيد ، ولا
رجاء يضمن العيش
الرفيع ، ولا وسيلة

الجدعان الماطلة ، والقاعد الحائلة ، والقماش الزردي .
كانت هذه الأشياء التي لا تظن إليها امرأة
أخرى في طبقها ترمض نفسها بالألم ، وتوقد
صدرها بالغضب . وكان منظر الخادمة الصغيرة
البريتونية التي تقوم على تدبير بيتها المتواضع ، توقظ
في قلبها الحشرات اللاذعة والأحلام الحائرة . كانت
تحلم بالأواوين الصامتة تدبجها الطنافس الشرقية ،
وتضئها المصابيح البرزية ، وبالحاديين الفاضلين في
البراول القصيرة ، وقد كلاًها في القمد الواسع .

تكشفها للناس فتعريف وتفهيم وتحب ، وتزوج
من رجل غني مرمي أمثل ؛ فتركت قيادها للحظ
فزوجها بموظف صغير من موظفي وزارة الماروف
العمومية

كانت بسيطة الهندام لأنها لم تجد زينتها ،
وكانت معذبة النفس لأنها لم تمايش طبقها ؛
والنساء ليس هن طبقة ولا جنس ، وإغما يقوم لهن
الجمال والظرف والفتنة مقام الأصل والأسرة ، فلا
ترى فيهن من تفاوت ولا تمايز إلا بالركة القطرية ،

وتدهش كما كان يرجو زوجها رمت الدعوة على المائدة في غضب وسخط وهي تقول :

— ماذا تريد أن أصنع بهذه ؟

— ولكني ظننت يا عزيزتي أنك تدرين هذا .

إنك لا تخرجين أبداً ؛ وهذه فرصة جميلة ،

حقاً جميلة ! ولقد احتملت في سبيل الحصول على

هذه البطاقة مالا تتصورين من الجهد والمشقة . كل

الناس يرغبون فيها كل الرغبة ، ويسعون لها كل

السعى . وهم لا يعطون الموظفين منها إلا بقدر

سعرين هناك العالم الرسمى كله

فقطرت اليه نظرة الغضب ثم انفجرت قائلة :

ماذا تريد أن أصنع على جسمي في هذه الحفلة ؟

لم يكن الزوج قد فكر في هذا ، ولكنه أجاب في

خفوت وغمضة :

عندك الثوب الذى تذهبين به إلى السرخ .

إنه على ما أرى ملائم كل الملازمة ...

ثم أخذه الدهش والتوى عليه الكلام حين

رأى زوجه تبكى ، وأبصر دمعين غيلطين تتحدران

من زاويتي عينيها إلى زاويتي فها ؛ وقال في غممة :

ماذا بك ؟ ماذا بك ؟

فتحاملت على نفسها بالجهد العنيف وأجابته

بصوت هادئ وهي تمسح الدمع على خديها :

لا شئ ، غير أنى لأملك ما أرتن به ، ولذلك

لا أستطيع الذهاب إلى هذه الحفلة ؛ فأعطت هذه

البطاقة زميلاً من زملائك تكون امرأته أحسن

منى جهازاً وأتم أهبة . فابتأس الزوج وقال : لننظر

في الأمر يا ماتيلا . كم تكلفنا الزينة البسيطة الملائمة

التي تنفيك في مثل هذه المناسبة ؟ ففكرت بضعة ثوان

بحرج الجسب وتنحرجى المبلغ الذى إذا طلبته لا يثير

دهش الموظف الصغير . ولا يوجب رفض الزوج

المقتصد ، ثم أجابت جواب التردد :

لا أعرف ذلك على وجه الدقة ، وأظن أربعمائة

وكانت تحلم بالبهر الفخم بنشيه الديباج القديم ،

وبالأثاث الدقيق يجمله الرياش الكريم ، وبالصالون

الأنيق المطري يحمل لأحاديث المصراع أخضر الأصدقاء

وأنيب الكبراء والأدباء ، بمن يشتهي النساء استقبالهم

ولما جلست إلى المشاء على المائدة المستديرة

والخوان المررد أمام زوجها ، وقد رفع غطاء الحساء

وقال في وجه منبسط ولهجة راضية : « الله !

ما أطيب هذا اللحم ! إنى لم أر أشهى منه ولا ألد ،

كانت هي تفكر في الأعشبة الناعمة الجامعة ، وفي

الأدوات الفضية اللامعة ، وفي نسائج الوشى ترزين الجدر

بصور الأعلام البارزة في التاريخ ، والأطياف النورية

في غابة من غاب عمق . كانت تفكر في الألوان

التهية تقدم في الصفاف المعجبة ، وفي اللاطافات

الفزلة الهامسة تُسمع في بسمة كريمة أبي الهول ،

وهي تأكل لحم السمك المررد ، أو الدراج السمن

لم تكن تملك زينة ولا حلية ولا شيئاً مما تتبرج

به المرأة ، وهي لا تحب إلا ذلك ، ولا تنظر نفسها

خلفت لغير ذلك . وطالما ودت أن تكون موضع

الاعجاب والنبطة ، ومنتمجة الميول والأفئدة . وقد

كان لها صديقة غنية من رفيقات الدراسة فكانت

تسخره أن تزورها ، لأن الألم المضع كان يرافقها

وهي عائدة . وربما ظلت الأيام الطوال تسفح الدموع

النزار إجابة لدواعي الأسف واليأس والحزن

في ذات مساء عاد زوجها وعلى وجهه سمة

الجلال ، وفي يده غلاف عريض ، فقال :

« خذى ! هاك شيئاً لك . ثم فض التلاف بقوة

وأخرج منه بطاقة مطبوعة كتب فيها :

« وزير المعارف العمومية وعقيلته يرجوان

السيد (لوازيل) وعقيلته أن يشرفاهما بحضور الحفلة

المباهجة التي ستقام في ديوان الوزارة يوم الاثنين

١٨ يناير » . ولكنها بدل أن تنبسط وتفتبط

الأشياء هوانًا وضراعة أن تظهر في محضر الأغنياء ،
 يظهر الفقراء . ولكن زوجها صاح بها قاتلا :
 ما أشد غيابة ! اذهبي إلى صديقتك السيدة فورستيه
 فاستميري منها بعض الحلى ، فان بينكما من قديم
 الصداقة ووثيق الملاقة ما يتسع لثل ذلك
 فصاحت صبيحة الفرح وقالت : هذا صحيح !

ومن العجب أنه
 لم يجر على بالي
 وفي صبيحة
 القد ذهبت إلى
 صديقتها قصت
 عليها ما همها
 وغمها ، فلم تكذب
 تسمع شكواها
 حتى أسرفت
 إلى خزانها
 فأخرجت منها
 صندوقاً عريضاً
 وفتحته ، ثم
 قدمت إلى السيدة
 لوازيل وهي
 تقول : اختاري
 يا عزيزتي
 فوقع بصرها



أول ما وقع على الأساور ، ثم على عقد من اللؤلؤ ،
 ثم على صليب بندق من الذهب قد رسمته بالحجارة
 بدستناع . فغربت على نفسها الحلي في الرأ ، ثم
 أخذتها حيرة فلم تقطع العزم على ما تأخذ وما تدع ،
 فقالت لصديقتها : ألم يعد لديك شيء آخر ؟
 فأجابتها : بلى ! اجبني . فاني لأعرف ما ذا يعجبك
 وعلى حين بنته وجدت في علبة من الدياج

فرنك تبليج بي إلى هذه الغاية !

اصفر وجهه قليلاً ، لأنه كان قد ادخر هذا البلج
 بتمامه ليشتري به بندقية يصطاد بها في السيف مع
 بعض الأصدقاء في سهل (ننتير) ، ومع ذلك قال لامرأته :
 ليكن ! سأعطيك أربعمائة فرنك ! فاجتهدى
 أن يكون لك منها ثوب جميل

دنا يوم الحفل
 وزينة السيدة
 لوازيل قد
 هيئت ؛ ولكنها
 لا تزال كما يظهر
 حزينه مهمومة
 قلقه . فقال لها
 زوجها ذات ليلة :
 ماذا تجدين ؟
 إنك منذ ثلاثة
 أيام في حال
 غريبة . . .
 فأجابته : إلى
 ليحزنني ألا
 تكون لي حاية .
 فلا أملك مما
 يتحلى به النساء

شيئاً من معدن أو حجر ؛ وسأكون أحقر من في
 الحفل زيناً وهيئة ، وأرى من الخير ألا أذهب إلى
 هذه الأمسية . فمقب على قولها بقوله :

تتعلمين بالزهور الطبيعية . ذلك أجل شيء
 وأطرفه في هذا الفصل . وبمسرة فرنكات تبتاعين
 وردتين أو ثلاثاً من أندر أنواع الورد . فلم يند هذا
 الكلام على كبدها القريحة وقالت : كلا ، فان أشد

فقد يصيبك البرد . وسأطلب عربة . ولكنها تصامت عن كلامه وانحدرت مسرعة على السلم . فلما سارا في الشارع لم يجدا مركبة فشيا ، وكلا أبصرا على البمد حوزياً صلياً به فلا يقف

أخذنا سبيلهما إلى (السين) هايطين قاطنين يقرقفان من البرد ، فوجدنا بعد لآي على رصيفه مركبة عتيقة من تلك الراكب التي تسير وهي فائقة ، ثم لا تُرى في باريس إلا تحت الليل كأنما تخزي أن تظهر مآنها في وضوح النهار . وكما إلى دارها في شارع (الشهداء) ودخلها حزنين : أمامي فلأنها تنحصر على انقضاء ما كانت فيه ؛ وأما هو فلأنه يترك أن من واجبه أن يكون في الوزارة الساعة العاشرة نضت عن كتفها ، أمام المرأة ، الثياب التي تدرت بها حتى تنظر إلى نفسها وهي في مجدتها مرة أخيرة . ولم تكذب عجل الحظ في جديدها حتى صاحت صيحة منكرة : إنها لم تجد على نحرها تلك القلادة ! فأقبل عليها زوجها في نصف ثيابه يسألها ماذا أصابها ، فالتفت إليه هالمة تقول : أنا ... أنا ... لا أجد قلادة السيدة فورستيه ! فانفض قائماً بصبح وقد هفا قلبه من الجزع

— ماذا ؟ كيف ؟ لا يمكن أن يكون هذا !

وطفقا يبحثان في ثنابا الثوب ، وفي طوابيا المطف ، وفي حبوب هذا وذاك ، وفي كل مكان هنا وهناك ، فلم يجدها . فقال الزوج للزوجة : أنت على يقين من أن القلادة كانت في عنقك ساعة تركت المرقص ؟ فأجابته : نعم ، ولقد لمستني بيدي وأنا في دهليز الوزارة . فقال لها : ولكنك لو كنت فقدتها ونحن في الشارع لكننا سمعنا وقعها حين سقطت ؟ فلا بد أن تكون في المراكبة . فقالت له : نعم . هنا جاز . فهل تذكر رقم المراكبة ؟ فأجابها : كلا وأنت ؟ ألم تلحظيها ؟ فقالت : كلا .

فرنا إليها ورنن إليه وكلامها لا يملك فؤاده من

الأسود قلادة فاخرة من المساس ، خفقت قلبها خفوق الرغبة اللحة ؛ ثم تناولتها بيد مضطربة وتقلتها على ثوبها المجهز فاذا هي على ما صورت في الخيال ، وما تدرت في الأمل . فسألت صديقها في تردد وقلبي : أأستطيع أن تمر بي هذه القلادة ؟ لا شيء إلا هذه القلادة ! فأجابته صديقها : نعم ولا شك . فأهوت على نحرها تقبله في حية وطرب ثم وات مسرعة بهذا الكنز

أقيمت الحفلة الساحرة ونجحت السيدة لوازبل فكانت أبداع من حضرها من النساء رشاقة ولباقة وبهجة . تدفقت في السرور متألفة فاسترعت الأنظار وتصبب الغلوب ، فتسابق الرجال وبخاصة موظفو مجلس الوزراء إلى السؤال عنها والتعرف إليها والرقص معها . حتى الوزير نفسه فقد أتى إليها باله كانت ترقص في نشوة من النبلة وفورة من اللذة ، وقد اغي من ذهنها كل شيء فلم تمد تفكر إلا في انتصار جمالها ، وفي مجد انتصارها ، وفي ظل رقيق من ظلال السادة بسطته عليها التحيات التي قدمت إليها ، والاحجاب التي ائثال عليها ، والربابات التي تيقظت فيها ، والفوز الكامل الذي يهيج بسحره فؤاد المرأة

تركت الحفل زهاء الساعة الرابعة من الصباح ، وكان زوجها منذ نصف الليل قد غلبه النوم فأخذ مرقده في جهو صغير خلا من الناس هو وثلاثة من المدعوين كان نسائهم لا يزالن يقصصن في نشاط ومرح . فلما حتمت هي وهو بالانصراف أتى على كتفها الثياب التي أحضرها للخروج ، وهي ثياب متواضعة مبتذلة تتناثر بمقارنتها مع ألفة ما تلبس من زينة المرقص . وقد شعرت هي بذلك فأرادت أن تتسلل حتى يلحها النساء الأخروهن يرتدن مطاطف الغراء الفاخر . غير أن زوجها اعتاقها قائلاً : انتظري ؛

يمود هو فيشترها منهما بأربعة وثلاثين ألف فرنك إذا ما وجدا القلادة الأولى قبل آخر فبراير كان لوازيل علك ثمانية عشر ألف فرنك تركها له أبوه ، فلامناص من أن يقترض الباقي ، اقتترض ألفاً من هذا وخمسة من ذلك ، وخس ليرات من هنا وثلاثاً من هناك ، كتب على نفسه الصكوك الحرجة ، وأخذ على ذمته اليهود المخربة ، وتردد على كل مراب ، واختلف إلى كل مقرض

عرض آخره عمره بالخطر ، وغامر بأمواله وهو لا يضمن الوفاء بما أذم ؛ وفي حال يرحف لها القلب فرقا بما يتجرعه من هموم المستقبل ، وما يتوقه من يؤس الميش ، وما يخشاه من حرمان الجسم ولوعة القلب ، ذهب يشتري القلادة الجديدة ويضع على منضدة الجوهرى ستة وثلاثين ألف فرنك !

ولما أخذت السيدة فورستيه الحلية من السيدة لوازيل قالت لها في هيئة غاضبة ولهجة جانبية : لقد كان ينبغي أن تردى قبل ذلك ، فقد كنت في حاجة إليها ثم رفعت العلية من دون أن تفتحها ، فكشفت بذلك صديقتها ما كانت تخشاه . فلقد كانت تقول لنفسها : ماذا عسى أن تظن السيدة فورستيه إذا لحظت أن القلادة غير القلادة ؟ ألا تحبيني لسة ؟

ذاقت السيدة لوازيل عيش الموزين المرير الخشن ، وجمت نصيبها من ذلك دفعة واحدة في بسالة وقوة كان لابد من قضاء هذا الدين الفادح وسقضيته . استغنت عن الخادم ، وانتقلت من المنزل ، واستأجرت غرفة على أحد السطوح ، وزاوت الأعمال النليظة في البيت ، وبأشرت الأمور البغيضة في المطبخ ، ففصلت الأطباق ، وأتلفت أطا فرها الزودية في سدا التهدور ودمم الأواني ، (وصبنت) القذر من الأبيضة والأقمصة والخرق ونشرتها على الجبل ؛ ثم هبطت الشارع في كل صباح لتصعد بلقاء وتقف

الجرج . وأخير آ مضى لوازيل فليس ثيباه وقال : سأرجع في الطريق إلى قطعتها على الأقدام فلمل أجدها . ثم خرج وترك اسمائه في ثياب السهرة ، وقد تطرحت من الخور على أحد المقاعد ، لاتشتى النوم ، ولا تغلب الدفء ، ولا تملك الفكر . ثم عاد في الساعة السابعة من غير أن يجد شيئاً . وما لبث أن ارتد إلى دائرة الشرطة يسجل المفقود ، ثم إلى إدارات الصحف يعلن المكافأة ، ثم إلى شركة الدربات الصغيرة يشتد الركبة ، ثم إلى كل مكان يهدبه إليه بصيص من الأمل

وكانت هي تنتظر طول النهار على حلقها الأليمة من الدهول والوله . وفي مساء عاد لوازيل سام الوجه كاسف البال لأنه لم يكتشف شيئاً . ولما أعياء الأمر قال لزوجته : لا بد أن تكتبي إلى صديقتك تخبرني أن مشبك القلادة انكسر وأنتك بسبيل أن تصاحبه . ذلك بعلينا الهلة لتختد تدبير آخر . فكشيت ما أملاه عليها

وفي آخر الأسبوع وقفت آمالها على شفا الياس ، فأعلن لوازيل أن لا بد من وسيلة لنشترى قلادة بدل القلادة

وفي صباح الند أخذت علية الحلية وذهبا بها إلى الجوهرى الذى كتب اسمه عليها فمألا عنها : فقال بمد أن رجع إلى سجلاته : لست أنا يا سيدتى الذى صنع القلادة ، وإنما صنعت هذه العلية فقط . فذهبا يضطربان في سوق الجواهر ينتقلان من صائع إلى صائع فيسألان ويبحثان حتى وجدا آخر الأمر في دكان من دكاكين (الباليه رويال) قلادة من الماس كشبه في نظرها القلادة المفقودة كل الشبه . كان ثمنها أربعين ألف فرنك ولكن الجوهرى رضى أن ينزل عنها بستة وثلاثين ألفاً . فرجوانته الأليبيها من أحد قبل ثلاثة أيام ، وشرط عليه أن

دنت السيدة لوازيل من صديقتها القديمة
وقالت لها : عمى صباحا يا جان !

ولكن صديقتها أنكرتها ، وأذهمتها أن تسمع
إسراء من عرض الطريق تحيها بهذه الألفه ، وتناديها
من غير كلفة ، فقالت مغمضة :

ولكن... سيدتى... لا بد أن يكون هذا الأمر
قد اشتبه عليك . فقالت لها : كلا ! أنا ما تليد لوازيل
فصاحت السيدة صيحة الدهش وقالت : أوه !

صديقتى المسكينه ما تليد ! لشد ما تغيرت بمدى !
فقال : نعم ! لقد كابيت برحاء المغموم ، وعانيت
بأساء الميش منذ غبت عنك ، وذلك كله بسبكك

— بسبكى ؟ وكيف ذلك ؟

— إنك تذكرين ولا شك تلك القلادة
الخاصة التى أعرمتى إياها يوم حفلة الوزارة

— نعم ، وبعد ؟

— إننى أضعتها

— وكيف أضعتها وقد ردها إلى ؟

— لقد رددت إليك قلادة أخرى تشبهها كل
الشبه . وهامى تلك عشرة أعوام قضيناها فى أداء

ثمنها . وليس ذلك باليسير علينا كما تعلمين ، فالتيد
خالية والمورد ناضب والجهد قليل . وقد اتعنى
الأمر والجدد لله ، وأصبحت على هذه الشدة راضية

متنبطة . فقالت السيدة فورستيه فى تؤدة وبطء :

— أتقولين إنك اشتريت قلادة من الماس

بدل قلادى ؟

— نعم ، ألم نلاحظ ذلك أه ؟ إنها لا تختلف عنها
فى شيء وكانت شفتاها قد اقترنا عن ابتسامتها ثم على

الكبر والسذاجة . ولكن السيدة فورستيه أخذت
يديها فى يديها وقالت لها فى لهجة الشفاق والمعجب :

— مسكينه يا صديقتى ما تليد ! إن قلادى

كانت كاذبة ! وما كان ثمنها يزيد على خمسة فرنك .. !

الزيات

عند كل طيقة تتنفس الصعداء من التعب ، وليست
لباس السوفة واختلفت إلى الفا كمانى والبدال
والقصاب وعلى زراعها السلة فقساوم وتقاوم وتدفع
النبن من كل دارة من تقودها القليلة . فاذا تصرم الشهر
وجب عليها أن توفى صكا ، وتجدد صكا ، وتطلب مهلة
وكان الزوج يشتغل فى المساء بتبيض الحساب
لتاجر ، وفى الليل ينسخ صورا من بعض الأصول
كل صنفه بربع فرنك

ودأب الزوجان على هذه الحال عشرين سنين ، وفى
نهاية هذه المدة كان قد أديا الدين كله بسعره الفاحش
وربحه المركب

وكانت السيدة لوازيل قد أخلفت جيدها
وبدت فى رأسها روائى المشيب . وكان من طول
قيامها بشئون المنزل الفقير أن أصبحت قوية غليظة
جافية . تكاد لا تراها إلا شمطاء الشعر ، حمراء اليد ،
مقلوبة الثوب ، ترفع صوتها فى الكلام ، وتفسل
أرض الغرف بإلاء الثمر ، ولكنك تراها فى بعض
أوقاتها تجلس إلى النافذة حين يجلس زوجها إلى
المكتب ، فتفكر فى تلك الأمسية الداهية ، فى تلك
الحفلة الماهرة التى كانت هى فيها سوى القلوب ومراد
الأعين . ما الذى كان يحدث لو أن هذه الحلية لم تنفقد ؟
من يدري ؟ من يدري ؟ إن الحياة غريبة الأطوار
سريعة التقلب ! وإن موتك أو حياتك قد يكونان
رهنًا بأحق الأشياء !

وفى ذات أحد من الأحاد بينا كانت ماتيلدا ترفه
عن نفسها عناء الأسبوع فى رياض الشاتليزيه وقع
بصرها فجأة على السيدة فورستيه ومعها طفل تنزهه
وتروّضه . وكانت لا تزال رقيقة البشرة راتقة
الحسن فتاة اللامع ، فاعتراها لدى مراكها اضطراب
وقلق . أتذهب إليها فتكلمها ؟ نعم ! ولم لا لقد أدت
الآن كل ما عليها ، فلم لا تنفض بكل شيء إليها ؟

فرقين ، وتدل من الجانبين
على أذنها المزدتين من
أسفل ، نتيجة عمل قرط
ثقيل في أيام شبابها
وكانت جاراتها
يملسن دائماً على الأبواب
ولا يبرهن اهتماماً ،

لَيْسَتْنِي مَا وَلَدْتُهُ

للكتائب الأديباني لويجي بيراندلو
بقلم الدكتور حسن صادق

— هل (نفاروزا)

هنا ؟

— نعم . اطرق

الباب بقوة

طرقت (ماراجازيا)

الباب فلم يجيبها أحد ،

فجلست القرفصاء على

الدرجات المؤدية إلى عتبة الباب

كانت هذه المرأة الرزاة تقعى أكثر وقتها في
ذلك المكان ، نائمة نازة ، وبأكية في السكون الشامل
نارة أخرى . وكان السابلة يمرّون بها من حين إلى
آخر ، فيلقون في حجرها قطعة زهيدة من المال
أو كسرة من الخبز ، فيقطعون عليها نومها الهادي
أو بكاءها الأليم . وفي تلك الحال تقبل المال أو الخبز
وترسم على صدرها إشارة الصليب ثم تعود ثانية إلى
النوم أو إلى البكاء والأنين

عليها أسمال باليسة تهتكت من كل جانب ،
أفسدها المرق وأقذار الطرق وذهب بلونها الزمن .
وكانت تفتدو في هذه الثياب التداعية وتروح ،
لانمرق الخلاص منها بوجه ولا حيلة . وكان وجوها
الشاحب المروق قد انتشرت على صفحاته التجاعيد
حتى أصبح لا يرى منه غيرها ، وجفونها الحمر
قد شرقت من طول البكاء ، ولكن عينها احتفظت
بالصفاء السليم الذي يمثل الطفولة العارية من
الذاكرة ولا يتلاءم مع هذه التجاعيد وتلك الجفون
الحمر . وكان الثياب الذي يهيم في الفضاء من حولها
يستطيع عينها فلا تشمر به ولا تطارده ، لأنها
تمسبة غارقة في همومها طيلة الوقت . ولم يبق في رأسها
إلا القليل من الشعر الشمش قد انفرق من الوسط

ويقضين الوقت كله في أماكنهن يرتقن الملاين
أو يهينن البقول للطبخ أو يطرزن ، ولا يكففن
عن الكلام وعن مهمكات في أعمالهن أمام بيوتهن
المنخفضة التي لا ينفذ إليها النور ولا الهواء إلا من
خلال الأبواب . وكانت هذه البيوت الويشة
تستخدم أيضاً حظائر للحيوان ، وأرضها مصنوعة
من الأحجار النائية كأرض الطريق . وإذا ولج
إنسان داراً من هذه الدور ، رأى في أحد الأركان
حاراً أو بفاً يتوجع من جرح أو مرض ، وفي
ركن آخر فراشاً حقيقياً تتراكم من حوله أنواع
مختلفة من الحضر وغلة الحقول ، كل نوع على شكل
ناووس يستخدم مقعداً للزائرين ، ثم كرسيين
أو ثلاثة من القش ، ثم آلات الزراعة مبعثرة على
الأرض ، وعلى الجدران إلى اسودت من كثرة الدخان
الذي يتصاعد إليها بعض صور زهيدة الثمن لا تمت
إلى الفن بأية صلة . ويرى السائر في طريق القرية
التي يختلط فيها الدخان الكثيف بالرائحة البفيضة
التصاعدة من حظائر الحيوان ، أطفالاً يلعبون قد
سفت جلودهم أشمة الشمس ، بعضهم عارى الجسد
كأولاده أمه ، والبعض الآخر مستتر بقميص واحد
كثير الفتوق

وأمتة ، حتى يلقوا عجلة المدينة المجاورة ، يشبههم
الأبناء والأمهات والأخوة والأخوات بالمويل
والنسيج . وكانت المرأة المسكينة تمدح بصرها في
عيون الشبان من المهاجرين ، وكل منهم يتصنع
البشر والابتهاج ليخفي انفعاله الشديد ويشجع
أقرباءه الذين يصحبونه

وفي كثير من الأحيان كان يدور بين ملارجازيا
والشبان المهاجرين حوار قصير :

— أيتها المعجوز المجنونة ، لماذا تحدقين في
هكذا ؟ أتردين أن تقتلي عيني ؟

— كلا يا بني ، إلى أحمدك عليهما لأنهما
سريان ولدى الثنائين ! وأستحلفك بالله أن تعف
لهما حال الأثمية ، وأن تقول لهما إذا تأخرا أكثر
من ذلك فأنهما لن يجداني على قيد الحياة !

بينما كان النساء يتحدثن في شأن الذين سرحلون
إلى أمريكا في اليوم التالي ، تكلم فجأة رجل شيخ
كث اللحية أغبر الشعر أشمته ، كان إلى تلك
اللحظة يصني إلى الحديث ولا ينطق بكلمة ، وكان
مستلقيا على ظهره معرضا صدره لأشعة الشمس
مبتهجا بتدخين غليونه ، قال هذا الشيخ وقد رفع
رأسه المسند إلى حجر وبصق :

— لو كنت ملكا لحظرت على أي خطاب
يرد من أمريكا دخول قرية (قارنيا)

فصرخت إحدى النساء وقالت : ما هذا
يا جاكو سيبينا ؟ وكيف تمشي الأمهات والزوجات
البائسات إذا انقطع عنهن المال والأبناء ؟

فقال الشيخ منمنا وقد بصق ثانية : « آه !
نعم ! أمن أجل المال الذي يرسلونه ؟ إن الأمهات
مصرعات على العمل في البيوت خدامات ، والزوجات

في ذلك اليوم التي طرقت المرأة المسكينة فيه
باب ننفاروزا كان الناس يتكلمون عن فئة جديدة
من المهاجرين الذين ينتوون الرحيل إلى أمريكا في
اليوم التالي :

— سترحل (ساروسكوما) ويترك من خلفه
إمرأة وثلاثة أطفال

— وسيصعبه (فيتوسكورديا) وبهجر أولاده
الخمسة الصغار وامرأته وهي حامل

— يقال إن (كارمن رونسا) سيأخذ معه
ولده ، وهو في الثانية عشرة من عمره وقد بدأ
يكسب قوته من عرق جبينه ... أيتها الصدراء
المقدسة ! أليس من المفروض عليه أن يترك هذا
الولد لامرأته ؟ كيف تصنع هذه التبعة الآن ؟

— لم أسمع ليسة أمسن غير البكاء والمويل في
بيت (مينوزيا) ، وابنه الذي عاد من المعسكر منذ
قليل يرغب في السرق أيضا !

سمعت ملارجازيا المعجوز تلك الأقوال صامتة ،
وأدخلت طرف شالها في فمها لتحبس في صدرها
الزفرات . ولكن حزنها استبد بدخاياتها فسال
من عينها دموعا سقيمة

منى أربعة عشر عاما على سفر ولديها إلى
أمريكا . ولقد وعداها المودة إليها بعد أربعة أعوام
أو خمسة ، ولكنهما أصابا هناك النفي والفروا وعلى
الأخص أكبرهما سنا ، ونسيا أمهما المعجوز
وفي كل مرة ترحل فيها فئة من أهل (قارنيا)

إلى أمريكا ، كانت تقصد ملارجازيا إلى ننفاروزا
وتستكتبها خطابا ثم تملأه إلى أحد المهاجرين
وتضرح إليه أن يحمله إلى أحد ولديها

وفي كل مرة ، أثناء عهد طويل ، كانت تتبع
هؤلاء المهاجرين في الطريق ، وهم يحملون غباريات

في القرية بلأرجال، وستتدرب النساء على العمل في الحقول فاطمنن بالآ»

فأجاب الشيخ بصوته الخشن : « النساء لا يحسن إلا شيئاً واحداً فقط ! » ثم يسقى فسألته بصوت مرتفع : « أي شيء يا جاكو »
— يحسن البكاء وشيئاً آخر

— إذن يحسن شيئين ! ولكن لننظر إلى أنا .
إني لا أبكي

— إبه ! أعرف ذلك جيداً ، إنك لم تبكي حتى عند موت زوجك الأول !

— إذا فرضنا وكننت أنا التي سبقته إلى العالم الآخر ، أكان يحسم عن الزواج ثانية ؟ إذن ...
أنظر إلى هذه المرأة التي تبكي نيابة عن الناس جميعاً ! إنها ماراجازيا

— لدى هذه العجوز ماء كثير وهي تصبه من عينها !

ضحك السامعون من سخرية جاكو ثم قالت ماراجازيا وهي تهز رأسها : « لقد فقدت ولدين جميلين فكيف لا أبكيهما ؟ »

فقالت ننفاروزا : نعم فقدت ولدين جميلين يستحقان البكاء ... إني أوافقك على ذلك . ولكنهما - في نعيم هناك ويتركناك هنا تموتين بكاء وجوعاً -
— أنا الأمل وليس في استطاعتكما أن يدركا مبلغ ألمي !

— إذن نذرفين كل هذه الدموع وتحملين على نفسك هذا الألم الشديد ؟ يقول الناس .
لإنهما فرعا إلى الرحيل فرارا من قسوتك وسوء معاملتك

فصرخت ماراجازيا وضربت صدرها بيدها وقالت : « أنا ؟ من الذي قال ذلك ؟ »

على الذهاب يمرضهن إلى بورصة الشتاء ! ولكن لماذا لا يروون في رسائلهم شيئاً عن الشر الذي يجذونه هناك ؟ ! إذا لا يكتبون إلا من وجه الأشياء الحسن فيجيب صغار الأحلام على ذلك بالرحيل ؟ ! لم يعد في القرية أيد قوية فلاح الأرض وزرعها ! أقفرت القرية إلا من الشيوخ والنساء والأطفال الصغار . والرجال برغم هذه الحالة يواصلون الهجرة ويقبلون عليها إقبالاً مروعاً !

وفي هذه اللحظة فتحت ننفاروزا بابها ، وكانت سمراء اللون كحيلة الطرف ساجرة اللحظ أرجوانية الشفتين بضرة الجسم رشيقة القوام ، يدعو على هيئتها الفرح والمرة ، وكان على صدرها الجليل شال من القطن أحمر اللون به نقوش على شكل أقمار صفراء ، وفي أذنيها قرط من الذهب كبير الحجم ، وقد جمعت شعرها في مؤخرة الرأس وجعلته على شكل كرة كبيرة ، وحفظته من التشمث بدبوس من الفضة

آمنت هذه المرأة بعد عامين من الزواج ثم تزوجت من رجل آخر هجرها منذ خمسة أعوام وسافر إلى أمريكا ، وكان زورها أحد أغنياء البلد من حين إلى آخر خلسة في ظلام الليل ، ويدخل بيتها من الباب الصغير حتى لا يشعر به أحد ، وكان جارأتها الشريفات اللاتي يخشعن الله يرمقنها بعين الحقد ويحسدنها في قلوبهن ؛ وسبب حقدهن عليها يرجع إلى اعتقادهن أنها كتبت إلى بعض المهاجرين في أمريكا رسائل بغير إمعان لتفسد عندهم سمعة نساءهم انتقاماً لنفسها من مهاجرة زوجها الثاني

دنت ننفاروزا من الشيخ وقالت : « من هذا الخلق الذي يهني ؟ آه هذا أنت يا جاكو ؟ ! صدقي إذا قلت لك إن أحب الأشياء إلينا أن نظل

— لأنهما تتحرقان شوقاً إلى رؤيتكما مرة

أخرى على الأقل ... فتمجبتها ننفاروزا وهي تقول :

« استمرى ، استمرى ... إنك كتبت لهما هذه الكلمات ثلاثين مرة على الأقل ! »

— أكتبي على كل حال . إنها الحديقة يا عزيزتى ،

وأنت ترين جيداً مبالغى ... أكتبي : ولدى العزيزين ...

— أمن جديد ؟

— كلا ... سأملئ شيئاً آخر ... لقد فكرت

في ذلك الليل كله . اسمى : ولدى العزيزين ، أمكا

السكنينة تمداً وتقسم لكما ... أكتبي ما أملئ ...

تمداً وتقسم لكما أمام الله أنكما إذا رجعتا إلى

(فارنيا) فأنها تهب لكما بينما وهي على قيد الحياة

وهنا انفجرت ننفاروزا ضاحكة وقالت :

« بيتك الحالى ؟ وماذا يصنعان به وما الآن فى

خفض من العيش ؟ ماذا يصنعان بمجرد الأربعة

المصنوعة من القش والطين ؟ »

— أكتبي على كل حال : أربعة أحجار فى

الوطن خير من مملكة فى ناحية أخرى ... أكتبي

— كتبت ما أملت . هل تريدن إضافة شيء

أخبر إلى الخطاب ؟

— نعم ! أمكا السكنينة أدركها الشقاء وهي

تقتضض من قسوة البرد ، وتروم شراء ثوب

ولا تستطع ، فجودا عليها بخمس ليرات على الأقل ...

فقال ننفاروزا : وهي تجفف البداد وتضع

الورقة فى الغلاف : « قول جميل . لقد كتبت كل

شيء »

— هل وضعت جيداً هذه الجملة : جودا عليها

بخمس ليرات ؟

— وضعت كل شيء

— بمضى الناس

— يا للخرى ! أنا ؟ أنا بناتى ؟ أما التى ...

فقاطعتها إحدى النساء بقولها : « ما هذا

الانفعال ؟ دعينا نقول : ألا ترين أنها تزحج ؟ »

وضحكت ننفاروزا طويلاً ثم أرادت أن تكفر

عن مضامحها الأليم فقالت لمارجازيا بصوت رقيق :

« تكلمى يا جدة وأطلبى منى كل ما تريدن »

مدت مارا جرازيا يدها المرتمشة إلى وسطها

وأخرجت من حزامها ورقة وغلافاً وقدمتهما إلى

ننفاروزا فى ضراعة وقالت :

— أتعطفين على بالكتابة مرة أخرى ؟

— نأى خطاب أكتبه

— نعم إذا شئت وتكرمت

عبست ننفاروزا وضاحت بهذا الطلب ،

ولكنها أدركت أنها لن تجد السبيل إلى الخلاص

من إلحاح المجوز ، فعدتها إلى بيتها ، ولم يكن هذا

البيت بمنزلة البيوت الحقيرة التى تجاوره ؟ وكانت

غرفته كبيرة مظلمة قليلاً حين يكون الباب مغلقاً ،

ولا ينفذ إليها النور إلا خلال كوة ذات قضبان

حديدية فى أعلى الباب ، وأرضها مصنوعة من الآجر

وفىها سرير من خديد وصوان للملابس ومنضدة

صغيرة سطحها من الرخام الأبيض . وهذا كل

ما استطاعت ننفاروزا الحصول عليه من ربحها

كأنيسة فى الزيف

تناولت القلم ووضعت الورقة على الرخام

واستعدت للكتابة وهي واقفة وقالت :

— تكلمى وأسرى

— أكتبي : ولدى العزيزين ، لم تعد عيناى تقويان

على البكاء ... كتبت ننفاروزا ما أملت عليها وهي تنهد

نهدة التمس واللث ، وواصلت المجوز الاملاء :

« أيها الأبناء ، كيف تطاوعكم قلوبكم على الرحيل ؟
إنكم تمدون بالرجوع ولا تبرون بوعدم ... آه !
أيها الأمهات البائسات إياكن والثقة بعودهم !
إن أولادكن كولدى ، لن يعودوا أبداً »

وإنها لكذلك إذ سمعت نجاة وقع قدمين برن
في الرقاق ، فوفقت تحت أحد المصاييح وتساءلت
من عساه يكون هذا الشخص ؟ ولما دنا منها عرفت
أنه طبيب القرية الجديد الذى يقال إنه سينقل
قريباً ، لأنه سهل فى أداء واجبه ، ولكن لأن
أغنياء البلد يفضونه على النقيض من الفقراء .
وكان هذا الطبيب فى زهرة شبابه ، ولكنه كان
شبيخاً بتجربته وعلمه ؛ وحين كان يتكلم فى جمع
من الناس كانوا يصفون إليه مشدوهين مأخوذين
ببلاغته وتدققه ؛ ولم يكن له أم تحزن عليه إذا رحل
إلى أمريكا كما كان يشاع عنه

وقبل أن يبلغ مكان ماراجرازيا يضع خطوات
قالت ضارعة : « سيدى الطبيب ! أسمع بأن
تؤدى إلى معروف كبير ؟ » فزعج الطبيب من
الصوت المباغت ، ثم وقف تحت المصباح وقال
بصوت مرتفع : « من المتكلم ؟ آه ! هذا أنت ... »
وذكر فى الحال أنه رأى هذه الحرق البالية عدة
مرات على أبواب البيوت ؛ ولما هذا ما ألم به من
الفرح ، قالت له :

— أأنتفضل على " بقرادة هذا الخطاب الذى
سأرسله إلى ولدى ؟

— سأحاول ذلك إذا استطعت فى هذا الضوء
الضعيف

ثم لبس منظاره وأخرجت ماراجرازيا الخطاب
من حزامها وفألته إياه ، وانتظرت أن يعيد على
سمها الجمل التى أملها على تنفاروزا

— حفا ؟

— أوه ! قلت نعم !

— يا ابنتى إظهري قليلاً من الصبر مع عجوز
مسيكينة ! ماذا تنتظرين من بلهاه مثلى ؟ ! فليكانتلك
الله والمنداء !

تناولت الخطاب ووضعته فى حزامها ، وأرادت
أن تأتمن عليه ابن مينويزيا ليحمله إلى ولديها ،
فبادرت بيت تنفاروزا وأخذت سمها إلى بيته

أسدل الليل سدوله ودخلت النساء بيوتهن ،
وأغلقت جميع الأبواب إلا قليلاً ، وأقمرت الأزقة
الضيقة من السابلة ولم يبق فيها غير رجل واحد
يحمل سداً على كتفه ، يسير خلال القرية يشعل
مصاييحها القليلة البعثة ذات الضوء الضعيف
المهتر ، الذى يحمل سككون الأزقة الشامل حزبناً
رهيباً ثقيلاً على النفس

وكانت ماراجرازيا أثناء سيرها تضغط بأحدى
يديها على الخطاب الموضوع فى حزامها ، كأنها هى
تريد أن تنقل إلى قطعة الورق جزءاً من حرارة
الأمومة ، وتحك يديها كنفها تارة ورأسها تارة
أخرى . وكانت كلما كتبت خطاباً غمرها الأمل
التكبير واعتقدت أن سيؤثر فى ولديها ، ويأتى
بهما إليها

ولكنها فى هذه المرة لم تكن راضية ولا مطمئنة
إلى الخطاب ، لأنها رأت تنفاروزا تكتبه فى مجلة
شديدة ، واعتقدت أنها لم تكتب المجلة الخاصة
بالخمس قرأت التى تطلبها لشرراء ثوب يقيه لير الشتاء
وأثناء مرورها بالأبواب المعلقة ، بلغ سمها
صرخات الأمهات اللاتي يكنين رجول أولادهن
المقبل ، فقالت وهى تضغط على الخطاب بقوة :

لو كانا تسلسنا خطاباً واحداً من خطاباتها الكثيرة
لماذا إليها طائرين على أجنحة الشوق والحزن
ولكى يطيب الطيب خاطرها وعدها بأن
يكتب يده خطاباً مطولاً لوليسها في صباح اليوم
التالي، ثم قال: «خل عنيك اليأس واذهي الآن
الى النوم والراحة، وغداً صباحاً أنتظرك في بيتي
لتحقيق رغبتك» ثم تركها وسار في طريقه
كيف تنام هذه الأم المعبدة أو تمن الى الراحة؟
عاد الطيب بعد ساعتين من تلك الجملة نفسها فوجد
ماراجازيا في مكانها الذي تركها فيه جالسة القرفصاء
تحت ضوء الصباح وهي تبكي وتتململ. فأخذ عليها
عملها الجنوني وأرغمها على النهوض، وطلب إليها
أن تذهب الى بيتها في الحال. ثم سألهما:
— أين تقيمين؟

— آه يا سيدي الطيب، عندي كوخ في
الجهة المنخفضة من القرية. لقد رجوت من هذه
المرأة المخادعة أن تكتب إلي ولدي أني أزل لها عنه
أثناء حياتي إذا قبل العودة الى وطنهما، فضحكت
ملء شديها وقالت: ماذا يصنعان بأربعة جدر
مصنوعة من القش والطين؟ ... ولكني ...

— حسن، حسن. اذهبي ونامي، وفي الند
ان تنفل الكلام عن الكوخ في الخطاب. تعالى
سأحبك

بارك الله فيك يا سيدي الطيب. ولكن ماذا
تقول؟ ستصحبني؟ اذن سر أمي لأنني عجوز ولا
أستطيع السير إلا ببطء شديد

فلم يسع الطيب إلا أن يتمنى لها ليلاً سعيداً
وبتركها؛ فتتمتع في خفي ضميعة متناقلة. ولما
بلغت الباب الذي رآته يدخل منه، وقفت وغطت
رأسها وصدرها بشالها ثم جلست على السلم المؤدى

ولكن الطيب لم يقرأ، إما لأنه لم ير جيداً
وإما لأنه عجز عن قراءة الخط. ثم شرع يذوق الورقة
من عينيه ثم يعمدها قليلاً ليستمر جيداً نور
المصباح، وبعد وقت قصير طال على المرأة المسكينة
سألهما: «باهذا؟» فسألته ماراجازيا بدورها في
خجل وتواضع: «ألا تستطيع قراءة؟» فضحكت
الطبيب وقال: «ليس في الورقة كلمة واحدة
مكتوبة، ولكن فيها أربع خطوط في تمازيج
صينية انظري؟»

فساحت العجوز مبهوة: «كيف؟»
— انظري وأنتي النظر. لم يكتب فيها كلمة
— أباؤ هذا؟ وكيف وقع، مع أني أملتته
على تنافوزا كلمة كلمة، ورأيها تكتب!
فهر الطيب كتنفيه وقال: «لقد تظاهرت
بأنها تكتب»

جدت ماراجازيا في مكانها ثم ضربت صدرها
بيدها وقالت في ألم شديد: «آه! الخائنة! لماذا
تخدعي وتسخر من عواطفى؟ الآن عرفت لماذا
لا يجب ولداى على رسائلى! إنها لم تكتب قط
ما كنت أمليه عليهما ... عرفت السبب! إذن
ولداى لا يبرقان شدة عذابي! لا يبرقان أني أموت
من أجلهما! رب كيف يجرؤ انسان على خيانة أم
عجوز مسكينة مثل؟ يا للعار!»

قال ألم المرأة من نفس الطيب مثلاً كبيراً،
واجتهد في أن يهدي قليلاً من غضبها ويأسها،
وسألهما عن تنافوزا أين تقيم ليوجه إليها في اليوم
التالى ماتستحق من اللوم. ولكن المرأة كانت لاهية
عنه بالتفكير في التماس الماذير لوليسها العبدن عنها،
وشمرت في تلك اللحظة بوخر الضمير الأليم لأنها
اتهمتها أعواماً طوالاً بغير حق، واعتقدت أنهما

انحنت عليه قليلاً في خلاعة ساحرة دون أن تعلم
السبب الحقيقي للألم الذى عنده . ولما استقر به
المقام ، طفق يتحدث وهي تصنى إليه ، ثم قالت في
لمحة الجزع ، وقد أغمضت عينها السحيلتين
الخلايتين « عفواً ياسيدى الطبيب . أترجع نفسك
إلى هذا الحد من ، أجل هذه المعجوز المجنونة ؟
الناس جميعاً هنا يعرفونها ولا يقلق أحد منهم نفسه
من جرائمها . سل من تشاء . سيقول لك جميع
الناس إنها مجنونة ، مجنونة حقاً منذ أنت رجل
ولداها إلى أمريكا ، وقد مضى على ذلك أربعة عشر
عاماً . إنها لا تريد أن تصدق أنهما نسباهما كما
هو الواقع والحقيقة . وهي مصرة على الكتابة
اليهما دائماً ؛ تريد أن ترسل إليهما في كل يوم
خطاباً ، ولكي أدخل على نفسها الابتهاج ، كنت
أظاهر بكتابة ما تريد ، وكان المهاجرون إلى أمريكا
يظهرون لها أنهم سيمحلون رسائلها إلى ولديها ،
فقط المرأة غارقة في غمورها . وإذا كتبنا بخاريها
ونحبها دائماً إلى ما نطلب ، فإن حياتنا تصبح
تكدة صعبة الاحتمال . أنظر إلى يا عزيزى ، إني
أنا أيضاً قد هجرنى زوجى . وهل تعرف القفحة التى
كشفت بها عن خبث طويته ؟ إنه أرسل إلى صورته
مع خلية أمريكية ، وأستطيع أن أملكك عليها فتى
رأسه إلى جانب رأسها ، ويده في يدها هكذا ...
أسمع ؟ هات يدك هكذا ، وهما يسمان
استخفافاً بالذين يطاعون على صورتهما ! وأدغم لك
أنى ضحكك كثيراً حين تملت الصورة . آه !
ياسيدى الطبيب ، إن الانسان يبكي الذين رحلون
ولا يرى لحال الذين يبقون ! لقد بكيت أيضاً ؛
وهذا أمر طبيعى في الأيام الأولى ، ولكنى ثبت من
بسدها إلى عقلى والآن أعيش في أحسن حال .

إلى عتبة الباب في انتظار طلوع النهار
وعند بزوغ الفجر ، استيقظ الطبيب كمادة
للقيام بزيارة المرضى . ولما فتح الباب سقطت
ماراجرازيا إلى الخلف عند قدميه لأنها كانت
مستغرقة في النوم وقد أسندت ظهرها إلى الباب
عجب أشد العجب وقال : « أوه ! لقد أسأت
إلى نفسك جد الاساءة » فأجابت وهي تحاول
النهوض : « سامحنى ياسيدى »

— هل قضيت الليل في مكانه هذا ؟
— نعم ياسيدى . اطمئن بالأقعد ألفت ذلك .
كيف أستطيع أن أوامى نفسى وأنسى خيانة هذه
المرأة الخبيثة ؟ سأقتلها ياسيدى . كان في استطاعتها
أن ترفض الكتابة في صراحة وأن تقول إن طلبى
يمث في نفسها الضيق واللل فأذهب إلى شخص
آخر ... أذهب إلى رجل طيب القلب مثلك ...
— نعم . انتظري هنا قليلاً . سأزور المرأة
التي خدعتك ثم أعود لكتابة الخطاب

وسار متجهاً نحو الطريق الذى عينته له المعجوز
في المساء السابق ، وشامت له اللصادفة أن يقابل
نفاروزا خارجة من بيتها في تلك الساعة دون أن
يعرفها ، ويسألها عن عنوانها . فأجابت وهي
تضحك وقد احمر وجهها : « إني أنا نفاروزا
ياسيدى الطبيب » ثم دعتة إلى دخول البيت

إنها رأت هذا الطبيب الشاب الجميل يجتاز
الزقاق الذى تقيم فيه كثيراً من المرات ، ولكنها
لم تتعرف إليه لأنها كانت في أكمل صحة ولم تجرؤ
على إدعاء المرض ؛ فلما رآه يسأل عنها من تلقاء
نفسه ليتحدث إليها ، ظهر على وجهها أمارات
السرور المشوب بالدهشة الشديدة . ولما رآه
مضطرباً عابساً وغرفت الغرض من هذه الزيارة ،

تجوز على الميمن بمد مسير ربع فرسخ على الأكثر
(بيت العمود) كما يسميه الناس . إنه يقيم في هذا
البيت ، وله مهنة جيلة تدر عليه خيراً كثيراً .
إذهب اليه وسترى أنى على حق فيما قلت لك
نهض الطبيب وهو أشد ما يكون شوقاً الى
رؤية هذا الابن ، ثم قال : « إني ذاهب اليه »

فوضعت ننفاروزا يدها على شعرها ، ورنّت
الى الطبيب بلحظها الساحر وقالت : « أتمنى لك
استراحة طيبة ، وأقدم اليك وافر احترامى »

سار الطبيب في طريق شقيقة كثيرة الأحجار
تقوم على جانبيها بعض الدور والأكوخ الحفيرة ،
حتى خرج من القرية وأخذ طريقاً آخر وسط
الحقول ، وهو يلقى بنظرانه نمنة ويسرة ، ويرى
الأرض الجافة التى تنتظر المطر حتى تنمر ، وراعه
أثناء مسيره روح الحزن الذى يحجم على الأرض
وقد رحل عنها أكثر سكان القرية ورجالها

آه ! ها هو ذا بيت العمود . وقد أطلق عليه
هذا الاسم لأنه يجاور عمود ممبد روماني قديم لم
يبق منه إلا كبر واحد ولداً للطبيب من
البيت وقف أمام النور وصاح « هو هو ! » حتى
يأتيه من يجنبه خطر السكالب . فأجابه صبي في
الماشرة من عمره عاوى القدمين بضرب لون عينيه
الى الخضرة ، وعلى رأسه قبعة من القماش قد ذهبت
بلونها أشعة الشمس . سأله الطبيب :

— أهنا كلب يمشى منه ؟

— نعم . ولكنه هادئ لا يؤذى أحداً

— هل أنت ابن روكو ؟

— نعم يا سيدى

وكلا وجدت فرصة للو ، لهوت . بنينى أخذ الحياة
كما هى ... »

خفص الطبيب بصره اضطراباً من المطف
الذى أظهرته المرأة الجلية نحوه ثم قال :

— ربما علمكين ما يقوم بمحبتك ، ولكن
هذه المعجوز البائسة ...

— من ؟ هى ؟ عندها ما يجعلها تمشى كأميرة
عظيمة ولكنها لا تريد

فسألها الطبيب وهو يحدق فيها « كيف
ذلك ؟ » ولما رأت ننفاروزا منظر وجهه المشدود
عادت الى الضحك بقوة كاشفة عن ثناياها الخلابه
ثم قالت :

— نعم إنها لا تريد يا سيدى . لها ابن آخر ،
وهو أصغر أبنائها ، يود لو تقيم معه

— ابن آخر ؟ هى ؟
— نعم يا سيدى اسمه روكو . ولكنها لا تريد

أن تعرف عنه شيئاً
— ولماذا ؟

— لأنها مجنونة كما قلت لك . إنها تبكى فراق
الابنتين الآخرين ليلاً ونهاراً ، ولا تقبل من ابنها
روكو أى شئ برغم توسلاته

زوى الطبيب ما بين عينيه حتى لا تبدو عليه
أمارات الدهشة مرة أخرى ، وحتى يخفى اضطرابه
الشديد ثم قال :

— ربما لا يحسن هذا الابن معاملتها
— لا أعتقد ذلك . إن عقيق الخلقه عبوس الوجه

دائماً ، ولكنه كريم النفس سرى الخلق . وهو
مجد لا يعرف غير عمله وزوجه وأولاده . إذا أردت
أن تراه ، فسر فى هذا الطريق . السقيم بأمالك ،

— وأين والدك؟

— في الحقل

وكانت أم الصبي جالسة على مقعد حجري أمام البيت تمشط شعر ابنتها الكبرى وهي في الثانية عشرة من عمرها ، وكانت جالسة على مقعد حجري آخر وظهرها إلى أمها ، وفي حجرها طفل رضيع . وكان أمامها طفل آخر يلعب في الأرض وسط الدجاج والديكة . فقال الطبيب المرأة « أريد أن أتحدث إلى روكو . إني طبيب القرية الجديد »

لم تحر المرأة جواباً لأنها اضطربت ولم تفهم السبب الذي من أجله يريد الطبيب أن يتحدث إلى زوجها . ثم أسلحت قميصها الخشن ونهضت لتقدم إلى الطبيب مقعداً ؛ ولكنه رفض الجلوس وانحى على الطفل الذي يلعب في الأرض ، مداعباً ، وجرى الصبي الكبير إلى الحقل لينادي أباه

وبعد لحظات سمع وقع أقدام ثقيلة ، ولح من بين أشجار التين الكثيفة روكو يسير نحو البيت مقوس الظهر والساقين ، ويده في وسطه كمادة الفلاحين في تلك الجهة . وكان زرى الهيئة دميم الخلق واسع الفم غليظ الشفتين مصفر الوجه . شوه الوجنتين ، وكانت عيناه غائرتين ينبعث منهما بريق لا تطمئن إليه النفس

رفع هذا الرجل يده إلى رأسه ورفع قبعته إلى الخلف علامة التحية وقال للطبيب :

— أقبل يدك يا سيدي . ما الذي أستطيع أدائه؟

— جئت لأخاطبك في شأن أمك

فاضطرب روكو وسأله في لهفة :

— أليست في صحة تامة؟

— اطمئن من هذه الناحية . ولكن

الشيخوخة أدركتها كما تعلم وتفتقر إلى العناية ... وكلما أسهب الطبيب في الكلام عز ازداد اضطراب روكو ثم قال :

— سيدي الطبيب ، إني خاضع لك في كل ما يحكم به . ولكن إذا كنت قد حضرت خصيصاً لتعاطي في شأن أمي ، فإني أستاذك في الانصراف إلى عملي

— انتظر ، إني أعرف أنك رجل مجد ، وقيل لي إنك على التقويض من ...

— ادخل البيت يا سيدي الطبيب ؛ إنه بيت فقراء ولكنك طبيب ، وقد رأيت كثيراً من أمثاله . أريد أن أريك الفراش للمداعمة لهذه المجوز الطيبة القلب ؛ إنها أمي ولا أستطيع أن أطلق عليها اسماً آخر ، ها هي ذى أصرافى وهام أولادى ، إنهم يقرون أنى كنت آرمهم دائماً بخدمتها واحترامها ، كما يخدمون ويحترمون العذراء المقدسة . الأم مقدسة أيضاً يا سيدي الطبيب ؛ لم أحملها يا سيدي ولكنها تفرق بالخرى أيام الناس ويحملهم يظنون في ... من يدري ؟ زيت يا سيدي

عند أقرباء أمي ونشأت بينهم ، وما كان ينبغي لي أن أحترمها كأولادها كانت تعاملني بقسوة وخشونة ، ولكنى مع ذلك أحترمها دائماً وأشفق عليها . ولما رحل ولداها إلى أمريكا ، رجوت منها أن تقيم معي وأن تكون سيدة البيت ، ولكنها رفضت رجائي وفضلت الاستجداء في الطرق وأغراق في المار ؛ وأقسم لك أمي إذا رأيت أحد ولديها قد عاد إلى فارنيا فإني سأقتله انتقاماً لنفسى من هذا المار ومن الآلام التي تحملها لحيلة أربعة عشر عاماً ؛ سأقتله

ياسيدى ، وإنى أجهر لك بذلك أمام زوجى وأولادى .
وهنا مسح روكوفه بذراعه وهو يرتد وقد

صعد الدم الى عينيه الناثرتين ، وكان الطبيب يسعى
إليه ويحدق بصره فيه ، ثم قال له :

— ولكن لماذا ترفض أمك الإقامة معك ؟
لأنك تكره أخويك من غير شك

— أكرههما ؟ نعم أكرههما الآن فقط من
أجل الآلام التى تسببها لأمهما ولى أنا أيضاً ،

ولكن لما كانا فى القرية ، كنت أحبهما وأحترمهما
كشقيقتين أكبر منى سناً . أما ما فعلى العكس من

ذلك كان يجرى فى عروقهما دم قاييل ! اسمع
ياسيدى . كانا لا يعملان شيئاً ، وكنت أنا أعمل

للجميع ، وكانا يترددان على بيتى ويقولان إن الخبز
يموزها وأن أمهما قامت طابوة ، فأعطتهما ما عندى

من الطعام ، وقد ارتبطا فى حمأة الدخانة فتزوجا من
امرأتين لها سيرة قفرة ، ولكنى مع ذلك كنت

أعطيهما ما يريدان . ولما سافرا إلى أمريكا
ودعتهما وغنيت لهما الخير كله . سل امرأتى بتبتك

ياسيدى

فقال الطبيب بصوت خافت حتى لكأنه
يتخاطب نفسه :

— ولكن لماذا إذن ... ؟

— لماذا ؟ لأن أى تقول لى لست ولدها

— كيف هذا ؟

— سيدى الطبيب ، سلها تشرح لك ، أما أنا
فليس عندى من الوقت ما يكفى ، والرجل فى

انتظارى للعمل

قال هذا وابتعد مقوس الظهر والساقين ويده
فى وسطه كما جاء ؛ وشيعة الطبيب بنظره لحظة ،

ثم التفت إلى المرأة وأولادها وقال : « فلتكن
مشيئة الله ! »

عاد الطبيب إلى بيته وهو يفكر فى تفسير هذه
الحال الغريبة التى ألمت قلبه ؛ وكانت مارا جرازيا

جالسة على عتبة الباب ، فدعاها إلى الدخول وقال
لها بصوت فيه رنة الغشوة : « لقد تحدثت إلى

ابنك فى بيت العمود . لماذا أخفيت عني أن لك
ولداً آخر ؟ »

ف نظرت إليه المرأة دهشة ، وعبت يدها المرتمشة
بشرها قليلاً ، ثم قالت :

— آه ! ياسيدى الطبيب ! المرق البارد
يتصبب من جبيني كلما خاطبني أحد فى شأن هذا

الابن . أشفق على ، ولا تذكره أبداً بعد ذلك !
— لماذا ؟ ما الذى تأخذني عليه ؟ تكلمنى

— فى الحق ياسيدى أنه لم يسيء إلى ... كان
يجرى خلقي فى احترام ... ولكن ... انظر كيف

أرتمد حين أتكمم عنه ؟ آه ! استمع ، ياسيدى
الطبيب ، إنه ليس ابنى

فلما سمع ذلك فقد كل صبر وصاح قائلاً :
« كيف ؟ ماذا تقولين ؟ أنت بلهاء أو مجنونة !

أأنت أنت التى حملته وولده ؟ »

نكست المجوز رأسها وقالت :

— نعم ياسيدى ، ولكنى بريئة من البله
والجنون ... لن أتألم من بعد ذلك إن شاء الله ...

وقعت أشياء ياسيدى لاتعرفها لأنك صغير السن ،
ولكن أنا غارقة فى الألم من عهد بعيد إلى اليوم ...

وقد رأيت فى ذلك العهد أشياء لا تستطيع أن
تصورها

وكان المسكين يحني يديه اشتزازاً من كل ما أرغم على فعله ... آه ! يا سيدي الطبيب ، لقد جئته في عروقي حين رأيته علي هذه الصورة : صرخت قائلة عند رؤيته رحمه الله « نينو ، ما ذا فعلت ؟ » ولكنه هز عن الكلام وجلس أمام الموقد سامتاً وهو يحني يديه تحت ثيابه وينظر إلى الأرض بمبني أبله أو مجنون . وبعد وقت طويل قال : « الموت أفضل ! » : ظل غثبناً ثلاثة أيام ، ثم خرج في اليوم الرابع . كنا فقراء يا سيدي ولا بد من العمل ... خرج ليعمل ، ولم يعد في المساء . انتظرت طويلاً ثم أدركت كل شيء ، وقلت لنفسى مع ذلك لأدفع عني الخوف « من يدري ؟ لهم لم يقتلوه . ربما أخذوه فقط كأول مرة ! » . جئت بعد مضي ستة أيام أن كولا كاميزى يقيم مع عصبته في (موتلوزا) . ذهبت إلى تلك الناحية كالجنونة في يوم شديد الرياح إلى درجة مجيبة . هل رأيت الهواء يا سيدي ؟ في ذلك اليوم كان الانسان يستطيع أن يراه ، فيجمله يعتقد أن أرواح الذين قتلوا تصرخ طالبة من الله والناس الانتقام ! أسلفت نفسى إلى هذه الرياح ، وكبدي قريحة . وقلبي ممزق ممتدب ، خملتني . استغرقت على الأكر ساعة في الوصول إلى الكهف . كان به فناء كبير محاط بالأسوار ينفذ إليه الانسان من باب صغير يصمم المثلث عليه . تناوت حجراً لأطرق به الباب ... لم يفتح أحد فنادت الكرة بشدة ، ففتح الباب ورأيت ... آه يا هول ما رأيته ! توقفت ماراجرازاً عن الكلام وقد استولى عليها الرعب الشديد ، وتقلصت أصابعها وخذلها الصوت فمجزت عن متابعة الكلام . وبعد لحظات قالت :

— تكلمى ، ماذا رأيت ؟
— أشياء هائلة مخيفة ، لم تكن أنت في ذلك العهد قد ولدت ... رأيت هذه الأشياء بهاتين العينين اللتين لم تنيا عن البكاء طوال أعوام . كثيرة . هل سمعت إلى أحد يتكلم عن رجل يدعى كالا باردو ؟
— غاربالدى ؟
— نعم ، هذا هو الاسم الصحيح . وهو الرجل الذى قدم هذه البلاد وأثار المدن والريف على قوانين الانسان وقوانين الله ! أسمعتم إلى أحد يتكلم عنه !
— نعم . نعم تكلمى . ما شأن غاربالدى في هذا الموضوع ؟
— أعلم أن هذا الرجل أصدر أوامره عند قدومه بفتح أبواب السجون جميعاً ، فخرج منها أسوأ اللصوص وأفظع القتلة وأخطر المجرمين ، وكان من بينهم رجل ، هو أكثرهم فظاعة ، يدعى (كولا كاميزى) كان رئيس عصابة تقتل الناس كأنهم ذباب . وتبعد في سفك السماء أكبر لذة . وكان هذا الرئيس يقتل ويقول : إلى أجرب الذخيرة أو أجرب مرمى البندقية . أقام في الريف على مقربة منا وكان يقتل الرجال الذين يرفضون الانضمام إلى عصبته أو يابون الخضوع لأمره ... كنت متروجة في ذلك الوقت ، وقد مضى على زواجى بضعة أعوام وكان عندي ولداً اللذان يقيان الآن في أمريكا . وكان زوجى المسكين يعمل في أرض (بوزيتو) فر به كولا كاميزى وأخذته قسراً ؛ وبعد يومين عاد إلى زوجى صاحب الوجه كالوقى حتى كدت أنكره ... لم يستطع الكلام وكانت عيناه ممثلتين بكل ما شاهد ،

— في اليد ... في اليد ... هؤلاء القتلة ...

توفقت ثانية وحركت يديها كمن يدفع عن نفسه شيئاً . فقال الطبيب :

— حسن . وبعد ؟

— كانوا يلعبون في الفناء بكرات ... هي رؤوس

رجال ... ملوثة بالطين ... كانوا يمسكونها من

الشعر ... وكان رأس زوجي في يد كولا كاميزي

نفسه ... عرضها السفاح لنظري فصرخت صرخة

حسبها صرقت صدرى . صرخة جملة السفاكين

بضطربون ويرتعدون ... ضغط كولا ميزي على

عنقي ليرفضني على الصمت ، ولكن أحد رجاله

انقض عليه فجأة ، ثم تشجع أربعة أو خمسة من

زملائه وألقوا بأنفسهم على رئيسهم ... لقد تنهوا

من غفلتهم ووضعوا حدا لطغيان هذا الشيطان .

وكم كان فرسى عطفا حين كنت أرى هذا الكلب

يختنق أمام عيني بأبدى رجاله .

سكنت المجوز وهي تلث من شدة الهياج ،

وحادق فيها الطبيب وبنت على وجهه أمارات

الشفقة والرحب والسخط ، ثم قلب على ما في نفسه

وفكر طويلاً فلم يستطع أن يستخلص مما سمع أية

صلة بين قصة المرأة وابنها وركو ، فسألها الوضوح

فقلت :

— انتظر حتى أسترخ قليلاً ... الرجل الأول

الذي انقض على رئيس العصابة ودافع عني كان

يدي ماركو

فصاح الطبيب قائلاً : « آه ! أذن روكو ... »

— ولده ... فكر قليلاً يا سيدى الطبيب .

هل كنت أستطيع أن أكون امرأة هذا الرجل

بعد الذى رأيت ؟ راودنى عن نفسي وأراد

اغتنابى ... احتجزنى عنده ثلاثة أشهر مقيدة

مكعبة الفم لأنى كنت أصرخ وأعضه . وفي نهاية

الأسهر الثلاثة ، استطاعت المدلة أن تقبض عليه

وترسله إلى السجن ، فأت فيه ... ولكنى كنت

حاملًا ... آه ! يا سيدى ، أقسم لك أنى كنت أشعر

بأحشائى تتمزق ، وبأنى أحمل فى بطنى غولاً ...

واعتقدت أنى لن أستطيع رؤيته أو حمله بين ذراعى .

وكما كنت أفكر فى أنى سأرضعه ، كنت أصرخ

كامرأة أصابها الجنون . كان أحب إلى أن أموت أثناء

الوضع ، أى رحم الله روحها ، ساعدتنى وجنبتنى

رؤيته ، واستودعته عقب وضه مباشرة ، أقرباء

أبيه ، فقاموا بتريته . . . والآن ، أعرفت يا سيدى

لماذا أقول إنه ليس ابنى ؟ آه ! ليتنى ما ولدت له !

ليتنى مت قبل أن أحله !

ظل الطبيب لحظات غارقا فى خواطره ثم قال :

— ولكن ولدك نفسه لم يسمى إليك

— هذا حق يا سيدى ، وإنى لم أنطق بكلمة

واحدة تسمى إليه ، ولكن ماذا أصنع ؟ لا أستطيع

رؤيته ، حتى من بعيد ! إنه صورة أبيه تماماً ، وجهه

وهيئته وصوته . إنى حين ألهمه أرتعد ويشمر العرق

البارد جبينى ! انه ليس منى ... كيف أصنع !

سكنت ومسحت عينيها بظهر يدها اليمنى ، ثم

خشيت أن ينادر المهاجرون القرية دون أن يتسلخوا

منها خطاباً لولائها . فاستجمعت شجاعتها وقالت

للطبيب الساج فى أفكاره :

— أحسن الى يا سيدى كما وعدتنى

فتنبه الطبيب وقال : « انى على اتم استمداد »

فدنت المجوز من المنضدة وشرعت على على

الطبيب بصوت منخفضة النبرات :

— وللى المزيين ...

ترجمته حسن صاروة

لوقا كاشف النسل

TROP SAVOIR

لفرنسيس دور

بقلم الدكتور محمد الرافي

لحفيف أجسامها الصدفة
على الرمال في هذه الأوعية
كالقرب على أنصافي
دراكا لا ينقطع
وفي هذه الشرفة
قص على كرمهوت قصة
سام أبرص . نادر عثر

كان جان كرمهوت
الهولندي مولماً بجميع
الأنواع النادرة من « سام
أبرص »^(١) وكثيراً
ما كان يتحدث عن طبايع
هذه الحشرات وعاداتها
حديث العالم المحيط غير

جاهل شيئاً عن الآف والسبعانة نوع المروقة منها
وكنت لا أعرف عن سام أبرص غير أنه
دوية تنقص ذنها إذا أخذها الإنسان منه ؛
بيد أن كرمهوت قرر لي أن هذا القنب إن هو
إلا وسيلة من وسائل الدفاع عن الحشرة ؛ فإذا
ما طارد الأبرص ثعبان أو عدو آخر يريد التهامه
أمكنه من ذنبه ثم تركه يتلعب به ويأكل منه وأسرع
فاحتجر بين الشقوق لا يتادرها حتى ينشأ له ذيل
آخر يحمل منه سلاحه الطبيعي

زلت ضيفاً على جان كرمهوت في مئوأة بمدينة
باسوروين على ستين ميلاً من (سويسرا) بجيزة
جاوة . وكان المكان هادئاً جميلاً يتعمش الخيال الشاعر
ويطل منه الناظر على القردة في أشجارها تتقاذف
وتتواثب ، وعلى غمام طائر من أسراب الفراش
كانه سحابة ذهبية تعجب الشمس مرة وتفرج
لها مرة

وكنت أكثر الوقت في شرفة المنزل لا أتحول
منها إلا للضرورة ، إذ كان كرمهوت قد جمع في داره
قراءة محبسة حشرة مكفوفة في أوعيتها ، فكان

(١) هو الذي يسميه العامة (البرص) وسام أبرص
كلمة واحدة مبيلة على فتح الجزأين تكسبه عشر ولكننا
اقتصرن على أحد جزأيه للتنيف

عليه هو وصديقه ريشارد مرل وسماه باسمه .

كان ريشارد هذا إنجليزياً فارغ القامة وثيق
التركيب أحمر الوجه عريض الجبهة بارد الطبع .
تزوج وهو في السادسة والأربعين امرأة تصغره
بثنتين وعشرين سنة ؛ ناضرة بضة كالزهرة ، لها
مينان زرقاوان تدلان على دلاله . . . وتنبعث منهما
جاذبية قوية لا تدفع ، وكأنما تقول لمن ينظر إليها
من الرجال : « إن زوجي غائب غيبة طويلة للصيد
وقد تركني وحدي في هذا الشباب وهذا الجلال ؛
أفريضك أن أكون وحدي . . . ؟ »

ولنعد إلى قصة الأبرص . قال محدثي : إن مرل
رآه فأهوى إليه وانذعه من بين الحشائش ، وما كاد
يجمع يده عليه حتى صرخ : لقد لدغني في أصبتي
قال فنظرت فإذا إصبعه دامية يفور فيها الجرح ،
غير أنه لم يكن خطراً لأن سم هذه الدوية لا يقتل
الإنسان . فضممت له جرحه ثم جلسنا نتأمل
سيدنا . ولأول نظرة تبين لنا أن هذا الأبرص مما
لا يثر عليه إلا في الندرة

كان ذلك في الساعة الثانية بعد الظهر فلم
تنقض ساعة بعدها حتى أنكرت وجه مرل ، فقد

الآن تلك الحالة ؟ قال : كما هي

قلت : فيحسن بك أن تطالع أفكار هؤلاء
الجالين فقد رأيهم يتناجون فيما بينهم وأحسب
لهم شأنًا . ففتح النظر في الجالين ثم شخص
بصره لا يطرف ، وقال بصوت برده الدم في
عروق : إنهم ياتهمون بنا ليقتلونا

فتناهضت فزعًا فأمسك بي وقال : لا ينبغي
أن يعرفوا أننا اطلما على سرهم . قلت أوافق أنت
كما تقول ؟

قال : كوثوق من تفكيرك في تلك الحساء

ثم استفاق مرل من تلك النشبة فتلون وجهه
ورجع النبض إلى حالته الطبيعية وزال ما اعتراه من
لدغة الأبرص فتهدأ طويلاً ثم قال : عجيب
أن يفكر هؤلاء الشياطين في قتلنا . فأجبتة وأنا
أنتك الضحك : عجيب حقاً ولكن ترى كيف
يفتالونا ؟

قال : لا أدري فقد أعجابت هي تلك النشبة ؛
ولقد كنت أرى كل شيء واضحاً كينا ؛ وكانت عيني
في طويتك فملت عليك حتى ما وسوست به من
أنك عند رجوعك الى سنفافورة

قلت : حبيبك فاقد كان ذلك ولكن الذي
بنا الآن هو أن تعرف ما ذا يريد بنا الجالون ؟

جلسنا أمام الأبرص وهو يرمقنا بعينيه وأفضنا
في أمر تلك الحارقة العجيبة ونمليها فأنهينا الى أنها
كثيرها من مميزات العلم ، وهي ليست أعجب من
تلك السادة التي جربها علماء أمريكا في المجرمين
فأخذتهم عن وعيهم حتى أقروا وهم لا يشعرون ،

انكفأ لونه وتغير وأصبح كالشمع ، فانسرفت
أجس نبضه فاذا هو يضرب ثلاثين ومائة كالذي
أوهنه المرض ؛ بيد أن الذي أدهشني أنه لم يهن ولم
يضعف ولم يتغير بل زاد قوة ونشاطاً . وأحس
نشوة كأنه شارب عمل . ثم رأيته وقد انطلق لسانه
كالذي أخذت فيه الحجر مأخذها فجسسته يهذي .
وقال فيما قال :

أنصرف يا كرهوت أنه قد كشف عن بصرى
الآن ، فأنا اطلع أفكارك وأفكار هؤلاء الجالين
الثلاثة الذين معنا ؟

فقلت وقد أيقنت أن به من الخي :

لا ريب في ذلك إن كانت مكرراً كما تمكر ،
أو مزحاً كما تمزح

قال : ليس في مكر ولا دعاية ، ولكنه ما أقول
لك ؛ فأخبرك بما في نفسك الآن ؟

فابتسمت سخرية به ، وقلت له : إن كان هذا
من لدغة الأبرص ؛ فقد وقعت لنا عجيبة العجائب ،
ولكن ما الذي يكشف لك متى ؟

فأغمض عيني كالذي يجمع فكره ثم قال :
إنك تفكر الساعة يا كرهوت في تلك الخادم
التي رأيناها بالحنة في سنفافورة

فذهلت مما أسمع إذ لم يصد ما في نفسي ، وخجلت
مما اطلع عليه من شائي . وكانت أشعة الشمس
الفضية وهي تتناثر من غصون الشجر قد نهبت في
غياي أشعة مثلها من حسن تلك الحساء . ولكني
على ذلك رأيت أن أثبت فقلت لمرل : أحسبك
مجنوناً فما فكرت فيها قط

ولكنه نظر إلى خجلى نظرة كانت ردًا .
رفسائه بسد هتية وقد أغنى قليلاً : كيف أنت

ثلاثة الخالين هجوم رجل واحد ، فتلقيناهم بالرسايع
فقتلنا منهم اثنين وفر الثالث

وفي ضيعة تلك الليلة حملنا القليل من خضراواتنا
والضروري من المتاع والزاد وعمنا شجار النهر .
وقال مرل وهو يحمل ذلك الأرض العجيب : هل
تعتقد يا كرسهوت أن في الامكان قراءة أفكار أى
الناس ممن نعرف ومن لا نعرف ؟

قلت : كلا بل الذين نعرفهم دون غيرهم فسكنت
ونكس بصره كالفكر ومشينا حتى إذا توقدت
الشمس في الظهيرة ولفح الهواء جلسنا ل طعامنا
وتروحتا ساعة ، ثم حزمنا أمتعتنا ، وبينما كنت
أفقددها سمعت مرل يصرخ وهو قابض على الأرض
بيديه : فقلت وبصوت ماذا تصنع ؟ قال : ليست هذه
غلطى ولكن الحيوان قد ندب فأمسكته

ونظرت فرأيت أنه قد انكفأ لونه ثم اعتراه
ما اعتراه من قبل ثم شع في عينيه ذلك البريق
الغريب ، قلت : هل لدغك مرة أخرى ؟ فأومأ أن
نعم ؟ فانتزعت الأرض وألقيته في صندوقه

ولم أكن فطنت لما أراد مرل مني سؤاله
فارتعدت من هول الحقيقة التي ظهرت لى : فهو
قد استلغ الأرض هذه المرة ليطلع من بطنه على
أفكار شخص يعرفه حق المعرفة ، ولكنه لم يفكر
فيه بالأمر ... وكنا على مشي ميل من النهر
ولم نجد ظهرا ولا إنسانا يحمل عنا فاذا هو صانع
إذا اطلع على ربية .. في تلك الأفكار المخبوءة وراء
السينين الجميلتين ... عيني زوجته التي تركها مبذولة
الحذر في سنا فوره ... ؟

ولم ألبث إلا يسيرا حتى رأيته قد وثب قائما
وهو يرجف ويضطرب ، وهو يمدو نحو النهر

وسكنت ظاهر الرجل منهم وتكلم باطنه . إن هذه
السادة تبطل عمل الكتمان كالخمر

ولما كانت حواس الانسان تسجل الأشياء
عادة من تلقاء نفسها بإرادته وبغير إرادته ، في وعي
وبغير وعي ، فإن سم هذا الأرض يهيج ولا شك
قوة التسجيل هذه الى وقت محدود ، وينشط العقل
الباطن فيصفو للخ وينكشف له كل ما سجلته
الحواس . فلا جرم كانت حواس مرل قد سجلت
أشياء كثيرة فيما يخص هؤلاء الخالين ، ولكن
طمس عليها انشغال غه بأشياء أخرى

ثم قلت : أما أنا فاعتقد أن هذا السم يهيج
القوى الباطنة فيكشف للانسان ما تسجله طبيعته
الحيوانية ، فهو يحمل الروح الغريزية فوق العقل .
وعلى كل حال فإلنا الآن في السم والسام ولكن في
التنبه للخالين هذه الليلة

كانت الليلة ملتجة بظلامها سواد على
سواد ؛ وكانت السماء ضربة النجم ، والنسابة
ساكنة كأنها تتوقع أمرا فهي تحبس أنفاسها ،
والحيوان كله صامت كأنما يتربص كل لكل .
فحملنا نناوب الليل ، أجرس وقتا ويمرحس مرل
وقتاً فلما كنت في نوبتي شمعت بدخول الخالين ..
لم أسمع لهم حسا فان جريان الدم في أذني ربما عاقهما
عن ارهاق السمع . ولكن دلني عليهم اقشمرار
بدني ونفور الشمرات الدقيقة الحس ؛ فددت
بدى وأيقظت مرل

وكان أحد الخالين في زحفه على الأرض قد
مس رماد النار وهي كابية تحته ، فانبثت منه آهة
لم يتمكن من ردائها . وفي هذه اللحظة نهجم علينا

يقذف مرل نفسه فيه ليمبره سباحة إلى بنجارون
وفي النهر التماسيح ... غير أنه ثبت على الشاطئ
فأدركته فإذا هو ممزق الثياب أشعث أغبر منتفخ
الوجه غدش الأديم كأنه وحش في إنسان .

فأعطيته ما يتبلغ به وسقيته جرة من الكحول ،
وسأله أن ينام ، ولكن أتى له النوم وقد رأى
ما رأى من أمر زوجته ... وخشيت إن أنا غت
أو غفلت أن يسلبني الأبرص وفيه ثروتي وأحلامي
وشهرتي التي تملأ الدنيا . فخطمت أعصابي في
مدافعة النوم وبت هالكا تمها وسهرا وخشية ،
وعليها الظلام بهيمومه ، وحولنا الأفاعي يسموها .
وأطرق مرل لا يتكلم إذ كان في نفسه كلام آخر
ووردت على الأحلام بعد الأحلام ، فإذا أنا

قد نمت آخر الليل وصرعتني الحى
ولما سطع الفجر أبصرنا زورقا فلوح لم مرل ،
فلما دنا منا صرخ في التوتية أن يحملوه ، فراهم
منظره الخفيف وحسبوه قتالا قد جنى الجناة ويريد
الفرار فترددوا هنيهة ، ثم قبلوا بعد أن شرط لهم
حكمهم في الأجر

ومسح الصبح على وجهي بنسيمه البارد فرد
إلى عقل فتناحيت أسلامي وجملت أنلطف برمل
وأديره من خواطره ؟ وأومته أن سم الأبرص قد
هاج فيه مثل الحمى بهذيانها وليس له أن يقاع
باليقين في مثل هذه الحالة . ولكنه كان في أشد
اليقين كأنما رأى رأى العين

ولما بلغنا قُرسه النهر كانت الباخرة المولندية
السافرة إلى سنغافورة قد تحركت ، فصرخ مرل
بصوت كالرعد يأمر ربابها أن يقف كأن عليه
حق الأمر ، فأدار الربان ظهره ولم يعبأ به ، فلم تكن
إلا طرفة العين حتى نفضا ما بقى عليه من الثياب ثم

فناديته : أمتعتك يا مرل ؟ فاستدار ينظر إلى بعيني
مجنون في وجه قاتل ، وصاح بي : ماذا تريد ؟

قلت : خذ عني أمتعتك أو اجهل على الأقل
هذه الحشرات

قال : ليأخذك الشيطان أنت وحشراتك . ثم
طار على وجهه في الغابة ، فأسرعت أحمل ما خف
ومى الأبرص ، وجملت أعدو خلفه وهو منطلق
بصيح ويلمن جميع النساء من ذوات الميون الزرق ...

الحر شديد كاللظى ، والأبجرة الحارقة تنتنف
من جوف الغابة ، والنبات المتعلق يلتف بساق ،
فيجاذبي وأجاذبه ، ودود الملق يتزاحف على
جسمي ويندس بين ثيابي ، والذباب يتناولني بلسمه ،
والمرق يتهدد من جيبني فيكاد ينشئ على بصري
وأنا في ذلك أعدو أشد المدو لألحق بالرجل . فبعد
لأمر أدركت أثره وسمعت حسيه فجملت أصبح
به أن يقف أو يتمهل وهو لا يلتفت إلى ولا يسمع
إلا صوت دمه يريد أن يفسل شرفه بالدم ، فقد اطلع
على أفكار زوجته التي تركها وحدها ! واستمر
هنا مني ومنه إلى الليل فكذت أجن مثله ...

أقبلت على الأماني والأحلام ، فتوهمتني
أصبحت من أهل الثراء ، ثم من ذوى الملايين إذ
أبيع « لفظات الكشف » بالتمن للنال لكل زوج
غيور ... ورأيتني في قصرى الجليل أملك ما أملك
وأنتق ما أنتق وأنال ما أنال وسوف وسوف ...
حقا لقد كنت مجنونا مثل صاحبي فان الحرارة
والأبجرة ودود الملق والذباب قد ملأت رأسي
ضبابا ...

وأظلم الليل وبلغنا النهر ، وكنت أخشى أن

وطار الى ذلك المأوى ، وتلاقى بفروع النبات المتساقطة على جدرانه حتى بلغ الى النافذة ، فأطل منها ، وكان قد استماز مسدسا من أحد أصدقائه في الطريق فصوره وأطلقه ثلاثا ثم هبط الى الأرض واختفى وجاء الشرطة فاقتحموا المكان ، فاذا بزوجة مرل مضرجة بدماها وفي كتفها رصاصتان ، وقد اختبأ تحت السرير شاب أسمر اللون مرت الرصاصة الثالثة على صدره فغششته ولم تؤذ . فنقلوا المرأة الجريح الى المستشفى وأطلقوا صاحبها

وسكت محدثي مرة أخرى لينظر الى القرد الأذقن ، وكان قد رجع من مطاردة فريعه وأخذ يهمهم لأتائه بصوت يأمر وينهى ، وحى في ذلك تطلعي رأسها مدعنة . . ققطعت عليه وقالت له : وماذا فعلت بالأرض بعد ذلك ؟ فطافت على شفتيه ابتسامة خفيفة وقال :

مكثت في بنجرمازان ثلاثة أشهر جمعت فيها أنواعا أخرى من الحشرات ، ثم أخذتني الحنن الى وطني امستردام وإلى أطعمتها الشهية والجملة اللذيذة التي عرفت بها . فجمعت أمتنى ووضعت الأرض في صندوق انجذته له وكنيت قد كتبت

عنه ومن خواصه في الجملات العلمية الأوربية ، ونشرت له صورا عدة ، فاشتغل العلماء بالحسدبث عنه في برلين ولندن وقينا وغيرها وبأوا يرتقبون أوبتي

ورسست الباخرة الى مرسيليا ، فتعجشيت طوال الرحلة الاخلط بالساافرين ، إذ سئمت معاشره الناس ؛ بيد أن رجلا من الطرءاء كان قد عاش طويلا في أفقرة مع امرأته الفرنسية جعل يتسبب لمرفتي حتى اتصلت الأسباب بيني وبينه ،

رعى بنفسه في الماء وجعل يسبح إلى الباخرة والتامسح تنجيه إليه ويدنو منه ، وقد ضج الناس وصاحوا وأجلبوا ، وكنت أتوقع بين الثانية والثانية أن يكون قد غاص به تمساح ، ولكن يظهر أن وجهه الوحشي وجسمه الضخم المحدث قد جعل منه حيوانا يخيف الأسماك ... فكانت تحوم حوله ولا تناله . ورق له الزبان ، فأمر بالقاء الحبال فاجتذبه البعارة ، فلما صار على الباخرة هتف في أن ادفع ما شرطنا لأصحاب الزورق ولك وحدك هذه الحشرة اللامعة ...

وسكت محدثي ، فقد رأينا على بعض الأشجار القريبة من المنزل قردا أذقن يضرب أثناء ومن حولها اصطفت جماعة القردة كالنظارة وقد خلوا بين الزوجين ، وكان القرد الهرم يضربها ضربا مبرحا على رأسها وهي تصرخ وتتلوى من الألم ؛ فلما طال ذلك وثب قرد فتى فدخل بينهما يريد حماية الأنثى فانقض عليه الآخر وأقبل يطارد من شجرة إلى شجرة حتى ظاها جيمكا عن الأبنصار ثم تابع كرمهوت حديثه فقال : لم أر مرل بعد ذلك اليوم غير أنني لقيت ربان الباخرة الهولندية بعد أويته فسألته عن خبره فقال :

أنتك لأنت الذي بمت إلى بهذا الجنون القاتل ؟ فقلت : الجنون القاتل . . . قال : نعم لقد كان مجنونا وأوشك أن يصير قاتلا ، فانه ما وطئت قدماء الأرض حتى هزل في لباسه البحري القديم الذي أمرناه إياه فاستقل عربة الى داره فلم يجد بها زوجته ، فاستدل الجيران قانباة أحدهم أنه واجدها إذا شاء في منزل عينته ، وهو من تلك المنازل التي تتخذ للفقور . فجنى جنوته

قلت : كلا . بل أعرف هذه السيدة
ثم قصصت عليه كل ما وقع . وكان الرجل
الذى قُتل في الباخرة هو ذاته ذلك القى أفسد
زوجة مرل . وقد عثرنا بين أوراقه على رسائل منها
تدعوه فيها أن يلحق بها في إنجلترا . فقتل الدور
نفسه في الباخرة مع زوجة صديق الآخر ... وكان
الأبرص هو الذى كذبه أيضا هذه المرة

ولما علموا علم هذا الحيوان الدجيب نزلوا مى
الى مقصورتى . وحرك الطبيب شفثيه بكبات لم
أفهمها ، وجاهة انتزع مرهونة من سفف النخل
كانت على الحائط ومدها نحو السرير فاشتد
الحيوان فيها وقذف به من السكوة الى البحر
ونجى كل ذلك فى مثل طرفة العين ، فلم
أملك غير الصيحة وانتفضت من الغضب ورميت
بنفسي على الطبيب أريد خنقه ، لحال بينى وبينه
الزبان ، وجعلت أرعد من الغيظ ، والربان يتلطف
بى ويهدئ مى ، ويزعم أن الطبيب ما أهلك
الأبرص ولكن أهلك الشر

وانقطعت فى مقصورتى ، وقد خابت جميع
آمالى ، فلا مال ولا شهرة ولا علم ولا كرامة ،
ولن أجد بعد اليوم حيوانا من هذا النوع النادر
كلا ، لن أجد ...

انكأ كرمهوت برأسه على كرسية ثم أغمض
عينيه بعد أن انتهى من القصة واسترسل فى خياله
أما أنا فجعلت أفكر فيما صنع الطبيب ... لقد
حرم الملاء شيئا من الزيادة فى العلم ، ولكنها
بعينها زيادة فى الشر ...
أبا والله لو تكاشف الناس بالحقائق لقتلهم
الحقائق . محمد الرفاعي

فتجاذبنا الحديث وكان رجلا واسع العلم فذا كرى
وذا كره ، وقد أولوج بأبحاثى وقرأ مقالاتى الأخيرة
وكان يعرف شيئا كثيرا عن الثمانيين ، ودرس
المنكبوت دراسة خاصة

وأفضى بنا الحديث يوما الى ذلك الأبرص
وجوابعه السجبية ، فقصصت عليه قصة مرل فقال
لولا أنك بمن يُمتدق قوله لمددتها من الأكاذيب .
ثم جعل يفتى به أكثر مى ، فكان يفتى الساعات
الطوال فى الاشراف عليه وتأمله ومراقبة حركاته

وصرنا على مسافة يوم من مدينة عدن ، فاشتدت
فى الليل وطأة الخمر ، فتركت حجرى وصعدت
الى ظهر الباخرة واستلقيت تحت النجوم ونمت
ملء عيني ، فأنى لأغيط فى نوى إذ نهنى طلق
نارى أقبه صياح ، وصرخ أحد البحارة : أن قد
وقع رجل فى الماء . فأتأت الباخرة وأترلوا قارباً من
قوارب النجاة الى البحر ، ولكنهم لم يمتروا على جثة
صديق ... نعم صديق فقد انتحى غربا بعد أن
قتل أحد المسافرين الذين ركبوا من سنافورة ، إذ
رآه خارجا من مقصورة زوجته فرماه بالرصاص
لم يلبث فى البقاء على ظهر الباخرة فانتحرت
الى مقصورتى وما كدت أفتح بابها حتى رأيت
منظرا أجمدت له فى موسى ، فقد كان صندوق
الأبرص مفتوحا ملقى على السرير ، ورأيت وهو
يذب على الاحاف ... فأدرت حينئذ من الذى
أخرجه من صندوقه ... وأغلقت الباب وخففت
لمقابلة الربان فأصبته فى حجره القليل ومعه الطبيب
يفحصان أوراقه . وما كدت أنظر حتى شُدهت ،
إذ لحمت بين الأوراق صورة جميلة لزوجة مرل !
فالتفت نحوى الربان وقال : هل تعرف هذا الرجل ؟

- ١ -

دخل « سعيد المبداني »
على مدير دار الكتب

— حين أذن له — وهو
يحيى وينشر الجريدة التي

كانت مطوية تحت إبطه وقال وهو يقدمها له :

« هل قرأت هذا يا بك ؟ .. إن الجملة واضحة
التلفيق ، ولهذا جئت وفي سر جوي أن أظهر متك
ببيان للرد عليها »

فتناولها منه المدير وألقاها على طرف المكتب
ولم يكتف بخبره وهو يقول : « تفضل . تفضل . إن

كل ما يسمى رواد الدار هو أن يجبدوا ما يطلبون
— كل ما يطلبون — فيها وأن يهتدوا إليه بسرعة

وسهولة وبغير عناء أو تضيق وقت ؟ ومتى كان
هذا حاصلًا فلست أبالي ما تكتب الصحف أو يقول

غيرها ؟ وهذا حسبي وحسبك بيانًا . فاذا قنعت
به فذاك ، وإلا فامرني إلى الله فما أستطيع أن أضيق

وقتي في الكلام الفارغ »

وكان أمامه وهو يقول هذا كتاب ضخم
وضع بين صفتين فيه قلًا أحر غليظًا ، وكان

ينظر إلى إحدى الصفتين ويشير بأصبعه إلى
سطور فيها كأنما يتلو منها ما ينطق به ؟ بل لقد

خيل إلى سعيد أن الأمر كذلك ، ولكنه هز رأسه
كأنما يريد أن يطرد هذا الخاطر ، فقد استأذن من

غير أن يبين النرض من المقابلة . وكان سعيد من
أحدث خريجي كلية الآداب بالجامعة المصرية ومن

أنشطهم وأشدهم إقبالًا على التحصيل والاطلاع
وتزوعا إلى الاستقلال والعمل الحر ، وخال فيه

صاحب جريدة « الأحوال » الخير من لهاته ، وآنس

الهائب

للاستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

الرشد من أعماله ، فألحقه

بمساعديه الكثيرين ،

وما لبث أن صار يتمتع

عليه في تنقب الأخبار

وتقصي الحقائق

ورأى المدير أن سعيداً ينظر إلى الكتاب

الذي بين يديه فسح جيئنه المريض بأنامله ثم قال :

« على فكرة ... هل عندكم في « الأحوال »

ملفات خاصة بتراجم المشهورين ؟ »

ثم كأنما تذكر أمراً فقال : « متى أسست

جريدة الأحوال ؟ »

فقال سعيد « بعد الجرب العظيمي ... سنة

١٩١٩ — أو ١٩٢٠ »

فقال المدير : « إذن لا فائدة ... »

فقال سعيد « هل تسمح لي أن أسأل ما هي

الحكاية لئلي أستطيع أن أساعد ؟ »

فقال المدير : « الحقيقة أنها مسألة غريبة ... »

كنت أمس أقرأ كتاباً لمبد القادر النيمى وهو

كاتب مصرى وشاعر أيضاً وإن كان شعره قد

ضاع بأماله أو على الأصح لأنه هو أبى أن ينشره

لأنه كان يستضعفه ولا يرى رأى الناس فيه ، وقد

كان مشهوراً منذ أربعين سنة ، ثم اختفى فجأة ؛

ولا يدري أحد أهو حى فريجى أم ميت فيبكي ... »

وقد رجعت اليوم إلى المستدرك (وأشار بيده إلى

الكتاب الذى بين يديه) وهو كما تعلم الجزء الرابع

من كتاب الأعلام للزركلى ، فوجدت فيه نبذة

عن الرجل فيها تاريخ ميلاده وأسماء كتبه إلى آخر

ذلك وليس فيها تاريخ لوفاته ، والمفهوم من هذا

بداية أنه كان حياً حينما صدر الجزء الرابع من

عن مصر وخلف أسرته بها وترك لها كل ما جمع من مال ، وكان ابنه قد كبر وصار ذا عمل يكسب منه رزقه ، ولم يرجع الأب بعد ذلك ولكن من الحق أنه لم يمِت وإن كانت أخباره قد انقطعت ... نعم أذكر هذا ...

فقال المدير : « وأنت أنت من ذلك ؟ »
قال سعيد : « كل الثقة ... ولكن أين هو ؟ لا يدري أحد »

قال المدير : ولكنه — إذا كان لا يزال حياً — لا بد أن يكون الآن قد جاوز الثمانين ... انتظر ... ولد ... ولد ... نعم ... سنة ١٨٥٠ فهو الآن في السادسة والثمانين من عمره ... هل تظن ؟ ولكن ... السادسة والثمانين ؟ ... يا لله ...! أنظرن ؟ ... إني لا أكاد أصدق ... لقد كان معروفاً عنه أنه مسرف في إنفاق حياته ... لا يبالي بأعاش أم مات ... فكيف يمكن ؟ ... »

فقال سعيد : « مثل هؤلاء الذين لا يزالون أعاشوا أم ماتوا هم الذين يمرون »

فقال المدير وهو شارد : ربما ... ربما ... ولكن ٨٦ سنة ؟ ... هذا عمر ... هذا ... »

فنهض سعيد ومد يده إلى المدير وقال : « سأعني بالبحث . وإذا وقت إلى شيء فسأخبرك »
فناولوه المدير يده وهو يقول كالتحدث نفسه : « ٨٦ سنة ؟ أما لو كان حياً ؟ ولكن كيف يمكن ؟ كيف يمكن ؟ »

— ٢ —

مضى شهران على هذا الحديث لم يسمع في خلالها كلمة من سعيد ولم يكف هو أثناءهما عن البحث والتقصي — عبثاً — فأقصر بإساً وصرف

أعلامه — أعني المستدرك — ولمل صاحب الأعلام لم يقف على تاريخ لوفاته إذا كان قد مات ولكنه كان حينئذ خليفاً أن يذكر تاريخاً تقريبياً لوفاته على عادته . لهذا أرجح أن الرجل كان حياً وقت صدور السكتب . ولكن المسألة تبقى مع ذلك بلا حل ... فهل هو لا يزال حياً ؟ أم تراه مات ؟ وأين ؟ هذه هي المسألة ... ولست أعتقد أن في وسعك أن تصاعدي ولكن أدر المسألة في خاطرك عسى أن تهتدي إلى شيء فتخبرني ... إذا سمحت والله الشكر »

ونفض واقفاً إبهاناً بانتهاء المقابلة . ولكن سعيداً كان مطرقاً وكان يفرك جبينه بأصابعه ، فلم ير المدير يقف فماد ذاك إلى مقعده على مهل ، وقد جال بذهنه أن لمل هذا الشاب يعرف شيئاً يستحق أن يصفى إليه . وتنبه سعيد ورفع رأسه وقال وعينه على السقف :

« سيد القادر الجبى ؟ أى نعم ! أذكر هذا الاسم ... وإن كنت لم أقرأ له شيئاً ... قرأت عنه ولكن لم أقرأ له ... وصمت من أستاذنا في الجامعة أن الناس في عصره كانوا في حيرة من أمره ، وكان أكثرهم لا يعرف له جداً من هزل ... وكان ينهم بكل شيء ... كل شيء حتى نفسه ... وكان أساوبه جديداً في بابه فأخذ الناس على غيرة وكثير مقلدوه ولكنهم أخفقوا فأقصروا ... »

وهنا تامل المدير فما كانت به حاجة إلى من يصف له الرجل وإنما كانت حاجته إلى من يده عليه وعلى مكان قبره

ومضى سعيد في كلامه غير عاين بضمير المدير فقال : « نعم ... وأذكر أن أستاذنا قال : إنه رحل

سيجارة ويضعها في الطبق وينساها ويروح يشعل غيرها حتى اجتمع في الطبق أربع سيجار بمغصها أقصر من بعض وهم ذاهل عنها جميعا . وإنه ليهم بشمال الخامسة وإذا بالخادم — فقد كان في بيته — ينيته أن « سميد أفندي اليداني » قد حضر ، فيقول له بلهفة : « أدخله .. أدخله » ويسبقه هو إلى الباب ويدخل سميد أفندي ويده في يد جيل بك وهو يقول : « نم وجدته ... في غرفة في ربيع قديم في أعتق أحياء هذه المدينة ... أو هو من أعتقها ... »

فيقول جيل بك : « وكيف وجدته ؟ »
فيقول سميد أفندي : « أوه ... هذه حكاية طويلة ... وليس المهم كيف وجدته ، بل المهم أني وجدته ... ويمكنني أن أقول لك إنني استعنت بابنه وقد كان اعتقاده أنه مات لا عمالة ولكني زعزعت له هذا الاعتقاد بمنف بل بقسوة ... هل تعلم أن ابنه أحيل على الماش منذ سنتين وأن له حقيقة تزوجت وولدت بنتا ... ؟ »

فيقول جيل بك : « ليس عجيبا أن يستعيد ابنه أن أباه مات وشيع موتا ... ولكن كيف وجدته ؟ »

فيقول سميد مرة أخرى : « لقد قلت لك إن هذه حكاية طويلة »

فيقول جيل بك : « إنما أعني كيف حاله ؟ »
فيقول سميد : « حاله ... وماذا تنتظر أن يكون حال رجل قارب التسعين وأقدمه شيخوخته المالية عن العمل ؟ فقر وضعف وعمش ... حال لا يعلم بها إلا الله »

« ولكن كيف ينش ... ؟ »

نفسه أسفها عن عبد القادر التيمي . وكان جيل بك — أو إذا شئت اسمه كاملا جيل بك أحمد القناوى — غلاما عطوفا رقيق القلب وقد شق عليه جدا أن يحدث في القرن العشرين أن يخفى أديب مشهور وأن تنقطع أخباره نحواً من أربعين سنة فتتساءل الدنيا التي كان يسرها وعلاؤها حيوياً وجذلاً ولا تعود تعرف عنه حتى أبسط ما ينبغي أن يعرف ... أهوى أم تراه مات ... وكان جيل بك يرى أن هذه فاجعة إنسانية لأنه لم يكن يشك في أن اختفاء هذا الأديب وانقطاع أخباره سببها بأس عميق أخذ بالكليتين ... وهو مع ذلك الذي يرفه بكتابه عن الناس ويمش نفوسهم ويشفيها بفكاهته ويقضي على حياتهم البشر والنور كما تفعل الشمس . ولم يسمه إلا أن يجب لاختفاء رجل مشهور في عالم لا يكاد يخفى فيه شيء في هذا العصر ؛ ورجح عنده لهذا أن الرجل لا بد أن يكون قد لقي شفته في أول مراحل هجرته — إذا صح أن تسمى هجرة — ولا يسمد أن يكون قد تنكر وانقأ ألا يحمل معه ما يدل على حقيقته ، وأخلق به حينئذ أن يكون قد دفن حيناً اتفق بالأمم الجديد الذي تنكر به .. وهن جيل بك كتفه ومط شفته ، ثم زفر زفرة طويلة وقال : « إيه ! لا حول ولا قوة إلا بالله »

وشرع يشعل سيجارة وإذا بالتلفون يدق إلى جانبه فتناول الساعة متثاقلاً وقال : « نم » ولكنه ما هم أن اعتدل في جلسته وصاح : « إيه ؟ ماذا تقول ؟ »

ولكن الذي خاطبه اكتفى بما قال ، فوضع جيل بك الساعة وقام يتمشى بسرعة ويشعل

طريقك ، وقد تظنه يهذى ولكنه ليس هذيانا بل كره القهن الى الراء فجأة بفير انذار... ولما قلت له إنك تبحث عنه خيك قال : هل يريد أن ينفلى ويضعنى على رف... وقال عن كتبه لما عرض ذكرها أن خيرها ما لم يكتبه... ولا تزال أسنانه باقية . وقد قالى إن متانتها وسلامتها من الآفات هما السبب فى بقائه حيا الى الآن... ولما قلت له إن من واجبه أن على مذكراته على بعضهم صاح بى : « أهوذا بالله يا شيخ ! حرام عليك .. اتق الله فى يا بنى »

فسأل جميل بك : « وما ذا كان يعمل كل هذه السنين الطويلة ؟ »

« أوه كل شيء... قال لى إنه لم يشأ لنفسه ساعة واحدة أيام كان يشتغل بالأدب . وأن كل ما كان يرى نفسه تشبهه كان يرى أنه محروم منه . وكان مما يشغل على نفسه جدا أنه لا يرى نفسه يفعل إلا ما يكره ، فهو لا يحب المجالس التى يكثر فيها الناس ولا يروح الى أحاديثها ولا يقتبط بالزوار ، ويحب أن يشمر أن يشته حصن منيع لا يقتحم ، ويود ألا يجالس إلا الذين يصطفهم من الاخوان ويأمن بهم ويطمئن اليهم ، ولكنه كان يجد — لسبب خارج عن ارادته بل ضد ارادته — انه يمشى كما يمشى الناس ، ويفعل ما يستغفل ، ومحرم ما يحب ؛ وقد كبر فى ظنه أنه سيظل حياته هكذا ؛ ولم يستطع أن يروض نفسه على السكنون الى هذه الحياة أو أن يوطنها على احتمال هذا التقيد الذى لا يعرف ماذا يفرضه عليه ، وشق عليه أن يظل هكذا — يرف أنه حر . ولا ينم مع ذلك بحجرة ؛ فكره هذه الحرية الظاهرية ومل السخط على نفسه

« كان يستعين به طابعو الكتب القديمة لضبطها وهم يجهلون حقيقته لأنه يسمى نفسه عبد القادر ناجى... أليس اسما غريبا ؟ إن اختياره له يشى بفتنه بالله وبمحسن المال على كل حال... لقد أدهشنى منه أنه لا يزال يتسم للدينا ويؤمن بمحسن حظه فى الحياة على الرغم مما هو فيه من الفاقة الشديدة... ولكن من يدري ؟ لعله قد خرف فعلا لا يقدر سوء ما هو فيه »

فسأله جميل بك : « ألا يعرف أن ابنه موجود ؟ »

فقال سميد : « يعرف... ولكنه أبى أن يذهب إليه حين عاد من رحلاته لأنه استكبر أن يجعل نفسه حيلة عليه وخشى أن يأفف ابنه من الانتساب إليه إذا وقف على حاله الزرية »

« وهل قابل ابنه ؟ »

« بالطبع... وقال له حين رآه... من يصدق أنك ابنى ا إلى أبدا. أصغر منك على كل حال . يمكنك دائما أن تنسى أبى ما زلت على قيد الحياة ، فما أشك فى أن عثورك على حيا صدمة لك بعد أن وظنت نفسك على موتى . وأحسب أن بشى الآن قد خيب أملك فى... كذلك قال لابنه... مدعش أن ذهنه لا يزال حافظا لقوته... قال لابنه فى جملة ما قال لى لما كبرت كنت أقول لو عاش أبى لما عاشته لأنى أستعكف أن أكون فرعا وأحب أن أشمر أبى أنا أصل مستقل بنفسه عما عداه وعما غداه وغاه... ولكن ذهنه يشرد أحيانا فيخاط فلا تفهم كلامه لأنه يكر راجعا فى كلامه الى ذكر يانه الطويلة فى حياته الحافلة من غير أب يشمرك بالانتقال أو الرجعة فتجس أنك تهت وضلت

ابنه . . . وقد أطلال. النظر إلى البسطة الأنيقة التي
يلبسها ابنه ثم أتى نظرة على الجلباب البسيط الذي
يرتديه هو ، وأشار بيده المروقة إلى اثنين وقال :
« لا لا لا لا . . . دعني لثأني فإنه غير شانك » ولم
يزد يمد ذلك على الابتسام كلما ألح عليه ابنه في
القيام معه . . .

فقال جميل بك : « ولكن ألا نستطيع أن نصنع
شيئاً لهذا الرجل الذي كشفنا عنه ؟ ... إن رجال
الأثار يملأون الدنيا ضوضاء كلما وقوا على حجر
قديم أو فلان يبنى أن نبيه الناس إلى حقيقة هذا الرجل
الذي لا يزال حياً وإن كان محسوبا في أهل القرون
الخالية ؟ »

فقال سعيد : « بالطبع نستطيع . . . يمكن مثلاً
أن نقيم احتفالاً كبيراً في أكبر الفنادق ندعو إليه
رجال الأدب والعلم والفنون والصحافة وطائفة من
كبار الرجال ونقدم إليهم صاحبنا ... غربة
الموضوع نفسه كفيّة وحدها بأجمل الحفلة . . . »
فهز جميل بك رأسه وقال : « لاشك . . . ولكن
صاحبنا لا يبالي بهذا . . . ولا فائدة له منه على كل
حال . . . وأنا أخشى إذا دعونا إلى الاكتئاب أن
لا نفوز بشيء يستحق الذكر فنكون قد أهنت
الرجل بلا داع . . . ثم من يدري ؟ فقد أبى هذا
وذاك . . . »

فقال سعيد وهو ينهض : « أقول لك . . . دع
هذا لي . . . والله الموفق »

— ٣ —

لم يكن الأستاذ عبد القادر اليمعي يرح بيته ،
وكان يجلس طول النهار على سريره الضيق تحت
النافذة ويطل منها ولا يكاد يحول عينه عنها . . . ولم

فدور لو أنه مقيد حقيقة بإرادة غيره ليتسنى له على
الأقل أن ينحى باللائمة على هذه الإرادة الخارجية
ويجعلها غرضاً لئمه وطمعته . ولهذا فر من مصر
والتحق بشركة أجنبيته للملاحة وركب على بواخرها
البحار وأقام في الوائى مندوباً لها ، ثم ترك ذلك
وعمل وكيلاً تجارياً يهوى السدن ويذرع الأرض
داعياً مرغباً ، ثم انقلب مدرساً للغة العربية في بلاد
الأنان حتى أقصدته الشيخوخة ولم تقمده في
الحقيقة ، ولكن الناس كانوا يرون أن سنه علت
فهم يزهدون فيه من أجل ذلك ويؤثرون من هم
أدنى منه سناً ؟ وكان قد جمع مالا في رحلاته الكثيرة
فصار يتفق من رأس ماله حتى قارب النفاذ فعاد ،
إلى مصر فدخلها ومعه نحو تسعين جنياً قال لي
وهو يضحك أنه حدث نفسه أنه يبنى أن يموت
بعد أن تنفذ لما له رزق سواها ، ولكنه كان يخرج
ويتردد على المكاتب التجارية فأنس به أصحابها
وأدركوا أنه عالم وأن في وسعهم أن يستقلوه فكان
يضبط لهم الكتب القديمة التي يبيدون طبعها ؛
وساعده ذلك على إطالة عمره ، فقد أغناه ذلك عن
الانفاق من رأس ماله أو ما بقي منه ، ومعنى ذلك
عند أن عمره طال لأنه بحسب عمره بما لديه من
المال ، فعلى حسب كثرته أو قلته يكون ما بقي له في
الدنيا من السنين . . . فهل رأيت أعجب من هذا ؟
فأطرق جميل بك شيئاً فشيئاً ثم رفع رأسه
وقال : « لاشك أن الأمر عجيب ، ولكن ألم يأخذه
ابنه بعد أن اهتدى إليه ؟ ... »

فقال سعيد : « أوه . . . إن الرجل شاذ كما نعرف ،
وقد أبى كل الآباء أن يذهب إلى بيت ابنه لأن هذا
خليف أن يحدث في رأيه اضطراباً لا داعي له في حياة

ورجال الدولة أيضاً ... فنفرغ من الأمر كله في ساعة »

قال : « ساعة ؟ .. يا حفيظ ... »

قال : « هذا أهون من أن تنفل كل يوم وكل ساعة معرضاً لحضورهم إلى هنا وإزعاجك ... فكر ... »

قال : « صدقت ... ولكن ... حفلة ؟ ... حفلة ؟ ... إن هذا صعب ... »

قال : « لماذا ؟ . أين الصعوبة ؟ . ما عليك إلا أن تحضر وتجلس معهم ساعة أو بعض ساعة ثم تنصرف جميعاً وكفى الله المؤمنين القتال »
فأطرق الرجل قليلاً ثم قال : « ولكني لا أريد أن أختصر حياتي ... إنني أستطيع أن أعيش ... دعني أنظر ... »

فما لجه سميح حتى صرفه من التفكير فيما تكلفه الحلقة من النفقات للثياب ، فقد كان هذا هو الذي يفكر فيه ويستثقله خوفاً على حمرة

ولكن الشكل لم يحل مع ذلك فقد كان ابنه — على بك — فقيد صار بيكا — عبد القادر التميمي — في حيرة شديدة من أمره من جراء عناد أبيه ، فانه — أي على بك — رجل ذو مركز ومقام في المجتمع ، وقد زوج ابنته منذ عهد قريب لرجل له مركز ومقام في المجتمع أيضاً ، وليس يلقى أن يكون أبوه — أي أبو على بك — هذا الرجل البرث الهيئة الزرى اللباس الرقيق الحال الساكن في غرفة حقيرة في ربيع عتيق — أو جديداً إذا أمكن أن يكون هناك ربيع جديد — وقد استطاع أن يرجي لقاء بنيه وتسييه لهذا الأب الذي جاء من حيث لم يكن يحتسب ، فقد زعم لهم أن الشور عليه

يكن برئ شيئاً في الحقيقة إلا أشكال الباني القريبة وذلك لضعف بصره ، ولكنه لم يكن ينظر لبرئ شيئاً ولا كان يبنى بأن يرى أو أن تأخذ عينه المناظر وإنما كان يتحدث كالزاهل ، وكانت أسارير وجهه المتجمد تنبسط أو تعمق الأخاديد التي حفرها الزمن فيخبل إلى الناظر إليه أن هذا وقع ما يشاهده ، ولكن الحقيقة كانت على خلاف ذلك وتقيضه فما كان يبصر شيئاً وإنما كان يدير عينه في قلبه أي في ماضيه فيبدو عليه السرور أو الألم أو غير ذلك كما يبدو على وجه من يشاهد قصة معروضة في دار من دور السينما . وكان سميح يزوره كل يوم مرة — وأحياناً مرتين — في اليوم ويصني إليه أكثر الوقت وهو بهضب ويسج بكرياته التي لا آخر لها . وقال له مرة :

« ما رأيك يا أستاذ ؟ . إن خير عودتك قد شاخ وذاع بين الأدباء ورجال الصحف وكلهم متلهف على رؤيتك »

فقال بإيجاز : « فليتلهفوا »

فقال سميح : « ولكنهم لا بد أن يصلوا إليك في النهاية .. كما وصلت أنا .. ولا سبيل إلى صدم »
فتجههم الرجل وقال : « ولكن يجب أن نمنعوا ... إن المكان لا يليق .. ما العمل ؟ . أشر ... »
قال : « اسمع مني وأطعن ... خير ما يمكن أن نصنع هو أن بروك كلهم دفعة واحدة »
قال : « ولكن كيف يتسنى ذلك ؟ . هذا مستحيل »

قال : « كلا ... الضرورة تفتق الحيلة ... وقد رأى المحبون بك أن خير ما يصنع هو أن يقيموا حفلة يدعون إليها الأدباء والعلماء ورجال الصحف

يريدون أن يحتفوا بعمته ، فانه يحسن بسميد أن يحمل إليهم ما جاء به من الثياب على مشجب ويقول لهم إن هذا ما يطلبون وهو كل ما يستحقون أن يروا ولم يقل هذه الألفاظ بعينها ولا ما يقرب منها بل قال بما هو أعنف ، وكان صوته متهدياً ، وكلامه متقطعا ، وكانت لحيته الطويلة البكتة تضطرب ، وأسناؤه تصطك ، فلم يجد سميد بداً من السكوت والكف عن الأحاج عليه بعد أن وضحت له قلة جدواه ، وسأل الله في سره السر والسلامة في هذه الليلة

وخرج من الغرفة - سميد في ثيابه الأفريقية التي يلبسها الأفندية من أمثاله ، والأستاذ التميمي في جلباب فضفاض وجبة قدعة وحذاء أصفر صارت الرقع فيه أكثر من الأصل ، فكأنه « مراكوب أبي القاسم » وطروش مصرى سوى أنه طرى وعليه لفة كانت في الأصل مزركشة فأصبحت ألوانها حائلة بأهتة

وكان سميد قد جاء في مركبة وتركها تنتظر في الطريق أمام الباب ، فأحاط بها غلمان الحارة - هذا ينط على السلم ، وذاك يبيت بالنظاء ويعطونه وينشره ويكرر ذلك عدة مرات ، والسائق يسبح بهم أن يكفوا ويلمن الساعة التي دخل فيها هذه الحارة ، ويفرق بصوته ليزجرهم ويخفيهم فينفذون متضاككين ثم يعودون إلى رأس أمرهم ، حتى كاد عقل السائق يطير . فلما ركب الرجلان راح الثلمان يجرون وراء المركبة ويشملقون بها من خلفها ويصيحون ويصوتون ، والسائق يلوّح لهم بالسوط ويضرب به ظهر النظاء حتى خرج إلى الطريق المام

أو الاهتداء إليه أحدث له رجة عصبية يحسن معها انتقاء أزعاجه إلى حيث ، ولكن الصحف بدأت تكتب وتفيض ولا سبيل إلى كبح الصحف أو صرفها عن الموضوع ، فإكل يوم يختفى أديب كانت له شهرة واسعة ثم يظهر بعد أربعين سنة . وقد حرص جميل بك وسعيد أفندي على إخفاء مسكن الرجل ولكن الصحف لا يسما أن تصبر على ذلك ، ومن حقها أن تعرف أين يسكن أو يقيم وإلا كانت معذورة إذا هي استراحت في الأمر كله . أضف إلى ذلك أن حفلة ستقام ويشهدها مئات من الخلق ؛ وقد كانت فكرة الحفلة هي التي أغتت جميل بك على اقتناع الصحف بالصبر والانتظار وجعلت الموضوع شيقاً وخليقاً أن يجد القراء فيه مثل لذة الأساطير . ولكن هذا لا يمكن أن يدوم ولا بمفر آخر الأمر من كشف الحقيقة كلها ، فما العمل ... ؟ لهذا لجأ إلى سميد وجميل بك ورجا منهما أن ينقذاه ويحوّلا دون الفضيحة التي يجزع منها ولا يعرف له قدرة على احتمالها . فاتفق الثلاثة أن يحملوا الرجل ظهر يوم الحفلة بعد أن يلبسوه بذلة إلى بيت ابنه ومن هناك يذهبون به إلى الحفلة في المساء

— ٤ —

وجاء يوم الاحتفال فذهب إليه سميد بعد الظهر ومعه ثياب أراد أن يلبسها إياها فأنى واستكبر وغضب أيضاً ، وقال إنه ليست به حاجة إلى ثياب ولا إلى أحد من الناس ، وإنه لا يريد أن يحضر هذه الحفلة أو يرى وجه إنسان ، وإنه ما عيب ثيابه على كل حال ؟ . أليس قد قابل بها الناس في مصر وفلسطين والشام والحجاز والأفغان والعراق وإيران ؟ فإذا كانت لا تكتفي هؤلاء المجيبين به والذين

ابنه وراهم ، ولكن الناس لم يصبروا الابن أدنى التفات ، وإنما كانت عيونهم على هذا الرجل الهرم ذى الثياب المتينة واللحية البيضاء والجبين المقطب والعين الثابتة اللامعة وإن كانت لا ترى إلا قليلا . وكان قد ثقل عليه ما رأى من ابنه فكان ليرجمن الى غرفته . وعرض جميل بك المدعون على الأستاذ بأسمائهم فصاغوه واحداً بعد واحد حتى كاد ينخلع ذراعه ، وإن كانوا جميعا قد تفرقوا به ، وحرصوا على الاكتفاء بلس راحته . ولم يبد عليهم ما خشيه ابنه من الاستئزاز أو الاستخفاف حين تقع عيونهم على ما هو فيه من الملهاليل

وأدبرت ألوان الطعام فكان الأستاذ يسأل عما يمرض عليه ما اسمه وكيف يصنع ، ولا يتناول إلا بقدر . وكان المدعون في أول الأمر يحددونه بيمينهم ويُبشرونه النظر ، ولكنهم ما لبثوا أن انصرفوا الى الطعام والحديث . ولكل شيء آخر . — انتهى الأكل ، وبدأت الخطب والقصائد ، والأستاذ مطرق كأنه يصنى ، وكان يهز رأسه من حين الى حين كمن سره شيء — أو ما يسمع

واتتهى هذا أيضا على طوله ، فهمس جميل بك في أذن الأستاذ : « ألا تحب أن تتفضل بكلمة ترد بها عليهم ؟ »

فقال الأستاذ مستغربا : « أنا ؟ ... أقول كلمة ؟ أرد على ماذا ؟ ... إني ... الحقيقة أنى لم أكن مصنفيا . . لم يكن بلى إليهم »

فدعز جميل بك — فما كان يتوقع هذا — ، وقال : « ولكن يا أستاذ لابد من كلمة . لا نستطيع أن نقول لهم إنك لم تكن مصنفيا الى كلامهم ... أرجو يا أستاذ ... كلمة شكر قصيرة ... القليل منك كثير »

ولا نطيل . ولا نحاول أن نصف لقاء الرجل بأحفاده ، فقد خاب أمل الأسرة كلها حين رآه أعضاؤها ، وأخذت عيونهم الفاحصة قدم الثياب وراثتها . وكان ابنه أعظمهم خيبة أمل ، وأشدهم قلقا واضطرابا ، ولا سيما حين عرف إصرار أبيه على هذه الثياب الوضيعة المتجذلة حتى لأشفق عليه سميد أفندى أن يفلج فراح يحاور الأستاذ التميمي ويداوره مرة أخرى عسى أن يهديه الله ، ولكن الرجل كان جبلا لا يتزعزع ، ولما قال : « أنا كما أنا . فن كان يقبلني على علاقي فأهلا به وإلا فاني أرجع الى غرفتي ، فما طلبت أن أجيء ولا أردت أن يبرف ابني أو سواء أنى على قيد الحياة

» اسمك سميد أفندى وأقصر » وكانت الحفلة في فندق من أكبر فنادق المدينة وفي أوسع قاعاتها ، وقد دعى إليها — أو على الأصح اشترك فيها — نحو مائتين من رجال الأدب والعلم والصحافة والحكم والوجاهة . وكان أكثرهم قد بكر وجاء قبل الموعد . وجاء غير المدعون — أو المشتركين — كثيرون وقفوا بحيث يرون الداخلين ؛ واحتشد جمهور غفير على الرصيف ليروا هذا الأديب الذى يمشى بعد أربعين سنة ، والذى دأبت الصحف عدة أيام متوالية على الكتابة عنه . واستمد المصورون لاستقباله وتصويره في القاعة الكبرى بالأنهم ومصايحهم القوية

ثم أقبل أحد الشبان يمدو وقال : « جاء الأستاذ » فساد السكون وانقطع حتى الهمس ، وتبلقت الأنفاس ، واشترأت الأنتاق ، واتجهت العيون الى الباب لرؤية هذا البني كأنما قام من القبر . ودخل الأستاذ في الثياب التى أبى سواها ، وقد أخذ بذراعيه جميل بك وسميد أفندى ، وأقبل

وجد بالتجربة الطويلة أن من السير أن يهرب المرء في هذه الدنيا من الناس — ومن الأدب والأدياء وعشاق الأدب على الخصوص — المخلصين والفرجين والذين يظنون يوحون إلى نفوسهم أنهم يحبون الأدب حتى يؤمنوا بذلك ... كلا لا سبيل إلى الهرب ... وطالب الفرار لا بد له من الجوى الطويل والذهاب إلى أبعد مما كانت الحاجة تدعو إليه قبل نصف قرن . وهو يتكلم عن خبرة فيجب أن يصدقوه ، بل إن وجوده الليلية بينهم دليل مادي على تضرع الحرب في هذا الزمان الذي امتد به العمر إليه ... وكيف يهرب الانسان ؟ . إلى أى مكان يذهب وكل مكان فيه ناس ؟ . وقد صار الناس أكثر والاتصال بينهم أسرع وأسهل ... ومن أى مكان يهرب ؟ إن الحرب الصحيح مستحيل ... وقد يستطيع المرء أن يعيش في الصين ، ولكنه لا يستطيع أن ينكر أو ينسى أن الفاهرة والاسكندرية ودمشق والقدس موجودة ... والحرب من الزمان أصعب ... نعم يتوهم المرء أنه يعيش لا في الحاضر بل في المستقبل والمستقبل ، ويروح يمزى نفسه عما هو كأن عازم أنه سيكون ، ويذهب يعمل لقلب الدنيا ويجعلها كما يبنى أن تكون « إلى أو كدلكم أى أعرف هذا ، فقد فعلته — أعني توهمته — وعشت في سكرة طويلة ونشوة مستمرة وحلم دائم بما سيكون » وقال لهم : إن هذا كله عبث في عبث ، وأكدهم أنه لا مسوغ على الإطلاق لأن يفترض الانسان أن للجنس الانساني مستقبل — هذا أولاً — ولأن ما نسمى له ونلج في ظلمة أو تخمينه قد يكون مستحيل التحقيق . وهب تحقيقه ميسوراً فقد يتبين أنه ليس

فهو الأستاذ كتفه وقال « إن هذا غريب !! لقد كنت أفكر في ... ليلة قضيتها في كهف ... فقال جميل بك مقاطعاً : « فيها بصد ... بعد الحفلة نسمع ما كنت تفكر فيه ... لا بد أنه كان شيئاً غريباً ... ولكن الآن ... أرجو يا أستاذ » فالتفت إليه وقال : « ما ذا قلت أنهم كانوا يقولون ؟ إلى لم أكن مصفياً »

فقال جميل بك : « كانوا يشنون عليك ويمدحونك ويدكرون كتبك العديدة ويصفون ما فيها ... كلام كثير يصعب أن ألخصه لك الآن . أنا أيضاً قلت كلمة ولكنك لم تسمع مع الأسف ... نهايته ... لا بد من الرد فاسمع مرفوا »

وكان سعيد — حلال المضلات — قد أدرك وهو في مكانه أن في الأمر شيئاً ، تخف إلى جميل فلما عرف المسألة انحنى على الأستاذ وهمس في أذنه : « إن هؤلاء الناس خليقون أن يتوهموا أننا نحكنا عليهم أو أننا نخدعونهم وأنت لست الأستاذ المسمى وإنما أنت رجل غيره ينتحل اسمه فقم قل كلمة وإلا ... » ولم يتمها ، فقد نهض الأستاذ معبساً ورفع رأسه كأنما يحاول أن يقيم ما قوسه الزمن ، وكانت لحيته تضطرب وشفته تخرج وكفاه لا تثبتان على المائدة التي وقف متمداً عليها ، وطل هكذا نحو دقيقة كان من الواضح في أثنائها أنه يعالج نفسه ليردها إلى السكون ويحاول أن يضبط أعصابه ، وبقى بها إلى الاتزان ، ثم فتح فم وقال بصوت خافت :

« أيها السادة » وسكت شيئاً وثبت حلقه ، فكانه تمثال نصب في مكانه ، ثم باتهم فجأة وبدأ يتكلم بلاتوقف ، ولم يشكرهم كما رجا منه جميل بك ، بل قال لهم في صراحة نزت فريقيا وساءت آخرين إنه

كأنما أراد أن ينتقم لنفسه ، أو أن يغيثها بهم
ليتركوه بعد ذلك في سلام ... ولم يعلق البعض
المقام ، أو طوله ، فتسلل خارجا وتبعه غيره وغيره ،
حتى لم يبق إلا دون النصف
ولكل شيء آخر ... عاد الأستاذ الى غرفته
لا إلى بيت ابنه واستلقى على فراشه نثابه ، فقد
أضناه الكلام والوقوف أكثر من ساعة ونصف ساعة
وفي الصباح جمع ثيابه وأشيائه وانتقل الى
ربيع آخر

وجاء سعيد بصحف الصباح وفيها وصف الحفلة
التي ظلت أياما تدعو لها وتروج وفي صدر أكثرها
خطبته التي عنى سعيد بتدوينها ؟ فلم يجد الأستاذ
وأعياء أن يعرف أين ذهب ، فأسرع الى ابنه على
بك يخبره ويسأله ما العمل ؟ فقال على بك وهو
يرسل الدخان في الهواء : « أظن أن الواجب أن
نحترم إرادته ونمفيه من الأفعال عليه »
ابراهيم عبد القادر المازني

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لمرتين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التم ١٢ قرشاً

بما يسيته أو يرتاح إليه أو يرضى به الجنس الانساني .
وسألهم هل هم يعتقدون أن الانسان ينشد السعادة ؟
ولو كانت السعادة الدائمة الخالدة التي لا تزول
ولا تتغير ممكنة ألا يستغلها الانسان ويفرق من
تحقيقها ؟ على أن التفكير في المستقبل والسعي له
لا يمنحان أن الحاضر موجود وأنه مؤثر بوجوده ...
وهناك مهرب آخر ، إذ يملق الرء بالثلث المليار
وصور الكمال ، ولكن اللجوء إلى الخيال لا ينفى
الحقائق المحيطة بالانسان ... وانتهى الى أن المهرب
الوحيد الصحيح لا يكون في الحياة ، وهذا لا يمد
مهرباً لأن المرء لا يشعر به ولا يتم بأدراكه . إنه
استطاع المهرب ، ولو كان هذا مهرباً حقيقياً للعبأ
إليه . وابتمس وقال إنه يرجو ألا يابجثوه الى هذا
الذي ليس مهرباً ...

واستطرد بطريقة ما الى كتبه وما يلقى من
التكريم من أجهلها ، فقال : انه واثق أن أكثر
الموجودين لم يسمعوا باسمه ولم يكونوا يعلمون أن له
كتباً ، وأن الذين قرأوها فهموا منها غير ما أراداه .
وقد يكون هذا عيبه هو كما قد يكون عيبهم هم ،
ولكنه الواقع على كل حال . والمجتمع لا ينتظم أمره
إلا بالجملة ، وهي شيء حسن في ذاته ولكنّه هو
فرغ من ذلك كله وأخرجته سنه من المجتمع وأعفته
من ضروراته ؟ وهو ليس من هذا الزمن فيحسن أن
يرتد ويتراجع الى ما أخرجوه منه ، لأنه ليس الاقطة
متخلفة من زمن سابق ، ولا شك أنهم أدركوا
غلطهم حين خرجوا به الى زمانهم ...

وظل يهضب على هذا النحو الذي لم يكن
منتظراً ولا كان في حساب أحد ، وطال الأحرار
الانسان ، وأحسن هو الممس فلم يترفق بالذين ضجروا

قلب الحبل

من قصص الباطلي

بقلم الأستاذ محمد الخفيف

الشقاء ؟ لقد نجحت
أمه فيها ذهبت إليه ،
ولقد قدموا لها حبل
عليه من الكسل عن
مقاومة أغراضها ، كما
خذلت عن عنقه فلم

يستطاع أن يتولى بنفسه شؤون نفسه ، وكان قليل الثقة
بكفاياته أو بمقدرته على تنفيذ شيء ، وراحت الأم
تنصح له حيناً بأنه مقلد على مواجهة الحياة ؛ وكثيراً
ما ابتدرته بقولها : اتخذ يا بني من (إبرن) زوجاً لك .
إنها الزوجة التي خلقت لك ، بل إنها المرأة الوحيدة
التي تستطيع أن تجعلها شريكاً حياتك . نعم إنها
ليست فارهة الجمال ولكنها جادة مجدة ... كذلك
ليست بالثرية وإن لم تكن فقيرة ، وأظنك لا يمكن
أن ترى في زواجك إلى المال . إنها ستحفظ لك
بيتاً طيباً وتعنى بتربية أطفالك ؛ وما عسى أن تطلب
فوق ذلك ؟ إن ما لا يحمد لك أن تشايخ بغيالك
وأحلامك إلى ذلك الشيء الذي تسميه ... »

على أنه في الواقع لم يشايخ أحلاماً أو يساير
خيالاً قط . وقد تزوج من إبرن ليرضى بذلك أمه .
ثم أخذ يوطن نفسه على أن يألف هذا الضرب من
البصادة التي أشارت إليها

ولكنها كانت سعادة فائرة مصفارة كاذبة ؛ على
أن أمه كانت تعلم حق العلم ما ذا تعنى بقولها حيناً
أشارت إلى الخيال والأحلام ، فكان حلم جوجليلمو
هو ابنة عمته آن ، وقد تزوجت تلك العمه من رجل
غني من رجال الأعمال . وكان جوجليلمو يتردد
على منزل عمنته وهو غلام ، ولكنه حيناً طر شارب
حالت بينه وبين ذهابه إلى حيث كانت تقيم آن

سمع جوجليلمو
رنين الجرس مؤذناً
بدخول شخص ، كما
سمع حديثاً في الهو ،
ولكنه لم يتحرك .
ومن عسى أن يكون

ذلك الشخص ؟ أهو صبي الصيدلي ؟ أهو الخباز ؟
أم هي الخادمة ... ؟ إنه ليعرف تفاصيل حياته البسيطة
المملولة معرفة خبرة ووثوق وهو في حجرته المألية ،
حجرة دراسته يسمع من الأصوات كل يوم ما يستدل
به على ما يجري حوله من شؤون الحياة ؛ ولقد ألف
تلك الأصوات الرتيبة ألفة مائة ، حتى إن ما حدث
في ذلك اليوم من أمور جديدة قد اتخذ في ذهنه
سورة ما ألف من قبل كأنه رآه بالأمس ، ولذلك لم
يثر في نفسه اهتماماً خاصاً . فهناك الصيدلي مثلاً ،
وهو رجل حديث مقدمه ولله الحمد فلا يدرى من
الأمر شيئاً ، ولن يستطيع أن يحجز الأمور من
وجهتها . وراح صاحبنا يتحدث نفسه : « ستأتني
هنا بعد برهة المنيرة أ كاردى ثم يأتي الطبيب ؛
وبعد ذلك يتزايد غمز الجرس فترة ، ثم في ساعة
أو ساعتين ينتهي كل شيء كأن لم يكن هناك شيء »
ولكني يهذهد لهفته ، فتح كتابها وحول إليه
بصره ، منصرفاً عن النظر إلى حديثه الصغيرة
التي جدد الربيع خضرتها يومئذ ؛ وكانت حجرة
دراسته كيانه محدودة متواضعة ، ولقد اتجه فكره
وهو يقرأ إلى تلك الحياة

تزوج في الخامسة والعشرين وهو الآن في
الثلثين ... خمسة أعوام من الوجود الذي لا يمزه
شيء ، خمسة أعوام لا هي إلى السعادة ولا هي إلى

الوجود بأنفس جديدة هي التي زادت حيوية ونشاطا
أنتيت سربعا على قدر ما استطلعت ... ما حالها ؟
بخير ... هون عليك لا تضطرب ، لو كنت مكانك
لخرجت من المنزل برهة أو جلست هادئا في حجرتي .
سأعود إليك بعد ساعة أو ساعتين وأطلبك على
جلية الأمر »

وابتسم الطبيب ثم دخل حجرة المريضة ورجع
صاحبه الى حجرته . وقد فكر بعد برهة في الخروج
من المنزل ، ولكن دافعا خفيا لم يتبينه ، دافعا
مكونا من الخوف من جهة ، ومن توقع ما يسر من
جهة أخرى ، أقدمه عن الخروج ؛ فلبث في مكانه
مفكرا ، ولكن أفكاره القديمة لم تلبث أن عاودته ؛
وكان يحيا أن تعاوده في الساعة التي يرى فيها وجوده
يتصل بالستقبل في حياة وليده المنتظر ، فتغذف به
في أعماق الماضي خطوة بعد خطوة

وما كان الماضي غير أن ... أن دائما ... أن واسمها
وذاتها وكل ما يمت بصلة اليها
لقد رأها صرات بعد زواجه ، ووجد أنها
لم تتزوج حتى ذلك الوقت احتفاظا بحريتها ،
كما اعتاد أن يسمعها تقول ذلك ضاحكة . وهي
الآن في السابعة والعشرين لا تزال كما عهدتها من
قبل مرحة مرهفة . وكانت تزور بيته بين حين
 وآخر حيث اتصلت أسباب المودة بينها وبين
إيرين ؛ على أنها لم تكن تكثر من الحديث معه وكان
قصارى ما تبديه نحوه من الملاحظة ابتساما أو اثنين ،
ثم تمد يدها اليه فتضاحكه مصاحفة الأصدقاء وتنطلق
في سبيلها .

وكان بهتقد جوجيليو أن أمه أخطأت التقدير ،

وساوس عتمته ، وما كان بين الزلزين من فرق كبير
في الثراء . نعم كان حلم جوجيليو هو تلك الفتاة
الجميلة الطويلة المشوقة القند التي ينبعث المطر
دأبا من ثيابها ، ذلك الحلم الذي جاهدت أمه في
تبسيده ... « وماذا كانت تنتظر أن من رجل
مثله ؟ تتزوج منه !! يا إله الناس إنها تنظر الى ماهو
أبعد من ذلك ... تحبه ؟ ألم يتبين أنها كانت أبدا
تتمتع نفسها دون أن تميز التفاتة أو تتجه لحظة
بفكرها إليه ؟ »

وكانت تلك الكلمات كفيلة بالقضاء على حلمه
الجميل . وهكذا تزوج من إيرين ؛ والآن بعد سنين
من السعادة المزيطة الفاترة ترى إيرين موشكة أن
تجيب غلاما . ولم يقابل جوجيليو ذلك أول الأمر
بكثير من الحاس إذ رأى الزمن يأتي له بشخص
آخر يحول بينه وبين الأحلام ، ولكنه أحس
بقبله يمتلئ بالنبطة كلما تصرمت الشهور . ولد ؟
وما الولد ! أليس هو الشيء الوحيد الذي يملل
وجودنا ؟ ثم إنه يرى فيه خير منحة بعد مالاقة
في ماضى أيامه من أشجان وآلام ، وأحسن عوض
عما فقد من الحب والسعادة

نهض من مكانه هذه المرة وترك حجرته وأنى
نفسه في المر ؛ وهناك سلطت في أفنه رائحة المقاقير
المنبعثة من حجرة زوجته ؛ ولو أنه أنصت لسمع
أنيها ، ولكن سوتا قويا هادئا قطع عليه تيار
فكره فجأة ... « هاأنذا أنت ، هاأنذا » وكان
ذلك هو الطبيب رفيق صباه الذي كثيرا ما تردد على
منزله . كان يدينا مرحا مشيع الوجه من الحجرة .
ولعل وظيفته هذه التي كانت تنحصر في إمداد

«أأنت في حاجة الى شيء؟ هل أستطيع أن أجعل من وجودي فائدة لك؟»

وجاء دوره الآن ليحجب، فان دائرة صمغها قد اتسعت حتى تركتهما حائرين؛ وخيل الى كل منهما كأنه يستمع الى صوت الآخر، وكأنما عادت اليهما ذكرى عبارات قيلت من قبل ولكنها نسيت الآن أو إمتلأ بها الفكر، ولكن لم يتحرك قط بها اللسان

وأخيراً قطع جوجيليو هذا السكون فجاءه بسؤال غريب، ظهر أكثر غرابة لصدوره من شخص خجول مثله؛ ولقد كانت وقته على أن كقابلة لم يحسن أدائها

«أنت جميلة كاملة يا آن... لماذا لم تتزوجي حتى الآن؟»

ولقد التهب خداهما من الخجل، بل لقد ظهر وجههما كله والجزء الماري لمن عنقها تحت الفراء مشبوب الحمرة، ولكنها حاولت أن تبسم لتخفي تلك السحابة التي أغلقت في عينها

«فيم تفكر الآن يا جوجيليو؟ لقد بقيت عذراء لأنه... لأنني لم أجداً أحداً ينخطي...»

وضحك جوجيليو بدوره ضحكة من قلبه. لم يجدى أحداً؟ يا عجباً! إن وراءها من عشاق الشباب ما يفوق عددهم عدد من يتوددون الى جميع فتيات المدينة بمجمعات

«من أنباك هذا؟»

«أنباتني يا أمي»

«إن أمك لم تدر من أمر هذه المسألة شيئاً... ولكن إذا فلنقل إني أقسمت قسماً» وأخذت

أذلم تكن آن كما اتضح له في شيء مما تصوره من الزهو والكبرياء. ولكنها في الحق لم تكن امرأة عاطفة

هل زاد عدد الناس في الردهة؟ لقد سمع جوجيليو صوت شخص يكلم الخادمة في خمس. ولقد جمل هذا الصوت ينتفض في مكانه، ثم فتح باب حجراته وظهرت له رأس لطيف

«إنها أنا يا جوجيليو، أأذن لي بالدخول؟ ونظر جوجيليو الى القمطر في اختلاجة غريبة لم يستطع اخفاءها، وكأنما كان يحب أن يشيب أفكاره في ذلك القمطر، فلقد كانت اختلاجة عينه كاختلاجة من يرى متلبساً بجريرة! ولكن آن تقدمت نحوه في هدوء وهوون

«لقد جئت لأسأل ما حال إرين الآن»

وبدا على جوجيليو أنه شارد اللب الى حد أنها نظرت اليه نظرة عطف قائلة:

«جوجيليو أيها المسكين ما أراك الاحزان...»

ورد صاحبها مغمضاً: «لا. فالطبيب عندها»

ولم تلبث أن ألحمت في رأسه فجأة أفكاره حول هذه الأنسة التي يراها الآن تظهر اهتمامها بأمر يمت بصلة الى الحب والحياة، فزادته تلك الأفكار ارتباكاً واختلس نظرة الى جسم آن البض الجميل، ذلك الجسم الذي رآه قد هيأ أحسن مهينة لجل الأجنة «إجلسي لدى برهة يا آن... فاني أحمد لك

مجيئك الساعة»

وسمعت لصوته نبرات غريبة، وتغير تعبيراً عجبياً كما تتغير الموسيقى بتغيير اللحن. ونظرت اليه آن في دهش وظلت هامتة برهة ثم سألته:

إليه كأنه يرى الواقع شاخصاً أمامه يسأله : « ألا تفهم ؟ »

لا . إنه لم يفهم . لقد أسلم قياده بالأمس ورضى أن يقوده ضلال أمه . وهكذا ألقي نفسه على شفا منحدر لم يجد بداً من النزول إلى قراره . والآن يرى الماضي في ضوءه الحقيقي . ويرى الآن أنه حينما كان يكثر من الذهاب ليرى أن كان وجهها يتهلل بشراً وفرحاً ، وأنه حينما كان يغيب عنها كانت ترى مكتئبة لذلك . وأعقب ذلك مرضها ؛ ثم توالى السنون التي أغفل فيها أمرها ، فلم تر بداً من أن ترفض في عناد أن تتزوج من غيره ولكن لم ظلت ساكنة لا تخبره عن شيء ؟ أكان في ذلك جرح لكبريائها أم هل كانت تخشى المذلة لا . إنها لم تفكر في شيء من هذا . . .

والآن ؟ هذا البوح الباهت ... واحمرار وجهها من الخجل ... وبدما المرتدة ... ألا إنها لا تزال تحبه ... وحدثته نفسه قائلة « لا ليس هذا ممكناً » ولكن قلبه كان ينبض بين جنبيه غماً يؤكد التفرقة . كانت ذلك كذلك ؛ كان ذلك كذلك . . .

وبينا هو كذلك إذ دوت في أرجاء المنزل صرخة ألم قطعت عليه تيار أفكاره وأحاطته ثانية إلى حقائق الحياة ، إلى الواقع الذي لا يشوبه خيال ؛ ففي تلك اللحظة أوشك أن يولده غلام ، وهو قطعة منه تتدبها حياته في سجل الوجود وتتصل بالستقبل ، فحجب كيف يحزن على ما فاته من سعادة الحب بينما هو مقبل على رؤية ابن له . وأى سرور أعظم من أن يرى المرء قلقة من كبده بين يديه ؟ ولكن أن ... أن

أن تضحك ثانية ولكنه كان يحس كأنه تخاطله الحيرة « فنيا ؟ ولكننا حينما كنا صغيرين نذهب معاً كدت دائماً ترى أن الشخص الآخر ... »

« ولكن المرء يقسم بعد ذلك »

« ومتى كان قسمك ؟ »

« لا أذكر ذلك تماماً ... وإنما أظنه منذ »

خمس أعوام أو ستة ... »

« حينما تزوجت أنا ... أتمنين ذلك ؟ »

وهنا صبغت الفتاة ، وبدت عليها أمارات الارتباك وعضت على شفتيها ، إذ تبينت أن ما فاته به هو البناء بعينه

آه . نعم . أذكر أنك كنت مريضة تلك

السنين ... ولم يكن يعلم أحد ما حقيقة الأمر ...

أذكر ذلك — كنت وإيرين في سويسرا ...

وسمعت بذلك بعد حين ... « فهل » وتبادل باسماً

« فهل كان عزمك وقسمك يومئذ ؟ »

« إلى اللقاء يا جوجيلمو ... إلى ذاهبة »

وسأجى ثانية ... أرجو أن تدعوني « بالتليفون »

وتخبرني ما يكون من أمر إيرين »

« نعم سأخبرك . ألا تصاحفيني ؟ »

« ها هي ذي يدي إذا »

مدت إليه يدها فمزها مطيلاً ذلك على غير

إرادته . ما ذاك ؟ لم كانت يدها هكذا ترتد ؟

ولما شد عليها بعد ذلك أكثر خيل إليه وقد

خالجه شعور مباغت كما لو أنها أسلمت نفسها إليه

منهزمة ...

ألقي نفسه وحيداً ، ولكن الحب والرجب

استوليا عليه مما جرؤ على قوله أو التفكير فيه ، وخيل

سمادة قلبه من الحب . سيتغير كل شيء وسيتجدد كل شيء . نعم سيحل محل تلك السعادة الهزيلة الفاترة سعادة رائقة ناضرة ، سعادة تحقق كل ملتحصو نفسه إليه . إذا ماتت إيرين فسيأخذ آن زوجها . ليس أمامه إلا أن يختار الآن . ومن ذا يلومه ؟ أليس يسير وفق قوانين الحياة ، وما تقتضيه غريزة النوع الانساني ؟

وصاح جوجيليو متأوها : « يا إله السماء ! »
وحده قلبه ملجأ : « انك لا تحب زوجك .
وإذا بقيت فسوف تحصى السنون وأنت تعيش مع امرأة لا ترى للحياة معنى إلى جانبها . فكر مرة ثانية كيف فقدت المرأة الأخرى ... وكيف كان ذلك نتيجة جهلك وضعفك ... هيا ... هيا كلتان ... انطقي ... أترى الأمر هكذا صعباً ؟
انطقي أيها الأحق النبي وقل : « نوح الوليد »
ولكنه رفع رأسه ، وعلى وجهه صفرة خفيفة ووجهه انخطاب إلى الطبيب قائلاً في ثبات :
« نوح الأم »

الطبيب :

الجلبة الساحرة ؟ إن طيفها علماً ظاهريه ، وسحرها يشيع في نفسه . ياله من موقف ! إنه يرى نفسه بين سمادتين : سعادة أفلتت منه وصارت من تراث الماضي وذكرائه ، وسعادة توشك أن تحيط به ، فيمتلئ قلبه بهجة . ولكن ... ولكن ألا يمكن أن يكون منها مزيج فتشكل احداً من الأخرى ؟
نادى الطبيب جوجيليو ووقف أمامه مصفراً مضطرباً ، وقفز جوجيليو متسائلاً في لهفة :

« ماذا حدث ؟ هل في الأمر شيء ! أجيبني ! »
« نعم ، يؤدي أن أجيئك أن انظر عذوق بها فلقد طرأت مضاعفات من حيث لا أدري ، ولكن لا يزال هناك أمل ، أمل يتأخص فيما تستطيع الجراحة أن تفعل . لقد رأيت الواجب بقضى على أن أخبرك ... »
تخير جوجيليو وفكر في زوجه ، تلك المرأة المسكينة التي تجود بحياتها في عذاب وألم ، وأردف الطبيب قائلاً :
« هل لك أنت تجيبني عما أسألك عنه ؟ إن ضميرك هو الذي يريك الآن ماذا يجب أن تفعل إذا كان لا يمكنني إلا إنقاذ أحدهما : الأم أو الوليد . فمن تختار ؟ »

« ماذا ؟ » « ماذا تقول ؟ » هكذا راح جوجيليو يتساءل صارخاً وعلى وجهه صفرة كصفرة الموت فقال الطبيب : « تلك هي الحقيقة ، فلا يستطيع العلم أن ينجي الاثنين معاً ؛ فاما الأم وإما الوليد . فكر برة ثم أخبرني ... »

« نظر جوجيليو نظرة فرأى حياته الجديدة جليلة أمامه . تلك الحياة التي ساقها إليه القدر : ولد هو أم له في الحياة وظافته من الوجود ، ثم أن وحى

آلام فرتو

للشاعر الفيلسوف جوة الألساني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد حسمة الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

وتمها ١٥ قرشاً

قبلة اللقاء . فجعلت
تجوس الصفوف طرداً
وعكساً في كل ناحية ،
وتسائل العائدين ، فما
تقع أحد عليها نبأ عن
زوجها المحبوب ...
وهام أولاء قد
انصرفوا . فارتمت على

الأرض تمزق شعرها
وتتمرغ مشدوهة هاذية
فبادرت أمها إليها :
« لك الله ! ماذا دهاك
يا بنيتي المسكينه ؟ » وضمتها
إلى صدرها
— آه يا أماء ، يا أماء ،
لقد ماتت ! ماتت ! عفاً
على الدنيا وعلى كل شيء .
لارحمة عند الله . يا لويل !

لَيْسَنُورًا

قصته مررته من أساطير القصص الشريرة
للكتاب الألماني برجر

بسم الاسماء عبد الرحمن حمدني

هذا ضرب من القصص الشريرة ، تدار موضوعاته
على الأسطورة الدينية أو الواقعة الرائعة ، ويجري
نظمه على نسق من التقطيع والتريديد ، فيزيدان المعاني
والصور قوة على قوة من التعميق والتوكيد
والشراء الألمان في هذا المجال لا يستقيم سابق ،
ولا يلحق بهم لاحق . فلهم فيه وحدهم نصب السبق
وفضل التبريز

وهذه القطعة من أروع الأمثلة في هذا الباب ،
ولا يباينها غير أمثالها في شعر جوتة وشيلر ، ولها
شهرة كبرى في الأدب العالمي ، وقد ترجمت إلى كل
اللغات عدة مرات ، وأوحت إلى أعلام الرسامين
بدائع اللوحات ، وللكبار الموسيقيين أقوى الألحان

، في مطلع الفجر
هبت « لينورا » آبهة
من أحلام مزججة ،
وهي تسائل نفسها :
« ولهم ، يا زوجي !
أترى صرعى الردى
ونفذ فيك سهم القضاء ،
أومال بك الهوى نغمت

ميثاق وأخفرت عهدي ؟
أترى تطول غيبتك إلى
أبعد من هذا ! »

فانه في ليلة العرس
نفسها ارتحل الزوج في
ركاب الملك فردريك إلى
ميدان القتال عند مدينة
براغ ، ولم يطلها بخبر .
عن سمته من ذلك الحين
ولكن الخصميين الملك

ياويلكاه !

— كان الله في عونك وعفا عنك ! يا بنيتي ،
إضربى إلى رب السموات . الخير فيما يقبله . وإن منع
عنا غونه

— آه يا أماء ، يا أماء ! إنك واهمة . إن الله
تخل عني . وهل أغنى ما أسلفت من صلوات ! فإذا
هى مقنية اليوم عني ؟

— اللهم رحماك ! من يعرف الله معرفة اليقين
يوقن أنه لا يتخل عن عبادته . وإن سر القربان
القدس ماسح عنك وأجاعتك كلها باذنه

— آه يا أماء ! أنى لقربان أن يراد الحياة إلى الموق ؟

والأمباطورة تولاهما الكلال من هذه المعارك
الدامية ، وسكنت مأثرتهما رويداً ، وفي آخر الأمر
عقدا الصلح . وارتد كلا الجيشين عائدين إلى
الأوطان بين نفخ الأبواق ورنات الصنوج ،
متوجين بالأكاليل من أوراق الشجر الناضرة
وماجت الطرقات والجسور من كل حدب
بأفواج لا ينقطع فيضها من الشباب والشيب
يهزعون إلى لقيام ، وكم هتف أبناء وزوجات عند
رؤية عائلهم : أن الحمد لله . وترامت كل خطيبة بين
ذراعي خطيبها تغمتم : مرحباً بك ! إلا « لَيْسَنُورًا »
— وأأسفاً ! فقد انتظرت طويلاً في غير طائل

— ماذا ! ولهم ! أهو أنت ؟ في هذه الساعة
المتأخرة من الليل ! لقد كنتُ ساهرة أبكي ...
واأسفاه ! شد ما تأملت ... ومن أين أنتِ رأيتِ
راكبا جوادك ؟

— نحن لا نخطي الجواد إلا في منتصف الليل .
وإني قادم من أقامى بوهيميا . وهذا غلة وصولي
إليك متأخرا لأمضى بك مى

— ولكن ، يا ولهم ! ألا تدخل هنا أولا ،
فأنتي أسمع الريح تصفر في الغابة ...

— دحى الريح تصفر في الغابة بصيبي الحسنة .
فإذا يمتينا من سفير الريح . إن جوادى يفحص
الأرض بحوافزه ، وللهماز برن في شاكلتيه ؛ وليس
في الامكان بقاى هنا . هيا البسى نملك يا لينورا ،
وتعالى اركبى رديفتى على صهوة الجواد ، فإن أماننا
مائة فرسخ نقطعها قبل أن نبلغ إلى مقرنا

— واأسفاه ! كيف تريد أن تقطع الليلة مائة
فرسخ لنبلغ إلى مقرنا ؟ إسمع ، هذه دقات النافوس
تؤذن أيضا بانتصاف الليل

— واها ! واها ! القمر مشرق وضاح ...
وما أسرعنا في البسى نحن الأشباح . وإني أراهن
أن سأصل بك الليلة

— خبرنى إذا أين مقرك ، وكيف فراش عرسك ؟
— بعيد . جد بعيد من هنا ... ساكن ، وطب ،
ضيق ، يتكون من ستة ألواح كبار واثنين أصغر حجما
— وهل فيه متسع لى ؟

— لنا مكا ، فتعالى يا لينورا . إركبى رديفتى
على صهوة الجواد ؛ فإني فلبس العرس سيأه ،
والدموون في انتظارنا

فلبست الصبية نملها ، وبادرت بالخروج ،
وقفزت على ردف الجواد ، ولفت ذراعين لها في
بياض السوسن حول الفارس الذى تحبه ؛ وانطلق

— مهلا يا بنتى . فما يدريك ؟ لعله خان ودك
وعقد أواصر الألفة بقتاة غيوك فانسيه ، وأعرضى
عن ذكره . هلى ! لن يحسن الله عيابه . وسيكون
مشواه جهنم وبئس المصير

— آه ، يا أماء ، يا أماء ، من مات فقد مات .
ومن فقدناه فقد فقدناه أبدا الدهر . فلم يبق لى غير
الردى موردك . ليتنى لم أولد ولم ألك شيئا . يا شملة
حياتى انطفئ ، انطفئ في ظلمات الدمم الزهنية .
فلا رحمة عند الله . أواه ، ما أنسى !

— اللهم رحماك ! لا تحاسب ابنتى على ما فرط
منها . إنها لا تنى ما تقول . فلا تحمسه عليها ذنوبها
وأثاما . وأنت يا بنتى ، تناننى هوم الأرض واذا كرى
الله ونعيم السماء . فما يزال زوج في السموات

— آه يا أماء ، ما النعم ؟ يا أماء ، ما الجحيم ؟
النعم حينما كان ولهم ، والجحيم حيث لا يكون .
انطفئ يا شملة حياتى في ظلمات الدمم الزهنية .
فلا رحمة عند الله . أواه ، ما أنسى !

وهكذا كانت سورة اليأس الجانح تحرق قلبها
وتفري روحها . فهي تقصد في المنايا الآلهية
وتنسى عليها . وما زال هذا حالها ، تدق صدرها
تفجما وارتياء ، وتقلب كفيها توجما والتياغا ،
إلى أن جنحت الشمس للمغرب ، ودلفت النجوم
الزواهر في قبة الفلك

ولكن ... أى حس هذا في جنح الليل خارج
المنزل ؟ طلق ! طلق ! لكأنه وقع سنابك
جواد ... ثم كأن فارسا يترجل عنه فتسمع صلصلة
سلاحه ... وهو ذا يصمد درج السلم ... صه ،
صه ... الجرس برن رنيناً رفيقا ... ثم صوت رفيق
يقول من خلل الباب :

— هيا ! هيا ! افتحي يا صيبي الحسنة ! أسأهه
أنت أم ناعمة ؟ ومستفرقة في فرقة أم شرقة بالدموع ؟

— أخافنة أنت يا حبيبتى ؟ القمر مشرق
وضاح ... مرعى ! كذا تكون سرعة الأشباح
أتخافين أشباح الموتى ؟

— أواه ، مالك وللموتى ؟ دعمهم فى سلام
— أنظرى ! أنظرى ! أترين الى جانب هاتيك
المشائق أشباحاً تتحرك وهمى فى رقة الهواء بنفضها
نور القمر ويديها للبيان ؟ أنها ترقص حول عجلة
التصذيب . إيه أيها الأنجاس المناكيد ! تمالوا اتبعونى
ولترقصوا فى حفلة عرسى ... إتنا ذاهبون إلى وليمة
العرس الزاهرة

فاندفع الرهط كله وراهم ، ولندافسه مثل
خشخشة الريح فى الورق الجاف ، وانطلق الجواد
ينهب الأرض نهباً ... والجواد والفارس تكاد
تقطع أنفاسهما ، والحصى يقدح الشرر تحتهما
واها ! ما أسرع تطاير كل شيء ، كل ما يجيلوه
ضوء القمر من حولهم ! ... ما أسرع انسياب
السماء والنجوم من فوق رؤوسهم !

— أخافنة أنت يا حبيبتى ؟ القمر مشرق
وضاح ... مرعى ! كذا تكون سرعة الأشباح ...
— آه يارى ! مالك وللموتى ، دعمهم فى سلام
— تيجل يا جوادى الأسحم ! كأتى بالديك
يصيح بؤذناً بوشك انبلاج النور ، وعما قليل
تكون الساعة الزمالية قد أفرغت ما فيها ... اتى لأحسن
نسبات الصباح ... الوحى الوحى يا جوادى ! ...
لقد أشرفنا ، لقد أشرفنا على غاية رحلتنا ...
سينكشف لك فراش عرسنا ... ما أسرع
الأشباح ... لقد وصلنا

واندفع — مطلقاً المنان لجواده — الى باب
حديث كبير ، وقرعه بمذبة سوطه قرعة خفيفة
فانفضت الزاليج وانفتح الباب على مصراعيه
بصر صرياً . وانطلق الجواد كالشهاب حاملاً

الجواد ركضاً ينهب الأرض نهباً . ودوى وقع
سنايك . وكان الجواد والفارس تكاد تنقطع
أنفاسهما ، والحصى يقدح الشرر تحتهما

واها ! ما أسرع تطاير الروج والأحراج
والمزارع مئة ويسرة أثناء كرمها ! وما أشد قفمة
الجسور تحتهما !

— أخافنة أنت يا حبيبتى ؟ القمر مشرق
وضاح ... مرعى ، كذا تكون سرعة الأشباح
أتخافين أشباح الموتى ؟

— لا ... ولكن مالك وللموتى ؟ دعمهم فى
سلام ... ترى ما هذه الضوضاء وهذه الأناشيد ؟
والى أين تتجه تلك الأسراب من الغربان ، صه ! ...
هاتيك دقات نافوس ، وهذه أناشيد جنازة

— إنه ميت عندنا يراد دفنه
واقتربت الجنازة وتعال الأناشيد مرعدة
الأسداء كالنقيق الأجرى فى جنبات المناياض
والستنمعات

— عليكم بعد منتصف الليل أن تدفنوا الجثة
مشيمة بالنواح والأناشيد المولة . أما أنا فذهاب
بزوجتى ، وإلى أدموكم جميعاً الى وليمة العرس .
تعال أيها المرتل ، أنت وفرقتك . تقدموا واصدحوا
بترنيمة الزفاف . وأنت أيها الكاهن لتبارك زواجنا
عندئذ انقطع النواح والأناشيد ... واختفى
النمش ، وسار مشيمو الجنازة وراء المروسين تلبية
للدعوة ... مرعى ! مرعى ! إنهم ليلاحقون الجواد
عن كثب . وانطلق الجواد ركضاً ينهب الأرض
نهباً ، ودوى وقع سنايك ... والجواد والفارس تكاد
تقطع أنفاسهما ، والحصى يقدح الشرر تحتهما

واها ! ما أسرع تطاير الروج والأحراج
والمزارع مئة ويسرة أثناء كرمها ، وما أسرع تطاير
القرى والساكر والمدن !



يَوْمِيَّانَا فِي الْإِرَافِ

لِلأستاذ توفيق الحكيم

[تابع ما نشر في العدد الماضي]

١٢ أكتوبر ...

لما عدنا كان ميعاد الجلسة قد حان . ودنت سيارتنا من المحكمة فشاهدنا الأهالي يهابها مكدسين كالذباب . وكان مساعدى قد خر إلى جوارى صريع الكرى ، ولم يهمنى أمره ، ولم يدب بخلى قط أن أدعوه وهو على هذه الحال من التعب إلى مشاهدة الجلسة بجوارى كاشهد التحقيق . إنه لم يمتد بعد وصل الليل بالهار . وحسبه هذه السمرة الممتعة ؛ فلأترفقن به في أول عهده بالخدمة . وما إن مررنا بالمحكمة حتى أمرت السائق بالوقوف ،

وأوصيته أن يمضى بالمساعد إلى منزله ، وحيث الأمور وزلت أشق طريقاً بين أكوام الرجال والنساء والأطفال . ودخلت حجرة للدأولة فوجدت القاضي فى الانتظار . وما كدت أرى وجه القاضي حتى وجدت ؛ فى المحكمة قاضيان يتناوبان العمل ، أحدهما يقيم فى القاهرة ولا يأتى إلا يوم الجلسة فى أول قطار ، ويسرع فى نظر القضايا حتى يلحق قطار الجادة عشرة الذى يعود إلى القاهرة . وهما زادت

صاحبه بين قبور متكررة تبدي تحت ضوء القمر فى كل ناحية

هنا ، بالهول ! وقمت فى التو والحظة آية مرعبة : تساقطت عباءة الفارس إرباً إرباً كالهن المحروق . ولم تبق من هامته إلا جمجمة معروقة ؛ وحال جسمه هيكلاً عظيماً محتقناً ساعة رملية وممتلئاً متجلاً

وشب الجواد الأسحم حنقاً ونفت شرراً . وعلى حين بشفة ساخ وغاب فى أعماق الأرض ؛

وتصوّبت من أجزاء الفضاء صيحات وصيحات ؛ وتصدعت من القبور تحت أطنان الترى أنات وأنات تخفق قلب لينورا خفقة انتقلت بها من الحياة إلى الموت

فتحلقت الأرواح تحت ضوء القمر حولها ، ورقصوا وهم ينشدون : « الصبر ! الصبر ! مهما هاض الألم قلبك وصدع كبك ، فلا تمسح فى حق رب السموات أبداً . هأنت ذى قد أسلمت جسمك عفا الله عن نفسك »
عبد الرحمن صدقي

والتهمون بذلك فجعلوا كل مهمم المحروب من صاحب السم المرتفع والالتجاء إلى صاحب السم المناسب . وطالب تيرم هذا القاضى وشكا من ازدياد عمله يوماً عن يوم دون أن يدرى السلة . فكنت أقول فى نفسى : « ارفع أسماكك تر ما يسرك » ، وبدأ المحضر ينادى أسماء التهمين من ورقة فى يده . وقزمان افندى المحضر رجل مسن أبيض الشعر والشاربين ذو منظر وهىة بليقان رئيس محكمة عليا ؛ وهو إذا نادى تعاطف فى حركانه وإشاراته وصوته ، والتفت إلى الحاجب بالباب التفانة الأكر الناسى ، فيردد الحاجب الاسم خارج قاعة الجلسة كما تلقاه من المحضر ، ولكن فى مد وغن ونفمة كنفمة الباعة التجولين . وقد لاحظ ذلك أحد القضاة مرة فقال له : « أنت يا شعبان قاعد تنادى على قضايا جنج ومخالفات ، أو على بطاطة وبلع أسمات ؟ » فأجاب الحاجب : « جنج ومخالفات أو بلع أسمات ؛ كله أكل عيش »

« ومثل أول المخالفين أمام القاضى القاروق فى الأوداق ؟ فرفع القاضى رأسه ووضع منظاره السميك على أنفه ، وقال للمائل يمين يديه :

— أنت يا رجل خالفت لأفحة السليخانات بأن أجريت ذبح خروف خارج السلخانة

— يا سيدى القاضى ، الخروف ... ذبحناه ، ولا مؤاخذه ، فى ليلة حظ «عقبال عندك» بمناسبة ظهور الولد

— غرامة عشرين « قرش » . غيره ...

فنادى المحضر . ونادى ثم نادى ... مخالفات متتابعة كلها من ذلك النوع التى مضى الحكم فيه ... وقد تركت القاضى يحكم وجعلت أروح عن نفسى

القضايا وبلغ عددها ثلث هذا القطار لم يفت القاضى يوماً قط . أما القاضى الثانى فهو رجل ذوسواس ، وهو بصد يقم مع أسرته فى دائرة المركز ، فهو يبطىء فى نظر القضايا خشية المجلة والنلط ؛ ولعله أيضاً يريد شغل وقته وتسلية خيره فى هذا الريف ؛ وليس أمامه قطار يحرس على ميماده ؛ فهو من الصباح يجلس إلى المنصة وكأنه قطعة منها سمحت فيها فلا يفصل عنها إلا قبيل المصر . ويستأنف الجلسة فى أكثر الأحيان عند المساء . وكانت تذيبى جلسته مر المذاب ، فى الحبس يمينه . وكأنما قضى على أن أربط إلى منسقى لا أبدى حراكا طول النهار ، وقد وضع حول عنق ونجت أبلى ذلك الوسام الأهر الأخضر كأنه النل . أهو انتقام إلهى لهؤلاء الأرباء الذين دفنت بهم إلى الحبس دون أن أفصده ؟ أترى أخطاء المهنة تقع تبساتها علينا فندفع ثمنها فى الحياة دون أن نعرف ؟

وجعت لرؤية القاضى إذ أدركت أنى وقعت فى جلسة لا ترحم بعد ليلة كلها عمل . ولست أدري ما الذى طمس ذاكرتى فحسبت خطأ أن اليوم نوبة ذلك القاضى السريع

دخلت الجلسة ؛ وكان أول ما قبلت أن نظرت فى « الرول » فإذا أمامنا سيمون مخالفته وأربمون جنحة . عدد والحمد لله كفى أن يجلسنا بلا حراك مع هذا القاضى طول اليوم . على أن القضايا دائماً عند هذا القاضى أكثر منها عند القاضى الآخر ؛ والسبب بسيط : إن القاضى الموسوس لا يحكم فى المخالفة بأكثر من غرامة عشرين قرشاً ، بينما الآخر يرفع سعر الغرامة إلى خمسين . وعلم المخالفون

القانون ١. فأشاح القاضي بوجهه عني وأطرق قليلا وهز رأسه ثم قال في سرعة من يزعج عن كاهله حملا :
— غرامة عشرين ١. غيره

فنادى المحضر امراة ، فحضرت موه من ريفية قد زججت حاجبها بمود ثقاب ، وطأت وجنتها بذلك الأحمر الفاقع الذى تطلّى به صناديق الدخان ، « السمسون » وصورت بالوشم صورة قلب يحترقه سهم على ذراعها المارية ، ووضعت في مصمها أساور و« غوايش » من المدن ومن الزجاج الملون . فنظر إليها القاضي وقال :

— أنت متهمة بأنك وقفت أمام باب منزلك فوضعت يدها في خصرها وصاحت :
— هو يا روى من وقف قدام باب بيته كافر ؟

— وقوفك فيه اغراء للجمهور
— حجرة وندامة علينا . وحياة دقن القاضي عمرنا ما وقمت عينا على جمهور ، ولا امر من قدام منزلنا « ادلدى » جمهور
— غرامة عشرين ... غيره

فصاح قزمان أفندى باسم الخائف التالى فظاهر رجل كهل من الزارعين يبدو من زرقة « شال » عمامته « الزهرة » ومن جلبابه الكشمير وعباءة الجوخ الأمبريال وحذاءه « الستيك » الفاقع في صفرة ، أنه على جانب من اليسار واستواء الحال . فإنا ان مثل حتى ابتدره القاضي :

— انت يا شيخ ، أنت متهم بأنك لم تسجل كليك في الميعاد القانونى
فتنصت الرجل وهز رأسه وتهم كأنه يستغفر ويسترجع :

بمشاهدة الأهل الحاضرين في الجلسة ... وقد ملأوا المقاعد و « الذكك » وقاض فيضهم على الأرض والممرات ... جلسوا القرفصاء كأنهم الماشية يرفعون عيونهم الخاشعة إلى القاضي وهو ينطق الحكم كأنه راع في يده عصا . وضاق ذرع القاضي بذلك اللون المتكرر من المخالفات فصاح :

— فهموني الحكاية ! الجلسة كلها خرفان . خارج السلخانة ! وحلق في الناس بينين كالحصتين خلف النظار الرافض على طرف أنفه ، ولم يظن أحد ولا هو نفسه لما في هذه المباراة من تعريض . ومضى المحضر ينادى وقد تغير قليلا نوع المخالفة ودخلنا في نوع جديد ، فقد قال القاضي للمخالف الذى حضر :

— أنت يا رجل متهم بأنك غسلت ملابسك في التربة
— يا سعادة القاضي ربنا يعلى صرايتك ! تحكم على بفرامة لأنى غسلت ملابسى ؟
— لأنك غسلتها في التربة
— وأغسلها « فين » ؟

فتردد القاضي وتفكر ولم يستطع جوابا . ذلك أنه يعرف أن هؤلاء الساكنين لا يملكون في تلك القرى أحواضا يصب فيها الماء للقطر الصافي من الأنايب ، فهم قد تركوا طول حياتهم يمشون كالساعة ، ومع ذلك يطلب إليهم أن يخضعوا إلى قانون قد استورد من الخارج على أحدث طراز ، والتفت القاضي إلى وقال :

— النياية ..
— النياية ليس من شأنها أن تبحث أين يغسل هذا الرجل ملابسه ، ولكن ما يعنىها هو تطبيق

أنا حلفت ووقع متى عين أن البنية ما يقل مهرها
عن العشرين بنتو ...

فرقع القاضي رأسه وثبت منظاره ونظار اليها صامحا:

— تعالى كلبني هنا ، أنا القاضي ، المنصة
حصلت منك ؟ قولي نعم أو لا ، كلمة واحدة

— عضة ؟ حد الله ! أنا صحيح قبيحة ، لكن
كله إلا المض

فصاح القاضي في المحضر : « هات الشاهد »

خضر الجني عليه وقد لف بنشره في رباط صمعي ،

فسأله القاضي عن اسمه وصناعته وحلفه البين أن

لا يقول غير الحق واستوضحه الأمر . فقال الرجل :

— أنا يا حضرة القاضي لا لي في الطور ولا

في الطحين . والقصة وما فيها إني كنت واسطة خير

وسكت . كأنه قد أبان وأفصح من سر القضية .

فخلق فيه القاضي وهو يكظم غيظه ، ثم انتهره

وأمره أن يقص ما حدث بالتفصيل ؛ فبسط الرجل

الأمر قائلا : إن لهذه المهمة ابنة تدعى « ست أبوها »

خطبها فلاح يدعى « السيد حريشة » وعرض

مهرها قدره خمسة عشر بنتو فلم تقبل أنها بنير

المشرين ، ووقف الأمر عند هذا الحد إلى أن جاء

ذات يوم شقيق الخطاطب وهو صبي صغير يطلق

عليه اسم « الزنجير » فذهب من تلقاء نفسه إلى

أهل المروس وأبلغهم كذبا أن الخطاطب قد قبل

الشرط ؛ ثم رجع إلى أخيه وأخبره أن أهل البنت

قد رضوا النزول بالهر كما عرض ، وكان من أثر

عبث هذا الصبي ومكره بالطرفين أن حدد يوم

لقراءة الفاتحة في بيت المروس ، وانتدب الخطاطب

الشيخ عمارة وهذا الشيخ فرج ليكونا شاهديه .

وتقابل الجميع وذبج والد البنت أوزة ، وما كاد

— عشنا وشفتنا الكلاب تتسجل « زى
الأطيان » وتبقى لها حيثة !

— غرامة عشرين ... غيره

ومضت الأحكام في جميع الخلافات على هذا

النحو ولم أر واحداً من المخالفين قد بدا عليه أن

يؤمن بمحبة ما ارتكب . إنما هو غرم وقع عليهم

من السماء كما تقع المصائب ، وأماو يؤدونها ؛ لأن

القانون يقول إنهم يجب عليهم أن يؤدوها ؛ ولطالما

سألت نفسي عن معنى هذه الحاقة ، أنستطيع أن

نسعى هذا القضاء رادعا والمذنب لا يدرك مطلقا

أنه مذنب ؟ وفرغنا من الخلافات وصاح المحضر :

« قضايا الجنج » ونظر في ورقة « الرول » ونادى

« أم السعد بنت إبراهيم الجربف . فظهرت فلاحه

محوز تدب في القاعة حتى بلغت المنصة ووقفت بين

يدى زمان أنندى المحضر . فوجهها إلى القاضي

فوقفت تنظر إليه يصير ضعيف ثم لم تلبث أن

تحولت عنه وعادت إلى الوقوف بين يدي المحضر

المهرم . وسأله القاضي ووجهه في الورق :

— اسمك ؟

— محسوبتك أم السعد

قالتا وكانها توجه الخطاب إلى المحضر فغمزها

زمان أنندى ووجهها إلى المنصة مرة أخرى وسأله

القاضي :

— صنعتك ؟

— صنعتي حرمة

— انت متهمة انك عضضت أصبع الشيخ

حسن عمارة

فتركت المنصة ووجهت الكلام إلى المحضر

— وحياء هيبتك وشيبتك إلى ما عبت أبدا .

وغرقت في مقعدى وقد عبث النوم بأجفاني ،
ومضى وقت لست أدرى مقداره ، وإذا صوت
القاضي يصيح بى : « النبأة ! طليبات النبأة . »
فتفتحت عيني حراوين لا يبدو فيهما غير طلب
النوم ، فأخبرنى القاضي أنه أطلع الآن على تقرير
الطبيب الشرعى فاذا الاصابة قد تخف عنها هامة
مستدعية هى فقد « السلامة » الوسطى للبنصر ؛
فاعتدلت في مقعدى وطلبت في الحال الحكم بدم
الاختصاص . فالتفت القاضي الى المجوز قائلا :

— الواقعة أصبحت جناية من اختصاص
محكمة الجنائيات

فلم يبد على المرأة أنها فهمت الفارق ؛ فالعضة
في نظرها هى ما زالت المضة ، فما الذى حولها من
جناية الى جناية ؟ أه من هذا القانون الذى لا يمكن
أن يفهم كنهه هؤلاء الساكين

ونوديت القضية التالية فاذا هى شجار بالهراوات
وقع بين والد « ست أبوها » وبين أهل الزوج
(البئيد حريشة) فلقد تم الزواج بين الطرفين آخر
الأمس . وبمث الزواج بعض أهله ومعهم حمل لاستلام
المروس من بيت أبيها . فقابلهم الأب عتدا صارخا
في وجوههم : « جل ! ؟ بق تخرج بنتى على جل !
أبدأ . لابد من « الكومبيل »

وتجادل الطرفان فيمن يدفع ثمن هذه البدعة
التي رماها بهم تطور المعسر . وأدى الجدل الى
رفع المعص وإسالة بعض قطرات من الدماء لامناص
مها في مثل هذه الظروف . وانتهى الأمر بأن
أخرج أحد الساعين في الخير رياءا من جيبه
واستأجر سيارة من تلك السيارات التي تمر بالطرق
الزراعية : وحكم القاضي في هذه القضية ثم صالح :
— « انتهينا من الفرح » و « الدخلة »

الطعام يها ويقدم الى الضيوف حتى ذكر المهر .
وظهرت الأكذوبة وإذا الموقف لم يتغير ؛ واحتدم
الجدال بين الطرفين . وصاحت أم البنت تولول في
مجن الدار : يا مصيبتنا الكبيرة ، يا شامة الأعدى !
والنبي ما أسلم بنتى بأقل من عشرين . وخرجت
للرأفة في وسط الرجال كالجنونة تدافع عن حق ابنتها
وتخشى أن ينهى الرجال الأمر فيها بينهم بما لا ترضى ؛
وهزت الشيخ حسن الأرمحية فلم يضع يده في
طعام وقام الى المرأة يداورها ويحاورها ويقنعها .
بينما مد زميله الشيخ فرج يده الى الأوزة وجعل
ينهى منها نهشا دون أن يدخل في النزاع المحتدم .
ويظهر أن التحمس من الجانبين قد جاوز حد الكلام
وإذا الشيخ حسن يرى يده لا في طبق الأوز
ولسكن في فم المجوز ؛ فصرخ صرخة داوية :
واقبلت الدار شمر منقلب ، واختلط الحابل بالنابل ،
وجذب الشيخ حسن رفيقه ، فأنزله من أمام
الطعام انزاعا وخرج به وهو يجرق الأرم : فهذا
الرفيق لم يقل كلمة وحطى بالأكل ، وهو الذى
تحمس قد خرج من الوليمة بجوعه ، وقد أكلت
المجوز أصبعه ...

واستمرس المجنى عليه في الكلام . وبقاة
أخذت القاضي خلع ، وتيقظ وسواسه قاطع
المتكلم وقال كالمخاطب لنفسه : « يا ترى أما حلفت
الشاهد الجين ... » والتفت الى قائلا : « يا حضرة
وكيل النبأة . أنا حلفت الشاهد الجين ؟؟ » فجعلت
أذكر ... ولم يستطع القاضي طرد الشك فصاح :
« احلف يا رجل : والله العظيم أقول الحق » تخاف
الرجل ، فصاح به القاضي : « اذكر أقوالك من
أولها »

فعلقت أنا لن تنتهى ، وبلغ الضيق أننى وتناوبت

على خير ! غير ١

تفارقني فهمت : « تحب أني أحلف لك أنه حلف ؟ »
فاطمأن القاضي بعض الاطمئنان وأصغى الى بقية
الشهود في صمت وانتباه . ولم يطق اللهم صبرا
فنهض بفتة كالسنتيث :

— يا حضرة القاضي ! في الدنيا « حراي »
يسرق « وابور جاز » بناره ؟ !

فأسكتة القاضي بأشارة من يده قائلا :

— تسألني أنا ؟ ! أنا عمري ما اشتقلت
« حراي » . ونظر الى منصة الدفاع ، فقام المحامي عن
المنهم يصيح قائلا : « يا حضرة الرئيس ! نحن لم
نصادف وابور ، ولا رأينا وابور ، ولا سررنا طريق
به وابور .. والقضية ملفقة من أنفها الى أنفها ... »
وأراد المحامي أن ينطلق في هذا الكلام وأن يصول
ويجول . ولكن القاضي قاطعه :

— حلكم يا استاذ . اللهم نفسه معترف بأنه
صحیح لقي الوابور قدام باب الدكان ! فضرب الأستاذ
وجه النصبة بقبضته وقال :

— هذا سوء دفاع من موكلی

فأجاب القاضي في هدوء :

— غرض حضرتك أني أصدق حسن دفاعك
وأ كذب الحقيقة التي تطلق بها موكلك أمامنا جميعا !
فاحتج المحامي ورفض عقيرته وقد بدا لي أن كل
هم أن يجلجل صوته في الجلسة ، وأن يتصعب عرقه
فيمسحه بمنديلته وينظر إلى « زبونه » كاتما ربه
الجهد الذي يتكبده من أجله والعناية التي يذلها في
سبيله . وكان التعب والضيق والجلس بلا حراك أمام
منصتي قد صيرني شخصا لا يبي ولا يفهم ما يدور
حوله فأخفيت وجهي في ملف من ملفات القضايا
واستسلمت للنماس

(يتبع)

نوفيس الحكيم

فنادى المحضر بصوته الممتلئ « قضايا المحاميس »
وذكر اسماء من الاسماء ، فدوت صلصلة السلاسل
ونفض من بين لابس الخيش رجل فك الحارس
قيده . ونفض من بين المحامين أفسدى ذو بطن
كأنها القرية الملوثة وقال : « حاضر مع المنهم »
« فقلت في نفسي » تلك قضية لها محام لن يتركنا
قبل أن يفرغ في رؤوسنا ماشاء بمحجة حرية الدفاع .
فلاغض غيبي منذ الآن فرأسي أحوج ما يكون
الى الراحة بعد سهو الليل . وصمت القاضي يقول
للمحبوس :

— أنت منتم بأنك سرقت « وابور غاز » ..

— أنا صحیح لتيت الوابور قدام باب الدكان .

لكن لا سرقت ولا نهبت ...

فالتفت القاضي الى المحضر قائلا : « هات
الشاهد » فحضر رجل على رأسه لبدة بيضاء وعلى
منكبیه « دفيئة » ، خاف الجبين وقال أنه أشعل
« وابور الغاز » ليهيئ الشاي لبعض « الزبائن » الجالسین
داخل الحانوت . فهو بدال ربي صغير يبيع السكر
والبن والشاي والتبغ ويجمع لديه أحيانا بعض
الناس كأشهم في شبه مقهى ولقد وضع الوابور
مشتعلا عند عتبة الباب في الطريق ودخل المحضر
الابرق وما إن عاد حتى رأى المنهم قد حمل الوابور
بناره وجري به . وجعل الشاهد يسهب ويستشهد
بمن حضر ومن جرى معه خلف السارق ، والقاضي
مطرق وقد علت من هيئته أنه يفكر في شيء آخر .
ولجأة نظر الى وقال كالمخاطب لنفسه : « أنا حلفت
الشاهد الجين ؟ » فما تمالكك أن صحت في ضيق :
« سبحان الله ! ! أنا صحت الشاهد حلف » فقال
لى القاضي : « أنت متأكد ؟ » فشمرت أن روي



بالليل ، وقد شهدوا هذا الملك مقتداً كومة من
المظلم متلقماً برداء أنانيته ، وأعضاؤه ترتجف من
لفحات الصقيع

فشمروا بفصّة الموت عند ملاح لهم هذا
الشيخ نصفه مومياء ونصفه جنين ، فاقتربوا منه
والروح يعلأ قلوبهم كما يقترب الساحر من مومياء
ابنة أحد أشراف سارقان في ستراسبورغ حيث
تمرض محنطة بجلى خطبتها . وما يتكلم من يشاهد
هيكل هذه الطفلة من الارتعاش وقد تحلّت يدها
المتقنة بخاتم المرس وانتثر رماد رأسها على أزاهر
الليمون البيضاء

وكان نابليون مجروره على العالم قد زعزع كل
ما فيه ، كالمصفاة يحتلج الذباب فتزج بأبقت
أدواحها وتنادرها وأجعة في صمت رهيب . وكان
الملك قد شمرها بتيجها تميد فدوا إليها أيديهم
فلم تثر إلا على شعورهم وقد وقفها الذعر على
رؤوسهم



اعتراف في العصر

لألفريد موسى

بقلم الأستاذ فليكنس فمارس

[تابع ما نعرض في العدد الماضي]

وكانت عوامل ثلاثة تتنازع عواطف الشبيبة
حينذاك : ماضٍ منقصر لم يزل يرتجف ظلّه على
الأطلال حيث ثوت قوات الأثرة وعصور العنف ،
ومستقبل منفرج الأفق بعيد الجبال لا يلوح منه
غير أوائل ذرات النور ، ومدى بين هذين الحدين
أشبه بالمهبط الفاصل بين العالم القديم والعالم الجديد :
مدى مضطرب كالبحر الزاخر تتلاعب به المواقف
فيهدد بالفرق كل ما يحمل ولا يلوح عليه إلا بعض
البواخر الجريئة بجنازه صاحبة من حين إلى حين
في مثل هذه المفاوز كان على أبناء العصر أن
يهتدوا ؟ وتلك هي المشاهد التي كانت تنتصب أمام
فتيان ملء إهابهم العزم والقوة ، وهم أبناء
الامبراطورية وأحفاد الثورة . أما الماضي فكانوا
ليرفضوا به ، وما يتحكم الانسان في عقيدته ،
ولكنهم عشقوا المستقبل عشقاً شبيهاً بشغف ييكاليون
عاهل صور القديمة يشيح فائدة من عالم الجن ،
فكان المستقبل في بصيرتهم كدمية من رخام هاموا
بها فباتوا يتوقمون تورد عمر وقها بدم الحياة . وهكذا
لم يكن لهؤلاء الفتيان إلا زمانهم تسوده روح
العصر ، ملاك غسق لا يتفصل عن النهار ولا يتصل

ففعل بهم ما فعله فولتير بالكتب المقدسة
وسمعت الدنيا بمد ذلك خجة هائلة ، هي صوت
سخرية القديسة هيلانة تسقط على العالم القديم .
ولاحت نجمة التفكير في السماء بأشعتها الباردة كوشاح
آلهة الليل فغمرت بها الدنيا كأنها السكفن المروع
وكانت أوروبا قد رأت من قبل عدداً وفيراً ممن

يعتقون الأشراف ويتهددون الكهنة ويتآمرون على
الملوك ، ولكنها ما عرفت ابتسامة الاحتمار قبل
أن صر الامبراطور وتوارى عن البیان ، فكان إذا
اخترق الجمع شريف أو كاهن أو عاهل يهز الفلاحون
رؤوسهم متذكرون ما شهدوا من معارك ويقولون :
لقد نظرناهم في غير هذا الزمن وفي غير هذا المكان
وقد كانت وجوههم على غير ما نراه اليوم

وإذا ما ذكر أحد المروش والهياكل كانوا
يقولون : إنها عوارض من خشب سمناها نحن
ثم اقتلناها

وحينما كان الخطباء يقولون : لقد رجعت عن
غوايتك أيها الشعب ، فدهوت إليك ملوكك
وكهنتك ، كان الشعب يجيب قائلاً : « نحن لم
ندعهم ، وما دعاهم إلا هؤلاء التشددون »

وإذا قيل للشعب : (عد إلى الطاعة والسكون ،
أفلح الأرض واخضع) كان الشعب ينتفض
وتتحرك السيوف في أغمارها وقد علاها الصدا في
زوايا الأكوخ

ولكن الخطباء كانوا يضيفون إلى كل هذا
قولهم : (عد إلى السكون أيها الشعب فقد أضناك
الجهاد بلا جدوى ، ولا تطلب الاعتداء وليس من
يمتدى عليك)

فكان الشعب يرفض بهذا القول ؛ أما الشبيبة
فما كانت لترضى به

لأرب في أن الانسان تنفازه قوتان مجهولتان

وكان بابا رومة قد قطع ثلاثمائة فرسخ لبياروك
الامبراطور . ويضع الساج على مغرقه ، فلم يتورع
هذا الامبراطور من اختطاب التاج من يده
وهكذا كان كل شيء قد ارتمش في غابة أوروبا
القديعة المروعة ، وعقب السكون هذه المأساة
المهولة

يقال : إذا ما صادف السائر كلباً هائجاً فتابع
السير برباطة جأش ويخطوات متزنة دون تردد ،
لا يلبث السكيب أن ينسج بهدر غثق ثم ينصرف ؛
ولكن إذا بدرت من عابر الطريق بادرة تدل على
خوفه فأخجل بانتظام خطواته مسرعاً بخطوة واحدة
فان السكيب يتأثره مستأسداً ، وإذا ما نشب فيه
أنيابه فإنه لا يقف حتى يفترسه

لقد رأت أوروبا أكثر من ملك ظهرت منه
بادرة الخوف في تاريخها أمام شعبه فذهب فريسة
لهذا الشعب ، ولكن مثل هذه الكارثة لم تكن
تقع على الملوك جملة في آن واحد ، لذلك سقط الملوك
على التوالي ولم تمسح الجلالة الملكية . ولكن أمام
ناپوليون ارتمشت الجلالة الملكية نفسها ، فبدت
منها البادرة التي تؤدي إلى الهلاك . وما ارتمشت
جلالة الملك وحدها حينذاك بل ارتمش معها الدين
والشرف وكل سلطة إلهية وبشرية

ولما مات ناپوليون استمادت السلطات الآلهية
والبشرية روحها ، ولكنها لم تجدد في الشعب من
يعتقد بها بعد

إن في معرفة ما يمكن أن يقع خطراً ، لأن الفكر
يتجاوز الأماكن بافتراساته ، وليس القول بإمكان وقوع
أمر كالقول إنه وقع فلا ، وما التأكيد إلا أول
عضة للكلب المستأند

لم يكن ناپوليون الماني إلا آخر شرارة من نار
الاستبداد ، فقد أعبد الملوك لينسج أعلى منوالهم

بالأفكار الانكليزية فاكتسح الحزن كل ما كان من دلائل المرح القديم

ولعل الفتاة كانت تعهد بذلك طارفاً الجديدة فظهر الملك البشر بالجمع المنتظر ملقياً في قلوب النساء بذور الحرية التي ستطالب المرأة بها في آتى الزمان

وانشق الرجال عن النساء في المجتمعات الباريسية : فلبست النساء البياض كالمراسم ، وانتج الرجال بالسواد كالأنيام ؛ وتبادل الفتيان لفئات المدا . وما هذا الثوب الأسود الذي يلبسه رجال عصرنا إلا دليل انقلاب مريع ، لأنهم ما لبسوه قبل أن تساقط شاربات الشرف فمزقت الأزياء القديمة وتناثرت أزهار الأتواب المزركشة على الحضيض ؛ فكان الإنسان بمدان تحكم بمقله وهدم ما كان يقتربه من الآمال ، وقف متشككاً بالسواد يلتقي كلمات التعزية على المنقود . وسادت عادات طلاب العلم وأرباب الفن تطورات نشأت من التطور العام ، بمد أن كانت تلك العادات مجلى الحرية الحقيقية ، ومسرات الشباب النقية . انفصل الرجال عن النساء فاصلت بينهما الاحتشاش نصالاً لشفاء لجراحه . فقد الرجل حب المرأة فاندفع إلى الكؤوس ليستميض ما فقد ، ونظر الناس إلى الحب نظراً إلى الدين والمجد فأروا كل ذلك أوهاماً تلاشت مع الزمان القديم

وغصت للمواخير بالرجال ، فأصبحت الفتاة مهمة بمد أن كانت تفتنى الشبية بمجها الطاهر السامى ، وعند ما احتاجت إلى غذاء ورداء باعت نفسها . فباللشقاء وباللعار . . . لقد أهمل الشاب الفتاة ، وكان في وسمه أن يستنير وإياها بأشعة شمس الله وأن يقاسمها لقمته مادومة بمرق جبينه ، ولكنه تركها ويسار إلى مزايل الانسانية ليجد هناك تلك

تعمليان داخله حرباً عواناً إلى آخر حياته ، فاحداهما تبحث وتسبر المستقبل بسكون متحسبة تستنبط أحكاماً من البر ، والأخرى تتحفز للوثوب إلى المستقبل منجذبة إلى ما لا تلم ؛ وعندما تسود الانسان عاطفته يتبعها العقل منذراً باكياً ؛ وإذا وقف الانسان مجيئاً لدعوة العقل ، تهتف الأهواء قائلة : (وأنا هل يجب أن أموت) ؟

وابتداء الأسمى يختم في القلوب الفتية ، إذ حكم ملوك الأرض على الشبان بالراحة والسكون وقذفهم بأشد الأمراض أوجاعاً : بالبطالة والشجر ، فأحسوا بضمحلل الأمواج التي كانوا أعدوا لمصارعتها سواعدهم القوية . وسادت المسكنة على هؤلاء المصارعين الذين كانوا مسرخوا أعضاهم عيشاً بالثروت . فاندفع الأغنياء منهم إلى مبادي الفحشاء ، والمتوسلوا الحال وخضمو للقصاء وتحولوا الى الكمنوت والجندي ، أما الفقراء فلم يجدوا سوى الجلوس البارد فارتعوا فيه بالأقوال الجوفاء كما يرتعى المجاذف بنفسه في البحر التي لا ساحل له : بحر الابتلاء بالجلد بعيداً عن العمل .

ومما ألت الضمى البشرى يقود الناس الى الاجتماع والتعاون ، لم يلبث هؤلاء الشبان أن اجتمعوا فوجدت السياسة مرعاهما المصعب بينهم . وهكذا كانت الشبية تخرج من مصارعة حراس المجلس التشريعى لتتجه الى المسارح حيث تشاهد (نالا) الى بسا قعمة تشبه قعمة الأمباطور ، أو تسير الى المدافن لتحتفل بعائم نائب من الأحرار ، لتعود أخيراً الى مساكنها كل مساء شاعرة بفراغ حياتها وعبت محاولاتها

وما كانت حياة المجتمع الداخلية بأقل يؤسأ من الحياة الخارجية ، فساد الناس الأسمى والجمود ، وتسلبت الزياء على المادات ، وأصبح الذين مشوباً

الواسعة ؟ ألم تلهك الروح وأنت التصوف المعتقد
بوحدة الوجود ما يهينك على سكب قليل من العسل
في تلك الكؤوس الرائحة التي تنحها للأجيال ،
وقد كانت ابتسامة واحدة منك كافية لاستمواء
النحل فتزول بجنبها على شفيتك

وأنت يا يبرون ! ألم تكن عائشا تحت سماء
إيطاليا الجميلة ؟ ألم تكن تنأجى أمواج الادرياتيک
والى جنبك المرأة التي أحبت ؟
أنا الذي أوجه اليك هذه السكيات الآن ،
وما أنا إلا فتى ضيف يحمل من الحياة ما لم تتحمله
أنت من مصائبها وآلامها ، إننى أؤمن بالأمل
وأبارك الله

وما هبت زعازع الأفكار الانكسارية والألمانية
على رؤوسنا حتى سادنا الاستمراء برهة . ثم عقبه
الاختلاج المريع . لا شيء يحول أملاح المواطن
الى بارود منفجر كالنابغ في مواطن الشك
بالبداية العامة . وكان جوده برأسه الجبار قد
اعتصر كل ما في الثمرة المحرمة من خلاصة ، فغلب
للناس أن من لم يقرأ جوده لا يعرف من الحياة
أشياء . ويل لهؤلاء الناس ! لقد انفجرت أفكارهم
بعلامة أفسار جوده ، فتناثرت ذواته تائهة في
سهاوى الشكوك

وساد المجهود تلك الأزمنة ، فانكر الناس كل
ما على الأرض وكل ما في السلب . وما المجهود
إلا آمال عاثرات تدور بها الأحزان ، فكان
الانسانية كانت قد تراخت عزائمها فدخلت طور
الاحتضار ، فانحنى عليها المفكرون يحسون مواضع
انباضها ليتحققوا موتها

وكانت شبيبة فرنسا شبيبة ذلك الجندي الذي
أجاب من سأله : ثم تؤمن ؟ فقال إننى أؤمن بذاتي .
فتصيب من يورد هذا السؤال عليها : إننى لا أؤمن بشيء

الفتاة نفسها مثقلة بالمعوم شاحبة مضمضة يجول
على فيها الجوع ويرعى قلبها الابتذال
في ذلك الزمان ظهر شاعران هما أعظم هياقنة
المصر بعد نابليون تخصصا حياتهما للجمع ما تبدد في
الأرض من مبادئ الشقاء والآلام ، فكتب
جوته عميد الأدب الجديد (آلام فرتر) واصفاً الوله
الذي يقود الى الانتحار ؛ ثم عاود فرس في (فوست)
أعظم صورة تمثل الشر والشقاء . واجتاحت
كتاباته فرنسا كلها وهو جالس في بيته تحوطه
السعادة وتخدمه الثروة ، فكان يرسل اليها رشاش
قله الأسود وعلى شفقيه ابتسامة الأب لبنيه . . .
وجاء يبرون من جهته يرفع صوت الحروب
والفجائع ، كأنه لم يجد من حل لسر الوجوه غير
كلية الدم المروع

عفوا أيها الشاعران العظيمان ! أنتم الآن ذرات
رماد يفتقر القبور ، أنتم في عداد أنصاف الآلهة
أيها الشعاران ؛ وما أنا إلا فتى يضنيه المذاب ،
ولكننى وأنا أسطر هذه السكيات لا أمتلك
نفسى من إرسال اللمة عليكما

لذا لم تقفيا بمطر الأزهار ، وأنشدت الطبيعة ،
وبالآمل والحب ، وبالكروم ، وشماع الشمس ،
وبأنوار الشفق وروعة الجبال ؟ لقد عرفتما كنه
الحياة ، ورأيتم الدنيا تتداعى فكيتما على الأطلال ،
وأرسلتما أنين البائسين . لقد دفنا حياة الخليقات ،
وجفاء الأصداق ، واحتقار أبناء الوطن ، فدارت
بكما أشباح الموت وشمعنا بقاء القلب . لقد كان
كل منكما جباراً من جبابرة الأحزان . ولكن قل
أنت يا جوته أبا سمعت أذنك صوتاً واحداً يؤاسى
الخراب في هدير الأحراج المقدسة في بلادك ؟ أفا
تمكنت وأنت من يعرف أن الشعر صنو الفلسفة
من المثور على زهرة السلوان في هذه الطبيعة

في آفاق آسيا . وكان شاوريان قد قبض على
سولجان إمارة الشعر ، فلف اليأس برداء أسفاره
ورفضه كالصنم على هيكل تملأ حوله عقبات البخور
فاحتت شبيبة فرنسا على قواها المكبوتة بأية
تكرع كأس الآلام حتى التماله ، وملأت الأقطار
نفثات الأقلام المزللة بأدب لاولون له ، فكان رشاش
من دم آسن يرسل لتنفيذ مسوخ الحياة

ومن له أن يصف ما كانت عليه المدارس في
ذلك الزمان ؟ لقد كان الشك يود بالرجال ، أما الشبيبة
فقد كانت اجتازت مرحلة الشك واستقرت على
الحجود . وكان الشعراء يتفننون بالغنية وهزات
الآمال . وكان الشبان يتركون مقاعد المدارس
ويواجهون الحياة بحياة تطعم بالبشر وعلى لسانهم
لمنة الكفر . وكان الطبع الفرنسي المائل إلى المرح ينيل
الأدمغة مغاعة تحتمل الأفكار الانكيزية والألانية ؛
غير أن القلوب لم تكن منعمة لتحتمل النضال في
الأوجاع فذبلت وانحبت على ذاتها كأنها أزاهر
مقصوفة

وهكذا اتجه مبدأ الموت إلى الاحشاء منسرباً
اليها يهدوء من الأدمغة ، فأنسكروا الخير يمد أن كنا
نؤمن بالشعر ، وبلغ اليأس مرحلته الأخيرة فاستقر
على الشعور الميت . وجلس أبناء الخامسة خمسة
محب ظلال الأشجار الزهرية يتجاذبون من
الأحاديث ما يهز أشجار فرسايل الحمراء

طوي لمن لم تدركهم هذه الأزمنة فلولو إلى
المساوية وهم يتطلعون إلى السماء إن من حالات
الحياة ما يبعد القلوب بالشقاء فلا يجد هذب القلوب
ما يفرج كربها إلا إرسال اللعنات والتجديف
وقف ملحد أمام السماء وقبض على ساعته متحدياً
صاعقة الموت ، وقد منح ربه مهلة ربع ساعة ،
وبات ينتظر . إنها لفترة ملؤها أشد غضب وأفظع

وانشطر المجتمع الى فئتين : فئة النفوس
المضطربة للتوجه الناقطة إلى النسل العليا ، فكان
أبناءؤها يمنون الرأس ويكون متلفعين بأحلامهم
الوثة كأنهم مقصبة تتأبل على مستنقع من الشقاء .
أما الفئة الثانية فكانت مؤلفة من رجال السادة
والشبهوات يقفون بلا مبالاة على ركاب الملاذ
ولا لهم لهم غير إحصاء الأموال التي حشدتها أطعمهم .
وما كان يتصاعد من هذا المجتمع المؤلف من الفريقين
سوى زفرة ومخكة : تلك ترسلها الروح ، وهذه
يقذفها الجسد . وكانت الروح تقول في زفرتها :

— إن الدين يتداعى ، وهذه سحب السماء أصبحت
غيوماً تتساقط أمطاراً . لقد فقدنا الأول وحررنا
حتى قطعة من الخشب الأسود نرفضها صليلاً لتمد
أيدى الضراعة نحوها . لقد تلفت نجمة الصبح
بالنيوم الكثيفة على مطلع الفجر ، فكان الشفق
يقبض عليها ليصدها عن الارتفاع ، وكأنها شمس
الشقاء ألقت الثورة عليها براقع الدماء

لقد فني الحب واضمحلت الأجداد ، فما أحلك
الظلام في هذا الليل الترابي بأطرافه على الأرض !
ولسوف ندرك الموت قبل أن يتداركنا نور الصباح
أما الأجساد فكانت تقول في مخكتها : — لقد
وجد الإنسان للتمتع بحواسه ولديه من القطع
الصغراء والبيضاء ما يقيس به حق تحمته بالتكريم .
وما الحياة إلا الطعام والشراب والرقاد ؛ أما العلاقات
الاجتماعية ، فهي المودة القاعية على استقراض المال ؛
وقد تجد صديقاً تدفع النواطف به الى هذه التضحية .
ومنها صلات القرى وهي نافعة للحصول على الميراث .
ومنها الحب ، وما الحب إلا رياضة بدنية . وليست
اللغة الثقيلة إلا نوعاً من التروير والكبرياء .
وهكذا كان اليأس يتشفي بخطواته الواسعة ذارعاً
أرض أوروبا كأنه الطاعون ينتشر من نهر الكافج

أيام جهادهم ومحنهم كانت قد استحوطت الى ضربات قاضيات عندما صارت القوة الى أيديهم
قال مونتسكيو: « لا يدعى وأنا أفكر بحالة الشعب وهو رازح تحت استبداد الكهنوت اليوناني إلا أن يخطر ببال أولئك العبيدان الذين أتى هرودوت على ذكرهم ، وهم من كانوا يخضون اللبن لاستخراج زبدته ، وكان أسياهم يقتلون أعينهم كيلا يتلوهوا بالمشاهد عن متابعة العمل دون انقطاع . وهكذا كان الكهنة في روما يمنون النور عن كل مبصر ، فلم يكن يقرر القيام بحرب أو عقد هدنة أو قرض أو الاتيان بأى عمل دون أن تنظر الرهينة فيه أولاً ، إن القلم ليكمل دون وصف الأضرار التي تنجمت عن هذه الأعمال »

على أن مونتسكيو كان يوسمه أن يتم كلامه قائلاً :
(إذا كانت المسيحية قد هدمت البروش ، فانها أحيت الشعوب . إذا كانت قد فتحت للبربر أبواب القسطنطينية ، فانها قد فتحت أيضاً أبواب الأكوخ بامم المسيح . وما كان بالأمر الضروري أن تحتفظ روما بتجدها المتداعى وهي المومياء المحنطة بمطر نيرون والمكفنة بوشاح نيباريوس وقد رمى أحشائها دود الفساد

إنما عمل المسيحية ، أيها السياسيون ، كان يتجه « إلى إدخال السلام على قلوب الفقراء البائسين ، وإلى إخراج الأمل من أحشاء المومياء الفاسدة قوة حية تمضد كل مظلوم ، وذلك ما قامت به المسيحية على اقتراض روما ، ولكن ماذا فعل خلفاء هادى روما بعد مرور السنين ؟ إنهم لبثوا ينظرون إلى الفقير يرهقه الغنى ، وإلى القوى يستبدوا الضعيف ، ويسمونه يقول : (إن الأقوياء سيصبحوننى على الأرض ، غير أنني سأقف في جوههم عند ماسيحاويلون دخول السماء فاشكركم إلى الله) .

لقد ، إنها لقحة بدايتها تنهى اليأس تحنك بقوات السماء . وهل كان ذلك الرجل إلا مخلوقاً شقياً يتملح تحت الأرجل التي تركه ؟ وهل كان صوته إلا نداءً هائلاً تدفع به الهن والالام ؟ بمن يدري ؟ لعل هذا التحدى الموجه إلى السماء كان في عين من ينفذ الى خفايا القلوب نوعاً من الصلاة ...

وما كانت الشبيبة إلا كهذا الجاحد تفتح لقواها المكبوتة منافذ الفرج باليأس . إن من لا يجد أمامه ما يشغل به قواه ليتخذ تسلياً له من التجديف فيتهكم على الدين والمجد والحب وعلى كل ما في العالم ، تلك الوسيلة هي السبيل الذى يتبسه الانسان ليخادع نفسه فيتهكم عليها وهو يجدف على كل شئ .

بلد للره أن يضع نفسه في مصاف الأشقياء حين يحكمه الضجر فيندفع الى الفحشاء لأنها أول ما يخطر على بال الماسطين ، وهي الآلة التي تتلصصها الأعصاب المهانجة لتشد بها على نفسها تسكيناً لاختلاجها

وكان الأغنياء يقولون : لا حقيقة إلا بالثروة وأما ما سواها فأحلام . فلنتمتع بالثروة ولنمت

وكان متوسطو الحال يقولون : لا حقيقة إلا بالسلوان ، وأما ما بقى فأحلام . فلنسل ولنمت . أما الفقراء فكانوا يقولون : لا حقيقة إلا في العذاب ، وأما ما سواه فأحلام ، فلنجحف ولنمت إنه لو صف مريض قد يحسبه البعض مبالغة ، وما أنا إذ أوردته مندفع بالمداء للانسانية ، فهو وصف للواقع ، وهذا هو البرهان

كل من طالع التاريخ وسبر غور الأسباب التي أدت إلى سقوط إمبراطورية روما ، لا بد له أن يرى ما انبث عن المسيحيين من قوات دمرتها تدميراً . فان المنظمة التي تجلت في هؤلاء المؤمنين

ترسل البركة إليكم

لقد كانت النقي يقول للفقير: فيما مضى :
الأرض ، فيجيبه الفقير : أما أنا فلي السماء . فبأية
كلمة سيجيب الفقير الذي الآن ؟

ان علل هذا المعسر كلها قد نشأت عن سبعين ،
فان الشعب الذي مر على نوري سنة ١٧٩٣ و١٨١٤ .
قد خرج منهما بحرين . كل ما كان قد زال ،
وكل ما سيكون ليس كائناً بمد . هذان هما السبعين ،
فن البعث أن نفقش عن ثالث لها

ما حالنا الا حال رجل ندعى مسكنه الى
الحضيض وقد بعثر أبقاضه ليقوم ببناء جديد .
شمر الرجل عن ساعد الجد وبدأ العمل وهو منتظر
ورود الحجارة البيضاء الجديدة لرفع البناء ، ولكن
قيل له ان الحجارة البيضاء الجديدة بعيدة النال ، فعليه
أن يصلح الحجارة السوداء القديمة . وسطا الدهول
على هذا المامل الذي لا يريد أن يرفع بيته بمواد أخواتها
الدهر وموهتها الأيام بالسواد ، ولكن ما العمل
والحجر عقيق ولا أدوات لديه لاستخراج
الحجارة منه

وقف المتفرجون حوله وقالوا له : استخرج
الحجارة من حين الى حين واشتغل على مهل
وتكاثر النصاب تبذل لهذا الرجل وهو
واقف تحت سماء الله . لقد تهتم بيته القديم ولا
بيت جديد له ، فهو عرضة للحر والقر ، لا يعلم
أين يعمل وأين يرتاح وأين يأكل وأين ينام وأين
يحيا وأين يموت ، وهو متعب مضطرب ، وأطفاله
يكون في أسرهم في المراء

ومن أشبه بهذا الرجل منا ؟
أى بنى القرون القليلة انكم ستتحنون في
زمانكم على المحاربت تمزق أحشاء الأرض فتبسم

هكذا جبر هؤلاء المؤمنون فيما مضى ، ولكن
أعداء المسيح وقفوا وصاحوا بالفقير قائلين :
إنك صابر تتوقع ظهور العدل ، والعدل لا وجود
له . إنك تنتظر البعث لتخلص من الظلم في الخلود
وليس من خلود . أنت تدخر دموع أطفالك ونواح
امراتك لتحميها الى أقدام عرش الله بمد موتك ،
وما بعد الموت من حياة ، فان الله غير موجود)
وعند ما سمع الفقير هذا جفف أجفانه وقال
لاحرائه أن تكف عن النواح ، ونادى بأولاده
ليقت معهم على الخرق البالية كالنورالحاج ، وصرخ
في وجه النقي قائلاً :

(ما أنت إلا رجل أيها الظالم .)

ثم التفت إلى الكاهن ، وقال له : « لقد كذبت
أيها المزي »

وهذا ما كان يقصده أعداء المسيح ، ولما هم
حسبوا أنهم يسعدون الفقير بارساله على سبيل
الطالبة بالحريّة

ولكن إذا فهم هذا البائس أن الأغنياء
يسلبونه حقه وأن الكهنة يتاجرون ببجله ، إذا
ما عرف أن للناس حقاً واحداً في الحياة وأن الفقر
هو الكفر بيته ، فان إيمانه ليتجصر حينئذ بقوة
ساعده فيتهق قائلاً : لأصلي الأغنياء حرباً عواناً .
إن اللذات للجميع على السواء ، إن الأرض لي أنا
أيضاً ما دامت السماء خاوية خالية

أيها المفكرون الذين تقودون الفقير الى هذا
الوقف ، أية كلمة تدخرونها لشقاؤه إذا هو اقتحم
المعترك فسقط مغلوباً على أمره ؟

لقد يكون جبك للانسانية المذبذبة قد أهاب بكم
الى الندادة بهذه البداى ، ولقد نجي بكم يوم
يبارككم الناس فيه ، أما اليوم فلا يسمننا أنت



الأوليسس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

[تابع ما نشر في العدد الماضي]

لها ما مسومة مسمومة سقاها أبى بمد إذ رفض
أنت يُسمِّها إيلوس بن صرميس^(١)... وهو
لوسوبها إلى أولئك الفاليك لأبادم... يا رحمتا له !
إن أحداً غير — الآلهة — لا يعلم إن كان ما يزال
حيّاً يرزق أو هو قد ابتله اليم أو عاجلته النون ...
تليّك ! يا ابن أعز الناس على ! إصغ لى وع الذى
أقول : إنك لست طفلاً بمبدأ . فلم لا تشمر عن
(١) أورد هنا هوميروس أسطورة لادامى لذكرها

واثال الحسان فى فم مينرفا ، إذ هى تجيب
الفتى المحزون :

« ويح لك أيها الفتى ! رحمتا لك يا بنى الصغير !
أواه ! لو أن أباك هنا اليوم لينود أولئك المناكيد !
وحق الساء لو أنهم رأوه وهو بلاعب رعيه
أو يداعب سهامه لأخفوا وولوا مدبرين ! إن له

الشكر لله ، أيها الأحرار ، لأنه أوجدكم فى عصر الحصاد .
افتكروا فينا نحن الراحلين ونذكروا أن ماتتمتعون
به من عناء وسلام قد كلفنا كثيراً من الشقاء
ترحموا علينا أكثر مما ترحمون على سائر
من تقدموكم فى مراحل الأجيال ، لأننا نحملنا أوجاع
أجدادكم دون أن تتمتع بما كان لهم من عزاء ...
فيلبس فارس

لكم بمروجها ونياها أما بارة بالماملين تغنى لهم
وهى تجر برود الأنوار فى الصباح . فى تلك الأزمنة
سيكل المرء جبينكم بالفرح والخيور ، وإذا
تسرحون أنظاركم على الآفاق الواسعة ، فانكم لن
تجدوا فى حقول الانسانية إلا السنايل تتأوج
متساوية قد رسمتها الأزهار
فى ذلك الحين ، عندما ترفعون رؤوسكم لتؤدوا

وعلى الآلهة فلتشكل !» -

وحين انتهت ميزفا من هذا الحديث ، حذجها تلياك وقال : « أيها الصديق حبا ، وبأبر الأوفياء سمعا ! لقد أيقظت في ضميرك أنت أحبيته . فألف شكران لك ... أبدا لن أنسى كلتك : أنا ابن أوديسيوس ! فلأبحث عن أوديسيوس » وحاول الفتى أن يقدم لجدته هدية سنوية تكون تذكار هذا اللقاء ، ولكن ميزفا شكرته وأبت أن تأخذ شيئا « فإذا نجحت في مسماك يا بني فسوف أعود وسوف أقبل أية هدية منك ! »

ثم انطلقت ربة الحكمة ، ذات العينين الزرجيتين . ولشد ماذهل الفتى ووقف مسبوها مشدوها حين رأى هذا الأمير (منتس) ينتفض انتفاضة هائلة فيكون تسرا قسما يضرب الهواء بجناحيه ثم يسلمو ويسلمو ... فيكون في السماء ويشيب عن ناطريه !!

ولم يحس الفتى يوما بما أحس به الساعة من هذه الذكريات الملحة على فؤاده سهيج فيه الشوق إلى لقاء أبيه ، وجدد الثقة عنده وأكد لها فيه يقينه أن إلهها يساعده ، هو هذا الضيف الذي أرسل جناحيه وغاب في السماء

وانطلق تلياك حيث جلس الفساق يستمعون إلى أغاني فيميوس ، وحيث وجد أمه في الشرفة العليا تستمع هي الأخرى إلى تلك الأغاني بين قبائها من وراء ستار صفيق وتبكي ... وتسال فيميوس أنت يتغنى غير هذا الغناء غناء لا يثير ذكريات شجوها وشجنها ... وتثور النخوة في قلب الفتى فيصيح بأمه : « علام المويل يا أمأ ؟

ساعد الجد وتبحث بنفسك عن أبيك ! لم ترضى أن يطلع شرف بيتك هؤلاء الفجار ؟ لم لا تكلمهم بنفسك في أمر أمك ؟ ولم لا تصرفهم عن هذه الدار إلى بيت جدك ليطلبوا إليه يد ابنته إن شاءوا ؟ أليس أبوها ألق لهذا الشأن من كل رجل سواء مادام أوديسيوس لم يؤب ؟ لم يرضون هنا كساع الفلاة يوهون ثروتك وبأكلون مالك ويذهبون بالأخضر واليابس مآرك أبوك ؟ إستمع لما أقول يا تلياك ! نبي القوم فليجتمعوا لك ، ولتسمعهم كلتك ، ولتصارع أمك إن هي أرادت منهم مالا فلتنصرف إلى بيت أبيها فهو أولى بهذا الأمر من كل أحد . ثم انفض أنت يا ابن أوديسيوس ! فابحث عن أوديسيوس . أعد ما استطعت من سفن وزاد ، وميرة وعناج ، ولتبحر على بركة الآلهة ، فلتذهب أولا إلى (يلوس) حيث الحكيم الباسل نسطور ، ثم إلى إسبارطة حيث صاحب هذه الداهية نالايوس^(١) ... أقلع بقلبك إلى هذين فسائلهما أين مضى أبوك فقد تقع منهما له على خير ... ولتكن لك أسوة في الفتى الجريء القدام أوردت الذي قتل قاتلي أبيه^(٢) ، وفيهم أمه ... بوركت يا أوردت !! بوركت يا أوردت ! هلم يا تلياك فقد تمود بأبيك حيا فريد الشرف والمجد إلى هذا البيت ؟ وقد تمود به ميتا فترفع ذكره ، وتقيم قبره ، وتخلد في المآلئين أثره !! والآن ، فلانفض أنا إلى رجلتي وسفنى . لقد بمدت طويلا عنهم ... وكلى يقين يا بني أن تقدر نصيحتي

(١) زوج هيلين أخت پتوب والتي كانت سبب حرب طروادة
(٢) أجاممنون

حين تخلفه على السماء ... غير أن أمره إليكم اليوم
إن كان قد قضى أوديسيوس ... أما أنا ... فلا أريد
إلا أن أكون سيد هذا القصر ... ولا غرو ...
فإن هذا من حق ! »

وأجاب يورماغوس : « إن من حقا أن تقول
ما تشاء يا أخانا تليماكس ... أما ملك إيثاكا فالسواء
وحددها تؤنيه من تشاء . ولكن قل لنا برك من
هذا الضيف الذي كان ملك الساعة ؟ هل من قبل
أيك أقبل ؟ أم إن له عليكم لَدَيْنَا ؟ إن أحدا منا
لم يلقه ولم يره ، ولكننا لحناه من بعد ، عليه سماء
النجاة والجلال . من أين أقبل يا تليماكس وفيما
قدم ؟ ... »

وأصلح تليماك من شأنه وقال : « أيها السيد
يورماغوس ! إن بقيتي أن أبي قد انتهى ... وإن
تتربى هذه الكائنات المسمولة التي يتشدد بها
المنجمون ... أما هذا الضيف ... ذ ... هو من
أصدقاء أبي طيبا ، وقد أقبل لجرده الضيافة ، وهو
الأمير منتس أمير البحارين وسيد قافوس ، وابن
سيد هذا الزمان ، الملك الشجاع أنخيالوس . »

قالها تليماكس وهو أعرف الناس بضيفه ؛
ثم اتنى كل إلى غيمه ، واتنى تليماك إلى غدعه
بالباطن العلوى . حيث كانت مرضه يوربكيلا
تنتظره ، وتوقد له الشموع والسُّرج . يا لها من
أننى طيبة تخلص لولاهما وتحنو عليه ... لسرعان
ما خلَّع ملابسه فغطرتها وحفظتها ! ... ولسرعان
ما هبات له فراشه الوثير ...

وقضى تليماك ليلةً بانبيةً مثقلةً بالهواجس
والأفكار

وماوقوفك هذا الموقف تسترعين الفناء ؟ وما اعتراضك
على المنى ؟ دعيه يثنى ما يشاء ، فلقد غدونا سخرية
القضاء ومُزْزُو المقادير . ولقد ذهب أوديسيوس
وفُهِبَ معه كرامة هذا البيت ، وإنى لصاحبها
بمده ... فادخلى وليدخل ملك قيانك ولتقمن جميعاً
بشؤون المنزل ، ولتُخْلِينَ إلى مفزلك ومنسجك ،
ودعى كل ما عدا ذلك للرجال ... لى ... لى أنا
وحدى : سيد هذا القصر ! »

وأثرت مقالة الابن في نفس أمه ، فانتثت مع
قيانها إلى غدعهما بالباطن العلوى ، حتى إذا خلت
إلى نفسها ذرفت من الدمع على أوديسيوس ما شاء
لها حزنها أن تذرف . أما تليماك فقد انطلق وسط
القوم ونادى بأعلى صوته : « أيها الفساق ! يا عشاق
أبى ! خذوا في لهرمكم ، وتعمتوا قليلاً أو كثيراً ،
فاذا كان الغد فاجتمعوا في الساحة الكبرى ، فإن
لى كلاماً ممك ... سأطلب إليكم أن تشدوا رحالكم
من هنا ! أنتمعون ! لقد طالما أنفتم لنا زادا
وعتاداً ... ألا تلتفتون إلى الزاد والمتاد من عند
أنفسكم ؟ ولتقيموا أفراحكم ولتأتمكم في غير هذا
المكان ؛ فإن أيتم فاني مستين بالآلهة عليكم ،
ولتقتص منكم الساء بما جرحتم ... »

وما كاد يفرغ من قائته حتى عضوا على أبايهم
لما جأتهم بهذا الكلام الخشن الذي لم يتبادوه .
ونهمض أنتينوس من مجلسه وقال : « تليماكس !
لقد حق لك أن تخاطبنا بهذه الشجاعة ، ولكن ...
يا لشؤم اليوم الذي تتوجك الساء ملكاً فيه على
إيثاكا ... عرش آبائك وأجدادك ! »

ويجب تليماك : « ليس أحب إلى من الملك

تلياك يجادل العشاق

وجرح بائناً عمه أبيه

مهمومة ما تقدم



ميتراً

من شأنه ، وتقلد سيفه ^(١) ، ثم افنتل غتلاً ، كأحد آلهة الأولب من باب غدعه ، وجعل يقلب عينيه في هذه الخيام المضروبة التي تملأ خديقة القصر ، والتي يشوى فيها أولئك الفجار الاشرار عشاق بنبوب ؟ وتلبث قليلا في القلب لظلي ، وفي النفس كاوم ؛ ثم صاح بالألفهوا مسرعين ، وأخذوا ينسبون إلى الدرمة الكبرى ، حتى إذا انتظم عقدهم والتأم شملهم تقدم هو متهدجا نحو عرش أبيه ، وفي يمينه رمح ظالي إلى تلك الدماء الذنيسة التي تتدفق في عروق اللثاب ، وعن جانبيه كلباء الضاريان يهديان وفي عيني كل منهما جرتان . وكانت ميترفا نفسها تضفي على الشاب سبها النبيل ، وترقرق فوق ناصيته أمواها من المظمة والمجد ، لتقف منه

« بعد سقوط طروادة عاد كل أبطال الأتريخ إلى أوطانهم ما عدا البطل العظيم أوديسيوس الذي مثل طريقه في البحر ولبت ستين طويلة يحيط في الم على غير هدى وكانت زوجته بنبوب أخت هيلين من أجل النادات اليونانيات فطعم أسماء البلاد للشاخة في التزوج منها ، ولكنها رفضتهم جميعا ثم لجأت إلى الحيلة معهم حين لجأوا هم إلى النطرسة وأقبلوا بعضهم وقضيضهم ، فسكروا في حدائق قصر أوديسيوس وردحاته ليضطروها أن تختار منهم زوجا لها . ذلكم أنها اصطفت لنفسها منسجا وراحت تعمل عليه ووعدهم أنها حين تفرغ من نسجها فاتها ستختار منهم بلالها . ولكن هذه الحال لم ترش ميترفا رفة الحكمة ونصيرة أوديسيوس . فسألت أباه كبير الآلهة أن يساعد هذا البطل وأن يأذن فيأمر بيوذته إلى وطنه . وكان أوديسيوس في هذه الآونة عند عروس النساء كاليسو التي أصرمت به وانتقت بقوة فأيقته لنها وراحت تراوده عن نفسه ؛ فأرسل كبير الآلهة ولده هرمن إلى هذه العروس بأمرها باعداد سفينة يبحر البطل عليها إلى بلاده — أما ميترفا فاتها ذهبت بنفسها إلى تلياك ابن أوديسيوس — في صورة أمير من أمراء البحر يدعى منس ، وهناك أكلت مع الفتي ثم حرضته على طرد العشاق المجرمين من قصر أبيه ، وبعد أن فرغت من حديثها معه حولت نفسها إلى سر عظم وضربت الهواء بجناحها وغابت في الساء ، فتأكد الفتي أن الذي كان يكله ليس أمير البحر منس ، ولكنه إله عظم أقبل ليبد له يد المساعدة في البحث عن أبيه — وقد خاطب تلياك العشاق فطلب إليهم أن يجتمعوا في الفد في الدرمة الكبرى ليطلب منهم أن ينادروا القصر وأن يذهبوا إلى جده فيخطبوا إليه ابنه بنبوب إن أرادوا ، ثم ذهب ليترفع في غدعه إلى الصباح »

موهت أوروا ^(١) ، ابنة الفجر الوردية مشرق

الأفق ، فصب ابن أوديسيوس من مرقده ، وأصلح

(١) ربة الفجر في الميثولوجية اليونانية وإحدى تابات أبولو وعادية عمرته — الشمس — عند ما تبرز من أبواب المشرق

(١) في الأصل (صيفحه) وهي السيف الرخيص

بُشريات الجيش المفقود الذي لا يسلم مصائرهُ !
 لاريوس ! لقد فقدت والدي ، ووالد الأيتام
 جميعاً ، ثم أنا اليوم حبيس هذه الدار ، أسير هؤلاء
 المشاق^(١) الذين يطعمون في الزواج من أمي ، غير
 متقين في عرضي إلا ، ولا راعيت لأبي ذمة ،
 يُدَّخِنون النسم^(٢) ، ويريفون^(٣) الزاد ، ويمارقون
 ابنة النعب ، ولا يبالون أن يهلك الزرع والخضر ،
 ما داموا يبيتون ويطونهم ملاي ، وبيت غيرهم على
 الطوى ... ! لقد استباحوا هنا كل شيء ، ما دام
 لا أوديسيوس هنا فيردهم ، ولا حول لي فأغل
 إليهم ، ولا ضائر فيصيخروا إلى قولي ، ويرجوا
 ضعي ، ويذهبوا من فورهم إلى جدي فيخطبوا إليه
 ابنته إن أرادت أحدهم بملا ، فهو بها أولى وبشأنها
 أحق ... إنكم شعفاء أيها الأيتام كيون الأوفياء ...
 ولو استطعتم لرددتهم عنى غائلهم ... فلقد طفع
 الكيل ، وحزب الشر ، وعم الأذى ... والآن ،
 أوجه إليهم قولي ... ، ولن أستحي أن أصارحكم
 مرة أخرى أيها المشاق ... اخجلوا إذن ! ولتصغ
 الفضيلة وجنائكم بمحمة الحياء ! أذكروا ما عسى
 أن يُصيركم به جيرانكم ! واخشوا قارة محل عليكم
 من أربابكم ... واتقوا يوم تلقونهم تودون لوتلقوكم
 الصواعق ... يا قوم ! أستحلفكم بسيد الأبواب !
 بربة المداللة تيميس ، إلا ما تركتموني أنفسي البقية
 الباقية من أيابي في شقوتي وحدي ! هل أجزم أبي
 مرة مع أحد منكم فأتم اليوم تأخذوني بحجره ؟

(١) يلاحظ القارئ أن الاجتماع كان تاماً ولم يكن
 قاصراً على المشاق فقط ، بل ضم جمهوراً من أمل إيثاكا
 كذلك

(٢) اللاشية

(٣) يدعون

الرجب في قلوب أعدائه ، حتى لبهزم أن يروا في
 تليماك ذلك الضرغامه المحتال

وما كاد الفتى يستوى على عرش أبائه الصيد ،
 وأجداده الصناديد ، حتى نهض شيخ يحمل فوق
 كاهله السنين الثقيل ، وتشتغل في رأسه شبيهة
 التجاريب وجلائل الفمائل . وكان هو إيجيتوس
 بعينه ... إيجيتوس للسكين الذي بعث بولده
 أنتفوس في أسطول عظيم وجند لجب ، ليشارك
 في حرب اليوم مع أوديسيوس ، فتنازل وناضل ،
 وكر وفر ، وجل وصال ، وصمد واقتصر ...
 ولكنه .. وأأسفاه ! .. لم يعد إلى أوطانه في
 العائدين ، بل صحب أوديسيوس في رحلته المشتومة
 وراء البحار حيث أكله السيكلوب الوحش فيمن
 أكل^(١) . وقت إيجيتوس بين أبناء له ثلاثة ،
 أحدهم من عشاق بنوب ، ثم قال :

« أيها الرفاق ! يا أبناء إيثاكا النبلاء ! إنها
 أول مرة منذ بارج أوديسيوس بفلات أكبادنا
 ندعى فنجتمع مثل هذا الاجتماع . فند الفتى دعا
 إليه ، وماذا يبتغي ؟ أنفحة من نفحات الشباب ،
 أم زفرة من زفرات الشيب ، أم خبر من جيشنا
 المسالك ينشر بموثر أحد ؟ لينهض ياركته البهاء
 فيحدثنا عما دعانا إليه »

وتناول تليماك صولجانه من قواصه ، وتقدم حتى
 كان في وسط القوم ، وجهر فقال :

« أنا أيها السيد الوقور صاحب هذه الدعوة !
 أنا ... تلياخوس بن أوديسيوس ، صاحب هذه
 الدار وصاحبكم ومولاكم من قبل ... لقد دعوتكم
 لأشكمو إليكم بنى وحزنى ... لا لأزف إليكم

(١) سيأتي ذكر ذلك في الكتاب التاسع

وهي تنفض غزلها أنكأما في ضوء الشاعل ، في جنح الليل ، فأجبرناها على إتمامه بالرغم منها ... هذه هي الحقيقة يا قوم ! والآن ! فترسل أمك أيها الفتى إلى أبيها ، وليختر لها من بيننا بعلًا ، أو فلنختر هي لها بعلًا ... أما إذا عكفت على ختلها بنا ، فلتنتق أن شيئًا منه لم يسد يجوز علينا ، مهما ظنت أنها أحق من تيرو ، أو أكيس من ألكيتنا ، أو أروع من ميسينية^(١) ... حسبها ما خدعتنا ! وإنا نقاسمك ياتلك أننا لن نبرح عاكفين على ما شكوت ، من ذبح لنمك ، وإراقة لزدك ، ومعاقرة لحرك ، حق نختر لنفسها ؟ أو ... فليمن فزع هذه الدار ، ولينضب معين خيرها . »

وشاعت الكبرياء في كل جارحة من جوارح تلياخوس فقال :

« أتتبنوس ! ماذا أصابك ؟ ! كيف تسألني أن أقهر أُمي التي غدتني ونشأتني على غير ما ترضاه ؟ كيف أطرد لها من قصر بعلها الذي لا يتلم فيه غير الله ! إن كان حيا أو ميتا ؟ لبس ما أجزبها به ، ولشد ما أغضب أبي وأثير غضب الآلهة على إن فعلته ! ! إنها استدعو إيريس^(٢) كي تنتقم لهامي ، وستنصب على لمانات الناس جميعا ؟ ! ويحك أيها الرجل ! إن أقولها أبدا ... بل اذهبوا أنتم فسلاوها ما شئتم ؟ فاما أجابت طلبتكم ، وإلا فأنصرفوا غير ماجورين ... اذهبوا فاولوا ولا تعكم في غير هذا القصر ، وأرثفوا من زادكم ، وأنفقوا مما تحبون ! ! أما إن رأيتم أنه أحلى لكم أن تأكلوا مال غيركم ، فاني سأهتف أبدا بالآلهة أن تقتص لي منكم ، فهي محيطة بكم ! ... »

دميني غصبي

(يتبع)

(١) من ربات الفنون

فيم إذن مقامكم هنا ؟ وفيم إذن تذهبون بترقى أبديا ؟ وفيم إذن تستزفون آخر قطرة من بحري دون مقابل ؟ ! اذهبوا ! اذهبوا ، ودعوا تلياخوس البائس يحرق في نفسه أشجانه ، وتبري اصطباره بلواه ! ! »

ودق الأرض بصولجانه ، وانفجر يبكى ، وكأنا أنهمرت دموعه في نفوس القوم ، فوجوا وجوما شديدا ، ولم ينس أحدهم بيت شفة . حتى نهض أتتبنوس آخر الأمر فقال :

« لله يباتك يا تلياخوس ! لقد كنت مصقعا حقًا ، ولكنك لم تصب كبدا الحقيقة حين قصرت علينا كل اللوم ، حين لا ملوم إلا أمك ! لقد خدعتنا جميعا طوال سنوات ثلاث كادت أن تتم أربصة ، إذ رسالها تترى علينا ، تحمي في نفوسنا الآمال ، وتذكر فينا الأمان ! لقد كانت وعودها تترادف كالبرق الخسب ، وتترامى كالسراب الضيل ! لقد تحذت لها منسجا وطفقت تعمل عليه وهي تغرربنا ، وتقول : « أيها الاغريق : لقد قضى أوديسوس ما في ذلك ريب ، وكلكم تطعمون أن تفوزوا بزوجه ، ولكن أبا ليرتيس رجل شيخ ، وهو يدب بخطى وثيدة إلى حافة القبر ، أفليس أخلق في ويكم أن تنتظروا حتى أنسج له هذا الثوب ، لتكون منه أكفانه ، وحتى لا أكون مضفة في فم الاغريقيات إن تركته برغم ثروته الطائلة وليس له كفن يضم رفاقه . ولقد أجبنا سؤالها وتلبثنا طويلا ، نرجو لو تفرغ من نسج هذا الكفن ، بيد أنها كانت تنفض بالليل ما تنسجه بالنهار ، وهكذا دواليك ، ظلت نخادعنا تلك السنين الثلاث ، حتى فضحت سرها إحدى وصيفاتها ، إذ حدثتنا به ، واستطعنا أن نضبطها

ولانصيح، فهي تنشأ وترعرع وعلى فقرها ابتسامه
هادئة تقابل بها كل إنسان
والفتاة اليابانية في المدرسة تدرس الأخلاق
قبل أن تدرس العلم ؛ فإذا دخلت المدرسة تراها
تنحني لأستاذها حتى تكاد تلمس الأرض بأنفها،
— وهذه أقصى درجة للتبجيل والا كبار في
اليابان — فيرد الأستاذ التحية بأحسن منها ، ثم
يجلس الأطفال في مقاعدهم ، ويفتحون الكتب ،
ويبدأون الدرس



درس في الكتبة

والكتب في اليابان غريبة في كل شيء ،
فلن تثير دهشتك في غرابة حروفها فحسب ، بل
إنك إذا أردت أن تثر على أول صفحة في الكتاب
وجشها الأخيرة فيه ؛ وإذا رغبت في قراءته
فانك تقرأه من آخره إلى أوله ، لا من أوله إلى
آخره ؛ وإذا حدثتك نفسك بتتبع كلمات سطر
من السطور ، فانك تراها تبدأ في أعلى الصفحة
وتنتهي في أسفلها ، أي أن الكتابة في اليابان لا تبدأ
من اليمين أو الشمال كما في سائر اللغات ، بل تبدأ
من أعلى إلى أسفل
وتدرس الطلعة اليابانية في المدرسة ما تدرسه
الطلعة الغربية من المواد المختلفة ، فضلاً عن أنها



من أفق الخافق

مرويات في السرود

فتاة اليابان

ترجمة الأديب أحمد كفي

إن كلمة « الطاعة » التي لها حظ كبير من حياة
الرجل الياباني ، هي كل حياة الفتاة اليابانية ؛ فالفتاة
اليابانية تتلقن واجباتها في سن مبكرة من الطفولة .
وفي اليابان كتاب عتيق تستظهره اليابانيات ، ولا يخلو
منه منزل ما ، اسمه « الدراسة المالية للمرأة » ، ويشمل
مجموعة من التقاليد والواجبات ، والمثل العليا
للأخلاق . وقوام هذا الكتاب « الطاعة » ؛ فتراه
يقول إن على الفتاة اليابانية ثلاثة واجبات في الطاعة :
في مرحلتها الأولى وهي فتاة يجب أن تمتثل لأوامر
والدها ، وفي مرحلتها الثانية وهي متزوجة يجب
أن تنصاع لرغبة زوجها ، وفي الثالثة وهي أرملة
يجب أن تخضع لأرادة ابنها الأكبر

تجتاز الفتاة اليابانية مرحلة الطفولة في سرود
وصرح ، بين رعاية والديها ، وعناية أهلها . وهي
دائماً هادئة الطبع ، رزينة النفس ، حتى في لعبها ؛
فإذا غضبت لاتعول ولا تبكي ، وإذا فرحت لاتضح

أوقلت فراغها ، فهذب ذوقها ، وترى فيها زوج التنسيق ، وحسن الاختيار ، وجمال الترتيب مما لا تستغنى عنه المرأة في حياتها المنزلية ...

وقد جرت العادة في اليابان أن يقص شعر الطفلة بعد ولادتها بقليل ، حتى إذا بلغت الثالثة من عمرها نما الشعر في غزارة حتى نفوس ذواته على أكتافها . وتردى الطفلة اليابانية في صغرها ملابس الطفولة ، وهي ملابس ضيقة مختلفة الألوان ، حتى إذا بلغت السابعة من عمرها عولمت بمعاملة المرأة الكاملة ، فتلبس الملابس الحريرية الواسعة ، وتختار الألوان الزاهية ، وتردى الثياب الفضفاضة الموشاة بخيوط من الذهب ، أو رسوم من الزهر ، تجمع بين تناسق الألوان وإتقان النسج

وليست هذه المرحلة من عمر الفتاة اليابانية هي مرحلة التبرج والتزين نجس ، بل لها أيضاً أن تزاور وصديقاتها ، وتقضى مهن أوقات الصفو والهوى ، وتذهب بصحبتهن إلى المياكل والمعابد ، حتى إذا تزوجت نبذت كل ذلك ظهرياً ، وهجرت هذه الحياة اللاهية المرحية

فواجبات الزوجة اليابانية ، وتفانيها في خدمة زوجها . وأطفالها تشغلها مما عداها من ضروب التسلية والهوى ؛ ولا تتحرر الزوجة من هذه القيود إلا عند ما يشب ابنها ويتزوج ، حينئذ تلقى على زوجها تبعات المنزل ، وتطرح عن ظهرها ذلك المعبء الذي حملته زمناً طويلاً ، وهذا هو التفرج الثاني في حياة المرأة اليابانية ، فزاهها تعاود حياتها الأولى ، وتستعيد ذكريات الشباب المرح ، فتزور

المياكل ، وتظهر في الحفلات ، وترتاد الملاهي والفتاة اليابانية تزوج في سن مبكرة ، فلا تبلغ

تدريس التقاليد والأخلاق وحسن معاملة الغير دراسة دقيقة واسعة ، فأهل اليابان لا يرون أن الأخلاق والمعاملة والتقاليد تعتمد على القوق والشعور ، بل يرون أنه لابد للطفل من دروس طويلة في الأخلاق والتقاليد ، حتى لا يبعد عنها ، ولا يخرج عن أصولها

فكم مرة يجب أن ينحني ؟ وكيف يحمي الغرباء ومواطنيه على اختلاف طبقاتهم سواء أكانوا من عالية القوم أم من الطبقات المتوسطة ، أو من الطبقات الدنيا ... فكل طبقة من هؤلاء لها طابعها الخاص ، ولها تحياتها الخاصة ، ولها تقاليدها الخاصة . ويقال إن من السهل معرفة الطبقة التي تنتمي إليها الفتاة اليابانية من الطريقة التي تقدم بها الشاي إلى الضيف



تقديم الشاي إلى الضيف

وفن تنسيق الزهور في اليابان من الدراسة المنزلية التي تتلقاها الفتاة عن أسها وتقضى فيها معظم

وثيابها الجميلة وتستقبل حياة شاقة جديدة لا عهد لها بها من قبل ... وإذا كان الزوج يعيش مع والدهيه فان من الشرف للروس أن تلي طلبتهما ، وتنصاع لرغبتهما ، وتنزل على ارادتهما ، وهما بدورهما يعطفان عليها كل العطف ، فلنسنا لنس في اليابان أترأ لذلك التنافر الذي يحدث عادة في سائر الممالك بين الأم وكنتها ، فان الأم اليابانية التي جبلت على الطاعة ، وانطلمت على الحنان وصفاء القلب لا ترى في زوجة ابنها سوى ابنة ثانية لها قضى الله أن تستريح على يديها من عناء الأعمال ؛ فهي تنظر إليها دائماً نظرة الأم الشقيقة لابنتها البرية وقد بلغ من وقار الزوجة اليابانية لزوجها أنها عادة تشوه وجهها ، وتسود أسنانها ، حتى لا تلفت نظر غيره . وعلى رغم أن هذه المادة انقرضت في اليابان ولا سيما بين الطبقات العليا التي تأثرت كثيراً بالجانب الغربي ، إلا أن التجول في ربوع اليابان كثيراً ما يرى هؤلاء النساء ذوات الأسنان السوداء في كثير من جهاتها .

وإذا فقدت اليابانية زوجها فأنها تظهر عليه حزنها العميق وأسأها البالغ ، فزأها تحلق رأسها ، وتردى الداكن من الثياب ، وتبدو في منظر كئيب حزين . والمثل الياباني يشبه لنا الأرملة اليابانية بالغرب ، والزوجة اليابانية بالحامة ، والفتاة اليابانية بطير من طيور الجنة ؟
(عن الانجليزية)
أحمد قنص مرسى

اعتذار

حاله ضيق الوقت وعوادي الأشغال عن نمر شيء من (هياوز الجديدة) في هذا العدد ، فأرجأ تأمالي العدد المقبل فنرجو من قرائنا العفنة

المشرين من عمرها — دون زواج — إلا الفتاة المائرة الحظ ، وعندئذ تنقطع عن كل شيء آخر إلى خدمة زوجها ، وتتجه بكليتها إلى حياة الجسد والنشاط ، فتبذل الثياب الزاهية الملونة ، وتعاين الملابس الفضفاضة المزينة ، وتردى ثوباً أبيض شفافاً تتجلى فيه كل معاني البساطة



البيت الياباني

ويعم الزواج في اليابان ، دون جلبة ولا ضجة ، كغيرها من الأمم ، فليست هناك هذه الأفراح العامة ، ولا تلك التقاليد الدينية ، وكل ما هنالك أن الزوج وعروسه يشتركان في شرب ثلاث كؤوس من الشراب الوطني الياباني المصنوع من الز (الساكى) Saké فينال كل منهما رشقة من كل كأس ، ويمتيز اشتراكهما في شرب هذه الكؤوس بمثابة بدء اقتسامها حياتهما المقلنة وهنا يجب على المروس أن تودع أيامها المسيدة





الليل قصور رويحي

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ من العدد الواحد

الوزارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة الأسبوعية للقصص والبرائح

نصدر مؤقتاً في أبريل كل شهر وفي نصف

العدد الثالث ١٨ ذو الحجة سنة ١٣٥٥ — ١ مارس سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة

ولد	١٣٨
نفسدة	١٤٧
أرملة	١٥٥
البأس في الحب	١٥٩
عدو	١٦٤
جوليا أو هيلوز الجديدة	١٦٨
المستر بكوك ورفاقه	١٧١
الصيني	١٧٦
يوميات نائب في الأرياف	١٨٥
اعترافات فتى مصر	١٩١
الأوديسة	١٩٦
لجى دى موباسان	١٣٨
أقصصة مصرية	١٤٧
أقصصة فرنسية	١٥٥
لأنوربه بلزاق	١٥٩
أقصصة إيطالية	١٦٤
لجان جاك روسو	١٦٨
لشارلز ديكنز	١٧١
أقصصة واقعية إنجليزية	١٧٦
صوراً مصرية	١٨٥
لألفريد دى موسيه	١٩١
لهوميروس	١٩٦
أحمد حسن الزيات	١٣٨
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٤٧
الأستاذ عبد الرحمن صدقي	١٥٥
الأستاذ محمود الحنيف	١٥٩
الأستاذ كامل عمود حبيب	١٦٤
أحمد حسن الزيات	١٦٨
«عائد»	١٧١
الأديب أحمد فتحي مرسى	١٧٦
الأستاذ توفيق الحكيم	١٨٥
الأستاذ فليكس فارس	١٩١
الأستاذ دريني خشبة	١٩٦



موياسم

وقف عضو الشيوخ
ورشف رشفة من هذا
النعام اللامع الطافي ،
وأخذ يدمن النظر في
الشجرة الناشقة وهي

للكتاب القصصيّ جي دى موياسم

بقلم أحمد حسن الزيات

تتألق تالق الشمس وترسل بذورها في الجو ، ثم قال :
« حينما يفكر المرء في أن هذه الثرات التي يدركها
الشم ولا يدركها البصر ، ستخلق بعض الوجودات
على عشرات الفراسخ من هذا المكان ، وستعرض
ألياف الشجرات الأثني وتُدير ماءها فتنتج كائنات
ذات جذور تنشأ من بذرة كما نشأنا ، ويدركها
الفناء كما يدركنا ، ويخلفها على الأرض يخلف منها
كما يخلفنا ... ثم يجد الشيخ أمام الشجرة المشرقة
وأرجها الشديء الحي ينبت منها كلا اهتر النسيم ،
وعاد يقول : « آه يا صديقي ! لو طُلب إليك أن
تحسب حساب أطفالك لا ارتبكت ! دونك مثلك
هذه الشجرة : إنها تنسل بسهولة ، ثم تتخلي عن
نسلها من غير ندم ، ثم لا تشغل بالها بهند ذلك »
فقال عضو الأكاديمية : « إنا نصنع نسلنا مثل
ما تصنع هذه الشجرة نسلها يا صديقي » فقال عضو
الشيوخ : « نعم لأنكر أننا نتخلي عنه في بعض
الأحوال ولكننا نمرقه ، وفي ذلك سمو نوعنا
على غيره » . فبز الآخر رأسه وقال :

ليس هذا الذي عتيت يا صديقي . إنك لا تجد
في الناس رجلاً ليس له أولاد مجهولون ممن يسمونهم

كان الصديقان الجمان يتنزهان في الروضة
الفيانة الزهرة والربيع البهيج الطلق يزخر في
جنباتها بالحياة . كان أحدهما عضواً في مجلس
الشيوخ ، وكان الآخر عضواً في الأكاديمية
الفرنسية ، وكان كلاهما وقور النفس رزين الطبع
يصدر عنهما الرأي أو الحكم مدعماً بالدليل
مؤيداً بالحجة ، ولكن في شيوخ وأبهة ، شأن
رجال الوجاهة والشهرة . تحداً أولاً في السياسة ،
فتبادلا القول في بعض الأسماء ، لافي بعض الآراء ؛
وعديث الشخصيات في موضوع السياسة يتغلب
دائماً على حديث العقل ؛ ثم أثارا بعض القكريات
وصمت كل منهما ، وظلا يسيران جنباً إلى جنب
وقد استرخت مفاصلهما على فتور الهواء

وكان في الروضة المطار حوض من القرنفل
الأصفر ينفخ بالعبر الطيف الأرج ، وكومة من
الزهر النضير تنفض على النسيم نوافج المسك ، وشجرة
من شجر الأبتوس مكسوة بالنقايد الصفر تدر
ذرونها في الهواء ، وهو أشبه شيء بدخان من
النضار أو بمساحيق المطار تقوح منه رائحة
المسل ويحمل بذور الشجرة المطرة إلى أطباق الفضاء

هؤلاء الأوباش المجرمين يلدون أيضاً !
إن لي من هذا الأمر نصيباً عجيباً سأقصه عليك
في حادثة شنيعة لا تزال تحرق نفسي وتنقل على ضميري
إنها تبتكيت لا يقر، وندم لا ينقطع، وارتباب
لا ينجلي

وقع في نفسي وأنا في الخامسة والعشرين من
عمرى أن أقطع المراحل مشياً إلى «ريتانيا» مع صديق
من أصدقائي هو مستشار الدولة اليوم . فبعد خمس
عشرة يوماً أو عشرين من السير العنيف قطعنا فيها
(الكوت دنور) وقبنا من (فينستير) بلغنا
(دورثينيز) ومن هناك وصلنا إلى رأس (راز)
الموحش عن خليج (تريباسيه) وقضينا الليل في
قرية من قرأها ينتهي اسمها على ما ذكر بأرف .
ولما تنفس الصبح وجدت صديق قد تحلل به
السفر فزمت السير . وأقول السير بحكم المادة ،
أما الواقع فإن فراشنا لم يكن إلا حزمتين من القش
على أن إقامة الرخيص في هذا المكان مستحيلة ،
فأكرهت صديق على أن ينهض ، ثم استأقنا
السير حتى دخلنا (أوديرين) في الساعة الرابعة
أو الخامسة من المساء . وفي الند ظهرت عليه ذلائل
الصحة فسرنا ، حتى إذا ملكنا الطريق أعترأه
مرض قبيح فلم نبلغ (بون لايبه) إلا بشق
الأنفس . وفي هذه البلدة وجدنا فندقاً على الأقل
فنام صديق ، وعاده الطبيب فقرر أن ما به حى
شديدة ، ولكنه لم يقبض طبيبها بعد

هل تعرف (بون لايبه) ؟ كلا . إنها أعرق
البلاد أصلاً في ريتانيا ، تجمع فيها ما تجز به هذا
القطر من عادات وأخلاق وأساطير . ولا تزال
إلى اليوم كما هي لم تتطور ولم تتغير ، وأقول (إلى

أبناء المارسة^(١) ، ولدهم من غير حساب ، كما تنتج
هذه الشجرة من غير وعي
لورحنا نمد النساء اللاتي وصلنا الأسباب بهن
لشق على الحاسب أن يحصى الأبناء ، كما يشق على
هذه الشجرة أن تحصى الخلفة »

إذا تذكر الرء من خالط من النساء في
المقابلات المارسة والساعات الذاهبة أمكنه أن يمد
منهن مائتين أو ثلاثمائة ، ولا تستطيع أن ترم
يا صديق أن هذا العدد يخلو من واحدة على الأقل
قد اشتملت على ولد ، ولا تستطيع أن تنفي أن
لك على بلاط السكاه أو في أعماق السجون ابناً
شريداً يسرق ويقتل الأخيار من أمثالنا ، أو بنتاً
تراول البغاء في أحد المواخير ، أو تعالج الطبخ في
أحد البيوت إذا كان الحظ قد أسقمها ففصلها
عن أهلها

ولا يثرب عن بالك فضلاً عن ذلك أن كل
امرأة ممن نسمن (عمومات) لها ولد أو ولدان
لا يعرف لها أب ، ينتزعهما من حضنها من شاء
بعشرة فرنكات أو عشرين . كل مهنة يقدر فيها
أربابها الأرباح والخسائر ، وهؤلاء الأطفال هم
« خسائر » هذه المهنة

من هم والدون ؟ أنت - أنا - نحن جميعاً -
نحن معشر الذين يدهونهم المهذين . هؤلاء الأطفال
هم نتائج مآدبنا البهيجة ، وأماسينا اللاهية ،
وساطتنا الغافلة ، التي ينتشى فيها الجسد فيدمننا إلى
المفامرة

إن لصوص النهار ورواد الليل وأخذان الجرعة
هم أطفالنا ، ومن الخير لنا أن نكون آبائهم ، فإن

وكانت الخادمة لا تنفك تدخل علينا ومعهما الطعام أو الدواء ، فأعابها قليلاً فتأنس وتلهو ، ولكننا ما كنا نتحدث بالطبع ما دمنا لا أعرف لغتها ولا تعرف لغتي

وفي ذات ليلة تأخرت طويلاً عند المريض ، فلما انصرفت إلى غرفتي واجهت الفتاة وهي ذاهبة إلى غرفتها أمام بابي الفتوح ؛ فدفعني عبث الدعابة من غير تدبير ولا تفكير أن لففت قوامها بذراعي ، ثم جذبها وهي في دهشة المفاجأة إلى غرفتي ثم أغلقتها ؛ فشخصت يبصرها إلى فزعة مرتاعة مستطارة ، ولم تجرؤ على أن تصيح خشية أن يفتضح الأمر فيطردها سيدها ثم ينفها أبوها

فعلت ذلك أول الأمر مزاحاً ودعابة كما قالت ، ولكنني لم أؤكد أراها في غرفتي حتى ملكنتني رغبة قوية في استبقائها ؛ ثم كان بيني وبينها صراع



اليوم) لأنني لا أبرح وأأسفاه أزورها في كل سنة ؛ حصن قديم تحوض أبراجه المنيفة في غدير كثيب واسع يحوم عليه أسراب من الطيور المتوحشة ، ونهر صغير يخرج من هناك فتصمد المراكب الساحلية



فيه إلى المدينة ، وشوارع ضيقة ، ومنازل عتيقة ، ورجال يلبسون القبة الكبيرة والسرة المطرزة وأربعة أصدرة بعضها فوق بعض . وبنات وأفيات الجسم ، وسيات الوجه ، بضات البشرة ، يتدرعن بصدار من الجوخ ، ويتقنن بقنعا غريب ينسج من خيوط الذهب أو الفضة

كانت خادمة الفندق الذي حللناه واحدة منهن لا يزيد عمرها على ثمانية عشر ربيعاً . لها عينان زرقاوان يحترق زرقتهما الشاحبة . نقطتان صغيرتان سوداوان ، وأسنان قصيرة نضيدة مشدودة كأنما خلقت لطحن الحجر ؛ وكانت لا تعرف اللغة الفرنسية ، ولا تتكلم إلا اللهجة البريتونية ، وتلك حال الكثيرة الغالبة في هذا الاقليم

لم يرفض الأثم عن صديقي ، ولم تبد عليه أعراض يمرض معين ، ومع ذلك منعه الطبيب أن يسافر وأمره بالراحة التامة . فقضيت النهار بجانيه ،

هذا الاقليم في الثامنة عشرة عليهما نضرة الجبال
وغضاضة الصبي ، وقد لبستا لبسة هذا الاقليم :
صدار ضيق من الجيوخ على الصدر ، وقناع من
نسيج الفضة على الرأس ، وصفحة عريضة مرصعة
على كل صُغ

كانت الساعة السادسة من المساء توشك أن
تحين ، جلست إلى المائدة أتشى وصاحب الفندق
نفسه هو الذى تقدم إلى خدمتي ، فأجرى القدر
المحتوم على لساني هذا السؤال :

— أتعرف المالكين القدماء لهذا الفندق ؟ لقد
قضيت فيه اثني عشر يوماً منذ ثلاثين سنة ، فأنا
أحدثك عن شيء بعيد . فأجاب الرجل قائلاً :
— لقد كانوا أهلي ياسيدي

فقصصت عليه كيف عاقني مرض صديقي عن
السفر وعقاني هذه المدة ... فلم بدعني الرجل أنم
الحديث وقال :

— أوه ! إلى أذكر ذلك جيداً . لقد كنت
يومئذ في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من
عمرى . لقد كنت تنام في الغرفة القصوى وصاحبك
ينام في الغرفة التي اتخذتها لنفسى على الشارخ »
وفي هذه اللحظة لاقبها جرى على خاطري
ذكرى الخادمة الصغيرة فسألته :

أتذكر تلك الخادمة الرشيدة التي كانت يومئذ
عند أهلك ؟ وقد كان لها ، إذا لم تخن الذمارة ،
عينان جميلتان وأسنان نضيدة عذبة ؟ فقال :

« نعم ياسيدي ، لقد ماتت بحمي النفاس بعد
ذلك زمن » ثم أشار بيده نحو الفناء ، وكان فيه
رجل ضئيل أعرج يمشي في روث الاصطبل ، وقال :
(هذا ولدها)

طويل صامت ؟ صراع الجسم للجسم على نحو
ما يفعل الصارعون من أهل الرياضة ؛ فالأذرع
مبسوطة مقبوضة ملتوية ، والنفس مطرود مهوور
لاث ، والجلد عجز يتصبب منه العرق . أوه ! كانت
تدافع مستبلة ، وتقارع مستقتلة ، وكنا نصطدم
مرة بعد مرة بكرسى أو حاجز أو منضدة ، فنسكن
برهة ونحن مشتبكان خافة أن نوظف هذه الجلبة ببعض
الناس ، ثم نمود إلى الصراع هجومًا متى ودفعًا
منها . وأخيراً خذلناها قواها فمقطت منسرفة خائرة
لم نكد تنهض حتى فزعت إلى الباب فرقت
رئاحه وولت مدبرة . لم ألقها في الأيام التالية إلا
نادراً ؛ فكانت تتعاضى أن أدنو منها . ثم تماثل
الليل وأبيل فأخذنا نتأهب لاستئناف السفر . وفي
ليلة الرحيل رأيتهما بعد موهن من الليل تدخل
غرفتي خافية في قبض النوم فألقت نفسها بين
ذراعي وحضنتني بقوة وشغف ، ثم باتت تقباني
وتلاطفني بأكية ممولة حتى الصباح ، فلم تدع شيئاً
ما تنطوي عليه العاشقة البسكة من إشارات الحنان
ودلالات اليأس إلا بذلته

مرت ثمانية أيام على هذا الحادث المألوف في مثل
هذه الحال فنسيته ، وانقضت ثلاثون سنة لم يختل
فيها بيالي ، ولم أعد في خلاها إلى « لون لاييه »
وفي سنة ١٨٧٦ رجعت إليها عرضاً وأنفاقاً ،
فقد كنت أجول في بريطانيا ذلك العام أجمع
الوثائق وأنصور المشاهد لكتاب أولفه

كل شيء في هذا البلد على ما عهدته ؛ فالخضن
لا يزال على المدخل غوصاً بجدران المنيرة في
القدر ، والفندق باق كما كانت إلا أنه ترم
واستحدث . فلما دخلته استقباني فتاتان من أهل

فتلبنى الضحك وقلت :

« إنه دميم وليس فيه شبه من أمه ؛ فلا بد أن يكون لأبيه » فقال الفندق : ذلك ممكن ، ولكن أحداً من أهل البلد لا يعرف من أبوه . وقد ماتت هي من دون أن تقول شيئاً عنه . ولقد كانت دهشة الناس شديدة حين علموا أنها حامل ، ولم يثقوا بصديق الخبر .

عرفتني هزة كريمة وقال قلبي مس أليم كأن غمامة من ألم الثقيل تشكاف وتقرب . ثم

رجعت بصرى
في الرجل وهو
بالفناء وقد حمل
إلى الخيول
دلوين من ماء
النهر فكان يمشي
متحسلاً على
نفسه وقد بدت
عليه دلائل الجهد
من المرح . كان
خافق الثوب ،



قدرا الجسم ، زرى الهيئة ، طويل الشعر أشمته ، قد تدلت على وجنتيه خصل مصفرة من كثرتها الجبال عاد الفندق إلى حديثه يقول : « إنه ياسيدي قليل الفناء ضئيل القيمة ، وقد أويأه إلى بيتنا شفقة ورحمة . ولعله كان يوجه الوجهة الحسنى لو ربى كما ربى الناس . ولكن ماذا يصنع ياسيدي ؟ ليس له أب ولا أم ولا مال . لقد أدركت والدي الرحمة على الطفل ، ولكنه ليس طفلهما ، وأنت تعلم ماذا أعني »

لم أعقب على كلامه بشيء ، وقضيت الليلة عرفتني القديعة ساهداً أفكر في خادم الاصطبل الفطيع ، وأردت في نفسي هذا السؤال : « أما لو كان هذا ابني ؟ .. أليس من الممكن أن أكون أنا الذي قتلت تلك الفتاة وولدت هذا المخلوق ؟ »

قررت في نفسي أن أكلم هذا الرجل وأن أسأله عن تاريخ مولده بالذقة ؛ فان فرق شهرين يخرجني من هذا الشك

وفي قدوة اليوم التالي بحث في طلبه فوجدته لا يعرف من الفرنسية شيئاً ، وقد بدا عليه مع ذلك أنه لا يفقه قولاً . فطلبت إلى إحدى الخاديات أن تسأله عن سنه فأحار جواباً ، ووقف أمامي وقفة الأبله يدير

قيمته بأصابه الكريمة المقدمة ، وهو يضحك ضحكة الفناء والبلاهة فيبدو على مزاوى شفثيه وعينيه شيء من ضحك أمه

على أن صاحب الفندق علم ما أسأل عنه فذهب يبحث عن شهادة ميلاد الميكين فملت منها أنه أبصر الدنيا الثمانية شهور وستة وعشرين يوماً من تاريخ ضروري بهذا البلد . فأتى أذكر يقيناً أنني بلغت (لوربان) في ١٥ أغسطس ؛ وقد ذكر في شهادة الميلاد أن « الأب مجهول » والأم تسمى (جان كراوك)

رغبة ملحة في أن ألقى الرجل لأرى هل فيه ملامح مشتركة بينه وبينى

لحقت به وهو ذاهب إلى الكنيسة ، فقد كان ذلك يوم أحد ، فنفخته مائة صلابة وجعلت أحجمه بعيني وأنفرت في اضطراب وقلق ، فأخذ يضحك ضحكة قبيحة ، ثم ضاق ذرعه من طول ماصوبته النظر فيه وصعدته ، فانطلق مسرعاً بعد أن دمدم بكلمة لا يكاد يظهر لها جرس عبر بها عن شكره ولا شك

قضيت النهار كما قضيت الليل في هم وقلق ؛ فلما اقترب المساء دعوت صاحب الفندق وقلت له في حيلة ولباقة ولطف : إني أهتم بهذا الخلق البائس الذى أغفله كل إنسان ، وأعوذه كل شيء ، وأريد أن أفيدته فائدة . ولكن الرجل أجابني بلهجة المعترض الخائف قائلاً :

« أوه ! لا تفكرنى ذلك ياسيدى . إنه أقل من لا شيء ، ولا يصلح لشيء ؛ وإنك لا تجنى مما تصنمه معه إلا الامتناس والكراهة . أنا أستخدمه فى كئس الأسطبل والكراهة . أنا أستخدمه عمله ، وجزاؤه على ذلك أن أطعمه ، أما النوم فهو ينام مع الخيلول ، وليس يلزمه بمسد ذلك شيء . فاذا كان لديك سروال قديم فاخله عليه ، وستجده بعد ثمانية أيام خرقاً وهلهيل » فلم أجد فيها اقتراح مبالغة فى الحيلة والحذر

عاد الصمواك السكين فى النساء يتخلج فى مشيته من السكر ويرمد ، فقد شرب حتى طافح ؛ ثم كاد أن يشعل النار فى البيت ، وقتل حصاناً بضربة فأس ، وفى النهاية نام فى الوحل تحت

حينئذ أخذ قلبي يشتد وجبه ويسرع نبضه ، وشمرت أن لسانى يتمدد ، وأن صوتى يختنق ، وتفترست فى هذا الغليظ الجافى وقد بدا شعره الكثيف الأصفر أظدر شكلاً من المزلة ؛ وضايقته نظراتى فكف عن الضحك وأدار وجهه ثم انصرف

كنت كل يوم أنقل خطاى الوانية على طول النهر الصغير ، وأفكر الممض فى هذا الموضوع لا يبرح خاطرى . ولكن ماذا ينبنى التفكير ؟ ليس هناك ما يجار الشك ويكشف الحقيقة . وكنت أقضى الساعات بعد الساعات أوازن فى موضوع أبوتى من الأسباب الموجبة والسالبة ، والوجوه الموافقة والمخالفة . ثم أستغرق فى فروض مشكلة معضلة تمودنى على استمرار إلى موقف الأول من الارتباب الشنيع ، ثم إلى ما هو أشنع من ذلك وهو الاعتقاد بأن هذا الرجل ابنى

لم أستطع النداء ، فأويت إلى غرفتى وأخذت أراود الناس طويلاً ، حتى أخذنى نوم مضطرب تزججه الأحلام المفزعة والرؤى الخفيفة . رأيت فيها يرى النائم أن هذا الورش القدر كان يسخر منى فيدعونى : (بابا) ، ثم تحول إلى كلب عقور وهجم على ساقى بتابه فلم أنج منه إلا بجهد . فالتفتى أرى ، وكان يتكلم ويسب بدل أن ينبس ؛ ثم مثل بين يدي زملائى أعضاء الأكاديمية وهم مجتمعون ليفصلوا فى أمر أبوتى له ، وقد صاح أحدهم بهم : « هذا أمر لا شبهة فيه . أنظروا كيف يشبهه ! » ، وفى الحق أنى لاحظت فى هذا الشيخ مشابهة منى . ثم استيقظت وهذه الفكرة عاتلة بذهى ، فقامت بنفسى

لم أستطع أن أبقى طويلا خائفة أن ترجى
الظنون وتطير من حولي الشبه ، فرحلت والقلب
مصدوع والفكر شارد ، بعد أن تركت في يد صاحب
الفندق بعض المال ينفق على خادمه البائس ليرفه
عن نفسه ، ويخفف عنه عذاب مرضه وبؤسه

ومنذ ست سنين أعيش مع هذه الفكرة
ممنب النفس ، مفدوح الضمير ، لا أستقر على
شك ، ولا أطمئن إلى بقاء

وفي كل سنة تقودني إلى (بون لايه) قوة
قاهرة

وفي كل سنة أحكم على نفسي بهذا العذاب
الآليم فأرى هذا الشقي يرتطم في ردة الاصطبل ،
وأخجل أن فيه مشابة مني ، وأحاول عبثا تغيير حاله
وإصلاح أمره

وفي كل سنة أرجع إلى هنا وأنا أشد مما كنت
ارتيايا وعذابا وحيرة !

حاولت أن أوقفه فكان مظالم البصيرة
لا ينفقه ولا يدرك !

ثم حاولت أن أنفّس عنه بعض كُرب العيش
فكان سخيف العقل ينفق كل ما يُعطاه في الخمر ،
حتى إذا صقرت راحته باع في سبيلها ثوبه

ثم حاولت يبذل المال أن أرقق عليه قلب سيده
ليؤويه إلى ظله ، ويرضخ له من فضله ، حتى
داخل الفندق المعجب فقال يحببني بالرأى المقول
والمنطق الفهم : « كل ما تقدمه إليه يا سيدي
لا يعود عليه إلا بالأذى والخسر . يجب أن يتمثل
اعتقال الأسير ، لأنه متى ظفر ببعض الوقت أو

الطر الهاطل بفضل إحساني وكرمي !

وفي الصباح جاء الفندق يرجو مني ألا أعطيه
نقودا بعد ، فان الشراب يهيج فيه الشر ويذهب
به كل مذهب . ولو وجد في جيبه صليدين
لما أنفقهما إلا في الخمر . ثم قال الرجل : « إن
إعطائه النقود معناه القضاء عليه » ؛ ولم يحصل
في يديه شيء منها قط إلا بضعة سنتيات يرميها
إليه بعض المسافرين فلا يعرف لها وجهة ولا غاية
إلا الحانة !



قضيت في غرفتي ساعات وفي يدي كتاب
مفتوح أنظأه بالقراءة فيه ، ولكنني كنت أديم
النظر في هذا الخشن القليلظ ابني ! أبني ! وأبذل
الجهد في أن أكتشف في ملامحه وجوارحه
بعض المشابهة مني ، فكان من طول البحث وكثرة
التقصي أن وجدت فيه وفي خطوطا متشابهة
على الجهة وفي أصل الأنف ؛ فافتننت بأن هناك
مشابهة يخفيها اختلاف اللباس وذوائب الرجل

ولكن يدى لم تمن يده القدرة الكريمة قط

ثم سكت رجل الأدب وعضو الأكاديمية ،
وتكلم رجل السياسة وعضو الشيوخ قال :
« نعم ! يجب علينا حقاً أن نمنى أكثر بما عطينا
بالأطفال الذين لا آباء لهم »

وهبت نفحة من الريح على شجرة الأبنوس
الوريفة الصفراء فحركت عناقيدها ، ثم غلغلت
الكهلين الصديقين بنامة من ذرورها المطرى
الدقيق فاستنشقا ملء رئتيهما أنفاساً طويلة
ثم ختم عضو الشيوخ المحترم الحديث بقوله :
« ما أجل أن يكون الانسان فى سن الخامسة
والمشرى وإن ولد أولاً كهذا ! ! »

الزيات

يمضى لئلا انقلب شريراً لا يقيم لسبيله . وإذا
شدت عمل الخير فلن تدمد الوسيلة إليه . اذهب
إلى ملجأ اللقطاء فاختر من بينهم طفلاً يساوى
تعبك وبكاى إحسانك »

ماذا تقول فى هذا ؟ إذا تركت هذا الرجل
يصل بظنونهم إلى الشبهة التى تلوح قلبى وتكدر
حياتى انقلب خبيثاً ولا شك يستغنى بالتهديد ،
ويعرضى للخطر ، ويلقى إلى الهلكة . سيصيح
بى : (بابا) فى القطة ، كما صاح فى الآخر : (بابا)
فى الحلم

ثم قات فى نفسى : لقد قتلت الأم وأضمت
هذا الخلق الهزيل الضارع ؟ تلك الدودة التى
نشأت فى الاصطبل ودرجت فى الوحل ؟ ذلك
الرجل الذى لو ربي تربية غيره ، لكان اليوم
رجلاً مثل غيره

إنك لا تستطيع يا صديق أن تتصور الشعور
الغريب المهم الملح الذى يستولى على وأنا أمام هذا
الرجل أنكر فى أنه نسل منى ، وأنه وإلى
مرتبطان بالوشائج الخاصة التى تربط الولد بأبيه ،
وأنه بفضل قانون الوراثه الغريب هو (أنا) بدمه
وبلحمه وبألف شئ آخر ، وأنه يشاركنى فى كل
خصيصه من خصائى حتى فى جرائم الأدواء
ومناسى الأهواء ومنازع الخلق

أنا ظمناً دائماً إلى رؤيته ، ورؤيته تغرق أحشائى
وتريدهمى : فأنا أرفع نظرى من النافذة ساعات
وساعات وهو يعمل فى أرواث البهائم فأردد فى
نفسى هذا الهتاف : « هذا ولدى ! » ، ثم أشعر
فى بعض الأحوال برغبة شديدة فى أن أعاقه ،

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر ، وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة تصور مظاهر العبقرية للأمة العربية
الرسالة تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الدافلي سنود فرشنا ، والخارجى ما يساوى منها مصرى ،

وللبود العربية مخصم ٢٠٪

قصة مصيرية

نفسية

مؤلف: د. إبراهيم عبدالقادر المازني

بالأعباء كلها اقتصاداً في
النفقة ؛ فكانت هي تطبخ
الطعام ، وتكس النكث ،
وترتب الأثاث ، وتحيطن لنا
الثياب ، وتصنع كل شيء إلا
أن تخرج لتشتري الأشياء
التي نحتاج إليها لعلمانا ؛

فقد كان رجل من أتباع أقاربنا الذين يقيمون في
أجنحة أخرى من هذا البيت الكبير يقوم لنا
بذلك . وكانت عمه أبي معنا ، ولكنها كانت
محجوراً ناهزت المائة ، وكانت تجلس وساقها
ممدودتان أمامها ، ورأسها مستند إلى وسادة ،
ولسانها لا يعل الدوران ؛ وكان كلاهما هذان فكنت
أنحك منها أحياناً ؛ ثم أمل ذلك فانزعتها لهدرها
التي لا ينقطع

وكنت إذا شعرت بالشوق إلى مكالة أحد
أحد إلى فناء البيت ؛ وكانت فيه غرفاً كثيرة
يقم فيها أتباع الشيخ قريبنا ويجيئون الليل بقراءة
الأوراد . وكانت هناك أيضاً ميسأة ومصل فمكنت
إذا رأيت الشيخ مقبلاً أؤدس بين الصلبيين وأزوج
أقف وأركع وأسجد كما أرام يفعلون . ولكن
هؤلاء كانوا يرونني صبيحاً صغيراً فينظرون إلى
ويبتسمون . - لأن أفواههم مشغولة بالتمتمة -
ولكن لا يكلموني . غير أنه كان هناك في كبرغرفة
في الفناء رجل ليس من الأتباع ، ولا هو بعينه
أمرهم أو يشاركون فيها يصنعون . ولا أدري إلى
هذه المساعة كيف سكن هذه الغرفة ؛ فما كان يعطى
الشيخ شيئاً ، وكان الشيخ يستنكف أن يؤجر
بيته أو بعضه . وكان هذا الرجل يصنع أزرار

نشأت في بيت لم أكن أجده فيه من يكلمني
لا لقلة في أهله ، ولا ليكم بقدر ألسنتهم ، بل لأن
مشاغلهم كانت تصرفهم عني . فمذه جدتي
- لأبي - كانت لا تفارق السجادة - أو الفرو
على الأصح - وفي يدها السبحة التي لا أذكر أن
الخيوط التي ينظم حبائبها انقطع ، وشفتها لا تكفان
عن الحركة والتمتمة بما لا تعرف من الأدعية والصلوات
على النبي . وما أكثر - وأطول - ما كنت أقعد أمامها
مردفاً في هاتين الشفتين الدائبتين دؤوب الليل والنهار .

وكانت ربما التفتت إلى فتبتسم وتدني منها وتوسع
لي رأسي ثم تدسط يديها بالدعاء إلى الله بصوت يبريه
الضعف وتبجعه الحسرة ويهدجه الألم والأسف لما صرنا
إليه بعد وفاة أبي . ثم تربت على كنفه وعمل على وجهي
الصغير بفمه الأرد وتقباني فتخرج شفتها صوتاً
كهذا : « مق » . وتلك ألى لا تزال مصروفة هنا بشئون
البيت من طبخ وغسل وكس ونفض ، ومن حمام
تسقيه وتطعمه ودجاجات لا تنفك تجس حوصلاتها ،
أو تصبها لترى فيها أم ليس فيها بيض ، أو تنف
رئسها . وكثيراً ما كنت أقف أنظر إليها وهي
تتناول فراخ الحمام وترقرقها أي تمج في مناقيرها
الماء والحب . ولا آخر لعمل السيدة في البيت .
ولم يكن لنا في ذلك الوقت خادمة ؛ وكانت أمي تنهض

الدرج وأركب الدرازين لأن الترحلق عليه أسرع وكانت له بنت أخت تزود من حين إلى حين . رأيتها أول مرة في ليلة شتوية كثيرة المطر شديدة البرد ، وكنت ألعب في الحارة ، فلما أخذ المطر ينهمر فجأة ذهبت أعدو إلى البيت . ولحت وأنا أجرى ضوءاً في غرفة صديق فاشتبهت أن أخبره أن السماء تمطر وأن الريح تصصف . ودخلت الغرفة ثم وقفت على العتبة فما رأيت المصباح المألوف وإنما رأيت ناراً موقدة ؟ وكانت ألسنة اللهب عالية فرأيت أول ما رأيت ككفاً بدت لي كأنها - ولسان النار من ورائها - مرجح شفاف . وطالعتني بحفاضة صغيرة على هذا الضوء المضطرب فرأيت شعراً أسود يتوهج هنا وهنأنا ، وضغيتين في طرفيهما خيوط من الصوف نسج عليها الشعر استراحنا على جانبي الصدر ، وأنفا في عرينته تنوء قليل وفي ماونه لين وفي أرنبته انثناء إلى فوق ، وعيين ضيقتين طويلتين مائلتين بعض الميل ؟ وكانت الحدقتان نللمان كأنهما تطلان من شقين وفي نظرتهما من وراء الأهداب الوطفاء ماني الرضى التام والسكون العميق والاختباط الذي لا سبيل إلى العبارة عنه . وكانت هذه الماني على النعم أيضاً ، وكانت الشفتان رديقتين وفي العليا منهما نثلة بيضاء وهنة دقيقة بائبة في وسطها ، وكانت عليهما ابتسامة أبانغ في العبارة عن السرور من الضحك المجاجل ، وكان خط الشفتين موازياً ليل العيين ، وقد خيل إلي وأنا أنظر إلى هذه الابتسامة للرسم على الشفتين المتلاصقين كأنهما هي معلقة على ما تفضن على جانبي النعم ؛ وكانت صحيفة الوجه عريضة عند الوجنتين ولكنها تنتهي بذيق دقيق . وفي الديباجة حسن وفي الخدين

انطرايش ؟ فكان يطيب لي أن أجلس إليه ألحظه وأحادثه ، أو أستمع إلى حديثه وقصصه ؛ وكان يحادثني كأني رجل كبير لا لطفل صغير ، وكان يرم خيوط الحرير المصبوغة ويفتلها ويعقد أطرافها ويجمع كل بضعة خيوط مما ثم يثنها ويربطها ، ثم يدقها على قلب من القوالب التي تتخذ لكي الطرايش . وكانت لسند الخيوط رائحة لا أزال أذكرها ، وإني لأجدها الآن في أنفي وأنا أكتب ذلك . وقد علمني صناعته فكان يدع لي الخيوط فأفتلها وأرنتها وأعقد أطرافها وأفل مثل ما أراه يفصل باليد على القالب . ثم يعود إلى فينظر فيما صنعت ويصلح لي أخطائي أو يثنى على حذق . وكان بكل إلى ذلك كلما قام لأعداد طعامه أو خرج لشراؤه . وفي وسمي أن أقول بلا مبالغة أنني قلما تشيت إلا معه ؛ فكنت أصعد فأجى بطماي وأضيفه إلى ما عنده ، فأككل معاً . ولكني لم أكن أصنع هذا إلا إذا كان عندنا طعام يليق أن يقدم إلى غريب ؛ أما إذا كان فولاً أو عدساً أو ما هو من هذا القبيل فقد كنت أخرج فأشترى زيتونات وشيثاً من الجبن « والحلاوة الطحينية » وأعود بها إليه فيؤثني على فعلتي وينهاني عن العود إلى ذلك ، فأصارحه بأن طعامنا اللينة فول أو عدس وأنني لأحبه ، فكان يحدث أن يقول لي إنه يحب هذا الطعام ويرجو مني أن أصعد وأجنيه بشيء منه فأستغرب ولكني أطيع . فلا عجب إذا كنت قد أحبته وألفته . ولم يكن أغرب من هذه الصداقة بين رجل جاوز الأربعين وطفل في التاسعة من عمره . وقد ألفتني كما ألفتهم بلقي كما تملقت به ، فكان يناديني إذا أبطأت عليه فأستبطن النزول على

كانت لمحبته هادئة وحالها بادى الوفاة كما ينبغي أن تكون الحياة

وكنتم أسأله أحياناً وأنا لا أجد كلاماً أقوله لها غير ذلك: «هل تلمين الحب؟» .. ولا أسئله الى جوابها بل أروح أفكر في جمالها وأعجب له . وأسأل نفسى مستغرباً: «ما ذا وراء هذه الديب ي ترى؟ لماذا أراها -ميدة دائماً بلا سبب أعرفه؟» وأشتنى أن أسأله عن ذلك ، ولكنى أنس من نفسى حيناً فأسكت

ومضت الأيام وتماقت السنون وكبرت وعرفت الأدب والقراءة ، فصار كل ما أقرأه عن الحب في شعر الشعراء وفي وصف الروائيين يدور حول ذكرى القليلة منها ، وابتسامها الساكنة ووجهها الجميل وسعادتها الهادئة . وكان زملاؤى في المدارس يذكرون مفارقاتهم ويحدثون بها ويباهون ، وكنتم أنا أسمع وأسكت وأتمزى بأن هذا الذى يلهجون به ليس من الحب فى قليل أو كثير ، وأقول لنفسى إنى أعرف ما لا يعرفون - وأعرف ما أعرف بالتجربة . ومع ذلك لم يخل هذا الصدر من أياى مما يسمونه المفارقات ولكنها لم تكن كثيرة أو باعثة على الرضى . بل كانت على النقيض سبباً فى السخط على نفسى واحتقارها فأليت لأتصرفن عن هذا البث . وأقيمت على الدرس والتحصيل ، واشتغلت بالشؤون العامة فصرت أحضر جميعات الخطابة . بل ألفت مع إخوانى لى جمية للخطابة ؛ وعينت بقرأة الصحف فكنت على صفرى أقرأ كل يوم ثلاث جرائد سياسية ، وكنت جميعاً من أنصار مصطفى كامل وعشاقه فى ذلك الزمان

رى وأسأله وبضاخة ، أما العنى فطويل مستدير ، وأما القراعان - وكانا ممتددين على الركبتين - فستدقان

وقفت أحدى فى هذا الوجه الذى أضاعته لى النار المضطربة الخفاقة السمان ؛ وخيل لى وأنا أنظر أنى لم أرقط أجملى ولا أبرع من هذا الحسن . وراعى على الخصوص ما على الوجه من آيات السرور الباطن ، فألفيتنى أنسايل : ما ذا ترى يسرها وى قادمة وحدها تدفا . ومن أين جاءت يا ترى هذه السعادة التى تومض بها عينها وتضى بها هاتان الشفتان الصامتتان . . . وأحسست أن أنفاسى أسرع وأن الدموع تجول فى عيني ، فقد كانت الفتاة جميلة وكانت الروعة قد غمرت صدرى - بل ملأ قلبى الخوف كأنما أنا أشهد الحياة نفسها لا إنساناً قائماً مثلى . وارتفع لسان التارجما وخفق ضوؤها على عيها للبتسم ، تغيل لى أن الدم يجرى كالجنون تحت جلدها الرقيق . وكانت هى ساكنة لا تتحرك ولا تزالها ابتسامها الهادئة للرسمه على عيها الضيقتين المائلتين وفيها الطبق الشفيع . نعم . كانت الحياة نفسها تنظر لى من عيها . . وبينها زأيتها بعد ذلك مرة أو مرتين فى نحو عام . وعلمت من صديق - خالها - أنها بريمة وأنها تقيم مع عمها وتزور خالها أحياناً - وأكثر ما تكون الزيرة فى الصباح حيث أكون أنا فى المدرسة ، ولكنها لا تبق معى إلا ساعة أو بعض ساعة . وقد حاولت أن أكلها . ولكنى كنت أستحي أن أطيل الوقوف معها أو الجلوس إليها ، وكانت هى تحب فى وجهى ولا تطرف حين تكلمنى ولا أذكر ما ذا كانت تقول ، وإنما أذكر كيف

— فحمد الدم في عروق ، فقد تذكرت المسدس فجاء ، ولم أستطع من فرط الجزع أن أدعو الله أن يتقذى ، وكان الاعداء عقوبة من يحمل سلاحا كهذا بلا ترخيص — أو هكذا أعلنوا — ولكن الله سلم فرد الرجل الدرج ، وكان زملاؤه قد عادوا غيا وانصرف وهو يبتسم ، ولعله كان يعتقد أن تكليفه تفتيش هذا البيت سخافة مطبقة

وما كادوا يذهبون حتى أسرع الى المسدس فتدفقت به في بستان مجاور لبيتنا وتشهدت . ولم أطلق البقاء في البيت بعد ذلك من فرط الاضطراب فخرجت أعشى على غير هدى ، وإذا بي في بعض الطريق — طريق حدائق القبة — ألتقي بفتاتي القديمة ... عرفتها على الرغم من طول الزمن ... وعرفتني هي كذلك ولم تنكرني ، فصحت بها كالأبله « قفيدة ... أنت ... »

فابتسمت لي ابتسامتها القديمة الهادئة ولم ترد ، فقلت لها « من أين والى أين » قالت « الى البيت » فشيت معها اليه . وكانت شقة في عمارة عند « المهدى » فدعيتني الى الدخول فلم أتردد ، فانا صديقان قديعان . ولم أر في بيتها غير ما فلم استغرب فانها يقيمة ، ولكني لم أعرف من أين جاءت بهذا الأثاث الحسن وإن كان قليلا وعلى قدر الحاجة . وافتقت معها على يوم نخرج فيه للتفرغ في القناطر أو حديقة الحيوانات فهزت رأسها أن نم فتركها ولم أسألها عن حالها وكيف تعيش

والتقينا في الموعد المضروب . وكان النساء يتقمن في ذلك الوقت ولا يخرجن إلا في الندرة القليلة بوجوهن سافرة ، فركبنا عربا يجرها جوادان هزيلان ومضينا الى حديقة الحيوانات ،

ثم جاءت الحرب العظيم فشنلنا بأنبأها ، وبالاختلاف على نتائجها المحتملة وبالخوف على أنفسنا من الجواسيس والاعتقالات التي كنا لانا منها ، ولا نستطيع أن نعرف الطريق الى انقائها ، ولكن يوما من أيام تلك الحرب أذكره ولا أنساه . وكان لي صديق داره قريبة من دارى ولم يكن معه أحد في بيته ، وكان السهر محرما بعد الساعة التاسعة ، فكنت أفضى عنده السهرة في الأغلب ولا سيما في الصيف فأراني يوما مسدسا ورصاصات ، فجللنا نتدرب على اطلاقها ونرى بها باب الحمام ، ولم تكن نخشى أن يسمنا أحد لأن البيت كان بعيدا عن المار . ثم افترقنا . واتفق أن زارني بعد ذلك ونسى عندي مسدسه ولا أدرى كيف كان يجترىء على محله معه . فوضعت المسدس في درج المكتب ونسيته فيه وتكدست فوقه الأوراق على الأيام . فحدث يوما أن جادني صديق وثيق الصلة بالسلطة العسكرية ، وأخبرني أن يبقى سيفتس الليلة ، ففكرته ولم أعر الأمر أكثرنا لأنه ليس في بيتي ما أخشى على نفسي منه . فلما كان المشاء جاء ضابط انجليزى ومعه من المصريين ضباط وجنود ، فدخلوا المكتب أول ما دخلوا ، ورأى الانجليزى الكتب الكثيرة على رفوفها ، فأقبل عليها بتأملها ، فالتفتها كلها كتب أدب ، فجلل يقلبها وينظر إلى ، ثم سألني عن عملي فقلت « مدرس » فاطمان واعتقد مما رأى أنى رجل مأمون الجانب وأرسل المصريين يفتشون بقية البيت ووقف هو منى في غرفة المكتب ، ثم دنا من المكتب وجعل يقلب ما عليه من الأوراق المنتشرة بغير احتفال ، ثم فتح درجا وألقى عليه نظرة ثم رده وشد الدرج الثانى — ولم تكن للأدراج مفاتيح

الأيام ما أفتنى أنها ليست الفتاة التي أحببتها في صفري وإنها لا أكثر ولا أقل من امرأة كثيرها من النساء . ولا أدري الآن وأنا أكتب هذه السطور أى شيء كنت أحسها قبل أن أثبت أنها ليست سوى امرأة ، ولكن الذي أدريه أنى ظلت أحبها على الرغم من ذلك وأنى جملت أحاول أن أفتن نفسي بأنها كما كنت أنصورها — على الأقل في حقيقتها الكامنة ، ولكن حتى أقدم لها تغيير فلم يمد فيه تعلق بخيال بل صار حياً لمرأة معينة . وليس في هذا ما يدعو إلى العجب فإن الرجل يحب المرأة لأنها امرأة ، ولأن فيها من بواطن الأغراء ما يكفى لأثارة الرغبة فيها والتمتع بها ، ولكن هذا شيء لم أكن قد تعلمته في تلك الأيام فرزقني الله في شخص « نيسدة » معلماً لا يفتى ولا يتردد ولا يترقب بالمثل العليا وصور الكمال وغير ذلك من الأفلاطونيات السخيفة . وكان أول ما تعلمته — أو من أول ذلك — أن من الممكن أن يحب الرجل حباً عميقاً طاعياً امرأة لا يحترمها ولا يرى لها ضربة ولا يتطوى لها على إكبار أو مودة أو صداقة ، ولا يستطيع أن يتفاهم معها ويشاركها في نفسه وخواطره وآثاله وخوافه وعواطفه .. امرأة لا يرى فيها إلا أنثى منحلة . بل امرأة يشعر بالشقاء وهو إلى جانبها وباللذات والضجر من قربها وحديثها .. نعم تعلمت ذلك . . . وكان هذا ما تعلمته شيئاً فشيئاً يبدو لي مدهشاً ويخيل إلى أن الحال فيه مغلوب والآلة مكسوة ، ولكني الآن أفهمك من نفسي وأسألها : ولم لا يمشق الرجل بالله امرأة كهذه ؟ . . . وأين ترائي كنت أعيش بموتد فلم أر أن كثيراً من الرجال يمشقون نساء ليست لهن أية ضربة . . .

وجائني على دكة منعزلة ، وقضيت أكثر الوقت صامتة ، ثم فتحت في خلدتها عن الزمن الماضي وحي الصباني لها وكيف طال عمر الحب وامتد إلى الحاضر فلم ترد على أن تبسمت — كمادتها — وقالت « لا أدري لماذا أرى الناس ينجون بي » فأحسست أن لوحاً كبيراً من التلج يوضع على قلبي . . . الناس ينجون بها . . . الناس . . . إذن هناك ينجون . . . أو يجانين بها غيري . . . ودار رأسي وذهبت أسأل نفسي عنها كيف تعيش . . . ولم يخطر هذا من قبل ولكنه خطر الآن . . . نعم كيف تعيش هذه التي يجن بها الناس . . . وأين وكيف ترى هؤلاء الجانين كلهم . . . لابد أنهم كثير . . . فمن أين ينجون . . . إلى أنا صديق صباها فلا يحب إذا كنت أعرها . . . ولكن غيري . . .

وقطع على هذه الخواطر للزجة سوداني في ثياب الردنجوت . وكان كهلاً ولكنه يمشى معتدل القامة كالرمح فذنا منها وحياتها باسمها وسألها عن حالها وعيته تومض ، فرددت عليه برزاة وسكون ومن غير أن تفارقها ابتسامتها الطموية ؛ ولم يطل الوقوف فضى عنها وقد عرفت منها أنه ضابط في الجيش وأنه الآن فيما يسمى الاستبداد وإن بيته في الباسية — قرب « الحمدي » فلم أقل شيئاً ولكني قلت — أو على الأصح زدت قلقاً وصرت أناجي نفسي بأن لسبل هذه طريقة حياتها . . .

وتعددت المقابلات بيننا والخروج إلى الحدائق العامة وكنت أعود بها إلى بيتها في الليل فتدعوني إلى مقام قليل فألقي ونذهب نتحدث كأننا رجلان لا رجل وامرأة ؛ فرأيت منها شيئاً فشيئاً وعلى

وأنها لا تصلح لى ولا أصلح لها لأنها لا تفهمنى ولا أنا أيضاً مع الأسف أستطيع أن أفهم هذه الطيبة الساذجة التى يكون فيها الجمال ستاراً لكل ما هو منحط ...

وكانت تدعونى كل ليلة الى دخول بيتها حين تمود إليه ، وكنت ألبى فى بعض الأحيان فأقعد معها كالصنم من شدة السكبح فلا تلبث أن تتأدب فأقوم وأنصرف فلا تمنى بأن ترافقنى الى الباب فيسودنى ذلك ولكنى أراجع نفسى وأقول أنه ليس بيننا كلمة فأننا صديقان قديمان . فقالت لى ليلة وقد دنونا من البيت : « لا تنضب إذا لم أدعك الى الدخول » فسألها بوقاحة : « هل هناك غيرة ؟ » فلم يسوؤها ذلك ولم يظهر عليها الامتناع منه ، وقالت بابتسامها المأدبة : « يحيل الى أنك لا تحب الوجود مئى فى البيت ... شاعر ... تحب الرياض والبساتين والماء والطير والنجوم ... أليس كذلك ؟ » فضحكت وإن كنت لم يفتنى ما فى كلامها من التهمك والزراية وحدثت نفسى أن هذه دعوة صريحة لا يلبق أن أغضى عنها مخافة أن يودى الاعضاء الى القطيعة والجفوة .. وكانت هذه مغالطة منى لنفسى فقد كنت أنا أريد ذلك ولكنى كنت أصرف عنه نفسى وأقطعها بجهيد فقلت : لها : « بل سأدخل الليلة — إذا سمحت بالطبع — وسترين أنى أحب بيتك كما أحبك .. وإنى آنس بك فيه أنسى بك فى الرياض وفى الزورق الساج على وجه الماء ... »

قالت : « صحيح ... »

وأحسست من نبرة صوتها أنها اتراحت الى كلامي وأنها استغفرته فى الوقت نفسه .

نساء هن فى الحقيقة كوم عظيم من صنوف الانحطاط ... ونساء يحبين رجالاً ساقطين منحطين لا يساوى الواحد منهم ملء أذنه نخالة ... ولكنى كنت فى ذلك الوقت أعتقد أن الحب شئ سام جداً وأنه سماوى لا ينبغي أن يخاطله إلا الإعجاب والمباودة

وكانت كل لحظة أقضيها مع تقيدة تريدنى إيقاناً بأنها عاجزة عن السمو بنفسها الى المرتبة التى وضعها فيها فى حدائقى ، وكان يزججى وينبش عيشى ويسود الدنيا فى عيني هذا التباين بين الواقع والصورة القدیمة التى احتفظت لها بها فى نفسى ... وتغير حبي لها كما قلت واشتهيتها وسبوت إليها ولكن هذا التحول لم يمتنى من التنقيص والمذاب . وقد كنت أخجل مما صرت أحسها ولم أعنف نفسى على ذلك وأزجرها عنه . وكانت هى ترى ضيغى لنفسى ورياضتها لها على العفة وتلقى بخيالاتى وسخافاتى وأوهامى فتمتنع وتظهر لى التأفف والتبرم ولا تكتمنى الضجر الذى يشيره حديثى ولما المفرد فقد كنت أرتفع بالكلام عن طبعها وأتركها على الأرض واذهب أحلق فى أجواء لا تستطيع أن تذهب ورأى فيها . وكنت أنشدتها ما أقوله فيها من الشعر فيسرهما أنها وجدت شاعراً يحبها كل هذا الحب ويتبنى باسمها وأن يقرأ الناس ما يقوله فيها وما يصف به وجدها لها ، ولما كانت ترى فى هذا إعلاناً ... ولكنها لم تكن تفهم ما أنظم أو تقدرة ؟ وكثيراً ما كانت تمنع شفقتها بأسخرة . ويا زجماً قالت لى : « ألا تستطيع أن تقول كلاماً حسناً ؟ » فأهر رأسى وأقول لنفسى إنى وقمت وقمة سوداء وأنى يجب أن أصدغنها

من زمن طويل قبل هذا أنها غير تلك التي كنت أحلم بها وأنها ليست إلا امرأة عادية جداً لا أكثر ولا أقل ... وهبني اطلعت على ما كانت تخفى عني فهل يزيدني هذا علماً بها ومعرفة لحقيقتها ؟ كلا .. ولم يكن هذا المنطق يقنعني أو يريحني ولكن كان المنطق الذي اضطررت إليه وسكنت على رغبتي . على أن الأمر لم يطل فقد جاء يوم اعتذرت لي فيه بأنها مسافرة فاستغربت ، فما أعرف لها من تسافر إليه ، ولكنني سكنت ولم أقل شيئاً . ورأيتها بعد أيام فسألتها عن رحلتها ورجوت أن تكون كما أشتع لها ، فقالت بضجر متكلف لم يخف على : « أوه أبداً . . . كانت رحلة مملة ... إنك تعرف هؤلاء الفلاحين وكيف يعيشون . ليس في حياتهم أى تسلية »

ومضت أيام فمادت تستمر من التخلف من لقائي لأنها مدعوة في بيت صاحبة لها ، فلم أجادل وتركها . وتكرر بمذلك الاعتذار وتوالى انقطاعها عني ، وكنت أحياناً أقسم أن أهمها وأبقى أياً ما لا أسأل عنها . لأعرف أعادت أم هي لا تزال مع هؤلاء الذين ظهروا بخفا في حياتها ولم أسمع بهم مرة واحدة قبل ذلك كل هذه الشهور . وأحياناً كنت أضمر فأذهب إلى بيتها فتفتح لي وتلقاني كأنها كانت مني قبل ساعة ولا تسألني لماذا غبت ولا لماذا كنت أضمر وكيف كنت أقضي الوقت . لا .. لا شيء من هذا على الإطلاق فأشعر بالنصه ولكني أكنم الألم ..

وقلت لها مرة وقد همت بالاعتذار من الاضطراب إلى إرجاء لقائي : « لماذا تكذبين على ؟ » فلم أر أن حدثي أو ألقاها في الوحشة اغضبنيها ،

ودخلنا وأغلقت الباب وراءها كما دأبت فلم أمهل بل طوقتها بذراعي في الدملج وقبالتها .. على خدها فأدارت وجهها ومنحتني فمها ..

وكنت أسخط على نفسي بعد كل ليلة وأرميها - نفسي - بالأخطاط ، ولكنني ألقت ذلك فصار الأمر عادة كالتدخين وغيره مما يمتاده المرء ويتأفف منه ويود لو كب عنه مع ذلك ولا يكلف نفسه جهد المقاومة وعناها . وبقينا هكذا زمناً غير قصير وعرفت أن لها أصدقاء غير قليلين فقد كنا نلقاهم في الطريق فيومئون إليها بالسلام فتبتسم لهم ولكنهم كانوا لا يدنون منها ولا يكلمونها كما فعل الضابط السوداني في حديقة الحيوان . ولم أكن أعيا بذلك فقد كنت أرى أني منفرد بها وإن كنت لا أعلم ماذا تصنع في غيابي ، فما كان يسنى أن أظل معها كل ساعة . وكنت أروض نفسي على الاطمئنان والثقة لحاجتي إليهما لا لأني واحد ما يدعو إلى الثقة والاطمئنان . والمرء في تجربته للحياة بضمار إلى خداع نفسه ومغالطها في الحقائق - أو ما يعتقد أنه الحقيقة ليستريح قليلاً . ويتصور كيف تكون حياة من لا يزال فاتحاً عينه متربصاً مترصداً ليحيط بالمحبوب والمغازي ، ومن لا ينفك يستمع إلى ما يهيم به في أذنه سوء الظن الطبيعي .. وكثيراً ما يكون المرء على حق في سوء ظنه . ولكن المرء يعرف بالتجربة أن وساوس الظنون تنفي كل راحة وتحمل الحياة جحيماً . ويضنيه التنب فيطلب الراحة ويعرف من تجربته للناس أن الناس سواسية فينتهي بأن يقول لنفسه إنه ليس موكلاً بإصلاح الكون وأن الأولى به أن يريح نفسه ويغفرها من العناء الباطل . وماذا كان يعينني من أمرها في غيابي وأنا قد أيقنت

ثم ارجع فأقول : إن المسألة ليست مسألة تعليم أو ثقافة وإن كان التعليم يهذب ، وأن هناك أميات كثيرات هن جميعاً أرفع منها وأسمى وأشرف وأعظم فطنة واحد ذكاء ، وأن العبرة بالطباع والدول على الفطرة . .

وانقضى النهار في هذه المواجهات أو المواجهات وأقبل الليل ومعه البرد فاحتجبت أن أقوم وأن أعشى لأشعر بالدفء فرحت أتمنى في الحارة وعيني على يديها وأنا في حماية الظلام فسمعت بعد قليل صوت باب يفتح ويفلق فدوت على أطراف أصابعي فإذا هو بابها وإذا الخارج منه هو الضابط السوداني وكاد يختفي في الظلام ، ولكن الباب فتح مرة أخرى وخرج منه صوت كهذا « هسسسس » فوقف الرجل وتلفت ثم كر راجعاً ووقف أمام الباب ، وكنت على مسافة مترين منه فأدركت ظهوري إليه ولويت عنقي لأكون أقدر على السماع فسمعتها تقول له :

« الساعة الثالثة تماماً . فاني أخشى أن يجيء ذلك الثقيل للسؤال عني .. »

فشيئت ولم أفأف لأسمع رده

إبراهيم عبد القادر المازني

آلام فرتز

للشاعر الفيلسوف جوتة الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد محمد الزيات

وهي قصة عالية تدبج من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً

وكأني كنت أحبها وأثنى عليها فقالت : « إنك ظريف ... أهذا ما يجيب به حين اتهمها بالكذب وأرى باللفظ الجارح في وجهها .. »

وكنّا قد دخلنا في الشتاء وكنت أعرف أنها لا تحب أن تكون في غير بيتها بعد المشاء على الأكثر ، فذهبت إلى قهوة قريبة من مدخل الحارة وقعدت عليها من الظهر لأرى ما يكون . وانحدرت الشمس وأنا لا أرى شيئاً ؛ نعم رأيت ناساً كثيرين راكبين أو ماشين وباعة متجولين ومركبات الخيل ولكني لم أرها تدخل أو تخرج . وكانت نفسي لا تفتأ تنازعني أن أنهض منصرفاً وكنت أحدثها بأن من السخافة والحماقة أن أتب نفسي بهذه الجلسة المضيئة لأعرف ما أعرف . وهل في الأمر سر ... أليست قد ملئت ونبت بي وجفتني واعتادت مني سوى كائناً من كان هذا السوى .. وما حاجتي إلى علم ما أعلم ... ولماذا أحقر نفسي وأمرغ وجهي في التراب وأضعه عند قدمي امرأة سوء كهذه .. وأهم بالهوض ولكني أحس كأني قد سمحت إلى الكرسي أو لصقت به ، ويتجسد وهي حتى لأتلفت كأنما أريد أن أرى للنسامير أو الفراء أو غير ذلك مما ربطني بالكرسي وأزمنه فأنما لا أقدر أن أنهض عنه ، ويضجكني أمرى أحياناً ثم تغلبني الكتابة والحزن — على نفسي وعليها — ثم أراني غضبت وثرث وهاجت تنامي على هذه المستهرة التي لا تبال ولا تدرك ثم أراجع نفسي فأسألها : « ماذا تريدن منها أن تبال ؟ أمن العدل أن أظالمها — أو أتوقع منها — أن تحفل ملائندرك ... » واستسخرت من نفسي أن أدوح أنتظر من هذه الدامية — على الرغم من أنها تملت شيئاً — أن ترتفع بنفسها إلى حيث ارتفعت أنا ،

فأرادوا أن يسمروا
بالحكايات كما رُوي في
الكتب ، ولكنهم لم
يفتح على واحد منهم
بابتداع حكاية مسلية .



عبد القادر
بقلم الأستاذ عبد الرحمن سديقي

كان ذلك في أوّل العنيد في قصر
بالقيل ، والغريف مطير حزين ، والأوراق

ومضى الصيادون يقصون ما وقع لهم أثناء صيدهم
بالبندق وتقنياتهم للأرانب ، وجلّت الفانيات
يكدن أذهانهن ويتقصين في ثناياها فلا يجدن

النتثرة ذابطة محمرة لا يسمع لها تصف تحت الأقدام ،
بل تعطن في السكك بدراج المجلات تحت شكايب
الديم المظلمة

خيالاً نكيال شهرزاد يسمفون بحكاية من أمثال
حكايات ألف ليلة . وكادوا يكفون عن الأحاديث .

وكانت الغابة وهي جرداء إلا قليلاً تشبه
الحمام من الرطوبة . فإذا أوغلت فيها تحت أفنان

وكانت إحدى الفانيات تبعث
خالية البال بيد عمتها المجهوز ،
وهي غانس لم تتزوج ، فلاحظت
خاتماً صغيراً من شعيرات بشقراء
كثيراً ما وقع ناظرها عليه من
غير أن تفكر لحظة فيه



فألتفت وهي تدبر في
أصبعها بلطف : « ألا قلت لنا
يا عمي ما هذا الحمام ؟ لكانه
شعر غلام يافع . . . » . فاجار

الدوح العالي يصفقه وأبل الطر
شمالك رائحة مخمّ وهبوه ماء من
العشب المنضّل والأرض البيلة
والصيادون حناء الظهور
يدبون تحت هذا الفيض الممتون ،
والكلاب محزونة ذبلها مرسل ،
وشعرها ملتصق بأطرافها ،
والفانيات الصائحات في أبواب
الصوف المنصّلة لاصقة مشربة
بالبل ، وهم كل مساء يؤوون من
الصيد أنفاساً جسم وعقل أجمعين

وجه الناس ثم اصفار ، وأجابت بصوت
متهدج : « إن الأمر محزن جداً ، محزن جداً ،
حتى لست أحب الكلام عنه . وكل ما في
حياتي من الشقاء فهذا مصدره . لقد كنت
في غرارة الشدايب وقتئذ ، وما زالت تلوعني
الذكرى حتى لينبغي البكاء كلما خطرت في نفسي

وفي الهو الكبير بعد العشاء يجتمعون إلى
لمبة الورق متقارعين ، من غير انبساط ولا لذة .
والريح في الجارج هبات مدوية تدفع في مصاريع
الشبابيك المنقطة ، وتبتدر دوارات الهواء فوق
الأبراج فاذا هي من دوران كالخدوق الدوّم

القيمتان في القصر تجدان الأمر طبيعياً لطول ما قر الحب في تقاليد الأسرة . فالأشروع ما دام محروم المشق فليس فيه ما تنكره وتتمجبان منه . وإذا دار الحديث أمامهما عن هوى قامت الوانع دون قضاء لباهاه ، أو عاشقين فسد ما بينهما أو وقائع الانتقام من الخيانة أو تقص المهد ، قالتا معاً في لهجة شجية : « له الله ! أو لها الله ! » لشد ما قد نألم ولا ريب حتى بلغ الأمر هذا الباغ » ثم لم تزيدا على ذلك . وإنهما لثقان لآسى الحب ، ولا تنقمان قط على أصحابها ولو أجزوا

إلا أنه في ذات خريف كان بين الدعويين اللصيد شاب في عنفوان الشباب ، هو المسمى دى جراديل فاختطف الفتاة . وظل المسمى سائز هادئاً كأن لم يحدث شيء . وإذا هم يصبحون ذات يوم فيجدونه مشوقاً بمزقة الكلاب وهي حوله وقد مات ابنه مثل هذه الميتة في فندق بباريس في أثناء رحلته سنة ١٨٤١ ، على أثر خيانة إحدى مفتيات الأوبرا له . وترك بعده ولداً في الثانية عشرة وأرملة هي أخت أمي . وجاءت السيدة ومعهما الصغير للقيام عندنا بأرضنا في بريتون . وكنت وقتئذ قد بلغت سبعة عشر ربيعاً -

ولا يسعكم أن تصوروا كيف كان هذا الصغير سائز مدهشاً باكر النضوج قبل الأوان . وإنه ليخيل إلى المرء أن جميع ملكات أسلانه من رقة عاطفة وسبجات نفس حائشة قد اجتمعت فيه وزلت به ، بهذا القرب الأخير . وكان على الدوام حالاً يمشي وحيداً ساعات كاملة في ممشى رحيب بين أشجار الدردار تمتد من القصر إلى الغابة . وكنت أقرب من نافذتي هذا الصبي الزرق الوجدان وهو يسير وقور الخطى ويده خلف ظهره مطراً إلى الأرض ، وأحياناً يتوقف ويرفع طرفه كأنه يرى ويدرك ويحس أشياء ليست له كان في سنه

فتألفوا إلى سماع الخبر ، وأبت السمة ذلك عليهم ، فما زالوا بها حتى رضيت في آخر الأمر : « كثيراً ما سمعتموني أحدث عن أسرة سائز ، وقد انقرضت اليوم جميعاً ، ولقد عرفت الثلاثة الرجال الآخر من هذا البيت ، والثلاثة ماتوا ميتة واحدة وهذه شمرات الأخير ، وكان في الثالثة عشرة من عمره حين انتحر من أجلى . لقد يبدو لكم الخبر غريباً ، أليس كذلك ؟

آه . لقد كانوا مشركاً جميعاً من الجانين ، إن شئتم هذه التسمية ، ولكن بجانين ظرفاء ، بجانين غرام . فهم جميعاً - أباً من جد - أصحاب عواطف عارمة جامحة ، تدفعهم من كيانهم كله دوافع قوية إلى أبعد السبجات وإلى التفتاني وفرط التحمس ، بل تذهب بهم إلى حد ارتكاب الجرائم ؛ وهذا منهم بمقام فرط التدين في بعض النفوس . وشستان في الطبيعة والزواج بين أهل العبادة وبين رواد المجالس أزيار النساء . وكان يتردد في أساطهم وبين ذوى رحمهم قولهم : « عاشق عشق بى سائز » ، وحسبك أن تراه فتجد هذا على سيام . فكلمهم شعره ذو خصل منسد على الجبين ولحيته جعدة وعينه واسمئتان ينفذ شماعهما في نفسك فيبدلك ويشغل خاطرك دون أن تعرف لتلك سيباً وكان جند الغسلام - الذى رأيت في أصبى تذكارة الوحيد - له مفاخرات عدة وبارزات وسي واستباحة للحریم . وقد هام بعدها وهو في نحو الخامسة والستين بأبنة مؤاجر ضياعه . وإلى لأذكرهما . وكانت شقرام شاحبة اللون ، حسنة السميت والشاردة ، تسكلم منتدة وفي صوتها لين وترطيب ، ونظرها جلوه غالية في الحلاوة كأنها نظرة المذراء في صور الرسامين . فأخذها السيد السكلم عنده ، وسرعان ما أصبح متبهاً لا يطبق البعد عنها لحظة . وكانت ابنته وامرأة ابنة

وفظليهما ؟ وكان في بعض الأحيان يدق يديه مردداً :
« وأنا أيضاً ، وإن لأعلم بالحب منهم جميعاً » . ثم
جمل يتحبب إلى متغزلاً في استحياء وحنان عميق
كانا مثارا للضحك لشدة غرابة الأمر . وكان في كل
صباح يقطف لي جني الزهر ، وفي كل مساء قبل صعودي
إلى مقصورتي يلثم يدي هامساً : « أنا أهواك ! »
لقد أذنبت ، وركبني أعظم الذنب . ومازلت
على هذا نادمة باكية لا يرثاني دمع . وإنني في
التذكير عن هذا طيلة حياتي ، وقد بقيت بعده
عانساً لا أتزوج ، بل بقيت كالخطيئة المزملة ، أجل
أنا له ، الأرملة . كنت ألهو بهذا الحب الصبائي بل
كنت أحمل على إذكائه . فكنت المرأة الخلوب
ذات الليل ، وكأني إلى جنب رجل الألبه وأخته .
لقد فقت هذا الغلام ودلتهته بجي . وكان الأمر
عندي لمباً ومماثلة ، وعند أي وأمه تسليّة وترويحاً .
لقد كانت سنة اثنتي عشرة سنة ، فتأملوا ! من كان
ياخذ مأخذ الجد هذا الغرام الذروي ! فكنت أقبله
ما شاء ، بل كنت أكتب رسائل العشق له وأقرئها
أي وأمه قبله ؟ وكان يجيب عليها بكتب مسطورة ،
كتب من نار ، وقد احتفظت بها . وكان معتقداً
أن سلتنا الغرامية سرّاً مكتوماً ، وكيف لا وهو
يعتد نفسه رجلاً والأمر في عرفة الجد كل الجد .

وقد غالب عنا أنه من بني ساتيز

ودامت الحال على هذا النوال عاماً أو قرابة
عام . وفي ذات مساء ونحن في الروضة خرب جانياً
عند قدسي ولثم حاشية ثوبي في اندفاع الهتاج مردداً :
« أنا أهواك ، أهواك ، أناميت في هواك . وإذا ختني
في يوم من الأيام ، أسامة أنت — إذا هجرتني إلى
سواي فاني صانع مثلاً صنع أي... » وأردف في صوت
عميق يقشمر له البدن : « أنت عليم بما صنع ! »
ولما وجمت ولم أحر جواباً نهض وشب على
أطراف قدميه ليبلغ إلى أذني — وكنت أفرع منه



وكثيراً ما كان يدعوني للخروج بعد العشاء في
الليالي القمرية قائلاً : « هلي يا ابنة الخالة نعمل . . »
فتمضي سواي إلى الروض . وكان يتوقف فجأة في
الفضوات بين تقاريج الشجر حيث تطفو تلك
الهبة البيضاء مثل نديف القطن يطن بها القمر
نجوات الغاب . ويقول لي وهو يشد على يدي :
« انظري الى هذا ، انظري الى هذا ! ولكنك
لا تفهميني ؟ إنني لأحس ذلك . لو إنك تفهميني
لكننا سمداء . لا بد من الحب لمن شاء العرفة » .
وكنت أضحك وأقبله ، أقبل هذا الصبي الذي يحبني
مستهلكاً في حبي . وكان أيضاً بعد العشاء كثيراً
ما يجلس على ركبتي أي قائلاً لها : « إيه يا خالة ،
قصي علينا شيئاً من قصص الحب » فتضحكي له أي على
سبيل الدراما بأساطير أهل بيته كافة وجميع ما وقع لأبائه
من الوقائع الدرامية ، والناس يرددون منها الألوف
بعد الألوف من صحيفة ومقتراة . إن هؤلاء القوم
قد أضاعهم شهرتهم ، فقد كانوا يستجيشون لها ثم
تملكهم المزة أن يكذبوا سمعة بيتهم وما اشتهر به
وكأن الصغير يهتر لهذه الحكايات لطيفها



نخيل إلى أنى رأيت ما رأيت كله في هذين حلم
فقطع . فقمعت : « هو ، هو ، جوتران ؟ » .
فلم يجبني أحد . إنها الحقيقة
ولم أجرؤ على طلب رؤيته . وطلبت إليهم خصلة
طويلة من شمره الأشقر . وهذى ... هذى ... هي ...
ومدت المانس يدها الراجفة بمحركة القائط
المقطوع الرجا . وأخرجت مندليها ومخملت صرات
ومسحت عينيها اللامعتين واستأنفت تقول :
« وتقضت الخطوبة دون إبداء السبب ... وبقيت ...
بقيت طوال العمر ... أرملة ... أرملة هذا الصبي
ابن الثلاثة عشر ربيعاً » . ثم مال رأسها على صدرها
وبكت طويلاً بدموع الذكرى
ولما انصرف الدعوون إلى حجراتهم للرقاد ،
مال صياد غليظ الجسم قد أفسدت عليه الحكاية صفوه
إلى أذن جاره هامساً : ألا ترى رقة الوجدان إلى
هذا الحد بلاء وشراً بلاء ! عبد الرحمن صرقي

طولا - ودعاني باسمي ، اسمي الأول ، « جنثيف ! »
بنزمة حلوة جميلة رقيقة ثلثتي منها قشيرة سرت
من فرعى إلى أخص قدى

- فقمعت : « لراجع ، لراجع إلى الدار » . فلم ينبس
بكلمة وسار في إترى ، فلما همنا بصعود درج السلم
استوقفنى : « أتمرين ، إذا هجرتنى فأنى قاتل نفسى »
فعلت هذه المرة أننى تماديت حيث لا يجب
التمادى وتكلفت معه التحفظ . ولما أن كتب ذات
يوم بمتب على « أجبته : « أنت اليوم أكبر من عبث
الزاح وأصغر من جد الحب . وإنى فى الانتظار » .
وحسبتى بهذا قد أبرأت ذمى

وفى الحريف عهدوا به إلى مدرسة داخلية .
فلما عاد فى الصيف التالى كنت خطوبة . فأدرك الأمر
فى الحال ، والتزم بدى ثمانية أيام هيئة للمفكر النابرق فى
التفكير . فأهمنى ذلك وساورنى منه قلق شديد
وفى صبيحة اليوم التاسع استيقظت من نوى

فوقمت عيناى على رقة صغيرة مدموسة من تحت
الباب . فتناولتها وفتحتها وقرأت فيها : « لقد
هجرتنى ، وأنت تعلمين ما قلته لك . لقد قضيت
فى بالوت . وإنى لأحب ألا يثر فى أحد غيرك ،
فتعالى إلى الروض فى نفس للوضع الذى قلت لك
فيه أنى أهواك وتطلنى فى الفضاء »

فكدت أن أجن . وأسرفت بارتداء ثيابى
وهزلت على عجل أجرى وأجرى وأكاد أنساقط
إعياء إلى المكان المعلن . وإذا بقمته الصغيرة المدرسية
ملقاة على الأرض فى الوحل ، فقد كانت الليلة
مطيرة . ورفعت طرفى فأبصرت شيئاً معلقاً يترجح
بين الورق ، وكان يوم ريح ، ريح شديدة

ولا أدرى بمد ذلك ما صنعت . لقد صرخت
أول الأمر ولا زب ، ولما لنى سقطت بعدها متشياً
على ، ثم عدوت هائجة على وجعنى إلى القصر .
وثبت إلى الرشد فى فراشى وأنى إلى جانبى

الاباطال في الحب

للكاتب الفرنسي بلزاك بقلم الاستاذ محمود مخيف

وكان أنجلو فقير الحال ؛ ولقد ذاق هذا النحات الفذ آلام الفاقة ، وخبر شقاء العيش ، وأدرك مبلغ ما يضعه الفقر في طريق الحياة من صعاب وعوائق ؛ عاش عيشة ضنكا ، يقنع بالسير من الطعام ، ويحجل من إموازه وإملاقه ، ولا يستغل مواهبه إلا في أشد حالات اليأس ؛ ولم يكن يود أن تتاح له الحياة الهادئة الساكنة التي يبتغيها أحسن حياة لهؤلاء الذين تتلى رؤوسهم .

أنى ذلك الاباطالى الحبي ذات يوم إلى الحاشية في أحسن حاله ؛ ولقد عقد حياء الشباب لسانه كما حال سوء طالعته دون أن يسأل الملك أجر عمله . ولما رأى الملك من هندامه ما رأى ظنه رافعا ناهما لا يميزه شئ . ولقد اعتاد رجال الحاشية كما اعتادت الأوانس أن يظهروا لمعجبهم ببحر بناءه ، كما كانوا يمجّبون بشخصه . ولكنه مع ذلك كان لا يصل إلى يده شئ من المال .

وكان الجميع ، وعلى الأخص النساء ، بروه غنيا بما وهبته الطبيعة من سبات الجمال . من أجل ذلك حسبوه بشبابه وشمره الطويل الفاخر وعينيه اللامعتين من ذوى التراء ؛ ولم يخطر لهم الكسب في بال ، بينما هم يفكرون في تلك الأشياء وفيها وراءها . ولقد كانوا في عجمهم محقين ، إذ طالت أمحت مثل هاتيك الصفات للكثيرين من سفلة الحاشية أن

عندما اعتزم الملك هنرى الثامن تزويج قلمة « امبواز » ، جاب إلى تلك القلمة عدداً من مهرة الصناع ، فن مشاهير النحاتين إلى أساطين النقش والخزفة إلى غير هؤلاء وهؤلاء من أعظم البغاثين ورجال المهارة ؛ ولقد زين هؤلاء ردهات القلمة بآيات فنونهم ، بيد أن الاحمال قد شوه ما أبدعت أيديهم من زمان بعيد .

وكان ذلك العمل يومئذ حديث الحاشية وشغلاها إذ كان الملك كما هو معروف ، يهتم بأن يرى بنفسه مبلغ ما محمود به قراخ هؤلاء الرجال .

وكان بين هؤلاء الفنانين شاب إيطالى يدعى أنجلو كابارا ؛ وهو رجل مشهور المقام ، وثيق الكفاءة ، حتى لقد كان على الرغم من حداثة سنه يبدأ أقرانه جميعاً في النحت والحفر . ولقد دهش الناس يومئذ أن رأوا رجلاً مثله في ربيع حياته الباكر ، يصل إلى مثل ما وصل إليه من نبوغ . حقاً كان ذلك عجيباً ، إذ لم يكن يبدو على عجا ذلك اليباع إلا اليسير من تلك الشمرات التي تشير في الرجال إلى اكتمال رجولتهم واستوائهم .

ملك هذا الفتى الإيطالى قلوب الأوانس وشغفهن حبا ، إذ كن يربنه جيلاً ساحراً كالجلم كما كن يرمقنه حزيناً كاسفاً كالطائر الجليل نوى في عشه يندب موت إلفه .

ينموا بالضيق الواسعة والمال والجاه .
 وكان أنجولو على الرغم من مظهره الذي أفاضه عليه شبابه ، لا يتجاوز العشرين من سنى حياته ، ولم يك على حداته غرا ؛ وكان كبير الدواء ، يمتلئ رأسه بالشعر ، وفضلاً عن ذلك كان من ذوى الخيال البالغ سمو . ومع أنه كان قليل الثقة بنفسه شأنه في ذلك شأن غيره من مساكين الناس وتساؤلهم ، كان يدهش لنجاح الأغفال الجهلاء . ولقد كان يتوهم أنه قد ركب في فطرته بعض الخطأ ، فهو فاقص إما في جسمه أو في عقله . على أنه أمر تلك الأفكار في نفسه ؛ كلا ! بل لقد كان يشكو حاله في ضوء التجوم إلى الأطياف الحامئة وإلى بارى السموات ، وإلى الشيطان ، وإلى كل ما يحيط به !
 كان في مثل تلك اللحظات يرمض الألم نفسه أن حياه القدر مثل ذلك القلب المتوقد الذى ما كان يشك أن النساء يتقين قطعة الحديد الحامئة ! ولكنه كان يقول في نفسه إن هذا القلب هو الذى يعرف الحب حقاً ، فاذا ما أحب عادة فأى حب ذلك الذى كان يفيضه قلبه ، وأى إعزاز ذلك الذى كان يحيطها به طول حياته ! وأى إخلاص ذلك الذى كان يربط شخصه بشخصها ! أجل ! لو أنجى له الحب ، فإنه يتخدم حبيبة نفسه بكل ما عكك من عاطفة ، ويكون أبداً رهن إشارتها ؛ يتشكر من دواى السرور وأساليب التسلية ما يدفع به ما عساه أن يقدده المم حولها من سحب خفيفة ، أيام يشقى السماء سواد الغمام .

كان يمثل له خياله أحياناً فتاة يحملها بهوى فؤاده ، فيروح يلقى في الخيال نفسه على قدميها ، ثم يضمها إليه ويطبع على وجنتيها من القبلات ما شاء له الهوى ويطوى بمساعدته خصرها ؛ وفى ورش أنجولو على جسده ما وسعه من المعطور واشترى بقعة من القطيفة يطرزها شريط مزودج من الحرير ، كما استمار من صديق له عباءة واسعة الردين ، وحلة تريها الخيوط ، وسروالاً من الحرير ، وأخذ سبله إلى منزل مضيقة ؛ وصمد السلم بقدمين

عمله هذا من الحقيقة بقدر ما في خيال السجين وهو يتملئ بجسده على العشب الأخضر الذى يترامى لعينه خلال قضبان سجنه ؛ وفى لحظة عنافه يطلب إليها الصفح والغفرة ، ثم يذهل عن نفسه حدة شعوره ، فيمغن في عناق خليلته حتى ليوشك أن يقطع عليها أنفاسها ، وينقلب على الرغم من محشمة ووقاره جريئاً لهجاً ، فيمض بأسنانه طرف فراشه فى حدة وانفعال باحثاً عن فتاة الخيالية ؛ وهكذا يرى نفسه شجاعاً في عزلة ، بينما تراه يستولى عليه الخجل في غده إذا سر في طريقه بإحدى الفتيات ! على أن تلك الأحلام الجميلة : أحلام الحب كثيراً ما كانت تحفزه إلى العمل فيقبل على عمله فيصور به وجوداً جميلة ، ويبرز صدوراً فاهدة ، عليها من فاكهة الحب ما يتحلب لأركانها ريق الناظرين ، هذا فضلاً عما كان يلده خياله من فنون الجمال وصوره . وكان النسوة يلدن بأرائهن عن تلك الآثار وهن مأخوذات بجمال مبدعها كالأبرار الفتي . وكان كالأبرار يمدحهن من أعلى إلى أسفل ، وهو يقسم جهد أعانه لئن مدت إحداهن إليه أصابعها مرة ليقبلها ، ليصلن منها إلى ما تشتهى نفسه وجاءته ذات يوم إحدى أولئك النسوة الدلات بسمو درجتهم ؛ جاءت بمفردها تسأل الشاب الايطالى ماذا يحب ، وتستفهمه ألا تستطيع واحدة من نساء البلاط أن تجمل منه حديث تجالس ورجل « صالونات » ، ثم دعت في رقة وظرف الى أن يزورها في بهوها تلك الليلة .

ورش أنجولو على جسده ما وسعه من المعطور واشترى بقعة من القطيفة يطرزها شريط مزودج من الحرير ، كما استمار من صديق له عباءة واسعة الردين ، وحلة تريها الخيوط ، وسروالاً من الحرير ، وأخذ سبله إلى منزل مضيقة ؛ وصمد السلم بقدمين

كان يمثل له خياله أحياناً فتاة يحملها بهوى فؤاده ، فيروح يلقى في الخيال نفسه على قدميها ، ثم يضمها إليه ويطبع على وجنتيها من القبلات ما شاء له الهوى ويطوى بمساعدته خصرها ؛ وفى

خفيفتين يلمع الأمل في مقتلته، ولكنه لا يدري ماذا يفعل حيال قلبه، وقد كان يثب في صدره ويخفق في عنف وسرعة ! كذلك كان يتساقط العرق على ظهره كانت السيدة وافرة الحظ من الجمال، وكان كابارا لا يريد يقطن إلى ذلك، فهو في فنه ملم بتكوين القراعين، خبير بما يجد الجسد ويبرز جماله، عليم بما يحيط بالأنثى من سر يذيع في جسدها السحر، إلى غير ذلك من خفايا الجمال وخبيثاته. ولقد رأى صاحبه ترضى بتكوينها أدق قواعد الفن؛ وفصلاً عن فتنة ملامحها ورشاقة قوامها، كان لها صوت تضطرب له النفس من أعمقها، صوت يضرم جذوة القلب، والمقل وجميع الحواس. وجملة القول لقد كانت تلك الغادة تبعث بجمالها في خيال المرء من أطيايف الحب الساحرة مالا يفكر في فيه؛ وتلك هي خاصة أولئك النسوة اللعنيات !

وجدها التحات جالسة على مقعدها إلى جانب الموقد، وسرعان ما بدأت الحديث في سر، ولو أن صاحبها لم يجد لديه جواباً غير لا أو نعم. خذلت حنجرته فلم تقو على لفظ، وغانه عقله فلم يجد بفكرة؛ وظل يجمع نفثته بأطالة النظر إلى تلك الحسناء والاصفاء إلى صوتها، تلك السعادة التي ما كان يحجم عن شرائها بضرب رأسه إلى جانب الموقد ! وكانت صاحبه تلعب أمام عينيه كالفراشة الجلية في ضوء الشمس. وعند منتصف الليل فادر النعجات الصغرى المنزل تشع بالسعادة نفسه؛ ذلك أنه في أعجاب الصامت قد ألقى نفسه وعشيقته يسلكان في هون طريق الحب الزاهر.

وفكر وهو سائر في طريقه، فراح يقول لنفسه: إذا سمحت سيدة نبيلة له أن يجلس إلى جانبها هكذا أربع ساعات من الليل، فما يظن هناك أبة صموبة في أن تسمح له بذلك بقية الليل، ولما استخلص من تلك المقدمات بعض النتائج الهيجبة السارة عقد النية على أن يطلب إليها كأجرة ساذجة ما يشتهي من حظوة، ثم صمم أن يقتل أي شخص يمترض طريقه؛ يقتل الزوج أو المرأة، أو يقتل نفسه، فذلك خير عنده من أن يسمح لأحد من أن يفوت عليه ساعة استمتاعه التي يتوخاها. حقاً لقد ذهب الحب بمقله، وصار من جنونه أنه يعتقد أن الحياة رهان صغير في ميدان الحب، ما دام أن يوماً واحداً من أيامه يعدل ألف حياة !

أخذ الابطال الصغير منحته وراح يسوي تماثيله، ولكنه كان يفكر فيما كان من أمر تلك الليلة، ولذلك فكّم شوه من أنوف كان يفكر في سواها؛ ولما ظن إلى ذلك نفث من العمل به، ورش المطور على ملبسه وانطلق إلى خليلته يستمع إلى أطعيتها للذنية، وهو يؤمل أن يحول كلتها إلى حقائق. ولكنه حينما وجد نفسه بين يدي ملكته سيطر عليه جلالها النسوي؛ وأحس كابارا المسكين وهو ذلك الأسد في الشارع بأنه من النعاج وهو يمدج فريسته

ولكنه على الرغم من ذلك حينما ألحت عليه الرغبة لم يحجم عن تطويقها بذراعة، ثم استجمع قوته واغتصب منها قبلة. وكان ذلك الاغتصاب مدعاة سرور لنفسه، فمادة النساء أن يمدن فيتمسكن بحق اللع والقدود عن أنفسهن إذا جدن قبلة. ولكنهن إذا أرغمن على منحها أو إذا سلّهن لا يسمعن إلا التسليم بمدّها بألف من مثلهن؛ وذلك يفسر لنا السبب في أن الكثيرات منهن يأبئنها إلا اغتصاباً ! ولقد استطاع ذلك الابطال أن ينال من تلك القبلات عدداً، وخيل إليه أن الأمور سائرة كما يجب، لولا أن صرخت تلك السيدة التي كانت من قبل ضنيّة قاتلة: « زوجي ». ولم يك ثمة غير الرجل فقد عاد

وجدها التحات جالسة على مقعدها إلى جانب الموقد، وسرعان ما بدأت الحديث في سر، ولو أن صاحبها لم يجد لديه جواباً غير لا أو نعم. خذلت حنجرته فلم تقو على لفظ، وغانه عقله فلم يجد بفكرة؛ وظل يجمع نفثته بأطالة النظر إلى تلك الحسناء والاصفاء إلى صوتها، تلك السعادة التي ما كان يحجم عن شرائها بضرب رأسه إلى جانب الموقد ! وكانت صاحبه تلعب أمام عينيه كالفراشة الجلية في ضوء الشمس. وعند منتصف الليل فادر النعجات الصغرى المنزل تشع بالسعادة نفسه؛ ذلك أنه في أعجاب الصامت قد ألقى نفسه وعشيقته يسلكان في هون طريق الحب الزاهر.

وفكر وهو سائر في طريقه، فراح يقول لنفسه: إذا سمحت سيدة نبيلة له أن يجلس إلى جانبها هكذا أربع ساعات من الليل، فما يظن هناك أبة صموبة في أن تسمح له بذلك بقية الليل، ولما

لا يستمتع به وإن فاضت به خزائنه ؟ ورأى تلك السيدة تلهو بأن تدعه حول السياج يثب ويقفز - هنا وهناك ويمتد نفسه مالك كل شيء ، إلا أن يقرب من حديقة الحب

بلغ من حنق كابارا بما صار إليه أمره أن أصبح وحشياً لا يحجم عن قتل أى إنسان ؛ ولذلك جمع بعض من يثق بهم من رفاقه ، ووكل إليهم مهاجمة الزوج وهو فى طريقه إلى منزله ، بعد أن يفرغ من لعب التنس مع الملك . وانطلق إلى غادته فى تلك الساعة التى يحل فيها لقاء الناشقين وتطليب المنازلة والمداعبة . ولقد كان حظه من ذلك وافراً تلك الليلة ، لم يدع وسيلة من وسائل القو والزاح إلا أداها فى حماسة وأناة . أجل ، لم يحرم سوى تلك التمتع التى يتعاشى الكتاب عادة ذكرها ، لسا يرونه من شناعة أمرها . واتجه انجول إلى خيلته على حين غفلة قائلاً لها :

« يا غادق الفاتنة ، أعجبينى أكثر مما عجبين أى شيء ؟ »

ولما كانت الكلمات لا تكلفها شيئاً أجابت قائلة : « نعم » فقال :

« هذا حسن ، إذن فلتكونى لى فعلاً كما أنت لى قولاً » فقالت له :

« ولكن زوجى حائد بعد برهة » فقال :

« ذلك هو السبب الوحيد ؟ » فقالت :

« نعم » فقال لها :

« قد وضعت فى الطريق بعض أصدقائى ،

وسيمترضونه ولا يطلقونه حتى أعاد المنزل وأرفع

شملة فى هذه النافذة ؟ فإذا رفع إلى الملك شكواه

فسيدافون عن ذنبهم بأنهم حسبوا أنفسهم

بمازحون صديقاً من طبقهم »

« آه يا عزيزى ! دعنى أنا كد من أن

كل إنسان هنا نائم فى مضجعه »

ساعتئذ ذلك السيد من لمبة التنس ؛ وخرج النحات أشيعه غادته بنظرة حارة ، إذ بوغت ساعة نشوتها ! وظل نصيب الفتى الايطالى من عشيقته على هذا النحو لا يتغير زهاء شهر ؛ لا يكاد يصل إلى حافة ما يريد حتى يحضر الزوج . وكان حضوره أبدأ فى تلك اللحظة التى تقع بين التمتع وبين الملاطفة التى تعقبه ، ويريد بها النساء أن يلففن من وقع إياهن . وهن بذلك إنما يجدن الحب وزدنه قوة على قوة !

وأخيراً نفذ صبر ذلك الفتى ، فأراد ذات ليلة أن يختصر الطريق إلى غايته ، فتخطى إليها ضروب المزالة فى جرأة وسرعة ليتم له الظفر قبل مباغتته ، ولكن غادته وقد قرأت فى عينيه ما اتوى تشكرت له بعض التسكر والتوث عليه بعض الانواء ! أخذت أول الأمر تنظيره بالفتية لتمد

السبيل للطعن فى الحب وإعلان سخطها عليه ؛ ثم عادت فاطفات قليلاً من غضب صاحبها بندى قبله ؛ واستأثرت بعد ذلك بالكلام ، وراحت تؤنب عشيقها وتمن أن إليه أنها تحب ممن تهواه أن يكون خبيراً وأن يظل مطيعاً لمشيئتها ، وإلا فلن تضع بين يديه حياتها وروحها : كما راحت تفهمه أن رغبته فى نيل وطوره تدل على أنه ينظر إلى الحب نظرة وضيمية فسا أيسرها قرباناً . ولذلك ترى نفسها أكثر شجاعة منه ، لأنها وقد أحبت أكثر مما يحبها قد ضحكت أكثر مما يضحى . وكانت تجيب على اعتراضاته بقولها : « الزم الصمت أيها السيد ؛ تلقبها فى لهجة الملكة ومظهرها . وفى بعض الأحيان كانت تقابل تقريع كابارا ولومه بنظرة غاضبة ، إلى أن صارت قائلة : « إن لم تروض نفسك على أن تكون كما أحب ، فلن أبكيك حتى يبدى اليوم » ورأى الايطالى أن حبها لم يكن حياً نيبلاً ؛ وإنما كان حياً لا يستمتع به العاشق ، كال البخيل

البلاط ، بإصاحبة القلب الشقي ... إنك إذن تحبين وجهك أكثر مما تحبين عشيقك »
عندئذ شاعت في وجهها الصفرة ، وورفت ذلك الوجه ، وفطنت في تلك اللحظة إلى أن مكرها قد أفسد عليها حبا . أما أنجلو فقد جنش خدها بحيفه وفر هاربا من المدينة كلها . ودخل الزوج فألقى إصرأته وقد نال خدها الأيسر ماناله ، ولكنها لم تنبس بكلمة على الرغم مما كانت تنافى من ألم . لقد أحبت كابارا أكثر مما تحب الحياة نفسها ؛ ولكن الزوج أصر على أن يعرف من فعل هذا بإصرأته . وانجمه نظره إلى كابارا ، وقد حامت الشبهة حوله ، فرفع أمره إلى الملك ، وأمر الملك فجئ بذلك الأباطال وسبق إلى الاعدام في « بلوا »

وفي غداة اليوم الذي سبقت لتنفيذ الحكم تقدمت سيدة نبيلة ، وقد عذرت رغبة شديدة إلى محاولة انتقا ذلك الشجاع الذي رأت فيه عاشقا كأفضل وأكل ما يكون الماشق . توسلت تلك السيدة إلى الملك أن يهبه لها ، فقبل توسلها في غير عناء . ولكن كابارا أعلن أنه لن يعرف امرأة ، ولن يدين لامرأة غير تلك السيدة التي تيمته . ولذلك رأى أن يلتحق بالكنيسة ، ومن ثم أصبح كاردينا لا وعالا من كبار العلماء . واعتاد أن يقول في شيخوخته إنه عاش معاش من سنى حياته على ذكرى تلك اللذات التي ذاقها في ساعات نزوانه ، إذ كان يلقي على يدي غادة أحسن ضروب الماملة وأسوأها معا . على أن هناك من يقولون إنه لم يلتحق بالكنيسة وأنه نجح بعد ذلك في تهئية حياة هادئة مرضية مع تلك التي ملكت قلبه . ولكني لا أصدق هذا القول ، لأن كابارا كان رجل عاطفة يعرف حق المعرفة قوانين الحب المقدسة

الخطيف

ثم نهضت فأسرعت إلى النافذة وورفت بيدها الشعلة ! ولكن كابارا لم يكد زاها فتمل ذلك حتى وثب فأطفاها ، واستل سيفه ، وواجه تلك المرأة التي تبين في عيناها روح الازدراء وخبت النية وقال :

— لست أريد قتلك أيها السيدة ، ولكني أريد أن أشوه جمال هذا الوجه ، بحيث لا نستطيعين بعد ذلك أن نلعب بأفئدة هؤلاء الفتيان الذين تضمين حياتهم . لقد عملت على خديمتي بأساليب مخجلة ، وتبين لي أنك امرأة لا تعرف معنى الاحترام . يجب أن تتعلمي أن القبل لا تنقع غلة عاشق ، وأن الفم الذي ذاق طعم القبل لا يبتك يطلب ما بعدها . لقد كنت سببا في شغائى ، وستظل حياتى أبدا بعد اليوم تمسة مظلمة ، والآن أريد أن أجمعك ... تتذكرين إلى الأبد موتى ، ذلك الموت الذي هيأت أنت أسبابه . سوف لا تقفين بعد ذلك أمام المرأة إلا تزين وجهي إلى جانب وجهك »

رفع بالسيف يده ليقطع به صفحة خدها النضر ، ذلك الخد الذي مازال يحمل آثار قبلاته ، فصاحت المرأة قائلة : « تبأ لك من شقى ! » فقال لها : — « كفى عن الكلام ... لقد أخبرتنى أنك تحبيننى أكثر مما تحبين أى شيء ، والآن تحبينين ببديت آخر ... ظلت ترفعيننى كل ليلة درجة نحو السماء ، حتى رأيتك تالقينى بضرية واحدة في الجحيم ، وتظنين أن ثيابك تحول بينك وبين نقمة عاشق غاضب ... كلا ! »

وأجابت الغادة وقد استولى عليها الدهش لمرأى ذلك الماشق الذي يلتهب غضبا قائلة :

« آه ! أنجلو ! حبيب قلبي ! إلى لك . »
ولكنه تراجع إلى الوراء ثلاث خطوات ، وأجابه بقوله : « أيها المرأة ... أنت يا امرأة

من الأدب الإيطالي

عندك...

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

وقالت وهي تبسم في رقة وقد
طرحت وراءها كل همكاته:
« أنصرف.. سالفيتي ...
سالفيتي القانوني الشاب ؟
إن أمه كانت هنا اليوم ؟
أفهمت ما أعني ... ؟ »
فقاطمها الزوج في جفاء
وقال : « لا ، أنا لا أعرفه »

« إنك تذكره تماما ! القانوني الشاب ! إنه
يبدو أنيقا رقيقا ! »
« أنا لا أذكره »

وفي الحق لقد كان ييسرو يعرف الشاب ،
ولكن أي قوة على الأرض تستطيع أن تتنزع من
بين شفتي هذا العنيد اعترافا ؟

فقالت الزوجة في رقة : « لا بأس فأنا موفقة -
بأنك ستذكره حين تراه . لقد أسهبت أمه في وصف
ابنتنا إيلينا بصفات الجمال والكمال والبرقة والأنوثة
و... ثم راحت تطلبها زوجا لابنها الشاب في رجاء
واستعطف فوافقت ؟ وسيزورك زوجها بعد ... »
« وافقت ؟ أحقا ما تقوين ؟ »

وصاحت المرأة : « ييترو أي زواج خير من
هذا الزواج ؟ وإيلينا تهوى الفتى ... »

واتفص الرجل كمن منه طائف من الشيطان
برعد ويزأر هائجا مضطربا « وكيف ؟ وكيف ؟
استطاعت الفتاة أن تقدم بهذا الشاب ؟ أين تلاقيا ؟
أريد أن أعرف ... وأنت ... أنت التي لا تعرفين
معنى الأمومة ، كيف تركت لها العنان للتدفع في
طريقها طائشة ؟ هيه ! نعم لقد سمحت لابنتك
أن تحب رجلا لا أعرفه ! لعلهما تراسلا أيضا ! ولما لك
كفت واسطة بينهما ! لقد تمت القصة وعلى عيني
ستارك شيف أسود !

كان جالسا في حجرة الطالبة الى نضد بجوار
النافذة شارد الالب ، مشقت الخاطر ، يحس في
الفضاء الترائي أمامه لا يثبت شيئا ولا يحققه ،
وقد اضطربت في رأسه خواطر .. خواطر سوداء
يريد أن يطردها بما ينفثه من دخان سجائر . كان
كذلك حين نادته زوجته من خلف الباب « ييترو
بيترو ؟ أستطيع الدخول ؟ » ثم .. ثم دفعت الباب
في رفق وهي تقول : « أرجو أن تمرني سمك
قليلا ، سأقص عليك خبرا هاما » وتقدمت في
هدوء وهي تلوح بمنديلها تطرد به سحب الدخان
الساكنة هنا وهناك : لقد أفرطت في التدخين يا بيترو ،
وهو يهد من كيانك . لماذا تجلس صامتا في الظلام ؟
وكان ثوبها الحريري الجميل يحف حفيفا خفيفا ،
وقرطها الماسي يشع نورا ، وكانت هي تبدو أنيقة
جذابة لأن هذا اليوم هو يوم الاستقبال ...

وزفر الزوج زفرة عميقة ثم نظر الى زوجته
وهو يبسم في سحر ويقول : « لماذا ربت شعرك مثل
ما أرى وقد جاوزت سن الفتاة ؟ » فاضطربت شفتاها
وقالت : « إن شعري لا يلبث أن يشعث ، واكن
لابد للمرء أن يبدو أنيقا حين ينتظر قدوم الزائر ،
وفي لهجة السخرية قال : « حقا . إن هذا اليوم عظيم .
إن التوافيس لا تنفك ترن رنينها المذبذب ... »

واقتربت الزوجة وويدا وويدا من زوجها

في أمر. وساد صمت رهيب حين علم الجميع أن أعصاب الأب تضطرب ، فأمسك فرنسكو عن العزف على البيان ، وترك لوشيانا ابنتها ، وصمت بيينو الصغير عن استدعاء دروسه ، حتى الخادم السكينة ، خفت من وطئها وهي تد المائدة ثلاثاً ربع سيدةا ... وعلى المائدة جلس الجميع في سكوت ، وبدت إيلينا قلقة جزءة ، وقد سيطر عليها اليأس ، واضطربت الشوكة في يدها فسقطت ، وفي سداجة الطفل لتقطعا بيينو وهو يبسم ، ثم انفجر ضاحكا ، وضحك لوشيانا ، ثم فرنسكو ، حتى الأم الحزينة افتر ففراها عن ابتسامة خفيفة . وعاظ الزوج ما رأى ، فأراد أن يخمد هذه الزوينة في خشونة وغلظة ، فنظر إلى زوجته ومن عينيه يتطارشوا بطقد وقال : « أعدى ملاهى ، سأسافر فداً إلى قريبنا ... قريبنا فالكو نيتوا » ، وذعرت الزوجة وردد نظرها حائراً بين الزوج المحقق وبين الفتاة وهي تتلقى الصيغة القوية . وأدرك الجميع ما أراد الأب ، فاطرقوا في حزن إلا بيينو الصغير ، فقد لمت عيناه بالفرح ... فرح التليذ الصغير ينتظر الأجازة ... فأشار إليه الأب : « أمسرو أنت لأنني ذاهب ... ؟ » فارتد الطفل وقال : « لا ، لا يا أبي ، حقاً لا ! »

وانطلق الأب والزوجة تقول له في صوت ضعيف : « أتعود قريباً ؟ لا بد أن تفكر في هذا الأمر » فقال : « أي أمر ؟ » قالت : « زواج إيلينا ! إن ذهابك معنا الرقص والتحدثي معاً . إن سعادة ابنتك فوق كل عمل في فالكو نيتو » ولكنه كان في ثورة يبدو عنيداً فقال : « لا جرم أن المرأة حين تفكر في الحب تراه فوق كل عمل وإن كان عظيماً ! » لم يكن العمل هو الذي دفع الزوج إلى القرية ولم تكن الرغبة ، وإنما كانت النفس الشريرة التي

واضطربت المرأة ، وخارت قوتها ، وطار عنها ثيابها ؟ فغطت وجهها يديها تخفي بعض خجلها ، وتستر ضمها النسوى المنسكب من عينها ، ثم راحت تنتزع الكلمات من بين شفتيها انزعاً : « لا لا يا بيترو ، لقد ظننت أني أجمل إليك بشري ، لماذا أنت كذلك ؟ لماذا ؟ ماذا اقترعنا ، وأي غرابة في ذلك ؟ شابان راق كل منهما في نظر صاحبه فتعلق أحدهما الآخر وأحبّه ، وباده الآخر حباً بحب وغراماً بغرام ؟ أليس هذا ما كان بيننا يا بيترو ؟ أنت ظالم ... »

وكان الرجل ظالماً ، وبدا في جلسته مهموماً مضطرباً ، وقد تدلى رأسه كأن فيه ثقل جبيل ، وكانت أفكاره تضطرب اضطراباً ، وأحس كأنها بمانى ألماً محمّصاً ، وحين كبح جماح غضبه ارتد هذا في جسمه فتوراً واستخذاء ، واستيقظ ضميره بجزء وخزات شديدة تؤله ، كما ألتته أعصابه المضطربة من قبل . ثم لقد أحب سليلها وهام بها ، فمى إليها وقد اختارها لنفسه ، ثم ثم فاز بها بعد طويل عناء . إنها قصة غرام قديم ... قديم منذ نيف وعشرين سنة ؟ ولكن الحقيقة لا نهزم ، وعلى رغم أن العقد الثالث من عمر سليلها قد انفرط منذ زمان إلا أنها لا تزال جذابة جميلة . أما هو ... وهو يحبو للخمسين يبدو للمين كمن جاوز السبعين ؟ أما قلبه فما برح شاباً يؤمن بالحب ، وبجوده بما في رأسه ويده معاً ، لذلك ... لذلك كان الرجل ظالماً

وحين تراءى له في خياله كل ذلك تقارظته الموم ففصاح : « سليلها ، أعصابي ... دعي هذا الأمر الآن ... » وكفكت المرأة عبارات الخفية في صمت ، ثم انطلقت إلى ابنتها حزينّة كثيفة تمدّتها الحديث كله ، وتقف في طريقها إلى أبيها التائر خشية أن يقع

شيء ، وراحت أعصابه تضطرب فما يقوى على ضبطها . ما ذا جنت زوجته وهي رقيقة عذبة الحديث عطوفة رحيمة طيبة ؟ وما ذا جنى هؤلاء الأطفال الأبرياء ليرى هو الهفوة الهينة منهم كبيرة لا يكفر عنها إلا العقاب الشديد ؟ ثم ما ذا في هذه الأعصاب الفاتية المضطربة ؟ لقد كانت رسول الشؤم والظلام في هذه الدار وأهلها آمنون »

هذه هي النهاية ... ١

وطلت أيام الشباب في خياله تذكره قصة الماضي .. فرأى أسرته جميعاً تنهد فرحاً من ذكر أعصاب الأب المضطربة ، تلك الأعصاب الظالة التي وقفت سداً منيعاً في سبيل زواج كبرى بناته ، والتي أرغمت الصغرى على أن تتخذ مخاراً وقد سيطر عليه الشك ؛ ثم هي أخرجت أكبر أبنائه من الدار لا يملك صليداً يسد به الرمي ، ويبترو .. يبترو نفسه قاسى ويلات ما منته به هذه الأعصاب الظالة . لقد كانوا يكرهون الأب ويعتقونه ، لما يرون فيه من الظلم والأناية ، وكان يبترو نفسه يقول : « آه ، لو أن لي ولداً فقسوت عليه بمثل هذا خلقت نفسي بيدي هاتين ... » أما الآن ... أما الآن فقد رأى له ما يضطرب في خواطر أبنائه هو جميعاً ، وأحسن بما يضمنون له من القتل والكرامية ...

ليت يستطيع أن يطرح عن نفسه ذلك كله ليرجع إليهم وادعاً هادئاً رقيقاً وشغلته الفكرة وتصرمت أيام .

ووافته الزوجة وهي تقول : « ما كنت لأجرؤ على المجيء ، ولكن ... أنت مريض ... أنت مريض حقاً » ثم راحت تبكي في صمت وكان هذا الصبر النفساني قد أنهك الرجل

فيه هي التي أرادته على أن يسمى إلى أهله ...

وصاحت الزوجة : « يبترو ، لا تذهب ... » غير أن الرجل اندفع لا يلقى على شيء حتى إذا كان لدى الباب التفت إلى ورائه فرأى ... رأى أبنائه في إطراق حزين ، وصمت مؤلم ، وما هم أحد ليودعه ، فقال له ضميره : « رأيت ... رأيت أمسرتك المحبوبة كيف تتركهم عبيداً أدلاء »

وعند انبثاق الفجر كان الزوج في طريقه إلى القرية

جلس يبترو وحيداً إزاء المدفأة في بيت قديم له بالقرية ، وخیاله عند الجماعة الذين خلفهم هناك في المدينة ؛ وبدت نفسه رقيقاً له يحده : « كأني أسمع الزوجة تقول لابنتها : أمتنبطة أنت يا إيلينا ؟ فنطوى الابنة على هم ، ونفسها تضطرب أمي ولوعة . وكأني بالأولاد من حولها يمرحون ويقولون : ما أجل المكان حين يرتفع عنه هو ... هذا الكابوس هذا الكابوس هو أنت ... أنت الذي لا يحبك أحد ، ولا يسر لمراك طفلاً ... أنت الشبح الخفيف ... أنهم يكرهونك ويعتقونك ... عجيب هذا ؟ كيف حرت الأيام وأنت تورث الفكرة في أذهانهم عن جهل منك وغفلة ؟

لقد كان وحيداً ، ولكنه كان هادئاً يستطيع أن يشمر نفسه الأخطاء التي ارتكبها ؛ ويستطيع أن يرى بمعنى عقله ثمار القسوة والنظلة وهي مرة كريهة . واستيقظ ضميره مرة أخرى يؤنبه بكلمات لاذعة قاسية ، وحكم هو على نفسه حين نشر على عينيه تاريخ أعوام مضت . لقد كان إلى عهد قريب هادئ الطبع ، حلو الثائل ، رقيق الماطفة ، طيب القلب ؛ وحين أحس مصباح الحياة ينطفئ أمام عينيه لس هو الظلام في كل

قال الرجل « أن كل من في الحياة يحمل قسطه من المتاعب والأحزان ، وفي كل دار عدوها ؛ قالفاقة والرزيلة والسقوط كل أولئك أعداءه ؛ أما دارنا ففيها عدو من نوع آخر هو .. هو أنا .. هذا ما أعرفه وأوقن به ، وليس لي من العزم ما أستطيع أن أخرج عن طبيعته هذا ... عن قسوة وغلظتي ، ولا أريد أن أبذر في أبنائي غراس العداوة والبغضاء لي ، لهذا ... لهذا فأنا لا أستطيع أن أرجع إلى داري ... لن أرجع ... لن أرجع حتى أبرأ »

وبدا لعيني المرأة مراد زوجها ، ووضح لها ما يريد ؛ فقالت في عطف وشفقة : « سأبث إليك بفرنسكو أو سالفيتي فهو فصيح اللسان قوي الحججة ... »

وراحت تودعه في حرارة وشوق وقد أشرق في نفسها تاريخ السعادة الأولى حين شبها حبيدي ، وهي تقول : وسأرسل فرنسكو يايترو ، فهو رحيم ، وهو يحبك ؛ يحبك على رغم كل شيء ؛ لأنك أبوه ؛ ثم صعدت إلى القطار

ورجع الزوج بشاقل كاشفاً يحمل على ظهره حملاً ثقيلاً ، وترأى له ابنه الأكبر في الخيال يستمطقه ورجوه ويمشوا عند قدميه يسكى ويسكى ... فيصني هو ، فيلين ، فيابي ... ثم يرجع ويرجع معه المدو الذي فيه ، فتضطرب الدار ويفزع الأبناء . أين الخلاص ؟ وبدا له الخلاص وهو يسير على حافة هوة عميقة ، في خطوة ... خطوة واحدة يتقدمها في ثبات وعزم ، فأغمض عينيه وسار ...

وخرج فرنسكو ليمود بأبيه فما عاد إلا بقصاصة ورق تحمل إليه التبا المززع ... موت أبيه لاس محمد هبيب

فهو ذليل ذار شاحب اللون ، مضطرب لا يكاد يستقر ، غير أنه قال في لطف : « علام تبكين ؟ هل الأسرة بخير ؟ » قالت : « وأنت .. أنت .. يجب أن تمود إلينا » قال : « نعم يجب أن أعود .. أعود إكراماً لأبيلنا ، يجب ... ولكنني أجد الراحة واللذة هنا ، وعندى هنا ما يشغلني . يجب ... لأن إبيلنا .. سأكتب إليها . »

وكتب :

ابنتي المزمزة ؛ أما أوافق على زواجك من السنيور سالفيتي ، لك تمنياتي الطيبة وحي الطاهر « أبوك » ونأول الزوجة الورقة وهو يقول : « أفي هذا ما يكفي ؟ .. »

قالت « كفى .. ولكن ييترو ، ماذا وراء الباقي ؟ الجهاز . الناس . الزفاف .. لا يمكن أن ترفض ! »

وتفاضى الرجل عن حديثها حيناً ثم نظر إليها وهو يقول : « إن القطار يتحرك في الساعة الثالثة تماماً »

« وأنت ؟ .. »

« سأرافقك إلى المحطة »

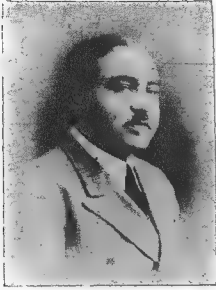
وانطلقا جنباً إلى جنب وذراعاً في ذراع ، والزوجة تقول : « تعال معي يايترو ، تعال إلى دارنا تعال ! لا تبذر فينا غراس الشقاء بفراقك ! » فقال الرجل في هدوء : « سأظل هنا ما بقي لي من العمر لأنكم تشقون بي ، سأعيش هنا .. » — « وحيداً ! »

— « نعم ، هنا ، انني أريدكم هاتين سمداً »

— « وكيف ... كيف نكون سمداً وأنت

هنا ونحن هناك ؛ يتأى وأرملة ؟ »

ثم راحت تذبذب حظها الأسود المائر .



مَجْلَدٌ أَوْ هَيْلَوِيزْ أَجْبَدِيَّة لِيَانِ مِيَاكْ رُوسَر بِقَلَمِ أَحْمَدَ حَسَنَ الزِّيَّاتِ

الرسالة الثانية

إلى موبلا

ليتك تعلمين بما يشعرنى هذا الفتور من لوعة القلب ؛ إذن لعرفت أنني جوزيت شر الجزاء وعوقبت أشد العقوبة . آه ! لو أنى رجعة إلى الماضى فأحول بينك وبين تلك الرسالة المشثومة ! فأننى لو لم أكتب الأولى لما كتبت الثانية ؛ ولولم أضطر إلى كتابة هذه الرسالة لكنت بنجوة من مظنة الاساءة إليك مرة أخرى . إني أريد أن أصلح خطاى لأن أضاعفه . أيبينى أن أقول إن نفسى أركبتى . التورور وموت على الباطل حتى أسرى من غضبك ؟ أيبينى أن أحتج لنفسي بأن ما أحل لك فى قلبي هوشى غير الحب ؟ أنا ؟ أحتريه هذه الجراءة ، وأقترى هذه الفرية ؟ وهل الكذب الفاجر خليف بالقلب الذى تملكينه وتعمريه ؟ لتكن عاقبة جرائى أن أكون بانسا إذا لم يكن من ذلك بد ، ذلك أولى من أن أكون بسيمها كاذبا أو جبانا ، فإن الجناية التى اجترحتها قلبى لا يبينى أن يبعدها قلبي أنا أشعر سلفا بفداحة غضبك ، ولكنى

ما كان أشد حقى وتزق فى رسالتى الأولى يا آنسى ! لقد كنت أرجو أن أنفَس بها عن صدرى المكظوم وقلبي المموم ، فإذا بي أعرض نفسى من جرائها لخطك ! وأشق الأمور كلها على أن أفعل ما يفضيك أو ما لا يمجيك . إن سكوتك وفنورك واتقياضك هى الدلائل النذرة بالصيبة ؛ وإذا كنت قد أجبت بمض رجائى ، فذلك لأنه أبلغ فى عقابى وجزائى . فانك « حين جمالك الحب واعية بقطة ، سرت شمرك الأشقر وحبست فيك نظراتك المذبة » (١)

لقد كفت أمام الناس عن تبسطك البرى الذى يحلى الجنون على الشكوى منه ، ولكنك ازددت قسوة على فيما بينى وبينك ، فتعادت شدتك اللبقة فى إقبالك وصداودك

(١) من شعر ميثاس

بؤساً أن أسألك إياه بنفسى . فإذا لم تكونى فاسية
القلب خِلقةً فَنَدِرَى هذه الهيئة الفائرة الثبرمة التى
تدفعنى إلى القنوط . ان الذى يرسل جرحاً إلى الموت
لا يزوده بالغضب

الرسالة الثالثة

الى موبيا

لا يصفى صدرك ولا يهن صبرك يا آنسى ، فهذه
الرسالة آخر ما يزجرك منى

ما كان أبعدنى ، حين تولد حيك فى قلبى ، أن
أتقصى بالنظر كل الآلام التى تهبأت لنفسى ! لم
أحس أول الأمر الا بألم الحب اليأس الذى
يستطيع العقل أن يقهره مع طول الزمن ؛ ثم ذقت
ألماً آخر أعظم من ذلك جرحه على "أنى أغضبتك ؟
وهأنذا الآن أشتشر ألماً أعد على نفسى من كل
ألم لأننى أثرت عليك هومك الخاصة

آه يا موبيا ! انى أرى والأسمى يفت كبدى أن
شكواى تكدر صفوك . انك تازمين الصمت الفاهر
البالغ ، ولكن كل شئ يملن إلى قلبى يلقظ
اضطرابك الدخيل

أصبحت عينك ساهتين حالتين فاكستين يفر
منهما بعض النظرات الحائرة إلى ، وانكفا لونك
البهى النضر فبدا على خديك شعوب غريب ،
وفارتك البهجة للرحمة وتضييقتك المومم القاتلة ،
فلم يبق مما يحفظ على طبعك الطلاقة إلا عذوبة فى
نفسك لا تنضب

إنك كما أرى مهومة لحساسة أو زراية أورتاء
لآلامى . وإنى لأخاف أن أكون ساعدت القدر فى
آلامك ؛ وهذا الخوف يؤلى ألماً لا يمد له ذلك
السرور الذى يبعثه فى نفسى ما يصاحب ذلك

أنتظر أن يكون مآله الى الرضى والسماحة اذا لم
يكن شئ آخر . فان النار التى ترمض جوانهى
وتدوينى خليقة بأن تاقب لا أن تحتقر

حنانك يا آنسى ورحاك ! لا تكلفنى الى
نفسى . تفضلى فصرق قد رى ووجعى أمرى على
الأقل . أهلى مشيتك واقضى قضاءك فلن تجدنى
مهما قسا الحكم واشتط غير طامع ولا صابر . أتفرضين
الصمت الأبدى على ؟ سأجعل نفسى على مكروهه
وأروضاها على لزومه . أتقصينى من حضرتك ؟
سأقدم بالله جهد اليمين لا أريك وجعى بعد اليوم .
أتأمرينى أن أموت ؟ لعل ذلك أيسر الأمور على .
ليس هناك ما يمينى الخضوع له والرضا به إلا شئ
واحد : هو ألا أحبك . على أنى لو استطعت أن
أنفذ مثل هذا الحكم لما أيت

أراود نفسى فى النهار مائة مرة على أن آخر
على قدميك فأعسلهما بمبراقى ، وأطلب منهما عماق
أو حياى ، فهزم الخوف قلبى ، فترجف يداى
وتصطك ركبتي ولا أجرؤ على أن أجثو ؛ ثم
يموت على شفتى الكلام ، ولا أجد فى نفسى
ما يؤمنها من خوفها أن تنفضك

هل تعلمين فيما خلق الله حالاً أهول من حالى
وأظن أن قلبى ليشمر كل الشعور أنه أتم ؛ ولكنه
لا يدرى كيف يقلع عن غيه ويهوى عن آثمه .

ان الجريحة والندم قد اصطلحا على أن يهزاه
هزات لا تنوز فيها ولا شذوذ . وإنى من غير علم
بعصيرى لأضطرب فى حيرة قاتلة بين طمع الرحمة
وخوف العقوبة

ولكن لا ! اننى لا أطمع فى شئ ، وليس من
حق أن أطمع فى شئ . ان اليد التى أرجوها منك
هى أن تعجل بمذابى . أرضينى باتقام عادل ؛ وحسبى

وصيِّقهم منذ اليوم شعائره بين حبك وبين
الفضيلة ؛ ومحال أن يدنس الهيكل الذي تُعبد فيه
جوليا بنار أخرى

البطاقة الأولى منه جوليا

لا ترجع الرأي الذي يجعل ابتعادك ضرورة ؛
إن القلب الورع يستطيع أن يكبح هواه أو يسكت ؛
ولمسه ينقلب غشياً مهيئاً . ولكن أنت ...
أنت تستطيع أن تبقى

الجواب

لقد سكت طويلاً حتى حمى فتورك على الكلام .
إذا استطاع المرء كبح هواه ابتغاء الفضيلة ، فلن
يستطيع مطلقاً أن يتحمل احتقار من يجب .
لا بد من السفر

البطاقة الثانية من جوليا

لا يا سيدي . إن رجلاً كالذي تظاهرت بأن
تكونه فأحس ما أحسست ، وجروء على أن يقول لي
ما قلت ، لا يسافر بعد ذلك . إنه سيعمل أكثر
مما عمل

الجواب

أنا لم أظاهر إلا بهوى معتدل في قلب يائس .
غدأ ستكونين راضية ، ومهما قلت في ذلك فلا أقل
من أن أسافر

البطاقة الثالثة من جوليا

يا للأبله ! إذا كانت حياتي عنزة عليك ! فأخس
أن امتدى على حياتك . أنا الآن مأسورة محصورة
فلا أستطيع أن أكلك ولا أن أكتب اليك
حتى التذ ؛ فانتظر

الزيارات

(يتبع)

الطوف من أمل ، لأنني إما أن أكون قد أخطأت ،
وإما أن تكون سعادتك أغزى على من سادني
على أنني حين ثبت إلى نفسي ، تبين لي أنني
جرت في الحكم على قلبي ، وعلت بعد أن تقى
الأمر أن الذي حسبته هذياناً يزول ، إنما هو كلة
القدر في مصيري وحياتي

إن اشتداد حزنك هو الذي أشعرتني باشتداد
حبي ، لا ، أبداً ؛ إن وميض عينيك وإشراق لونك
وبراعة ذهنك وكل ما كان لهجتك الماضية من
جمال وسحر ، كل أولئك لا يستطيع أن يحدث مثل
ذلك الأثر الذي يحدثه في نفسي ضعفك . لا يخامرني
الشك في ذلك يا جوليا ؛ فانك لو استطعت أن ترى
الضرم الذي أورتته في نفسي أيام الضنى الثمانية
لسالت شؤونك أسمى مما جردته على من الأذى
والآلم . لقد أصبح ذلك الألم عياء لا يرجى برؤه ؛
وإنني لأشعر أن هذه النار التي تصليني وتذوي لي أن
يخبو أوارها إلا في القبر . لا بأس . إن من همز عن
أن يجعل نفسه سبيدة ، لا يمجز عن أن يجملها
على الأقل خليقة بالسعادة . وسأعلم كيف أحملك على
أن تحترى رجلاً تفضل عليه ببجواب . أنا حديث
السن ، وفي مقدوري أن أنال يوماً ما ذلك الخطر
الذي لست كفوفاً له اليوم . وفي خلال ذلك يجب
أن أرد عليك السكنية التي قدتها أنا إلى الأبد .
إن من العدل أن أكابد وحدي عقوبة الجريمة التي
افترقتها أنا وحدي

وداعاً يا جوليا . عودي إلى هدوئك وغبطتك ،
وابسطي ما تفضن من جهتك ، فلن ترى وجهي
بعد اليوم . ولكن ثق إن الحب القوي النقي الذي
يضرهم أنفاسي لا يتخذ وقته ما حيت ؛ وأن القلب
الذي يضره مثل هذا الحب لن يذل ولن يهون ؛

المستربكوك وفراقه

للمقصي الانجليزي شارلز ديكنز



شارلز ديكنز

وحدث المستر (بكوك) نفسه قائلاً: «هكذا شأن تلك النظرات الضيقة، نظرات هؤلاء الفلاسفة الذين يقتصرون مما يمرض لهم من الأشياء على مظاهرها، ولا يبحثون عما يوجد وراء تلك المظاهر من حقائق الحياة. فهأنذا لا أفتع أبداً بالفطر إلى ذلك الشارع دون أن أبذل أي جهد في قصي ما يحيط بمجوانبه من بلدان»
وفرح مستر بكوك من تأملاته الجميلة ليضع نفسه في ملابسه، وليضع ما خله من ملابسه في حقيبته. وإنك قلما تجد عظام الرجال يظهرون كبير اهتمام أثناء ارتدائهم ملابهم وتأهبهم

تصميم:

كانت هذه القصة الفكاهة الممتعة أقوى وأسرع خطي شارلز ديكنز إلى الشهرة والجد، ويسدها كثير من النقاد أحسن نصحه وأشدّها اتصالاً بفنه وعبقريته، ذلك لأن روحه الفكاهة ومقدرته الفائقة على الوصف، ونشاط ذهنه، تبرز كلها بأجل وضوح فيها. وليست هذه قصة بالملح الحقيقي، وإنما هي تصوير بعض الشخصيات من طريق الحكاية والحوار وما يتصل بذلك الشخصيات من معاني الحياة ومشاهدتها. خلق القصص المغمري أولاً شخصية مستر بكوك وجعله رئيساً لقصة تنتمي إلى ناد، عملها التحوال بلع ما عساه أن يصادفهم من معلومات، ومن ثم بدأت سلسلة أسفارهم وحادثاتهم. وهذه القصة من القصص العالمية التي لا تقل روعة عن قصة (دون كيشوت) لسرفانتس (الترجم)

الفصل الأول

رعدة اليوم الأول ومخاطرة البلدة الأولى

وما لاه من أمرها

لم تسكد تشرق الشمس وترسل أشعتها صبيح اليوم الثالث عشر من شهر مايو عام سبع وعشرين وثمانمائة وألف، حتى نهض مستر (بكوك) من أحلامه كأنه نائم، وفتح نافذة غرفته وأطل منها على الوجود من تحته، وكان يقع شارع (جنبول) تحت عينه، وكان يمتد شارع (جنبول) عن يمينه إلى نهاية ما يصل إليه البصر، وكان يمتد أيضاً عن يساره إلى مسافة بعيدة

ووجهه شديد التجهم ، وظلت ملاعه وهو يكتب على ما هي عليه من صرامة ، ولذلك أثبت في دفتره تلك الحقيقة غير منقوصة

وأردف مستر بكويك متسائلاً كي يصل إلى غيرها من الحقائق والمعلومات « وما مقدار الوقت الذي يقتضيه في العمل في كل مرة تأتون به إليه؟ » فأجاب الرجل : « من أسبوعين إلى ثلاثة »

وصاح مستر بكويك في دهش : « أسابيع ! » وسرعان ما برز دفتره ثانية من صدره

واستطرد الرجل في فتور : « أنا ترسله الى منزل في حي بنتنول » في غير فترة العمل ، ولكننا قلنا ترسله الى مكان راحته بسبب ضعفه

وصاح مستر بكويك وقد ذهبت الحيرة بمرأته كل مذهب : « بسبب ضعفه ! »

واستمر الخوذي يقول : « انه دائماً يسقط على الأرض كلما حل من المربة ، ولكننا اذا شددناه الى المربة بحكم رطبه ونقص الجبال والسيور فلا يستطيع بذلك أن يسقط ، ولقد اتخذنا المجلات من حجم كبير ، ولذلك فهي تدفمه اذا ما تحرك ولا ندع له مجالاً للتواني ، واذاً فلا بد له أن يتابع سيره ، اذ لا حيلة له في ذلك »

وأثبت مستر بكويك عبارة الرجل بمخافة في دفتره ، ليقدمها الى النادى شاهداً فذاً على التسوية في دنيا الخليل . وما كاد ينتهي من كتابة ملاحظاته حتى وصلت المربة الى « جولدن كرش » ، فوثب الخوذي الى الأرض ونزل مستر بكويك ، والتف

حول المربة كل من مستر توبمان ومستر سندجراس ومستر ونكل وأخذوا يحبون رئيسهم الألبى وكانوا ينتظرون مقدمه في شوق

وخاطب مستر بكويك الخوذي قائلاً : « هذا أجرك » ومد اليه يده بذلك « الشلن » الذي أعده

للخروج ؟ ومن أجل ذلك سرعان ما فرغ مستر بكويك من حلل ذهنه وأرنداء ملايحه واحتساء قهونه ، وخرج بمد هنيئة وحقيته يده ، ومنظاره (تلسكوب) في جيب معطفه ، ودفتره في جيب صدره ، فكان على تمام الأهبة لأن يتلقى أى حادث يراه مستر بكويك جديراً بأن يدون ، وما هي إلا ساعة حتى كان مستر بكويك في ساحة سان مارتن وصاح مستر بكويك قائلاً : « عربية »

وتقدم اليه رجل عجيباً إياه : « أنا أتيك بما طلبت أيها السيد » ، وكان هذا الرجل غريب الشكل حقاً ، كان صنفاً عجيباً من أصناف الأدميين يرتدى معطفاً من الخيش عليه ميذعة من هذا القماش ويحيط بشفه شريط من النحاس يحمل رقمه ، كما لو كان قطعة من الآثار النادرة رفقت لتوضع في ثبتها . وكان هذا الرجل سقاء الخليل في تلك الساحة فنادى قائلاً : « هيا ... المربة الأولى ... » واتجه الى مستر بكويك مخاطباً إياه : لك ما طلبت أيها السيد . وما كادت تتقدم المربة الأولى من ذلك المكان حيث دخن مستر بكويك غليونه الأول ، حتى قذف بنفسه وحقيته في جوفها ، وأمر الخوذي أن يذهب به الى « جولدن كرش » وأدار الخوذي رأسه الى صاحبه السقاء قائلاً في غير خفي : « ان ذلك لاساوى أكثر من شلن ياتوم » وسأل المستر بكويك الخوذي مساحاً أنفه بتلك القطعة من النقود التي أعدها ليدفعها أجر ركوبه : « كم عمر هذا الحصان يا صاحبي ؟ »

وأجاب الخوذي وهو ينظر الى مستر بكويك نظرة الدهش والحيرة : « عمره اثنتان وأربعون سنة » وأمر مستر بكويك الى دفتره متمماً : « ماذا ؟ » « ماذا تقول ؟ » وأتقص الرجل عدد السنين الذي قاه به أولاً ، ووجه مستر بكويك نظرته الى الرجل

واندفع الحوذى فظلم المستر بكوك لطمه أطارت منظاره عن عينيه ، وواصل الهجوم بلكمة استقرت على أنف مستر بكوك ، وأردفها بأخرى وقعت على صدره ، ثم بثالثة زلت على عين مستر سندجراس ، ورابعة من باب التنويع خالت ببطان مستر توبمان ، وانطلق الرجل يبدو راقصاً نحو الشارع ، ثم عاد مسرعاً إلى الأفرز ، وانتهى بأن أوقع الرعب في قلب مستر ونكل فقطع عليه تنفسه وأفرغ جسمه مما نشقه من هواء ؛ كل ذلك في ست ثوان غسب !

وصاح مستر سندجراس ... « أين رجل الشرطة ؟ »
ورد بائع فطائر قائلاً : « ضعوم تحت المضخة »
ولفت مستر بكوك بقوله : « سوف تجازون أشد الجزاء »

وتصاح الناس بقولهم ... « خبرون ... خبرون »
واستأنف الحوذى تهديده صائحاً : « هيا ... هيا ... » ، ولم ينقطع لحظة منذ أن بدأ المركة من توعده وتوثيه

ولقد كان موقف الناس من تلك المشاجرة حتى ذلك الوقت موقفاً سلبياً ، فلم يكونوا سوى متفرجين ، ولكن ما كاد يذيع فيهم أن مستر بكوك ورفاقه خبرون ، حتى أخذوا يجيذون في حماس ونشاط تنفيذ ذلك الاقتراح الذي تزايدت حرارته حتى النهب ، ألا وهو اقتراح بائع الفطائر الساخنة ، وأراني في غيبة عن أن أين ما كان يرتكبه هؤلاء القوم من تمد على أشخاص تلك الجماعة ، لولا أن أوقف الشجار تدخل شخص جديد ، راح يتساءل : « ما هذا ؟ ماذا يطربكم ؟ »

وكان القادم شاباً طويل القامة نحيف الجسم

ولشد ما تعجب هذا الرجل الثقف العالم ، إذ رأى مثل ذلك الشخص الذى لا خساب له يلقى بقطعة النقود على أفرز الشارع ، ويطلب اليه ، الى مستر بكوك ! أن « يسمح له بشرف منازلته »
وبادره مستر سندجراس بقوله : « إنك يا هذا لجنون »

وأردف مستر ونكل قائلاً : « أو سكران »
وأبداهما مستر توبمان بقوله : « أو الأمرين مما »
وراح الرجل يصيح : « هيا ... هيا ... أنا لنكم جميعاً ... سترون ... هيا »

ورأى ذلك جماعة من الحوذية فصاح أحدهم : « هذا منظر ممتع » وتجمعوا حول الحوذى وخصوصاً وتقدم أحد الناس فسأل « فيم هذه الضجة ؟ »
وأجاب الحوذى ضحية ! مشاجرة ... ما حاجته الى رقي ؟

وأجاب مستر بكوك وقد أخذته الحيرة : « لم أرك قط في حاجة الى رلك ! »
وتساءل الحوذى : « إذن لماذا أخذته ؟ »
وأجاب مستر بكوك مغضباً : « لم آخذه ... لم يحصل »

واستأنف الحوذى كلامه ، متجهياً الى الجمهور موجهاً اليه الخطاب « هل يصدق أحد ؟ هل يصدق أحد ؟ ... خبر ركب مئى عربتي فلا يقتصر على أخذ زقني لغسب ، بل ثبت كل لفظ فمت به ! اذ ذاك لاح بصيص من النور لمستر بكوك ... أنه دقته الذى ... »

وسأل أحد الحوذية : « هل فعل ذلك ؟ »
وأجاب الحوذى قائلاً : « نعم فعل ذلك ، وبمد أن يستثيرني لهاجته يأتي هنا ثلاثة من رجاله يستشهدون على ! ولكني سأهاجمهم مهما يكن من الأمر ... ولو كان من وراثتها ستة أشهر . هيا »

وكان وجهه مبروقاً هزلياً ، ولكن حالاً غريبة لا توصف من الرضاء وعدم المبالاة وضبط النفس كانت تغلب على صفات ذلك الرجل

ذلك هو الشخص الذى راح يحملنى فيه مستر بكوك خلال منظاره وكان قد استماده لحسن حظه ، ولأن فرغ رفاقه من محباتهم ، أخذ هو بدوره يقدم اليه أحر شكره على ما كان من مساعدته ؛ ورد ذلك الشخص في عبارات منقطعة : « ذلك من هذا — كنى — لا ترد ... إنه ولد شقى ذلك الخوذى ... كان يحسن توجيه لكاته ... ولكنى لو كنت ... وقطع عليه عباراته سائقى العربى المسافرة إلى « ورشستر » إذ أعلن اليهم أن عربته على أهبة الرحيل ، ونهض ذلك الشخص واقفاً واستأذن الجماعة قائلاً : « تلك عربتى ... احتجرت فيها مكاناً أترك لكم دفع عن الشراب والماء ... أراى فى حاجة الى صرف .. فضة ردیة ... » ثم حيم بهز رأسه بحجة من يعرفهم حق المعرفة . واتفق أن كان مستر بكوك ورفاقه قد اعترضوا أن يرحلوا « ورشستر » محط رحالهم الأولى فى سفرهم هذا ، فأخبروا الرجل بذلك ، ثم وافقوا على أن يتخذوا مقاعدهم فى مؤخر العربى حيث يستطيعون أن يجلسوا معاً جميعاً

وساروا الى العربى وأخذ الرجل بيد مستر بكوك فى غير مبالاة قائلاً : « هيا ... هيا ... اصعد » وقد أراد بذلك أن يقلل من أهمية هذا الرئيس ، وينال من وقاره ويحشمه بطريقة ملهوسة . وسأل السائق الرجل : « هل من متاع أبهى السيد ؟ »

— من ؟ أنا ؟ ليس سوى هذه الحزمة المنقوفة فى الورق البنى ، فقد أرست بطريق الساء متاعى الثقليل — ستادىنى كبيرة ثقيلة ... كالنازل فى حجمها ... ثقيلة ، ثقيلة جداً !

يرتدى حلة خضراء ، ظهر فجأة فى تلك الساحة ورد عليه الجمع قائلى : « هؤلاء خبرون » وأرعد مستر بكوك قائلاً : « لسنأ كما يدعون » ، وكان لقوله هذا نفمة مؤثرة حتى لتتخذ سبيلها إلى أى قلب لا يلين لمأطفة

أما هذا القادم فقد شق بمرقبيه طريقاً له فى هذا الجمع ، وراح يتساءل موجهاً قوله إلى مستر بكوك : « لسنم كما يقولون إذا ؟ » « لسنم كما يقولون ؟ » وأوضح له ذلك الرجل اللثقف حقيقة الأمر ، فتقدم وجذب مستر بكوك فى شبه قهر ليخرجه من زحمة الناس ، وانهر الخوذى وصرفه عنه ، وسار إلى خان هناك يتبعه مستر بكوك ورفاقه ، وجلسوا يشربون ويطعمون

وبينا كان رفاق مستر بكوك يقدمون لذلك الشخص شكرانهم ، أخذ ويسهم بلى نظرات فاحصة على هندام الرجل ومظهره

كان طوله وسطاً ولكن نحول جسمه وطول ساقيه جعلاه يبدو أطول مما كان ؛ وكانت حلتاه الخضراء ملبساً أنيقاً شامخاً فى أيام سالفه ، بيد أنها كانت كما يظهر فى جلاء ترين رجلاً أقصر قامته منه ، فإن ردها الخائلى اللون اللطيفين لا يكادان يصلان إلى رصفيه ، وقد أحكمت الأزرار سدها حتى الدفق مما جعلها توشك أن تنقد من خاف ؛ ولم تك تتيبن العين حول عنقه قميصاً ، إذ لم يك ثمة شئ سوى قطعة رنة من القماش نحلى جيده ، وكانت تتناثر هنا وهناك فى مرواله الأسود الضيق رقع وافحة : نهض دلياً على قدم عهده . ولقد ربط هذا السروال وربطاً محكاً فى نهاية ساقيه فوق حذائه البالى الخفيفى جورباً أبيض قدراً ، تراءى للأعين على الرغم من ذلك ، وكان شمره الأسود ينساب فى خصل تكلى على جانبيه قيمته القديمة المتفضنة ،

وتسادل مستر سند جراسى : — أثبتدت ذلك النظر الفخم أيها السيد ؟

— « نعم ... رأيته رأى الدين ... أطلقت

رصاصة ... ثم أطلقت فكرة ... اندفعت الى

حانة خمر ... أثبتتها ... عدت ثانية ... أزيز ...

عزيف ... فكرة أخرى ... حانة الخمر ثانية ...

قلم وجر ... عدت ثانية ... طعن ... ضرب ...

ساعة مشهورة بإسدى ... ثم اتجه الرجل بفتة الى

مستر دنكل سائلًا إياه : « أنت رجل سيد وطرود

أيها السيد ؟ »

— « بعض هذا أيها السيد »

— « أن هذا الطرد أمر جليل ... هل لديك

كلاب أيها السيد ؟ »

— « لا ... ليس لدى منها شيء بعد »

— « آه ... ينبغي أن يكون لديك عدد من كلاب

الصيد ... حيوانات ظريفة ... غلوقات عاقلة ...

ذات يوم كلبى ... اسمه بوتو ... غريزة مدهشة .

خرجت للصيد يوماً ... خطوت لأجتاز سياجاً .

أطلقت من فمى صغيراً ... الكلب لا يتحرك ...

صغير ثانية ... بوتو لا يقدم ... واقف لا يتحرك

هتفت به بوتو ؟ بوتو ... لا يريد أن يتحرك .

واقف فى مكانه ينظر إلى لوحة رفعت بصرى

فرايت عبارة غلوطة « لدى حراس الصيد أوارى

أن بطلتوا النار على أى كلب يجتاز السياج » ،

لم يشأ أن يجتاز ... كلب مدهش كلب ثمين

حقاً كلبى هذا ... ، وتكلم مستر بكوك قائلاً :

« هذا شاهد عجيب ، هل تأذن لى أن أسجل هنا

مذكرة عنه ؟ »

— « أسمع ولا ريب ... لا ريب أيها السيد ..

مائة قصة عن هذا الحيوان إذا شئت »

(عائش)

(يتبع)

وكان الرجل بدس تلك الحزمة فى جيبه وهو يجيئ السائق ، وأكبر الفطن أنها كانت تحتوى على فيص ومندبل

واستأنف الرجل عباراته حين اقتربت العربى

من قوس أقيم على الطريق كان فى تلك الأيام بمثابة

مدخل لساحة المربات قائلاً : — « الرؤوس ،

الرؤوس ، خذوا حذرکم هذا مكان خفيف ، عمل

خطر ... ذات يوم ... خمسة أطفال ... أم ...

سيدة طويلة القامة تأكل قطعة من الخبز ... نسيت

القوس ... احتكاك صدمة ... ينظر الأطفال وراءهم ...

رأس الأم قد طارت ... قطعة الخبز فى يدها ...

لم يعد هناك فم يلتصقها ... رأس أسرة طارت ...

مؤلم مؤلم ... أترأى تنظر الى « هويت هول » أيها

السيد ؟ إيه أيها السيد ؟ أترأى تنظر إليه ؟ إيه

أترأى ... ؟

وأجاب مستر بكوك : « كلا إنما أفكر فى ذلك

التقلب الذى يلزم أحوال الناس »

— « آه ... أفهم ما تريد ، أنت فياسوف

أيها السيد ؟ »

— « أنا رجل أدرس وألاحظ الطبيعة

البشرية عن كثب بإسدى »

— « وأنا مثلك ، وإنك ترى معظم الناس

كذلك ، حين لا يكون لديهم عمل ، وحيث

لا ينتظرون كبير مقيم . أنت شاعر أيها السيد ؟ »

— « لا وإنما تجد صديقى مستر سند جراسى

قد امتاز بحاسة شاعرة »

— « وأنا مثله ... ملحمة طويلة ... عشرة

آلاف سطر ... ثورة يوليو ... نظمت فى

المكان نفسه ... مارس إليه الحرب نهارة ... أو لو

إليه الفناء ليلاً ... أعزف أنشودة الميدان وأغنى

على القيثارة »

الصِّدِّيقُ

قِصَّةٌ وَاقِعِيَّةٌ نَالَتْ الْجَائِزَةَ فِي مُسَابَقَةِ الْقِصَصِ
الْوَأَقِعِيَّةِ فِي عَجَلَةٍ (سُرُوسِيَّوْرِي) الْإِنْجِلِيزِيَّةِ

بِقَلَمِ أَحْمَدُ فَتْحِي مُرْسِيٍّ

وقد قدمتنى إلى صديق
لها يدرس في كلية الهندسة ،
يدعى جون بارت ، وقد
صادف هوى في نفسى
فتملقتة ، إلا أن هذه الصلة
لم تدم طويلا ، فقد قدمنى
بدوره إلى صديق آخر كان
له أبعاد الأثر في حياتى ، إذ
قلب نظامها رأسا على عقب ،

فطالما كان يحدثنى جون عن صديق له اسمه هارى لى ،
كثيرا ما كان يصفه بالذكاء وينمته بالجد فيقول :
— أنفذ قريحته عرقها ياروز ... حتى ليخيل

إلى أنها تكبره بستين عدة

وأصدقك القول أنى لم أحاول التعرف إلى ذلك
الصديق الجديد ، فقد كان في جون كل ما أمله من
حياتى ، وكل ما أتمناه من عيشى ... وأخيرا شاء
التقدير أن يجمعنى بهارى ... وكان ذلك في الربيع
الباكر ، وكنت قد صحبت رث ليرى إلى قاعة
المحاضرات ، وكانت قد غصت بالدعوى ، فلم يبق
لنا مكان ما . ونجاة أخذت عينى جون بارت ،
وهو ينحنى لنا نصف انحناء ويدعونا للجولوس في
القدمين اللذين أخلاهما هو وزميله قائلان :

— سأستند إلى الحائط مع هارى قليلا

ومضت برهة قبل أن أجول بعينى لأرى
هارى ، ولكن وقع نظرى عليه أخيرا ، وكانت
نظراته كلها مصوبة إلى ؟ وقد سرت في جسدى
عدة خفيفة ، عندما سرحت الطرف في وجهه
قليلا فاذا به صينى الخلقه ...

وكان هارى أقصر قامه من جون ، ولكنه

كان والداى يمارضان أشد المارضة في إتمام
دراستى وإكمال ثقافتى في الجامعة ، فسمد ما أعربت
لها من رغبتي في الالتحاق بتلك الكلية القريبة
من المنزل ، وقفا أسمى حجر عثرة في سبيل تحقيق
هذه الأمنية !

ولقد كانت منظر الفتيان والفتيات وهم في
طريقهم إلى الجامعة يبعث في نفسى الحسد ،
ويؤجج بين جوانحي نيران الغيرة . وطالما قالت
لى والذى وأنا جالسة إلى النافذة :

— إنى لا أحتمل أن أراك تذهبين إلى مثل
هذا المكان ياروز ، فكم هو حافل بالفرءاء ، وكم
هو غاص بمن لا أخلاق لهم !

وكان والذى لا يقل عن والدى إصرارا ، على
الرغم من أنه كان يحرص على ألا يفضب وحيدته ،
ولكن الالتحاق كان من طباعى ، فلم أزل بهما حتى
جهنهما يزلان على رغبتي ، وينصاعان لأرادتى
التحققت بالجامعة ، وسرعات ما توثقت
عزى الصداقة بينى وبين زميلة مرححة ، من الأراضى
الوسطى تدعى رث ليرى ، وكانت تدرس بكلية
العلوم بالجامعة

لا يخلو من سمات الجمال . فما كان أجل وجهه الهادئ وأروع ابتسامته الساحرة !

وتوقفت الصلة وكثر التلاقى ؛ على أن ذلك لم يكن يشغله قط عن استيعاب دروسه ، ومراجعة بحوثه ، فكثيرا ما كان يتحدثني عن آماله الواسعة وآراؤه البعيدة ... كان يأمل أن يكون استاذًا في جامعة بكين في القريب العاجل

وكثر خروجنا إلى الرياض الناضرة ، وارتدادنا المروج الزاهرة ، بين حديثه المذب وسمره الممتع ... ولقد حدثني مرة عن شجرة تفاح كثيرا ما يأخذ مجلسه تحت أفيائها المديدة ، وفي ظلها الظليلة ، فسرنا إليها والقمر يرسل أشعته النضية إلى المهل فتففض أرجاءه وتشيب نواصيه ... وإن أنس لأنس تلك الجلسة الهادئة تحت أفنان شجرة التفاح وبين أغصانها التهذلة ... جالس كل منا يتأمل الآخر في ضوء القمر المرسل ، وأخيرا افترقنا عن ابتسامه هادئة ثم قال :

— إنك مثل زهرة التفاح ياروز ، جمالا وروعة وسجرا

ومضت الأيام تتبع الأيام ، والشهور تقفو أثر الشهور ، وكل منا لا يزيد إلا تملقا بالآخر ، وتشوقا للقاء ، إلى أن كانت ليلة مقمرة من ليالي الصيف ، خرجنا فيها مما تنمشي في ذلك الطريق الضيق خلف بناء الجامعة ، وإذا بهاري يضع يديه على كتفي فجأة قائلاً :

— روز إن حياتنا الآن تبدو كما لو كنا في زورق ، وسط بحر رهو تهدهدنا أمواجه في لين ، وبين زبح رخاء تدفئنا خفقاتها في رفق ؛ أفترى يسير بنا الزورق إلى النهاية أم ينقلب الحال ،

كان مفتول المضل ، قوى الساعدين ، وكان مستنداً إلى الحائط ، وهو ينظر إلى كأنما يريد أن يلهمني بنظراته ، فمراني الخجل وأدبرت وجهي إلى الجهة الأخرى ، ولكني وجدت في نفسي شعورا غريباً يدعوني إلى التعديق في وجهه ثانية ، وكان كما يلتقي النظران أحس بشعور من الرهبة يسيطر على نفسي ويملك على مشاعري

وعندما انفرط عقد الحفل ، كنت أود أن أهرب من ذلك الاحساس التسلط على قلبي ، ولكن جون ورفيقه كانا في انتظارنا فلم أتمكن من الإفلات . وكانت رث قد عرفت هاري من قبل فلم يبد عليها أي اهتمام ، أما أنا فقد صحتته إلى المنزل وقد حدثني هاري في الطريق عن المحاضرة ، وكان طريف القول ، جذاب الحديث ، دامغ الحاجة ، يجمع إلى ذلك بساطة في التعبير ، وهدوء في النفس ؛ وهنا فقط أدركت صحة قول جون بارت « أن قريحته تكبره بسنين عدة »

ولما بلغنا المنزل دعاني إلى زهرة خلوية بين الرياض ظهر اليوم التالي ترويحاً للنفس من عناء الأعمال ، واستجماء للفكر من التعب والللال ، فقبلت دعوتي وانصرفت شاكرة . وعندما قابلني هاري ظهر اليوم التالي حل إلى باقة من الزهر ، يفوح منها شذا العطر ، ويبدو عليها جمال التنسيق ؛ ثم قدسها إلى قائلاً :

— إنك زهرة ناضرة كهذه الزهور ياروز ومنذ تلك الزهرة أصبحت أرى شخصية هاري تتسلط على نفسي كل التسلط ؛ وكنت أعزو ذلك في أول الأمر إلى اختلاف جنسنا ، وبين مشربنا ، وتباعد وطنينا ، على الرغم من أنه كان

أطار صوابها ، فانتقل بها والدى إلى مقاطعة
ديفونشير وطننا الأول لتتناسى الحادث ، وتنفى
عن ذكرياته المؤلمة

وقد ولد لنا طفلنا الأول في شهر ابريل ، وكان
السقام قد بلغ في مبلغنا كنت أخال معه أنى أثار رجح
بين الحياة والوئ ؛ وكانت تمنى بأمرى مع هارى
بمرضة تسهر على ، وترعى مضجعى

وفي اليوم الرابع بدأت أستروح نباتات الحياة
وأردت أنفاس المافية ، فزال عنى السقام وثأب إلى
الرشد ، فرحت
أجول يصرى في
أرجاء الغرفة .
فإذا كل شئ على
حاله وإذا بهارى
واقف بجانب
السري ينظر إلى فى
عطف ... وسمعت
صوت الطيب
يقول :

— لقد زال

عنها كل شئ الآن .

فبان السرور فى هارى وصاح :

— لملك تشعرون الآن يبعث التحسن بإروز .
أترغبين فى رؤية طفلنا الرز ؟ إنه فى خير صحة وأتم
عافية ... ثم ذهب وعاد بعد برهة يحمل الصغير فى
لفافته ، ووضع به بين ذراعى لحظة ، ثم رفعه قليلاً
لأتبين وجهه فجهد الدم فى عروق ... ليس هذا
طفلى قط ... ما هذه الحلقة الغريبة ... وما هاتان
العينان الضيقتان ... وما هذا الأنف الأفتى ...

فيضطرب البحر الهادى وتثور الريح الساكنة ،
فتنتهى الرحلة النهائية ؛ وتنقطع السفرة السميدة ،
وأدركت فى الحال ما يرى إليه فقلت :

— ستسير إلى النهاية يا هارى ... إننى لأعبأ
باللجة وإن أزدبت ، ولا أحفل بالريح وإن عصفت ،
ولا أخشى شيئاً ما دمت فى جوارك

— روزا ! إننى أحبك ... وسأحبك دائماً وإن
فرقت بيننا يد الدهر ، وفصمت عرمانا مشيئة
القدر ... إن هذا يمزج على نفسى ولكنى يجب أن

أذهب . إن الحوائث

دون الزواج عديدة
يا روز ، ولكنى حبي
لك لن يفتى ماتماق
الجديدهان ...

ولكن ذهابه
كان فيه تحطيم قلبى ،
وعدم الزواج كان
فيه تحطيم أمالى ،
فأبيت عليه ذلك ،
وأخيراً قر عزمنا
على الزواج مهما
كلفتنا المجازفة

ولم يمض شهر على ذلك حتى كنا زوجين هائنين
يضمنا منزل صغير على مقربة من الجامعة ، أفردنا
فيه أنفسنا عن العالم ، وأخذنا إلى عيشة الأمن
والسكينة

وربما كان زواجى صاعقة انقضت على والدى ،
فغارت بمقلبيها ، خاصة وقد علما أنه شرق المولد ،
سبى الأصل . وقد بلغت الصدمة من والدتى مبلغاً



— أريد أمي ... أريد أمي ... فاسمع جواب هاري كأنه صادر من غور بعيد :

— سمعاً يا عزيزتي ، سأرسل في طلبها اليوم . وبعد أيام حضر والداه من (ديفونشير) ، ومضت أسابيع قبل أن أجد في نفسي القدرة على السفر ... وأخيراً تأتت إليّ بعض عافيتي فأخذنا أهبتنا ، وأعدنا عدتنا ، وجعلنا النبال وجهتنا ونزلت بأرض الميلاد ، مجرى الصبا وملعبه ، فجددت أيام الطفولة الراحلة ، وليلاتي الشباب السعيدة ، وحرصت على ألا تعود إليّ الذكريات إلى الخلف ، أو يأخذني الحنين إلى السالف

ومضى على ذلك عامان ، وأما سفينة هائلة الميش ، إلى أن كان يوم وقعت في يدى بحلة الجامعة ، ولا أعلم من أرسلها إليّ ، ولكنني أرتجى أن تكون صدّيقتي « رث ليري » ... فجلست أتصفّحها إلى أن وقع نظري فجأة على هذه الجملة التي غيضت الدم من وجهي :

« تأسف الجامعة كل الأسف لوفاة الأستاذ هاري لي ، الأستاذ بجامعة بكنين بالصين ، وخيريج الجامعة بعد حياة قصيرة قضاها في خدمة العلم » فملت وجهي غمامة من الحزن ، وتساءلت الدموع على خدي ... وأصدقت القول أن موت هاري لي لم يكن شيئاً بجانب شيء آخر ... ذلك هو الطفل ... ماذا جد من أمره ؟ ... وما مصيره اليوم ؟ الموت دون شك

وأقبل الربيع ، فصحبت والدتي في رحلة إلى جزائر اللادبرا ، وهناك التقيت بـ « جيمالد » كبلانو ، وهو شاب إنجليزي يكبرني بمضغ سنوات ، ويشغل

وما هذا الشعر الملتوي ؟ كلا كلا ... إن في الأمر خطأ ما ... ليس هذا الدمع طفلي ... ثم صحت في رعب : — خذه عني بعيداً أيها الرجل ! هذا فظيع . ليس هذا ولدتي ... خذه عني بعيداً ! فبان الألم في وجه هاري ورفغ الطفل عني في رفق

إنني لم أعلم يوماً أن يكون طفلنا كهذا الطفل المدمع ... ونقل عليّ الداء من أثر الصدمة ، وعزّنتي درجة سريعة من أعلى رأسي إلى أخمص قدمي ، فأسرعت إلى الممرضة ، وأخذت تسري عني وتخفف من لوعتي ... أما هاري فكان جامداً كالتمثال ، وبين يديه الطفل ، وكان وجهه شاحباً ، وعيناه غائرتين حزنتين ... في لحظة واحدة تغير الحال وتبدل الأمر ، وأصبح ذلك الرجل وولده بشيئين إليّ كل البغض ، حتى إنني لم أطق النظر إليهما ، فصحت :

— اذهب عني بعيداً أيها الرجل ... إنني أمقتك من كل قلبي ... اذهب عني بعيداً إنني لا أطيق أن أراك حيالاً ، لا أنت — ولا طفلك المدمع ...

وأخذتني ثورة من الغضب ، فأسرعت الممرضة إليه قائلة :

— الأفضل أن تذهب الآن يا مستر لي ، إنها لا تفي ما تقول الآن

ولكنني كنت أمي ما أقوله تماماً ، ولقد رأيت هاري ينكس على عقبيه تجاه الباب ، ثم أخذني الاغشاء وعودتي النشوية ... ومضى على ذلك أيام وأنا لا أكاد أمي ما يدور حولي ، وما يجري بجانبني . وكل ما أذكر الآن أنني كنت أردد دائماً :

وبلغنا شنفهائى فقابلنا « ولارد كاين » وهو صديق قديم لجيرالد ، وكانت معه زوجته وأخوها السيد جورج بايل ، فدعونا للاقامة معهم فى منزلهم الريفى فى الضواحي ريثا ينتجز جيرالد أعماله ويدود إلينا فى نهاية الأسبوع . فلبينا الدعوة وكان المنزل صغيراً جليلاً ، تحيط به الحدائق من كل صوب ، وتلتف به مروج السهول ، ويجرى من تحته نهر رائق الماء عذب المورود

وعلى الرغم من كل ذلك فاقى كنت أوثر سككى المدينة ؟ فيها تأنس نفسى ، ويسكن قلبى ، وابتعد عن تلك المشاهد المؤثرة ... فلطالما كنت أرقب الصينيين ساعدين إلى ذروة التل ، أوها باعين إلى قرارة السهل ، وقد أنصاهم الجوع ولفوا بملابسهم من الطوى . وكان يقول لى خاندنا يوتج : — إنهم جياح بإسيدتى ... يبحثون عما

وخرجنا ذات يوم لزيارة ذلك البعد العتيق القائم على ضفة النهر فقال يوتج : ... إنه خاص بالكهوف والخافي ... التى سيالجا إليها هؤلاء الجياح عندما يقومون بثورتهم ليتهرزوا بها من أعدائهم

وقد قابلنا أحد هؤلاء الجياح عند ضفة النهر فسالنا عما إذا كنا إنجليزاً ، وأخذت آث تضحك منه وتحدثت معه برهة ثم سألته عن اسمه فقال : واه بو

وفى صباح اليوم التالى بينا كنت فى حديقة المنزل ، وقع نظرى فجأة على واه بو وزميل له يحدقان فى وجهى بفضول عييب فلما رأتى واه بو

فى تجارة الآلات ، فراه جمالى ، وعلقته حبائى ، ورأيت منه ما رأى منى ، فأنست إليه ، وألفت صحبته ... ولم يمض على ذلك ثلاثة أسابيع حتى كنا زوجين . وكان والدى قد أسر إليه بزواجى السابق وأخبره أن الرجل قد مات ، ولكنه لم ينس أمامه بينت شفة عن أصله ولا عن موطنه

ومضى علينا زمن رقت فيه علينا ظلال الأمن ودررفت فوقنا أجنحة السعادة ، إلى أن رزقنا الله طفلة أسميناها آن روز ، تجمع إلى رائع قسماها ، وجميل ملاحها ، صبية شمعى ، وصفاء عيني أبيها

وكان اتساع أعمال جيرالد يتطلب منه طول التجوال ، ودوام الترحال ، ولم أتمكن من استصحابه فى أسفاره ، حالما كانت آن صغيرة ؟ فلما شبت وترععت ، كنت أتركها تحت عين المربية ، حتى نمود من سفراننا

ولما بلغت آن السابعة من عمرها ، أدركت والدى الغيبة ، ولم تلبث والدى أن لحقت به بعد بضع سنوات

ومضت الأيام إثر الأيام ، والسنين تلو السنين إلى أن كان يوم من أيام الصيف ، أخبرنى فيه جيرالد أن أعماله تضطره إلى السفر إلى شنفهائى لأتجاز بمض مهام الشركة فى الصين ، وزاد على ذلك أن مدير الشركة رجاً منه أن تزامن كريمة مارى وحيدتنا آن فى رحلتها

وبعد أيام كنا فى طريقنا . وكانت مارى تكبر آن بمدة سنين ، ولكنهما تألفا تألف الأخوات وتعلقت كل منهما صاحبتها

ابتسم وأشار إلى زميله قائلاً :

— صديق لي هائج يا سيدتي

وكانت عينا لي هنج الضيقتان مصوبتين إلى
كأنيهما قطعتان سوداوان من الزجاج ... وهنجا
أحسست بالوحشة ... وبدأت تتمثل أمامي غاوى
الصين ، وهممت بالنكوص على عقبي إلى المنزل ، فقد
كانت عينا لي هنج كأرتين استقرنا في فؤادى .
سرعان ما محول هو وصديقه مضيا لسيبلهما فعدت
إلى المنزل أجرة سائق جراً

وقد رأيت مرة أخرى مع جورج بايلي فقال
لي بأحسا :

— يقال إن لي هائج هذا نصف إنجليزى

— نصف إنجليزى ؟

— أجل ... فقد كان والده أستاذاً في جامعة
بكين ... ومات وهو طفل ... فنشأ بائساً طريداً ...
وأحسست في هذه اللحظة أن الأرض تدور من
حولى ، وأن رأسى يثقل على رويداً رويداً ؛
فاستأذنت وقصدت غرفتي فلم أتم تلك الليلة ، ولم
يطرق الكرى جفتى ، فتنازعتني الهوموم ، وتنازلتني
الوساوس ... ما أشقانى ... لقد جنيت عليه ...
يا لآسئى أهذا جزاء ما قدمت يداي ... أرى
سقتنى إلى هنا ليقتنى مبرح الألم ولأنال
صارم الجزاء ؟

وخرجت إلى ضفة النهر ، حين تنفس الصبح
أنشد النسيان على ضفافه النصيرة . ولشد ما كانت
دهشتي عندما وجدت نفسى أمام لي هائج وجهها
لوجه ... ولقد أزعجني منظره ، وأخافني عيناه
فهتفت في صوت مخنوق :

— إذْهَب ... إذْهَب غنى ببيدا ... فقال

في هدوء :

— إننى لست كلباً يا سيدتي فأطرد كما تطرد.

الكلاب ...

فقلت وأنا أغالب الدمع :

— إذن ، إذن ما الذى تريد منى ؟ ...

فقال في سكوت :

— لا شيء يا سيدتي ... إلا أن أخبرك أننى

أحتقر كل الإنجليز ، ولوددت والله لو كانت رقابهم
طوع عيني ... إذن لما أقبعت عليهم

ثم استدار على عقبيه دون أن ينبس ببنت
شفة ، ومضى لسيبله على ضفة النهر وأنا جامدة في
مكانى أتابعه بنظري وهو يتقدم عني رويداً .. رويداً
وإذا بنظري يقع فجأة على ستة رجال عثولون
أمامه في هيئة وجلال لم أثبت معرفة أحداً منهم
سوى راه بو . وقد رأيت (لي) يتحدث معهم
لحظة ثم يوصى لهم بطرف البنات إلى آن ومارى
وكانتا تتضاحكاه على ضفة النهر ، وقد جاس بوش
على كسب منهما ، وأسرع الرجال تلبية لأوامر
زعيمهم فأحاطوا بالفتاتين ... وانتبه بوش فأمرع
إليهما فطمعه أحد الرجال ... وسمعت في هذه
اللحظة صوت لي هائج قائلاً :

— هيا ... هيا اسرعوا بهما

وألجم الخوف لسانى ، وأسقط في يدي ،
وحاولت الصباح ، فلم أسمع صيحتي ، وأخيراً
أسرعت إلى هنج متوسلة :

— لي هائج ... لا تفعل ذلك ... رفقاً بي ...

لا تفعل ذلك يا هائج . فتوقف عن السير لحظة ثم
نظر إلى وكانت عيناه كميون الوقي شاحصة
لا تتحرك ، جامدة لا تطرف ... ثم قال :

— غداً سيمود زوجك من شتتهائى ...

خذنى منه القدية ... وسأرسل لك رايه غداً

الأخت البارة ، فأخذت تسرى عى ، وتطمأننى على الفتاتين ، ثم قالت إن أخاها خرج للبحث عنهما وفى ظهر اليوم التالى وصل جيرالد والسيد كلين ... وكان يوضح قد طلع عليهما بحيلة الخبير ، فتطير جيرالد وجزع كلين ، ورفضوا الانتظار ربنا يصل رسول هانج ، نخرجنا جميعاً ووجهتنا .

ذلك المبد الذى اتخذ هذه هؤلاء الأشرار حصناً يتحصنون به ، وملجأً بشعرون فيه من غارة الفير وهجوم المادى ... وبلغنا المبد . وما إن توغلنا فى مماشيه المظلمة وفى مسالكه الداجية ، حتى أحاط بنا جأسة ستة رجال ، ولكنى دفعتهم فى شدة وشقة طريقي الى لي هانج سائلة :

أين هما يا هانج ... أين الفتاتان ؟

وفى تلك اللحظة برز (وادو) بين مسخور المبد وهو يحجز بذراعيه الفتاتين فأسرع إليه أحد الرجال ليعينه على إعادتهما إلى غبائهما ، فتعكك جيرالد الغضب وطار له ، وفقد صوابه ، فقبض على مسدسه وصوبه إلى ذلك الرجل ، ثم أطلق عليه النار ، فأرداه قتيلًا يتسرج بدمائه

ووصلت السيدة كلين على صوت صراخ الفتيات وعويلهن ... فأسرفت إليهما ، ولكن الرجال وقفوا فى سبيلها فصاحت فيهم :
— سيكون الموت جزاءكم على هذا أيها المجرمون
وكانت آن تنادىنى وهى تصرخ بأكية بين حين



وأخر ... فطار صوابى وألقيت بنفسى على هانج فدفعنى بيده قائلاً :
— تنحى عني أيتها المرأة ... جهزى المال غداً فتصاد إليك الفتاتان — هانج ... !
أصغ إلى ... لحظة واحدة يا هانج ... فدفعنى ثانية ؛ ولكنى تشببت به قائلة :

— هانج ! لا يمكن أن تفعل

ذلك ... إلى أمك يا هانج ... إنها أختك هذه التى بين يدي الرجال ... هانج ...
وأخذنى الذهول ... ودارت بى الأرض الفضاء . ثم سقطت مفتشياً على

عند ما أفتت من الانغاء كنت راكدة على السرير وبجانبى السيدة كلين التى كانت لى نم

تحت أقدامه بعد أن لقي حتفه في سبيل انقاذ حياته
على الرغم من أنه أساء إليه

ونسيت هذه اللحظة كل شيء في العالم إلا
هاتين الميتين الواحيتين اللتين تنظران إلى في حزن ،
والا ذلك الوجه الشاحب الذي أذبله الموت وملأه
الأمى ، فركت بجانبه ورفعت رأسه على ذراعى
فابتسم هامساً في كلات متقطعة :

— عفواً يا سيدتى ... لقد ... كان عملاً
جنونياً ... إننى ... لم أسوء ... إليهما ... ولكن
حقاً ما كانت أفسانى أن أفارق بين الأم وفلذة
كبدها ... عفواً يا سيدتى إننى لست ... جديراً ...
أن تحسبنى ... بيدك ... السكرمة ...

وشمرت في هذه اللحظة أن قلبى يكاد يقامه
الأمى ، وبقره الحزن ، فرفمت رأسى إلى جيرالد ، فجنا
بجانبى ، وكان شاحب الوجه غائر العينين ، فقلت له :
— جيرالد ... لقد أتقذ هذا الفتى حياتك ...
أفلا تشيعه بكلمة شكر تخفف عن نفسه ألم الجرح
ووطأة الموت ...

ثم اندفعت أقول في حزن :

— جيرالد ... لن أكتملك شيئاً ... إنه ابنى
يا جيرالد ... ابن (هارى لى) ، فارتفع حاجبا جيرالد
من الدهشة ، واتسمت حدقتاه ...

حقاً لقد كان من القسوة أن أجابه بهذه الحقيقة
المؤلة في ذلك الظرف المصيب ... وقال في تردد :
— أكان ... أكان هارى لى صينياً ؟

— أجل ... وكان رجلاً كريماً

وفى تلك اللحظة رأيت شقيق هانج الدابنتين
تهمسان في ألم :

— كم أنت .. كريمة .. يا سيدتى .. إن والدى

ثم يحى وطيس المعركة بين جيرالد وكاين وبين
الصينيين ، وظل القتال سجلاً إلى أن تغلب العدد
على القوة ، فاستسلم جيرالد ، ولطف من كبريائه ،
وخفف من غلوائه ، ووقف منبطحاً محنقاً ... وهو
ينظر إليهم شزراً ... والتفت عيناى بعينى هانج
وكانتا تسمان بريق الحزن والمطف ثم قلت :

— أنوسل اليك يا هانج لا تسمها بسوء
وهنا لم يطق جيرالد أن يراى أنوسل الى ذلك
الرجل فقال :

— أنتوساين الى ذلك المجرم ياروز ؟ ثم اندفع
إلى هانج في غضب ولطمه لطمه قوية . فابتسم هانج
ولم يتعامل في جاسته ، ولم تنفرج شفاه عن كلمة ما ،
بل ظل جامداً هادئاً ... وشهد الرجال ما حل
يزعيمهم ، فلاثم الغضب ، وأخضتهم الحية ، فصوب
أحدهم مسدسه الى جيرالد ، وهم باطلاق النار ،
واكن هانج كان أسرع منه ، فألقى بنفسه في طريق
الطاق ، واقتضه بصدره قبل أن يصل إلى جيرالد ،
فنفذت الرصاصة في أضله ، واستقرت في قلبه

وسقط لى هانج فالتفت حوله الرجال ، ونظرت
إليه فاذا الألم يملأ عينيه وهو يحدق في وجهى في
صمت ... ثم غمض لى رجلاه يضع كليات لا تخلو
من لمحة الأسر ، فانطلق منهم اثنان ، ثم عادا بعد
برهة قصيرة ومعهما الفتاتان ... واندفعت الى أن
تطوقنى بذراعها ... ووقع بصرى من فوق كتفها
لجأة على هانج وهو يحاول أن يدير رأسه في ألم
لينظر الى ... وكان الألم قد أذبل جفنيه ، وأطفا
بريق عينيه ، وغمر وجهه فيداً ساهماً حزناً

وإلى هذه اللحظة لم يكن يعلم جيرالد شيئاً عن
حقيقة هذا الشاب الكريم الذى يلفظ أنفاسه

تعلّى أنى قت بما ترغيبين ... انه يرقد الآن
بجوار والده

— شكرًا لك يا جبرالد

وعدنا الى الوطن العزيز ، ومضت الأيام تتبع
الأيام ، والشهور تترسم خطى الشهور ، الى أن كان
يوم أدهشتنى فيه أن بقولها :

والدنى ... ان شبح لى هانج لا يزال مائلًا فى
خاطرى لقد سمعت والدى يقول : (يجب أن
تنسأ) . ولكن لماذا تنسأ ؟ أليس هو الذى أُنقذ
حياته ؟ لقد كان نبيلًا حقًا يا والدنى . فنمنا ما أخذونا
اليه أكرم وقادتنا ، وكثيرًا ما كان يجلس الى قائلنا :
أختى الصغيرة .. كم أنت جميلة كزهرة التفاح !
ولما جن الليل نغنى لنا عن مرقدته وافترش
هو الأرض .. كم أنا حزينة عليه يا والدنى ! .. وكـ
أحاول نسيانه فلا يسمدنى القلب !

فنفطرت اليها فى عطف ... ثم قلت لها وأنا
أغالب الدمع :

— حقًا يا آن ... لقد كان شابًا نبيلاً ؟

أحمد فنى مرسى

قصص اجتماعية

مترجمه بقلم الأستاذ محمد عبد الله عثمان

مجموعة من القصص الرخيصة الشائقة لثمانية من أعلام
الأدب الفرنسى م : بورجييه . كوييه . أناتول فرانس .
موباسان . تيريه . مارسيل ريفو . دى بانفيل . جان
لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق .

فى ثلاثة أجزاء طبع دار السكك

تحت ١٠ قروش ويبلغ مؤلفاً ٦ قروش بخم ٤٠ ٪
عند البريد وهو قرشان للداخل القطر وأربعة خارجه
ويطلب من إدارة الرسالة وجيع المكاتب

يرقد فى بكين .. وأود أن .. أرقد فى جواره ..
فقلت له :

— سيكون لك ذلك يا هانج

ونسى جبرالد كل شيء إلا أنه فى حضرة
شاب ليلفظ أنفاسه الأخيرة بين يديه ، بعد أن
نجاه من الهلاك ؟ فأنحنى عليه فى رفق ، وأخذ
يمسح عنه العرق المتصبب من جبهته

وخفضت بصرى فاذا عينا هانج الحزبتان
لا تحولان عن وجهى ، وكأنها سهام مسددة الى
صميم فؤادى ... يا إلهى لساذا أنيت من أقصى
العالم الى هنا ؟ ... ألتشهد الأم الجاحدة مصرع
ابنها الطريد ... أم ليلفظ الابن أنفاسه الأخيرة
بين ذراعى أمه ... هاتان الدرعاان الجاحدان اللتان
نبذاه طفلاً ، ونحتاه وليدًا

ومررت ييدى على جبهته الباردة ... فابتسم
قائلًا فى صوت خافت :

— سيدنى الكريمة ...

ثم أطبق شفثتي القابلتين ، وأغمض عينيه
الصابغيتين ، ومال برأسه الشاحب الى الخلف

وقام جبرالد فرفعه من بين ذراعى ، فقلت له
وأنا أغالب الدمع :

— يجب أن يرقد ذلك الفتى بجانب أبيه
يا جبرالد

— سأعمل على ذلك يا روز

وعدنا الى المنزل ، وأنا ذاهلة تماماً عما حولى ،
لأعنى شيئًا ، ولأدرك قولاً ، وبعد أيام أعددنا عدتنا
وأخذنا أهبتنا ، وعدنا الى شنهى ، ثم قصدنا
لترنا الى الباخرة ، فلما وطأنا أقدامنا نظر الى
جبرالد قائلاً :

— روز ... قبل أن تغادر الصين .. يجب أن

من رأسى النوم . وتمتد لو يقع الآن حادث أقوم له ومسى للأمور . ولكن الحوادث كالقطع إذا ناديتها رفضت الجوى . وإذا طردتها جاءت تتمسح بالأقدام . ولم أجند ما أصنع . وخالجتى ربب وشكوك . وطال الليل ونظرى وسمج وتمتد طلوع النهار . وأردت أن أشغل فكرى بتدوين يومياتى فجمسد القلم فى يدى . ووقع بصرى على أكوام من قضايا الجرح والمخالفات والموارض من « إيراد » اليوميين السابقين أرسلها إلى كاتب الجدول لقراءتها وتقييمها ووصف التهمة وتقديمها إلى الجلسات . فلم آنس عندى ميلا إلى العمل . فأتجهت إلى النافذة وفتحتها واستنشقت هواء الليل الرطب ، ونظرت إلى النجوم تشرف على هذا السكون الشامل فى هذا الريف النائم ، كأنها عيون ساهرة مظلمة على خفايا الأشياء ...

لحظة خطرى أن أردتى ثيابى وأن أنزل إلى الطريق وأرود حول منزل الأمور . ما هذا الجنون؟ أنا أفعل ذلك؟ وإذا (ضبطى) خفير الدرك؟ إنه قد يعرف شخصى فيمتدثر . ولكنه سيخبر الناس ويشيع الخبر وتكون الفضيحة . لا مفر إذن من انتظار الصباح وما يأتى به ...

على أن الله لطف فى آخر الأمر فأرسل إلى إشارة تليفونية ، طالعتها فى الحال فاذا هى واقعة نافذة مما لا تقوم لمثلها بالليل .

« ... مرور قطار البضاعة نمرة ٢٠٩ خط الدلتا الضيقة عنده الكيلو ١٧ أثناء عمل متاورة وجد سمار حدادى على الشريط . والحادثة بفعل فاعل مجهول ... الخالخ » . وقد أشرف الأمور فى ذيل الإشارة بالتدابير حضرة معاون الادارة للانتقال وإخطار البك وكيل النيابة للعلم . ومعنى ذلك أنه لن يقوم ولا يبدل أن أقوم . ولكن كيف أنصنع

وهى لا تعرف أحدا فى هذا المركز ولا أهل لها به . هنا صاحب الأمور كن وجد الحل السعيد الموفق :

— المسألة بسيطة . البنت تنام فى بيتى للصبح . فالتفتنا إليه جميعا فى شبه ذعر ؟ ثم تعالكننا أنفسنا ، ولست أدري كيف دب فينا نحن الحاضرين نفس الشعور فى نفس الوقت . حتى الشيخ عصفور ، وقد زحف خلفى ودلف إلى الحجرة ، ظهر فى عينيه القلق . وكان الموقف دقيقا . إن أى اعتراض منا معناه الرية فى سلوك حضرة الأمور ؟ ومن جهة أخرى إذا سلمناه هذا الحل الوديع فإن الله وحده هو المنجى . فهذا الأمور قد شاعت له شائمة أنه استملح ذات يوم فلاحه دخات عليه بشكوى ، وأراد أن يحتل بها ، فأمر مسكره وخفراءه أن يدخلوا سجن المركز ويحلقوا ذقون الساحين . فلما دخلوا أغلق عليهم الباب من الخارج وحبسهم ساعة انفرد خلالها بالرأى . تذكرت ذلك وقلت فى نفسى : إذا سادت الأمور وتخرجت فأى عبء يوقر ضميرى أنا وكيل النيابة الذى دفع بيده هذه التفاحة البائنة إلى هذه الأنياب التى يسيل منها اللعاب ؟! العجيب أن الحاضرين كلهم قد أطرقوا ووجوا كن قد أبقن وقدر أنها أكلت ومضت وانتهى الأمر . وأراد الأمور أن يدخل علينا الاطمئنان فقال :

أنا غرضى أنها تكون فى محل أمين بين زوجتى وأولادى

ولم أجبد بدأ من الاذعان . وتركت للكان وانصرفت إلى منزلى . وتناولت شيئا من الطعام على مجل . ثم أويت إلى فراشى واستغرقت فى نوم لم أصبح منه إلا عند منتصف الليل . قمت عطشان فشربت جرعة من « القلة » الفخار بالنافذة . وتذكرت الفتاة ونحيلها فى بيت صاحبنا فنفر

ولم أعقب على كلامه بحرف ، ولم أنبس طول الطريق بكلمة حتى بلغنا السكيلو ١٧ ، ووجدنا عمال الدريسة وقطار البضاعة وسائقه . وقدم إلينا مالك الممعدة المتبار ، وأشار إلى عربة محملة بأكياس من الفطن كادت تخرج عن القضيب ، فتنازلت المسار بين أصابعي وجعلت أخضه ، والمأمور خلفي يقول باسمك :

— « كان العطشجي فين ، لما الوابور . وقع انكسر ا » ، فعلت أنه يهزل ، وأنه يشير إلى تلك الأغنية التي كانت شائعة منذ ثلاثين عاماً يوم كانت شفيقة التبطية تجلس على عرش الطرب . وسمع السائق تلك العبارة وحماها بمحل الجد فتقدم يقول :
* — لا حصل كسر ولا وقوع يا فندم ! وأما ساعة الحادثة فكانت جنب القرمة ، ودرملت في الحال ...

ومضى يسرد آراءه قائلاً إن أهل هذه المنطقة بسطاء المقول ولهم من أصلاب تلك القرية التي « عزمت » القطار في أول ظهوره وقدمت إليه الطعام والشراب ، ولا يبعد أن يكون أحد هؤلاء الأهل قد دفعه البسط أو حب الاستطلاع أن يضع هذا المبار على الخط الحديدى ليرى ما يصنع القطار ، وكيف يتصرف ، وكيف يقع على جنبه أو على وجهه . وتقدم عامل دريسة فقال : إن المسألة ليست مسألة بساطة أو بلاهة . إنما هو انتقام من الشركة ، فالأهالى في هذه الجهة يششون على استخراج الحصى من الجبل ونقله على الجير والجبال وييمه للمقاولين ، فجاءت شركة سكة حديد الداتا الانجليزية فحدث هذا الخط حديثاً إلى الجبل وخصت نفسها بهذا المورد وانتزعت بذلك حتى هذا الحصى من أفواه هؤلاء الجبابرة الساكنين ، وسواء كان هذا هو السبب أو ذاك فإن الفاعل هنا أيضاً غير معروف ولا ينتظر معرفته . وقد انتهينا من الأمر بأن

هذه الفرصة التي هبطت من السماء ؟ ليس أحب إلى الليلة من أن أفلق راحتي وراحة حضرة المأمور . وارتديت في الحال ثيابي وأمرت بإحضار السيارة وصررت بمنزل صاحبنا . وأطلقت عليه من يوسع بابه طرقاتاً ويخبره بانتقالى . فاطل الرجل من نافذة صانحاً :

— مسبار صغير تقوم له كلنا بالليل !
فأخرجت رأسى من نافذة السيارة :
— لو كانت إبرة . مادامت الحادثة بفعل فاعل أصبحت جنائية . لاحظاً أنها جنائية تعطل قطار ، أخطر جنائية في الدنيا . لا بد من حضورك يا حضرة المأمور — أنا ... أنا انتديت مامون الادارة
— لا بد من حضورك شخصياً
— الليلة .. مستحيل .. أنا الليلة .. تيمان ..
— كلنا في التعب سواء ! لكن الواجب يحتم علينا . !

فأطرق المأمور لحظة مفكر آفي ضيق وامتناض ، ورأى عزيزي وسأيتنى ، وخشى أن يمارضى في أمر متعلق بالعمل ، فأذن من طلب إلى الانتظار منهية حتى يرتدى ثيابه ، ونزل وجلس إلى جانبى في السيارة وهو ينفخ من الفليط . وتنهت إلى غيبة الشيخ مصفور . إذ على الرغم من صوت البوق لم يبد له أثر ؟ وكان فكير المأمور مشغولاً هذه المرة ، فلم يفتن لنياى الشيخ ، فلقد مضى في إطراره برهة ثم قال :

— أى نعم ! الواجب يحتم علينا .. لكن يعنى .. مسبار ؟ ! فأغمضت عيني حتى لا ينتظر منى جواباً ، فاستطرد :

— الله عسيه بالخير وكيل النياية سلفك . كان يسأل في قضية القتل شاهدين لا غير ويقفل محضره ويعمل على : « هو القتل أبونا والـأ أخونا ؟ قم نبل ريقنا بكاس » !

— التحقيق انتهى ؟
 — من زمان !
 فنظر إلى المائدة التي لم يوضع عليها شيء بمذ
 ثم نظر إلى :
 — جميع الشهود أعطوا أقوالهم ؟
 — جميعهم
 — ولا شاهد واحد فاضل . . ؟
 — ولا ربع شاهد
 فتركني وخرج سريعاً ثم عاد بعد قليل بمجذب
 أحد الأهالي من « حرامه » ودفعه أمامي ودعا
 وأشار إليه وقال :
 — شاهد مهم قوى ، عنده أقوال
 فأبدت ارتياحي في قيمة كلام هذا الرجل
 ورغبتي في الاكتفاء بمن سألت من شهود . ولكن
 المأمور ألج في الرجاء أن أصنى إلى هذا الشاهد فإن
 لديه معلومات ذات أهمية عظيمة . فنشرت ورق
 من جديد وماكدت أبدأ في إلقاء السؤال ، حتى
 برز المدة وخلفه خدمه يضمنون الطعام على المائدة .
 وارتفع صوت سيد الدار يدعونا إلى الفطور .
 فاعتذرت بضعف محتي وأمسأكي عن الأكل عادة
 في الصباح . فانطلق من فم المدة قسم غليظ .
 وتواطأ في الحال مع المأمور على محلي من مكاني حكا .
 وإذا في أجند نفسي في صدر المائدة . فأذهنت ،
 وجعلت أنظر ساعة إلى هؤلاء المحاورات وبينهم
 المأمور يأكلون وينهشون ويزددون وقد انشغلوا
 بأنفسهم فلم يفتنوا حتى إلى قلة أكلتي . وقتت من
 بينهم متسللاً بعد قليل وجلست في مكاني الأول
 أنتظر نارة وأتصفح محضري نارة إلى أن فرغوا من
 أحمر بطونهم وأطوا على مافوق الخوان وقاموا عسحون
 أيديهم في غطاء المائدة التي لم ير وجه الصابون
 منذ عامين ، وأقبل على المأمور بتجشأ ويقول :

وضمنا السبار داخل « حرز » وختمنا عليه بالشمع
 الأحمر وأدققناه بالأوراق ... إلى آخر هذا الكلام
 الرسمي الذي هو كل بضاعتنا ، وكان الندي قد
 تساقط على رؤوسنا فرأى المأمور فتح المحضر في
 « دوار » المدة ، فسألت عن المسافة بيننا وبينه ،
 فرد نائبه قائلاً :

— « فرقة كسب » يا حضرة البك !

فصدقناه ، وسرنا على أقدامنا حتى كادت
 مفاصلنا تتخلع ، وما وصلنا حتى أذن الفجر في
 زاوية الناحية ، وتركنا المأمور « يسبح » لنائب
 المدة على « فرقة » الكسب ، وأنهمكت في فتح
 المحضر وسؤال الشهود حتى فرغت منهم جميعاً ،
 وأردت أن أختم محضري ، وإذا بي أرى حركة
 نصب مائدة وإعداد طعام وحضرة المأمور قائماً
 قاعداً ينظر في الخوان ويدخل ويخرج دون أن أعلم
 ما يشغله من الأمر ، وأخيراً سمعته يقول للمدة في
 ناحية :

— اسمع يا عمه ! البك الوكيل لا يحب الخرفان
 على الصبح ولا الديوك ولا حاجة أبداً ، ولكن لا بأس
 من كم زغولة مدفونة في الأرض ، والقراقيش إياها
 والفطير المشتت ؛ وإن كان عليه كم كتكوت محرماني
 ضرر ، والبن الراب طبعاً شيء مفيد للصحة . ولا
 بأس من كم بيضة مقلية في الشدة ، كفاية ، إياك
 يا عمدة تعمل حاجة زائدة ، البك الوكيل أكلته
 ضيفة . إن كان عندك عسل محل يشمه فلا بأس .
 قرصين جبنه ضائي لا مانع ، طبق كمش وخرشبة ..
 الترض حاجات خفيفة لطيفة وإنبت سيد المارقين !
 أظرت لهذا الكلام واجر وجهي ولم أدر ما
 أمتح . ورأيت الخير في أن أسرع بالانصراف .
 فطويت أوراق على محلي . ولكن عين المأمور
 لحظتني وأدرك غرضي . فجاءني مسرعاً يسألني :

حياة ، فوقفت قليلاً وقد شرد خاطري ، وهاصرني إحساس من يقف في المحطة بين القطر . نعم ، أو لست الساعة في تلك المحطة التي يسافر منها المريض إلى العالم الآخر ؟ وحانت مني التفاته إلى باب المستشفى الكبير ورأيت المسكركى المكلف بالحراسة يطرد زرافات النساء المجتمعات في ثيابهن السودو « طرحهن » الزرق وأصواتهن التي يقطعها عويل التعلق . فعلمت أنه سيقا إليهن بجثة بعد قليل . فانهن في كل يوم يلقون خارج أسوار هذا المكان بجثة أو جثتين ليغترسها الحزن الرابض بالباب ذو الثاب الأزرق في لون « النيلة » والمغلب بالمفر بالطين والتراب

وفتح باب قاعة العمليات وخرج ممرض يحمل دلواً فيه دم سائل ومتجمد وقطع من اللحم كأنها أحشاء خروف ، فنظرت في ذلك ، فقال لي الرجل إن هذا خرج من بطن امرأة هي الساعة فوق المشرحة تحت البنج ، فجفت في موقفي ، وبادر للامور وطلب باسمي مقابلة الحكيمباشى في الحال . فذهب الممرض وعاد يفتح لنا باب قاعة العمليات ، فتجاذبت ودخلت وخلفني من كان معي ، فقباني الحكيمباشى بإبتسامة وهو مازال منحنيًا في حائطه الأبيض على شيء فوق المشرحة وقد شمر عن ذراعية وفي يده أداة كأنها « الكاشة » وحوله رطط من أصدقاؤه غير الأطباء عرفت منهم بعض الأعيان في ملاييسهم المادية . فدنوت ونظرت الى الذي بين يديه فإذا هو جسم فتاة قد شق بطنها عقا طويلا من الصدر حتى أسفل البطن ، وإذا « الكاشة » في يده تجمع الجلد الذي انشق وتخطيه بشيء كأنه المسامير الصغيرة ، والطبيب يفعل ذلك في سرعة غريبة وهو يثرثر مع ضيوفه مازما ضاحكا كأنه « حاو » بفخر بخفة يده وهزاره صنعته . ونظرت

— أظن نرجع ما دام التحقيق انتهى فأشرت إلى الشاهد الذي كان جاءني به وقد نسيه فيما يظهر :

— لما نسال الشاهد المهم !

فأجاب المأمور من فوره :

— لا مهم ولا حاجة

وتركني وأتجه إلى الفلاح وقال له :

— أنت يا ولد عندك معلومات ؟

فأجاب الفلاح :

— « لَسْ »

أى لا ، فالتفت إلى المأمور قائلا :

— جعش الله في برسيمه ! لا عنده معلومات

ولا يحزنون . ثم بنا يا سعادة البك نرجع بلدنا !

ونهضنا عائدين ، وقد ارتفعت الشمس . ولم نكد

نبلغ دار المركز حتى أقبل علينا « البلوكامين »

يحمل إشارة من المستشفى الأميرى أن المصاب « قر

الدولة علوان » قد أفاق من غيبوبته الآن ويمكن

استجوابه ، فأسرعنا إلى المستشفى لا نلوى على شيء ،

خشية أن يعود المصاب إلى الأغراء أو سوء الحال

فلا نستطيع أبداً أن نستخلص من بين شفثيه

سر الحادث

ودخلنا المستشفى وسألنا عن « الحكيمباشى »

فقبلنا لأنه في قاعة العمليات ، فسرنا في الردهة

الموصلة إليها ، فقابلتنا تلك الأسرة الصغيرة والمحفات

التي تجرى على محلات فوق الأسفلت كأنها عربات

الحالين في المحطات الكبرى ، ورأينا تلك الباخر

وأدوات التعقيم تدفع على بكر ويتصاعد منها البخار ،

والمرضون في هرج ومرج بأردتهم البيضاء

يدفون تلك المحجلات التي تحمل أجساماً في طريق

الفناء ، يدخلون بها تلك القاعة الهيبية ويخرجون

دون أن يبدو على وجوههم أثر اهتمام لموت أو

علينا تشخيصات طبية لم أحفل بها الساعة وقلت :
— الفرض ، يمكننا استجوابه حالاً ؟

فأجاب الطبيب في صوت خافت :

— أظن مع الاختصار السكلي

ثم دنا من المصاب وناداه في هدوء ففتح قليلاً
عينين ذهب بريقهما وكأهما لآبران شيئاً ولا بيتان
على شيء بمينه . فاقتربت من الرجل وسألته :

— يا قمر الدولة ! من ضحك ؟

فلم يجب . فاعدت عليه السؤال ففتح شفتيه
ولم يقل شيئاً . فألححت عليه فبذل جهداً ظاهراً
وقال كلمة واحدة :

— ريم !

فدهشت قليلاً . والتفت بمنة ويسره فوجدت
الأمور وسكرتير التحقيق شأنهما شأن في الاهتمام
بالأمر والعجب له . فنظرت في وجه المصاب وقلت :

— وضع غرضك يا قمر !

فلم يجب

— قصدك أن ريم هي نفسها ...

فلم يبد حراكاً ...

— يا قمر ، يا علوان . تكلم . لا بد أن تتكلم .

كلمة واحدة . الضارب ؟ من الضارب ؟

ولكننا نطلب المستحيل . فقد أغمض عينيه
وقد تقصد جيبته عرقاً . فجدبني الحكيماشي من
يدي بعيداً وقال :

— كفاية !

فنظرت إلى الأمور يائساً :

— كفاية ؟ !

وهل ظفرتنا نحن بشيء ؟ لقد كان موقفنا
عند دخولنا أوضح منه الآن . إنها كلمة لفظها هذا
القم الجانف بمد جهده ، ليت له لم يلفظها ...

(يتبع)
توفيق الحكيم

في وجه البنت الشاحب وهي كاليتة ، ثم إلى جلدته
بطنها وقد رشقت بالمسامير في صف طويل كأنها
جلدة حذاء في يد الاسكافي ؟ فتمرت بدوار في
رأسى وخفت أن أسقط ، فاعتمدت على جانب
المشرفة . ولحظ الطبيب اصفرار وجهي فترك
الريضة وحقق في وجهي قلقاً . فأسرعت وخرجت
من القاعة وأنا أقول له في صوت لم يترج إلا نصفه
من حلق :

— منتظر يا دكتور بمد العملية

وسألني الأمور عما بي فلم أستطع التعليل . إنني
قد شاهدت كثيراً من عمليات التشریح ، وطلبا
رأيت جثثاً تقطع أمامي وبطوناً تبقز فلم أنأثر .
ولكنها كانت أجساداً لا حياة فيها ؛ أتراني شديد
التأثر لرأى الأجسام الحية تصامل معاملة الجادات ؟
أم أنها فضلة من راحة البنج سبق بها جو قاعة
العمليات فبلفت خياشيمي إذ دنوت من جسم الفتاة ؟
وأعدني الهواء الطلق خارج القاعة إلى نشاطي
وجلسنا ننظر في مكتب الحكيماشي ، ونشرب
قهوة طلبها لنا « الباشمري » . إلى أن حضر
رئيس الدار فقادنا مرحباً إلى « غير » المصاب

وجلسنا معه خلال مرات ازدحمت بالأسرة إذ
لم تكف « الصنار » لأواء هذا القدو من التمساء .
ورأينا الرضى الناقمين من أصحاب « الزعابيب »
الزرقاء يتناولون في نهم حساءهم في أوانٍ صغيرة
من « الألومنيوم » ، وينظرون إلينا ومنا
الحكيماشي كما ينظر القردة في حديقة الحيوانات
إلى الحراس مع كبار الزائرين

ووصلنا إلى سرير « قمر الدولة » ، فوجدناه
مدداً لا يتحرك . ونزع الحكيماشي من رأس
السرير تلك الرقعة التي بدون فيها تطورات مرضه وقرأ



مِنْ أَعْمَاقِ الْفُؤُوسِ

اِسْتَرْفَانِي فِي الْعَصْرِ

لِلْفَرِيدِ مَوْسِيَه

بِقِلْمِ الْأَسْتَاذِ فَيْكُسْ وَنَارَسْ

(تابع)

الفصل الثالث

سأفص الحوادث التي أصبت فيها أولاً بدءاً
العصر :

بعد أن مررت الساخر في ليلة راقصة ، جلست
إلى مائدة مع أصحابي ، وقد ارتدوا أنغر ملابهم ،
والقاعة تنفس بالشبيبة النضجة تنفس مرحاً وجمالاً ،
وعلى جانبنا موائد عديدة تحمل أنغر الطعام
والشراب ، تفرمها الأنوار وتكللها الأزهار ،
والموسيقى تملأ القاعة بصخب الأنغام ؛ وكانت على
المقعد المقابل لمعدى الخليفة الرائمة الجلال التي أفتها
معبوداً لقلبي

وكنت وقتئذ في التاسع عشر من ربيع
الحياة ، وما كنت عرفت شقاء ولا ابتليت
بدهاء ، وكنت أنوماً لا أعرف المصانمة وفؤادي
طامع بالأمال

وفعلت الخمرة فعلها في عروقي ، فبدأ كل
ما حولي كأنه موسوم بطابع المرأة التي أحب .
ففي مثل هذه النشوة تلوح الدنيا للماشي جوهرية

تتألق باسم المحبوب من كل جهاتها ، فيكاد النمل
يقبل كل من يتسم له ، إذ يشعر بأنه أخ لسلك مخلوق
في الوجود

وكانت خليلتي قد ضربت لي موعداً للاجتماع
بها بعد انقضاء السمر ، فكنت أرفع الكأس إلى
شفتي ولحاطي تفور في أحداقها

وأدبرت ظهري للمائدة لآتناول طبقاً فسقطت
الشوكة عنها ، وحين انحبت لأرفعها عن الأرض
مزيجاً الفطاء المتدلى ، رأيت قدم خليلتي مشتبكة
بقدم الشاب القاعد بقربها ، وكانت الساق على
الساق تشد إحداها الأخرى

جلست بكل هدوء ، وطلبت شوكة غير التي
سقطت وعدت إلى تناول طعامي ، وكانت خليلتي
والشاب محتفظين بالسكون التام ، فلا ينظر أحدهما
إلى الآخر ولا يتحدثن ؛ بل كان الشاب متكئاً
على المائدة ، وقد أدار وجهه إلى جارة له كانت تربه

وما كانت أصابع رجلى تلس الأرض لشدة تشنج أعصابى . وصرت على ساعة وأنا ملى هذه الحالة من الهياج والجنون ، وكانت هذه أول نوبة غضب شعرت بها فى حياتى

وكان الرجل الذى باعته مع خليلتى من أعز الأصدقاء على ، فذهبت إليه فى اليوم التالى وقد استصعبت شاباً عتته الحمامة اسمه (ديجنه) ؟ فأخذ خصمى لنفسه شاهداً آخر وتوجهنا جميعاً ومنا الأسلحة النارية إلى قاعة فنيين ؟ وكنت أثناء الطريق أتحاشى توجيه الخطاب إلى خصمى أو الاقتراب منه ، كيلا أندفع إلى شتمه أو ضربه إذ لم يكن من موجب لهذا الاعتداء ما دام القانون يميز لنا الاشتباك بمركبة منظمة ؟ ولكننى ما كنت أمتلك نظراتى من التوجه إليه ، وكان هذا الشاب من أصدقاء الصبي ، وقد تبادلنا الولاء طوال السنين ، وما كان يجهل علاقتى بخيلتى ، وقد كان صرح لى مراراً بأنه شديد الاحترام لمثل هذه العلاقات ، وأنه لا يقدم على مزاحمة صديق له حتى ولو برح المشق به . وكانت ثقى شديدة بهذا الصديق ، وقد لا أكون صاغت يدك بمثل الولاء الذى كنت أضمره له . وحدثت ملياً فى الرجل الذى سمعته يتكلم عن الصداقة كأنه أحد الأبطال الأقدمين ، ثم رأيته بعد ذلك يتمتع بخيلتى ، فإذا هو فى عيني أول مسخ أصادفه فى حياتى ؟ فكنت أثبت النظر فيه لأدري كيف تكون المسوخ ، وكان يخيل إلى أننى لم أر قط هذا الرجل الذى عرفته وهو فى الماشرة من عمره ، فمرت بنا الأيام من ذلك المهد يوثق دوايظ الولاء بيننا ، وإننى لأورد هنا تشبيهاً ينطبق على حالتي :

عقدتها وأساورها ؟ وكانت خليلتى جامدة ، وقد شخص بصرها وتراخت على مقدمها ، وما انقطعت لحظة عن مرافقتها إلى نهاية الطعام ، فلم تبدر منها بادرة ثم غن جالما وعند ما قدم الخادم الحلوى ، زحلفت للنشفة وانحنيت لأخذها عن الأرض فرأيت الساتين وهما لم يزالا يتشادان مترابطتين ، وكنت وعدت خليلتى أن أرافقها بمد الطعام إلى منزلها ، وما كان ما يحول دون ذلك ، وهى أرملة وليس لها إلا صهر طاعن فى السن يرافقها أحياناً إلى المجتمعات ؟ وبوصولنا إلى الدعليز أمام المخرج وقفت وقالت : (هيا بنا يا أوكثاف) ، فقمهت ضاحكا ، وخرجت دون أن أفوه بكلمة

اندفعت إلى الشارع ؟ وبمسد أن مشيت خطوات جلست على قاعة الطريق واجما كأننى أصبت بالته من خيانة هذه المرأة التى لم تتر فترى يوماً ولا نهيت شكوكى ، وما كان الذى رأيت ليترك فى أقل ريب ، فأصبحت لذلك كمن فوجئ بضربة فأس على أم رأسه . وصرت الساعات وأنا جالس على الحجر تمر بذهنى أمور لم أكن لأذكر منها شيئاً فيما بعد . غير أننى رأيت شهاباً ينزل فى السماء فرفعت قبعتى مسلماً عليه ، والشعراء يرون فى كل شهاب هاو عالم ينذر

ورجعت بكل سكون إلى منزلى ، وأنا لا أرى وبدأت أخلع أثوابى ، ثم انطرحت على سربرى ، وما ألقيت رأسى على الوسادة حتى استولت على فكرة الانتقام ، فانتفضت وجلست ، وقد توترت عضلاتى فأصبحت كقطعة من خشب . قفزت إلى الأرض ومددت ذراعى وبدأت أصرخ ،

بمبدأ عن العظم ؛ غير أنني كنت أعلم إلى درجة جعلت كل محاولة لتضميد الجرح مستحيلة . وعند ما تحركت العربة للسير رأيت يد خصمي قابضة على عارضة الباب وهي ترتجف ؛ وكنت أشعر أنه يخلص في ندمه ، ولكنني لم أكن بمجاله تمكنني من التقلب على ثورة أعصابي لمنحه الغفران

ولما وصلت إلى مسكني كان قد نزع من دمي ما يكفي لهدئة دوران النضب ، وكان أشد علي من آلام جرحي . استلقيت على فراشي مرتاحاً وتناولت من الماء كأساً لم أشعر بلذته مثل لذته في أية كأس شربتها في حياتي

وبمدره شمرت بنار الحمى فتساقطت دموعي وتسلط الأسى علي ، لالتحول خليلي عني بل لأقدامها على خدائي . وهل يسهل علي أن أدرك السبب الذي يحفز امرأة لا يقيدوها واجب ولا غاية بادية إلى خادعة رجل وهي تحب سواه

وكنت أعلن استغرابي هذا لديجته عشر مرات في اليوم فأقول له :

— لو أنني كنت زوجاً لهذه المرأة ، ألو لو كنت أبذل المال لها لكانت أفهم سبب خيانتها . فما الذي كان يصدها يترى عن إعلان انتهاء حبها لي ؟ وما الذي دعاها إلى خيانتها ؟

وما كنت أتصور وقوع الكذب في الفراغ . كنت لم أزل في شرخ الشباب في ذلك الزمن ؛ غير أنني أعترف بقصوري حتى الآن من إدراك هذا السر . ولقد كنت كلما أحببت امرأة أعلن لها حبي ، وكلما شمرت بزوال الحب أعلنه أيضاً ؛ إذ كنت أعتقد أن مثل هذه الأمور لا سيطرة لارادتنا عليها ، وأن لا جريمة إلا في الكذب

إن في رواية إسبانية معروفة مشهد شخص من حجر يرسل المدل الأسوي ليتناول طعام المشاء مع رجل عاهر ، فيتجلد هذا الرجل كيلاً يلح جلجسه اضطرابه ، ولكن الجليس يتقدم لمصاحته ، وعندما يقبض على يده يشمر الرجل بصقيع الموت ويرتمش حتى يفقد شعوره

ولقد كنت طول حياتي كلما تكشف لي صديق أو خليلية عن غدر وخديعة أشعر بما لأجد له شيئاً سوى مصاحفة يد الخيال ، فكانتني كنت أقبض حقيقة على يد من رخام تشمرني بصقيع الحقيقة المروعة

تلك هي مصاحفة اليد الباردة . ولكم طرقت بابي وأسأله — ولكم نزل الرجل الحجري في ضيافتي فتناولنا المشاء معاً !

وتحت المعدادات فوقفت من خصمي موقفه مني وتقدم كل منا يبطء نحو الآخر ؛ وأطلق هو النار أولاً فأصابني في ساعدي الأيمن ، فتناولت السلاح بيدى اليسرى ، ولكن خاتنتي القوي فجئت راكماً على ركبة واحدة . وعندئذ رأيت خصمي يتقدم إلى بسرعة وقد اعتقع لونه وبدت عليه دلائل الاضطراب الشديد ، وترا كض الشاهدان فأبهدهما هو وقبض على يدي الجريحة وقد صرف بأسنانه واختنق صوته فرأيت الألم يرسم على وجهه بأشد مما كنت أشعر به

فصحت به : اذهب عني ، اذهب إليها وامسح يدك بقطاء فراشها . وبقينا كأننا على صدر كل منا حجراً

ونقلت إلى عربة حيث عابني طبيب فوجد أن الجرح غير خطر لأن الرصاصة كانت استقرت

نوبها وتهدل شعرها ، قرأت فيها من الجلال ما لم أراه من قبل ، فارتشت كرها واشتمزأاً بينما كانت الشهوة تتورق في دمي

خرجت من لبتها وقد تحطمت قواي وصممت على ألا أقابلها أبداً ، ولكنني رجعت إليها قبل مضي ربع ساعة وأنا مندفع بقوة خفي كنهها علي ، وقد تسلطت على شهوة التمتع بهذه المرأة مرة أخيرة لأشرب على جسدها الرائع الجلال كل ما ذرفت من رير الدموع ولأنتحر بعد ذلك

كنت أكرهها وأعبدتها ؛ كنت أشعر أن غرابها يوردي الهلاك ، وأشمر أيضاً أنني لا أقوى على الحياة بدونها . صعدت إلى غرفتها بسرعة الدهم المنطلق دون أن التفت إلى الخدم في طريق ، ودفت باب غرفتها فجأة فرأيتها جالسة إلى المرأة وقد تحملت بجميع جواهرها ، وكانت وصيفتها واقفة وراءها تمشط شعرها ، يغيل إلى أنني أشهد حلماً ، إذ امتنع على أن أتصور أن المرأة التي أراها أمامي هي المرأة نفسها التي كانت منذ هنية ساقطة على الأرض تحت وقر آلامها

تخرجت كالتمثال مكاني ، وعند ما سمعت انفتاح الباب التفتت وقالت قبل أن ترائي : أهذا أنت ؟ ؟

وكانت تنتظر خصمي ليذهب بها إلى مرقص . وإذا عرفتنى قطبت حاجبيها وتبرمت . وتراجعت قاصداً الانسحاب ، ولكنني رأيت رقيبها الناعمة وقد عقص عليها شعرها وربط عليه مشط من اللاس ، والثفت فوقه خصلتان ركزتا بسنيلتين من الفضة ، ولاج كتنفاها وعنقها بأنصع بياض ؛ فكان شعرها المقوص مرتفعاً لبدة أسد تهزأ

أما ديجته فما كان يجيب على كل هذا إلا بقوله : إنها لشقية . فمدني ألا تنظر إلى وجهها فيما بعد

وكنيت أقسم له باتباع نصيحته . وقد أشار على فضلاً عن عدم مقابلتها ألا أكتب إليها حتى ولو بقصد توبيخها ، وألا أجوابها إذا هي كتبت إلي . وما ترددت في وعده بما أراد وأنا مندهش بل متألم لمزة نفسى لاقتراضه إمكان مخالفتي لهذه الحيلة الرشيدة

ولكنني ما عتكنت من النهوض من فراشي ومبارسة غرفتي حتى هربت إلى منزل خليلتي فرأيتها وحدها على مقعد في غرفتها وقد ظهر التعب على ملامحها والاحمال في ترتيب أثوابها . فاندفت أشبعها لوماً وتقريماً ، وقد بلغ مني اليأس أقصاه . فكنت أصرخ بلاء صوقي ودموعي تتساقط بفزارة ، وخفني الرغيف فانطرحت على السرير وأنا أقول : لقد كنت تملين أن خيانتك تقضي على أيتها الخائنة الشقية ؛ فهل لذت لك هذه الجنابة ؟ وما هو ذنبي إليك ياترى ؟

أما هي فانطرحت على ثنائقي قائلة : لقد اندفعت بالرغم مني لأن ذلك الشاب كان قد أسكرني على المسائدة ؛ ولكنني لم أستسلم إليه ، بل كل ما وقع هو أنني تراخيت في ساعة ضلال . ولقد أكون أخطأت ولكنني لم أرتكب جرماً . إنني أقدر الضرر الفادح الذي أزلته بك ، ولكنني أطمع في عفوك ، فإذا أنت منمتة عني فتدني

وما ادخرت شيئاً من دموع التوبة الصادقة ولا من فصاحة الألم توصلاً لتعزيتي ، وارتعت على ركبتيها في وسط القاعة وقد امتنع لونها وتفتق

وقلت لها :

— ليكن ما تريد ، ولكنني أقسم بالله الذي يرانا ، وروح أبي أنني سأقتلك وأتخبر بعدك —
وأخذت خنجرًا كان على رف اللوقد ودسسته تحت الوسادة فالتصمت وقبلني قائلة : — مالك ولهذا الحفاة يا أوكثاف ؟ تمال إلى ! إنك ترهب نفسك وأنت محموم ، أعطني هذا الخنجر ولا رأيت أنها تحاول أخذه قلت لها :

— إسنى إلى . إننى لا أعرف من أنت ولا أية مهزلة تميلين ؟ أما أنا فليس من الهازل ما أفعل . لقد بلغ حبي إليك أقصى حد يصل إليه حب إنسان على الأرض فكان ذلك لشقائي وموتى ، فاعلمنى أنني لم أزل أنفاني في هواك . تقولين إنك تحبيننى أيضًا فأنا أطاوعك في رغبتك ، وأقسم بأقدس ما في الكون بأننى إذا ما اندمجت بك هذا المساء فلن يلمسك أحد سوى غداً . سأنتقم بك أمام الله إذا مارضيت ، ولكننى سأقتلك قبل انفلاق الصباح وارتميت على الأرض مرتمشًا ، فأيتها تاتى ممطفا على كتفها بسرعة وتولى الأدبار وعند ما أخبرت (ديجنه) بهذه الحادثة قالى :
ولماذا رددتها ؟ إنها لجيلة حقا . فهل بلغ كرهك لها إلى هذا الحد ؟

فأجبت : أمازح أنت ؟ وهل لهذه المرأة أن تكون خليلتى بعد الآن ؟ وهل تستقد أن يامكانى أن أشارك فيها مع سوى ؟ أفلا تذكر أنها أقرت بتمتع غيرى بها ؟ فهل بعد ذلك تريد أن أنسى وأستبقى حيا لها وأنتقم بها أيضًا ؟

فيلكس فارس

(يتبع)

بالشهاد الدليل الذى وقفت عنده منذ هنية .

وجت لحظة ثم تقدمت فجأة إلى هذه المرأة وأزلت بقبضتى ضربة قاسية على رقبته فلم تصرخ بل سقطت إلى الأمام صرعية على يديها . وعندئذ أمرعت بالانصراف

وما إن وصات إلى منزلى حتى عاودتنى الحمى بشدة ، فلزمت الفراش وقد نكأ جرحى فآلمنى كثيرا . وجاء ديجنه لبيادى فأطلمته على ما جرى ؛ وبعد أن أصنى إلى بكل هدوء أخذ يتمشى في الغرفة كمن عزم على أمر يتردد في تنفيذه . وأخيرا وقف أمامى وأطلق صرخة عالية وقال :

— أهذه المرأة أولى خليلتك ؟

قلت : — لا بل هى الأخيرة

وعند منتصف الليل بينما كنت مستغرقا فى نوى المضطرب خيل إلى أننى أسمع نهذا عقيقا ، وإذا فتحت عيني رأيت خليلتى واقفة قرب سرى وقد شبت يديها على صدرها كأنها شبح من العالم الثانى ، فما ملكت روعى فصرخت حاسبا أن ما أراه خيال جسمه دماغى المحموم ، فنهضت مذعورا وهربت إلى زاوية الغرفة ولكنها تبتمنى وقالت :
أنا هى . وضمتنى إليها فصحت بها : — ماذا تطلبين ؟ دعينى وشأنى وإلا قتلتك

فقلت : — لك أنت تقتلنى فأنى خنتك وكذبت عليك ، وما أنا إلا شقية حقيرة ، ولكننى لا أطيق الحياة بدونك

ونظرت إليها فاذا هى مجسم الجمال ، وقد ارتمشت أعضاؤها واشتملت عيناها بنيران الشهوة ؛ وكان عنقها عاريا وشفتاها متحرقان ، فطوقتها بذراعى



هوميروس



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

النبأ، وأنه عائد إلى وطنه بعد أن ينتصر على أعدائه،
ويذيقهم ضيف ما صنعوا، ولن يجديهم أن يتوخوا
أو يندموا .. ليأتينكم نبؤه بعد حين !
وسخر القوم واستهزأوا به ، وقام يورماك
يرجه بهذه الكلمات :

« اقلب إلى دارك أيها المجوز الخرف ! هلم
إلى أحفادك الكسالى فتنالهم بما ينبت أن يأخذوا
حذرهم منه ! لقد قصف النون غصن ثوديسيوس
الفينان . فليت قصف غصنك كذلك ! طير ؟ ها
إن الطير طالما يستنسر في سماء إيثاكا ؟ إن أكبر
الظن أنك تطمع في منحة من ابن مولاك تايلاك ..
ولكن اصغ إلى ! لتكن لك منحة منا إن تنبأت له
عما يكاد يذهب بك وبه من . بلهشتنا إن لم يجتر
نفسه ! أسمعتم ؟ لقد نصحنه أن يرسل أمه إلى
بيت أبيها ليختار لها الكفء الذي ترضى ، فلم
ينتصح . وأنا أرسلها كلمة صريحة في غير ميئن أننا لن
نبرح عاكفين على ما نحن فيه من هذا الخبر (حتى

وما كاد يفرغ تلك من مقالته حتى أرسل
سيد الأوبل نسرين عظيمين طلقا يضربان الهواء
بخوافيهما ، ثم جملا يدومان فوق الملأ ، ويقدران
الشر من أعينهما ... نذيرى ردى ، وصيحة
منون . ثم انطلقا نحو المدينة وغايا في ظلام البعد
وشده القوم ، وربت أفئدة المشاق ، وأخذوا
يتخافتون ... ثم نهض فهم القديس هاليتير بن
نسلور المروف بورعه وصدى نبؤه ، فقال :

« أيها الناس ! يا أبناء إيثاكا ! اسمعوا وعوا !
ليحذر المشاق الماميد ما يجي لهم النيب من شر
أوشك أن ينقذف على رؤوسهم ! إن أوديسيوس حي
يزرق ، وإنه عائد يوما إلى وطنه ، بل إنه يجد السير إلى
هنا ! وإنه يحمل اللوت الأجر إلى خصومه ، والخير
الأخضر إلى مواطنيه ! أنا هاليتير ، قد يسكم الذى
لا يكذب قد أنبأه قبل أن يجر إلى طروادة بذلك

« إسمعوا إلى يا أهل إيثاكا ! ما لكم اليوم قد نسيتم آلاء ملككم أوديسوس عليكم ، وهو الذي كان يرعاكم كأب ، ويصدق عليكم من فيضه العميم ؟ ما لكم قد تقاسمتهم دون هؤلاء الشاق الذين يذهبون بخير عولاكم ويأكلون مال ابنه بغير الحق ، وهم قُلٌّ وأنتم كُثُر ، آمنين مطعنين ، لا يرهبون أوبة مفاجئة من البطل الشرير ... ؟ »

وهاجت كلمة الرجل كوامن العشاق فهب أحدكم وهو ليوكريتوس ، يقول :

« زوبديك يا منطور ! أيها الثرثرة المسجول ! كيف تجرؤ أيها الرجل فتثير الشعب على العشاق وهم سادتك ؟ هل أعجبتك كثرتهم يا منطور ؟ إذن فأبشر بمجزمهم دون ما ابتغيت ، وتفق أن ملك إيثاكا نفسه لن يستطيع معهم شيئا إذا حاول إخراجهم من بيته هذا ، إذا قدر له يوما أن يعود ؟ إنه إذا فعل فسيدوق وبال أمره ، ولن تنال منا حقاتك ولا نبوءات هالتيير ، ويتلوط نفسها لن تُبهر بأوبة أوديسوس ؟ ؛ ولكن اسمع أيها الشيخ ، إنه لن يضيرنا أن يذهب تلياخوس فيذرع البحر باحثا عن والده ، وله أن يتخير من السفن ما يشاء ... »

وتفرق القوم ، وأمرع العشاق إلى خيامهم ، وانقلب تلياك إلى سيف البحر ، حيث وقف فوق صخرة فائقة يناجي مينرفا :

« أيها الربة المباركة ! يا إلهة الحكمة مينرفا ! يا من كنت أمس ضيفة مكرمة تحت سقف هذا البيت ؟ أصل لك ، أما تلياخوس الشمس ، وأبطل أن تباركيني وتسددى خطواتي ، وتكوني رائدى الأمن في عباب هذا البحر ، وأن تشدى أزرى وتكوني مى إلإ على هؤلاء الفساق المراسيد ،

تخضع يتلوط) فنمضى ماجورين . . وثق ، أيها الشيخ المهيب الخوف أن نبوءاتك لن تفرغنا ، بل هي تضاعف سخطنا عليك ، وبفضاء نالك ألا ما أطيب الأقامة هنا ؟ ! لتردد يتلوط عنادا ، فانا لا نرداد إلا جلادا .. »

ونهمس تلياك فقال :

« على رسلك يا بورعماخوس ! وعلى رسلكم أيها العشاق جميعا ... لقد أرسلتها كلمة حق فلم تستمعوا لها ! أبدا أن أضرع إليكم مرة أخرى ... الآلهة يبي وبينسك ، والأغريق أجمع أعلم بأمرى وأمركم ؛ غير أن لي طلبة إليكم جيدا لو أنتم دعوني لإها . . . فهل تسمحون لي بمركب وعشرين بحارا فأقلع من فوري هذا إلى بيلوس ثم إلى أسبرطة ، عسى أن أسمع خبرا عن أبي ، أو ألتقف نبوءة من سيد الأولب الذي بيده ملكوت كل شيء . . . إني إذا علمت أن أبي ما زال حيا فقد أوفق في الثور عليه ولو يمد حين ، أما إذا استيقنت من هلاكه فاني عائد إلى إيثاكا فقيم له نصبا يتفق وهذا المجد الباذخ والذكر التليد ، ثم يكون لي مطلق الحرية في منح أحدكم يد أمي فتكون زوجه الخالصة إلى الأبد ، بمد أن أتم لأبي كل الراسيم الجنائزية ، لتقر روحه العظيمة ، وتسكن إلى دهبها في ظلال هيدز ^(١) »

وكان في المجتمعين رجل تبدو عليه غايل النبل ، وتنتقد في رأسه جمرات الشيب ، تهالك على نفسه حين وقف ينافع عن تلياك ، فإذا هو الشيخ منطور ، الذي كان أوديسوس قد استخلفه على أهله قبل إبحاره إلى طروادة ، لصداقة قوية كانت تجمع بينهما ... قال منطور :

(١) إسم الفار الآخرة في الميثولوجيا

وأفديك .. لكن لنمض الآن فلنمض للرحلة ما هو
حسبها من زاد وعتاد ، ونخبة أولى بأس من
رجالك الأقوياء ، وسأنتقي أما نفسي أشدهم مراسا
وأصدقهم عزيمة .. إمض على بركة الآلهة ...
إمض ... لا وقت لدينا فنضيحه ... هلم ...
وسكنت ميترفا ... ولكن حرارة كلماتها
أشرقت بالأمال في نفس تلياك ، فذهب وقلبه
يخفق بألم أمنية ... الى القصر ... حيث رأى
المشاق يُذبحون ويمدون نار الشواء ، وحيث ففز
أنتينوس للقائه ساخرًا مسهزكا :

تلياك ! فاشدتك الآلهة إلا ما شاركنا غداءنا
واطرحنا فيضاك هنيئة ! هلم ! تحس من هذه
الخرقة قفقا أيها الصديق . لا يشغلك أمر الرحلة ..
فقد أمرنا أن يمد لك الآخيون سفينة عظيمة
وقدرا من الزاد كبير ، وعصبة من الرجال أولى
قوة .. وستبحر قريبا فتذرع البحار وراء أيك .
هلم ... هلم ...

ولكن تلياك عبس عبوسة قاعة وقال :
« أنتينوس ! إليك عني فإ أستطيع مشاركة
خصومي السفلة غدا ، ولألى قلب فأشرب
النخب من يدك ! لا يورك لكم هذا الذبح الذي
لا يحل لكم ، والذي استبحتموه من غير حق ، إذ
أنا طفل أجبو .. أجل ! لأستمع لكم الخراب
ولأسمعن في حثفكم ، ولأذهبن إلى بيلاوس فأتصر
إذ عني النصر في إيثاكا ! أيها الذئب ! حتى
سفائتي وعنادي تنكرونها على ! »

وكان اللثم قد أمسك يمين تلياك كالصانع
المستهزئ ، ولكن تلياك جذبها ساخطا ، وترك
الكلاب تمزقه وتلغزه ، وتستهزئ بهذا المون

وأن تشرق في ظلمات رحلتى البعيدة ، وأن تحلى
أمتا وسلاكا على ... يا ميترفا ، يا ميترفا ، آمين
ياربة العدالة ... »



واستجاب ميترفا ، وأقبلت في صورة الأمين
منطور حتى كانت قبالة تلياك ، ثم شرعت تسلمه
كلمات هن أروح من أنفاس النجر ، وأندى من
نبجات الورد ، وأعذب من قطرات الندى :
« السلام عليك يا تلياخوس ! السلام عليك
حين تثبت أنك ابن أوديسيوس وفرع دوحته
الوارف ، وحين تبدو فيك بدوات من حوله
وطوله وقوة بأسه ، وخين تطلع على بركة السماء
وفي عناية الآلهة ورعاية سيد الأولب ؛ في رحلة
لن تكون عبثا ... أنت ابن أيك يا تلياك ... أتى
بك من بنلوب ... وآية ذلك هذه الروح القلقة
التي تشيع فيك من أجله ، وهذا الجبروت الذي
هو نفحة منه ، وذلك الصوت الجبار الذي يتلجلج
في فمك كأنه فيض من لسانه ، وذلك الذكاء الوقاد
الذي هو قبس من ذهنه العظيم ... بشارك يا تلياك !
لا يمزك خيال أعدائك فقد أوشك القضاء أن
ينقض على رؤوسهم فيسقطهم ... أنا ... أنا
هذا الشيخ المهديم ، صديق أليك وأمينه منطور ،
سأكون معك ، وسأخدمك ، وأسهر عليك ،

اليوم وفات سحيق في رمس عميق في بلد لا نعرفه !
أتسافر يا تلياك ليأتمر بك هؤلاء الذئاب ، وقد
يسلطون عليك من يقتلك ، ثم يستصفون كل سالك
بمس ذلك ؟ حاشاك يا بني ! لتبقى معنا نحن الذين
أحببناك واصطفيناك ! فم تذرع عباب هذا البحر
ولا رجاء لك في مطمح ، ولا ثقة لك في شيء ؟ »
وأجاب تلياك في رفق :

« رويدك أنت يا ريبية ! إني لم أعترم شيئا من
تلقاء نفسي ... إنها السماء هي التي توحى إلى ا
ولكني أستحلفك بكل أرباك ألا تقص شيئا مما
اعترفته على أي إلا بمس احد عشر يوما أو اثني
عشر يوما ... فانها لو علمت بسفري لأظلت في
عينها مباحج الحياة وذهبت نفسها على حشرات »
وأقضت يوريكيا بكل أربابها ، وانثنت تمى
دنان الحجر وأحمل الدقيق

أما منقرا ! أما ربة العدالة والحكمة الخالدة ،
ذات العينين الزبرجديتين ، فقد عمت شطر البحر
وقصدت الى الرفأ ، حيث أقيمت نوبعوت بن
فرونيوس سيد الملاحين ، وسألته إحدى جواريه
المنشآت ، فأعد لها واحدة من خيماها .
وما كادت ذكاء تدخل في خدر الأوق ، وما كاد
الشفق يبكي فيصبغ بدموعه جبين السماء حتى كان
الملاحون قد هبوا القلوع ونشروا الشراع ،
وخبروا مجاذيفهم وأحضروا عُددهم ، وتزودوا
من السلاح ؛ وكانت مينرفا نفسها تستحهم ،
فسرعان أن تهادت السفينة في جوفها ، ورقعت
نشوى فوق هامات الثبح

وذهبت مينرفا ، في سورة منظور وفي طيلمانه
فأشرفت على عصابة المشاق ؛ وتمتمت بكلمات

التي يرجوه من ييلوس ، وتلك الجحافل التي يأمل
أن يجردها عليهم من أسيرطه ... » ومن يدرى ؟
فقد يهتدى إلى إيثير الشجرة ، فيجد في أعشائها
بقلة يدس لنا منها في كؤوسنا فتريحنا منا ... »
« ... بل من يدرى ؟ فلقد يتعلمه اليك كما ابتلع
أوديسيوس من قبل ، وتكون هنالك الطامة ! إنا
إذن نقسم هذا المتاع وتلك الضياع ، ثم نهر أحدنا
الذي تختاره يتلوى بملأها ، عادة هيلاس بهذا
القصر المنيف ! ... »

تركهم تلياك ، ومضى قُدما الى غرفة أبيه
بالطابق العلوى ، حيث كنوزه التي لا تقدر ، من
عدة للحرب وذهب مدخر ، وخمر ممتقة وروح
أذفر ، وخز ودياج ودرّ وجوه ، ومنافر
أعدت لليوم المنتظر ... يوم يمود أوديسيوس
فيظفر ويهقر ، ويظهر بيته من ذاك النفر ...

ووجد عندها حارستها يوريكيا فصباح بها :
« ريبية ! يوريكيا ! هيا ! صي من تحرك في
زقاني ! من مدامتك التي ادخرتها لأني ... لا ...
لا ... ليس من صفوتها يا ريبية ، إحتفظي بصفوتها
له ، املي اثني عشر دينا ، وهيئ عشرين
جوالقا من دقيق ، هيا ... أعديها كلها لتحمل
إلى سفيني بمس أن تنام المللكة ... لا يعلم أحد
بأسر رحلتى إلى ييلوس وأسيرطه ... حتى ولا أي ا
سارح نمة ... سأجميع أخبار أي ... »

وصمت تلياك هنيهة ... واستعبرت ريبية
يوريكيا ، وأرسلت هذه الكلمات على أجنحة من
الحنان ، وفي شقائين من الرحمة :

« رويدك يا بني ! أي سفر وأى نوى ! لقد
انتهى أوديسيوس وانتهى معه كل شيء ! وهو

وتلك الأحمال الى السفينة ! لا أحد يعلم أمر رحلتنا
حتى ولا أى ! فقط ريبتي »

وامتثل للملاحون أمر سيديهم ، ثم تقدمت
مينرثا فركبت السفينة ومن ورائها ابن أوديسيوس
وجلست هي عند الدفة ، ونشطت البحارة فهبأوا
الركب ، وحصدت المغرب ربة المداله بمينها
الزرجديتين فهبت النسبات رخاءً ، ووقعت
تحتها الأمواج من طرب ، وانتصب تلياك واقفاً
يبحث رجاله ؛ واضطرب الماء تحت حيزوم السفينة
واسطخب ، وصب القوم دنانا من الخمر تقدمه
للآلهة وقريانا ، ونحية لمينرثا لا تبديد !
واحولك الليل وتدبى غيبه ؛ ثم انجاب
ظلامه عن فجر مبين !

دربنى خشم

(يتبع)

فانتشر الظلام فوق خيامهم ، ولعب الشمس رمل.
جفونهم ، وكانت الكؤوس ما تزال تقهقه في
أيديهم ، فسقطت عن غير عمد لتسقى الأرض
من نحمهم شرابا !
وظفقا تحت طائف الكرى ، بنسلون
الى خيامهم . . .

وأدلفت مينرثا نحو القصر ، لتلقى تلياك :
« تلياك ! هلم ! البدار ! أنت هنا وكل رفاقك
في الفلك المشحون ينتظرونك ! هلم ! يجب ألا
نضيع وقتنا سدى »

ونفض تلياك ! وسارت مينرثا ، وسار هو في
أثرها حتى كانا عند سيف البحر ، وحتى أشرقا
على السفينة .

« مرحبا يا رفاق ! هلموا فاحملوا هذه الدنان

بنك مصر

يساعدكم على الادخار من أقرب وأضمن الوجوه

اتصلوا بقسم بيع الأوراق المالية بالتقسيط

واستفيدوا من التوفير المحسوس والضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأساً بمرکز البنك الرئيسى

بالقاهرة ، وفروعه بالاقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون





المرورية

مجلة أسبوعية للقصص والبرائح

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها للسئول
احمد حسن الزيات

برلن الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان

٥٠ في الممالك الأخرى

١ ثمن العدد الواحد

إدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦

التيبة الخضراء — القاهرة

تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

السنة الأولى

٢ محرم سنة ١٣٥٦ — ١٥ مارس سنة ١٩٣٧

العدد الرابع

في الربيع

للقصصى الفرنسى جى دى موباسان

بقلم احمد حسن الزيات

وكان الشتاء في عامنا

المنصرم قارساً شديداً

الزمهرير ، فكانت الحاجة

إلى التعلق والانبطاق

في شهر مايو أشبه بالنشوة

التي تقهر وبالحلم التي

تفيض

في ذات صباح من

أصبح الربيع تيقظت فإذا

في ألح من النافذة

بساط السماء الأزرق ممدوداً على سطوح المنازل

المجاورة ، وقد اشتعلت الشمس في سرته

وحواشيه ؛ وكانت العصافير الناشبة في الشبايك

تفرود وتسرف في التفريد ، واتحاديات في جميع

طبقات البيت يغنين ويالطن في التريد ،

ونجمة الجبور والرح تصمد من الشارع إلى ،

تفرجت والفكر جذلان مشرق أهيم في المدينة

حينما تقبل أوائل الأيام الجميلة فتستيقظ الأرض ،
وتغضوضر الحقول ، وينبث التسمم الفاتر الساطر
فينفخ الجسموم ويعلأ الصدور حتى كأنما يخلص إلى
الأفئدة ، تخالج أنفسنا رغبات غير واضحة لسعادة
غير محدودة ، فتتوق إلى الجريان ، ونصبو إلى
الجولان ، ونسعى إلى القاهرة ، ونهفو إلى
ارتشاف الربيع

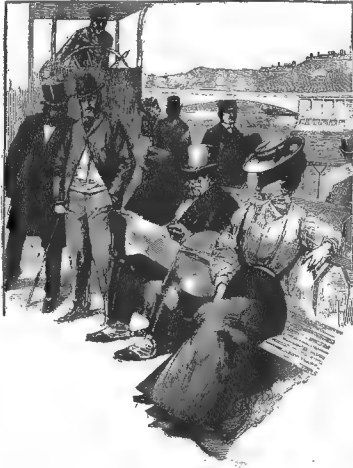
ثم انتهى في أسفل الجيد إلى زغب دقيق رقيق أصمب
نكاد لا تراه ، ولكنك تحس في نفسك رغبة
ملحة في أن ترسل عليه غمراً من القبل
التفت الفتاة إلى إجابة لألحاح نظري ؛ ثم كسرت
طرفها فجأة ، ولاح على وجهها قطوب خفيف أشبه
بالابتسام البادي* ، أخفى زاوية فيها بعض الخفاء ،
ولكنه أظهر ثمانية

ذلك الزغب الناعم
الشاحب الذي
ذهبت الشمس قليلاً
كان النهر
الهادئ* ينفج
ما بين ضفتيه ،
والجو الضاحك
تنشر فيه سكينه
النفء ، والفضاء
الشرق تزخر به
غممة الحياة .
فرفت جارق
بصرها ثانية إلى ،
وفي هذه المرة كما
بدأى من مراقبتها
كانت بسمة

صريحة قاطعة . وكانت في هذا الوضع رائحة
قائمة حتى كشفت في نظرها المختلس الهارب ألف
شيء كانت مجهولة : كشفت فيه أغواراً لم تدرك .
فيها كل ما ترغب من الحنان ، وكل ما نطلب من
الشعر ، وكل ما نبني من السعادة ؛ فتملكتني رغبة
جنونية في أن أفتح ذراعي فأحملك إلى مكان آخر ثم
أمس في أذنها بشعر الهوى وموسيقى النزل

لا أعرف لي وجها ولا فاية ؛ وكانت بسات السرور
تتأق في وجوه المارين ، ونسبات السعادة تهتز في
أجواء الريح . وكأنا هبت على الدبنة فتحة سارية
من الحب ، فالفتيات اللاتي عشرين في رضة الصباح
وفي عيونهن حنان مكثوم ، وفي مشيتهن رشاقة
رخوة ، كن ييمعن في قلبي اضطراباً ومشغلة

بلغت ضفة
(السين) ولا
أعرف كيف ولا
أدري لماذا ؛ فلما
رأيت البواخر تجرى
نحو (سبرينس)
فازعتني نفسي إلى
أن أجوس خلال
النساب فركبت
إحداها
وكان ظهر
الباحرة (موش)
منطلي بالسافرين
فما تجد موضعاً
لقدوم ، لأن أشمة
الربيع الأولى
لاندع إنساناً قابلاً



في مسكنه ؛ وكان كل راكب عليها قد استغفنه
النشاط فهو يذهب ويحي ويضطرم في نفسه ويتحدث
إلى جاره . وكان جوارى الفتاة صغيرة لا شك أنها
عاملة . هي بإريسية الأنافة بارعة الظرف ، لها
رأس لطيف التكوين أشقر اللون ، قد استوى
شعره خيلاً على الصدغين ، ثم تمحده ويحصد صار كأنه
ضوء متموج ؛ ثم انحدر إلى الأذن ، وسال على العنق ،

غالبه ؛ ومن واجبي أن أنبهك إليه كما ينبه
الروسيون للمار إذا قرص أنه البرد فيبس »
لبثت دهشاً مبهوتاً أمام هذا الرجل الغريب ،
ثم اتخذت هيئة الوار ، وتكلمت لهجة الجلد ،
وقلت له : أراك تدخل ياسيدي فيما لا يعينك
فتتحرك حركة عنيفة ثم قال : « أه ، سيدى !
سيدى ! إذا رأيت إنساناً يشرف على الترق فهل
يجوز أن أدعه يفرق ؟ إستمع قصتي فستعرف بعدها
لماذا جرؤت على أن أكلك على هذا الوجه :

« كان ذلك في مثل هذا الفصل من العام الماضى ،
ويجب أن تعلم ياسيدى أولاً أنى موظف بوزارة
البحرية ، ورؤساؤنا العسكريون يتخذون من
نشاراتهم وشرائعهم حجة على أن يماطلونا معاملة
مهيئة آه لو كان كل الرؤساء ملكيين ! ما علينا !
فلحمت من شباك مكنتي طوقاً أزرق صغيراً من
حاشية الأفتخ يطير فيه السنونو ، فقام بنفسى
أن أرقص في وسط دقازى وأضاييرى . واشتدت
رغبتي في الحرية حتى ذهبت على البكرة منى إلى
قردى أو رئيسى ، وهو رجل ضئيل الجسم نزع
الطبع لا يتسار من وجهه الفضب لحظة ، فقلت له :
إنى مريض ، فصاح فى وجهى وقال : أنا لا أصدق
ذلك ، إذهب عنى . أنظن أن العمل عشى على أمثالك
من الموظفين ؟ » لم أذهب إلى المكتب كما أراد ،
وإنما ذهبت إلى السين كما أردت ؛ وكان جو ذلك
اليوم بكجو هذا اليوم ، فركبت الباخرة (موش)
لأجول جولة فى ضاحية (سان كلو) . آه ياسيدى
ما كان أحق رئيسى أن يحول بينى وبين الخروج !
لقد خيل إلى أن مشاعرى وجسمى مدتها حرارة
الشمس ، فأنا أحب كل شيء : أحب الباخرة والنهر
والشجر والمنازل والجيران وكل ما فى الطبيعة من
صامت وناطق . لقد كنت أتوق إلى أن أعانق أى

ملت عليها وحممت أن أفتح فى لأتسكلم وإذا
بيد نلس كتنى ، فالتفت مبعوثاً فرأيت رجلاً عادى
الهيئة متوسط العمر ينظر إلى فى حزن ويقول فى
جد : « أريد أن أكلك فى أمر » فبدت على وجهى
جهومة لم تخف عليه لأنه قال : « إن الأمر جد »
فنهضت من مجلسى وتبعته حتى انتبذ فى
مكاناً فى الطرف الآخر من السفينة ثم أنشأ يقول :
« حينما يدنو الشتاء ياسيدى بقره ومطره وثلجه
يقول لك طبيبك كل يوم : « لا تهمل تدققة
قدميك ، واحذر البرد والزكام وذات الرئة وذات
الجنب » فتحسب ألف حساب وتتخذ ألف حيلة :
تكتسب القميص الصوف ، وترتدى اللطف
الثقيل ، وتنتحل الحذاء اللطيف ، ثم لا يمنعك
ذلك من أن تقضى شهرين فى السرير . ولكن
حينما يعود الربيع بنضرة عوده ، وبهجة وروده ،
ونسيمه الفاتر الذى يرخى المفاسل ، ونفسه
الماطر الذى يبلبل الصدر ، لا نجد من يقول
لك : « حذار من الحب ياسيدى ! إنه يتعبك
فى كل مكان ، ويترصك فى كل حين . كل حيلة
منصوبة ، وكل أسلحته مشحونة ، وكل غدراته
مهياة ! حذار من الحب ! حذار من الحب ! إنه
أشد خطراً من الزكام وذات الرئة وذات الجنب .
إنه لا يشفق ولا يرحم ، ومن طبعه أن يحمل نحايه
على أن يأتوا من السخف والحق ما لا علاج له
ولا حيلة فيه » أجل ياسيدى ! إن من رأى أن
تكتب الحكومة فى كل عام بالخط الثقيل على
الجدران هذا الاعلان : « هار الربيع ، فاعزروا بها
التفسير من الحب » كما يكتبون على أبواب المنازل
المدهونة : « احذروا من الدهان ! » وما دامت
الحكومة لم تفعل فافى أقوم مقامها فى ذلك وأقول
لك : « احذر من الحب ، فإنه يهم أن ينشب فيك

والمرء يا سيدي يعود بهيماً خالصاً في بعض أحيائه .
ثم غنت وهي نائرة المشاعر مستطارة اللب ألف
أغنية : منها الرفع ومنها الوضع ؛ وفي هذه اللحظة
كانت هذه الأعلى وتلك في مسمى سواء في براعة
الشعر وسمو اللحن . فأنفعلت أشد الانفعال وكادت
أبكي من فرط التأثر

أدركها التعب بعد قليل فقدمت على منعدر
ممشوش ، وقدمت أنا بجانبها وتناولت يديها
الصغيرتين ، غرك شفتي عليها ما وجدت
على أاملها من آثار وخز الارة ، قلت : هذه
هي الملامت المقدسة للعمل . فقالت : آه يا سيدي !
أندري ماذا تدل عليه الملامت المقدسة للعمل ؟
إنها تدل على المصنع صاحب بلغو الزميلات ،
والسمع الملوث بأغصن الحمسات ، والذهن اللدنس
بأفقر الحكيكات ، والمغفل الثلوم ، والمرض الككوم ،
وفضول الأحاديث السخيفة ، وغشاة الأفكار
الضخيفة ، وشقاوة الحياة اليومية ، وعلى كل
ما تتخلق به المرأة المامية العامة من ضيق الفكر ،
وهجر الحديث ، ووقاحة التبذل

ثم حلق كل منا في عين صاحبه طويلاً .
آه ! ما أقوى عين المرأة ! ولقد ماتت وتفرقت
وتسيطر ! ما أعمق هذه العين وأملأها بالعود
والأحلام والأسرار ! لقد قالوا : إن العين حراة
القلب . وما أبعد هذا القول عن الصدق يا سيدي !
فإن المرء لو أطلع من العين على دخيلة النفس لأبصر
رشته وأقلع عن هواه ؛ فلا تصدق !

فأزرى وجن جنوني ، فهممت أن أنمها
إلى صدري فقالت : دع عنك هذا ولتسقط الخالب !
حيث جذوت على قدميها ، وفتحت قلبي بين يديها ،
ثم أخذت أدين على كبتها كل ما كان يكفطني من
الحنان وبكريتي من الحب .. فدهشت لاضطرابي

شيء كأنما ما كان . ذلك هو الحب الذي كان يدبر
حيله وينصب شراكه
وفي (التروكلدرو) على حين بنته صعدت إلى
الباحرة فتاة في يدها صرة وجلست أمامي . لقد
كانت فتاة المحاسن يا سيدي ، ومن العجيب أن
النساء يظهرن في أيام الربيع أحسن وأجل ،
إذ تبدو عليهن الجهارة والفتنة وشيء خاص
لا أدريه كأنه شرب النبيذ بعد أكل الجبن

نظرت إليها ونظرت إلى ؛ وكان ذلك حيناً
بعد حين كما فعلت صاحبك . وأخيراً خيل إلى
من طول ما أدمننا النظر أنسا تمارفنا ، وأن ذلك
التعارف يميز لي أن ألقاها الحديث ، فكلمتها ،
فأجابت على كلامي ؛ وكانت لطيفة الروح ، طيبة
الحديث ، فأطربني يا سيدي وأسكرتني

وفي (سان كاو) زلت وزلت ، وكان الذي
مهما عملاً مطلوباً لبعض الناس فذهبت تسلمه . فلما
رجعت كانت الباحرة قد رجعت . فأخذت أمشي
بجانبي وعذوبة الهواء تنتزع مني ومنها زفرات
تصعد ، فقلت لها : إن الجوف في الغابات يكون أروع
وأمتع . فقالت . أي نعم ، فقلت لها : أتحبين
أن تجولي هناك جولة ؟ ففقدتني خلسة بفظورها
السريع كأنما كانت تقدر في رايها كم أساوي ، ثم
زلت على اقتراضي بعد تردد قليل

ها نحن ذان نسير جنباً إلى جنب وسط
الأدواح والأشجر ، ولا يزال تحت الأوراق بعض
الجليد ، والعشب الطويل الكثيف ذو الخضرة
اللامعة يشرق في ضوء الشمس ، ويشرق بلبابين من
الحشرات تنحلب وتماشق أيضاً . وكانت الطيور
تسبح في كل مكان ؛ فأخذت صاحبي تركض وتتب
تكشوي من صفاء الهواء ووضاء الربيع ؛ وجمعت
أنا كذلك أنبها فأعدو كآدمو ، وأطفر كآظفر .

اسمع ماذا حدث :

« وحدها لا تقتر طول النهار عن السباح والشم . ثم هي لا تفهم قولاً ولا تعرف علماً . ترثرة فياضة تصم الأذان ، وغناء متصل يصدر الرأس . تشاجر الفحام واللحام ، وتقص على البوابة دخائل البيت ، وتقش إلى خادمة الجيران أسرار الفراش ، وتفسح زوجها بالمطالب الباعطة ، وتدفع في صدره بالحكايات السخيفة ، والاعتقادات الباطلة ، والآراء الفائلة ، والأحكام المسرفة ، حتى أ كاد أبكي ياسيدي من القنوط والخيبة كلما تحدثت إليها »

ثم غلب الرجل الانفعال والوجد فصمت ؛ وأدركني على هذا المسكين الساذج رقة ، فأردت أن أجيّب عن كلامه بشيء ، ولكن الباخرة كانت قد وقفت على مرافق في سان كلو

نهضت الفتاة التي غزت فؤادي ومرت بجاني وهي خارجة ، فألقت على نظرة عن عرض ، وبسمة عن دلال ، ثم زلت ؛ فهمت أن أتب وراءها ، ولكن جاري أمسك بكبي ، فحاولت أن أخلص منه بحركة عنيفة فتشبث بطرف سترتي وجذبني إلى الوراء وهو يقول بصوت لفت إلينا الراكبين : لن نذهب ! لن نذهب ! فتضاحك من حولنا الناس ولبثت في مكاني جامداً محقق الصدر ، لا أجرو على شيء أمام الهزم والفضيحة ، حتى عادت الباخرة ؛ وبقيت الفتاة

على المصيف تشيعني بالنظر الحزين الخائب

وصاحي إلى جاني بفرك يده وبهمس في أذني قائلاً :

« نالّه ، لقد أسديت إليك يداً لا يتقضى شكرها أبداً الدهر ! » الزيات

واغلابي ونظرت إلى عن معرض وكأنا تقول في نفسها : « آه ! هكذا ينبغي أن يكون المبت بك والهيمنة عليك يا صاحبي ، وستري ! » والرجال في الحب ياسيدي صرخاء سذج ، والنساء فيه تاجرات حواذك

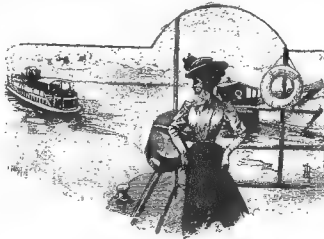
لقد كنت وقتئذ أستطيع الاستيلاء عليها ماني ذلك شك . ولقد أدركت هذا الخطأ بعد . ولكنني ما كنت أريد الجسد ولا أنشد اللذة . إنما كنت ابني حنان المرأة المختصة ، وجمال المثل الأعلى

فلما فرغت من بث نجواي وإعلان هواي نهضنا فمدنا إلى سان كلو ولم أفارقها إلا في باريس . وكانت لدى عودتنا كاسفة البال ساهمة الوجه فسألتهما عن سبب ذلك فقالت : هذا نهار من النهر التي لا تشرق في حياة المرء إلا قليلاً « نفق قلبي حتى كاد ينشق صدرى من شدة خفوقه

لقيتها في الأحد التالي ، وفي الأحد الذي بعده ، وفي سائر أيام الأحاد . فذهبت بها إلى بوجيفال ، وسان جرمان ، وميزون لافاييت ، وبوامي . وغشينا كل مكان من أمكنة العاصمة يرتاده الحب ويتردد فيه النزل . وكانت المذاكرة لا تألو جهداً في إذكاء هواي واضرام شوقي ، حتى فقدت صوابي فلم تحض ثلاثة أشهر حتى تزوجتها

وهل يقلل

غير ذلك ياسيدي موظف يعيش وحده من غير امرأة ولا مرشد ؟ لقد حدثته نفسه أن الحياة مع الزوجة ستكون سعيدة رغبة . ولكن



الحَقْدُ الضَّالِعُ

أقصو مصرية

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

الحظ ألفينا الطريق غاصاً
بالسيارات فتمعجنا أولاً
ثم تذكرنا أن هذا يوم
للأحد فلا عجب إذا كان
الكثيرون قد أقبلوا
على السويس ليقتضوا
اليوم فيه .

وقطعنا بضع عشرات
من الكيلومترات في
سلام وفي ضحك أيضاً ،

ثم بلغنا أول صرقت في طريقنا فأشرت على ابن عمي
بأن يضع ناقل السرعة في المحل الثاني فعمل فوقفت
السيارة في منتصف الانحدار . وكنا لا نزال مكاننا
حين وقف المحرك للمرة العاشرة . فآفترحت عليه أن
يكف عن العمل وأن يضطجع ويشمل سيجاره .
ولكنه هز رأسه وقال : « هل أرجع بها
الفهقرى ثم أبدأ من جديد ؟ »

فقلت له : « كلا ... إنى أفضل لسخافتى أن
أواجه الموت » .

وقالت أختي : « هل نستطيع أن ندفعها
بأيدينا حتى نبليغ ذروة هذا المرتفع ... » .

قلت : « كلا ... إن زنتها لا تغل عن طين »
وقال ابن عمي : « لن أسألك عن السبب في
وقوعها كلما حاولت أن أحملها عن السير فاني أعرف
جوابك ، ولكني أؤكد لك أنى أضع ناقل السرعة
في مكانه بأقصى مايسع إنساناً من الترفق والبطء ...
وإذا كنت تريد أن تعرف رأيي فهو أن السيارة
قد أصابها تلف » .

قلت : « سيصيدها التلف على التحقيق إذا
ظلت تحاول أن تدبر المحرك ثم توقفه ... فستنفد

رجلنا من السويس على محل - أختي وزوجها
وأنا - وكنا نقضى فيها أياماً فتلقينا نبأ من خادمتنا
القديعة الأمينة « فرحة » بأن ابن عمدة قريبتنا قدم
وسيزل علينا ضيفاً لإجابة الدعوة قديعة نسيناها ،
فأسرعنا فأقبلنا على الحفائب نحشوها حشواً بلا
عناية بترتيب لنكون في البيت قبل أن يصل .
ومضى ابن عمي - زوج أختي - فجاء بالسيارة .
وكنت قد هضت ساقى قبل ذلك بيوم فلم يبق مفر
من أن يسوق هو السيارة وإن كان لا يحب ذلك
ولم يتلق فيه إلا بضعة دروس قليلة . وكان الأحجى
أن نستأجر رجلاً لهذا ولكننا كنا نحرص على
ألا يكون معنا غريب يأخذ بوجوده الطريق على
حريتنا في الكلام والضحك والهو . وقد عزيت
نفسى بأن طريق السويس سهل والحركة فيه قليلة
فلا داعى للخوف . وفي وسعه أن يخطيء كما يشاء
فلن يضيره أو يضربنا ذلك وإن كان يحشى أن يعطلنا
ويضيع وقتنا .

وجلسنا الى جانبه وجلست أختي على القعد
الخلفى وطمانتها بأنى وأنا معه سأكون السائق
الحقيق وأنه لن يفعل إلا ما أمره . ولكننا لسوء

من المرتفعات وصار الطريق بعد ذلك سهلاً منبسطاً فشكروناه ؛ ولكن أى شكر يمكن أن يفي بحسن صنيعه ومروءته .

وجاء الصيف ، وكان مساء ، ثم كان صباح . ولم يكن النهار قد ارتفع ولا كانت الشمس قد علت لما دخلت على «فرحة» توقظني قبل موعدى المألوف بساعتين وتخبرنى أن أختى تصبح على وتدعون إليها فى غرفتها . وقد عجبت وحق لى أن أعجب فما أعرف موجياً لأزاحى فى مثل هذه الساعة المبكرة - السابعة من فضلك - ومع أختى زوجها : فما حاجتها الى ... وقد حاولت أن أهمل هذه الدعوة ولكن «فرحة» أبت أن تغضى عني وتدعى أستاذف النوم فتمطيت وفركت عيني وتناهت وقالت لها : « ما ذا هناك يا فرحة ؟ ... »

فقال بلهجتها الهادئة المطمئنة وصوتها اللين الثبرات الذى لا أذكر أنه ارتفع عن هذه الطبقة مرة واحدة فى عشرين عاماً قضتها معنا منذ كانت طفلة : « أعلن أن الأمر يستدعى وجودك » .

وفرحة عاقلة ذكية وحريصة دقيقة العبارة ، وقد رباهما أبى مع أختى وعنى بتعليمهما أيضاً ونجّل لها حصّة فى الوقف الذى وقفه قبيل وفاته ، وكانت هذه مفاجأة سارة لنا فقد أحببنا فرحة حب الأخت وكانت هى - وما زالت - ربة البيت . ولسنا نعاملها معاملة الخدم وإنما نمدّها واحدة منا : لها علينا مثل الذى لنا عليها . وحسبك منها أنها ما أخذت فى حياتها معنا أجراً على خدمة ، وأنها بعد وفاة أينا لم نحاسبنا قط على ريع حصتها وإن كنا نودعه البنك باسمها ، فإذا أرادت ثوباً أو خاتماً أو غير ذلك طلبت ذلك منا كما يمكن أن نطلبه أختى منى أو من زوجها . فإذا كانت تقول الآن إن

الكهرباء وتحتاج كلاً أردت إدارة المحرك أن تنزل وتدير المحرك بالنفيللا ... وقد ينفعك هذا فيفريك بالتفكير قليلاً .

فصاح بى : « تقن أنى لم أفكر ... أتوهم أنى لا أفكر الآن ... إن رأسى يكاد ينفجر من فرط التفكير ... » .

فضحكت أختى فصاح بها : « نعم اخشى ... أنظرى الى الجانب الضحك ... ولم لا ... قد بطير عقلى ، ولكن هل يجوز أن ينمناك هذا من الضحك ؟ »

وداس برجله الزريريد أن بدر المحرك ... ووقفت السيارة مرّات أخرى لا أذكر عددها ، فاضطجع وأغمض عينيه وراح يقول : « لا فائدة ... قضى الأمر ... وأنا واثق أنه كتب علينا أن نبقى هنا الى الأبد ... ومن يدري ... ربما كان فى الطريق مارد فى يده سيف مسلول ... والسيارة تراه وإن كنا نحن لا نبصره ... من الميث أن يقاوم للمرّة القضاء والقدر ... كلا ... لا تتكلموا فاني أوتر أن أقضى نحبي فى سلام وبغير ضجّة ... » وفى هذه اللحظة وقفت إلى جانبنا سيارة ونزل منها رجل لم نكد نبصره حتى أيقنا أنه انجليزى ، وحقن هو ظننا فقال لنا بلفته : « هل أستطيع أن أساعدكم » .

فشرحت له الأمر وعرفته خطبنا فابتسم وم بكلام ، ولكن ابن عمى قال له : « امض عنا ... اذهب ... وحدك ... إن أماننا مارد وقد حذر السيارة من المضى ، ففهمت عنه ... كان صريحاً جداً فيما قاله لها ... اذهب وأرجو لك السلامة » فابتسم الرجل ودعاه الى النزول واتخذ مكانه وصعد بنا الى رأس التل ، ولم يكتف بذلك بل ظل معنا - على مسافة منا ... وراءنا - حتى فرغنا

لى غرفة من أجل شخبرى . . شخبرى . . ليتك
ترين نفسك فى المرأة وأنت ناعمة . . إذن لرأيت
كيف ترمين اللحاف وتضربين برجلك هنا ويديك
هناك . . كالأطفال بلا أدنى فرق . . لقد تزوجت
طفلة حين تزوجتك . . تقول شخبرى . . مثل
هذا الطمن القبيح على سيدها وتاج رأسها هل يليق
يا فرحة ؟

فابتسمت فرحة ولم تقل شيئاً وماذا عساها
تقول وشخبره يزجج الجيران حتى لقد جلا السكان
عن هذا الحى وغربت بيوت أصحاب المائر فيه
وقرت نجة الضحك أخيراً — ولكل شىء
آخر — فقلت : « ماذا كان ثلوك هولز خليقاً
أن يصنع فى مثل هذه الحالة . . »

فصاح بى ابن عمى : « دع الفلسفة من فضلك . .
الأمر واضح . . البيت موحد من كل ناحية والمناذ
كلها مسدودة فالذى أخذ المقد لم يبق من الخارج
وإنما هو ولا شك واحد بمن فى البيت . . . »
فصحننا جميعاً — ما عدا فرحة فأنها مؤدبة —
« برافو . . برافو . . »

فلم يمسأ بنا ومضى يقول : « الجديدي علينا هو
ابن المدة فهو السارق »
فلم نطق بهذا ومحننا به جميعاً — حتى فرحة
وإن كانت مؤدبة —

فلم ينهمز وقال وهو يعود إلى المجلس على الحشية :
« لا بأس . . ولادامى للصباح . . المسألة بسيطة . .
إذا لم يكن هو اللص فن عسى أن يكون غيره ؟ . . »
فقلت : « أنت مثلاً . . لا . . »
فقهقه ؛ فقلت : « ألا يمكن أن تكون قد
أخذته لتضمه فى مكان أمين ثم نسيته كمداتك ؟ .
إنك هكذا وأنت تعرف ما يكلفنا نسيانك . . قم
انظر أين وضعت المقد . . واذا ذكر الاسفنجة . .

الأمر يستدعى وجودى فقد صار القيام لا بد منه .
ودخلت على أختى وورأتى فرحة ، فألفيتها
مستلقية على السرير فى منامة قمرية مزركشة ،
ومعتمدة بكوعها على وسادة وثيرة مريضة محشوة
بريش النعام ، وخدها على راحتها ، ويسراها على
نفدها ، وبين أصبعيها سيجارة ، وكان منظرها فائناً
فانها جميلة مشوقة ؛ وكانت هذه الرقة تبرز خطوط
جسمها الرشيق وبراعة الانحناءات فيه . وكان
زوجها قاعداً على حشية فوق السجادة فنظرت
منها إليه وقلت : « لا عجب أن تدللها . . لست
بإنسان إذا لم تفعل . . »

فابتسمت مسرورة ، وأدنتنى منها وقبلتنى .
وقالت : « اجلس هنا . . الى جانبي على السرير . .
وأنت يا فرحة . . قصى عليهم الحكاية . . »
فأراحت فرحة أناملها على شباك السرير ،
وأشارت بيدها الأخرى الى منضدة صغيرة قريبة
وقالت : « قبل أن أترك الغرفة وضمت يدي عقدها
(وأشارت الى أختى) على هذه المنضدة ، وفى الصباح
دخلت عليها فلم أجده . وسألها عنه فقالت إنه فى
مكانه ، فذهبت الى البك (تعنى زوجها فان فرحة
مؤدبة) وسألته فجعل يضحك ويتحسس عنقه ويقول
إنه ليس هنا . . هذه هى الحكاية »

فقلت متمالها كلامها : « فنجتم بشرلوك هولز
ليحل اللنز ويهتدى إلى السروق ويضع يده على
الاص . . أشكر لكم هذه الثقة العظيمة »
فقلت لأختى وحى تضحك : « الفو . . الواقع
أن كل ما أذكره هو أنى قت بالليل وغبت عن
الغرفة دقائق ومررت فى غودى بفرقة هذا الزوج
الصالح ، ولكن شخبره كان عالياً فهربت »
فهنس ابن عمى محتجاً وقال وهو يتمشى :
« شخبرى . . هل تريد أن تقولى إنك أفردت

ولا أحتاج أن أقول إننا استقبلنا يومنا مكتئين
سهميين عزوين ؛ فأتى للمقد قيمته الذاتية
والمعنوية ، وقد كنا نتكلف المرح ونبدى صفحة
البشر وتلقى الأمر بما يشبه الاستخفاف ؛ لأننا
اعتدنا أن نواجه الأمور على هذا النحو ، وربما أبوانا
على الجلد وضبط الاحساس . أما أحمد فكان
بطبيعته هزلاً يركب الحياة بالدعابة والبشاشة
والعشق ، وقد أحينا وأحبنا وأنسبنا وأنسنا به ،
فعلش معنا وأثر يميننا على بيت أبويه وانتهى الأمر
بما كان لابد أن ينتهي به - أى أن يتزوج أخى -
ولست أعرف أسرة أخرى تعيش هذه العيشة
السعيدة الرغبة ، وحسبك أن المسال موفور وأن
الطباع رضية والأضحية متطابقة

ومن عادة أحمد أن يغنى وهو فى الحمام . ولست
أعنى أنه يغنى الأسوات الشائعة ، وإنما أعنى أنه
وهو فى الحمام يصف كل ما يعمل ويرفع الصوت
بالفناء بهذا الوصف ، فإذا كنت على مقربة من الحمام
لم يسمعك إلا أن تسمعه يقول - أو يغنى على
الأصح - « أين الاسفنجية ياسيدى ... لابد أن
تكون هذه الزوجة المهمة قد ضيعتها ... ومن يدري
يا حبيبي ... فقلها خباتها عمداً ... أه ياروحى ...
وأين الكبريت ... أظنى نسيت ... هذا خازوق
يا حبيبي ... وكيف أسخن الماء الآن ... يا لعنة
الله أنزلى رأس الذى اخترع التدفئة بالغاز ... أه
يا عيني ... والله وحشة ... نجد الكبريت فلا نجد
القرش الذى نضغه فى الثقب لينطلق الغاز ...
ويسخن الماء فلا نجد الاسفنجية ... واجد كل
ذلك وأهلم فى الحوض وبدأ الشمر بالراحة وإذا
بالغاز قد فرغ ... وأخذ الماء يبرد ... ويجب أن
أخرج من الحوض لأضع قرشاً آخر فى الثقب ...

قبل أن تمرض وتخرج ... قم من فضلك »
وقالت أختى وهى تمتدل فى جلسها : « يا سليم ...
إنى لم أخطئ حين أزججتك ... كلا ... وأنا الآن
واقفة أن ابن العم قد نسي أين وضعه ... »
فصاح بها محتجاً : « ولكنى ياستى لم أدخل
غرفتك ... ودعتك - أعنى قبلك ولا مؤاخذه
يا سى سليم فإن هذه عادة الأزواج - ثم لم أعد ...
فكيف يمكن أن أكون قد أخذته ؟ »
فقلت وهى تقف : « تذكر ... حاول أن
تذكر ... »

وزدت أنا على قولها : « جرب مرة واحدة
أن تسلك هذا الرأس محملاً ... لا تخف أن
تتعب ... »

فضى هنا إلى الباب وهو يقول : « إنى ذاهب
إلى الحمام ... »

وهنا ينبغي أن أقول إن المقد الذى ظلم مما
ورثناه من أى وهو من اللؤاؤ النفيس ، وكانت
حياته نجوم مائتين وأكثرها من الكبار فى حجم
الفولة ، وقد رأينا أن نجعل منه عقدين : واحد أصغراً
أعطيناه لفرحة ، وبقي الآخر لأختى ، فقد كانت
إذا لبسته تلقه صفوفاً على بحرها الجميل فأثرت
التخفيف . على أن الأمر لا محل فيه للتخمين فقد
قالت فرحة إنها وضعت على المنضدة وفرحة صادقة ،
ثم إن ذاكرتها لا تخونها أو تعابها كما تعاب ابن
عمى - أحمد - ذاكرته . ولم يكن أسخف من
قوله - وإن كان يمزح على عادته - إن ابن العمدة
- حسن - هو الوحيد الذى تتجه إليه التهمة
فإن حسناً هذا من سرات الناس وهو فوق ذلك من
أقرباء أحمد الأدينين ، وقد ذكرت ذلك لأريك إلى
أى حد يذهب أحمد فى مزاحه

أخفته الزوجة الصالحة لأشترى لها عقداً سواء ...
النسوان ملاعين ياروحى ... قالوا المقد ضاح ...
ضاح فين بالله يا أهل القنوطنة ... لا يا سقى المقد فى
الدولاب ... والفرض مرضى ... »

وكان يبدى ويبدى فى هذه المانى ، فأما حسن
فلم يفهم وكان ينظر منى إلى أختى ، وكان يرانا
نضحك فيتكلف الضحك مثلنا ، وأما أختى
فضحكت أولاً ثم لما سمعته يتهمها بأنها خبات
المقد لظالمة بحيلة تجمعت فشدت على ذراهما
فنظرت إلى مبتسمة ومرت رأسها وعاد إلى وجهها
الاشراق ، ولكنها لم يسمها إلا أن تقول لنا ونحن
نمضى عن الحمام قبل أن يخرج هو علينا « شف ...
ينسى ابن وضع المقد ثم يدعى أى خباته .. طيب .. »
وقال حسن : « ألا تقولون ما هى الحكاية »
فضحكت وقالت : « الحكاية باختصار أن
أختى لا تجد عقدها ... وأحمد يتهكم بسرعة
المقد ... لقد سمعته بأذنك .. والآن أفهمت ؟ »

وكانت هذه صدمة فان معرفة حسن بأحمد
يسيرة ، وإن كان من أقارب الأديف ، ولكنه
احتمل هذه الصدمة ، وأسرعنا نحن ففرقناه
بأساليب قريبه فضحك معنا ، ولكنه مع ذلك صار
يطرق من حين إلى حين كأنما يحدث نفسه بشئ
وخرج أحمد أخيراً ، ودخل علينا وفى يده
خليفة بتأملها وينظر إلى الصور التى فيها لما كانت
له عناية بقراءة الصحف ، وجلس إلى المائدة وأدار
عينه فبا عليها ثم سأل : « ماذا أعددت لنا يا امرأة ؟ »
فانغمست أختى هذه الفرصة وصاحت به :
« ألا تنتظر حتى يستعد الباقون للأكل .. ماهذه
الشراة .. ثم كيف تزعج أفى أخفيت المقد
لتشترى لى سواء ؟ »

فقال ببطء : « الجواب على السؤال الأول

وأبحث عن الكبريت ... والكبريت مبلول ...
معلوم يا سيدى ... أو الكبريت فرغ ... طيبى
أصبح ... ومن يسمع ... أليس البرنس وأخرج
لأجى بكبريت ... خازوق آخر يا حبيبي ... لقد
نسيت الفساز مفتوحاً ... فالحمام كله غاز ...
وسمخنتنى يا ولد إذا لم تفتح النافذة ... افتح
يا سيدى وابد ... ووح يا حبيبي من البرد ...
الذى سمى هذا حماماً كان ولا شك ابن حرام ... »
وهكذا إلى غير نهاية ... ومن يحصل الحاصل
أن أقول إننا اعتدنا أن نقف قرب الحمام كما دخل
فيه أحمد لتعرف ما يمرى له فيه فنقع على الأرض
من كثرة الضحك . ولا بد أن يحدث له شئ
لا يحدث لسواه لأنه كما أسلفت سريع النسيان :
ينسى أن وضع الأسفنجة ، وأنه رى الكبريت
في الخوض ، وينسى أنه نسى أن يجيء منه بقروش
ليضعها في القتب فإنه يبقى في الخوض ساعة
أو ساعتين وهكذا . ولولا أنه نساء لما ابتلاه حامدين
لنضحك ولكنه أعفانا عن ذلك

وكان حسن قد استيقظ ونهض ليلحق بنا
ويجلس معنا فالتفتا عندا الحمام واقفين وإن كانت المقاعد
في الدهليز غاليا بيده فأشترنا إليه أن اسكت . ورائنا
نبتسم وأحس من هيئتنا أننا نستمع فشى على أطراف
أصابعه ووقف معنا بضئى أيضاً وكان أحمد يقول :
« قالوا المقد ضاح ... قال ضاح ... كلام فارغ
يا حبيبي ... والله ما أخذه إلا هذا الجراسى الذى
نزل فى ضياقتنا ... بالطبع سرقة ... فى عمر أمه
ما رأته مثله ... الأتارب عقارب يا سيدى ... ضاح
المقد يا سقى ... أنا المسكين يا حبيبتى ... هات لى
عقد غيره يا سيدى ... طبعاً يا ماما ... من يدري ...
لعل للمقد لم يضع ... أو هو يا سيدى ... لم يضع ...
الأرجح ... والمقول أن يكون فى الدولاب ... »

أعلم من أول الأمر أن لا فائدة . . . قلت لكم مائة مرة إن هذه الزوجة تعرف أين يوجد المقدس . . .
نعم هي خبائه

فصاحت به : « ألا يمكن أن تمسكت . . . »
فقال : « أسكت ! وكيف تحملينا بكل هذه المشاق من أجل خرزات ؟ . . . »

ولم يتمها فقد هجنا به احتجاجاً على وصف حبات اللؤلؤ بأنها خرزات

ولما قرأت الضجة قالت أختي : « اسمعوا . . .
إني لم أعد أطيق البقاء هذا النهار في البيت فلنذهب إلى أي مكان آخر ولنتفقد هناك . . . »

وكان هذا اقتراحاً حسناً ، فإن بقاءنا في البيت كان خليقاً بأن يفرقنا باستئناف البحث مرة أخرى فنشقى على غير جدوى . فمن الخير أن نخرج وأن نقضي النهار في مكان آخر ثم نمود . . . ومن يدري فقد نجد المقدس تحت عيوننا حين نمود كما يحدث كثيراً . وما زلت أذكر كيف كنت مرة أبحث عن قلبي وكانت أختي مني ، فلما تعبنا جئنا على الكرامى وهمت بأن أخرج سيجارة ، وإذا بالقلم بين أصابعي . . . ومن الغريب أن أختي لم تبه في يدي كما لم أراه . . . وقد ذكرت أختي بهذه الحكاية أو الحادثة في مرجوى أن أبحث في نفسها الأمل فلا تقضى النهار بائسة مكتئبة في سرها وإن كانت تتشجع وتتجمل ولا تبدي جزءاً

وقت إلى حماي على حين راح غيري بلبس الثياب استعداداً للخروج . وكان طبيعياً أن يفرغوا من شأنهم قبلي ، وأن يستبطئوا فاني في حركة دائمة في الحمام وهم لا يسمعون شيئاً بعد أن لبسوا الثياب ووقفوا ينتظرون ، وليس أشد على المضطرب الفراق من الانتظار . فأتقوا على باب الحمام بدقون عليه بأيديهم وينقرون بأصابعهم ويدعوني أن أسرع ،

بالنفي . . . النفي البات . . . أما الشطر الثاني من السؤال فأوان الرد عليه يكون بعد الأكل ، فانه يحتاج إلى عقل ، والمقل يذهب به الجوع

فصاحت به : « ولكن كيف نجرؤ ؟ . . . »
فقال بهدوء : « من الغريب أني جئت هنا لأكل لا لأتكلم . . . نعم الأكل أولاً يا امرأة »
فقال : « هل عثيت بالبحث في ثيابك ؟ . . .
بالطبع لم تمن . . . »

فالتفت إلى حسن وقال : « شف يا حسن . . . شف . . . احذر يا بني أن تتزوج . . . لا غدر لك وقد رأيت بعينك ما تصنع الزوجات ببعولتهن . . . »
فقال حسن : « أظن أني سأزوج . . . وعلى فكرة كيف تسمع لنفسك أن تهمني بالسرقة ؟ »
فرفع أحمد يده إلى السماء ثم التفت إلى حسن وقال : « وأنت أيضاً . . . لم يبق لي عيش في هذا البيت . . . فلأرحل »
ونهض وقال : « يا امرأة إني في المكتب »

لم ندع مكاناً في البيت إلا بمحضنا فيه ، ولا ثوبا في خزانة أحمد إلا نفصناه وقلبنا جيوبه - حتى السجاجيد رفعناها ونظرنا تحتها . . . حتى الستائر مخبئناها وأجلنا عيوننا فيها ورادها وفيها أيضاً خافه أن يكون جبل المقدس قد علق بشيء منها . فلم نجد لا عقداً ولا حبة من عقد فيئسنا وحل الاكتئاب محل البشر ، فقد كنا إلى ما قبل ذلك نمتقد أن المقدس موجود في مكان ما ولكن أعيينا لا تراه . وقد أعدنا البحث مرة وأخرى لظننا أو توهمنا أننا نخطئناه بعيوننا ونحن نديرها كما هي المادة في حالة الاضطراب . ولم يكن أحمد يعطينا من مراحه في خلال هذا البحث المتعب ، فلما كفنا قال وهو يضطجع ويشمل سيجارته : « لا فائدة . . . لقد كنت

وكان الركوب يحوجني أن أحل ساق يدي لأن ثنبا كان يؤثني في موضع الركبة ، فجلست على المقعد ووجهي الى الباب وملت على ساق وهي ممدودة لأجلها وأدور بها وأدخلها في السيارة ثم اردت ضاحكا ، فسألتني أختي عن الخبر فقال لها زوجها : « دعيه .. إنه يحلم .. لا زال ناعما .. لاشك أن الحلم لن يذ... ألا ترين ... أغنى ألا تسمعين ... »

فسحبت أولا الدموع التي ترقرقت في عيني من فرط الضحك ، ثم مسحت ببطي التي سارت توجعني ... ثم تنهدت وقلت : « آخ ... مسألة ظريفة جدا ... »

فقلت أختي : « ولكن ما هي الحكاية ... أتظن أن من اللاتي أن تقف ساعة أمام الباب ؟ » قلت : « أظن أن الواجب أن ندخل .. نعود الى البيت دقائق قبل أن نخرج الى رحلتنا ... » فنهضت أختي عن مقدمها قليلا وزحفت الى الأمام مقسدا شبر ، ووضعت كفها البضة على كتفي وقالت : « لا تعذبني ... انطقي »

قلت : « لا حاجة بي الى الكلام ... خذي » وانحنيت فأخرجت المقعد المقعود من طية البنطلون عند حرفته ورفعته الى عينيها وقالت : « لقد كنت أظن أن ساق اليوم أسوأ مما كانت أظن لأنني أحسها أثقل ... فالآن عرفت السبب ولكني لا أعرف كيف سقط المقعد في طية البنطلون ... »

ولا أزال الى الآن أجهل كيف أمكن أن يحدث هذا ، وإنما الذي أعرفه أن أختي فرحت وأن ابن عمي حاول أن يركبني ببسته المألوف ، فوضعت كفها على فقه فقبل أصابعها ثم عضها فصرخت فقال : « هذا جزء من يدافع عن السراق والمصوص والخونة »

ابراهيم فهد القادر المارني

وكان أحمد يتخذ من باب الحمام طيلة وأخيرا خرجت فأي يمكن أن تكون لمستحم راحة أو لثة وعلى باب به يصيحون به ويسمعونه ما يكروه ، فلحقوا بي في غرقي ، ولكني أخرجتهم منها بجهد ، فاني مستند أن أحتمل كل شيء إلا أن يحيط بي هؤلاء الصائحون الصاخبون وأنا ألبس على أني أسرعت وعجلت لآتني شر هجومهم على كرة أخرى ، وكانت ساق لا تزال أحسها ثقيلة مما أصابها في السويس وهاضها وإن كانت لا تؤثني ، فلما صرت اليهم في الزدفة وقفت هنيئة أدعكها لأليها فسألتني أختي : « ألا تزال تؤلك ؟ »

فقلت : « كلا ، لا ألم ولكني أحسها ثقيلة » فقال ابن عمي : « كلك ثقيل يا أخي .. تعال » فقلت : « ولكني حقيقة أشعر أنها أثقل مما كانت أمس »

فقلت أختي : « طبعي هذا من الجهد الذي تكافته اليوم في البحث »

فاقتنعت وترنا الى الباب ، وكان ابن عمي قد جاء بالسيارة قبل ذلك وتركها أمام الباب ، فجلست أختي ومعا حسن على المقعد الخلفي ، واتخذ أحمد مكان القيادة ، وقلت له وأنا أفتح الباب الآخر لأجلس الى جانبه : « لعل درس الأمس نفكك ، فلا تكرر أخطائك المعادة »

فزأمت أولا ثم قال : « ولكن إذا كنتم تريدون أن أشرفكم بتولي القيادة العامة ، أفلا يحسن أن أعرف الى أين يراد مني أن أحلهم ؟ »

فقلت أختي : « أوه ... الى أي مكان ... الى القناطر الحبرية إذا شئت ... أو الى حديقة الأورمان ... أو ... أي مكان تحب »

قال حسن : « الى القناطر إذن ... اركب يا هذا أم تريد أن أزل وأحلهم ؟ »

— ألا ترى يا صديق

القيوم فوقنا تتلبد ؟ ..

ثم السماء هي الأخرى

توشك أن تلتجنا ...

أليس الرأي عندك أن

تؤوب ؟ ..

وظل الربان في موقفه

بتطلع إلى زميله وهو

مطرق ذاهل حتى رفع

رأسه من بين كفيه في

نؤدة وعناء ، وطلق برق يصره الزائع إلى السماء

رويدا رويدا ، ثم مالبث أن استرده وقد انتشر

على شفثيه بسمه طفيفة ساخرة وهو ياق جوابه

الوجيز :

— لا . لا إخالها تفعل ...

ثم عمد إلى راحتيه فأسلم إليهما رأسه المكدود

وعاد السكون الحاد قائما فوق رأسهم ما من جديد ..

لم يكن توفى ملاحا خبيرا ، وكنت أحنو عليه

حنو الاخوة لأن أمي — أعزها الله وأكرم

مئواها — حملته إلى مقرنا ووضعته نيتنا رضعا

يتبا فارقة أبواه وخلفاه وحيدا ، فذب مبتلا جري

مجرانا حتى إذا بلغ مبلغ الرجل فنش من ذويه

فأوجد لهم أتركا ولانفسه مئولا غير مئولنا ، فارتضى

عشرتنا وأطمأن إلى جوارنا ... وكنت في هذه

اللائناء يافعا حلوا القسيات أملس الشمر فاحه ، رحيب

ما بين المنكبين مستوى المود فارعه ، وكان توفى على

تقيضي ضاويا تحيلا مسكنا اللون لا يفيق قط من

أحزانه ، صموتا أبدا من غير سبب أو علة ظاهرة ...

يكفه بدنه وينافو — متلفذا مرناحا — في تمنيته

وتجشيمه سنوف التمديب والارهاق ...

ماتت

أقصصة انجليزية

بقلم الأديب أحمد عبد العظيم شحانة

... لو أنك ترفقت قليلا في سيرك ، ولم تك

مسرعا الخطو وأنت تطوى حافة الميناء منذ عشرة

أحوال قضت لاحظت زورقا فضي اللون جذبا

يحتمله النهر — في خفة الليل — فوق صدره الثائر

المرتجف ، وقد توارى من صفع الرياح القاسية في

ناحية قاصية خلف سد منيع قائم بين الأمواج ...

فاذا ما الفجر انبثق وجري نسيجه الوافي

الرقيق ، انفلت الزورق من قيده ودلف إلى عرض

النهر هادئا وادعا ينساب كالثيمان ... يغمره سحر

الفجر وجلاله ويلفه صمت رهيب متصل ... وفي

سويمات الظهيرة ، وقد احمرت عين السماء وعم

الضجيج ودبت الحركة ... هناك يتراءى من وراء

الأفق البعيد شراعه الناصع الرقيق مقبلا يتهدى

في فتور وعناء ، وقد أقتض ظهر الزورق الرشيق

أكوام السمك للقاعة ذات البريق ...

وتوقف الربان فوق رأس الزورق بين الأمواج

الوادعة ذات صباح منصوب الصدر صرغوع الهامة

يرنو إلى السماء ويميل عينيه في أنحائها برهة موجزة

لا ينشب بعدها أن يتحول منها قائلا رفيقه للطرق

النكتيشب :

بابنا الصغير فالتفت يدي على مقبضه ، ولكنني دفعت دفعا هينا رفيقا حتى لا يسمى صديق ... كنت أبنى أن أجاه إلا أنني ما كدت أخطو أول خطوة حتى وقع بصري على فتاة رقيقة فائسة ما كدت تلمحني في مكاني حتى بادرت إلى فائلة في لطف ودعة : هأنذي ياسيدي .. أستطيع أن أقضى لك حاجة ؟

عراني وجوم شديد وتولتني وقتئذ الحيرة ، فمدتني إلى لساني استحنه واستنضه همته فغذلي الثرثار ولم ينس بشير هذه الكلمات القليلة أتني بها من مكنته ، ثم طوذه جوده وتصلبه : نعم .. خدمات كثيرة يا أنسة ... وما كدت أفرغ من إلقاتها حتى رن بنبته من وراء الحجرات صوت رخم بدد السكون الخيم وملأ أذني كما ملأ جو الغرفة .. وتبينت هذا الصوت جيدا فإذا به .. يا عجا ! إنه صوت توني ! توني ينهي ... توني الكتيب النقبيز ... تلك لعمري إحدى المعجزات ..

وهفت نفسي إلى رؤية هذا النظر العجيب ودرت على عيني أحاول المدو إليه قبل أن يرتد إليه حزنه ، إلا أنني والحق أقول ألقيت نفسي عاجزا وأطرافي جامدة لا تقبل الحركة ، وأحسست رغبة وجنوحا قويا للبقاء ، فلبثت في مكاني أجبل عيني في قواصم الساحر الممشوق .. في خديها الناعمين .. في قوامها القوي .. في ساقها المتناهي .. في ...

— سيدى ما حاجتك ؟

ووجدت لساني قفلت : ولكن خبريني أيتها الأنسة الصغيرة ماذا تفعلين هنا ؟ فأجابني وقد غطي الدهن صفحة وجهها الجميل :

وكنْتُ لا أملك وإياه من متاع الدنيا شيئا غير هذا الزورق الذي يسى كل يوم مع الشمس ، وحانوت مثيل حرج نبيع به السمك الذي نصيد .. ولكن لم يمد يوما غرقتين باردتين عاريتين تقومان خلف الحانوت بقليل ..

وأحسست يوما أن صدري يضيق وأن قلبي ينقبض ، فشئت إلى الفضاء الواسع الذي يحاصر مسكننا الناس الراحة والهدوء ، غير أنني ما كدت أنقل فيه بعض الخطى حتى أعظم الكون في عيني وأحسست أن الأرض تعيد تحت قدمي .. وبادرت مني حينئذ صرخة دوى بها الفضاء .. وألقت ببصري إلى الأرض في لفتة وسرعة ، فإذا الدم يتصبب من قدمي حاراً غزيراً .

لقد قيل لي يومئذ إن سماراً حاداً منتصباً ، هو الذي وطنته قدمك شبه المارية ، فكان هذا الدم القاني الذي روعك ... ولكنني في الواقع لم آبه لشيء مما وقع إلا عندما أبصرت القبح يوما يطوق فوهة الجرح من كل جانب ... عندئذ تميرب إلى الخوف ، ولم أجد إذ ذاك بداً من أن أهرع إلى المستشفى ... وهناك في طريق بدالي طيف صديقي وحيداً صامتاً ينهض بأعباء عملينا الناصبة الضنية والورق يتفصد من بدنه الناحل المزيل ... لقد أخذتني الشفقة به فأجمعت عليه أوصيه أن يترفق بنفسه وأن يشرك معه من يقوم مقامى حتى يحين أوبى ..

وانصرفت أسابيع قلائل أنفقتها جميعاً تحت سقف المستشفى حتى اندملت قدمي وقاربت الشفاء عندئذ رأيت أن أفارق عيى فشخصت إلى مقرنا من غير أن أعلم صديقي ... وأدركت

أنفاسها الدفينة المذاب...

واضطرب جبها الملتصقان وانتهت مذعوراً
عند ما اخترق أذنى صوت من أقصى الغرفة...

لم ألك أقدر أن ثالثاً معنا يشهد كل ما جرى
منا .. كان جامداً كالتمثيل يتصبب منه الدم والألم،
ولم أدر لم كان يصوب إلينا هذا النظر المروع الخفيف .
وأخذ يتقدم نحوي متكافئاً السرور وهتف في صوت

متهدج تلوح فيه رنة الأمل العميق :

— هانت ذا أخيراً أحجم ! كيف أجذك الآن؟
كيف حال قدمك؟ ولكنك لم تنبئني بموعده قدومك
إنه جيم يا ماريا صديق وشريك

وأمسك عن الكلام هنية وطفق يمسح جبينه
بيده ويقبض على فككه، ثم عاد ينظر إلى مستأنفاً
قوله : (صديق .. أريدك وحيداً .. في مكان خلى .
أريد أن ألقى إليك سراً)

وأمسك بذراعي وكان طبيعياً ألا أحجم أو
امتنع عليه، فاستسلمت له واتحدنا إلى الطريق
ومضينا فيها جنباً إلى جنب صامتين واجمين لا أحده
ولا يتحدثني ...

وقف توتى من السير فجأة، فالتفت إليه
فابتدري ضارعا مستهطفاً :

— أأنت تعلم يا صديق أنني قضيت العمر
حزيناً كاسف الببال موجه القلب : . حتى قبض
الله لي ماريا؟ كم أحبها يا صديق ... لقد بمثت في
الحياة .. بددت عني الهموم . تصور أنني أصبحت
كلها بالفناء ! دعها لي يربك ولا تصرفها عني ...
إنك جميل ؟ وإن شئت سأل إليك كل النساء ؟ أما
أنا فخلقني سبي ووجهي دميم ، لا أنور إلا بسفرهن
لقد مسست كلماتي مني موضع الألم فأقبلت عليه

— إنني أبيعك ... أنت أو غيرك من هذا
السلك ... أنا ماريا، أما أنت فأجهلك ويخيفني
منك سميتك ونظراتك ..

— ولكن هيبني كتمتك حقيقة أخرى
فوزت كتفها الصغرى ومدت شفها الدفينة
قائلة :

— وماذا بضيرني يا سيدي ؟ بل ليتك تفعل
قلت ذلك واتخذت سبيلها إلى بعض الآنية
تتناولها واحدة فواحدة وتنفض الفبار عنها ثم
تردها إلى مواضعها، ووقفت أنا أرقبها عن كثر .
كانت رائحة ساحرة .. وجسدها فأنجماً مغرباً يشف
عنه ثوبها الحريري المهبوك ... وسفحت في رأسي
فكرة . لا بد أن تكون هذه غانية أتي بها صديق
لثلهوم . وكان السكون حولنا مرفراً والأبواب
كلها مؤصدة . يئست أطرافى واشتدت ضربات
قلبي والنهت رأسي ثم شبت النار في كياني وما
أمرع شوبها في كيان اللاح .

دونت منها وجسفي يضطرب اضطراباً شديداً
فارتدت إلى الوراء مذعورة، وكادت تولي ظهرها
فاحتوتها ذراعي المدودة وتلقاها صدري
اللتهم ... وعاجلت الفرار ولكنني استبقيتها؛ ولم
أشبر إذ ذاك بذراعي وهي تنساب مني وتطوق
جسمها اللين اللاني وتضمه إلى وهي تدفني عنها
دهشة خائفة : سيدي ما هذا ؟ فف .. تمهل ..
إنني لست عرضة للبيع سيدي .. — ولكنني لم
أسمع لقولها بل حدثت في عينيها الصافيتين الخافتين
وشعرها البعثر على عيها الوضيء ... لقد طار عني
صوابي وتلاشي السكون من أمام عيني فأهويت
بمعي على ثنرها — كالجنون — أغمره بالقبل وانشق

أحاول التزقي به عنه :

— كم أنت طيب القلب يا توني ! إن ماريا هذه ليست لي ولا لك ... سئلى عن هذا الضرب من بنات حواء ... إنها امرأة الجميع ..
ما كنت أتم كلتي هذه حتى فوجئت بلكمة قوية قاسية أطارت صوابى وطوحت رأسى إلى الوراء ، وكدت أسقط على أثرها لولا أن تماكنت قليلا وفتحت عيني دهشاً متمججاً فأنفيت صديقي برغي ويزبد ويتأهب لللكى ثانية ، فأسرعت إلى وجهي أغطى صفحته بقبضتي وما خطر لي حينئذ أن ألعنه لعلنى أن لكمة من يدي قد تؤدي به إلى التهلكة ، فصعقت به وأنا أترجع إلى الوراء أن كف يا توني ولا تكن قبيحاً ، ولكن قبضته خلصت إلى واستقرت في بطني ..

لقد صورت لي شدة الألم أن جسمي قد ارتفع عن وجه الأرض فهجمت عليه من غير وعي وضربته ضربة دار على أثرها ثم هوى بجسمه الضئيل تحت قدمي

وتهافت الناس مسرعين من كل حذب وأنجنيبت بقماتي المديدة على صديقي الممدد السريع واحتملته بين ذراعي كالطفل ومضيت به إلى صيدلية قريبة ... وسألني الصيدلاني وهو يهرول مسرعاً من وراء قواريره وزجاجاته : « ماذا حدث .. ماذا جرى له ؟ » ولكنني لم أستطع جوابه فقد كان حاقق جلفاً وكنت في شغل عنه أسلى من أجل صديقي وأضرع إلى الله أن يفتح توني عينيه وأن أرى الحياة تسرى في كيانه ... وحقق الله رجائي عندما قرب الصيدلاني يده حاملة إلى أنف صديقي زجاجة صغيرة فاهتز رأسه ثم فتح عينيه الواعيتين برق فقلت له :

— عفواً يا توني ! إنني ما قصدت إلى إيذاك

قط ولكن ...

— ولكن هيا بنا ولننس ما قد سلف لكنني كنت على يقين من أن توني لن يغيب عنه مما مضى شيء ... وانطلقنا عابدين وسبقني هو إلى الدخول فتلقت إليه ماريا ثم أنشأت تضحك ملء صدقيها وتقول : « توني ... إنك تبدو مضحكاً للغاية » ونظرت إليه فلذا لونه يزداد انتعاشاً .. هي إذن لا تنصر له الحب ... فلو كانت تفعل ماسحرت منه ولا أتخنت شفتيه الغليظتين الداميتين هزواً .. كانت لطمه أخرى عنيفة تلقاها البأس ومضى على وجهه حتى داراه باب الخدع ، وأقت أنا في مكاني وقد رأيت رايكاً خلته كفيلاً بأن يرد إلينا ههنا المفقود . لم أكن متأسسكاً بل أحسست كأن ماء بارداً يجري في عروقي عندما ناذتني فندت مني تسألني في صوت لين رقيق عما أطلب ؟ بيد أنني أخذت أقص عليها كل ما دار بيني وبين صديقي وهي تنصت لي والابتسامة على ثغرها تنسع شيئاً فشيئاً ، حتى إذا ما فرغت من حديثي أطلقت ضحكة خافتة :

— إنني لست فتاته ولا فتاة غيره يا سيدى . وهب اننى سأعشق يوماً فتى أن من أعشقه سيكون رجلاً قوياً لا شبحاً هزلاً . وكان طبعياً أن يخلص إلى الزهو فأعجب بقوتي وبنيتي ولكنني تأملت لأتنبها بما انقادت عليه نيتي

ياريا ... لقد ارفض عني الألم وأصبحت على النهوض بعمل قادر ، غير لنا ولك أن تطوحي عملاً غير هذا !

كان لكلماتي عليها وقع شديد فلبثت على أثرها مبهوتة شاخصة ، ثم اندفعت نحوى

وأمسكت بذراعي قائلة :

— جم ... أبطاوعك فؤادك أن تحرم فتاة
مثل ذرقها ؟! لقد قضيت وقتاً طويلاً مشردة
سافرة حتى وفقت إليه ... برك لا تذوق أرحل
وشرعت تبكي وتنحب ؛ ولم أك في حياتي
قد شهدت امرأة بين يدي تبكي فلا يجب إن بدا
من الضعف والخور حيال دعمها للدراة ...

مضت الأيام مضياً بطيئاً ثقيل ، ومضى كل
منا يعمل عمله في صمت وهدوء ، وأخذ توني
منذ ذلك اليوم يتجنب لقاء ماري ، وأخذت أغشى
معها قاعات اللو كلاً هوى قرص الشمس وأظلنا
الدجى .

وانبثق نور الفجر ذات يوم فولينا وجهينا
شطر الميناء . ووقفت فوق صدر الزورق منفرج
الساقين مقبض الصدر يتعلمكنى شعورهم ثقيل ،
وتحدثني نفسى بشر مستطير ... كان الضباب أمام
أبصارنا متعقداً كثيفاً ، والزورق من تحت أقدامنا
قلماً مضطرباً يتقاذفه الموج الثائر المضطرب ، والريح
تملاً الفضاء زفيراً خفيفاً مزيجاً ، وطفقت يصرى
أبحث عن توني فألفيته في قاع الزورق يمدحني
بنظرات مفرقة ويمر يده برقب فوق خنجره ،
فاشدد رعي وانفجرت صارخاً بين هدير الأمواج
وزفير الريح :

توني . لا بد لنا من المودة ... هيا اطلو
الشباك .

وامتثل توني على الفور وطفق يمجدها في تودة
ويكدها تحت قدميه وهو ثابت هادئ وجملت
أترقب فراغه بلهفة وشوق حتى أسرع بتوجيه
الزورق صوب الجنوب ، ولكنه ما كاد باتى على

آخر الشباك حتى أحسست أن قلبي قد قارق موضعه
واقضضت عليه أجول القبض على ذراعيه :

— توني لا نفعل ... رد الشباك ثانية ولا ترفضها .
أنظر إن بها (القاعة) ! إنها قال بيدي ، سيملك
ولا ريب أحداً يا صديقي .

لكنه وكأنه لم يفقه قولي ظل يضم الشبكة
إليه والسمكة الرهيبية تدنو منا شيئاً قشيقاً .

— توني ... لا تكن نزقاً ... ستجر علينا
الكوارث ... ستسوق إلينا الوبلات .

أصم توني أذنيه وتركنى في مكاني ، وانطلق
مسرعاً نحو كومة الحراب فاستل منها واحدة وعاد
فصوبها إلى السمكة الهائلة ، فلما أصابها شدها بجمل
غليظ إلى الزورق وتركها تتخبط وتتملص وتضرب
الماء تريد النجاة ...

وقصدت السكان مستسلماً ونظري لا يفارق توني
وهو يلوح بخطاف غليظ في يده حتى بلغ مربط
السمكة فأخذي ربطها به ... وارتمت أمامنا في هذه
اللحظة جبال من اللوح هائلة فانصرفت عيني إلى
الزورق وعندما تلفت إلى الورااء جدد الدم في عروقى .
كان توني على قيد أقدام منى بشغ الهيئة مخيف
المنظر يقهقه والخطاف في يده يضطرب :

— توني ماذا جرى لك ؟ ... وحت مرئاعاً :
توني هل جنت ؟

فأجابني في صوت تخنق مرتمش كشريحة
الوق :

— أجل ... أجل ... منذ شهر ثلاثة والنار
تأكل منى ... وأنت قرر المين بجاريا .

كان صوته يقرع أذنى كالطبول تغلبت السكان
ورحت أراجع وهو يلحق بي حتى ارتبطمت

قدي بحافة الزورق .

— توني ... كيف أقسم لك أني ما كنت أشعر
بأنك تمعذب .

وجف حلق وأخذ المرق يتصبب من جيبي
برغم برد الشتاء : — أريد قتلى ؟ ...

— لينني أقوى ... ساموت معك ... سيطينا
اليم ... سنصعد الى أمنا في السماء .

وحانت منى التفافة الى النهر فصرخت فيه
مذموراً :

— توني ... انتبيه ... حاذر .

ولكن كان الحب قد التف حول ساقه فانزعه
(الوحش القاتم) وحمله معه الى اليم وهو ينظر الى
مستقيماً تمتد منه اليدان ...

«وارحنا له !» قلنا وهو يثيب بين الأمواج .
«دعه يهلك ... لن يولمك أحد ... لقد أراد
لك الموت ... فليلق جزاءه» .

وسكنت الريح قليلاً فشرعت أن هاتفاً يهتف
باسم بصوت كأنها يتعذر من علباء السماء ... لقد
خيل إلى أن أي تطل من بين السحب وتصبح به :
ولدى ... ولدى ... أتقد أخاك .

وابتدرت المياه مسرعاً ومضيت أشقها بذراعي
وهي نهش جسمي نهشاً حتى رأيت صديق بين
معتك الأمواج يتخط ويتشبث فاندفعت نحوه
صائحاً : «توني ... توني ... لا ترحل ... إنني أت»
وطففت أسبغ وأرد الوج عني وأطمه بكلتا يدي
ولكن ... دون جدوى ! كان توني قد ذهب ...
كانت ماريا واقفة لدى الباب عند ما طرقت
بقدي ، فلما أبصرني وحيداً مشعث الرأس مسهباً
سألني وقد اتقع لونها : أين توني ؟

— لقد اتهمه اليم ...

وارتجت على مقعد قريب ثم انفجرت باكياً ...
وراني لكذلك إذ شمعت بيد تربت على كفي ،
فرفت وجهي فلذا بها قائمة فوق رأسي يفترنفرها
عن ابتسامة بغيضة ... لقد بدا لي وجهها حينذاك
بشعاً مذكراً .

وثار في صدري الفيط والقت الشديد فصحت
بها :

— هيا اخرجي من بيتي ... لا أطيق أن أراك
بعد الآن ... إنني أكرهك .

— جيم !!

— هيا قبل أن أحطم رأسك بهذا القعد ...
وعدت أدرأجي الى الطريق وجملت أهيمن على
وجهي ذاهلاً مشرد العقل واللباسات تندفق على فلم
أفني حتى كان الليل قد ولي مدبراً وصدر النهار
يلو وويدأ وويدأ ...

يوم جديد ! ... وأمسكت بين أهداب عيني
دمعة مترققة ... أين أنت يا توني ؟ ... في غود
الماء وحيداً ممدداً بين الصخور يخيم عليه الهدوء
والصمت كمادته ... أعمد عبر العظم سماء

الام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوة الألساني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد حسنه الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد
وثنها ١٥ قرشاً

المرأة الشاعرة

Imaginative Woman

للقصة رابطة إنجليزية تسمى هاردي
بقلم الأديب نظمى خليل

الشعر غمب ، بل وللحياة
أيضاً . فكانت إذا ما خلعت
إلى نفسها تفكر في ذلك
الزوج وفي ثروته الطائلة ،
وفي قيمة هذه الزوجة لها .
وكانت في كل ضرة تعود بمد
ذلك التفكير الطويل بالألم
والاشفاق على هذا الزوج
الذى لم يعرف قط ذلك الجو
الشعري الجميل ، جو

المواطف والخيال الذى كانت تطلق فيه مشاعرها
المكبوتة وأحلامها المذبة تبحر في ساعات خلوتها
وهدوئها

سار الزوجان حتى أتيا منزلاً صغيراً يشرف
على البحر ، وقد أحيط بمحديقة شجرها فينانة ؛
فاستقبلتهما صاحبة المنزل وأخذت تحدهما عن
ظروفها السيئة وعن موت زوجها المفاجئ . وعن
وسائل الراحة التى تمدها لكل من يقيم في منزلها .
فأعجبت مسز مارشل بالمنزل ، ولكنها أرادت استئجار
كل الغرف ، فغاب أمل المرأة في كسب هؤلاء
الضيوف ، إذ كان هناك غرفتان يشغلهما شاب
رفيق الجانب طيب القلب كريم الخلق لا تود أن
يتركها ، ولكنها تمتمت قائلة : لا بأس ، ربما يخجل
لكما هاتين الغرفتين بضعة أسابيع . وقبل أن يفرغ
الضيوفان من تناول الشاي أخبرتهما السيدة أن
صاحبها الشاب قد رضى أن يخجل لهما الغرفتين مدة
ثلاثة أسابيع . فقال السيد مارشل :

« إنه شاب كريم حقاً ، ولكننا لا نريد أن
نزعجه في مسكنه »

انتهى « ولیم مارشل » من البحث عن
مسكنه الصيفي في إقليم « سولنتس » في جنوب
« ويسكس » ثم عاد إلى الفندق حيث كانت زوجته
وأطفاله في انتظاره بمد أن قضوا سحابة اليوم في
اللو واللب . وكانت الأم منصرفة إلى قراءة الشعر
كما دأبها ، فلم تكدر تراه حتى ألقت بالكتاب جانباً
وأخافت من ذلك الحلم الجميل الذى كانت غارقة فيه
وقالت : إنى أود أن تكون قد وفقت هذه المرة إلى
منزل ملائم فقد ضقت ذرعاً من طول مكثنا في هذا
الفندق . فأجابها زوجها : إن المدينة مزدحمة والغرف
ضيقة وأخشى ألا نجد فيها ما نريد . هل لك أن
تصحبينى إلى ذلك المنزل الذى رأيته اليوم ؟ ثم خرجا
مما تاركين أطفالهما الثلاثة في رعاية المربية

لقد كان هذان الزوجان مختلفين في المزاج
والشرب ، فقد قضى الزوج حياته في صناعة الأسلحة
ونشأ في جو صناعى بحث ، بعيداً عن جو الماطفة
والخيال الذى عاشت فيه زوجته الشاعرة ، فلم يكن
غريباً من امرأة رقيقة خيالية مثل « إلا » أن ترتاح
إلى أعمال رجل مثل « مارشل » . إنها ليست عدوة

في ذلك الجو المكتئب المكفهر الذي أصبحت
تشم فيه أنها آلة للنسل وأداة للتسلية
وتشاء الظروف أن يقرن اسم هذه السيدة
باسم هذا الشاعر الشاب في إحدى المجلات الكبرى
عقب فاجعة مؤلة اهزت لها عواطفها الشاعرة
فأوحت إليهما في وقت واحد بقصيدتين متحدتين
في الروح والمادة كأنهما فاضتا من ينبع واحد، حتى
أن مدير المجلة قد نشرهما في صفحة واحدة متمجبا
لذلك الاتفاق الغريب

ومنذ ذلك الوقت أخذت «إلا» أو «جون
إيني» كما كانت تسمى نفسها تهم بكل ما ينشر في
الصحف بمضاء روبرت ترو. لقد اتخذت ذلك
الاسم لترضى رغبة كامنة في نفسها، وحتى لا يرتاب
الناس في صدق إيماءاتها إذا علموا أن هذه
المواطف الجياشة والشاعر القوية تفيض من قلب
امرأة عادية هي زوج لأحد تجار الأسلحة وأم
ثلاثة أطفال.

أما أشعار روبرت ترو فلم تكن تحمل طابع
الشعر الحديث، بل كانت فرجة لقلب مكلوم بانس
قد ضاق بالحياة أو ضاقت هي به فلم يعد يميز فيها بين
أحسن الطوائف البشرية وبين أرقاها. فكانت تلك
السيدة إذا ما قرأت أشعاره تشم بحبيبة أليمة تمز
في نفسها لأنها لا تستطيع أن تخلق في ذلك الجو
الساى الذى يضرب فيه بمجناسه القويين.
ثم مضت بضعة أشهر نشر خلالها روبرت أول
دواوينه الشعرية فكان باصورة طيبة استقبالها
الشعب يشئ من التقدير مكنه من أن يكسب
نفقات الطبع، فأغرى هذا النجاح التواضع
جون إيني على أن تجمع مقطوعاتها الشعرية المتناثرة
في كتاب واحد مؤلة في أن تصادف بعض ما ظفر

فأجابه صاحبة المنزل قائلة: لا إزعاج ولا إقلاق
فهو شاب غريب الأطوار تراه دأما حالاً مطرقاً
حزيناً يحب الوحدة ويمشق الهدوء، وهو يحرص
على البقاء هنا في فصل الربيع الباسم حيث لا أنيس
له إلا البحر؛ أما الآن فإنه ذاهب إلى إحدى الجزر
القرية كما يفعل كل عام تبديلاً للهواء. وفي اليوم
التالى كانت أسرة السيد مارشل تقيم في ذلك المنزل
الجديد. ثم مضى الرجل إلى البحر يراض على
شاطئه الجليل، وانصرف الأطفال إلى اللعب في
الغلاء، وبقيت «إلا» وحيدة تلهو بما عسى أن
تجد من كتب وأثار في غرفة ذلك الشاب. فقد
رأت رفوفاً من الكتب الغريبة النادرة قد تكس
بعضها فوق بعض في نظام خاص يدل على أن صاحبها
لم يفكر قط في أن يدأ غريبة مستمد إليها. فقالت:
سأخذ هذه الغرفة لنفسى إذ يظهر لى أن
صاحبها مفرم باقتناء الكتب. هل يمكن أن أقرأ
بعضاً منها يا مسز هو؟

— نعم، إنه أديب ناشئ وشاعر واعد، له
دخل يسير يكفيه تكاليف الحياة، ولكنه لا يشق
له طريقاً في المجتمع

— أهو شاعر حقاً؟ لم أعرف هذا قبل الآن.
ثم تناولت كتاباً فقرأت اسمه في الصفحة الأولى
فصاحت متمجبة: «بالصادفة! إني أعرف اسمه
حق المعرفة: «روبرت ترو» كذلك أعرف أشعاره.
أهذه هي غرفته؟ وهل هو حقاً الذى أخرجنه منها؟
ثم أخذت تفكر في ذلك الاتفاق الغريب.
لقد كان والدها أحد رجال الأدب البارزين فنظمت
في الأيام الأخيرة بعض القصائد أودعها عواطفها
الحزينة وأسفها على تلك الحياة الأولى، حياة الحلم
والزهر؛ حياة المرح والشباب التى ضاعت جميعها

في المزيج الأخير من الليل أن ظل بقية الليلة يقطع
الفرقة جبهة وذهوباً ، فأطار النوم من عيني ولكني
مع ذلك لم أنس به ولم أغضب
كان هذا فاتحة الحديث من ذلك الأدب
الواعد التي أخذ يصمد مدارج الشهرة في وثبات
واسمة موفقة .

وفي ذات يوم جاءتها صاحبة المنزل تلفت نظرها
الى شيء لم تنتبه اليه وهو آثار للكتابة بالقلم
الرصاص قد نقشت على ورق الحائط خلف الستائر
بالقرب من مكان الرأس ، فلم تستطع مسر مارشيل
أن يحبس شعور الدهشة والرغبة ، فاندفعت الى
الفرقة ، وانحنى برأسها الجليل حتى كادت تلمس
الجدار . ثم أخذت مسر هورتر شرح لها في أسلوب
المرأة المتمكنة من علمها الواقفة على جميع ما يحيط
بها فقالت :

إن هذه الكلمات هي خواطره الأولى التي
تهفو بقلبه وهو نائم في فراشه ينقشها هنا خوفاً
من أن ينساها . لقد رأيت كثيراً من هذه الآثار
منشورة بعد ذلك في الصحف ولكن هذه الأسماء
لم تنشر بعد .

فاخر وجهها دون أن تدرك السبب وشعرت
برغبة قوية خفية في أن تخلو الى نفسها . ولم تكذب
المرأة تنصرف الى قضاء حاجة لها حتى أسرعت
مسر مارشيل الى غرفة الشاعر وأخذت تلو هذه
الأشعار في صوت موسيقى جميل حتى سكوت
أذناها وشالت بها أفكارها الى السموات البلى
كانت الطبيعة في ذلك اليوم غاضبة ماثرة ، فلم
يرد مسر مارشيل أن تصاحبه الى البحر الهائج المزيد .
أما هي فقد أخذت تصنيق تلك الحياة الرتيبة الثابتة ،
وتنفر من ذلك الخلو المألوف الثقيل ، إذ لم يعد

به روبرت من الاقبال والتشجيع ، ولكنها عادت
بصفقة المليون ، فلم يتصد أحد لكتابتها بالنقد
أو التقريظ ، بل لم يفكر أحد أن يعلق عليه أو أن
يشير إليه ولو في إحدى الصحف اليومية .

ولكنها لم تفكر كثيراً فيما أصابها ، فسران
ما حطت بها أفكارها من عالم الشعر والأدب الى
عالم الحياة والمنزل ، فقد أحست مجتئب يضطرب في
أحشائها فانصرفت عن الأدب وتاهبت لاستقبال
ذلك الضيف الجديد .

جالت هذه الأفكار في خاطر تلك المرأة التي
وجدت نفسها أخيراً وعلى غير انتظار في غرفة ذلك
الشاب الذي ارتبطت به برابط روحي وثيق ، فهضت
عن كرسياها وأخذت تجول في أنحاء الفرقة تتفحص
في كل ما تراه ، ثم دعت مسر هورتر تستفسر منها
عن ذلك الشاعر الشاب فقالت :

— وهل يقيم هنا منذ زمن طويل ؟

— نعم . منذ عامين تقريباً وهو يحتفظ بهاتين
الغرفتين حتى في أيام سفره ، فإن جو هذا المكان
بلائم صدره . وهو يقضى وقته في القراءة والكتابة
لا يقابل أحداً ؛ وهو مع ذلك طيب القلب حلو
الحديث يتمنى كل من يعرفه أن يصادفه . إنك
لا تصادفين أمثال هذا الشاب كل يوم

— في طيبة القلب ورقة الشاعر !!

— نعم . حتى أنني كثيراً ما أغريه على الخروج
من عزائه ، فيقوم برحلات قصيرة الى باريس
أو الترويض ، ثم يعود يشكرني لأنه ذاق طعم
السعادة بسببي

— إنه رقيق الاحساس لاشك

— أجل وإن بدأ في بنض الأحيان غريباً ، فقد
حدث مرة بعد أن انتهى من نظم إحدى قصائده

فاهر وجهها خجلا وأسرت الى خلعها ، ثم قالت لقد رأيتها مصادفة هنا فارتدبتها لأمرتى عن نفسى ألم الوحدة . ماذا أعمل مادمت بعيداً عني دائماً ؟ بعيداً دائماً ؟ حسن . . .

فلما جاء الليل ذهبت الى مسز هو بر تنفذى شعورها بالحديث عن ذلك الشاعر البعيد . فقالت صاحبة المنزل : إنك تلذبن كثيراً لسماع قصته . لقد أرسل إلى خطابا اليوم يخبرنى أنه سيأتى غدا لحاجته الى بعض الكتب

— هل يمكننى أن أبقى هنا عند مجيئى ؟

— نعم يمكنك أن تقابليه إذا أردت ذلك فشمرت يارتياح خفى عند سماعها هذا الكلام

ومضت الى فراشها تفكر فى هذا اللقاء المرقوب وفى صباح اليوم التالى قال لها زوجها : لقد كنت أفكر يا (إلا) فىا حدثنى عنه من أنى أتركك وحيدة دون أنيس . قد تكونين على حق فى هذا ، ولكن الجو اليوم محو ، والبحر رهو ، وللنسيم رخو ، فهل لك أن تصحبينى الى زهرة قصيرة ؟ ولأول مرة شمرت (إلا) بسمدم رغبتيها فى تلبية هذا الطلب ، ولكنها لم تملن رفضها . ثم اقتربت ساعة الخروج فأخذت تستعد لها ، ولكنها ما لبثت أن توقفت عن المضي فى اللبس ، فإن الرغبة فى لقاء ذلك الشاعر المجهول كانت قد جرفت بعيداً سائر الرغبات الأخرى ، فقالت فى نفسها : (إنى لا أستطيع الخروج الآن) وأخبرت زوجها بذلك ، فضى وحده كان المنزل هادئاً فى ذلك اليوم ، فقد خرج الأطفال الى الغلاء يلعبون وعرضون ولم تعد تسمع إلا صوت أمواج البحر تداعب الشاطئء فرحة بذلك اليوم المشمس الجميل . لقد سمعت الباب يقوع ولكنها لم تر أحدا ، فلما نفذ صبرها نادى مسز

ركوب البحر ولا السير مع الشاطئء متأبطة ذراع زوجها شيئاً بجانب تلك اللذة القوية التى أخذت تشمر بها كلما أوت الى غرفة ذلك الشاعر المجهول . لقد قرأت أشعاره كلها فاستظهرتها ، ثم حاولت أن تعارضها ولكنها عادت ودموع الفشل تترقق فى عينيها . وهكذا عاشت تلك المرأة المسكينة مغمورة بتلك للشاعر المذبة التى أوحى بها اليها غرفة ذلك الشاب الذى لم تره قط

لم يمد قلب تلك المرأة يقنى على أوتار الحب الأول ، ولم يمد زوجها ينظر اليها أكثر من رفيق أو صديق ، ولكن قلبها كان لا يزال عاصرا بالحب ، جيباشاً بالمواطف التى تتطلب غذاء وإلا ذبلت وماتت . وأخيرا وجدت ذلك الغذاء فى ذلك الاتفاق الذى لم تكن تعلم به

عثر الأطفال يوما على بعض ملابس ذلك الشاعر فأسرعت مسز هو بر ووضعها فى الصندوق كما كانت . أما الأم فقد شمرت بشئ غريب كتمته فى نفسها حتى تحين الفرصة ، وسرعات ما حانت ، فقد خرجت مسز هو بر الى قضاء بعض حاجاتها ، وخرج الأطفال يلعبون كماداتهم كل يوم ، فأسرعت الأم الى الصندوق وأخرجت منه حلة جميلة فاربتتها ، ووضعت قبعتها المسالية فوق رأسها . ثم أخذت تحظر فى مشيتها تسأل نفسها : ألا توحى لى هذه الملابس بما أوحى اليه من روائع الفن ؟ لقد طالما خفق قلبه تحت هذه السترة ، وطالما تفتت ذهنه الجبار عن روائع الشعر وفوقه هذه القبعة ؟ ثم ما لبثت أن شمرت بضعفها بجانيه فمادت والدموع تكاد تظفر من عينيها ، ولكنها لم تتركز تصل الى الصندوق حتى رأت زوجها أمامها فصاح : ما هذا الجنون ؟

لم تظهر كذلك . لقد كانت قادمة على تلك المرحلة التي تمتد فيها المرأة أن الحب الأخير أقوى من الحب الأول . وفي تلك اللحظة جاءها نيا من زوجها يخبرها أنه سيغيب ليكنه في زهرة بحيرة مع بعض أصدقائه . فقامت إلى المائدة وتناولت المشاء مع أطفالها ثم أمضوا جميعاً وقتاً على الشاطئ وهي لا تفكر إلا في تلك الصورة المختبئة وكأنها تتوقع أمراً خفياً

ثم عادت إلى المنزل ذاهلة عن نفسها ولكنها لم تجرؤ على إخراج الصورة حتى نام الأطفال وشمرت بالوحدة والهدوء . ولكنها بالرغم من ذلك لم تستطع أن تدوم من الصورة حتى ترضى تلك الرغبة الدفينة في نفسها ، فارتدت أنظر ثيابها وقامت إلى الأطار وأخرجت منه الصورة ووضعتها أمامها على المكتب . لقد كانت صورة قوية رائعة ، وكان الشاعر لا يسأ قيمة عالية تأتي ظللاً لريقة على جبينه . أما المينان اللتان وصفتها صاحبة المنزل فقد كانتا تشمان ألكا وبؤسا

نظرت إلى الصورة طويلاً ثم تمتمت في صوت هادئ وقيق : « وهل أنت الذي كيف بؤره القوى نوري هذه المدة الطويلة ؟ » ثم غابت في تفكير عميق حتى اغرورقت عينها بالدموع ، وبست شفتها الصورة ، ثم مالبت أن تضحك بضحكة عصبية ومسحت الدموع من مآقيها ، وأخذت تفكر في نفسها كيف أن امرأة هي زوج لرجل وأم لأطفال ثلاثة تسمح لنفسها أن تنظر إلى شخص غريب في مثل هذه الحالة المرئية ؟

لا . إنه لم يكن غريباً . لقد عرفت أفكاره وعواطفه كما عرفت أفكارها وعواطفها ، فقد كانت نفس المواطف والأفكار التي كان يضطرب بها قلبها

هوبر وسألها عن الطارق ، فأجابها : إنه أحد الأشخاص يسأل عن سكن . لقد نسيت أن أخبرك أن روبرت قد اعتذر عن المجيء اليوم لعدم حاجته القوية إلى المكتب . فراح الحزن على قلب (إلّا) وبقيت وقتاً طويلاً تنهبا لشتى الانفعالات حتى أنها لم تستطع أن تقرأ أغنيته الحزينة : (الأرواح المديدة) إذ كان الحزن قد جفف ينابيع فرحها

— مسز هوبر . هل لديك صورة لـ . . . ذلك الشاب الذي يقطن هنا ؟

وكان الخجل قد عقد لسانها عن ذكر اسمه — لماذا ؟ نعم . في داخل ذلك الأطار الجميل الملحق في غرفتك

— ليس هنا إلا صورة للدوق والدوقة — نعم . إنها في داخل ذلك الاطار نفسه . لقد اشترته خصيصاً لصورته ولكنه جاءني قبل السفر وقال : « إني ضروري عن أعين هؤلاء الغرباء الذين سيقومون هنا فاني لا أود أن يتطلعوإلى صورتي » ولذلك أخفيت صورته مؤقتاً تحت صورة الدوق . يمكنك أن تريها إذا أردت فانه لا يفتض ؛ فلو أنه عرف أن الشخص الذي سيقم في غرفته امرأة جميلة جذابة مثلك لكان حرياً ألا يفكر في إخفاء صورته — وهل هو رشيقي ؟

— إنه رشيقي في نظري وإن لم يبد كذلك في نظر بعض الناس . ولكني أعتقد أنه شخص قوى بأسر كل من يراه ، ففي عينيه ريق الذكاء ، وفي بدنه روح العبقرى الثائر

— كم يبلغ من العمر ؟ — إنه يكبرك بسبع سنوات . أي أنه حوالي الثانية والثلاثين

والحقيقة أن (إلّا) كانت فوق الثلاثين وإن

له برنامج آخر . لقد تمبت اليوم ولكن مضطر أن
استيقظ الساعة السادسة . سوف لأوقظك . فرفعت
إليه عينها بينما كانت يدها تمتم في إخفاء الصورة
تحت الوسادة . فأنجحت عليها وقال : أحقاً أنت
مريضة ؟

— كلا . ولكن كاسفة البال فقط
— لا بأس

ثم انجحت عليها ثانية وطبع فوق جبينها قبله
وفي الساعة السادسة استيقظ مارشل وهو
يتنهد ويتمتم بهذه الكلمات : لست أدري أى شيء
كان يحتى هذه الليلة

فرفعت (إلا) عينها فرأت صورة روبرت في يده

— حسن . لقد قضى لي

— أمستيقظة أنت أم نائمة ؟

— ماذا تمى ؟

— أرى صورة هنا

— أظنها لأحد أصدقاء صاحبة المنزل

— إني أعجب كيف جاءت هنا

— لقد رأيتها أمس فربما وقعت من يدي هنا

— إنه صديقك إذن

— إنه رجل ذكي وشاعر واعد وهو الذى

يقطن هاتين الترفتين ولكنى لم أراه

— كيف عرفت هذا ما دمت لم تره ؟

— مسز هوبر أخبرتنى ذلك عندما أعطتنى

هذه الصورة

— حسن . يجب أن أتراك الآن . إني

لا أستطيع أن أصبك متى . راقبى الأطفال جيداً

حتى لا يبعدوا كثيراً عن المنزل

وما كاد مسز مارشل يترك المنزل حتى أسرع

زوجته إلى مسز هوبر تسألها عن موعد حضور

والتي تفقدتها في زوجها فلم تجد لها . « إنه أقرب
الناس إلى نفسى وإن لم تقع عليه عيني » . ثم ألفت
بلى الكتاب والصورة على منضدة صغيرة بجانب السرير
وأخذت تستعيد بعض أشرطة الوجدانية ثم
ما لبثت أن أمسكت الصورة في يدها وأخذت تنظر
فيها وهي نائمة ، ثم التفتت إلى الأشرطة المكتوبة
بالقلم الرصاص على الحائط . لقد كانت جملاً وسطوراً
كأنها مذكرات « شيل » . ثم شعرت أن أنفاسه
الحارة القوية تصافع خديها وكأنها منبعثة من تلك
الجدران التي طالما أحاطت برأسه كما تحيط برأسها الآن
لا بد أن يكون قد وضع يده هكذا وهو ممسك
بالقلم . نعم . إن الكتابة مائلة عما يدل على أن
المكتاب قد مد ذراعه هكذا . « إن الصور أكثر
حقيقة من الإنسان فهي غذاء الأبدية » هذه هي
الأفكار التي خطرت في ذهنه في سكون الليل
العميق عندما انطلقت روحه في سماء الفكر
لا تخشى تقدراً ولا تهاب إنساناً ؛ ولا شك أن هذه
الكلمات قد كتبتها في هجلة على ضوء القمر الخافت
أو نور الصباح الخافت أو بصيص الفجر الأدكن . ثم
تدلى شعرها حيث كان يضع ذراعه وهو يستجمل
تلك الأفكار الشاردة

لقد كانت نائمة على شفتى الشاعر محاولة أن
تقمص روحه وتتم أنفاسه خلال ذرات الأثير
ويبدأ هي غارقة في بحار هذه التأملات المديدة
المليئة إذ سمعت وقع أقدام على السلم فلم تكذب تصحو
من أحلامها حتى رأت زوجها أمامها يقول : منضدة ،
هل بك صدى ؟ أخشى أن أكون قد أزعجتك
فأخفت الصورة في حركة غريزية سريعة
وقالت : باي من صدى . كيف جئت الآن ؟

فقال : خفت أن أتأخر إلى الغد التي أعددت

يذكر فيه أنه وإن لم يقرأ هذا الاسم «جون إيف» من قبل فسيبقى بكل ما تنشره بعد ذلك . وبالرغم من هذا فقد رأت إلا في هذا الخطاب القصير معنى آخر ، فقد كتب إليها روبرت بنفسه وفي تلك الغرفة التي كانت تجلس فيها

ثم أخذت ترسل إليه من حين إلى آخر بأجود ما تسمح به قريحتها الفياضة لتسأله رأيها فيه ، ولكنها لم تتلق منه رأياً ، فمزت هذا إلى أن روبرت يكتب إليها طائفاً أنها أحد منافسيه من جنسه

لقد كان روبرت صديقاً حميماً لصاحب إحدى المجلات الأسبوعية الكبرى ، وكان ذلك الناشر صديقاً خفياً لزوجها فكتبت إليه تدعوه لزيارتها وأن يصحب معه صديقه روبرت

كان الشتاء قد انتهى وانقطع المطر ، وأخذت الأزهار تنفتح ، والطيور تشدو فوق الأشجار ، واتسعت الأرض . برداء الربيع

وفي اليوم الموعد في الساعة الخامسة سمعت قرعاً بالباب فهولت إليه ولكن هالها أن وجدت صاحب الحيلة واقفاً وحده فسألته :

— أين روبرت ؟

فأجابها : إلى أسف كثيراً لقدم بحبي روبرت . إنه غريب الأطوار كما تعرفين . لقد وعدني أنه سيحضر ثم عاد فاعتذر

— وعلى ذلك فهو لا يأتي اليوم

— نعم وقد أوصاني أن أعتذر إليك

— متى تركته ؟

— الآن على باب منزلك

— ماذا ؟ وهل مر بمنزلي ؟

لقد تحدثنا معاً بالباب ثم انصرف وهو في حالة نفسية غريبة . فقد أخرجه عن نفسه مقال نشرته

روبرت . فعلت منها أنه سيأتي في نهاية الأسبوع ثم عاد مارشيل قبل الثروب وأخذ يقرأ الرسائل التي جاءت أخيراً ، وجماعة قرر الرحيل بعد ثلاثة أيام — ألا يمكننا أن نبقى هنا أسبوعاً آخر ؟ إلى أحب هذا المكان

— ولكني لا أجد فيه ما يفرى بالبقاء

— إذن أبقى أنا والأطفال

وما الفائدة ؟ إلى مضطر إلى العودة ثانية لأصبحكم إلى المنزل . وعلى كل فليدرك ثلاثة أيام أخرى

ولكن «إلا» رأت أنها مقضى عليها إذا لم تر روبرت ، فبذلت آخر جهدها ففعلت أن الشاعر يقيم في إحدى الجزر القريبة منها فذهبت إليها ولكنها لم تستطع أن تهتدي إليه ، فمادت كاسفة البال مهمومة النفس وقد أصبحت الدنيا في نظرها أضيق من كفة الحابل

ولكن السرور ما لبث أن انيمت في قلبها فأمر جوانبه القائمة . فقد عاد زوجها وغير رأيه وسمح لها بالبقاء حتى نهاية الأسبوع ولكن الأسبوع قد مضى وروبرت لم يأت .

وفي صبيحة يوم السبت ، كانت مسز مارشيل وأولادها في طريقهم إلى المحطة . لقد كان الطريق مقفر أنيقاً والجو خافقاً مكتئباً يمش الضيق والضجر ولكنها بقيت بالرغم من ذلك تنظر إلى البحر وإلى

الجزر المتناثرة فيه حتى غابت جميعها عن عينها ، فأخذ قلبها المثقل الموموم يتلف إلى حيث يقيم الحبيب . عادت إلى منزل زوجها الرقيق الجميل جسماً بدون قلب كأنها قبر متحرك . وأخيراً كتبت إلى روبرت تبته لإجابه وتسأله رأيها في بعض مقطوعاتها الشعرية التي أرسلتها إليه ، ثم انتظرت الرد ، فسرعان ما جاءها بما كانت تخشاه ، إذ جاءها خطاب مقتضب

« عزيزي : قبل أن يصلاك خطابي هذا أكون قد وضعت نهاية لتلك الصبغة التي تارت حولي . لن أثقل عليك بسرد الأسباب التي حملتني على هذا ، ولكني أؤكد لك أنها وجهة مقننة . ربما لو كانت لي أم أو أخت أو صديقة لما فكرت في أن أقطع مجرى حياتي هكذا . لقد طالما حملت تلك الخلوقة اللشودة التي استوحيتها ديوانى الأخير ، ولكن هذا الحلم لم يتحقق ، وأرى زاماً على أن أذكر ذلك حتى لا أخرج أية امرأة قد يظن أنها السبب في هذه المأساة »

قرأت (إلا) هذا الخطاب وهي في ذهول من نفسها ثم أسرع إلى فراشها وانكفأت على وجهها تبكي وتنتحب ثم أخذت تنبتم : « أواه لو عرفني قبل ذلك ، أو لو قابلته مرة واحدة لو أمررت بدى على جبينه الساخن ثم قبلته ، إذن لكنت أذيقه طعم الحب وأشمره بالخلعة ، ولكنك أريه استمدادى للتضحية من أجله ، ولكن القدر لم يهيء لي هذا ولم يتح لي أن أنعم في حنته

ثم قامت لساعتها وكتبت إلى صاحبة المنزل تطلب خصلة من شعر رأسه ، وسرعان ما جاءها الرد يحمل خصلة الشعر ومكان القبرة وفى أحد الأيام لاحظ زوجها أنها تحفى شيئاً في صدرها فصاح : ما هذا . أخصلة شعر ؟ فتمتمت قائلة : لقد مات من ؟

— لا أذكر اسمه

— حسن . ثم مضى الى عمله حيث اتفق أن قرأ خبر انتحار ذلك الشاعر . وسرعان ما تذكر

إحدى صحف النساء ، قال فيه كاتبه منه كثير ، وبما قرأته

— لا . إنه ليس جديراً بالتفكير فيه . فهو كثيره من مثات المقالات التي ينشرها أصحاب المقول القدعة الضيقة . إن موطن الضعف في روبرت أنه يهتم كثيراً بما يكتب عنه . . . ولكن كان واجباً عليه أن يعرف أن هناك من يطف عليه ويعجب به — نعم . نعم . لقد وصلته عدة رسائل من إيفي

— أيجب إيفي ؟ هل قال هذا ؟

— إني لا أعتقد أنه أعجب به يوماً

— ولا بشعره ؟

— لا .

وأخيراً أيقنت تلك المرأة المسكينة أن شعرها لم يستطع أن يرضى بمودها العظيم فذهبت إلى حيث ينام أطفالها وهجمت عليهم تشبهم لها وضماً أما الناشئ فقد أدرك أنها لم ترد بدعوته إلا لقاء صاحبه ، فأنصرف . وفى اليوم التالى نشرت إحدى صحف الصباح الخبر الآتى :

انتحار شاعر

انتحر مستر روبرت ترو الذى عرفه الجمهور منذ سنوات شاعراً مطبوعاً ، وأديباً موهوباً في منزله في سولتس بطلق تاري . إن الجمهور ليس في حاجة الى تذكيره بدوانه الشعرى « أغاني المرأة المجهولة » الذى نشره في العام الفائت ، والذى أثار ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية

انتحر عقب قراءته مقالاً عنيفاً تناوله فيه كاتبه بالتقذ والتجريح ، ثم نشر هذا الخطاب الذى كان قد أعدده لأحد أسدقائه وهو :

حديث زوجه عنه والصورة وخصلة الشعر أيضاً .
وفي أحد الأيام عبت (إلا) مضطربة مهمومة فكثبت
ورقة صغيرة الى زوجها تحببه أنها ذاهبة الى مكان
بعيد قد يستغرق منها يوماً ، ثم انطلقت كالريح الى
المقبرة . فلما جاء زوجها حسرت في أذنه الخادمة أن
سيدتها لم تكن في حالة هادئة في الأيام الأخيرة ،
وأنها تخشى أن تكون قد انتحرت ، ولكن الزوج
كان عارفاً بمكانها ، فأسرع تواراً الى المقبرة وهناك
في غسق الليل أخذ يتلصص طريقه على برى شبح
زوجه ، وأخيراً أجح بصيصاً من النور يشع من بعيد ،
فصار اليه وسطاً كوام من الصخور والرجام فرأى
زوجه حانية فوق القبر فقال :

ما هذا ؟ أتركين أطفالك وتأتين هذا الطيش ؟
إني لا أغار من هذا التمس فقد أنهى الموت ما بيني
وبينك . ثم أمسك بذراعها وخرج بها من المقبرة
حيث أخذ أول قطار دون أن تنطق الزوجة
بينت شفة

مضت على هذه الحادثة بضمة شهو ولم يجرؤ
أحد أن يكلم الآخر
أما إلا فقد كانت عليها تزداد سوءاً بسوء
حتى جاء يوم الخاض فقلات :

— إني لا أعتقد أني سأبجو هذه المرة
— فقال زوجها : أوه . ما هذا العيب ، لماذا
لا تكون هذه المرة كسابقاتها ؟ فقلات :
— إني أشعر أني ساموت ، وسأترك فراغي
قلوب أبنائي . فقال :

— وأنا ؟ فقلات :
— إنك ستجد من يخلفني . فقال :
— ألا تزالين تفكرين في صديقك الشاعر ؟

فلم تجبه

ولم يعض على هذا الحديث ستة أسابيع حتى
كانت (إلا) ملقاة في فراشها لا تستطيع حراكاً .
وقد ذبل جسمها وجفت ينابيع الحياة فيها . وفي
الساعة الأخيرة قالت : « ولهم . إني أريد أن
أعترف لك بكل شيء . إنك تعرف تاريخ زيارتنا
لسولتنس ، لا أستطيع أن أخبرك كيف نيتك ،
ولكنني كنت في حالة سيئة ، لقد ظننتك دوني
كفاءة وعقلاً بينما كان فوق قوة وذكاء . فأردت
أن أبحث عن شخص يفهمني ...

ولكنها لم تستطع أن تزيد حرفاً على هذا
فاتفتخت انتفاضة سريعة كانت القاضية
لم يكن الزوج كغيره من الأزواج سريع
التيرة كثير الشك فلم يحاول قط أن يدفعها إلى
الاعتراف بملاقاتها رجل مات

وفي نهاية العام الثاني بعد هذه الحادثة بينما
كان مستريحاً لم يمتح عن أوراق زوجه ليخبرها
قبل أن يقترن بزوجه الثانية رأى خصلة الشعر ،
وصورة الشاعر ، وخطاب صاحبة المنزل ، وقد كتب
عليه التاريخ بخط زوجته . فهض مسرعاً وأحضر
ابنه الصغير الذي كان السبب في وفاة أمه ووضعه
على ركبتيه ، وأمسك بخصلة الشعر وأخذ يقارنها
بشعر الطفل ، ثم وضع الصورة على المنضدة وأخذ
يفتحها ويقارن بينها وبين قسبات وجه الطفل ،
وكان الطبيعة الماكرة قد شادت أن تجعل الشبه
قوياً . فصاح :

تسألني . لقد خالفتني في هذا الطفل . دعني
أرى التاريخ : الأسبوع الأول من أغسطس ...
الثالث من مايو ... نعم ... نعم ... وأخيراً أصحاب :
أذهب أيها الحيوان إنك لا تنتسب إلي !

تظني منبل



يَوْمِيَا نَائِبِي الْإِكْرَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ
(تابع)

١٤ أكتوبر ...

تركت المأمور يذهب إلى شأنه . وعدت إلى مكنتي بدار النيابة . وعلم المساعد بمودتي خضر وهو كالشئاق إلى رؤيتي . ولكنه غاب على أغفالي إياه في وامة الليل . فتنبهت إلى أن حقيقة نسيت كل النسيان . إن اهتأي بالمصاحب المأمور تلك الليلة قد ألحاني ولا شك من كل شيء آخر . ومع ذلك فهي حادثة تافهة لم يستفد منها غير بطن حضرة المأمور . ولم يقع ضررها إلا على جيب حضرة الممدة . آه لهؤلاء الممد ! لشد ما أدنى للحلم ! وظهر « فراش » المسكة الحاج نخيس . فطلبت إليه كوباً من الشاي الخفيف . والتفت إلى مساعدي فأقبل على يميني كمن يتحدث لجرّاح الحديث ، وكأني به جوعان كلام . إن الوحدة قد كادت تقتله أنشاء غيبتني عنه . لقد سمّ الريف . إنه لا يجد هنا قهوة واحدة بلق أن يدخلها مثله . اللهم إلا دكان ذلك البدال الزوى « طناش » ، وضمت أمامه مائدتان من الخشب وكريسان من القش . وقد أطلق عليه الأهل اسم « الحمار » . وحتى هذا الزوى قد ارتدي جلباباً كجلباب الفلاحين فلم يمد شيء يني على

أنه « أفرنجي » غير لون السين والشعر . أين يتنزه ؟ وأين ينفق وقته ؟ هذا الشاب الذي جاء من العاصمة منذ أيام حيث الأنوار والملاهي والفضجيج ؟ إنه الآن لا يكاد يرى غير مبان قليلة أكثرها متهدم . وغير هذه « المجحور » السقفة بمحطب القطن والذرة يأوي إليها الفلاحون . إنها في لونها الأغبر الأسمر لون الطين والبياض فضلات البهائم ، وفي تكدرتها ونجمها « كفوراً » و « عزباً » . يمتد على بسيط المزارع ، لكانها هي نفسها قطمان من الماشية مرسل في النيطان . هذه القطمان من البيوت التي تمش في بطونها ديدان من الفلاحين المساكين هي كل ما تقع العين عليه في هذه البقاع . ويزيد في كربه هذا السكون الذي يهبط على البلدة منذ الترويب . فلا يسمع بمدنّد غير خوار الجاموس ونبح الكلاب ونهيق الحير ونحيب السواق والشواذيف والكيباسات ، وأصوات بعض الأعيمة النارية يطلقها في جوف الليل الخفراء المصوميون

أن أزيدة بياناً ليزداد حرصاً ، ولكن الحاج نجيب دخل حاملاً كوابل يكذب بقع نظري عليه حتى جئت :

— ما تدعيني أحسن خبر « كوييه » وتخلص !

— صل على النبي ياسيدنا البك ! أنا بقى لى عشرين سنة فراش بحكمة . وورد على أستاذ الأهل والموظفين . تصدق بالله ! ما ينفع فى الهاكم إلا شأى مرمط « الفورنيه » !

فرددت قليلاً ثم لم أجده مناصاً ونلت :

— شأى الهاكم وشغل الهاكم كله مرمط والسلام . هات . ١ . ووضع الرجل الكوب الزجاجى أمامى وانصرف . وما كدت أرشف رشفة حتى فتح الباب ودخل عبد القدوس أفندى رئيس القلم الجنائى بروحه الذى لا أستغفله ظلاً وقال :

— عندما من نوع التلبس أربع قضايا .

— هات !

فذهب وأرسل إلى المسكرى القادم « بالهاضر » والقبوض عليهم . وأخذنا نطالع الأوراق قبل أن نستدى أماننا المتهمين . وجملت من نصيبى ثلاث قضايا . واستصغرت ملأاً ألقيت عليه نظرة مبرمة وأعطيته مساعدى وأنا أقول له : « سرقة كوز ذرة . لى نمشرك على أسهل من مثل هذه السرقة . حل هذا الخلق فستجده مترفاً فى أمان الله ! » . وبدأ الاضطراب قليلاً على الساعده : فهذه أول مرة يستجوب فيها متهماً . وتناول من يدى المحضر . وجعل يقرؤه كلمة كلمة . ويبعد قراءة هذه « القصص » التى لم تزد على الجنس . وفرت أنا من أمر نصيبى البالغ أضفاف ما عنده وهو ما زال منهمكاً فى إعداد مخلصات واقية ، ومخلصات للمخلصات ، وأستلة معدة إعداداً كأنها قنابل

او النظميون أحياناً إرهاباً للغير أو تشجيعاً لأنفسهم . إن مساعدى يريد دواء لهذا الضيق . وهل من دواء للريف غير الزواج أو السير الموج أو المطالمة وتحرير الذكرات كما أقبل أنا كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً ؟ وفكر صاحبي فى الاختلاف إلى النادى . إنه لا يعلم شيئاً عن نادى هذا المركز . إنه اسم يطلق على حجرة فى منزل عتيق يصعد إليها بسلام من خشب . وهى تضاهى بمصباح غازى أى « كلوب » وهذا « السكوب » هو وحده الشيء الجدير بالاحترام فى الحجرة . أما أهل النادى فهم بالطبع رجال الادارة وطبيب المركز وبعض الأعيان والموظفين وصاحب الاجزاخانة . ولا يشغل هؤلاء فى ذلك المكان غير لعب الورق و « الطاولة » واقتياب الناس . فهل يليق بمثل النائب الامام فى هذا المركز أن يندس فى هذه الزمرة ! لقد قلت لمساعدى أفى « شخصياً » أفضل أن يكون عضو النيابة بعيداً عن كل هذا إذا كان يريد أن يجعله الجميع . وأنا لى أنسى ذلك اليوم الذى دعانى فيه رجال الادارة إلى حفلة عشاء فى ذلك النادى مع القاضى المقيم تكرماً لزميل لهم منقول . ولم أستطع الاعتذار فذهبت . وإذا زجاجة الوسكى على المائدة بجوار الطعام . وقد ملأوا كأسى وكأس القاضى . ولم يظن القاضى لنفسه فشرب وأكثر ، وجعل يثرثر ويضحك حيث لا موضع للكلام والضحك . وعندئذ مال على الأمور وقد سكر هو أيضاً وألقى فى أذنى ضاحكا : « البك القاضى فقد وقاره ! » فلم أر أن أسمع أكثر من ذلك . فانسملت منصرفة إلى بيتى فى هدوء دون أن يشعر بى هؤلاء المتخبطون فى كؤوسهم . منذ ذلك اليوم وأنا لا أضع قدماً فى هذا النادى . واقتنع مساعدى بكلاى . وأردت

وجه الشاب وتردد ، ثم تجلج ونظر الى التهم وسأله :

— أنت سرقت كوز الذرة ؟

فأجاب الشيخ لفوره من جوف مقروح :

— من جوى .

فنظر المساعد الى وقال في لهجة الاتصار :

« اعترف التهم بالسرة » !

فقال الرجل في بساطة :

— ومن قال لى ناكر ؟ أنا صحيح من جوى

زلت في غيط من الفيطان سحبت لى كوز ...

ووقف القلم في يد المساعد ، ولم يعرف ماذا

يسأل بعد ذلك . والتفت إلى يستنجدنى ، فنظرت

الى الرجل سائلاً :

— سىن ، يا رجل لماذا لا تشغل ؟

— جيم ، باحسرة البك هات لى الشغل وعيب

على إن كنت أناخر . لكن الفقير منا يوم بلى ،

وعشرة ما بلى غير الجوع

— أنت في نظر القانون متهم بالسرة

— القانون يا جناب البك على عيننا ورأسنا .

لكن معنى القانون عنده نظر ويعرف ألى لحم ودم

ومطلوب لى أ كل

— لك ضامن يضمنك ؟

— أنا واحد على باب الله

— تدفع كفالة ؟

— كنت أ كلت بها

— إذا دفعت يا رجل خمسين قرشاً غمان مالى

يفرج عنك فوراً

— خمسين قرشاً ! وحيا راسك أنا ما وقعت عبنى

على صنف التقدي من مدة شهرين . التعريفة نسيت

شكله ، ما أعرف إن كان لحد البساعة (غروم) من

وسطه والا سداوه

سنتاقى في صدر سارق « كوز الذرة » . فكتمت

ضحكى . أنا أيضاً في مستهل حياى القضاية كنت

أفعل فعله . ولقد قسا على القدر أشد مما قسا على

هذا الشاب فنكبتى بقضية تزوير مقعدة كانت هى

أول عهدى بالتحقيق . ولست أنسى اضطرابى

وقتيئذ وقد مثل أمامى التهم المزور بطول باعه وذلافة

لسانه واعتياده الثول أمام القضاة . فذهبت الأسئلة

المجهزة من رأسى ، ولم أدر ما أقول . وانتظر الرجل

واقفاً في هدوء أن أفتح فى أو يفتح الله على يسؤال ،

وتصعب منى شبه عرق وأنا أرى التهم أحسن منى

حالا وأربط جاشكا وأقوى امتلا كالأمره . وخيل

إلى أنه يسخر منى في دخيلة نفسه . وكان كاتب

التحقيق رجلاً قديماً ذا مران طويل صادف في حيايه

ولاشك عشرات من الساعدين الجدد أمثالى . عرف

مابى فأسرع معاونى ويلقنى ما يبنى أن أبدا به

من أسئلة وأنا أقبيل منه الماونة بأفنة وكبرياء دون

أن أظهر له حاجتى الى تدخله . وأمثال هذا السكرتير

المهرم من ذوى الحق المغموط والفضل المجهول كثيرون ؟

وقد سمعت أحدهم يقول لى مشيراً إلى بعض من

كبار رجال القضاة : « علمناهم الشغل ونشوا

وارتفعوا وبقوا قضاة ومستشارين ، والواحد منا

واقف في مطرحه لا يكبر ولا يصغر » زى جحش

السميح ! تذكرت كل هذا وأنا أنظر الى وجه

مساعدى . ورأيت أن أتمد خطاه الأولى بنفسى ،

فطلبت إليه أن ينحى جانباً هذه اللخصات ، وأن

يضغط بأصبعه على الجرس . فقبل وظهر الحاجب

بالباب ؟ فأمرته باحضار التهم الأول ، فدخل فلاح

كهل قد برز من صدره شعر أزرق أشيب كأنه شعر

صبيح مسن ؟ وقلت للمساعد أن يوجه إليه ما يحضره

من أسئلة ولا يخاف ، وأنا أعينه إذا توقف ، فاجر

وسراويل ، وكذلك أنواع من الأحذية الجلدية
الحساب متجر في القاهرة من المتاجر الشهيرة ،
وكانت تحتاز ليلاً بكل هذا جسر التربة المحاذية
لدائر الناحية ، فمقط منها في الماء كيس كبير مغم
بالوان اللابس ، ولبت الكيس في أعماق التربة
حتى انخفض منسوبها وانحسر الماء عن البضاعة ،
فهرعت تلك البلدة المارية الى ذلك الكنز الذي
لا يشابه كل الكنوز . وتماقت الأيدي الى
الكيس الرائد في الطين يجذب من بطنه ما تصل
اليه ، فان كان سروالا من الصوف لبس في الحال
فوق الجلباب الأزرق وإن كان معطفا من الجوخ
دخل فيه الرجل (بخرامه) ، وإن كان حذاء لاما
وضع في الأقدام بغير جوارب . ومضت البلدة
بحري في الطرقات فرحة هائلة : « الكساوي في
البحر ، الكساوي في البحر ... » ، الى أن رآهم
رجال الحفظ واستكثروا عليهم النعمة واستغربوا
أمرها واستكشفوا سرها ...
ورأيت أن أسألهم أول الأمر جملة ، على أظفر
متهم بإعتراف يبسر على مهمتي . فالتفت عليهم
نظرة شاملة :

— سرقم اللابس ؟

فأجابني من بينهم صوت مهميق رزين :

— أبدا والله ما سرقنا ولا نعرف السرقة ؟

البحر رى علينا الكيس ، وكل واحد منا
طال نصيبه

فقلت للرجل من فوري :

— نصيبه ؟ هو الكيس ملك البحر والا

له أصحاب خواجات ؟

فأجاب الرجل في صوته العميق الهادي :

— راح من بلنا أن له أصحاب بإحضرة البك

فنظرت الى مساعدتي وأملت عليه نص القرار
— « يجبس التهم احتياطياً أربعة أيام ويجدد
له ويمعل له فيش وتشييه » . اسجبه يا عسكري !
فقبل الرجل كفه وجهاً وظهرأ حامداً ربه :
— وماله . الجبس كويس . ناتي فيه على الأقل
لقمة مضمونة . السلام عليكم !

وخرج الرجل يذب وقد وضع في معصميه
القيد . واطمان مساعدتي واستراح باله بذهاب
متهمة ، وطلبت القضية الثانية . فظهر العسكري
ومعه آخر وفتح باب مكنتي على مصراعيه ، وجذبنا
الى داخل الحجيرة أكثر من ثلاثين رجلا وامرأة
وولداً قد شدوا في حبال من الليف ، إذ لم يجدوا
في المركز لكل هذا الصدد قيودا حديدية . فسا
تمالكنت أن صحت لنظرم :

— الله أكبر ! مواشي طالعة سوق السبت ؟

حل الحبال يا عسكري !

فقال الحارس وهو يحمل بأسنانه عقدة حبل :
— فتشنا يا سمادة البك بيوتهم وجدنا فيها
المنوعات . وباقى غيرهم من أهل الناحية تحت
التفتيش والقبض بمعرفة حضرة الملاحظ وأورطة
الهجانة !

فأدرت بصري في هؤلاء الأدميين . واستمدت
في تخيلتي ما قرأته الساعة عن تهمتهم في الأوراق
التي أمانى وقلت :

— ممنوعات !

فاستدرك الحارس :

— اللبوسات يا فتندم

نعم . إن ما قرأت الساعة هو أن سيارة كبيرة
كانت تحمل أكياساً ضخمة مملوءة بمختلف
الملابس القطنية والصوفية من معاطف وستر

فمسل وهو يلحن بصوت خافت هذا الجاموس الأبيض الذى لا يبنى إدخاله حجرات الحكومة . وحانت منى التفاتة إلى مساعدى فوجدته معرقاً مفكراً . فداخلى حب استطلاع أن أعرف ما بنفسه الآن . أترأه قد تأثر بشئ . أترى دقة الحس ورقة الشعور التى جاء بها كما جئنا كلنا فى مبدأ عملنا الحكوى بالريف ما زالت حية أم أنها فى طريق الموت ... ولكن طرفة عصا شديدة ضربت الباب عرفت فيها ضربة الأمور . ودخل صاحبنا بلهث ويصيح :

— البنت ريم ...

— مالها ؟

قلتها رغماً عنى فى لهفة . فاستراح الأمور على كرسى وأنا أنتظر الكلام من فم يصير نافذ . غير أنه نظر إلى الحاجب بالباب :

— إسقى وحياة عينيك !

وأخرج مندبلة الحرير الصناعى من كفه ومدح وجهه ورأسه وأنا على أحر من الجمر . وأخيراً التفت إلى وقال :

— اختفت !

— فنظرت إليه ملياً :

— تتكلم جد !

— هربت مع الشيخ كلب !

— الشيخ عصفور ؟

— نهارة أسود !

— والعمل ؟

— أصرت فرقة المهجاة أن تقوم فى الحال فتنتقى الأثر فى جميع الطرق الزراعية ...

وجلسنا فى منم . وقد شرد فكر كل منا ...
نوفيه الحكيم

ربنا يملى مراثيك ؟ أرأف بحال الفلاحين الساكين
— المسألة مسألة قانون . والقانون صريح :
إن كل من وجد شيئاً مملوكاً للغير وحفظه بنية امتلاكه يعامل معاملة السارق . فهمتم ؟

— فهمنا يا حضرة البك . لكن ... بقى ...
الكساوى كانت قدام نظراً ورماها البحر علينا والواحد منا من غير مؤاخذه عريان ...

— أنت يا رجل فاكرو الدنيا قوضى ، وإلا فيه قانون وحكومة ! ويظهر أن الرجل لم يستطع صبراً . فقال :

— بقى هى الحكومة لامننا ولا كفاية شرها ؟ لا كستنا ولا تركتنا ننكدى !

— أنا مضطر أن أحبسكم
— يا جناب البك . أنتم فتشتم دورنا وسحبتم الكساوى منا ، والميال الفرخانة عادت تيكى ، ورجسنا لأصلنا لالنا ولا علينا . يبقى الحبس له لزوم ؟

— أفرج عنكم بضمان مالى
— مالى ؟ الفلاحين عرايا يا حضرة النايب !

— تفضلوا من غير مطرود ! دماغى وجمعى والنناقشة مع أمثالكم ضياع وقت . القانون صريح وأنا مقيد بنصوص أشد من الخبال الموضوعة فى أيديكم . المسألة عندى قبل كل شئ مسألة قانون . « يحبس المتهمون كلهم احتياطياً أربعة أيام ويمجد لهم ويعمل لهم فيش ونشبه » اسحبهم يا عسكري ! فخرجوا جميعاً فى صف طويل وفى ذيلهم رجل يقول هامساً :

— يحبسونا لأن ربنا كسانا !
وهذا المكان . ولكن رائحة كربة انتشرت فى الحجرة . فتأديت الحاجب وأمرته بفتح النوافذ .

أعدائها ، بل وجهت
للعالم أجمع . وقد أذيع
اكتشافه في الأفاق على
موجات الأثير من مركز
الاذاعة في لندن بخمسة
عشر لساناً . وكانت
الحديث الدائر على الأنواء
أن ستونهم أكبر محب
للإنسانية وأعظم معضد

للسلام على الرغم من مهاجمة صحف النازي له في ألمانيا ،
فقد كانت ترى أنه كان من الواجب أن يذكر
فضل وطنه عليه ، ويخضع بهذا الاكتشاف الجليل .
ولقد دعاني ستونهم لظهور ذلك اليوم في جملة
من الأصدقاء والعلماء فابيت
دعوته وأسرت إليه

وكان بيتر ستونهم مديد
القامة ، أشيب الرأس — على
الرغم من أنه لم يوغل بعد في
الشيخوخة — أزرق العينين ،
صافي القلوتين ، يبدو قنهما
أثر الحزن والتفكير العميق ...
قال أحد المدعوين :

— إنه يبدو عجباً حقاً أن

ستونهم الذي افتن في اختراع
المهلكات ، وتماذى في ابتداء عُدَّة الموت لإن
الحرب ، هو عينه ستونهم الذي ينال اليوم جائزة
نوبل كأول خادم للسلام العام . فاطرق ستونهم
لحظة ثم قال :

— هذا عجيب حقاً ... ولكن لا تنس

من قصص الحديث

رَجُلٌ بِالْأَوْجِ

للكاتب الإنجليزي كاترين رينولد

بقلم الأديب أحمد فتحي مرسي

كانت سونيا الحشاء ، وبيتر ستونهم ، وذلك الذي
يدعونه نيكولي ، تَدشيع أُمّى من لحظة للحظة ،
وتتمثل في خاطري من حين لآخر وكنت إخال
أني أسمهم يتناقلون الحديث ، ويتساجلون القول ،
وأنا جالس أرفع الأذن للحديث
ألفون جنتنر الذي كان يروي
قصتهم على كُتب مني

ولقد عدت إلى منزلي ظهور
ذلك اليوم الذي قال فيه بيتر
ستونهم جائزة نوبل للسلام ،
وتناقلت اسمه الأنواء ، ولهجت
بذكره الألسن ، وكان الرأي
السائد في العالم أنه منجى
الإنسانية ، ومنقذ العالم من
وبلات الحروب



ومنذ شهور قلائل أعلن ستونهم على ملا من
العالم أنه وفق إلى اكتشاف علمي جليل ، يحمي
العالم من الغاز السام على اختلاف أنواعه ، وتمدد
حالاته ؛ ولم يخص بهذا الاكتشاف الجليل دولة
من العالم تتدرب به ضد غيرها ، وتتحرز به من

أجرى أمامه يمثل هذا الحديث
— حقاً إنك أقرب أصدقائه ... وأظنك تلم
عن هذا الرجل ما خفي عنا ؟ فما الذى دعاه بعد أن
أورد جيوش العالم موارد التهلكة ، بما ابتدئه من
مهلكات ، أن يجعلها عليهم اليوم رداً وسلاماً ؟
وما الذى حدها إلى اختيار هذا الاسم العجيب الذى
حير الأذهان ؟

— حسن يا صديقي ... سأخبرك بذلك ، وإنها
لقصة محيية أنت أول من يحظى باستماعها ... أجل
سأحدثك الآن عن ستونهم ، وعن سونيا ، وعن ذلك
الرجل الخالى من الروح الذى يدعوته نيكولى .
فقلت فى دهشة :

— الخالى من الروح ؟ ولكن لكل الرجال
أرواح يافون جنتر
— مهلاً مهلاً ... لا تتسرع يا صديقي
واعتدل البارون فى جلسته ، ثم أخذ يسرد
على قصته فقال :

عرفت الدكتور بيتر ستونهم لأول مرة خلال
الحرب الأخيرة ، وكانت كوكبا زاهراً فى عالم
الاختراع ؛ وقد بدأ حياته بالاشتغال بالنظريات
الرياضية ، ثم تعلق علم الطبيعة ، وشفق بالكيمياء
فكانت خفاياها وأسرارها ككتاب مفتوح يتدفق
منه آراءه ، ويستوحى أفكاره ، ويعبرو الزمن وتغاثب
الأيام تمكنت بيننا أواصر الصداقة ، وتوثقت عرى
المحبة ، وكثيراً ما كان يمدنى عن مطامنه وآرائه
وعن بحوثه الطويلة فى الجهد والطاقة ، وكثيراً
ما ردد على مسمى قوله :

— إن حرب المستقبل لن تكون قط حرباً
بين جيوش ، بل ستكون الآلات عدتها ، والعلم
عدتها . فأجيب مداعباً
— لن أجاريك فى رأيك هذا ، حتى تخترع

يا صديقي أن « الديناميت » و « البارود » وغيرها
من المفرقات كانت من إنتاج قريحة الفريد نوبل
نفسه الذى يتقدم اليوم بجأزه إلى عبي السلام
العالم ... فقال آخر

— وعلى ذكر هذا أقول : لماذا اختار الدكتور
ستونهم لفظ « سونيافين » اسماً لاكتشافه على
ما فيه من غرابة ؟ فرستونهم بيده على جبهته
ثم قال :

— حقاً إنه اسم غريب ولكنه بقية ذكرى
فى نفسى ، وحلم سعيد كان مصيره الزوال ، كباقي
الأحلام ... !

— حلم ! هذا عجيب ! أيعنى الدكتور أن هذا
الاسم أضفأت أحلام فى ليلة ما ؟

— ليلة ما ! كلا يا صديقي فقد استغرق حلمى
عامين ... والآن يا صاحبي دع هذا جانباً فإنه يثير
فى نفسى ذكريات ألمية

وانتقل الحديث من هذا الاسم التريب ، ومن
ذلك الحلم الذى استغرق عامين إلى نواح متعددة ،
وشجون مختلفة ، حتى انفرط عقد الحفل ومضى
كل لسيله

عدت إلى منزلى ، فوجدت البارون الفون
جنتر فى انتظارى ، ولما علم أننى كنت فى ضيافة
بيتر ستونهم ... سألنى :

— وكيف كان يبدو ستونهم ؟

فضحكت وقلت :

— على خير حال يا صديقي ... اللهم إلا عند
ماسأله أحدهم عن سبب اختياره لفظ سونيافين
اسماً لاكتشافه الجديد ... فقال فى دهشة وعجب :

— يا إلهى ! أسأله عن ذلك ؟ ... كان يبنى
آلاً يخوضوا به إلى تلك الذكرى المؤلمة ... إننى
على الرغم من كوفى أقرب أصدقائه لأأجرؤ أن

كما يفحص الطبيب مكروب الذاء تحت منظاره
وصافر ستونهم فجأة إلى باريس لمواصلة دراسته
مع العالم الفرنسى « جورج راييه ليمر » ثم عاد بعد
سنتين وملء بزره الزهو بشيئين أولهما : الانسان
الذى اخترعه ، وثانيهما : زوجته الحسنة الروسية
سونيا ، قال :

— وستعجب بها يا فون جنتنر . . . لقد قابلتها
في باريس ... إنها إحدى نبيلات روسيا اللواتى
هاجرن إبان الثورة ، وضحك ثم قال :
— ولذلك سترأها الليلة فاقعة على الثورة
والفلاحين . . . وسترى أيضاً آلى التى ستعجب
بها كثيراً

وأصدقك القول أنى رأيت تلك الليلة ما عجبت
منه كل العجب : رأيت ذلك الانسان الذى تحركه
الأشعة بدل الكهرباء ، ورأيت سونيا ستونهم
وكانت سمراء الوجه رشيقه القوام ، تجمع الى
جمال وجهها رقة فى الحديث ، وظرفاً فى القول
وقد طرقت فى الحديث شهاباً شتى وشجعونا
عديدة إلى أن مال بنا الى الكلام عن روسيا
وثورتها فالتفت عينا سونيا وقالت دون ريب ولا روية
— هؤلاء الفلاحون . . . لمنة الله عليهم . . .

لقد هدموا فى أمسية مائة من الصروح المشيدة
والزوج المردة ما بناه أسلافنا فى دهور طويلة . .
لقد قتلوا أبى . . . وما نجوت من برأئهم إلا بشق
النفس ... ويمكنك أن تفهم الآن لماذا لا يأخذنى
المُحِبُّ والزهو بأنى روسية . . . ولماذا ترأى دائماً
ناقعة ساخطة على هؤلاء الفلاحين ... لقد كانت لنا
أراض واسعة ، وسهول مديدة ، وكنا نملك الألوف
المؤلفة من هؤلاء الفلاحين ، فصفرت راحتنا ،
وخلا وطابنا
وقد استرعى خاطرى قولها : « كنا نملك

لنا إنساناً يستطيع أن يفكرى .

— هذا ما أرجو تحقيقه يا فون جنتنر .

— وماذا عساك تصنع بهذا الانسان إذا وفقك
الله إلى إبراز ما فى خيلتك ؟

— الحرب يا عزيزى دون شك . . . إن العالم
ما زال يعتمد على الانسان فى الحرب على الرغم مما
يفقد من الجيوش ، وبرغم ما فى الانسان من غرائز
الخوف والحرب . . . إنى آخذ أهبتي للحرب المقبلة
وسأملأ بهذا الانسان وأمثاله ساحات الرغى ،
وسأزودهم بأشعة الموت عوضاً عن القنابل والبنادق .
فقلت ضاحكاً :

— إنك سفاك دماء يا بيدر . . . أتبنى أن تكتسح
العالم وتسحق جيوشه بما تسميه علماً واختراعاً ؟
— إنى أرى أن العالم لم يتقدم قيد شمرة ،
ما دام الانسان يلبس دوراً هاماً فى الحروب . . .
وسأعمل من الآن على تحقيق ما ربى فى ضوء تلك
النتيجة التى وصل إليها اينشتين سنة ١٨٠٥ « إن
المادة يمكن تحويلها الى طاقة ، وإن الطاقة يمكن تحويلها
الى مادة » ، وأغلب الظن أن الشمس هى مصدر
الطاقة والحركة ، ومبعث النشاط الانسانى ، وليس
هذا عجيباً فالنود يبدونها من قديم . . . ، وربما
أدركوا أنها سر تلك الحياة . ومحور تفكيرى
الآن الذى أدور حوله هو أن الشمس مبعث الحركة ،
وأن أشعتها هى مصدر النشاط الانسانى

وربما انتهت الحرب قبل أن يوفق بيدر فى
إبراز فكرته الى العالم ولكنه كان دأب البحث ،
دائم العمل ، يصل ليله بنهاره فى دراسة أشعة
الشمس . وليس بمسير أنت يأتى العالم بأشعة
الشمس لفحصها فى معمله ، فقد تمكن نيوتن من
اكتشاف جهازه « البكتروسكوب » الذى يمكن
الانسان من دراسة الأشعة وفحصها خصوصاً دقيقاً

في انداع وخشوع ، ثم امتدت يد بيتر إلى زر آخر ففاض في الفرفة نور أزرق قائم يقبض النفس فهاضت قوى ذلك الواقف أمامنا ، واسترخت مفاصله ، وجلس في مقعده كما يجلس ابن السبعين وهو يفوء تحت أعباء السنين .



ومضيت أنفوس وجه ذلك الانسان ، وأنا مشئت النفس مشرد اللب إلى أن جذبني بيتر من يدي قائلاً :

— أرايت كيف يحسن إنسان تكاليف الحياة ونظم المجتمع ... إنه يتحرك بالأشعة كما رأيت ، وهذه الأشعة هي المؤثر الخارجى الذى يدفعه إلى التفكير كما تدفع الانسان مؤثراته الخارجية من جوع وخوف وفرح وغيرها . . . ولقد أحميته « نيكولى » ولما رأيت فيه بعض مشابه من الفلاحين الروس ابتنت له هذه اللباس الروسية ... إنه الآن يفكر بمقل الفلاح الروسى ، على الرغم من أن تفكيره لم يزل في مرحلة البداءة » ، وأطرق بيتر قليلاً ثم استطرد في شرحه :

— ولقد زوّدته بمركز عصبي يقابل المخ في

الفلاحين » إذن فسونيا من هذا النوع الذى يملك الرجال ؛ ولا شك أنها تحس الآن من أعماقها أنها تملك بيتر ستونهايم ، فلن يصبح بيتر ستونهايم من الآن مسلماً للعلم كما كان من قبل وحادث سونيا بعجى الحديث عن الروسية فقالت :

— لقد حدثني بيتر عنك كثيراً يا فون جنتر ، وأخبرني أنك قلت له إنك لن توافقه في آرائه حتى يتخترع إنساناً يفكر .

— هذا حق ... إن كان بيتر قد صنع مثل هذا الانسان فستصبح الدنيا تحت قدميه ... فضحك بيتر قائلاً :

— إننا لم ننثه بعد يا فون جنتر ... ولكن انهمض بنا لنرى ماتم .

وكان العمل في الجناح الخلفى من المنزل ، فسرنا بصحبة بيتر في بحر ضيق ، يمشى الرهبة في النفس ، ويرسل القلب إلى القلب ، حتى بلغنا باباً أنقلته الحداث ، وفاء بما حمله من الرُنج . . . فقلت ضاحكاً :

— ما هذا ؟ ... أخشى أن يسلبك اللصوص صاحبك يا بيتر

كلا يا صديقي ... بل أخشى أن يملّ ضياقتنا فبهجرنا .

وطالع بيتر الباب حتى فتحه فوجدنا الفرفة ، وكان الظلام يجلل أركانها ، ويشئ جنباتها ، فضغط بيتر أحد الأزرار الكهربائية ، فغمر الفرفة نور زاهر ساطع يشئ العيون ، ويهر الأبصار ، ولكنه لم يُثر من حجب ، قدر ما أثار ذلك الجالس على المقعد في وسط الفرفة . وما إن لمح ناظرى ، حتى هب واقفاً في ريث وثودة ، كما يقوم الانسان المادى . ثم أخفى هامته الحديدية معلناً تحيته

ماجد من أمر نيكولى، وكانت تملأ عينيه المسخنة والمُجِيبُ، ويملكه زهو الأبوة النجبة بالولد الذكى النجيب .

وكانت شمس الطفل لا تزال تلتقي على الكون . وميضاً من شماعها عند ما لجنا غرفة نيكولى ففتح بيتر النافذة قائلاً :

— لو اعتمدنا فقط على أشعة الشمس لنبعث الحياة في أوصال « نيكولى » لرأينا موت في الليل وبمس في النهار، ولكن رأيت استدامة لنشاطه، وبقياً على حياته، أن ألبا إلى توليد أشعة الشمس في العمل ... ولكن انظر ... وأشار إلى نيكولى وكانت أشعة الشفق الحمراء قد بدأت تنمر الغرفة، وتفيض في أرجائها، فأرأينا نيكولى يقوم في تودة حتى يستقيم، ثم رفع ذراعه اليمنى حتى توازى كتفه، ثم يستدير على عقبه حتى يواجه الشمس الفاربة . فقال بيتر هامساً :

— « أ رأيت ... »، ثم استطرد قائلاً : « الآن عند ما تهبط الشمس الفاربة عن الأفق ... وتغيب على مدى ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال . وينقطع شماعها عن نيكولى تهاد حياته وتُخمد حركته . وكان الليل قد أخذ بنشر سحوفه الفاجعة ويرى مسوحه المظلمة على الكون، فأرل نيكولى ذراعه، وعاد الى مقعده، ثم جلس في صمت وحزن ... فقال بيتر :

— إننى لم أحاول بعدُ تمثيل هذه الظاهرة العجيبة ... لماذا رفع « نيكولى » ذراعه وبواجه الشمس الفاربة في خشوع وخضوع ... فأنعمت عينا سونيا . ثم قالت في صوت مضطرب :

— هذه عادة الفلاحين في روسيا، فعند ما ترسل الشمس الفاربة نظرتها الأخيرة الى الكون، يولون وجوههم شعار هارافين الأذرة،

الانسان المادى، فإن مخ الانسان يقوم في الجسم بمثابة مركز رئيسي تعاونه أعصاب مصدره وأعصاب مُوردة، فثلك إذا قربت يدك من مدفأة ساخنة حملت الأعصاب الموردة إلى المخ : أن ارفع يدك، فيصدر المخ أمره عن طريق الأعصاب المصدرة إلى اليد برفعها، وترفع يدك دون أن تحس بهذه الدورة العصبية .

فالشمع الأبيض الساطع يؤثر في مركز نيكولى العصبي فيجعله يقوم ويحيى، والشمع الأزرق يؤثر فيه تأثيراً مخالفاً فيجعله ينحى ويحس ... وكأ أن هناك مواد يجذب الحديد، فهناك أيضاً مولد تؤثر في الأشعة وتجذبها، ومنها صنعت مركز نيكولى العصبي . واستطرد بيتر قائلاً :

— وسيكون نيكولى وأمثاله من الملايين عمدة الحرب المقبلة، فلن يقف في طريقهم إنسان، ولن يفت في عضدهم قتال، أو يغل من خربهم سيف . — وتسابت إلى خاطري صور عدة، وتراحت في مخيلتي مشاهد كثيرة عن ذلك الرجل وأمثاله، وهم يدخلون إلى المدن، وقد سقطت تحت ربتهم، ووقعت في قبضتهم، فأخذوا يحطمون ما صادف طريقهم من عوائق، ويصرعون ما اعترض سبيلهم من جيوش ... فقلت :

— هذا حسن، ولكن ماذا جنت عليك تلك الأرواح البريئة التي ترهقها بما كشفه عليك، وأنتجتة فربحتك ... فرفع بيتر كتفيه قائلاً :

— وما قيمة الأرواح يا صديقي إذا هي وقعت في سبيل العلم ؟

ومضت الأيام تتبع الأيام، والشهور تتربص خطى الشهور، إلى أن كان يوم ثابتي فيه بيتر مشرق الوجه، منبسط الأسارير، ودعاني لمشاهدة

— المجد والشهرة؟ ... تلك أحلام يا صديقي ...
لن ينال المجد والشهرة سوى نيكولى ... أما نحن
فستصبح في زوايا النسيان بعد أن أنفقنا في خلقه
مئة صباناً، وأخلقنا جديّة شبابنا، حتى أصبحنا
نخطو إلى الهزال والسقام، كلما نخطو إلى السكّال
والنهام»

وأطرقت قليلاً ثم رفعت رأسها كمن خطر له
خاطر ثم قالت في سرعة:

— فون جنتنر ... إن نيكولى أسير في غرفته،
وأرى أنه لا بد محطّ ذلك الباب ومحطنا أيضاً
إذا تقدم به العلم قليلاً:

— ولكن كيف يحطّ سادته وأولياء نعمته؟
— كما حطّ الفلاحون الروس سادتهم وأولياء
نعمتهم



وهنا أدركت أن سونيا ورثت عن أسلافها
من النبلاء ذلك السكر المتأصل في نفوسهم للفلاحين،
وأنه قد دخل في دوعها أن نيكولى فلاح روسى ...
فهضت قائلاً:

مبتلين إلى الله ... ونيكولى فلاح روسى؛ فلا غرو
أن يقفوا أثر قومه ...

وكان وجهها شاحباً، وعيناها ذابلتين يبدو
فيهما ما يسيطر على نفسها من الرهبة، وما يرمض
قالبها من الألم «ورأى بيتر ذلك فقال مرعّباً عنها:
— سرّى عنك يا عزيزى ... إنك لست
روسية بعد ... وأما هذا الانسان فما هو إلا آلة
صماء خرساء ... فقالت متوسلة:

— ألا تنشغو عنه هذه الثياب يا بيتر ... إنه
يبدو فيها كالفلاحين اللذين كنّا نملكهم يوماً ما.
فضحك بيتر ولكنه لم يخف عنه الثياب.
وأظن أن تلك الأمسية كانت بدء كراهية سونيا
لنيكولى وسخطها عليه ... لقد كانت تعتقد أنها
تملك بيتر وحدها دون شريك، ولكنها اليوم
ترى لها شريكاً أشدّ، وخضماً ألدّ، يفرق بينهما،
ويحول دونهما.

ومضت بضعة أسابيع لم أر في خلالها بيتر إلى
أن قصدت ذات يوم زيارته، فوجدت سونيا
وحيدة في المنزل، وكانت تبدو كالزهره الذابلة،
فلا نضرة في القسمات، ولا نضادة في الوجه، ولا بريق
في العينين، وجلسنا نتحدث عن العلم وعن بيتر
إلى أن قالت:

— وماذا جد من أمر نيكولى؟ أترأه في طريق
التقدم؟

— نيكولى؟ ... لا تجرأ أبداً ذكر ذلك
الاسم ... لقد أصبحت أبغضه من كل قاي ...
ألا تعلم أن بيتر يقضى معه أيام الليل وأطراف النهار
دون أن يخرج من غرفته و ... قاطعتها قائلاً:
— ولكنه قريباً ما يتم وينال به المجد والشهرة.
وقالت مرعدة:

متزن الجرم من متسق الثبرات ، وقد عرفت فيه
صوت بيتر يقول :

— ومن هو ذلك الرجل الخالي من الروح ؟
فأسرعت إليه قائلاً :

— بيتر... إن سونيا لا يمكنها أن تصبر أكثر
من ذلك ... إنها تمتقد أن نيكولى يقف حجر عثرة
بينكما ، أخبرها أنه ليس إلا أئمة يتسلى بها عقلك ،

وألة تتلهى بها

يداك ... فر بيتر

بيده على جبهته ثم

تقدم لسونيا قائلاً :

— سونيا ...

إننى لست لأحد

سواك ، وما صنعت

تلك الآلة إلا لأخلد

اسمك بجوار اسمي ،

والألا جعلك ضهوة

بأعمالي ، وإن لفظة

منك لتجعلني أحاطه

محطها »

وأشرق وجهه

سونيا ، وبان الرضا

في عينيها ، وبدت

كن ألقى عن نفسه عبثاً ثقيلاً آده وبهره ...

وتحولت فجأة إلى نيكولى حتى لست صدره ، وكان

لا يزال رافقاً ذراعه ، فصاحت به :

— ما الذى يجعلنى أخافك أيها الإنسان الآلى ؟

إنك فلاح ونحن النبلاء لا نخشى الفلاحين . إنك

خادم لنا ولئمة في كفنا إننى لا أخافك ولا

أرهبك فأنت عاجز عن أن تمسنى بسوء ...

— سونيا ... هيا بنا إلى غرفة نيكولى ...
سأريك أنه ليس إلا آلة بسيطة يمكن الطفل أن
يجرهما ... هيا ...

— أقضى بذلك يا فون جنتز ... اجملنى
أعتقد ذلك ... اجملنى أعتقد أن نيكولى ليس إنساناً
وأخذت يدها إلى العمل ، وكان نيكولى جالسا
كمادته في ملابسه الروسية ، وكان يبدو عليه أنه أقرب

إلى الانسانية من

ذى قبل ، ونظرت

فاذا سونيا ترمقه

من خوف . فقلت

لها وأنا أشير إليه :

— بضع مئات

من الأبطال

الحديدية ! هذا

كل ما فى الآلة

— هذا كل

ما فى الآلة ! كلا

باسيدي ...

وأسرعت إلى

النافذة ففتحتها ،

وكانت الشمس قد

أذنت بالغروب

ففاضت في الغرفة أشعة الشفق فقام نيكولى كمادته ،

مولياً وجهه شطر النافذة رافقاً ذراعه اليمى ... فقلت

— هذا عمل آلى محض ... ثم استطردت

صاحكاً :

— سونيا أنتخين رجلاً خالياً من الروح ...

خالياً من الشعور

وارتفع في تلك اللحظة صوت من أقصى الغرفة



الصلة الروحية التي تربط الناس ببعضهم... وأظنك تعلم مبلغ حي لسونيا ، والآن وقد قضت نحبها فاني أحس أني قضيت معها نحيبي ...

لقد أزهقت آلائي إبان الحرب من الأرواح البريئة ما يميز عن حصره البيان ... وكل روح من تلك الأرواح ... لا بد أن كان هناك من يألم لها ألى الآن على سونيا

وأطرق قليلاً ثم رفع رأسه قائلاً في حزن :
— لقد كان العلم في يدي أداة لأهلك العالم وتدمير الأرض ، فلم لأجعله أداة لأسعاد العالم وخدمة الانسان ؟

— يمكنك أن تعمل على ذلك يا بيتر ... ولقد وهبك الله قريحة هي خير من يخدم العالم إن شئت ، فأجاب في ألم :

— حقاً ... حقاً ... سأعمل على ذلك يا ثون جنتنر ، سأصلح ما قدمت يداي ، سأسو جراح العالم ، وأدرك عنه ويل الحرب ...

واستقام الفون جنتنر واقفاً ، وسار إلى الشرفة في خطوات متزنة ، وكانت الشمس قد هبطت عن الأفق ، وغابت على مدى ثلاثة وتسعين ميوناً من الأميال ، وبدأ الليل ينشر ذوائبه الفاحشة ويرخي نقابه الأسود على الأفق ، فاستدار الفون جنتنر إلى قائلاً :

— لقد كنت تريد أن تعرف لماذا يؤثر ستونهم الآن خدمة السلام العام .. ولماذا اختار اسم سونيا فني اسماً لتأزله الجديد ...

— « حسن ... لقد أخبرتك »

أحمد فني مرسى

وفي طرفة عين ، ودون إنذار أو تحذير سقطت تلك الذراع الحديدية الثقيلة على رأس سونيا ، كما يسقط الحجر على بيضة الطائر فيحشها تهشياً

ووقف كل منافي مكانه مشدوهاً من هول الحادث ، ومضت برهة قبل أن تجمع أشتات عقليها وعلق بصري نيكولي ، فرأيت به مجلس في هدأة وسكينة... وصعد في رأسي ذلك السؤال فجأة . « لماذا أسقط نيكولي ذراعه في تلك اللحظة ؟ » رجاء تذكرت أن الشمس قد هبطت عن الأفق ، وغابت على مدى ثلاثة وتسعين ميوناً من الأميال ، وأن الظلام عاد يُرخي سدوله وينشر مطارفه السود على الآفاق ونظرت الى بيتر وكان وجهه الشاحب كوجوه الموتى ، جامداً لا يتحرك ، شاخصاً لا يطرّف . واستدار على عقبيه فجأة دون أن ينبس ببنت شفة ، وخرج من الغرفة ثم عاد بسد قابل وبين يديه قضيب ثقيل أنهال به على نيكولي فحطم رأسه ، وهشم أوصاله حتى ملأت أرض الغرفة . وكانت سونيا تسبح في بركة من الدماء ، فتقدمت الى جنبها ونقلتها الى غرفة أخرى ثم عدت الى بيتر وكان مستغرقاً في ذهوله ، وما رأى حتى قال دون أن يبي ما يقول :

-- فون جنتنر ... أكان نيكولي آلة حقاً ... أم كان إنساناً يعقل ما يفعل ؟ أتراني خلقت فلاحاً روسياً يتخذ على البلاء وتفيض نفسه بالانتقام ؟ — هذا توهم يا صديق ... إنك لم تتدع إلا آلة كان موت سونيا خطأ منها .

فنظر إلى بوجهه السام الحزين ثم قال :

— فون جنتنر ... إنني لم أقدر قبل الآن تلك

المُسْتَرِجُوكُ وَرَفَاقَةُ

للمقصي الانجليزي شارلز ديكنز

(تابع ما نشر في العدد السابق)



شارلز ديكنز

وكانت صفات تلك الفتاة ومفاتها قد تركت
أثراً عميقاً في نفس مستر توبمان فسأل الرجل :-
« هل السيدة في إنجلترا الآن أيها السيد ؟ »
- « لقد ماتت أيها السيد ... ماتت »
وعندئذ وضع الرجل على عينه خرقه صغيرة
قذرة كانت بقايا منديل قديم وأتم كلامه قائلاً :
« لم تسمع بتهدم هيكلها ... وذهبت فريسة »
وسأل سندجراس ذو النفس الشاعرة : « وماذا
كان من أمر والدها ؟ »
- « حزن وشقاء ... اختفى فجأة ... حديث

وأجبه الرجل على حين غفلة إلى مستر توبمان
قائلاً : « فتاة جميلة أيها السيد » ، وكان مستر
توبمان يصوب نظراته في مظهر لا يتفق ومبادئ
تلك الجماعة ، جماعة بكوك ، إلى عادة في الطريق .
وأجاب توبمان بقوله : « جداً »

- ليست فتاتنا من الجمال كفتيات أسبانيا
مخلوقات نبيلة .. شعر أشقر ... عيون دمعج ...
قدود رشيقة ... مخلوقات حلوة ... جميلة
وتسأله مستر توبمان : « هل زرت أسبانيا
أيها السيد ؟ »

وأجابه ذلك الشخص قائلاً : « قضيت هنالك
عصراً »

فسأله مستر توبمان : « هل ثمة من انتصارات
أيها السيد ؟ »

- انتصارات آلاف ... دون بولارد
فزجيح ... جراندى بنته الوحيدة ...
دونا كرسيتينا ... مخلوقة جميلة ... تحبني حب
الجنون ... أب حقود . ابنة عزيزة النفس ورجل
انجليزى وجيه ... دونا كرسيتينا في يأس ... سم .
مضخة صغيرة للمعدة في حقيبتى ... عملية ناجحة ...
بولاردو المعجوز في سرور غالب ... يوافق على
زواجنا ... أيد مشبكية وفيض من الدمع ... قصة
مؤثرة ... جداً »

هل يبقى في الفندق ؟ وأجاب الرجل بأنه لا يمتزم البقاء . ثم اتجه مستر ونكل إلى مستر بكوك وتميمض كلات ، ثم سرت حمسة من فم مستر بكوك إلى اذن مستر سندجراس ، ثم من مستر سندجراس إلى مستر توبمان ، وأخيراً اهترت الرؤوس كلها بإعادة موافقة ، فخطب مستر بكوك ذلك القريب بقوله :

« لقد أوليتنا اليوم صنيعاً جليلاً أيها السيد ،

فهل تسمح لنا أن نتقدم بدليل بسيط على ما نكنه لك من شكران ؟ إننا نرجو منك أن تشرف مائدتنا اليوم » مع فائق السرور ... ولتكن دجاجة ومرق وما يقدم معها ... على أنى لا أقترح ... ومتى يكون ذلك ... ؟

وأجاب مستر بكوك : نحن الآن قبيل الساعة الثالثة ، فهل يلائمك أن يكون الأكل عند الخامسة ؟

... يلائمني ذلك تماماً ... عند تمام الخامسة ... وإذن فلتعونا بأنفسكم حتى ذلك الوقت ... وانطلق الرجل بعد أن رفع قبضته قليلاً عن رأسه وأعادها في فتور ؟ وكانت تبرز إلى النصف من جيب سراويله تلك الحزمة الملفوفة بالورق البني اللون ، وكان سريع الخطو خفيف المشية ، ورأوه ينمط في الشارع المجاور

واتجه مستر بكوك إلى رفاته قائلاً : « يظهر في جلاء أنه رجل كثير الأسفار والتجوال في الممالك ، وأنه دقيق للملاحظة وثيق الخبرة بطبائع الناس والأشياء

وأجاب مستر سندجراس : « كم يشوقني أن أرى ما حمله ! »

وقال مستر ونكل : « وأنا كم أود لو أنى رأيت ذلك الكلب »

المدينة كلها ... بحث في كل جهة ... لا طائل ... يقف انفجار الماء بفتة من النافورة في الساحة الكبرى ... أسابيح تنصرم الماء لا ينبعث محال لتطهيرها ... نزع الماء الراكد ... وجه حارى رأسه إلى أسفل في فوهة النافورة ... أخرجه ... تلعب المياه متدفقة من النافورة كالم يكن هناك شيء »

ولقد بلغ التأثير بمستر سندجراس مبلغاً عظيماً فقال : « هل تسمح لي أيها السيد أن أثبت في دفترى تلك المأساة الصغيرة ؟ »

— « اسمع لك لا ريب أيها السيد ... خمسون غيرها إن شئت أن تسمع ... حياة غريبة . تاريخ عجيب ليس تاريخاً فذاً ... ولكنه وحيد في باب » وظل الرجل يقص من تاريخه عليهم وهو يتناول بين الفينة والفينة كأساً من الخمر ، حتى بلغت العربية قنطرة روشستر ، عندئذ كانت صفحات كل من مستر بكوك ومستر سندجراس قد امتلأت بما اختاره من غمطاته

ولاحظ لأعين السفر قلمة قديمة ، فصاح مستر سندجراس بكل ماوسمه من حماسة شعرية أنصف بها « يا لها من أطلال فاخرة ! »

ورفع مستر بكوك منظاره القريب إلى عينيه فانطلق لسانه قائلاً : « ما أعظمها موضع دراسة لن يعنى بالآثار ! »

وقال الرجل : « آه ... مكان جميل ... قلمة فاخرة ... حوائط عابسة ... أنوار متدامية ... برج ... متهدم وهناك كنيسة قديمة أيضاً ... برت سلفها أقدام الحجاج ... » وهكذا ظل الرجل يهذى بمثل تلك الببارات حتى بلغت العربية فندق « بول » فنزلوا ؛ وهناك سأل مسترونكل ذلك الرجل

خنجره ، وجرح الفتاة في كتفها ، وهو ما فعل ذلك إلا على سبيل الدعاية فحسب . ومع ذلك فقد كان هذا الفتى الطريف أول من حضر إلى الحانة في الصباح التالي ، حيث أعرب عن استملاكه لتناسي الحادث كأن لم يكن هناك شيء .

واستمر مستر بكوك يصف المدينة قائلا : ويخيل إلى أن التبغ يستهلك في هذه المدينة بكثرة هائلة ، وأن تلك الرائحة التي تملأ شوارعها ليستسبها ويستمرئها أولئك الذين اشتد ولوعهم بالتدخين . ولقد يأخذ السائح الغريب على المدينة وضواحيها ما يراه من قذارتها ، تلك القذارة التي تملأ شوارعها ؛ بيد أن هؤلاء الذين يرون في تلك القذارة علامة الحركة ودليل النجاح التجاري ، يرتاحون ، لا ريب ، إلى ذلك المظهر . وحضر ذلك الغريب عند الساعة الخامسة وهو الموعد الذي حددوه . وما هي إلا برهة حتى أحضر الطعام . ولم تك مع الرجل تلك الحزمة الملفوفة في الورق البني ، ولكنه لم يغير شيئا من هندامه ، بيد أنه عاد أكثر ثرثرة ، إن كان هذا ممكنا فلما رفع السلام غطاء أحد الأطباق تسادل الرجل : « ما هذا ؟ »

وأجاب الغلام : « هذا سمك طرى ياسيدي » — « سمك طرى . آه ... سمك عظيم ... يردك من لندن ... أصحاب عربات الرحيل يأتون بولائم سياسية ... عربات تقل ملائي بالسمك الطرى ... عدد من السلات ... قوم ما كرون . كأس من الخمر ياسيدي »

وأجاب مستر بكوك قائلا : « بكل سرور » وشرب الرجل من تلك الخمر أولا مع مستر بكوك ، ثم مع مستر سند جراس ، ثم مع مستر

ولم يقل مستر تومغان شيئا ، ولكنه كان يفكر في دونا كرسيتينا وفي النافورة ، ومن ثم فقد امتلأت عيناه بالدموع

وبعد أن احتجز هؤلاء غرفة جلوس لهم ، وخبروا غرف نومهم ، وأمسوا بأعداد ما رغبوا من طعام ، خرجوا من الفندق يلقون نظرة على المدينة وما يحاورها

وإنما لا نجد فيها أثبت مستر بكوك في دفتره عن المدينة وما حولها ، ما يشعر بأن ما تركه مغلظا من أثر في نفسه يختلف في شيء عما كتبه غيره ممن زاروا تلك الجهة ، ومن السهل أن نوجز وصفه فيما يلي :

« يتبين لي أن ما تنتجته هذه المدينة وجاراتها ، هو الجند والبجارة والبهود والطباشير والجبري والضباط وعمال المواني ، وأن ما يمرض عادة للبيع في شوارعها العامة لا يبدو الواردات البحرية والنفخ والسمك الطرى والجند في . وتقع العين في تلك الشوارع على مظهر بهيج حتى يكون مبعثه في الغالب صرح الجند وزياطهم إذ يتجمعون . ولعمري أن ما يبهج نفس كل امرئ سخى اليد يحب معايشرة الأصدقاء ، أن يرى هؤلاء الرجال الطرافيع عجوج بعضهم في بعض ، بفعل ذلك الفوضى الجماسي ، ترسله سمية الأجسام والأرواح ؛ ويتجلى ذلك على الأخص ، إذا ذكرنا ، أن السير في إثر هؤلاء ومشاركتهم في مزاحهم ، يهيئ متعة رخيصة بريئة للعامة ، فليس هناك من مظاهر الانبساط ما يفوق انبساط نفوسهم ورقتها . حدث قبل مجيئي بيوم أن أهين أحدهم إهانة بالغة في حانة عامة ، فلقد أبت ساقية الخمر أن تعطيه من خمرها زيادة على ما أخذ ؛ فكان جوابه على ذلك أن استل

الغلام تاركاً الجماعة يستمتعون براحة تبتك الساعةتين
اللتين تعقبان الفداء

وقال الرجل الغريب : « عفوا ومذرة أيها
السيد ... بقيت زجاجة ... أدراها ... وجهة
الشمس ... أدبروا الكؤوس واشربوها حتى الثمالة »
ثم أفرغ كأسه وكان قد ملأها منذ دقيقتين ، وعاد
فلأه في هيئة من اعتاد ذلك الفعل

وأدبرت كؤوس الراح وطابت مقادير جديدة ،
وأخذ الغريب يتحدث وجماعة بكوك بنصتون .
وكانت الرغبة في رؤية الحفلة تلح على مستر توبمان
بين لحظة وأخرى ؛ وأشرب وجه مستر بكوك بثلث
الصبغة ، وشاعت فيه تلك الحرارة التي يبعثها
الاحساس العميق بالأخاء ومحبة الرفاق ، وأخذ
النماس كلاما من مستر دنسكل ومستر سندجراس
فناما ملء جفونهما

وقال الغريب : « بدأ الحفل في الطابق العلوي .
اسمع أصوات الجمع ... تختبر القيثارات ... ثم
المود ... لقد بدأوا ... » ولقد دلت الأصوات
المختلفة التي وصلت الى أسفل البناء أن هؤلاء
الراقصين قد بدأوا الشوط الأول
وغاد مستر توبمان يقول : « كم أعنى أن أشهد
الحفل ! »

وعاد الغريب قائلا : « وأنا أيضا كم أعنى ذلك .
لئن الله ذلك الناع الثقيل ... كتلة ضخمة ...
ليس لدى من اللابس ما أردته لأذهب الى البهو ...
موقف نكد ... أليس كذلك ؟ »

وكان الاحسان والخير العام في مقدمة المظاهر
الرئيسية في مبدأ جماعة بكوك ؛ ولم يكن ثمة فهم
من هو أشد ظهورافي إخلاصه لهذا المبدأ من مستر

توبمان ، ثم مع مستر ونسكل ، وأخيراً مع الرفاق
مجمعين ، كل ذلك في مثل ما يتكلم من سرعة ؛
وراح يسأل خادم الفندق قائلاً : « جلبة شديدة
على السلم يا غلام ... مقاعد صاعدة الى أعلى ، نجارون
يهبطون الى أسفل ... مصابيح ... كؤوس ...
قيثارات ... فبم كل هذا ... ؟ »

— « للرقص يا سيدي »

— « اجتماع ؟ »

— « كلا يا سيدي ، ليس هو اجتماع يا سيدي ،
هو حفل من أجل عمل من أعمال البر يا سيدي »
وسأل مستر توبمان ذلك الغريب في شوق :
« أوجد كثير من الفانيات في هذه المدينة ؟ هل
لك علم بذلك أيها السيد ؟ »

— شيء فاخر ... مراكز رئيسي . كنت
أيها السيد ... كل امرئ يعرف كنت .. تفاح ..
برقوق ... خمر ... نساء ... كأس من الخمر
يا سيدي .

وأجاب مستر توبمان بقوله : « مع عظيم السرور
يا سيدي » ثم ملأ الرجل كأسه وأفرغها
ثم استأنف مستر توبمان حديث الرقص قائلاً :
« كم أعنى لو أتيت لي الذهاب الى ذلك المكان ا
كم أعنى ! »

وتدخل الغلام بقوله : « تباع التذاكر في الحانة
أيها السيد ، وعن الواحدة نصف جنيه »

وأعرب مستر توبمان ثانية عن رغبته الشديدة
في مشاهدة ذلك الحفل ، ولكنه لم يجد أى رد
في عيني مستر سندجراس ، ولا في حلقة مستر
بكوك الفارغة ، أكب في لغة عظيمة على الشراب
والحلوى وقد وضعا إذ ذاك على المائدة . وانسحب

الى النعاس ، قد أخفت تدب الى حواس مستر بكوك . وكان هسنا السيد ، قد تقاب في تلك الدرجات التي تسيق عادة الخلود الذي يتلو الأكل وما يلحق به . أخذ يهبط من قمة الانتشاء الى أحماق البؤس ، ويصعد من أحماق البؤس الى قمة الانتشاء ، فيسكن بذلك كصباح الناز في الشارع . لم تنكد تهب الريح على فوهته حتى كان كالصباح ، انبث منه أول الأمر وهج شديد للنعاس ، ثم ما لبث أن خفت حتى لتجسبه قد انطفأ ، وما هي إلا برهة حتى انبثق نوره ثانية ليلتحم لحظة ثم عاد فارتش ذلك النور واضطرب حتى انطفأ في النهاية . ومال رأسه فاستند الى صدره . ولم يك ثمة شيء مما تستدل به الآذان على وجود ذلك الرجل العظيم ، سوى ذلك الشخير المتتابع ، تقطعه بين آونة وأخرى حشرجة طفيفة .

وكانت قد اشتدت في تلك الآونة رغبة مستر توبمان في أن يشهدهم الرقص ويرى لأول مرة مقدار ما يتركه جمال فادات كنت من أثر في نفسه . كذلك اشتدت رغبته في أن يصطحب معه ذلك الغريب ، فهو لم يسبق له علم بتلك الجهات ولا يساكنها . على حين يخيل إليه أن ذلك الغريب يعرفها كأنه عاش فيها منذ نعومة أظفاره .

وكان مستر ونكل يبط في نومه ، وكان صديقه مستر توبمان يعرف معرفة خبرة ووثوق بما شاهده من أمر صاحبه في مثل تلك الأحوال أنه إذا استيقظ من نوم كهذا ، فما يكون ذلك حتى في الأحوال العادية إلا لكي يلقى بنفسه على سريريه . وصاح ذلك الغريب الذي لم يعرف التعب برفيقه قائلاً : « إملأ كؤسك وأدر الخمر » .

وفعل مستر توبمان ما طلب إليه . وكانت تلك

ترامي توبمان . وإنك لتجد فيما أثبت في سجل الجماعة من مواقف ذلك الرجل الفذ ما لا يسهل تصديقه ؛ وفي تلك المواقف ترى هذا الرجل يتدق مبراته على بقية الأعضاء ويمد إليهم يد المساعدة وقال مستر توبمان لذلك الغريب : « إنه لما يسمدني أن أعطيك من ملابس ما يني بفضك ، ولكذك تبدو نحيفاً على حين أفي ... »

— « إنك بدني ... ياخوس إله الخمر الشاب ازداد بدانة ... قطع أردانه ... ترجل من فوق برمبل ... يرتدى سترة ضيقة من الصوف تلتصق بجسمه ... ها ... ها ... أدر كؤوس الراح »

وليت شمرى هل امتعض مستر توبمان بعض الانتماض لتلك اللجة التي طلب بها إليه ذلك الرجل أن يدير الخمر التي مالبت أن عبها ، أم أنه وقد رأى عضواً من أعضاء جماعة بكوك يشبه ياخوس المترجل ، قد أحس في ذلك تشهيراً به وتمريضاً شنيعاً ؟ ذلك أمر لم يتبين بعد . ناول الغريب الخمر وتكلف السعال مرتين ، ووجه إلى الرجل نظرات صارمة حادة استمرت مدة ثوان ، ولكنّه لما رأى من ثبات ذلك الرجل وهدهده ما رأى على الرغم من تلك النظرات لم يبدأ من أن يستردها شيئاً فشيئاً وأبى يود به إلى حديث الرقص فقال :

« أردت يا سيدي أن أقول إنه إذا كانت ملابسى لا تلائمك لشدة وسمتها ، فإن ملابس صديقي مستر ونكل ربما كانت مناسبة » .

وقاس الرجل بينه ملابس مستر ونكل وانبعطت أسارير وجهه وهو يقول : « إنها عين ما أريد » وتلفت مستر توبمان حوله ، فرأى أن الخمر التي سافت صديقيه مستر سندجراس ومستر ونكل

الحرفين (P. C.) على الجانبين (١). وتساؤل ذلك
الغريب « P. C. ؟ ماذا ... منظر غريب ... صورة
ذلك الرئيس و P. C. ماذا تمنون بذنبك الحرفين ؟
أتريدون بهما « Pebuliar Côt » (٢) ؟ وراح مستر
توبمان يشرح للرجل في امتعاض شديد وفي زهو
وترفع ذلك اللفز الخفي

وأخذ ذلك الغريب يقول وهو يدور على عقبيه
ليرى نفسه في المرآة : « تبدو قصيرة عند الوسط ...
أشبه بستره رجل البريد العام ... حلل غريبة تلك
الحلل ... صنعت بلا قياس ... تسمى مكوسة ...
وتلك من غفلات القدر التي لا تفهم ... كل من
طالت جسيمهم تكون حللهم قصيرة ، وكل من
قصرت أجسامهم تكون حللهم طويلة »

وفي أثناء تلك الثثرة ، أصاح الرجل وضع
ملابسه ، أو على الأصح ملابس مستر ونكل ، وسار
في محبته مستر توبمان ، فصعدا السلم إلى بهو الرقص
وسألها الرجل الواقف بالباب « ما اسمكما أيها
السيدان ؟ » . وهم مستر توبمان أن يتقدم ليسمع
الرجل القابح خال صاحبه بينه وبين ما أراد

« لا تذكر أسماء قط ... » ثم همس في أذن مستر
توبمان بقوله : « لا قيمة للأسماء ... غير المروفة ...
أسماء حسنة جداً في ذاتها ولكنها ليست عظيمة ...
أسماء لها قيمتها في جمع صغير ، ولكن لا يقام لها
وزن في حفل عام ... قل : رجلاً من لندن ...
غريبان من ذوي السكاة ... أي شيء » .

وفتح الباب على مصراعيه وتقدم مستر تراسي
توبمان وذلك الغريب فدخل بهو الرقص
(يتبع)

(١) حاف في الإنجليزية الحرفان الأولان من تلك العبارة
نادى بكوك (Pickwick Club) (٢) حلة خاصة

السكس الأخيرة كما أنها حافظ جملته بمقد النية على
تنفيذ ما اعترم . ثم أتجه الى صاحبه قائلاً : —

« تقع الحجرة التي سينام فيها مستر ونكل
داخل حجرتي ، وأنا لا أستطيع إذا أيقظته الآن
أن أفهمه ماذا أريد منه ، ولكني أعرف أن عنده حلة
كاملة في حقيقته ، فإذا فرضنا أنك ارتديتها وذهبت
بها الى البهو ، ثم خلعتها بعد عودتنا ، فاني أستطيع
أن أضاعها في مكانها دون أن أزعجه الآن أو أقلقه »
« فكرة صائبة ... حيلة فائقة ... موقف
نكد لمين ... أربع عشرة حلة في ذلك المتاع الثقيل
وأراني مضطراً أن ألبس ثياب رجل آخر ... فكرة
حسنة جداً ، تلك الفكرة ... جداً »

وقال مستر توبمان : « يجب أن نشترى
تذاكرنا »

— « أمر لا يحتاج أن تقسم الجنيه قسمين ...
دعنا نقترح من يدفع للآخرين ... ألقى الجنيه على
المائدة ... لفه كما تلف المنزل بأصابعك ... أنا أقول
إنك ستجد الوجه الذي رسمت عليه للمرأة ... للمرأة ...
المرأة ... المرأة الساحرة »

وألقى الجنيه على المائدة وظهر منه الوجه الذي طبع
عليه الفارس وقد سماه الرجل بالمرأة من باب التظرف
ودق مستر توبمان الجرس واشترى التذاكر
وطلب إلى الفساح مصباحاً أو شمماً يذهب به إلى
الحجرة ؛ وبعد ربع ساعة كان ذلك الغريب يخطر
في حلة مستر ونكل

وبينا كان الرجل ينظر إلى ثيابه في المرآة قال
مستر توبمان : « إنها حلة جديدة ، وهي أول حلة
صنعت بمحمل زرار فلوينا » . ثم وجه نظر الرجل
إلى ذلك الزرار الكبير المذهب الذي طبع في
وسطه صورة وجه مستر بكوك ثم كل من تينك

ومتكلم وقد غرق القوم
في ثورة حادة من الجدل ،
والنساء قائمات يتحدثن ،
وهناك مغفرة حسناء
تتحدث مع الأمير »

منظر وميد

المتفرجة الحسناء ، الأمير ،
المتفرجون والمتفرجات ، وفي
القدمة زوج متصل الأنجلز ،
وصديق الشاعر ثم مارسيلوس
ثم أوجاني فالدير فالشاعر

مشرقية شعرية في أربعة فصول
لشاعر الفنى بريس رستان

بقلم الأستاذ خليل هندأوى

المتفرجة الحسناء — كان ينبغي أن يبدأ
الساعة الثامنة ؟
الأمير — لنحدث يا عني زني متأملين الأنوار
الساطعة

المتفرجة — (شاك) أبلغ من العبقرية
هذا الحد ؟

الأمير — هكذا يقال

المتفرجة — (المتفرجة تهجئ دون لفتاء عنوان
القطعة الجديدة على الورقة)

أبو الهول : كيف كانت مسرحيته الأخيرة ؟
الأمير — أجريئة ؟

المتفرجة — فوق ما يتصور

الأمير — أبلفت جرأة لا يستطيع إخمادها .
فكرى في أن ليس فيها مكان ناء ، على أننا هنا

جالسون في مكان ملائم كل الملاذ

المتفرجة — وماذا يقولون من القطعة بالاجال ؟

الأمير — لا أدري (بصوت منخفض) يتكلمون
عنها كثيراً بالسوء ! ينبغي أن يتحدث عن

ضئف القطع قبل تمثيلها خشية أن يكون بعدها ...

متفرجة أخرى — أنظروا الدوقة ، كانت

- الشخصيات
- ١ — باديس إيجلانو
 - ٢ — مارسيلوس
 - ٣ — أوجاني
 - ٤ — الأمير
 - ٥ — صديق الشاعر
 - ٦ — الحسناء
 - ٧ — الدوق لوجانو
 - ٨ — فني عاشق مصري
 - ٩ — أبو الهول
 - ١٠ — إيزابيلا موني
 - ١١ — فتاة مصرية
 - ١٢ — سانتيا
 - ١٣ — فتاة عاشقة مصرية
 - ١٤ — الحسناء المتفرجة
 - ١٥ — السكاتيلي

(تجرى حوادث المسرحية في إيطاليا ثم تنتقل إلى مصر الحالية)

الفصل الأول

المهر : أمسية تمثيل في روما في المسرح الكبير
الحالي وقد ظهر قسم من البهو تشرف فيه القاعد
الأمامية واللوج المواجه للفصل ، الستار لا يزال
مربى ، هذا مساء يتكرر فيه تمثيل مسرحية
« أبي الهول » للشاعر الإيطالي « باديس إيجلانو »
وخلال ذلك يكون المتفرجون يبيع قاعد وقائم

الأمير - (هزه) بدور أبي الهول ، لاريب ا

أخرى - إنها لغريبة الأطوار

المتفرجة الحسان - إنها تنزه قرداً !

الأمير - كأنما تريد أن تظهر ببحث كيف

تقبض دوماً على القرد الذي يذبح رجلاً

المتفرجة - إن لها حفلات راقصة أشدهياجا

من مواطن الفعش والهريفة

أخرى - على أنها تؤثر على كل شيء قبس

أوار الشموع

الكاتيللي - وهل أنت على ثقة بأنه عشيقها ؟

متفرج - من ؟

الكاتيللي - وهل عندك شك في ذلك ؟ هو

باريس يجبلانو . وهذا سبب الفهمما الآخذة

في النمو

أخرى - إنها لا تمثل إلا الأدوار التي

تخرج منه

أخرى - وطالما اعترفت بذلك من قبل

متفرجة - ولكنها يارفيقي كانت مخاطبه

في فينيس في شهر يونيو الأخير - بلهجة الفرد

أمام أصحاب الزوارق

أخرى - لو شئت لأصبحت شهيرة الاسم فدا

أخرى - إن لها كلاباً سلوقية ، وتخرج

شبه عارية

الأمير - ليس هذا بالرائع كشىء غريب ،

فاصفحوا عنها عاجلاً لجلالها ، واصفحوا عنها سريعاً

لظرفها الذي يتألاً حولها حيث خطرت ، في ذلك

النهار ، في القصر . . .

المتفرجة - في « السوفونيسيا » . .

الأمير - زلت شاحبة الوجه بعشية تنبؤها

عليها « بياتريس » وتحسدها « لورا » نظراً إليها

بالأمس بزادها الأزرق ، وفي هذا المساء برداء

حالك اللون ، لونه الغريب يزي بالسواد ، وانظروا

قريفة الفصل (تظهر بينهما شخصان)

مدعو - أمي جميلة ؟

الأمير - كزنبقة تهوى عليها أنظار الرجال ،

تستوى وتشكى على أصابعها ذات الخوازم البراقة

متفرجة - (بسخرية) كل هذا - دائماً -

من أجل باريس يجبلانو !

حسود - يا لحظه !

الأمير - وهل أنت آسف على ذلك ؟

الحسود - إنني أنتظر . يجب أن ينتهي ذلك

يوماً : الكل ينتهي من نساء ، من مجد ، إزايلا

موق ، إن في خوزنه كل شيء

الأمير - ولكن ليس لك إلا أن تعمل عمله ،

فابلغ القلوب فهزها . إن هذا ليس بمسير

الحسود - أنظر ! لا مقعد فارغ ! إنه ترك

المدينة تأتى إليه سعيماً ، والناس كلهم منتشرون

إزاء الستار

الأمير - ولكنى لأراك في المقدمة ،

وأجذك مولياً ظهر لك للستار

الحسود - ذلك خير !

الأمير - ماذا تنتظر أيها الصل الرقيق

الممس !

الحسود - أرجو أن أرى رواية أخ من

إخواننا يصفر لها الناس صغير استهجان !

امرأة - ما هذا التخلف !

أخرى - يجب أن تكون « إزايلا موق »

سبب هذا التخلف ؟ ومما يتكرر دائماً هذا

التخلف

أخرى - وبأى دور تقوم ؟

الصدق — إنه كثير الإيمان بنفسه وذلك ما يبعث على القلق... ثم ما ذا نقولون؟ إنها ليست من المرح على شيء. آه لو يهجر هذه الأنواع موجهاً بعقريته إلى مواضيع أكثر وجاهة. لو فعل ذلك لضمن له الفوز دون شك. قلت له ذلك مراراً، وأعدت عليه القول تكراراً فلم يذعن! على أن عندي مواضيع المسرح كثيرة. وما عليه إلا أن يكتب ويتوجه إلى الناس بما يفهمونه: فن حب متواضع، ومن مفاجآت، ومن لحظات روحية، أو من ضحك يؤول القليل منه إلى بكاء؛ وأخيراً النموذج الذي ينطوي على كل شيء مما يباد تشبهه مئات المرات. ولكنه يأبى الاذعان لرأيي، والشعب مهما ارتق لا يزال مقتنعاً إلى أن نسليه؛ أما أن نقص عليه تاريخه فهذا كبير! أما مسرحياته فلا بطل لها سواء، وفي هذه المرة أيضاً...

فتى — (يتذمر)

هل تعرف القطعة؟ وما مأخذك عليها؟

الصدق — كما بها

امرأة — (بخرقة) حقاً؟

الصدق — لقد أراد — وأضحكى بنفسه

ذلك — أن يعالج أكبر مسألة في الوجود، وهي مسألة الموت. والمسرح ينفر من مثل هذا. ولقد يهين شعباً من يريد أن يحمله على التفكير. المسرح يفترق إلى عمل، وخصومة وسارتين. ولا يستطيع أحد أن يؤلف قطعة بقلبه وحده

امرأة — من يدرى؟

الصدق — العمل المسرحي هو الشرط الأول:

أنتقون بي؟ إنه ناقضي: وبدلاً من أن يبعد إلى رواية جديدة ليبت بطلينا ما يرضى عنه مقباسبه الخاص جاعلاً من المسرح مكان اعتراف، بمعتقداً

بميين تلرنت، ونظر بعضنا بعضاً، وقد غشيت وجوهنا كذلك صفرة. كم كانت جميلة! تخيل الينا أن وجهها الذي فاض منه الدم رخام شفاف فهمس أحدها: إنها «ديانا». وقال الآخر: «إنها آريانا» وهكذا كانت تمشي الألباء حولها وتعالى وتنخفض كأكليل متوهج، وللجمال أسماء متعددة، أما هو فواحد!

الكاتبيلي — (متكة على مقعدها تقرأ العنوان بدون اكتراث على صفحة البرنامج) أبو الهول؟ إلى أحب هذا العنوان؟ إنه يمثل النواويس القديمة، السباء الزرقاء، الصحراء... هل تعرف مصر؟ (يضع صوتها في الضوضاء)

الأمير — (وقد لمع متراجديداً) وهذا صدق جميع للشاعر...

المتفرجة — هذا الأشقر!

الأمير — إنه سيحدثنا منه عن السوء الذي نريده

المتفرجة — صديقه؟

الأمير — حقاً؛ إليكم هذا القانون: إذا كان لنا من يفضنا فهم أخلاؤنا. لنناده...

صديق الشاعر — (تاملاً) أنت؟

الأمير — (يقدّمه للحساء) صديق للشاعر

الصدق — سترون أن المشهد الأول هو خير المشاهد

الأمير — أحقاً؟

الصدق — (متندباً) والثاني

الأمير — تهديتك فيها تيه، وهل أنت

وائق بالفوز مع ذلك؟

الصدق — أريد أن أؤمن به ولكن (بتنهدة ثانية)

الأمير — وهذه فيها قلق...

إنك لا تفكر إلا في المال من حيث لا يفكر
إلا في الفن .

الحسود — (غاطباً التفريجات الألي بالإنه)
شقيق المؤلف .

مارسيلوس — ولا ينظر إلا إلى الجمال العميق
البعيد القور . المجد عندكم مجد مدح الناس وأعجابهم
ودعواتهم وأوسمتهم ، ولكن المجد — عند قلبه
الذي يجهل دموعكم — هو ملكة مختلة مخاطر حافية .

إن ما يريد ليس بذلك الفوز الزائل الذي يهتز له
ضحكا جالسا الواقع الأولى ، ولكن ما يريد
هو الشعور القوي المنيف بخفقات القلوب بحبيب
خفقات قلبه بسمو ورقة ، وهو إنما يبرهن
النفس الانسانية إذ يبرهن عن نفسه ، ويرى أن
تحقيق الظفر للقطعة يوجب عليه أن يحررها بقلبه ،
كل ما يتكرونها يتكرونها ذوق متصنع متكافئ على
أن أكبر أثر هو تضحية كبيرة !

(ينسحب)

الصدیق — (هازأ كئيباً) إنه وهم باطل ينتهي
بالحرق اسنرى . لننحدث عنه بعد ثمانية أيام .

الحسود — إن مارسيلوس أخوه
آخر — ولهذا يتعجب من ثبوت الذود عنه
كراهب فقير يتأثر حين يشتم به
الأمير — إن له صيحات حسنة

متفرجة — وله عينان جميلتان ؛ وقد زاد
عنه بشدة

الصدیق — يمثل هذه الحانات بمشوا الدجيون
به أذنيه

الفن ! الجمال ! كل هذا لا يساوي قطعة قد
أحسن حبكها تمثل عاماً
(ثلاث غزبات)

أنه يجب قبل كل شيء أن يحيا في مسرحياته . إنه
اتخذ وسيرى سام الشعب منه . وإلى للى يقين
من أن هذا ليس بنتاج مسرحي !

(مارسيلوس إيجلاو يدنو رويداً رويداً وقد شعر أنهم
يتكلمون عن أخيه ، وثقة فابل هذا الصديق)

مارسيلوس : هذا أنت لا تنطق بلهجة واحدة
الصدیق : ليكن ؛ إن له لبراعة ، ولكن
بمكانه أن يكون أكثر فوزاً

مارسيلوس — (بسجلة) الفوز ! هذه هي كلمة
طرحتها ، إنه ليحصل عليه لأنه لم يتحضره كثيراً ،
على أنني ما كنت لأحقر الفوز من أجل إرضاء
رغبة ، لأن — هنالك — فوزاً وفوزاً ؛ ولقد
نظرت آثاراً كثيرة قبلت بصغير الاستهزاء ،
أو بتصفين الإعجاب ، ولكن أحداً لم يتخذ
في قيمتها ...

الصدیق — ولكن ...

بارسيلوس — لنقف عند هذه الكلمة ،
كلمة الفوز ، فكلمة كانت الكبرياء مصونة كان
الفوز أكبر ، فالشاعر ، بالرغم من نفسه يستحي
من الضحكة الرئانة الناشئة عن حركة رائدة منه ،
فهو إذا لم يتفلسف إلا في نفسه ولم يتخذ للتخليق
إلا أجنحته ، ولم يفكر في الناظرين إليه من أبناء
الأرض ، إذا لم يفكر إلا في تخليقه وحالة نفسه التي
يمر عنها ، وإذا لم يمد برى — بعد انتهائه من
الصمود — إلا القهم ، فإن كبرياءه — إذاذاك —
كبرياءه المشرقة تستطيع أن تنتخب حظها وأن
تتكلم بلهجة عالية قاتلة : ليقبل إلى المجد فانا
لا أرحل نحوه ...

الصدیق — أجل ! إنني أعلم ...
مارسيلوس — صه ! أيها القمصر المرائي !

وقلبك الرحب جملة صبا مع نفسه إلى مثل هذا الحد ، ألا تجدون في إجحامه عن تقديم القطعة ؛ ألا تحسون في شكه وقلقه كل هذا الخن الذي عنجه لكم أيها السامعون ! يجدر بنا أن نؤمن به في اللحظة التي يشك فيها من نفسه . وهذا حقه الجماعة — كان ينبغي عليه أن يعلنا من قبل ...

ليأت إذا ... ليطلع علينا !
(يظهر باريس يميلوا خلف المدير ... صفي ومراخ ...)
باريس — (بصوت شديد وعلى وجهه صفة)
هأنذا يا شبيب روما ! يا تقاده ويا كتابه ،
يارساميه وفنانيه ورجاله ! ويا أسدقائي البهريين في
هذا الخضم الواسع ، هأنذا إذا شتمت أنت
تصفروا إلى ...
الجماعة — ما هذه المجازفة ؟

باريس — يجب أن آتي ، لا يفر أحد من
هذا المكان غيري ! أنا ألفت الرواية وأنا حلت
دون تمثيلها ، وإذا أردتم جرفان السبب فاصغوا
إلي !
الجماعة — كفى ... لماذا ؟

باريس — جيئت بنفسى معترفا ! اسمع لي أيها
الشعب القى أحبه ! ألم أقاسمكم بالقدر الكافي
أعشار فؤادي لقاء ترحيب — منكم بي — أقل
هزء وسخرية .

الجماعة — ذروه يتكلم !
باريس — ألم أجسكم — بدون انقطاع —
عموداً ووفيتها ، ووعوداً وأبجزتها ؟ ألم أطلب
اليكم الكبرياء التي تملكون بها ؟ اسمعوا إلى : إن
الرواية روائي ، قد أودعتها كل همسات حياتي ،
وفصلت لها جناحين من تهدياتي
الجماعة — حسن !

الجماعة — آه ! ثلاث ضربات ... لنفزع
إلى مقاعدنا !
(يشق الستار لمدير المسرح)

الجماعة — أخطاب ؟ ما هذا ؟ المدير ذاته ؟
ولكنهم ضربوا ثلاثاً . ليتكلم ! ولنتنظر !
المدير — ممطرة يا سادتي و— سيداتي ،
لا أستطيع التكلم إذا قاطعتموني
الجماعة — كفى ...

المدير — إن مأساة الشاعر الكبير لن تقدر
على تمثيلها هذا المساء
الجماعة — ماذا تقول ؟
المدير — إسمعوني قليلاً واعتصموا بصبركم !
الجماعة — زيد « سر أبي الهول » مهما ذهب
الأمر

المدير — إسمعوني ، إسمعوني بلطف ! لن تقدر
على تمثيلها لأن صاحبها حال دون ذلك
الجماعة — المؤلف ... لا يمكن ذلك
المدير — المؤلف نفسه تقح فيها
الجماعة — المؤلف ... المؤلف ... كفى ...

أيها الكذاب ! أيها اللص ! أيها الأثيم !
المدير — إسمعوني قليلاً ؛ وأنا وافقت على
إرجاء تمثيلها لبوادر التقا التي رأيتها تنفى وجهه ،
وإنكم لتشفقون عليه كما أشقت أنا . إنه المؤلف ؛
وإنه أيضاً الصديق الذي أحبه
الجماعة — آه

المدير — إن روايته الأولى مُثلت هنا على هذا
المسرح ، وقد كانت حائزة لأعجاب القوم ، ولم يزل
في أثناء الستار وأطوائه تصفيق نخار . ألسنا مدينين
له بكثير من الساعات الطويلة ؟ فلنسمح له بها عن
هذا التردد ، إن حبك أيها المدينة ومثافتك وإعجابك

تهامس فيها أمواجك

(بصمت ذقيقة بادياً عليه التأثير مودعاً شبه)

إنني راحل ! وهذا وداعي أردده في هذا
الساء : فلا روماً ولا سماءاً يستطيعان أن يلهجاني .
وداعاً أيها الأصدقاء التجاوب من هذا النابوس
الشهير ! أريد أن أرى « أبا الهول الحقيقى » في مصر
حقيقة . لن نسمع - أيها الشعب - بعد اليوم
اسمى ولا أناتى .

أقول وداعاً ...

الجماعة - كفى ... الرواية يزيد أن نراها ...
هات أبا الهول .

باريس - ليس من حق انسان أن يمحط
بالقهر نفساً ! لا لا : لن نروا منها شيئاً برغم
إلحاحكم ! إننى صمت - أقول - صمت إلا أنى
أريد ذلك ، وازدريت الكتابة وتجنبت عنها
لأستطيع الخوض في طبع الحياة ، وجئت لكي أحطم
قيثارتى أمامكم ! إننى لن أكتب شيئاً بعد اليوم !
الجماعة - القطعة ... ولتذهب أنى ذهبت ...
يزيد أن نراها .

باريس - (نادفاً بأصابعه من الورق) إليكم
القطعة ...

الجماعة - آه

باريس - هذه هي روايتكم التى أستمعها
بكبرى وأنى وكأبى ، وهذه هي النسخة الوحيدة
الباقية في الوجود . أنظروها وتروحووا من بعيد
ربح أياتها التى لن تعرفوها . وداعاً ! يا فقص الف
من الأشبال من غير حديد ولا شباك ... إذا أردتم
قلبي قدوتكم قطعاً منه وفلاً بمزقة ...

(يمزق الأوراق ويغلف بها وجهه الساسين)

(يهبط الستار)

(الفصل الثانى في العدد القادم) هليل شهرارى

باريس - قضيت ثلاثة أعوام منكباً خلالها
على نعلها ، وقد صبغت أوراها بدم غير منظور ،
ثم كانت إعادة ثلاثتها على أوراق تجعدت ، ثم جاء
عهد تزيينها ، ثم تالت لحظات الشك والريبة .
وقد وجدت كل مساء خلال استسلامي لأحلامي
أن هذا الأثر القلق الذى كنت أعبده أخذ يتلاشى ،
وكذا وافت للمساء وقتها المحتوم أصبح حلها الذى
انتهت به قاسياً عندي ، وأصبحت أشعر في ساعة
بأسى المنيد أن عرضها عليكم وتقديعها إليكم ضرب
من المحال .

الجماعة - إنه لمعتوه .

باريس - لا ، لست بمجنون ولا بى عته ،
اصفوا لى . أؤكد لكم أنكم موافقون على رأيي ،
وتدركون كيف التهمى « أبا الهول » . إنى أنزلت
في هذه القطعة الفرية قلبي ، قلبي كله ، ممتقداً
بأن الشاعر الذى لا يضع قلبه في عمله يأتى عمله
ناقصاً . ما كنت لأشك في هذا من قبل ، ولكنى
فهمت بعد لئى أى حد بلغ إغراقى ! ورأيت أن
ستاراً خفياً يجب أن يحيط بالشهد حيناً ينطوى
على حياة إنسانية

الجماعة - الرواية : الرواية

باريس - (يهول) إنها لن تمحل !

(المياج يزاد) إننى أبصرتها - كما تراه لى -

نهنض من تحت قديم ، ورأيتها تولد وتحميا بوجهها
الحقيقى . وأدركت أن تقديعها إليكم يعد جريمة .
وقد فهمت المثلة التى تقوم بها ذلك : وغلب تردى
المنيف على نفسها . افهمنى أنت أيها الشعب
وأسكت قليلاً حب الاطلاع في نفسك عارفاً بأنى
كنت دائماً تلك القيثارة التى كانت ترجع
أنشودتك القاعة ، وكنت الصدفه الواحدة التى



مِنْ أَعْمَاقِ النُّفُوسِ

أَعْتَرَفْتُ فِي الْعَصْرِ

لِلْفَرِيدِ مَوْسِيَه

بَقَلَّمَ الْأَسْتَاذِ فَيْكُسَ فَنَارِسَ

(تابع)

بها كل مذهب ، لما جاءت إليك منقنعة صدودك
وهي تعلم أنها مجرمة وقد اعترفت بجرمها .
لأريب في أنك ستأسف على هذه الليلة لأنك
لن تقع بعد على مثلها .

وكان ديجنه يقول هذا بكل ما فيه من قوة
المقيدة وبرود الاختيار ، فكنت وأنا استمع إليه
أحس بارتعاش في جميع أعضائي وبخافز يهيب لي
إلى الذهاب لمقابلة عشيقتي أو الكتابة لاستقدامها
إليّ ، ولكنني لم أكن قادراً على النهوض من
فراشي ، ففرت على نفسي التعرض لمشاهدتها
تنتظر خصمي ، أو لأرى بابها موصداً عليه وعليها ،
ولكنني كنت قادراً على توجيه رسالة إليها ،
فكنت أفكر بالرغم مني فيما سأخطبها به .

وما يارحني ديجنه حتى شمعت باضطراب شديد
دفعني إلى التفكير في وضع حد لهذه الحالة فهما كافئني

إذا كان هذا هو الحب عندك ، فأني أشفق عليك .
فقال (ديجنه) إنه ما أحب إلا نساء المواقير فهو
لا يصدق في مثل هذه الأمور . وأضاف إلى ذلك
قوله : إنك لم تزل فتياً ، يا أوكثاف ، وتريد
الحصول على أغصان كثيرة تنطبق على ما تقوم ،
ولكن هذه الأشياء لا وجود لها ، فأنك تمنقد
بالحب ، بل بنوع غريب من الحب ؛ ولعل لك
ما يملك قادراً على الشعور به ، غير أنني لا أعتناه لك .
إنك ستتمتع بمخيلات غير هذه الخلية بأصدقني ،
فتأسف لما فعلت الليلة الماضية ، إذ لأريب في أن
هذه المرأة كانت تحبك عند ما جاءت إليك ، وقد
لا تحبك في هذه الساعة ، ولعلها الآن بين ذراعي
رجل آخر ؛ غير أنها في تلك الليلة وفي هذه العرفة
كانت مولعة بك ، فإذا كان يهيمك من الدنيا ؟ لقد
أفقدت نفسك ليلة من ليالي العمر ولسوف يشجيك
ذكرها لأنها مضت ولن تعود

إن المرأة تنفجر كل أساءة ، ولكنها لا تنسى
ذنب من تهرع إليه فيردها ، ولو أن الغرام لم يذهب

اختيار مسلكى ، وإذ لم يقف ذوق عند واحد منها ، أطلقت لخيالى العنان ، فشرعت لجأه كأن الأرض تميدى ، وكأني لمست القوة الخفية السماء التى تدفع بهذه الكرة فى الأجواء ، تغيل إلى أنها ترتفع نحو السماء وأنا عليها كواقف على مركب يعبر الباب ، وترأت لى شجرة الحور كسارية لهذا المركب ، فتراجعت عن مستندى ومددت ذراعى هاتفا : أية أهمية لساغرا لا يعضى إلا حيننا من الزمن على هذا المركب ؟ فما هو الانسان ؟ ما هى هذه النقطة السوداء على ظهر هذه المائدة النائية فى الأثير ؟ أفليس حسى فى الحياة أن أكون إنسانا ؟ لا ، إننى أريد أن أصبح رجلا له صفته الخاصة وطايه الخاص

ذلك ما تمنيت أمام الطبيعة ، فكان رجائى الأول وأنا ابن أربعة عشر ربيما ، ومنذ ذلك الزمن لم أقم بأى عمل إلا لإطاعة لأمر أبى ، ولكننى ما تمكنت يوما من التغلب على طبيعتى المتمردة . لم تكن حريتى إذن بنت كسلى ، بل كانت بنت عزى وإرادتى ؛ وكنت أحب جميع ما خلق الله ولا أحب ما صنع الناس إلا يسيرا ؛ وما كنت عرفت من الحياة سوى الحب ومن العالم غير معشوقى ، فاكتفيت بما عرفت

خرجت من المدرسة ، فغشت واعتقدت بـه الاخلاص أن هذا الحب سيسود حياتى بأسرها ، وهذا الاعتقاد أزال كل ما سواه من تفكيرى ، وكنت أعيش منزلا فاقضى أيا لى عشيقى ، وكان أله شىء عندى أن أذهب بها إلى الحقول أيام الصيف فأوسد الروج الناضرة إلى جنبها ، إذ كنت أجد فى مشاهد الطبيعة الرائعة أشد مجد

الأمر ، وبمد زراع عنيف تغلب الاشهر ناز فيه على الحب ، كتبت إلى عشيقتى أننى لن أراها بعد ، وطلبت منها ألا تحضر لى . إذا كانت تتحاشى أن أوسد بابى فى وجهها

قرعت الجرس وسلمت الكتاب إلى خادى لا يصله بلا إبطاء إلى البريد ، ولكنه ما كاد يفلق الباب حتى ناديت فلم يسمع صوتى ، وما تجاسرت أن أدعوه ثانية ، فسترت وجهى بيدي واستسلمت لليأس المميق

الفصل الرابع

وعند بزوغ الشمس فى اليوم التالى ، كان أول ما خطر لى مناجاة نفسى بما يمكن لى أن أفعله بعد الآن

لم يكن لى مهنة ، وما كنت أنما على عملا ، لأننى كنت درست الطب والحقوق وبقيت مترددا بين احترام إحدى هاتين المهنيتين ، ثم اشتغلت ستة أشهر فى إحدى الحرف غير أننى لم أوفق إلى العمل بدقة ، فتداركت أمرى بالاستفتاء قبل أن أطرد . وكنت درست كثيرا ، غير أن علومى كانت سطحية ؛ وكنت أنسى العلم بالسهولة التى أتلقنه بها

وكان استقلالى أعز شىء على بمد الحب ، وقد تمسقت حريتى منذ نومة أطفائى

وكان والدى يخاطبنى يوما بشأن مستقبل عارضا على مسالك عديدة للمعل فانكأت على عارضة النافذة وحددت فى شجرة من الحور ممشوقة تمايل فى الحديقة مع الهواء وأخذت أفكر فى

أن إغراق في تأثرى كان يحول كل إيجابى إلى آخر
شاعر عرفته ويدفعنى إلى كره سائر الشعراء .
وثابت على هذا النهج حتى أنشأت من نفسى
مستودعا للماديات ؛ وكنت اغترفت من كل حديث
مجهول حتى بشعت فإذا أنا طلل بال عليه شيء لم يزل
فى نهيع الصبا ، هو أمل هذا القلب فى طفولته .
ذلك هو أمل الذى سلم من كل وصمة ومن كل
فساد وسكب الحب فيه كل قوى الحياة ، فإذا
الخيانة تصيبه بالجرح القاتل ، ومكر المشيقة يرميه
بأحد سهم وهو يطير فى أرض أجوائه
وكنت أشعر أن فى نفسى شيئا يتشنج فى
استرخائه كأنه طير جريح يحتضر . إن المجتمع الذى
ينزل الدوايح بأفراده لشبيه بالأفنى الهندية التى
تستقر فى الأعشاب الشافية للسمائم ، فأنت كثير
ما تجد قرب الأدوية التى تسببها أنجع علاج لها ،
فالرجل الذى يتبع نظاما ينطبق على حالة المجتمع فى
حياته فيمين وقتا لأعماله ووقتا لزيارته ومهادا
لممارسة الحب .. لا يتعرض لأى خطر إذا هو فقد
من يهوى لأنه أخذ فى أعماله وتفكيره نظاما
وترتيبا كصفوف الجنود المهيأة للكفاح ، فإذا سقط
جندى منها انكشف الصف وقام آخر مكانه فلا
يشعر أحد بفراغ ذلك المكان
أما أنا ، فكان لى ما ألتجأ إليه منذ أصبحت
وحدى ، فكنت أقف أمام الطبيعة وهى أى التى
أحب فأراها تنسع حولى وترداد فراغا ، ولو أمكننى
أن أنسى عشيقتى كل النسيان لكنت نجوم
كثير من الناس يجدون الشفاء على أهون سبيل
لأنهم يصمدون للخيانة متلبدين على الحب الجريح
ولكن أنى لابن التاسعة عشرة أن يقتبس هذه

للقوى ، وفى أيام الشتاء كنت أذهب بها من مرقص
إلى آخر . وهكذا كانت عمر أيام حياتى متتابعة
دون أن أقوم بأى عمل
كانت جميع أفكارى متجهة إلى المشيقة التى
خددتني ، لذلك رأيتنى عندما انتهت خداعها كأننى
أحيا ولا أفكر لى
لا أجد ما أصور به حالى النفسية سوى
تشبيها بحالة مساكن هذه الأيام حيث تجد الرياض
مؤلفا من طراز جميع البلدان وجميع الأزمان ، فنحن
فى عصر لا طراز له لأننا لم نضع طابع زماننا لى
مساكننا ولا على حدائقنا ولا على أى شيء لنا .
فأنت لتصادف فى الشوارع رجلا أطلقوا الحام على
طراز عصر هنرى الثالث كما ترى رجلا حلقوا
الدقون وآخرين أرخوا شعورهم على زى أيام رفايل
وسوام أرخواها على طراز زمن المسيح
وهكذا يخلل إليك أن مساكن الأغنياء
معارض فنون ، إذ تجد فيها الطراز القديم وطراز
عصر النهضة وعصر لويس الثالث عشر . فلدينا
من كل عصر أشياء ولا شيء لدينا من عصرنا ؛
وما شوهدت مثل هذه الحال فى أى زمن من قبل
فنحن نذهب مذهب المتخبرين فنأخذ من كل ما
نجد : هذا لجلاله ، وهذا لمواقفته ، للراحة وآخر
لقدمه ، وآخر لما فيه من القبح .. وهكذا نميش على
أنقاض كأن العالم قد اقترب من الزوال
على مثل هذا كان تفكيرى . كنت طالمت
كثيرا وتملت الرسم وحفظت أشياء تراكت فى
دماغى بلا ترتيب فكان رأسى كالاسفنج متضخما
على فراغه
وعشقت جميع الشعراء واحدا بعد واحد ؛ غير

فكنت أزرع قائلاً : - إن أترك سيمحي ، أهبها الجرح الذي الجيب فأى يلسم سأسكب عليك وما كان تريد كرمي هذه المرأة ليزيل تذكارها من كيان فكانه بقى يتششى مع دى فى عروقي كنت ألتها ثم أحلم بها . ومن له أن يقاوم الأحلام وأنت يحكم عقله فى تذكارات قوامها لحم ودم ؟

عندما قتل مكبيت دوكانان هتف قائلاً : إن مياه المحيط لن تنسل بدي ، وأنا أيضاً كنت أرى أن مياه البحار كلها لن تنسل جراحى وصارحت ديجنه بحالتي فقلت له : دهنى وشافى ، إبنى عندما أستسلم للسكرى أرى رأسها ملقى على وسادتي

ما كنت أحيأ إلا من أجل هذه المرأة ، فسا كنت أرتاب بها حتى ولو ارتببت بنفسى . فاذا ما لمتها فكأننى أجعد كل شيء ، وإذا ما فقدتها فكأننى أرى الوجود بأسره مندرجاً خالياً

وقبعت فى منزلى منقطعاً عن الناس ، إذ كنت أحسب العالم ينص بالمسوخ والحيوانات المفترسة ؛ وكنت أقول لكل من يحاول تسليتى : إن ما تقوله حق ، ولكن كن واثقاً من أننى لن أتبع نصحك ، وكنت أستند إلى النافذة وأقول لنفسى : سوف تأتى ، لا ريب فى أنها قادمة إلى ، لقد دارت بمنعطف الشارع . إنى أحس باقترابها منى . إنها لا تستطيع أن تحيا بدونى كما لا أستطيع أنا أن أحيأ بدونها . ماذا عسافى قائلاً لها وبأى وجه استقبلها ؟ وبينما أكون مستغرقاً فى هذه النجوى كان خدامها يقابضون تذكاري فأهتف قائلاً : لا ، لا أريد أن تحيأ ، لا أريد أن تقترب منى ، فاني أقتلها

الطريقة فى حبه وهو يجعل كل شيء ويشتهى كل شيء وهو الشاعر ينمو جراثيم الشهوات كلها فى نفسه . هل لئلا هذا التقي أن تساوره الشكوك ، وهو كيفما التفت يميناً أو شمالاً أو علق نظره على الآفاق يسمع هائفاً يدعو إلى الشهوة والأحلام ؛ وما من حقيقة يمكنها أن تتسلط على القلب فى فتوه . كل شيء بنيت الأزهار للشباب حتى المقد المتصلبة فى أغصان السندباد المهرمة . ولو كان للقى ألف ذراع لمد بها إلى الفضاء حتى إذا التفت على عشيقته أصبح هذا الفضاء فى نظره مليئاً عامراً وما كنت أحسب أن فى العالم من عمل سوى الحب ، وعندما كان أحد الناس يخاطبني عن غير الحب ؛ كنت أدبر ظهري واتزم السكوت وكان ولمي بمحبوبي ولها وحشياً أتى على حياتي طابع الزهينة والنسك ولاوردن حادثة واحدة تثبت ما صورت من حالتي :

كانت محبوبتي أعطيني ذخيرة ضمنها رسمها المصغر ، وكنت أحمل هذه الذخيرة على خفي قلبي أسوة بكثير من الرجال ولكنني وجدت يوماً عند أحد الباعة سلسلة حديدية علقت فى طرفها دائرة على ظهرها تنوءت شائكة قابضتها وربطت بالذخيرة عليها ومحتها مديراً التواءات لجهة صدرى فكانت تنفرز فى جلدي فأشعر من ألمها بلذة غريبة ، وكثيراً ما كنت أضغط عليها بكفى مستزبداً لذتي والآلى... وما كنت لأجهل ما فى عملى من جنون ، ولكن هل من جنون لا يقدم الحب عليه ؟ وعندما سخرت بجماعة حبيبتى ، خلعت هذه الذخيرة عنى وبعلم الله ما كان عذابى عندما تحررت من قساوتها

المظني ، أما فعلت ما وجب على فعله ؟ أما طردتها
من هنا ؟ فهل لك ما تقوله بصد ؟ أما الباقى
فلا شأن لأحد فيه سوى . أليس للتيران إذا
جرحت فى الصراع أن تذهب بالنصل التمد فى
كتفها إلى زاوية لتموت ؟

قل لى بربك ، إلى أين أذهب ، ومن من هؤلاء
النسوة اللواتى تسوقهن الصدق إليك . أنت تشير
إلى السماء الصافية والأشجار الباسقة والمساكن
المالية ، وإلى رجال يمردون ويسكرون ويفنون ،
وإلى نساء راقصات وخبول تترأ كض فى السباق ؟
وما كل ما تشير إليه هو الحياة ، بل هو سخب
الحياة ، إذ ذهب عني ودعني وشأنى
فليكس فارس (يُبْع)

وما كنت سمعت عنها شيئاً بعد أن أرسلت
لها كتابي الأخير فكنت أتساءل : ما تفعل الآن ،
أتراها مشغولة بمشق سوى ، فما على إذن إلا أن
أعشق سواها

ولكننى كنت أسمع صوتاً يهتف بى من الأبعاد
فأبكر : ألك أن تحب سوى أنت ؟ لعلك جئت .
أذلك ممكن لشخصين سادها الحب فتماثقا واتحادا ؟
أنت لم تعد أنت بعد وأنا لم أعد أنا

وكانت ديجنه يقول لى : متى تساو هذه
المرأة أيها الجبان ؟ أفترى فى فمك أيها خسارة
لا تموض ؟ وهل كان عشقها لك اللذة الوحيدة
فى الدنيا ؟ أأخذ لك عشيقه أخرى، ولينته الأمر
فكنت أقول له : لا ، ليس فقدى لها بالخسارة

نحن نشترى منكم قطنكم ونعيده إليكم

فأنتم الرابحون فى الحالتين

شركة مصر للغزل والنسيج

تمدكم بكافة المنسوجات القطنية

قطن مصر . . صنع مصر . . فخر مصر

إنها إحدى مؤسسات بنك مصر



هوميروس



الأوديسيّة

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

في بيلوس . . .
تليك يسائل نسطور عن أبيه

مقدمة ما تقدم

« انتهت حرب طروادة وعاد القادة الأضيق جميعاً إلى اليونان ما عدا أوديسيوس فإنه لم يبد ، وكانت حرب شعواء بينه وبين إله البحار بوسيدون الذي أضل طريقه في البحر لخصومة قديمة بينهما . وكانت الربة مينرا من أنصار أوديسيوس ، فنذبت إلى ليثاكا ، مدينة أوديسيوس ، لتض ابنه تليك على البحث عن أبيه ولتعرضه على طرد عشاق أمه بنلوب من قصره . ذلك أن طول غياب أوديسيوس أطع هؤلاء في جمال الملكة فأرادها كل منهم زوجة له ، ولكنها احتالت عليهم حتى استطاعت أن تجمعهم في قصرها لتضرب بينهم بعض ريثما يعود زوجها وتخلصها منهم . ولقيت مينرا الفتي تليك وأحضرت له سفينة مجهزة بكل ما تحتاج إليه رحلة طويلة عسوفة بالأخطار ثم أقلت في معة في صورة أحد أمراء البحر (منثور) إلى بيلوس ليسائل أميرها نسطور عن أبيه الذي كان يزاوله في حرب طروادة

برزت ذكاه من لجة الشرق فصبغت
آرادها^(١) الذهبية جبين الأفق النعاسي ، وسلبت
الأضواء الجميلة لتهدي إلى السبيل السوي ، وألقت
السفينة مراسيها لتلقاء بيلوس ، مدينة نايوس^(٢) ؛
حيث وجدوا القوم على الشاطئ يقربون القرايين
بأسم بوسيدون ، ذى الشعر اللازوردي ، وقد
جلسوا في صفوف تسعة ، وفي كل صف محبشة
شيخ عتيد . وذبحت كل فئة قرايينها : تسعة محول
سمان ذوات خوار ، فأكلوا الحوايا^(٣) ، ونحوها
بالسواعد والأنفاذ ؛ ثم أقبل تليك وبين يديه
مينرفا تهادي وتقول :

« تلياخوس ! تشجع يا بني ، ولا تجمل
للاستحياء سبيلا إلى نفسك ، وتقدم إلى أمير هذه
البلدة الصنديد ، نسطور ، فقد تكون لديه أخبار

(١) أشعة الشمس

(٢) نايوس هو ابن بوسيدون (نبتون) إله البحار
وأحد أعداء أوديسيوس

(٣) الأسماك وما إليها

أدرك بلطفك التائبين إليك ، ونجهم من دأمانك ببركة أسمائك ، مولاي وتقبل من نسطور ومن ذريته ، وتقبل من جميع أهل ييلوس أنجيائهم ، ثم تفضل يا مولاي فسد خلى تلياخوس وخطاى إلى ما ألقنا فوق هذا المركب الشاحب من أجله .. آمين آمين III»
وتناول تلياخوس الكأس بدوره ، ثم أفرغ ما فيها ، وتتم بصلاة قصيرة ؛ وما كاد يفرغ حتى تفرق المدعوون من أهل ييلوس طامعين شاكرين ، إلا منيرثا وصاحبها ، وإلا نسطور وولديه ثم قال نسطور :

« أما وقد فرغنا من غدائنا فاذا أيها الوافدون من أنتم ، ومن أين حللكم هذا البحر ؟ آتجار أنتم ؟ أم قرصان تملأون الشيطان ذعرا وفزعاً ؟ »
واستجمع تلياك شجاعته ، ونفخت فيه منيرثا من روحها ، وتكلم فقال :

« على هينتك يا ابن نيلوس العظيم ، يا غفر هيلاس ؛ إني أنا ابن صديك وصفيك أوديسيوس سميت إليك من أقصى الأرض أسألك عن أبي اليوم وأبي صفيك وخليك الذي صال ملك تحت أسوار اليوم وجال ، ثم لا أحد يعرف من أنبائه اليوم شيئا ؛ لقد انتهت إلينا أخبار الأبطال اليونانيين جميعا وعرفنا مصارعهم ، إلا إياه أين رقد ؟ وأنى ثوى ؟ وأيان قوت رقاته إن كان قد شالت نعمته ، أو مضى على وجهه في الأرض إن كان ما يزال حيا .. إن الآلهة نفسها لا تشاء أن تدلنا من أخباره على أثر . ولشد ما أختنى أن يكون قد ثوى هناك ... هناك ... في أعمن مملكة نيتيون ، مع الجيلة أمفريت^(١) . لذلك سميت إليك يا غفر

(١) ملكة البحار وزوجة نيتيون

عن أبيك ، وقد يجاولك الشكوك التي تخامرك ، وثق أنه لن يخنى عليك من أمره خافية ، فقد تقدمت به السن ، وهو اليوم أحكم الناس . »

ويقول تلياك :

« أواه يا منثور ؛ ما أحسبني أقوى على لقاء الرجل ، وأنا من تعرف من قلة الشأن ورقة الحال أنا الفتى الحدث . أفنى لى بقاء الشيخ ذى التجارب ؟ »
ونجيه ذات العينين الزرجيتين :

« لا عليك يا بنى ؛ إن حى إلا كلمات تقولها وعلى الله قصد السبيل ؛ العالم كله يعرف أنك نشأت في ظروف قاهرة ما كان لك بها يدان ؛ »

ودلفت منيرثا ، ودلف في إثرها تلياك ، حتى كانا في وسط القوم ، وحيث جلس نسطور العظيم بين أبنائه ، وحيث اشتغل أهله بالشواء ، وهب الجميع للقائهما . وتقدم ابن نسطور الأكبر ، بيزستراتوس ، فصاحهما هاشا ، وتلقاهما باشا ، وأجلسهما فوق الفراء المبتوث إلى جنب أبيه ، وأخيه الأصغر تراسيميدس ، وقدم لكل مضافة من حوية ، ثم كأسا ذهبية من خمر ممتقة ، تذوقها قبل أن يجي بها ، ثم قال مخاطبا منيرثا :

« مرحبا بك أيها الضيف المكرم ؛ لقد شرفت في عيد نيتيون ، فجدالو أفرغت باسمه ما في هذه الكأس من خمر صلاة له وزكاة ؛ وجدالو أشركت في التقدمة زميلك ، فما أحسبه إلا عبدا للآلهة ، خائبا لها »

وتيسمت منيرثا ، وتناولت الكأس في وقار وأرسلت هذه الصلاة باسم رب البحار :

« نيتيون العظيم تقدس اسمك ، وأحاط باليابسة ملكوتك .. يا منقذ الضالين وميث التضرعين ،

أأنتك حقاً لولد أوديسيوس؟ أجل ! إنك بعلامتك
وقسماتك غصنن دوحته ، وإنك بكلماتك العذاب
مُسْلُوج أرومته ! أوه ، أوديسيوس ! يا رفيق
الشباب وحبيب القلب ! لشد ما تمتلج في النفس
تلك الخاتمة المائلة التي قضاه على الأرجيف^(١)
سيد الأولب ، غِب انتصارهم ، وقُبَيْل أوتهم !
لقد حنقت ميزفا على ولديّ أترس إذ تنازعا فقال
قائل منهما نضجى لربة السدالة عند سيف البحر
تلقاه اليوم ، ولكن الآخر أبى وأبحر على أن يقدم
لها القرايين في أرجوس ! يا لتيديسين ! أجا نمون
البائس ومنالايوس السكين ! إنهما لم يصليا لميزفا
غلق بهما غضبها ، وعبثا حاولا بعد ذلك أن
يترضاها ! إختلف الاخوان ونام الجند حتى مطلع
الفجر ، ثم أفلح نصف الأسطول في موج نائر
مصطخب من غضب الآلهة ، بقيادة أجاممنون ،
وما هي إلا سويبات حتى هدأ اليم ونام اللوج ؛
وبلفنا تندوس فذبنا الأحداث باسم الآلهة ،
وسببنا رب البحار نبتيون فتطامن العباب ؛
ولكننا ما كنا ندرى ما تنسج يد (جوف)^(٢) حولنا
بل لم يكن يخاصرنا أكل شك في وصولنا إلى الوطن
سالمين . ذلك أن أوجه النظر اختلفت ثمة ، ونشب
بين القادة نزاع في الرأي : هل يقلعون من تندوس ،
أو يتلبثون بها حتى تنجلي الماصفة التي شرعت
تهب في عنفوان وشدة ؟ وهنا ، أثر ملاحو أيبك
أن يمدوا أدراجهم بسفائنهم إلى طروادة ، وذلك
بجملته للقائد العام . بيد أني لم أر هذا الرأي ، بل
فررت من الماصفة بسفائني إلى جزيرة لسبوس ،

هلاس كيا تمدني عن أبي ، وكيا تذكر لي بمض
ما تعرف عما ألم به إن كنت قد شهدته ، أو تقص
على ما عسى أن تكون قد سمعته من بعض حاشيتك
التي تجوب هذه البحار . قل . تحدث يا نسطور ،
ولا تخف عني شيئاً ... قل .. إني أستهلفك بكل
ما كان يفتديكم به في ساحة اليوم أن تقص على
أبناءه . لقد كان يحبك ويمجلك ويوقرك ، فاجز
ابنه بعض ذلك »

وكأنما رأى نسطور حلماً للذيذا فقال :

« وبحك أيها الصديق الشاب ! ما أدوع
ما هجنت ذكريات الماضي المغم بالأشجان !
ذكريات الذادة السادة والمفاوير الصناديد ، الذين
سقطوا تحت أسوار اليوم المتيدة فاروا . ترى
الميدان بدمائهم ، وسطرو آية المجد بتمهجهيم !
إيه أخيلوس يا سليل الآلهة ؛ وبتروكلوس يامعجز
الانداد والأفران ؛ وأجا كس ! ! أجا كس الذي
كان أمة وحده ! لقد ردقوا جميعاً تحت قلاع
برام الجبار الشيخ ! ورقد معهم ولدي ! آه
يا ولدي ! أواه يا قطعة قلبي وفلذة كبدي وعمرة حياتي
وسؤددى ! يا أشجع الشجعان يا أنثيلوخوس !
أبه قصة وأبه مأساة ؟ يا رطاك الله أيها الشاب
الحزون ! أني لي أن أقص عليك أحداث سنين
تمع كانت هوماً متصلة وأحزاناً فاجمة وآلاماً
تتسمر في جميع القلوب ؛ ؟ أي لسان ذرب
يقص فلاجل ، وأي مقبول رطب يحكي وما يبي ؟
ألا لو أنك أفتت تسمع الأعوام الطوال فاحسب
القصة تنتهي ! القصة التي لم تجد فيها شجاعة
الألوف لولا خدعة أوديسيوس وحيلته ، وطول
أناته وهمته ! ولكن حدثني بربك أيها الشاب :

(١) جنود أرجوس إحدى مقاطعات اليونان

(٢) زيوس أوجيو بتركايسيه الرومان وهو كبير الآلهة

لقد نفذ أسطبارى وكنت حيلتى ... فإذا أعمل ؟
وقال نسطور : « أيها الصديق ، لقد أذكرت
منى فافلا ... وبحك تلياخوس ! لقد تناقل الناس
ما كان من حاقة هذه الطمعة التى تسميح عرض
أوديسوس ، وتستنزف ثروته ... ولكن ، من
يدرى ؟ هل آمنوا أن يعود يوماً فيستأصل شأقهم ،
ويبدل منهم ، وتكون له الكرة عليهم ؟ لقد كان
أبولو العظيم حبيب مينرفا وصفها ، وهى لا بد أخذته
بناصرك كما أخذت بناصره من قبل ، وهى لا بد
مدركتك وشيكا ، وحائلة بين أعدائك وأعداء
أيك ، وبين هذه الرحمة الجرمية . »

ويجب عليك :

« ألا من يدري ؟ إنه لا أمل لى فى ذلك قط !
آه أيها الأحاسيس الغريبة التى تجيش فى قلبى !
الآلهة فقط هى القادرة على تحقيق معجزة !
وهنا ، حدثته مينرفا بنظرة هائلة من عينها
الزرجديتين ، وقالت له :

« تلياخوس ! أية كلمة هائلة زل بها لسانك ؟
ما أيسر على الآلهة أن تقول للمستحيل كن فيكون !
أنا نفسى كم تجشمت أهوالاً فى أسفارى ثم عدت
بمنأية أربابى سالى إلى أرض الوطن ! بل كم من
أناس غلثوا أنهم نجوا من الموت فى يم غشيم بموج
كالظلل ، فلما وصلوا إلى البر حاقت بهم منايام كما
حاقت به منيته أجامنون ، حين خر صريعاً بيسد
إيجستوس الأنيم ، والملكة ^(١) القادرة الفاسجة
الزئيم ! حقاً ، إن الآلهة لا تملك أن تحول بين الرء
وبين المنون ما دام قد جاء أجله ، مهما يكن حبيبها
وأعر عبادها عليها . »

(١) كليتمسترا

ولحق بنا ديوميد ثم مئالا يوس فى إثره ؛ وأرسلنا
ثمة ؛ وانتظرنا إذناً من السماء ، أو قل بارقة من
الآلهة ، تغلق بعدها . وكانت الماصفة تشدد وترقص
فوقنا ومن تحت أساطيلنا ، فلم نر بُداً من المجازفة ،
والا تكسرت جواربنا على السخوخ وفوق
الأواذى ، ... يا للول ! لقد بلغت قلوبنا الحناجر
قبل أن نصل إلى جيريستوس ! حدالك يا نيتون
وفناء عليك ؟ وقل أن نذبح باسمك ألف قربان من
كل محل جسد وكبش حنيد ! ولقد فاز ديوميد
فوصل بمجنوده سالى إلى أرجوس ، وكذلك فاز
الجبارة اليرميدون ، جنود أخيل ، بقيادة شبله
العظيم نيوتوليموس ، فوصلوا إلى أوطانهم فاعين ،
ووصل من بدمم فيلوكتيتيس ... كذلك
وصل أجامنون وليته لم يصل ! لا ريب أنك سمعت
بما حاق به ! لقد قتله الهرم إيجستوس ^(١) ، ولكنه
دفع روحه عنك لفتلته ؛ إن الجيش لم يطلب لابن
أجامنون حتى ثار لأبيه ، فانقض كالصاعقة على
قاتله وغاله بيده ! يا للفخار أيها الصديق الشاب
حين تنتقم لأبيك فتسجل اسمك فى سجل
الخالدين ... !

وشاع المُجُنب فى نفس تلياك ، فقال :

« ويك نسطور ! إنه سيكون انتقاماً عادلاً بحق
السماء ، وستنقى الأجيال القادمة بقصته ، وسيرويه
اغلف عن السلف . كم ذا وددت لو مكنت لى الآلهة
فى أعناق هذه العصبة الفاجرة من المشاق الآمنين
الذين يدلون على بدمم ومُعددم ، والذين يقدفون
فى وجهى بالاهانة على الأهانة ... وأأسفاه !
ليت شمعى لم لا تؤيد الآلهة حتى على باطلهم ؟

(١) شرحنا ذلك فى درامات إسيغولوس فى الرسالة

وعسى تلياك عبوسة خفيفة ، وقال :
 « مهما يكن الأمر فلندع هذا الآن يا منتور !
 لأنى لا أملى لك مطلقاً فى عودة أبى ، ولكنها أفضية
 من السماء ومقادير أن أذرع وراءه البحار ، وأن
 أعود فأسائل نحر اليونان نسطور ، اللبيب الأريب
 الذى حكم كما هو مأثور أجيالاً ثلاثه ، والذى يتألق
 فى عينيه سناء الآلهة ... أعود فأسأله كيف قتل
 أجاممنون ؟ وكيف سبها لايچستوس أن يقتله ، وهو
 من هو أعلامه نسباً وأعر حسباً وأشرف قدراً ،
 وأين كان منالايوس الملك شقيق أجاممنون ؟ أم
 يكن قد عاد يمد إلى أرض الوطن ؟ أم كان ما يزال
 يطوى الآفاق فشجع ذلك إيچستوس ونفخ فى
 قلبه ؟ »

وقال نسطور : « رويدك أيها الصديق الشاب
 فانى قاص عليك نبأ ما لم يأتك به علم ... تالله لو لم
 يقتل إيچستوس قبل عودة منالايوس ، ما أقيم على
 رفاته جدث ، وما بكت عليه عين ، ولألقى نذنه
 النجس لسكلاب البرية وطير الفلاة تنوشه وتمزقه
 وتفتذى به ، جزاء فعلته الشنعاء ، وجرمه اللميم
 وخطيئته التى لا تقفّر . إصغ إلى ... لقد أناب
 منالايوس عنه حارساً أميناً يسهر على أمور المملكة
 ويكون فى خدمة الملكة ... ذاك هو أتريدس
 الحليم ، الذى تفغله إيچستوس ، واتصل بمولاه
 سرّاً وهو لا يدري ، واستطاع أن يدبر معها هذه
 المؤامرة الشنيعة التى انتهت بنفى الحارس الأمين ثم
 قتله فى بركة موحشة غابته فيها السباع الضارية
 والأوباد^(١) الكاسرة ، حتى إذا خلا لها الجو
 أسطست له الملكة القياد لحكم وساد وطنى واستبد

وسلّط على العباد أعواماً سبماً طوالاً ... كل هذا
 والسماء ساهرة لا تنفعل ، فقد عاد أورست ابن الملك
 الفائب ، وابن الملكة الفاجرة ، فأخذ عرض أبيه
 وقتل الوحش اللثيم الذى دسّ شرف الملكة ،
 ولطخ بالوحل هذا المجد الأثيل ، ثم قتل أمه ...
 أجل ، قتل أمه وجمع حوله الأرجيف البؤساء يحتملون
 بهذا النصر ويصلون للآلهة التى أنقذتهم من ذاك
 الشر ... وبينما هم فى أفراسهم وانشراسهم إذا بالملك
 العظيم يصل بأساطيله بمدد رحلة طويلة محفوفة
 بالخطار ... فلقد أبحرنا (أنا ومنالايوس) من طروادة
 ممّا ، وما كدنا نبليغ صنيوم^(١) ، أول صرافى أثينا ،
 حتى وقع مالم يكن لنا بحسبان ... ذلك أن رب الشمس
 أبوللو غال بسهامه التى لا تليش ربان الأسطول
 العظيم ، فرونتيس ، فاضطر الملك أن يلقى صرافيه
 حتى يصلى على صديقه ويقيم الشغار على جثمانه ؟
 ثم أفلح ، وما كاد ، حتى اضطرب البحر ، وفترت
 اللجج أفواهاها ، وتدافع الموج حول الأسطول
 كالجبال ، وعمّ الجو ، وظلمت السماء ، وانقضت
 الصواعق فانشعب الأسطول وتفرقت سفائنه ،
 وانشطرت وحداته ، فبعضها شرق وبعضها غرب
 وبعضها يم شطر سيدون عند كريت ، وبعضها
 اتجه برغمه نحو شطآن مصر ، وبعضها غاص إلى
 الأعماق ، وخس فقط ... وصلت بمد طولن الجهد
 الى هنا ... »

« بنى ... أيها الصديق الشاب ... أخلق بك
 أن تذهب من فوراك الى منالايوس فتسأله عن
 أيبك ، فلقد لقي الأحوال فى البحر ، ولا ريب أنه
 سمع بكثير مما جرى فيه من مختلف الأيام فى رحلته

كوكون ، ولتأذن قمتنجه عربية وزوجاً من صافنات جياذك ليلحق بنا ثمة ، يصحبه أحد أبنائك ، مادمت قد عرفت فيه أيننا لأعرأ أحبابناك وأوفى أصدقاك »

ثم حدثت المعجزة . . . فانه ما كادت مينرفا تتم كلامها ، حتى انتفضت انتفاضة هائلة ، وتحولات من صورة منتور أمير البحر إلى نسر عظيم مهوب اللقنات ، ما عم أن ضرب الهواء بخافيتيه ، حتى خلق في السماء ، وظل في لانهايتها ، بين دهمش القوم ، وشديد حيرتهم .

وتناول نسطور العظيم يد تلياك ، وظل يقلب فيه بصره ، ثم قال :

« أيها الصديق ؛ لشد ما عظمت منزلتك ، وسما مكانك . حتى لتكون في رعاية الآلهة وعناية السماء ! هذه دون أي ريب ابنة سيد الأولب — الكريعة مينرفا — التي ما قررت أحداً من أبناء هيلاس كما قررت أباك »

« ولكن أنت ! أنت يا مليكة العدالة ! شرعت إليك أن تتلفني بنا جميعاً ! أمتحني بركاتك ... أنا وأبنائي وشعبي ... اكثبي أحماءهم في الخالدين ، وسنصل لك ونذبح باسمك بقرة ؛ لا ذلول تسير الأرض ولا تسقى الحرث ؛ مُسَلِّمة لا شية فيها ؛ منضورة بالورد ، عملة القرنين بالذهب »

وقبلت مينرفا صلاته ، ولبت دعاءه ، ونهض وفي إثره أبناءه وأحفاده ، وفتحت أبواب القصر وتقدمت ندامة الشراب فقدمت إليه كأساً من خمر لها نسب من عهد آدم فأفرغها في الأرض تحية لمينرفا ، واقتدى به ملؤه فأفرغوا كؤوسهم ، ثم مضوا إلى غرفاتهم ، ومضى الملك مع تلياك إلى

المشومة ... هلم ... إنطلق إليه ... وإن لم تسعفك سفينتك فأتى بمدك بكل ما تحتاج من مركب البر أو البحر ، وهام رجال مملك أينا توجهت ، بل هام أبنائي ، ليصحبك أحدهم ، أو كلهم ، إلى منالايوس ، فان عنده الخبر اليقين »

وكانت الشمس قد توارت بالحجاب ، والليل قد كُتِسِرَ بظلامه فوق الطبيعة المنهكة الخامدة فنهضت ابنة زيوس العظيم ، مينرفا الخالدة ، وهي ما تزال في صورة منتور أمير البحر وطليسمانه ، فقالت : « سرحى يا نغر هيلاس ! لقد قلت حقاً وتكلمت صدقاً ؛ هلم ، البدار البدار ، قطعوا أسنن القرايين^(١) وأريقوا الخمر باسم الآلهة ، وباسم نبتيون قبل كل شيء ... »

وانتشر الولدان بين المدعوين يصبون المباد على أيديهم بعد إذ أدوا التحية الخمرية المقدسة لأربابهم ، ثم تفرقوا شيعاً ، ونهض تلياك وصاحبه لينصرفا ، لولا أن صاح بهما نسطور :

« حاشا يا رفاق ! أنثا ضيقتي ، فكيف تبتنان في سفينتكما تحت ظل الليل وهذا بيتي فيه كين لكما وفراش وثير ، وفيه والجد للآلهة ، خير كثير ، وهؤلاء أبنائي ستمار كما وهم ثمة طوع لكما »

وشكرت مينرفا الملك عطفه ثم قالت : « بورك أيها الملك ، لينبق تلياك هنا ، ولأَمْضُ أنا إلى البحر لأشهر على صوالج مركبي ، ولأطمنن بحارتي ، فكلهم أتراب تلياك ، وكلهم متطوعون لخدمته وفاء وحبا ، وليس يجمل إلا أن أبيت أنا معهم تلك الليلة ، على أن تنقل صبيحة الغد إلى

(١) كان من التقاليد الشائعة أيام هوميرو أن تنقطع أسنن القرايين وتحرق باسم الآلهة لينصرف الجمع

قبائته يريسيوس يثاقى الدم في وعاء كبير . ونهض
نسطور الأب فمبح وصلى أمام نار كبيرة
مضرة ، وتم بسم ميترقا ، وقذف في الظي
بكمكتين كبيرتين ، وبناسية القربان ، وبقدر قليل
من الماء المقدس . وإذا انتهى الجميع من صلاتهم
شمر تراسيميد عن ساعده وجزر القربان ، وانكب
الجميع بجهزونه ، وكانت يوريديس الجيلة المفتان
تمنى أشد عنابة بالفخذين ، فسترتهما بثوب غال
من الديباج ، وكان نسطور نفسه ينثر الخمر القدسة
والمطور والأرواح . . . وهكذا أخذ الجميع في
شغلهم ، وشرعوا يلقون في البحر بالحوايا ، وشرعت
بوليكاست تنثر البهار والتوابل . . . ونهباى
تلياخوس بسم هذا فاستوى إلى جنب الملك ، وبدأ
وانتصب الولدان والسداى يصبون الخمر ، وبدأ
الكل يأكلون هينكا ويشربون حريتا

وما كادوا يفرغون حتى أمر نسطور فهيئت
الصافقات الجياد لرحيل تلياخوس وأحضر القواص
عربة كبيرة مثقلة بكل ما تحتاج الرحلة من زاد
وعتاد

وأخذ تلياك مكانه من العربة الأولى ، واستوى
إلى جانبه يزستراتوس أشجع أبناء نسطور ، ثم
سلم تلياك وودع ، وشكر وأثنى ، وجذب عنان
الخليل فانطلقت نهج الرعب ، وتبتمت عن ييلوس
وتطوى الزمان

وبلغوا ، مع مغرب الشمس ، فيريه ، حيث
نلقاهم رب البيت بالبشر والترحاب ، وبأوا عنده ،
حتى أيقظهم أوروا المشرقة . فواصلوا رحلتهم إلى
أسبرطة

مخدع وثير ، وفراش من حرير ، وأمر ابنه
يزستراتوس فقام معه ، ثم ذهب حيث وجد الملكة
في انتظاره

ونشرت أوروا^(١) غلاتها الذهبية في مشرق
الآفق ، فاستوى نسطور على عرشه المرمى التأتاني
عند بوابة القصر ، حيث كان أبوه نليوس يجلس
كأنه للنظر في صوالح المباد ، وأقبل بنوه الستة
ومعهم تلياك الذى جلس إلى جنب أبيهم وتحدث
إليهم نسطور فقال :

« هلموا يا بني ، لنذبح القربان المقدس باسم
ميترقا السكرعة التى باركت حَفَلَنَا أمس ؛
لينطلق أحدكم إلى الحقل فليحضر ثورا^(٢) هينكا ،
وليذهب آخر فيدعو رجال تلياخوس — إلا
اثنين — من السفينة ؛ ولبيض ثالث فليأت بالصناع
الفنان (ايرسيوس) ليجلل قرني القربان بالذهب
ولييق الآخرين هنا ، ثم لتحضر كل حاشيتنا من
النساء ليكسبن الوليمة بهجة ورواء »

وأطاع أبناءه الأوفياء ، وأحضر القربان ، وأقبل
الملاحون الأمناء ، ثم قدم الفنان ليطلى قرني الهيمة
بالذهب ... ثم ... وافت ميترقا ... ميترقا نفسها
لتنشهد الطقوس التى تقام باسمها ... وبدأ الفنان
عمله ، فأخذ يرقن صفائح الذهب ويثبتها بمهارة
في القرنين الصغيرين . وتقدم أرتيوس بن نسطور
وفى إحدى يديه باقة كبيرة من الزهر وفى الأخرى
سلة من أغر أنواع الكمك ، وتقدم ابنه الثانى
تراسيميد وفى يده شاطور كبير ليذبح الثور ووقف

(١) ربة الفجر وحادية عربة أبولو حين يركب الشمس
عند الغروب

(٢) كان على نسطور أن يذبح بقرة مسلة





النحاس - للصور الانكليزي ر. ستفنس

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

جـ
بدل الاشتراك على سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيطة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية لتقصص والروايات

نصدر مرتين في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٩ أبريل سنة ١٣٥٦ — ١ أبريل سنة ١٩٣٧

العدد الخامس

الرواية

رغب إلينا كثير من أصدقاء الرواية أنهم
يفضلون أن تقتصر على نشر الأقاصيص القصيرة ،
فإن تسلسل القصص الطويلة يثقل نشاط القارئ
ويزعج جاذبية الحديث . وفي هذه الرغبة المنسية
لا شك سداد ووجاهة . غير أن الفن القصصي كله
أوجله في هذه المطولات الرائعة ، فإذا أغفلناها لجذبه
الأسباب قطننا عن الأدب العربي الرافد الأغزر ،
وخرجنا بالرواية عن الغرض الأجل . لذلك سنحاول
التوفيق بين رغبة القارئ وغرض الرواية بأن
نقطع هذه السلاسل فلا نبقى منها إلا الاعتراقات
والذكريات ، لأن موضوعاتها تنكاد أن تستقل ، وإلا
الأوديسة ، فإن أمثليدها توشك أن تنتهي ؟ ثم ننشر
من حين إلى حين قصة من بدائع القصص الطويلة
كاملة في عدد واحد . وبذلك تسام الرواية مساهمة
صحيحة في ثقافة القارئ العربي والأدب العربي بما
راع وخلد من الفن القصصي الصحيح

فهرس العدد

صفحة	
٢٦٦	الوصية بلجي دي موباسان ...
...	بقلم أحمد حسن الزيات ...
٢٧٠	الذكان أقصوصة مصرية ...
...	بقلم الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني ...
٢٨٢	غرام الشعراء أقصوصة فرنسية : ف . ف
٢٨٥	يوميات نائب في الأرياف صور مصرية ...
...	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم ...
٢٩٠	خضية للكتاب الفرنسي أندريه كورتيس
...	بقلم الدكتور محمد الرافعي ...
٢٩٧	الصمت للكتاب الروسي ليونيد أندرييف
...	بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي ...
٣٠٧	الحذاء المشعشع للكاتبة الإيطالية جرازيا ديلدا
...	بقلم الأستاذ كامل محمود خبيب ...
٣١١	اعتراقات في العصر لألفريد دي موسيه ...
...	بقلم الأستاذ فليكس فارس ...
٣١٨	الأوديسة لهوميروس ...
...	بقلم الأستاذ دبري خشبة ...
٣٢٤	سر أبي الهول لموريس رستان ...
...	بقلم الأستاذ خليل هندواي ...



ما تستقر به . ومهدى بك رجلاً ذكياً فلا أخشى أن يؤذى صداقتك هذا الحديث ؛ وإذا تأثرت به وتأثت منه فلن أحرص بـمـد اليوم على أن يكون لي منك صديق

إن أمي — عقيلة كورسيل — كانت امرأة حديثة السن حبيبة الطبع خافضة الجناح ، خطب زوجها منها المال ، وتزوج منها الثروة ؛ فكانت حياتها معه حياة التهميد المذهب . هذه الفتاة الودود الجرود الرقيقة عاملها ذلك الفلاح الجلف الذي كان يجب أن يكون أبي ، معاملة جافية قاسية من غير هوادة ولا راحة لم يكذب ينقض شهر واحد على زواجهما حتى كان يمايش خادمة من الخدم ؛ وكان يتخذ فصلاً عن تلك نساء مستأجري مزرعته وبناتهم حظايا وخلال ذلك ؛ ولم يمنعه ذلك من أن يكون له من زوجته ولدان ، وقد كان الناس يمدونهم — وأما فيهم — ثلاثة كانت أمي تتعصب بالسكوت وتلوذ بالصبر وتعيش في هذا البيت الصاخب اللاعبين كما تمشي الفيران الصغيرة التي تسرق الخطى وراء الأثاث ، وتختلس الأنظار بين الفُرش

كانت تنظر إلى القوم وهي مزورة مخفية راجفة بين مآبئة قلقة كأنها عين الفزع ، فلا تستقر في

عرفت الفتى (رينيه دي برينفال) شاباً عظيم البسطة لطيف المشرة ، نقشي وجهه سحابة رقيقة من الحزن نكاد لا نتقشع ؛ وهو شديد التشاؤم ، يبرجج التشكيك ، لا ذفع النقد ، يدرج السخونة من نفاق الناس ولؤم العالم ؛ يقول وكثيراً ما يقول : « إن الناس ليس فيهم صالح ؛ وإذا كان فيهم غفة فهي بالإضافة إلى ما فيهم من الدمار »

كان له أخوان من آل (كورسيل) لا يحبهم وإياهما ظل ؛ فكنت أظنه من رجل آخر غير أبيهما ، نظراً لاختلاف اسمه عن اسميهما ؛ وقد اضطربت الألسنة في مناسبات كثيرة بأن حادثاً غريباً وقع في هذه الأسرة ، ولكنها لم تفصل الخبر ولم تقص الحادث . وحسب إلى هذا الشاب كرم شمائله فتوثقت بيننا أسباب الألفة ، وأنصت لزيارات المودة

ففي ذات مساء سألته عرساً وأنا أتمشى على مائدة أمي وهو من غير ثالث : « أولدت على فراش أمك الأول أم على فراشها الثاني ؟ » فانتسف وجهه قليلاً ثم تفرج ، وبق لحظة لا يتكلم وقد بدت على عياده ربكة ظاهرة ؛ ثم ابتسم ابتسامته السامحة المذبة وقال : « إذا كنت يا صديقي تنبسط للحديث وتنتشط لسامعه ، فسأقضى عليك من نبال مولاي ونحشدي

لا يلاحظها ولا يحفلانها؛ وقد تمودا أن يراها في البيت من سقط المتاع، وأن ياملها بماملة الخدم وقد كنت أنا الوحيد من بين أبنائها الذي بادلها حباً محب وإخلاصاً باخلاص.

ثم توفيت وأنا في الثامنة عشرة من عمري. ولابد أن أقول لك لتستطيع فهم ما يلي من الحديث: إن زوجها كان جمهوراً يحكم شرعي يميل لها الحق في استقلالها بإدارة أموالها، فكان لها بفضل حيلة القانون وذكاء السجل، أن توصي بما تشاء لمن تشاء أبلغنا بعد وفاتها أنها تركت عند هذا السجل وصية، ثم دعينا إلى محضر فيها قراءتها.

لا أزال أذكر ذلك كأه حدث أمس: كان منظرًا عظيمًا أليماً، مبكياً مضحكاً، مفاجئاً مدهشاً، أحدهم تمرد بمد الموت، واحتجاج من جوف القبر، وصوت الحرية اليأس ينبعث رهيباً من خلال النافوس المغفل، يحمل شكوى هذه التقيدة الشنيعة التي أشقتنا أخلاق الناس وسحقها تقاليد المجتمع كان الرجل الذي يظن نفسه أبق دهنياً لحناً كأنه جزار؟ وكان أخوأي فتيين قوبين أحدهما في الثانية والعشرين والآخر يصغره بـتنتين؟ وكان ثلاثتهم ينتظرون مطمئنين على القاعد. أما التنبؤ بورنيشال، وقد دعي أيضاً إلى شهود هذه الجلسة، فقد دخل وأخذ مكانه خلفي؟ وكان في رديحونة الضيقة شاحب اللون كاسف الليل يبيض شاربه الذي أخذ يشتهب؛ فلا جرم أنه كان يتوقع ما سيحدث أغلق السجل الباب بالمغفل والرتاج وشرع يفض أماننا الثلاث الختم بالشمع الأحمر وهو يجهل ما يحتويه، ثم أخذ يقرأ:

محجرتها ولا نطمئن. على أنها كانت رائحة الحسن، بأربعة الأطراف، شقراء الشعر، في شقرتها لون من الشبهة، ومعنى من الحياء، كأنما لوحت شغرها مخاوفها المستمرة.

وكان من بين الأصدقاء المختلفين إلى قصر السيد كورسيل ضابط قديم من ضباط الفرسان أرميل مرهوب الجانب، رقيق القلب، حاد الطبع، إذا أزعج أسراً لم يثنه عنه شيء؛ ذلك هو السيد برنيشال الذي أجهل اسمه. كان رجلاً مديد القامة، مجدول الخناق، خفيف البدن، أسود السبلتين، غليظ الشارب، يشبهني كثيراً وأشبهه. يقرأ كما يقرأ الأدباء، ولا يفكر كما يفكر أهل طبقته. كانت جدته العليا صديقة لجان جاك روسو، فكأنما ورث عنه شيئاً من طريق هذه العلاقة. حفظ كتابيه (المقد الاجتماعي) و (هياويلز الجديدة) من ظهر قلب، ودرس سائر كتبه الفلسفية التي مهدت من بعد لهذا الانقلاب الذي حدث لأمادانتا الباطلة وآرائنا الفائلة وآدابنا السخيفة.

أحب أي وأحبته كما يظهر، وظلت هذه العلاقة سرراً مكتوماً لا يطير في جنباتها ظن، ولا تخوم حولها شبهة. ورأت هذه المرأة للمسكينة الحزينة نفسها مفروكة متروكة، فتعلقت بأسباب هذا الرجل تعلق اليائس، واتخذت في معاملتها طريقته في التفكير، ونظريته في الماطفة الحرة، وجرأته في الحب المستقل؛ ولكنها كانت من الحياء والخفر بحيث لا تجرؤ على أن ترفع صوتها بالكلام، فظلت هذه الأهواء والآراء في قلبها النفاق مكظومة سر كومة مركزة.

وكان أخوأي كأبيهما قاسيين عليها،

أحدا ؛ فأنا بعد أن مت أطرح عن نفسي هذا
الجلجل المتافق وأجرؤ على أن أسهر بفكرى
وأجهر بسرى

« إذن أوصى على الذى جعل لى القانون حق
التصرف به لعاشق المحبوب (يبير جرميه سيمون
دى بورنيشال) ليؤول من بعده لى ولدى وولده رنيه
وإلى بين دى الله رب العالمين وأحكم الحاكمين
أعلن أنى كنت ألن السماء وأرجم الأرض لو لم
يتح لى هذا الحبيب الصادق الخالص ، فأذوق من
شفتيه الود المصفق والحلب الموثق والحنان
المطوف ؛ وأفهم بين ذراعيه أن الله خلق الناس
ليجتمعوا على الحب ، ويألفوا على الصفاء ، ويتعاونوا
على الشدة ، وينضج بعضهم حسرات بعض
بالمزاء والدمع

« إن ولدى الكبيرين أبوها السيد دى كورسيل ،
وأما ولدى رنيه فأبوه السيد دى بورنيشال ، وإلى
أسأل الله رب البشر ومعصر القدر أن يضع الوالد
والولد فوق ظنون الناس وأوهام المجتمع ، وأن
يؤلف قلوبهما على الحب مدى الحياة ، وأن يعطفهما
على وأنا فى القبر »

(ماتيلد دى كروا كسيلوس)

فلما فرغ المسجل من قراءة الوصية نهض
السيد دى كورسيل وصاح : « هذه ولا ريب
وصية امرأة مجنونة ! » فقدم السيد دى بورنيشال
وقال بصوت قوى حاسم :

« أنا — سيمون دى بورنيشال — أعلن أن
هذه الوصية ليس فيها إلا الحق البين والصدق
الحض ، وأنا مستعد أن أثبت ما فيها بما تحت
يدى من الرسائل »

أمسك صديق عن الكلام فجأة ؛ ثم قام إلى
درج فى مكتبته فأخرج منه قرطاساً قديماً فنشره
ثم قبله طويلاً ودفعه إلى وهو يقول : « هذه هى
وصية أوى المحبوبة فأقرأ » فقرأها فإذا فيها :

« أنا — أن كاترين جنيفيف ماتيلد دى
كروا كسيلوس ، الزوجة الشرعية لجان ليوبولد
يوسف جونتيران دى كورسيل — أعلن وأنا صحيحة
الجسم سليمة العقل إرادتى الأخيرة

« استغفر الله أولاً ، وولدى العزيز رنيه
ثانياً ، من العمل الذى أريد أن أت فيه . وفى
اعتقادى أن ولدى من كبر النفس وسمو الماطفة
بحيث يفهم حقيقة أمرى ، ويقبل واضح عذرى .
لقد قضيت حياتى بائسة ممذبة . كان زواجى مسألة
حساية مالية ، فلا غرو أن تكون حياتى الزوجية
سلسلة من الأنكار والاحتقار والضميم . يمتنع على
زوجى من غير رحمة ، ويغتائني من غير هدنة ؛ فأنا
أغفر ما فرط منه إلى ، ولكننى لا أعترف بأن له
ديناً على

« وولدى الكبيران لم يحبانى ولم يدلاننى
قط . كانا قليلا ما يماملاننى معاملة الولد للأم
لقد كنت لهما ما يبنى أن أكون فى حياتى ،
فلاست مدينة لهما بشئ بعد مماتى

« إن علائق الدم لا تتوق بغير المودة الداعة
اللازمة فى كل يوم ، وأما الولد المقوق فهو أبسد
من الغريب . وهو مجرم لأن الولد لا يبنى له أن
يستخف بأمة

« لقد كنت أمام الناس أضطرب خجلاً وأنفزع
وحيلاً من قوانينهم الباغية وعاداتهم الجافية وأحكامهم
العسية ، ولكننى أمام الله أخشى شيئاً ولا أهرب

عدد الرسالة الممتاز

سيصدر يوم الاثنين المقبل عدد الرسالة
المجهرى الممتاز فى ثمانين صفحة مديحاً بأفلام
أقطاب البيان وأعلام الفكر فى مصر وسائر
الأقطار العربية ، وإليك بعض أبحاثهم مرتبة
على حروف الهجاء :

الدكتور ابراهيم بيوى مذكور

الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

» ابراهيم مصطفى

الدكتور أبو الملا عفيف

الأستاذ أحمد أمين

» أمين الخولى

» توفيق الحكيم

الدكتور حسن ابراهيم حسن

» شخت

الأستاذ عباس محمود المقادر

» عبد الرحمن صدقي

» عبد القادر المغربي

» عبد الحميد العبادي

الدكتور عبد الوهاب عزام

الأستاذ على الطنطاوى

» نغرى أبو السمود

» قدرى حافظ طوقان

» محمد أحمد القمراوى

» محمد سميد الريان

» محمد عبد الله عنان

الدكتور محمد عوض محمد

الأستاذ محمد فريد أبو حديد

» محمود غنيم

حينئذ مضى السيد دى كورسبل الزوج إلى
السيد دى بورنيغال الحبيب ، فأشككت فى أنهما
سينفانلان . وقف أحدهما للآخر ؛ هذا ريل
وذلك هنريل ، وكلاهما وافى الشطاط يهور بالكلام
ويتسمر بالفضيل . قال زوج أى لحبيبا وهو يتزعم
ويربحر :

« يا لك من شق شرير ! »

فرد عليه الآخر بلهجته وغلظته : « ستلاقى
فى غير هذا المكان ياسيدى . ولقد كنت أود قبل
اليوم أن أملكك وأعمدك ، لولا أننى آثرت سلام
هذه المرأة التى أشقيتها بجنياتك ، وعذبها بقساوتك »
ثم التفت إلى وقال : « إنك ولدى ، فهل تريد
أن تتبعينى ؟ إننى لا أملك الحق الذى يساعدنى على
أخذك ، ولكنى أملكه إذا شئت فجئت مى »
فصاحته من غير أن أجيب ؛ ثم خرجنا معاً وأنا
أسوأ حالاً من الجنون

وبعد يومين قتل أبى زوج أى فى مبارزة ؛
فازم أخواى الصمت اتقاء لمار الفضيحة وسوء
السمعة ؛ وزلت لهما عن نصف ماركته أى قبلاه .
وتسميت باسم أبى الحقيقى ، وزميت للقانون ذلك
الاسم الذى يحلنى إياه وليس لى به صلة . ومنذ
خمس سنين توفى السيد دى بورنيغال فخرت عليه
حزناً شديداً حتى لم أملك المزاء عن فقدته إلى اليوم

قال ذلك صديق الشاب ثم نهض فغطا إلى حقى
وقف بين يدى وقال : « هيه ! أليس من رأبك أن
وصية أى . هى أجل وأنبىل ما تستطيع امرأة أن
تعمله ؟ » فبسطت إليه يدى الاثنين وأجبتة :

« بلى يا صديق ! ذلك شئ لا ريب فيه »

الزيات

الدكان

لأستاذ عبد الفتاح المازنى



أقصوصة مصرية

على ذلك فأقبلت على السيارة تريد أن تأخذ منها حقيبتها وقبعتها وإذا بصوت يقول لها :
« اسمعى لـ . . »

فالتفت مذعورة فاسمعت وقع قدميه وهو مقبل عليها ، ولا رآه وإن كانت قد دارت بعينها في المكان ونفضته قبل أن تنوى الرجوع إلى « الكشك » . ولم يسألها الرجل شيئاً ولم ينظر إليها بل انطرح على الرمل بشيابه الأنيقة بعد أن ألقى طربوشه في السيارة وراح يجرف الرمل بيديه من خلف المجلة وقدامها . ولما فرغ من ذلك ووسع للمجلة نهض ومشى مطرفاً ينظر إلى الأرض كأنما يبحث عن شيء ، ثم انحنى وتناول حجراً كبيراً ولوحاً من « الصاج » وعاد بهما فوضع الحجر خلف المجلة والوح امامها وتحته ليكون دورانها عليه لا على الرمل ، ثم نهض مرة أخرى وقال :
« أظن هذا يكفي . . فلنجرّب على كل حال »

فقال : « أشكرك . . لا أدري ماذا كنت أصنع لو لم تنجذنى ؟ »

فأشار بيده وقال : « أجبلى الشكر حتى أستحقه . . إن المجلة المسكينة لا تزال غائصة فلننقذها أولاً » .

ومضى إلى آخر السيارة وقال : « أدري

وقفت « جليلة » حائرة لا تدري ماذا تصنع ، فقد انفرزت إحدى المجلتين الخلفيتين في الرمل وأبت أن تخرج منه وعجز المحرك عن جذبها ، بل كانت المجلة تزداد غوصاً كلما حاولت نزاعها ، وكانت الشمس قد مالت إلى الغيب ولم يبد أحد في الأفق ، وكان « الكشك » القدي وقف عند منة لحظة تشرب « الكازوزة » يبعد مسافة كيلو ونصف أو اثنين ، فليتها ما جاوزته إلى هذا المكان القفر . . . ولكنها أرادت أن ترى الطيارة الشراعية من مكان قريب ، والأرض بعد « الكشك » غير ممهدة ، ولكن عناء السير فيها محتمل ولا خوف من النوص ، وقد طوفت من قبل في أرجاء هذا الفضاء الحبيب فهي تعرف صلابة الأرض ولا تخشى رخاوتها . غير أن الحظ خانها في هذه المرة فاكادت تقف بالسيارة وتناهى عنها قليلاً ثم ترجع حتى ألقت المجلة قد غاب نصفها في الرمال اللخائنة ، وكان تلاميذ الطيران الشراعي يميدين عنها بعد « الكشك » ؟ فهل تترك السيارة وتعود أدراجها إلى الكشك لتلتصق من صاحبه المعونة وتسأله أن يدعو إلى نجذتها بعض خفرائه ؟ لم يبق من هذا مفر على ما يظهر وإلا صار خطبها أدهى بعد الغروب . وصح عزنها

فصاحت : « نم . نم . ولكني أشفق لأني

لا أذكرك أبداً ... لا سورتك ولا اسمك »

فقال يا بناسم : « انهما جديران منك بالنسيان »

فألت عليه أن يذكر اسمه فقال : « هذا لفر

سأترك لك حله وأنت عائدة »

فابتسمت وقالت : « ألا تخشى أن أشغل به

عن الطريق وما فيه فتحدث لي حادثة ؟ »

فقال : « صحيح . صحيح . إذن لم يبق مفر

من التضحية ... سأخسر ما صرت جديراً به من

الشكر وأسترد سخطك القديم »

فسألته وهي تضعك : « هل كنت فظيماً

إلى هذا الحد ؟ »

فقال : « ستعرفين مبلغ فظاقتي حين تعرفين

اسمي . . مراد الباروني »

فاطرت وقالت على مهل : « مراد . . .

الباروني ؟ (وهزت رأسها) كلا . . إن ذاكرتي

لا يمتلج فيها شيء . . أسفة »

فقال وهو يضحك بدوره : « أما أنا فان

ذكراك يقشعر لها بدني فما أستطيع أن أنسى أنك

صببت على ملء قربتين من الماء في الشتاء . .

سلطت على خرطوم الحديقة وأطلقت على ماءة . .

أهذه ذكري تنسى ؟ . . ألسنت ممنوراً إذا ظلت

متذكراً ؟ . . »

فدنت منه وقالت بصوت خافت كالهمس :

« مراد ؟ . . صحيح ! ! »

فقال : « وكنت ظالماً لي . . »

فقالت : « كلا . . لقد تذكرت الآن . . .

فقد وضعت لي دودة ميتة في ففائي . . الحق أنك

كنت فظيماً »

المحرك وسيرى بها ومبادفها أنا من الخلف »

فقفلت وخرجت السيارة ثم وقفت على مسافة

أمتار ونزلت منها متبلة الوجه فصاح بها : « لماذا

وقفت ؟ . هل حدث شيء ؟ »

قالت : « لا . . . إنما جئت لأشكرك ... »

ففرك يديه ومد يدها إليها وقال : « آه صحيح .

سار الشكر الآن واجباً . أليس كذلك ؟ . »

فضحكت وسرها منه أنه لا يبدو عليه أنه

يريد شكراً وأنه كان ينتظر منها أن تمنح عنه

بلا كلام

وقالت وهي تبتسم له - في عينيه - :

« ألا تريد أن أشكرك ؟ »

فقال وهو ينفخ الرمل عن ثيابه : « كلا ...

إنه دين قديم أؤديه . . بعضه على الأقل »

فناضت الابتسامة وقالت مستغربة : « دين ؟ .

لي أنا ؟ . ولكني لا أذكر ... أني أعرفك ...

لا مؤاخذه ! »

قال : « صديقي حين أقول لك إنه يسرنى أن

أراك تأسية ... إنها ذكري خليقة ألا تثير في

نفسك إلا الامتناع والنفور بل المقت ...

فالحمد لله »

فدنت منه مقدار خطوة وقالت : « ولكن

أرجو أن تعرفني ؟ »

قال : « أعرفك ... أظن ذلك ... وإن كنت

لا أكنمك أني نسيت اسمك ... انتظري (ورفع

كفه الكبيرة الغليظة الى جبينه) اسمك ياسقي ...

غريب ! ! تبق الصورة كل هذه الأعوام ويذهب

الاسم ... أوه جاً . . . جياً . . . وجدته ! وجدته !

جليئة ... أليس كذلك ؟ »

وجدت لى عملاً . . فى تجارة رابحة والحمد لله . . .
وأنت ؟ »

قالت : « أوه . . كبرت مثلك ... »

فقاطعها وقال : « كلا . . إنك لم تتغيرى ...
لو كان هنا دود لما خطر لى وأنا أنظر إليك إلا أننا
مازلنا طفلين ولهميت بأن أضع لك واحدة فى
قفاك »

فضحككت وقالت : « لقد صرفت مهذباً جداً ...
لم يبق شيء من ذلك الطفل اللعين ... غريب ...
أعنى أن تلتقى هنا هكذا بمد كل هذه السنين ...
ماذا كفت تصنع ؟ . أعنى هنا »
قال : « أتعنى ... للرياضة »

فتبنت وقالت : « إذن لا أقل من أن أحلك
مى فى السيارة »

وقال وهو ركب معها مسروراً : « ما قولك ؟
تحتفل بهذا اللقاء الذى لم يكن لى ولا لك فى حساب
بالمشاء تتناولوه فى محل الحانى . . هه ؟ »

فابتسمت لنفسها فى مرآة السيارة وأصاحت
شمرها الذى عبث به النسيم ثم التفتت إليه وهزت
رأسها أن نعم ؛ ثم انطلقت تخطف بسيارتها الأرض

ولم يكن فى جليلة خفة أو طيش ولكنها
كانت فتاة وحيدة مدللة ورثت عن أبيها شدة
القلب واستقلال الطبع ، وعن أمها سرعة الاجابة
إلى دوايح الخير . وقد مات أبوها قبل سنوات فلم
يبق لأبها سواها ولم تهمل تربيتها ولكنها كان
ينقصها حزم زوجها وجكته ، فألقت لها حبلا على
غاربها وهى تحسب أنها لا تمرد وما كان يصنع أبوها .

فأشار بيده إشارة المستنكر : « لالا لالا ...
هذا كان سوء تفاهم . . أعنى أى كنت فرغت من
اللمب بالدودة وظننت أنك قد يسرك أن تأخذها
لتلعبى بها ، ولكنى أخطأت فوضعتها لك فى
قفاك بدلاً من يدك ... بل كان الخطأ منك لا منى ،
فقد جعلت تبحرن خائفة وأنا أجرى وراءك فلم
يسمى إلا أن أتركها لك فى حيث تيسر لى ذلك
فالأذنب لك يا جليلة »

فقالت جليلة وهى تضحك : « أأذكر كيف
كنت تصيح بأعلى صوت كلما رأيتنى ؟ وكيف
كنت تجرى وراءى وتدبذب برجليك كلما أدر كنتى
تزيدنى رعباً ؟ »

فقال : « نعم أذكر ذلك ... أذكر كل شيء ...
إنه كل ما بقى لى منك ... لقد كنت أصبح وأدبب
لأخفى منك حبنى لك »

فقالت : « غريب ... أأكنت تحبى ؟ ...
لقد كان نجاحك تاماً إذن فى إخفاء هذا الحب »
ونظرت إلى وجهه الذى لوحته الشمس ،
وشعره الذى ظهر فيه الشيب هنا وهناك وأخذت
الصورة القديمة تتردأ ألوانها وتبرز معالمها شيئاً
فشيئاً ثم قالت : « لقد كبرت جداً ... طولاً
وعرضاً ... وتغيرت أيضاً ... من الذى يراك
الآن فيذكر بك ذلك الطفل الشقي الذى كان يسود
عيشى ويرعبنى كلما ظهر لى فجأة من وراء شجرة ...
أو من تحت الأرض فيما كان يخيل لى ؟ ... ماذا
صنعت بنفسك كل هذه السنين ؟ »

فقال : « أوه ماذا يصنع الناس بنفوسهم ؟
يكبرون ويقومون على عمل يشتغلون به . . أنا أيضاً

الراسخان كالزمانتين الصغيرتين ، وتكاد من فرط البراعة في انسجام الثوب على الصدر ترى الحلتين ترفغان الثوب ، وتبصر استدارة السرة وحسن اللحوق فيها حولها . وكانت عبدولة الساقين لا عظمة المعضلة ولا مضطربتها ولا عرقوب لها . وجمال الساق في المرأة بشير بمحسن القوام . وكانت تكره الأحذية العالية الكموب نفوراً من روز الفخذين . على أن هذا كله ما أكثر من يشاركها فيه . ولو اقتصر الأمر على التكوين المادي لما كانت لها حزية تنفرد بها ، ولكن أنوثتها كانت قوية الجذب شديدة الاغراء فلولا استقلالها وشخصيتها لما استطاعت أن تنجو من المطالب

وقال مراد وهو عاكف على البيان الذي قدمه إليه الخادم : « مسفرة قاني أتصور جوما ... لم آكل في نهاري شيئاً ... ماذا تريدن ؟ . كباب ؟ . لحم رأس ؟ . حمام ؟ . إني أرى الخاني عنده كل ما يؤكل ... لا الكباب وحده ... ما قولك ؟ »

فأثرت الكباب وقالت : « إن هذا فنه الذي يمتاز به فيحسن أن أقصر عليه » -

وكأما جالسين في آخر القاعة ووجهها مهي إلى الباب ووجهه إلى الناس . وشغلها برهة بالأكل وذكريات الطفولة فقَالَ لها وهو يضطجع : « أذكركن يوم محمدنيك أن تتسلى النخلة ... (فهزت رأسها) لقد كنت لا تطيقين التحدي ... فهل أنت ما زلت كذلك ؟ »

فوضعت الشوكة على الطبق ونظرت إليه وسألته : « ماذا نفعل ؟ »
قال بإبتسام : « أعني أن وراك ... بعد ما ندين

على أن الفتاة لم يكن فيها سوء ولم تشعر الحرية شراً وإنما أكدت استقلالها وأورثتها عمداً صريحاً على كل قيد من القيود التي يفرضها العرف حتى على الفتاة الحديثة . وكانت أمها وبمضى أهلها يشق عليهم ذلك أحياناً فتقول لهم : إني لأفضل سوءاً ولا أمي . أدبي ولا أتوقع على أحد ولا قيمة لخروجي وحدي أو مرافقة أصحابي وصواحي إلى الدنيا أو غيرها لأنني أستطيع بسهولة وبلا عناء أن أحافظ على نفسي . فكانت أمها تسكت ولا تقول شيئاً لملها أن الكلام لا خير فيه

ولم تكن جليلة براءة الحسن ولكن صوبتها كانت له حلاوة التفريد ، وكانت نظرتها الحائلة تفصل فملين بيدوان متناقضين - تنمش القلب وتفتر الجسم ، فإذا أدامت إليك كرة الطرف - على عاداتها إذا سرها منك عمل أو قول - شاع الرضى في نفسك وقاضت بالسرور ودار رأسك وأحسست بالخدر في أعضائك . وكانت أقرب إلى القصر منها إلى الطول ، وإلى الامتلاء منها إلى النحافة والمزال ، وقد جمعتها كثرة الحركة والولع بالمشي في الهواء الطلق وظام النفس عن الآكال الدسمة الثقيلة أن تصبح كأنها أكداساً من اللحم تلج على روحها ؛ وكانت سمراء ولكن سمرة مشربة حمرة لا كدرة فيها ولا نمش . وكان شعرها جعداً وأنيباً وحفاً ، وكانت تفرقه وترسله إلى الوراء وتمقصه وتأتي أن تقصه . وكانت أنيقة بلا تكلف ، ولم تكن رقيقة الحال أو مضطرة إلى حسن التدبير والاقتصاد فقد ترك لها أبوها الخازم ثروة كافية ولكنها كانت تؤثر أن تصنع ثيابها يديها فتجني عبوة التصفيل على قدها الجميل يبرز من تحتها ثدياها الناهدان

عليه عشرين قرية من الماء في الشتاء ؟؟ »
 فقالت ببساطة : « إني أحب زكي ... وأنت
 لا تعرفه ... بالطبع ليس في كوني معك هنا ما ينبغي
 أن يسوء ، ولكنه لا يعرف أنك هذا الصديق ؛
 كل ما يعرفه أنه خطيب ... وأنى - كما قال لى
 مراراً - طائشة ... مندفة ... »

فقال مراد : « اشربي القهوة ... لا تفسدى
 على نفسك الليلة ... ستشربين له كل شيء ...
 فيعود حلاً ودباً وبمقدار اليك من هذه النظرات
 الحامية ... »

فشربت القهوة ولكنها كانت ساهرة ، فقد
 كانت تحب « زكي » هذا وكانت تكره الاضطراب
 الى الشرح وتستغفل أن تحتاج حتى الى ما يشبه
 الاعتذار .

وقال مراد : « لقد قام الرجلان ... خطيبك
 وصاحبه ... » .

فقالت : « يحسن أن تقوم إذن ... فسيودع
 صاحبه ولا شك ويقف في انتظاري ... أشكرك
 يا مراد ... نبهتني الى أنه خرج ... فلألحق به .
 وخرجاً . ودعها مراد بعد أن عرفت منه
 عنوانه وعرف منها عنوانها وألح عليها أن تتصل به
 إذا جد أمر من جراء لقاءهما الليلة .

وقالت جلييلة لزكى : « معي سيارتي فلا حاجة
 الى تاكس . »

فدخل فيها واضطلعج ثم قال : « من هذا
 الرجل الذى كان معك ؟ » .

فقضت عليه ما وقع لها عند المطار ؛ فقاطعتها
 وقال : كيف تكلمين رجلاً غريباً ؟ ... إن هذا
 كثير ... » .

اثنتين ... رجلين أحدهما يمدق في ظهره ...
 لا يخالجنى شك في أنك تحسبن وقع نظره على
 جسمك ... أنها نظرة جامية ... كاوية ... انتظري
 قليلاً وسأدعو الخادم ليحيئنا بالقهوة فأدري وجهك
 حين يقبل وانتظري ... »

ففعلت ثم اعتدلت في جلستها وقد علا وجهها
 الاصفرار ، فأكب مراد على بقية الفاكهة وتشاغل
 بها عما رأى في وجهها من دلائل التغير . ولم
 تفت جلييلة هذه الكياسة منه ووقع من نفسها
 اتفاقاً الفضول فمأسكت وضبطت صوتها وهي
 تقول : « لقد تغيرت جداً ... من كان يظن أن
 ذلك الطفل الخبيث الذى كان يتمقبني وينص حياتي
 يصبح هذا الرجل الوديع الظريف الكيس ؟
 أتعرف من هذا يا مراد الذى يكونى بنظراته ...
 إنه خطيبى زكى ... أهمت الآن . ؟ »

فقال مهدوء بصوت متزن النبرات : « خطيبك ..
 زكى ... هذه أخبار ... أظن أن من واجبي أن
 أقدم لك التهنئات . »

ولكنها أحست من نبرات صوته على الرغم من
 التزامها أن هذا الخبر لم يسره فقالت : « لا داعي
 للمعجب ... ثم إن الزواج مسألة عادية جداً على كل
 حال ... أو كما يمكن أن تقول أنت ... هو شر
 يصيب كل إنسان ... عاجلاً أو آجلاً ... متى
 يصيبك يا مراد ؟ ... » .

فقال : « أنا ؟ ... لأدري ... صاحبك ...
 أعنى خطيبك لا يزال محملاً في ظهره ... فهل
 تستطيعين أن تنهضى وتذهبي إليه وتقولى له بكل
 هدوء إن لك حقاً في أن تتناولى المشاء مع صديق
 قديم مثلى وضع في طفولته دودة في ظهره ، وصيبت

قالت : « ولكنه ليس غريباً ... لقد نشأنا - جسد - من أصل تركي أو شركسي - سيان - ممّا يب. في حي واحد ... »

فنفخ وقال : « ولكنك لم تكوني ترفين أنه هو صديق طفولتك ... »

فقالت بلهجة المستغرب : « هل كنت تريد أن أتقبل مفوته ولا أشكره على الأقل ؟ ... »

فترك هذا وقال : « ولماذا تخرجين الى هذا المكان وحدك ؟ »

قالت : « لأنك مشغول عني بأعمالك الكثيرة التي لا تدع وقتاً لمرافقتي ... ومع ذلك أي بأس هناك ؟ »

قال : « بأس ... بأس ... هذا الذي حدث لك. من غوص المجلة أليس بأساً ؟ »

قالت : « لا تكن متفتناً ... إن السيارات يمكن أن يحصل لها أي شيء في أي مكان في الدنيا »

فترك هذا أيضاً وقال : « ولكن تأنين معه الى الحاقى ... ماذا يقول الناس ؟ »

فقالت : « إذا كان الحاقى مكاناً لا يليق أن يدخله الشريف ... »

فقاطعتها بسرعة وقال : « لست أقول هذا ... الأمر على العكس ... »

قالت : « إذن انتهينا ... »

فصكت فمراً رأى حجة له تنهض . وساء ذلك فقد كان شديد الاعتداد بنفسه ، وكان عظيم الطموح

واسع الأمل في المنازل المحوطة فلم يسره أن الفتاة التي سيتزوجها تفرح حجته بأقوى منها ، وأحس أن في هذا تنقصاً له وغضباً من مقامه وسقوطاً لميذته

ولكن الكلام خافه فأثر السكوت على مضض . وكان زكي - أو إذا أردت اسمه كله زكي الدين

جسد - من أصل تركي أو شركسي - سيان - وكان يعلم أن يبلغ بحاله الموروث حيث لم يستطع

أن يبلغ بالكفاية الشخصية ، وكانت أمه التي لا ينفك يحلم به في البقطة والنسائم أصبح

يوماً من أعضاء البرلمان ، ومن أجل هذا كان يتقرب الى الزعماء السياسيين بوسائل شتى ، وكان

يضميه جداً أن يحسن رأيهم فيه وظنهم به ، وكان يحرص على المركز المأمول ويحيط نفسه سلفاً بكل

مظاهر الأبهة والسمت والوقار وينظر الى الأمر كله كأنه واقع ، ويتنظر من الناس أن يمدوه كذلك ، بل

أن يبالغوا وروحو يمدون بصرهم الى المستقبل وأن يخالوه كما يتخيل نفسه فيه وزيراً أو رئيس وزارة .

وقال لجليلة وهو يودعها على باب بيتها : « أرجو يا جليلة ألا تمرضيني لكلام الناس ، واذكري أن

لي مركزاً يجب أن أحافظ عليه » . فسحبت يدها من يده وقد ألها كلامه وأحست

أن سهماً وقع في قلبها . وكانت حساسة وذكية . ولم يكن يخفى عليها أن ليس له مركز سوى ما يفيد

الفنى ، ولم تكن هي تحتاج منه الى مال فإن مالها كثير . وكانت تدرك أن ما يسميه « مركزه »

جانب ضعف فيه ولكنها تنفض عن ذلك لجهلها ؛ غير أنها لم تكن تتوقع أن يتهمها بأنها تدعى الى

هذا المركز - وإن كان موهوماً - فضلاً عما تنطوي عليه عبارة من التعريض بها بعد أن شرحت

له الأمر كله ولم تخف عنه شيئاً . وماذا تخفى وليس في الأمر ما يستدعى السكتان ؟

وقالت له وهي تهتم بالدخول : « ليلتك سعيدة » فسالها : « متى نلتقي غداً ... »

فأطرقت شيئاً ثم رفعت رأسها وألقت إليه

وحدها وأن تدور دورة في الهواء الطلق وتمشي قليلاً عسى أن ينقشها ذلك فينفخها من الشعور بالانتعاش والفتور . وإنها لن يبيض الطريق إذا بها ترى مراداً عثى بسرعة كأنها يريد أن يدرك موعداً ، فوقفت وأشارت إليه وقد أحست أن جسمها قد صار أخف مما كان . فجاءها يمدو فسالته : الى أين ؟ ... »

فلم يجب عن هذا السؤال ولم يلبس اليها تحية بل ركب وهو يقول : « أراكا نلتقي في هذه الأيام ؟ حسن هذا ... أليس كذلك ؟ » . فأعدها ما في وجهه من البشر وقالت ضاحكة : « غريب هذا ... تمضي سنوات لا نلتقي فيها مرة واحدة وفي أربعة أيام نلتقي مرتين » ، فقال : « لا تملطي يا فتاتي ... ليست هذه مصادفة » . فنظرت اليه مستغربة وسالته : « ليست مصادفة ... ؟ »

فقال وعلى فمه ابتسامته الوضيئة التي لا تفارقه « كلا ... ليست مصادفة ... إنها إرادتي سلطتها عليك تجذبك الى حيث أنا ... نعم » . فساد اليها إشراق وجهها وأطابت وقالت : « أوه ... آه ... إرادتك ؟ طبعاً » فقال : « لا تخشى ... إلى أنكلام جاداً »

فرمت اليه نظرة سريعة فألفته لا يزال يبتسم فحولت وجهها الى الطريق وقالت : « هذا بديع .. تكلم ... إن أذني لك »

قال : « نعم ... إرادتي ... لم أزل منذ عشر سنين أرى هذه الارادة فهل تستغربين أنها بلغت من القوة هذا الشأ ؟ ! بالطبع لا ... وأنت أول

ابتسامه ساخرة وقالت : « غداً ؟ لا ... إلى على موعد مع مراد ... » . ودخلت . وتركته واقفاً وفه مفتوح . ولم يكن ثم موعد ولا شبهه ؛ وإنما قالت ما قالت مدفوعة اليه بضجرتها وألمها .

ولم تحاول أن تلتقي بمراد في اليوم التالي فقد كانت تدرك أن هذا لا يكون منها إلا خرقاً وحقاقه . فلزمت بيتها الى الساء ثم خرجت في سيارتها على عادتها وجالت بها جولة قصيرة ثم ردت بمض الزيارات وعادت فلزمت غرفتها ، وكان الألم لا يزال يحز في نفسها فساء نومها واضطرب . وذهب يوم وجاء يوم ولكنها أحست ثقلاً في جسمها وفتوراً فبقيت في فراشها وأوصت أمها أن تمنع أن يزجها أحد - حتى ولا زكي - فشمعرت الأم أن في الأمر شيئاً ، ولكنها حدثت نفسها أنه خلاف لا يلبث أن يزول . وجاء زكي يسأل عن خطيبته فمرت الأم أنه لم يلقها منذ يومين ، فأظهرت تعجبها وزلت فقالت إنها كانت تحسب أنها لا تخرج إلا للقاءه ، وزل زكي أيضاً فقال لها إن جليلة خفيفة وإن خفتها نسيء الى مركزه ، وإنه كلما في ذلك ففضيت ولجت فيما نهاها عنه ، فهو يرجوها أن تكبجها قليلاً فما يليق أن تترك هكذا حبلاً على ظريها . وعرفت جليلة هذا الذي دار بين أمها وبين خطيبها فدهشت له ولكنها لم تنضب ولم تثر بل كان من التريب أنها أحست كأنها وضع لها في مكان القلب قطعة من الثلج .

وجاء العصر فركبت سيارتها وخرجت بها الى مصر الجديدة . وكان كل هما أن تكون هي

تتمشى ... ودعى السيارة فلن يحطها أحد»
 وقطعاً مسافة وهما صامتان ثم وقف والتفت
 إليها وقال : « اسمي يا جليسة ... إلى أتعمد على
 ما تخولني صداقتي القديمة من الحق في الصراحة؟
 عشرون قرية من الماء تجعل لي هذا الحق ... أريد
 أن أقول إلى نحاشيت في مقابلتنا الأولى أنت
 أ كاشفك عما أضمر لك من الحب كل هذه السنين
 الطويلة ... لأنك قلت عرضاً أنك خطوبة ...
 ولكن وجه المسألة تغير اليوم بمد أن سميت منك
 ما قال هذا البطل »

فقاطعت ضاحكة : « اذكر أنه خطبي ...
 لا يزال خطبي ... وأنى قلت لك إلى أحبه »
 فقال : « لم بمد هذا يعني ... لست أحاول
 أن أصرفك عنه ... كلا ... ولكنه لم يبق لي بد
 من أن أقول لك إلى أحبك ، وأنى أصبحك مذ
 كنت طفلة وكنت أمائك وأكيدك وأصرخ في
 وجهك ... وكان هذا مظهر حبي الصبياني ...
 أما الآن فان مظهره أنى مستمد أن أذهب إلى
 خطيبك هذا وأخنقه بيدي هاتين ... »

فقال ضاحكة : « لقد توجهت لحظة أنك
 صرت أرق »
 فقال : « كلا ... أما كما كنت ... واسمى
 ولا تقاطعي وإلا بحثت عن دودة ووضعتها لك في
 فمك ... إذا حدث يوماً أن صار الدكان للايجار
 فأخبريني ... »

فقال : « لفة التاجر أيضاً ... ولكني
 سأستعيرها منك ... ثم أنك مفضل عندي على
 كل مستاجر لهذا الدكان إذا خلا يوماً من الأيام.
 لم يكن يخطر لي أن هذا ما تنطوى عليه لي ... ومن

من ينبغي أن يكون من تلاميذي المؤمنين بي ...
 من حوارى ... هه ... وسأفتح بك العهد
 الجديد ... »

وبلغا آخر الطريق إلى المطار من ورائه جلسا
 على سلم السيارة وأخرج مراد سيجارة وذهب
 يدخن في صمت ، فلما طال ذلك التفت إليه وقالت :
 « إنك لا تسألني ما ذا حدث »

فلم يحول وجهه إليها وأدرك من كلامها أن
 شيئاً لا بد أن يكون قد حدث ، ولم يشأ أن يتطفل
 عليها بالسؤال فاكفى بأن يقول : « إن أذى لك ...
 أعمرناك السم »

فقال : « إنك قليل الفضول »
 قال : « لأنى مشغول عنه بما في نفسي ...
 الدخان خاصة ... لا تحتمل زيادة »
 قالت : « لفة التاجر ... اسمع ... غضب
 زكى ... أوه ... غضب جداً ... لم يقل شيئاً
 كثيراً ... كل ما قاله أنى خفيفة طياشة وأنى
 أمىء يسألوك إلى مركزه »

فانتفض مراد واقفاً وقد نجهم وجهه ورى
 السيجارة ثم التفت إليها وقال بلهجة صارمة :

« من يكون زكى هذا ... »
 وكبح نفسه عن الاسترسال ورد لسانه بمجهد ،
 وضبط أعصابه وعاد إلى مكانه من السلم والتفت إليها
 وقال وقد وسمه أن يتتسم مرة أخرى : « ممفزة
 ليس لي حق ... قولى إنك صفحت عني »
 فسرهما منه أنه غضب لها وفارت نفسه
 بالسخط على خطيئها من أجلها فقالت له برفقة
 « أشكرك ... إننا صديقان قديمان ... »
 فقال لها وهو ينهض مرة أخرى : « قوى

فتاة مثلها فكتم حبه وطواه في صدره ، وسأل الله المونة على احتمال الياأس الحاضر ؛ وهو ظريف كيس لبق دائم البشر واسع الادراك رحيب الأفق حلو الفكاهة . وزكى النقي الذي لا يزال مهموماً بمركزه التخيل ، والذي لا يتقى في سبيل الحرص عليه أن يجرح قلب فتاة ، ويههما بالخفة والطيش في سلوكها ، وبأن سيرتها توشك أن تسمى الى مركزه الموهوم هذا . وقد أحبته ... هذا صحيح . ولكن عينها فتحت . فهي تراه الآن على حقيقته ، وليس يسمها إلا أن تفكر في حياتها معه كيف تكون إذا كان كل ما يباليه في الدنيا هو هذا المركز . . ولكنها خطيبته وقد قبلت أن تكون زوجته ... فما العمل الآن ؟

وسألت نفسها ... أى الرجلين أحب إليها ؟ وحيروها الجواب ... فهل هذا الذى تشر به لمراد حب ؟ . إن يكن هذا فهو هادى جداً ... أما زكى فان الدكان كما قالت لمراد مزحومة ... صحيح أنها مزحومة بما لا قيمة له — كما ظهر الآن — ولكنها مزحومة ... فهل تخلو يوماً ؟ . هذه هي السألة ... وإلى أن تخلو لا سبيل الى شيء ...

ولو أن زكى ذهب إليها في ذلك الوقت ولاطفها وتأنفها وضاحكها ومازحها واعتذر إليها ، ولو كانت هي في رأيه المخطئة ، لمادت للياه إلى مجاريها كما يقولون ولا رتقت قيمة ما في الدكان وارتدت إليه نفاسه ، ولكنه أراد أن يلقيها درساً فأعرض أياماً وجفاها واقطع عن زيارتها ، ولم يكفه ذلك بل أرسل إليها خادمة تبانها بحماته وتسلها باسمه عن صحتها ، وأوصاها أن تخلق مناسبة لتقول لها إن سيدها يكثر في هذه الأيام من زيارة بيت خالته

التي تتصور أن وضع الديدان في قفاها يكون علامة حب ؟ ولكنك كنت دائماً غريباً ... على كل حال ... للسألة المهمة أن الدكان مزحوم ... ليس خالياً ... خرجت أستبضع فامتلاً ... صحيح أنه امتلاً بأشياء لا قيمة لها ... ولكني لم أكن أعرف أن ما غص به عديم القيمة ... المهم أنه ممتلئ ... وأظنك تدرك أنه مادام مملوءاً فلا مكان هناك للجديد ... يجب الصبر حتى أخليه معاً فيه ... هذا يحتاج الى وقت ... ومن يدرى ؟ ربما كان الاخلاء أصعب من الماء ... ولكنك تفهم وتعذر فقال ببساطة وهدهو : « لا بأس .. لا بأس .. إن ذكاني أيضاً مزحوم ... ولكنه مزحوم بالنفيس الغالى ... واست أريد أن أخليه ... لا أستطيع أن أخليه حتى لو أردت ... وهيات أن أريد أو أستطيع ... إنه مكتظ منذ خمس عشرة سنة . وسيظل مكتظاً طول العمر ... وقد عرفت أن مفتاحه معك ... في يدك ... فادخلي حيناً تشائين وعسى أن تشائى ... عدينى أن تحتلى مكانك من الدكان بعد أن تفرغى من أمر دكانك ... وفي أثناء ذلك نبقى كما كنا دائماً ... صديقين حميمين »

ولم يسع جليلة إلا أن تفكر في أمر الرجلين : مراد الرجل الذى تعرفه منذ الطفولة والذي كان يسود عيشها بمببه لأن هذا كان تبيره الخالص عن حبه لها ، وقد ظل بعد ذلك يحبها ، ولكنه أحجم عن طلب يدها لرقه حاله بالقياس إليها ، وقد صار ناجراً ، ولكنه لم يثر لأنه لا يربح إلا الكفاية ، ومن هنا إحجامه الى الآن عن خطوبتها كما حدثنا ؛ وقد زاد على ذلك أنه كان لا يتصور أن ترضى به

به سنين وسنين .. وتمجبت لسرعة استيلاء مراد على هواها فاقبته إلا مرتين بمد طول الانقطاع والثنية . قهل هذا هو الحب الذى يقال عنه إنه يكون من أول نظرة ؟ .. أم تراها كانت تحبه منذ عرفته وهي لا تدري ، وكان حبا له واقد كما أنه ينتظر فرصة للظهور ! لاشك أنها كانت تحبه . كذلك قالت لنفسها وهي راقدة على سررها بمد الغداء . نعم كان يقسو عليها ويركبها بالزاح المتعب ، وكان يختبئ لها وراء الأشجار ثم يقاها بصرخة ترعها فيضحك ويقهقه . وكان يجري وراءها حتى تنقطع أنفاسها وتقع من الأعياء .. فيحملها ولكنه لا يرحمها ولا يترفق بها بل يروح بقرصها ويمضها فتصرخ وتضج وهو يضحك ولا يبالي ... ولم تستطع أن تنفقه منه إلا مرة واحدة حين أرسلت عليه خرطوم الماء فأعرقته فجعل يتنفض من البرد ، ولكنه كان يضحك مع ذلك ولم يستخط عليها ولم ينطق بكلمة تشي بالآلم أو النعمة أو التفضيل ، بل احتمل ذلك . ولما رق له قلبها وأقبلت عليه بالاعتذار إليه وطلب الصفح منه لم ينس دمايته وعيته ، ونبحها كما يفعل الكلب « وؤ .. وؤ » ففزعت فسا كانت تتوقع شيئا من ذلك ، ومضت عنه متقبلة مخنفة ممتدة أشد شرب في الحارة ؛ وكان هو يقهقه وينطوى من شدة الضحك غير عابىء بالباء والبرد ، فبالله ما أقواه .. ومع ذلك كانت لا تلعب إلا معه ، وإذا أقبل عليها غيره من الصبية فترت ... نعم لا شك أنها كانت تؤثره ... ولماذا لا تقول إنها كانت تحبه ؟ صحيح أنها لم تكن تعرف ما الحب ولكنها تعرف الآن فقد سارت خيرة تجربة فلماذا لا تسمى الشيء باسمه الصحيح ؟

— وكانت لها بنت فى مثل سن جليلة — ليثير غيرهم وإشفاقها من أن يطير المصنوع من يدها فأفلح ولكن فى استئذارة تقمها عليه ، فقالت لنفسها إن رجلا يهينها ويسر بها ويرميها بأن سلوكها من شأنه أن يسيء إلى سمعتها وأن يضر مركزه ، ثم لا يجعل هذا بينه وبينها بل يقضى به إلى أنها ، ثم لا يكتفيه هذا بل يحقوها ، ثم يترق فى تمعد الاساءة إليها فيرسل إليها خادمة تبلغها أنه انصرف عنها إلى سواها — مثل هذا الرجل خير له ولها أن ينبت ما بينها ..

على أنها لم تتمتع وإن كان عزمها قد صبح على الفراق فقد كانت شديدة الثقة بنفسها والاعتداد باستقلالها وإرادتها الحرة ، فلم تر ما يدعو إلى المعجلة بمد أن انتوت أن تفهم العروة واستوى عندها أن يكون ذلك يوم انتهت إلى هذا المزم وأن يكون بعده بأيام أو أسابيع ، فقد كانت واثقة أنه ما من شيء يستطيع أن يحولها عنه . وصار عجبا أن المكان خلا بسرعة مما كان يفص به . ولم تكن تائق فى تلك الأيام مرادا لأنها أرادت أن تختبر نفسها ونجسها لتعرف ما تنطوى عليه له ، فأدهشها أنها تحس وحشة وأنها تشتت أن تكون معه وأن تستعيد ما تشرب به فى مجلسه من سكينه النفس واطمئنان القلب والرضى الهادئ . وزاد شوقها إليه أنها كتمت الأمر كله عن أمها فلم يكن هناك من ينشئ ما فى نفسها ، ولو كان مراد إلى جانبها لكان خليقا أن يفهم ويصبر ويعطف وأن يسرى عنها بفكاهته التى لا تخون ، وأن يمدبها بقوة التى تجعله لا ينسى أن يضحك وهو يفجع فى أمه الذى عاش

فامتقع لونه ولكنه تجلد وقال : « متى إن شاء الله ؟ لست أطمع أن أدعى ولكنى أريد أن أحتفل بيلة الجلوة وبسروك فيها . وحدى »
فسألته بنحس : « وحدا ؟ »

فقال : « نعم .. لن يكون مئى سوى خواطرى »
وأدار وجهه إلى الباب ليخفى زفرة يعلو بها صدره ثم التفت إليها وقال : « متى يكون هذا ؟ »
فرفعت إليه وجهها مشرقاً ونظرت إليه نظراتها الحائلة وقالت : « متى تريد أن يكون ؟ »

فقطب وقال : « إيه ؟ »
فأعادت سؤالها : « متى تريد أن يكون ؟ »

فحدق في وجهها - في عينيها - ثم صاح وقد فطن إلى ما تمنى وأمنى عليها فرفعها بيديه عن الكرسي غير عابىء بالمال والزبان وأهوى على فخما بالثبات ثم ردها إلى الكرسي وصباح بأحد رجلاه :
« إذهب . إذهب . حالا . حالا »

فوقف الرجل كالآبله لا يفهم ، ولا يدري أين يريد منه أن يذهب فصاح به :

« هات المأذون .. ألا تعرف المأذون يا أبله ؟ »
« إذهب .. حالا .. »

فوقفت جليلة وأقبلت عليه تسأله : « ماذا تمنى ؟ .. ماذا تريد أن تصنع ؟ »

فقال : « ماذا أعنى ؟ .. يا له من سؤال ! .. نعمد المقد ! .. هنا .. حالا .. في الدكان .. هذا ما أعنى .. رجلى وزبائنى شهودى .. شهود سعادى لقد كان التجار في الزمن السالف يجيئون رجال يقفون على أبواب الدكاكين ويدعون المارة أن يدخلوا ويزينون لهم البضاعة .. وقد انقضى ذلك الزمن وحلت الاعلانات في الصحف عل هؤلاء

وارتدت من الماضى إلى الحاضر وذكر كيف غاست مجملتها في الرمل ووقفت حائرة وإذا به يظهر كأنما شق الأرض وخرج منها - كما كان يفعل وهو صبي - وينطرح على الأرض بلا كلام أو سؤال ولا يبالي ما يصيب ثيابه ، ويجرف الرمل ببيده الكبيرتين ويحمل الحجارة ؟ يفعل كل ذلك ولا يرفع عينه إلى .. ثم يرفنى فيتلطف في تذكرى بنفسه . ويتظاهر بنسيان اسمى وهو منقوش مغفور في قلبه .. وتنازعه نفسه أن يقضى إلى بحبه فيشير إليه من بعيد في معرض الكلام على ذكريات الحداثة . ويرف أنى مخطوبة فيفقد كل أمل ولكنه يتجدد ويتكلف الابتسام ويمضى في مؤانستى بحديثه كأنما لم ينهد كيانه ولم يتقوض بنيانه . وهل أنسى كيف تار وانتفض حين رويت له ما أهاننى به زكى ؟ لقد كانت وثبته تلك حسى دليلا على عمق ما يجنى لى من الحب . ومع ذلك أثبت له الكياسة والأدب إلا أن يكبح نفسه ويردها عن التيل من زكى مخافة أن أكره ذلك منه ..

وظلت تناجى نفسها على هذا النحو ولا تكتحل عينيها بغمض حتى كان العصر فقامت ولبست ثياب الخروج واستقلت سيارتها الصغيرة إلى دكان مراد فأقبل عليها يرحب بها فقالت له :

« أنت أولى بها يرحب بها فقالت له :
« فأبسم وقال : « آه .. أهو ذاك ؟ »
قالت : « نعم . أريد شيئاً من الحرير .. قطعاً كثيرة . ألوانها شتى . الوقت ضيق . »
فقال : « الوقت ! لست فأما شيئاً . »
قالت : « ألا تعرف أن العروس تحتاج إلى ثياب كثيرة ؟ »

الطيارة ، فإذا منع أن تزوج في الدكان ، فقالت إنه فرق ساعة ، والسافة إلى البيت لا تستغرق زمناً ، فأبى أيضاً ، وقال إنه يخاف عليها أن تعابر وتتسرب في الهواء . . . كلا . . . لا بد أن يكون المقد هنا

وراقها هذا الجنون وأرهدف خيالها فرضيت وتزوجا في دكان

وقالت له وهما خارجان : « نسيت أن أقول لك إنى وجدت أن الدكان لم يكن خالياً قط ... كان مافيه مخزونا من أيام الصبي ، فلما أدبرت عيني فيه عرفت ولهذا جئت »

فقبلها على باب الدكان

ولم يستح الرجل !

ابراهيم غبر القادر المازني

المنادين ولكي اليوم سأقف بالباب وأدعو الناس .. كل الناس أن يدخلوا لا يشترعوا بل ليشاركوني في سعادتي . . لماذا لم يجيء المأذون . . إذهب أنت وراعه واستمجهله »

وفرحت جلييلة بهذا الجنون وخجلت أيضاً — أفرحها أن عقله استطير من فرط الجذل ، وأخجلها أن كل هؤلاء الناس من المال والزبان يرونها ، وأن عيونهم جميعاً عليها ، وأنهم يفحصونها ليمرقوا سر هذا السحر الذي ذهب بلب الرجل الذي ألفوا منه الرزاة والسكينة والظرف والعقل . . ولم تكن تقدر أن يفعل ذلك وأرادت أن تستمهله فأبى ، فافترحت أن يذهب بالمأذون إلى البيت فأبى أيضاً ، وقال إن ناساً في هذا الزمان يتزوجون في

بنك مصر

يساعدكم على الادخار من أقرب وأضمنه الوجهه

اتصلوا بقسم بيع الأوراق المالية بالتقسيط

واستفيدوا من التخفيض المحسوس والضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأساً بمركز البنك الرئيسى .

بالقاهرة . وفروعه بالأقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون

غرام الشعراء

قصيدة فرنسية

تصبت الشاعر محاسن الأميرة فأحبها
روح شاعريته القدسية ؛ ورأت الأميرة فيه
ما بهر غرورها فاستسلمت لفرامه ، وتراجع
سائر الشاق بذلة الانكسار أمام الشاعر الثرى
الجميل ، وكان اسمه سعيداً^(١) وله صديق اسمه
جيل فكتب سعيد إلى جيل يقول :

« لقد رضيت في زوجاً ، فما أسمعني بهواها !
وإنني لأشك أحياناً في سعادتي فأحسبني واهماً .
وهل لثل هذه الآلهة أن تحب رجلاً يموت ؟
ولكنني أعود إلى رشدي فأسال نفسي عما دفعاها
إلى التسليم بقبولي زوجها لها إذا كانت لا تحبني
لا أراي مضطراً إلى أن أقول لك ، وأنت الصديق
الوفى العارف بما في سررتي ، إنه لا مطمع لي في
الحياة الا امتلاك قلب امرأة بكل ما في كلمة الامتلاك
من معنى السيادة المطلقة ، تبرع في قلب لا وهن فيه
ولا شرك ولا ضلال . أريد روحاً أبداً روحى
وحياة واحدة في جسدي . ذلك حلم الخلود أطمح
إلى تحقيقه على هذه الأرض الفانية . إن الله لم
يخلق الجمال عبثاً ، فانه وضع في إهاب الأميرة التأثير
لثنيان قلباً يحترق هو نفسه بها . إنني أشكر الله
لأنه أنالني ما اشتيت »

وورد الجواب بهذه الكلمة :

« احذر ، فانك شاعر »

وكانت حفلة زفاف جليلتها روعة الجمال ولمت
فيها بوق اللال
اهتزت المدينة لحناف الفرح ، وسار المروسان
تحف بهما الأبحاد ويواكهما الدز على طريق
السعادة والهناء

كانت فتاة أسمدها الحظ وأسمدها الجمال ،
ولدت من أبوين أحدهما الثروة وثانيهما الجمال ،
فكان الله أوجدتها فتنة للعالمين ، تلمب بالباب
الشعراء تارة ، وتارة تلمب بقلوب الطامعين
وكان اسمها مشتقاً من مصدر النصر فدعاها
الناس بالأميرة لأنها حكمت إلهمين إله الجمال
وإله المال

انتصبت للناس صنما يعبده الماقل والجاهل ،
رجل المواطف ورجل الأملح ، فترنحت أعطافها
من يسكرة الدلال ، وأصبحت تطالع اللأ من عل
فتستصغر كل الماشقين

إن رجلاً يسمده الحظ بامتلاك قلب الأميرة
ليتسمن فيه عرشين ويمتلك به سعادتين
صرت السنون والأميرة تحسب الدمع خلقة
في مآق الناظرين إليها ؛ ولولا قوة الكون
تسخر المال والجمال لكان قد قضى على الأميرة أن
تفادد الدنيا بوحداية جاهلها لا تشرك به أحداً من
الناس ، وما تلك القوة إلا الحافظ الطبيعي لا يتمرد
عليه إلا المتظاهرون بتذليله وهم في ادعائهم كاذبون
وكان في المدينة شاب ولد كما ولدت الأميرة
من مصدرى المال والجمال ، غير أن إله الشمر
كان قد نفخ في روح الجنين خلسة فجاء الطفل
يحمل إلى الدنيا بجذوة الالهام

(١) ترجمت الأسماء بما يقابلها في العربية

خللى ، وعرفت ما أحب وما أكره ، فأمرنى
مثال أحلى

ما أنسى قلب الشاعر ! بل ما أبعد هيام
الشعراء عن أهواء الناس ! إن في بعض النفوس
اللمتلة بلهب الأبد غراماً يستزل العاطفة من عالم
التجرد ، وما وجدت هذه النفوس في الأرض
إلا للشق ، لأنها تطلب كوثر السماء من كؤوس
التراب : تريد حياة من الموت ، وتجرداً من المركب
المنحل .

وكان الشاعر يجثم أمام أميرة مذابحاً أو تار
قيثاره فيستنطقها أجل الأنعام ، ولكن الأميرة
كانت ترفع يدها إلى جبينه وتشكو الصداق ؛
كان يأخذ الشاعر أروع القصائد ويتلوها على
مسمع أميرة فلا تلبث أن تحول الحديث إلى بحث
أنواع الطعام وما يصعب هضمه منها .

كان يبدأ حديثه معها قائلاً : ألاما ترين
يا حياة الفؤاد أن ... فنقاطه شاكية حرارة الجو
وطفق اليأس يرادو تجلد الشاعر .

وتقدمت الأميرة يوماً إلى عابدها قائلة : ياسيدى
المميز

فاتنفس الشاعر وقال في نفسه : لقد جاءت
تبادلنى حباً محب ، وقلباً بقلب
فقال : ليس جمال الحياة فى ...

فقاطمته وقالت : فى الأعياد والمرافق واستقبل
الأصدقاء . أما حان الزمن للقيام بما يوجبه مقامنا
الاجتماعى ؟ إنك ستدعو قريباً أهل المدينة لوليمة
كبيرة يعقبها الرقص إلى الصباح ، أليس هذا
ما تريد يا سيدى ؟

نحت أغصان الربيع أمام الطبيعة الموشاة بمجلها
السندسية كان سعيد يتأجج عروسه روح شاعر ،
وإذا قال لها : ألا تسمعين حفيف أجنحة السعادة
حولنا ، تهتدت تهتدا عميقا حسب الشاعر صدى
لنبرات إلهامه

وقضى العروسان شهر العسل فى قصر من
قصور الريف ؛ وما صرت أيام بعده حتى أخذت
الأميرة تشعر بالضجر فى هذه الحياة الهادئة .
فأصبحت تنصب من السير فى ظلال الأشجار ،
وتحاذر الجلوس على المروج المزهرة خشية أن تنالها
رطوبة من الأرض أو لفحة من الهواء

وكان أمير الشعر يدعو أميرة الجمال لتراققه إلى
ممشى القصر القديم حيث يعرض جمالها الرائع على
البدر المتطلع من بين الأزاهر الرافضة على أغصانها ،
ولكن الأميرة كانت تملن أنها تخاف لفتات البدر
وهو العاشق الأبدى يلفح الجباه بنظراته فيورثها
الصداق

ومجذت حيلة سعيد عن إبداع ما يعيد الابتسام
للجمال العابس ، فقرر العودة إلى المدينة

وقال الشاعر فى نفسه : لقد يكون قصر الريف
قد أثر برياضه البسيط على روح لآسقى فلا فودنها
إلى قصر أجدادى حيث الزخارف الرائعة والرياش
النفيم ، ولا فرق إذا سكن ملاك الجمال كوخاً فى
الحقول أو قصرأ فى المدينة ؛ ولنى يتمكن صخب
الجمتمع من إفلاق راحتنا وهى تجمد فى الدنيا ، وأنا
أجد فيها الحياة

ونفقدت الأميرة غرف القصر وقاطنه وعلى
شفقتها ابتسامة الرضى ، فهتف الشاعر لها ونأجى
آلهة إلهامه قائلاً : لقد فهمت أميرنى ما يدور فى

وكانت الشمس تودع الأرض وقد شحب وجهها
المحترق . خرج الخدم وتقدموا إلى العربية فوجدوا
فيها مولام مضر جاً بدمه ، وفي صدره خنجر وبين
أصابه ورقة خط عليها : « ليرحمي الله ، فسا هي
الجانية على »

وانطرحت الأميرة على جثة زوجها وقد ربت
لهذا الشهد الهائل ؛ وعند ما أوصت شفتيها بجبينه
البارد كانت تنأى نفسها قائلة :

لأزهره أن تنور في الروض مكتومة الأريج ،
فأنها إن لم تحي الصدور لا توقف نبضان القلوب ؛
أما المرأة الجامدة المفرورة التي حرمت نفحة الحب
فهي بليّة على نفسها وخطر على الناس . لمن الله
يوماً جئت فيه الحياة بالما بجدي ، وأنا محرومة
من روح الحياة . إذا ما تلاشي الحب في قلب المرأة
فانه ليستحيل إلى سُمّ زعاف يسرى في عروق كل
من يمد لها يداً . وبلى لماشئ الزهرة البشرية التي
لا عطر فيها

وصر جميل على قبر سميد ليكيه فرأى قرب
للحد زهرة نبئت بين حجرتين حراء ناضرة تنأى
مع النسيم . جثا الصديق الوفي وصلى فارتفع عير
الأخلاص من روحه ، وبقيت الزهرة كاتمة أريجها
وهي شاحخة برأسها تنأى بجبالها

وجالت بين أجفان الصديق الوفي دمة محرقة
فقال :

لعل المرأة التي لا تحب قد استحالت إلى زهرة
لا تجود بالمعير على قبر الشاعر ، ليكون هذا القبر
كنى نوى فيه مكللاً بحب الجلال محروماً من
جمال الحب ف . ف

وسقطت صاعقة السادة على رأس ابن الشر
فأنحنى منكسراً وفي عينيه دموع وفي قلبه نار
وكتب سميد إلى جميل يقول :

« ليس بين الناس من يفوق شقاؤه شقائي ،
إن أميرتي لا تفهمني

لقد لاحظت على وجهها ليلة الرقص بوادر
انبساط وسعادة ما رأيت عليه مثلاً ليلة زفافنا .
عرفت طبيعة هذه الأميرة ، فهي عاشقة صاف
وغرور ، فيها كبرياء وليس فيها عظمة ، في صدرها
أطماع وليس فيه قلب

تقدمت إليها وهي سكرى بانتصار جمالها فقات
لها همساً : أنت يا سيدتي زهرة بلا عطر . أنت
امرأة بلا قلب ، وقلب بلا غرام

فلم تفارق الانسامة شفتيها ، فكانتني لم أقل
لها ما قلت . ثم تنازلت وحدقت في قائلة : صدقت ،
أيها السيد ، أنا الزهرة التي تسلب الطبيعة روعة
جمالها ، وتنشق من النثر أريجها دون أن تجود
بمطرها على أحد ...

وصرت أمامي ورأسها يشمخ كبرياء وتوارت
بين الرافضين كأنها القمر الضاحك بين النجوم ،
ولكنني أذكر أنها زودتني بنظرة حسيّة لم أتمكن
من إدراك مغزاها

اذرف مني دمة على نفسي ، فأنا أتمس الناس
وورد جواب الصديق هكذا :

« تذكر ما قلت لك ، فقد تأيد حكيم »
ووقفت أمام قصر الشاعر عربية تجلها رهبة
الموت
نزل السائق عن مقعده وضرب باب القصر ،



يَوْمِيَّاتِي فِي الْأَرْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ
(تابع)

١٥ أكتوبر...

لم يَمُكِّثُ المأمور عندي طويلاً ، فقد ذهب سريعاً ، وانقطعت عني أخباره ؛ وطلبتته كثيراً بالتليفون في المركز فلم يدر أحد أين مقره . كل ما عرفوه عنه أنه خرج في « البوكس فور » مع الماؤون ولم يرد ، وانتظاره طول نهاري لأعرف منه ...؟؟ ولكن النهار انقضى وغربت الشمس وعيل صبري ، فحشيت بنفسي إلى المركز فلم أفر بطءاً ؛ وقال لي قائل : لعله هرج على النادي فهذا ميعاد جلوسه فيه . فما ترددت ، وتوجهت إلى النادي فاستقبلني أعضاؤه دهشين أول الأمر ، ثم هرعوا يقدمون إليّ الكرسي « السلام » الوحيد في تلك الحجرة زيادة في الاحتفال بي . فسألت عن المأمور فقالوا إنهم لم يروه وأنهم يجربون لغيابه عن النادي حتى هذه الساعة . فلما علموا أنني أنه خرج من الصباح مع الماؤون في « البوكس » ولم يرد صاحوا جميعاً ، من فم واحد :

— لا حول ولا قوة إلا بالله !

وصاح صيوت من بينهم :

— ضمنا وضاعت فلوسنا والعوض على الله !
ولم أظنن إلى مرادهم في مبدأ أمرى ، ولكن

التفاته خانت مني إلى المائدة والورق الطاروح عليها في انتظار اللاعبين . ففهمت للفور وتذكرت ما قيل لي من أن المأمور لم يعرف الخسارة قط في هذا النادي ، وأنه اعتاد في أوائل كل شهر أن يبيع كل مرتبات الموظفين ثم يظل طول الشهر يقرضهم ما يحتاجون إليه للأكل والملابس حتى لا يموتوا جوعاً إلى أن يقبضوا ، فيلاعهم من جديد ويأخذ مرتباتهم الجديدة ويقرضهم ما يعيشون به طول الشهر ، وهكذا دواليك . وقد اعتادوا هذه الحياة ورضوا بها ، وهم يمزون أنفسهم بقولهم : « سواء أكانت النقود في جيبنا أم في جيب حضرة المأمور فالنتيجة واحدة .. » تسمى واحد بقاعةهم ويخيفهم أشد الخوف ، هو خروج المأمور بأموال البلدة « للملاعبة » مركز آخر . فالمأمور يضجر أحياناً من ملاعبة هؤلاء الغلمين وقد تجردوا ، فينتخب تارة نفرًا من خيرة اللاعبين وينتقلون لمنازلة المركز المجاور كما تنتقل فرق كرة القدم .. وتارة يخف المأمور بجفروه أو مع المدارس ، إلى

مكسر صابغ شمرة . لكن المركز كله بالخفر
والمسكر تحت أمرنا ، يضرب لنا سلام . قامت
امرأة القاضي وزلت فلبست لها الوسام الأحمر
عمدة الحكومة فوق الفستان البني المصمخ
وطلمت تقول لها : « قطع لسانك وليته سفهة !
أنتم جميع مالكم إمارة إلا على خفيرين مغفلين ،
لكن من في البلد كلها يقدر يحبس ويشنق ويقول :
حكمت الحكمة غيرنا ؟ »

ولقد أحسست شيئاً من الحرج في استأجى إلى
هذا الكلام ، فإني فرغت من شرب القهوة
حتى وضعت الفنتجان على المائدة في هدوء ونهضت في
الحال مسلماً مودعاً وانصرفت

سرت في الطريق إلى منزلي أفكر . ولقد
تمملت في خطاي ، إذ لم أجد في نفسي رغبة إلى
الاجتياز بين جدوان أربعة مع أكداش من الشكاوى
التأخرة أضغ أنفي في تراب ملفاتها . وإن رأسي
بعد لمشغول بضياب المأمور ، أترأه قد وجدها ؟ .

أين ذهب بها إذن ؟ والشيخ عصفور ماذا جرى
له ؟ العجيب في الأمر أن يستطيع هذا العصفور
أن يختطف هذه الزنقة ونحن عنه غافلون ! الحقيقة
أننا لم نفطن اليه . لقد استطاع أن يختطفها من
يد المأمور في خفة وهسارة . نعم ، من يد حضرة
المأمور لا من يدي أنا . ولكن الأعجب من هذا
أن تطيعه الفتاة وتذهب معه راضية : فهو من غير
شك لم يكرها ولم يجعلها قوة واقتدارا . ما سر هذا
التأثير وهذا النفوذ العجيب وهو لا يكاد يعرفها
ولم يكن بينهما لقاء طويل ؟ أترأه قد أغراها بالهروب ؟
ولكن ما الذي يدهوها إلى الحرب ؟ أمي مجرمة ؟
أهذا الجمال الرائع يجرم ! أم نحن المجرمون إذ نظن
السوء بالجمال ! إن من المسير على نفسي أن أنصور

لأقرب بلدة يلعب « حورين » ويرجع ، وقارة يستقبلون
في ناديم « مستخباً » قادماً من بلاد أخرى . هنا
في مثل هذه المقارعات الحامية الوطيس بين بلدة
وبلدة يتعرض للخطر جيب المأمور أعني مرتبات
المركز . . .

على أني لم أثبت أن أدخلت الاطمئنان على
قلوبهم بقولي لهم إن المأمور قد ذهب في غالب
الظن لعمل يتعلق بقضية تشغل بالنا . فهدأوا
وجلسوا لحظة ساكتين أدباً واحتشاماً ، ثم أخذوا
يتحدثون ويثرثرون قليلاً أثناء شرب القهوة ، إلى
أن قال أحدهم في نبرة الترحيب :

— ربنا عوضنا خير بتشريف البك النايب ،
لأن حضرة القاضي اقتطع عن النادي من زمن . . .
بسبب سوء التفاهم . . . فنظرت إلى المتكلم وقد
بدا في عيني التسائلة ماداه إلى الاسترسال :

— أي نعم ، سوء التفاهم بينه وبين البك
المأمور

وأمن في الثروة فقال :

— المسألة أصلها خلاف بين السيدات مع
بعض . الست حرم القاضي واقعة مع الست حرم
المأمور

فأطرقت صامتا ، وظن الحاضرون أن بي
رغبة إلى الاصغاء . فانطلق أحدهم يقول :

— آخر أخبار أنهم ظلموا لبعض فوق الأسطح
وزلوا في بعض « روح » من النوع « التنظيف » ،
امرأة المأمور إنغاظة في صاحبها راحت ليست ستره
زوجها الرسمية بالنج « والضيورة » وغطت رأسها
من غير مؤاخذه « بالطرحة أم ترر » وقالت لها
بالصوت العالي : « أنتم حواليسكم إلا بقلة القيمة !
لا يمشي وراكم إلا حاجب « ربايكيا » نص عمر

أو أنه على الأقل قد اطلع على سر الفتاة وغاض
بمينه البراقعين في بحار نفسها المنيقة المظلمة . ولكن
هل يقضى هذا الشيخ البنا بشيء ؟ إنه هو نفسه سر
مغلق ، ولست أدري أهو حقاً أبه أم خلف هذا
الوجه الساذج ...؟؟؟ وكنت قد بلغت المركز .
ورأيت يباه « البوكس فورد » فعلمت أن الأمور
قد عاد ، فأسرعت وافتحمت عليه حجرتة فألقينته
ملقى على « الكتبة » وقد خلع طربوشه وأمسك
القلة الفخار يجرع منها والعرق يتصبب من جبينه
فلم يكذب برأى حتى صاح :

— السألة وحياتك فيها شغل سحر ! لا بد .
أن الشيخ الكلب سحر البنت . تصور أننا من
الصبح لغاية ساعة تاريخه ما تركنا في دائرة المركز
غيط ذرة ولا زراعة قصب ولا ساقية ولا طاحونة
ولا كسفر ولا دوار ولا ترعة ولا أرض ولا سما
ولا طريق زراعي ولا جهنم حرا إلا قلائها وفقشناها
شبر شبر . لو كانوا انقلبوا طير على الشجر أو سمك
في البحر كنا وجدناهم . لكن المصيبة أنهم ...
فأتمالك أن قاطمته :

— المصيبة أنهم على بعد خطوة من هنا
يا حضرة الأمور !!

فوضع الأمور « القلة » على الأرض ونظر إلى
فاغرا فاه :

— إيه ؟

قلقت في شيء من الحدة :

— طير إيه وسمك إيه !! الرجل والبنت قدام
باب المستشفى من ساعتها .

— المستشفى الأميري . ؟

— قر يا شيخ قل لواحد عسكري يروح
بناديهم من هناك ، بلاش أمور ...
ولم أتم بقية عبارتي ، فقد نهض الأمور فرحاً

الجمال غير مقترب بالفضيلة . الجمال الحق والفضيلة
الحق شيء واحد . ولكن المصائب قرب الدولة عندما
سئل عن الضارب فاه بكلمة واحدة ما زال جرسها
الباهت يرن في أذني : « ريم » ! ولكن ما بال
الفتاة صرخت وذهلت إذ علمت بالجناية أول مرة ؟
أهو تصنع وتمثيل ؟ لقد خلعت آهتها قلبى خلعاً في
تلك الليلة . وما أشك في أن الأمور وهو على الأقل
ذو خبرة بالقرويات قد تأثر مثلما تأثرت . فان كان
مكر مثل هذه البنية الرقيقة يجوز على أمثالنا
فأحرى بنا أن نوضع في مرابط البقر لا أن نوضع
أمامنا نفوس الناس نستطلع مجاهلها ونستكشف
أسرارها . وأهتني هذه الطواطر وجلتني قدامى
من دون قصد إلى المستشفى ومررت بيباه الكبير
ووقمت عيني اللاهية على ذلك للنظر المتداد
من الأهالي والنساء والصبيان الجالسين القرفصاء
فلم أحفل بهم . ولكني لم أكّد أفاد هذا الجمع
حتى وقفت دهشاً . فلقد لمحت تحت الجدار على
بعد قصبة من الناس الشيخ عصفور جالساً
إلى الأرض وهو مطرق ينكت التراب بطرف
عوده وبجواره الفتاة وقد أسندت رأسها إلى
الحائط تنبأ وإعياء أو كآبة وحزنًا . فعمت كل
شيء . إنها جاءت المستشفى تسأل عن حال المريض .
وإنها اتخذت من الشيخ الأخضر دليلاً وصاحباً
ومعيناً ، وكان ينبغي لذلكنا أن يتجه في بحثه إلى
هذه الجهة القريبة . ولكن ما العمل الآن ؟ إلى
مغفردى ؟ ولا سلطة لي بشير رجال الحفظ ألقى اليهم
بالأمر . لا بد إذن من الذهاب من فوري إلى دار
المركز لأبث أحد المساكين يأتي بهما . وأسرعت
في السير قبل أن يملأ برؤيتي لها فيهرباً خوفاً مني .
وابتعدت عن المكان وأنا أقول في نفسي : « لاشك
أن الشيخ عصفور يعلم الآن كل أسرار القضية .

قبل أن يسمع منى . وصاح بصوت جليل في صحن المركز :

— يا شاويش عيد النبي !

فجاء من ناحية الاسطبلات رجل عملاق في قميص وسراويل بيضاء ورفع يده بالسلام وقال :

— أفندم سعادة البك !

— قم حالا مع نفرين للمستشفى الأميرى ومعه

قيد حديد ...

فتردد الرجل وقال مقاطعا :

— « أودة التبن » مفتوحة يا سعادة البك

والأنفار جارين البليق والفرش للخيول ...

فصاح فيه المأمور :

— يا حصان نفذ الأوامر ! إن شا الله عن

الخيول ما باتوا في ليثهم . قلت لك قم في الحال

— حاضر يا أفندم !

وتركت المأمور يفهم مرؤوسه ما يتبع .

وانضرفت إلى مكنتي بعد أن أوصيت المأمور أن

يلحق بي مع القبوض عليهما . فأنا لا أحب مطلقا

التحقيق في دار المركز وهى ليست دارى . فرب

المركز هو المأمور . ولا أرضى لنفسى أن أكون

في كنفه أثناء عملى . خصوصا في هذه القضية

وأمام هذه البنية . وذهبت على عجل وأرسلت من

يستدعى كاتب التحقيق . ولم يمض قليل حتى كنت

في حجرى جالسا إلى مكنتي أطيل النظر إلى الباب

بأنف الصبر منتظرا قدوم الفتاة كأنه موعد لقاء

وسمعت نقرأ على باب الحجر . ودخل المأمور

يسألنى للفر عن الطلوعين فأجبت أنى لم أر أحدا

بعد . فجلس وهو يقول إنه أرسل من باتى بهما .

وجعل ينظر هو أيضا إلى الباب ويقتل شاربيه .

وجاء كاتبى بأوراقه ونشرها أمامى . واستمد كل

منا . وإذا بجلبة ترتفع في الردهة وصوت أقدام ثقيلة وصلصلة حديد ، وطرق الباب علينا ، ثم فتح وألقى بيننا الشيخ عصفور وحده مكبل اليدين وخلفه الباشجاويش يحمل له عوده الطويل . فوقع في نفسى قلق . وشعرت بوقع مثله في نفس المأمور . فقد ابتدر الباشجاويش صاحبا :

— والبنت ؟ !

— وجدنا الرجل وحده فقبضنا عليه يا فندم

— وحده . ١١٩

قالا المأمور كما قلتما أنا في نفس الوقت ، وقد اختلط في نفسيما الأسف بالمعجب والغضب . وخرج المأمور عن طوره فهض وصرخ في وجه الشيخ عصفور قائلا :

— البنت ؟ !

فلم يبد الرجل حراكا . وأجاب في هدوء رصين :

— بنت مين ؟

فنظر اليه المأمور نظرة شذراء وقال :

— إنت يا رجل شارب حشيش . ؟ ! شغل

الحشيش أنا أفهمه طيب ! !

وأراد أن يلصكه بقبضته القوية فتمتعه من ذلك ،

وأمرت الشيخ أن يدنو منى فدنا فسأله في رفق :

— ريم كانت معك ؟

فأجابني الرجل من غير تردد :

— أبدا

فأدركت أن عين الرجل البرافة قد لحتني عند

مرورى بباب المستشفى ، وفهم بذلك ما سيكون

فأخفى الفتاة في الحال ، أو أن الأمر غير ذلك وأن

عينى هى التى خانتني فلم تكن ريم إلى جانبه ، وأن

خيالى السايح في جو هذه الفتاة قد ألقى صورته

« والثانية بلطيه ... »

« قفاطه المأمور ضاحكاً :

— مفهوم، مفهوم ! واللى غرقت فى الزياح

من سنتين كانت البياض واللا البلطية ؟؟

فلم يجبه الشيخ ولم يلتفت اليه وفضى بفضى :

« واحده بياض شفتنى

والثانية بلطيه

والثالثة من بعدها

سحرت مرا كبيهه »

وتهد فى المباراة الأخيرة واتخذ صوته فيها نبرة

محبة ذات معنى ارتجفت له قليلاً ، ونظرت من

طرف خفى إلى المأمور فرأته قد اختابعت عيناه ،

ولكنه تجلده وتحامل وقال للرجل :

— ومن هم المراكبيه ؟؟

فأطرق الرجل وسمت صمته عميقاً . ولست

أدرى أهو أيضاً خيال ملى أو حقيقة ما اعترافى

من شهور بأن هذا الشيخ قد فهم ... وأنه قد

أدرك ما بنا منذ اللحظة الأولى ... »

نوبير الحكيم

(بيع)

قصص اجتماعية

من ترجمه بقلم الأستاذ محمد عبد القادر عاتق

مجموعة من القصص الرقيقة الشائقة الثمانية من أعمال

الأدب الفرنسى : م . بورجيه . كرويه . أناتول فرانس .

موبسان . تيريه . مارسيل بريغو . دى باقتيل . جان

لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق .

فى ثلاثة مائة صفحة طبع دار الكتب

تحت ١٠ قروش وبيع مؤقلاً بـ ٦ قروش بخضم ٤٠ ٪

عند البريد وهو قرشان لداخل القطر وأربعة خارجه

ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكاتب

وأوابها على امرأة أخرى من الفلاحات المنتظرات

بالباب . كحل هذا جازر ، ولكن أين ذهبت ريم ؟

ولماذا أنهم بصرى ولا أنهم هذا الشيخ الخائن ؟ ومن

هو أولاً هذا الرجل ؟ وبحث فيه من فوري قائلاً :

— تعال يا رجل أنت !

— محسوبك .

— من أنت ؟

فنظر إلى الرجل نظرة من لم يفهم السؤال .

فألقيت عليه المباراة من جديد فى شدة وقوة ،

فقال :

— أنا ... أنا عصفور ، ألقط الحب فوق

التراب ، وأعبد الرب تحت التراب !

— تكلم جد يا رجل . اسلك ؟

— عصفور .

وأشار إلى يديه وفيها القيود وصاح :

— أظفوني ! من حب النبي يظفني ...

فأصرت السكر بفك القيد من يديه ، وسأته

فى صرامة :

— صنفك ؟

فتردد الشيخ قليلاً وسكت لحظة ، ثم لفظ

آمه من أعماق قلبه ورجع برأسه إلى الوراء ،

وجدت عيناه كأنهما تنظران إلى شيء لا وجود له

فى عالم الحس والحقيقة ورفع عقيره بالفناء :

« أنا كنت صياد

وصيد السمك غيبه

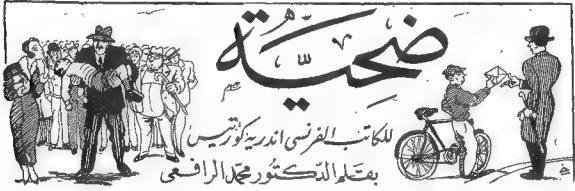
نزلت ببحر السمك

أصطاد لى بنتيه

وعجبني شكل السمك

فى البحر حواليه

واحده بياض شفتنى



وأطل النلامن النافذة مرة أخرى فأبصر حملا صغيراً قد أذهله منظر السيارة فثبت في موقفه حائراً دهشاً... وأعجب الطفل بمنظره فصاح :
— ألا ترين هذا الحمل الوديع يا أمي ؟ ألا يمكننا أخذه معنا ؟

فضمته أمه الى صدرها وجعلت تقبله وتحنو عليه ؛ وانفجر الأستاذ لاماس من التيقظ فأعمل محرك السيارة وانذفع بها فجأة ، فلم تكدر تثبت حتى ونب له أحد الرعاة وأكرهه على الوقوف ؛ ثم صرخ فيه ضريحاً مهدداً وأراه على ضوء مصباحه جثة الحمل ، وقد فرسته السيارة ودقت أضلاعها ، وكان الدم ينهمر من فمه الصغير ...

— وادع جان ماري وفزع لهذا المنظر المريع وجعل يصيح وقد لاذ بأمه ، وأخفى رأسه في صدرها :

— يا للشيء ... يا للشيء ! لقد قتل الحمل ... لقد قتل الحمل !

فأخذت أمه تسكن روعه على حين ارتفع صوت لاماس وقد اشدد الجدال بينه وبين الزاعي في ثمن الفريسة السكنية .. وبعد حجاج ولجاج أخرج الرجل ورقة مالية ورى بها في غضب الى صاحب القطيع ، ثم رى الطفل وأمه بنظرة التسنخ ، وانطلق بالسيارة لا يلوى ...

غابت الشمس وأظلم الليل ولف الطريق في سواده ؛ فأنكشف على طرف الأفق نور يزهر في العتمة وهو يتحرك فيملو وينخفض كالذير ليلفت إليه أنظار السابلة . فما إن اقترب منه الأستاذ لاماس حتى أوقف سيارته ثم مد عينيه في ضوء مصباحها الوهاج فإذا سواد عريض من قطعان اللحم تتأبست في سيرها مقبلة كاللوح بدفع بعضه بعضاً ، وسطع له الضوء على مثل البحر من الصوف ، وملأت مسامحه الضجة من ثنائها ورنين جلاجلها النحاسية وفقمة أظلالها على أرض الطريق ... ثم أخذ الرعاة يزجرونها وينفقون بها يستحثونها للسير حتى حاذت السيارة فتبعثرت حولها وجعلت تحتك بها فلأت الجو من ربح أصوافها الكريهة ونشرت عليه سحابة من غبارها الخائض ...

وعندئذ انحدر جان ماري من حجر أمه ودنا من نافذة السيارة ففتحها ، وأخذ يلمو ويهلل ويهتف :

— الخراف ... الخراف ... إنها ولاشك مقبلة من جبال الألب ، جبال الثلوج والقياب ... أترينها بالنة حظيرتها الليلة يا أماه ؟

فصاح به لاماس وله زئير :
— هلا عقلت أيها الأحق الصغير ... فإلك ولهاذا ؟

معهما خريطة الطريق فأمرت ابنتها أن يردھا الى السيارة ؛ فلما تزل الطفل ، وقع في أذنيه صوت صديقه مالمسيه ، وهو طفل أبله ، وكان يحدث لاساس فيسأله هذا الأخير :

— ماذا قالت لك ؟ تكلم وأوضح

فأجاب مالمسيه وهو يقطع ألفاظه :

— لقد أمرتني « ميون » أن أنتظر هناك

لأنك أنه لم يأت اليوم أحد

— إذن قل لها إنى سأراها غداً في الساعة

الخامسة

فانتظر جان ماري حتى خرج الغلام ثم دخل

فصاح به لاساس :

— ويحك ! ما الذى جاء بك ؟

فكان جوابه أن رى بالخريطة في السيارة ،

وانسل راجعاً ولم يتكلم

جلس الأستاذ لاساس يأكل طعامه ، وكان

موزع الفكر ، وحمل يراىق زوجته بنظرات

كنظرات الأعداء ، وهى غافلة عنه إذ كانت

كملتها منذ شهرين ، تنهم في عالم الخيال تبيناً

بسمادها ؛ وكان جان ماري يراقبه فيلاحظ منه تلك

النظرات التى تهدد سمادة أمه ، فيرتاع لها ويود

لو صرخ في وجهه : « أيها القاتل ... أيها القاتل »

وكان من عادة لاساس وهو مدرس علم التاريخ

في اليسييه بمدينة أورانج ، أن يذهب الى تلك

المدينة لألقاء دروسه بعد الظهر من أيام الإثنين

والاربعاء والجمعة . أما يوم الثلاثاء فيقضيه هناك

في إعطاء الدروس الخاصة . فما الذى عاقه عن السفر

اليوم مع أنه يوم الثلاثاء ؟ لقد كاشف زوجته بليته

أن يخرج وإياها الى متنزه فلم تستجب له وذهبت

وكان الراعى قد أنام ذلك الحبل القتيل على يديه كالطفل الصغير فاثنى عنقه وتبدى رأسه في مسكنة وذبول ... وانطبع هذا المنظر الخفيف الهائل في خيال الأم وزاده هولاً نظرها الى طفلها ، فجذلت تنضمه إليها وتهدهده وهو ينشج في بكائه ؛ وضاق الأستاذ لاساس فصرخ :

— أما أن لك أن تسكت أيها اللعين !

فكانت الصرخة كالضرب ...

وسكت الطفل وأخذ يفكر ... إنه لا يجب

هذا الرجل الماتى وهو غريب عنه ، ولم يكن ليقول

له « يا أبى » لولا مراعاة أبيه إليه ... كلا إنه لا يجب

ولقد أصبح عقته أشد ألقت ويعدده قاتلاً ككل

قاتل ... ألم تكن في قلبه رحمة ؟ ألم يكن يستطيع

الانتظار حتى تجوز الغم ؟ ولم هذا الغضب ، ولم

هذه القسوة ، ولم هذا النظر الشرر ؟ ألا صبراً

صبراً ... فهو لم يبلغ السابعة بسد ... ولكنه

سوف يشب شبابه ، وسوف ينتقم ما ينتقم لذلك

الحبل ثم ... وأخذت الأفكار تموج في رأسه

وتضطرب وخيل إليه أنه هو تلك القرصة ، وأن

السيارة مندفعة إليه تحطم أضلاعه وتدفقه بمضه

في بعض ، فصاح من رعبه :

— يا للوحش ... يا للوحش !

وانحنى عليه أمه متفرقة وسألته عما به ،

فأجابها لعله كان يحلم ...

وانطلقت السيارة تحت الليل البارد حتى إذا

بلغت نهر الرون عبرته وانحدرت الى نهاية الرصفة ،

وهناك منزل لاساس ، فقال هذا الأخير لامرأته :

— اصعدى أنت فأعدي المشاء وسأدخل

السيارة في حظيرتها

وصعدت المرأة في السلم ثم ذكرت أنها تركت

ستقضى الليل بجانب ذلك الرجل ذى العينين
المبدوتين ؟

وثب من سريره وفتح الباب ، ثم صعد السلم
يسرق خطاه حذرا أن يسمع خفق قديمه ، ومضى
يقترب من حجرتهما ، وكان الضوء يتخيل من
أسفل الباب

وأنتصت فلم يسمع حسا ، فراه هذا السكون ...
إنه خائف ، ولقد ارتجف ... يا إلهي ! أما من كلمة
في فمه أو في فمها ؟ كلمة واحدة يسمعه فيسكن إليها
وشق سمعه صوت أمه وهي تقول في حدة :

— ألم بأنك أن تخبرني ماذا بك يا نيكوتوريان ؟
فأجابها لاماس إنه ليس بشيء ، ثم أطفأ النور
وعند ذلك اطمأن جان ماري على أنه قاربه إلى
غرفته ؛ بيد أن الأرق استولى عليه فلم يجد النوم
إليه سبيلا ، فأخذ يفكر في صديقه مالميسيه وفيما
أرسلته به الرضع المجوز ... ولماذا انتظر في
(الجراج) ولم يلق الرجل في المنزل ؟

ثم أشقت ملائكة النوم على هذا العقل الصغير
من الحى التي انتابته ، فتنفست على وجهه ، فأخذ
السكرى بأجفانه ونام ... وارتفع في الخارج هدير
مياه النهر وهي تتلاطم على صفته الصخرية ، ودفرفت
في القضاء روح الحمل للقتول ...

وفي النداء ذهب جان إلى المدرسة فجلس غائب
الفكر سهوما ، تلقى أمامه الدروس فلا يصحى إليها
ولا يفقه منها شيئا ... ولما انتهت الدراسة أوفض
إلى الميدان الذى تنود أن يقابل فيه صديقه مالميسيه
فالتصق حتى وجده ثم أطفئه بشيء خصه به ، وحمل
يتسقطه ليكشفه عن سره حتى أفضى به إليه ثم
تواطعا معاً على الكتمان

وأسرع جان بعد ذلك إلى المنزل فكان فيه

على خلاف عاداتها إلى المدرسة ، فصحبت ابنها عند
خروجه وجمعت ذلك حذرا تمتدبر به ، ففضب
الرجل وقال : إن هذا عذر ستخيف ... لكن لماذا
قال ذلك ؟ أه ... إن جان ماري قد بدأ يفهم ...
فبالقرب من المدرسة يقع منزل والدته الأول ...
منزلها الذى ولدت فيه وورثته عن أهلها وعاشت
فيه مع أبيه قبل أن يقتل في حادثه الطيارة ... إنه
يذكر هذا المنزل ... لقد كانوا ينزلون منه في طبقته
العليا ، وأبت أمه أنت تؤجره بعد وفاة أبيه ،
وراغمت في ذلك زوجها الجديد لاماس ؛ فجاء
هذا بالمجوز الدمية « ميون » وهي عطرته ،
فأسكنها في الطابق الأرضية كتابة بأمراته ...

نعم إن جان ماري بدأ يفهم ... فليس من ريب
أن أمه انما تصمت اليوم أن تمر بذلك المنزل لحاجة
قلها إلى الذكرى ... ولكن لماذا يفضب لاماس ؟
أليس هذا من حقه ؟ ولماذا يراقمها بتلك النظرات
الصدوء ! إنه يكادها منذ شهرين ... فلا جرم
أسبحت تندم على زواجها منه وإن كانت في حاجة
إلى هذا الزواج لرفق حالها ... ولكن جان ماري
لن يكشفها عما يعلم أشفافا عليها ... أنه رجل ، وإن
من واجبه أن يحميها من ذلك الشق السفاح ...
الذى قتل الحمل ...

وجمع تحت المائدة قبضتيه الصغيرتين يهدد بهما
الرجل ويتوعدده ...

أردت الأم ابنها في سريره ، وطبعت قبلتها
على جبينه فأمسك بها وقال :

— إنى أخاف عليك يا أمه ... أفلا تبقيين
معى يا طفلى الصغيرة ؟

تخففت من جأشه وخرجت من الغرفة بعد
أن أوصته بالنوم . ولكن أنسى له أن يهجع وأمه

وبهذا كان دائم التردد على منزلها . وكان الجميع يتهاونون به ويسخرون منه إلا صديقه جان ماري فبينهما الطقولة والصداقة

والتقى هذان الطفلان كائندما في الصباح ثم سارا الى دار ماليسيه وتربصا حتى دقت الساعة الخامسة فأسرعا الى موعد الأستاذ لاماس في منزل ظئره المعجوز ، وانسلا اليه من باب خافي عهدفتاحه الى ماليسيه لأطعام الدواجن ، ورأيا وسما . . .

جلسوا للعشاء ، وكان جان ماري صريحا يود لو أسرعوا في الطعام مخافة أن يدرك لاماس شيئا من أمره ، أو يستريب به ، أو يسأله سؤالاً ينكشف فيه ... غير أن الأستاذ كان لاهيا بشأنه وبالأفكار التي تذهب وتجيء في رأسه . أما والدته فكانت كعادتها شاردة الفكر تلتقي في الخيال برجل قد عرف جان اسمه منذ ساعتين فقط ...

وفرغوا من الطعام وأوى جان الى فراشه ولم يحاول في هذه المرة استبقاء أمه الى جانبه ، فإلططر لا يزال بعيدا ولا يزال في الوقت سمة ؟ ثم هو في حاجة الى أن يتدبر ما رآه وما سمعه في منزل الظائر المعجوز ...

كان يمكن في الترفة المجاورة ، وجمل بوصوص من ثقب في الباب ، فرأى لاماس يدخل فيجلس بجانب المعجوز ، وحدثته فيما حدثته به أنها تسمع في كل ثلاثاء ديب خطوات في الطقة العليا ، وأنه قد تبين لها أنها خطوات رجل وامرأة ... أما أمس فلم تسمع شيئا وقد أبلغته ذلك في لسان ما ليسيه فأوما لاماس برأسه وجمل بمحدق في نيران اللودك كما كان يحملق في اللوضع الذي سقطت فيه الثبنة ، وكما كان يرامق زوجته بالأمس ...

لوفته المعلوم ، ثم جاءت أمه في عقبه وكانت قد خرجت تتابع شيئا من الفاكهة ، فوضعت ما تحمل وأخذت تداعب ابنها وهو ينظر إليها في إعجاب .. لقد كانت جميلة في تلك الساعة فخرجت وجنتاها وشع السرور من عينيها ، وتهدلت خصل من شعرها الأسنود الفاحم على جبينها الشرق الوضي . وأرادت أن تسوى شعرها فتناولت مثبتتها (١) وفتحتها لتخرج منها المشط ولكنها ندت من يدها وانقلب ما فيها ، فلاحظ جان بين أشيائها مفتاحا وخطابا غفلا من العنوان ، قد علق به النبار كأعما التقط من الأرض ... فاهوى ليأخذه ولكن أمه أسرع فاختطفته وغيبته في حقيبتها وقد زاد احمرار وجهها

وفي تلك اللحظة انشق باب الترفة وخرج منه لاماس مثمتا مبتدلا تمجحه المين ، فقال لزوجته في لهجة المرباب :

— هل خرجت اليوم يا أنى ؟
وأجابته :

— كانت الخادمة مشغولة بإعداد الطعام فخرجت اشتري الفاكهة إني ذاهبة لأغير ملابسي فراجمة بعد هبة .
وأخذت ترتق السلم وقد حملت لاماس في اللوضع الذي سقطت فيه الثبنة ...

كان ماليسيه في الماشرة من عمره ، وهو يتم قد كفلته خالته ، فكان الجيران يتهنون به في أعمالهم بشيء من الطعام أو قليل من المال

ولما كانت الرضع « ميمون » مقعدة لا تقوى على الحراك فقد استأجرته هي أيضا في حاجاتها .

(١) للثبنة خفية يد المرأة

جملت الأيام تمر ووجهه يزداد في كل يوم شحوباً ، وتفضن جبينه من القلوب والفكر ، ولم تلحظ أمه هذا التغير القوي طراً عليه فقد شغلها عنه سادتها وأحلامها ، وكانت تخرج كل صباح ... إنها هي لاتعلم ولا تتحدر ، ولكن جان ماري موجود بتأهب ليوم الثلاثاء ...

وجاء اليوم الموعد فكان ما ليس به صديق جان مثكلاً الى دراجته على مقربة من مناجم الفحم ، ولبت يترقب خروج دويناس حتى رآه مقبلاً فأصرع اليه وقال له في كلامه المتقطع :

— أصرتنى عقيلة الأستاذ لاماس أن أحمل اليك رسالتها فهي تريد ألا تلتاقا اليوم وأن تبقى هنا عجب دويناس وحار في هذه الرسالة وفي الفرض منها . ألم تجد غير هذا الأبله فتأتمنه على السر ؟ وما بالها لم تكتب اليه بذلك ، وقد فعلت هذا من قبل ، يوم الثلاثاء الماضي ؟

ومنمنته بلأمة الفلام أن يستقصي منه ، فألقى اليه بقطعة من النقد واكتفى بسؤاله : أي مرضة ؟ ففز الفلام رأسه بلاملة النفي ، أوأما بها وهو يتعلى الدراجة ثم اندفع يدرج في الطريق وقد اطأنت نفسه إذ وفق فيها عهد اليه

والتي عند الظهر بجان ماري فأخبره عما صنع ؛ وتهلل جان وسره فنفذ بتديره المحكم ... ثم وعد الفلام أن يجزيه عشرة فرنكات إن هو كتم السر وتقسمت سحابة وجهه فتلونت وجنتاه ولملت عيناه ، ورنرت في صوته نقات القلب اللطامن الواصل ... إنه سيذهب الآن فيتحدث الى أمه ويكاشفها

ها هي ذي خارجة من غرفتها وقد تهيأت

إنها والله نظرات يفلت بها الدم في عروق جان ماري المسكين فيفزع في فراشه كلما ثقلها ...

وتُرى من هو كسافييه دويناس الذي جاء اسمه في حديثهما ؟ كسافييه ... كسافييه ؟ آه ! لقد تذكره الآن ... فهو شاب مهندس جبل المنظر حسن الشكل ، يعمل في مناجم الفحم بالمدينة ؛ وقد عرفته أمه في السنة الماضية على شاطئ البحر ، وكانت تستر إذا خرجت معه وتحاذر أن يراها زوجها فلم يرها . أما « ميون » فمجاز مقعدة لا تبرح مكانها ، فكيف سقط لها هذا الخير ، ومن أين لها أن كسافييه هو الرجل الذي يجتمع بأمه في الطيقة العليا كل ثلاثاء ! لهم يظنون ظناً فقط ... ولكن لاماس كان يقول للمجاز ويكرر هذا القول :

— إلى واثق من أنه هو بعينه . انه هو بعينه الرجل

وكذلك سر في الحديث نبأ خروج أمه في الأيام الأخيرة كل صباح وتلقها الرسائل تُدسُّ لها تحت الباب ... ثم قال لاماس

— سوف ألتخذ مفتاحاً آخر لهذا الباب ، وسوف أنصبُّ عليهما انصبايا في الثلاثاء القادم وسترين كيف يكون الانتقام ...

الانتقام ... يا إلهي ! إن حياة أمه كالملقة في خيط دقيق ... ماهذه الحلي ؟ إنه يهدى ... هاهوذا لاماس ينصب عليه انصبايا ليأخذه فيقتله ...

ثم أخذ يصيح في فراشه فقزعت أمه وأسرعت إليه ، ولكنه استمسك ولم يفيض إليها بشيء إذ لا يجب في رأيه أن تعرف هذه المزمزة ما يتهددها بخشية أن يفضحها اضطرابها ... وهو وحده سوف يحممها ويمنعها

واستلّ جان ماري المفتاح من موضعه فذهب
في حبيبه وانطلق معلناً أنه ذاهب إلى المدرسة ؟
غير أنه ما كاد يبتعد عن الدار حتى تحول الرميكان
الموعد في منزل أمه فصعد إلى الطابق العليا وأغلق
عليه الباب ...

لقد كان هذا النزول موحشاً كالقبر ، فهو مفارق
التوافد علاؤه الظلام وقد ركذ فيه الهواء وتلخّن
إذما زجته رائحة النبار المتراكم وقد تندّى بالرطوبة !
ارتسب الطفل وانحلق قلبه وأخذ يرتجف ...
ولكن أينف وقد أشرف على نهاية تديره الحكم ؟
كلا ... إن ما يخشاه على نفسه لا يعد شيئاً في جنب
ما يخشاه على أمه .

ودخل إلى البهو فجلس في ركن منسه وأخذ
يتلّى بالتفكير في المجوز ميون تحت السقف
الذي هو عليه ... كيف هي الآن ؟ إنها تعد عنقها
الجزيل وترفع وجهها الميم إلى السقف ، وترهف
أذنيها لاستراق السمع ... ولكنه سوف يحمل
من هذه الداهية ومن رضيعها لأماس أنحوكة
أو أنحوكتين ...

وكان ينظر في ساعته بين الوقت والوقت على
ضوء شمع ضئيل ينفذ من صدع في نافذة ، فلما
حانت الساعة الثالثة ، وهي ساعة الموعد بين أمه
وصاحبها ، نهض واقفاً وأنشأ يسير في الغرفة
ذهاباً وجيئة وهو يشد وطأه كالرجل ، ثم جعل
يمحرك الأثاث ويرجه رجاً ليبلغ الصوت إلى مسمي
المجوز ... الا شك أنها مستطارة من الفرح ،
مطمئنة إلى ما قوله للأستاذ لأماس إذ تقول له
« إنها هنا » ؟ ولا شك أنه سيئب في السلم كالجنون
ويفتح الباب بالمفتاح الذي اصطلمه ، ثم يقتحم البهو
كالوحش الضاري ، وعند ذلك ... ؟ عند ذلك

للموعد وأبدعت زينتها ... ما أجملها ... وإياها من
مُسكينة ! فهو سيحرمها مقابلة صديقها اليوم ...
ولكن أليس هذا الحرمان عطاء ؟ يوم واحد ثم
تقابلها بعد ذلك كل يوم ... إنه سيكاشفها غداً
ويفضي إليها بكل ما عانى في سبيلها ، وستمدد بطلها
العظيم وتمجّب به وتقبله كثيراً ... يا لها من سمادة !
إنه سميد ، إنه سميد ...

جلسا يا كلان فقال جان لأمه وقد حوّل
نظره عنها :

— لقيت اليوم صديق مالميسيه في رجوعي
من المدرسة وكنت قد أعمرته دراجتي فأخبرني أنه
صادف أثناء زهرته هذا السيد الذي تعرفته ...
أندكرين ؟ هذا الذي قابلناه على شاطئ البحر ... ؟
فاخنتني صوت الأم وغنمتم :
— وماذا قال له ؟

قال له : « إنى على جناح السفر إلى بلدة سالون
فيلبّ ذلك لعقيلة لأماس »
ولم تشأ الأم أن تفيض أو تسكّر من الأسئلة ،
فان كل سؤال يحرك ظناً وكل ظن يبعث رغبة ،
فسكّنت ورفمت يدها من الطعام ، وانقلبت
سجنتها فأصبحت كالنجم الناطع تشبّاه السحاب
ثم قطع جان ماري هذا السكوت فقال لأمه :
— هل لك في زيارة عمي الآنسة ريزون
اليوم ؟ لقد تصرّمت الأيام ولم تذهبي إليها ...

وسرت الأم لهذه الفكرة التي خطرت كالوحى ،
فهي لم تذهب منذ زمن طويل لزيارة تلك العائنة ...
وسهبون ذلك عليها ملل الانتظار إلى القدر ؟ وفي
الند تقابل صديقها في المناجم



الصمت

للكاتب الروسي ليونيد أندرييف

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صديقي

— ما نسكا كليكا —

قالت ذلك بصوت
وئيد مع التشديد أبلغ
التشديد على « كليكا » .

وقد تقلص وجهها المتنفخ
التحنن بأمارات من الألم
والصمت ، وكأنها أرادت
أن تقصص يسهاها
وأمارات يحياها عن مبلغ
ماتعاني من قسوة القوم :
زوجها وابنتها .

وأرسل الأب إجناتي
ضحكة ونهض . ثم أطبق
كتابه وخلع عدساته
ودسها في علبتها وأطال
التفكير مكتئبا وقد

القصة الروسية من أحق القصص بالناية ، وذلك
للعاطية التي انفردت به ، وللإنسانية العالية التي تشتمل
عليها ، ولأنها طبيعية صادقة ، ولتأثيرها العميق
واستثارتها لمواطنيه ، وأخيراً لما فيها من الدلالة على
نفسية الشعب الروسي

وصاحبنا ليونيد أندرييف من أقرب القصاصين
الروس الكبار عهداً إلينا . وهو ينظر إلى الأشياء
على نحو خاص به ، وبصورها بلسان قوية من ريشته
المتقلبة تظهر النور والظل بأكثر أحجامهما وأبلغ
تباينهما

وفي كل قصة من قصصه فكرة مجردة يحرك حولها
الأشخاص والحوادث ، وهو مع حوله يحفظ التوازن
ويשמرك بأنه ليس في الدنيا ضرب بحث ولا خير محض
وأندرييف كعظم معاصريه من القصاصين
والكتاب نقاداً من طبقة الشعب وعرف الضحك والجوع
وابتلى بالكتابة والأسى . وقد تخرج في القانون
واشتغل أولاً أمره بالرسم ثم بالصناعة ، ولكنه
لم يكد ينفر على الخاس قصة « الصمت » حتى كانت
له منها نبأحة الذكر والمهرة القاتلة . وهي مثال رائع
على طريقتي في كتابة القصة

— ١ —

في ليلة من ليالي أيار
مقمرة إضحية ، والبلابل
في القمراء تلمع شادية
مشجية ، أقبلت أولجا
ستبانوفنا على زوجها
الأب إجناتي وهو جالس
إلى مكتبه . وكانت
أسارير وجهها ناطقة
بألم الحزن وأوجعه ،
والسراج في يدها مهتز
مرتجف . فلما دانت لست
براحها منكبه وقالت
مختنقة الصوت جهمشة :
— أبتاه ، لنصعد

إلى ابنتنا فيروتسكا !

استرسلت على صدره أجل استرسال لحسية جثة
وخطها المشيب ، وكانت تملو وتهبط في هواده
مع أنفاسه المتلجة العميقة
وبعد هنيهة قال : « حسن . نذهب »
فهيأت أولجا واقفة . وقالت تناسده بصوت

فتجهم الأب إجناتي وقطب حاجبيه من فوق
عدساته دون أن يلتفت إليها . وظل شاخصاً يضره
في الفضاء طويلاً حتى أسقط في يدها ، فقلبت
كفها الأخرى تقلب الموموم الجرز ، وتهالكت
على أريكة خفيفة هناك وقالت :

ولكن فيروتشكا ما برحت صامته . وحياها الأب إجناتي وإلى مسح لحيته في تحفظ ظاهري كأنما يخشى أن تنالها بالنتف أصابعه المضطربة من حيث لا يشعر . ومضى في حديثه يقول :

— خالفت مشيتي وذهبت الى بتروغراد —
فهل لمنتك على مخالفتك ؟ أكنت يوماً عليك بالسال ضيقاً ؟ أتقولين اني لم أك برأ بك حديثاً عليك ؟ إذن ، لم لا تتكلمين ؟ انظري ، أي خير أصبت من بتروغراد !

واقطع الأب إجناتي عن الكلام فجأة ، وتمثل كالصبيات لماطره بناءً من الجرائيت هائل رهيب ، حافل بأخطار راسدة كامنة ، مكتظ بخناق غريبة أطوارهم ، جاسية مشاعريهم . وهنا كانت فيروتشكا وحيدة ضميعة ، وهنا كانت تلفها وضياها ، فجاشت في نفس الأب إجناتي نقمة على تلك المدينة المائلة الغامضة ، تشوبها النقمة على ابنته ، وهي ما فتئت صامته ، صامته في تشبث وعناد أما فيروتشكا فأجابته بحفاء وهي مطبقة جفنيها :
— لا دخل ألبنة لبتروغراد فيما أنا فيه . على أنه لا شيء بي ، والأولى أنت تذهباً للنوم ، فالساعة متأخرة .

فأنتت الأم : فيروتشكا ! إطمئي إلى بسر برتك يا بنتي !

فقاطعتها فيروتشكا نافذة الصبر : كفي يا أمي ! وجلس الأب إجناتي على مقعد وجعل يصحك ، ثم قال متهاك : « حسن والله ! ليس في الأمر شيء بعد هذا كله ؟ »

فأجابت فيروتشكا بلهجة حادة : وقد أقامت سمدتها واستوفزت في فراشها :

— أبت ! أنت تعلم حي لك ولأخي ، ولكي إنما أشمر بمحمود شديد ، وسيزول هذا كله ..

متوجس مترلف : « وإنما رجائي اليك يا أبتاه ألا تمنعها . أنت تعرف طباعها »

وكانت غرفة فيروتشكا على سطح المنزل ، والدراج المؤدى إليها خشبي ضيق ؛ فكان ينبخ ويهر تحت أقدام الأب إجناتي وخطاه الثقيلة ، وقد اضطرب الرجل لطول قامته وعظم جرمه أن ينعني حتى لا تصطدم هامته بسقف السلم ، وكانت زوجته تنقدهم في ثوبها الأبيض فلمس رذنها وجهه فانقبضت أساريره وعبس متمللاً متبرماً . وولج النرفة وهو على تمام اليقين بأنهما في حديثهما مع فيرا ابنتهما لن يخرجاً بطلائ

وقالت فيرا : « يا الله ! هذان أنتما ؟ » ورفعت إلى عينيها ذراعاً عارية وبقيت ذراعها الأخرى على اللحاف الصيفي الأبيض بحيث يتمذر التميز بينهما لفرط بياض ذراعها وشفوف لونها وبرودة مجسمها فابتدرتها الأم بتندأها : « فيروتشكا ! » وخنقتها العبرة فسكتت . وقال الأب إجناتي وهو يجاهد للتأليف من جفاء صوته وخنوته :

— فيرا ! خبرينا ماذا بك ؟

فظلت فيروتشكا صامته

وعاود الأب إجناتي خطابه : « فيرا ! أترين أمك وأما غير أهل لنا جانتنا بأمرك والاستراحة الينا بذات صدرك ؟ ألسنا نجيبك ؟ وهل لك من هم أقرب إليك وأمس بك منا ؟ بئس إلينا شجوك وصديقي أنا الشيخ المحرب أنك واجدة بعدها بعض الراحة ، وكذلك نحن . انظري إلى أمك المجوز وكيف عذابها ... فيروتشكا ... وأنا ... وهنا تهديد صوته كأنما انشعب شيء فيه شطرين — وأنا ، أبهون علي ، تحسبنيته يهون ؟ سر كافي لست أبصرك نهب لوعة ... ولكن ما هي وأنا ، أبوك ، على جهل بها ، أيصح هذا ؟

فانها في ذلك المساء ألقت بنفسها تحت عجلات
القطار فسطرها نصفين

وقام الأب إجناتي نفسه بدفنها ، ولم تكتمه
زوجته حفلة الصلاة عليها في الكنيسة ، لأن نبي
فيروتشكا كان صدمة لها أصابها بالفالج . فققدت
كل حراك لقدمها وذراعها ولسانها . فبقيت
طريحة في غرفة محجوبة الضوء ، وعلى مقربة منها
تدق الأجراس في القباب معولة نادية ، وإنها
لنسمع موكب الجناز خارجا من الكنيسة وتسمع
المرتلين ينشدون في مرورهم أمام المنزل ؛ ولقد حمت
لترفع يدها وترسم إشارة الصليب فلم تطاوعها
يدها . وأرادت أن تقول : « الوداع يا فيروتشكا »
ولكن لسانها لسب في فها هامدا مورما تفيك .
وهكذا كانت طريحة بلا حراك حتى ليحسها الراي

هاجمة في ثقلة الكرى لولا عيناها المفتوحتان
وشهد صلاة الجناز في الكنيسة جمع حافل من
معارف الأب إجناتي والفرباء عنه . وكلهم مترجم
على فيروتشكا متوجع لمصرعا ، وهم في نفس
الوقت يتتبعون حركات الأب إجناتي ونبرات
صوته ليستدلوا بها على حزن عميق وجوى لا عجز .
إذ كانوا في قرارة نفوسهم لا يحبون القس لسانه
خلفه من عنجهية وعجرفة ، ولشدته وصرامته مع
التائبين المنيين على يديه ، فضلا عن أنه حسود
جشع لا تفوه فرصة يتقاضى فيها هذا أو ذاك من
أهل دائرته أكثر من حقه . فالكل هنا يودون
التشوق رؤيته مثالا كبيرا ، ويودون أن يروا
إقراره على نفسه بأن مصرع الفتاة ركبته منه إثم
مضاعف ، باعتباره أباً فظا غليظ الطبع ، وبصفته
قساً ظهر عجزه عن وقاية لجه ودمه وفلذة كبده من
الخطيئة . ولذلك أمتنوا في ملاحظته والتطلع إليه ،

والحق أنه أولى لسكا الذهاب للنوم ، وإنى لراغبة
فيه أيضا . غدا أو في حين آخر ، سيكون لنا
متسع للحديث

فهب الأب إجناتي دفعة حتى أرتج مقعده
وصدم الحائط وراءه ، وأخذ بذراع زوجته قائلاً :
« لنذهب »

فأنت هذه : « فيروتشكا . . . »

فصاح بها الأب إجناتي : قلت لك فلنذهب .
وإذا كانت قد نسيت الله ، فهل نساء مثلها ؛ ولماذا
واحتذتها للخروج في شيء من العنوة والقسر .
وكانت وهما يهبطان السلم تبحر أقدامها جرأ زداد
تنافلا وراخيا . وغمغمت في همسة منفضية : أف منك ؛
أنت أيها القس الذي جعلتها كذلك ، وعنتك دون
سواك أخذت هذا الطبع . وإنك لمستول عنه .
آه ياربى ، ما أنسى !

وجمات تولول وكفة الدمع مطروقة الجفن حتى
لم تعد تبين مواقع خطاها ، بل كانت تارة قدسها تهبط
الدرج كأنما تتساقط إلى هاوية ترغب في التردى فيها
ومن ذلك الحين صحت عزيمة الأب إجناتي ألا
يكلم ابنته . وكأنما لم تقطن الابنة الى هذا التغير
منه ، وظلت كمهدا تضطجع آونة في غرفتها
وآونة تتمد الى المخرج . وكانت كثيرا ما تمسح
بالراحتين مينيها كأن عليهما غشاوة . ولكن صمت
الأب وابنته كان يشغل على الأم ويكرهها ، فبانت
وهي بالأمس المولمة بالزاح والضحك أبعد أهل
الأرض عنهما ، فتراها ذاهلة منقبضة لا تكاد
تعرف ماذا تقول أو ماذا تفعل

فلنا إن فيروتشكا تخرج أحيانا للتمشي والتنزه
حدث بعد أسبوع من القابلة الآفنة الذكر أن
خرجت خروجها المعتاد كل مساء . وشاء القدر
ألا يراها أبواها من بعد حية ينهما رائحة أو غاذية ،

نظيف مرتب والمقاعد الكبيرة مسربة في أعطيها
البيضاء كأنها الموتى في أكفانها . وفي إحدى
النوافذ قفص معلق ولكنه خاو وبابه مفتوح .
وحين ذاك نادى الأب إجناتي : « نستاسيا ! » فبدأ
له أن سوت أجش ، وأحسن أنه يسيء صنعا بميد
جنازة ابنته أن يرفع الصوت الى هذا الحد في تلك
الحجرات الهادئة ، فماود النداء بصوت أكثر
تلفظا وخفوتا : « نستاسيا ! أين الكناري ؟ »
فأقبلت الطامية . وأنفها من كثرة التعجب

منتفخ وادم ولونه قائم كالجزر
وأجابت بجفاء : — لا أدري . لقد طار
فقطب الأب إجناتي حاجبيه مضطربا ،
وصاح بها : « وكيف تركته يطير ؟ »
فأجهشت تبكي وتوسع دموعها بذوائب الندبل
المصوب به رأسها . وقالت :
— إنه الروح الجميلة المزنة لسيدتي الصغيرة
الراحلة ، فكيف لي بحبسه ؟

وخيل الى الأب إجناتي نفسه أن الكناري
الصغير القابع اللون السميد الذي كان دأبه التفريد
شاعرا برأسه قد كان حقيقة روح فيروتشكا ، وأنه
لو لم يطر الكناري لما صبح القول بموت فيروتشكا ،
فاشتدت على الطامية تقمته وصرخ بها :

— اغربي عن وجهي !
ولما لم تبادر نوا الى الباب زاد قائلا : « مجنونة ! »

— ٣ —

ومنذ يوم الجنازة والصمت غيم على البيت .
وليس المراد بالصمت هنا السكون ، فان السكون
إنما هو عدم الجلبة . وأما هنا فالصمت معناه
أن الذين التزموا الصمت لا جرم في مقدورهم
الكلام إذا شاءوا . وهذا ما يقع في نفس الأب
إجناتي حين يلج غرفة زوجته فيلاقى نظرتها

ولكنه وقد آتس أن أنظارهم الى كاهله المريض
الصالح يلتصقون انحناء تحت وقر القادحة — لم
يأل جهدا في نصب قامته وإقامة صمدته . فكان
في تلك الساعة أقل تفكيراً في الابنة الفقيدة منه
في سيادة كرامته

فألمع كرزوف : « قس صمدت على التمزقناه
وصلب على المعجم عوده » وكرزوف هذا نجار يدين
القس بثمان بمض الأطر . ولقد شفع ملاحظته
بنفضة بالرأس الى جهته

وعلى هذه الحال من رباطة الجأش واستقامة
الشلطا سار الأب إجناتي الى اللدغ ، وعلى هذه
الحال نفسها عاد منه ، حتى إذا كان عند باب غرفة
زوجته انحنى كاهله قليلا ، ولعل هذا راجع الى أن
ارتفاع الباب دون قامته . ولما كان قادما من وضع
النور لم يتبين وجه زوجته عند دخوله عليها ،
فلما أن تبينه وجدها هادئة ، وأنه لا دمع في عينيها ؛
وليس بهما نقمة ولا حزن . فهما خرساوان
صامتات صمت ألم وعناد ، وكذلك جسمها
البدن التراخي المرتكن الى حاجز الفراش
فسألها : والآن ، ملذا ؟ كيف حالك ؟

ولكن شفتيها خرساوان وعينيها صامتتان .
فوضع الأب إجناتي راحته على جبينها ؛ فإذا هو
خضر رطب ، ولم يبد من أولجا سبائفتنا أدنى دلالة
على أنها أحست لسته . فلما أن رفع راحته عن
جبينها كانت عيناان غائرتان سوداوان تشخصان اليه
دون أن يطرף لها هذب ، وتكاد تكون الحدقة
منهما كلها فاحة بسبب تمدد انسانيهما ، ولم يكن
فيهما حزن ولا نقمة

فغمغم الأب إجناتي ، وقد بردت أطرافه
وارتدت فرائضه : « حسن ، أنا ذاهب الى غرفتي »
واجتاز قاعة الاستقبال حيث كل شيء كمنهده

في المنزل حتى ليخيل أن في الامكان جماعه . واستمرت الحال على هذا التوالى فوق في نفس الأب اجناتى أنه يسمع الصمت .

وكان الأب اجناتى في كل صباح بعد القران القدس يقصد الى قاعة الجلوس فيأخذ بصره في لوحة واحدة قصص الكنارى الخاوى وسائر الأثاث في ترتيبه المهود . فيجلس في أحد المقاعد الكبيرة ويطبق جفنيه ويستمع الى صمت المنزل . وكان أمراً عجباً . فالفص صامت في وداعة ولطف . والامس والدموع والضحك الطاعن الفقيدي جميعاً بأنفسها الرجل في هذا الصمت . وكان صمت الزوجة مع قيام الجدران دونه لا يزال عنيداً ثقيلاً عليه كالصاص - ومرعباً ، مرعباً حتى ليأخذه برد المقرر في أشد الأيام حمارة قيط . أما الابنة فكان صمتها لا آخر له ، بارداً كالقبر ، خامساً كالوت . ثم كان الصمت كأنما يشق بنفسه ، وكأنما يتهايف على التحول الى نطق ، لولا أن شيئاً له قوة الآلة وجمودها يحسكه عن الحراك ويعدده كامتداد السلك . وإذا السلك من مكان بعيد لا يعرفه على وجه التحديد يهتز ويصدر عنه صوت ناعم خافت جنون فتحتز الأب اجناتى الرغبة تشوبها الرهبة . على تسقط بادرة هذا الصوت فيشده بكفيه على جانبيه المقعد ويعد رأسه متسمماً مترقباً بلوغ الصوت اليه ، ولكن الصوت ينقطع وينطوى في غمرة الصمت وهنا يهتف الأب اجناتى وقد ركبته الغضب : « عبث باطل وأضناث أحلام » . وبهت من مقدمه مديد الشغل ناسب القامة كهمده على الدوام .

وكانت نافذة القاعة تشرف على ساحة السوق السابجة في ضح الشمس . والساحة مرصوفة بحجارة مصقولة الأطراف عمدة . وفي الناحية الأخرى

الشاحصة ثقبلة حتى لكأنما استجال هواء القرفة رصاصاً يحرق رأسه وينقض ظهره . وهذا ما يقع في نفسه حين يتأمل معزف ابنته الذي انطبع عليه صوتها ، وحين يتأمل كتبها وصورتها - وهي صورة مرسومة بالألوان جاءت بها معها من بتروغراد . ولقد نما في نظره الى صورتها نحواً خاصاً .

فهو يتطلع أول الأمر الى جيدها حيث مسقط الضوء في الصورة فيخيل إليه أن عليه خدشاً كالذي كان على جيد فيروتشكا البيت ، وإنه اني حيرة من أمر هذا الخدش ومنشئه ، وفي كل مرة يعمل الفكر للاهتداء الى سببه وعلته . فلو أن القطار هو الذي صدمها في هذا الموضع فشم رأسها بأكله ، ورأس فيرا الميتة سليم كل السلامة .

أترى بعضهم داس عليها بقدمه وهم يحملون الجثة الى المنزل ، أم أنه أثر ظفر خدشها من غير قصد ؟

ولكن إطالة التفكير في تفصيل مصرعها كان يشق على الأب اجناتى وروعه ، فيتحول عندها الى تأمل عينيها في الصورة ، وهما سوداوان نجلاوان أهدابهما الوطفاء تلقى تحتها ظلك وريقاً فيزداد بياض الفلتنين نموعاً وتبدو عيناها كأنما يحوطهما إطاران كالأسطر السود المجلة بالحداد . وقد جعل لها الرسام المجهول - وهو لا شك من الفنانين الموهوبين - معنى غريباً يخيل الى الرائي أن بين هاتين العينين وبين ما تقمان عليه غشاء رقيقاً شفيفاً فهي تذكرنا بغطاء معزف البيانوا اللامع السوداء تملوه من غبار الصيف غشاة خفيفة لا تكاد تبين ، وهي على خفافها تكند من لآلاء الخشب المجلو . وكان الأب اجناتى حينما وضع الصورة تتابعه عيناها غير ناظقتين بل هما أبداً صامتتان . وبان الصمت

واذ ذاك سهب الأب اجتناني من فراشه ، وبسط
يديه مضمومتين مما في توسل وصراعة مناديا :
« فيروتشكا ! » .

ولا من يجيب الا الصمت .

وفي ذات مساء قصد الأب اجتناني إلى غرفة
أولجا استباننا زوجته بعد انقطاعه عنها زهاء
أسبوع وجلس عند فراشها وهو مشيح بوجهه
عن ناظرها الشاخصين الفاجمين ، وقال :

— أيها الأم ! أريد التحدث معك عن
فيروتشكا . أتسمعين ؟

ولكن ناظرها صامتان . فرغ الأب اجتناني
عقبرته ، واشتد — مثل شدته مع المترفين —
في خطابها :

— أعرف أنك تمددني للتسبب في مصرع
فيروتشكا . ولكن ، سيلا ! أكنت أقل منك
حبا لها ؟ إنك لغريبة الرأي — لقد كنت متشددا ،
فهل حال ذلك بينها وبين ما شابت ؟ لقد تناضيت
عما لي عليها وأنا أبوها من حق الاعتبار ، فطاعات
صاغرا حين ارتحلت — غير حافلة باستئزال لمتني —
إلى هناك ، وأنت — أيها الأم — ألم تضرعي
إليها باكية ناشدنيها البقاء ، حتى أمرتك أن تكفي ؟
أستشول أنا عن أنها ولدت قاسية القلب ؟ ألم أعلمها
ما يبني علمه من الله والطاعة والحب ؟

والتي الأب اجتناني لمة على ناظري زوجته
الشاخصين ثم أشاح مستأنفا :

— ما ذا كنت صانعا معها وقد أوصدت دوني
مفاتيح صدرها وأبت الكشف لي عن شجوها .
أكنت أمرها ؟ لقد أمرتها . أكنت أستطفئها ؟
لقد استطفئتها . ماذا ؟ أتري أنه كان على أن أخرج
على قدمي الصبية الخروع راكبا وأنتحب كالرأة
المجوز ؟ ما الذي قام بعقلها ، ومن أين أصابها

سور حجري ممدود لا نوافذ له لأحد مخازن
البضاعة . وكانت في الركن مركبة واقفة كأنها
نصب من الطين قائم ، وكان غير مفهوم سبب
وقوفها هناك دواما مع أن الساعات الطويلة تنقضي
ولا يظهر عابر واحد في هذه الطريق .

كان على الأب اجتناني خارج البيت أن يتحدث
إلى السكتيرين : مع مرءوسيه من رجال الدين ، ومع
السكان في دائرته الكنسية أثناء قيامه بقرائنه ،
وأحيانا مع مفارقه يحاورهم فيها هوما تور ومستعجب .
ولكنه حين يؤوب وتحتويه غرفته كان يخل إلى
أنه قضى سحابة نهاره صامتا . وذلك لأنه ما كان
ليتحدث إلى واحد من هؤلاء عن المسألة التي هي
عنده أم المسائل وأهمها والتي تهيج كل ليلة بلابله
وتلمج خاطره : فيم ميتة فيروتشكا ؟ ؟

وقد أبى الأب اجتناني التسليم بينه وبين نفسه
باستعالة حل هذه المعضلة ولم يزل على اعتقاده بإمكان
كشفها وجلاء غامضها .

فكان يحيي لياليه مسهدا تناوده كل ليلة ذكرى
اللحظة التي وقف فيها وزوجته في جوف الليل إلى
فراش فيروتشكا وهو يستطفئها ويسوق إليها الرجاء
أن « تكلمي ! » . فاذا بلغت به الذكرى إلى هذه
الكلمة تمثلت له بقية المشهد على خلاف ما وقع .
ولقد حفظت عيناه الغمضتان في ظلالهما صورة حية
لا لبس بها من تلك الليلة ، فهما تتمثلان في جلاء
فيروتشكا تستوفز في فراشها وتقول مبتسمة ...
ولكن ما ذا قالت ؟

إن تلك الكلمة التي لم تلفظها ، والتي بها
جلاء المعضلة كلها ، تلك الكلمة تخيل له غريبة ،
جد دانية . فلو أنه رهب سمعه ويسكت خفقان
قلبه ، إذن — إذن لسمعا على أنها كانت في الوقت
نفسه نازحة نائمة بلا حد ولا أمل .

انبعثت من الأرواح اللبكتسية بها الجدران ومن الأثاث وسائر ما بالفرقة زبح كريح العطن والانعمال وكانت الفمراء تتخلل زجاج النافذة وتنبسط على أرض الفرقة كشريط وضاء ، وكانت المناشد بطلانها الأبيض الناصع تمكسها فينير أركان الفرقة منها نور كليل شعشعاني . ويبدو الفراش الأبيض النظيف وعليه وسادتان كبري وصغرى كأنه شبح من عالم الأطفال . وفتح الأب إجناني النافذة فاندفع الى داخل الفرقة تيار من الهواء النقي ، يستروح السائف في أردانه تراب النهر الجاور وعبق الزيفونة الزهرة ، ويحمل الى التسمع المصنى نشيداً خفيضاً لعله لقوم في قارب على النهر يجدفون ، وفي يجدفهم يشدون

وخطا الأب إجناني عارى القدمين كأنه الطيف لا يحدث صوتاً ، ودنا من الفراش الخاوي وخرّ مكباً على وجهه فوق الوسائد يضمها — حيث لا محالة كانت تضع فيروتشكا وجهها

وظل على هذه الحال طويلاً . وتعالى النشيد في الخارج ، ثم أخذ ينخفض حتى لم يمد مسموعاً ، والأب إجناني لا يزال في مكانه ، وشمره للزسل مشمت مهدل على كتفيه وعلى الفراش ودلف القمر في مسراه ، فأظلمت الفرقة

واحولكت ، ورفع الأب إجناني رأسه ونادى بصوت أفرغ فيه كل حبه الذي أطال كبته وكظمه بلايت ولا تصريح . وكان وهو ينادي ينضت لما يقول ، وكأن النضت ليس هو وإنما هي فيرا — فيرا ، يا ابنتي ! أندرकिन معنى ابنتي ؟

يا بنيتي ! مهجتي ادى احياتي !

هذا أبوك ، أبوك الشيخ السكين وقد علاه الشيب وخذلت القوي

واتفضض متكباه وسرت الرجفة في جنباه

ما أصابها ، لست أدري . يا لها ابنة عاقلة لاقلب لها ! ودق الأب إجناني على ركبتيه بجمع يديه — لقد تجردت من الحب — هو ذاك . وأنا على علم بما كانت تصغي به : مستبد عشوم . وأنت كانت تحبك ، أليس كذلك ؟ أنت التي بكيت ، و ... تذلت ؟

وضحك الأب إجناني ضحكة خافتة — تحبك ! بلى والله ، وترويحاً عنك لقد اختارت هذه الميتة ميتة شنيعة شائنة افانت على القفض والحصى الغروشة به السكة الحديدية ، ماتت على الأقدار — كالكلب جدلته رفسة بالذمل على خطمه

وغنم الأب إجناني بصوت هامس أبج : — ما أشد حزني ! إنه ليتولاني الحزى إذا خرجت الى الطريق ! ليتولاني إذا خرجت من الهراب ، ليتولاني أمام الله اياك ابنة قاسية خسيصة ! إنك لتستحقين اللعنة في قبرك

وألقى الأب إجناني على زوجته نظرة ثانية ، فإذا هي منمشى عليها ، ولم تقف من غشيتها إلا بعد ساعات . ولما أفاقت كانت عينها صامتتين ليس فيها ما يدل على أنها فقهت مقال الأب إجناني لها أو لم تفقه منه شيئاً

وفي تلك الليلة ، وكانت من ليالي تموز مقمرة ساحية دافئة بنجم السكون عليها ، قام الأب إجناني يدب على أطراف قدميه حتى لا تسمعه الزوجة ولا تمرضها ، وصعد السلم إلى غرفة فيروتشكا . وكانت نافذتها من عهد وفاة ابنته لم تفتح فكان في جوها حرارة وجفاف تشوبهما رائحة احتراق خفيفة من حديد السقف المستهدف طوال النهار لوقدة الشمس . وكان إحساس الوحشة والأقواء نجياً على الفرقة التي طالبت غيبة الانسان عنها ، وقد

— تكلمى ا

فكان جوابه الصمت

فى اليوم التالى تناول الأب إجناتى غداءه على انفراد مبكراً ، ثم أخذ سمته إلى المدفن لأول مرة بعد وفاة ابنته . وكان المدفن موسداً موجوداً لا تحس فيه نامة ، حتى لكان النهار القاطن فى هدوئه ليلة مشمسة . على أن الأب إجناتى كدأ به نصب قامته مجاهداً ، وأدار بصره من جانب لآخر بحفوة وصرامة ، وهو يزعم أنه كهمده بنفسه . ولم يفتن إلى التخاذل الطارئ الفظيع يفت فى ساقبه وإلى لحيته المسترسلة قد اشتعلت شيئاً كانما أصابها صقيع هتون . وكانت الطريق الى المدفن طويلة مستقيمة آخذة فى ارتفاع لطيف الرنق ، وفى نهايتها باب المدفن من خشب الزنфон يظله سقف أبيض ملتصع ، فكانه فم مغفور الشديدين على الدوام محلولك وعلى حافته أنياب قواطع لوامع

وكان قبر قيرا موعلاً فى جوف المدفن بعد نهاية المرات الفروشة بالحصباء . فكان على الأب إجناتى أن يجوس طويلاً فى مسالك ضيقة على محاذة الكتبان التمرجة الناثثة بين حشائش مهمة مهجورة من الجميع منسية . وكان يلتقى هنا وهناك بنصب متداعية ، لوها حائل مخضر من القدم ، وحواجز منهاره مهتمة ، وصفاً من الحجارة تقال ضبخام ملقاة تبهظ صدر الثرى كأن بها عليه حقداً كقد الشيخ بأسرا متجهما

وعلى مقربة من إحدى هذه الصفايح ، كان قبر قيرا . وكان الدر المشوش عليه مصفراً ذابلاً على حدادة عهده فى حين كل ما حوله بائع ناضر . وكانت هناك دوحتان متشابكتان ، وخبلة ممتدة من شجيرات البندق ورافة الظلال تبسط أفنانها المتأودة بأوراقها المخشوشنة الوراء على القبر

الضليع من فرعه إلى أخمصه . ثم همس متهدجاً فى لين وترقى كأنما ينفخ طفلة :

— أبوك الشيخ المسكين يسألك . نعم يا قيرا إنه يستهظنك ، إنه لييكى ، ولم يكن من شأنه البكاء قط ، إن ألك يا بنيتى ولوعتك ، يحزان فى نفسى كما لو كانا بي . بل أشد وأنكى وهز الأب إجناتى رأسه :

— أعبد وأنكى ، يا قيرا . وما الموت عندى ، أنا الشيخ ؟ ولكن أنت .

آه لو علمت ما كان من رقتك ، ولطافة بنيتك ومبلغ إشفائك وتهيبك ا

أندكرين إذ وخزت أصبعك ونضج منها الدم فطفتت تصرخين . نعم يا بنيتى ا

وكنت تخبيننى حقاً ، وتشففين فى جبا ، أعلم ذلك . وكنت فى كل صباح تقبلين يدي . تكلمى عن هذا الذى يحزنك — فأنى بهاتين اليدين خائف حزنك . إنهما ما رحنا قويتين ، هاتين اليدين ، يا قيرا

واهترت خصائل شعره

— تكلمى ا

وشخص بعينيه إلى الحائط ، وبسط يديه ، وصاح :

— تكلمى ا

ولكن الفرفة صامتة . ثم طرقها على بعد سحق أصداً مديدة ومقتضبة من صفيح قاطرة عارة فأدار الأب إجناتى عينين اتسع حلقهما كأن قد تمثل له شبح الجثة مبتورة الاشلاء . ثم نهض من ركوعه على مهل متسانداً ، ورفع إلى رأسه بحركة المذهول يداً مشنجة منفرجة الأشاجع ممدودة الأصابع . ومضى الأب إجناتى إلى الباب ، وفى خروجه همس فى حدة :

وزنّاع من رهبة صمّتهم وبرده ، كل هؤلاء
أيضاً يقومون
وخلع الأب إجناتى قبعتة السوداء العريضة
الحاشية ، ومسح يديه على ذوائبه المشبعة ، وهمس
منادياً :

— فيرا !

وأخذ القلق أن يكون بمسمع منه غريب .
فاعلى الضريح وتطلع من فوق الصلبان . فلم يكن
على القرب أحد ، فأعاد النداء رافعاً صوته :

— فيرا !

وكان صوته صوت الأب إجناتى المهود من
قديم جافاً أحرأ ، وكان عجباً أن نداء بهذه القوة
يبقى بغير جواب !

— فيرا !

ومضى الصوت ينادى عاليًا ملجأ ، ولما أن
سكت لحظة ، خُيل إليه أن جواباً غامضاً دوى
من تحت أطباق الترى . فثلث الأب إجناتى
حواليه مرة ثانية ، ورفع مسترسل لثته عن أذنيه
وألصقهما على المدر المحشوشن الشائك فوق القبر ،
ونادى :

— فيرا ! تسلمى !

فأحس الأب إجناتى في فزع أن شيئاً له برودة
القبر قد نفذ إلى أذنه وجدده عقله ، وأن فيرا
تسكمت — ولكن كلامها هو ذلك الصمت
الطويل نفسه ، وظل يزداد الصمت روعة وهولاً .
ولما أن رفع الأب إجناتى رأسه من الأرض
مجاهداً ، ووجهه شاحب كوجه الميت ، خيل إليه
أن الهواء يهتز وينبض بصمت مرئى ، كأن ريحاً
صرصرًا تارت على ذاك العيلم الخوف ، وأن الصمت
ليزهر أنفاسه ويمحقه ، ولا تزال موجبة التلجبة
متقلبة في رأسه جيئة وذهاباً فيقف لها شبره

يفس الأب إجناتى على ضريح تجاه ضريح
ابنته وهو يتهد بين الفينة والأخرى . وجمل
يتلفت حواليه ، وألقى نظرة على صحراء السماء
الصفاه ، وكان قرص الشمس المتقد معلقاً في مكانه
جامداً بغير حراك . وعندها فقط أحست في نفسه
عمق ذلك السكون الذى لا سكون مثله يخيم
على مدفن ، والريح هاملة لا تهفو لها نسمة تمبث
بالأوراق الجافة الميتة . وقام في خاطر الأب إجناتى
مرة أخرى أن هذا ليس بالسكون ولكنه الصمت ،
وفاض الصمت وطم حتى بلغ أسوار المدفن نفسها
وتسورها مثاقلاً وغمر المدينة . وأما آخره فهناك
في هاتين المينتين السوداءين الشاخطين المصريين
في تعنت وعناد على الصمت

هن الأب إجناتى كفتيه ، وقد سرت البرودة
فيهما . وسرح نظره على قبر فيرا . وطال تأمله
لميدان الحشائش القصيرة المصوحة وقد صار
انزاعها من مناسبتها في بعض الرياض الفيحاء
الضاحية فلم يهبأ لها تأصل ولا ترعرع في هذه
التربة الجديدة . ولقد عز على الأب إجناتى إقناع
نفسه بأن هنا تحت هذه الحشائش على بعد بضعة
أشبار منه ترقد فيرا ، وبداله أن تدانى الشقة الى
هذا الحد أمر غير مقول ، وإنه ليخامر نفسه منه
حيرة وتوجس غريب . اذ كيف أن هذه التى تعود
التفكير فيها على أنها طويت في ظلام الأبدية
الصحيفة طى الأبد تكون هنا قرية ! وكيف بمقل
مع هذا أنها ثلاثت من الوجود ولن تمود !

وخيل إلى الأب إجناتى أنه لو ندس بكلمة ،
بالكلمة التى يكاد يحسها على شفثية ، أو أنه لو أوما
بإشارته ، لأقبلت عليه من القبر ، ووقفت أمامه
منشوقة القد جسيمة كعدها بها ، ثم إنها لا تقوم
وحدها ، بل إن الموتى أجمعين الذين نحس بهم

من ملاقة هذا الرجل طالما عليك بمنظرة الأشت
الآبد ، راكضاً ، وائماً ، ملوحاً بذراعيه — حين
تنبين وجهه ممسوخ السحنة مجنونها ، وتسمع
حشرجة أنفاسه تتدافع بصوت أجش من فم المنفور
وانتهى الأب اجتنائي وهو في أقصى سرعته
الى الرحبة الصغيرة التي تقوم في آخرها كنيسة
المدفن متطامنة بحصاة . وكان على مقدم طويل عند
مدخلها شيخ موم بلوح كالحاج من بعيد ، وإلى
مقربة منه امرأتان عجوزان من التسولات في شجار
وصيال تتشاحنان وتباهلان

ولما بلغ الأب اجتنائي منزله ، كان الليل قد دجا
والصباح قد أشرق في غرفة ألجا استبانفنا ، فأقبل
عليها دون أن يبذل ثيابه أو ينزع قبسته المعزفة
التربة وتراى على أقدام زوجته راكماً وانتحب :
— أيتها الأم — ألجا — رحماك رقي لحالي
أ كاد أقعد صواي

وصدم بحافة السائدة رأسه وانتحب تحبباً
صاخبا وجيما ، شأن الكظيم ينتحب لأول مرة ؛
ثم رفع رأسه على يقين من أنه بعد قليل تظهر
المعجزة فتتكلم زوجته وترق لحاله
— يا زوجتي العزيزة

ونهافت بكل جسمه الضخم ضاروا اليها
مستعظفا اباهما . فالتى بالنظرة الشاحصة جن عينيهما
السوداوين . ولم يكن فيها رحمة ولا نعمة . ربما
تكون زوجته قد صفحت عنه وورقت لحاله ، ولكن
عينها لا رحمة فيها ولا مغفرة . اتهمتا على حالهما
خرساوان صامتتان

والبيت كله في وحشة صامت

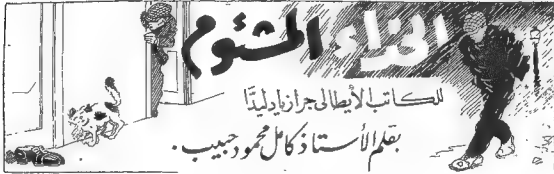
عبد الرحمن صدقي

أشعث مستطاراً ، ولا تزال منكسرة على صدره
فينث ويتأوه من وقع صدماتها . ولقد ظل مرتمد
الفرائص يقلب ألقاظاً عصبية خاطفة من ناحية
أخرى ، ثم قام متحاملاً في اثنا وبطء ، وعانى
أشد الجهد وأنكاه ليرفع قامته ويرد الى بدنه
المرتجف مشية الكبرياء المهودة ، وقد أفلح بعد
لأى ، وأخذ ينفذ التراب عن ركبتيه متمهلاً
متروكاً ، ولبس القبعة ، ورسم إشارة الصليب ثلاثاً
على القبر ، ثم دلف بخطوات متساوية ثابتة ، غير
أن طرق المدفن وماله اختلطت عليه فضل السبيل
فوقف عند مفترق المسالك جامداً في مكانه
يضحك :

— ضللت السبيل !

وطالت وقفته بهمة ثم عرج من غير تفكير
الى اليسار . وذلك أنه ما كان يطبق الوقوف هنا
جامداً ينتظر . وتبمه الصمت على الأثر . وهذا هو
الصمت يخرج من العهود المشوشة ، وتتنفس
عنه الصلبان الداكنة التهجمة ، ويتصاعد نفحات
دقيقة خائفة من مسام الأرض للتشمية جثثاً ورماما
والأب إجنائي يضاعف خطاه مسرعاً ، وقد سدر
بصره وذهل عن نفسه ، فهو يطوف بالمسالك يمينها
الرة بعد الأخرى ، وائبا فوق القبور ، متمشراً
بالجواجز ، يهوى بكفه على الأكاليل من الصفيح
شائكة فيتمزق قمائشا الرقيق الناعم في يديه . ولقد
ذهل عن كل تفكير الا فكرة واحدة وهي الخروج
من هذا المكان . فاندفع من ناحية الى أخرى ،
وأخيراً انطلق يمدو في سكون ، شيخاً مديد القامة
لا تكاد تتعرفه في رنسه الخافت وراه ، وشمره
التهنيد المرسل في الهواء

وان رؤية ميت قائم من القبر لأخف هولاً



فالحب والاطمئنان بقران قلبينا وحياتنا . وأنت
باسيدار ؛ أنت فينوس هرموزا ؛ أنت ثرائى
وأنت ملكتى ... »

وفى صباح يوم من أيام الشتاء ، أحسن إيليا
وهو فى مكانه من حجرة الانتظار ، حيث يجلس
دائماً ؛ أحسن أن بدأ قوة تجذبه فى عذف ، وسمع صوتاً
خشناً يناديه : « أسرع ! لقد كنت فى (نير أنوفا)
وعمك هناك بعالج مرضاً خطيراً ... » هذا صوت
سائق ينهبه إلى أسر ، ولكنه ما كان ليسلبه بعض
هدوئه . لقد أرسل أنه خفيفة خافتة ، ثم قال يحدث
نفسه : « سأشر هذا الخبر الحزن على عيني زوجتى »
لم تضطرب الزوجة لما سمعت ، ولم تحزن ، ولم
تفرح من مكانها وهى جالسة أمام باب الدار تلمس
الدفء من أشعة الشمس ، وقد ازبدت خبير
ملابسها ، واتعمت ، ورتبت شعرها فى دقة وأناة ؛
غير أن ملابسها وحذاءها وقد عبت بها يد البلى ،
ووجهها وقد شحبت وتفضن وذوى جاله ، وعينها
وها تضطربان وقد خبا سوءها وانطفا برقعها ؛ كانت
كلها ترمس سطوراً واضحة فى تاريخ فاقتهما وعوزها
ومن أقصى المكان ارتفعت نجة تشبه ما يسمعه
إيليا دائماً فى الحسكة : فهؤلاء أصحاب الدار
يتنازعون فيما بينهم أمراً ؛ وهذا الندى — وهو
جزء من الدار — قد ضم جماعة يلبون الورق
وعزحون فى نجة وصخب ؛ والزوجة لا يعينها

ضائق سبل الحياة بالفتى إيليا كراى فهو لا يجد
عملاً ، وهو لا يدري كيف يزجى هذا الفراغ المريض
الذى وقع فيه على حين فجأة ، إلا أن يقضى شطراً
من نهاره فى حجرة الانتظار بالحسكة ، واضعاً
كراسة على ركبته يثبت فيها مآتوفيه به قريحته
من أشمار ينجى بها زوجته الحبيبة . لقد كان
الضجيج يعلو بأزائه والجويع تقططر من هنا ومن
هناك : فقيرات النساء يتخاصمن على درهمات ضئيلة
كأنما يتنازعن أقطار الأرض جريماً ، وقائلو الزور
يسرون فى هدوء وأناة يتدفنون شيئاً ، وصغار الحمامين
يتدفقون هنا وهنا يفتشون عن سيد جديد ؛ هذا
وإيليا جالس فى هدوئه ، فى زاوية الحجر ، يكتب
إلى زوجته بعض الشعر وكأنه لا يحس بما حوله شيئاً :

« أنا أستطيع أن أرى الحياة بعيني عقلى ،
فكل ما يدور فى العالم مقدر قبل أن يكون . أنا
شاعر وفيلسوف ، فليس شئ فى الحياة يثير فى
الدعشة لأننى أعلم أن الأيام تلو بالرد مرة وتسل
به أخرى . لا تقطلى — يا عزيزتى — فلربما تذكرنا
عمى أغسطينو ... أغسطينو الذى طرد زوجته
وحرمها ماله ؛ لعله يذكركنا يوماً فنذهب إلى شاطئ
البحر معاً ، نشهد القوارب تضطرب بين الأمواج
الهائجة ، ونحن نسير ذراعاً فى ذراع كأننا عروسان
فى شهر العسل . على أننا — الآن — سميدان ،

ملحوظة : كتبت هذه القصة بقلم الكاتبة الايطالية
جرازيا دليدا ، وقد أخطأ الخطاط فجعلها الكاتب

فالشمس تتألق كأنها ماسة كبيرة ، وترسل أشعتها الذهبية في رفق على صخور الجبل ، والحشائش تضطرب تحت نبات البحر الرقيقة . وحين اندفع هو في طريقه تراءت له الزهور الرافاة — زهور الربيع الجميلة — تنفث من عطرها الشدي في روحه النشاط ، وتذكي في أعصابه القوة ؛ ثم ... ثم انحدرت الشمس الى مغربها ، فاستحالت حرارتها النمشة الى برد قارس تحمله نبات الليل ؛ وأحس الرجل أن قدميه تتنديان ، وأن حذاءه قد انفرج عنهما من هنا ومن هنا ؛ فاضطرب وخائفة رزائته الفلسفية حين بدا لينيئه أنه لا يستطيع أن يصلح حذاءه أو أن يجد غيره ؛ وأنه لا يقوى على أن يحمل هم الطريق وهم الحذاء الممزق معاً . وتمثل له ما يلاقيه من مهانة واحتقار حين يبدو في دار عمه رث اللباس ، زري الهيئة ، ممزق الحذاء ، وهو لا يريد أن يكون هو ألم نفسه وعاز زوجته حين يلج دار عمه في مثل حذاءه . لا بد أن يجد حذاء ؛ ولكن كيف ؟ إنه هو لا يدري ... وبعد فترة كان يسير في شوارع القرية المهجورة المظلمة الندية وقد سيطرت عليه فكرة الحذاء الآخر . وفي ناحية من ساحة فندق هناك صنيبر يشع نوراً ذهبياً قوياً جذب إيليا اليه . . . جذبه لينام ليأنته في حجرة قفدره ، حيث ينام عاملان قعيران ؛ وقد كان غطيط أحدهما يستلب إيليا من أفكاره ومن نومه مما . استلقى الرجل على فراشه وذاق رأسه غير صورة نمل جديد تراءى له أبناً هفا خياله : في الشارع ، في الحقل ، في زاوية الحجرة ، في صندوق في الزاوية الأخرى ، ثم هناك عند الباب وكانت تحور أحياناً الى أخرى بالية تنم عن الفقر والفاقة ... وظلّ إيليا تقزعه الريح العاصفة ، والنظيط المبدؤ في أرجاء الحجرة ؛ والساعات تمر . وتماق

ما يدور حولها . أما هو — هو إيليا — الزوج الماشق فقد وقف بإزاء زوجته يداعب شعرها في رفق وتحبب ويقول : « أفتعلمين ما أنا صانع ؟ سأذهب ... » قالت الزوجة : « إلى أين ؟... » قال : « إلى أين ؟ لملك لم تني شيئاً مما قلت ! إلى عمي أغسطينو طبعاً ! ما أجل ما أرى في هذا اليوم ... » قالها وقد كتم في نفسه أموراً استشرتها الزوجة المسكينه فراحت تحديق في حذاءه الممزق مرقاً أعيت على الاسكان ، ثم قالت : « وأين لك بالمال تستعين به على السفر ؟ » قال الزوج في ثبات : « إن مني ما يكفي ، لا يشغلك هذا . إن كل ما في الكون بلاد الحياة والجمال لو أن في النفس الهدوء والدمعة . إن ما بهم للره حقاً هو أن يحب الناس ويحسن معاملتهم . لقد شغلني هذا كل ساعات الصباح أفتريدن أن تقرأى ؟ » ثم قطع قصاصة من دفتره وألقى بها في حجرها وهو ييسم ... ثم انطلق وما خلف من شيء سوى هذه القصاصة ...

انطلق ماشياً لأنه لا علك سوى ثلاث ليرات ؛ وكانت فلسفته قد أوحى إليه ألا يتخبط بين هذا وهذا ، يقترض ، فيضيع وقته فيها لا غناء فيه ... هذا نوع من الرياضة تعود منه زمان ؛ وما كان لشيء ما أن ينزع عنه رزائته أو يحول بينه وبين أن يصل إلى عمه أغسطينو ، وهو رجل سيار . لقد سار في نشاط وخواطره معالقة بمحاذاته دون قدميه ، فهو يشفق عليه ويشفق ..

بلغ إيليا (أوردوسي) — وهي قرية في طريقه — ولم يحدث ما يكره صفوه ؛ فالطريق ممد لاحب ، والطبيعة جميلة تحنو عليه لتنسيه بعض متاعبه . لقد كانت رحلة ممتة ، في ناحية من الأرض سحرية ،

يسرق مليون ليرة، أيها السارق؟
واضطربت الفكرة في رأسه: «مليون ليرة!
أين هي؟ أين أجدها؟ لو وجدتني لاختطفتها
لأقن ولا أتباطأ...» ثم عطف وهو يلبس هذه
الخطرة، ومد رجله وحرك أصابعه في الحذاء
الجديد. يا عجبا! لقد رانت على نفسه سحابة
سوداء من السكابة مرة أخرى، وشمر بقدميه
تتقدان، وبأصابعه تختليج كأنها تنفر من هذا
الحذاء المروك! لقد سار في طريقه متكاسلا،
ومتأبطا حذاءه ليستطيع أن يلبسه إذا تبهر أحد؛
ثم اضطرب وتوزعته الأفكار السود؛ فهو يلتفت
إلى وراء بين الفينة والفينة يرى من عساه بقمه...
وانثنى النجر كأنه شيطان مارد يحججه بمئين
فيهما البيض والأزدهاء؛ يطل عليه وقد قمته
سحابة دكناء من الضباب لبيعت في نفسه الفرع
والرعب، ولينفذه بالضجة والويل؛ وهؤلاء الناس
— عما قريب — يسألون إلى القرية، ما رى به،
وحين يسمعون قصة الحذاء المروك يقول قائلهم:
«نعم، لقد رأينا رجلا هناك يسير مضطربا، وقد
تأبط حزمة مخبئها تحت معطفه...»

ورأى — وهو يسير — فلاحا يسير الهوفى،
في طريقه إلى القرية، تغسل إليه أنه يحقد فيه...
ويلتفت إليه بين الحين والحين وعلى شفثه ابتسامة
السخرية والتهكم
ثم... ثم انحسر الظلام عن نهار حزين كالخ؛ وقد
نشرت السحب ذوائب طويلة سوداء تصل بين الجبل
الشاهق والبحر المضطرب؛ والغراب تمر به وهي
تنمق نيقمها المشثوم؛ وقد انطوى الجبال الذي
أحسه بالأمس في هذه الناحية؛ وبدت له الحياة
عابسة تبتث في النفس الألم والضيق، وودت في
في أذنيه أسوات تقزعه من مكانه لأنه رأى فيها

بصره بنجم يتألق في السماء كأنه يسبح بين أمواج
البحر المضطربة؛ وخياله عند زوجته وهو جالس
إليها ينشر على عينيها بعض أشعاره الرقيقة الطلية،
وعند الحياة الناعمة التي يحياها إلى جانبها لو ظفر
بما يملك عنه...

وانتفض الرجل من فراشه بعد لأي وهو
يضطرب، وانحنى على حذاء العامل يريد أن يلبسه
فوجده ثقيلًا واسما فتركه إلى حذاء الرجل الآخر؛
فيرا أنه لم يجد شيئًا، وطن في مسميه صوت أقدام تدب
خارج الحجرة فاضطرب ووقف في مكانه وقد
سيطر عليه الحزن والغزع؛ وبدت له خدمته
حزن... حزن حزن القلب يستشعر الخطر
المهدق؛ وحين انحنى الصوت دلف هو إلى الخارج
ليرى... ليرى الرعدة خالية إلا من يصيح من
نور، وإلا من قطة تحك جسمها في الجدار،
والأمن حذاء بازاء القطة، بدا في عيني الرجل
جبار... فانطلق إليه يخبثه في ثيابا ممطفه، ثم اندفع
إلى الشارع في هدأة الليل وسكونه. لقد غادر
الفندق لم يشمر به أحد، ثم أسرع... وترأى له
وهو يسير على شاطئ البحر كأن كواكب السماء
تنساقط رويدا رويدا لتتشم في هذه الأجرة، فقال:
«يا عجبا! أكل شيء في الطبيعة والأنسان يريد أن
ينهد...؟» وظل يحدث نفسه هذا الحديث وهو
يحب في الظلام بين الصخور المظلمة والبحر الماكن
ومضت نصف ساعة جلس بعدها ليلباس الحذاء
المروك. لقد بدا عليه السرور والفرح — بادى
الأمر — غير أنه ما لبث أن استشعر الحسرة
تفجؤه وتكاد تعصف به، فراح يحدث نفسه:
«ماذا يكون لو أنهم تبونى؟ سيقتلونى لاشك.
ماذا تقول زوجتي إذن؟ متقول: ماذا صنعت
يا إيليا؟ أقتسرق حذاء؟ أى فرق بينك وبين من

يوماً كاملاً لا يظلم شيئاً ، فأحس بأعصابه تتراخى ومشي الهوينى يتريح كأنه عود ذاوٍ تمصّص به الرياح الهوج ، وولج الفندق ثانية وكأنه في حلم ، وعلى شفّته كلمة الاعتراف ؛ غير أنه وجد السكان هادئاً كأن شيئاً ذا بال لم يكن ، وصرفاً تلقى به بصر ، ولم يحم حوله شبهة ؛ فتناول طعامه ، ووضع الحذاء مكانه الأول ، ثم ألقى بنفسه في لجة من النوم العميق الهادئ ، فما استيقظ إلا عند ظهر اليوم التالي . وحين هم من صرقده اشتري رغيفاً بما بقي معه من مال ثم سار ...

وبدا الجو في ناظري إيليا — امرأة أخرى — جيلاً ، والوداد كأنه يسهم في رقة وظرف ، والنبات الأخضر تنبت منه القوة والنشوة ، وهو يندفع في سيرة يفور نشاطاً وحياة على رغم هذا الحذاء الممزق الذي عوج فيه قدماء ، وهو — هو هذا الحذاء — كان يوقظ الرحمة والشفقة في قلوب الذين يرونه فيمنحونه بعض الخبز واللبن يتبايع بهما . وبلغ دار عمه وقد أجهده المسير وأضناه التعب ، ولكن الأمل كان يشرق في عينيه فيدفعه الى الأمام ... لقد مات عمه منذ ساعات قليلة ، وراحت الخنازم تنظر اليه في دهشة وهي تعجب : « أأنت ابن أخيه حقاً ؟ لماذا لم تسرع الى هنا ؟ » ولكنه وقف صامتاً ، فاندفعت هي تقول : « لقد أرسل اليك منذ ثلاثة أيام وأنتظر ... أنتظر طويلاً وهو يدركك ، ثم بدا له أنك نسيتهم ففقد الأمل . وحين أحس بالموت يكاد يقصم عوده أوامى بكل ما يملك الى اليتامى من أبناء البحارة » ...

وقف سامتاً ، فاندفعت هي تقول : « لقد أرسل اليك منذ ثلاثة أيام وأنتظر ... أنتظر طويلاً وهو يدركك ، ثم بدا له أنك نسيتهم ففقد الأمل . وحين أحس بالموت يكاد يقصم عوده أوامى بكل ما يملك الى اليتامى من أبناء البحارة » ...

فارتد إيليا الى داره يحمل الى زوجته الحبيبة الى نفسه خيبة الرجاء وضربة الأمل وهو لا يستطيع أن يقول شيئاً ...

أمل محمدر حبيب

أصوات الذين من خلفه يقصّون أثره ويسخرون منه ؛ فاستبدل حذاءه القديم الممزق بالحذاء الذي سرقه ، وألقى به في ناحية ثم انطلق ...

لقد ألقى بعضهم حين ألقى الحذاء المسروق ، ولكنه ما يزال في اضطرابه ، وخياله ما يفتأ يصوره أشياء ؛ فهذان الماملان اللذان قضى مهمما ليلته ، على أثره يطلبانه بمد أن وجدا الحذاء اللقي ... سيُلبّيان . ثم يدفنان به إلى المحكة ، وهناك ... وهناك ... ؛ وتراعى له جماعة يمدونه ويمدونه حتى يعترف ...

ماذا تقول زوجته حين يتراى إليها الخبر ؟ وتأججت الفكرة برأسه بؤرثها الاجهاد والبرد والجوع ، فانطرح تتنازعها الخواطر القاطلة كما تتناوح الرياح الشديدة الناصفة سحابة في كبد السماء ؛ ورجع إلى نفسه يلومها على أن طوحت به الأيام في هذه المتاهة ، يضرب في الأرض ، ويفقد الراحة والطمانينة في وقت ممّا ؛ ثم هو لا يطلب إلا سراها أو أملاً كالسراب ، ومن بدرى ؟ لعله لا يستطيع أن يأتي بالحجة القاطعة يثبت بها أن أغسطس هو عمه ... ورغم هذا فهو قد ألصق بنفسه عاراً لا ينسل .

نكص الرجل على عقبيه ممتلئ العقل ، مأخوذ اللب ، يحدق في الحذاء اللقي في ذهول وبلاهة ، أفواريه التراب ؛ إنه إن فعل فثا غير من الحقيقة التي في رأسه ؛ أن هذا الحذاء مسروق ، وأنه هو السارق ...

وتردد إيليا حيناً ، ثم هوى إلى الحذاء يخفيه تحت طيات معطفه ، وارتد إلى القرية لا يستطيع أن يهبطها إلا أن يسدل الليل أستاره ، لقد غبر

وتفقر الشوارع من كل عابر
وكنت لا أزال أتالم من جرحى

لقد كان لى بالأمس حبيبة وكان لى صديق ،
تفاننى الحبيبة وصرعنى الصديق فالتفتى على فراش ،
الأوجاع ، فأصبحت وفي رأسى من الاضطراب ما لا
أهتدى منه إلى حقيقة حالى ، فكنت أحسب أن
ما صر فى لم يكن سوى حلم مروّع وأنتى سأجد
سمادنى المفقودة إذا ما فتحت عيني لأنوار الصباح ،
ثم أعود فأرى حياتى بأسرها حلماً طائشاً ساخراً
بتكشف لى بفتة عما استتر فيه من خداع وكاذب
وكان ديجنه جالساً على مقربة منى وقد أنارت
أشعة الصباح وجهه فلاحت أمارات الحب عليه
بالرغم من استمراره على الابتسام كعادته

وما كان ديجنه بالرغم من صلاته وجوده إلا
الرجل المخلص المطوف ؛ غير أن الاختبار كان قد
نال منه وأسقطت الحادثات طرته ، وما جهل هذا
الصديق الحياة فانه خبرها وأسالت كثيراً من
دموعه ؛ غير أنه ادرك الصبر فاستجرت آلامه
وبات يتوقع الموت
وقال ديجنه :

— إننى وقد نفدت ما انطوت عليه سريرتك
أراك تمتد بالحب كما تصوره القصصيون والشعراء
فأنت إذن تصدق ما يقال لا ما يقع فى هذه الحياة .
لقد ضللت السبيل السوى فى تفكيرك ، فان أمنت
فى السير وقفت بوجهك الصائب والولايات
وهل يصور الشعراء الحب إلا كما يجسم النحاتون
الجمال ، وكما يبدع الموسيقيون الأنغام ؟
إن أرباب الفنون وقد دقت أعصابهم ووهبوا

من أعماق النفوس



استغراب فتى العصر

لألفريد دى موسى
بفلم الأستاذ فليكس فانس

(تابع)

الفصل الخامس

وعندما رأى ديجنه أن لا دواء لياسى وأنتى
أرد كل نصيح وأقبح فى دارى أدرك خطورة الموقف
فجأنى فى إحدى الليالى ودلائل الاهتمام بادية على
وجهه فذكر عشيقى بلهجة الزدري ، وأسرف
فى التقرب بوجهه إلى كل امرأة مجارياً حوافز عقيدته ؛
وكنت منظرها على فراشى فخلست وأسندت رأسى
إلى كفى وأصنيت بكل انتباه لأقواله

وكانت ليلة ، بدأت تهب فيها الرياح فتسمعك
أنين المدفنين ، وكان المطر يضرب برشاشه زجاج
النوافذ ثم ينقطع فجأة فتحسب العليمة قد فقدت
الحياة فى فترات السكون

فى مثل هذه الساعات يحكم الألم جميع الكائنات
فتهتز الأشجار كأنها تتلوى فى أوجاعها وتحنى
رؤوسها حزينة عاجزة وتهرع أطياف الحقول إلى
صفيرات الأشجار مترجمة على اللجج الأعمى

عقلك لشعورك أن تصور ماهية الانهيار؟ أم يمكنك أن تدرك ما لا يحد وأنت ولدت في الأمس وغداً ستموت؟

لقد جنّ الكثيرون في كل أنحاء العالم أمام هذا المدى الفسيح ، وما نشأت الأديان إلا من الاستفراق في التفكير في أسرارهِ . ما قطع كآتون عنقه ، وما استسلم المسيحيون للأسود والبروتستانت للكاثوليك إلا لأدراك المطلق المتعالى عن كل حصر وتحديد

إن جميع شجوب الأرض يبسطون الأكتف نحو هذا المدى الفسيح قاصدين الارتقاء إليه . وفائد الرشد يطمح إلى امتلاك السماء ، أما العاقل فيكتفى بالانجذاب والانشوع ويرتعى جاثياً على ركبته كالجمل جملح شوقه

إذا كان فسيح المدى يعجز إدراكنا فكيف نتوصل به إلى نيل السكّال وقد حتم علينا ألا نتجه إليه في أى شيء وألا نتطلبه من أى شيء ، لا في المحبة ولا في الجلال ولا في السعادة ولا في الفضيلة ، ولكنكنا مع ذلك ملزمون أن نتوق إليه لنبلغ في المحبة والجلال والسعادة ما يمكن لنا أن نتأله اقترض ، يا أوكتاف ، أن غرقتك لوحة من ريشة رفاةيل ، لوحة تحبسها سائلة من كل عيب ، فاقتربت منها يوماً مدققاً فيها فوجدت في رسم أحد أشخاصها خطأ فاضحاً كمضوء مكسور أو عضلة نافرة من مركزها الطبيعي — كما يقال عن إحدى العضلات في ساعد مصارع — فانك تشعّر بالكدر ولا ريب ، ولكنك لا ترى بلوحتك إلى هيب الموقد من أجل هذا العيب بل تكتفى بأن

الحس المرهف يختارون أنقى عناصر الحياة وأبدع رسوم المادة وأزوع ما في الطبيعة من نبرات قبل إنه كان في أثينا عدد كبير من الفنانين الفاتنات فعمد براكتيل إلى تصويرهن الواحدة بعد الأخرى ، ثم استعرض مجموعته مستبعداً عيوبها ومستنطقاً منها مثلاً كاملاً جامعاً المحاسن على أنواعها هو رسم الزهرة آلهة الجلال وعلى هذه الوثيرة جرى أول إنسان أوجد آلة للموسيقى مقبرراً قواعدها وأحوالها ، فانه ما وضع الأنغام إلا بعد أن تنصت طويلاً إلى تغريد البلبال وحفيف الفسوز

وهكذا أوجد الشعراء أيضاً الأسماء السرية التي مرّت على شفاه البشر من جبل إلى جبل ، كدنديس وكلوبه وهيرو ولياندر وبيرام وتيسبه تلك أسماء لم يبدعها الشعراء إلا بعد أن ابتلوا الحياة وعرفوا من المحبة سريتها وبطيتها في الزوال ، وبعد أن شهدوا إلى أية درجة من الهوس يبلغ الهيام أحياناً منقياً الطبيعة البشرية من أدراكها فإذا أنت فتشت في الواقع عن مثل هذا الحب المطلق الثابت فكأنك تفتش في ميادين الجماهير عن نساء يضارعن الزهرة في روعة جمالها ، أو كأنك تكلف بلبال إنشاء أجمل مقطوعات بيتوفى إيقاعاً ليس السكّال من هذا الوجود ، وكفى الذكاء البشرى أنه فاز بتصوره ، فإذا ما طمع في الحصول عليه رمت به شهوته إلى الخليل والجنون

افتح نافذة غرفتك ، يا أوكتاف ، وتطلع ، إذا تشرف منها على مدى لانهائية لمفتش أن لا حد لهذه الآفاق ؟ ولكن هل لك بالرغم من تصديق

وبما أن سواك سيتمتع بها بمدك ، فما بهمك وقوع ذلك في هذا المساء أو بعد سنتين . إذا كانت هذه المرأة لن تحبك إلا إلى حين فما بهمك أن قصر حبها على ليلة أو ظال إلى سنتين

ألست رجلاً يا أوكثاف ! أفا ترى الأوراق تنساقط عن أغصانها والشمس تشرق فتغرب ؟ أفا تسمع نبضات ساعة الزمان في كل خفقة من خفقات قؤاذاك ؟ فأى فرق لدينا إذا بين غرام سنة وغرام ساعة من الزمان ؟ أأليس مجنوناً من يتطلع من نافذة تقدرها الكف ليرى المدى الذى لا نهاية له أنت تلقب المرأة التى تحبك عامين دون أن تحنونك بالمرأة الشريفة ، ولعل لديك مقياساً خاصاً تعرف منه ما تقتضيه قبلات الرجال من الزمن لتجف على شفاه النساء

إنك لتجد فرقاً كبيراً بين المرأة التى تستسلم للحصول على المال وبين من تستسلم طلباً للذة ، تجد مثل هذا الفرق أيضاً بين من تبدل نفسها إجابةً للداعى الكبرياء ومن تبدلها في سبيل إخلاصها ؛ إن بين من تشتري من النساء من تقدر لها ثمناً يزيد على ثمن سواها ، وبين اللواتى تطلب فيهن تمتع حواسك بمن تنال فتتك دون سواها ، وبين من يدفعك الفرو إلى نيلهن من تباعى بالظفر بها بأكثر مما تباعى بامتلاك أخرى سواها ، وبين من مخلص لمن أنت من تهبها ثلث قلبك في حين أنك لا تهب الأخرى سوى ربه ، وتهب غيرها نصف هذا القلب ، وذلك تباعاً لما تقدره لأحدها من التهذيب والامادات وما تراهها من كرامة الأصل وروعة الجمال واعتدال المزاج ، وتباعاً للظروف الطارئة أيضاً . ولما يقوله

تقول — إنها غير كاملة وإن في أقسامها الأخرى ما يشير إلى العجائب

إن في العالم نساء تردهن طبيعتن وما في عواطفهن من الاخلاص عن اتخاذ عشيقين في زمن واحد . ولقد خيل اليك أن عشيقتك من هذه الفئة ، ولقد كان خيراً لك لو أنها منها . ولكنك تحققت خيانتها فهل في ذلك ما يدعوك إلى احتقارها والاساءة إليها وإلى الاحتقاد بأنها تستحق حقدك وتمتلك ؟

افترض يا أوكثاف أن عشيقتك لم تحدهك وأنها لا تزال تحبك دون سواك ، أفلا ترى حتى في هذه الحالة أن حبها بعيد جد البعد عن الكمال وهو حب بشرى حقير يتحكم فيه خبث هذا العالم وأصاليه ؟ أفنتكر أن هذه المرأة قد استسلمت قبل ما نلتها أنت إلى رجل ورجال وأن غيرك سينالها بمدك أيضاً ؟

ارجع إلى رشذك ! إن ما يدفعك إلى اليأس الآن إنما هو اعتقادك بكمال كنت حليت به من محب فاذا هي ساقطة لا حلية لها

ولكنك إذا ما رأيت اعتقادك على حقيقته وانضج لك أنه توهم واعتار بشرى تدرك أن لا فرق بين العقوط دركة وبين التدهور دركتين على شفير الميوب البشرية

إنك لن تستطيع أن تنكر أن حبيبتك قد نالها غيرك قبلك وسينالها غيرك بمدك أيضاً . ولكنك ستقول لى إنك لا تهتم لهذا ما دام حبها . أما أبا فأقول لك إذا كان سواك قد تمتع بها فما بهمك أن يكون وقع ذلك في الأمس أو منذ سنتين ؛

الكأس هي الكوثر التي تشربه . وهكذا ان
تفجع اذا ما رأيت هذه الكأس عظيمة أمامك
في إحدى الليالي ، وما المرأة الا وءاء من صنعة
الخزاف سريع سقوطه وسريع تحطمه

وجه شكرك لله لأنه سمح لك بأن تلح السماء ،
فلا يخذعك في جوانحك خفان تحسبه خفوق
جناح ، فان الأطياف نفسها لا يمكنها أن تحترق
السحاب وفي الأعلى طبقات لا هواء فيها . أفما
رأيت القنبرة ترتفع حلقة إلى مسارح الضباب وهي
تفرد لترتقى . بعد تحليقها ميتة إلى أخايد الحقول
اكرع من الحب ما يكرعه الشارب المعتدل ،
وليك أن يصبح سكيراً

إذا كانت عشيقتك أمينة غلصة ، فأحبها
من أجل أمانتها وإخلاصها ؛ وإذا لم تكن فيها
هذه الصفات وكانت فتية جميلة ، فأحبها من أجل
فتوتها وجمالها ؛ وإذا لم يكن لها من مزية سوى
الملاحة وخفة الروح ، فأحبها من أجل ذلك
أيضاً ؛ وإذا لم يكن لها شيء من جميع هذه الصفات
ولها تعلقها بك فلا تمتح حبك عنها ، فتا يمد الرجل
في كل مساء امرأة تتمشقه

وإذا ما عرفت أن لك مراحاً في حب من
تهوى فلا تشد ناصيتك ولا تمن أنك ستفصر .
إن غرورك يخذلك فيخيل إليك أن حبيبتك
تخونك بالتصاقها بسواك ، غير أنك إذا عكست
نظرتك المكذوبة فقات في نفسك إن حبيبتك
تخون مراحك بالتصاقها بك ، فأنت ترى النصر
في جنبك لا في جنبه ؛
إياك أن ترسم لنفسك خطة تلزم سلوكها ،

الناس وبخسب تأثير الساعة ، وما تناولات من
مشروب مع عشائك

إن النساء يستلمن إليك أيها الصديق لا
لسبب الا لأنك في شرح الشباب التفتد ، ولأن
استدارة وجهك لا عيب فيها ، ولأن شعرك مسرح
باعثناء ، ولكنك لا تصافك بهذه الصفات لا تعرف
من هي المرأة

إن أول ما ترى الطبيعة إليه إنما هو استبقاء
النوع ، لأن الحياة أينا تجلت من قم الراسيات الى
قعر البحار تفرع من الموت وتفر من الفناء ،
وما فرض الله هذا الناموس إلا استبقاء خلقته
فوضع اللذة المظلي في الاتصال الجنسي بين الأحياء
إن التخييل يرمش غرباً عندما يرسل الى أثناء
ذرات الحياة يحملها جارفات الرياح . وإذا قاومت
الوعل أثناء فانه لا يبي ينطرحا حتى يقرها .
والحمامة تنتفض تحت جناح زوجها كأرق
المشيقات احساساً

وهكذا الرجل ، عندما يضم رفيقته بين ذراعيه
ألمع عظيمة هذا الوجود يشمر بالشرارة للألهمية التي
خلق منها تهب مشغلة في صميم فؤاده

أيها الصديق ، إذا ما ضمت إلى صدرك امرأة
ملؤها الصحة والجمال وشعرت بسكرة الفرام تفجر
الدمع من مأكيك ويطلود في صميم فؤادك يدفع
إلى شفتيك بالقسم تفره زفراً بثبات حبك إلى
الأبد ، فلا تكبح جماع نفسك حتى ولو كانت
المرأة التي تضم بين ذراعيك من بنات المواخير .
ولكن حذار : ألا تميز بين الحجرة التي تكرعها
والتمل الذي يسود مشاعرك منها ؟ ولا تحسبن

أنفسهم آلات حرث وزرع . فليس هنالك شعور مستمرة ولا أصباغ ولا أدهن ؛ غير أن الشق عندهم سليم من الحرج فلا يحجل لهم أنهم في إقتربهم يكتشفون عالمًا جديدًا . وإذا كانت نساؤهم عرووات من الحس الزهف في الشهوة فانهن سليات من الملل ؛ وإذا ما خشنت ملابس أيديهن فان خشوتها لم تتطرق إلى قلوبهن

لقد ذهبت الحضارة مذاهب لا تأتلف والنظم الطبيعية ، فان الذراء الكاعب سجيئة وراء الأقدال وهي مخلوقة للشمس والهواء الطاق ، ومن حقها أن تشهد مصارعة الشباب كما كانت تفعلها بنات لاسيدوغونيا ترجع حرة وتحب غنثارة ، ولكن سجنها لا يحول دون تطرق المشق إليها ، فانها تجد القصاد في وقوفها أمام مرآتها فيدب إليها النحول من جودها ويذوي في سكون الليالي جمالها المحتنق متشوقا إلى الهواء إلى أن يأتي يوم تحب فيه من سجنها فجأة وهي لا تعرف شيئًا ولا تحب شيئًا وتنتهي كل شيء . وتتولى إحدى المتعاضد تعليمها بالقاء كلمة سفينة في أذنها ، ثم تؤخذ بيد هذا الدرس لتلقى على فراش رجل مجهول يفتصبها اغتصابًا ذلك هو الزواج أو بالأحرى ذلك هو منشأ الأسرة المتعدية ...

وتمر الشهور فاذا بالفتاة تقذف إلى الوجود بطفها ، وإذا بشمرها يتساقط وبصدرها يتدلى فوق جسم شوته التجاعيد

لقد فقدت هذه السكينة جمال الماشقات قبل أن تمسق ، فهي لا تعرف لماذا جلت ولماذا أصبحت أمًا

فلا تقل إنك تريد حبًا مطلقًا لا شرك فيه لأنك إذا ما قلت بهذا البعدا ستعطر ، وأنت إنسان متقلب بالطبع ، أن تستدرك خطأك فتضيف إلى قولك كلمة (على قدر المستطاع)

كن راضيًا بالزمان كما يحب ، وبالهواء كما يحب ، وبالمرأة على ما هي عليه

إن المرأة الأسبانية وهي من الطراز الأول في النسوية ، تحب بلا شرك ، فقلها غلص مضطرم ولكنها تخفى خنجرًا تحت أثوابها فوق هذا القلب . والابطالية تنقد شهوة ولكنها تفتش عن عريض التنكبين وتقدر قدر عشيقها كما يأخذ الخياط قياس زبائنه . والانكازية متحمسة تستسلم للكآبة ولكنها باردة متمجرة . والألمانية رقيقة الشعور ولكنها باهتة جامدة . أما الفرنسية فهي ظريفة رشيقة ولكنها أكذب من الشيطان

لا تلق على المرأة تبعه ما هي عليه ، لأننا نحن أوجدناها في حالتها بنشوبها في كل ساحة ما أوجدته الطبيعة فيها . وما الطبيعة بغافلة في عملها فانها تمد الذراء للمشق حتى إذا خرج الولد من أحشائها تساقط شمرها وهبط نهدها واحتفظ جسمها بآثار جراحه ، فالمرأة لم تخلق إلا لتكون أما ، ولقد يعتمد الرجل عليها بعد أن تكون أدت مهنتها فيستغفره الجلال الفقود ولكن طفله يتعلق بأذياله ويشده إلى مسكنه باكيًا . هذى هي الأسرة وذلك هو الناموس الطبيعي وما يهتدى إلى السبيل السوي من تحول عنه

إن فضيلة أهل القرى قائمة على أن المرأة في مجتمعهم إنما هي آلة للتوليد وللإرضاع ، كما أنهم هم

تلقين هذا الفتى ما تلقنته هي من الحياة ، فتقتضى عليه بالألا يحب طوال عمره

هذه هي المرأة كما أردناها ، وما عشيقاننا إلا من هذا الطراز . ولكننا نغضى مهموز أطيب الأوقات . فاذا كنت ذا حزم ولك ثقة برجولتك ، فاتبع ما أشير به عليك . استسلم بلا وجل لتيار الحياة . تمتع بينات الحانات والمواخير وبسيدات البيوت والقصور . كن ثابتاً ومتقبلاً . كن حزيناً ومرحاً في وقت واحد ، ولا تبال أضعفك المرأة أم حفظت همدك ، ما دمت واثقاً من أنها أولئك حبا

إذا كنت رجلاً عادياً لا مزية لك ، فكن محترساً في اختيارك . وعلى كل لا تضع نصب عينيك أية صفة من الصفات التي تتمنى وجودها في عشيقاتك أما إذا كنت ضعيفاً وفي فطرتك صفات السوء لا مزاي السيد ؟ وإذا كنت تشمر أن في جذورك اندفاعاً الى التفلقل حيث تثر بحفنة من تراب ، فالأجدر بك أن تتخذ عدتك للمقاومة لأنك إذا ما استسلمت لضعفك ، فلا تتوقع نحو فروعك حيث علقت أصولك ، لأنك ستجف كالنبته البلية لا تورق أغصانها ولا تنور أزهارها ، فينسرب نسغ حياتك الى الجذوع القريبة وتبقى أوراقك كأوراق الصفصاف باهتة مراخية بفرأ . وعندئذ لن تجد ما يرويك غير دموعك وما ينفذك سوى قطع قلبك

أما إذا كنت متحمساً تؤمن بالأحلام وتطامح الى تحقيقها فاني أقول لك بكل صراحة : ان الحب وهم لا حقيقة له

يقدم الطفل لهذه المرأة ويقال لها : أنت الآن أم ، فتجيب قائلة : لست أمًا . إذهبوا بهذا الطفل الى مريض فما في مديني لبن له وهل بدر اللبن صدر مثل هذا الصدر المقتصب ؟ ويؤيد الزوج هذا الرأي معلناً أن تعلق الطفل بأمه ينفره منها

تجلس هذه المرأة على سرر رخاضها الداني فيوئى بالأطالس وتبذل العناية لشفاها من داء أمومتها ، وما يمر الشهر حتى تراها تجوب السارح وتنتقل من مرقص الى مرقص ، ويرسل الطفل الى مريض في إحدى القرى ، أما الزوج فيدبل الى المواخير تحت جنح الظلام

ويدور بالمرأة عشرات الشبان يتدفق بياهم بكلمات الحب والاخلاص والوله والعتاق الدائم فتسمع من أفواههم كل ما كان يدور في خلدها فلا تلبث أن تختار أحدهم لتضمه الى صدرها . ويندفع هذا المختار الى تدنيسها ثم يتحول عنها ليداعب الحظ في مؤسسات القراطيس المالية

قضى الأمر فليس لهذه المرأة أن تعود أدراجها ، تستخرط في البكاء ليلة ثم ترى أحداثها حمرأ مما ذرفت من دموع ، فتتخذ عشيقاً آخر تسلو به هما فيسلمها الثاني الى ثالث الى أن تبلغ الثلاثين أو تتجاوزها ، فيذب الفساد ضامياً فيها حتى على الاشمئزاز ، وتصادف في ليلة من ليالي جوحها يافكاً يتدفق الجلال من عيائه وتتدلى طرته السوداء على إشراف جبينه . ترسل عيناه شرارات الحياة . وتتحقق في فؤاده الأماني المذاب ، فترى فيه خيال شبابها وتذكر ما تحملت من شقاء ، فتسارع الى

مُزاجهم وخيانة زوج والنكابة بمشيق
أجل تما المحبة في نظر ناسنا إلا التاهي
بالأكاذيب كما يتلعى الأطفال بلعبة الكمين. تلك
هي غشاء القلب وهي أقبح من الدعارة الرومانية ،
وذلك هو المسخ المولود سفاحاً من الفضيلة والرزية ،
تلك هي مهزلة الحياة التي تمثل بالهمس والنمز حيث
يتجلى كل شيء صغيراً لا شكل له في رشاقتة فكانه
تمثال صيني ملحقه من عجائب المخلوقات ؛ تلك هي
الحقيقة تتحكم في الجبال والقيح وفي كل ما هو
ساوى وجهمنى في الأرض ؛ تلك هي الأغلال
التي لا حقيقة لها ، بل هي رمة المظالم تتداهى من
كل هيكل أقامه الله في الحياة
هذا ما قاله ديجنه فتعالى أمامى نبراته الازدعة

تحت جنح الظلام

فنيكس فارس

(يتبع)

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لأمريتين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشاً

وما أنا بتذكر عليك صحة مذهبك في الحب
لأنه عبارة عن أن يهب الانسان جسده وروحه
مكاً ، بل هو اندغام شخصين في ذات واحدة تتمشى
تحت الشمس وتجوول في الحقول المزهرة تلتف
بأربعة مصاصم وتفتكر برأسين وتشمع بقلبين

ما الحب الا ايمان وعقيدة بوجود السمادة على
هذه الأرض

ما الحب الا المثلث المتألق بالنور على قبة هيكل
الوجود ، فاذا أنت أحببت مشيت حراً تحت قبة
هذا المعبد والى جنبك المرأة التي لا يفوتها ادراك
سبح خشوعك عند وقوفك لفكرة تخطر لك أو عند
زهرة تلمحها فتتوجه بنظرة استغراق الى هذا
الثلث الساوى

إن خير ما في الوجود هو أن يتمتع الانسان
ببذل ما أعطى له من قوة ، لذلك كانت البقرة
أروع ما يستهوى النفوس ، ولكن اذا ما ضاعف
الانسان هذه القوة بضمه فكراً الى فكره عاطفة
الى عاطفته فانه ليلبغ السمادة العظمى وفيها يتناهى
ما وهب الله للناس في هذه الحياة ، لذلك كانت
المحبة أفضل من البقرة

تلك هي المحبة فقل لى الآن اذا كانت هذه
ال عاطفة العليا هي ما نسميه محبة في قلوب ناسنا
وكيف يكون جهن حياً وما المحبة في نظرهم
إلا الخروج مقنعات من بيوتهن وتوجيه الرسائل
السرية والسير بذعر على رؤوس الأقدام وإنشاء
الدسائس وبذل التهم ورشق الحياض الفواتر
وارسال تهديدات المغارى. وارتداء الأثواب النفيسة
وخلع هذه الأثواب أخيراً وراء الأقفال لاذلال



هوميروس



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

في أسيرة العشاق يتآمرون

منهضة ماقدرم

« سقطت طروادة وعاد كل الهاربين من اليونان إلا أوديسيوس نطعن أسراء الأقاليم المجاورة في زوجته الجليلة بنلوب وحاصروا بيتها ، وأحزن ذلك إلهة الحكمة مينرغا — أو باللاتينا — غرضت ابنه تلياك على أن يقف في وجه العشاق ، وأن يهرى إلى ييلوس ليسأل أميرها لسطور عن أبيه وأبحرت هي معه في صورة أمير البحر منتور وهو لا يدري أنه هي ... وأكرم لسطور وفادة تلياك وقس عليه ما كان يعد سقوط طروادة وأرسله مزمزاً مكرماً إلى أسبرطة بعد أن أيقن أنت منتور أمير البحر الذي يصحب تلياك إن هو إلا مينرغا . وقد ذهب تلياك مع أكبر أبناء لسطور إلى أسبرطة ليسأل ملكها منالايوس — زوج هيلين التي كانت سبباً في حرب طروادة — من أبيه »

وصل الركب إلى أسبرطة بعد أن غور في

وهاذا وأحمد ، وانطلق تلياك وصاحبه من فورهما إلى باب منالايوس الملك حيث وجدا ، لحسن الطالع ، وجوها مسفرة ، وجواهر مستبشرة ، وموسيقى تصدح ؟ ومنشدن يرددون أناشيدهم ويرسلون أغانياتهم ، ووليمة ملكية حافلة اجتمع لها الملك وأبنائوه وخلصاؤه ونداماه ، يأكلون ويشربون ويسمرون ويتطربون ... ماذا ؟ لقد اجتمع القوم من كل حدب ، وأقبلوا من كل صوب ، يحتفلون بأبني الملك : بابنه الذي زوجته أبوه من أجل غادات أسبرطة وأكثرهن وسامة وقسامة وقتنة ، ابنة ألككتور العظيم — ثم بابنته المفتان العيوب الطروب التي رزقها على كبر من هيلين ، والتي نافست ببهاها ودلها هرميون ابنة فينوس

وما كادا يجاوزان الوصيد حتى لهما إيتيون ، كبير أمناء الملك ، فانطلق إلى مولاه وحده عنهما ... « إن لها لمهاة وإن عليهما لرواء ، فهل

إلا عن قصر سيد الأولب في شفاف جبل إيدا !!
أية ثروة وأي كثر !!

وسمعه منالايوس الملك فقال :

« بنى لا تقترن أحدا منا - نحن بنى الوق -
الى سيد الأولب ، وأنت على حق حين ترى أن لأحد
ملك ما أملك أنا من أذخار وكنوز ، فقد سحت
في أقصى الأرض سنين عددا ، وجمعت الدرر
النوالى من كل فج ... من كريت وقبرس وفينيقيّة
ومصر ، ومن أثيوبيا وإرمي ... ومن صيدا
ولوبيه ... ورؤوس الشاء والوعل هذه ... الوعل
الوحشى السائم ... والشاء التى تمدنا بخيرها بشير
حساب ... لقد طوفت في الآفاق وتركث في كل
منها ذكرى . ولا غرو ، فقد نبأكم أبأؤكم بذكر
منالايوس الملك الذى دك الماقل وهدم القصور ...

ما أنس لا أنس هذا القصر المتيد الذى جمعت
عاليه سافله بما فيه من أذخار وقنى ، وددت لو كان
في قصرى شيء منها ، وود الأغر يق لو حصلوا في
بلادهم جميعا على بعضها ؛ هناك ؛ هناك تحت أسوار
طروادة يا صاح ؛ يا وىح نفس ؛ يا رحنا للإصداق
الأحباء الأعزاء الذين ناموا نومة ... لشد ما أسلى
النفس عنهم بالتأسى ؛ لشد ما يندلع الأسى في قلبى
عليهم جميعا ، ولا سيما صفيى وخليل وأهز أوداى
على ... أوديسوس !! أوديسوس الكرم ؛ ليت
شغرى يا صديق فيم شطت بك النوى وطال عليك
الأمد ؟ أمى ترزق ؟ أم نويت في بطحاء بلقع ؟
يا وىح لك ، ولأليك الشيخ ، وزوجك اللتامة ،
وابنك المحزون اليتيم تليباخوس ، الذى غادرته في
الهد ما بلغ الفطام ، الى حومة الوحى وحلبة
الحمام ... » .

يأذن لها مولاي أم يأسر فتردها من حيث أقبل ؟
وأوما الملك برأسه الكبير الذى يزيد في وقاره
وحسن سمته شمعه الذهبى ، وأمر إتيون أن يذهب
اليهما ، يسير بين أيديهما إليه إذ كيف يرد
عن طماى الغرباء ، وقد طعمنا طويلا زاد الغرباء
ودعا إليه إتيون طاقفة من الخدم وذهب الى
الوافدين الكريمين غنيا وسلم ، وحل اللجم وأنخ
البُهم ، ومضى بهما الى داخل القصر من طريق
يشرف على مكان الحفل وترى منه الجدران التى
ازدانت بأحسن زينة ، وقبة العرش التى تلالأت
في الأنوار الوضاء والسرُج الواججة ... ثم لقيتهما
فتيات من عذارى القصر قدنهما الى الحمامات
المرصية الباذخة فاغتسلا وتضمخا ولبسا ثيابا
ملسكة ثم ذهبا للقاء رب هذه الدار .

وهش الملك لها وىش ، وأجلسهما الى جانبه
على مقعدين وثيرين ، وهما في دهش من ذاك النظر
العجيب . وأقبلت فتاة قصبت على أيديهما الماء ،
وذهبت فأحضرت مائدة رائمة منسقة ، عليها قدر
غير قليل من أنجر الأشربات وأشهى الآكال ،
ووقف خادم آخر يقدم طبقا بعد طبق ، وكأسا
من ذهب بعد كأس من ذهب ، والملك فيما بين ذلك
يبالغ في إنباسه لها والحفاوة بهما ، ويُنظرهما حتى
يفرغ من طعامهما فيضبرانه عن أمرهما ، وكان يتلطف
فيقدم لها قطعاً من شوائه بيده .

وسار تلكا صاحبه فقال :

« بيزستراتوس يا صديقى ؛ ما أجل وما أنغم
وما أدوع ؟ ؛ هذا الحفل الباهر يتأتى في الذهب
والفضة والماج والكهرمان ودروع النحاس ؛
أبدأ ما ترى العين مثل ذلك ، ولا تسمع الأذن

روحه ، في ثيابه من المم »

وانتهز ابن نسطور الفرصة فقال :

«حقاً أيها الملك إنه هو ، ولكنه نجول حيي ،

ولقد أوشك حياؤه أن يمنعه من لقائك ، وقد هاج

تباريحه ما ذكرت عن أبيه . أما أنا ، فإني ابن

نسطور صديقك الآخر ، وقد أصرني أبي أن أحجب

تلباخوس إلى هنا عسى أن يسمع خبراً عن أبيه

الذي ذهب يذرع الأرض ، ولا يعلم أحد أيان قد

ذهب . . . وهاك ابنه المسكوب يهتج أشجانه ،

وتطحن فؤاده أحزانه . »

وشده البطل - ذو الشعر الكهرماني -

فقال :

« يا للآلهة ! أهكذا أفاجا بقاء ولدي ! أنت ؟

أنت ابن أوديسيوس الذي شق طويلاً بسبي ،

وبذل نفسه من أجل ، وما يزال يناضل الزيلات من

جرائي ؟ كرامة وجبايا ابن خير الأصدقاء ! لو عرفت

أنك تسمى للقاء لشدت لك مدينة في أرجوس نتية

على المدائن وترى على القري ! ورفعت لك عماد

قصر منيف طالما كنت أخاله يؤوبنا جميعاً فسمعنا

سعادة لم يحلم بها قوم من قبل ومن بعد . . . وثلاث ،

أما وأبوك وأنت ، وجميع أهلي وأهله ، ذكريات

الماضي المترع . . . آه يا أوديسيوس ! لقد طاشت

الأحلام وذابت الأمانى ، وقمت عليك السماء . . .

فخرمتك كل شيء ، حتى الأبوة إلى أرض

الوطن ! »

وأطارت كلمات الملك شجون القوم ، فبكى

تلباخوس ، وأذرفت المسكة ، وانجس الدمع من

عينى بيزستراتوس حين ذكرت طروادة فأذكرته

قتل أخيه تحت أسوارها ، ثم قال : « حسبك أيها

ولم يملك الفتى دموعه حين سمع هذا المتناف

باسم والده فنشج نشيجاً مؤلماً ، ثم استخرط في

البكاء ، وطلق يذرى شتونه في طرف ثوبه . . .

بين دهشة منالايوس وحيرة ، وذهول الحاضرين .

وانمقد لسان الملك فلم يسأل الشاب عن حاله ، حتى

أقبلت هيلين فجأة ، فتلفت القوم ينظرون إلى هذا

الرشا الذى يتنقى مياساً في ظلال من الفتنة كأنه

دياناربة القوس الذهبية . . .

واستوت على عرشها المنضد ، الذى أصلحته

يدا أدرستا وعناية أكلبي ، ثم أحضرت الطرف

والهدايا والى . . . فهذه سلة من الفضة المزخرفة

بالتصاوير هدية من ألكندرا زوج بوليب أمير

طيبة ، هموس المدائن المصرية ؛ وثلاث عشر يذر

من النضار الخالص ، وطستان من الذهب ، ودنان

من البريز . . . يقدمها كلها ملك أسبرطة إلى زوجه

البارعة الرائعة الحفياء . . . ونظرت هيلين إلى

الضيقتين الغريبتين ، وسألت زوجهما :

« ملكي ! نصدتك الآلهة أن تحبزي من

هذان ؟ إن أحدهما شديد الشبه بطفل أوديسيوس . . .

الصغير تلباخوس . . . الذى تركه أبوه صبيّاً في الهد

من جراء حرب اليوم المشتومة . »

وقال الملك : « وأنا مثلك يا هيلين ، لقد دار

بغلى ما دار بخلدك من أسر هذا الفتى ! ألا ما أشبه

الساقين والساعدين وتفر العنين واسترسال

العتين ^(١) بما كان لأوديسيوس ؟ ! لقد ذكرت

ما قسى صاحبي من أجل وفي سبيل تحت أسوار

اليوم ، فسرعان ما رأيت الشاب يبكى ويبالغ

في البكاء ، ثم يقبله حزنه فيخنى وجهه ، وفيه

(٢) الله الشعر الذى يجاوز شمة الأذن

لقد أزرى بي أن أفر راعمة فأهجر فراشي الطهور
وظلقت اليافعة إلى بلاد قاصية لانافة في فيها ولا
جل ... »

وأعذرها الملك ثم ذكر أوديسيوس فقال :
« أبداً ما رأيت أنبت جاشاً ولا أربط قلباً
من أوديسيوس ؟ وإن أنس لا أنس يوم الروع
الأكبر ، يوم فكر أوديسيوس وفكر . ثم دبر
هذه الحيلة المجيبة ، حيلة الحصان الموهلة الذي قهر
لنا طروادة في يوم أو بعض يوم ، وقد عينا بها
السنين الطوال . لقد اختبأ داخله فرسان هيلاس^(١)
الصناديد ، وكنت أنا — سقى الله الشباب —
واحداً منهم ، فما أنسى قط حين أقبلت في
عصبة ذوي أيد من مداويد الطرواديين (إذ هتف
بهم هاتب إن الحصان يحمل لهم شرأ ويطوى
لقربتهم ثبوراً) فجلت أنت تنادين بأسماء الفرسان
اليونانيين واحداً بعد واحد لئرى هل اختبأ منا
بداخله أحد كما تنبأ بذلك التنبؤون . والله لقد
كدت أرد عليك نداءك حينها هتفت باسمي ؛ والله
لقد أوشك زميلي ديوميديد رد عليك هو الآخر ،
لولا أن فطن أوديسيوس فخرنا وحبس ألسنتنا
الشقاقة التي كادت توردها موارد الهلاك ، لو أن
أحدنا خدع نفيس بينت شفة ... وأحسباً !!!
لقد صمتنا جميعاً ولكنك عاودت ، فما كدت
تهتفين باسم أنتيكولوس ، حتى أوشك المجنون أن
يلقي ، لولا أن كنتم أوديسيوس أنفاسه بكتائديه ،
حتى لكاد يزهق روحه !!! ولم يشفه حتى أبقنا
أنك عدت أدراجك ، وعاد معك القوم المنكرون »
ثم كان المزيج الأخير من الليل ، فتلطّف

الملك : لقد تذكرنا ، أنا وصاحبي ، جلائل أعمالك
فمرغنا فيك الملك الأجل ، والقدام البطل ، ولكن
ماذا تجدي دموعنا ؟ لقد ظالت يد الردي أخى وابن
أبي وأبي في سبيك كذلك ! ألا تذكر ؟ أنتيلوخوس
البطل المغوار والفارس الكرار الذي لم تكتحل
عيناي برؤيته ! أوه يا ابن أودودا القادر ، شلت
يداك بما فتكت بأخي ... »

وتعطف الملك فطبيب ابن نسطور بكلمات
عاليات ، وأمر الندمان فصب الماء على أيديهم جميعاً
ثم أخذوا في آكالمهم ، وصبت هيلين قطرات من
طيب مذهب للأحران في كأس تلياك ، وكأس
صاحبه ، لا يعرف من بذوقها إلى الأسى من سبيل .
وهي قطرات مجيبة أهدتها للملكة ، زوجة (ذون)
الأميرة المصرية بولندامنا ، وكم في مصر من سحر
مبين !

وتكلمت هيلين ، فذكرت ما كانت من
أوديسيوس يوم التقي الجمعان عند اليوم ، وكيف
استطاع أن يتسلل مستخفياً في ثياب شحاذ إلى
داخل المدينة المتيدة ، وكيف قابلها في حجرة
باريس ليطلعها على خطة اليونانيين ، وما كان من
رجائه إياها ألا تقضه عند أعدائه حتى يمود سالماً
إلى معسكره ونعيمه ، وأنها برّت فلم تنه أحداً
بوجوده . ثم رأت أن تتصل من فضيحة فرارها
مع باريس فادعت أنها كانت مسوقة إلى ذلك برغها
لأن فينوس كانت قد سحرتها عن نفسها (لما
وعدت به باريس من أنها ستبه أجمل غادات
هيلاس إذا هو قضى لها بالفاتحة^(٢)) . « واخجلتاه !

(١) الأليافة — قضي باريس بالفاتحة لفينوس وحرّم
منها منيراً وجيرا وذلك سبب عدائهما لطروداديين

(٢) اسم يونان القديمة

ينافس بعضهم بعضاً في كبر وزهو وخيلاء... من أجل زوجه !! يا للعار ! إنهم استباحوا كل شيء... كل نفسه وكل شأنه ، ولم يمسوا آخر الأمر عن عرضه . انى أستجبرك يا مولاي وأضرع اليك أن تخبرني عما تعلم من أمر أبي ؟ هل قضى تحت أسوار اليوم ؟ أم ظانته يد المنون في ركن آخر من أركان الأرض ؟ لقد كان خليلك وصفيك وأثر أصدقائك ، وأعز أودائك عليك ، فبكل آلاء ذلك عندك أستعطفك أن تصدقني ... ماذا تعرف من أخباره ، وماذا عسيت سمعت من أنبائه ؟

وتنفّس الملك تنفّسه عميقة وقال :

« يا أرباب الأوبل ! أبلفت حقارة نفوسهم أن يفضحوا أوديسيوس في عرضه ؟ ألا باءوا بما صنعوا ! ألا ما أشبههم بهذه الرعلة التي أجدها الخافض فولدت في عرين الأسد ، فلما عاد الأسد إلى عرينه لم يبق عليها ولا على أغفارها ^(١) ! حنانيك يا آلهة زيوس ! ميترغا ! أبوللو ^(٢) ! أين هو فيعطش الجبابرة كما بطش بفيلوميليد السبي من قبل ؟ تالله لقد اقتربت ساعتهم وأزفت آرزفهم ... فطلب نفساً يا بني ، إلى منتيك بما علمته عن أبيك من (بروتوس) راعي الأعماق ، وكاهن الأغوار ضلت بنا الفلك بما نسينا من التضحية باسم الآلهة ، فبلطنا شعثان مصر ، ورسونا عند جزيرة فاروس ، بحيث كان في مقدورنا أن نرؤى من كوتر هذه البلاد التي تجري من تحتها الأنهار ،

تلياخوس واستأذن الملك في الانصراف ليأخذ كل نصيبه من النوم ، فتأذن ، وأشارت هيلين إلى وصيفاتها فأهرعن الى مخادع الأضياف ، فأصلحن فرشها ، وأعددن الملاحف والوسائد والحشايا ، ثم نهض أمين الملك ، ونهض في إثره يزاstratوس وتلياخوس ، حتى كان كل في غدعه ، وحتى اطمان كل في سريره ، وناما ... في ... سمور وفي قائم وفي سنجاب وتهاويل غير ذلك من الر

قم ومن سندس ومن زرياب ^(١) ونهض الملك والملكة كذلك فدخلوا القصر ، واستسلما لأطبيب الرقاد

وذرَّ قرن أودورا ، ربة الفجر ، في المشرق الوردى ، فهب الملك وأصلح شأنه ، ورف بإزته الأشهب فوقه على غاريه ، ثم مضى الى مجلسه حيث لقي تلياك في انتظاره ، غيماً وجلس وبدأ حديثه فقال :

« أي بني ! تلياخوس ! أيها البطل وسليل البطل ! فيم شددت رجلك الى هنا ؟ الى رحاب ليسديعون ^(٢) في فلات البر وسروات البحر ؟ الأمر عام ، أم لشأن يخصك ويتعلق بشخصك ؟ » وأجاب تلياك : « مولاي الملك ! متالايوس العظيم ! لقد جئت آتحمس خبراً عن أبي وأقبات أحدث عن أعدائه الذين آووا الى بيته فاي ريمون يستنزفون غلته ، ويهلكون حرثه ، ثم هم مع ذلك

(١) القصر لابن الروم لم نجد أحسن منه في ترجمة أبيات حور
(٢) من أسماء أسبرطة

(١) جمع غفر وهو ولد الومل
(٢) كان أبولو من خصوم اليونانيين في حرب طروادة ولما يدهشنا هذا النداء

تنتفله تنقبض عليه. وتشد وثاقه ، قائم يقفك على أبعاد هذا المم ، والطريق السوى الذى ينتهى بك . سالماً غامراً إلى بلادك . بل ربما - إذا طلبت إليه ذلك - وقفك على كل ما حصل فى بيتك من خير أو شر خلال سفرتك الطويلة ، لأنى أعرف أنك صفى السماء وجيب الآلهة .

غير أنى لم أدر كيف تستطيع أبدي بنى الموق أن تقبض على هذا الآله البحرى الكرم ؛ ولم أخف عليها ذلك ، بل حدثتها به ، وذكرت لها أنه ربما ولى دبرة إذا شعر من بهذه المحاولة فلا أستطيع لقاء بعدها أبداً . بيد أنها طمأنتنى ؛ وذكرت أن أباهل يخرج من الأعماق فى الظهيرة إلى جون قرب حيث يستلقى برهة وسط قطمان كثيفة من مجول البحر ، من ذرارى هاليسودنا الجبلية ، تأتى هى الأخرى فى أثره لتنام ثمة . . . « فإذا كانت هذه الساعة فأتى سأقودك بنفسى إلى

هناك ، وليكن ممك من رجالك ثلاثة هم أشجعهم وأكثرهم قوة ، وسأدلكم على منمرج آمن تنتظرون به حتى يكون قد غلبه الكرى ، ثم تنقضون عليه فتكبلونه وتشدون وثاقه ، وإياكم أن يرهكم بشيء أبداً ؛ إنه سيكون ثارة شيلاراييا ، وثارة سيكون نارا ترى بشرى كالقصر كأنه جمالات صفر ، وأخرى يكون أنموأنا هائل كبنف السم . . . ولكن خذوه أخذاً شديداً ولا تفتلوه فتهلكوا . . . قائم إن آنس فيكم قوة عاد فانتفض إلى صورته الأولى التى رأيتوه عليها ، ثم ترويه بمد ذلك أسلس قياده ، وهذا وتطامن . . . فإذا فعل ذلك سألكم عن حاجتكم ، فدعوا وثاقه وأطلقوا سراحه وسأوه ما شئتم ، قائم يجيكم عما تسألون . »

دربى فمشى

(يتبع)

ثم لبثنا ثمة عشرين يوماً لا تجرى بنا ريح ، ولا يره عنا نسيم ، حتى نفذ الصبر ، وفرغ الزاد ، وظلنا أنه الماد ، لولا أن رثت لنا إحدى عرائس البحر فبرزت إلينا ، وكانت لنا غوثاً أى غوث ، كنت أجلس وحدى فى منمرج بأحد أطراف الجزيرة ، وكان بقية صحبى وأكثر الملاحون يرتادون المياه بشصوصهم^(١) عسى أن يحصلوا على سمك طرى يكون غذاء لنا ، إذ برزت عروس الماء (إيدوتيا) الجبلية ، ابنة كاهن الأعماق پروتيوس ، ونهادت حتى كانت تلقانى ، ثم جلست بجانبى ، وحدثنى فقالت : « أيها النازح الغريب ! أكبر الظن أنك مذهوب بك ، أو أن بك مساً ، أو أن طائفاً من الجنون قد ألم بك ، أو أنك قد آثرت الشقاء السرمدى حيث لصقت بأرض هذه الجزيرة فما تنوى مضياً ، ولا تلتمس مخرجاً ، ولو هلك كل أصحابك ! »

ولم أبال أنى شدهت ، فسألتها قائلاً : حسبك ياردة ! إلى ما لصقت بأرض هذه الجزيرة بأمرى ، ولا أقت فيها عرسانى ، بل كانت ذلك قدراً على مقدوراً ؛ ولكن حبرى بمحقك إذ الآلهة تعلم كل شيء - من من أرباب السماء يحبسنى هنا ؟ . . . وهل مقدورى أن أرتد إلى وطنى فوق غوارب هذا اليم المضطرب ؟ . . . »

وقالت عروس الماء : « أيها النازح الغريب ! سأبذل لك فأصدقك ! إنك الآن مقيم بشطآن مصر التى تقع تحت إشراف أبى ، پروتيوس ، سيد الأعماق ، ورب المياه المصرية ، والمتصل برعايا نبتيون فى أغوار هذا البحر ، فإذا استطعت أن

(١) الشمس حديدية عقفاء يصاد بها السمك (السنارة)

بلى ! ليس الجبال في
المسالك ، إنما الجبال في
ظل القدم ، في الظل
اليوناني ، وفي الأم التي
يكنن إيقاعها وأوزانها
تحت الأرض ، حيث
تؤلف كل اثنتي عشرة
خطوة في الليل بيتاً من
الشعر

سيرة الجبال الهولندية

مسرحة شعرية في أربعة فصول

للدكتور الفرنسي ماريوس رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداي

الفصل الثاني

« قصر باريس يجلسون في الجزيرة على ضفاف النيل ،
القصر خال من كل شيء ، لا مكتبة ولا كتاب ، هناك
أزهار في آنياتها ، تمثال صغير في إحدى الزوايا ،
وفي الأعماق شرفة تطل على الصحراء كأنها تطل على
بستان من الرمال الذهبية للتوجهة . والرمز شفق ! »

المشهد الأول

باريس (على مفرد ممدود) وسانتيا شقيقته إزاءه
سانتيا — الجو جميل والفصل بهي . . .

باريس — ألهي هذه اللغات البيض البعيدة
سانتيا — هذه ممفيس كما تعلم وبنائيمها التي

تجري كأنها تجري من الأحلام
(يرى قرويان حاملات جراحهن)

باريس — روما ! إن تمائيك لا تبلغ مثل هذه
الروعة ! أراهن — وهن عشرين — كأن الحياة تسكاد
تدب فيهن . سانتيا ! ليس الجبال في أطواء الكتب .
لا تمثل الكتب شيئاً ؛ إنها ليست إلا الحدا !

سانتيا — أو بعض شيء ندى برشف !

باريس — (يرى النسوة كأنها يؤلفن صفاً من
الجبال لا يتصل عن البيوت) أليس هذا جيلاً حقاً ؟

سانتيا — إننا غادرنا من أجلك الحدائق
المؤرجة بالياسمين كالأزهار الندية ، وقد هجرت
الكتابة يا باريس ! فلماذا لم تعد تكتب شيئاً ؟

(يشير باريس بيده)

لاحق لك في الصمت ! إنني أسمع مكتبة الهاماتك ،
التي تتعرج من كتابك . أنت لا تستطيع أن تبق
هذا العنديل صامتاً . ألا تود أن تكتب شيئاً ؟
باريس — أبداً !

سانتيا — وهذه الأبيات ، وهذه الأغاني
الحادة المشوشة التي تنتهد في نفسك ؟

باريس — سأصرفها على ! بل سأطردوها
كأنها أظاف متشرد ! على أني في بعض خطراتي
لا أكتفك أني أسمعها صارخة شاكية راجية أن
تبقى وأن تحيا . يرجوني تهدي قائلاً : ضمني في
كتابك ؛ وألى الفتى يهتف في : « خلدي ! » وخفوق
قلبي يصيح : « دعني أبقى » . مع أن كآبات مساء
شاكية ، لأنها أضاءت أجنحتها ، تود أن تبقى خالدة
سانتيا — إنها الجرعة ! . . .

باريس — ذلك حسن ! على أني في الحقيقة
أعبد وأقدر هذه الآثار الرائعة المجيدة التي لم أقم بها
سانتيا — أتبكي ؟

كسرت قيثارتى وأصبحت لا أسف على شيء !
أقول لك : ما يهمني كل ذلك ؟ وهل الشجرة التى
عاققت يونيو تفكر فى ما تنأثر من أوراقها فى
الحريف ؟ إننى أحب هذه العزلة التى أحيانيها الآن !
قد بلغتنا الحيزة ليلاً كغرباء راحلين ؛ أنت
ومارسيلوس وأنا ، لم نجد من ينقل متاعنا إلا هذا
الفقير المصرى ؛ وكانت لسكل هذه الميول الممدودة
هيئة عينيك .. لاصحف ولا جلجلة ، ولا فتيان
ولا مصورون ! كل هؤلاء لم يشعروا سبيلاً إلى
الصحراء ولم يجدوا منفذاً إليها ؛ فهذه النخلة
المهملة لا تعرف أشمادى ، وأبو الهول الجبار يسخر
— فى أحماق الليالي العبرية — من هؤلاء المفسرين
أحاجى الحياة ، الجاهلين أحجيتهم المعجبة ولنزه
الغريب ، وإنى لأراني مفتوناً بهذه الظلمات الجديدة ؛
وبهذه النخلة التى لا تجعل منى رجلاً مشهوراً . . .
ما عساني أقول ؟ إن اسمي — هنا — شيء
مجهول ، ولا شيء من كل الجلبة التى قامت حوله
بلغ هذا المكان . كذلك الزهو الانساني يتلاشى
ويشمر بصناره وحقاره على أقدام الأهرام . لا أحد
يعلم اسمي ، ولا أحد يمس كلمة من كل ما صنعته

(يفتح الباب وتدخل فتاة مصرية وتخل أمامها
كاسها رمزاً خفي من رموز المدينة)

الفتاة — الشاعر إيجبلانو !

المشهد الثانى

الفتاة — (يتردد) :

الشاعر إيجبلانو

سانتيا — ولكن . . .

الفتاة — هذا هو ياسيدى

باريس — إنك واهمة

الفتاة — ولكنى جزت المدينة بمحاجى اللهب

لأحظى برؤيته ، والبيت الصغير الذى تمرسه نخلة

باريس — ماذا تريد منى ؟ على ؟ . . . إننى
أدرف الدمع تهاناً بلا انقطاع ! لقد كنت قبلاً
أعبر فى قصائدى الأولى عن فتوى ، ولقد كان
صراخى الزنات فى الليل مشرقاً ، أما اليوم
— يا سانتيا النعسة — ما عساني أصنع فى شعرى ؟
وأغنى المدهشة قد فقدت رقتها وأصبح أجملها
ما طفح بالدموع

سانتيا — إذا شدا العندليب فى شدوه رنة البكاء

باريس — فى الآلام الكبيرة لا يستطيع التناهد !

سانتيا — ألا نجد نفسك — خلال سكيتها —

أسفة على سماء إيطاليا وعلى ذلك المساء العالى الذى

نثرت فيه روايتك على الشعب الهامج

باريس — لا أسف على شيء

سانتيا — ولا على القطعة العريضة : ذلك الأثر

الذى لم يصد يجرى شيئاً . قطعه الممزقة صنعت

المدينة جماء ، ولم يبق منه إلا نسخة واحدة . إننى

فكرت فيه وفكرت فى تلك المرق التناثرة فى

الليل . هذا فؤادك يا باريس ! فؤادك الكثيب

الزاهق مرقته فى كل ورقة تطير ! ألا تأسف على

ذلك اليوم المقطوب ؟

باريس — لا ! وصنعت فى ذلك اليوم ما أصنعه

دائماً ، لأننى ما كتبت لحظة إلا ظارحاً فؤادى

على الناس . إننى غير أسف على شيء

سانتيا — ولكن ألا تأسف على صوت

إيزابيلا ؟ ألا تأسف على ذلك الكيان اللهب الذى

بنظرة واحدة منه عرف أن يصنمك ! إنها يا باريس

كانت إلهة فنك ؛ فهل تستطيع أن تفر من

صوتها ومن نظرتها كل دهرك ؟ وهل نسيت أنك

أصبحت تصنع أجل أشمارك لتشدو بها ؟

باريس — تلك كانت القيثارة التى يفتش عنها

فؤادى ، واليوم أصبحت غير محتاج إليها . لقد

لأنك مرفقها ، أنت باريس إيجلانو الذى أعبدته
باريس — ارحم قلبك فاني أحطمه
الفتاة — ولكنى رأيتك

باريس — شاعر كبير بالقرب منك ؟ هذا هو
أنا فلتتوق نفسك الطاعة ؟ هذا ما كنت تتمنينه
الفتاة — إذا كانت نفسك تريد فى كل آن
الجزء والسخرية ، فلا تفسد تلك الصورة التى
أحفظها لك ، فكل ما أنا مدينة لك به من بهاء نور ،
وقم عالية ، وكل ما أودعته فى صدرى من أحلام ،
ومثل أعلى ، وعظمة وجلال

باريس — أ كاذب وأضاليل !

الفتاة — المثل الأعلى !

باريس — إن هو الاقناع عتيق مرفوق !

الفتاة — لقد كانت غذاؤك لى خيراً من
الشهد والخبز

باريس — أسكتى ! لقد كنت كاذباً

الفتاة — واسكت أنت ، وليكن الآن
ما كان مجنوح ذوقك إلى الأسرار ، فانت رفعت
قلوبنا بأنيك وبكائنك

باريس — إنه لحد فارغ ؟ بل ليته كان لحداً !
إنه ليس بلحد ، وهل التندليب الذى يث شجواه
على الأغصان ينادى موسيقياً لينقل دموعه ، وذلك
الشقاء الأليم — بعد أن يبلغ القمة — ألا يسكت
إلى الأبد ؟ لا ؟ اننا لم نقل شيئاً عن حظنا الشئوم ،
ومن هذه المائدة الدامية لم يبق لك إلا البقايا

الفتاة — اننى سأقتع بهذا اللحد الفارغ ...
ولكن ماذا ! ان باريس إيجلانو حى يرزق ؟ فإ
يهمنى الليل والسكون الكدرى ؟ أنه حى ؟ أنه فى

صدر الحياة ، لن تكون الأرض خالية فارغة
(وتخرج وهو يتكلم على الطاولة كأنه مجنوب
بفكر سرى ، يفتح درجاً وينظر فى صورة ثم يضعها
أمامه ، ويكتب ... وتخرج سائتاً)

سوداء اجتذبتى كأنه معبد فى الطبيعة ، لأن لنا
قلوباً إن لم يكن لنا وجوه
باريس — خطأ !

الفتاة — نحن اللواتى نظل وراء أقنعة الكتابة
حتى فى النهار يأتي إلينا « الغرب » مع نسائم البحر
باريس — ولكنه لا يحيا هنا

الفتاة — تخطر صورته بين جوانحي دائماً ،
صورته المحبوبة ، صورة هذا الذى يُبكي عليه أشد
بكاء . بلى ! أهواه ، وكل قصيدة من قصائده المتهبة
تقدر أن تعبر عن نفسى بلهجة أوضح من لهجتي .
إننى أنطق مع آياته ، وأحس مع ذكرياته ، وأنالم

لهتافه ، وأحب مع تنهاته

باريس — ولكنه مات

الفتاة — (بلهفة) مات ! يا إلهي ! ليس ذلك
ممكناً

باريس — مات ؟ ولى الفخر بمعرفته ؟ لقد
كان لى صديقاً

الفتاة — مات ...

باريس — أنت تسكين ...

الفتاة — أحس أن الوجود كله أمسى محدوداً
باريس — (مخطئاً الصورة من بين يديها)

وهذه الصورة ...

الفتاة — أصونها وأقدسها منذ عامين

باريس — أنظري ما أنا صانع بها

(يزتها) والآن فأبكي أيضاً !

الفتاة — إلهي ...

باريس — أبكي الآن على شيء ؟ أبكي على
صورة ...

الفتاة — (مصدرة بصرها قليلاً فى وجه باريس)
هذا هو أنت ؟ فهمت الآن ، لا أحد يقدر على
أن يأتي بهذا التجديف الشيطاني ... أنت إيجلانو

أنت الذى شهدت صرعة الآلهة وشعبت مع

التيوم

هذه غيوم !

الأبدية هي البساط الذى تسحب عليه غمالك ،

وغذاؤك — حين تطلب الغذاء — أحلامنا »

(يتم الكتابة ، فيدخل مارسيلوس صاحب

الوجه ، يدنو من باريس وباريس ما زال يكتب

كالمنجذب بهذا الوحي . ينظره مارسيلوس ولجأة

يطرح باريس ماكتبه على الأرض حيث يرى

مارسيلوس)

المشهد الرابع

باريس — مارسيلوس !

مارسيلوس — ماذا تارادى عني ؟

باريس — لا شيء .

مارسيلوس — أشعراً ؟

باريس — (ناظر آ في مكان بعيد حيث يبدو أبو الهول

كفارق في الضباب الذهب)

ذاك من أجله ، لا من أجل هذا العالم القائم .

اليكها ! ها هي ذى مطروحة على الأرض !

مارسيلوس — أعنمها عن أخيك أيضاً ؟

باريس — وما عسى يجدي ذلك ؟ إنك تدرى

الشعوب التى تقنع به وجهاً !

مارسيلوس — ولكن ...

باريس — (يتناول منه كتاباً) :

فرجيل ، دائماً !

مارسيلوس — أتلوه بإحتمار ، إنني أعود

دأماً إلى طريق النور حيث فتح « فرجيل »

أجفاني . يخيل إلي أنه ينادي : « أنت مارسيلوس »

والشفق الذهب مغفور بالسلام المادى ، يظنوه

عليه صفاء وخشوع ، أعود دائماً إلى بيته النظام

القاتل « سستندو مثل مارسيلوس » فهل يا ترى

أحول يوماً ذلك الجوال الذى اختلسه الزمان من

المشهد الثالث

باريس — (منفرداً)

لا لا ... لا أستطيع

(قوة غريبة تدفعه الى الكتابة)

هذه هي المرة الأولى من بعد فصول فارغة

وشهور خالية . لماذا ، لماذا ، لماذا يا إلهي ؟

هذا الموكب القديم ؟ الكلمات ؟ وأية كلمات يجديني

نفساً ؟

نفيتك عني عشرين مرة أيها النجمة المساة

من عالم الآلهة ، لا أريد منك علي ، ولا أريد أن

اميل إليك . في هذا المكان المنزل لا أحد يشير

إلى أنك تنزلين على الأرض

لا كتاب عندي لا شيء ... الهواء ...

الفضاء ... الريح ! ومارسيلوس وحده يتلو

« فرجيل » حاكماً . ولا يدل هذا البيت على أنه

بيت شاعر ، وإنما يدل على واحة نفس قلقة ،

التهمة قلقتها

بلى ! هذا هو العنوان الوحيد الذى خلدها في

الوجود ، وهذه صناعتى الوحيدة ، إننى قلقي ...

فلماذا لا تزالين تمودين نفسى وتهيجيني أيها الآلهة

التي أكره زيارتها في كل أصباحي ؟ ولماذا توسوسين

لنفسى بأبيات جديدة ؟ لا أود أن أكتب شيئاً ؟

أفهمت ؟ إن فكرتى الحمية تذهب إلى أبعد من

عالم الكلمات ، وأما غادرت كل عالم التعبير والألفاظ

(يكتب بإملاء غير منظور)

« يا أبا الهول الأعظم ، يا وثن المدم »

الذى تدعوني إليك بعيداً من العالم !

الصحراء هي أوقيا توسك ، والكواكب هي

أحداقك !

تبدون لي كأنك علامة ساحرة !

خلال أعماق الأعصار والأعمار

كارسيلوس « وإن حفظه كله يتمثل في ذلك القند
(يتمتع قليلا وباريس يهز كتفيه بإسما ثم يعود
مارسيلوس على أثره)

مارسيلوس - نسيت أن أذكك شيئا عظيما .
على قيد خطوتين متى في الطريق أتطم أنى لمت
« إزيابلا موتى ؟ »

باريس - (بدعشة)

إزيابلا موتى ...

مارسيلوس - هي ذاتها

باريس - إلحى !

مارسيلوس - لم تكن وحيدة ، كان بتيهما
أرجائتي وجدهتا هيلين

باريس - إن هذا الجنون : لا أستطيع أن
أراها ... لا ! لا أستطيع ... إن الشاعر قد اتعحرف
نفسى ، وإننى أطرد كل ما يحدثنى الماضى عنه بلسان عذب
إزيابلا ... إنه اسم غدا بعيدا عنى ... إنها

هى التى فورت منها فرارى من القدر

(يقرع باب الحديقة)

مارسيلوس - آه هم أنفسهم

باريس - لالا ! لماذا ضمعت ؟ إن قاتى يزود
عنى إزاء الفن الى الأبد ... لتدخل ...

(مارسيلوس ينطلق لفتح الباب ويهز لحظة جامدا)

نعم ! لتدخل ! لقد كنت أخاف قبلا ، والآن
يتراعى لى كل شيء إزاء أبى الهول بخوار متلاشيا .

لأذهب الى لقائهما ، ولتأت وتطم أن كل شيء .

- حيث يقيم أبو الهول - سبحانه هابر ! إنها

أصبحت - عندى - لا شيء .

إزيابلا - (صائحة)

باريس !

(تتحد يداها ثم تسقطان على فراخ)

هذا الذى كان يكتب لى قبلا

فيلين هنراري

(يتبع)

مشله ؟ وهل أموت قبل أن أستنفد فكرتى ؟
قبل أن أضوى من الحياة وقبل أن أجد « فرجيلا »
يحمينى فى النهاية خالدا ؟

باريس - ولماذا تتكلم عن الموت ؟

مارسيلوس - أتطم لماذا أحلم به ؟

إنى إذا احضرت قبلك على هذه الرمال المحرقة ،

وإذا قدر لى أن أكون السابق وأنت اللاحق ،

وإذا قدر أن يكون للأصغر أصرا إرشادك إلى الطريق

فى هذه الظلمات حيث يهزم آخر فشل ، إذا قدر

لك يا أخى البكر أن تقتفى أنت قبس مشعل لتنزل

فى مثواك ، فأقسم لى بأنك تتناول القيثارة المهمل

الحطم قطعاً على الشاطئ بقلب شجاع . أقسم لى

بأنك تجملنى خالداً فى شعرك . إن جزع الموت

يخف على وقعه إذا جتئى خلاله وإذا قدمت واضعاً

على لحدى لكليلا من الفار ... أقسم !

باريس - (بإشمامة)

إنى مقسم لك ... ولكن لماذا يساورك هذا

الشك فى نصيبنا ؟ إننا سنموت معاً فى يوم لا زال

بعيداً ، نموت كهلين هادئين عارفين سره الأكبر

مارسيلوس - (متنبهاً)

إننى فى ريب من ذلك ؟ إننى لا أجد طريقاً

أمام قدى الفتيين ... ويخيل لى أن كل شيء منته

أو محدود ، ولكن هذا ليس له مجال غريب ؟

جماله بالأزى على هذه الأرض الصفراء التى طرحنا

عليها القدر ، لآزى من كل شيء إلا شبحاً ومميراً ،

لا نكتمل ولا نتألم ولا نحب . نرى كل شيء بعيداً

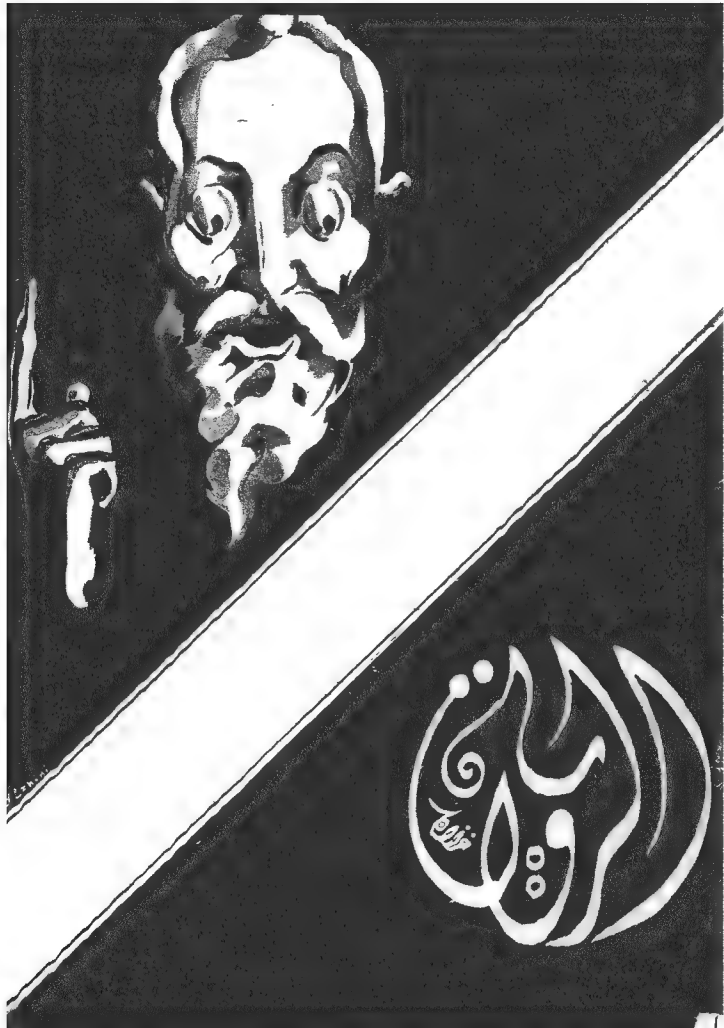
دون أن نألفه أو نأنس به . غير متروحين الا وردة

القند !

أخى ! ليس هذا القدر بقيق ، أقسم لك

على ذلك

يقول البيت الناقص : « ستنفدو أنت





السعادة

٣٣٠	الحامى	لمجى دى موباسان	بقلم أحمد حسن الزيات
٣٣٤	هاتف الهاوية	أقصوصة فرنسية	بقلم ف. ف. ف.
٣٣٦	كيف كنت عمأ	أقصوصة مصرية	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
٣٤١	مبارزة	لثعولا تيشوف	بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدق
٣٤٥	من القاتل	لأنفريد وارنود	بقلم الدكتور محمد الرافعى
٣٥١	فى سبيل الزوجة	لثوماس هاردى	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٣٥٧	يوميات نائب فى الأرياف	صنور مصرية	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٣٦٣	الساحر	لنشر لىكوف	بقلم الأدب نظى خليل
٣٧١	صيد السمك	للكاتبة الإنجليزية سرسفلد	بقلم الأدب حسن جسمى
٣٧٤	اعترافات فتى المصر	لأنفريد دى موسى	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٣٨٠	الأوفيسة	لهوميروس	بقلم الأستاذ دبرنى خشبة
٣٨٨	سر ألى الهول	لموريس رستان	بقلم الأستاذ خليل هندداوى

الأمين ، يؤدي كل سخرة ، ويلبي كل طلب ،
ويتنذل بنفسه للنائب في كل ما جل وقل من
غير كلفة ولا حرج

ثم اتفق في إحدى المفامرات البرلمانية
أن صار هذا النائب وزيرا ، فلم تمض ستة
أشهر على ذلك حتى عين جان مارين مستشارا
في مجلس الدولة

أصاب الرجل أول ما أصابه فكة من الصاف
والكبر طاش بها ليه وغاب فيها صوابه ، فكان
يجوب الشوارع ولذته أن يظهر
للناس ، كأنهم يستطيعون أن
يعرفوا المنصب الذي صار إليه ،
بمجرد أن تقع أبصارهم عليه .
وكان يتصيد المناسبات ويترصدهم
الفرص ليقول لصاحب الخانوت
وبائع الصحف وسائق المركبة :
أنا - ومنصبى مستشار
في مجلس الدولة - . . .

ثم شمر بعد ذلك بالحاجة
الملحة إلى أن يحمي غيره ، كأنما
اقتضاء ذلك الشموخ كرامة
المنصب ، وضرورة المهنة ،
وواجب القادر الكريم . فقدم
سندته وعونه إلى كل امرئ في
كل أمر ، وبسط عنائه في ذلك

الحجستاني

للكاتب القصة حتى رأى موباسان
بعضهم أحمد حسن الزيات

لم يكن جان مارين يقدر في حلمه ولا في وعده
أنه سيكون يوما على هذه الثروة وفي هذه المنزلة
وهو ابن محضر من محضرى الأقاليم . أرسله أبوه
إلى الحى اللاتيني يدرس الحقوق
كما يدرسها كثير مثله ، فكان
رحلئسا من أحلاس مشارب
البيرة ينشأها واحدا بعد
واحد ، حتى اتصلت أسبابه
بطائفة من الطلبة الرعائين الذين
يستفرغون أحداث السياسة
وهم يتعاطون أكواب البيرة .
واشتد إعجابهم بتخليطهم وولوعه
بمخاطبتهم ، فظلمهم في كل
مجلس ، وتبعمهم إلى كل قهوة ،
حتى كانت يؤدي عنهم ثمن
ما يشربون إذا كان في كيسه
فضل . ثم طالج الحماسة فلم يفز
في قضية من القضايا التي
دافع عنها



موباسان

حتى عفا على حاجة المحتاج وسؤال السائل . كان
إذا لمح في الشارع وجها يعرفه دلف إليه في لهفة
وهشاشة ؛ ثم تناول يديه وسأله عن صحته وحاله ،

وفي ذات صباح قرأ في إحدى الصحف أن
رفيقا من رفاق الحى اللاتيني انتخب عضوا في
مجلس النواب ، فأصبح له الظل اللازم والكسب

وقال له قبل أن يسمع الجواب عن سؤاله :

«تعرف أنني مستشار الدولة ، وستجدني إن شاء الله عند حاجتك؟ فقول علي بما شئت في غير ضيق ولا تخرج؛ والمرء في مثل منصب طويل الباع عريض المقدرة ثم يعمل بكل من يقابله هذه المقابلة ، ويسأله هذه المسألة ، إلى القهوة القريبة ، فيطلب فلما ودوا وورقاً من أوراق الرسائل « ورقة واحدة ، يا غلام ، فاني أريد أن أكتب كتاب توصية »

كان يكتب في اليوم الواحد من عشرة كتب إلى خمسين كتاباً في التوصية ، فلم يدع قهوة في العاصمة إلا كتب فيها ، ولا موظفاً في الحكومة إلا كتب إليه ، وكانت بذلك رخي الصدر موفور السعادة

ففي صباح يوم من الأيام كان في طريقه إلى مجلس الدولة فأمطرت السماء ، فراودته نفسه أن يركب مركبة ولكنه لم يفعل ، وأثر أن يبلغ مكتبه على قديمه . ولكن القيث انسكب مدراراً فشرقت به الطرق وغرقت فيه الأفاريز ، فاضطر السيد مارين أن يلوذ منه بأحد الأبواب ؛ وكان قد لجأ إليه قبله قسيس شاح المشيب في رأسه ولحيته . والسيد مارين كان يكره رجال الاكايروس ، فلما صار مستشاراً أصبح يحجمهم ، لأن أحد الكرادلة جاء في أدب واحترام فاستفاته في مسألة عويصة كان المطر لا يزال ينهمر غزيراً ، فدفع بالرجلين إلى ماوى البواب يتقيان به اللبل ، وكان في طبع السيد مارين حافظ يشبه الحكمة يفره دائماً بالكلام ليرفع من شأنه ويدل على نفسه ، فقال :

— هذا يوم فظيع يا سيدي القس

فانحنى القسيس الشيخ وقال :

— نعم يا سيدي ، وهو أظلم على من يقدم إلى

باريس يقضى فيها بضمة أيام

— آه ! أنت من الأتقيم ؟

— نعم يا سيدي وما أنا في باريس غير عابر ...

— لاجرم أن هذا الوابل المتهون ينقل على نفس

العابر الذي يريد أن يقضى في العاصمة بضمة أيام ؟

أما نحن معشر الموظفين الذين لا يرحلون طول العام فلا نكاد نمياً به ولا نفكر فيه

لم يحب القسيس وإنما أخذ ينظر إلى الشارع

وقد خف هطول المطر ، ثم شرع فجأة يشمر

مسوحه عن ساقيه يريد أن يعبر الطريق كما يفعل

النساء حين يردن عبور الجدول . فلما رآه السيد

مارين يريد الانطلاق صاح به :

ستبل نفسك يا سيدي القس ، فتمهل قليلاً فقد

أوشكت السماء أن تغلق

فوقف الشيخ التردد وهو يقول :

— أنا يا سيدي على حد عجلة ؛ وإن عندي

موعداً لا سبيل عنه ولا وقت له

فتبين في وجه السيد مارين الكدر ، وقال

للقسيس : إنك ستعبر الطريق لا محالة . ولكن ،

هل أستطيع أن أسألك إلى أى الأحياء تريد أن

تذهب ؟ فتردد الخورى ثم قال :

— إني ذاهب إلى جهة (الباليه رويال)

— إذن أستطيع ، إذا سمحت يا سيدي ، أن

أقبك اللبل بمطربتي ، فاني ذاهب إلى مجلس الدولة

وأنا مستشار فيه

فرفع الشيخ القسيس إليه أنفه وحل في بصره ،

ثم قال : قبلت يا سيدي ، وأعذكك جزيل الشكر

حينئذ أخذ بذراعه ومشى يجره ويسدده

ويرشده وينصحه :

« خذ حذرك يا سيدي القس من هذا السيل .

قال السيد مارين في اهتمام ولهفة :

— ولكنهم ياسيدي القس من صفوة أصدقائي ومن خيرة زملائي . وكلهم ظريف الطبع عذب الخلق . فاحل علي من أمرك ما تحب . وسأكتب إلى ثلاثتهم كتب التوصية بك لا ألوهم فيها تأكيذاً ولا شفاعة . فأقبل القسيس بشكرو ويمتدح ويتفرع والسيد مارين يقول له في غبطة وزهو :

إن من حقك أن تفخر بعنل هذا الحظ الناهض ياسيدي القس ؟ وسترى أن قضيتك بفضل ستمير من غير حائل ولا شاغل

فلما بلغا دار المجلس صعد السيد مارين إلى مكتبه وقدم إليه كرسيًا أمام المدفأة وجلس هو على مكتبه وطقق يكتب :

« زميلي العزيز ! ... اسمح لي أن أوصيك بخير أرجل فاضل من رجال الدين ومن أوفرهم كرامة وأكثرهم جدارة هو القسيس .. » ثم قطع الكتابة وسأل :

— اسمح من فضلك ؟

— القسيس سانتور

فعاد السيد مارين يكتب :

« القسيس سانتور ، وهو في حاجة إلى جميل عطفتك ونبييل قوتك في مسألة صغيرة سيحدثك عنها : أنا سعيد بهذه الفرصة التي سمحت لي بإزميلي العزيز أن ...

ثم ختم الكتاب بالتحية المعروفة ...

ولما حرر ثلاثة الكتب وطواها ألقاها إلى صنيته ومحيطه فأخذها ومضى وهو يلهج بالثناء ويلهث بالشكر

أم السيد مارين عمله ، ثم انقلب إلى بيته ، فقصى نهاره رخي البال ، وتام ليله قرر الجفن ، ثم استيقظ صباحه منشرح الصدر ، فدعا بصحف

اتق على الأخص مجلات الركبات ؛ إنها ترشك أحياناً من قدمك إلى رأسك . اجعل بالك لطريات المارين فلا شيء أخطر على الميت من أطراف حديدتها ، والنساء على الخصوص أشق على الساترين في ذلك ، فانهن لا يجفان بشيء ولا يلتفتن إلى أحد ، وقد يفرسن في حر وجهك أطراف مظلالتهم أو مطرياتهم . وهن عيشين لا يبالين كأنهن يملكن المدينة ، فهن يمكن على الأفرز وفي الشارع . وفي رأي أن تربتهن مهمة أو مغفلة .

ثم جعل المستشار الناصح بضحك والخورى الشيخ صامت لا يجيب ؛ إنما كان يسير عنى القامة يتحسس في عنابة وحذر موضع خطوه حتى لا بلوث نعله ولا ثوبه

استأنف السيد مارين الحديث قال :

إنك قدمت إلى باريس لتلهو فيها قليلا ولا شك . فقال له القسيس في سذاجة :

كلا ، إنما قدمت في عمل

— آه وهل هو عمل مهم ؟ وهل لي أن أسألك من موضوعه ؟ إذا رأيت أنى أنفك بنافمة فاني طوع أمرك

بدأ على الخورى الارتباك ونم حاله عن القلق فقال مغمما :

أوه ؟ إنها مسألة صغيرة شخصية ؛ هي مشكلة نافمة مع ... مع مطرائي ، إنها لا تمنيك ... مسألة داخلية من ... من ... نوع الكليروسى فبادره السيد مارين بقوله : ولكن مجلس الدولة هو الذى يقضى في مثل هذه الأمور . فاعتمد على في شأنك . فقال القسيس :

نم ياسيدي وأنا ذاهب إلى هذا المجلس . إنك طيب القلب جم اللودة . إن مسألتى بين أيدي السادة لوريير ، وسافون ، وبتيبا

ثم جلس فجأة إلى مكتب السيد (يتينا) وأخذ يكتب:

مولاي . أنشرف بأنت أرفع إلى عظمك
ثاني وقت ضحية الدسائس وأكاذيب نسجها قديس
يدعي ستور ثم فاجأ بها سلامة نيتي . وما زال يدور
من وراء خديعتي حتى هملني على أن أكتب
ولا أمضي الكتاب وغلفه الثفت إلى زميله
وقال له :

أرأيت يا عزيزي ؟ عساك أن تتخذ مما حدث
 لي درساً وعبرة . إياك أن تكتب كتاب توصية
 بأحد ! أسمع ؟
 (الزينات)

الى كل كاتب عربي في مصر وفي غير مصر :

المباراة القصصية للرواية

تشجيعاً للقصاص العربي تفتتح (الرواية)
مباراتها السنوية فيه هذه المباراة :

مباراة في الأقصوصة

جائزتها خمسة عشر جنياً مصرياً

بوزعها المحكمون على الفائزين الأول والثاني

الشروط

- ١ - أن تكون الأقصوصة شرقية الموضوع
- ٢ - » » » » بليغة الأسلوب
- ٣ - » » » » نبيلة الغرض
- ٤ - ألا تزيد على عشر صفحات من (الرواية)
- ٥ - ألا يتأخر موعد إرسالها إلى (الرواية)

عن آخر ماو سنة ١٩٣٧

لجنة التحكيم سنعلن عنها فيما بعد

الصباح فكان أول ما وقع في يده صحيفة انقلابية
(راديكالية) وكان أول ما قرأ فيها هذا الخبر :
« اكبر وسنا وموظفونا »

لا تكاد سينت الاكليروس تنفذ على
الاحصاء : هذا قميس يدعى سانتور قد ثبت عليه
بالدليل القاطع أنه ائتمن بالحكومة القائمة ، وأنه
اقترب طائفة من المنكرات نصون القلم عن ذكرها ؟
وقد اتهم فضلاً عن ذلك بأنه يسوعى قديم قميص
نوب قميس فاشي . ثم عزله مطرانه لأسباب
يؤكد الزاوون أنها غريبة . وقد استدعى إلى
باريس ليحاسب على هذا السلوك ، فاهتدى إلى
مدافع وارى الزناد حديد الفؤاد في مستشار يدعى
مارين لم يتخرج في أن يوصى بهذا الشرير الفاسق
جميع الموظفين الجمهوريين من زملائه . نسجل
هذا الخبر المريب ، ليرى معالي الوزير رأيه في
موقف هذا المستشار الغريب . . . »

لم يكذب السيد ماريـن بأني على آخر هذا الخبر
الصاعق حتى وثب فارتدى ثيابه وذهب يمدو يدها
إلى زميله (بتيـا). فلما رآه الزميل صاح به :
— ويحك ! أبلغ بك الجنون أن توصي بهذا
المؤتمر المعوز ؟

فأجابه مارين وهو من الجزع لا يملك قلبه
ولا يحد لسانه :

— حاشا حاشا اريدك ! لقد خُدت !
تظاهر هذا الخليف بالورع والنبل حتى خدعني ..
خدعني بهذا ؟ فأرجو أن يحكم عليه بصرامة .
لأننا نأخذك به رافة ... أما أنا فسا كُتب . قل لي
إلى من يني أن أكتب لأسأله أن يحكم عليه ؟
أنا ذاهب إلى النائب العمومي ... ثم إلى رئيس
الأساقفة .. نعم إلى رئيس الأساقفة ...

تتاف الهاوية

اقصصة فرنسية

واهتزت الصخور وفتحت الهاوية فأها ، فتساقطت الجنود فيها في أقل من لحظة ، وتراجع من بقي إلى الورداء وهم يسمون صراخ رفاقهم بصعد من الهوة بأعين يفتت الأكباد . وساد السكون بعد برهة ، فرجعت الوديان صدى عويل الشجعان ، وقد نواروا عن الأبصار في ظلام هاوية لا قرار لها

ومرت الساعات وقد عاد كل من الفريقين إلى معسكره واهى القوى ، وقد خارت المزامم أمام هذه الكارثة ، وتضعف الرأي في إنقاذ ضحايا الهاوية وعند الساعة التاسعة قبل الظهر دخل معسكر الفرنسيين رسول من قبل (ولنجتون) وطلب المثل أمام المارشال ناي ، وكان هذا منفرداً في مضربه غارفاً في لجج التفكير ينقطع قلبه حزناً . فتقدم الرسول ووقف بين يديه وقدم إليه رسالة من مولاه ، فأخذها من يده وتلاها كأنه مستفيق من حلم عميق ثم نادى أحد القواد وقال له :

— أعد فرقتك لتسير معي إلى الجبل
وما مضت دقائق معدودة حتى كانت الفرقة تتسلق الجبل بقيادة المارشال . فلما وصلوا إلى القمة رأوا ولنجتون في انتظارهم وحوله قواد جيشه ، وكلهم واجون . فقال ولنجتون لنأي :

— إنك مته ولا ريب بأمر الشجعان الذين ابتلمتهم هاوية الكوبا هذا الصباح . وأنت تعلم أن المداء يقف عند الكوارث ؟ فلنتعاون لمل بين رجالك ورجال أحياء يمكن إنقاذهم من هذه المينة الضماء وتقدم ناي إلى ولنجتون وصاحه قائلاً :

— كان علينا أن نفكر في هذا الأمر دون تأخير ، ولكن الاضطراب جمد دمي ، وهذه هي المرة

الأولى في حياتي التي أشعر بها برعشة الخوف وتقدم الجميع إلى فوهة الهاوية ، وكانت الشمس المحرقة تمكس أشمتها على الصخور البيضاء ، والهواء

كانت الجيوش الانكليزية معسكرة على قمة جبل الكوبا متحصنة في مركز منيع ، لا تحسب للحملة الفرنسية حساباً ، وكانت هذه الحملة تدور بقاعدة الجبل ولا يعلم قوادها كيف يتدبرون الأمر ، حتى رأى القائد الأكبر (ناي) أن يجمع الجيوش وينظمها ليقتذف بها الجبل المنيع . ودوت الوديان بصوت التنير الملن المجوم ، فاندفعت الكتائب تتسلق الصخور كأنها محمولة على أجنحة ترفعها رفعا في الهواء

وما مضت ساعة حتى كانت عساكر ناي وعددها أربعة آلاف مقاتل يمدق بالانكليز على قمة الجبل ، فذعر الجيش الرابط لهذا الهجوم المفاجيء فأصلوا المهاجمين من مبداهم نارا حامية ردتهم لأول وهلة على أعقابهم ، فلم يمد يدي على تلك المرتفعات المانقة الغيوم إلا أشلاء تتطاير في الجو ، ولم يمد يسمع إلا الأنين يخفقه إرعاد البارود يمتد بخضاه الكثيف قبابا تسمى العيون . وكان كلما أبدت للدافع صفاً من صفوف الفرنسيين يتقدم غيره من وزائه لينتقل الموت . وفندت الذخيرة ، فقسمت للدافع ، وبدأ الدخان ينشع عن الموقع ، فغشى الانكليز ارتداد الأعداء عليهم فعادوا أدراجهم مدبرين وارفع صوت المارشال ناي هاتفاً بجنتوده :

— هيا إلى الأمام !

فترا كفت الكتائب لاحقة بالأعداء معملة فيهم كسيف حتى بلغوا منحدر الجبل للجهة الثانية ، فارتجفت الأرض تحت أقدام التراجعين والمهاجمين

هذه الوهاد المميقة تخلص منه رجالنا ؟
وتقدم القس الى فوهة الهاوية ، ثم تراجع وقد
كلل جبينه البرق وامتعق لونه ، فقال أحد القواد :
لقد زلزلت الأرض فجأة تحت أقدام الجنود
فتدحرجوا في هذه الهاوية
وقال ناى : لقد سقط أربعمائة من شجعانى في

هذه الحفرة
وقال ولنتكون : وألف من شجعانى ابتلعهم
هذه الحفرة أيضاً
وعلى الخلع الاشارة على شفتى القس منتظرين
ارشاده ، فإذا هو يسقط جاثياً وتهمر من عينيه
الدموع وهو يتمتم بصلوات الأموات
وكان الجنود أروخا من الجبال اربعمائة متر ولم
يبق لديهم منها سوى عشرة أمتار ، فإذا بصوت
ضميف كأنه الممس خارج من القاع يقول : أروخا
الجبال أيضاً

وأرخت الأمتار الباقية وربط الحبل في
تنوء من الصخر ، فخرج من الهاوية صوت يقول :
لا يمكننى أن أقدم بمد ، إنى أسمع صراخاً
وعصفت الريح في القاع فأتقطع الصوت
متلاشياً في الهدر

وتقدم للارشال ناى الى الشفير ونادى بأعلى
صوته : أيها الشجاع ! ماذا تسمع ؟

وساد السكون ، والربعب ملاء النفوس ، ورفع
الكاهن يده وبارك ، فانكشف الرؤوس بمخشوع
وجثا الجنود مصليين وهم ينتظرون الصوت الأخير
وكان الشجاع الدلى بطرف الجبال لم يمد يقرى
على رفع صوته لشدة البرد في القاع العميق ، فدفع
حشيرة أخيرة أوصلت هذه الكلمات إلى الشفير :
« أسمعهم ينادون : فليحي الأباطور ... »
(ف . ف)

البارد يتصاعد من القاع السحيق . وأحنى القائدان
الكبيران رأسيهما ، فلما وجههما الاصفار ، إذ
وقعت أنظارهما في القمر البعيد الغور على لبد الظلام
وقال الارشال : يجب أن ندلى أحد الجنود
ليرى ما حل برفاقه . والتفت إلى أحد القواد قائلاً :
أحضر الجبال وانتهى برجل

وخرج من الصفوف جندي فرنسي طويل
القامة ، وهو يتشم مفتخراً بالتضحية في سبيل
إخوانه ، نخلع سترته ، وربط وسطه بطرف الجبل
الطويل ، وبعد أن رفع يده بالسلام أمام الارشال وضع
رجليه على فوهة الهاوية ، وبدأ الجنود يرخون الجبل ،
وعندئذ تقدم أحد الجنود الانكاز طالباً النزول
إلى الهاوية أيضاً ، فقال ناى ولنتكون : لا يرسل
في مثل هذه المهمة عدوان ، فقد يشنكان في
المتحدر بهراك يحول دون بلوغنا النتيجة التي نرتقبها
فأطرق ولنتكون وتراجع الجندي الانكليزي
إلى صفه . وكان الجنود يصلون الجبل بحبل آخر ،
وبثالث ورابع ، حتى شمروا بوقوف الجذب من
الأعماق . فنادوا جميعهم بصوت واحد :

— ماذا ترى ؟

فأجابه صوت الهاوية كأنه صدى بعيد :
لا أرى شيئاً ، أروخا الجبال أيضاً
واستمر الجندي على إرسال الجبال وقد خفت قوة
الجذب ، فاستدل القواد أن الشجاع يسير على مهل بين
الصخور متلصكاً سبيله على مفاوز لم تطأها أرجل بشر
وما مضت دقائق حتى أصبحت الجبال تلوح
في الفضاء كأنها لا تحمل شيئاً ، فوجم ولنتكون
وقال : أحضروا القس الذى وجدناه هذا الصباح
على سفح الجبل فله يعرف منفذاً لأخراج رجالنا منه
ومثل القس أمام القائدين فقال له ولنتكون :
أنت من أبناء هذه البلاد ، فهلا تعرف منفذاً بين



كيف كنت عمًا ؟

د. سنان إبراهيم عبدالقادر المازني

رنا

- « كن ملاكا ... »
 « بنبر جناحين ؟ »
 « وافتح البوابة »
 « آه ... أفتح البوابة لتخرج السيارة »
 « كيف عرفت ؟ »
 « بذكائي ... ألم أقل لك إنني ذكي ؟ »
 فرمت إلى نظرة من عين ساجية ثم قالت
 بابتسام تعالج أن تمنع أن ينقلب قهقهة عالية :
 « كن ملاكا ... »
 فوقع في روعي من ابتسامتها أن في الأمر مالا
 يدخل في طوق الملائكة ، فزمت ولم أقل شيئا ،
 وغالبت هي الضحك ثم قالت :
 « وكن اليوم عمي »
 « عم ... عم ... عمك ... ياخير ... ! »
 قالت : « اسمع ... إن لي صديقة تريد أن
 تخرج للقاء خطيبها ، ولكن أباه لا يدعها تخرج
 وحدها ، وقد اتفقت معها على أن أمرها لنذهب
 إلى السينما ... فهل فهمت لماذا أريد منك أن تكون
 اليوم عمي ؟ »
 فقلت وأنا أتوجع : « فهمت أني سأذهب
 إلى سينما لم تكن لي على بال ، وأنني سأمثل دورا لا
 أرتاح ... من هذه الفتاة ؟ »
 قالت - كأن هذا جواب السؤال - « جميلة
 جدا ولكن احذر أن تنازلها »
 فسألتها : « هل سأكون عمها هي أيضا ؟ »
 فضحكت وقالت : « ستكون عمنا اليوم ...
 واحذر أن تنقلب »
 « ولكن سأغلط على التحقيق . إن المومنة
 حادث جديد في حياتي ، فاذا اخطأت في تمثيل الدور
 فلا عجب لم أندرب عليه قط هل قلت
 خطيبها ... أم حبيبها ؟ »
 فقالت : « بإسلام ... وما الفرق ... ؟ فيء
 غريب »
 قلت : « صحيح لا فرق ... ولكن عمك ؟
 كيف يمكن ألا أغلط ... ثم إنها مهمة صعبة
 لا أشعر أني سأرتاح إليها »
 فقالت بدلال سليبي كل قدرة على المقاومة :
 « كن ظريفا ... كالعادة »
 فضحكت مسرورا وقالت : هل يسمح لي أن
 أكون عمًا ظريفا ؟ »
 قالت : « لا مانع . ولكن احذر أن تنازلها »
 قلت : « لقد شوقني إليها ... أغريتي بها . فهل
 هي حقيقة ظريفة ؟ ... أعني تستحق أن أرضى من
 أجلها وفي سبيلها أن أكون عمًا ؟ »
 قالت : « جدا ... موت ... »
 قلت : « يا حفيظ يارب ... والآن يا بنت الأخ

الله في عمره الى زمن غير زمنه ... » وقالت له :
أرجو ألا تكون درجات السلم كثيرة ... فانت
السلام تمنى ... جداً ...

فطمأنى الرجل وأكد لي أن الدرجات ثلاث
قط - ودار وعداً - وأشار الى حجرة ، وأوما
الى أن أدخل ، فإذا فيها فتانان - التي جعلتني معها
والأخرى التي سأكون معها - أغنى التي تريد أن
تخرج لتلقى حبيبها أو خطيبها ... سيان كما قالت
صاحبتى ... وحدقت في وجهها وأنا أسلم عليها
وأطلت النظر اليها وأقيمت يدها في يدي ، وأنا
أسألهما عن صحتهما ، وأنتى على بيتها وأدلهما الطريق اليه
وكانت كفها رخصة ووجهها حلواً سمحاً
وعيناها واسمتين ولونها صافياً وقدها رشيقاً

وجلس الرجل الى جانبي يحيني
ويرحب « هلم » ، وجاءت خادمة « بالماشوراء »
فاعذرت وقالت إن معدتي لا تهضمها وإني أظن
أني شغيت ، فقال الرجل : « العفو » وقالت
صاحبتى : « صحيح .. ممدته ضميعة .. والطبيب
ينهاه دائماً عن أكل شيء بين الوجبتين » ، وجاءت
القهوة وناولوني فنجاناً ، فصببت القهوة من الفنجانة
في الطبق ، كما رأيت بمض الشيوخ يفعلون ، وكان
هذا أروع ما وفتت إليه في أدائي لدور الممثلة
وكانت صاحبتى تقالب الضحك بمجد ، ثم نظرت الى
وتمض شفتيها محذرة من النفاط ، ثم سألتني الرجل
عن السينما التي اخترتها ، فقلت له : « ياسيدي لقد
ألحت هذه البنت للتمومة (والتمومة تسمح بهذه
الملعنات) أن أخذها الى السينما مع صديقة لها
فاعترضت لأنني لا أكنتمك أني لا أطمئن الى
الصداقة بين البنات ، ولكني أجد الله .. حمدته
وشكرته لما رأيته .. شرعت بالاطمئنان فما عكن
أن تكون بنتك إلا فتاة مهذبة .. (وهنا شكرتني

المزير - وإن كنت لأعرف لك أخاً ولا أختاً -
تفضل ويخلى عن القيادة ... »

قالت : « لماذا ؟ ... إني أحب أن أقود
السيارة ... هل أخطأت ؟ ... »

فدركت سؤاليها بلا جواب ، وقالت بلهجة
الأمهات : اسمي السلام يا بنت ... »

فضحكت ومالت بالسيارة الى الرصيف وتخلت
لي عن مقعد السائق

وبلغنا البيت - لا أدري كيف ولا من أين
فقد أطاردت سواي كثيرة التعاريج وضيق الحارات ،
ولكن البيت كان في فضاء رحيب وإن كان غير
نظيف . وزلت هي وبقيت أنا في السيارة . ومضت
دقائق وأنا أفكر في عمها وفي الفتاة التي ستقول لي
« يا عمي » ، وفي كيف أطيع الصبر على هذه
العمومة ، وإذا بقى يقول لي : « تفضل يا عمي »
فصحت به - فقد فاجأني - « إيه ؟ .. » وكان
مؤدباً مهذباً ووسياً قسماً تحدثت نفسي أن الفتاة
التي ستدعوني معها لا بد أن تكون جميلة - إذا
اطرد القياس ، وتهدت لأنني سأكون معها أيضاً ...
وللعمومة قيودها ، ولا بد من الاحتشام ... فلا حول
ولا قوة إلا بالله !

وقال الفتى : « تفضل حتى تلبس أختي »
فشكرته وأغلقت أبواب السيارة فقد كان
الأطفال كثيرين في الحارة ، والأطفال ملاعين
يمعبثون بكل شيء كما كنت أفعل لما كنت طفلاً ،
ومشيت وراءه الى بيت حديث البناء ، فاستقباني
وراء الباب رجل وقور ظننته أول الأمر من
السكان ، ولكنه مديده الى وقال - كما قال الفتى -
« تفضل » ، فقلت لنفسي : « إن تمثيل دور الممثلة
ينبغي أن يبدأ هنا ... حالا ... فان هذا الرجل
الطيب لا بد أن يكون هو الأب السني الذي مد

ودرنا نبحت عن بيت الخطيب - أو هكذا ظننت ، ولكن الحقيقة أننا صرنا به ، وأن الفتاة رآته في الشرفة غير أنها خجلت أن تدعو عمها إلى الوقوف وتزل ، وأحسست أن جوال السيارة لا يخلو من دكود ، فوقفت في بعض الطريق وانجملت إلى الفتاة وسألها : « هل عرفت البيت ؟ . وهل رأيت فيه صاحبك ؟ » ففزت رأسها أث نم واضطرم وجهها - حياء على ما أظن - وتولت صاحبتي الكلام والايضاح ، فقلت لها : « حسن . ابقيا أننا هنا وسأزل إليه »

ولما وقت عيني عليه وهو واقف في الشرفة ومعه أخته أشرت إليه أن ينزل فلم يفهم ، فصاحت به : « تمال ... أيوه انت ... » وسلم صريركا وقال : « أفندم »

فقلت بنفسى : « لا أفندم ولا يمزنون ... كيف تكلف الفتاة أن تقطع إليك الكرة الأرضية ولا تجسم نفسك عناء السى إليها ؟ ... ثم إن أباه لا يمكن أن يقبل »

فقاطعتى وقال بلهفة : « هل يعرف ... » قلت : « اسمع ... هذه الملائكة يجب أن تكون رسمية علبية وإلا فالواجب أن تنقطع ... الآن »

وقال بصوت خافت : « بالطبع » فالتفت إليه وقلت بصراحة : « بالطبع ماذا ؟ ... قطع ؟ ... أو تستمر على وجه القبول ؟ »

قال : « تستمر بالطبع ... إنى أريد أن أتزوجها »

فوقفت وسألته : « وماذا عندك ؟ . إن الأزواج ليس من وسائله هذه القابلات السرية التى لا يعلم بها والدها ... والآن تمال وأطمنى ... » ومضيت به الى السيارة وكان يمشى مطأطأ

واستغفر الله كما لا أحتاج أن أقول) فرأيت أن أختار شريطاً غير غرامى . . آثرت شريطاً من الأشرطة البوليسية . . . وحى كلام فارغ ، ولكنها خير وأسلم عاقبة من الأشرطة الفرامية ، وأظن أنك توافقنى . . . ليس كذلك ؟ »

فوافق وشكر وأكد لى أنه تشرف بمعرفتى ، ولا أكنتم الفارء أنى خجلت منه في هذه اللحظة وأن نفسى حدتتى أن أسارحه بالحقيقة من أولها إلى آخرها ، ولم يصدنى عن ذلك إلا التخرج من الزج بنفسى في مآزق آخر لا يسهل الخروج منه ، وإذا صارحته بأنى لست عمها ولا قريباً فإذا يكون موقفى . . بل ماذا يكون موقفه صاحبتي التى جاءت بي إلى هنا وادعت أنى عمها . . ثم إنى أريد أن أرى هذا الحبيب أو الخطيب - سيان - الذى تريد أن تلقاه وتختال هى وصاحبيتها على هذا النحو المخرج - لى - لتلقاه ؛ وقد أستطيع أن أصنع خيراً إذا رأيته فإن لى لفراسة

وأخيراً نهضنا ، وركب معنا الفتى - أعنى أخاه - فاحتفظت أمامه بمقتضيات المومة على فرط ثقلها حتى تركنا حيث يريد ، وكانت الفتاتان على القعدا الخلفى ، فلما نزل الفتى وأمنت أن يسمعنى قلت لها وأنا أمضى بالسيارة على غير هدى : « هل أتقنت دور المم ؟ » ، فضحككت الفتاتان ، فقبل إلى لحظة أن الفتاة التى جئنا بها تعرف أنى لست عمها ولا ابن عم ولكن صاحبتي قالت شيئاً فهمت منه أنها تريد أن أمضى في تمثيل الدور فسخطت وقلت : « والآن إلى أين بنا » ، فقالت الفتاة الجديدة : « إلى ... من فضلك ... أعنى إذا سمحت » ، وقالت الأخرى - صاحبتي - « بالطبع ... إن عمى سبور ... » ، وضحكنا من هذا المم « الاسبور » ، ومن حقهما أن يضحكا . .

قلت : « لا شيء ... اطمئني ... ولكن اطمئني بلا سؤال أو تردد »

وأنا رجل لا أحب التلصؤ ولا أطيع البلاد . ولا صبرنى على التلوى واللف والدوران . ولإعاني عظيم بأن الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين . والذى يصنمه غيرى فى يوم أصنمه أنا فى لحظة لأن أعصابى لا تحتمل البطء . لذلك مضيت إلى بيت الرجل وكانت كل من الفتاتين تسألنى : « إلى أين من هنا ؟ » وكاتنا أول الأمر تبهجان وتضحكان ثم وجئنا لما دنوت من البيت واتبنى كل شك فى أنى أقصد إليه

وقلت للشاب وأنا أنزل وأجره : « تمالأمر فك بأبيها ، فما أستطيع أن أستضجبك معها بغير ذلك ... أعنى بغير اذنه ... أنفهم ؟ »

وكانت لهجتي صارمة أو قل انها كانت حازمة وإن خلت من العنف ، فسار مى . وجاء الرجل مستغرباً عودتنا قبل موعد انتهاء السينما فقلت له بلا تعهد : « هذا الشاب يريد أن يكون نسيبك ... يحب بنتك هذه ... وأنا أعلم أن هذه مفاجأة ... ولكنى لا أدعوك الى تزويجه الآن ... إنما رأيت من واجبي أن أخبرك ... وسيعطيك اسمه وعنوانه ويحدثك عن نفسه وأهله وأصله وفصله فيها بدمى ... فاذا وافقت ورأيت أهلاً لذلك فهتينا لك وله ولبنات والافاقمه ... وقد أخبرتك بهذا ... فاجأناك به لأنى لا أستطيع أن أدعه يصحبنا الى السينما بغير علك وإذنك ... فهل تسمح له بذلك ؟ »

وتشهدت لما سمعت الرجل — هذا الرجل الرقور الطيب — ياذن لى فى ذلك ويشكرنى أيضاً ...

تالله ما أطيه ! ... وعدنا الى السيارة فركبناها فى صمت ففقد بهت الشاب واستمعنى عليه الكلام . وله العذر .

الراس . وأحسب أنى نفصت عليه هذا اللقاء ، ولكنى لم أكن أستطيع غير ذلك فقد كانت صورة الأب الوقور الطيب الذى لا تخالجه ريبة ماثلة أمام عيني ، وقد ترك لى ابنته مطمئناً الى ومستمداً بعمد الله على . ولو كنت لم أدخل بيته ولم أروجه ولم يأتمنى على فتاته لما أحسست أن على تبعة . وشق على أن يكلفها هذا الفتى أن تذهب اليه فى آخر الدنيا ، وهو قاعد فى بيته لا يتحرك ولا يسي ، ولا يبالي ما تتحمل الفتاة فى سبيله من عناء وما تغريها به الرغبة فى لقائه من احتيال وكذب وخداع . فنويت أن أحسم الأمر

وم بالركوب فحذبت من كنته ، ونأيت به قليلاً وسألته : « الى أين أولاً ؟ ... قل لى ماذا تقوى أن تصنع ؟ إلى لا أريد أن أضايك ولكن هذه الفتاة الساذجة فى ذمتى فهل تستطيع أن تكون رجلاً ؟ » فاقصد وجهه وتلمس ثم استطاع بجهد أن يقول لى إنه رجل شريف وإنه لا يبنى بها سوءاً وسألنى وقد وجد لسانه : « هل حضرتك ... » فقاطمته قائلاً : « لا يمتيك من أنا ... تمال ... بكفنيك أنى قد وثقت بك ... تمال »

فسره هذا . وهل هو إلا طفل . . . وإلى لا كون حماراً غيبياً بليداً إذا لم أستطيع أن أستولى على زمامه ... والتفت إلى صاحبتى ونحن راجعون بالسيارة وقلت : « وأنت أيضاً ستطيعين عمك فالت على وقالت : « إيه ؟ » قلت : « لا شيء ... لقد شئت أن أكون لك اليوم عم . فاستنكرت أن أكونه فى أول الأمر ولكن الدور حلالى ... أعجبى . . . فأننا الآن عم حقيقى . . . سأظل عمًا ظريفاً ... ولكنى عم على كل حال فلا تنسى هذا » فسألتنى بصوت خفيض : « ماذا جرى ؟ طمئني ... »

ولكنه جنون أثمر خيرا
وقالت الخطيبة ونحن خارجون : « عسى ...
لا نتركنا »
فتنايبت وقالت : « هل سأظل عما لك أيضا
الى الأبد ... »
فجذبت ذراعى وقالت بلهجة الستمطف :
« لا تركنا ... فاهم »
قلت : « سمعت . وفهمت . وأطمت . »
قالت صاحبتى : « أما إنك لم ... »
فل أفل شيئا وفتحت أبواب السيارة وأشرت
اليهم بكلتا يدي وقالت : « ييتك . ييتك . ييتك »
كما يقال للدجاج
وتمشينا جميعا فى بيت الرجل الطيب . ولكنى
قبل أن أتناول شيئا من طعامه قلت له :
« سأقول لك شيئا . لست عما لهذه الفتاة .
هى صديقة وجارة . أعرف أهلها جميعا من زمان
طويل . وقد ألفت أن تدعوى عنهما . حكم السادة
فقط . وأنا أكره هذه العمومة ، ولذلك أدخلهما .
أمامك ، وأرجو أن تميئنى على التخاصم منها . فما
قولك ... ؟ »
وكانت يداى على ركبتى فى انتظار حكمه ،
فأحسست راحتين عليهما فالتفت فاذا الفتاتان
تنظران إلى بابئسامة الرضى والسورور ، فرددت عيني
الى الرجل استمجهل الحكم فقال : « تفضل ياسيدى
تفضل »
فتشهدت ورفمت يدي الى المائدة لآكل وإذا
بالخطيبة تنهض وتميل على عنق وتقبلى
كلابها إنها فتاة لا تستحى ... أبدا ... أبدا
إبراهيم عبد القادر المازنى

ودخلنا السينا . جلست بين الفتاتين وجلس الشاب
على عيني صاحبتة التى جماتها خطيبته برضاه أو على
الرغم منه ، لا أدرى ، ففلم ذلك عند الله ؛ وكانت
الفتاتان لا تمرقان شيئا مما حدث لأنهما لم يدخلوا
البيت معنا ولم نقل لهما شيئا فى السيارة فلت على
صاحبتى وقالت لها : « الآن تستطيعين أن تهنى ...
ما اسمها ؟ . لقد صارت خطيبته حقاً وصدقاً ...
لا كذباً يا مملونة ... »
فراحت تثرثر وتساألنى : « ايه ... ماذا تقول ...
ماذا حدث ... كيف كان هذا ... ماذا صنعت حين
دخلت البيت ... ؟ »
فوضعت كفى على فمها . وكيف بالله كنت
أستطيع أن أسد هذا الطوفان من الأسئلة بنير
ذلك ؟ وقد وقف الطوفان ، ولكن اللينة عضتى
فكبدت أصرخ لولا أننا فى سينا . وتصبرت
وتجملت واتجهت الى الشاب وقلت له وأنا أمد
كفى المضوضة : « بسها ... إذا كنت مسرورا »
فباسها - بطنا وظهرا - مرة وثانية وثالثة .
فاستحييت وانزعجتا منه ، وحولت وجهى الى
صاحبتى وذهبت أحدثها بما كان ، وإنى لكذلك
وإذا بالفتاة الأخرى تجذبنى اليها وتدبر وجهى الى
وجهها وتلوطنى بذراعيها وتقبل خدى ... أى والله
ولا تستحى ... فدهشت ونظرت اليها ... ثم
حولت وجهى عنها . فقد كانت الدموع على خديها
وأعترف أنى لم أرى شيئا من الشريط ... نعم
نظرت ولكنى لم أفهم ... لم يكن بلى الى ما أرى
وكنت أفكر فى هذه الفتاة وفى مصيرها مع
فتاها لولم يلهمنى الله أن أكون مجنوناً وأن أصنع
ما صنعت وهل يفعل هذا سوى مجنون ؟



الوقع . إنها مسألة شرف يجب هنا القضاء فيها .
وكان الجميع شاعرين بجلالها . وعلى قدر بمدى من
إدراك ما هم صانعون كانت اللحظة تزداد رهبة
على رهبة

وانطلقت رصاصة . وسرت في فرائض الجميع
رعدة . وأرخى فلاديمير ذراعيه ، وثني ركبتيه ،
وخر في مكانه . وهو على الثلج لقي ، وقد نفذت
الرصاصة في رأسه ، منطرح ، وذراعه متباعدتان ،
وشعره ووجهه ومتوسد الثلج تحت رأسه ، كما
مضجعة بالدم . وهروا إلى الشهود فاحتلموه .

وخصه الطبيب بقرقر وقائه . وأعلنت مشكلة
الشرف وانفض أمرها . ولم يبق إلا إبلاغ الخبر
إلى الفرقة التي يتبعها الضابط ، وإبلاغ النقيب
ما يمكن من اللطف والتحرز إلى الأم التي أصبحت
من بعده وحيدة في الدنيا . فان الفتى القليل
وحيدها . وهي لم تخطر قبل المبارزة في بال أحد .
أما الآن فالكل يفكرون وبطليون التفكير .

فالكل يعرفونها ويحبونها ويدركون أنه لا بد من
التقديم لهذا النبأ الفظيع عندها والتعهد قبل إلقائه
والتدرج في مسأله . وفي النهاية وقع الاختيار على
« إيفان جوليوبتكو » بوصف أنه أصحهم جميعاً

كان ذلك في بكرة الصباح
و « فلاديمير كلادينوف » فتى وسيم ، مدبدب
القامة ، في الثانية والعشرين من عمره ، كالفلسان
مظهراً ، له وجه مليح وشعر وحف أشقر ،
يرتدى حلة الضباط ، ويتنمل نعال الركوب الطويلة ؛
وكان واقفاً في مرج ممشوشب كساه متساقط
الجليد ، وهو شاخص إلى ضابط آخر ، وذلك
الآخر رجل أسبل الشاربين ، بائن الطول ، عمر
الوجه ، وكان مواجهاً له على مسافة ثلاثين قدماً
وهو يرفع على مهل يده حاملة في قبضتها مسدساً
يسده إلى فلاديمير

وكان فلاديمير واضماً ذراعيه متشابكين على
صدره ، حاملاً كذلك في إحدى كفيه مسدساً ،
وهو ينتظر - انتظار من لا يبالي - طلقة النار
يطلقها عليه خصمه . وكان وجهه الناضر الصبيح
وإن غشيته مسحة من شحوب تنوقد الشجاعة
فيه ويملوه ابتسام المستخف . وكان موقفه الخطر ،
وما يبدو على غرابة من تصميم مبرم لا رحمة فيه ،
وشدة الانتباه من جانب الشهود الواقفين صفاً
واحداً بلا حس ولا حراك ، كل هذه مجتمعة
جماها لحظة بالغة الهول ، غامضة الكنهه ، رهيبة

الغرفة مخاطبة زائرها سليمة السريرة طيبة النخزة :
— وبمدا فكيف لامرئ أن يثق فيكم

أيها الشبان ؟ هانذا أحاذر أن أحدث أدنى حس
للأفداح وأطابقها ، واستسمحك في عدم إيقاظ
إبنى ، فإذا هو قد مضى منذ برهة طويلة ولم يخاف
أثراً ! ولكن ، لم لا تجلس وتشرب قدحاً من
الشاي ؟ لقد أعملتنا نشر الالام في هذه الأيام الأخيرة
وابتسمت كأنما تبتم عن سرور مخاصم ،
وزادت بصوت خافت :

— كانت الأخبار كثيرة عندنا في تلك الآونة ،
وما أحسب أن فلاديمير استطاع كتمانها . ولا بد
أنه أفضى بها إليك كافة بمخافيرها ليومنا هذا .
إن ابني فلاديمير مستقيم الطبع مفتوح القلب .
والليلة البارحة دارت بخلدى الظنون مع ما بها من
إثم ! إذا كان فلاديمير إبنى يذرع الغرفة طيلة ليلته
فمنه أنه يفكر في « لينوتشكا » صبا بها ، مشوقاً
إليها . وإن من مألوف عادته ودينه إذا ذرع الغرفة
الليل طوله أن يحضى لا محالة في الغداة . آه يا إيفان
لا أتمنى شيئاً على الله إلا أن يرزقني من لذه هذه
الفرحة يقربها عيني في همرى . وما ذا تطلبه امرأة
مجزوء أكثر من هذا ؟ وليس لي غيرها أمنية
وبشرى ؛ وإنه ليخيل إلى أن ليس ثمة سؤال أرتجيه
بعد إذ يتزوج فلاديمير ولينوتشكا . إن في ذلك
لنبطة لي وأيام غبطة ، وسعادة ما يمددها سعادة . ومالى
سوى فلاديمير من حاجة . وليس شئ أحب إلى
من هناة

وكان من شدة تأثر السيدة المجوز أن جعلت
تكفكف الدمع قد اغرورت به عينها
واسترسلت تتحدث إليه : « أو تذكر ؟

لتبلغ الخبر للأُم وتهوين الخطب جهد المستطاع

كانت « بلاجيا بتروفنا » قد استيقظت
ساعتئذ من نومها . وكانت تجهز لنفسها شاي
الصباح ، حين دخل إلى غرفتها « إيفان »
جولوبنسكو « مكتئباً مرتبكاً

وهبت السيدة المجوز للالقاء ضيقها قائلة :
« لقد جئت في الأوان والشاي مجهز يا إيفان ! »
ثم أردفت : « إنك قادم لا محالة لترى فلاديمير ! »
فضمضم « جولوبنسكو » بجفلاً : « لا ... إنما
كنت ماراً ... »

— أنت لا بد عاذره ، إنه لا يزال نائماً لقد
قضى سحابة الليلة الماضية بذرع غرفته جبهة
وذهايا . وقد أوصيت الخادمة ألا توقظه ، فإن
اليوم عطلة بمناسبة العيد . ولكن لملك آت في
همة مستعجلة ؟

— كلا ، وإنما عرجت عليكم في ضرورى
لحظة ...

— إن شئت رؤيته أمرت بإيقاظه

— كلا ، كلا لا تكلف نفسك

ولكن بيلاجيا بتروفنا كانت متعقدة أنه قادم
ليرى ابنها في أسر من الأمور . فخرجت وهي تتمتم
بينها وبين نفسها

وجعل « جولوبنسكو » يذهب وييجى
مضطرباً ، ويقلب كفيه ، وهو لا يدرى كيف
يبلغها الخبر الفظيع . لقد أزعجت اللحظة الحاسمة ،
ولكنه لم يمد مالهكا لنفسه بل ملكه الزوع فهو
يلعن الحظ الذى ورطه شر موط في الأمر كله
واستهلت « بيلاجيا بتروفنا » وهي تدخل

« إن لك عندي تحية ، لقد كتبت لينوتسكا فيما كتبتك لي توصيني بأن أبلغ تحياتها إلى إيفان ، وأن أرجوه المحبة مع فلاديمير وإيراثها ؛ فأنت ترى بنفسك يا إيفان مودتها لك ! لا واثم الله ، يظهر أنني لا أستطيع الاستئثار بهذا وحدي . لابد من إطلاعك على الخطاب ، ولتنتظرن أنت لنفسك مبلغ ما فيه من محبة وعدوبة »

وعادت ييلاجيا بتروفنا البحث عن حزمة الخطابات في جيبها وسحبت منها طرسا قرين الورق مقرط الكتابة ، ونشرته أمام إيفان جولوبونيك وقد زاد وجهه اكفهرارا ، وحاول إيفان أن يدفع عنه القرطاس الممدود ، ولكن ييلاجيا بتروفنا كانت قد أنشأت تقروءه :

(عزيزي ييلاجيا بتروفنا — متى يئين الأوان الذي أخطبك فيه بنير هذا فأدهوك بيا أي المزنة المحبة ! إنني أقرب ذلك اليوم متلهفة ، وإن أملي لمظيم بقرب حلوله حتى لست أحب دعوتك من الآن باسم غير يا أي —)

ورفت ييلاجيا بتروفنا رأسها ، وتوقفت عن التلاوة ، ونظرت إلى جولوبونيك بيمينين تملؤها العبرات وقالت : « أترى يا إيفان ! » . ولكنها رأت جولوبونيك ينكو بمضض شاربيه بناجديه ، وأن عينيه هو أيضاً مفرورقتان . فقامت وأقبلت عليه ، ووضعت يدها الزمة على شمره ، وقبّلته في هيئة فوق جبينه ، هامة من شدة التأثر : « شكرا يا إيفان ! لقد كنت دائما أعتقد أنك وفلاديمير أقرب إلى الآخرين الشقيقين منك إلى مجرد صديقين . لا تؤاخذاني . إنني سعيدة أيما سعادة . والحمد لله سبحانه ! »

لم تكن الأمور في البداية جارية على أحسن حال ، سواء قُتبا بينهما أو فيما يتعلق بالمال . فأنكم معشر الشبان الضباط غير مسموح لكم حتى الزواج من غير مال مرسوم . حسن ، لقد تم الآن إعداد كل شيء : حصلت على الخطة الآلاف رويية اللازمة لفلاديمير . وفي الامكان ذهباهما إلى المحراب لمقد الزواج غداة غد . أجل ، وقد كتبت لي لينوتسكا خطاباً ما أطفه . إن قلبي جذلان مبهج وأخرجت « ييلاجيا بتروفنا » — وهي مسترسلة في كلامها — خطاباً من جيبها ، وأظهرته لجولوبونيكو ثم أعادته : « أنها لفئة محببة ! وناهيك من طيبة نفسها ! »

وجلس إيفان جولوبونيكو بنصت إلى كلامها وهو على مثل الجر . وقد أراد أن يقطع عليها هذا الفيض من الأحاديث ، ويقول لها إن كل شيء قد انتهى ، وأن فلاديمير ابنها مات وأصبح في خبر كان ، وأنه بعد ساعة واحدة لن يبق لها شيء من هذه الآمال الزاهية . ولكنه أنصت إليها والتزم الصمت ، ونظر إلى وجهها الطيب اللطيف فأخذ منه الاشفاق عليها وإذا حركة تشنج تأخذ بكظمه وأخيراً سألته السيدة المعجوز : « ولكن ، مالي أراك اليوم متجهما ؟ ما بالك ، إن وجهك يبدو مكفهر كأمدا كالليل ! »

وود إيفان لو يقول : « نعم ! وسيكون وجهك كذلك حين أخبرك الخبر ! » ولكنه لم يلفها شيئاً ، واستعاض من ذلك بأن أشاح بوجهه وجعل يقتل شاربيه

ولم تلحظ ييلاجيا بتروفنا شيئاً ، واستطردت وهي في أفكارها مستغرقة :

ضروب البطولة وسائر ما يسمونه مسائل الشرف على اختلاف ألوانها . وأخير آهـ ب من مجلسه وهو موطن النفس على التصريح أو الفرار . وأقبل ، فتناول — معجلاً ومن غير كلام — يد بيلاجيا بتروفنا وانحى يثماها ، فأخفى بذلك وجهه عنها ، وإذا سيل من الدمع السخين الدردار ينهمر فوقها . ثم انتزع نفسه وانطلق لا يلوى على شيء ، وتناول عند الباب مطفئه الكثيف وخرج من البيت دون أن يقول كلمة

وتطلعت بيلاجيا بتروفنا وراءه مندحشة ، وقالت في نفسها : « لاشك أنه أيضاً عاشق ، مسكين ، كان الله في عونه . إيه ! إنها لوعة العبا تلومهم — ومن بعدها سعادة »
ثم سرعان ما نسيت ، وظاب أمره عن بالها ، واستغرقت المجوز في أحلامها بالسعادة تتراءى لها محقة كاملة !
عبد الرحمن صرقي

استدراك

جاء في (مذكرات نائب في الأرياف) المنشورة في هذا العدد أن مدة المعارضة أربعة أيام والصواب ثلاثة

وقاضت الدموع على خديها . واشتد بإيفان جوليو بنكو اضطرابه وارتابه ، ولم يسه إلا أن يأخذ بين راحتيه يدها الباردة المروقة ويكب عليها تقبيلًا . وكان مختنقًا بالمبرات فلم يستطع أن يلفظ حرفًا . ولكن هذه الفورة من الحب الأموى أشمرته بالتبكي الشديد ، حتى لقد آثر أن لو كان هو الصريح على الساحة وقد نفذت الرصاصة في دماغه ، فذاك أهون عليه من سماع عبارات الحمد له وامتناع صدافته وغالص أخوته تجرى على لسان هذه المرأة وهي بسد هنية قصيرة سيتضح لها حقيقة الواقع وجليه الأمر . وماذا يرتأى فيه وقتئذ ؟ ألم يقف — وهو الصديق وفي حكم الشقيق — ساكنًا جامدًا حين كان المسدس مسددًا إلى فلاديمير ؟ أليس هذا الشقيق نفسه هو الذى قاس المسافة بين الزعيمين ، وهو الذى حشا المسدسين ؟ كل هذا صنعه بنفسه ، وقد صنعه وهو يمس ما يصنع ؛ وهماك الصديق بل الشقيق يجلس الآن صامتًا ولا يتقدم حتى هنا للقيام بواجبه

إنه جزع خائف . يحترق في هذه اللحظة نفسه دون أن يستطيع مغالبتها ليقول ولو كلمة واحدة . وإن إحساسًا غريبًا بالتناقض يهرج صدره ويهزج روحه ، فهو في كرب واختناق . والوقت يمر سراعًا ؛ إنه يعمل مجزوره ، وكلما زاد به علما وهت عزيمته ولم يقو على حرمان بيلاجيا بتروفنا مما بقى لها من لحظات سيدة أخيرة . فإذا هو قائل لها ؟ وكيف يقدم للخبر ويهيئها لسبابه ؟ لقد حار إيفان جوليا بنكو في أمره وأسقط في يده

لقد انفسح له الوقت هنا ليلعن في سره جميع المبارزات وجميع المشاحنات وكل ضرب من

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

متزوجة بهلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشًا



بعلم الدكتور محمد الراعي

لأنثريه وارنود

لعلها واحدة من صواجه غارت عليه أو نعمت منه أو نكثت عهدا ؛ أو لا فشيء واجدة من أراد أن يرنحه من طريقه .. عرفت كل هذه التفاصيل من الخادم وأنا أتناول فطوري ، إذ كنت في فندق الحطة وقد بث فيه متخففاً أنتظر القطار المحلى الذى يرح فى الصباح قرية بوغليليه

ودخل أحد الشرطة إلى الفندق فجعل يتحرى أسماء المسافرين الذين وصلوا بالأمس ؛ ثم تقدم إلى فى شأتى وشأن أوراقى ؛ ثم سألنى كيف قضيت الوقت منذ طرأت على هذه الناحية ؛ وبعد أن تثبت من قولى حيانى ومضى لميله . فقلت للخادم :

— ما أحسبه يشقى عليه

أن يضع يده على القاتل والبلة من صغرها تكاد تسلمه لمن يبحث عنه . قال : لا يكون هذا رأيك يا سيدى ، فالقرية يمر بها غرباء كثيرون .. وهب القاتل من أهلها . فلا ريب أنه قد تدبر واحتاط وفكر وقدر ، وما يكون مثل هذا المجرم الذى يقتل هذا المغلاق

أصبح الناس فى قرية بوغليليه الصغيرة وعليهم الضباب ومعه الزبح الباردة تسفع الوجوه ، وبين الضباب والريح يطير انخبر المزجج : أن قتل مسيو ثييه برصاصة وقتت فى عنقه ! وعثروا على جثته فى أرباض القرية ، بين أسوار الحدائق على مقربة من النهر . وكانت الماصفة

والطر وظلام الليل ستر على القتل والقاتل ، فلم ير أحد ولم يسمع

ومسيو ثييه هذا عملاق معصوب الخلق ، مفتول المضل ، غليظ الألواح ، طويل عريض قد ناهز الأربمين ، يمشى فى سعة من غلة أرضه ويلهو أكثر وقته بالصيد ، وفى سائر الوقت يختلف إلى الأندية والحانات

ويعرفه أهل قريته فاجراً صاحب نساء وغزل ، فحديثة وحديثهن على كل شفة ؛ ولم يلقه الليل إلا على امرأة ينادنها أو يحتظيها ؛ ومن اليه أشد ميلاً ، فله المال وفيه القوة ، وإلى ذلك ظرف وجال وصبابة ورقة حديث
فن الذى قتل مسو ثييه ؟



كبيرة فأوقدته إلى بلدة بكسيول القريبة من هنا في عمل من أعمالها يستغرق سنين عدداً . فلما جاء إلى هذه البلدة أخذ بجبال طبيعتها وسحر مناظرها فابتاع منزلاً ريفياً سكن فيه مع زوجته الجميلة ، تحوّلتهما سعادة الحب ؛ أو لعله كان يتوهم ذلك .. وتصرمت الشهور وتبعتها السنون وهو ناهم بحياته الجديدة ، مسحور بالجمالين في الطبيعة وفي زوجته « مثلين » . وكان وانثاقاً من حبها معاشقاً إلى وفاتها ، حتى أتى إليه ذات يوم كتاب غفل من التوقيع ينهبه فيه كاتبه إلى أن يفتح عينه على زوجته ... فسخر من الكاتب وكتابه ، وانطلق إلى داره وما يشك أنه سيطالع امرأة بدت بضحكها ويضحك

وخطر له وهو يفتح باب الحديقة أن يحكم الدابة فيجعلها رواية ذات قصاين ؛ فإذا انجر من النعيط في الفصل الأول وهو يتقعد الريبة ، انفجر من الضحك في الفصل الثاني وهو يطمئن إلى الحب ... فلبس وجه النعيط والحنق ودخل على زوجته دخول الموتور في عرضه وكراسته وقال لها : — أما الآن فقد برح الخفاء وانكشف المستور وتحقق الغان ونطقت الريبة ... تباً لك من خائنة فادرة تبتذل عرضها ونحون زوجها . هلى فأسألى الله أن يرحمك إن كان يرحم الفاجرة ؛ فاني فالتك لاعمالة

وتابع الرجل حديثه لي فقال :

لم أكن — علم الله — أريد غير الزح والدابة وما كان يحظر لي قط أن يحدث ما حدث ... فما سمعت المرأة ما سمعت ورأت ما رأت ، حتى انقلبت عينها وزاغ بصرها وانكفأ لونها وتهادب دما ، وارتمدت واضطربت ومادت ووقمت بأكية على قدمي ...

إلا عارماً شديد البأس يرهبه الناس فلن يظهر اسمه على لسان أحد . وأى الناس يريد لنفسه القتل ؟ . وخرجت أسراً في الجموع المضطربة أذهب هنا وهناك إلى أن يحين الوقت ، ثم توجهت إلى المحطة وجمعت أتصفيح الوجوه أبحث عن شخص جعنى به القطار أمس وقضينا معاً شظراً من الليل . وكان هو أيضاً قد طرأ على البلدة ونخلف ينتظر القطار الحلى ، فتواعدنا أن نلتقي في المحطة

وكان صاحبي هذا رجلاً قد علاه المشيب فايض شعره الخشن ، وسطح يياضه على وجهه قد لوحته الشمس قاسمراً واحراً . وكان قصير القامة صلب العضل ، قوياً مجتمعا ، عصبي المزاج يطير من عينيه مثل الشرر إذا حدث إلى بك ..

ولم يكن حديثنا في القطار إلا تحية وردّها ؛ وقد تخلف مثلي في بوثاييه ، فما إن وطئت قدماه أرض الرضيف حتى أسرع إلى عربة الأمتة ومعه الجالون ينزلون متاعه وأثقاله وهو شىء كثير عجيب مختلف ، يجمع أنواعاً عدة من فساتل شجر الورد إلى صناديق ضخمة تظم ألواحاً من الرمر المصقول أجيد نحتها في باريس

ودنوت من الرجل ، وكان القطار بهم أن يتحرك ولما بفرغ الجالون من عملهم ، فالتفت حقيبتي وعملت معهم في إزال ما بقى ، فشكرني ودعاني للمشاء معه

وتلافينا في مطعم اشتهر بجادة أظمته فما بفوت الغريب أن يختلف إليه . وجلسنا لطعامنا وبدأ يتحدثني حديثه ، فكانت قصة من أعجب القصص ..

تزوج شبنك هذا وهو في الأربعين من عمره بفئة تقارب العشرين . وكان مهندساً في شركة

إن قلة فيزون بعيدة لا يمكن بلوغها إلا بالسيارة؛
فإن كان الخبر صحيحاً فمادة زوجتي كلها أرادت
السيارة أن تسألني هل أنا في حاجة إليها ؟
إذن فلا تظنر

وجلست معها للتداء وكان لم يكن في شيء ؛
وأشرفنا على الفراغ من الأكل ولم تسألني فهدأت
وكنت أطير فرحاً ، وجلست في نفسي ألين الخيمة
وأهلها ، وأنا في ذلك إذ قالت مشايخ في تردد :

— أحتاج الى السيارة اليوم يا عزيزي ؟ فاني
أريدها لنزهة قصيرة في الجبل

وكان كلامها كالصاعقة انقضت على ، فاحتبس
لساني ورأيتني أختنق ؛ غير أنني تماسكت مرة
أخرى لأنتهي الى النهاية . فقلت لها وأنا أنزع
الكلام انزعاً :

— ألا ترين أن الجو اليوم ليس جو النزهة
في الجبل ؟

فمبست وقالت : بجفاء :

— ولكنني أريد التنزه اليوم

وكنت مستظيماً أن أمنعها إذا زعمت لها أنني
في حاجة الى السيارة ، أو قلت إنها معطلة ، أو اعتكالت
بملة ما ... ولكن قلبي كاد يتمزق بالحنك ،
وأردت اليقين واليقين في خروجها ، فتركتها
لشأنها وقلت خذها . فلبست في حاجة اليها
وأسرعت الى محل العمل فسألته عن فارنك

فقبل لي إنه قد خرج في سيارة ولن يعود بمد ظهري
اليوم ... فطار لي وتحققت من مهيتي ، ولم أملك
الصبر حتى ألتبس سيارة تجملني وتقذف بي على
الحائز والحائنة ، فمعدت الى « موتوسكل » كان
لأحد العمال فطرت به

فلما وافيت الفندق رميته ومضيت حذراً ألوذ
بكل ما يواريني . وكنت الى تلك اللحظة أراجع

فوقفت مشدوهاً لا أكاد أصدق ما رأيت
لولا أنني أرى ... ثم أحماني الحب وأشفت عليهما
وظننت ما بها مما يحده العيب ، وقلت : لعلها
حسبتني قد جئت ... فضممتها الى صدرى وقبلتها
وجعلت أهدئ روعها وأعتذر إليها حتى سكن ما بها
ولسا طابت نفسها انفجرت ضاحكا وقلت
لها : هذا هو الفصل الثاني من الرواية المزلية ...
ثم حدثتها بالخبر وأقرأتها الكتاب ، فطوقتني
بذراعيها وتملقت بي وقالت وهي تقبلي :

— ما كان أبعدك من الزجة ! لقد حسبتك
جنت ... ، فلأن أظن بك الجنون أقرب من أن
أظن أنك ترناب في

ومرت الأيام وكنت أشهد حمها يتضاعف كما
تكفر النائية عن خطيئة تريد أن تمحوها من
ذاكرة حمها ... وجلت ذلك الكتاب على عمله من
حسن الظن ، فقلت : لعله من ما جزم يبيت في ،
أو عدو يكيد لي ، أو عامل طردته فيريد أن ينتقم
منى بتخريب سماعتى ... غير أنني لم أطمئن الى ذلك
وساورتني الظنون الأخرى ، ولم أر من الحكمة
أن تعلم زوجتي بما تخالجي من الشك ؛ فجعلت
أجنس عليها وأستقصي أخبار من تتصل بهم ؛
حتى كان يوم تلقيت فيه رسالة أخرى لا توقع
عليها ، وهذا نصها :

« إن زوجتك على موعد من كبير المهندسين ،
وأنت تعرف أنه السيد « فارنك » ، وستوافيه اليوم
في الساعة الثالثة على قفة فيزون بفندق الخنزير البري
حيث يلتقي المشاق ... »

فما قرأت هذه الرسالة حتى دارت بي الأرض
وغلى دمي وجن جنوني فهممت أن أذهب الى دار
المهندس فأبطنت به . ولكنني تماسكت وجعلت أندب :

قد هلك كل من أرسلتهم الشركة إليها، فهي تضن أن تيمث في إلى الموت وما عسيت الشركة أن الموت هو الذي أريد . فقبلت العمل وسافرت دون أن أرجع إلى بكسيبول لأرى زوجتي ، إذ لم يكن أبضى إلى من أن أراها ووهبتها المنزل وزلت لها عن حصه من مرتبي تدفعها الشركة إليها ؛ غير أنني اشتراط ألا تعلم ولا يعلم أحد بالسكان الذي سافرت إليه ، وأن يغير اسمي في دفاتر الشركة حتى لا تعلم ولا يعلم أحد . وتركت بلادى كأني مودع العالم ، فلا هم لي إلا أن أموت في أفريقيا فينساق الجميع ...

ونشبت الحرب غير أني لم أغامر فيها لشدة احتياجهم إلي ، فلقد كان الزنوج يهاجمونا كل يوم ، ولولا مدافعتنا الرشاشة لهلكنا جميعا وجعل الزمن يمر وكأنه لا يمر علي ، إذ لم يكن لي شيء جديد . ولم أعد إلى بلادى وآثرت أن أمهلك كما يهلك الانسان في الصحراء . وانقطعت عن العالم وانقطعت أخبار العالم عني ، فلم أكتب لأحد ولم يكتب إلي أحد ؛ واستحجر قلبي من هول المصائب ، ورأيتني كالوحش الذي لا يفهم الموت حين تمت إلى الشركة ذات يوم زوجتي الخائنة ... وكان صباح وكان مساء ، وتقاب الظلام والنور ، حتى مررت يوما بمحس ننزل فيه سريه من الجنند يقودها ضابط عاش في باريس قبل الحرب ؛ فجلستنا نتحدث ونستعيد العالم ، وما كان أشد دهشتي حين علمت منه أنه كان عاملا في إدارة الشركة ... !

وترأى بنا الحديث عن رجل ، رجل من الرؤساء ، فقال لي :

— هل عرفت فارناك ؟

نفسى وأزعم أن زوجتي قد ذهبت إلى جهة أخرى وأني لن أجد أحدا ، وسأجلس في الفندق لكأس أو كأسين ثم أعود إلى داري مطمئنا فأجلس عند قدمي زوجتي وأعتذر إليها كما اعتذرت في المرة الأولى ... وما بلغت هذه الخطاطرة من تفكيرى حتى كنت بجذاء الفندق وكأنه يقول لي أنظر أنظر ... أصبحت زوجتي ، وقد جلست إلى فارناك وأماها الشراب ... فانتفضت عليها كالوت . أما هي فوقفت مغشياً عليها ، وأما هو فانهض وقد اكفهر وجهه وتلثم لسانه وأخذ يتمتم ، يحاول أن يتكلم ... فلم أمهله ولم أسمع له ، بل صفعته على وجهه ثم انطلقت أعدو كالجنون وظرت بالموتوسكل

كان ذلك قبل الحرب العظمى . وكانت العادات يومئذ غير العادات ، والشرف غير الشرف ، فما وصلت البلدة حتى التمت زميلين لي فطلبت إليهما أن يكونا شاهدي في مبارزة فارناك . وأجمت علي قتله إذ كان حنق في الضرب بالسيف لا يقل عن مهارتي في الرمي بالرصاص ثم ألفت في محل عملي وأبيت أن أرى زوجتي أو ترأى . فكتبت إلي نضرع أن آذن لها فطالمني بالخبر على جلبيته فان الأمر غير ما ظننت ، وإنما هو شأن آخر سقتني بالبرهان القاطع ، و ... وهنا مضرت الرسالة ولم أستوف قراءتها ، وأبيت عليها مما سألت

ووقعت المبارزة وتضاربنا بالسيف ؛ فما كانت إلا هزيمة ثم أغمدت سيق في صدر الخائن فمقط ميتا ولم ينطق بكلمة ولا حرف

وعدت ساعتي إلى باريس فكتبت إلى الشركة ألتبس عملا آخر . وجاءني الرد أن لا أجعل إلا في ناحية بعيدة من بلاد أفريقيا ... وفي هذه الناحية

ثم اختللت أعصابي وأصبحت خطراً على أيتامى ،
ولست أدري ماذا كان يحدث لو لم ترحنى الطيبة هناك
فتضربنى بالحقى التى أرجعتنى إلى هنا ... ولم تقنأى
الحلى فقد كانت لى قوة أقوى منها ، وهى رغبى
فى التكفير عن الذنب

وبحثت فطلعت أن ثارنك زيبكاً هو ابن أخته ،
وقد ذلّ بمدعى ، واقترب مدعى ، فزلت له عن
أكثر ما جعت من المال

أما زوجتى المسكينة فلم تترك أحداً تربطها بها
أصرة ، فجعلت هى أن أعيش ما بقى من العمر فى
ذكرها ، أتمدب بها كما عذبها ... فاستغفرت
من الممل وجئت أريد بكسيول التى دُفنت فيها ،
ومى مارأيت من غراس الورد على أنواعه ، ومن
هذه الأحجار الغالية ، وهى نحت مثال عظيم فى
باريس ، وهو آت بنفسه على أترى ليقم البناء على
القبر ، فيجعله أثرًا خالدًا مذكوراً من آثار الفن ،
وإلى جانبها سأقضى بقية مدق ، وإلى جانبها سأدفن

وحان الطعام أن يلقى أبوابه ، فخرجنا وكان
المطر ينهمر ، وجعلنا نلتبس الطريق حتى بلغنا
المحلة فيها مقهى يظل مفتوحاً إلى الصباح ، وأبى
صديقى إلا أن يدخل إليه ، فهو على سنه ما زال
يظلم إلى الحمر ؛ ولم يكن احتجز لنفسه غرفة بأدى
إليها فى الفندق ، وتركته يتألم سكرًا وانطلقت
وحدى .

قلت فى أول القصة لى توجهت الى المحطة
وجعلت أتصفح الوجوه أبحث عن شخص ، فهو
صاحبى شبنالك ، وقد ألتصت فلم أجده ، وأتظن
فلم يجىء ، إلى أن تحرك القطار فوثبت إليه

فحدثت فيه أحسبه بهزأى ... ولكنى
تذكرت أنى قد غيرت اسمى فمن البعيد أن يعرف
من أنا ؛ وكأنما أراذ أن يذكرنى ، فقال :

— ألا تذكر ثارنك الذى قتله زميل له فى
المبارزة ؟

قلت — فما قصة هذه المبارزة ؟

قال — لقد ذهب ثارنك ضحية خطأ شنيع .

— أى خطأ ويحك ؟ ألم يكن خليلاً لزوجته قاتله ؟

— كلا كلا ... لم يكن فى قدرته أن يكونه ...

ولقد اطلعت على الملف الخاص به عند ما كنت
أعمل فى إدارة الشركة ؛ فهذا البائس أظهر من
الطفل الرضيع إذ خذلته الطيبة فلا يصاح
لا امرأة ... لا تلك ولا غيرها ولكنى ...

إنى أعرف ما تريد أن تقول ... نعم إن
الرجل فجأه مع زوجته على حال ظنها صربية ، غير
أنهما لم يكونا فى مجلس غرام ، بل اجتماعاً لشأن
آخر ... فقد كانت هذه الزوجة تصرعت إلى
ثارنك وألحت عليه أن يمسى فى الانعام على
زوجها بنوط الشرف ، وسى ثارنك وكتب إلى
الشركة أيضاً ، وقد رأيت كتابه بعينى رأسى ،
وكان طلبه قريباً من الاجابة ، وبشروه بذلك ،
وذابت الزوجة إليه تتلقى البشرى ، ولكن الزوج
الأبله تهرش به ولم يسمع منه ، ثم قتله ولم يسمع من
زوجته ، ثم رحل إلى حيث لا يعلم أحد أين رحل ...

قال محدثى :

هذا ما قصه الضابط ... وكذت والله أموت
حسرة ونداما ، وكذت أجن من هول ما صنعت ،
وتمزق قلبى أشد وأوجع مما قايست من قبل ، فلم
أطق العيش وحاولت الانتحار فبلى بينى وبينه ،

كانت تهيم به هيام الجنون فتأتى في سيارتها الصغيرة بين الوقت والوقت للخلوة به في فندق من الفنادق ثم تدفع للفندق ما كان يجب أن يدفعه هو ... !

وجعل ثينيه يلين زوج هذه المرأة فقد كان أبله منفلا ؛ إتهم رئيسه بزواجه فدعاها للبارزة وقتله ثم نأى فلا يعلم أحد أين هو . وقد ترك لزوجه منزلاً وجصة كبيرة من مرته ، فكان ثينيه هو الذى يستمتع بالمال والدار والزوجة ، ساءرا هو وعشيقته من المنفل ... الى أن هلكت المرأة

وهنا سكنت ثينيه عن الكلام وكان السكر قد نال منه ، فغمغم الرجل الشيخ بكلمات تفتقها الفئاة ؛ بيد أنها رأت وجهه كوجه النمر من الحنفى والنيظ

وبعد ذلك أخذ ثينيه يغنى ويمرّد فأخرجهم صاحب المقهى . وسأل الشيخ صديقه أن يصحبه في زهرة ، وأبت الفئاة وألحت على ثينيه أن يعود الى مثواه ، فأغضبه الحاحها فاعلمها لكمة ألقها الى الأرض . وما كادت نهض حتى أبصرتهما يتهددان الى ناحية النهر ...

فالتقت الصحيفة من يدى وقد عرفت من القاتل ... وتحزنت على صديق التعس صاحب غراس الورد وأحجار الرمرر للصقول ... فلا بد أن يكون قد أزهق نفسه واتهى القاتل والقتيل ... وقيل أن أعادر قرية بوثيينية تحدثت الى محطة بكسيول فعلمت أنه لم يأت إليهم أحد يسأل عن الرمرر وغراس الورد ، وقد ذوى الفراس فاقطع خطبا ...

وأنت يا فبر زوجة شمباك ... ؟ ؟

محمد الرافعي

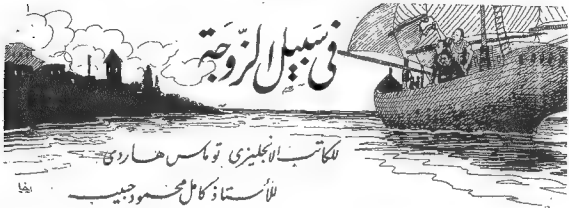
وبلفنا بكسيول وفيها ينزلون ما جاء به صديق من غراس الورد وأحجار القبر ، وأزّلها القطار ومضى بى

وقضيت عملي ورجعت بعد أيام ، فاضطرت الى التخطف مرة أخرى في بوثيينية ، فنزلت حيث كنت نازلاً وسألت الخادم :

— هل عثروا على القاتل ؟

فقال : انهم قبضوا على فتاة ولبسكم لم يقبضوا على دليل يثبت جنايتها . وأن هذه الفتاة أقرت أن القاتل رجل عربي كان معها هو والقتيل ، ووصفته بأوصافه ، فبحثت الشرطة في جميع الفنادق وانصلوا بكل من نزلوا بها تلك الليلة فلم يهتدوا إليه ولا إلى من يعرفه . وامله لم يقض ليلته في الفندق ... ولكن ما الذى يدعو هذا التريب لقتل ثينيه ؟ لا أظنها إلا حيلة تريد الفتاة أن تخدم بها الشرطة ... وأى ذلك كان فأملك الجريدة المحلية وقد اقتصت الخبر من أوله إلى آخره

وتناولت الجريدة وقرأت ما شهدت به الفتاة فاذا هى تقول إنها كانت صدرا من الليل مع ثينيه تماقره الخمر حتى غلا . فلما انتصف الليل وأغلقت الحانة ذهبوا الى مقهى المحطة ؛ ودخل الى المكان رجل علاه الشرب ، أسمر الوجه مشرب بحمرة ، قوى الجسم ، قصير القامة ؛ وكان يترخ من شدة السكر . فتجاذب هو وثنينيه الحديث وخاضا فيه ؛ وزعم أنه قادم من باريس ووجهته الى بكسيول وأخذ ثينيه كمداته يشقق الحديث بأخبار النساء من حظايا وعشيقاته ، وقال ان اسم بكسيول يذكره بأيام الطلب إذ كان في السابعة عشرة من عمره ، وكان يومئذ قد اتخذ أول خليلاته وهى زوجة مهندس تدعى مشلين ... وازدهى بأنها



- ١ -

يردها بدمه كله كلمة ، وقد ركع وضم يده إلى صدره في خضوع ، والجمع من حوله خشع بنظرون .

وحين تمت الصلاة انصرف الناس وقد عرفوا في الشاب البحار شادراك جوليف الذي رحل من وطنه الأول هافنبول ... رحل عنه إلى نيوفوند لاند ، حين مات أبواه .

وانطلق البحار يحدث هذا وذاك ، ويقص عليهم قصة حياته منذ ركب البحر ...

وعلى قيد خطوات منه فتانان : أما إحداهما فضليلة ضامرة رقيقة ، وأما الثانية فتطولة فاردة ؛ جذبته إليهما بمض ما بدا عليهما من رقة وخفة ونشاط ، فقال لحدثه : « من الفتانان ؟ » قال له صاحبه : « أما القصيرة فهي إميلي هاننج ، وأما الطويلة فهي جيوآنا فليبارد » ، قال : « نعم لقد ذكرتهما ... » ثم أسرع ؛ وحين خاذلها قال : « إميلي ، ألا تذكرين ... ؟ » قالت الفتاة : « هذا ما أظنه يا ماستر جوليف ! » وحدثت فيه الثانية ، فقال : « لأستطيع أن أذكر الآنسة جيوآنا غير أني أعرف عنها الكثير »

وساروا جميعاً والبحار يحدثهما حديث ماضيه ، وبما تنصتان في شغف ولذة ، وبلغوا - بعد حين - دار إميلي ، فتركتها هذه ليسيراً جنباً

في أُمسية يوم من أيام الآحاد ، وقد ابتدأ الظلام ينشر سجوفه على مدينة هافنبول ، كان فناء كنيسة سان جيمس يتلألأ ، وتسطع فيه أضواء الشموع ؛ والقس في عرابه يحذر الناس ويمظلم ... ثم وقف - وقد انتهت الصلاة - في خضوع وذلة ، وراح الجمع ينسكون رويداً رويداً .

كان المكان هادئاً صامتاً لا يرتفع فيه إلا هدير الأمواج الصاخبة تصفع الشاطئ في شدة حيناً وفي لين ، وإلا صوت أقدام رجل ينطلق إلى باب الكنيسة يريد أن يفتحه لينصرف المصلون ؛ وحين شارب الرجل على الباب ارتفع الزلازل من الخمازج ودلف رجل في لباس البحار ... ثم انطلق على مهل حتى وقف بأزاء المهراب ، والقس يحده بنظرات فيها الغضب والحلق على فضوله ؛ غير أن البحار قال في هدوء : « لا تؤاخذني بماغات ياسيدي ، فلقد جئت لأشمد الله على أن أنقذني من الفرق حين تحطم مركبي ؛ وهذا واجب أريد أن أؤديه إن وجدت منك الرضا » ، وصمت الراهب حينئذ ثم قال : « لا مانع ؛ وكأن يجدر بك أن تجيء في بدء الصلاة ، والآن سنصلي معاً صلاة النجاة من الفرق » ، وانطلق القس يتلو الصلاة والبحار

واختلجت هذه الأفكار في رأسها فكتبت الى صاحبها تقطع ما اتصل بينهما ، وانطلقت الى صاحبها تريد أن ترى أثر الخبر في نفسها ، وفي يدها كتابها الى شادراك لتقرأه على صديقها قبل أن ترسله .

دخلت جوانا فلم تجد إميل في الدكان فجلست تنتظر ... ونظرت فإذا شاب يحسق في بعض الكتب من خلال الزجاج ... إنه هو ، هو شادراك جاء ليجلس الى إميل ، وهو الآن يجول بصره فيما حوله عليه يجدها وحدها ، وأفتت جوانا من أن تجلس الى صاحبها تحت سمع إميل وبصرها فانفلتت تنواري خلف سحف لئلا تسمع ، ولتستطيع أن تنسل من الباب الخلفي متى أرادت ... وبدا لمينيا ما ارتسم على وجه شادراك من سمات الألم والحزن حين دخل فلم يجد إميل ، وهم أن يخرج غير أن شبح إميل كان قد بدا له فترث . وحين رآته هي فزعت كأنها تريد أن تنكص على عقبيها ، فقال شادراك : « لا ... لا ترجى ، ما الذى يفزعك يا إميل ؟ » قالت : « لا شيء ياربان جوليف ، لا شيء سوى أنك فجأتني فاضطربت » وكان صوتها يضطرب كأنه يحدث عن بعض ما في قلبها من يأس وألم . ورأى الشاب ذلك فقال وهو يسم : « لقد عرفت عليك في طريق ... » قالت وهي تقفز ليكون النضد بينهما « لعلك تريد بعض الورق ! » قال : « لا ، لا ، لا ، يا إميل ! لماذا تقفزين هناك ؟ لماذا تهتمين عني ؟ أنا أصبحت تفضينني ؟ قالت وما زال الاضطراب في ألناظها : « لا ، أنا لا أكرهك ، وكيف أفعل ؟ » قال : « تماي إذن هنا نتحدث كصديقين » ... وجلست إليه وعلى فمها ابتسامة رقيقة ، وانطلق هو يتحدثها : « ها أنت ذى يا هنزى ... قطاطمه : « لا تقل هذا ، أيها الرابن ؟ إن هذه كلمات يجب

الى جنب حتى دار جوانا ... وحين رأى شادراك نفسه وحيدا ارتد الى دار إميل ... إنها تمش مع أيها ، وهي تدير دكانا صغيرا للكتب ، تسد ما تربحه منه ثمرة لا يسدها وانب أيها الضئيل ... وداف الى الدار ليجد الأب وابنته يشران الشاي ، فتناول قدحا آخر ؟ وأخذ يحديثهما حديث البحر ومفاجأته ، والفتاة تحس أن هذا الشاب يجذبها إليه رويدا رويدا ؟ ومضى أسبوع توثقت فيه بينهما عرى الصداقة

وتلاذ القمر - ذات ليلة - ليبحث في نفس البحار الشاب النشوة والطرب ؟ فانطلق يستمتع بالهدوء والبحر والقمر ، ويستروح نسيات الحياة النائمة ... ورأى فتاة تسير على بعد ظنها إميل فانطلق في إثرها ، وحين صار مجذبا وجدها جوانا غياها وسار الى جانبها ، وهي تدفقه عنها برفق خشية غضب إميل ، غير أنه أصم أذنيه عن كلماتها وراح يجذبها ...

ماذا قال لها وماذا قالت ؟ ماذا كان منها وماذا كان منه ؟ لم يسع شادراك بشيء من ذلك ، ولكنه أصبح يهفو نحوها ويهمل إميل قليلا قليلا . وطارت إشاعة يحمل في ثناياها عزم البحار الشاب على الزواج من جوانا دون إميل . ودود الإشاعة ليبحث في نفس الأولى الأمل الخلو ، وفي قلب الثانية اليأس والخيبة ... وبدا لجوانا أن تنطلق الى صاحبها تكذب الخبر وتقول لها إنها ستدفع الشاب عنها في رفق ولين ...

لم يكن شادراك هو كل أمل جوانا ، فهي لا تستشعر حبه في قلبها ، وهي لا ترى فيه رجلا لأنه فقير ، ثم هي جذابة جميلة ناعمة ، تأمر القلوب وتسيطر على الأفتدة ؟ غير أنها أعجبت بلباقة البحار وظرفه ، وكانت ولوعا بالزواج ...

لا تستطيع أن تجلس إليك . ولقد أحست هي في خطابك صفة قوية فاسية هذمت كيانه » وأفاضت الأم فيما قالت ، وكان البحار الشاب رقيق القلب ، سليم الطوية ، فصدق حديث الأم المفترى ، وألقى بين يديها قياده وهو يقول : « وبلى ! لقد قسوت حقاً ؛ والآن فلها هي الخيار »

وفي الصباح التالي جاده خطاب من جوانا تطلب اليه أن يوافيها الى اللتي ... وقالت له وما يسيران ذراعاً في ذراع : « الآن رجعت اليها الى محاربيها ، وكان خطابك غلطة من غلطات الشباب أليس كذلك ؟ » قال وهو يسم : « بلى ... » وتصرفت أيام ... طلما بسدها على العالم عروسين ...

- ٢ -

وكرهت الزوجة أن ترى زوجها يركب البحر فيخطفها نصف زوجة ، ويتركها وعيدة وقد ماتت أمها ، ثم هي لا تأمن غدر الأمواج ، فراحت تحبب اليه البقاء الى جانبها ليقوما معاً بمنزل فيه الأمن والريح

واطمأن الزوج لحديث زوجته ، فأنشأ دكاناً للبدالة ، وبذل قصارى جهده ليفوز من دكانه بختم غير أن جهله بفنون التجارة كان عقبة كأداء . ودار الفلك دورات ، وهو هو ، حيث كان منذ سنوات ، لم يُفد شيئاً سوى ولدين أشرفا في دجى حياته ، وأحبتهما الأم حباً أنساها ما كانت تحبوه زوجها من الحب ، وشبَّ الطفلان على شاطئ البحر فبهما الفراحة والقوة والنشاط ، لكنها لا تستطيع أن تنسهما كما صور لها خيالها ، وبدت لها الحقيقة مرة لذاعة

أن تكون لشخص واحد ليس غير » . قال : « لقد أدركت ماتمين ؛ وإني أقسم أنه ما جال في خاطري يوماً أنك تفكرين في ... أنا أشعر بعزل إلى جوانا ، وأعلم أنها لا تحمل لي في قلبها شيئاً من الحب ، وما كان بيننا سوى الصداقة ؛ وأنت تلمين أن البحار حين يهبط أرضاً يكون أعشى كالخفاش ، فهو يريد امرأة تسلس له وتتقادم لا يمينه ما وراء ذلك . ولقد أحبتك وسكنت إليك — بادی الأمر — ولكنك انزوبت عني فأحسست كأنك تدفينني عن نفسك في رفق ، فانطلقت إلى جوانا ... » قالت وهي ترتجف : « كفى ، كفى ؛ فأنت ستزوج من جوانا في الشهر القادم ، وإنه من المار ... » قال وقد أسسك بذراعها يضمها إليه : « إمبلى ... عزيزي إمبلى ... إنه هو أنت ... أنت وحدك التي أحب ، وأنت التي ستزوجها . إن أمل جوانا أن تنزوج من رجل غيبي غنى . إنها لا تصلح لي ... » وكانت جوانا من خلف الستر تحتلج وتضطرب وقد فجأها حديث شادراك فأزججها وآلمها ، فانطلقت وفي قلبها الحقد والكراهية لصاحبها إمبلى ... انطلقت إلى دارها تمزق الخطاب الذي كتبته إليه وفي رأسها خاطرة تضطرم : لقد عرست على ألا تدع البحار الشاب يفلت فيكون هو سادة إمبلى وشقاها في وقت مما ...

وطربت إمبلى لحديث الشاب فقامت تودعه وفي عينها عبرات الشكر والسرور

وسيطرت الفكرة على شادراك فكتب إلى جوانا يكشف لها عن بعض ما ظنه قد خفي عليها ، وطلب اليها أن تكتب له ، ثم انتظر ... انتظر طويلاً فلم يظفر منها بكلمة ، وأمضه الانتظار ، فانطلق اليها ... وقالت له أمها : « إنها مريضة

السادة لابنيك ١ قال : « لقد كنت أستطيع لو أننى انطلقت إلى عملى .. عملى الذى أجيده ... إلى البحر ... »

وتحركت أطباع الزوجة في صدرها فقالت : « أفترى التبحر هناك ؟ » قال : « نعم » قالت : « أفتريد أن تذهب ؟ » قال : « ما أريده للذة في نفسى فأنا أجد اللذة هنا إلى جانبك وإلى جانب أولادى غير أنك تريدن الثراء ، وهذا طريقه . » قالت : « ومتى تمود ؟ » قال : « من يدرى ؟ » وفي الصباح لبس شادراك ملابس البحار وانطلق إلى البحر ... إلى نيو فوندلاند ...

وترعرع الطفلان ، وانطلقا إلى الميناء بملان بأجر زهيد ، وأمهما جالسة إلى نفسها يتحدثان : « لاضير ، فهما يكسبان ما نسد به عوزنا ، سيكونان في السابعة عشرة والثامنة عشرة حين يرجع أبوهما يحمل إليهما المال ، وبه يملنان ما بلغ أبناء إميلي من الرفاهية والملم ... »

واقضت الأيام ، وحانت عودة شادراك ولكنه لم يأت ... غير أن ذلك لم يزعج الزوجة ولم يقلقها فهي تعلم أن المركب شرعى وأنه لاضير إن لم يصل في ميعاده ... وانطوت أيام ...

وعاد الرجل وعلى وجهه سمات الفرح باللقيا بعد الفراق الطويل ، وعلامات الفوز بما يرضى به زوجته ؛ وراح يضم زوجته في شفق وحب وهو يقول : « لقد أفتدت كثيرا يا جوانا » ثم أفرغ في حجرها كيسا كبيرا قد ملئ ذهباً . وبدأت الدهشة على وجه الزوجة — بأدى ذى بدء — ثم انمحت قليلاً قليلاً ، ليحل محلها الجشع الذى في صدرها فقالت : « أهذا كل ما أفتدت ؟ » واستشعر الرجل الخيبة فقال : « ماذا ، ماذا يا عزيزتى ؟ إنه

وكانت إميلي قد تزوجت من تاجر غنى ، وأح يتودد إليها حتى رشيته زوجا ، وتفتحت زهرة هذا الزواج عن طفلين مسحوا عن قلبها ما كان من حب لشادراك ومن كراهية لجوانا ، واستقرت إميلي في دار زوجها الفسيحة الجميلة ، وهذه الدار نجما دكان شادراك !

لشد ما ألم جوانا أن ترى المرأة التى غلبتها على أمرها حينما من الدهر في قصرها الشديد ، ترفل في حررها وستندسها بين أطفال كالآقمار ، وأن تراها تبطل من نافذتها بين الحين والحين كأنها تستمتع بما ترى في دكانها من معاني الضمة والفقر ! ولشد ما حزن في قلبها أن تستشمر الخيبة بعد أن أحرزت النصر ؛ وأن ترى حياتها تفتتح عن فاقة وهوز ! أفكان هذا هو كل ما أفادت جوانا حين ظفرت بفناها شادراك ؟

وجلست جوانا إلى زوجها تحمده وقد خلا المكان إلا منهما ، وبصرها معلق بمرية أحد الأغنياء الكثيرين الذين يزورون إميلي بين الفينة والفينة ؛ تحمده تقول : « ما كان لرجل أن يبرز في عمل لا يبيده ولا يتقنه ، وأنت لا تحسن فنا من فنون التجارة » قال الزوج : « إن الثراء لا يعينى كثيراً ، وحسى أن أعيش إلى جانبك سعيداً .. » قالت : « أفلا ترى ما بلغت إميلي من الثراء والدعة ؟ إن ابنيتها يتملكت في الكلبة ، أما ابنائك فلا يستطيعان ... » واستنقظ الهوى في قلب البحار حين ذكرت إميلي فقال : « إنه أنت أنت التى رفعت إميلي إلى ما ترين حين جذبتنى إليك ، فارتدت هى في بأسها فنجيب التاجر إلى ما يطلب . » وتكرر الحقد والغضب في صدر الزوجة فقالت في غيظ وحدة : « دع الماضى ، وانظر كيف تجد

لثراء ... ١- قالت وكأنها تؤنبه : « هذا ثراء لمن يعيش في البحر ؟ أما هنا ... »

وأمسكا عن الحديث حين دخل الولدان ... وفي يوم الأحد التالي انطلق شادراك الى الكنيسة ليؤدي صلاة النجاة

وبدا للرجل أن زوجته لا تقنع ، فراح يحدثها ليستشف من حديثها بمنض ما يكنه قلبها ، فقالت وهي تشير الى دار إميل « إنهم يملكون الآلاف وما عندنا سوى بضعة مئات ؛ لقد اشتروا عربية وحصانين . ما زلنا فقراء يا شادراك ... »

وقضى الزوج عاماً لا يرى زوجته إلا حزينة كئيبة ، فأمنه ذلك وآله وعزم على أن يناصر في البحر مرة ثانية مع ولديه . وانطلق الى زوجته يكشف عن عزمه فاضطربت وفزعته ، وقالت : « لا ، لا ، يا شادراك . لا أستطيع ذلك ، ولا أريد أن أفقد بهما في يد الأمواج ... » قال الزوج « وأنا لا أستطيع السفر بدونهما »

وباتت المرأة ليلتها تقلب الفكرة في رأسها ، وعلى خطاوات منها إميل تسمّر الحقد والتبظ في قلبها فلا تستطيع صبرا على ما هي فيه من فاقة وفقر ؛ غير أنها لا تقوى على أن تعيش وحيدة ؛ ولكن .. ولكن أحلامها في الفنى والسعادة ... وصيحت زوجها تقول له : « أستخدم كثيرا لو أنهم ذهبوا برفقتك ؟ » قال : « أضماقا مضاعفة ، فمما خبرني من رجال كثير ، وأنا ألع فيهما الذكاء والظفنة والجلد والجد » قالت : « وهل في ركوب البحر من خطر ؟ » قال : « نعم »

ومرت أيام وأيام ، والأم لا تستطيع أن تقر على رأى ... ثم وافقت ...

وحُيِّل للرجل أن موقف الوداع يصعب

بقلب الأم وينذر في الصبيبت غراس التخاذل والضعف ، فانسَل برفقة ولديه في الصباح الباكر ونسبات الريح تمر هيئة ندية . وأحسبت الأم ، بعد حين . فاندفعت على آثارهم لترى ما سطره الرجل على الجدار ، بنبتا بفرغم خابية لثلاث حزمها ساعة الفراق وتؤلها ، لترى كل ولد وقد ترك أتركا تحت أثر أبيه يقول : « وداعاً يا أماء ! » وانطلقت الأم لتدرك السفر ، غير أن سفينتهم « جونا » كانت هناك عند الأفق تمخر المياح ... وتفجرت المبرات من محجربها . وقد تصدع قلبها تسجع السرور والهبة عن أيامها . وارتدت ... ارتدت لترى مثلها الأعلى في المرأة التي دفعت زوجها وابنها الى اليم ... إميل ...

وانقضت أشهر الصيف الأولى ، وجوانا لا تبرح دكانها وما فيه إلا الرفوف ، وإلا الضد ، وإلا بقية من البضاعة ؛ وجأت أيام الشتاء تريد أن تمحو ما سطر أذى زوجها وولدها ؛ وشق على الزوجة أن ترى هذا الأثر التالي عجبي ؛ وهي ترى من خلاله سمات سيدها وولدها ، فقطته بألواح من الخشب ...

ورأت إميل ما يضطرب في خيال صديقتهما جوانا فانطلقت ترفه عنها وتشترى منها بعض أشياء هي في غنى عنها وعن بعض ما فيها من قذارة ورداءة ؛ وجوانا لا تطعن إليها ولا تهدأ لأنها ترى في ذلك معنى الثبات والتشفي ؛ وتأثرت الحقد في صدرها حين رأت ابني إميل وقد عادا ليقضيا أيام عيد الميلاد بين أبيهما وأمهما ، يبدو عليهما أثر النعمة والعلم معا ...

ومضى عام ... وابتدأ القلق يستولى عليها ... وجلست إميل إليها تحدثها فقالت لها جوانا : « أنت تميزين في طريق التجاح ذمما ، أما أنا

من امرأة مثلي تهدها الأيام؟» قالت إمبلي في رقة:
«أطلب إليك أن تعيشي معي ... معي في منزلي
فأخرجك عن خلوتك ووحدةك وكأنيك»
قالت: «لا، لا. سأظل هنا إنك تريدني أن
تنتقمي ... تنتقمين مني لأنني حلت بينك وبين
شادراك؛ إنك تريدني حبسي في دارك لتبهذي في
نفوسهم اليأس حين يمودون فلا يجدوني»

وأمسكت إمبلي عن الاجابة لأنها تعلم — كما
يعلم من في هافنبول — أن شادراك وولديه قد
ابتلعتمهم الأمواج منذ حين ...

وصرت الأيام ... وهجرت جوانا عن أن تدفع
أجر الدكان واللزل حين غضب مينيها؟ فهي قد
عافت العمل منذ زمان، وزوجها قد أخذ كل
ما أفاد ليثمرة ويكثره، وتضائل الأمل في حينها
رويداً رويداً، فأجابت إمبلي إلى ماطلبت ...
وامتدت يد الأيام إلى المرأة تحمل إليها المشيب
الباكر، وترسم على وجهها غصون الأسى والألم،
وتحنى ظهرها، غير أن الأمل ...

واستولت على المرأة زعة جنون تفرزها من
مرقدتها بين الفينة والفينة لتنظر خلال النافذة
عليها تجد أحباءها

وهبت ريح الشتاء الباردة تصفر صفيحاً أمزجاً،
والظلام الحالك ينشر ذوائبه على المدينة، والراة
جالسة في حجرتها ترفف السمع ... ترفف السمع
بعد ست سنوات خلون منذ أن أفلح المركب
«جوانا» ... وخيل إليها أنها تسمع صوت
شادراك وولديه، فاندفعت تدق باب الدكان دقا
عنيفاً ... وأطلت شاب من النافذة يقول لها:
«يا سيدتي، إن أحداً لم يأت»

فلس محمود حبيب

فأهبط في منبهر الاخفاق دأماً «قالت إمبلي
«لماذا، لماذا؟ سيرجمون جميعاً وفي أيديهم الثروة
والمال ...» قالت «أفترجمون؟ أفترجمون حقاً؟
إن الشك قد هيمن عليّ. إن مركباً واحداً قد
أفلمهم جميعاً، والأشهر تمضي وأنا لا أعرف ما
يصنعون! لا شيء يترغ عنى المم سوى عودتهم»
قالت إمبلي: «أنت غططة يا جوانا، لماذا دفعت
بهم إلى البحر؟» فالتفتت جوانا بحاجة تقول:
«نعم، إنه أنا التي فعلت، وإنه أنت التي أخربتني
بذاك؛ فما كنت لأستطيع أن أدرك غنية ترفلين في
حلاك وحلك ونحن نتخبط في شدائد الفقر
والحاجة. هذا ما في قلبي، ولا يمتني بعدها أن
تكبرهني» قالت إمبلي في هدوء: «لا يا جوانا،
أنا لن أبفضحك أبداً»

وكانت إمبلي صادقة فيما قالت ...
ودار الفلك دورته بذيق المرأة وبأل أمرها،
لتكفر عن سيئات اقترفتها حين طاوعت أطماءها،
واليأس يتدفق في قلبها ينزع عنها الصبر والايقان
وذكرت أمنية زوجها حين قال: «... وحين
نمود غائمين سالفين نذهب إلى الكنيسة لنؤدى
صلاة الحمد كما فعلت أول مرة ...» فكانت تذهب
هي صباح مساء لتركع هناك حيث ركع زوجها
منذ سنوات وسنوات وهي تضرغ إلى الله ...

وطال بها الانتظار، وهي لا تجد من يقص
عليها قصة زوجها وابنيها، فتوزعها الموموم
والأحزان، وارتاحت لوحدها وخلوتها وإمبلي
من ورائها تدفع عنها الخواطر السود؛ غير أن
جوانا قالت لها في غضب وحسرة: «أنا أكرهك!
أنا لا أستطيع أن أراك!» قالت إمبلي: «لماذا؟
فأنا أريد لك السوة والاطمئنان!» قالت: «أنت
سيدة غنية تتمعين بالمال والزوج والبنين، فأذا تبنتين



يَوْمِيَا نَابِي الْأَرْيَافِ

لِلأَمْتَادِ تَوْفِيقَ الْحَكِيمِ

١٦ أكتوبر . . .

كالطائر المرح ، وأحياناً يحرن ويثب على قدميه وبأني أن يتقدم كأن في طريقه أمي رافعة الرأس . وهو الساعة يهتز في يدي ويرقص ولا يطيعني كأن شيئاً يخيفه أو يقصيه عن مروج الأحلام . فنظرت إلى خزانة ملايبي الخشبية فإذا غار أسود على رأسها واقفاً يقرض الخشب بأسنانه ؛ فجملت أنظر إليه عليه يذهب ، فلم يذهب ؛ ومضت ساعة وهو في مكانه وأنا في مكاني ، كلانا له عمل من غير شك ، وهو فيما يبدو لي لا يحفل بوجودي ، ولكني أنا أحفل بوجوده . فزيارة في هذه الساعة شغلتي عن نفسي . وأخذت الأحظه وهو يحسح رأسه وفه بيديه الصنيرتين . وجملت أفكر في هذا المخلوق الذي لا يفكر في ، وهنا كل الفرق بيني وبينه ؛ وتركت هذا التجار الصغير ذا النشار الدقيق ، وحملت كتابي إلى سريري وسدلت « الناموسية » عليّ وأحكمت ربط أطرافها حتى آمن فضول هذا الزائر إذا حدثته نفسه بمداعبة قدي المارية . ولم

لم نستطع أن نعرف شيئاً من الشيخ عصفور ، ولم نستطع كذلك أن نقبض عليه ، فهو لم يرتكب أمراً يقع تحت نصوص القانون فأطلقناه ، وخطر ببالنا أن ندفع في أثره أحد المخبرين عسى أن نستكشف غيباً الفتاة . . . ولكن أين هو المخبر السري الذي يخفي على الشيخ عصفور ؟ إنه يعرف كل رجال الحفظ معرفة أكيدة ، وهو الذي قام معهم في الوقائع مئات المرات وسهر معهم وأكل وشرب وغنى وأنشد ، ودلهم على غزاي الأسلحة ، واقتنى معهم آثار المجرمين . إنه يكاد يحسب من أسرة « البوليس » . تركناه ينصرف في سلام . وقد اكتني بالأمور الحائق بأن شيمه إلى الباب بصفحة على قفاه شق بها غليله ، وانصرف بعد ذلك كل منا إلى شأنه : الأمور إلى ناديه ، وأنا إلى منزلي حيث خلعت ملايبي وخلوت إلى نفسي ، وأخرجت كراسه يومياتي ألقي فيها هذا الكلام الذي لا أجد من أفضى به إليه في هذا الريف . إن القلم لمنعة لأمثالنا ممن كتبت عليهم الوحدة ، ولكن القلم كالجواد يتطلق أحياناً من تلقاء نفسه

وصفق يديه :

— يا أفندي يا محضر ! حضر الجلسة ...

الجلسة .

وألقى بمعطفه النيل الأبيض السفرى على كرسى ، وأخرج وسامه الأحمر من محفظته ولبسه في الحال . وأقبل الفراش بالقهوة فشربها القاضى وهو واقف في جرعتين وهجم على قاعة الجلسة ، ونحن في أعقابها ، وصاح المحضر :

— محكمة ١١

ونظر القاضى في « الرول » وقال :

— قضايا الخالفات . محمد عبد الرحيم الدنف ،

لم يبق دودة القطن . . . غيابة خسون قرشاً . تهاى السيد عنييه . . . لم يقدم ابنه للتعليم . . . غيابة خسون ... عمود محمد قنديل ، أحرز بندقية بدون رخصة . . . غيابة خسون والمصادرة . غيابة خسون . . . غيابة خسون ...

وانطلق القاضى في الأحكام كالسهم لا يوقفه شيء ، والمحضر ينادى مرة واحدة حتى يلاحق القاضى ؛ فن لم يسمع النداء . عد قائماً وحكم عليه غيابة . ومن سمع بالمصادرة فحضر يجزى ابتدوره القاضى :

— أنت يا رجل تركت غنمك ترمى في زراعة

جارك ؟

— أصل الحكاية يا سيادة البك ...

— ما عندناش وقت لسماع كحايات ...

حضورى خسون . غيره . عبد الرحمن ابراهيم أبو أحمد . الخ الخ ...

وانتهت الخالفات في مثل لمح البصر ، وجاء

دور قضايا الخنج وفيها سماع شهود ومرافعة محامين .

أجد قائدة من . « المصايد » فانها تكلفنى عناء في إغنادها وترقب نتيجتها . وليس أشق على النفس ولا أدعى إلى إضاعة الوقت من انتظار النتيجة . إذا كانت الفريسة خائرة تماورنا وتداورنا ولا تقع حتى تقع منها نفوسنا . وفوق ذلك فلنكم قنصنا من الزبران ، ومع ذلك لم نقطع زيارتها ، فلنتركها إذن تبحر وتروح ؛ ولنحملها هذا الجليل ؛ ولنحرص نحن هل أنفسنا وحوامنا . وأنا والله الحمد ليس لى حوائج يخشى عليها غير هذا الأثاث الرخيص من الخشب الأبيض قد حطمته كثرة التنقلات من بلد إلى بلد . فإذا بضيره أن تميت به أسنان صغيرة ؟ وغت في تلك الليلة بعد العشاء بقليل ، فان في اليوم التالى جلسة القاضى السريع ، وقد كثفت مساعدى بحضورها على أن أحضرها معه إلى جواره كي أمرنه على نظام الجلسات وما يقع فيها من إجراءات . وجاء الصباح وذهبت إلى المحكمة فوجدت مساعدى في غرفة الدائرة متباطئاً منظروفاً به وسامه وهو في انتظار القاضى . ولم يلبث القاضى أن جاء في القطار القادم من القاهرة وخلفه شيمان الحاجب ، وجا يشتردان في الخطى والقاضى يخرج من جيبه نقوداً يناولها للحاجب ويقول له :

— اللهم يكون فلاخ من قشرة بيت اللوح !

وأمسح للبيض بإشيمان أفندي ؛ والزبدة والجبنه على عهدتك . أوضع الحاجة في السلالى « كويس » وانتظرنى بها على المحطة في قطار ١١ كالمتاد . اطلع انت السوق والأفندي المحضر يقوم بذلك بالعمل ! وانصرف الحاجب سريعاً ، ودخل علينا القاضى وسلم في مجلة قائلاً :

— أظن ندخل الجلسة .

بالحكم دون أن ينظر الى التهم أو ينتظر بقية دفاعه

— شهر مع الشغل . غيره ...

— يا سمادة القاضي أنا عندى شهادة

لا ضربت ولا بطحت . الحكم ظلم . ظلم يا ناس

— إخرس ! اسعجه يا عسكري !

فسحبه المسكرى بييدا . ونوديت القضية

التالية . لحضر رجل همهم مقوس الظهر أبيض

الحية يدب على عصا قابضه القاضي :

— بددت القمع المحجوز عليه ؟

— القمع قحى يا سمادة القاضي وأكلته أنا

والسيال

— معترف . حضوري ، حبس شهر مع الشغل

— شهر ! يا مسلمين ! القمع قحى . زراعتى ..

مالى

فسحبه المسكرى . وهو ينظر بينين زائنتين

الى الحاضرين كأنما هو لا يصدق أن الحكم الذى

سمع حقيقى . إن أذنه لاشك قد خاتته ، وإن اليقين

عند الناس الحاضرين . فهو لم يسرق قمع أجيد ،

لقد جاءه المحضر حقيقة فحجز قفحه وعينية حارساً

عليه حتى يسد مال الحكومة ، ولكن الجوع

اشتد به وببيله فأكل قفحه ؟ فمن ذا الذى يسده

سارقاً وبماقبه عقاب السارق ؟ إن هذا الشيخ

لا يمكن أن يفهم هذا القانون الذى يسميه لصاً لأنه

أكل زراعتة ، ونمرة غرسه . إن هذه الجرائم التى

اخترعها القانون اختراعاً ليحمى بها مال الحكومة

أو مال الدائنين ليست فى نظر الفلاح جرائم طبيعية

يحمسها بقرينة الساذجة . إنه يعرف أن الضرب جريمة

والقتل جريمة والسرقة جريمة . لأن ذلك اعتداء

وهى تحتاج إلى شيء من الأناة . فأخرج القاضي

ساعته ووضعها أمامه ، وصاح فى المحضر :

— بسرعة ! القضية الأولى ...

فنادى المحضر :

— سالم عبد المجيد شقرف ...

فنظر القاضي فى الرول وعرف التهمة والتفت

الى التهم وهو لم يميز بعد عتبة باب الجلسة وصاح فيه :

— ضربت الحرمة ؟ كلمة واحدة ... قل من

عندك !

— يا سمادة البك فيه راجل يضرب حرمة !

— ممنوع الفلسفة . كلمة وزد غطاه .

ضربت ؟ نعم أو لا ؟

— لا

فصاح القاضي فى المحضر :

— أنكر التهمة . هات الشاهد

فحضرت الحرمة المضروبة تتمتر فى « ملها »

الأسود الطويل ، فلم ينتظر القاضي حتى تدخل

الجلسة ، وصرخ فيها :

— ضربك ؟

— أصله يا سيدى القاضي ربنا يخليك ...

— مفيش أصله . ضرب والا لا ؟ هى كلمة

لا غير

— ضرب

— كفاية . واستغفرت المحكمة عن بقية

الشهود ... كلامك يا متهم

فتنحج التهم وجعل يدافع عن نفسه والقاضى

مشغول عن ماعه بكتابة الحيشيات ومنطوق الحكم

على الرول بالراصص الى أن فرغ . فرفع رأسه ونطق

— الحبس بالزور يا حضرة القاضي؟ أما مظلوم .
 لا قاضي سمع كلامي ولا حاكم طلب سؤالي لحد
 الساعة !
 — إعرض ! معارضة يا رجل بعد الميعاد ؟
 — وما له ؟
 — القانون يا رجل انت ععدد أربعة أيام
 — أنا يا سيدي القاضي غايان لا أعرف أقرأ
 ولا أكتب . ومن يفهمني القانون ويقربني
 المواعيد ؟
 — يظهر اني طولت بالي عليك أكثر من
 اللازم . أنت يا بهيم مفروض فيك الملم بالقانون .
 إحجزه يا عسكري !

ووضع الرجل بين المحجوزين وهو ياتفت عنه
 ويسرة إلى من حواليه ليرى أهو وحده الذي لم
 يفهم ؟ !

وجملت أنأمل لحظة سحنة هذا المخلوق الذي
 يفترض فيه الملم بقانون « نابلدون » ! !
 وانتهت الجلسة آخر الأمر . ووثب القاضي
 ناهضاً وعاد الى حجرة الدلاولة ، وخلع وسامه على
 مجل ، فان قطار المودة لم يبق على قيامه غير سبع
 دقائق . ولكن القاضي تعود الركوب في آخر
 لحظة ، فهو في إسرعه لم يفقد ثباته الدلاولي ولا
 اطمئنانه ؟ وتناول معطفه الأبيض ووضعه على
 ذراعه وسلم علينا وانصرف الى المحطة في شبه ركض .
 وإذا كاتب النيابة يدخل مسرحاً يبيض الملفات
 وخلفه عسكري يسحب مسجونا والكاتب يصيح :
 — القاضي مشي ؟ عندنا معارضة في أمر
 حبس معروضة على حضرة القاضي

فقلت له في الحال :

ظاهراً على الغير ، وأن الرذيلة الخلقية فيها بديهية
 جلية . ولكن التبديد ... كيف يفهم أركانه
 وحدوده ؟ إنما هو جريمة قانونية يظل يتحمل وزرها
 دون أن يؤمن بوجودها . وأسلم الشيخ أمره
 لخالفه . وتسلمه الحراس وهو يقول : « لا حول
 ولا قوة إلا بالله » . ونوديت القضية التالية ،
 ولم يكد المحضر ليلفظ اسم المتهم حتى كان القاضي
 قد وزن « اللوسيه » في يده فوجده ثقيلاً والشهود
 كثيرين ؟ ونظر إلى ساعته ، ثم نظر إلى منصة
 المحامين فلم يجد مع هذا التهم عمامياً فقلت أنه
 يريد أن يؤجل القضية ، ولم يجب ظني ، فقد
 التفت إلى النيابة قائلاً :

— النيابة طالبة التأجيل ؟

فنظر مساعدى إلى صريتها . فأسمعت قائلاً :

— بالمعكس ؛ النيابة تمارض في التأجيل

فأخفى القاضي امتعاضه وقال في شبه همس :

— ننظرها والسلام . هات الشهود ...

غير أن القاضي ذكر أن هذه القضية إنما هي
 قضية « معارضة » في حكم غيابي سبق فيها . وينبى
 أن تقدم المعارضة في خلال أربعة أيام . فقرأ في
 الحال التواريخ وصاح من فوره في التهم متنفساً
 الصمداء :

— القضية مفروضة شكلاً يا حضرة التهم
 لأن المعارضة تقدمت بعد الميعاد
 فلم يفهم الفلاح ذو « المرى » هذا الكلام .
 وقال :

— والمعمل إيه يا حضرة القاضي ؟

— العمل أن الحكم السابق بمحبسك ينفذ عليك .

إحجزه يا عسكري !

سهر لياليه ليحشوه هذه الأوراق
 وخلوت أخيراً في مكتبي . ودخل على رئيس
 القلم الجنائي بيريد النياية . وفتح مظاريضه أمامي
 كالمتناد في كل صباح . وما كدنا نفص غلانا أو
 غلافين حتى سمنا نعيمجا خارج الحجره وصوتا
 مدويا عرفت فيه صوت الشيخ عصفور ، فبعثت من
 يسأل عن خبره ، فقيل لي : إن المركز أرسله اليوم
 مقبوضا عليه بعد أن حرره محضر تشرد . فأدركت
 أن المأمور ما زال يعتقد أن هذا الشيخ هو الذي
 خطف البنت . وأن حقه عليه ما زال متاججا
 وأنه لجأ إلى وسائل الادارة ليقوع به . إن فكرة
 اتهام الشيخ عصفور بالتشرد فكرة نيرة لا يمكن
 أن تخطر إلا بذهن المأمور المتيظ . والحقيقة أن
 هذا الشيخ متشرد لا أكثر ولا أقل . وهو من
 هذه الناحية يصلح فريسة لنصوص القانون التي
 بين أيدينا . ولكن المريب أن يسكت عنه المركز
 كل تلك الأعوام التي مضت ولا يفتن إلى أمر
 صناعته إلا الساعة . إن هذه الوسيلة لم تعجبني
 كثيراً ، ولم ترض ضميري القضائي ؛ فان نبهت
 القانون لا ينبغي أن تكون أسلحة في أيدينا نضرب
 بها من نريد ضربه في الوقت الذي نختاره . إن
 القبض على الشيخ عصفور اليوم هو من غير شك
 مسألة انتقامية . إن المأمور قد رأى هذا الرجل يفلت
 من تهمة خطف الفتاة دبر وفكر في طريق آخر
 لا يستطيع منه الافلات . هذا أسلوب الادارة
 الذي لا يحسن أن يسلكه رجال القضاء ؛ وعزمت
 في نفسي أن أفرج عن الرجل ، ولكني أرجأت
 النظر في أمره حتى أفرغ من « توريد البوستة »
 التي أمامي . فلقد قدم لي عبد المقصود أفندي مطروفا

— الحق القاضي على المحطة قبل ما يركب
 فصاح الكاتب في المسكرى :
 — هات المسجون يا شاويش واطلع على
 المحطة
 وهرول الجميع : الكاتب والجاويش والمسجون
 في ذيل حارسه مربوطا في السلسلة كأنه كلب .
 وجروا كلهم خلف القاضي الراكن . وهذا منظر
 مألوف لأهل البلد في يوم هذه الجلسة . فان
 المعارضات المتأخرة والتجديد لأوامر الحبس تنظر
 وتمضي في « بوفيه » المحطة قبل قيام القطار بدقيقتين ،
 ويتحرك القطار وقدم القاضي ما زالت على الرصيف
 والأخرى في المرة الأخيرة وهو يقول :

— رفض المعارضة واستمرار حبس المتهم
 فيدون الكاتب منطوق هذا الحكم فوق
 « رخامة » مائدة البوفيه ، بينما يتسلم القاضي من
 شعبان الراكن خلف القطار المتحرك « سلاي »
 البيض والزبد واللحم ، والحاجب يصيح بأعلى صوته :
 — اللحم يا بك من بيت اللوح وبيت
 الكلاوي !

وصعدت بعد الجلسة إلى مكتبي أنا ومساعدى
 وقد بدا الوجوم على وجه المساعد ، فقد كان يحسب
 أن النياية ستقوم في كل قضية تشرح وجهة نظرها
 في الاتهام . ولقد كان أعد لذلك مرافعات طويلة
 مكتوبة بخط واضح جميل على « أفرغ فولسكاب »
 مسطرة ، فإذا هو يخرج بها من الجلسة مطوية كما
 دخل بها ، وإذا الأحكام قد انطلقت انطلقت القطار
 في بساطة وسرعة ، والمدالة قد جرت مجراها في
 طرفه عين كأنها جواد السباق من دون حاجة إلى هذا
 التحليل والنشر والاستشهاد والاستدلال الذي

في نفسى : « تلك ملحوظة من النائب العام » .
فأسرعت بفضه فاذا هو بلاغ من مجهول أرسل
الى النائب العموى رأساً في القاهرة ، فأحاله على
لأجراء اللازم فيه . فغشته في يدي وقرأه بممان ،
ولم آت على آخره حتى كان قد استولى على العجب ،
وأطرقت لحظة أفكر ؛ ثم أعدت النظر فيه
وتهمت في قراءة سطره هذه :

« سعادة النائب العموى بمصر دام
نرفكم بأن الحزمة زوجة قمر الدولة علوان
المضروب الموجود « بالاستبالية اليرى » كانت
ماتت من سنتين غنوقة وتستر عليها - حلاق المصلحة
من أجل الرشوة وأجرى دفنها بدون علم الحكومة .
واسألوا زوجها علوان وأختها البنت ريم عن الذى
خنفها . وأسباب الجريمة مالمومة ولا تخفى على
فطنتكم إذا كانتم خاطركم بالتحقيق بنفسكم وإنكم
تكشفون أسراراً خطيرة ، وتضربون على أيدي
الأشياء . « وتوضعون » المدل في مجراه . والمدل
أساس الملك . وقد قال الله عز وجل في كتابه
المعزى : (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)
صدق الله العظيم » « قائل خير »
(يتبع)
نوفير الحكيم

آلام فترت

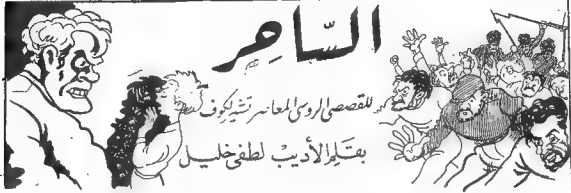
للشاعر الفيلسوف جوتة الألساني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد صبره الزيات

وهي قصة عالية تدبح من آثار الفن الخالد
ومنها ١٥ قرشاً

أصفر ضخماً علمت أن فيه « قضايا جنابات » مرسله
إليها من الرئاسة لدرسها والمرافعة فيها أمام محكمة
الجنابات المنعقدة هذا الشهر في عاصمة المديرية التي
نعمل في دائرتها . فالتقيت نظرة على هذه القضايا
فوجدتها تحوى مئات الصفحات . وهل لي رأس
يتسع الآن لكل هذا ؟ لا شيء ينفرني من عمل
النباية غير المرافعة في قضايا الجنابات . فان من
المسير على ذا كرتي الضميفة أن يحيط بكل تلك
التفاصيل التي تتكون منها الجريمة كي تبسطها بعد
ذلك في نظام وترتيب وهدهد أمام قضاة ثلاثة عابدين ،
وعامين متربطين ، وجمهور يشاهد ويحكم لا على أب
الموضوع ، بل على مدى اتقان الحركات والإشارات ،
ورنين الصوت في القاعة ، وهارة الالتقاء ، والضرب
باليدي فوق النصبة . إنى بطبي لا أصليح إلا للملاحظة
الناس خفية يتحركون فوق مسرح الحياة ، لا أن
بشاهدي الناس مثلاً بارعاً قد سلطت على وجهه
الأضواء . إن هذه المواقف تسمى بصرى ، وتذهب
لبي ، وتطير ما في ذا كرتي ، وتفقدني ذلك الهدوء
النفسى الذى أرى به أعماق الأشياء . لذلك ما ترددت
وأمرت بإحالة هذا القضايا على المساعد ، فهو ما زال
في تلك السن التي يهر فيها الانسان ويمجب بهذه
المواقف والمظاهر ؛ وقد يكون له من حسن
الاستعداد لهذا العمل ما يجب على أن أوجهه اليه .
وإنى فوق ذلك أتبع له فرصة الإقامة أياماً في عاصمة
المديرية حيث يجتد في ملاحيتها ومشاريتها ما يرفه
عنه ويلطف من أثر الوحدة والضيق في هذا الريف
الصامت . وأعجبتني هذه الحجج ورأيها كافية
لاقناعي بوجوب إزاحة هذه القضايا الثقيلة عن كاهلي .
وناولني رئيس القلم الجنائى بعد ذلك منظوماً آخر
صغيراً قرأت عليه بالجهر الأحمر كلمة « سرى » فقلت



الموانيت ، ولكن الأمان من أى شيء ولم يقف أحد على السبب ؟

لقد كانت جموع المال تروح وتغدو على الأرصفة ، وثيدة الخطى ساحمة الوجوه تتكلم فى همسات خفية مع من يقابلها من الرفاق ؛ ثم تهدق بدين المقت والحفيظة إلى ذلك الشعب المترف وهو يخطر فى لباس فاخر ويشيح بعيداً عن ذوى الخلقان الممزقة والوجوه الشاحبة المريضة والأيدى التلظية القذرة التى تشوه جمال الشوارع النظرة التى كانت تفيض بهجة وسخراً فى ذلك اليوم الخريفى الجميل الذى كانت فيه أوراق الأشجار المأروسة على أحياء الطرق الفسيحة تلقى أشعة ذهبية — كأنها تستقبل قبلة الفراق من الشمن الفاترة — على تلك العربات ذات العلاء الوهاج ، بينما صراكب الترام بأجراسها المجاجلة ، والسيارات بأبواقها الصارخة ، والدراجات النارية الرائحة تفرم السالك والدروب

كانت تلك الكتل البشرية تلوح كأنها حجيج غير منتظر قد جاء من عالم آخر يخطو بين أمان مترفين ، فتجنبوا ملامسته أو الاقتراب منه خيفة أن تمسهم منه لونه أو ينالهم من أطرافه وخرن . ثم مالبت تلك الجموع أن تفرقت أبدياً كأنها

كانت المدينة فى هياج وذعر ؛ وكان الاضراب سائداً فى العامل والمصانع قد اندلع كالنار تسعفها الريح حتى عم سائر الأنحاء ، وفوق الفرسان من الشرط تخترق الشوارع — كأنها رجال اللطافى الذين اعتادوا أن يأتوا مسرعين ، ولكن بعد فوات الفرصة — بوجوه ساحمة مهمومة ينقلون الخطى على قرع الطبول كأنهم رجل واحد والألق يسلم من حراب بنادقهم وهم يلوحون بها فى الفضاء ، ثم ينفلت بينهم أحد القوزاق فى جلده المارى إلا من الشمر كأنه أبه مجنون فهوى الناس بعضهم على بعض متدافعين إلى مختلف الجهات مخافة أن يطأم بقدميه

بقيت المدينة على تلك الحال من الصخب والاضطراب ، فواجهت الموانيت تاق بأضوائها المختلفة ، وجموع الناس تتراحم على الأرصفة فى خوف وقلق ، والعربات تتسارع فى الشوارع فى صراع وعنف . وبات الناس يتوجسون خيفة من كل شيء ؛ فإن صفر شرطى فى صفارته أو انفلت أحد القوزاق فى الشارع ، أو نزت برأس عرييد نزوة الشجار والعبث ، استولى على قلوبهم الخوف والمهلح . فيتدفع بعضهم إلى مكان الحادث ويولى البعض الآخر الأدبار طالباً الأمان فى مجازات

— امسرع !
 — ولكن الى أين سيدتى ؟
 — هناك . الى الأمام . ياله من ضيق ! أدرسى بما
 — لا تخافى سيدتى . إنهم لن يقتربوا منا .
 — وما كادت العربية تنمط الى الشارع الآخر
 حتى عاد الهدوء الى قلب الأم ، فمادت الى حديثها
 الأول :
 — تذكر أنى سوف لا أدفع لك أكثر من
 عشرين كوكبا .
 — إن هذا قليل يا سيدتى .
 — إذن نزل . قف . سنأخذ الترام .
 — أنصح لك أن تبقى حيث أنت يا سيدتى فإن
 الترام سيقف بمد قليل .
 — من قال هذا ؟
 — إن المال سيفربون اليوم . أعلم هذا من
 قبل .
 وعندئذ كانت جماهير المال قد اقتربت منهم
 فدفعت الأم السائق دفعة قوية فضى في طريقه ،
 بينما الابن ينظر إليهم في خوف واضطراب فيلوذ
 بأمه شيئا فشيئا .
 — إنى لأفهم لماذا يهتمون بهم كل هذا الاهتمام ،
 فإن كانوا لا يريدون أن يعملوا فلندعهم يقطعون
 الشوارع جيئة وذهوبا ؛ فسرطان ما يعضهم الجوع
 ويرجعون عن عزمهم .
 فأجابها السائق : إنك على حق في هذا يا سيدتى ،
 فإن الجوع بفيض ثقیل . ثم أدار وجهه عنها وأخذ
 يصبث بشعرات ذقنه ولكنه ما لبث أن التفت
 إليها ثانية وقال : « يمكنك أن تروضى حيوانا
 بالتجويد ويمكنك أن تعملى هذا مع أى إنسان
 آخر ولكن الاسادة للرجل الفقير خطيئة لا تنفرد

سرب من الكلاب الضالة عند ما هاجتها فرق
 القوزاق الزاكسة فسرى الخوف إلى جميع القلوب
 — أى : هل هؤلاء الناس عمال ؟
 — نعم . نعم ... امض فى طريقك ولا تتلفت
 حولك
 — ولكن لماذا يهرولون هكذا ؟
 — خوفاً من الشرط . امض ولا تتكلم
 — لماذا لا يتركهم يمشون على مهل مثلنا ؟
 — إنه لا يسمح لهم بذلك
 — لماذا ؟
 — أوه ! أرجو ألا تثقل على . أعطنى يدك وسر
 فى طريقك وإلا ... فالسوط ... فأمسك « سرج »
 بيد أمه وأخذ يجر رجله خلفها وقد امتلأ قلبها
 رعباً من تلك الجموع التدفقة حتى سرى إلى الطفل
 الصغير الذى كان يمدق فيا حوله وهو ذاهل مأخوذ
 — وهل هم أشرار يا أوى ؟
 — من ؟ من ؟
 — المال ؟
 — لا أدرى . ففهم الطيب ومنهم الخبيث .
 — إنهم لا يريدون أن يعملوا
 — أم كسالى يا أوى ؟
 — نعم . نعم . ولكن هيا . وإلا كنت مثلهم
 — أم أنجاس يا أوى ؟
 — وفى تلك اللحظة كان الفرسان القوزاق قد
 ركضوا بجيولهم ، وصفر رئيسهم صغيراً عالياً ولوح
 بسوطه فى الفضاء فدوى كالطلق النارى ارتجفت
 له قلب الأم ، فأسرت الى إحدى المربيات الواقعة
 ودفعت فيها ابنها الصغير ثم أقت بنفسها فيها دون
 أن تسامد صاحبها على الأجر بل دفنته من الخلف
 وصاحت فى صوت مختنق خائف :

يكذب يستقر في منزله حتى نادى أخته « سونيا »
وحس في أذنها :

— لقد رأينا اليوم بمض المال ، لقد رأينا
حقاً !

— ماذا يشبهون ؟

— إنهم ... حسن ... إنهم يشبهون الفلاحين
ومنذ ذلك اليوم لم يمد سرج يتحدث كلما
نزل الى حديقة المنزل يلعب مع أخته إلا من أولئك
الناس الذين عطلوا المصانع وأضرخوا عن العمل ،
ولكنهما لم يصلا الى رأى يرتاحان إليه : أم أشرار
أم أخيار ؟ أما في المنزل فقد كانوا أشراراً وأما في
الحديقة فقد كانوا أخياراً

وأخيراً ذهب سرج الى البواب وسأله :

— ولكن هل يستطيعون أن يوقفوا مصمكاً .

— من السهل جداً يا سيدى الصغير .

— كيف يتسنى لهم هذا ؟

— بأن يدعوا البخار يخرج أو يتركوا المصنع
قاعاً صفصفاً

— وبدونهم لا يشتغل المصنع ؟

— كيف يشتغل من دونهم ؟

— وبدونهم لن أحصل على مصطف جديد ؟

— لن محصل

— وستبقى الصغيرة ؟

— كذلك سترتك الصغيرة و « بتطلونك »

وقيصك ، فستضطر أن تسير كما ولدتك أمك .

— عارياً ؟ ... أوه ! يا لك من أبه ! إن أمى

تحضر لى كل هذه من الخارج .

— عليك أن تنتظر إذن حتى تصنع ، ولكن

ماذا تعمل لو حدث أضراب عام في السكة الحديدية ؟

والآن من يكسونا أيها السيدة إذا ما بلى مصطفك
التيين وثلاث كلت شلتى البسيطة ؟

— لا تهم يا رجل مادام معك المال الكافى .

فان لم يشتغل عمالنا اشترينا ما يلزمنا من الخارج .

— ولكن ماذا تملين لو وقفت قطارات

السكة الحديدية ؟

— هذا لغو . إن القطارات لن تقف أبداً .

من يسمح بهذا ؟

— من يدري ؟ إنهم يشيرون أنها ستقف حالا .

فأنصت « سرج » الى الحديث الذى دار بين

السائق وأمه ومار فى أمر أولئك الناس الذين

يطعمونه ويكسونه وفى الوقت نفسه يهرون من

رجال الشرطة . لقد اشترت له أمه مصطفاً جديداً

للشياء فلفه فى أوراق ووضعته على ركبتيه يخفق له

قلبه فرحاً كلما خطر له أن ما من إنسان يستطيع

أن ينتزعه منه

— وهل صنعوا مصطفى الجديده هذا يا أمى ؟

فأجابه السائق : لقد صنعوا كل شىء أيها

السيد الصغير ، ما من شىء إلا وكان من فضل أيديهم .

فغضبت الأم من هذا الكلام وشدت ابنها

من كفه وقالت له : اسكت . لا يبنى لك التحدث

معه . أما السائق فقد مضى يتفلسف فى نفس

الطريقة حتى ضاقت به الأم وصاحت فى وجهه

غاضبة : « وأنت أيها الرجل يجب أن ترج فى

السجن »

فسكت الرجل عن الكلام وألحج جواده

بالسوط فأخذ يطوى الطرقات حتى وصل الى المنزل .

وهكذا رجع سرج والشكوك تملأ رأسه فى

حقيقة أولئك الناس الذين يدعون « العمال » فلم

— أيمكن أن تقف السكة الحديدية عن العمل ؟
 — هناك إشاعة بأن القطارات ستقف .
 — وماذا يكون مصير والدي ؟ كيف يعود إلينا ؟
 — أوه ! ربما يموت عطشاً .
 — اسكت عن هذا المراء . سأبلغ هذا إلى أبي
 التي سوف يحزبك عليه .

ثم غاب في تفكير عميق ، وأخيراً جذب
 كمّ معطفه الجديد ، وقال :
 — وهل حاك البمال هذا أيضاً ؟
 — نعم . لقد صنعوا كل شيء . إن أمك لم
 تعمل أكثر من أن أوجدتك في هذا العالم .
 * * *

لم يمس على هذا يومان حتى كان التزام قد وقف عن
 السير ، واحتجبت الصحف عن الظهور ، وأغلقت
 الحمامات أبوابها وانطفأت المصابيح في الشوارع
 وتمطت القطارات عن السير ، وعم الملح سائر
 المحطات حتى أخذ الناس يتوقمون شللاً عاماً في
 حركة المواصلات بين ساعة وأخرى
 كان مقدراً أن يصل والد « سرج » في ذلك
 اليوم ، ولكنهم باتت تقلقت الأم وأشاحت بوجهها
 عن كل من المنزل ، ولم يسمع « لسرج » أن ينزل
 إلى ردهة الدار ، فكان يقضي الساعات الطوال في
 إحدى النوافذ يأكل قلبه شوقاً ملح ليقف على
 ما كان يجري في الشوارع

— وهل سيأتي أبي حالاً إلى المنزل يا أمي ؟
 — إنه لا يستطيع ذلك ، ثم أخذت تلحن
 الاضراب والمال والوالد أيضاً
 — أحقاً يا أماء أنهم يستطيعون ؟
 — يستطيعون ماذا ؟
 — أن يمتنعوا السفر بالسكة الحديدية
 — يظهر أنهم يستطيعون ، لا تنقل على . ثم
 تفرق الدمع في جفونها وهاجت نفسها حقناً وغضباً ،
 أمامرج فقد أدار رأسه إلى النافذة وأخذ ينظر
 إلى اللارة في شيء من الاهتمام وال خوف ، ثم
 همس قائلاً :
 لو استطعت لقتلتهم جميعاً !
 ولم يأت المساء حتى كانت الشوارع قد أظلمت
 من المارة فأغلقت الحوانيت وأقفلت النوافذ بالمصاريع
 الخشبية ، وأخذ رجال الشرط والقواض يطوفون
 في الطرقات لا يقفون إلا في الأمكنة التي أوقدوا
 فيها النيران ، فلم يستطع الابن أن ينام بل كان يقفز
 من فراشه في موهن الليل ويسأل حافياً إلى النافذة
 ليري ما كان يجري في الشارع
 كانت ألسنة النيران تندلع في الفضاء وأشباح
 مهولة من الناس تتحرك حول النيران الحمراء كأنها
 وحوش ضاربة تدور حول فريستها ... فيحس
 الابن برعدة تتمشى في جسمه فينكش راجعاً إلى
 فراشه وقد توجهم وحوشاً جائعة سوف تنقض
 عليه وتشويه في تلك النيران المستمرة ثم تلهمه
 التهاماً ، فيزوي في فراشه النائم الدق وهو
 يصيح : أمي ! أمي ! إني خائف مقرر .
 — لماذا لم تنم ؟ ولماذا قمت من فراشك الآن ؟
 — إن النار في استمار دائم يا أمي وهؤلاء الناس
 لا يزالون أمام نافذتنا
 — نعم ولا تخش شيئاً . آه لو يأتي والدك ؟
 — أمي !
 — ماذا بني العزيز ؟
 — أريد أن آتي إليك . إني خائف

— البهال أيضاً ! ثم حك وراء أذنه بيده وقال :

— وماذا نفعل بدون الكمك ؟

— سنفكر في حيلة

— ولكن ألا يستطيع المحافظ أن يجبرهم

على خبز الكمك ؟

— لا يا عزيزي سرج ، إنهم لا يخافونه

— ألا يخافون المحافظ ؟

— إنهم لا يخشون إنساناً قط

— إذن فهم ذوو بأس شديد ؟

— بيدهم كل شيء . فلتأكل هذا الخبز اليابس

الآن فسوف لا تجده قريباً

— إني لأستطيع أن أأكل الخبز الأسمر

— نعم ، ولكنك ستفروح به غداً

— لماذا ؟

— لثلاث الأسباب على سرج فلم يمد يدك أي نوع

من الناس هؤلاء الذين لا يخافون المحافظ ولا يخشون

إنساناً قط ولكنهم مع ذلك يفرون من وجوه

القوزاق ورجال الشرطة . ما العمل ؟ أتوقفون

المصانع ويمطون الترام والقطارات والصحف .

ويسلبونك الكمك ثم الخبز الأسمر ثم لا تفصل

شيئاً لهم . ثم أخذ يستفيد في ذهنه صور الساحرات

والسحرة الذين قرأ عنهم في القصص الخرافية

المديدة وتذكر فلانهم المسحورة التي تخفهم عن

أعين الناس فلا يمكنهم أن يقبضوا عليهم فإذا أمرهم

المحافظ أن يعملوا لبسوا تلك الفلانس المسحورة

وغابوا عن العيون !

ثم سرى القلق من الشوارع إلى البيوت وشاع

الخوف في ثوب كانت من قبل آمنة مطمئنة

فانقلب نظام الأسر واضطر أصحابها إلى تغيير عاداتهم

والحد من مطاعمهم واختفت مباحج الحياة من

— مم ، بنى المحبوب ؟

— الساحر ! !

— أي ساحر ؟

— أشكال مختلفة

— إذن فلتأت إلى

قفز سرج من فراشه فرحاً وجرى إلى سرير

أمه وقبض على يدها وقد اختبأ تحت الغطاء

ثم همس قائلاً : « إنهم يستطيعون أن يعملوا

كل شيء »

وسرعان ما غابت الأم في النوم من جديد

تاركة ابنها يطل برأسه من تحت الغطاء وينظر إلى

المحافظ فيرى الأطياف الحمراء التي تمكسها نيران

الشارع المستمرة فيستولي عليه الخوف ثانية فيأتي

بالتغطاء فوق وجهه ويمود يفكر في أولئك السحرة

الأخيار والأشرار وفي أولئك الناس المدعورين عمداً :

أم أخيار أم أشرار ؟

وفي الصباح جلس إلى المائدة ليتناول طعام

الافطار ولكنه لم يجد الكمك الساخن الذي

اعتاد أن يراه كل يوم بل وجد خبزاً ناشفاً بارداً

لا يفرى على الأكل . فصاح : هات لي بعض الكمك ،

لماذا تقدمين لي هذا الخبز القدر ؟ ثم أخرجه

الغضب عن نفسه فألقى بسلة الخبز بعيداً دفماً لذلك

الاهانة التي لحقت من والده :

— أشكر الله يا «سيد» سرج على هذا الخبز الآن

— ماذا ؟ عليك يفيض الكمك . أي ! لماذا

لم تأت لي بالكمك اليوم ؟

— ولكن أين لنا به الآن يا عزيزي سرج

وقد أغلقت كل المحابر

— لماذا ؟

— لأن جميع البهال مضربون

ورواؤها . ولو شاء لكان لدينا الآن كمك كثير
ساخن ، وإن لم يشأ ظن بجري الماء في الأنابيب
ولن يكون هناك شأى أو حمام . إنه لا يخاف إنسانا
ولا يخشى سلطانا .. ياله من ساحر !!

لقد كان الصبي واثقا من هذا فلم يعب أسبوعان
حتى حدثت المجائب في يوم واحد . فقد استأنف
الترام سيره وقاضت الشوارع بالأنوار الكهربائية
الخافتة وعادت الصحف الى الظهور ورجع الوالد
الى بيته فركب معه إحدى العربات اخترقت بهما
الشارع العام فرأى السحرة قد تجمعوا ككتلا زاخرة
مبتهجة يحملون الأعلام الخفاقة وينشدون الأناشيد
المذبة دون أن يتصدى لهم شرطي أو يروهم قوزاق
فتناق الطفل الخروج الى الشارع ليرام
بنفسه فقال :

— أى ! لقد عاد السحرة بمخبطون في الشوارع
دعيني أخرج لأرام
— إنك لا تستطيع
— إنهم ليسوا أجباسا بل أطهار الآن . أليس
كذلك يا أمى ؟

ثم مضت عدة مشهور كان فيها كل شيء حسنا
فعاد للبيت مرحلة التقدم وجنته المفقودة . ثم
تصادف يوما أن ذهب الوالدان الى إحدى الملاعب
وخرجت المربية لقضاء حاجة لها ، وانصرفت
الأخت الى عرائشها ولعبها بينما الجدة كانت لا تزال
ظريحة القراش ! فأحس الطفل بشيء من الضيق
إذ لم يكن هناك ما يلعبه أو يسرى عنه فأخذ ينتقل
من غرفة الى أخرى في تراخ وكسل

— جدتي ما ذا أعمل ؟ ؟
— فلتدلك ساقى ، فإن الألم طاودنى فيها

المدينة كلها وقد الناس هناءة الميضى . وأخيرا
تسلل الخوف إلى تلك التصور المنيفة حيث كان يقم
سرج وأمثاله فأغلقت الأبواب وأحككت الأقفال
ووقت البوابون أمامها يتبادلون الحديث مع الحراس
والعسس وهم ينفخون في صفافيرهم . وجأة انتظمت
الكهرباء عن منزل سرج فتأدى أمه قائلا : « فى
الكهرباء خلل يا أمى »

— أضوء حجرة الاستقبال

— وهذه أيضا

ثم جاء الخادم وأخبر سيده أن هناك اضطرابا
حاما فقلنا بالشموع

وعلى هذا شمل الظلام المنزل كله لا يظهر فيه
إلا أضواء الشموع الباهتة المضطربة . التى كانت
تنمكس على المقاعد و (البيان) فتلوح فى أغطيها
وستأثرها كأنها جثث فى أكفانها قد غابت فى
تفكير عميق . وبينما هم كذلك إذ جاءتهم الأنباء
الزجة بمحملها الخدم الذين كانوا يتحدثون فى
غرفتهم الخاصة .

« إنهم يشيعون أن المياه ستقطع ، وقد سمعنا
الآن أن حفلات الجنائز ستقف ، ولن يكون لحم
فى السوق غدا ، ولو استمر الحال على هذا أسبوعا
واحدا فإن قطعها هائلا سوف يحتاج المدينة »

استمع « سرج » الى تلك الأخبار المزججة
وهو ذاهل مشدود ، فقد ظهر له أن العامل هو
المثل الأول لهذا الدور وسرعان ما انبثق فى ذهنه
أن العامل ما هو إلا ساحر ، ساحر ذو قوة غريبة
يمكنه أن يأتى كل شيء . فلو أراد لاستأنفت
القطارات سيرها ورجع أبى الى المنزل وعادت
الكهرباء تضيء كما كانت ، فيمود للترف بهاؤها

وفتح عينيه فرأى رجلاً قد ارتدى ثوباً بالياً وجلس على مائدة صغيرة يلهم طعاماً ساخناً يشاهد منه البخار وهو يلتفت حوله في خوف وحذر ، وقد أمسك الطبق بيده كأنه يخشى أن ينزعه منه غيره . فاشرباً الطبق بعنفه ثم تلفت حوله وقال : « ولكن أين الساحر ؟ » لم يكن هناك غير الخادمة وهذا الرجل ؟

أجبت أن يكون هذا الرجل هو الساحر الذى يخافه ؟

ثم قويت رغبته فى رؤية ذلك الساحر ، فاندفع إلى المطبخ ، قفز الرجل واقفاً وقد سقطت المعلقة من يده ، فقالت الخادمة :

لا شيء ، إمض فى أمرك . فلن يذبح السيد الصغير شيئاً

فأجاب سرج . أى شيء ؟

— لا تخبر أبك أو أمك بأمر هذا الرجل الذى يتناول الحساء . إنها فضلة من طعام قديم !

— حسن

إنه جائع فيجب أن ترجه إليها السيد الصغير

— من ؟

— إنه : هذا الرجل زوجى

— زوجك ؟

فأتى عليه الطفل نظرة شذراء وهو واقف فى قوام بخيل . يرتجف خوفاً ورفقاً ، ولكنه ظنه ساحراً خفياً قد لبس هذه الصورة الزرية الكئيبة ثم قال كذلك أنت . إنك ساحر ... إلى أمرك

— من ؟

— أنت أنت !

— إلى عامل ناسيدى الصغير ولكنى لأجد عملاً — ولكنك ساحر ... إلى أمرك . تستطيع

— إلى لا أحب هذا . فهو عمل ثقيل . ثم تركها وانصرف إلى أخته ولكنه لم يكدر عرائسها حتى تناول واحدة منها وكسر ذراعها وولى هارباً إلى المطبخ ليرى الطاهية الجديدة ، ولكن الخادمة لم تسمح له بالدخول فقال لها : — ولكن ماذا أعمل إذا كنت وحيداً ؟

— ليس فى المطبخ ما تلهو به

— ولكن من ذا الذى يتكلم هناك ؟

— إنه زوج الطاهية

— إنه مُسَلَّم

— لماذا ؟ إنه رجل عادى . عامل

— أزواج الطاهية عامل !

— نعم

— ساحر ! يجب أن أدخل إليه

— لا . انى أشكوك إلى الرية وأخير أمك

بذلك إن فعلت هذا

— إذن فأنت كاذبة . سأخبر أمى أنك أكلت

القشدة

إنك كاذب فى هذا فقد التقطت ذبابة فقط

ثم تشاجرا معاً ، ولكن الطفل لم يجرؤ مع

ذلك على دخول المطبخ فبقى واقفاً يباه متردداً فى

الأمر حتى جاءت الخادمة وفتحت الباب فأسرع

يختلس النظر إليه فاستطاع أن يسمع صوت الساحر

ولكنه لم ير الرجل نفسه ؛ ثم استبد به الشوق للملح

والرغبة القوية ، فزمزأ أخيراً على الدخول . ولم يكدر

يرى الخادمة تبهذ قليلاً حتى صاح : « أشكرك اللهم »

ثم اقترب من الباب وأخذ يفتحه شيئاً فشيئاً بيد

المكسنة حتى انفتح على مصراعيه ولكنه لم يستطع

أن ينظر إلى المطبخ دفعة واحدة ، فوقف قليلاً مطع

الرأس حبس النفس حتى استجمع من شجاعته

أن تعمل كل شيء .. لقد أتيت كل تلك الأضرار ،
ولكن حذار أن تعود إليها ثانية . إن ضوء الشمعة
باهت كئيب ولا أحب إلا الكمك مع الشاي
— إنى لم أعمل شيئاً يا سيدى الصغير وسأترك
هذا المكان حالاً
— ولكنك غير خفيف كما كنت أظن . لقد
حسبتك هائل الجسم مارد القامة طابس الوجه .
قل لى : ألم تسجر نفسك ؟
— أنسخز منى لأنى لا أجد قنات الخبز . حرام
يا سيدى حرام
— ولكنى كنت أظنك أعظم من هذا وأنتك
مرح طروب فرأيتك ترتعد فرقا وأنت تتناول
طعامك . إنى لا أخافك بمد ذلك
ثم انسل الطفل إلى الممر المأم ووقف قليلاً ،
وهو متأهب للجري إذا ما الساحر بمطارده ، ولكن

لم يحدث شيء من هذا بل كان هناك رجل واقف
بجانب أحد الجدران يشفق شقيقاً غالياً ثم يحذف
عينيه بطرف كه . فصاح
ساحر ويكى !! إنه الجزء العادل !!
— لماذا لم تدع أبى يهود إلينا ؟ لماذا قطعت عنا
الكهرواء ؟
— لماذا حرمتنا من الكمك الساخن ؟
— فلتتل الآن جزاء ما قدمت يدك
ثم صرخ صرخة عالية دوت في جميع أنحاء
الترل
مرسى . مرسى ..
ثم أسرع إلى مرسيته في نشوة المنتصر الفاتر
وهو يقول :
لست أخافه بمد اليوم !!
تظلم ضليل

شركة مصر للغزل والنسيج

تحفف عنكم وطأة حرارة الصيف المقبل
بما تنتجه لكم

من ملابس قطنية خفيفة وجميلة وبأسعار معتدلة
أطلبوا منسوجاتها من

شركة بيع المصنوعات المصرية
إنها إحدى مؤسسات بنك مصر

صَيْدُ السَّمَاءِ

للكاتبة الانجليزية سِرْسِفِيلِد
بفتم الأديب حسن جشي

الجليد ؛ ومضى الرجال
يطرحون شباكهم على بعد
مائة قدم ؛ أما أنا ففتقد
تذرت بالحرام ، وجلست
على قطعة من الثلج ،
وأخذت في مطالعة كتاب
كثت قد أخذته معي

وأقبل الرجال ظهراً ، وقد أصابوا صيداً كبيراً
وكان كل منهم قد اشتد به الجوع ، وإذا كنت المرأة
الوحيدة بينهم ، فقد قت بإعداد الطعام وتهنئته ،
ثم جلسنا حوله نأكلهم ، متجاذبين فيما بيننا أطراف.
الحديث ، أما أنا فقد جلست أنصت إليهم ، إذ كانوا
يتكلمون عن تجاربهم في الصيد ونهارتهم فيه ، بما
لا يدع مجالاً لامرأة . ثم

عادوا إلى الصيد ؛ وإذا
بالشمس تختفي ؛ ثم
أربد الأفق ونجمت
السما ، وتراكت
السحب ، وهبت
ريح عاصف ، وأخذت
قطع الثلج يسطدم
بعضها ببعض في
صوت قوي أزعجني .
ولما أفضحت لأخي

عن غاوفي نضحك معي ، وسخر بي وطلب إلى أن
أخرج ما اصطاده من شبكته ، حتى أشغل عن هذا
الفرع . ولما أنعمت ما وكل إلى أداؤه ، اقترح أن
أقوم بنفس هذا العمل للآخرين .
كان أربعة رجال منهم قد جلسوا على يسار أخي

في صباح باكر من أيام يناير ١٩٣٠ غادرت
أنا وأخي وخمسة أصدقاء لنا مدينة سنجاو ، ووجهتنا
متشيجان لصيد السمك . وقد يالوح للمرء أن من
الغريب أن يذهب أحد في شهر يناير للصيد في جو
كجوى متشيجان هذا ، ولكن يبنى أن أذكر أن
كثيرين يكسبون قوت عاهم خلال هذا الشهر .
كان الأفق منيراً ،
والسبيل واضحة ،
ومع أن الأرض كانت
مغطاة بالجليد ؛ إلا
أن الحرارة كانت فوق
الصفر بضع درجات ،
والجو دافئاً ، وتدفنا
باللباس الثقيلة ،
واستمتعنا معنا
صناديق الذخيرة ،
وقد وضعنا القهوة
الساخنة في « الترموس »



الكاتبة

وإذ وصلنا خليج سنجاو وهو البقعة التي
اخترناها للصيد وجدنا الجليد يتوغل قرابة ميل
في أنحساء البحيرة ، فتركنا عربتنا على الشاطئ ،
وحملنا منها بعض الذخيرة ، جاعلين وجهتنا حافة

البحيرة، وكان الملح قد اشتد بي في هذه اللحظة، ولكن زميلي "أقبلا على" يشجعاني، فأخذنا يشيران إلى الشاطئ حيث كان رفيقان من رفاقنا يدفعا العرب، ولكن الجلو أخذ يردد عن ذى قبل، وعم الظلام حتى لم نستطع أن نتبين أحداً، وأقبل الليل ورأيت أن حجم كتلتنا الثلجية قد تضاعف إلى نصف حجمها الأول، وابتلت ملابسنا بما كانت تصفينا به الريح من ماء، ولم ألبث أن شعرت بالبرد القارس فأجلستني توم وويلاند بينهما، ودراني بفطائين مما أحضرته؛ أما رفاقنا الآخرون فقد اختفوا تماماً، ولم يدع الرجال وسيلة من وسائل التسلية إلا جاولاها مئى، وأقبلا بملثتان خاطري بأن لا بد من مجيء قارب نجاة بعد قليل. وأخذ الثلج يتحرك بشدة فزاد ذلك في رعبنا، واشتد البرد؛ ولم تلح أى بادرة من بوادر النجاة. ثم أشعل توم عود ثقاب ونظر في ساعته، فإذا نحن في منتصف الليل، فكان لنا في هذا الموقف ثمان ساعات. وحاول (ويلاند) إلباسي معطفه الجلدى، فأريت ذلك؛ ومن ثم سار وسط الحلوة محاولاً معرفة ما بلغت الكتلة من مساحة، ولم أستطع أن أرى أكثر من ستة أقدام أمامي؛ غير أنى لاحظت أنه سرعان ما رجع إلينا، فسأنته عما صارت إليه الكتلة وما بقى من الثلج، ولكنه لم ينس بيت شفة، فتخاذل جسدي كأنما خدر، وشعرت كأنى في غيبوبة.

وعلى حين فجأة صرخ توم واختطفني ثم دفعني عن نفسه إلى الجانب العكسي؛ فدُرْتُ عدة مرات حول نفسي قبل أن أعلم من الوقوف، ثم اثبتت زاحقة إليه ألهث، وقد أبصرته منبطحا على الثلج، وأمامه الماء، ولم أعرف إذا كان

توم) متحدئين؛ ولما أعمت على مضيت ناحية الصياد الأخير ويدعى ويلاند، وكان صديقا قديما لى جلست بجواره، وأخذنا نتحدث فيما بيننا، ثم أقبّل «توم» واشترك في الحديث؛ وأخذ الجليد يصطدم ببعضه ببعض؛ وبالرغم من ضحك رفاقى كنت خائفة، إذ لاحظت أن الريح أخذت تشتد عن ذى قبل، وتعمى هدادة صاخبة؛ وفي الحال أخذت كتل من الثلج هائلة الحجم تندفع بشدة وتهوى إلى البحيرة، فأفترحت على توم أنه ربما كان الأجندى علينا أن نغادر هذه البقعة، ولأول مرة في حياته خضع لطلبي، وأخذنا نعمل جميعا مما في نقل ذخيرتنا.

وانحيت لالتقاط بضع سمكات حين سمعت صوت اصطدام هائل، فالتصبت، فإذا بى أرى لشدة هلى واضطرابى شريطاً أسود من الماء قد فصلنا نحن الثلاثة عن الأربعة الآخرين، فصرخت بأعلى صوتى، واذ ذلك أبصرت قطعة الثلج التى نحن وقوف عليها، قد أخذت تتحرك ناحية البحيرة، فقفز توم وويلاند في مكانهما، واندفع الأربعة الآخرون يجرّون هنا وهناك وينصحبوننا بما لا غائل تحته... كان طول كتلتنا الثلجية مائة قدم، وعرضها سبعين تقريبا؛ فجرى توم إلى حافتها، وجاول بأن يلقى بأحد أطراف شبكة صيده للآخرين ولكن لم تساعده قواه وعاكسته الريح، وازدادت مساحة الانفصال بيننا وبينهم؛ فرمى بالشبكة ثانية ففشل أيضا، إذ وقع في الماء، وأحاطنى (ويلاند) بذراعه، وقد اصفر وجهه وجذبني إلى وسط الكتلة الثلجية، فقد كان ذلك كما يظهر آمن مكان، إذ كانت الحواف تنهشم قطعا قطعا؛ وأخذت الريح تشتد عنفا، وتدفعنا سريعا إلى ناحية

قدما ، فافزعني هذا ، والتفت الى (ويلاند) وقد غشى عليه ، وصرخ أحيى نجاته وقد قفز قفزة عالية فالتفت فإذا نور يضيئ من مشعل سفينة وهو يتألا وسط هذا الديجور القائم وأخذنا ننظر إلى هذا الضوء في لحظة وهو شوق وهو أخذ في الاقتراب منا لحظة بعد أخرى ، وصرا أماننا ست مرات ، وبعد لحظات فلائل أنزل زورق النجاة وسار تجاهنا ، وقفز منه رجلان نحونا ، ودرأني بالأغطية ، وحلاني الى الزورق

ثم عادا بويلاند وتوم وسار بنا الزورق الى الباخرة ، فأبصرت جزيرتنا الصغيرة وقد خلع عليها الضوء لونا شفقيا بهيجا ، ولم أشعر بلذة ما في حياتي كلذتي وأنا أرشف القهوة الساخنة التي ناولنا إليها الضابط في حجرته بالسفينة؛

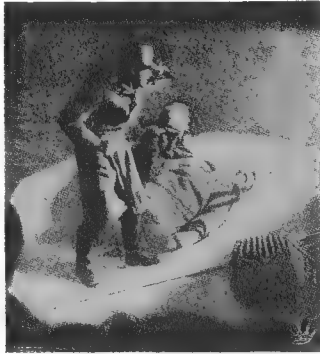
وشربت ثلاثة أكواب منها ، فأحسست بالقوة تسرى في جسدي ، ثم شعرت برغبة شديدة في النوم ، ولما استيقظت بعد أربع عشرة ساعة أبصرت نفسي على سرير في إحدى المستشفيات . أما ويلاند فقد استعاد صحته برغم ما حاق به من أهوال بعد يومين . أما أختي فقد كان أسرع منه ومنذ تلك المخاطرة ، قصرت صيدى للسمك على المياه الضحلة خلال شهري مايو ويونيو ما

مضى مبش

يفعله توم ؛ ولما اقتربت من الحافة أكثر ولمسته قال : « هاتي يدك يا بنتي ! »

فدوت إلي ذراعي ... وإذ ذاك عرفت ما كان يعمل

لقد كان يحاول إنقاذ ويلاند ؛ ذلك أن قطما من الثلج قد انفصلت وانزلت في الماء وعليها (ويلاند) ؛ فغدبني أختي ، ولما عرفت أنني أصبحت غامنا من الفرق مدّ يده لجذب زميلنا ، وحاولت أنا الأخرى إنقاذه ، ولكن لم أتبين يده أو جسمه لشدة الظلام التراكم بعضه فوق بعض ، واستطعت أخيرا أن أمسك أصبعه ؛ ولقد كان صراعا عنيفا لا أستطيع وصفه . ونجحنا أخيرا في جذبه ، وأحسست كأن ذراعي سينفصلان عن



جسدي ، وأخذ الثلج يتراجع الى الوراء ، ورقد ويلاند أمامنا كأنه الجثة الهامدة ؛ وظل ثلاثتنا بضع دقائق واجبين صامتين من شدة الفزع والرهب ؛ ثم احتملناه الى الكتلة الجليدية ودرأناه بالأغطية ، ولما لم نجد فيه هذا العلاج ، أخذ توم في تحريك ذراعيه بقوة ، يدفعهما الى الأمام والخلف ليسرى الدم في عروقه . وإذ ركمت بجانبه تبينت أن الماء قد أحاط بنا أحاطه السوار بالعصم ؛ ولم يبق من الكتلة الثلجية الطافية سوى مساحة لا تتجاوز عشرين

اليها فأشمر بحزن عميق ، لأنها لم تكن صديقة
عشيقتي غسب ، بل كانت أيضاً مستودع أسرارها ،
وكثيراً ما كانت تخفي معنا ساعات السمر فأستنقلها
وأعني أن تخلي لنا المكان . ولعل نفورى منها تولد
من سبرى على فضولها . وما كان تساهلها معى ومع
عشيقتي ، بل وما كان وقوفها مراداً موقف المدافع
عني تجاهها ، ليمحو سيئة هذا الفضول ، فكنت أراها
قبيحة ثقيلة . ولكننى أنعمت النظر فيها هذه المرة
فلاحت لى وعليها مسحة من الجمال ، فكنت أهدق
فى يديها وأتوأبها فأشمر بأنها تحرك ساكنا من
فؤادى ، وكانت هى تحرق فى " فلا يخفى عليها أسرى
وما يفعل التذكار بمواطنى ، وقطعنا مسانة الطريق
وأنا أنظر اليها وهى تبتسم لى . ولما بلقنا المدينة
قالت : — وأخيراً . ققلت : — أخبربرها إذا
شئت ، وانهمر الدمع من عيني

وبعد أن تناولنا المشاء جلسنا أمام الموقد ،
فقالت : أقضى الأمر واتقاع كل رجا ؟ فقلت :
والأسفاه ! إن الأمر القضى إنما هو لجمي ، وستودى
هذه الفجبة بى . ولا أطيل بوصف حالى : لقد
امتنع على أن أحبا وأن أحب سواها وأن أعيش
بلا حب

واستلقت على مقعدها متراخية وقد لاحت على
وجهها علائم الأشفاق ، واستفرقت لحظة كأنها
تنأجى نفسها وتنتصت من قلبها الى أصداء بعيدة ،
ثم مدت الى يدها فاقتربت منها فقالت : — وأنا
أيضاً قد أصابنى ما أصابك ، وتهدج صوتها فقطعت
حديثها

إن للحبة أخوات عديدات أجملهن الشفقة .
سأخفت هذه المرأة وتدايننا حتى كاد أحدا

من أعماق النفوس



اعترافى فتى العَصْرِ

لألفريد دي موسيه

بقلم الأستاذ فليكس فارس

الفصل السادس

وفى اليوم التالى ذهبت قبل المشاء الى غابة
بولونيا وكانت السماء مثلبة بالغيوم : ولما وصات
الى باب مالو ألقيت عنان فرسى على عنقه ، وذهبت
تأبها بين الأشجار مستغرماً أستعيد أنوال ديجنه فى
ذهنى ، وما توغلت فى أحد النمطفات حتى لاحت
لى عربنة تستقلها إحدى صديقات خليلاتى ، فدت
الى يدها لتصافحنى ثم دعيت الى تناول المشاء معها
إذا لم يكن من مانع للى

وكانت هذه المرأة — وتدعى مدام ليفاسور —
قصيرة بدنية شقراء ، وكنت أنفر منها دون ماسبب ،
ولكننى لم أملك نفسى من قبول دعوتها ، لأننى
كنت أتوقع حديثاً معها عن عشيقتى ، وأمرت
رفيق السائق بقيادة فرسى فذهب به ، وجلست
أنا قربها وعدنا الى باريس

وبدا المطر يتساقط ، فأترلنا النطاء وأصبحنا
فى عزلة ، وقد ساد علينا السكون ، وكنت أنظر

وكان يسود سكوت عميق حول البيت التي تقطنه هذه السيدة ، إذ كان يسكن أحد أقسامه مريض ، ففرش التبن على الطريق المجاورة منقرا لفرقة المربات ، وكنت أنا مطوقا هذه المرأة بذراعي وقد أذهلتني عاطفة اقتسام الأشجان ، وطالت محادثتنا فكنا نتشاكى فأشعر أن بيت آلامى وآلامها شيئا من اللذة ، وأسمع صوتا مواسيا كأنه نشيد سباوى يتعالى من اثنين متوجمين . وكان دما مائتا يازجان وأنا مكب عليها فما كنت أرى غير وجهها ، ولكنى عند ما تراجعت عنها رأيت أنها كانت في هذه الأثناء وفقت إحدى رجلها وأسندتها على رف الموقد فانسحب رداؤها حتى بدت ساقها عارية

ولما رأيت اضطرابي لهذا المشهد لم تغير وضعها فأدبرت ظهري ليتسنى لها ستر ما انكشف منها فتجاهلت الأمر . فوقفت الى الموقد أنفوس فيها واجعا ، وإذا انضج لي أنها مدركة ما تفعل أدرت بدورى أن هذه المرأة قد شامت أن تلمس دورها لأغوائى ، فما كانت دموعها وما نقلته عن آلامها إلا اختلاقات تستكمل بها فنها

أخذت قبعتى وتوجهت الى الباب ، فأرخت رداءها على مهل ، فلم أنبس بكلمة بل أومات مسلما وخرجت

الفصل السابع

وعند ما رجعت إلى مسكني وجدت وسط غرفتي صندوقا كبيرا . وكانت إحدى عماتي انتقلت إلى ربهى ولم تكن حصتى من ميراثها

يلتصق بالآخر ، فبدأت تسكلم مثنية على عشيقتي نتجصل لها الأعذار وتوجه إلى كلات الاشفاق ، وازداد حزنى فلم أجد ما أجيها به ، وذهب بها الحديث الى التسكلم عن نفسها ، فأسرّت إلى أن رجلا أحبا ثم تركها منذ أمد غير بعيد بعد أن نحت في سبيله سينها والكثير من ثروتها . وأن زوجها وهو رجل حقود كان يتهددها . وكانت تذرف الدموع وهى تسرد حكايتها حتى نسيت همي بهمها ؛ ثم استطردت فقالت إنها تزوجت مرعمة فقام النضال طويلا بين عقلها وموافظها ، وهى الآن لانأسف على شيء أسفها لبقائها محرومة من الحب . ولاح لى أنها كانت تلوم نفسها لأنها لم تعمل على الاحتفاظ بقلب عشيقها ، إذ عاملته بشيء من الاستخفاف

وعادت فاستسلمت للصمت بعد أن قرّجت عن قلبها فقلت لها :

— ما هى بالصدف العمياء تلك القوة التى قادتنى الى غابة بولونيا هذا الصباح . إن الآلام البشرية أخوات ناهات ؛ ولعل هنالك ملاكا كريما يضم هذه الراحة المرتجفة البسطة نحو الله تتوسل الى رحمته . لا تندى على ما يحدث لى من سرك ، فما للانسان أن يندم على دمة ذرقها أمام أى مخلوق كان . وما سرك الذى أودعته إلا دمة سقطت من عينيك فاستقرت فى فؤادى ، فاسمحي لى أن أرجع إليك أحيانا لننشاكي وتنالم معا

وشعرت بعطف شديد يجذبني الى هذه المرأة وأنا أتسكلم حتى وأبقى مكبا على وجهها أقبّلها ، وما خطر لى أنها تستمناه منى ؛ أما هى فبقيت بلا حراك كأنها لم تنتبه الى ما أفعل

فأنتم إلا بلهأ... وفي الحالين أنتم كاذبون لأنكم
أوجدتم من قاب الانسان أساطير ضلال وأوهام .
مهلاً ! إنني سأدفع بكل ما كتبتم إلى السنة اللبيب
وما كنت أجد من منجدي في ثورتى غير
دموعى فأتيقن وأنا أسكبها أن الحقيقة التى لا حقيقة
سواها انما هى الأوجاع والآلام . فأهتف قائلاً :
أجيبني أينها البقرات المنقسمة على الخير والشر
لأعرف إلى أية ناحية أتجه . أقيم بينك حكماً يفصل
في خلافك فأهتدى من حكمه إلى المنهج السوى
وتناولت تورا قديمة كانت على الخوان ففتحتها
قائلاً : أجبني أنت أيها الكتاب المقدس
وامدنى بأحكامك ، فوقع نظري على الاسحاح
التاسع من سفر الجامعة فإذا فيه :

« لأن هذا كله جعلته في قلبي وامتنعت هذا
كله . إن الصديقين والحكماء وأعمالهم في يد الله .
الانسان لا يعلم حياً ولا بفضاً . الكل أمامهم .
الكل على مالاكل ، حادثة واحدة للصديق والشرير ،
للصالح وللطاهر والنجس ، للذابح وللذى لا ذبح ،
كالصالح الخاطئ ؟ الخالف كالذى يخاف الخلف ،
هذا أشر كل ما عمل تحت الشمس . إن حادثة
واحدة للجميع وأيضاً قلب بنى البشر ملآن من
الشر ، والخسافة في قلوبهم وهم أحياء وبعد ذلك
يذهبون إلى الأموات »

ما يقول الفلكيون عندما يتنبأون من مرور
مذنب في ساعة معينة ، وهو الكوكب التائه في
الأفلاك ؟ ما يقول علماء الطبيعة عندما يرون
حيوانات ساجدة في قطرة ماء ؟ أيمتقدون بأنهم هم
مخترعو ما يتجلى لهم وأن مرصدهم ومجهودهم يضمنان
لكون نواويسه ؟

ذات شأن ؟ فوجدت في الصندوق أدوات وأشياء
مختلفة بينها عدد من الكتب القديمة علاها النبار .
وكنيت إذ ذاك أتملل بخجراً ، فرأيت أن أتصفح
بعض هذه الكتب ، وأكثرها روايات نشرت
في عهد لويس الخامس عشر . ولعل عمتى وهى من
الصالحات المابذات كانت ورثتها من أقارب لها
فاحتفظت بها دون أن تطلعهما ، لأن هذه الكتب
كانت عبارة عن مجموعة دروس في الغواية والفحشاء
أهمهد بنفسى ميلاً لا قبل لى برده إلى تحليل
جميع ما يقع لى من حوادث سواء كانت هامة أم
تافهة فأطمح دائماً إلى وجود ارتباط بينها فأجىء
بتسلسل لها وأنظمتها في سلك واحد كعقد لا بد من
ضم شتات حباه . ولعلنى ذهبت مع الوهم إذ أعتقد
بوجود علاقة بين حالتي ووصول هذه الكتب ،
فاندفعت إلى مطالعتها مبتسماً وفؤادى ينفطر حزناً .
وكتب أناجى هذه الصفحات قائلاً : إنك دون
سواك تملن حقيقة الحياة وتيسرن على القول
بأن لا حقيقة إلا بالتمتع بالملذات والمراوغة والفساد .
كونى لى نم الصديق وانفى على جراح نفنى
محموك الكاوية فأنتم منكم أن أوئن بها تملن
وهكذا بدأت بافتحام السالك المظلمة مهلاً
مطالمة دواوين أحب الشعراء إلى ، فعلا النبار كل
كتاب كنت أجالسه من قبل كأستاذ اتلقن
الحقيقة عنه . وكثيراً ما أخذتني سورة النضب
فدست على هذه الكتب بقدى كأئنى أنتم من
مؤلفيها فأقول لهم :

— أيها التائهون في الأحلام ، إنكم لا تملن
الإنسان غير الألم . إذا كنتم عرفت الحقيقة فما أنتم
إلا نمنمو عبارات خادعون . وإذا كنتم جهلتموها

يصراخ يشبه الأنين قابضته بيمينى وهو عرق كالسهم إلى الأفق البعيد ، ثم مررت فتاة صغيرة في الشارع وهي تنهى

الفصل الثامن

ومع هذا فقد أثبت نفسى أن تستسلم للحياة اللو والاستهتار إذ كنت أتمثلها حالكة مفجعة ، فقررت أن أحاول اجتنبها ، وهكذا افتحمت كثيراً من الآلام ، وساورتنى مرهقات الأحلام . ولو لم يكن غير حرارة الشباب ما يحول دون شغائى لكفنتى أوجاعاً وجهاً . فقد كنت أرى توجهت وبلا عمل شملت نفسى لا أفكر إلا فى النساء . وإذا نظرت إلى إحداهن شعرت بهزة أنفض لها انتفاضاً . ولكم أفقت من نوى وجسدى يتصبب عرقاً ، فأترابى على جدران غرفتى بشهيق تخنق يطلب الهواء !

لقد كان من خير ما أسعدت به قلباً يعمد الشبان بمثله ، أننى أسلمت حقى لأحب . غير أن هذا الحظ قضى على بأن أشرك طوال حياتى كل شهورى بباطقة الترام . وذلك ما كان يدفعنى إلى الهلاك ، فكنت وقد تسلط على التفكير المستقر بالمرأة لأملك خيالى من الجوح ليلاً ونهاراً فى ما زق الحب الضال وفي مهاوى خيانة النساء

امتنع على أن أنصوّر إمكان الوصال بلا حب ، فكنت لا أنقطع عن التفكير فى المرأة قاطع الرجاء من وجود الحب الصحيح ، فذهبت الآلام فى نفسى مذهباً أو رثنى شيئاً من الخيل ، فكنت أشتى قارة أن أعذب جسدى أسوة بالهبان لأميت شهواتى ، وتارة أريد أن أدفع إلى الشارع

ما قال فى نفيه يأتى من وضع أول شرعة للناس عند ما فتش عن حجر يضعه أساساً لبناء المجتمع فهتف به هاتف من أعماق أحشائه يقول له : إن الحق للقوة . أمن أوجد العدل هو هذا المشرع يأتى ؟ وهل اخترع المار أول رجل اقتطف الثمر من أرض جاره وأخفاه تحت ردائه متلفطاً عينا وشمالاً وقد دب الرعب فى قلبه ؟ وما قولك فى صاحب الحقل الذى سُرقت أثماره فحرم نتاج جهوده ؟ يلتقى السارق فلا يرفع عليه يداً بل يشمله بعفوه ويقول له : إليك بما تريد من أثمار حقلى ، فيرد الشر بالخير ثم يرفع رأسه الى السماء شاعراً بارتجاف فى قلبه ودموع فى عينيه وبخشوع بطوى ركبتيه . أترى هذا الرجل أول من اخترع فضيلة المدروف ؟

يا الله ! لقد سمعت أذناى امرأة تكلمنى بالحب ثم تخوننى ، وسمعت أيضاً رجلاً يكلمنى عن الصداقة وهو يشير إلى بالأنفاس فى حمأة الدنس ، ورأت عيناى امرأة تستخرط فى البكاء ثم تطمع فى مؤاساتى بمضلات ساقها ، وهذه التوراة التى تحمل اسم الله ترد على سؤالى قائلة : — (من يدري ؟ وأية أهمية لكل هذه الأمور ؟)

وسارت الى غرفتى المفتوحة أنظر الى الفضاء الفسيح الباهت فى وجوهه صارخا : — أصبح أن العلم ورايك ؟ أجب أبها الفضاء ، أليس فيك شيء سوى الأوهام تدفع بها الى صدرى وقد مددت اليك ذراعى ؟

وكان الصمت العميق يسود جميع ما تطل نافذنى عليه ومرة طير يجتاحه السوداوين ذاهباً فى الهواء

فراشى وروائح البارود والاصطبل تنبعث من
أثوابي ، فاستر وجهي بلحاح هاتفاً : إليك عني ،
أيها الشيخ ... أفا أسترج منك ليلة على الأقل ؟
وما كانت جميع هذه المحاولات لتجذبني نفماً
لأن المزة أسلمتني إلى الطبيعة فقذفتني الطبيعة
إلى الحب

وعند ما كنت أرثاد قاعات التشريح ، كنت
أرى نفسي عاصفاً بالجثث فأمسح يدي بمنزري
الدهاء فيلوح وجهي الاصفرار ، وأشعر بأني أختنق
من الروائح الكريهة المنبعثة من الأشلاء الفاسدة ،
فكنت أعرض عن النظر إليها لأتمثل أمامي الحقول
الخضراء تتوج سنابلها ، والمروج يفوح بهيرها
في سكون النسق ؛ فأقول في نفسي : لن أجد في
العلم سلوة ، فاني باستغراق في هذه الطبيعة التي
لا حياة فيها سأموت كمن أقذف من لجة البحر فأنف
بجملد حيوان سلخ حديثاً لاستمادة الحرارة
المفقودة . لقد قضى على بالاً أعشى ، غسي أن
أموت هنالك في الحقول تحت أشعة الكوكب المنير
وكنيت أنطلق على صهوة جوادى قاصداً
متزهات تنثر وشاغيل ، فأترجل هنالك لأنطرح
على صراج نصير ، أو لأتوه في وادٍ مقفر ، فما كنت
أسمع من الأوداج والمروج إلا صوتاً واحداً
يقول لي : فماذا أتيت تطلب هنا ... إلنا ترتدي

الحلل الخضراء ، وما الخضرة إلا رمز الآمال
فكنيت عندئذ أفزع إلى المدينة لأتوه في أزقتها
المظلمة فأطلع إلى بصيص الأنوار من نوافذ المساكن
المقفلة على أسرار الأسر وخفاياها ، ثم أسرح الطرف
على المريات تلوح وتختفي ، وعلى المارة تزدهم وتبتدد ،
فأراني بين كل هذا وحيداً شريداً . أشهد النخنان

أو الحقول أو أي مكان آخر لأنطرح على قنبي
أول امرأة أصادفها مقبلاً لها أنني أحبها حباً أبدياً
والله يعلم كم حاولت أن أسلو لأزال الشفاء ،
فكان أول ما لجأت إليه انتمزالي عن العالم جريباً
مع نفوري من مجتمع رأيت جميع الناس فيه
يشبهون عشيقتي رزيلة وختلاً . فرجعت إلى
ما كنت أهملت من دروسي فتوغلت في مجاهل
التاريخ واستغرقت مع الشعراء الأقدمين كما عدت
أيضاً إلى درس التشريح

وكان يقطن الدور الرابع من مسكني شيخ
ألاني واسع الاطلاع ؛ فألجأته بالرغم من محبته
للوحدة إلى تدريس اللغة الأسانية ، فبدأ عمله
بكل جد وإخلاص ، ولكنه مالبت أن اصطلم
بفكرى المشتت ، فكان وأنا أجلس إليه تحت
نور مصباحه الضئيل ، يضع كفيه على كتابه
ويشخص في متجلداً مندهشاً ، وأنا سابع في
أحلامي لا أشعر لا بصبره ولا باشفاقه على حالي .
وأخيراً قلت له : أنت أطيب الناس قلباً ، ولكنني
أرى البعث فيها تحاول . دعني لما قدر لي ، فما أستطيع
أنا ولا تستطيع أنت تبديل هذا المقدور

وما أدري أدرك الرجل ما أعني أم فاته ما ألح
عنه ؛ غير أنه سألني بمحارة ، ولم يعد يذكر لي
اللغة الأسانية ودرسها

وبدأت أشعر أن المزة لن تسوقني إلى الشفاء
بل إلى الهلاك ؛ فتحولت عنها إلى طريق أخرى
وهجرت المدينة إلى الحقول شاغلاً نفسي بالصيد
متوغلاً في الثابت أقطعها خبياً على ظهر جوادى ،
ووارست البارزة بالسيف مجهداً نفسي حتى المياه ؛
فما كنت أعود المياه إلى مسكني إلا لأنطرح على

رفع عقيرتك شاكيا لفرغ الحق من شرابه ، وإذا
فرغ الحق في الأنية من الشراب دنان ، وإذا
فرغت الدنان فالروابي مكسوة بالكروم توتنصر
لثملها . اتخذ لك من الكلام المسول منارة وتقدم
إلى نهر السلوان متصيداً فيه امرأة جميلة تلهو بها
حتى إذا أفلتت من يدك لا يقولك اصطلياد سواها .
تمتع بالحب التي تتوق إليه بكل جوارحك ، ولا
تضيع أيام شبابك ، ولو كنت أما مكانك لكنت
اختطفك ملكة بدلاً من التناهي بدرس التشريح .
هذه النصائح التي كنت أسمعها في كل حين ، وعند
ما كان يحين زمن الرائد كنت ألتفح بردائي وقلبي
يكاد يتفجر ألى ؛ فأهرع إلى سريري لأجنو أمامه
باكياً مصلياً خائباً على هذا القلب كما كان غالبه
بضرب الأرض قائلاً : ومع هذا فلها تتحرك ...
(يتبع) فيليكس فارس

يتصاعد حزينا من السطوح وأشعر بالآلام تجول
في هذه الآزقة الملتوية حيث يترأص الناس وقد
كلهم عرق الجهود ويتلاصق الألف دون أن يعرف
أحدهم الآخر . فإ السبيل العام إلا مزاج تتعارف
فيه الأجسام وتتناكر عليه الأرواح ، هنالك لا تعد
للقريب يد إلا يد بنات اللواخير

إن ما تهف به المدن إنما هو قولها : — هيا
إلى الفساد . . هيا إلى الفواحش ، فما يسكن
الآلام سواها

ذلك ما تقوله المدن وما يقرأه المارة مكتوباً
بالفحم على جدرانها ، وبالأوحال على أرصفتها ، وبالدلم
المتجمد في عروق الأوجه الشاحبة

وكنت أجلس أحياناً على مقعد منفرد في
قاعات المراقص فأناظر إلى النساء يتأيلن بأثوابهن
الحراء والزرقاء والبيضاء وقد عرين المعاصم وضفرن
الشعور كأنهن الحور يسكرهن النور في أجواء
التناسق والجمال ، فكنت أقول في نفسي : —

ما أروع هذه الزهرات تقتطف وتستنشق ! وما
ستكون كلة هذه الأقحوانات الأخيرة إذا ما نثرت
وريقاتها واحدة واحدة لتستنطقها سرها . أنها
لتقول لك — قليلاً ثم قليلاً ، ثم لا أحبك حتى
ولو قليلاً

تلك هي حقيقة العالم ، تلك هي نهاية
ابتساماتك ، أيها الأزهار

على هذا السفير المروع تتأيلن بأوشحتكن
الزيفة بالأزهار ، أيها الراقصات وعلى هذه الحقيقة
الشنعاء تتأيلن كالمها على رؤوس أرجلكن الصغيرات
وكان دبحته لا يفتأ يقول لي : — والله ما رأيت
سواك من ينظر بجد إلى كل هذه الأمور . إنك

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لأمرتين

مترجمة بقلم

أحمد حمدي الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشاً

لولا أن نثرت العروس فوقنا طيباً عبقاً، لأخياشيمنا
وأقنذنا من صلول^(١) تلك الجلود .



الأوليسس^٢

لهروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة
(تابع)

وتلبثنا نرقب البحر حتى برزت عجول البحر
فنامت في الجون، ثم كانت الظاهرة فبرز بروتوس
وططق يمد قطعانه، ميتدكاً، لفقته، بنا، وكأن
أثارة من الشك لم تخامره في حالنا، فانطرح ونام .
وانتهزنا الفرصة، فانطلقنا نعدو إليه، وقبضنا عليه،
وشددنا وثاقه بحيث لا يستطيع إفلتاً... يا هجياً !
لقد انتفض انتفاضة هائلة، فإذا هو أسد غضنفر
ذو لبدة، ثم انتفض فإذا هو أفصوان أرقم يتحوى
ويتحوى، ثم انتفض فصار نمرأاً ذا أنياب، ثم
صار خنزيراً برياً، فسيلاً رايكاً ذا عباب، فايكة
باسقة ذات غصون وأفنان ! والى لم يجد بداً من
أن يبدو لنا على حقيقته، انتفض فكان على صورته
الأولى، ثم قال : « عسر ك الله يا ابن أتربوس أى
إله جبار حبسك في مياها وسطاك على، تمسك
بى وتشد وثاقى ؟ ماذا تريد ؟ » فقلت له : « حسبك
يا رب هذا البحر، إنك كشت في علما ! لقد طال
مقامنا بهذه الجزيرة، ولست أدرى أى إله عادل
حبسنا فيها، ولأى شيء ؟ » . وقال بروتوس :
« ويك يا متلايس ! لم لم تصل لسيد الأواب ثم
تُضج للآلهة يوم غادرت (طروادة) ؟ لقد غضب
الجميع عليك فكتبوا أن تغزل في تيه هذا
البحر حتى تكون لقاء مصر، فتقيم ثمة حتى
يثوب اليك رشك وتصل للآلهة خاشعاً خائباً
متصدعاً، ثم تذبج القرايين وتجزر الأنخيات فتعود
الى أوطانك ! » وعرائى بما ذكر ما عرائى،
فقلت له : « الحمد لك أيها الإله القدوس ... »

(١) أروح اللحم صار نتناً وصلوله رائحته النتنة .

ثم غابت عروس البحر في طيات التسج،
وتركتني في حيرة مما ذكرت، ثم إني عدت إلى
قرقى في السفينة، وعاد كل إلى قمرته، وبمد أن
تمشيئنا، وكان الليل قد أضحى سسوده، نمنا نوماً
لا أماناً ولا قبراً... وبزغت أورورا تحمى المشرق
بأصباغ الورد، فنهضت أسبلى للآلهة فوق السيف
العمد، وأبتهل إلى السماء أن توقفنا لاسفيه خيرنا
ثم انتثيت فتخيرت من رجال ثلاثة هم أصحابهم
لهذا الأمر، وهم موضع ثقى وممسد رجائى .
وبرزت من الماء عروس الماء، وأحضرت
لنا أربسة جلود من جلود عجول البحر لنابسها،
ونستخفى بها، وانتم الخدعة على أيها . وأعدت
لنا مهاداً في رمل الشاطئ . ثم دلفنا نحوها، ونام
كل في مهده، وألقت فوقنا ما مدها من الجلود
المتنة التى أروجت حتى كدنا نحتنق برائحها،

رجلاني ، وانطرحت ألقبت في الرمال من النعم ،
وأذرف الدمع من الحرقعة على أخی . ولكنه خاطبني
قائلاً : « إنهم يا ابن أتريوس . إنك تبكي ولات
حين بكاء .. هلم فعد إلى وطنك لترى بعينيك قبره
ولتشهد ابنه العظيم أورشنت ينتقم له » . ويستأصل
شأفة قائله .

وكأنما سرى عني عما قال بعد ، فهضت وساءلته
بمدا أن شكرته على ما أنبأني : « .. إذن من هذا
البطل الثالث الذي ما يفتأ يذرع البحر ضالاً في
رجابه ؟ »

فقال : « ذاك ابن ليرليس ، وسيد أيثاكا
(أوديسوس) ! لقد شهدته ببني حبسكا في جزيرة
عروس الماء كاليبسو ... لقد حل عليها ضيفاً
برغمه ، فلقد تحطمت سفائنه ، وهويته عروس
الماء ، وهو ما يزال عندها لا يجد مراكباً يحمله إلى
وطنه ... أما أنت ... أيها الملك مثالاوس ،
يفطوئ لك ! إنك ستحيي سيداً ، ثم تنتقل إلى دار
الخلد ونعيم لا يفنى ... ودار الفردوس تلاً ...
حيث لا برد ولا زهرير ، ولا يوم عبوس قطير ،
بل تسقى ، ومن معك من الأناسي من ماء منين ،
لأنفو فيه ولا تائبم ... مقام كريم وجنة نعيم ،
وغادتك الحسان هيلين ، يا ذرية زيوس العظيم !
ثم غاص في اليم ، وعدت ورجالي إلى الفلك ،
وفي القلب لوعة ، وبالنفس أسمى . وتبلغ كل بقعات
ثم أسلطنا عيوننا للسكري ، وكأنما نام أسطولنا في
ظلام الشاطئ .

وانبلجت أورورا فاضرت بالورد جبين
الشرق ، وهبت أنفاس الصباح النداء فأهرعنا

سأفل ، سأفل كل ما تأمرني به ، ولكن قل لي
بحق ربوبيتك ، هل وصل كل رجالنا إلى أوطانهم
سالمين كما تركتهم أنا وصاحبي نسطور عند طروادة
أم أن منهم من غرق أو قتل أو مات حتف أنفه ؟
وكانما ضاق في ، ولكنه قال : « ويك يا ابن
أتريوس ما هذه الأسئلة ! أتيتني أن تقف على كل
أسراري ؟ إذن فأعلم أن أكثر رجالك قد عادوا
سالمين إلى أوطانهم ، وأن قليلاً منهم من مات ومن
هؤلاء قائدان فقط قد قضيا ، وما يزال واحد يذرع
رحب هذا البحر ، ضالاً على غير هدى ... لقد
هلك أجاكس بما تحدى الآلهة ، وبما ادعى أنه
ناج برغم السماء من البحر اللجي الذي كان يناوح
سفينته ، فبرز نيتيون غاضباً وشطر السفينة نصفين
بضربة قاضية ، من رمحه السمهري ذى الثلاث
شعب ، ثم رطم حطامها بسد ذلك فوق صخرة
جبريه ... مسكين أجاكس لقد غص بالأجاج ،
وشرق بقطرات ذات ... أما أخوك^(١) فقد نجى !
لقد دفعته موجة هائلة فوق شاطئ (ماليا) ...
أرض ذيستيس وإيجستوس .. ومن ثمة ركب
البحر إلى وطنه آمناً . ألاكم كان أخوك رائماً حين
وطئ أرض الوطن فراح يقبل رمالها ويناجي
كثبانها ! ألايته ما نجى ! لقد لجه أحد الأوغاد من
جواسيس إيجستوس فانطلق يخبر سيده الذي أعد
كميناً من عشرين رجلاً من أفسق رجاله حيث اغتالوه
كما يذبح المجل ؟ الأوشاب الفجعة ! لقد باءوا بما
صنعوا ، وأبيدوا على بكرة أيهم رء .

وما يكاد يصمقني هذا الخبر حتى خذلتني

(١) أجايمون الذي نجى من الفرق ثم ما كاد يبلغ
قصره حتى قتله زوجته وعشيقتها إيجستوس

تفضن جبينه ، وانتشرت على أساريه سحابة
كثيية فقال :

« أرأيت إذا أعطيت سفينتي للفتى تلباك فاني
أريد أن أبحر إلى إيليس لأرى أفراساً لي اثنتي
عشرة ما تزال ترضع أنسلها^(١) متى يرجع من
يلبوس يا أنتينوس ؟ »

وَرُوعَ الرجلان لهذا الخبر ، فلم يكن أحد يعلم
أن تلباك قد غادر إيثاكا ، بل كانوا يظنونهم يبحران إلى
وأحزانه في أحد الأدغال النامية في ضرائه . قال
أنتينوس :

« أحقاً أنه أبحر يا نومون ؟ وهل صحبه أحد
من ذويه ؟ وعلى سفينتك ؟ سفينتك أنت ؟ وهل
أبحر عليها بدون إذن منك ، أم أنت الذي أذنت
له بها أول ما طلبها منك ؟ »

وأجابه نومون : « بل أبحر عليها باذني . وماذا
عساك كنت صانعا لو سألك أمير في مثل بأسائه
أن يبحر على سفينتك ؟ أكنت ترفض وتتأني ؟
لقد أبحرت معه ثلة من أشجع البحارين ، كاهم
فينان المود ، غريص الشباب ، وقد رأيت معه
أمير البحر منتور . ألا كنتم كان يبدو منتور بهيا
وقورا رائعا ، لأنه قد خلته — بل أكبر ظني أنه
— أحد الآلهة ، وكيف لا يكون إلها وقد رأيت
بمعني هاتين صباح أمس وهو قد أبحر إلى يلبوس
قيل ذلك ، فاني عاد ؟ »

وفرغ نومون ، وعاد أدراجه إلى دار أبيه ،
واستولى القهول على الرجلين ، وكان المشاق قد
فرغوا عما أخذوا فيه من لهو ولعب ، وجلسوا
يستريحون من التعب ، فيمهم شطرم أنتينوس ،

(١) الفلوك والفرس لم يبلغا مائة

جميعا ، وجزرنا الأضاحي باسم الآلهة وصلينا لها
خابئين ، وأفت لأخي رسماً فوق ثرى مصر الخالدة ،
ثم هبت الريح رخاءً ففشرنا الشراع وأصلحنا
القلوع ، وأعلمنا من فورنا إلى أرض الوطن ،
فلبنا هيلاس سالين

وبعد ! فلتقم معنا ههنا أياماً ترحم وتفرح ،
ونسعد نحن بك يا ابن أعز الأصدقاء ، ثم لئد لك
الهدايا والقي التي تليق بك ، ولتعد إلى وطنك على
عربة فاخرة تجرها ثلاثة من الصافئات الجياد ؟
ولتزدك بكأس ذهبية تصب منها قرايين الخمر
للآلهة فتذكرنا أبداً »

وشكر تلباك واعتذر ، وأبدى من الحنين إلى
وطنه ، وما عليه من واجبات ، وما ينبغي من عودة
إلى ملك يلبوس ، ما برح عنده أن يستأذن في
الأوبة ... فأعذره ملك أسبرطة ، وأهدى إليه
كأس فيدعوس الفضية ، ذات الشفة الذهبية ،
الكأس الخالدة التي صنمها الآلهة فلكان بيديه
لينفع بها ملك سيدونيا

وهيا النذل مقصفاً فاخراجه جزور وخمر ،
وأقبلت أزواجهن يحملن الخبز ، فأكل الملك ومن
معه ورووا

هذا ما كان من أمر تلباك ومنايوس
أما ما كان من أمر المشاق آثند ، فقد كانوا
يلعبون ويمرحون في بيت ملك إيثاكا ، يلعبون
الأسنة ، ويقذفون القرص ، ويتصارعون
ويمرحون . كانوا جميعاً يأخذون في هذا اللولتزية
الوقت ، إلا أنتينوس ويوريماك ، فقد جلسا يعمل
يتحدان . إذ أقبل الفتى نومون بن فرنيوس وقد

أدّيت ثمنًا لذلك روعي ولكن... هيا... لنمض
دليون - خادمتي الوفية ذات التجارب - إلى
ليريس - فلتحدثه عما تأسر الذئاب . وحي
لم يبق إلا أن يقتلوا ولدي وسليل أوديسيوس T
ونَهَضت يوريكليا مراضع تلياك ؛ تنثر دموعها
وتقول :

« وا أسفاه على أيها الملكة ! سأعرف بما
كان ولك أن تقتُلي ... أو تبقى على ! لقد زودت
الأمير بكل ما أمر من زاد وجر ، وأخذ على موثقا
ألا أبوح بسرّه حتى تمضي اثنا عشر يوما بتمامها ...
حتى أنت يا مولائي ! لقد أمرني ألا أعلمك بشيء
أهدني يا مولائي ولا تضاعني أحزان القصر بحزن
جديد ، وامضي الى غدحك فاسترحي ثمة ، ولنصل
جميعاً لربة العدالة مينرفا - باللا الطيبة - أن
تصون مولاي الأمير وترعاه ، وتكلاء من كل خطر
وليعد الى عرش آباه ليحكم ويبدل ويدبر شؤون
البلاد .

ورقا الدمع في عيون الحاشية ، ونهضت بلوب
فصعدت الى الطابق العلوي ، وأمرت بسلامة من
الكمكك فنفجعت بها المفازي قربانا لينرفا وتقديما ،
ثم أرسلت هذه الصلاة :

« إسمي يا ابنة سيد الأولم ! يا مينرفا العادلة !
باسم ما ذبح لك أوديسيوس في هذا القصر وما ضحى
نضرع اليك وتتوسل بك ونصلي لك ، أن تصوني
ابنه الأمير وأن ترسلي عبوسة من شواطئ غضبك
على أعدائه ... أولئك الأضياف الظالمين ... آمين »
وانهمرت الدموع من عيني الملكة فاستجابت
مينرفا صلاتها . ثم علا غييج القوم وارتفع صخبهم ،
وكان فيهم شاب تزق الثالث في أذنيه صلاة بلوب
خسبها أشرفت تناغي وتنازل ، فراح يفرض بها

وهو يتميز من النيط ، وينقذ الشر من مقلته ،
فقال :-

« يا أرباب السماء ! أفيقوا أيها ارفاق ! عمل
باهر ! باهر جدا ! لقد أبحر الفتى تلياك في عسبة
من شباب الملاحين ليؤلب عليكم المالين ، ويرسل
علينا حسابا ! ! الويل له ! أعدوا لي مركبا
وعشرين فارسا من أبسل صناديدكم لأفجاء بين
أواذي ساموس وتُسوّء إيتساكا التانص الذي
ذهب يستروح أخبار أبيه ليسمى الى حشفه بظلفه »
وتحمّس الملأ وعلاه هتافهم ، وهربوا الى
الرحبة الداخلية في بيت أوديسيوس يتأسرون ،
وكان على مقربة منهم الأمين ميدون ، الذي انطلق
بدووه ينقل ما عقدوا خناصرم عليه من إفك الى
الملكة الباكية الفتوذة ... بلوب - . وما كاد
يقص عليها ما اعترموه من قتل تلياك حتى تضمضت
وتخاذلت ومادت من تحتها الأرض ، وتحمّست
أفئاسها هنية ، ثم سألت ميدون فيم أبحر ولدها .
« ألسي بقرض اسمه من صفحة الوجود ؟ » وأجابها
الرجل : إنه ذهب يتسمع الأنباء عن أبيه . ثم
ذهب لطيفته ، وجلست الملكة المرزأة لدى
الوصيد تبكي وتتحب ، ومن حولها الفيد الرعايب
والمجنوز الشمطاء من خادمات القصر ، يُمولن
ويكفّ كففن ...

قالت الملكة : « وحي لي أيها المفازي ! أبدا
ما أحسب واحدة من النساء قد لقيت بعض الذي
لقيت مما كتبته على البهاء ! لقد فقدت زوجي ،
أسد هيلاس الكريم أوديسيوس الأمير الملاح
رجل الفضائل والرووات ؛ ثم لم يبق إلا أن يرحل
عني ولدي ... دون أن أعلم أمر رجله من
إحدا كن ، فكنت أحول بينه وبين ما اعترم ولو

وتكسرت النصال على النصال ... لقد فقدت زوجي ... أسد هيلاس وغفر أرجوس ، وغري الأبدى ! ثم ها أنا ذى انتفض فرقا على ولدى ... ولدى الطرى الفينيان ، الذى لا قدرة له ولا احتمال ... فى هذا البحر اللججى ... لقد أظمت به سفينة كأنها تسبح فى بحر من دى وأحزاني ! وهما قد تمقبه الأشرار فى سفينة أخرى يريدون غيلته قبل أن يرد إلى وطنه ! »

وتجيبها مينرفا : « لا عليك يا ملكة ، ولا عليه هو الآخر ! إن معه راعيا يحفظه وبوقيه ... راعيا يتمنى الجميع أن يكونوا فى رعايته أبدا ... مينرفا ! إنها أيضا تبشرك وترقه عنك ، وأنا هنا رسولها إليك ، أقبلت بأمرها أواسيك ! »

وهللت بنلوب ثم قالت : « وى ! أما إنك إذن لربة وقد كنتك الأبواب ... ألا أقص على إذن ما كان من أمر رجلى ؟ أما يزال حيا برزق ؟ أم تحطفته يد المنون ؟ »

وتضاحك الشبح المابس فقال : « لا ! ليس الآن ! ان أذكر لك إذا كان رجلك ما يزال حيا أو إنه قد قضى ، نالنا ولذلك ؟ »

ثم رفت فى ظلام الغرفة ، وصعدت فى سماء الأحلام .

ونهضت الأم وقد سرى عنها بهذا الحلم ، وانجذب كابوس الهم الذى كان يثقل على قلبها

وأقلع المشاق فملكهم فى اليم المضطرب ، كل تحده نفسه بمقتل نلباخوس ، حتى كانوا عند برزخ أستريس ، بين ساموس وإيثاكا ... فأرسوا ثمة يتربصون -

درسى هشبه

(يتبع)

فى كلات قوارص ، قطعها عليه أتينوس بتحذيره القوم ، ونصيحته لهم أن يستمعوا على حزم أمرهم بالكتمان .

وتخير أتينوس عشرين من خيرة رجاله ، وعم بهم شطر البحر ، ثم ركبوا فى سفينة أعدت لما اعزموه من تلصص وقرصنة وفنك إعدادا كافيا فنقلت إليها الأسلحة ، ومجئت إليها حال الزاد والذخيرة ... وأقبلت ، لأبسم الآلهة مجراها ... ولا سلكت سبيل الرشاد .

واضطجعت بنلوب فى فراش حشوه فكير وهم ، وبجاشت فى قلبها الوساس ، وطفقت الأوهام تفتك برأسها القلبي الحيزان بسبب ولدها ، وماذبره الكلاب وما كادوا ، مسكين أيها الأسد ! لولا قوتك وجبروتك ما أكثر صائدوك حولك الأحابيل .

وأخذتها سمنة من النوم ، فأقبلت مينرفا الكرمجة فى رؤيا عجيبة تواسيها وتذهب عنها ذلك الطائف الحزن ، فترى بزي الأميرة المقتان ، إفتيا ، ابنة البطل الكبير إيكاريوس ، ثم وقفت عند رأسها ، وشرعت ترسل هذه الأحلام :

« أهكذا تنامين ملء عينيك الجميلتين يا بنلوب العزيزة ؟ ليفرخ روعك ، وليصف بالك ، فالسباء ترى ولدك ، وهو عائد إليك عمدا قريب ! إنه لم يقترب شيئا مما يفضب الآلهة ، ولذا فهي تكاؤه وترعاه وتحفظه ، فقرى عينا واسلى وانمى ! »

وتقول بنلوب إثر هي يحلم :

« من ؟ إفتيا ؟ عجب ! فيم قدمت يا أختاه وقد نذر أن كنت تلين بهذا القصر ؟ ألتواسينى ونفلسينى ؟ لقد تكاثرت الأخران على قلبى ،

النهار يفصل قليلا
بين المحين الماشقين
ولسكني، يا إزاييلا،
لن أغادرك أبداً
(تقف قليلا، ويكون
هناك سكون يفصل بين
النفسين، وكأن ياريس
يفكر ويذكر وينسى لماضي)
وداعاً يا إزاييلا !
إن ربح مصر تصفر،

سيرة ابن الهوك

مسرحية شعرية في أربعة فصول
للكاتب الفرنسي ماري ريسان
بقلم الأستاذ خليل هندأوى

شكراً لأنني أدركت حلى الذي يرتش
سأرحل ! وحين أرحل وانتحي إلى أطراف
الوجود يستحيل بيننا اللقاء يا إزاييلا
ياريس — (متأثراً) ما هذا أبنتها السيدة ؟
إزاييلا — (بغربة وبرود)
وها هما كتابان منك ، أحدهما في بدء حبنا
والآخر في انتهاء فليس معنى المرأة — يا ياريس —
إلا أن تذكر حين يتنامى الرجل
ياريس — (تخبط به الذكريات)
إزاييلا — إلحني — للشرح — أوردوبا !
ها أنت تنظرن ، إنني أحياها وحدي ، وفي بعض
أحيائي أخوض الصحراء راكباً ، أو أطوف في
النيل على زورق
(ينظر إليها طويلاً)
وأجل من هذا ألا أفوه بكلمة ...
إزاييلا — وأنت في شرك عدو الصمت
ياريس — من أين جئت ؟
إزاييلا — جئت من فرنسا حيث مثلت
مسرحية « فيدر »
ياريس — أعطيني دائماً ؟

المشهد الخامس من الفصل الثاني
إزاييلا ، ياريس ، أراجنتي ، ماسيلوس
(تدنو إزاييلا من ياريس ، تراه وتقول بصوت
مقطع قريب المهجة)
إزاييلا — « يا حبيبتي ! ها قد هبط الليل
على روما
ورداء أزرق الحواشي قد انبسط على الأعلى
لا أرى إلا السماء ، ولا ألمح أحداً
ولا أفكر إلا فيك ، لأنني لا أهوى سواك
كنت — يا حبيبتي — هذا الماء شملة
الروح المتأججة في المسرح
ألا عطفك لأحضانك التي جبلت شعباً كاملاً
بفهمتي
ولسكني لا أهوى منك شهرتك ، ولا مجدك
ولا فنك ...
وإنما أهواك أنت يا إزاييلا !
أنت حبي الأكبر وكل وجودي يهتز لك ...
كل كياني هناك ...
هذه الليلة ذاتها ، كنت أود أن أقول لك قبل
متوعد النهار

بكل هذه المبررات الالهية ، وإذا كان حقاً أن
— هناك — كل آثارك الآتية ، فلتبك عيناي
دون وخز في هذا الهواء ، ولنغمم — إلى الأبد —
بدموعها القلقة هذا الأنا ، حيث يهدم فيه حظ
شاعر .

أرجنتي — وواجبك نحو عالم غيور ، فأنت
لم تعد لفنك ، وإنما لنا ! قلب الشاعر العظيم هو
يقطنتنا وهو — حين يصمت — يقهرنا .

باريس — فكروا فيما بروتكم !
إيزابيلا — لاحق له في ذلك ، لقد احتملنا
منه تلك الحركة حين قذف بقطعة على الملائكة . . .
ومن ذلك الحين ولّى هارياً ، ولكننا نريد أن نفكر
في عودته إلينا .

باريس — لم يمد الفن من التكبر ما يتسع
لأسراري .
إيزابيلا — ألا تعرض بعد اليوم عبقريتك
على الناس ؟

باريس — (يضرب على صدره) يكفيني في الليل
أن أعلم أنه — هناك — يزجر !
إيزابيلا — وإذا لم يمد يزجر ؟ هل تعلم ماذا
يقولون ؟

باريس — (بسخريّة) أنني هرم بلا شك ،
وعمرى ثلاثون .

إيزابيلا — ويقولون : إنك في جذوة الحب
أصبحت شملة خادمة ، وإنك بت تخشى الجمهور ،
وإن القطعة التي صفت بها الشعب لم تتم في الحقيقة ،
ولكنك أردت إخفاء زعها بما حملت ، هل أنت
تارك سوقا لثل هذه الشائعات ؟

باريس — ما يهمني ذلك ؟

إيزابيلا — المسرح هو كل شيء ، فإذا هجرة
أموت ساماً ، إنني قفيرة إلى أن أطرح هذه
الأضواء العميقة كخس بيني وبين الناس
أرجنتي — انتصاراتها الأخيرة سودت وجوه
الأولين . آه لو تراها في مسرحية « الفينقيين »
أو في « تاجر البندقية » !

إيزابيلا — نسيت « هيلين » حيث كنت
أتناول بأناملي أجل أكاليل الفار ، حقاً لقد مثاتها
أكثر من المرات السابقة

باريس — عن أية هيلين تتكلمين ؟

إيزابيلا — عن « هيلينك »

باريس — أعن « هيليني » ؟ بلى ذكرت :
فهل اسمي في الفضاء ينادي اسمها ؟ هيلين . وبأى
حق جرى يسمح لي بأن أفتح جفنيها . هيلين ؟
إنني أ كذب ككل إنسان ، هذا ضلال ، إنني لم
أذرف دموعاً على قبرها

إيزابيلا — البكاء باطل حين يتذكر المقيمة .

باريس — الأثر الخالد هو دموع حية .

إيزابيلا — إن حاضرك ليقار من انتصاراتك
المولية ؟ يلزمنا الآن قطعة جديدة منك ، وروما
لا تزال تريد أن يحقق قوادها لانتصاراتك .

أرجنتي — كذلك .

باريس — هات إنائي يا مارسيلوس !

مارسيلوس — (يتناول مارسيلوس إناء ويطيحه
إيزابيلا) .

وهذا ناسلم من النار ؛ ولهذا ترين هذا الأنا
مصبوباً على هيئة قلب .

إيزابيلا — (تأخذ الكأس بيديها ، وترفعه حتى
شفتيها بخموض البأس والحب)

إناء التي كانت تحملها « أرملة يومي » لم يتبلل

هذه الطبيعة دون أن تجرئ على النظر إلى وجهه .

إزايلا — باريس !

باريس — انظره ؛ أريد أن تتعرفى إليه .

أيتها السيدة إنه أبو الهول ، وبأيتها السيد

— مدير مسرح أوروبا — ارفع قبعتك جلالة ،

هذا هو الأوجد الكبير الذى يلتحف كل الأبدية ،

يحيط به حشم غير منظورين هم القرون الانسانية

يحثون أمامه ، قيمته الحجرية مبللة بالندى ، هي قبعة

قيصر أو قبعة الأهرام ؛ والآن أفبكم جرأة على

تحدثني عن العبقرية وعن اندادى وعن المشاهد ؟

ألا فاضحوا أبا الهول أن يهز الأرض ضاحكا في حالة

من حالات هذيانه !

إزايلا — إنك لتسخر باطلا ؛ هل بإمكانك

أن تصرف الناس من لومهم لك بأنك انتهيت !

يا باريس ! ماذا يهمننا أبو الهول ؟ هذا المارد المملاق

الذى يقف على هذه المدينة الملتصقة ؟ والذى يزيد

بقلب غيور هو أبو الهول الآخر ؟ أبو الهول الذى

كان لا يحيا إلا بك ، لأن مدينته كاملة تقول بأنه

غير موجود ؛ ولأن هذه الضوضاء الباطلة لبنت في

جميع روما ، فأثبت لها بأنها مخطئة . وهي تظن

أنها لم تكن إلا طليعة سهملة فأثبت لها بأنها مخطئة .

اسمع لي يا باريس وأنست لي ! إن المدينة ذات

التلال السبعة تود أيضاً — في عصرها للنحط —

أن تحمل أترك كياقوتة ثمينة ...

باريس — (هائلا كنهية)

أتكررت «أبا الهول» ماذا كنت تفكرين فيه ؟

إزايلا — ولكن ...

باريس — أجل ! ماذا كنت تفكرين فيه !

إزايلا — (مفضية الطرف)

كان أجمل آثارك

إزايلا — أو تارك اسمك يغيب في الليل ؛

وكوكبك ينطفئ في اللحظة التى أخذ يلعب فيها ،

إن الخطأ الوحيد الذى يرتكب حيال المجد

والحب هو الاعتزال ؛ إنهم — ولا ريب — قد

تكلموا كثيراً عنك في الشهور الأخيرة وعن

مسرحتك «أبي الهول» ، ولكن الصمت اليوم

ينجم على الجميع ، وهذا «سير ماران» مقغم غبطة

وهنا لتنفقه عليك ، وحين تبتمد البقرية يحل

الاكتساب محلها .

باريس ! ليس هذا بحق ولا يمكن أن يكون

حقاً ، إن هذه الجهة التى يكلها النور الذهبى ؛

والتي يتوجها الفار ، هذه الجهة ، لا ترضى بأن

يسلمها فاجها رجل أقل شأناً ، لا يجدر بك أن

تقنع بهذا النسيان الممين ؛ وحين لا يناضل الانسان

فمعنى ذلك أن أراء انتهى ؛ فهل تتركهم يفكرون

بأنك هذا الانسان ؟ وهل تترك الشعب الماجل

يتخذ شاعراً غيرك ؟

باريس — إذا كان هذا هو المجد ؛ وإذا كنت

تقولين حقاً فالأجدد أن يراه من بعيد لا من قريب ؛

إذا كان هذا هو المجد — يا أوروبا ! — فاني أوتر

هذا الليل الأزرق في أفريقياء حيث اقتضيت أثرأخي ،

وهذه المشاهد التى لا تنتهى ، وهذا الهواء المترشح

بشذاك العظيم .

أنظري ! يا للرفة ! فضاء خال من هتاف

الاستحسان ، ووجوه المصورين ، وفي للساء حيث

يرقد أبو الهول ؛ رجلاه في التراب وجبينه في السماء ،

هل لمحة يتشمش تحت لآلاء القمر .

أجل ! لقد جئت بقودك الجرع ، عارفة في

الحقيقة من أنا ؛ جئت تشكمين لي عن أدوار

وعن استحسان ، وهنا ، هنا في هذا البلد ، وإزاء

وجوه الرجال ، وإذا كان الشمر يثير الكون
فذا لأن الشمر هو حب أيضاً .

ياديس — لنجنب الكلام عن الحب .

إيزابيلا — هذه المدينة التي تقدسك ، المدينة
التي مازلت أراها بعد رحيلي عنها ، أما تنبأت أنت
بما يحتمل قلبي ؟ قبلاقي كانت أتم آثارك ، وعبثاً
تمن في الفرار منها لاجئاً إلى هذه الأهرام ، إن
هذه المصافير البقلة تعود إليك ؟ تعال فان ظل
الشمس بدأ يحيا . تعال نحيا ، تعال نتألم ، تعال
نبدع ، تعال إلى الحب .

ياديس — لا أريد ... لا لا ...

إيزابيلا — إن هنالك أشياء تحف في صدري ،
أنصت لي فأنني أمثل كل بطالتك ، كل من تود
ومن تريد ، إن دم « إيزولت » هو هنا يجري في
ذراعي ، وهيلين أعادتني صوتها الرنان ، وعندى
عينا « بيريس » لأמידك .

تعال ، تعال ! إنى كصحيفة من رخام مهجور
فقيرة إلى من يترك قلبي يخفق من أجله ، فقيرة إلى
أن أحس في حاتي الجامد أشعارك المظيمة للتوقدة
تنبت كالجزر في اليم .

فسكر ، لم يبد في حياة ، اسمع لي ! أعد علي
قلبي الخفاق ؛ وصوتي المنطلق ؛ انني أحضر وشعوى
هو الدليل ؛ أعد لي قبلااتك ورواياتك .

ياديس — (واضماً يديه على جبينه) إننى جاهل
الهي ! هذا الصوت

إيزابيلا — هذه عبقريتك تتكلم في أعماق
نفسى .

ياديس — ما تذوقت أبداً هاتين الشفتين
الهاجتين .

ياديس — وماذا يهيك بعد هذا ذلك الصباح
وتلك الأعمال ؟ بكيفيك أن أترأ جيلاً خلق ...

إيزابيلا — ألا شيء بعده ؟

ياديس — لا شيء .

إيزابيلا — (بصوت منخفض) (إلى إرجاني
ومارسيللوس)

دعانا الآن وحدنا ! بنيت ذلك ، إن كليوباترة
أضاعت ممالكها ، أما أنا فأريد أن أقتد بمالك ...
(ينسحب إرجاني ومارسيللوس ، وتنفرد إيزابيلا
بياديس ، وكان الليل يهبط رويداً رويداً)

المشهد السادس

ياديس — أقول لك معاوداً مؤكداً بالاشيء
أقوله لك .

إيزابيلا — (تدنو منه برقة وعوى)

ولكنه يجب ذلك ؟ كيف تأباني حين أكلك
باسم قبلتنا ؟ « لا الحمد ولا الفن » كتابك الأول
في قلبي وفي ذاكرتي ، ووجودى كله كان يهتز لهذا
القسم الفيور ! لماذا لم تأت بي معك إلى هنا ؟ إننى
لأسمع عن تقلباتك وعن عتوك ، ولا أسمع عن
غيابك ، وتريدنى ألا أنألم منك حين أسمع وقع
قدميك .

ياديس — قد كان يجب عليّ ؟ إذ كان يصعد
إلى — من أعماق نفسه — نداء أكبر من الذى
أحبه .

إيزابيلا — أى نداء ؟ بقرب أى نداء يتلاشى
هذا النداء ؟

ياديس — أصبح الحب أصغر من أن يحيط
بأسارى .

إيزابيلا — صه ! لا شيء أكبر من الحب ؛
عند ما يذكر على اللسان يظهر شحوب الموت على

ماذا؟ قلت: الشيخوخة؟ ويقول: — هذا البلد، بلد الشمس والزمان والشفاء، هذا البلد — وهو في حالة يأس — يريد أن يحيط جينا الجديد بوسائل زينتة القديعة

لا تتعام عن هذه الليلة الجذابة الفتاة، أنصت إلى أصوات هؤلاء النسوة ينشدن بعيداً

تقول أغانيهن: الحب

وتردد الصحراء: الحب

ويرجع الليل العميق، والبحر: الحب

ويقول أبو المحول الجائم على هاوية الرمال،

السترسل للحلم استرسالاً أبدياً: الحب، نعم

كل شيء يغفى، وكل شيء كضباب زاحف على

القمم. ولذلك ينبغي أن نحب بدون انتهاء

فلنحب...

إننا سنلتقي في الليل الذي يقترب منا كهذه

القطمان التي نمد أجسامها، لنحب إذاً! لنحب

حباً لا يفنى ولا يبيد، وكل من لا يحب يقفى

حياته سُدًى. وليشهد على جينا هذا الملاق

الرامي ذو الجناحين، وليشهد على جينا الفنى هيكله

الأبدى.

باريس — (صمعداً مضطرباً متأثراً).

وأنا سأح نفسي عن هذه الصحراء العميقة إذا

انزعجتني أيها الآلهة البشرية، إذا... ولكن

مادام الأمل يلعب في خاطرك الأزرق فأنا أقبل تجديد

الصراع والسر، وإذا ما نفيت ذلك عن نفسي

فأى أثر أمتنعهم الآن؟

إيزابيلا — (برقة وفتنة).

الآن

باريس — أى شيء أستطيع أن أحب لهذه

إيزابيلا — هذا هودى الذى يتحرك فى الليل
لمصيرى.

باريس — لا! دعبنى.

إيزابيلا — (تضمه إليها) اسمع!

باريس — إيزابيلا!

إيزابيلا — لقد ملكتك! إني لأعجل تلك

الليلة من الصيف الأخير، هل تذكر؟ اذكر أيامنا

المنهبة إلى إيطاليا، وقبالتنا فى الشرفة الزاهية،

وذلك الكهل الذى كان يتنعم، اذكر ذلك

الكهل! أه لقد كان فى عيوننا قيس من الشمس،

وكانت الأمسيات لطيفة لملاعة لحوانا، ولكن

مهر هذه تشبه شيخوخة العالم، لماذا تنفر من بين

ذراعى؟ هنا أريد أن أملك، هنا عن كئيب من

هذه الرمال القائمة.

(تفتح النافذة، وبنت مفنيس، النجوم... الطبيعة.

أبو المحول)

باريس — إيزابيلا!

إيزابيلا — إلى أبى المحول الأعظم الذى ذرف

عمره على ألوف الأعوام، وبلغ من الكبر ما يبلغ

حظنا من القصر، إليه؟ إلى أبى المحول تمال!

(نادت إلى النافذة المفتوحة وهناك فى الليل بدأت

تسبح له)

ان النهار الأزرق جلبابه ينتهى الآن. والليل

لطفن يرصع عنقه بالكواكب، والقطمان تؤوب

إلى حظائرهما، وهذا النخيل يشمخ ويتطاوّل كأنما

يريد حمل السماء على أوراقه المنفصّرة، وهذا صوت

قيثار بعيد يصل كرجفة بيضاء. وهناك على قيد

خطوات، فى الجزيرة المنبخرّة زهوًّا — نسوة

ملتهبات متلويات الخصور يرقصن ويرددن بألحانهم

الجديدة أهازيج الشمس والنيل...

باريس — أصغى ، أصغى ، أصغى . هل
تسمعين هذا الآن ؟

إزابيلا — لا أسمع غير هذا الريح التى
لا يختلف ، يرافقه هدير النهر الكبير .

باريس — آه يا آلهى ، ما العمل ؟

إزابيلا — لذة الليل تفتح لنا جوها ، وصدى
قبلة واحدة قد يهيجها .

باريس — لا ! إننى أسمع نداء .

إزابيلا — إنك لا تسمع إلا ندائى .

باريس — إنك — فى الحقيقة — لست مبرأة
لسماعه ، ولكن أما الذى أحيا وسط هذه الرمال

الذهبية ، ذا أذن مرهفة وقد سمعت كل شيء سمعته
كصخرة سفينة ضالة ؟ تجوز الزمان والحدود

والفضاء ... قبلتك ليست بشيء ؛ قبلتك تتلاشى
حين أسمع — ضامراً الصحراء متموجاً فوقنا —

هذا النداء الذى ينازع كل شيء من أجلى .

إزابيلا — كيف تسمعه ضد من يبعدك ؟
هل هنالك صيحة يستطاع سماعها بين قلبين متحابين

يحققان ؟

باريس — مهما تدانى قلبان فالقضاء يمشى
بينهما ، على ، على ، على ؛ الهى بعيداً ذلك الخالد على الدهر

هذا هو العملاق الذى ينادى . إنك تحدثينى عن
القبل ! فكبرى أينها الابنة البعيدة عن المخاطر ،

فكبرى فى كل ما تقوله إلصقة النيل . إنه ينادى
إزاء النهر الذى لا يبيد . أهو إنسان أم وليد ؟

أم امرأة ؟

إنه أبو المول : وهو الذى يعلم السر ، ويعلم
لماذا خلقنا ولماذا نحيا . ونحن نفكر فى أنه يعلم كل

ذلك أروانا ترتمش ... ! لنا — باهتمامنا عنه —

الأفئدة التى تميدنى ، آثارى المحرقة تسكن هذا
الاناء ، وكل غابرى النارى يرقد فى هذا الرخام
الرمادى ، أما أبو المول ؟ ...

إزابيلا — بأى المول ؟

باريس — الوحيد من آثارى ؛ الوحيد الذى
خلد ، هو ذلك الذى طرحته أرضاً وأنا كالوحش

وتقبله الشعب جميعاً بوجهه . بلى ! لقد مرقت كل
شيء من هذه الصحف المسودة ، ولم يبق لى

قصاصة منها .

إزابيلا — (مادة إليه يدها بالأثر) .

هذا هو !

باريس — لا آلهى !

إزابيلا — نعم ؛ لقد قايلت هذه البقايا البعثرة
الحقيرة ، وأعدت الأثر كله ، فاستنقذت الأثر

النفس من النسيان ، وهكذا أبقت أحيائه ووقفت
على أشعاره ، وهذا بعض واجب المرأة أن تعيد

نظام ما يبعثره الانسان ، أو تجد ما يبيده .

(ترفع الأثر التى أهضته)

ها هو الأثر المنقذ !

باريس — أهو ؟

إزابيلا — هو الأثر الوحيد الذى تستطيع
بواسطته أن تجابه نقادك ! أترى أيها الناس الذى

دمعت عيناه كيف تأسف كفك على عزيقه . والأنا
فلترحل وليسبقنا أوجاعنا !

تمال تتروح النسيم ، تمال وتذوق فى السكينة
الصخب الذى كانت تقطعك عنه روما ، عد لتعود

شهيراً فى بلد السرور ، ودع عنك هذا التخيل المهرم
وهذه الطرق الطاغية غباراً ، وهذا النهر ، وهذه

الصحراء ، وأباً المول الغريب !

(يهران بأن يظلفا متعاهين ، وتجاه يفصل عنها باريس)

إن نحميا متجاورين معاً...

إيزابيلا - ص ٤

هواه ؟ كان أشد من ذلك .

باريس - هل أنت معتقد به ؟

مارسيلوس - كان يقول : « تمال » وقد سمعته جلياً ؛ اسمع أنت ، يجب علينا أن نوافيه ونسي إليه ، لأنه سيكلمنا هذا المساء ... وذات شيء حقيق .

باريس - شكراً يا مارسيلوس ! إن نظرتك تزيدني يقيناً ، إذ لم أكن واحداً في استماعه ، ولكنه ...

مارسيلوس - يدعونا في جوف الليل الخائف وكفه الضخمة الرمادية تقطم السكون . إنه ينظرنا يا أخى . إنه يحمل القمر على جبينه .

إيزابيلا - هل أننا مجنونان حتى نختطفك منا ؟ إن هو إلا تمال بارد علوى ألوف السنين .

باريس - أنه سيروى لنا لما نأجى على الأرض .

إيزابيلا - انكبا مستصداً الجبين بيكبه وخرسه .

مارسيلوس - إنه يفسر لنا المنايا التي لم يشهدا أحد منا .

إيزابيلا - باطلاً يشير الإنسان على تماله .

مارسيلوس - إنه سيبين لنا ماخبأه لنا الأقدار ، وبه نعلم لماذا خرج (لازار) من لحد صاحبه اللون كأنه خارج من سرير .

باريس - وجعلنا عرقنا ومجملنا .

مارسيلوس - وعن أسرار الموت يحدثنا .

إيزابيلا - كفى ... كفى !

مارسيلوس - كلمات الند الجديدة ؛ أريد أن أفهم كل هذا ، وإن كان حقيق بذلك .

إيزابيلا - أيها الولد ! إن قلبك الثرى لا يدري .

باريس - لقد فردت من الأمل واللذة والطموح ، وأصبحت لا أهتم إلا بالأنهاء عليه ، لا هدف لي سواه ؛ وحياتي تغضى خالية من الحب والأصدقاء ، والآلة فارغة منك ، ومن الكتب لأن « آباء المول » في أجواز الصعراء يشارون من القليل - من الانسانية - التي تجرى في نفوسنا كنت أخال أنه هدأ وسكن ، ولكنه قد أحس خطواتك المبطنة بالحلب ، على هذه الطريق ، لقد شعر - ولا ريب - بمخطر يدام . فهو ينادى بلهجة أكثر عنفاً : « تمال » .

صوت أبي المول من بعيد - تمال !

باريس - اسمي صراخ هذه الشفة الهامدة ، هاهو يوقظ «مارسيلوس» للتغلب في نومه . لا شيء يقف دونه - قلت لك - لا شيء ! (يدخل مارسيلوس صاحب الوجه)

المشهد السابع

باريس ، مارسيلوس ، إيزابيلا

باريس - اسمعته أنت أيضاً ؟ لقد كنت هناك بجانب إيزابيلا . مارسيلوس - نعم ، وليس أجمل منه هذه المرة .

باريس - لقد كان صراخاً رقيقاً مرثانياً .

مارسيلوس - وواضحاً !

باريس - كان كآله خالد .

إيزابيلا - لم يكن ذلك إلا حفيف الريح بين الأوراق .

مارسيلوس - لا ، لا ، لم يكن ذلك بحفيف



باريس — هلم لنعلم هذه الشعلة لماذا تلتهم ،
ثم بعد يوم يتحمد ؟ تعال ! فما أقصر هذا الغياب
بالنسبة للشباب الثاني . انه سيقول لنا كل شيء .
تعال !

إزابيلا — قفا ! فالدار بيضاء مخفوفة بفراش
الأس ، والريح تمول في الليالي الأكثر عازجا ، هنا
خصائل النساء التي تلوح سوداء ؛ هنا الفن والحب
والطرق المحبة ...

صوت أبي الهول — تعالوا ...

باريس — اسمحيه يجيبنا
(فجأة تصف الزوبية ، والبرق تلعب خلل السماء
وعلى ضوئها يلوح أبو الهول)
أبو الهول — تعالوا ...
إزابيلا — (متعلقة بها)
لا !

مارسيلوس — ان نداه العالي يشق حناديس
الظلام ، اننا نتبعه حتى أطراف العالم
أبو الهول — تعالوا ...
باريس — لا نتردد ! لنمش من غير ارتعاش

ولا وجل !

إزابيلا — ابقيا !
أبو الهول — تعالوا ...
إزابيلا — ابقيا ...
أبو الهول — تعالوا ...
إزابيلا — ابقيا ...
أبو الهول — تعالوا ...

(يبدو من الشرفة أبو الهول يلعب عليه القمر ،
إزابيلا تضحى ، ومارسيلوس وباريس ينسلان في الليل
بينما كان صوت أبي الهول يتردد)

(يتبع) ضليل هنري

ما يقول في المسائل الكبرى ليس لها جواب ،
وكلا زاد التنقيب في السى وراء حكم هوأى زادنا
ذلك أننا لا ندرى شيئا .

مارسيلوس — ولكني سوف أترزع من
هذا السارد جوابا كاملا .

إزابيلا — وان بك لفرأ فانه من حجر .
باريس — لا لا : فلقد رأيت جفونه ترمش
إزابيلا — ذلك قلبك الذي يدق بالقرب
منه .

مارسيلوس — وسمك في أعماق نفسى كلامه .
إزابيلا — ذلك فؤادك الذي زاد وحييه
ألا يهنيى الذهاب نحوه ؛ حقا ان هذا الليل لرائع
والفراغ المظلم علا الوادى . ولكن هنالك الحب ؛
هنالك النور ، والورد التي يداعبها الريح .
كنت نعيمها قبل ...

باريس — أحببناها يوم كانت أفئدتنا هادئة .
دعينا نمر !

إزابيلا — سيزغ الفجر .
باريس — دعينا .

إزابيلا — هنالك حلاوة الوجود ولولم يفسر
معناه ؟ والصيف ؟ أليس هنالك الصيف الذي
يسطع على الأكوان ؟

هنا لذة غداثر النساء الشقراء أيها الفتيان !
هنا لذة بأيدينا ! فلا تمدوا وراء أبي الهول فانه
يقبلكا .

باريس — (آخذاً بيد مارسيلوس)
وأنت لم ترتجف في حين مثل هذا الارتجاف ...
مارسيلوس — انى أفكر في « ساتيا » التي
ترقد هنالك . مرعان ما يتحمد الشب غالباً اذا ترك .

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك هو ستة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ تخمّن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٩
المنية الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة الأسبوعية للقصص والتمثيل

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٢٠ صفر سنة ١٣٥٦ - ١ مايو سنة ١٩٣٧

العدد السابع

من أحسن القصص



فهرس العدد

٣٩٤	من ذكريات القرية	... أفصوحة مصرية ريفية	... بقلم أحمد حسن الزيات
٤٠١	الملكة	... صور مصرية	... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٤٠٩	يوميات نائب في الأرياف	... للكاتبة الإنجليزية مسز جور	... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٤١٤	دورثيا	... أفصوحة يابانية	... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٤١٩	نسي فانا	... أفصوحة فرنسية	... بقلم محمد محمد مصطفى
٤٢٢	فلوريدور ومرجريت	... عن الإنجليزية	... بقلم ف. ف.
٤٢٥	على قم الألب	... لثوماس هاردي	... بقلم أحمد فتحي حرسى
٤٣٠	للرأة الحائرة	... لثوماس هاردي	... بقلم نظمي خليل
٤٣٧	الأوذيسة*	... لثوماس هاردي	... بقلم الأستاذ دريني خشبة
٤٤٥	اعتراطات فتى مصر	... لألفريد دى موسيه	... بقلم الأستاذ فليكس فارس
٤٥٠	سر أبي الهول	... لاوريس رستان	... بقلم الأستاذ خليل هنناوى



- ١ -

أفرانه اشتركوا في زعامة القوة ، وانفرد كل منهم بموعدة من الواهب النادرة بحمله رجل وحده . قالمهدى يجيد الزمر في الأرغول ، وأحد يتقن غناء الواويل الحجر ، وحسن يحدق النقر على (الدربكة) ، وعلى يد ر حفلات الأنس وغزوات الليل . وتقسّموا على هذه الزايا ، هوى الشبان وإنجاب الصبايا ؛ فكان لكل منهم حزب من الجنسين يتمصب له ويهتف به وينقاد إليه ، في غير وقاحة تُسقط حياء الفتيات ، ولا خصومة تكدر صفاء الفتية

كانوا يدخنون الحشيش ، لأنه حكم من أحكام (الكيف) ومرص من أمراض العادة ، ولكن لأنه كان في زمنهم من صبوات الشباب وزوات الفتوة . وكانوا هم وأتباعهم يسرقون القطن ليلاً من حقوله ، لأن السرقة فيهم أثر من أوم الفطارة ، بل لأن قوى الشباب الجياشة كانت تبحث في ردوسهم وتضطرم في نفوسهم فلا يجدون لها متنفساً ولا مغيصاً إلا هذه الذنوب الليلية يتجدّدون فيها بقطعة الحراس وسطوة الحكومة

كانت المزرعة البعيدة من مزارع (الأمير) تسمى وهي يضاء تلتأق باللوز المتفتح كما تلتأق الساء الصافية بالكواكب الزهر ، ثم تصبح وهي سوداء كأنها الأرض بعد الجراد أو الدار بعد الحريق ؛ فيرخى (التفتيش) ويزبد ، ويبرق (الركز)

كان أهل القرية يسمونه (البيجوح) لأنه كان غيثاً من الكرم يصيب الياذى المنكودة ، ونسيان من المرح يتمش الأجسام المجهودة ، وشماخاً من البهجة يغمر النفوس المظلمة . كان ابتسامه الدائم يفيض على وجهه البرزى إشراقاً من الروح المذب بحمله أقرب إلى البياض المشبوب ؛ وكانت نكتته على طرف لسانه يرسلها في المناسبة الجميلة فتفجّر الضحك من الصدور الكظيمة ، حتى وصفوه بأنه يضحك حجارة القبر !

كان جميل المهندام ؛ يلبس الجلباب الأبيض المحكم على صدر من الشاهي أو الجوخ قد زرّ لفقيه صف منضود من الأزارار الحربية ؛ ويضع على رأسه طاقية من القماش الأبيض المحرم قد أمالها قليلاً إلى الجهة اليمنى من رأسه ؛ ويجعل في يديه الطرزين بالوشم الأزرق خاتماً أو خاتمين من الفضة البيضاء والمقبق الأحمر ؛ أما قدامه فكانتا حافيتين في القنيط ، ناعلتين في القرية ؛ وهو على أية حال كان مثال الظرف للشباب ، وتموذج الفتوة في البلد

كان الهدي (وهذا هو اسمه) سمحري القوام ، مجدول المضل ، جرىء الصدر ، شهم النواد ، لا يتخلف عن الصف الأول في كل ما يصيب القرية من أعراس ومآتم ومعارك ؛ فكان رابع ثلاثة من

وبرعد ، ودار المهدي تقنى وترقص وقد أولت
(لجعدان) الذين قضوا ليهم في العمل الجريء
ولجة سخية لا يقدم فيها غير الخلاوة الطحينية على
(الصواني) وفي (الأفاجر) ؛ ثم يخرجون بعد المأدبة
الى ضفاف التربة الجارية فينامون على بساط النجيل ،
تحت الصفصاف الظليل ، يفهمهم هدير الغليظة والسدء ،
وينفهمهم نسيم اكثور النمش وقد خلص من
حرور الصيف الى فتور الخريف . ثم يستيقظون
على أنغام الناي الحنون يرسلها المهدي في القضاء
الصافي فتنترج بأغاني القرويات الجميلات وهن
يقطن في أحجارهن لوزات القطن المميز
كان الناي أو الأرغول للمهدي كاللسان
للشاعر أو الحنجرة للبلبل ، ينفخ فيه روحه ، ويصور
به عواطفه ، ويرسل منه رسائله ، ويفعل به ما يفعله
كوييدون بسهمه . فهو في النهار الروح الطروب
المهائم في هبات النسيم ، يرفه عن اللاغبين في
استراحة الطينور ، أو ظهيرة المراث ، أو وحشة
الساقية ؛ وفي الليل رسول الطرب المتنوع في
حفلات الأعراس ، يجتمع هو ورقاقه الثلاثة في
دار العريس فيجتمع عليهم نساء البلد ورجالها
وأطفالها يمتعون بنشأت المهدي ، ورقصات على ،
وتقرات حسن ، ومواويل أحمد

— ٢ —

زحرت الى القاهرة في طلب العلم ؛ ثم كنت
في الصيف أهود الى القرية فأنسجم في حياتها ،
وأختلط بينها وبناتها ، فأغسل دواهنها بالظهور ،
وأجلو شموري بجوها الستين . وأهدد أحلام
مستقبلي في مهد الطفولة .
في ذات صيف لاحظت أن بالمهدي مسحة
من هنزال لا يعلها مرض ؛ ورأت أنه قليل
الدابة كثير الوجوم ، يطرق أطراق الهموم
ويذهل ذهول الشاعر . وأعجب أمره أنه آثر
الأرغول على الناي ، ومال عن سير الحرب الى أقاصيص
الحب ، وهجر مجالس الفتوة ، وحافظ على الصلوات
الخشى في أوقاتها وراء الأمام . فسأله ذات يوم وقد

وكان الفتيات الناهديات يتكدسن في دهليز
الدار يتوسن الوجوه الراضية أو الخاطبة بيوهن
المسلية الحاملة . وكنا نندس بينهن ونحن صغار
فنسمع من بين شفاههن اللبس ذلك الإعجاب
التردد الهامس بأولئك الذين يدخلون السرور في
كل قلب ، ويبيئون الإعجاب في كل نفس ،
ويقدفون العرب في كل مكان خارج القرية . وكان
المهدي على الأخص تعرض الأنظار للسدة ،

أنافه إلى عين رأسها كأنها طاقية المهدي ، فلا
يسمك إلا أن تصدق ما يقولون من أن أباهما بضن
بها على الفلاح الذي يتنذل جهالها في إدارة الطنبور
وخدمة الماشية

— وكيف تلقاها يا مهدي ورأى أبيها فيك
هذا الرأي ؟

— ألقاها كل يوم وهي تسقى الجاموسة
من التربة ؛ تتركها تبتدرق في الماء ثم تجلس
إلى تحت شجرة التوت فتساقط أعذب الأحاديث
من غرام وشكوى ؛ وأصحابها وهي ذاهبة على
حمارها الأبيض القصير ، تحمل الفداء إلى أبيها في
غيطه البعيد ، حتى إذا قاربناه جلست على حوض
الساقية أتمقها بنظري حتى ترجع فأعود معها إلى
القرية ؛ وفي بعض الأيام يذهب أبوها إلى السوق
فأقضي معها ومع أمها ذلك اليوم السعيد ، لا بكل
النظر التثبت في النظر ، ولا بفتر الحديث المتصل
بالحديث ، ولا نشمر بالكان الذي يصحسر ، ولا
بالزمان الذي يمر ، ولا بالموعد الذي يقترب

وربما ظلت النهار كله مع أبيها في المزرعة
تضع بذور القطن في الأرض ، أو تنثر حب النورة
وراء الحراث ، أو تنقى غلت الرز في وسط الماء ،
فلا أستطيع أن أراها ؛ فأحاول أن أخفف برحاء
الشوق عن قلبي العميد بالنظر إلى حمارها وهو
يتمرغ في الحارة ، أو إلى كلبها وهو رابض على
عتبة الباب ، أو إلى عجنتها وهي تمشى متتدة أمام
أمها إلى التربة

أرجو ألا تضحك ! إن حبّ ربا قد صور لي
الأشخاص والأشياء على غير الصورة التي تراها ؛
فأنا حقيقة أرى حمارها أجل الخير ، وكلبها أظرف
الكلاب ، وجاموسها أطف الجاموس ! إن في

جاءني بعد انصراف الناس يسألني عن الكتاب
الذي يجيد فيه أشعار الشيخ حسن جابر اللقي :

— مالك يا مهدي تغيرت بعض التغير ؟ أبك
علة ؟ ألك حاجة ؟ فأجاني وقد استراح إلى موضوع
الحديث كأنما أصاب به نفساً من كربه :

— علقى (ربا) ، وحاجتي هي !

— ربا ؟ أتجمها ؟

— أموت فيها !

— ولم لا نخطبها إلى أهلها ؟

— يقول أبوها إنني أسرق غيطان الناس

وأتباطي الحرام ولا أصلي

— وماذا ترى أن تفعل ؟

— لا شيء . ستركها خاطبوها إلى ، وسيفير

أبوها بالطبع رأيته في

أنا أعرف ربا ؛ وهل في قريبي الصغيرة من
أجهله حتى أجهل ربا ؟ كانت وحيدة أبيها الحاج
حسين ، فطبعها على الدلال ، ونشأها على الدعة ،
ووسع لها في الثياب والزينة ، وأعفاها من أكثر
عمل الفيط والبيت ، فشبّت على أخلاق الترفين
خفيفة الزاد عزوفة النفس مرهفة الحس واهنة
الأعصاب رفيقة البدن ؛ ولكنها كانت على
الناية من ملاحة الشكل وصفاء البشرة وعدوبة
الروح وسحر الشبح . وأبلغ آيات الجمال فيها
عينان ساحيتان وأهداب وطفت ينمئ منها
في القلوب مالا تستطيع اللغة أن تسميه
ولا العلم أن يصفه . فإذا خرجت ساعة الأصيل
في أترابها الجبيلات يحملن الجراد إلى النهر أو من
النهر ، مثيراً في مقدمة السرب بقدها المشوق
اللعن ، ومشيئها المختلة الموزونة ، وخضالها الفضى
اللامع من خلال ذيلها المهفاه ، وجرتها المائلة في

يعمل مع أيها في النيط ، ويكاد يعمل مع أمها في المنزل ؛ وهو الذي يسقى الجاموسة ويبلف الحمار ويرعى شؤون الأسرة

— إذن قبل أبوها أن زوجها منه ؟
— نعم ، قبل بمد أن يحقق أنه ترك الحرام وعزف عن الله وعكف على العبادة وأخذ عهداً على السيد القصي . وم الآن يرصدون الأبهة لحفلة المقد ، ويمدون المدة لرفة الزواج

— ٣ —

يبع القطن ومسحت على الجيوب الفارغة يد قارون ؛ ومست الشبان الأعزباب مواسم الهوى فذهب كل منهم يسمى لأهله البنت التي صفر لها (الضفائر) واشترى لها (النوايس) وأهدى إليها (الحلاوة) ؛ وأخذ الشيخ عبد الوهاب مأذون القرية ينتقل من دار إلى دار وتحت إبطه دفتره المريض وفي حزامه دواته النحاس ، يقعد المقعد ويأخذ المندبل ويشرب السكر ويسمع طلبة البنديقية التي تملن عقد الزواج للفتيات المنتظرات حين يقول للمريس : « بارك الله لك فيها » ؛ وأقبل الزمار الصبغت (أبو سعد) بطبوله ومزاميره ومهرجيه ، قلبت في القرية الساكنة أسبوعين جعلها فيها صورة صنيعة من (مولد السيد) ؛ وتسامل الوافدون على الأفراح : أين المهدي ؟ لم يظهر في زفة من الزفات ، ولم يسهر في سامر من السوامر ؛ وكان المرف الجارى أنه هو الذي يقول (الطبل) ، ويهندم المريس ، وينظم الزفة ، ويقترح الأدوار على (أبو سعد) ، ويرسم لوكب الزفاف الزائط مكان الوقوف وزمان الحركة . ولقد تحدثت المصاطب منذ شهرين أن زفاف ريا إلى المهدي سيكون افتتاح الموسم ، وأن شمراء (الربابة) ، ومنشدى الواوابل ،

كل أولئك شيئاً منها لا أعرفه . ولو كنت تملت لعرفت .

لقد أحببت غير ريا ؛ ولكنه كان حياً غير هذا الحب . كان حياً لم يتمد السطح ولم ينفذ إلى ما وراء الاحساس فلم يغير في عادة ولا صفة . أما حبها فقد خلقني خلقة أخرى ، حتى لأتأس المهدي القديم في إهابي فلا أجده : أصبحت لأميل إلى غزو الليل ، ولا أرغب في لهو النهار ، ولا أفكر في غير الخير . وفي بعض الساعات والخلوات أشعر أن في رأسي عالماً عجيب الألوان غريب الصور تجوح فيه الزهور وتطوف به المرائس ، فأستغرق فيه استغراق الطفل في « صندوق الدنيا » ، وأحس سيلاً من المائي ينهمر على لساني فأحاول الكلام فلا يعب ، وأجرب الفناء فلا يجدي ، وأجد الأشمار التي حفظتها من هنتره وأبي زيد لا تصور ما في خيالي ولا تنقل ما في خاطري . ولذلك جئت أسألك عن الكتاب الذي أجده فيه أشعار الشيخ حسن جابر الذي فاتها أقرب إلى ما أريد

لا تظن ياسيدي أني أزور لك كلام المهدي على عادة الكتاب ليطرد الحديث على أسلوب واحد . الحق أن المهدي كان بذكائه وعقله كاتباً لا ينقصه إلا القلم ، وبخياله وحسه شاعر لا يموه إلا القيثارة . هذه هي معانيه لم أقص منها ولم أزد عليها . ولو كنت أذكر اليوم ألفاظه لما ترددت في تسجيلها انصرف المهدي عني وغاب فلم أعد ألقاه عندي ولا أراه عند غيري . فسألت عنه ذات يوم رفيقه أحمد صاحب الصوت الأبيض والموال الأحمر ، فقال وهو يبتسم في خبث ويشير في باس :
— أوه ! إنه لا يكاد يفارق ريا ولا أهل ريا :

والشيخ عبد الجبار هذا ضرر في حدود السبعين بحمل الخيال لاسب الجلد ، ولكنه مسموم الجسم متين المصعب . كان شيخ الفقهاء ومعلم الصبيان في القرية ؛ وقد تنفس به المر حتى ربي جيلين من رجالها ؛ فكان يتمتع لذلك بنفوذ واسع واحترام عظيم . وكان واغر اللب شديد الدهاء رزين الطبع ، ثم أكسبته مزاولة التلاميذ على الأسلوب القديم سلاطة اللسان وخشونة اليد وقساوة القلب ، فقلما نخرج من كتابه متخرج دون أن تصاحبه طاعة في بدنه . لقد كان يضرب الصبي الجريدة حتى يفقد الوعي ؛ ثم يتركه لأنه تعب لا لأنه أشفق . وكان إذا تهدأ أو توعد ظهر غضبه المتسمر في مقلتيه الجاحظتين على رغم انطفاهما ، فلم أر أحمر يؤثر بعينه غيره . وكانوا يسمونه (جلاد الشيطان) لأن الجن الذين يركبون الجليات كانوا يرتدون فرقا من ظلمته . وليس الجن وحدهم الذين كانوا يرهبونه ، فقد كنا وكان الصبيان إذا مر الشيخ عبد الجبار في زعوطه الأسود ، يده على كتف قائده ، ورأسه الدقيق نائب في عمامته الضخمة ، وخده الشاحب مصمرا للناس ، وأذنه المنصوبة سرهفة للخط الطريق ، وقفنا صامتين راهبين كأن جنازة تمر !

— ٤ —

لقد كنت وأأسفا من شهود هذا الحادث الفاجع ، فانا أقمص عليك كما حدث . لا يزال على طول المعهد حيا في ذاكرتي رهيبا في نفسى كاتبه وقع أمس . والحوادث البسيرة تجد خلودها في أعماق الحافظة الصغيرة ، فكيف بالحادث الجلل ؟

جاء المهدي بالشيخ عبد الجبار بعد صلاة المشاء إلى ربا ؛ وأقبل أهل الحارة ومن سمع من رجال القرية إلى البيت الحزين القاني يساهمون في

ولاعبي البرجاس ، وضارب (الحطب) سيتقاطرون على البلد يؤدون إلى المهدي بعض ما أولام في سالف المهدي من أباد وصنائع

— هل عندك يا علي خبر عن المهدي ؟ هل هو مريض ؟

— هو في أمان الله ، ولكن ربا مريضة

— منذ كم ؟

— منذ شهر

— وماذا تشكو ؟

— يقولون إنها (معذورة) ، فهي لا تتكلم ، ولا تنبسم ، ولا تشتهي الطعام ، ولا تذوق الكرى . وقد هُذنتها بالأمس فوجدتها مسبونة على الحصير ، زائفة البصر ، ساهمة الوجه ، رفع بدأ وتضع أخرى ، ثم تنبكي من غير سبب ، وتنفض من غير حى ، ويدركها الدمول حينما فتتمض عينها ولا تتحرك . وكانت أمها على رأسها تروح عليها ، والمهدي يجانها يذب عنها ، وأبوها أمام الحجر يدخن في تفكير وحزن ، فسألت أمها :

— كيف حال ربا اليوم ؟

— كما ترى . ولقد ذهبت اليوم ومى مندبها إلى الشيخ فرج ؟ فقاس الأثر وفتح الكتاب ، ثم قال إنها ألفت ماء بالليل أمام القرن ولم تبسل ، فوقع على أطفال من الجن فركبها أبوم . ولقد كتب لها حجابا كبيرا حملناه إليها فحملته ، و رسم بالحبر أشكالا في طبق ثم عاها بالساء وسقيناها إياه فتربته ؛ ولكن ربا لا تزال ذائبة ذاهلة ، لا يطمئن بها فراش ، ولا يسكن لها عصب !

— وإذا لا تطلبون لها الشيخ عبد الجبار ؟ — لقد فكرنا في ذلك . وسيذهب المهدي

بعد صلاة المشاء يدعو

الرجاء والدعاء والأسف ، فلأثروا الحجره وسفلوا
الدعائز وسالوا خارج التبتة . وكانت ربا ساهمة كأنها
صورة الجلم الهنيء ؟ فلما دخل الشيخ عليها حملت
فيه بعينيه ثم صرخت صرخة شديدة ؟ فقدم
النساء أسفات وقال بمضن لمض : عرف جلاده
ففرع ! ليت ذلك كان من زمان !

— جاد ! هات (الفلقة) !

وجاء جاد بالفلقة فوضها في قديم ربا مكان
الخلخال الفضى اللامع ؟ ثم شدها وأمسك من
طرف وأمسك شاب آخر من طرف . واستل
الأحمر جريدة من الحزمة وبرك على ركبتيه وبعق
في يده . ثم أحمر على المريضة المنهكة ضرباً ذراكا
يهدم جسم الجان بله الانسان !

كانت ربا تصرخ صراخاً عالياً متواليًا من
الضرب الموحج ، والقوم صامتون وفي سرهم النجاة
بالشيطان الذى يلتمس الرحمة فلا يجد ، ويحاول
الحزمية فلا يستطيع

تخطت الجريدة الأولى فوقف عبد الجبار
وأقبل بوجهه المتضمر على ربا الصارعة وقال في
تهديد وحنق :

— هيه ! قل لى ما سمحك ؟

— ؟

— أمؤمن أنت أم كافر ؟

— ؟

— قل لى من أى القبائل والفصائل أنت ؟

— ؟

— أتعاهدنى على تركها وأنا أسامحك

وأطلقك ؟

— ؟

كان الأحمى يلقى هذه الأسئلة المتجددة على
المقزيت الأسير فى جسم ربا ، وريا تئن أنينا متصلا

جلس عبد الجبار عند قدمى ربا ، وجلس بجانبه
عرف الكتاب ومعه حزمة من جريد النخل
المشذب الصقول مما يستعمله فى تأديب الفلاظ
الشديد من « أولاد المكتب » ، ودواة من الخزف
الأخضر ، وقلم من القصب الأبيض ، وخرقة بالية
مقودة على شيء . ثم أخذ يسألها سؤال الماروف :

— ماذا بك يا ربا ؟

— لا شيء يا سيدنا

فلما رأى سيدنا الصوت طبيعياً والجواب عادياً
قال لنفسه وهو يسمع الناس :

— هيه ! لقد هرب ؟ ولا بد من استحضاره

ثم فك النقدة مما فى الخرقة فاذا هوفات من

اللبان والجاوى . ودعا المريف بموقد النار فوضع فيه

البخور فأفحم أرجحه الحجره . حينئذ أخذ الشيخ

يتلو الزائم بصوت يشبه الندمة فلا يكاد يثبث

منه حرف . ثم كان يتحسس عند بعض المقاطع

فيشتد ويخمد ويدكر بعض الأسماء الغريبة ، حتى

هيج دخان البخور وهممة الشيخ وازدحام الحجره

أعصاب المريضة المسكينة فاختلجت أطرافها اختلاجا

أحسه الأحمى ، فأمسك عن التلاوة وأصر برقع الموقد

وأشار إلى عريفه أن يبدأ العمل

تقدم المريف الحزب وتناول يدها اليمنى

وكتب على ظفر إبهامها كلمة أملاها عليه الشيخ

حمساً ؟ ثم كتب كلمة أخرى على ظفر السبابة ، ثم

على أطفار الوسطى والبنصر والخنصر ، وقلم باليد

ملجأ فزعها ومرقا دمها - يصب على جسمها
الناحل هذا المذاب ؟

لم تمد ربا تصرخ ولا تستغيث ، وإنما كانت
تنتفض للضربة والضربة انتفاضة اللسوع ؛ ثم
ترسل مدامها الفزار في صمت ، وتقلص شفتيها
الرقيتين في مضض . ووقمت عين المهدي على هذا
الوجه الشهيد المحتضر فاسترخت يده وارتعى على
الأرض مستخرطا في البكاء . فأنهر عبيد الجبار
هذا الضارب الطورخ وتناول الجريدة وصاح :

— جاد ! أعد نظرك في الأظافر فلعل بعضها

قد أصحبت عنه الكتابة فيهرب

ففحص الريف أطراف البنان المرسله وأصابع

القدمين الممزقة ، ثم قال في اطمئنان الواثق بعمله :

— الكتابة سليمة يا سيدنا

حينئذ أخذ الجبار يفكر في عذاب آخر ،

ولكنه أراد أن يتذره الجني قبل تنفيذه ؛ فزحف

حتى بلغ رأس الربيعة ، ثم الصق فقه بأذنها وأخذ

يساره . ولكن ما باله ارتبك ؟ إنه ولا يرب لاحظ

كما لاحظ القوم أن ربا تنسم نسما لا يكاد يظهر على

المرأة ، وأن العفريت مهما عذب لا يخذل هذا

الجلود ، فأحس الخطر وتوقع الكارثة . وأراد الخبيث

أن (ينقذ الموقف) كما يعبرون فقال :

لقد وعدني أن يشارو نفسه ؛ فدعوه الآن هادئا

يفكر حتى يصبح الصباح !

وفي الصباح ذهب عبد الجبار وادعأ بفتح

الكتاب ، وذهب أبو ربا هالكا يفتح القبر !

ومنذ ذلك اليوم الشؤم مات المهدي الذي

عرفته في أول القصة ، وعاش في جسمه المهدود

تخلو آخر لا هو شخص ولا هو شيء !

الزيات

في استرخاء وخفوت وضراعة ، والقوم حولها

ينتظرون إجابة الشيطان وأبصارهم شاخصة

وأفئاسهم معلقة ، والأسنة خارج الحجره تنتقل

صمته التريب في حمس وعجب ، والشيخ عبد الجبار

يحدق بعينه البيضاء في عين الصباح الخافت ويقول :

يا سلام ! ما رأيت أعند من هذا الملمون ! يا جاد !

هات الجريدة الثانية !

وشد الفلقة جاد من جديد ، وبرك الشيخ

الجبار على ركبتيه من جديد ، ثم شرع يديق القدمين

الذخيلين دقا عنيفا بالجريدة الثقيلة ؛ وهبت قوى

الفتاة المذخورة تدافع الألم المض بالصراخ

الدامع والاستغاثة المبتهلة :

— أنا في عرض النبي ! أنقذني يا أماء !

أعثنى يا مهدى ! أنا أموت ! ليس على شيء ! آه !

لم يجد هذا الهتاف المؤلم سمعا من أحد ؛ لأنهم

بمقدون بإخلاص أن المارد العنيد يخذلهم عن نفسه ،

وأن ربا الحقيقة الناعمة في غلاف من العفريت لا تدرى

ولا نحس . وكادت يد الجبار من الضرب فخل عمله

شاب قوى . وتحطمت الجريدة الثانية والثالثة ،

وجلاد الشيطان بعيد الأسئلة بين فترة وفترة

فلا يسمع إلا الجواب الطيبى أو الأتئين المستسلم

وزاد عجب الناس من عناد الجني الكافر ،

واشتد سخط المهدي على هذا الرجم الذى غلبه على

حيبيته ، فتناول الجريدة الرابعة ووقف يحانق

الأعمى وقد كان مهمهم ويدمدم ، وأخذ يلهب قدى

حيبيته المبودئين بالمصا المضرة المبرومة ! وريا ..

أوه ! لا تسلى حينئذ عن حال ربا . إن في بعض

مظاهر النفس ودلالات اللامع ما يقف أمامه البيان

الانسانى أبكم لا ينطق وعيبا لا يبين . وماذا عسى

اللفظ المعنى الجامد أن يصور لك حال ربا وقد

فتحت عينيها الداميتين فوجدت للمهدى -



السنية ومعهما يحمل لها الكتب والكراريس
وعنمى أن أكلها في الطريق إطاعة لأمر « الست »
فأكد أجن من فرط الحب والشفرة والشعور بما أنا
فيه من المهانة والتحقير . وأحسب أن كراهة امرأة
عمى لى وحى لينتها مما الالذان جصلا منى رجلا
مستقلا وأغرياني بما صنعت ، فقد تحولت من الأزهر
إلى دار العلوم ، وقد دفنى إلى ذلك أمور منها أن
مستقبل الطالب في دار العلوم معروف ، وأن
التابع فيها كان يأخذ في الشهور جنبها على سبيل
الاعانة . فتحولت إلى دار العلوم كما قلت . من غير
أن أراجع عمى أو أشتيره ، وصبرت على ذلك الفيش
كالخدم في بيت عمى شهورا ، وادخرت الجنيئات
التي قبضتها من المدرسة في أواخرها ، ثم تركت
البيت واستأجرت غرفة شاركى فيها طالب آخر
وفرشناها بألزم ما يلزم وأقننا فيها . وبكى بيانا لما
فرت منه أن أقول إن بنت عمى هى الوحيدة التي
افتقدتني وشرفت بانقطاعي عن البيت ، وكان الحب
بينى وبينها متبادلا ، فلما لقيتها وسعدها مرة وأخبرتها
الخبر فرحت وأنتت على وشجعتي

ولا أطيل - - تخرجت من دارالعلوم وأصبحت
مدرسا ألقاضى في الشهر ثمانية جنيئات لا واحدا
فقط ، وعينت في مدرسة بنها الابتدائية ، وبشاه
الله أن يعين عمى وكيلا للمدرسة فلولا كراهة امرأة

لا أدري إلى هذه الساعة كيف أسكن أن أدع
هذا يحدث . . ولو أن أحدا تنبأ لى : قرأه
في فنجانة القهوة ، أو طالعته سطاورة من الخطوط
التي يرسمها بأصبعه على الرمل ، أو تبينه من اجتماع
ورقات معينة وهو ينشر الورق كله أمامه ، أو من
تقارب بعض الودعات وهو يلقيها من كفيه على
الأرض - أقول لو أن أحدا تنبأ لى بهذا وأنا
سبي لسكان الأرجح ألا أصدق ، ولكن الحق
أن أدفع جيبته بأصابع يئامى وأقول له : « شح »
فقد كنت في حدثاتي « شقيا » جدا . وكانت
امرأة عمى تذكرنى وترغم أن كراهتها راجعة إلى
« شقاوتى » ولكنى - حتى في حدثاتى -
كنت أدرك أن كرهها لى سببه أنى فقير وأن عمى
يعولنى ويكفلىنى ، فقد مات أبواى في طفولتى .
وكان عمى ضيقا لا يستطيع أن يخالف لزوجته
إرادة أو أن يهد لها فى أمر . فتركها محرمى التعليم
الحديث وترسلى إلى الأزهر « مجاورا » ضنا منها
على بأكثر من القوت الضرورى والكسوة التي
لا غنى عنها . وكانت تفرق بينى وبين بنت عمى
التي كنت - ومازلت - أحبها ، فكنت أقضى
ساعات الدرس والنوم في النظرة لأن امرأة عمى
لا تأذن لى في الصمود إلا في الأعياد - لتقبل
بدها - وكنت أرى بنت عمى تذهب إلى المدرسة

أفرغ من واجبي وأذهب الى بيتي . ولن تراه
زكية شيخاً لأنها لا تذهب معي الى المدرسة فانا
لا أبدو لها الا أفندياً كما تحب

وكانت هذه بداية الترحيل ، فقد قالت لي
يوماً وهي تسير معي في الحديقة : « اسمع ياسيد ! لماذا
تهمل الألعاب الرياضية في المدرسة ؟ »

فالتفت اليها مستغرباً وقلت : « أهمها ؟ ..
ماذا تمنين ؟ »

قالت : « أعني أنك لا تشترك فيها ... تترك
تدريب التلاميذ لهذا الأمل ... انه أي في الواقع
وان كان يكتب ويقرأ ... هو جندي لا أكثر
وقد يكون أقل من جندي »

قلت : « وهل تريد أن يتولى تدريب
التلاميذ على الألعاب الرياضية فيلسوف ؟ »
قالت : « لا ، ولكن الروح الرياضية لا يبتها
إلا متملم »

قلت : « ولكن ماذا أصنع ؟ إن هذا
ترتيب وضمت الوزارة ولا شأن لي به »
قالت : « الوزارة لا تمنحك أن تمنى بتلاميذك
وتتطوع لمساعدتهم »

وابتسمت لي ، وانهارت حصون المقاومة .
وأحسب أنا معشر الرجال ضعاف . ولم تتركني في
ذلك اليوم حتى بذلت لها الوعد أن أعني بالألعاب
الرياضية وأن أطوع لمساعدة التلاميذ .

ولم يكن الأمر سهلاً فقد كنت في المدرسة
شيخاً ، وعسير على من يلبس ثياب الشيوخ أن
يشترك في ألعاب . وخلق بمنظرة خين يتحول من
شيخ في قفطان سابغ وجبة تفيض عليه الاحترام
والوقار ، وعمامة مكورة ، إلى رجل نصف عار في
قميص قصير وسروال أقصر ، أن يضحك التلاميذ

عني لي لوسفي أن أقيم مع عمي في بيت واحد ،
فقد صرت أستطيع أن أؤدي نفقات ميشي
وتكاليف إقامتي ، ولكن هذا لم يكن ميسوراً .
على أن استقلالي لم يثقل على نفسي ؟ وكان يسرنى
على العموم أني صرت أستطيع أن أزور بيت عمي
زيارة من لا يحتاج إليه ، ولا يطمع في شيء منه ،
وأن أرى « زكية » وأعشى معها في حديقة
البيت - خلسة بالطبع - وأن أبها جبي الذي
لم نحمد وقته الأيام

وكنت شيخاً - بعمامة وجبة وقفطان -
فقلت لي زكية يوماً : « لماذا لا تغير هذه الثياب ؟ »
فلم أفهم وقلت : « أغريها ؟ .. وما عيها ؟ »
قالت : « البس ثياب الأفندية ... كأني »
قلت : « اسمحي لي أن أقول إنني لأحب أن
أكون كأبيك »

قالت : « أعرف ذلك .. إنه ضيف ولا شك ..
ولكنك لا تقلده هو إذا اتخذت ثياب الأفندية .
كل الناس يلبسونها .. »

قلت : « لأدري هل تسمح لي الوزارة
أو لا تسمح ؟ . وليست أحب في فائمة حياتي
الجديدة أن أتمرض بخلاف في هذا الموضوع »

فتركت كل هذا وقالت : « إنني أريد ذلك ..
يسرنى أن تقلده .. ألا تحب أن أكون مسرورة
بك ؟ .. سيد ! .. من أجل ! أما ... »

فلم يسعني أن أظل أعترض بعد هذا . وأعددت
عدتي لتغيير الثياب ، وكانت كلفة هذا التغيير
كبيرة ، وكان هذا هو الذي يصدني عن التغيير .
أما الوزارة ورأيها فقد أقيمت لها ثياب الشيوخ
ألينها في المدرسة ، وأخلعها حين أغادرها ، وبذلك
انقبت غضبها المحتمل ، فالحاشان بي بعد أن

بالرجل الذى يملكك ... دع هذا لى »
فتركها وأنا أحدث نفسى أن فى زكية مشابه
من أمها ... أعنى أنها ورثت قوة الشكيمة والارادة .
وجاءنى يوماً جندى من جنود البوليس وكان
مارداً ضخمًا مقتول المضل ، ولم أكن دونه جسامه ،
خجاني كأنى ضابطه ، ثم شرع يحسنى كأنما كان
يخشى أن أكون مصنوعاً من الجبن الطرى . ثم
ربت على كتفى وقال : « عفارم » كأنما كنت قد
صنعت نفسى !

ولا أطيل ... بدأ التدريب بكل أنواعه حتى
بأنقال الحديد ، وكنت لا أفهم لماذا كل هذا ،
ولكن زكية كانت ورأتى تستحقنى وتشجعنى ،
وكانت امرأة عى قد سافرت الى مصر ، فصار فى
ونسع زكية أن تخرج معى أحياناً للتنزه على النيل
وكانت سافرة لا تتعجب ، وكان قد عرف أن
عمى وكيل المديرية ، فالذين يرونها معى يملكون أنها
بنت عمى ، فلا بأس من خروجها معى . وانتقل
التدريب من البيت - حيث بدأ - الى مخفر
البوليس حيث الأدوات التى صرنا نحتاج اليها ولا
سبيل الى نقلها ، مثل المتوازيات « والحضبان »
والمقلة وما إلى ذلك ، واتقنت كل هذا فقد أحسست
من نفسى إقبالاً عليه ورغبة فيه ، وسررت أن ذهب
اللحم الترهل وأنه اكتنز وصار عضلاً قويا . وكان
معلمى يأبى كل جزاء أو مكافأة ، وكنت أعجب
لهذا ولا أرتاح اليه ، فان كون وكيل المديرية عمى
لا يبيع لى أن استغل الرجل على هذا النحو ، غير أنه
كان يؤكد لى أنه يجد سروره ولذته فى تعليمى
فكنت أسكت ولا أفهم . وأبى لى أن أعرف أن
بنت عمى هى التى تدفعه ويجزيه ... ؟
وقال لى الرجل يوماً : « إنك يمكن أن تبت

ويغريهم بركوبه بالزاح والعبث ، ولا بأس بالألعاب
الرياضية ولكن البأس كل البأس أن أصبح موضع
استمراء . ولم يكن يسمنى أن أقدم إلى الناظر
ممرباً عن رغبتى فى التطوع لمساعدة التلاميذ على
شيء لا أحسنه أنا أولاً ، ولا تجمانى ثيابى صالحاً
له ثانياً . لهذا عدت إلى زكية وقلت لها لى
نوبت أن أغير ثيابى رسمياً أولاً ، وأن أندرب على
هذه الألوان ثانياً ، فدهشت وقالت : « تغيرها ؟ .
أولست قد تغيرتها ؟ . ألسنت تلبسها ؟ »

قلت : « الجواب نعم ولا ... ألبسها خارج
المدرسة وأنضوها فى المدرسة وأعود شيخاً »
قالت : « ولكن لماذا ؟ . ان هذا ... هذا ...
لا مؤاخذه ... جين ... لا يلبس بك ... لى أحب
أن تكون شجاعاً »

فلم يسمنى إلا أن أكون كما تحب - شجاعاً
ومن التريب أبى لم أجد أثراً لما كنت أخشاه
فقد استشرت الناظر ، وكان رجلاً وقوراً جريئاً
كريمًا على نفسه وعلى رؤسائه ، فقال لى : « لى
أراك فى الخارج أفندياً ، واحسب ان التلاميذ
يرونك أيضاً ، فلماذا لا تكون أفندياً دائماً ؟ .
أما الوزارة فلا أرى أن لها شأنًا ، ثم إنك هنا فى
بناها بعيد ، ومع ذلك من الذى يعرفك ؟ . على كل
حال ضع القوم أمام الأمر الواقع »

ففعلت ، وبقي التدريب الرياضى ؛ فغفر لى ان
أستمع بالعلم الألى - كما تصفه زكية - ولكنى
آثرت أن أستشيرها أولاً ، فنهتنى عن الاستمارة
عمل المدرسة ، وقالت : « يجب أن تظهر لهم جميعاً
أستاذاً كبيراً حتى فيما كان الظن أن تجهله »

فسألتها : « ولكن من إذن يعلمنى ؟ »
قالت : « لا تحمل همًا ... سأبث أنا إليك

وعلانا ، وترثانا ، من الرؤساء ، ومن رجال الادارة
ومن الأعيان وآباء التلاميذ الى غير ذلك . وأنا
مكب على عملي واثق أنه سيرفعني في الوزارة درجات
وقالت لي بنت عمي يوما : « لماذا لا تبتكر
شيئا ؟ علم التلاميذ الملاكمة . ألف فرقة منهم لها ..
تصور وقع هذه المفاجأة في الاحتفال السنوي .. »
قلت : « فكرة والله .. ولكن هل يوافق
الناظر ؟ لابد من موافقته كما تعلمين »
قالت : « أوه ... الناظر ! ... كلا قالت لك
شيئا تقول لي الناظر ؟ ... هل تتصور أن الناظر
يسوؤه أن تبيض وجهه ؟ .. كون الفرقة وفاجئته
هو أيضا بها .. »

ففعلت . وكنت في أول الأمر أستعير قفازات
الملاكمة من ملعب البوليس ، ثم رأيت أن أذهب
بالفرقة التي انتقيت أفرادها من كبار التلاميذ الى
ملعب البوليس ، فلما دنا العام من ختامه كان بعض
أفراد الفرقة صالجا للعرض الى حد ما
وكنت أنا في خلال ذلك مواظبا على التدريب
لا أقطع عنه ولا أقصر فيه ، فاتفق يوما أن أكني
صميده على حنكي لكمة قوية على خلاف عادته ،
فألتفتي وأحسبت الدم يصمد إلى رأسي من فرط
الغضب والتهيؤ ، وأهلت عليه غير حابي أو مترقب
وكنت أتوقع أن يثور في كارت ب ، ولكنه لم
أحس وقع اللكمات ابتمس ونأى عني وقال :
« يكني .. يكني .. الآن اطمان قلبى »
فوقفت وسألته : « ماذا تمى ؟ »

قال : « لا شيء .. أردت أن أجربك . الآن
صرت ملاك . تستطيع أن تنازل من شئت »
فابتسمت مسرورا وإن كانت منازلة أحد من
الناس لم تجر لي في خاطر فاكنت أتملم من أجل

يكون منك ملاك عظيم »
فسألته : « ملاك ؟ »
قال : « نعم ... ليس أسهل من هذا ... لماذا
لا تتدرب على الملاكمة ؟ »
قلت : « ولكن لماذا .. ما الداعي ؟ »
« قال : لم لا ؟ ... »

فلم أر أبسا ... ولم لا - كما قال - وكنت
قد شفقت بالرياضة بعد أن اتقنتها وحذقتها وبرعت
فيها وصرت موضع إعجاب زكية ، ولكني قلت
للرجل : « اسمع يا صميده (وكان هذا اسمه) إنى
معلم ، ولا يلقى لي أن أظهر للتلاميذ بأنف مبطل
أو شفة أو عين واردة سوداء ، فإذا كان لابد من
الملاكمة فلا تضربني بشدة »

فقال : « إن الخوف على منك لا عليك منى »
فسرني هذا وأقبلت على الملاكمة أتملها
بسرعة ، وكان صميده يقول لي إن ضربتي رجلاي :
أى أنى سريع الحركة خفيفها جدا ، وأن هذه المزية
خليفة أن تفسد على أقوى الخصوم من الأخرى .
فلما سمحت منه ذلك صار همى أن أحسن استغلال
هذه المزية الى أقصى حد وأبعد مدى

وصرت ملاكا - كما شاء الرجل - وكنت
في أثناء ذلك قد تطوعت للمعاونة على تدريب
التلاميذ ، ثم صرت أنا الكل في الكل - كما
يقولون - ولم يبق لمعلم الألعاب إلا الخدمة ، فإ
كان يحسن شيئا في الحقيقة - أعنى شيئا يستحق
الذكر - وفرح الناظر بذلك ومدبصره الى آخر
العام الدراسي ، وراح يتصور الحفلة الرياضية التي
سيقيمها ويدهش بها رؤسائه في الوزارة . وكان
لا ينفك يحذرنى عيها ويطلب رأيي فيما ينبغي أن
يكون فيها ، ويقول لي إنه يريد أن يدعو فلانا

البدنية . وكان الناظر ربما مازحني وقال : « والله فلتحت يا شيخ سيد » فأقول : « والله يا حضرة الناظر ما كان لي هذا على بال »
ولو استطعت لقلت له إن الفضل لبنت عمي زكية

وجاء يوم الحفلة بعد طول الاستعداد — أي الفناء — فقد كانت تلك الأيام أيام جهود متواصلة من الصباح إلى المساء ، وكان أشق ما فيها أن زكية وصميدة كانا يصبران على استمرار تدربي على الملاكمة كأنما كنت سأحترفها ، أو كأنما أصبحت حياتي رهناً بها ، ويبلغ إتقاني لها . وما أكثر الليالي التي عدت فيها إلى البيت وانظرت على الفراش ونمت إلى الصباح — بشبابي — كالقتيل

وأقيمت الحفلة على ما رسمنا ورتبنا . وكان المدعوون حشداً كبيراً من الموظفين والأعيان والرؤساء في وزارة المعارف . وكان الناظر يهدي السرور ظاهر الاحتياط ؛ ولكي كنت أتوقع أن يكون استقبال المدعوين والتلاميذ لتلاميذي للملاكين خيراً مما كان وأكرم ، فقد كان هذا جديداً في ألأب المدارس ، وكانت تلاميذي جذرين بالتشجيع والمطف ، لا بهذا الصمت العميق أثناء الملاكمة وذلك التصفيق الغائر بعد انتهائها . ولم أرتح إلى هذا الفتور ، وشق على أن يكون هذا جزءاً لتلاميذي . ومن غيري يرف بمناخ ما يتجشمو واحتملوا وبذلوا من الجهد في سبيل الاستعداد لهذه الحفلة ؟ . ولا عجب إذا كان فتور المتفرجين قد أعدام ، فقد كانوا يحركون أذرعهم يبطء وفي استرخاء ، وكنت أحرضهم وأستحجم بالإشارة

ذلك بل من أجل ما أراي أفيد من اللذة والسرور ودنا الموعد الذي تقام فيه الألعاب وكنت قد أعددت برنامجاً حافلاً ، فسألتي زكية :
« كيف نسيت الملاكمة ؟ »
قلت : « لم أنسها . سيتلاك أربعة من التلاميذ — كل اثنين ممّا »

قالت : « أنظن أن هذه ملاكمة ؟ هذا لعب »
قلت : « هل تريدن ملاكمة جدية بين هؤلاء الأطفال ؟ »
قالت : « سيفعلون كل ما يقدرون عليه ، واعتقد أنهم لن يقصروا ولكن هذا لا يكفي . . . يجب أن تكون هناك ملاكمة جدية بين رجلين » فلم يسمي إلا أن أسألهما وأنا أضحك : « ومن أين نجى بهما بالله ؟ »
قالت : « إذا كان هذا كل ما في الأمر من صعوبة فدعه لي »

فسألته كيف تنوي أن تدبر الأمر ؟ فقالت : إن عمي يمكن أن يقترح على المدرسة أن تسمع بأن يضم إلى البرنامج فصل في الملاكمة بين اثنين من الجنود . فاعتضت بأن هذه حفلة مدرسية لاهلاقة لها بالبوليس وأن الناظر خليف أن يرفض ، فقالت : « مالك أنت ؟ دع الأمر لي ولن يتحسر شيئاً إذا أتى ناظر ، فإذا قبل فإن نجاح حفلتك يكون باهراً . ألا ترى أنني أريد لك الخير ؟ »

فشكرتها — أعنى قبلتها — ومضينا في الاستعداد . وكان الناظر لفرط اهتمامه بالحفلة قد أخلى من الدروس فاقطعت لتدريب التلاميذ وتنظيم الأمر . وكان يضحكني أحياناً أن شيئاً ممعاً مثل ينقلب في شهور بطلاً من أبطال الرياضة

حل ... بالطبع يمكن ... »

وزيت الناظر على كفتي وقال : « برافو ، برافو !
والآن عجولوا »

وهم بالرجوع فاستوقفته وصحت به : « ولكن
يا حضرة الناظر هذا مستحيل ؟ .. كيف يمكن ؟ .. »
ولكن زكية قاطعتني وقالت : « بالطبع يمكن .
إن صميده يؤكد أن في وسك أن تأكله ... لأجل
خاطري ... لا تخيب أمل فيك ... قل إنك
تقبل »

وابتسمت لي . وكان الجندي الملاكم ينظر إلينا
وينتظر ، ويداه في خاصرته ، وعلى وجهه ابتسامة
زراية واستخفاف لا تطاق . وأعلن أن هذه الابتسامة
الثقيلة هي التي دفعتني إلى القبول والرضى لا الابتسامة
الحلوة الساحرة التي جادت على بها زكية ، فبرزت
رأسي أن نم وعيني على الجندي

وما أسرع ما خلعت ثيابي وألقي على جسدي
صميده شيئاً كالبرنس ، فأُكأن لي وحي ، ولا كنت
أفكر إلا في الظهور أمام تلاميذي وأمام رؤسائي في
الوزارة ، ملاكاً ؛ ولم يكن ما بي خوفاً وإنما كان
خجلاً . وكان صميده يدهني ويربت على كفتي .
ودخل الجندي مزهواً متفحفاً ودخلت وراءه

مطاطاً الرأس من فرط الاستحياء . وقابلنا الجمهور
مقابلة حارة . ثم نهضنا وتصافحنا ، ولكن خصمي
زاد على ذلك أن لس دقتي بفقاذه وابتسم ، فبلا
الضحك ، فأحسست أن دى ينلى في عروقي من
التنصب ، وهل مما يحتمل أن يجعلني هذا الجلف
أضحكة وعرضة استهزاء ؟ .. واغتنتت فرصة
سنتحت لي فلكنته بقوة - على أنه - ولم يكن
هذا ذنباً فقد كان أنه كبيراً يفرى بالكلمة ؛ وأحسب
أن الكلمة كانت عنيفة فقد دار وتطرح ، ثم أقبل

فلازبدون على الابتسام ، ثم يستأنفون تحريك أيديهم
كأنما هم يسبحون في الماء . فلما انتهوا صفت لهم
بشدة ، ولكن الفتور العام أخجاني ، فكففت فجأة
وهوت يداي إلى جانبي

وكانت الملاكمة الجديدة بين اثنين من رجال
البوليس هي الشاهد التالي والأخير في البرنامج .
وأحسب أن انتظارها هو مبعث هذا الفتور البلى
كان من نصيب التلاميذ ، فما كانت ملاكمة هؤلاء
إلا لعباً . فطلت واقفاً في مكاني وراء منصة الملاكمة
أنتظر أن يجيء صميده بالتلاكين ويقدمهما إلى
الجمهور ، فقد كان هو الحكم . فجاء صميده ولكن
وحده ، وليس كفتي بأطراف أصابعه فالتفت إليه ،
فدعاني أن أنبئه . وكان هناك ستار وراء المنصة
وغرفة لتغيير الملابس ، فقال لي وقد أصبحنا بمزلة
عن الجمهور : « ما العمل ؟ » فبرزت رأسي مستفهماً ،
فقال : « إن الجندي الثاني مريض فهو لا يستطيع
أن يحضر »

ودخل في هذه اللحظة الجندي الآخر وصدره
عار ، وعليه غابة من الشعر ، وقال بصوت عال
لا يخلو من السخربة والاعتداد بالنفس : « أين هذا
الهرباب يا صميده ؟ »

فلم أرتح إلى منظره البشع ، ولم يحسن وقع
لمحجته في نفسي ، فنظرت إليه كما ينظر الإنسان
إلى شيء قذر ؛ ثم حولت وجهي عنه فقد دخلت
في هذه الساعة زكية ووراءها الناظر
وقال صميده : « ما العمل ؟ »

وقالت زكية : « ألا يمكن أن تنازله يا سيد ؟ »
فبغت ووقف لساني في حلق ، وجف ربيقي ،
لا من الخوف بل من الدهشة .
وقال صميده : « والله فكرة ! ... أحسن

وانطلقت صيحة عظيمة من الجمهور - من الأعيان ومن التلاميذ جميعاً - ووقف السكّال وراحوا يصفقون بلا تفرق بأيديهم وأحسب أنى أنا الوحيد الذى لم يكن مسروراً فى تلك اللحظة

وجاء ضابط المدرسة يدعونى إلى مقابلة وكيل الوزارة فى غرفة الناظر ، وكنت أتوقع شيئاً من هذا القبيل ، فاجرى فى وهى قط أن الوزارة ترضى من مدرس بلا كم جندباً فى حفلة كبيرة عامة كهذه ؟ ولكنى لم أكد أبلغ الفرفة حتى استغربت أن أرى زكية داخلة أمامى ومعاها عمى ، فسكنت نفسى قليلاً لأن هذا يشبه أن يكون اجتماعاً خاصاً لا مقابلة رسمية . وصرت فى الفرفة ووقفت مطرقاً فوقف الوكيل ووقف مثله الباقون - مفتش انجليزى وآخر مصرى والناظر وعمى - وقال الوكيل :

« إني أهنتك ... لقد كنت بارعاً جداً »

وصاغنى المفتش الانجليزى بمدى بقوة وحرارة وأننى على بلغة عربية عظيمة . ولم يكن شئ من هذا مما كنت أتوقع . وخطر لى أن الفضل فى حسن ما استقبلت به لاداً أن يكون لناظرنا الجريء الحر ، فتركهم جميعاً واندفعت إليه وصاحته شاكرًا فتأثر الرجل الكريم وقال :

« إني مسرور وآسف فى الوقت نفسه . لقد جرت على نجاحك أفى قدّتك ... أو على الأصح سأفقدك »

وقال الوكيل : « لاشك أن فقد المدرسة له سيكون خسارة ، ولكن يميزك أنه سيكون بفضل تشجيعك أنفع فى مكان آخر ... نعم لقد رأينا - أنا وجناب المفتش - أن ننتفع بك فى الوزارة

على كالوحش المفترس ، فتذكرت ثناء صميده على سرعتى وخفة حركتى ، وذهبت أحاوره وأداوره بخفة وسرعة لم أعهدهما فى نفسى من قبل ، وقد نفعتنى ذلك فانتهى الشوط الأول من غير أن يصيبنى أذى

وكنت أنتظر أن ألقى من المتفرجين تشجيعاً ، ولا سيما من تلاميذى ، ولكن الشوط الثانى بدأ والسكّال صامت ، وكان خصمى مقيطاً محققاً ، لا أدري لماذا ، فأنهال على كالصخرة ، ولكنى كنت أسرع مما قدر ، فلم يبلغ منى شيئاً . ويظهر أن هذا زاده سخطاً وغيطاً ، فقد صاح فى بأعلى صوت :

« ألا يمكن أن تقف فى مكان ؟ ... إن المرء يحتاج الى موتوسيكلى ليلحق بك »

فانفجر المتفرجون ضاحكين . فلم يبق لى عقل فقد كان ضحكهم على ولا شك . ووقفت وثبت له فأقبل يريد أن يلمكنى ، فانحرفت قليلاً لأتقى الضربة فراحت فى الهواء ، وفى هذه اللحظة التى انحرفت فيها ، سمعت صوتاً يصيح : « عليه ! » عليه ! . اقله » وكان وجهى بمد أن انحرفت قد صار الى الجمهور فلما رفعت رأسى رأيت - تحت عيني - عمى واقفاً يلوح بيديه فى الهواء ويصيح :

« عليه ! . عليه ! . اقله . »

ولا أدري إلى هذه الساعة أكان عمى يمحضنى أما على القتل ، أم كان يمحض خصمى على اللواء فى ، ولكن الذى أدريه أن البقية الباقية من عقل طارت وذهبت مع الرياح الأربع . ودرت واستقبلت خصمى الذى دار مثلى بمد أن تطرح لى لأخطأنى ضربته ، ولكنته تحت ذقنه فازتمى على الأرض وانحنى صميده عليه وهو يمد ثم أقبل على يهنتى بالفوز العاجل

أنها لا يمكن أن ترضى عن زواج بنتها من « رجل شُغِّلَ » ولكن عمى كان قد أعلن الأمر ودعا الناس فلم تبق لها حيلة

« شُغِّلَ » هذا كان وصفها — ولم يكن يخفف من سوء وقته في نفسى إلا قول زكية : « ولكنى أنا أحب أن تكون شُغِّلَ — أنا جملتك كذلك لأنى أحب هذا ... تمال يا حبيبي الشغلى ... قبلنى ... لا ... ليس هكذا ... بل كما يفعل الشغلى ... تماماً ... أوه كده »

ابراهيم عبد القادر المازنى

الى كل كاتب عربى فى مصر وفى غير مصر :

المباريات القصصية للرواية

تشجيعاً للقصص العربى تفتتح (الرواية) مبارياتها السنوية فيه بهذه المباراة :

مباراة فى الأقصوصة

جائزتها خمسة عشر جنيهاً مصرياً
يوزعها المحكون على الفائزين الأول والثانى

الشروط

- ١ - أن تكون الأقصوصة شرعية الموضوع
- ٢ - « « « بليغة الأسلوب
- ٣ - « « « نبيلة الغرض
- ٤ - ألا تزيد على عشر صفحات من (الرواية)
- ٥ - ألا تكون قد نشرت من قبل
- ٦ - ألا يتأخر موعد إرسالها إلى (الرواية)

عن آخر مايو سنة ١٩٣٧

لجنة التحكيم ستمعلن عنها فيما بعد

وستتخذ التدابير اللازمة لنقلك وأرجو أن يكون هذا مما يسرك »

فلم أستطع أن أقول نعم . وكيف أفلق بنها مسروراً ؟ . ولم يسنى إلا أن أنظر الى زكية وكانت تبتم ، فلم أفهم كيف تبتم وهى تعلم أنى سأنقل وأناى عنها ؟

وهنا قال عمى : « والآن ياسيد . يحسن أن تأخذ زكية وترافقها الى البيت »

فاستأذنت وتبعتها ومشيت معها مهموما مغموما فقالت لى فى بعض الطريق :

« مالك ؟ . ألا يسرك ما حصل ؟ »

فقلت : « كيف يسرنى وهو فراق ؟ »

فسألتنى مستغربة : « فراق ؟ من قال هذا ؟ »

ثم كأنما انتهت الى شئ ، فقالت : « ألم يخبرك أحد ؟ »

ونظرت لى . وأحسبها قرأت فى وجهى الجمل التام والدهشة والحيرة فقد قالت : « ولكن بالطبع لم يخبروك .. أوه يا مسكين .. ألا تعرف أن عمى قبل أن تزوج ؟ »

فصحت بها فى الطريق وقد وقفت : « إيه » فقالت : « ليس فى الشارع .. انتظر حتى تبلغ البيت .. نعم قبل وأخبر وكيل الوزارة أيضا ودعاه الى الحضور .. حضور المقد .. فهل أنت مسرور ؟ »

وهنا يبنى أن أقول إن زكية عرفت — لا أدري كيف — أن عمى له ولوع بالملكة ، فاستمات هذا ودرت الأمر كله — أغرتنى بالملكة وتأخرت مع صديقة مؤامرة انتهت — كما قلت — بمنازلتى لهذا الجندى الغظ . ولم يسكر هذا الصفو كله إلا امرأة عمى فقد بقيت ساخطة ولم تكننى



يَوْمِيَا نَادِي الْإِذْيَافِ

للاستاذ توفيق الحكيم

١٧ أكتوبر . . .

فكرت ملياً في أمر ذلك الخطاب . من ترى يكون مرسله المجهول ؟ الأسلوب ينم عن أن صاحبه أزهري فسد . هذه الآية القرآنية وهذا التوقيع لا يصدران إلا عن هذا الصنف الذي يستغل علمه القليل وجهل الناس المطبق في الريف فيعيش على تحرير البلاغات المأجورة وبذر الشقاق بين الأمر والأفراد . ولكن في هذا الخطاب على أي حال وقائع تستدعي التحقيق . ولو صح ما جاء فيه من أن زوجة قمر الدولة قتلت خنقاً لخرجنا من الأمر بجنائية تمخضت عن جنابة . لايهمنا الآن البحث عن صاحب الخطاب بقدر ما يهمنا التأكد من صحة الانهام . لا بد إذن من فتح المغبرة واستخراج جثة زوجة المصاب وعرضها على الطبيب الشرعي . وقد اتجه تفكيري كله هذا الاتجاه فلم أشغل ذهني بما ورد من ريم في هذا البلاغ وما يمكن أن يلحقها من شر . ذلك أن كل شيء مترتب على نتيجة فحص الجثة . وكنت قد بادرت فأخطرت الطبيب الشرعي ببرقية ، وقتت بما يلزم من إجراءات لفتح القبرة ، فميت عليها الحراس يسهرون الليل بجوارها حتى لا يبيث بها عاثب . وأرسلت في طلب « اللجاد » وكنت قد انصتت تليفونيا بالمرکز عقب قراءتي ذلك الخطاب

لأخطر الأمور ، فقيل لي إن الأمور ركب ومضى إلى اجتماع خطير معقود في المديرية برئاسة المدير وحضر إلى للفور المأمور يقول :

— سمادتك اطامت طبعاً على جرائد المساء

— أبدأ

— في البلد أزمة وزارية

فأدركت في الحال سر اجتماع المديرية ، وعلبت أن رجال الإدارة منذ الساعة لن يكون لهم عقل ولا فكير في غير تقسيم هوى الوزارة الجديدة ، حتى يمدوا أنفسهم لليل معها كما مالو امع غيرها . وهذا الميل يبدو أكثر ما يبدو في التجهيم السريع للعمد والأعيان الموالين للوزارة الآفلة ، والابتسام البديع لأنصار الوزارة المقبلة . ولم أبدأ ملاحظة المماون ، فأنا رجل قضاء لا ينبغي لي الكلام في السياسة ؛ ومهما تغيرت الوزارات والأحزاب فإن القانون هو القانون . والتفت إليه أخيراً وقلت في غهوه :
أظن حضرتك تقوم معنا بدل المأمور
— الظروف الحاضرة تمنعني من ترك المركز .

فارتبك الرجل قليلاً ثم قال :
— أنا غرضي ... راحة سعادتك من جهة ،
وعدم إحراج المركز في الظروف الحاضرة من جهة
أخرى ...

— طيب . طيب ...
وأسرعت فأقفلت باب الموضوع . فقد سمعت
تقراً على باب حجرتي ، وأبصرت من خلفه الطبيب
الشرعي بمحيطته الصغيرة يستأذن في الدخول .
فنهضت في الحال وأجهت إليه وأدخلته مرحباً .
وطلبت له فتجاناً من القهوة . ثم نجاذبنا الحديث
في الأحوال العامة . فأخبرني باختصار ما سبق أن
علمته من عيد المقصود أفندي من أن الوزارة الجديدة
قد تسلمت فعلاً مقاليد الأمر ، وأنها تسند العدة
لاتخابات جديدة . ولم نناق على هذه الأخبار
بشيء . فكلانا يجهل ميول الآخر . وكلانا يخشى
أن يظهر رأيه الدفين . وبدلاً من لوقتنا الكلام في
المعمل وفي القضية التي بين أيدينا ، وأخبرت الطبيب
بظروفها في عبارات سريعة . واستقر الرأي على
المبادرة بالانتقال إلى المقبرة . فقمنا إلى السيارة
وانطلقنا ولم نتف حتى بلغنا مكاناً قصياً في المزارع
قد تجمعت فيه تحت ظل نخلتين أو ثلاث بضعة
مقابر من الطين والأجر قد عليها « شواهد » طويلة
سمراء كأنها رؤوس المغاريت فنزلنا . وهرع
لاستقبالنا الحراس . هبوا فجأة من مرافقهم لمرآنا
وخرجوا علينا ، بعضهم يهبط من أعلى « مرتبة »
قد وضعت فوق المقبرة كما يوضع المودج فوق النافذة ،
وبعضهم يثب من على حصير فرش بين يدي هذه
المقبرة كأنهم فرقة ثوب من حجر أمها ، وسألت
عن حضرة ملاحظ النقطة فأشاروا إلى الطريق
الزراعي ، فربأت فقي في ملابس العسكرية بقبل

لكن ملاحظ النقطة موجود هناك في خدمة
سمادتك

فكرته . ينصرف إلى مركزه ، وأمرت بإعداد
السيارة ، وجلست أنتظر الطبيب الشرعي وقد أجاب
على برقيتنا بإشارة تليغونية أنه حاضر اليوم . ودخل
على عبدالمقصود أفندي وأشار يده إلى « النتيجة »
المعلقة بالحائط ، وذكرني بضرورة تفتيش سجن
المركز ؟ فالتفت إليه وأنا أقوم بهذا التفتيش فجأة
مرتين في كل شهر على الأقل . فلم ألتفت إليه
وأمرته أن يذكرني فيما بعد ؟ فثنى خطوتين ثم
عاد وغمز بعينه :

— فيه إشاعة أن الوزارة الجديدة تألفت
وناوية أن تجري انتخابات جديدة
— وماه ؟

— غرضي يعني ... قبل سجن المركز
ما يزدهم ...

فلم أنبس بكلمة ، وتشاغلت بتقليب أوراق
القضية التي تقوم من أجلها ؟ ورأى رئيس القلم
الجنائي أني أن أجب . فأنصرف متردداً متباطئاً .
وأدركت من هيئته أنه لم يأت من تلقاء نفسه ؟
فناديته فرجع ، فقلت له في ابتسامة التخاذل :
— كاتب ضبط المركز كلك في التليفون ؟

فأجاب للفور :

— طبعاً . ودفاتر السجن مسددة جاهزة ...
ومحضر التفتيش مكتوب . وكل شيء تمام ، ولا باق
غير إمضاء سعادتك ... والمحكمة كلها قيمة ربع
ساعة ونكون انتهينا من مأمورية تفتيش السجن
فنظرت إليه شزراً :

— شيء جميل . تفتيش جنائي مضبوط
يا عبدالمقصود أفندي ... ؟

بجثة أخرى ما كاذ بفحصها الطبيب حتى وجدها هي كذلك جثة رجل . وهكذا ظل يمرض علينا الجثث التي وقعت عليها يده فاذا كلها لرجال ، فصاح اللحاد مغيطاً :

— أُمال النسوان راحت فحين يا رجاله ؟
فقال له الطبيب في هدوء :

حضرتك بالإختصار غلظت في القبرة
ثم نظر إلى القبرة التي بجوارها وقال له :
— افتح دى

فذهب اللحاد بأدواته حيث أشار إليه الطبيب
بينما أنزل الحراس « متاعهم » من فوق القبرة
الأولى وهم يتهايمسون :

— بقى كنا را كين غلط !
وفتحت القبرة الثانية . وما كاد اللحاد يزحف إليها ويختمني فيها حتى ظهر الملاحظ عائداً وخلعه امرأة تخفى وجهها بطرف طرحها السوداء وترفع عقيرتها مولولة :

— يا لى كنت متورة الحارة !
فسد الملاحظ فيها في الحال منتهراً :

— اخرسى يا ولية !
واقترب الطبيب الشرعى من المرأة وحادثها فعلم منها أنها كانت جارة للمتوفاة وأنها حفرت جهازها
— اسمى يا سقى . البيتة كفنوها قدامك ؟
فتنهبت المرأة وقالت :

— قدامى يا سيدى ، وبقيت بميد عنك أطم
وأرقع بالصوت

— الهم عندنا مش الظم ، كفنوها في كم
« درج »

— في عين السدو ثلاثة « أدراج » : درج

مهرمر ودرج كزميز ودرج جوير أخضر ...

متبختراً على حصانه الأشهب . ولم تعض لحظة حتى بدأنا العمل ؛ فأمرنا اللحاد بفتح القبرة فأعمل في الحال فأبسه ومموله في البناء الذى يخفى المدخل . وسألني الطبيب الشرعى عما إذا كنا استدعينا أحداً من أهل المتوفاة يستطيع أن يتعرف على الجثة وكفنها ؛ فأجيبته أنا لا نعرف المتوفاة غير أخت قد هربت واختفت . فاقترح إيفاد الملاحظ الى القرية يحضر لنا امرأة من الجيران ممن حضروا غسلها أو دفنها . فقام الملاحظ للفقور لسا انتدب له . وأمن اللحاد في الدق والهدم حتى جرح صدر القبرة جرحاً بالفاً وقام عنها وهو يقول :

— الباب من غير مؤاخذه من ورا ...

وتناول أدواته وذهب إلى الناحية الأخرى وجعل يوسمها ضرباً وطرقاً . فصاح به الطبيب الشرعى :

— هل هي يا رجل مقبرة فوت عنخ آمون ؟
تغلظ في المدخل وأنت لحاد الناحية !
— أصله يا حضرة الدكتور مضى عليها زمن مقفولة

وضرب ضربتين انفتحت تحتها المدخل . وزحف الرجل على يديه وقدميه إلى داخل القبرة وخرج يجذب شيئاً ملفوفاً في « قماش » لا لون له من القدم تكاد أطرافه تفتت في أصابعه . ووضعه تحت أنظارنا وهو يقول :

— شوفوا هي دى « بلا قافية » الحرمة ؟
فكشف الطبيب الشرعى عن تلك المظالم النخرة ونظر فيها ثم قال للحاد :

— ارجع بها يا حمار . دى جثة رجل

— راجل ؟

واختفى اللحاد بالجثة في قلب القبرة وعاد فظفر

التي لها في حياتنا البشرية كل الخطر لو نزعنا عنها ذلك « الرمز » أبقى منها أمام أبصارنا الالهية غير المكثرة غير جسم مادي حجر أو عظم لا يساوي شيئاً ولا يعنى شيئاً . ما مصير البشرية وما قيمتها لو ذهب عنها « الرمز » ... « الرمز » هو في ذاته كائن لا وجود له . هو لا شيء ، وهو مع ذلك كل شيء في حياتنا الأدمية . هذا « اللاشيء » الذي نشيد عليه حياتنا هو كل ما نملك من سمو نختال به ونتمتاز على غيرنا من المخلوقات . هنا كل الفرق بين

الحيوانات العليا والحيوانات الدنيا

وقطع الطبيب سلسلة تفكيرى بمقص طبعى في يده ذات القفاز الجليدى الشفاف يفحص به المظالم قائلا :

— امرأة من غير شك

ومضى في عمله وهو يقول :

— الأشلاع سليمة ، والجحجية : الطامة

سليمة ، والعظم الالى ... وهنا نظرت إليه في ابتهاج . فالعظم الالى في العنق هو الدليل الناطق على حدوث الجريمة . فان كسره معناه أن الخلق قد وقع . وإن كل ما يهتما في الحقيقة من استخراج الجثة والكشف عنها هو فحص العظم الالى ، والتحقق من سلامته . ولم يهأى الطبيب حتى أسأله وصاح وهو يربى هذا العظم بين أصابعه :

— مكسور

هذه الكلمة كانت كافية لتحديد موقفى من الأمر . ان ما جاء في البلاغ المجهول المصدر حقيقى إذن . وماذا أنتظر بعد ذلك ، وصحت في الطبيب : — انتهينا . وعزمت على الدودة مسرعا للبدء في تدبير ما يبنى الوصول الى معرفة سر هذه القضية الجديدة ، فعلى من دون ريب مفتاح الأولى

وخرج اللحاد وقتئذ يمتد من داخل المقبرة جثة فخص الطبيب كفنها وقد ذهب لونه بفعل الزمن إلا بقية اجفصار خفيف في أطرافه يتم عن حقيقة لونه الغابر ، فأمر من الفور بحمل الجثة ووضعها على « لوحين » من الخشب نصباً سريماً على « بائة مشرحة تحت ظلال شجرة من السنط ، وطلب إبعاد الحاضرين فرفع الملاحظ عصاه الخيزران الرقيقة في يده وفرق الناس صائحاً :

— بعيد . بعيد ...

وكشف الطبيب الكفن في احتياط . وما كاد ذلك الهيكل العظمى المدجج يظهر للعيان حتى سمعت خلفى همساً وهممة ، فاستدردت فأبصرت سائق السيارة محتفياً خلف جذع الشجرة شاحب الوجه بارز العينين يشاهد هذا المنظر ولا يملك نفسه : — لا حول ولا قوة إلا بالله ! إنا لله وإنا اليه راجعون !

ولمحه الطبيب فأنهره وأمره بالابتعاد . وصحت أنا كذلك في السائق صيحة انصرف بعدها الى سيارته وقبع فيها . غير أنى تأملت قليلاً أمر هذا السائق ... ما الذى روعه ؟ أهو منظر المظالم في ذاتها ، أم فكرة الموت المثلثة فيها ، أم المصير الأذى وقد رآه أمامه رأى العين ؟ ولماذا لم يمد منظر الجثث أو المظالم يؤثر في مثلى وفى مثل الطبيب ، وحتى في مثل اللحاد أو الحراس هذا التأثير ؟ يخيل إلى أن هذه الجثث والمظالم قد فقدت لدينا ما فيها من رموز . فعلى لا تعدو في نظرنا قطع الأخشاب وعيدان الحطب وقوالب الطين والآجر . إنها أشياء تتداولها أبدنا في عملنا اليومى . لقد انفصل عنها ذلك « الرمز » الذى هو كل قوتها . نعم . وماذا يبقى من كل تلك الأشياء العظيمة المقدسة

وسألته عن الخبر فأجابني أنه قد صدر اليوم امر
برفض العمدة الحالي وتعيين آخر مكانه من الأسرة
النافسة في القرية . ففهمنا كل شيء ، ومال على
الطبيب بقول ضاحك :

— يظهر أن تليفون الحكومة عند العمدة في
مقام الصولجان

— هذا صحيح فيما أرى ، انه مظهر السلطة والحكم
وأداة الاتصال بالحكومة ، وان خله من دار العمدة
« المخلوع » إنما هو « رمز » لروال السلطة ، وأن
هذا العويل المرتفع من « دوار » العمدة القديم ،
وهذا البكاء الذي يشبع به التليفون الخارج من
بيته لدليل على فداحة المصيبة ؛ وهذه المصيبة ككل
مصيبة لها وجهها الآخر الباسم بطل على ناحية
أخرى ؛ وإن دار العمدة الجديد الذي يستقبل
التليفون الداخل عليه بالزغاريد والدفوف للدليل
أيضا على مبلغ السعادة والهناء . هنا « الرمز »
كذلك في شكل « تليفون » من الصاب والحنجب
وقد لعب دورا مهما على مسرح هذه القرية

الواعدة

وانطلقت بنا السيارة والطبيب صامت في
بعض الطريق . وأخيرا التفت إلى وقال :

— يظهر أن العمدة الجديد من محاسب
الوزارة الجديدة

قلت له : إن هذه القرية ككل قرية اليوم في
مصر بها عائلتان قويتان أو أكثر تتنافس العمدة
وكل منهما ينتمي إلى حزب من الأحزاب التي
تتنازع الحكم . ولماذا تريد أن يكون الحال في القرية

غيره في الدولة ؟ وهل القرية إلا مصغر الدولة ؟

(يتبع) نوفيس الحكيم

وفرح الطبيب الشرعي من أمر الجثة وأعادها
للحادد أمانا الى مقرها وسد عليها كما كانت . وأنا
صامت في مكاني أفكر فيمن يكون الخائق لهذه
المرأة . أهو زوجها المصاب ؟ وما الذي حمله على
ذلك ؟ وأختها ريم ما شأنها في الأمر ؟ أترأها تعلم
بهذه الجريمة ؟ وأين ريم الآن ؟ إن وجودها اليوم
في التحقيق ذو أهمية كبرى . ولكن كيف نستر
عليها ؟ إن الشيخ عصفور يعلم مقرها ، أو على الأقل
يستطيع أن يماوننا في البحث عنها . إذن فلنجعل
الشيخ عصفور مبدأ . نخط السير الجديد . فلأفمنه
أنا بوسائل بيدا عن طرق الإدارة المتينة . إن
مثله قد يؤخذ بالحيلة والهدوء . ترى لو أفهمته مثلا
أن في مكاني أن أزوجهما منه ... وأعجبني الفكرة
وعزمت على تنفيذها . وركبنا السيارة عاشرين .
وصرنا في طريقنا بالقرية ، فاذا أصوات حزن وولولة
نساء ترتفع من « دوار » العمدة . فقلت وأنا أقف
السائق بإشارة :

— العمدة مات ؟

وأطلت من نافذة السيارة ، فاذا أنا أمام منظر
لم أفهمه أول الأمر . رأيت شيخ الخفر ووكيله
وبعض الخفراء يحملون شيئا في أيديهم ومن حولهم
جوع الرجال والنساء والصبيان يهللون ويكبرون
والنساء يزغردن كما يفعلن في الأفراح وفي أيديهن
الدفوف يضربن عليها . وتأملت جيدا ما يحملونه
وتأمل من الطبيب الشرعي دهشا فربأنا آلة تليفون
حكومية من طراز تليفونات المراكز . فصاح الطبيب
في عجب :

— التليفون له زفة كأنها زفة عروسة

ومر بقربنا خفير نظائى فأشرت إليه فأقرب



— لمن أستطيع أن أساعدك
— لكي تفعل لا بد أن تحي الموتى أو تهذب بي إليهم ... (لورد بيرون)

القصر ، فأصرني أن أسهر على صفيته ، وأن أخصبها
بالصباية ، وأن أرفق بها .. وبذا على الفروور حين
ترامى لي أنني أصبحت أما ، وهذه دورثيا ابنتي
وأختي في وقت مما . إنني أحبها ... أحبها وأعطف
عليها ، وأطرب حين أراها
في جمالها ورقتها وطفولتها
تتب هنا وهننا

وشاء أبي ألا نسبح
مقاطعة روكسلي في هذه
السن الباكرة ؛ غير أنه
استطاع بزياراته المتتالية أن
يرى عن كثب ما نحن فيه
من هتاءة وسروز ، ومن
تألف ووافق . لقد اطمأن
إلى ما رأى فزادت ثقته بي
وسرر ما أحبوا أختي دورثيا

من عطف وحنان ، فأقامني عليها حارساً أميناً دون
هرينتا المجوز مسز شيرلي التي بذرت في نفسي
غراس الكبرياء والظنوسة حين أدخلت في روعي
أنني الكبيرة ، وأبني التي سارث هذا الملك
الكبير من بعد ... ثم هي تملقني في خضوع ،
وترضاني في ذلة



انحدرت من أصل انجليزي عريق في الجدد ،
ونشأت كما ينشأ أبناء الأشراف لا يسمون إلا
كلمات اللدج وعبارات التلقن ؛ فشبّت مي
كبريائي ، وراحت تملن من نفسها في حركاتي ،

وفي رفات صنوقي ، وفي
نظراتي ، وفي ... غير أن
كل هذا قد استحال في
نفسى إلى نوع من اليأس
والقنوط منذ هبطنا هذه
البقعة الخالية النائية ، ومنذ
بدت الحياة في عيني جدياء
مقفرة

وماتت أمي عن طفلة في
الماشرة ، وعن أختي دورثيا
في الثالثة ، وهي ما تزال تبسم
للحياة في سذاجة ورقة ...

وماتت لنكون بين يدي أبي اللورد هيربرت أوف
روكسلي ... لقد كان شقيقاً رحباً غير أنه ما كان
ليستقر إلى جانبنا ليرعانا ويتولى أمرنا ؛ فهو سياسي
ضليع ، وقف إلى جانب الملك جيمس الثاني ودافع
عن مبادئه ؛ وهو يدقوة فتالة في البلاط ... وأراد
أبي أن يتطلق إلى حياته في اللديفة وإلى عمله في

لست أذكر كيف تعرفت إلى السير وطوت ورسلي ولا متى ... لقد جذبني إليه ما رأيته فيه من وداعة وهذوء ، وما سمعت من حديثه وقد تولا من كلمات التصنع والخطباء . لقد علقتة وأطمانت إليه ، غير أنه ما لبث أن غادر القصر ليكون مدرر أملاك الملكة . وحين انطلق إلى عمله بواعدنا على أن نتلاقى في حفلات القصر وهي كثيرة . لقد نأى .. نأى وألسنة التناء والملاح ما تبرح تطن في أذني طنيناً لا يكاد يبالغ شغاف قلبي ، ولا يستطيع أن يحوله عن هذا الرجل . وتكاد تنسى أول عقبية في حياتي حين بدالى أنني قد علقت بهذا الرجل ولا أدري ماذا يحمل لي قلبه ؛ وأنا فتاة لا أستسلم لمن يطمع في أن يبلبني ، ولكن أملئ من غال . وورحت أنشر شباكي في خفاء وتستر خشية أن تشمر هذه القلوب التي طمعتها بالكبرياء وآلتها بالثأبي ، وأنا أراها تنقصصني في غير ملل ولا فتور لتجد ثمره تنفذ منها إلى ما يسوءني ، وكلة اللورد لوفيل تستعثنى إلى آخر ...

لقد كانت رنات صوت السير ورسلي موسيقية شجية جذابة . تركت في نفسي أثراً لا يمحو . والحق أن قلبي قد خفق له مراراً ومرات ، وأحسست كأن حبي له يتدفق في قلبي طامعاً قويا ، ولكنه هو .. ماذا رأى في ؟

وأخذ الشك يضطرم في قلبي ... قلبي التلهف للشتاق ، والأمل الحلو يخفف بعض ما أقامسى . لم يقل لي مرة إنه يحبني ، ولكنه كان لا يطمعني إلى سواي ، ولا يرافق غيري ، ولا يرقص إلا معي ؛ وفي ليالي الصيف الصافية يطلب هو إلى أن ننطلق معاً إلى شاطئ نهر التاميز لنفتر من جلبة القصر وضوضائه ، فأسير الهوينى إلى جانبه في هدأة الليل

وكانت دورثيا - باديء ذي بدء - نجبانة ضعيفة ضاوية ، تتكلم في هدوء وتضطرب في سيرها ؛ ثم هي لا تستطيع أن تكفكف عبراتها المتدفقة إذا هي أحسست الشدة أو لمست القسوة ؛ غير أن ابتسامتها المذبة ما كانت لتفارق ثمرها الحلو ؛ وحين تداعب النسبات الرفيقة شمرها الذهبي السبط ، يتألق من بين ثناياه وجه وضاح كأنه طلعة البدر في الليلة الصافية ، ويكشف عن عيني جذابتين تنبعث منهما أشعة أسرّة . حقاً ، لقد كانت دورثيا جميلة فائقة جذابة كأنها حوراء

وأرادني أبي - وأنا في الثامنة عشرة - على أن أبدو بين فتيات البلاط على رغم ما كان فيه من اضطراب وتقلقل ؛ فجذبني من وحدى في روكلي إلى هوابت هول المانحة الساطعة المتألقة . لم تتزل قدماي ، ولم يسيطر على الخور والضعف لما رأيته في القصر ، فلقد كان في قلبي من الثرور ما خيل إلى أنني فتاة القصر جملاً وجاذبية ورقة حديث ...

وانتفت حولي جماعة يتقربون إلى وينثرون على مسمى عبارات المدح والاطراء ، وكأنهم رأوا في ما رأيته في نفسي من قبل ؛ غير أنني كنت أستقل ظلمهم وأحدهم بنظرات فيها الازدراء والاحتقار وأتجنب عليهم في جفاء ... وجعلت ترفضي أنا - أنا الآنسة ميراندا هيرت - إلى أعلى فأصبح حديث المجالس ، ومادة الصحف ، ومنية القلوب ، وبهجة القصر ، وقذى في عيون النساء ؛ وصرت معبودة يسجد عند قدمي الحب الذي أبغضه وأمقته وأتوى عليه ؛ حتى أن اللورد (لوفيل) قال لي في غضب وقد دفمته عني في جفاء وغلظة : « ميراندا ، إن هذا الاحتقار الذي تشربته الآن هنا وهناك سيزنق منك بعد حين ! » فابتسمت ابتسامة السخرية لما سمعت

وشخصه الجليل ما يرج يضطرب في خيالي .
إنني أحبه ... لقد امتهنت نفسي حين
أحببت من لا يحبني ... امتهنت نفسي ، غير أنني
ما أزال أحبه

أين من أستطيع أن أفرض أمامه أغلاق قلبي ؟
إن ربيتنا عجوز ثائرة لا تكتم سرّاً ، ودورثيا
ما تزال طفلة لا تفهم نجوى ، وأنا لا أريد أن
أجعل لها في طفولتها مشغلة بذكر الحب ...

وتصرمت أعوام وأعوام وأبى ما يزال في مفاء ،
وأنا أجهد نفسي في المحافظة على ماله ، وفي السهر
على أختي دورثيا ، وشبابي يذوى رويدا رويدا ،
وجالي يحبو قليلاً قليلاً ، وأنا في شغل عن ذلك بما
في قلبي من حب للسير وورسلي ، وبما أخذ به نفسي
من عادات وطباع رضيعها هو واطمان إليها

ولبثنا زماناً في روكسلي لا نرحمها ، غير أن أحد
أقارب أبي هيا لنا فرصة ، فاستطعت أبي أراقبه أنا
وأختي إلى لندن ، ثم راح هو يصحبها إلى هناك
الفينة بعد الفينة ، لأعيش وحدي زمناً أحدث
نفسى حديث الأمل في الرجل الذي أحببت

وبينا أنا أجلس إلى نفسي في ليلة من ليالي
الربيع ، رأيت رجلاً غريباً يندب إلى الحديقة ،
فقطرت ... فطرت فاذا وورسلي ... وورسلي نفسه

إلى جانبي ، فراح قلبي يبدق دقات عنيفة كأنه يريد
أن يوقظ ما نام فيه . لقد جاء ... جاء وفي يده
خطاب من أبي إلى مسز شيرلي يقول فيه « وأرجو
أن ينال السير وورسلي كل ما يصبو إليه من العناية
والاحترام بينكم لأنه ليس ضيق غضب ، بل هو
سيمسح - بعد حين - زوج إحدى ابنتي .. »
ما أسعدني ، ما أسعدني ! هذا خطاب أبي ، وهذا

وسكونه ، أنصت إلى حديثه المذب وكلماته تنطق
عن بعض ما يستشعر من لغة وسعادة

وشغلات أبي أمور القصر فما استطاع أن يفتح
عينيه على ما ينتازعني من هوى ، فهو مايفتا يتحدث
السير وورسلي عن دواش يحبكها جماعة البروتستنت
لتنصف بالملك جيمس ، أو عن بعض ما تنتره
الملكة حوالبها من مقت وكرامية . أما أنا فقد
سيطرت على الماطفة فسلبتني مما يدور حولى ،
وعزب عني أنني سأكون نخبية حين يهب الأعصار
فيفل كل أتباع الملك وأجباؤه

وتردد أبي حيناً في أن يتبع سيده إلى مفاء ،
ثم انطلق على أثره ، وكنت صيطروبا مرحة حين
خيل إلى أنني سأرافق أبي والسير وورسلي إلى
سانت جرمان ، ولكن أبي أرادني على أن اردن
إلى روكسلي لأقوم على ابنته دورثيا

رجعت لأرى دورثيا ما تزال في ثياب الطفولة
ومرحها . ولأستشعر في نفسى شيئاً غير الذى كان
فقلبي يخفق ، وخواطرى تضطرب ، وأنا كأنا عصا
ساحر لستنى لتترك في أحسن ما في المرأة وتترع
عني بعض ما كان من كبريائى وغطرستى ، وتحيل
نظراتى وكلماتى وحرركاتى إلى أشياء أخرى منها الرقة
والظرف . يا عجبا ! لقد أحببت ... أحببت بقلب
فيه التواضع والانسانية والشك في وقت مما !

ليت نشر على عيني بعض ما في قلبه إن خيراً
وإن شرّاً ، فأعيش بالأمل الحلو أو باليأس القاتل !
ليت نزع عني الاضطراب والتلق بكلمات ! لأنه
لا يحبني ، وإنما كان يحبوني الصداقة والمطف
غضب ! سينسأني أو لعله نسيني ، فهذه الأيام تمر
ولم أظفر منه بخطاب يحدثنى حديث قلبه . ها هي
ذى الأيام تمر وصوته المذب ما يزال يرن في مسمعى

خطيبي وحبيبي الى جانبي ! أى سادة ! وأى هناة !
لقد عمت هذه الساعة الجميلة سيئات الماضي ،
ومسحت سنوات كثيرة انصب " على " فيها اليأس
والألم انصباً
ورأى السير ورسلى ما رسمته الأيام على صفحة
وجهي ، فراحه ما رأى ، وُحِيلَ إلى أنه يلحظني
بشيء من المطف والشفقة والأسف حين بدا له
أنه هو سر هذا التغيير . لقد نزع عنى أفكارى
المضطربة ، وخواطرى المتضاربة رويداً رويداً ،
وكنْتُ أجلس اليه في كن في حدائق روكللى
أستمع الى حديثه عن النفى و . . . ويستمع هو الى
حديثي عن عملي في روكللى ، وعن رأيي في
تنشئة أختي دورثيا تنشئة طيبة ، ثم عن رغبتى الملحة
في رؤية أبي ، وهو يعرف انه سيعود قريباً
وجلسْتُ إليه مرة في الردهة ، وقد نشر
الليل علينا سحبه ، وأرسل الصيف نسجته الرقيقة
تبعث في نفسيهما النشاط واللذة ؛ جلسْتُ إليه
يحدثني وأحدثه ، وأبسم له ويبسم لي ، وبين يدي
عود رحت أداعبه فتنبث منه أنات قلبي الماشق
وسيطرت علينا النشوة فاجذبنا منها إلا دورثيا
حين اندفعت إلينا - وقد هزها الطرب - وهى
ترسل صوتها الشجي بأغنية كنت قد علمتها إياها
وقد تجلت مفاتها واضحة خلاصة آسرة ... وبدت
على وجهه ورسلى سمات الدهشة والسرور ، وطربت
- بأدى الأمر - لما رأيْتُ ؛ ثم رأيته وقد تعلق
بها بصره فما يطرف ولا يتحول ، وفي نظره أثر
الهموى والرغبة ، وتراعى لي كأن هوة سحيفة تنفج
تحت قدمي ؛ وبدا لي مستقبل مسطوراً بحروف
من نار

ووجدت عنزاً ، فانطلقت الى حجرتي ...
الى مرآتي ، وقلبي يتنزي حقدًا وألمًا ، وبلى ،
وبلى ! هذه أول مرة أرى فيها حقيقة أمرى ؛ لقد
رأيت ، والاضطراب يكاد يعصف بي ، والهم يوشك
أن يفتك بقلبي ؛ رأيت أن الأيام والأسمى قد مسحوا
كثيراً من جمالي وجاذبيتي ؛ وارتد تاريخي يحمل
في أضمافه عبرات وعبرات سكبتها في سبيله هو ...
أيام كنا مقتربين ، ورأيت شفتي وقد نزع هبهما
طول انتظارهما للشفتين الآخرين ما كان عليهما من
رونق ومن حمرة . وتبلبلت ، وسمعت صوتاً كأنه
منبث من أعماق النيب يقول : « سيطلبك
يا ميراندا ... إنه سيطلبك ! » ولكن كيف ... ؟
وأنا لا أستطيع أن أسترِد أيام الشباب وبهجة
الجمال ! ليت ... ليت الأيام التي سلبتني ما سلبت
من جمال تسلمني من حياتي فاستريح ... لقد
كادت الأفكار المضطربة تقتلني ، غير أن ورسلى
ودورثيا انتزعاني مما كنت فيه
وبدا لي أن ورسلى راح يباحث بنيه ويبيح ليصل
بينه وبين التي أحب ، فلفست الفتور في حديثه ؛
وفي نظرائه ، وفي ... ورأيت أملٍ الدهي يتلانى
رويداً رويداً ؛ فهو يحدثني في رقة وشفق ؛ وهو
ينظر إليها في تفتّر وانكسار . وتراعى إلى أن
دورثيا تبادلها حباً بحب وغراماً بغرام ، فأحسست
الصفعة القاضية تقضض عظامي ، ثم لا ترسلني
إلا واهنة يائسة . وما كان لي أن أحذرهما ، أو أن
أهتمهما بالخيانة . وكيف ... كيف أقفل وهى توفن
بأنه حبيبها وأنا لم أكتف لها بما يضطرب في قلبي
لا ، لا ... لن أقفل . سألقى بنفسى في قرار الخيبة
واليأس ، وأدفن في قلبي أملاً كان ثم انطوى ليسنداً

يا الشقاوق ؟ وبالتعسى ! لقد أصخت إلى نداء
شيطاني فتعطيت إنسانيتي ، وبلت للمدى في
القسوة والفظاعة حين أوقفت يديها وقيدت رجلها
ووقفت بازائها أحدها بنظرات فيها التشفى
والانتقام . . . ولكن صوتاً أجش فيه القسوة
والغضب ناداني من خلفي . إنه هو ... هو صوت
أبي ؟ والتفت مذعورة ، فإذا هو ... هو أبي على
قيد خطوة مني

لقد غاظه ما رأى قهدهم على بكيات للذاعة
مريرة ، وهو يقول : ماذا ، لماذا ؟ وبدت عليه
الشفقة فتناثرت عبراته وهو يستل خنجره ليقطع
الحبل ، وأختي المسكينة تضطرب وتجهش .
وبدأتى - بصد إذ فقدت حنان أبي وعطفه -
أننى أصبحت وحيدة لا أحد من يشفق على ،
فيئست مرة أخرى . وراح الشيطان يرفه عني ،
وينثف في لساني عبارات فيها الشر والدم . . .
وأرسلها على لساني وأنا هادئة كأنى لأ أفضل أمراً
إذا فقلت :

« لقد ليست دورثيا ثياب المار والحق حين
انطلقت تبادل ورسل غراماً دينياً وخباً فاحشاً ! »
لقد ناد أبى لما سمع ... فأركانه السبع بها - كه
القرم وعلى خطوتين منه فريسته ، وغلى في دمه
شرف أجيال عدة لم يثل ولم يدنس ، وفي يده خنجره
بضطرب ... لقد قذف به ... قذف بالخنجر في
قلب أختي ... أختي دورثيا البرية ! وتفجر الدم
من قلبها الطاهر ومن كل نقطة منه تتصاعد اللعنات
فلا تنصب إلا على رأسي

ويلي ، ويلي ! لقد جئتني ، ولكن ماذا
أفدت ؟ ماذا أفدت ؟
لعل محمود حبيب

مما ... ولكن كيف ؟ لا أستطيع أن أفعل ...
وتنازعني عوامل جديدة وسوسها الشيطان ليدفع
قلبي - وقد استقر فيه الألم والألمى - يدفعه
ليصنع بجدّة مروعة ...

واستطاع ورسل أن يرى ما يصطرح في نفس
فطار من روكل ... طار في صغار وضمة ،
لأستشعر لدغ الخيبة وصرارة اليأس . لقد كنت
أستطيع أن أخذ نفسي بالصبر ؛ وأن أرغمها على
النسيان لو أنه ظل إلى جانب دورثيا رعاها ويحفظها ،
غير أنه أتى بها إلى ليعطني فرصة الانتقام ... طار
وما ظننت أنه انطلق لينشر قلبه على عيني أبي
بمد إذ حدثها حديث الزواج ، وما كان حديثه
عيباً . لقد قصت على قصتها في سذاجة وصرارة
وسلامة قلب ، ثم قالت له حبيبها ورجلها وخطيبها ،
يا لله ! لقد كانت قصتها كية على قلبي أفزعته لتبذر
فيه روح الشر والحسد

وجاءت إليها صكوك الهوى من خطابات وصور
وهدايا ... جاءت لتنفث في الحقد فيجور ألكا
وحسرة . لقد انطبع في ذهني كل ما قرأت وما
رأيت ... انطبع في ذهني ليتسمر في قلبي وأمام
عيني شباهي الضائع وجمالي الداوي ، فشح الظلام
في نفسي ورائت على نفسي عوامل لا أدري ما هي ،
غير أنى لمست الشر في أضغافها ، فرحت أدمع الله
أن ينقذني ... وشاء القدر أن أغتم في هذه الحماة
فتأثرت في نزوات البشرية الشريرة ، فانتقلت إلى
أختي أقسو عليها ، وأغلظ لها في القول ، وأضربها
لتبذر ما سبب ، وأحبسها في حجرة مظلمة وهي
ما اقترفت ذنباً ؟ وأمعنت في إبدائها لأشعرها
بمعنى ما أقامى في سبيلها ... في سبيلها هو



ربة الأمر وتمذيب الجنود
أما الأسيرة فقد تضعض جلاها حين سيقت
إلى المحاكمة ، وكانت تسلم أنها عاكة صورية
سيعقبا حنا الحكم بالاعدام ...

وجيء بها في أسهلها نصف عارية ، وأخذت
تنظر في شيء من الحيرة والذهول الى المقاعد
الوئيدة المثورة هنا وهناك ؛ ولفحها ذنب الموقد ،
فاندفع الدم حارا في جسدها فبدت عذراء الصين في
نوبها البالي كدمية لأشهر فنان

كان الجنرال شو ككل ياباني بقدر وطنه
ويميد امبراطوره ، ولذلك كبح جماح عاطفته لما اهتز
كيانه لرأى الفتاة وحول نظره عنها ، فرجع به
النظر كأن جمالها لا ينتهي فما ينتهي الإعجاب بها .
وسألها في خشونة عن علة وجودها في ساحة القتال
وتكلمت تسمى نانا فكانت كلماتها الوسيقية
تستقر في قلبه ، قالت إنها كانت الى جانب شقيق
لها تخفف عنه ويلات الحرب ...

وطفت على رأس الجنرال شنج شو أقسى قواد
اليابان وأصلبهم مودا زوبعة نفسية هائلة ، وعجب
لنفسه إذ وقفت فيه فتاة الصين عاطفة الحب الذي

الدافع تصم الآذان في جنوب منشوريا ،
وجنود اليابان تكسح الأراضي الصينية بقيادة
الجنرال الشاب شنج شو ، وزحف الظلام وهذا
الليل إلا من أسوات بضمة مدافع كانت ترسل
قذائفها بين الحين والحين . وأوى الجنرال شو إلى
مخدعه يستريح إغفاءة الفجر ، وفي الصباح دخل
إليه مستشاره الملازم تسنج ، قال :

— كثر عدد الأسرى الصينيين يا سيدي
الجنرال ، وقتل المؤن فأخفى حاتم يفتت الأكباد
وتحرك الجنرال الشاب في مقعده قليلا ونظر
إلى نافذة تطل على الميدان وارتسمت على وجهه
علامات الاشفاق لما رأى فعل العرى والجوع
بأسراء ، وأخذت أصابعه تميت في شارب الصغير
بحركة آلية ، وقال بهدوء :

— اقتلهم جميعا رميا بالرصاص
— نسيت أن أقول إن بينهم فتاة وجدت
بالخنادق الصينية أمس عند استيلائنا عليها ، وكانت
فائدة الوعي من شظية قنبلة أصابت ساقتها
— أجاوسة هي ؟

— أظن ذلك
ووقف الأسرى رجكون بالوت ينتشلهم من

ومرت أيام كان كلا جن الليل جلس إليها ساعة
يمحدثها في كل شيء إلا غرامه

ما كانت نانا تشرع بالحلب للجنرال ...
وإذ أحست بالقلق ذات ليلة لنفيا به عيبت
لنفسها من أمرها ومرت ساعات وهي ترقب وقع
أقدامه وسهدت حتى مضى أكثر الليل وتخللت
نظراته الطالحة حياً وعطفه الجليل ، فأحست بقلها
الناثر يلتف بخياله ويعترف بولمه ...

ومضى النهار أقبح من ليل داج غيف
وأغارت أسراب الطيارات الصينية على القلعة
تحاول نسفها

وجزعت نانا إذ تموت قبلما ترى الرجل الذي
توهجت لقلبه ، وتساقطت القنابل على القلعة كالطرر
التهمر حتى إذا انتهت الغارة دخل عليها ضابطان
من سلاح الطيران الياباني وخرجا بها إلى طائرة في
سفع الجبل وفي دقائق كانت الطائرة تنهب بهم الجو
إلى الميدان الشمالي لتدلي نانا بشهادتها في قضية اتهام
الجنرال شنح شو بالخيانة النظامي

ودخلت نانا إلى المكان الذي يحاكم فيه الجنرال
وتقطعت أوصالها ما رأت نحوه وشجوه والتهقت
عينها ، فرأت صدره يملو ويهبط . ها هي عيناها
تنبسان لها

من لها بكلمة عطف يلفظها فه ليرتوى بها
قلها الفلاني ؟

وقطع عليها خيالها دخول أعضاء المجلس
المسكري ونظرت إلى رئيسه الأشيب وقد بدت
في قلمات وجهه دلائل الغلظة والهدوء
وطلب الرئيس من الجنرال أن يقسم بشرفه
المسكري ليقول الحق فأقسم

لم يشر به من قبل . . . وعثا حاول أن يستجمع
شئات حواسه ، وراحه يريق عينها الجليتين ترقيان
ما ستفرج عنه شتاه

كان يرى في إعدادها فتاه ، وفي الإبقاء عليها
خيانة لوطنه وأميراطوره
وكان يابانيا ... فأنكر عاطفته ونطق بالاعدام

وسبقت نسي نانا إلى قبو قلعة مجاورة في انتظار
تنفيذ الحكم

ودخل الجنرال الشاب حجرته عظم القلب
مزمق الأحشاء وما انتصف الليل حتى شمر بشوق
إليها كالجنون ..

ولم يميا بدعشة جنوده وحراسها لما قام يدفعه
قلبه إلى فائقته

وذعرت الفتاة لمرآه ولكن روحه قفزت إلى
عينيه تنطقان بفراهم الماصف فاطمأنت إليه ...
ونظر إلى فائقته المزينة بعبث السكاكة بنضرة
شبابها وإلى جفنها الرطب كأنما علق به أثر من دمع
ووقف أمامها وقد تضاد الوجود في نظره
فأصبحت هي كل شيء فيه . واستقر يريق عينها
في أحماق قلبه نارا تجلس إلى جانبها يحترق ...

قالت :

— أنتنفيذ الحكم جئت ؟

— أجلته أياما

— إذا تريد تنفيذي ؟

وعز عليه وهو القائد الظافر أن يترف لها
بهزيمته ، وقتك أنوثتها برجولته ، فقال :

— ذلك ما تستدعيه الظروف

وخشى غدر عاطفته أن تضطره إلى الاعتراف
بقام يقتل ساقه اقتلاما

قال الرئيس :

— ترى إلى القيادة العليا نبأ حكمك بالاعدام على الجاسوسة الصينية تسي نانا ... أفلت ؟

— نعم

— فإذا ما جن الليل ذهبت إليها ؟

— نعم

وأجلت تنفيذ الحكم باعدامها ؟

— نعم

— أذلك لأنها شفتك حبا ؟

وهنا اختلج قلب الجنرال ونظر إلى نانا فإذا

بوجهها أبيض كالثلج وعم :

— نعم أحببتها

أحببتها ... !!

وحلت هذه الكلمة سعادة الدنيا ودخلت

إلى صدر نانا ، ونظرت إلى رجلها بترف بحبها

فأشرق وجهها وابتمت له

وتداول الرئيس مع الأعضاء في صوت خافت

وانتصب في مجلسه ونطق بالحكم

وتلقى الجنرال حكم إعدامه مع نانا بهدوء بال

ورباطة جاش ... وتأوهت نانا وسكنت كأنما على

رأسها الطير

استولى الجنود اليابانيون على منشوريا فأمر

الامبراطور بتسريح الأسرى والمفو الشامل من

جميع المحكوم عليهم ، وأسرع أحد الفرسان إلى

الميدان برسالة الامبراطور لينقذ حياة الجنرال ونانا

والطريق طويل صخري ، والفارس ينهب

الأرض بمجواده وقد بقى على موعده إعدامها نصف

ساعة . ومضت عشرون دقيقة كان قد نال الجواد

الاهياء ، فيئس الفارس من إمكان الوصول ، ولكن

الأمل عاوده فاستحث الجواد

ها قد لاحظت له خيام المسكر كمنقط بيضاء

تحت الأفق . ولم يبق سوى خمس دقائق ...

ووقفت نانا تنظر إلى فوهات عشر بنادق

تصوب إلى صدر حبيها . فأظلمت في عينها الدنيا

وشمرت بقلها ينصدع ...

ودوى الرصاص فسقط الجنرال وسقطت معه

شباب قلبها ...

وصوبت إليها الفوهات بدورها ونادى رئيس

القوة :

واحد

اثنان

وإذا بالفارس يصرخ ويسقط من على ظهر

جواده اللاهث أمام الرئيس ويده الرسالة ، فتناولها

منه ونظر إليها وإلى جثة الجنرال ، فأزدحت في

عينه الدموع ودفع الرسالة إلى نانا

وهوت نانا على جثة رجلها تشعبها لنما وتقبيلها

فأبعدتها عنها الجنود برفق فنظرت نانا إلى السماء

وقالت :

— رب لم حكمت على بالحياة ؟

محمد محمد مصطفى

أمين بلوك الغباط بمدرسة البوليس

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لاسرئين

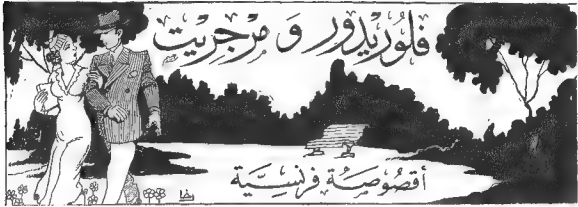
مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشا



الحقيرة حيث تطرح على سريه أكملًا زيارة طيف
الحبيبة في منامه

وعاد الفتى في الساء التالي الى مكان الملتقى ، وبات
ينتظر موافاة الحبيبة فأخفقت آماله ، وعاود الكرة
مرارًا فما رأى في جنة غرامه غير أزهارها ، وما
نشق غير عبيرها . ومرت الليالي فتيقن الماشق أن
سره قد اختضع ، وتأكّد أن الحبيبة قد غادرت الدبر
وعبثًا فتنس عنها فما عثر لها على أثر

— ٢ —

ومرت على الماشق أيام ساعاتها أعوام ، وهو
يشغل نفسه بالتمثيل على السارح وفي قلبه غصص
من تذكارات الفتاة المجهولة

وفي ذات ليلة كان فلوريدور يقوم بتمثيل دور
مؤثر فحانت منه النفاة الى مقاعد الطبقة المالية ،
فرأى حبيبته شاخصة اليه وقد ارتسم الحزن العميق
على ملامحها وتساقطت من عينيها الدموع . وقف
الممثل مشدوها الى أنبب منه صوت الملتقن الذي
حسب أنه نسي دوره ، فساد الى التمثيل بلهجة
ملأها الحب روعة وهو يتبع على ملامح من بهوى
تأثير لقائه وإيمانه . وما انتهي من التمثيل حتى
هرع الى غرفته مفيرًا أبوابه واندفع الى مدخل
السرح لعله يرى خالبة له . فلم يوفق الى لقائها ؛
وتكررت هذه الحادثة والمثل يحاول عبثًا مقابلة

— أحبك حبًا ملأ جوانب نفسي ومالك على

مشاعري

— لقد وهبتك قلبي عربونًا لحب لا انتهاء له
— أحق ما تقولين ، أم هذا صدى غرامي
تردده الأوهام ؟

— يشهد هذا البدر المنير ، وهذا الروض
النضير ، ويشهد مبدعهما أنني لا أحب سواك ،
ولا أقف حياني إلا عليك

وسمع من بعد وقع أقدام قذعر الماشق ان
وتواعدا الى الندى ؛ وتسلى الشاب جدران الحديقة
المالية وتواري مبتعدًا في الشارع وهو يناجي نفسه
قائلًا : من تكون يا ترى هذه الفتاة التي تقف
حياتها على ، وما أنا إلا تمثيل على السارح
العمومية ؟ إن كل ما يتجلى لي فيها ينم عن محمدر
رفيع وثقافة عالية . لقد أرادت أن تخفي اسمها عني
فقاللت : مادمت في مدرسة الدبر تلميذة أنا فأنتم تعلم ما أنا
إلا أسيرة لا أملاك نفسي ، فاقنع بما أعلنته لك من
حي الآن الى أن أبرح هذا المكان فأطملك على
الحقيقة وأسلك يدي أمام الله والناس

وكان الفتى فلوريدور يستعيد ذكرى اليوم الذي
رأى فيه لأول مرة هذه الفاتنة تطل من
نافذة الدبر وترسل إليه نظرة أوقبت جذوة النرام
في قلبه . وتابع السير حتى وصل الى غرفته

أصرح : إن الممثل الذى امتلك فؤاد وخيلى هو أنت ، أيها السيد فلوريدور

وصمق الممثل وهتف قائلاً - أنا ؟

- عفواً ، إن فى هذا التصريح ما يمس عزة نفسك ، ولكنى أجباً إليك فلا تغيب أسمى ، فانك على ما أرى لانصرف ابنتى وما اجتمعت بها ؟ فاذا ما تقدمت إليك بطلب ظاهره مستغرب يؤدى إلى إلزامك بتضحية فان بصمب الأمر عليك ، وعليه يتوقف الابقاء على شرف اسمى وحياة وخيلى وحى تملن أنها لا تريد أن تقترن بفكر

- وما هى هذه التضحية ؟

- إنك قادر على اقتلاع جرائم حبك من قلبها - وبأية طريقة أقتلع ما تسببه جرائمى حى ؟ - أصغى الى ... إن وخيلى لم ترك إلا من بعد وأنت على السرح مرشد أبواب الأبطال تشد أجل الأسماء ، فن المهل عليك أن تبذل أوهامها إذا أنت رضيت بالظهور إليها فى مظهر الرجل المادى ، بل الرجل المتهنك السكير البعيد عن كل تهذيب وثقافة ، فتناً كد عندئذ أنها عشقت ثوباً ، وأجبت بما ليس منك بل من أقوال الشيماء . إن ما أكلفك به هو الظهور بهذا المظهر المتفكر وتشفى من دأها المقام ؛ وهل من قاتل للحب قير الاحتقار ؟

استغرق فلوريدور فى التفكير . لو كان ما يمتقده الدوق صحيحاً من أنه لم يجتمع بالفاتنة وما عرفها ، لكان هنالك واجب يسهل القيام به ، ولكن أنى للقلب الذى ضم المحبوب إليه أن يستهمل انسلخه عنه . ولاحق الفاتنة الشريفة الرقيقة المحتد لخيال الممثل وافقة من حبه على شفا جرف تكاد تترلق عليه هازمة بقلب أبيها واعتقادات من تنتمى اليهم . وطال تفكيره وهو يقابل بين شخصيتها

الفاتنة عند نهاية جملة ، الى أن دخل عليه يوماً وهو فى لجج من الأحزان شيعب مهب تدل أبوابه على أنه من علية القوم ، فاستقبله الممثل مستغرباً هذه الزيارة ، ولكن الشيخ مديده مصاحفاً وقال : عفواً أيها السيد ؛ إننى أتيتك ولا معرفة بيننا ، ولكن من الأمور ما يميز بجاوز المألوف ؛ ولدى مسألة هامة يتوقف عليها شرف وسعادتى . أنا نبيل وأنت من كرام الناس فسوف أتناول الموضوع بلا توطئة

- تكلم يا سيدى ، فأنا مصغ

- هب أنك أمير ولك ابنة جميلة فى ريمان العيا وهى وارثة اسمك الوحيدة ، وقد وجدت لها عريساً من أعظم الدوله تحسده الملوك على أمجادها فلم تقبل ابنتك ما أعدده لها من سعادة فاذا فعل ؟ - أترك لها الحرية ، وأجتهد أن أكتشف سر قلبها ، إذ لملها وهبت قلبها لمن أمتلكها حبه فلا تستطيع مقاومة قضاء الله فيها

- وإذا عرفت أنها عاشقة ؟

- أطاوعها فى إرادتها وأساعدها على الاقتراح بمن تهوى ، فليس بفير الحب من سعادة على الأرض - وإذا كان ما تشير به يفوت الامكان ؟

- ولماذا ؟

- لأن الفاتنة التى أتتكلم عنها هى وحيدة الدوق بارسلان أحد نبلاء القصر ، وهذا الدوق واقف أمامك الآن ، ولأن الذى تهواه ابنتى رجل شريف ولا ريب ، ولكنه يمثل ...

- فهمت يا مولاي . إن فى تنازل ابنة الدوق بارسلان إلى عشق من هو دونها نسباً لماراً تأباه الطبقة الميزة بالألقاب ، ولكن ما معنى بهذا الكلام ؟

- إذا كان الأمر لم يتضح لديك ، فهأنذا

من جبل لا قبل له يلوغه ، وتذكر وعده للأب الشيخ المتوسل الضميف . فهاك عواطفه وفيها ثورة وسمير

وجلس فلوريدور الى المائدة بين الدوق وحببيته ؛ فلما قدم الخدم أول لون من الطعام كانت قد ملأ كأسه وأفرغها في جوفه دفعة واحدة ، ثم ألحقها بكأس وكأس ؛ ثم أخذ يمثل دوره مشكلاً بلهجة عوام الناس منتخباً ألفاظه السمجة ؛ وامصرت نصف ساعة حتى كان فلوريدور يحمق بيمينه ويقسم ويلعن متدحرجاً تحت المائدة وقد سحب غطاءها معه فتدحرجت الأواني تتحطم بفرقة أخفت الزفرات التي كانت تندفع من فم شهيد الروء بالرغم منه

ونهضت ابنة الدوق بإشارة من أبيها وقد علا وجهها اصفرار الموت ، فتقدم الدوق الى الفتى قائلاً : — إن مروءتك تفوق إبداءك في التمثيل . لقد جربت فؤادي الكسير ، دعني أسد إليك الشكر الذي نستحق . ولكن ماذا أرى ... ماهذه الدموع المتدفقة من عينيك أيها السيد ؟ ... ووجه الدوق إذ لم يجبه فلوريدور بكلمة ، بل اندفع الى خارج القاعة كأنه فقد رشده مرسل ما كبته من زفرات وعويل

— ٤ —

وصر فلوريدور بعد أيام قرب دبر ولهايات الكرم ، فرأى جمعا عتشدًا في الأسواق المجاورة وسمع رنين الأجراس مؤذنة باحتفال كبير ، وإذا بمرية مذهبة موسومة بشارات الشرف ووراءها عدد من العريات الأخرى ، وكلها فاخرة تجرها الجياد الطهمة . فقال أحد التفرجين عن هذا الاحتفال فقال له : هذه عربة الدوق بارسلان تحمله وامرأته لحضور حفلة ابنتهما ...

والترضية التي يمزحها أبوها عليه ، فإذا بصوت الشيخ الوقور يرتفع قائلاً : لا تردد ، أيها السيد الكريم ! إن ما يوجه إليك الآن إنما هو رجاؤ والد حصري وحيدته كل ما في الحياة من سعادة ومجد وآمال ؛ فإنا إلا شيخ هاو ضميف ، بل أنا أحد أشراف وطنك أضرع إليك أن تحفظ اسم سلالتي من المار ، فلا تدعي أذهب بواجبي إلى القسوة على ابنتي التي لم يترك لي الدهر سواها وأدى كلام الشيخ قلب الفتى ، فوعده بالقيام بما يطلب منه لاستئصال حبه من قلب الفتاة الوحيدة التي ملكت لبه وملأت جوانب نفسه

— ٣ —

وفي اليوم التالي عند الظهر أعلن خادم القصر لسيده الدوق قدوم الممثل فلوريدور . فقال الدوق أدخله إلى البهو الكبير ، وها أنذا آت إليه دخل فلوريدور البهو وجاء الدوق يصاحفه ؛ ثم ظهرت النادة ، فقال الدوق : أقدم إليك ، يا ابنتي ، الممثل فلوريدور . الفتى أعجبت بتمثيله ؛ وهو من كبار أهل الفن ، ولذلك دعوته إلى مائدتنا ولعلك تسرين بذلك

وظاماً فلوريدور رأسه مفكراً بأية فظاظة يجب عليه أن يبتدى بتمثيل دوره الذي عاهد الدوق على القيام به ؛ ولكنه ما رفع بصره وشهد خالبة له حتى علا وجهه الاصفرار ؛ وإذا مدت يدها لتصاحفه وهي ترتجف من الشوق خيل إليه أنه يلصق شفثيه بشفتيها ، ويشرق نور عينيه بأنوار مينيها . والتفت الى ما حوله فارتش أمام مظاهر الأبهة والبلخ في هذه القاعة تنف بينها فتاة حديقة الدير التي أقسمت له بالله ألا تحول من حبه ولا ترضى بغيره رفيقاً لحياتها ، فرأى هاوية سخيفة تنفتح تحت رجليه ولاحت له الحبيبة في ممتصم

في بلاد أسحر والجبال

على قسيم الألب

ترجمة أحمد فحشي مرسى

وفي الجنوب حيث
تقوم جبال الألب سداً
منيعاً بين السماء والأرض
وقد جلت الشوارع
ورؤسها بلونها الشف،
وبريقها الفراء، يقصد
محبو الرياضة والمخاطرة،
فينسلقون شفافاً التلال،

ورؤوس الجبال، معرضين حياتهم لدام الخطر،
وفاجيء الهلاك

وسأفص عليك في هذه السطور، قصة ممتعة،
لبعض هؤلاء الذين دفنهم نشوة المغامرة، وحفزهم
حب الاستطلاع إلى كشف قمم الألب، والوصول
إلى ذروتها، على الرغم مما يخفي من حثوف،
ما وتكن من مهالك:
كان الشتاء ذلك العام، شديد القهر، قارس
البرد، وكانت الجبال ملفعة بشقوق من الجليد مؤذرة.

يصف بعض كتاب الغرب سويسرا بأنها
« مستراد الغرب وملعبه » يؤمها الفرييون رغبة في
التروح والتطلق، وحباً في التجول والتسلق، وميلاً
إلى اجتلاء الحسن وترشف الجبال
في الشمال حيث تنبسط السهول الخضراء،
وتمتد الرياض الأرجية، وقد أزرعتها الطبيعة بمطرها
الأخضر، وطرزتها بكفها الصناع، بلجاً ناشدو
السكنية، وعاشقوا الجمال، فيقضون فصل الربيع،
مسرحين الطرف في جنبات الروج المنفرة،
متمهين النظر بسحر الطبيعة وروعة الكون

أقسمت ألا أسلم يدي إلى سواك، ولكنك إن
تسلم هذه اليد، فكل شيء يفصلني عنك حتى
إرادتك. فهأنذا أخط في سلك الرهينة لأبر
بقسم أقسمته أمام الله في الحديقة بين ذراعيك
وأقسمته أيضاً وأنت تخفي زفراتك، وتقضي على
كرامة نفسك

« اليوم أنشع السواد، وأسدل على وجهي
النقاب. وهذا الكتاب هو آخر فكر أوجهه
إلى هذه الحياة، وحتى تطلع عليه تكون جبينك
مرعربت دي بإرسلان قد ماتت عن هذا العالم
لتحيا بالله ... »
الراهبة إنناس

(ف. ف.)

(٥)

ولم يقف فلويدور ليسمع قطة الحديث بل
اندفع راكضاً نحو مسكنه الحقيق وهو يقول في
نفسه: أواه، لقد نجحت في تمثيل، وهذه
الطبيعة تزوج اليوم بشريف من طبقة أهلها.
ويلاه من ظلم الأقدار!
وما آوى إلى غرفته حتى رأى على الخوان
غلافاً باسمه، فافتض ختمه وقرأ ما يأتي:

« بالغم من محابلاتك اقتلح حبك من قلبي
لم يزل شخصك نصب عيني، فلن أنظر إلى غيرك
حتى يواريني رمسى. ما فاني الجهد الذي بذلته
لأرضاء والدي، فقد كنت أقرباً في قلبك حقيقة
نفسك وأنت تسدل عليها ستار تمثيلك. ولهذا

هائلة تنحدر من ذروة الجبل إلى قرارة السهل
— ولكن ما هي تلك الثلجة ... ؟ ... الثلجة
هي مجرى من الثلج الدافقة المنحدرة من قم
الجبال إلى الهوى والوهاد ، وتنشأ عادة من أن
الثلج لا تنهض بما يتحمل منها من الثلج الحديدة
للتراكم ، فيدركها الهيار وتهبط إلى السهل جياشة
يدفع بعضها بعضاً ...

وسطح الثلجة مفر خداع ، فهي تبدو هادئة
وادعة ، حتى إذا وطئها الإنسان دون درب أو خربة
سقط في هوة من تلك الهوى السحيقة التي يحفها
سطح الثلجة القرار

وقد يتساءل البعض ... « ولكن لماذا يقدم
الإنسان على اختراق الثلجة ، ويرى بنفسه في
الهلكة » ... والجواب على ذلك « أن عواصف
الثلج تنشر رعدة على صفحة الثلجة طبقة شفافة رقيقة
من الجليد ، فتبدو لمن يراها مستوية ، منبسطة
ممهدة ، حتى إذا وطئها القدم لم تنهض بها ، وهوى
الإنسان إلى قرارة الهوة

والثلجات من تلك المناظر البهجة التي تقع
عليها نواظر رائدى الألب ، فهي في ريقها الرفاف ،
ولونها الأزرق الصافي من أروع ما تقع عليه
العين ... فإذا أشرقت الشمس ، ونفضت عليها
رميضاً من شعاعها اللطيف ، تجمعت لديها أبهج
الألوان ، وتلاشت عليها أروع المشاهد

وعلى حفاف الثلجة يرى الناظر ، إذا سرح
الطرف ونفض النظر « مناخد الثلج » Glacier tables
قد انتشرت في جنبات المكان ... وهي قطع من
الصخور الرقيقة الناعمة التي تجمعت تحته الثلج
فرقتها عن الأرض ، وكانت لها بمثابة قوائم ترتكز
عليها كما ترتكز المنضدة ...

يعرود من الثلج ، عند ما خرجت الجماعة ، وكانت
مكونة من خمسة رجال — كاشفين وثلاثة أدلاء —
إذا لابد المتساق من دليل يهده بين مسالك الصخور
لأن من الهلاك المحقق أن يخبط بين تلك الجبال
خبط عشواء دون أن يعرف شامها ، ويخبر دروبها
وكان كل منهم ضروداً بفأس صغيرة لتعظيم
ما يمترض سبيلهم من الثلج الغزيرة والصخور



غروب الشمس على تلوج سان موريتز

الناتئة التي قد توقعهم عن مواصلة التساق . وكان
الأدلاء يحملون على ظهورهم حقائب من الصوف
« rucksack » ملأى بما خاف حمل من طعام وشراب ،
هذا عدا حبل متين النسيج ، يشدون به بعضهم إلى
بعض في مواقع الأخطار

أخذ السيف يتحرك وتبد الخطى ، ثابت القدم
فما أوغل في المسالك حتى اعترضت سيده ثلجة

بعض ، وساروا يتبعون الدليل في رهبة وثؤدة
وأفصح النجوم ، فجلى لهم الطريق ، وبدأت
أمامهم قمة تالحية دقيقة الذروة لابد من عبورها ،
تقع في جانبها الأخيرة سحابة ، وكانت القمة عالية ،
ضيقة لا يتسع صدرها لأكثر من اثنين ، إذ زالت
قدم ، قاله أعلم بالمسير
وهنا يبدو ذكاء الدليل وصرانه ، فهو دائماً
ثابت القدم رابط الجأش في مواقع الأخطار ، لأنه



الغابات تغطي سفوح الألب السفلى

من الملاك الإنسان أن يحفل أو يرحف ، أو يسير
مشترك الخطا ، موزع اللب ...
وتقدم الدليل وفأسه في بئانه ، يشق بها
طريقاً إلى أعلى المرتقى ، والآخرون في أثره يزحفون
وقد عقل الخوف ألسنتهم وغشى الرعب قلوبهم ،
فاخذوا يتشبثون بالجبل كلما علقت أبصارهم قرارة
الهوة ... وأخيراً بنوا الجانب الآخر بعد لأي

ونمود الآن الى جماعتنا وقد اعترضت الثلابة
سبيلهم ، قطعوا يدورون حول ضفافها في
حيلة وحذر ، حتى اجتازوها بسلام ، فإذا هم في
ضيق منبسط ، وإذا بالدليل يشير الى شيء أسود
قائم على مدى البصر ، فرغ الجميع نواظرم ليتبينوا
به معرفته ، فإذا به كوخ صغير قائم على سفح
الجبل ... ولكن أى كوخ هذا ؟ ... أقيم هنا
إنسان ؟ ... كلا ، فهذا الكوخ ليس في حيازة
أحد ، بل أقامته الحكومة ليتحضر به التسلقون ،
من عوادي البرد ، وظلمة الليل ، ووعناء السفر
وكانت الشمس القارية تطوى مطارفا الزاهية
عن الكون ، عندما بلغ أصحابنا الكوخ ، وقد
أضناهم التعب ، ونال منهم التعب ، وبلغ بهم
الجوع مبلغاً جعلهم يلتمسون الطعام اتهاما ... ثم
أخذ الليل يلف الكون في مسوحه السود فاضطجع
كل منهم في ركن من أركان الكوخ وراحوا
في سبات عميق

وتيقظ الجميع بعد الواحدة بقليل على صوت
الدليل ، وكانت السماء صافية الأديم مسفرة
الوجه ، تسطع في جنباتها النجوم البراقة ، وتحفن
في حواشها الأضواء الرقيقة ، التي تنعكس على
الجليد فيبدو كالزجاج الرائق اللذوب ، وكانت
نسبات الألب الماطرة الهفافة تملأ الصدور وتنفع
الجسوم عندما يتمددوا عن الكوخ ، وراحوا
يتابعون التساق بين الحيلة والحذر ، فقد بدأت
أخطار الطريق تبدو جليلة ، فتكشفت الثلوج ،
وبدت الهوى السحيقة وعاد الجليد ينهار تحت
أقدامهم ؛ فابتدروا الجبل وتشدوا به بعضهم الى

وصرت لحظة رهيبة اختفى الجسر بعدها عن النواظر ، يحمل الرجلين في طوياء ولم يبق إلا الجبل يضطرب في أيدى الآخرين اضطراب الأرشية في البئر البعيدة النور . ترى أينقطع الجبل وينقضى الأمر فيضم الألب نحيبين جديدين الى سجل نحيبائهم ؟ وينفى الآخرون دون هدى أو غاية ، حتى ليقتلهم الجوع ويصرعهم البرد

ونجاة تنقل عليهم الجبل فأدركوا أن زميلهم ما زال معلقين بطرفه الآخر ، فأنجلى اليأس عن قلوبهم ، ودب فيها الأمل ، فأخذوا يجذبون الجبل في هدأة وصمت وبعد لحظات ظهرت رأس أحد الرجلين وهو يحطم بفأسه ما يموق الجبل من الجليد . وما بلغ حافة الهوة حتى انبرى يمين زملاؤه على اخراج الدليل الذى ظهر بعد لحظة وعلى ثفره ابتسامة هادئة ، وهو يتمتم بكلمات الشكر

وجلسوا جميعا التماساً للراحة بعد هذا الجهد البالغ ، ثم قاموا يبحثون عن جسر يبرون عليه الهوة ؛ وأخيراً عثروا بعد جهد جهيد على جسر أشد تماسكا ، وأثبت بناء من الأول ، فتقدم الدليل بحذره في حذر ، حتى إذا تثبت منه تبعه الجميع الى الضفة الأخرى من الهوة

وكان في الجانب الآخر مرتفع صخري ينحدر الى حافة الثلاجة ، فكان لا بد من ارتقاؤه ، فصعد الدليل وهم في أثره ، الى أن توقف فجأة متقصيا النظر الى الأفق البعيد وقد عرى وجهه عبوس وجوههم تفلتت الجميع الى حيث ينظر ، فإذا بهم يرون على مدى البصر ، ضبابا أبيض كالإسنان

وجهد ، فإذا بهم في متبسط من الثلوج يضم ثلاجة جياشة هائلة ، تقوم على شفافها مرتفعات من الجليد تنهار الى الثلاجة مرتفعا بعد آخر فهم الآن بين هلاكين . فالثلاجة عن يمينهم مأجبة مزبدة ، والثلوج عن يسارهم منهارة متساقطة ، فلا سبيل الى النجاة إلا بعد الثلاجة ولكن أنى لم ذلك ؟ تقدموا قليلا فإذا هم أمام هوة لا يدرك البصر مداها ، عليها جسر رقيق ضيق من الجليد ، فأسرع



من مناظر الألب الفرية

الدليل يتبعه أحد الرجال ، وكانت الفأس في يده يمهّد بها الجسر ، ويرسم بها مواقع الخطى ، وما إن بلغ منتصف الجسر حتى بددت منه صيحة رعب عالية ، فالتفتوا جميعا فإذا الجسر ينهار تحت قدميه ويساقط الى قرارة الهوة السحيقة

ولم يكن على الجسر في تلك اللحظة إلا الدليل وزميله ، أما الباقون فقد ارتدوا الى حافة الهوة ممسكين بطرف الجبل

وكان الجميع يصمدون في ريث وحذر ، فان
زلة قدم واحدة تؤدي بهم جميعاً إلى الهلاك . وأخيراً
بمد لآى وعناء ، بلغوا نهاية الحائط فجلسوا يتناولون
طعامهم ... وامتنع احد الرجال عن الطعام ، لأنه
كان يحس بدوار شديد ، فقد ثقل عليه رأسه
وامتنع لونه ، وآلمته عيناه ، وتثقلت زفراته ، وذلك
لخلخلة الهواء في الطبقات العليا من الجو ... ولكنه
على الرغم من ذلك لم يفكر قط في التأخر او البودة
وبمد الطعام بقليل قاموا يصالون السير ،
ويتأهبون التسلق ، فانه لم يبق أمامهم إلا القليل
للاوصول إلى قمم الألب ؛ فساروا يمحون الخطى بمن
وجود ، فمبروا بعض القمم ، واجتازوا بضغ
مرتفات متقاربة

وكانت الشمس قد ادرفت ، والنهار قد متع ،
فطرق صمدهم صوت متزن الجرس ، متسق النبرات ،
يفنى « أغنية النصر » المروفة ، فالتفتوا جميعاً ،
فاذا بالدليل قد بلغ طلائع القمم ؟
(عن الانجليزية) أحمد قنمى سنخى

قصص اجتماعية

مترجمه بقلم الأستاذ محمد عبد الله هناد

مجموعة من القصص الربيع الشائق الثمانية من أعمال
الأديب الفرنسي م : بورجه . كوييه . أناتول فرانس .
موباسان . تيريه . مارسل برغو . دي بانيل . جان
لوران . مع تراجمه النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق .
في ثلاثة أجزاء صفحة طبع دار الكتب

ثمنه ١٠ قروش وبيع مؤقلاً بـ ٦ قروش بخصم ٤٠٪
عند البريد وهو قرشان لداخل القطر وأربعة خارجة
ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكاتب

يتقدم نحوهم في سرعة عجيبة ... فقال الدليل :
— أنها عاصفة ثلجية يحتاج الجبال ... فسأل
أحد الرجال :

— وهل ثابت طويلاً
— من يعلم ؟

وأرسل الدليل بصره يمينا وشمالاً ليتثبت
من موقعهم ووجهة سيرهم قبل أن تتشامم العاصفة
وتضرب عليهم حجابها الكثيف فتحجب عنهم
الطريق وبعد لحظات كانوا يدرجون في
جوف العاصفة التي أحالتهم جميعاً كتلاً من الثلج
تتحرك ، وخلصت عليهم أبراداً من الجليد ، لفهم
من قمة الرأس إلى اخصر القدمين

وقد دامت العاصفة برهة غير قصيرة ، هدأت
بعدها ثورة الريح ، وتتشع ضباب الثلوج ، وأشرقت
أشعة الشمس ، فأخذوا ينفذون عن جسومهم
حلل الثلوج ، ويمسحون عن جبينهم ماءها البارد
وكانوا قد اجتازوا المرتفع ونزلوا في واد
منبسط يلوح في نهايته ، حائط أملس من الثلج ،
لا تعلق به كف ، ولا تماسك عليه قدم ، يبلغ
ارتفاعه زهاء المائة متر

فوقفوا أمامه مشدوهين ، ومضت برهة قبل أن
ينبس أحدهم ببنت شفة ، كأنه يدور بخلد لم ذلك
السؤال « كيف لنا أن نتعلق بذلك الحائط الأملس ؟ »
بمسد برهة من الحيرة والتساؤل ، تقدم
الدليل فشد أوساطهم إلى الجبل ، وأخرج
فأسه ، وسار أمهم إلى الحائط فأخذ يدرجه
بالفأس ، ويحفر فيه مواقع الأقدام ، ثم أخذ يصمد
رؤسها وريدا ، وهم في أثره ، وكل بيده الفأس يشق
بها الطريق



الصيد ... ولم يكن الشاب بالجامد القلب ، الخامد الماطفة ، بل كان مشبوب بالرحاس ، ملتبس الشعور ، فسرعان ما استجاب لبريق عينها ، وخضع لرخامة صوتها ... ولكنه لم يكن يتمدد أن يحمله سيسمو به إلى مراتب النبلاء ، بل أيقن أن اهتمامها به لا يصدو فرجة لمواطفتها المكبوتة ، وألمية لنفسها الحائرة ، ولم يدرك أن هذه الفتاة تكبر أصحاب الطبايع للزينة والشخصيات الستارة ... ولكن قد يجيء الوقت الذي ترى فيه العين النشبة الفاشية في عين صاحبها نور الحلب وريق الهيام ، وهما قد جاء لفتى الوعود ، ولم يكن بالغبى الأحق فسرت العلماينة إلى قلبه ، وتمددت بينهما المقابلات حتى إذا ما خلا كل إلى صاحبه كشف له عن نفسه ويأبى له بمكنون سره ؛ فيتها مسان ويتناحيان ثم ينصرفان دون أن يذميا سرا ، أو يفضحا أسرا ... ثم تمكنت بينهما الألفة حتى لم يستطعا أن يكبحا تلك المواطف النائرة التي كانت تضطرم في قلبهما

ولكن الفتى كان دونها شرفا ومرتبته ، فلم تكن تستطيع أن تمنان زواجهما به ، فالتحذت للسالة حلا وسطا ، فمزمت على الاقترب به دون أن يعلم بذلك أحد ... ثم نظما فيا بينهما مواعيد المقابلة ، فسكناا بلتقيان في إحدى غرف المنزل بعيدين عن

عاشت عيشة مترفة في قصر رقيق بدع يحف به الجلال من كل جانب ... وكانت امرأة ذات حسن عبقري ، وجسم خصيب ، وأثوة متيقظة ، تزو إليها العيون أينما حلت ، وتشبهها القلوب أينما ذهبت ، حتى أصبحت حديث أهل المدينة كلها وفئة لشبابها ، فترام اسمها إلى ما وراء ذلك الاقليم « ويسكس » يجد الناس في ذكره حلاوة وفي ترديده متعة وسولة ... أما هي فقد استعذبت تلك الحياة وأخذت إلى هذه الذمة واطمأنت إلى تلك الألسنة التي تهتف باسمها في كل يوم ، ولكن قلبها المتكبر الذي كان يشرف على تلك القلوب الساجدة العابدة لم يجد هواه إلا في شاب رقيق الحال عادي الهيئة قدامحدر من أسرة فقيرة متواضعة . إذ كان أبوه يعمل كاتباً في « دائرة » والدها ، ولكنه كان وديع الخلق ، كريم النفس ، رقيق المزاج ، قد أغرمت به فتاة قروية ساذجة ، فلم يرد أن يصدسها في حبها الأول ، بل وهبها جانباً من حبه الشاب الفاضل ، وأحلمها ركناً من أركان قلبه الفسيح الناصر ؛ فأرادت تلك الفتاة النبيلة « كارولين » أن تستأثر بذلك الشاب فاغتصمت فرصة تردده على منزل والدها بحكم عمله وأخذت تتودد إليه ... بتجده مرة وتنازله أخرى ، وكانت ماهرة في هذا الفن مجيدة لهذا النوع من

أعين الناس، فيقضيان ساعة تسكر فيها روحهما بلذة الهدوء والنعطة؛ ولكن هذه الباطفة المشبوبة ما لبثت أن خمدت فأخذت تفيق من السكرة الأولى، وخلت إلى نفسها تسكر فما أثنه من طيش ورعونة، وكيف أن فتاة كريمة المحمد عريقة النسب تزوج من شاب دونها شرفاً وقدرًا... وكان خليقاً بها أن تقترب من بنبيل عظيم، أو قاض نابه، أو أسقف جليل... أجل لقد كان زوجها الشاب ذكي الفؤاد واسع الاطلاع، ولكنه كان قليل التجارب ضيق الخبرة...

لقد اعتاد أن يزورها تحت أستار الليل فيتسلق إلى نافذة غرفتها فيجدها في انتظاره، ويأوى إلى جانبها ساعة والناس نيام، ثم يعود إلى كوخه الصغير قبل طلوع الفجر... ثم جاءها ليلة وقد شاقه الحب إليها، ولكنه لم يمض معها ساعة حتى مل الحديث وهمم بالنزول، فقد كان لقاء ثقيلاً متكلفاً سمع فيه ما أثاره وأخرجه عن نفسه إذ شمر أن قلبها قد أخذ يتحول...

والحقيقة أن اهتمامها بمصيرها أخذ ينسحب عنها إياه... وعلى نجاة أحس بالقطع أحشاه فذهب وافقاً ثم مال إلى النافذة يستنشق بعض الهواء، ثم ما لبث أن همس بهذه الكلمات: «آه يا قلبي! ثم سقط على الأرض جثة هامدة... فأسرعت إلى إشعال المصباح وقد خبا ضوءه وانحنت عليه تسأله ما به، ولكنه قلب المسكين كان قد وقف، فاستيقظ في ذهنها ما كانت الطيب قد قاله له من أنه مصاب بمرض القلب، وأن هذا المرض قد يورده حثفه يوماً

أخيراً أن زوجها المسكين قد قضى نحبه فبقيت حائرة لا تدري ما ذا تعمل

ولقد أحست أولاً بالخزن والأسى على فراقه... لكنها ما لبثت أن أخذت تفكر في مكانها كاتبة أحد النبلاء فنظرت إلى الجنة وقالت: «لماذا تموت هنا أيها الزوج النمس وفي تلك الساعة؟... لماذا لم تمت في كوخك...؟ إذا لم أعرف أحد أمرنا ولبيق سرنا مكتوماً...» ولكن دقات الساعة السالية في سكوت الليل العميق قد أبطلتها من ذهولها، فهضت مسرعة إلى الباب، وقد عزمت على إخبار والدتها بحقيقة الأمر طمأنه أن هذا هو الطريق الوحيد لخلاصها من هذا المأزق... غير أنها لم تكذب تدنو من الباب حتى رجعت عن عزيمتها وقد أيقنت أن في إيقاف والدتها إقضاء لسرها كله، فموت على حمل الجنة بعيداً من دون مساعدة أحد... ثم أخذت تنهيا لهذا العمل الجسيم، فألبسته ملابسه وربطت ذراعيه وتزالت به سلكاً ضيقاً... ثم حملته إلى مكان أمين تظله الأشجار... وعلى باب كوخه ألقت بحملها الثقيل؛ وقد أخذ منها التعب كل مأخذ؛ ثم وضعت في يده مفتاح بيته الخشبي لتعلم الحقيقة على الناس، وانحنت عليه وقبلته القبلية الأخيرة، وعادت أدراجها وهي تنسى آثار قدمها في الطريق... ثم انسلت إلى مخدعها دون أن يشعر بها أحد؛ وأوت إلى غرفتها وأغلقت نوافذها، وأعدت كل شيء إلى ما كان عليه

ولكن لم يكذب يطلع الصباح حتى ذاع في المدينة نبأ موت ذلك الشاب الرقيق الوديع على باب منزله وهو يحاول فتحه... لقد كانت جميع الظروف تدل على أن الميتة طبيعية، فلم يثر حولها نقاش...

لقد اعتاد أن يزورها تحت أستار الليل فيتسلق إلى نافذة غرفتها فيجدها في انتظاره، ويأوى إلى جانبها ساعة والناس نيام، ثم يعود إلى كوخه الصغير قبل طلوع الفجر... ثم جاءها ليلة وقد شاقه الحب إليها، ولكنه لم يمض معها ساعة حتى مل الحديث وهمم بالنزول، فقد كان لقاء ثقيلاً متكلفاً سمع فيه ما أثاره وأخرجه عن نفسه إذ شمر أن قلبها قد أخذ يتحول...

والحقيقة أن اهتمامها بمصيرها أخذ ينسحب عنها إياه... وعلى نجاة أحس بالقطع أحشاه فذهب وافقاً ثم مال إلى النافذة يستنشق بعض الهواء، ثم ما لبث أن همس بهذه الكلمات: «آه يا قلبي! ثم سقط على الأرض جثة هامدة... فأسرعت إلى إشعال المصباح وقد خبا ضوءه وانحنت عليه تسأله ما به، ولكنه قلب المسكين كان قد وقف، فاستيقظ في ذهنها ما كانت الطيب قد قاله له من أنه مصاب بمرض القلب، وأن هذا المرض قد يورده حثفه يوماً

ثم أخذت تفحصه مدة طويلة ولكنها أدركت

فلم تستطع الفتاة أن تحبس دموعها المهمة وقالت : « لم يكن حبيبي تماماً ولكن كنت أنا حبيبتة . أما وقد مات فاني لا أهتم بالحياة بعده » « أتمتعين أن تبقى على سر من أسرارها يا ميلي ؟ إن هذا السر يتصل بشرفه ولا يعرفه إنسان غيري ، ولكن يجب أن تعرفيه أنت »

فأظهرت الفتاة اعتمادها لكتبان هذا الأمر . وحقاً لقد كانت وفيّة لذلك الشاب الذي أحبه والذي تبكيه الآن

« إذاً فقابليني اليوم بعد الغروب عند قبره أفض إليك به »

وفي غسق تلك الليلة من ليالي الربيع الجميلة ، كان شعبها هاتين الفتاتين يحومان حول قبر ذلك الفتى التمس . وفي ذلك المكان الموحش ، وفي تلك الساعة الوهمية ، أخذت الفتاة ذات النسب والجمال تقص على ابنة الخطاب كيف أحبه وتزوجته سرا ، وكيف مات في غرفها ، وكيف جرّته في جوف الليل الى كوخه حتى لا ينكشف أمرها فصاحت تلك الفتاة الساذجة مذعورة :

— تزوجته يا سيدتي ؟

— نعم ولكن هذا كان طيشاً مني . كان الأجدر به أن يتزوجك أنت يا ميلي فقد كنت له ، لكنك فقدته

— نعم وهم من أجل ذلك يسخرون مني فيقولون : لقد جنت به حباً وهو لم يلفت إليك

— إن النصر على أولئك المهكمين حلو لذيذ ... لقد فقدته حباً ولكن يمكنك أن تسترديه ميتاً وعلى ذلك تمتعين أنت نألي من أولئك الساخرين ما تريدن — وكيف ؟

ولكن بعد تشجيع الحنازة أخذ الناس يهيمسون أن رجلاً كان سائرًا في الطريق في ساعة متأخرة من الليل ، فرأى شبح امرأة دب في الظلام وهي تجر جثة ثقيلة في طريقها إلى كوخ ذلك الفتى ، فأخذوا ملابسه القديمة وخصوها من جديد ليروا فيها من آثار الجر على الأرض ، وأخيراً عرفوا أنه هو الرجل بعينه .

أما كارولين الجميلة الذكية فأخذت تفكر فيما يجب أن تعله ... فرأت أولاً أن تتعرف بالحقيقة كلها ... إلا أنها بعد أن بلغت الى تلك المرحلة دون أن ينكشف أمرها أو يرتاب فيها أحد ، عازت على بذل مجهود آخر لأخفاء باقي العالم ... وسرعان ما لمت في خاطرها تلك الفكرة ... لقد كان ذلك الزوج يحب فتاة قروية قبل أن يقع في شرك هذه النبيلة ، وكانت هذه الفتاة لا تزال على حبها إياه إذ لم تكن تعرف من أمر زواجه شيئاً .. على أن نفوذ كارولين على أولئك الفلاحين الذين يعملون في أراضي والدها كان عظيماً ... لها الكلمة النافذة والقول المسموع ... فعزمت على مقابلة تلك الفتاة تمسح فيها عارها وتحملها نتيجة وزرها بعد أن أخذت تقيق من نشوتها ، وشمزت بالآلام الفضيحة والندم تنوش صدرها كلما ذكرت ذلك الزوج المنحوس ، حتى لقد كرهت اليوم الذي لقيته فيه وودت أن لم تكن قد رآته قط . وسرعان ما اهتمت الى تلك الفتاة فوجدتها بمتعة اللون مهدودة الجسم ، قد ارتدت ثوباً أسود حداداً على ذلك الشاب الذي أحبه وأخلصت له وإن لم يمتن بها إلا قليلاً ... فقالت كارولين :

آه ! لقد فقدت حبيبك يا « ميلي »

ثم أعطتها كارولين كل آثار الذكرى التي كان زوجها قد قدسها إليها حتى خصلة الشعر

وفي اليوم التالي أعلنت الفتاة ذلك الأمر بين الناس حتى فزع بين أهل المدينة كلها . وفي ذهول ذلك الموقف الجديد أجدت مبلى للسكنية تمثل الدور كما لو كان قد حدث معها فعلا . واستطاعت بما كانت تصيبه من مال كارولين أن تشتري منزلا صغيرا وأن تتردد على الكنيسة من وقت لآخر ، وقد ازدادت جمالا وفتنة أيقظا في قلوب خدنياتها

القرويات النيرة والحسد .. ثم فكرت في أن تقيم نصبا تذكاريا فوق قبره ما دامت كارولين تقوم بدفع النفقات ، فاعلمها هي إلا أن تقدم الحزن والأسى ... وما لبثت مبلى أن أراحت إلى تمثيل دور الأرملة ، ووجدت في زيارته كل يوم والبكاء فوق قبره لذة وتفريجا ، فكانت تنثر الأزهار فوق قبره وأصبحت تمتدح وهي تخطر في نوبها الحزين أنها كانت زوجة حقا

ثم اتفق أن صرت كارولين يوما مع بعض صاحباتها بتلك المقبرة فلمحن مبلى وقد انحفت على قبر حبيبها تنثر فوقه الأزهار في رقة وخنان ، فتأثرن لهذا المشهد المؤلم وعجنن لذلك الوفاء النادر الذي لا بد أن تكون صاحبتة قد وجدت صدها في ساكن ذلك القبر .. أما كارولين فقد شمعت كأن نورا غريبا ينبعث من عينيها بحسد تلك الفتاة على مكانها هذا كأنه لا يزال يقابلها بعض الحب لزوجها المتوفى ... ولكن الفروق الاجتماعية أكرهتها على إخفائه في طيات صدرها . وأخيرا لم تستطع تلك الفتاة أن تقهر تلك المواطنات القوية التي كانت تصطرح في نفسها ... فذهبت يوما إلى المقبرة ، وكنت وراءها حتى إذا ما جاءت مبلى تنثر الأزهار

فأفضت إليها كارولين بما يجب أن تعله ... وهو أن تملن مبلى بين الناس أن ذلك الشاب كان قد عقد عليها سرا ، وأنه كان يزورها في كوخها في الليلة التي توفي فيها . فلما قضى بحبه بين يديها حملته إلى منزله لتندأ عن نفسها الفضيحة والعار .. وأن تقول إنها كانت عازمة على حفظ ذلك السرى نفسها لولا أن الاشاعات والأقاويل قد أجبرتها على إفشائه فأجابتها ابنة الخطاب وهي دهشة لهذه الفكرة :
— وكيف أثبت هذا ؟

— يمكنك أن تقولى إنك تزوجته في كنيسة القديس ميخائيل في مدينة (باث) باسمي بحجة أنه أول اسم خطر ببالك لتتقضى اسمك من التهمة ... وسأعينك على ذلك

— أوه إنى لا أحب أن ..
— إذا علمت ما أسرك به فاني سأكون صديقة لك ولوالدك وإلا فسيكون لي ممكنا شأن آخر .. وسأعطيك الآن خاتم الزواج لتلبسه كما لو كان لك
— هل أبسته يا سيدتى ؟

— في الليل فقط
وأخيرا قبلت مبلى ما عرضته عليها كارولين دون تردد كبير إذ لم يكن الوقت يحتمل ترددا .. ثم أخرجت الفتاة النبيلة الخاتم من صدرها ووضمته في أصبع مبلى وهي واقفة على قبر حبيبها . فاقشمر بدن الفتاة ومالت برامها وقالت :

— أشعر أنى أصبحت عروسا لجنة
ولكن هذه الفتاة ما لبثت أن شمعت أنها قد ارتبطت بتلك اللجنة قلبا وروحا وأحست بشيء من الهدوء يسرى إلى نفسها .. فنخل إليها أنها قد استحوزت في الموت على ذلك الشاب الذى عبده على غير طائل في الحياة

عليه الآن . أنا أرملة الوحيدة . فان نصيبي فيه
أوفر من نصيبك . لأنى أحبه وأبكيه وأدعى باسمه
المميز

فصاحت كارولين وقد كاد الشرر يتطاير من
عينها :

— إنى أحبه ولن أسمح لمخلوقة مثلك أن تنتزعه
منى ... كيف أسمح بذلك وهو أب لذلك الجنين
الذى يضطرب فى أحشائى ... يجب أن تميدبه إلى
ثانية ... ميلى ! ميلى ! ألا ترحمنى وتقدرين موته؟
باللأسرع ! إنه عدو النساء ، لماذا لم أتزوج قبل أن
أقدم على العمل ؟ هيا أعطيني ما أعطيتك وأكدي
لى أنك ستساعديني على نشر الحقيقة
— محال ! محال ! ؟

وقد ازدادت الفتاة إصرارا وعنادا : « انظرى
إلى هذا النصب ... انظرى الى ثوب الحداد ...
الى هذا الختام ... استمعي الى الاسم الذى ينادونى
به ... إن نفسى ليست أهون على من نفسك ...
أفبعد أن أعلن أن حبه حى ، وأن نفسه نفسى ...
وأحل اسمه بدلا من اسمي ، وأتخذ من موته حزنى
وشجنى ... أجيء اليوم فأهدم ما بنيت به
ودمى ؟ لا ! لا ! لن أرضى لنفسي هذا العار ...
إنى أصدك القول يا سيدتى ... إن قصتى هى
الحقيقة بعينها ، وأنت كنت واهمة فى كل ما دعيته
لنفسك ... ولكن أرجو يا سيدتى ألا تدفيني
إلى هذا ، إنى أنوئس إليك أن تبقى لى »

لقد كانت ميلى تزعم أنها أرملة تدافع عن
زوجها ... حتى أن كارولين رقت لحالها بالرغم
منها ... فقالت لها :

— نعم ... إنى عالة بموقفك ... ولكن فكرى

على القبر كمادتها كل يوم برزت لها كارولين وهى
شاحبة مرتجفة تقول :

— ميلى ! اقتربي منى ! إنى لا أدري ماذا أقول
لك ... فقد كدبت أموت

فمجيبت ميلى لهذه المفاجأة الغريبة وقالت :
— معذرة يا سيدتى .. !

فدنت منها السيدة وأختلطت يدها اليسرى
وقالت :

— أعطنى هذا الختام
فأسرعت ميلى الى انترازه من أصبعها ... ثم
أعادت كارولين سؤالها فى صوت حاد غاضب وقالت :
— إنى أطلب اليك أن تعطينى إياه ... أوه !
أوه ! إنك لا ترفين السبب ... لقد عراني حزن
والم لم أكن أنوقهما !

فأجابتها ميلى وقد تملكها الدهر
— ولكن ماذا تريدن يا سيدتى ؟

— يجب أن تعلمي أن كل ما حملته كان كذبا
وإدعاء لا أساس له من الصحة ... وأنى أمرتك
أنت بعملية محافظة على اسمي ... وأنه لم يتزوج
غيرى ... وقصارى الكلام يجب أن نذهبى الحقيقة
وإلا قضى على جسمي وعقلي وشرفى الى الأبد »
ولساكن لكل شئ حد فان للدواء والوداعة
جدما أيضا ... فقد أصبحت ميلى تعتقد أنها قد
امتزجت بذلك الشاب ولما واما وأصبح لها الحق
فى أن تحمل اسمه كما حملته ... وأن تحمل به كزوج
وتتحدث عنه كزوج ... حتى لم تمت تفكر فى
سواه . وأخيرا قالت وقد غمرها اليأس والقنوط :
— لا ... لا ... إنى لا أستطيع أن أتركه ...
لقد أخذته منى حيا ورددته إلى ميتا . سأحافظ

بلاؤه أخيراً ... فلما انتهت عاد الى إنجلترا وقد رقى الى قائد فرقة ولما يبلغ الخامسة والعشرين ...
 ترامت أخبار ذلك الابن الى كارولين ...
 وكيف أنه قد أشرف على الزروة دون أن يكون صنيعة لأجد ... فأيقظت فيها غرائز الأمومة السكائمة وملأتها كبرياء وغروراً . فأخذت تهتم بابنها الظافر للوفى ورغبت في رؤيته بمد أن توفي زوجها « المركز » دون أن تعقب منه ولداً ... فاتفق يوماً بينها كانت تسير بمرتبها خارج المدينة أن صرمت بها إحدى الفرق العسكرية فوقع بصرها على ضابط شاب قد امتلأ جوداً أصيلاً مطعمها ... فسرعان ما عرفته لما بينته وبين زوجها الأول من شبه قوى ، فضايف هذا النظر عواطف الأمومة التي بقيت كائنة في زوايا قلبها هذه المدة الطويلة ، فأخذت تسائل نفسها كيف صبرت على إغفالها هذه السنين الطوال ... فلو أنها كانت جريئة في حبها خلصة في عاطفتها ... لاعترفت بزواجها الأول ولتجنبت بترية ذلك الطفل كائن لها ... فإذا كان يصيرها لو أنها فقدت هذه الجواهر النادرة وكسبت ابناً شهماً قادراً ... أخذت هذه التأملات والمواقف تعمل في قلب تلك المرأة المكتئبة الوحيدة ، وأخذت الندم ينوش فؤادها الحزين على عدم الاعتراف بزواجها الأول أضغاث ما ألمها بالافتقار به وأخيراً لم تستطع أن تغلب تلك الرغبة القوية الملحة التي كانت تتأجج في صدرها حتى أيقنت أنها لا يمكنها أن تمشي دون أن تعلن أمومتها لهذا الفتى ، فمزمت على أن تنزعه من حضن تلك المرأة التي أخذت تضمها الكراهية والبغضاء لأنها استبدت بذلك الطفل دونها ... ثم أيقنت أن ذلك الابن سيعرب باستبدال فلاحه مدممة ، بأماً أخرى نبيلة غنية .

في ... ملذا أعمل ... فبدونك إن أستطيع أن أبقى على اسمي ... فانت نشر الأكاذيب والقضايح أحب شيء للجمهور ... » ولم تحض بضعة دقائق حتى كانت الفتان قد شعرتا بضرورة العمل معاً .. فأخذتا تتشاوران فيما يجب أن يعملأ ... وأخيراً عادت مبلى الى بيتها ... وأفضت كارولين الى أمها بكل ما حدث ... ولم يحض على ذلك بضعة أيام حتى تركت كارولين وأمها القرية وذهبتا الى لندن حيث وافتهما هناك مبلى بحجة تغيير الهواء على نفقة تلك الفتاة النبيلة التي كانت تشفق عليها في محنتها ووحدها

وفي مستهل العام الجديد عادت مبلى الى القرية تحمل بين ذراعيها رضيعاً فأقامت في منزلها الصغير تعنى بذلك الطفل الجديد بما كان يصلها من كارولين من مال ...

وبعد ذلك بعامين تزوجت كارولين بأحد النبلاء ... فباشت معه عيشة سعيدة إلا أنها لم ينتجها طفلاً ... بينما كان ابن مبلى يكبر شيئاً فشيئاً ، وكانت أمه تتوهم فيه يوماً بعد يوم صورة ذلك الرجل الذي استحوذ على قلبها الشاب ... ثم ذهب به الى القبر ... فسهرت على تربيته قدر ما كانت تسمح به ظروفها ... إذ أخذت كارولين تنصرف عنهما شيئاً فشيئاً ، ولم تعد تفكر في طفلها إلا اسماً ... ولكن مبلى كانت تقتطع من قوتها لتقوم بنفقات الطفل ، فأرسلته الى المدرسة الابتدائية .. ولما بلغ العشرين دخل في الجيش متخذاً من الجندية أهيبته وعمله ، وسرعان ما اكتسبته رجوانته الكاملة وأخلاقه القوية ومواهبه النادرة إعجاب رؤسائه .. فخبوه بمطعمهم وحجم حتى أبلى بلاء حسناً في تلك الحرب الضروس التي خاضها

المشهورات فقد كان يعرف أن ولادته محاطة بشيء من الغموض - أما سلوكه نحو البارونة فإنه لم يخل من الاحترام والتقدير ، إلا أنه كان أقل مما تنتظر ، وأخيراً وضع أمامه أسر التفاسل بينهما ومرعان ما قال قولته الأخيرة :

« لا يا سيدتي . إنى أشكرك كثيراً ، ولكننى أفضل أن أترك الأمور كما هى ، فإن اسم والدى هو اسمى على أى الحالات . إنك لم تمنى بى يا سيدتي إلا قليلاً عندما كنت طفلاً لا حول لى ولا قوة ، فلماذا أدعى إليك الآن وقد أصبحت قوياً قادراً ؟ ! إن هذه الخلوقة الدنزة (مشيراً إلى ميمى) قد جبتنى عطفها طفلاً ، وعاتنى شاباً ، وسهرت على مريضاً ، وحرمت نفسها حتى أنفغ اللذات من أجلى . إنى لا أستطيع أن أحب أما أخرى كما أحبها . إنها أوى وسأكون دائماً ابنها ، ثم طوق عنقها بذراعيه وطبع على جبينها قبلة أودعها أرق عواطف النبوة وأسمها .

فلم تقوَ كارولين المسكينة على مشاهدة هذا النظر الذى كاد يستل روحها من بين أضالها . فقالت وقد خفقتها العبرات وتهدج صسوتها فى حلقها :

— إنك تقتلى ! ألا تستطيع أن تجببنى أيضاً ؟
— لا يا سيدتي . لقد كرهت أن تنزسى إلى أبى الفلاح ، وإنى أكره أن أنتسب إليك !

فتهدت المرأة تهديدات عميقة عالية وقالت :
« ألا تستطيع أن تعطبنى قبلة واحدة ... كما أعطيتها ؟ إنها ليست كثيراً ... حتى كل ما أريد ... كل ... فأجابها : نعم . ثم قبلها قبلة عابرة باردة كانت فيها نهايتها .
نظمى غليل

وفى اليوم التالى ذهت إلى بيت ميمى القديم فى تلك القرية الصغيرة فوجدتها لا تزال فى ثيابها السوداء الريفية حداداً على فقد حبيب شبابها ... فلم تكذب تخطو الى داخل الكوخ حتى صاحت :
— انه ابنى* يجب أن تتركه لى ... لقد أصبحت فى موقف أحمى فيه العالم أجمع . أظنه يزورك من وقت إلى آخر
— كل شهر منذ أن عاد من الحرب ...
يا سيدتي ... وبمكث يومين أو ثلاثة فى كل مرة ... وأحسبه أحياناً فى رحلات قصيرة . قالت هذا فى صوت الظافر الطلعين
فأجابتها كارولين فى هدوء :

— حسن . يجب أن تتركه لى . إنك لن تفقدى شيئاً فلك أن تبه متى شئت . سأذهب الآن إلى اثبات زواجى الأول وسأخذنى مى
— لقد نسيت يا سيدتي أن هناك اثنين يجب أن يؤخذ رأيهما فى هذا الموضوع ، لست أنا فقط بل هو كذلك

— سأعزم كل شيء . لا تظنى أنه سيرفض . ولكنها لم ترد أن تسرع الى ميمى بالتعرض إلى الأسفل والنسب ، فقالت : إنه لم يودى ولا يتصل بك فى شيء . فانفجرت القروية غيظاً وقالت فى تهكم صرير : « ماذا يمتنى من أسر اللحم والدم ؟ إنى أترك المسألة له فلندعه يفصل فيها بنفسه »

فأجابها كارولين : « هذا كل ما أبتنيه . قلت أرسلنى فى طلبه ولأقابلها هنا » . ثم أرسل فى طلب الضابط ، وجلس الثلاثة فى ذلك الكوخ الصغير يتداولون فيما بينهم
لم يدهش الشاب إذ علم أن أمه إحدى النبيلات



هرميروس



الأوديسيوس

لهرميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

هبت أوردورا من فراش زوجها الدافئ الحبيب
(تيتون) فغشرت في الشرقي غلالة سنية من
فيض ضوئها ، بينما كان مجلس الآلهة متقدماً في
ذروة أولب ، وقد استوى زيوس على عرشه ،
وميرثا ... ربة الحكمة والوعظة الحسنة ، قائمة
بين يديه ، تحصى آلام أوديسيوس ، وتبث أشجانها
وتصور للآلهة صنوف العذاب التي يتجرع غضبها
وحده في هذه الجزيرة النائية السحيقة ، فتقول :
« أبته ! يا سيد أرباب أولب ! جوث ! اصغ
للى ! وأنتم يا آلهة الخلود ! أعيرونى انتباهة واحدة
منكم ، قلها حسى ! إلى أين تصير الأمور إذن ؟
ها كم قد أصبح أمر الناس فوضى ... والطغاة
يمشون في الأرض مفسدين ، وكأنا أغضمت
أعينكم عن خيائهم ، ولم يضركم ألا تكفوا
أشرارهم ، ففسيتم الرجل الصالح أوديسيوس الذي
طالباً منكم بحبه ، والذي بذل لشعبه مهجته ...
يشوى اليوم في تلك الجزيرة الموحشة ببحر هومره ،

أوديسيوس يبحر من جزيرة كاليسيو
فصل الفصول السابعة (١) :

« لا وضعت حرب طروادة أوزارها ماد كل القادة
اليونانيين إلى أوطانهم إلا أوديسيوس الذي ضل طريقه
في البحر كما كان بينه وبين تيتون من عداوة — وقد
كانت زوجة بنلوب على قسط وافر من الجمال فطعم
فيها كل أشرار بلاده وحاصروا بيتها واستنفدوا
خيراته . وكان ابنه تليك فنى طرى الموت فلم يبق على
نضالهم ولكن ميرثا ربة الحكمة كانت تعطف على
والده وتعتق أولئك المشاق ؟ فبذت للفنى في صورة
آدمية ونصحت أن يذهب من فورهِ إلى نسطور ملك
پيلوس ونالايوس ملك أسبرطة ليسألها عما كان من
أمر أبيه — وقد أجبرت منه ميرثا لتحرسه وتسر
عليه . وأكرم الملك وفادته وقس عليه ملك
أسبرطة نثويات پروتيوس إله الشاطئ المصري عما
كان من أمر أوديسيوس وما كان من عداوة تيتون
إله البحر له . وأنه ما يزال متنياً في جزيرة كاليسيو
— وهال المشاق إجمار تليك فصبوا على قله عند
عودته وترصبوا له في البحر بالقل . »

(١) نتجهد بقدر المستطاع أن نلخص جميع الفصول
السابقة حتى تتصل الحوادث في ذهن القارئ الذي سائر لللمعة
من أولها ، ولكن يستطيع من لم يسيرها أن يبدأ من أى
فصل شاء

وبلى بمد طول النأى خلانه »

وأصلح رسول الآلهة الأميين ، هرمن ، نعليه
الذهبتين ، تخفتنا به كالريح فوق السحاب وفي غناه
عصاه السحرية العجيبة التي إن شاء داعب بها
الجفون فأغفت ، وإن شاء ردها إلى الصحو واليقظة ،
وما فتئ يرف بين السماء والماء ، ويدوم في ذاك
الفضاء كالفرنوق^(١) الذي يتوائب على أعراف الموج
يصيد ما يقتات به ، حتى كان فوق تلك الجزيرة
المنزلة عن جميع العالم . ثم ما برح يرق هنا ويرق
هناك حتى انتهى إلى ذلك الكهف السحيق الذي
تأوى إليه عروس الماء الشقراء ذات الشعر
الكهرماني وقد جلست ثمة تفرد وتغنى وتعمل
دائبة في منسج أمامها ، ويدها تتلقتان الوشيمة^(٢)
الذهبية كما يخطف البرق والنار تتأجج في الموقد
بقرها وتوهج ، وجمر الأرض والصندل يبعق
ويتأرجح ، وعلاً نشره أركان الجزيرة وفجاجها ...
وقد بسقت أشجار الحور والسندبان عند مدخل
الكهف فحشته بظلال رائحة ، وظلمة رهيبة ؛
وصنعت جوارح الطير أوكاراً لها في الدوح الذهب
في السماء ، وكانت^(٣) الهدأة يبيضا ، وقر الغداف
جنب صفاره ، وطفقت البومة ترسل في الآفاق
صغيرها ، وتناثرت فوق الشاطئ أفأحيص الطير من
كل نوع ؛ وامتدت الكروم عن عيون الكهف
وعن شماله مثقلة بالعناقيد ذوات السكر ؛ وتدفت
جداول أربعة من عيون كوثية تسقي السندس
الجميل للتضر بأفواف الورد والبنفسج ... منظر

وينير في صفحة السراب آماله ، .. كلا على كاليبسو
عروس الماء ... لا يملك سفينة فيقلع إلى الوطن ،
ولا يجد قلباً إلى جانبه فيثبه حزنه ويشتكى إليه
لأواه ... وكأنما لم يكن يحسبه بعض ذلك ، بل
تسلط عليه الأقدار القاسية مصبة من الأعداء
الألداء يتربصون بانه الشمر ، وينتوون غيلته ، إذ
هو عائد من أقصى الأرض . من أسطرة ويولوس
بعد رحلة منهكة بالأكية ، قام بها يتنسم خبراً عن
أبيه يسقى في قلبه غلة ، ويبري في نفسه كالوما »
وبجئها رب السحاب الثقال :

« أمة كله هائلة انفرجت عنها شفتاك يا ابني ؟
ألست تتشوقين إلى عودة أوديسيوس سالبا
أمناً فيعطش بكل أعدائه ؟ إطمئن إذن ، ولتجرس
ولده تلياخوس حتى يصل سالماً أمناً هو الآخر
إلى أرض الوطن ، ولنيسبؤ أعداؤه بالفشل »
ثم توجه بالخطاب إلى ولده هرمن ، رسول
الآلهة ، فقال :

« هرمن ! هلم يا بني إلى عروس الماء الشقراء
كاليبسو رسالاتي ؟ مرها أن ترسل أوديسيوس
على رمث^(١) وحده ، لا أنيس له من إنس ولا
آلهة ، فليلق الأحوال الطوال حتى يصل إلى شيريه
أرض الفيشيين ، ملوك البحار وأصهار الآلهة ،
فليزودوه بسفينة وزاد وذخيرة من أحمال من
ذهب وديساج ، وبكل ما تشتهي نفسه مما يفوق
نصيبه الذي حصل عليه من أسلاب اليوم ، لو عاد
به غير منقوص إلى أرض الوطن ، ثم ليبحر سالماً
إلى إيثاكا ... بهذا قضت المقادير أن يؤوب ... وأن
يستعيد سلطانه . صولجناه ، وملكه وإخوانه ؛

(١) بوزن طنبور وبوزن فردوس طائر مائي (الطاس)

(٢) الكوك

(٣) رقدت عليه

(١) خشب يتم إلى بضه ويركب في البحر Raft

المنزلة من الأرض، يحيط بها الملح من كل مكان حيث لا عباد ولا خلق يؤتون الزكاة، ويقبضون الصلاة، ولا أثر لمادة زيوس العظمى ! إنرجيل جلالة، يقول إنك تحتجزين هنا أنفس مخلوقاته، البطل الكبير الذي نزع عن بلاده إلى اليوم قفصه ثمة تسع سنين ثم أبحر عنها بعد سقوطها في العاشرة مع محاربى هيلاس الذين تفرقوا في البحر شذرة ذر، فمنهم من غرق ومنهم من قتل، ومنهم من وصل إلى بلاده ... إلا إياه ... فقد هلك كل رجاله، وقذفه البحر فوق جزيرتك الذائبة جوف يأمرك أن تديه، ففي كتاب القادير أنه لا يهلك هنا ... بل يعود إلى بلاده ويبقى فيها آله »

وكرّلت كالپوسوزالا وقالت تيجيه : « ها ... الظلم والحسد ... دائما ... هذا دأبك يا آلهة ... كم تأكل قلوبكم الصغيرة كما ضمت ربة إلى ذراعها أحد بنى الوقي ! وهل نسيتم يوم رثم عندما علقت ويانا ذات الأصابع الوردية هذا الفتى الجليل أورويون كيف دبّت الفيرة في قلب أبوللو ففكر هذا السكر السوء، وديرقت الفتى بيدي حبيبته ويانا ؟ ^(١) هل نسيتم أيضا كيف أرسل أبوكم جوف إحدبي صواعقه على إياسيون المسكين لأن سيرس ربة الريح قد هويته وأخذته بين ذراعها حين شقها جبا ؟ ! كذلك أنتم منى اليوم، وكذلك أنتم غيوروت دائما، فما أقساكم إذ تنفسون على

(١) تراجم الأوديسة إلى أبدينا مهمة في الكلام عن هذه الأسطورة لذلك اضطررنا أن نصرف قليلا اعتدادا على شرح الأستاذ جبر - وخلاصتها أن أبوللو علم بما بين أخته ديانا وأورويون من عشق فاستدبر ديانا وأخذ يمارها في الرماية - وكان أورويون يستمتع في البحر لخطها تصوب سهمها إلى رأسه وهي لا ترمى فقتله

عجب، وأى منظر عجب يبعث بهجة والانشرح حتى في قلوب سكان السماء ! !

ووقف هرمز يمتع ناظره بسحر هذه الجنة ثم دلف إلى الكهف، ولم يكن يسيرا على عروس الماء أن تعرف من هو، وأى إله خالد طرق بابها، ولو أنها هي أيضا فرد من أسرة الخالدين ... ذلك لأن سكان السماء يكونون مثلنا أحيانا، لا يعرف أحدكم جميع الآخرين، لبعد الشقة، ونأى الدار، وانقطاع المزار ... ، وأرسل عينيه في كل شق من شقوق الكهف، بيد أنه لم يقف لأوديسيوس على أثر ... فأنثى، وغم نحو الشاطئ واستوى على صخر عظيم نائى، وشرع ينثر من عينيه الدموع الفوالى، يطفى بها في القلب سميرا سرمديا يلزمه أبد الدهر ... وكأنما عرفت كالپيسوس من هذه الآية أنه هرمز، فواحت تسأله، إذ هي مستوية على عرشها المرد العظيم :

« هرمز ! يا صاحب العصا السحرية، يا من طالسا أحبيته وبجلته، جددنى فيم أقبلت، وقد ندر ما قدمت إلى هنا . هلم فقل . سئل حاجتك فمأفضيا إن تكن في وسى ... ولكن هلم أولا ولتؤد لك مراسم القرى وواجبات الضيافة ... هلم ! »

ومدت عروس الماء سباطا حافلا بأشهى ألوان الطعام وصنوف الشراب، وأقبل هرمز فاختذى وروى من هذه المائدة القدسية، ثم توجه بالكلام قفلا : « تسألين أيتها الربة فيم أقدمت ! ألا فاعلى أننى ما أقدمت عن أخرى، لكنه أبى، سيد الأولب وكبير الآلهة، هو الفتى أرسلنى . إذ أية حاجة لآله في هذه القطعة

حياتك الغالية في تنور من الآكام ، هلم ... هيا
إلى عمل جيد .. أمامك الدوح العظيم والأيك الذاهب
اقطع منه ما شئت واصنع لنفسك رَمَكًا يحملك
فوق هذا السياب التسلاطم . وسأزودك بكل
ما يكفيك من طعام وشراب ؛ وسأمدك بأثواب
جديدة تقيك الحر والبرد ؛ وسأسخر لك الريح
تُهدُّ هُدُك إلى بلدك البعيد ... هذا قضاء من
آله السماء التي تقدّر فتعدل ، وتقضى فلا يرد لها
قضاء . . .

وتفرغ أوديسيوس لهذه المفاجأة ثم قال :
« أوه يا عروس ! بل في الأمر سر تحاولين
إخفاءه عني ... أي رَمَكٌ يجعلني في ذلك البحر
اللعجى وأنى ربح تسخرين من أجل ؟ وإن السفينة
العظيمة لتخسر عباها وهي لا تدري أنسلم أم يكون
أهلها من المفرقين ؟ لا ... لن أفعل حتى تعطيني
موثقتك ، وحتى تقسمي القسم العظيم ، أنك
لا تبطنين لي شرًا ولا أذى ! »
وتبسّث الربة الهيفاء ، وراحت تربت على
خديه وهي تقول :

« ويحك ! كيف تسيء في الظن يا أوديسيوس ؟
أية حجة تملأها يديك على ما قلت ؟ ولكن اصغ
إلى ... أقسم لك بقسم الآلهة في الأرض والسماء
والدار الآخرة ... بالقسم العظيم الذي يقشعر لذكركه
كل شيء ... أني لم أضمر لك نيا عرَضت عليك
شرًا ولا أذى ... إن الذي تبكي من أجله ، أبكي
أما أضاعف ما تبكي من مثله ، فإلقد كنت ضرورة
من ضرورات حياتي هنا ، ولقد تملق بك قلبي ،
وهامت بمحبك نفسي ، وليس قلبي من صخر
فيحتمل اليمد عنك بله الأضرار بك »

حببي ؟ ! لقد أنقذته بنفسى من هذا اليم الذى
التقم سفينته عن فيها حين شطرها أبوكم بسهمه
في غثة من عبثاته ! حببي الذى أهواه من أعماق
وأفتديه بروحى ، والذى أهدله حياة الخلود ...
ولكن ... وأنفاه ! كيف أطرده من عندى ؟
ويحى ! إن تكن هذه مشيئة زيوس فلا أحدثن
أوديسيوس ليرى لنفسه ، إذ ليس عندى مركب
بأمن فيه غائلة هذا البحر المضطرب ، وإنى ناصحة
له . . .

وكلها همز فأندرها من غضبة سيد الأواب
وحضها أن تعمل على إبحار البطل

ورف همز الرسول في لازورد السماء وانطلقت
عروس الماء تبحث في الجزيرة عن أوديسيوس ،
حتى لقيته فوق صخرة ساهما واجما ، تقسرى قلبه
المواجس ، ويعبث به بحال الأمانى ، وقد أنهمرت
فوق خديه عبرات حرار ! واللحظات تدبل
فتسقط من حياته في ظلام اليأس كأوراق الخريف
وقد ملّ هذا المقام الطويل البائس في جوار
عروس الماء ! تلك التي تملج عليه حبها البارد ،
وتقسره على أن يقضى لياليه بجناها على فراش
واحد في ذلك الكوف السحيق ... وكلا فكروا في
وطنه ، ونظرا إلى الموج التوائب في أفق اليم ،
وعرفا أن لا قدرة له عليه ... بكى وأن ، وتوجع
وتصدع ، وأرسل في لانهائية الماء والسماء آمات
وأهات ...

واقتربت منه عروس الماء في رفق وحديث ،
وقالت له :
« أيها النمس لا تنتحب هكذا ، ولا تعبر

بشفوفها الرقيقة الثلجية الناصعة التي كأنما نسجت من نبات الصباح العطري ، وراحت تخطر فيناذه ريانة ، وقد انشجت حول وسطها النجيل بقرطى جميل ، وألقت على رأسها بنجاش صفيق رقيق ؟ وقدمت إليه فأسأ ذات حدين أحدهما كالساطور ، ركبت فيها يد من خشب الزيتون اللين ، ثم إزميلا حاداً مرهقاً ... وسارت بين يديه حتى كانا عند غابة عظيمة مخبرف ، لأحبة شاحبة ، يسقت فيها أشجار الحور والسنديان والشرين^(١) ، وتركته نمة وعادت أدراجها إلى كهفها ...

ولم يهدأ للبطل المسكين بال ، بل شرع من فوره يقطع كل أيكة عظيمة حتى اجتث عشرين من أكبر دوح الغابة ... ثم أقبلت كاليسو وقد حملت إليه آلات ساعده على تشذيب الشجر ، واستطاع بعد لئى أن يضم بعض الجذوع الى بعض ثم كسبها بكلايات كبار ، وأفرغ في وسط الزمالة ولما يحمل مكاناً أميناً ، كأحسن ما يصنع السفانويون ... ودعم ذلك جميعاً بالواح ودُسر ، وصنع قلناً وجعل في القلع شراعاً ، ثم سوى السكان مكانه ، وجعل في الباطن صدارة^(٢) كبيرة تقي الرمث الانقلاب ، ولم ينس أن يجملد جوانبه بفروع وأغصان تربد في قوته وتضامف من منته . وأتم صنع مركبه في أربعة أيام ، وأزله الى البحر في الخامس ؟ ثم أدخلته عروس الماء حماماً ففسلته وضامه بالطيوب والمطور ، وخلمت عليه حلة من دياج عفيف وزوده بزقين من خمر وماء ، وأمدته بشيء كثير من طعام وأتواب

(١) Fir ولم نجد لهذه اللفظة أثرًا في اللسان والفاموس
(٢) أو صبرة قطعة حجر كبيرة يتزن بها المركب في البحر وتسمى في مصر (صابورة)

وانطلقا سويا إلى الكهف ، وجلس أوديسوس فوق النشك الذي كان يجلس عليه هرمن منذ هنيهة ، ثم أقبل جوارى الماء يحملن شيئاً كثيراً من اللحم والشراب فأكلاوروا ؟ ثم شرعت كاليسو تحده وتقول :

« أهكذا يا ابن ليرتيس العظيم ، أيها الحكيم الصناع ، لا فتناً نحن إلى وطنك وتسنم الرحيل اليه ؟ أنا عذرك يا أوديسوس ... فوداعاً ! ولكن هل فكرت أيها الرجل في الأهوال الجسام التي تخرط قتادها قبل أن تصل إلى بلادك ؟ أليس خيراً لك أن تظل إلى جاني ، وتقاسمى كهفي ، فتصبح من الخالدين ... وتنسى هذا الجمال الغاني الذي لا يتفك بصيبك وبسبك ، والذي أحسب جمالي وفنني لا يفلان عنه سحرًا إن لم يزيدا عليه فتونا ؟ ! »

فيجيبها أوديسوس الحكيم : « أيها الربة المخوفة ! هوئي حفيظتك ! أنا أعلم أن بنلوي المزيزة لاترن من جمالك وفتونك مثقالاً ، لأنها هالكة ، ولأنك من الخالدين . بيد أن الذي يصيبني هو وطني ... وطني الحبيب الذي أحسن إليه وأهم به ، وفي سبيل العودة إليه لن يخيفني هذا اللجج المتلاطم ، فلقد بلوت الأعاصير في البر والبحر ؟ في خيبار الممعة ؟ وفي الفلك تحت كاسكل الزويمة ... إلى إلى يا خطوب ، وأعدى بكل حوكلك يارزايا ... »

وتوارت الشمس بالحجاب ، وأرخت الليل سدوله فوق الجزيرة ، ونامت الربة في سريرها الوثير وبين ذراعيها حبيبها تشمه وتضمه ، وتحسه وتلمسه ... حتى إذا نضرت بالورد أوزورا جبين الشرق ، هب الألفان وتدثرا ؟ هذا بثوب الخشن ، وتلك

ثم إنه لاعب السحاب بصولجانه ذى الشعب
 الثلاث فانقادت منه ظلمات في أرجاء السماء ،
 وطفق بمد يهز أعماق البحر فهاج وماج ،
 وتلاطم بالأمواج ، وصاح صيحة براح الشرين
 وراح الغريين فاجتمعت إليه من كل مكان
 سحق ... ثم هبت ريح الشمال التاجية الالفة
 فانطلقا لألاء النهار ، وناء الليل خاة ، وطنى الباب
 وشابت نواصيه بالثبج ، وتناوح الوج المنضوب
 حول الرمث ، وهلع فؤاد أوديسيوس وأصبح قلبه
 فارغاً ، وطاشت أحلامه وذابت أمانيه العذاب ،
 وراح يتحدث نفسه هكذا : « يا لتعاسى أى مقدار
 قاس يترصنى ؟ ! لقد أنذرتنى ربة السماء مقبة هذه
 الرحلة الموجاء فى البحر فدا صدقتها ، وتنبأت عن
 الشدائد التى تتورط طريقى إلى الوطن ، فها هى ذى
 تتحقق ! أية أعاصير هوج وأي موج ينتفض من
 الأعماق سلط جوف على هذا البحر ! بعد لحظة
 أغوص فى ظلمة هذه القبور التى يشق عنها الوج !
 ألا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً تحت أسوار
 اليوم ، يوم أوشكت أن أقضى ثلاثاً فى سبيل إنقاذ
 الأتريس^(١) أو يوم أوشكت أن أسرع برماح
 الطرواديين إذ أدفع جموعهم عن جشة أخيل ! !
 أجل ! لو أننى مت نعمة لأقيمت من أجل الطقوس
 الجنائزية ، وأديت لى الشماثر الدينية ، وذرف فوق
 قبرى كل يونانى أغلى دموعه وأعز عبرانه . وتفاذيت
 هذه اللوثة المجهولة التى تكاد تلتقمى ! »
 ثم كانت العائمة ... فان موجة كالطود فجانه ...
 فعمرت الرمث ... وأظلت مقبض السكان من بدى
 أوديسيوس ، فانتثر فى اللجة ، ثم غاص فى أعماقتها ،
 وعبثا حاول أن يطفو ... لأن الريح تكالبت من

(١) هو أجايونون

وودع عروس الماء المحزونة ؛ وجلس عند
 السكان ، ثم دفع الرمث فى البحر ، وابتعد رويداً
 رويداً
 وكان قلبه يفيض بالبشر ، وصدره يمتلىء
 بالانفراح ... وظل يجرى به الفلك الصغير سبعة عشر
 يوماً ، وعيناه فى كل ليل ما ترمان عن التريا فى علياء
 السماء ، وما تفرتان تنظران الى نجوم الدب الأكبر
 التى تقف للجبار^(٢) بالمرصاد ، كما علمته عروس الماء
 قبل أن يرح ، أن يجعل هذا النجم الى شماله أبداً
 ثم بدت جبال فيثيا الشفق كأنها دروع
 مسرودة فوق صدر الأرض الشاحبة ... ولكن !
 وا أسفا ! ... لقد كان الجبار نبتيون ثانياً عتانه
 من سوليا^(٣) ، فلحق أوديسيوس فوق رمشه يتوائب
 على هام الموج ، ويقتر من الشاطئ ، فينجو إلى
 الأبد من بطشه ... وفارت فى نفس نبتيون
 — إله البحار ، وأدى أعداء أوديسيوس —
 ثورة من الغضب ، وظل يملك هذه السمكات فى
 نفسه من فوق بطاح إيثوبيا^(٤) :
 « وى ! أو قد تبدلت مقادير الآلهة إذن ،
 وتحركت فيهم مواطف الحنان من أجل هذا الرجل
 أوديسيوس ، فقضوا فيه ما قضوا لأنهم يسكنون
 السماء ، ولم يبالوا بى لأنى أسكن الأرض فى
 إيثوبيا ؟ ... إنه يرى شاطئ فيثيا قيد وثبات منه
 وهو إذا قفز إليه أصبح بنجوة من هموم ترصده
 فى كل موجة من موج هذا اليم ... ولكن ...
 لا ... لألمبنة بألف سوط عذاب قبل أن يصل
 الى البر ... »

(١) الجوزاء Orion

(٢) إحدى مقامات آسيا الصغرى وكانت تدعى بيسيديا

(٣) هكذا فى الأصل

بشرط ألا تنظر إليه وهو يسقط في الماء»

وسلت إليه زوارها اللوغود، ثم غاصت في الماء، وبقي أوديسيوس مكانه في حيرة شديدة وحزن عميق؛ ثم أفاق من غشيته، وجعل يهرق هكذا: «أوه! ترى؟ أذاك شرك آخر تدره الآلهة لي؟ ولكن لا... لن أبرح مقباً فوق الرمث، فالبر بعيد، ولأظل مكافى مادامت الجنوع مُكَلِّبَةً هكذا، فإذا حطمتها يد الحدادان فلأفعلن كما أشار الآلهة التي كان يكلمني منذ لحظة...». وما كاد يفرغ حتى أرسل عليه نبتيون موجة جارفة حطمت رمثه، وتركته طالقاً بأحد الأرواح... وأسرع أوديسيوس خلع الرداء الجليل الديباجي الذي خلصته عليه كالبيسو، ولف الزوار الموعود حول صدره، وقذف بنفسه في الماء... وراح يسبح!

وكان نبتيون الجبار يرى بيمينه، وبشفي حردبه، ويقول في نفسه: «ذُقْ يا أوديسيوس وبال أسرك في هذا الطوفان، قبل أن تصل خبالك بجبال الشعب الذي هو حبيب الآلهة، وبشيتري ثمة هل تنتهي آلامك!»

وحث مطييه حتى وصل (إبيجه) حيث يشرف قصره النيف

وكانت ميترفا تشهد الكفاح المائل بين أوديسيوس وبين اليم، فاطلمت من عليائها، وداعبت الرياح حتى استنامت وونت، ثم أطلقت بوريس، ربح الصبا الشبلي الكرم جفري^(١) رخاء، يدفع أمامه البطل العظيم الذي ظل يناضل الموت ويصرعه يومين أطول من دهر، وليلتين

(١) الضمير عائد على بوريس وهو مذكر

كل مكان، وكلانجا من موجة ففرت له فاهها أخرى... ثم حدثت المعجزة... فقد وسمه بمد لأوى وبعد عناء شديد أن يدفع نفسه دفعة اليأس إلى السطح، وأن يملأ رثيته المنهوكتين بتنفسه من الهواء، كانت تنترج بالماء الأجلاج التصيب من جبينه، حتى لأوشك أن يفتن بها... لولا أن لاطفت به الصدفة، فرأى الرمث قريباً منه، وقد انترعت المصاصة قلاعته وشراعه، فسبح إليه وأمسك به، ثم استوى عليه، وتركه الموج تلعب به واحدة وتمت به أخرى، وتجمعت عليه الرياح عن شماله ويمينه، ومن خلفه وقدامه، حتى قبض له القدر عروس الماء (إينو) ابنة قدموس، التي كانت تمش في البر وتعرف فيه بهذا الاسم، والتي اتخذت اسم (ليوكوتيا) بعد أن زلت إلى البحر وعلقها أحد الآلهة فوهها المخلود... لقد تفجرت في قلبها شكايب الرحمة من أجل أوديسيوس لما رآته في هذا الروح الذي ليس كمثل روح، فسحرت نفسها ووثبت على الرمث في صورة غطاس الماء، ثم قالت له: «ويحك أيها البائس! قيم أترت غصبة نبتيون عليك حتى ليتيمك سرياً في شباب البحر، ويصب عليك كل تلك الرزايا...؟ على أنفي أنصح لك أن تدع هذا الرمث، تتدافعه الرياح حيث تشاء، ثم تخلع ملابسك، وتقفز في الماء، وتصبح بقوة وجلد حتى تصل إلى شطآن فيشيا، حيث تسلم بنفسك، وتكون بئمان من بطش هذا الجبار. خذ، هالك زواراً من حرير من حياكة السماء، لفته تحت صدرك، فانه يحملك بئمان حتى من مجرد التفكير في الموت؛ فإذا وصلت سالماً إلى الشاطئ، فازمه بكل ما أوتيت من قوة بعيداً في البحر، وأدر وجهك بمجرد أن تفعل،

فقدفه في مسيل من مسایل الماء المنتشرة على الشاطئ، وعنددها، ظن أوديسيوس أنه بنجوة لولا تيار النهر الذى كاد يسلمه بدوره للمحيط، بما جعله يصرع لرب النهر ويبتهل... ويدعو من أعماق قلبه ويصلى، حتى استجاب الرب الرحيم لصلاته، فكسر حدة التيار، وفلّ من غرب الماء واستطاع البائس المنهوك أن يصل الى إحدى المدوئين وأهيا مهالكاً محطاً.. فانطرح على الترى يقبله... ويلهث ويقول:

« ويح نفسى ماذا تبنتين يه آلام! لقد أقبل الليل وأنا هي مصدر، ولا قبل لهذه البقية من حشاشتي بطل المشاة وصقيع الفجر... فلوأنى استطعت أن أنسق هذا الحدود فالوذ بأجرة من هذه الثابة! ولكن! وى! أى وحش ضار يفتدى بلحمى ثمة؟ »

يُشيد أنه تقول في الجبل حتى أوشك أن يضرب في الثابة؟ ثم كان بين زيتونتين إحداها ثمرة، والأخرى عقيم؛ كل منهما لقاء شجرا حتى لا تنفذ الريح بينهما، ولا تنسرق أشعة الشمس خلالهما، ولا الماء يواصل إلى من استندى بهما

هناك... وجد أوديسيوس مأمنة... فراح يعمد الأرض، ويلطم ما استطاع من قش ويحطب حتى صنع لنفسه منامة تكفي اثنين غيره، من الضارين المشردين في الأرض، ودعم حفافها بفروع الشجر... ثم أسلم عينيه لنوم هادئ عميق، سكبته مینزفا في كلتا مقلتيه

فله ما كان أروع غار في هذا السفط من القش، كشملة من زيتونة لا شرقية ولا غربية، يمتز بها ريفي شاب في قرار مكين^(١)

(يتبع) دبرنى فضيلة

أحكك من غياة جب، حتى إذا غابت أورورا في اليوم الثالث، استطاع أن يرى الشاطئ على مرى البصر، من فوق موجة عالية

ما أحل الأمل الذى يخبى بعد يأس! لقد كان ينظر أوديسيوس إلى التلال والجبال القريبة، والثابة النائمة في أحياها، كما ينظر الأطفال الأبرار إلى أب لهم أنهكته الملة... ثم غائل للشقاء بعد تسليم وقنوط!

ونحس الأرض بقدميه... ولكن... وأسفا! الأعماق الهائلة والصخور والأواذى والوج الذى يرتطم بأقدام الجبال فيرغى ويزبد... لم يكن بهذه الجهة مرفأ، ولم تكن تجوس خلالها سفن... ولقد ظل أوديسيوس يكافح ويكافح... حتى غم على قلبه، وكاد يتفشاء طائف من الخور، بعد أمل أكيد!

وجاشت الوسواس في قلبه، وطفق يحدث نفسه حديث الهلك في هذه اللجة الرجراج... وكان أخوف ما يخشاه أن يدقمه الوج على تنوء الصخر فيحطمه، أو أن تلحجه أمفريت، زوج فيثون، عدوه اللدود، لأنه البحر، فنسلط عليه من وحش الماء ما يلقفه، أو يقذف به الى أعماق الأعماق... كرة أخرى

وبينا هو في مجرى من ماء ومن هواجس، إذا موجة هائلة يضطرب بها اليم فقدمه في قوة وعنف الى الشاطئ ذى التواء والنوى فتكاد تدق عنقه، وتدرأ عظامه، لولا أن قبض بذراعيه الجبارتين على حافة صخرة بارزة... ونمة ظل معلقا حتى أقبل جبل آخر من موج البحر فاحتمله الى الأعماق كأنه أحد مراطين الماء... ونجاهد المسكين ثانية وثالثة حتى تدافع الوج من خلفه

(١) كانت النار في الزمن القديم أغلى ما يمتز به الناس

الأرض فيثير غبارها ، وكان القمر في كبد السماء الصافية ، يرسل أشعته الفضية على الرجل النائم . ولم يكن هناك أحد سواها ، وأنا والنائم النمل الذي لم يكن يشعر بوجودي وهو يتوسد الحجر القاسي كأنه على فراش وثير .

وشمرت بأن حال هذا الرجل زادت في آلامي ، فتمكنت من مبارحة مكاني الذي ما كنت لأبرحه ، وما كنت لأستفيد من وجودي به لأطرق الباب حتى ولو أغربت على ذلك بعمدة وتاج . وذهبت إلى قرب هذا الرجل النائم أنفوس فيه وأقول في نفسي :

ما أعمق نومه ، لا ريب أن رقاد هذا الرجل لا يقلقه شيء من الأحلام ، ولعل زوجته تفتح في هذه الساعة لجار لها باب السكن الوضع . إن أبواب هذا الانسان عبارة عن ألحار بالية ، وقد نحل خداه وتجمعت بده ، فمن يكون هذا المخلوق إن لم يكن واحداً ممن لا يجدون كل يوم كسرة خبز يقتاتون بها ، فهو إن نهض غداً من نومه يستنواوه جميع همومه وبحاجاته جميع مصائبه ، ولكنه هذا المساء كان يملك بضعة درهمات مكتنبة من الدخول إلى حانة قابض النسيان لأوجاعه . لقد رجع هذا الرجل في مدى أسبوع ما أناله ليلة رقاد هنيئ . ولعله حرم بذلك أطفاله عشاء ليلتهم ، ولكنه الآن يمتأني من الآلام ، فإريقته أن تحدهه ولصديقه أن يلج مسكنه الحقيق كاللص ، بل لي أنا إذا شئت أن أضرب على كنفه لأقول له : إن عدواً يهدد حياته ، وإن النيران تلتهم مسكنه ، فانه لينقلب على جنبه الآخر ويعود مستغرقاً في نومه

وذهبت أذرع الشارع بخطوات واسعة قائلاً : وأنا . . . وأنا . . . وأنا المحروم لذة النوم ، وفي جبني



استغفرت في العصور

لأفريدري موزيه
بقلم الأستاذ فليكس فانس

الفصل التاسع

وكنت وصلت إلى أشد الهاوى ظلاماً عندما دفعتي اليأس وثورة الشباب إلى فلة قررت أجماء حياتي

كنت كتيبت إلى عشيقتي أنني لا أريد أن أراها بعد ، فممت بما عاهدت النفس عليه ؛ غير أنني ما امتنعت من غصية الليالي تحت نافذتها جالساً على مقعد أمام بابها لأراها تلوح في كالخيال من حين إلى حين بين منفرجات ستائرنا

وبينا كنت في إحدى الليالي جالساً على عادي وقد تملك الألم كل مشاعري ، رأيت عاملاً يسير على الطريق في ساعة متأخرة وهو يترنح سكرًا ويتمتم بكلمات لا تفهم تتخللها هتافات نشوة وحبور . ووقف هذا العامل بنته وأطلق صوته مترنماً ثم عاود السير ورجلاه تقودانه تارة إلى عين الطريق وتارة إلى شمالك حتى بلغ قعداً موحهاً لمقعدي أمام بيت آخر فانظر على ، وبعد أن قلب برهة على ساعده استغرق في الكرى

وكان الشارع مقفراً والهواء الجاف يهب على

الحانات ، فتار تأثري وقالت في نفسي لملي ان أفوز حتى بهذه التمزية ، فكنت أراكم من باب دكان إلى باب دكان آخر هاتفاً :

- أريد خراً .. أريد خراً ..

واهتديت أخيراً إلى حانة مفتوحة ، فطلبت زجاجه خمر وجلست أكرعها دفعة واحدة دون التفات إلى نوعها ، وابتعت الأولى بثانية وبثالثة ، فكنت أقلب الكأس تلو الكأس مكرهاً ، كريض يتجرع دواء فرض عليه فرضاً لأتقاذ حياته .

وما مضت رهة حتى شعرت بأخيرة هذا الشراب - القى كان ولا شك مشوشاً - تصاعد إلى رأسي وتورثني السكر فجأة ، فيتوالى على ذهني الصفاء والاضطراب ، حتى فقدت قوة التفكير ، فشخصت بإصاري إلى مافوق كأني أودع شعوري بنفسى ، وتراخي ساعدي على الخوان فلم أستطع تحريكهما . وعندئذ لاحظت أنني لم أكن منفرداً في الحانة إذ رأيت في طرفها كتلة رجال يحمل القبس في وجوههم الساحبة ، وتماثل الثبرات الشاذة في أصواتهم ، وكنت أرى من أنوابعهم أنهم ليسوا من العامة ولا من متوسطي الحال وكل ما فيهم يدل على أنهم من أحقر الطبقات ، من الطبقة التي لا مكافأة لها ولا ثروة حتى ولا مهنة سوى مهنة البطالة الدنيئة . من الطبقة التي لا تنتمي إلى الفقراء ولا إلى الأغنياء وقد انتمى إليها يؤس الفقر ورذيلة النقي

وكان بين أيدي هذه الجماعة ورق قذر للميسر ، وكان الخلاف قائماً بينهم فيخشون أصواتهم في مجادلاتهم ؛ وكان بينهم فتاة غضة الصبا ، بهيمة الطامة ترندى أنوابعاً نظيفة ، وليس في مظهرها ما يشبه من حولها من الناس سوى صوتها الأبح الذي كان

من المال ما يكفي لتتوهم هذا الرجل سنة كاملة ، يسودني الغرور بل الجنون فأترفع عن دخول الحانات ، وأتجاهل أن النساء يدخلونها ليخرجوا بالسعادة من بين جدرانها

يا لله ! إن عناقيد من الكرمه تصمرها الأقدام كافية لتبديد أحلك الموموم ، ولتقطع الأشرار التي تمدّها روح الشر على مسالكنا . إننا نمول كالنساء وتنالم كالشهداء ، فيخيل إلينا حين تساورنا المصائب أن العالم قد تهدم على رؤوسنا فنطرح منتجين كما انطرح آدم أمام الباب اللوصد بيكي النعيم المفقود ، في حين أنه ليس علينا إلا أن نعد يدنا إلى الكأس لأطفاء لهب أحشائنا ، وشفاء أوسع جرح فتحته فيها الحياة . ما أحقر هذه الموموم التي تداوى بزشفة من مثل هذا الدواء !

إننا لنمجب من أن العناية الإلهية لا ترسل جميع ملائكتها لتقتصد لابتها لاتنا ، وما العناية بحاجة إلى إرسال طغام أملاكها إلينا ، فهي قد رأت أوجاعنا وما خفيت عنها شهواتنا ، وغرور روحنا الساقطة وما يحيق بنا من غمرات الآلام فاكثفت بأن تثبت نغمة صغيرة سوداء تتدلى على جوانب طريقنا .

إذا كان هذا الرجل ينام ملء جفونه فلماذا لا أنام أنا مثله ملء جفوني

لقد يكون مزاحي متوسداً فراش خليلي الآن فيخرج منه عند الفجر ، وتشمع هي حتى الباب فينظران إلى وأنا أعط في نوى على هذا اللعنة فلا أتبه لصوت قبلاتهما ؛ وإذا ما ضرباني على كتفي فأنني أقلب على جنبي الآخر واستمر في الرقاد وبحكم الروح في فذهبت . مقتشاً عن حانة أستقر فيها ، وكان نصف الليل مرّاً وأقفلت أكثر

مستسلم للباس ، قد صرخت بسرعة حشيت معها
أننى أشاهد حلماً ، فاضطربت أفكارى حتى حسبتنى
جنت أو استولت على قوة مجهولة

وصحت بالفتاة فجأة : من أنت ، وما تريدني
منى ؟ وأن عرفتني من قبل ؟ من كلفك بمسح
دموعي ؟ أهذه واجبات مهنتك ؟ وهل تغلطين أننى
أرضى بك ؟ . . . إننى لن أمسك بأطراف أمانى .
ما ذا تغلطين هنا . ؟ أجبني ، أماً لا تغلطين ؟ . وبأى
نمن تبيعين إشفافك ؟

ونهبنت طالباً الخروج ؛ ولكننى شعرت
بأن رجلى لا تقدران على حلى ؛ وأن غشاوة أسدلت
على عيني ، ونفدت قواى فارتيمت على مقعد مستطيل
عثر به

أخذت الفتاة يدي وقالت : أنت متألم . . .
لقد شربت كما يشرب الأطفال أمثالك فما عرفت
ماذا فعلت . . انظر على هذا المقعد إلى أنف تمر
عربة . . قل لى عنوان أمك لأرسلك إليها
ثم تضاحكت قائلة : إذهب إلى بيتك ما دمت
قبيحة فى نظرك . . .

والتفت إليها وهى تسكلم ، وما أعلم إذا كان
السكر أراى ما رأيت ولم أتبين إذا كان ضلالى سيق
هداى أم هداى سبق الضلال ، فرأيت فى وجهها
صورة لوجه خليلتى ، وعند ذلك شعرت بصقيع
الجليد فى أعضائى

إن الانسان ليشعر أحياناً بارتعاش فى شعر
رأسه ، ويقول السذج إن ذلك دليل على مرور
ملك الموت ، وما كان الموت قد صر على رأسى بل
هو داء المصر ، وما كانت هذه الفتاة إلا ذلك الداء
بمينه تجسم فيها شاحباً هازناً بنبرات الصوت
الأبح وجاء يجالسنى فى زاوية من هذه الحانة

بتمالى كأنه صوت منار امتهن المنادة فى الأسواق
ستين سنة . وجددت هذه الفتاة ، وقد أدهشها
ولا ريب وجودى فى هذه الحانة ، وأنا صرير
ما أرتديه من أئيق الأنواب ؛ وما لبثت أن تقدمت
نحو مجلسى وعند ما رفعت الزجاجات الثلاث من
الخوان ، ورأتها فارغة افتتر تنفرها عن درّ نصيد
فقبضت على يدها ورجوتها أن تجلس قربي فجلست
مسرورة ، وطلبت أن يحضر الخادم لها المشاء .

وحدة فى الفتاة صامتاً وعينائى مشرورتان
بالدموع ؛ فسألتنى عما يحزننى ، وما كنت قادراً
على إيراد الجواب ، فهزئت رأسى كأننى أريد أن
أطلق القطرات الحارثات من مدامى ، فتساقطت
على خدى . وأدركت الفتاة أننى أكم أمراً
مؤلماً فما حاولت اكتشافه ، بل أخرجت مندبها
وهى تتناول طعامها لتمره على وجهى أنا قائماً

وكان فى هذه الصببة شىء لا يحدد إلا بأنه مزيج
من أخشن الأشياء وألطفاها ؛ وقد تغفلت العطف
فى غشاؤها ؛ فوجت حائرآ فى تقديرها . ولو أنها
كانت التفت بى فى شارع ومدت يدها إلى
لتراجعت فيها مشمئزآ ؛ غير أننى وأنا فى حالتى كنت
أرى من الفرائب أن تتقدم نحوى فتاة ما رأيتها
من قبل فتجلس صامتة إلى خوانى وتتناول طعامها
أماى ثم تحفف مدامى بمندبها ؛ لذلك بت أماها
واجماً تارآ مخلوباً

وسمعت صاحب الحانة يسألها عما إذا كان لها
معرفة بى . فأجابته إيجاباً وطلبت ألا يتدخل أحد
فى أمرى . وبعد قليل من الزمن انصرف اللاعبون
وأقبل صاحب الحانة أبوابها من الداخل ثم انصب
إلى غرفته الخاصة ، وهكذا بقيت لوحدى مع الفتاة
وكانت هذه الحوادث التى أثرتها بما فعلت وأنا

الفصل العاشر

المستقر ، ولكل إنسان في حياته ساعة وقف فيها صارخاً : إضرب سهمك مذهباً في مجلتك الدائرة ، أيها الزمان

وبعد أن تم ترتيب الفرفة طبقاً لما ذكرت أوقدت ناراً ، وجلس القرفصاء أكرع كأس يأسي حتى النمل ، وأسر صميم فؤادي لأشعر بهلله وانقباضه ، وكنت أستعبد في ذهني أنشودة تبرولية كانت تتغنى خليلي بها وهي :

كنت في روض دلالي زهرة فيها غرام
أحرق المشق جمالاً هكذا يقضي الغرام
وكانت نبرات هذه الأنشودة ترن في أذني كأنها صرخة تتعالى في قفاري قلبي ، فأناجى نفسي قائلاً : هذه هي سعادة الانسان . هذه هي جنيتي أصبحت صبية من بنات الواخير ، وهل خليلي أفضل منها ؟ هذه نملة الكوثر الذي نحتسيه ، هذه جيفة الغرام ...

وأطلقت الفتاة الشقية صوتها بالانشاد إذ سمعتني أغمم أناشادي ، فملت وجهي صفرة الموت إذ سمعت عواطف نفسها تنشد هذا الصوت الأجلش المتعالى من فم فتاة تشبه من أحببت ، فكان هذا الصوت هو النعشاء تفرغ في صدر نورت فيه أزاهر الشباب ... وخيل إلى أن صوت خليلي قد أصبح منذ سقوطها شبيهاً بهذا الصوت ، وخطر ببالها ما يحكي عن (فوست) من أنه رأى فارة هراء تنشب من فم ساحرة عارية كان يحاصرها في ليلة راقصة . فصرخت بالفتاة : اسكتي ، وهرعت إليها فترامت ضاحكة على سريري ، فانطرحت بدوري إلى جانبها وإذا بي أرى جسدي كتمثال ممدد على لوح مدفن

أي ، رجال هذا الزمان ، للتسارعين وراء

وما كنت ألحظ مشابهة هذه المرأة لمشيقتي حتى اجتاحت دماغي فكرة عظيمة لم أجد بداً من تنفيذها

وكانت خليلتي في أوائل عهد غرامنا تأتي خلصة إلى غرفتي للاجتماع بي ، فكنت أملاً هذه الفرفة أزهاراً وأضرم النار في الموقد ، وأعد المشاء ، وما كنت أعفل عن تزيين السرير وإعداده للحبيبة المنتظرة

ولكم شخصت الى هذه الحبيبة الساعات الطوال وهي جالسة على المقعد أمام المرأة ، وكلانا صامت يناجي الآخر بخفقتان فؤاده ، فكنت أراها كاسكة من عالم الجن تحول الى جنة هذا السكن الصغير حيث أرتب كثير من الدموع . ولكم تألفت بروعة جمالها بين هذه الجدران الأربعة الحزينة والرياش القديم ، وقد تبعثرت حولها كتيبي وأثوابي

وكان نذكار هذه الليالي لا يفارقي لحظة منذ فقدت بهجتها ، فكانت كتيبي وجدرائي تناجيني بهذه الذكري وأما مسهد مفعوج فترهقني حتى أذهب هارباً منها الى الشارع فأفرأ من سريري الذي لم أكن ألتجأ إليه إلا لأذرف عليه الدموع اقتندت هذه الصبية الى غرفتي وأجلستها على المقعد ، حولاً ظهرها نحوي وأبقيتها عليه وهي نصف عارية ، ثم شرعت أرتب كل ما حولها على النمط الذي كنت اخترته في أعمق الليالي ارتساماً في خيالي إن للكريات السعادة صورة واحدة تنقلب على ساثر صورها ، فهي خيال يوم أو ساعة قاتت سواها في جمال المؤثرات فتبقى كأنها الأنموذج

قيمتها ، اذكروا انكم قد تشقون شيئاً بالرم من صقيع عواطفكم ، ولقد ينقطع عرق في أعماق أحشائكم فنصر خون صراخاً يشبه أنين الثأين .
لقد يجيء يوم تزدرون فيه إلى الأذنة الواحلة عندما تطلبون ملذاتكم لتستنزفوا فيها قواكم البائرة فلا تجدون من السال ما ييلفكم أيها ، فتذهبون بنظراتكم الحائرة ووجوهكم الشاحبة المحسدة لتنطحوا على مقعد مفرد تحت ظلام الليل

أيها الأنايون المنتصبون كنهال من مصر ، المتفردون باخضاع كل شيء لتفكيركم ، أنتم المباهون بترفكم عن اليأس وبصمتكم في حساب الأرقام ، إذا ما سطا اليأس عليكم وأخطأتم في حسابكم يوم يزعمكم الأفلاس ، تذكروا (أبلار) وقد اختطف القضاء منه (هلويز) التي بلغ هيامه بها ما لا يبلغ معشاره حينك لحيادكم ودنائيركم وخيلائكم فإن هذا الماشق قد فقد بافترقه عن يبيد ما لا يمكن لكم أن تفقدوه أنتم ، حتى ولا يمكن أن يفقده أيكم إبليس لو عاد إلى الجنة ليسقط منها مرة أخرى .
ذلك لأن أبلار قد أحب هلويز حباً لا تقرأؤه في أية جريدة تصفحونها ولا يوح حتى نكيا لنسائكم وبناتكم لا في كتيبتنا ولا على مسارحنا - ، ذلك لأن هذا الماشق أمضى نصف حياته ياتي قبلة على جبين الحبيبة الطاهر وهو يلقيها الزامير والأناشيد ، ذلك لأنه لم يكن له سواها على الأرض

تذكروا هذا البتل واعلموا أن الله قد أرسل إلى قلبه المراء والسوان . . . فإذا ما تذكركم هذا الماشق والحنة التي حلت به فإن كفر فولتير ودعائت كوزيه تفقد معناها في نظركم فتعلمون أن العقل يمكنه أن يشق الإنسان من أوهامه ولكنه

ملذاتكم في المراقص والسارح ، إنكم ستمودون في آخر الليل إلى مساكنكم لتقرأوا قبل استسلامكم للوسن أشياء من كفر الشيخ فولتير أو مداعبات كوزيه ، أو خطب مجلسنا النيابي عن الاقتصاد السياسي ، فأجيزوا لي أن أوجه إليكم هذا الرجاء ، ولكل منكم ما يروح به عن نفسه راحة هذه النبتة السامة التي زرعها العقل في قلب حضارتنا :
إذا ما وقع هذا الكتاب الوضيع صدفة بين أيديكم فلا توجهوا إليه بسمة الاحتقار ولا ترفضوا اكتنافكم مستهزئين . لا تقولوا وأنتم تخالون أنفسكم في حرز أمين إن واضع هذه الفصول مصاب بداء الأوهام ، ولا تظنوا أن المقبل أو ما تمتبرونه عقلاً هو خير مافي الإنسان من قوى ، وإن حقائق الحياة قاعة على حركة المضاربات المالية وورق الميسر ولقيذ الخمر وصحة الجسم وعدم البالاة بالسوى ، وعلى فراش وثير تمددون عليه عضلات توترت بالتهوهات تحت جلد ناعم يبيى بالمطور

لا تفتروا ، فقد تهب يوماً عاصفة هوجاء على حياتكم الهادئة ، ولقد ترسل العناية الآلهية صرصرأ على الأدواح الباسقة التي تسقونها من مياه النسيان الراكدة . لستم بآمن من عثرات الآمال فإن في أعماق عيونكم دموعاً ، أيها المنحصبون بالجلود ، وأنا أقول لكم إنكم معرضون لخيانة خيلائكم وما تهتمون لهذه الحياة اهتمامكم موت أحد جياذكم ، ولكن اذكروا أن المضاربات المالية معرضة للخسارة وإن أقوى ورقات الميسر قد تعطلد بأقوى منها ، وإذا كنتم من غير فئة المضاربين فلا تنسوا أن سمادكم وذهبكم وفنضكم مودوعة عند صيرى قد يزل به الأفلاس أو ممثلة بقراطيس مالية قد تسقط

الأكدر الذي يمشي بين
النخيل يترك القمر
يتقطر ، ان أيام مصر
ترتمش حولنا ، والسماء
يدفع اللحظات بين يديه
كمسحاة سوداء ،
والسكون ذاته صلاة
غريبة ، والرمال تتألق
كالحرير الأرجواني .

سيرة أبي الهول

مشرقية شعرية في أربعة فصول

للكاتب الفنى مرسى رستان

بقلم الأستاذ خليل هندأوى

لى من العمر عشرون ، وما إلى أحبك !
الماشقة : هناك اللامتناهين لهما من البحر رفته العميقة
الماشق - منذ أى زمن تهوئنى ؟
الماشقة - أنى لى أن أعرف ؟
الماشق - ألا تعرفين ؟
الماشقة - يجب أن أهولك من اللحظة التى
كنت فيها ، وإنى لأذكرك فى كل أيام الجميلة !
الماشق - قد انتصف الليل
(ينهر)

الماشقة - أين ترى الساعة ؟ أه إلى أريد
ألا أعرفها ، فبصوت المؤذن الذى يتعالى لا يصل
إلينا ، هنا الساعة تخفى على استحياء ثلاثا نشعر بها

الفصل الثالث

أبو الهول الأكبر

الصبراء الترابية ، الليل الشامل ، الفضاء ، الزمان ،
ضباب ذهبي يفسر الأشياء ، وأبو الهول الشامخ يبدو
بين الأشياء كأنه السكان الجديري الوجود .
يرتفع السار : الليل داج ، والنيوم تنزاح قليلا
قليلا ، يبدو القمر والنيوم ثبت واحدة فواحدة كأنها
تنصر من النور ، وأبو الهول كأنه ينصر من الظلمة ،
وعلى قدى أبى الهول عاشقان مصريان !

المشهد الأول

أبو الهول ، الماشقان

الماشق - بحب المودة مريناً ؟ انظرى لاليل

ولتذهبوا إلى أبواب المابد محاولين فتحها فتجدها
مقفلة في وجوهكم فيخطر لكم أن تاجأوا إلى الرهينة
التي لا يخرج النذرون منها إلا إلى قبورهم ، ولكن
الافدار تسخر بكم وتقتف البكم بزجاجة خمر وامرأة
عاهرة ، فلما ما كرمتم الخمر وقدمتم الماهرة الى
فراشكم ، فتبينوا مصيركم واهلوا الى أية هاوية
تتحدرون

فليكس فارس

(يتبع)

أعجز من أن يشفيه من آلامه !
إنكم لتدركون إذ ذاك أن الله قد أوجد الحكمة
مدبرة لشؤونكم لاراهبة عجة تمنع على أسرة الأعلام
منكم . إنكم لتدركون بأن قلب الانسان لم يقل
كلته الفصل عندما أعلن أنه لا يؤمن بشئ لأنه
لا يرى شيئاً ...

إنكم فى ذلك الحين لتجولون أنظاركم على
ما حولكم مفتشين عما تتوسمون الأمل فيه

القرون — أيها الملك الحجرى ! بيم تأمرنا
فنعمل ؟ نحن حرس لك !
أبو الهول — لم أعد أريد حراستك ! فخذنى
وحيداً ، كم نجوم تنظر إلى ؟ أريد أن أغل وحيدى
هذه الليلة

القرون — نحن هنا دوماً نجزسك
أبو الهول — دعنى هذه الليلة السرية البارزة !
القرون — لنكن كلنك مسموعة !
(يسحب كل خيال مطاطاً رأسه إزاء أبي الهول
مددماً بصلاته)

الخيال الأول — يا سيداً من خنجر !
الخيال الثانى — يا أوزة الخلود !
الخيال الثالث — يا ملك الزمان !
الخيال الرابع — يا جدار التوائى !
الخيال الخامس — يا عجيبة مصر !
الخيال السادس — يا حكومة الموال !
الخيال السابع — يا زهرة حجرية من دهره
على صفحة السماء !

الخيال الثامن — يا خلية نابضة تخرج فيها
الاحضات عسلاً !

الخيال التاسع — يا وثناً خالياً من الرافة !
الخيال العاشر — يا شرفة المشاهد !
الخيال الحادى عشر — يا نور المشرق !
الخيال الأخير — يا آله السحب وداعاً !
(تتوارى القرون ، أبو الهول وحده مع الليل والنجوم)

المشهد الثالث

أبو الهول وحده

أبو الهول — بلى ، لأترك وحيدى ، ذلك خير !
أيها الليل إنا وحدنا الآن ، ليرم أحدنا

المشرق — إن الساعة قد تسجل فى قبة
السماء الملائى بالنجوم ، لأنها تحدد الزمن بضربة
حزينة ؛ إبرتها السائلة هى إشعاع القمر الوهاج
الذى يهبط من عل ليعمل على تفرقنا ، يجب أن
نذهب ... هيا !

الماشقة — لماذا هذا التبكين ؟ فالرجوع
هو الموت ، وأنا أريد أن أحيأ على فك ! الحياة
بدونك هى صحراء مخيفة جدا ، والهواء الذى يعجبك
يجمأنى أغار أحيأنا منه . أريد أن أتم عينيك وفك
الماشق — إن شفيتك رقيقتنا

الماشقة — ومن أحب مثلنا ؟ لا أحد ...
هذه المرة الأولى التى يبنى فيها أن يحبوا كما أحبتك ؟
ونحن ابتكرنا هذا الحب . ألا قبلة مستطيلة أيضاً
تعلمها على فى المذهب ونمود بعد ذلك يا حبيبى !
الماشق — حبيبى !

(يتماغان شديداً ، ثم يتصدان
والفتنة تلفت إلى الوراء)

الماشقة — هل رأيت ؟ لقد كنا فى ظل
أثر ... يقال إنه ذو وجه خالد جميل ، كم غبر به
من السنين هنا !

الماشق — إننى أجهل ذلك ...
الماشقة — سرجع يوماً إذا شئت مع الفجر .
تعال فضع قدمك موضع قدمي ، فاعسى يكون
أبو الهول ؟

الماشق — لا أعلم ...
(يتصد الخبيان)

المشهد الثانى

أبو الهول (وحده)
القرون
تهب القرون فى منتصف الليل وكن جالسات كالأشباح
السوداء على قدى أبي الهول

الآخر ! لقد سمعت — طيلة النهار من الأنوار
الوضاءة ، وحين تمودنى بارد الأنفاس ، وتحط
رحالك على حجرى ترتاح روحى ، أنا فى النهار
مخلوق كبير من حجر ، ضرع أصم ، حتى إذا
جئتني غمرتنى بحياة جديدة ، وأصبح القمر
مرسوحى التى بها أجلب الهواء
أبها الليل البالغ من الكبر عتياً ها نحن
شاخصان وجهاً لوجه . لننظر ، فالشمس النابتة
تحمل أشعتها ، وأن باستطاعتنا — حين تبعث
فى الروح — أن نتحد اتحاداً سامياً .
ماذا نقول ؟ وأنت مائل بإتسامتك الفضية ،
هل نعلم من هذه الكائنات والناس والآلهة والموتى
شيئاً ؟ هنالك سمير اميس ، وهنالك ساردانا بال .
وهذا الرماد الشاحب ، إنهم يدعون هذا كله
صحراء . . . الصحراء كلمة كبيرة ذهبية لاتشبه
شيئاً ، وعليها بدأت تنزل عظمتك وكبرياؤك .
هذا هو الرماد . الرماد ، الرماد ، . . . هذا

— أبها الليل — هو رماد من لحونا فى القديم .
إنهم ينقمون على صمى ، ولكن من ذا أكلهم فى
هوى السحبة ؟ فالنهار طفل لا يعلم شيئاً ؛ النهار
هو ذلك الطفل الكبير الثقاتل الذى يضحك ؛
حين يكون الانسان مثلى ، يقدر أن يتكلم مع
الليل ، مع الليل وحده لامع سواء ؛ على شفا
اللاهية المسدلة قناعها . إن عندى أسئلة ، والليل
عنده نجوم ! (يتهد)
مجومك ، أعلم أحماءها الخفية ، وفاظرى البعيد
فى الليل يتسأى إلى تلك السيون ؛ وأنت بماذا
تفكر ؟ أليس الأجدد بهذا أن نصمت ؟ موسى
لم يكن مهده إلا لحداً فسيحاً ، وقبصر كان ذلك

المقاتل الذى لم يمد ، بل ؛ نعلم حقاً ما علمناه . قد
وضع هنا قيمته المجدولة من طين . « قبصر » اسم
زاد جداً لحظ زائل ؛ وماذا نقول عنه أبها الليل ؟
وعن ذلك المحارب التحلى بالزايا الرومانية ؟ قبصر
الكبير مات ميتة راح حقير . ليس القبصر بقبصر
إذا لم يملك على كليو باطرة ، وهذا اسم عظيم أيضاً ؛
يُخيل إلى حين أفوه بهذا الاسم أن المساء زاد
نداءة وطرارة ، وأن القضاء غمرته أسوات نواقيس
كانت تاتى إلى هذا المكان ؛ أما نرى أثرها
فى هذا الطريق ؟ ألا تذكر مثلى ؟ ألا تذكر ؟ لقد
غير عشرون قرناً دون أن يطمس أثر قدمها ، ودون
أن يبديد وجودى شيء . كانت تضحك وتغشى
بخطوة خفيفة ، هى خطوة اللسكة الراحلة . كانت
تضحك وأسمع ضحكها أحياناً ، وما أسمع مثلى
رنين ضحكها الطائفة بالغبطة والسعادة ، كأننا
سامعها يخيل إليه أنه يرى لؤلؤة تذوب .
(كأنه يسمع صوتاً قليل يدوى بالقرب من أذنه)
أنت تقول إنها كانت شقراء ، وأظن ذلك
حقيقة . ألا ترى أضحك سخرية حين يرد هؤلاء
العلماء ، هؤلاء العلماء ، هؤلاء الجهال ، أن يمشوا
الناصى وينشروا الغبار ؛ وإنما أنت وحدك ، وأنا ،
نهم فى هذه الأجواز المظلمة ، وأنت وأنا قد رأينا
كل شيء .

بل ؛ قد تكون أنت أكثر علماً منى لأنك
تهوى على الآفاق البعيدة بجناحك الكبير الأزرق ،
تدور أنت حول الأرض ، وأنا أبقي راسياً فى مصر ؛
ولكنك لا تدرى — برغم ذلك — مرأ أنا أدرى به
منك ، سر ليلة تموز ، وليلة ايلول ، لأنى كنت
أفكر حين كنت ترتجف ؛ هنالك سر أمله دون

باريس — إن صوتك ، من أعماق الوجود قد
نأدى روحينا . إيه يا أباهول ، الآلهة التي ليس
بآله ، والمرأة التي ليست بامرأة ! أجبنا ! لقد
دعوتنا فجئنا

مارسيلوس — لقد جزنا طرقاً مظلمة ،
ووصلنا طارحين هنا ذلك العالم .

أباهول — وما يجدي الكلام مني ؟ كل
مخلوق لا نفع له . لا جواب لكما عندي . انطلقا
في طريقكما

مارسيلوس — لقد قلت لنا « تعالوا » بأهجة
ليست بشرية

أباهول — لا أذكر هذا النداء لأنني كنت
أنتي ندائي في طيات السكون لا أعين أحداً . هذا
حق . ولكني لا أعلم من يبنى أن يحفظه ،
ولا أدري أبداً من يجب أن يلي ويأتي ...

مارسيلوس — نحن !

أباهول — (بحسرة) انما ؟ وما تمنيات
بذلك ؟

مارسيلوس — (يزعم) بلى نحن ؟ رجلاً
يرغبان في كلامك

أباهول — (يهتفه)

رجلان ... وما معنى ذلك ؟ رجلاً ؟

مارسيلوس — وقد ساورها التلق .

أباهول — (هائلاً) هل تعلم قيمة الرجلين
عندي ؟ لإنهما أحقر من حبتين من الرمل في
الظلام البشري ، لأنني رأيت من البشر ما يفوق

عدداً ما رأيت من الرمل

مارسيلوس — ولكن في كل رجل إنسانية
بأسرها

الورى وحدي : لقد ظن « أوديب » أنه سيقدّر
على استخلاصه من ذات مساء ، وقد ذهب يمشي
اللاً بانتحاري . هأنذا أضحك ساخرًا ، لأن أباهول
يحيا بيننا هلك (أوديب)

أأقتل نفسي ؟ بالسخرية للقدر ! لقد التهمت
الأفئدة من كل مكان ، ورأيت الجميع يبیدون
وأنا باق سرمد ! أنتشقي الظلمات كالفجر ، وأضرب
بسياطي القرون التي تتقهقر ! وأحياناً كنت أبتني
أن أراق ، وأن أمد يدي إلى الهجاز الانساني ،
ولكن الموت كان يكر عاجلاً ، والرجل الصلب
كان عمره أقل مدى من خطرة من خطراني !
(يبدو مارسيلوس وباريس)

المشهد الرابع

أباهول ، مارسيلوس ، باريس

باريس — إن الطريق الموحش الذي يؤهل
بنا إليه قد انتهى ، وها هو ظله يتراءى لنا في الليل .
هذا هو ! لنقترب في هذه الظلمة الحالككة ، ابدأ قبلي
بالكلام ، فإن بي خشية

مارسيلوس — لا ! كن أنت البادئ
يا أخى !

باريس — أنت !

مارسيلوس — كله بأسلوب لين !

باريس — الظل الذي ثقب — هذا الماء —
موضع عينيه يُخيل لي أنه يخرج عنهما نظرة عميقة
كالوجود :

أباهول العظيم ! نحن هنا . . . لقد سمعنا
نداءك المجهول وقد أتيناك .

مارسيلوس — بلى ! قد أتينا !

لساذًا نحيا ، ومن هم الناس ؟ أنت الذى تعلم سر
الكون يبنى أن تقول لنا

أبو الهول — (بسفريه) :

هل تظن أننى أعلم ؟ لا أعلم إلا الابتسام ...
سر الكون ! وهل للكون سر فى الحقيقة ؟

باريس — أجب ! ماذا نصنع ؟ ما هو لنا ؟
وأين تتوارى هذه العوالم ؟ هذه النجوم ؟ وهذه
الوجود ؟

أبو الهول — ولهذا جئت تكثر على هذه
الشاهد ! دعنى ! أريد أن أنام ...

باريس — قلت لنا : تعالوا !

أبو الهول — قلبكم المضطرب صور لكم ذلك .
إنى أنادى : تعالوا نداء غير مقصود . وليزعم من
زعم أنه نودى فى هذا الظلام . انظروا إلى هؤلاء
الأطفال الذين ارتدوا الكبرياء ؛ هؤلاء الأقزام ،
أقزام لحظة يأتونى ويزعجونى ... هذه الصحراء
الترامية الأطراف ، الحمراء اللون مثير راحى .
فلنتركوفى نائمًا ...

باريس — ستحدث إلينا !

أبو الهول — ومن يجرح على التكلم كالآمر فى
هذه البقعة ؟ أين تراك قائمًا فى أى مكان ؟ أنى
أود رؤيتك . أجاهل أنت تلك المصورات التى تحيط بى
من كل جانب ؟ أجاهل أنت أنى إذا أومأت بإشارة
صغيرة هرع يلى — لإيماء — ثلاثون قرنًا —
لحنية صاغرة لندائى !

باريس — كفى ...

أبو الهول — لا يستول عليك الغضب ! فقد
ألفت أن أسمع مثل هذا الصياح ، وأرانى محتملاً
كل هذا بسكون نفس . رأيت كل شيء يزول من

أبو الهول — أنظر إلى ما تبقى لى من عشرين
قرنًا بشريا ! هذا الرماد الذى أضع عليه غالى ...
لا لا ! دعنى وحدى فى هذه الزاوية ، فلا شيء
عندى أقصه عليكم أيها الرجال الذين تحدثونى !
بمحدث الوحيد هو هذه الهوة للكون . فم
تريدون أن تتحدث يا كائنات عمرها عمر ساعة !
هنا الذى يحيا دوماً إزاء من يموتون . ليس بيننا
صلة تربطنا ! إننى لم أعد أنى أبداً الكائنات التى
أحببتها . فى البدء حين كانت الريح تهب علية
رفيقة ، أملت ناظرى إلى هذه الكائنات البشرية
وما كنت أدري أن سيدركها الفناء وشيكاً ؛
ولكنى رأيت كل هذه الكائنات تهوى إلى
التحدر ! وهكذا أصبحت لا أريد أن أجعل
ناظرى المحجى الروح فى هذه الانسانية الزائلة
بمرارة

دعنى أنظر إلى السماء أيها المخادعون !
فالكواكب أطول عمراً من البشر ، وانطفأوا
أبعد من انطفائكم

باريس — ربما كان ذلك ! ولكن هذه
النجوم السابحة فى السماء اللطيفة ، هل تراها تتألم ؟
أجفانها القضية ، ونظراتها النورانية ، ربما
كان لها فى الأعلى خفقات أكثر طولاً ، ولكن
الشيء الذى لا تملكه فى سمائها الزرقاء ، هو قلق
الإنسان الممدود على هذه الأرض ؛ وإذا قدر
للإنسان هذا الحظ المتقلب — كما قلت — فذلك
لأنه سريع الاشتعال ، سريع الانطفاء

مارسيلوس — ولهذا ترى أرواحنا تروح
تحت الألم — وأنت المشرع علينا ، التاوى على
صخرتك الباردة ، تريد منك أن نعلمنا بصوتك —

قديمك - يضع زخرفه كزينة تتقاذفها
الأمواج ؟ وأكبر آثارنا الرقيقة تندو خواتم في
أصابعك !

لا لا لا... سوف تكلمنى... لأنى أريد
ذلك !

مارسيلوس - نتكلمنا ؟

أبو الهول - من قال : أريد !

باريس - أريد ...

أبو الهول - ما عمرك ؟

باريس - فى الثلاثين ...

مارسيلوس - فى العشرين ...

أبو الهول - (ساخراً)

المشب أطول عمراً منك ! أطفال ! أطفال !

عشرون ربيعاً ! وتقولان هذا ! ترفضان الرأس

شامخاً وجفونك فى اضطراب . لاحق لك فى

قولك . عشرون عاماً ! لحظة قصيرة ، نظرة ،

بسمه ، وإنها تلك الدلة التى أقضيتها لتجربك صرقت

الكبير . وتهدة واحدة منى لها نصف هذا العمر .

ولكن الفضاء هنا مغمم بالكهولة الخالدة . وهذا

هو الخلود يصفر على جناحى . هذه الشجرة ؟ هذه

النخلة البعيدة ؟ رأيها حين وجدت ابنة فرعون

موسى عارياً فى ماء النيل . عشرون عاماً ! يا لها من

جرأة غريبة ! تقول عشرون عاماً أيها الطفل !

الذى يستقد بها ويُرعى عيماً . أيها المشبة بالحقة

الناجة على قلبى القاسى ، يبنى أن يكون له عشرون

عاماً حتى يكلمنى بهذه النجاة !

مارسيلوس - البطل إذا كان أكثر فتوة

وشباباً ، كان أكبر عظمة !

أبو الهول - إذا لم يكن لك إلا العشرون

فلقد ولدت إذا الآن . عد إلى بصد أنى عام

ألجة وكهات وأنجرة . رأيت نابليون ولم أرتع
لرؤيته ...

باريس - أراك تقابل كل الجهود البشرية
بإسماة التهمك !

أبو الهول - لا لا ! إننى لأسخر منه ولا أنهمك

إننى أحيا بدمه ! ماذا تنتظرون منى ؟ أكلت ؟

أصدقاء ؟ أنا لم أعد أعياً بشيء لكثرة مارأفت

وأشفقت ! الحقيقة ! سل القمر عنها . قد رأيت

كثيراً من الحقائق ، حتى أوقن بوحدة منها

مارسيلوس - يا أبأ الهول !

أبو الهول - حقيقة ! لقد رأيت أكثر من

عشرين حقيقة . كل الحقائق ترحف إلى هذا المكان

باطلاً زحفها . وكل حقيقة مائة الآماء الذى

لا ينضب ، فذرونى أنام فى لحذى الرمل !

مارسيلوس - لا لا لا ... ستقول لنا

باريس - لقد كنت مضياً ، كنت شاعراً ،

وكانت الجملة تترقب لى ، وقاعة التمثيل مقام

دعوى . أردت - يوماً - أن أولف قطعة عنك .

وبينا أفكر فيها وأجمع الفكر حولها ، إذا بى أدراك ،

أراك تتخايل - فى قلب آياتى وتنادبنى ويسمكت

- فى الليل - كانت تضىء لى مهراتى ، وإسكت

حين يذكربى فى روح البقطة

أبو الهول - سه ! إننى لم أدر شيئاً

باريس - ها أنا ، ذو الشهرة الكبرى التى

لبث (پاسكال) قلقاً من أجلها ، شهرى فى شهرة

« موسى » المتفرع للآله حين خط على صحيفته

اسمك العظيم الحزين . إن اضطراباً عنيفاً يرسو فى

روى . لقد عرپت منى كل شيء كنت أعبد

وأقدسه . أنت وحدك عظيم . أنت وحدك الذى

تخشا القلوب . أنت وحدك جيل الفن - تحت

الساقية الزرقاء حسامه ، لأنه طرح يوماً سيفه في
وثبة عظيمة من وثباته ، ولما أشرق النهار رأيت
هذه الساقية تلمع

ماذا تريد أن تعلم أيضاً ، يا واضح الأسئلة ؟
كل هذه الأسماء العظيمة التي لبثت نفوس أصحابها
شاحبة باهتة . كل هؤلاء القياصرة وهؤلاء الملوك
هؤلاء كلهم عندهم أموات الأسماء ، عرفتهم
وعاشرتهم . كل هؤلاء رأيتهم . يموتون كالأشياء
الحقيرة ، لأنني كنت الشاهد الذي يرى كل شيء
يتلاشى أمام عيني

كنت المحكم الخالي من الرأفة ، والقارب
الفارغ من ملاحيه ، والملاك من غير فردوس ،
وملاكة البحر من دون أمواج ، والماشقة من غير
قبلة ؟ وفي سريري المجري أرى كل شيء يركض
إلى زواله ، ويعلم أن الوجود هو القضاء ...
باريس — لا تريد هذا ...

أبو الهول — ماذا تريد أن تعلم ؟ أنسألي من
أوديب ؟ إنه كان مسلماً كلوكنا . لقد كذب كثيراً
ها أنت ترى أنني لا أزال هنا

باريس — لا أطلب هذا ...

(يتبع)
فيليب فنباري

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوتة الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها محمد حميد الزيات

وهي قصة طالبة تصد بحق من آثار الفن الخالد

وعنها ١٥ قرشاً

وحينذاك تتكلم . لقد سئمت من الليل ، وضجرت
منكم ومن أسئلتكم ، أريد أن أنام قرناً دون أن
أجيبكم !

عشرون عاماً ! أجل قصيراً يكفي للؤلؤة تنفتق !

كليو باطرة — عمر نظرتها إلى النهار وهو يشرق !

جوليت — عمر سماحها بقبلة !

روميو — ذاك الطفل الوديع الجميل الذي

قال لأبي الهول بأن له عشرين ربيعاً

مارسيلوس — كفك سخره مني !

أبو الهول — أنا ساخر منك ؟ إنني أحدثكم

لأنكم أردتم أني على ذلك . حسن ! سأنام قرناً . فإذا

تريدون أن تلمعوا يا عابري الطريق ؟ إذا كانت

كليو باطرة ذات غداً لائمة أو سود ؟ كنت

أحدث الليل عنها هذا الساء . لقد كانت غداً

ذهبية ، أذكر ذلك ، وهل تعلم أنها لم تكن جميلة

باريس — ولكن ...

أبو الهول — أن هذا يدهشك حقاً ...

ولكن أصنع إلى انصحة زهرة عظيمة ، وعنق شفاف

إنني لأبسط على كل شيء وجهها القريب الوردى

الذي لا يؤسر . وجهها القريب الطافح إلى الأبد

بالرقة الساخطة والجمال الثائب

آه من ذلك القارب الملآن بالمبيد والطوب

الغائب دون أن أراه ! الملاك التي تتلاشى في القبل

وفي السحرة ؟ في المشاهد الخلابة أحبوا كثيراً وشغفوا

كثيراً بهذا الوجه الصغير ، بهذا الوجه الزائل .

لقد مالقوها كثيراً ، وهذا هو كل أسطورتها

أنا نفسي كنت مستهماً بها ؟ وقبل قليل

نطقت باسمها فقطرت من عيني دموع

والآن ماذا تريد أن تنتزع مني ؟ أأسناداً وأدلة

أم أذاعات من قيصر وبومباي ؟ قد تكون هذه



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بأفكار من روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البهود المصرية

الرسالة : تصور مظاهر العقيدة للأمة المصرية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب المصرية

الرسالة : تنجي في الفن أساليب البوغة المصرية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنبها مصرنا ، والبلاد العربية بخمسة ٢٠٪

طبعت بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ - تليفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

برلن أوتسترالك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ من العدد الواحد

المودارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والبرائح

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثامن ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ — ١٥ مايو سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



فهرس العدد

صفحة	
٤٥٨	الحب المملون ... لبي دي موباسان ... بقلم أحمد حسن الزيات ...
٤٦٢	إبلى ... أفصوة مصرية ... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ...
٤٧٠	يوميات نائب في الأرياف ... صور مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم ...
٤٧٦	الفرسق ... صورة ريفية ... بقلم الأستاذ محمود الحفيف ...
٤٨٤	الشيطة ... لبرنار نابون ... بقلم الدكتور محمد الرافعي ...
٤٩١	السيدة نكولتش ... للكاتب النموي آدم مولر ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...
٤٩٧	المرائب ... لفصصى الروسى تشيرلكوف ... بقلم نطفى خليل ...
٥٠٥	اعترافات فتى الصر ... لألفريد دي موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس ...
٥١٢	الأوذبة ... لهوميوس ... بقلم الأستاذ دريني خشة ...
٥١٦	سر أبي الهول ... لموريس رستانت ... بقلم الأستاذ خليل هندواى ...



- ١ -

عنه النضب . ثم بلغ به الرضا أن اعتراه القلق على ما صنعت ابنته الأحداث ، فأقبل يسأل من بينها أخلاءها القدماء الذين لا بسوها ، فلما أكدوا له أنها تنبسط على النعيم بين الأثاث والرياش ، وأن لديها كومة من الأواني الملونة منضودة على رؤوس الدافئ ، ونخبة من المناظر الجميلة مرسومة على وجوه الحوايط ، فضلا عن الساعات المذهبة المعلقة في كل مجلس ، والطنانيس الفاخرة للبسولة في كل ممشى ، جرت على شفثته بسمة خفيفة ، لأنه منذ ثلاثين عاماً يكذب فلم يجمع غير خمسة آلاف فرنك حقيرة ؟ فالبنية على كل حال ليست غبية !

وفي ذات صباح جاء فيليب بن توشار صاحب مصنع البراميل ليخطب إليه ابنته الثانية روز ؛ فقد فؤاد الأب دقات الفرح ، لأن آل توشار من ذوى الثراء والمكانة ، فهو قطعاً سعيد الجد في بناته . ضرب الأب موعداً ليوم العرس ، وعقد النية على أن يحفل بالاحتفال به نقياً ، واختار أن يقام بسنت أوديس في مطعم الأم (جوزا) . ذلك يقتضى زيادة الكلفة والنفقة ، ولكن لا بأس !

إن المرة الواحدة لا تصير عادة !

وبينا كان الشيخ وابنتاه يهياون ذات يوم

كان للسيد (فاى) ثلاث بنات : أنثا ، وهي البكر ولم يمد لها ذكر في الأسرة ؛ وروز ، وهي طريدها في العمر ولم تتجاوز الثامنة عشرة ؛ ثم كاير ، وهي الصغرى ولا تزال غضة الحدانة في ريعها الخامس عشر . وقد أشبل الأب عليهن بعد وفاة أمهن فلم يتزوج

كان السيد فاى مدير الآلات في مصنع من مصانع الأزرار ؛ وهو رجل شهم الفؤاد ، مرمى الجانب ، رضى الخلق ، عزوف النفس ، مثال للعامل الصالح ، وقد اتخذ مسكنه في شارع (انجولم) بمدينة الهافر

ولما هتكت ابنته أنثا رداء الحشمة ، وأطلقت لنفسها عنان هواها ، أخذها المقيم المقصد ، وتوعد الذوى الأثيم بالقتل والنوى غلام غريب رأس قبا من الأقسام في متجر كبير من متاجر المدينة . ثم وقع في سمه من بعض الأفواه أن ابنته استقامت على الطريق الأمثل ، وأحسن القيام على ما جمعت من المال ، وأطاعت إلى الميش الطليق في ظلال السيد دوبا ، وهو قاض فاني الشباب على السن من قضاة المحكمة التجارية ؛ فقررت فورة الوالد وسكت

فأذنت لها أننا راضية منتبذة . وجعلوا أجل الزواج يوم الثلاثاء الأخير من هذا الشهر

— ٣ —

أخذ موكب الزفاف سبته بمد للواضعات المدنية في دار العمدة ، والطقوس الدينية في الكنيسة ، إلى دار أننا . وكان آل تاي قد دعوا من أصدقائهم العمدة لا موندوا ، والمم سوفتني وهو شيخ متفلسف متكاف بهم بالقيود ويحتفل للنظام . وقد انتخبوه مراقبا لنا ، وإنما قرأوا أحدهما بالآخر لأنهما أبرز من بالحفل شخصية وأرفع مكانة . ولما بلغ الركب منزل (أنا) تركت قريبها وتقدمت الموكب قائلة : « سأهديكم الطريق » ثم صعدت السلم عجلى وتركزت موكب المدعوين ينقل خطاه في وراء وبطء . ثم فتحت الفتاة الباب وأفسحت الطريق للمدعوين فدخلوا مشدوهين مأخوذين بحول عيونهم في الأثاث الفخم ، وتدورهم ومهم في البيت الأنيق . وكانت قاعة الطعام لا تتسع للمدعوين فدت المائدة في البهو ونظمت فوقها أداة الطعام وآنيته ، وصفت عليها دوارق الصهباء فوقع عليها من الشبابك ضوء من الشمس لآلا نضارها ومشع سناها

دخل النساء غرفة النوم يخلن ما عليهن من قبعات وشيلان ؟ ووقف الأب توشار على العتبة يخلتس النظر الخبيث إلى السرير الواطيء المريض ويشير إلى الرجال بيديه إشارات الجون والدعابة . وسار الأب (تاي) الوقور وقبعته في يده ينتقل من غرفة إلى أخرى . وهو ينظر إلى أثاث ابنته الفخم نظر الزهو الفخور ، ويلاحظ قطع الرياش لحظ الفاحص القدر وهو يعشي مشية قيم الكنيسة في أبهاء الكنيسة . وكانت (أنا) لا تنفأ ذاهبة آتية

للنداء ، فتح الباب فجأة ودخلت أنا عليها أنفر الحلل ، وفي أسابعها أنفاس الخواتم ، وعلى رأسها قبعة صراشة ؛ وكانت في هذه الزينة عذبة الروح خفيفة الظل ، فوقعت على صدر أبيها وأخذت بمنقه فلم تدع له وقتا ليقول : (أف) ، ثم ألفت بنفسها بأكية في أحضان أختها ، ثم غيقت دمعها ومسحت ماسال منه وجلست إلى المائدة وطلبت طبقا لتشرب الحساء مع الأسرة . وفي هذه المرة تخن الأب (تاي) وتعلف ، حتى يأك ابنته رقة ورحمة ؛ ثم قال مرة بعد مرة : « حسن يا ابنتي ! هذا حسن ! » وحينئذ أخذت أنا تذكر ناجات لأجله : ذكرت أنها لا تريد أن يقام عرس روز في سنت أدريس ، وإنما تريد أن يقام عندها وتتحصل هي أكلان الزفاف فلا تكلف أباه شيئا . لقد أمضيت النية على هذا الأمر ، وجمعت الأهمية لكل شيء ، وقدمت النفقة عن كل عمل . فقال الأب مرة بعد مرة : « حسن يا ابنتي ! هذا حسن ! » ولكن شيئا من الشك تخالج في صدره فقال : ليت شمري أيقيل آل توشار هذا الاقتراح ؟ فأجاب روز وقد بنها هذا السؤال : ولم لا يقبلون ؟ أترك لي الأمر ، وسأذهب إلى فيليب فأكله فيه . وفي اليوم نفسه ذهبت روز إلى خاطبها فيليب وحدته في اقتراح أنا فارتاح له ، وعرضه على أبويه فاقت في وجههما السرور ظمعا في غداء هنيء . مري لا يشكفان له كلفة ؛ ثم قال : « لا ريب أن الحفل سيكون هناك أنخم ، فان السيد دبو يتقلب في الرخاء ويتمرغ على الذهب » ثم استأذنا في أن يدعوا صديقتيهما الآنسة فلورنس طاهية الأسرة التي تسكن الطبقة العليا من المنزل ،

طلب أمه، ونهض يائماً والتفت إلى (أنا) على سبيل الأدب والتظفر، وبحث عن أغنية من الأغاني التي تناسب مقتضى الحال وتوأم جلال المأدبة. وانخذلت (أنا) هيئة السرودة وتطرحت إلى الوراء على كرسيها لتسمع. وبدأ على الوجوه المصنية اقترار من السرور والمهم؛ وأعلن الفتى المفى أنه سيفنى (الخبز للمون) ثم دور ذراعه اليمنى على صورة قرص وأخذ ينشد:

إن الخبز المبارك هو ما تصنعه الأرض؛

ولا بد أن تقتله بسواعدنا الفتية؛

ذلك هو خبز العمل الذى يقدمه الرجل

الصالح فى المساء إلى بنيه وهو جذلان مقببط.

ولكن هناك خبز آخر يفتن النفوس ويفوى:

ذلك هو الخبز للمون الذى زرعت لهلاكنا جهنم.

أيها الأطفال لا تلصوه! إنه خبز المار والخطيئة.

أيها الأطفال الأخرمة! حذار أن تمسوا ذلك

الخبز للمون!

انفجر المدعوون بالتصفيق وأطالوه فى حدة

وشدة. وقال الأب توشار: «ذلك شيء فى محله».

وأدارت الطاعية للمدعوة فى يدها قطعة من الخبز

ونظرت إليها فى حنان وإشفاق. وقال السيد سوفنتين

مغمغماً: «حسن جداً». ومبعتها العمة لأموندوا

عينها بفوطتها. وأعلن الرئيس أنه سيفنى القطوعة

الثانية، وانطلق ينشدها بقوة وحمية:

احترموا ذلك البائس الذى حطمته السن العالية

نجاء يستندى الأكف على قارعة الطريق.

ولكن احتقروا ذلك للتبطل الذى يترك العمل

وهو صحيح البدن جم النشاط ثم عمد به للوال.

إن الاستجداء مع القدرة سرقة من المنتج

ترعى النظام وتستمتع بالطعام وتوفر الجمال للمأدبة

وأخيراً وقفت على وصيد غرفة الطعام الماطلة

من أنفها وصاحت فى القوم: «تناولوا هنا بأجمعكم

لحظة!» فسارع إليها الاثنا عشر مدعوا فوجدوا

اثني عشر كوباً من خمر مذهب مصفوفة على صورة

الأكليل فوق منضدة عالية؛ وأخذ كل من المروسين

بخصر الآخر ووقفوا فى أحد الأركان يتبادلان

القبل؛ وظل السيد سوفنتين يشهد (أنا) بالنظر مسوقاً

بتلك الرغبة وذلك الرجاء اللذين يحركان الرجال

حتى الشيوخ والسوخ إلى النساء الحسان كأنما

يفرض على الأنثى واجب الحرفة والزام الصنعة أن

ينزلن عن شيء منهن للذكور

أعدت المائدة وجلس إليها القوم: أهل الزوجين

فى طرف، وبقية الناس فى طرف؛ وتصدرت

فى اليمين الحماة، وتصدرت فى الشمال المروض؟

وأخذت (أنا) تمجمل بالمسالى المدعون أجمعين فلا

تدع كاساً تفرغ ولا طبقاً ينقص. ولكن رهبة

الاحترام ووازع الاحتشام اللذين بهما فى

النفوس نغامة المسكن وأبهة الخدمة، ألجأ الأنواء

وشلا الجوارح. إنهم يأكلون أشد الأكل

ويطعمون أجود الطعام، ولكنهم لا يحرحون

ولا يحرحون كما يفصل الناس عادة فى ولائم

الأعراس. كانوا يشعرون بأنهم فى جو تشيع فيه

مهابة الجلالة فبرمت الأم توشار بتلك الحال،

ففى بطبعها دعابة تحب المزاح وتطلب الضحك؛

وأرادت أن تسرعى ذلك الاقتباس عن القوم،

وكانوا قد أتوا على ألوان الطعام ووقفوا على

الحلوى، فطلبت إلى ابنها فيليب الرئيس أن يثنى

المدعون أغنية، وكان قد ذهب سمعه إلى الحى أن

صوته أرخم صوت فى مدينة الهافر؛ فلبى الرئيس

أبيها الأطفال الأعرزة ! حذار أن تمسوا ذلك
الخبز الملعون !

لم يرد البيت الأخير إلا الخادمتان والأب
توشار. أما (أنا) فقد انتسفلونها وكسر طرفها
التم، ولف رأسها الخجل. وأما الزوج المنفي فقد
ملكه الدهش وظل ينظر حواله نظرا ذاهل يحاول
أن يعلم السبب في هذا الفتور المفاجيء. وألقت
الطاهية قطعة الخبز من يدها كأنها مسمومة.
وحاول السيد سوفتئين أن ينقذ الموقف فقال: إن
القطع الأخير شديد مفرط في الشدة. وطفى اللم
في وجه الأب ناي فاجر حتى أذنيه، وتسعر القضب
في عينيه. وصاحت (أنا) في خدسها بصوت
يهدجه البكاء ويبلله الدمع أن يقدموا الشمينانيا.
وسرعان ما تطلعت وجوه القوم وثابت الى نفوسهم
البهجة. وكان الأب توشار لم يروم يحس ولم يع،
فظل يردد بين يديه قرص الخبز وهو يشبه
أبيها الأطفال الأعرزة ! حذار أن تمسوا هذا
الخبز الملعون !

ورأى المحتفلون قتاني الشمينانيا بأقنعتهم القضيبة
على أيدي الخدم فحيت في نفوسهم ثورة الماضفة
وزجر في حناجرهم صوت الرعد وصاحوا منشدين:
أبيها الأطفال الأعرزة ! حذار أن تمسوا ذلك
الخبز الملعون !

الزيات

المباراة القصصية

طلب إلنا كثير من الكتاب أن نعد في أجل المباراة
في الأقصرصة لوقوع الأجل الأول في أزمة الانتجبات.
فتزولا على إرادتهم مددنا الأجل إلى آخر يومه

التي أو هن عظمه الكبير .

وسرقة من العامل الذي قوس ظهره العمل .
خزى لمن يمش على خبز الجول والكسل !
أبيها الأطفال الأعرزة ! حذار أن تمسوا ذلك
الخبز الملعون !

نهض القوم أجمعون واقفين حتى الخادمتان ،
وأخذوا يرفمون مفارم البيت الأخير . وكانت
أصوات النساء الناشئة الحادة تقطع أصوات الرجال
الرزينة المثلثة . وكانت البعة والعروس تكيان أخر
بكاء ؛ والأب ناي يخط في صوت كصوت البوق
المزدوج ؛ والأب توشار يردد جازعاً بين يديه قرصاً
من الخبز ؛ والطاهية الصديقة ترسل عبراتها
الصامتة على قطعة الخبز التي لا تزال تكاد في يدها
المذاب ؛ وقال السيد سوفتئين في وسط هذا
الجزع المام : « ذلك هو الكلام الحر والنزى
الصحيح ، لا ما كنتم تريدونه من الجون والدعابة »
كذلك أدرك التأثير . (أنا) فارسلت قبلتها إلى
أختها ، وأشارت إلى زوجها إشارة الإعجاب والمودة ،
تريد بذلك أن تهنيها . ومادت بالفتى نشوة النجاح
فأخذ يثنى المقطوعة الأخيرة في حماسة وطرب :
أيتها العاملة الحسنة ! كافي بك تسيخين وأنت
في ماواك التواضع إلى صوت الخادع النوى !
اذهي لشأنك باسمكينة ! اركيه ولا تتركى الابة .
إن أهلاك هم أنت ؛ فسمادتهم فيك وبك .
هل تجدني في الترف الخزى والبذخ الأثيم جمالاً
ولذة حين يرسل إليك أبوك في نفسه الأخير
لمنته ودعوته ؟
إن خبز الخطيئة والخرى ممجون بالدموع !

ليلى

لدأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازني



أمام عينها ، كشريط السبيل ، ما كان من أمرها إلى الساعة ، فقد تخرجت في المدرسة السنية ، ولكنها لم تشتغل بالتدريس ، فقد أحبت فتى رشيقاً أغراها بنفسه ، ووعدها بالزواج ، وكرر الوعد ، وأكده ، وأقسم على الحفاظ — وما أسهل بذل هذه الوعود على الشبان — حتى فاز منها بما يني . وألحت عليه تطلب منه الوفاء ، وتوسلت إليه ، وبكت ، وقبلت يديه ورجليه ، ولم يكن هو بنوى الوفاء ، ولا كان في وسعه ، فما كان سوى عامل في مصنع ، وإن كان مظهره يوم أنه من الوجهاء . ولم يكن يدرك ما تورط وورطها فيه — وماذا عسى أن يخشى مثله ؟ ولكنها هي كانت لا يخفى عليها ما هي صائرة إليه من الفضيحة ، لا محالة ، إذا لم تعجل بالتدبير المنقذ . وليتها أطلعت أمها على ما كان من أمرها مع هذا الفتى . . . ولكن ما جدوى « ليت » بعد ثلاث سنوات قضت فيها الحسرة على الأم المسكينة ، ولم ترق قلب أبيها الفليظ ؟ وكانت ليل تخشى ضعف أمها ، وقوة أبيها ، فلم تجد أمامها إلا فتاها تاتي بنفسها عند قدميه ، بأكية ، متوسلة ، وهو يرى تضعفهما هذا ، فيتجبر ، ويتنطرس ، ويتحكم ، ويدعوها أن تفر منه . وتردد هي وتحجم عن هذه الخطوة الحاسمة التي لا رجعة بعدها إلى أهلها ، فان أباه عنيف عنيد ، يؤثر أن يقتلها على أن يقبلها في بيته . بل هو لا محالة

وقفت « ليلي » أمام المرأة ، تصلح شعرها وتضع فيه المشابك ، وتسويه براحتيها أمامها ، وتثني شمرات منه هنا ، وترد أخرى إلى مكانها هناك ؛ ثم تناولت الشبنة وفتحها ، ونظرت فيها هتية ، ثم قلبتها على النضدة ، ونفضتها بأطراف أصابعها ، ثم تحنتها وراحت تتأمل ما أفرغته منها . ثم هزت رأسها أسفة ، وشرعت ترد الأشياء إلى الحقيبة : المشط والمندبل وثلاثة طوايع بريد بثلاثة ملاليم . . . لا شيء غير ذلك . . . حتى ولا أجرة الترام إلى عملها الجديد الذي فازت به . وما غناء ثلاثة من طوايع البريد بثلاثة ملاليم ؟ . . . لو كانت بستة لباعتها وركبت الترام من غمرة ؛ فان للسافة طويلة من حدائق القبة إلى شارع سليمان باشا . . . ولو كانت عشرة لباعتها أيضاً — لا لتركب — فان الشيء يسهل أن يحتمل إذا كان ممها قرش تأكل به . . . كلا . . . لا بد أن تصبر على الجوع وأن تعجل وتحتمل الشيء مع الطوى ، وما يقى سوى يومين ثم تقبض أجراها عن هذا الأسبوع الأول . ولكن هل تستطيع أن تحتمل الجوع وتسب العمل والشيء يومين كاملين ؟ وأبت أن تفكر في هذا ، وأن تدعه يبط همتها ، وقالت لنفسها إن حسبها أنها وثقت إلى عمل ، وأنه وسعها أن تظل حية إلى اليوم . وهبطت على كرسي وهي تقول : « آخ ! » لا من التعب ، بل مما ستاتي في يومها هذين ، وصر

قالتها إذا عرف الحقيقة ، وإذا أطاعت فتاها ، وفرت . وسيعرف الحقيقة إذا بقيت فالفرار أنجى . وقد لا يكون أشرف ولكنه سبيل الحياة إذا شئت أن تبقى حية . وقد كان . فرت مع هذا الفتى وحلت معها في حقبة الثياب حلّتها ، وشيّتا من حلّتها أيضا ، وقد نفعها ذلك ، فأقامت مع الفتى إلا أياما في فندق زرى . وكان ظنها أنها ذاهبة إلى بيته ، وأملها أنها ستكون زوجة له فيكون مما يرجى أن تستقرّ زلتها على جسامتها ، فاذا بالفتى لا يريد إلا أن يقضى أياما في متعة خالصة ثم يلقى بها عظماء بعد أن أكلها لحما ، فكادت تبكى ، واغتنتم فرصة خروجه من الفندق يوما ، فحلت حقيبتها وأدت حساب الفندق ، وانطلقت على غير هدنى . وصارت المسألة « أين تذهب ؟ » بيت أبيها لا سبيل إليه ، وأترابها في المدرسة . . . كلا . . . هذا أيضا ممنوع . . . وتذكرت وهي واقفة في محطة الترام صديقة لها كانت من جيرانها في زمن الحداثة ، وهي الآن « حكيمة » في قصر المينى . ولكن الحكيمات في هذا المستشفى يتن فيه ولا يخرجن إلا أياما معلومة ، فما العمل ؟ ولم يطل ترددها فذهبت إلى « الميادة الخارجية » وسألت تلميذة لقيتها فيها عن صاحبها ، واتفق أنها كانت تعرفها فدلّتها عليها ، وأبانتها أنها تعمل في قسم الرمد ، وكتبت إليها ورقة بمثلت بها مع خادم أو « تورجى » كما يسمى ، فدعتها الحكيمة إليها . وكانت هذه المقابلة بداية الفرج

أقامت ليلي بعد ذلك مع أهل الحكيمة ، وكانتا تلتقيان يوم الأحد ويوم الخميس والجمعة ، إلى مساء ، — كل أسبوعين مرة — وكانت ليلي رعبا اشتاقت إلى صديقتها في أيام عملها بالمستشفى فتذهب ، في الظهر أو في الساعة التاسعة ، لتراها

وكانت على الأيام عن المقام في بيت صديقتها وإن كانت صلتها بها قد بقيت وثيقة ، فان فضلها عليها كبير ، وجميل صنعا بها ليس مما يججد ، ولا مما ينسى حتى لو زعت نفسها إلى الكفران . وأفلس المكتيب فانتقلت إلى سواء بعد عناء ،

تمهلنى . كن شفىى عندها »
 فقال : « لو كان الأمر إلى لما تقاضيتك شيئاً
 قط . ولكنك ترففين زوجى . ولست أعرف لى
 حيلة »

قالت : « ولكن كيف أستطيع أن أعطيك
 اليوم شيئاً ؟ لا أعرف أحداً أقترض منه .
 ولا يمكن أخذ شيء من المكتب . إنى جديدة فيه »
 فقال : « اسمى ... لو لم تكونى بهائم لأمكن
 تذليل كل هذه الصعاب ... ولكنى لم أرفاة
 مثلك »

فقلت : « ماذا تعنى ؟ .. كيف يمكن تذليل
 الصماب ؟ »
 فأراح كفيه الفليظتين على كتفها وقال : « أنا
 أستطيع أن أدبر الأمر إذا طاوعتنى »

فهزت رأسها غير فاعمة فقال : « تعالى ... »
 وطوقها بذراعه ، وأدنى شفثيه المملوطتين
 من فها ، فاولت أن تنأى عنه ولكنه جذبها
 إليه بقوة ، وحولت وجهها عنه ، فذهبت شفثاه
 تبتان فى مخرها ، وكتفها ، وكانت يده اليسرى
 تتحسس صدرها وتقف وتتكور على ثديها الراسخ ،
 فكاد عقلها يطير ، وتفلئت من عناقه بمنف ،
 وارتدت راجمة الى آخر الزرفة وهى تلمث وتنهج ،
 كأنها كانت تجرى ، وصدرها يملو ويهبط كالنوح ،
 من جهد المقاومة ومن النضب أيضاً . وكان هو
 ينظر إليها نظر النعمة والفيض ، فصاحت به وهى
 ترجف : « إذا لم تخرج من هنا فأسأرخ »

فزام ، وهز رأسه ، وقال وهو يدور ليخرج :
 « طيب ... سنرى ... إما أن تدفى اليوم
 وإلا فأخرجى أنت » فلم تقل شيئاً ... وماذا عسى
 أن تقول ؟

على الرغم من أنها أصبحت معروفة فى هذا المحيط
 — محيط الكابات الناسخات . وكانت حليها قد
 ذهبت جميعاً فى نفقات الحياة ، وأجور التعليم ،
 وسد النقص ، وهامى ذى الآن قد التحقت بمكتب
 جديد بمد أن ظلت عاطلة شهرين أكلت البطالة فى
 خلالها القليل الذى كان مدخراً

ونفضت عن الكرسي وهى تنهد وتناولت
 حقيبتها ، لتخرج إلى عملها ، وكانت الساعة
 السابعة فأمامها ساعة كاملة للشئ إلى المكتب ،
 وقد عرفت بالتجربة أن الساعة فوق الكفاية ،
 ولكن فسحة الوقت خير من ضيقه ، ومضت إلى
 بابها لتفتحه وتخرج ، وإذا بنقر خفيف عليه ،
 فقالت : « تفضل » فدخل رجل بدين وسلم وقال :
 « أراك خارجة »

قالت : « نعم ... » وهمت أن تقول إنها
 مضطرة إلى التذكير ، ولكنها كبحت نفسها فأيمنه
 هذا فقال : « أجرة الزرفة عن ثلاثة أسابيع ...
 ألا يمكن أن تعطينى منها شيئاً على الحساب ؟ »
 قالت : « آسفة . وإنى لشاكرة لك هذا الصبر
 كله . والمطف أيضاً .. بمد يومين .. أقبض أجرة
 الأسبوع فأعطيك شيئاً » —

قال : « إنك تخرجينى مع زوجى . هذا الصبر
 الطويل ليس له عندها إلا معنى واحد . وقد
 أنذرتنى اليوم . وعبثاً أطول أن أفهمها الحقيقة ..
 لا تريد أن تفهم . كل ما تعرفه أن الأجرة تأخرت
 ثلاثة أسابيع . وكل ما تريده هو أن تؤدى إليها
 هذه الأجرة أو تخرجى اليوم »

قالت : « ألا يمكن أن تمهلونى يومين اثنين ؟
 أبأ أذهب إذا خرجت اليوم ؟ ليس لى مكان آخر »
 فهز الرجل كتفيه الفليظتين ولم يقل شيئاً .
 فدنّت منه ليلى وقالت : « أرجو . أرجو أن

«بونجور»

«لأنى شقراء؟»

فقال: «إذن أنت؟»

فأراحته من عناء التخمين وقالت: «مسلية»
فقال وهو يهز رأسه بمنفكا عما وجد ما يسره
من حيث لم يكن يحتسب: «أنا أيضاً مسلم»

فلم تقل شيئاً واجترأت بالابتسام، وشرعت
ترفع غطاء «المرنجتون». وتركها هو وذهب
بجلس على الكرسي الآخر ثم رأما تنظفت في الغرفة
فنهض وهز رأسه مستفسراً، فنهضت هي أيضاً
وقالت: «لا تنب نفسك... أظن أن في وسعي
أن أجد كرسياً من الخيزران في...»

فقال وهو يمدو إلى الباب: «بالطبع... أما
إني لنفعل...»

وعاد بالكرسي وهو يقول ضاحكاً: «لكأنا
كنت أظن أنك ستجلسين القرفصاء وتكتنين على
حجر ك... لم تشهد ذلك السهد بالطبع...
لا يمكن، فأنك ما زلت صغيرة... أوه جداً...
ولكن أين تعلمت الكتابة على هذه الآلة؟ صغيرة
إذا كنت أنطفل ولكن المصريات يندرن جداً أن
تعني واحدة منهن بذلك»

قالت: «ولكني استطعت أن أتلم... ضمة
في اليد أمان من الفقر» وابتسمت
فقال: «أهو ذاك؟ معذرة... كان سؤال
فضولاً مني لا يفتر... ساعيني»

فسرها منه هذا الأدب، وقالت: «ليس
هذا مرا... ألسنت أعمل... لست هاوية بالطبع»
فقال: «إذا كنت تعلمين في مكتب... فأنك
ولا شك تعرفين لغة أجنبية أو اثنتين...»
قالت: «أعرف الإنجليزية، وأصبحت أعرف
من الفرنسية ما يكفي للنسخ... وأنكلهما أيضاً
فأننا جميعاً نتكلمها هناك»

«خذني هذا العنوان واذهي إليه
حالا... عمل مستحيل... المرنجتون ذهب بها
أحمد... العمل يستغرق يومين... ثلاثة... اللهم
الافتقار... يجب أن يكون راضياً... فاهمة؟»
فذهبت ولم تسأله أهو عربي أم أفريقي...
وماذا بهم؟... كله عمل... آلى... ودخلت
الشقة فإذا هي بيت لا مكتب، وقالت للخدم
النوبي: «إني من محل...»

فاكتفى بأن يشير إلى غرفة المكتب فجلست
على كرسي من الجلد كبير وثير، وأدارت عينها في
الغرفة فلم ترفحها أثاثاً غير كرسي آخر كالذي
جلست عليه. وحول الجدران رفوف كثيرة عليها
كتب لا تحصى، وثم في الركن مكتب أثيق،
وفي وسط الغرفة منضدة صغيرة، مما يستعمل
للشاي، وضمت عليها «المرنجتون» فتوقعت أن
ترى رجلاً على السن وأدهشها أن يدخل عليها
شاب يناهز الثلاثين وإن تعلم أن هذا هو الذي
جاءت لتعمل له ولتنسخ ما يشاء

وقال برقة لا تكلف فيها: «قهوة؟»
قالت: «أشكرك... فيها بعد... بماذا تأمر؟»
فقال وهو يناولها ملفاً ضخماً: «في كم يوم
يمكن الفراغ من نسخ هذا كله؟»

فقلبت الأوراق ونظرت في الخط والسطور ثم
رفت رأسها إليه وقالت: «صعب أن أقول كم
يستغرق... ولكن... بعد ورقة أو اثنتين أستطيع
أن أحكم حكماً قريباً من الصحة»

فنهز رأسه وهو يبتسم وتحول عنها ثم كأنها
خطر له خاطر فدار على عقبه بسرعة وسألها:
«يهودي؟»

فابتسمت له، وقالت وهي تهز كتفها:

بالروايات والقصص، ولكنها منذ ثلاث سنوات لم تقرأ رواية، وإن كانت قد ذهبت مرارا إلى السينما — وهي مطمئنة بأن أبيها من الأدباء السليمة ومع ذلك كانت تتحرج وتلقي على وجهها نقابا خفيفا شفافا، حتى حين تعيش في الطريق كانت تنتقب زاحمة أن هذا وقاية من الشمس والتراب

ولم تشعر بعبد الحميد — فقد كان هذا اسمه — حين دخل عليها ووقف ينظر إليها أكثر من دقيقتين. فلما رآها لا تلتفت إليه، ولا ترفع عينها عن الورق، ولا تتهمل أو تتباطأ في العمل قال: «مصدرة... إن هذا انتحار»

فرفعت رأسها حينئذ وقالت: «أوه... لم أرك إلا جثت... كلا... إلى على المكس مسرورة... وأعترف لك بأن هذه أول مرة سرتني فيها عملي... رواية مدهشة»

فقال وهو ينحني كفها عن الرميحون: «قد تكون الرواية أو لا تكون مدهشة... ولكن أبحث على الدهشة ألا يحتاج الإنسان إلى الراحة. تفضلتي وقوي وأرجي جسمك قليلا على هذا الكرسي»

وتناول ذراعها لينهضها، فقالت وهي تقوم: «صدقت... أستريح دقيقة»

فقال وهو يعضي بها إلى الكرسي: «تستريحين تماما...»

فقالت وهي تجلس على الكرسي: «ولكني أريد أن أعرف بقية الرواية»

فقال: «اضطجعي أولا... أنا أنص عليك البقية.. ألخصها لك في ألفاظ قليلة»

قالت: «كلا... هذا يفسدها... إنني أريد أن أقرأها»

قال: «إذن أقرأها لك»

فقال: «أوه لست أريد أن أفتح لك محضر تحقيق... بمصدرة مرة أخرى... ورفض يده إلى جبينه المريض ومسحه وقال: «هذه أول مرة أرى فيها مسجلة تشغل بالبنسخ (ونحك) أروانا نتقدم... أليس كذلك؟»

وكانت قد شرعت تدق على الآلة الكاتبة، فاككتت بالابنسام

وتركها هو بعد ذلك وخرج بعد أن قال لها إن في وسعها أن تطلب ما تشاء من الخادم... أي شيء... القهوة... شاى... أكل... كل ما في البيت تحت أسرها

ولكنها لم تطلب من الخادم شيئا، ولم تعلق راحته، بل أقيمت على الآلة تدق، وتدق، بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة، وتخرج له من كل ورقة نسختين. واستغرقها العمل ووجدت فيه متعة

لا عهد لها به في مثله، فقد كانت هذه رواية تنقلها — استمدادا لطبعها ولا شك — وكانت الصور التي يرسمها المؤلف — هذا الشاب الوسيم المؤدب تجسد لها، والمواقف تتمثل، وهي تدق، وتدق بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة، وكانت نفسها يجيش

بمثل المواطن الموضوعة، والاحسانات المصورة، فتضحك تارة، وتغنيها المبررات تارة أخرى، وتبسم حينها، وترى نفسها تنطق بالألفاظ التي تدقها بقوة وعنف كأنها مثل ما تقرأ، أو كأنها

كان الأمر حقيقة لا خيالا. وكانت ورقة بعد ورقة تأتي في السلة على المكتب وهي ذاهلة عن كل شيء.

فما قامت مرة، ولا تمط لترج أعضائها المكسدة، وتحرك أصابعها التي كادت تتشنج وتصلب أو تتخشب، ولا شمعت بظلمة أو جوع،

ولا كان لها بال إلا هذه الرواية التي تقرأها وهي تنسخها. ولقد كانت مشغوفة أيام المدرسة

ولم ينتظره بل ذهب إلى غرفة النوم وجاء منها بزجاجة من الكولونيا رش منها على وجهها الأصفر، وأقبل على راحتها بذلكهما وخلع حذاءها وجوربها، وراح بذلكهما أيضاً بالكولونيا، ومحمد واقف ينتظر، وينتظر الأوامر التي لا تصدر، ولا يصنع شيئاً

وبعد لآخر ما بدأ الدم يعود إلى وجهها المنقوع، فتنفس عبد الحميد الصمداء واطمان، وقتحت ليلى عينها وأجالتهما في ما حولها بفثور، ثم نهدت ووسمها أن تتكلم

فقالت: «لم يحدث لي هذا أبداً»
فقال بشيء من العنف: «كان جيلك جداً أن يحدث لك هذا في الشارع.. هه؟»
فابتسمت وقالت: «أشكرك.. إلى أسفة.. هذه أول مرة»

فقال: «محمد.. خذ هذه الزجاجة وضنها في مكانها.. والآن لا يسمنى، وقد خرج محمد، إلا أن أوجه إليك سؤالاً قديماً.. بارداً في الحقيقة.. ولكنه واجب.. متى أكلت آخر مرة؟»
احذرى أن تكذبي

قالت: «لا داعي للكذب.. أسس الظاهر»
قال: «لقد ظننت ذلك..»
قالت: «كيف عرفت؟»

قال: «أوه السائلة في غاية البساطة.. ليست مسألة فراصة، ولكنها مسألة ضم قرينة إلى قرينة... وأعترف أنني مررت بمكتب... واستدرجت صاحبه إلى الكلام عنك، فقال إنك معروفة في مكانك النسخ، وإن كنت من الجديديات عنده.. هذا يومك الخامس في مكتبه.. وأنتي عليك وطمانني كما كنت أحتاج إلى ذلك.. فلما أغنى عليك الآن أدركت أن هذا من التنب

قالت: «تنب... دعني أقرأها أنا... وأنا أستريح»

قال: «بعد النداء... الوقت طويل»
فقالت: «الفداء؟ كلا! اسمح لي أن أخرج ثم أعود في الساعة الثالثة.. كالعادة»

قال: «ولم لا تبقيين وتنفدين هنا؟ فولي إنك باقية»

قالت: «لا أستطيع.. سأعود بالطبع بعد الظهور...»

وكانت تعلم أنها مفلسة، وأنها لا تستطيع أن تذهب إلى بيتها — حيث ذلك الرجل الحسن الفطيع — وهبه ليس فيه فاء تصنع هناك؟ وإذا لم تذهب إلى البيت فأن يمكن أن تذهب؟ هذا شاب يمرض عليها أن يطعمها وأن يريحها من الأنياب التي تعزق أحشاءها، ويعفها من الشهور الثقيل بالقرص والعض في جوفها، فلم لا تطيع وتقدم وتاكل؟ وأحسنت وهي تدير هذا في نفسها بالدموع تترقق في ما فيها وتخفقها، وخشيت أن تخونها قواها وأن تغلبها المبرة أمامه، فقرضت أسنانها وشدت أعصابها، ونهضت متعاملة على نفسها

فقال: «إلى أين؟ لا يمكن أن تخرجي... عيب... لا يليق»

فقالت بضرب — فباقيت في بيتها ذرة من القوة بعد أن أنفقت البقية في الكارة: «أرجو...»
ولم تزد فقد هوت كالجنة أو كأنها ثوب فارغ
ولم يكن هذا مما يجري لصاحبنا في حساب، فلم ينتبه إلى ما حدث إلا بعد أن ارتعت على الأرض — بعضها على الكرسي وبعضها على السجادة — فأبغى عليها وحملها وأراحها على الكرسي، وخرج يمدو ويصيح: «محمد.. محمد.. تمال حالاً..»،

وتعليك في عيني .. ولكنها تكلف على كل حال»
فقال مستغربة : « تكلف ؟ أبداً »

قال : « إن الذي أعنيه هو أنت الشجاعة
لا تكون إلا تكلفاً .. شيء يحمل الإنسان نفسه
عليه .. هذا ما أعني »

فقال : « ولكنني لست قاهرة »
قال : « نؤجل الدرس إلى وقت آخر ؛
ونتحدث الآن عنك .. قولي ما اسمك ؟ »
قالت : « فريدة »

قال : « ينطقونها في المكتب (فريدا) ...
ما علينا .. هل هذا اسمك الحقيقي ؟ »
قالت : « لماذا تظن أنه ليس اسمي ؟ »
قال : « ما رأيك من شجاعتك يحملني على
هذا الظن ... أنت بنت ناس »

قالت : « كل الناس أبناء ناس »
ومضت ، فقال : « أعني أنك تشعرون بكرامة
محرمين عليها »

قالت : « هل أنا الوحيدة التي تفعل ذلك ؟ »
قال : « أعترف أنني نهزمت ... عندي كلام
كثير ... خجج ... ولكنني أوتر الهزيمة ... فما
قولك في أن نكون صريحين ؟ »

فضحكت . ولم يكن ضحكها سروراً بل من
شمور بالضعف وبالاضطراب الذي أدركت أنه
سيدفعها إلى الاعتراف بكل ما في نفسها . فقال :
« قولي لي اسمك الحقيقي ... سأحفظ به »

فأقرت من حيث تريد المكابرة وقالت :
« ولكن ما الفرق بين اسم واسم ؟ .. كله اسم »
قال : « ها !! لقد صبح ظني ... والآن
ما اسمك الحقيقي ؟ .. لقد وعدتك بكتمانك ، فهل
تستطيعين أن تثقي بي ؟ »

قالت : « نعم ... ليلي »

والجوع .. ألا ترين أنني أصلح للقيام بدور سنكلر
أو شروك هولمز ؟ »

فضحكت وقالت : « لماذا سألت عني ؟ .. »
فقال : « قبل أن أجيبك يجب أن تنتظري
قليلاً حتى أعود إليك »

وخرج وتركها ، فراحته تفكر مسرورة
في هذا الشاب - نعم هو شاب وإن كان الأرجح
أنه جاوز الثلاثين - وفي رفته ودعته ، وفي صرورة
نفسه وحسن أدبه ، وفي براعته في فن الرواية براعة
جعلتها تعمل كما لم تعمل قط في حياتها .. وفي
وسامته ، وفي هذا السحر الذي ينطلق من عينيه ،
فينفذ إلى القلب ، ثم تهتد آسفة سحر
أو لا سحر .. سيان ! لا شك أنه يوجب بها ..
هذا واضح .. ولكن ما قيمة هذا الإعجاب ؟
وهبه أحبا ، فما أملها معه إلا أمل الخلية ؟
وهيات أن ترضى ذلك ؟ ولو كانت ترضى ذلك
لما فاتها ما فاتها من الفرص ولا كانت خسرت
ما خسرت من الأعمال ، فما كان أكثر أصحاب
الأعمال الذين طعموا في هذا النوع من الملافة ،
فلما خيبت أملهم ألقوا بها في الشارع .. وحسبها
زلة واحدة في حياتها أورتها هذا الشقاء الطويل ...

واختصرت زفرة طويلة ، فقد دخل في هذه
اللحظة محمد وأمامه سيده - الخادم يحمل ساطانية
متوسطة فيها مرق ، والسيد يحمل فوطه

وقال السيد : « اشربي هذا .. حالا .. »
وطرح الفوطه على حجرها ، ففعلت كما أمر ،
وقال لها : « هذا يكفي الآن .. بعد طول الطوى
يحسن التخفيف حتى لا تنيب المدة »

فقال وهي تضحك : « لا تنال .. إنه يوم
واحد ليس إلا »

قال : « هذه الشجاعة التي تظهرينها تسري

وعرف اسمها الكامل ، واسم أبيها أيضا ، فقال وهو يحس حبيته : « انتظري ... أليس والدك هو الذي كان ضابطا في الجيش ؟ » قالت : « هو بمنته » قال : « وكان يسكن في شارع ... » قالت : « هذا هو البيت الذي ولدت فيه » قال : « غريب .. لقد كان أبي رحمه الله صديقا جدا لأبيك .. ولداها يلتقيان الآن ! غريب ؟ وماذا حملك على ترك أبيك ؟ أسمع أنه كان عنيفا » قالت : « لأنني خفت عنفه .. اسمع .. سأفص عليك حكايتي كلها .. لم يبق بد من هذا .. وأحبني بعد ذلك إذا استطعت .. ربما كان هذا لازما لتشي » وقصت عليه الحكاية ، ولم تكتم شيئا ، ولم تحاول أن تهون من زلتها . كان يصني وهو مطرق ، فلما فرغت قالت : « والآن يمكنك أن تبأني أنك دفنت حبك للمباغت لهذه الفتاة الطائشة » قال : « لقد كنت نجيبة ... ولست أدفن جبي لك ؟ ولكنني أنوي أن أعلنه ، فهل تسمحين لي بأن أطلع أن تحبيني يوما من الأيام ؟ » فأطرقت تفكر ، فقد أساءت فهم ما قصد إليه وتوهمت أنه يريد بها كما أرادها غيره ، خلية ، وشعر هو من إطرافها أن معنى كلامه ليس واضحاً ، وشحبه ترددها الظاهر ، فقال : « إني لا أرى أنني أستطيع أن أعيش بعد اليوم بدونك ، فهل تقبليني زوجاً ، على أن تكون الطاعة مني والحب ، ولا يكون منك إلا ما يسمح بالأمل في أن تحبيني يوماً ما ؟ »

فصاحت : « ولكنني أحبك من الآن ؟ »

وندمهما فما بقي لهما مقام منهما !

إبراهيم عبد القادر المازني

قال : « ليلي ..؟ ليلي ما ذا ؟ » فقالت : « ألا تفهمي ؟ .. لست أشعر أنني أستطيع المقاومة إذا ألححت ... أرحم صفتي » فقال : « بالطبع ... معذرة ... لست أريد أن أستغل ضعفك ... كلا ... اغفري لي فضولي فانه ليس عن خسة بل عن .. » وأمسك متردداً ؟ فقالت وقد رأت تردده وأدركت بفرزتها الذكية ، دلالة : « عن .. ؟ » فقال : « عن حب .. لقد قلتها ... قولي عني مهمل ... ما شئت قوله ... ولكنها الحقيقة ... وقد استرحت الآن .. رفعت عن صدري حجراً .. تنفست .. عجيب ولا شك .. هي دقائق رأيته فيها .. ولكني مع ذلك أحببتك كائن عرفتكم من قبل أن أخلق ... كأنما كنا معاً في عالم آخر قبل هذا . ولست أقول هذا لأخذكم ، وإني لأعلم أن الرجل يستطيع أن ينجذع المرأة بمشيل دور العاشق ، ولكني لأحاول خداعك ، ولا مطمع لي فيك .. كل ما أعرفه أنني أحببتك .. قد يكون هذا شعوراً وقتياً يفترب بعد قليل أو كثير ... وأي حب لا يفترب ؟ على كل حال لا أعلم ... أعرف فقط أنني فوجئت بهذا الحب الذي غمر نفسي وشاح فيها علواً وسفلاً ... انتظري إليه كيف شئت ... باستخفاف إذا أردت إذا لم يسمعك غير ذلك ... ولكن صديقي .. فاني أحتمل الاستخفاف ولكني لا أستطيع أن أحتمل التأكيد .. كلا .. » فقالت ببساطة : « إني أسدقك » فصاح بها : « إيه ؟ »

قالت : « ألم تسمع ؟ هات أذنك وأنا أصبح

لك فيها .. صدقتك ... هل سمعت الآن ؟

لا لا لا لا لا ... صدقتك معناها صدقتك فقط ! !



يَوْمِيَّاتِي بِإِلْفِي الْإِلْفِيَّاتِ

للأستاذ توفيق الحكيم

١٨ أكتوبر

كان أول ما فعلت عقب رجوعي إلى مكنتي أن أرسلت في طلب الشيخ عصفور ، فحضر أمامي مطرقاً صامتاً فابتدرته :

— البنت ريم تمجيك ؟

رفرف رأسه ونظر إلى نظرة أحسست أنها نفذت إلى أعماق نفسي ، ثم عاد فأطرق ولم يجب . فقلت له :

— أنا مستعد أن أطلب المأذون وأعقد

عليك وعليها

فلم يبد حراكاً ، فضيت أقول :

— لو كانت موجودة هنا كنت حالا

وجمات أستعته على الكلام فلم يخرج عن صمته . وأخيراً رزم بصوت كالمهمس لكنه واضح الثبرات :

نهيتك ما انتهيت

والطبع فيك غالب

وذيل الكلب ما يتمدل

ولو علقوا فيه قالب

فما تمالكك أن صحت :

— إخرس يا بهيم !

وأمرعت بطرده ، وقد تبين لي أن لا فائدة ترمي من مثله . ورأيت أن أسأل حلاق الصحة ؛ فاستدعيته وسألته في أمر الرأفة المخلوقة وكيف صُرح بدفنها بدون إذن النيابة ، فقال من فوره :

— وشرفك يا سيدنا البك ما أعرف إن كانت غنوقة أو عروقة . حضرة حكيم الصحة أمر بالدفن كالمتاد

— بدون توقيع كشف ؟

— لو كنا نعلم نكشف بإسمادة البك على كل بنت كان زماننا توفينا من بدري

— بقی بالاختصار لا أحد كشف ولا نظر ..

— الجارى عليه العمل يا سمادة البك أن

حلاقين الصحة في الجهات تبلغ حضرة الدكتور المفتش بالتلفون . وحضرته قاعد على مكتبه هنا ما عليه إلا أنه يسأل في كل حالة عن سبب الوفاة وزر عليه في التليفون : ماتت يادكتور موة ربها

يقوم يقول : ادفن ، ادفن ، ادفن ...

— ما شاء الله ، ما شاء الله ، ما شاء الله !

ولم أرفأئدة كذلك من البحث مع هذا الحلاق فأننا أدري الناس بحلاقي الصحة . إن كل مهتهم أن يقبضوا من أهل التتوفى خمسة قروش ويحصلوا لهم على الأذن بالدفن دون أن ينظروا في وجه جثة أو ينقلوا إلى منزل . إن هم إلا سماسرة « دفن » ، وحتى مع فرض وجود النزيه منهم الذي يريد القيام بواجبه فيذهب للكشف على الجثة ، ماذا يستطيع مثل هذا الجاهل أن يستكشف ؟ إنه سيرى رجلاً أو امرأة قد فاضت روحها وليس بها إصابات ظاهرة . فكيف يعرف أن الوفاة مشتبّهة في أمرها ؟ ! إن « نظام » حلاق الصحة نفسه ، هذا النظام الذي لا تعرفه أية دولة على بسيط الأرض هو موطن الداء . ومثله عندنا نظام « الدابات » وإني مازلت أذكر ما قصه عليّ طبيب مستشفى المركز ذات يوم . قال لي إنه ذمى إلى حالة ولادة عسرة في إحدى جهات الريف ، فذهب مسرعاً فوجد المريضة ملقاة على ظهرها وقد تدلت منها ذراع الجنين وبجوارها عجوز حراء الشمر والشدقين ، قالت له إنها « الدابة » وأخبرته أن المريضة قد مضى عليها ثلاثة أيام على هذه الحال بهذه الذراع الخارجة منها . فسألها لماذا انتظرت كل هذا الوقت ولم تحطري الطبيب ؟ فأجابت : « كنا منتظرين ستر وينا ، فلما ربنا ينتمها بالسلامة » . ووضع الطبيب يده في الرحم فاذا الرحم عشو بالبنين ، وإذا مثانة المريضة قد تهتكت وأنها هالكة لا أمل فيها ، وأن المولود قد مات منذ يومين . وألقى نظرة حوله فاذا كومة من « البنين » القدر عند أقدام المرأة . فالتفت إلى « الدابة » الصحية مستفهماً ، فقالت :

أصله يا عبيدى الدكتور لما دخلت يدي أسحب الولد لقيتها راحت « من فاطمة » ، قت قلت : « أحرص كنى بشوية بن » . ومدت للطبيب يدأ ملونة « بالبن » قد بدت منها أظافر طويلة سوداء . وقال لي الطبيب : « إن الدابة تولد المرأة كما لو كانت جاموسة » . وماتت المريضة مع طفلها واكتفت الصحة بأن سحبت من هذه الدابة « الصحية » التصريح ... ولكنها لم تغير النظام وحى . تعلم أن ألوف الأطفال يموتون على هذه الصورة في كل عام نظرت إلى حلاق الصحة ملياً وأدركت أن أرواح الناس في مصر لا قيمة لها . لأن الذين عليهم أن يفكروا في هذه الأرواح لا يفكرون فيها إلا قليلاً . وطردت هذا الرجل أيضاً ، وقلت في نفسي : إن خير السبل في مثل هذه القضية أن أعرف مرسل البلاغ الجحول . وفكرت لحظة ، وخطر لي أن أعرض خطه على القاضي الشرعى وهو يتحرى لي بين موطنى محكمته وبين المحامد الشرعيين . ولعله هو نفسه قد مر به هذا الخط . وما دمت أعتقد أن صاحب الخطاب أزهري فليكن البحث في دائرة الحكمة الشرعية . وطابت في الحال جسد المقصود أندى رئيس القلم الجنائى وهوعين أصدقاء القاضى الشرعى وكانته أن رافقى في الحال ، ولم يعض قليل حتى كنا في بناء تلك الحكمة ، فسألنا عن القاضى فدلونا على حجرة أمام بابها « قبقاب » ؟ فهمس عبد المقصود أندى في أذنى أن فضيلته لاشك كان يتوضأ كي يصلى الظهر . ومردني في عبارتين مبلغ ورع هذا القاضى وزهده . وضر بنا على الباب ودخلنا ، فرأينا القاضى خالماً جيته وعمامته وهو جالس على حصير الصلاة ، وبين يديه طبق به بلع من نخلة رأيناها مثمرة في فناء الحكمة . فلما رأنا

الأمور مرة في الميد فوجد حجرة استقباله عبارة عن « دكتين » من الخشب فوق كل منهما فروة خروف قدرة وبينهما حصير قديم . أما المرتب الكبير فهو يكثر برمته إلا جنبهات ثلاثة هي كل نفقات الشهر . وفي آخر العام يشتري بالمال السكنوز عقاراً وطنياً . وهو لا يضع ماله في المصارف خشية أن يعرف مقداره . ولا يدري أحد أين يدفنه طول عامه . وأخبرني المأمور أن القاضي وكأنه لم يَمِ الليل حضر إليه في الصباح الباكر يجري ويقول في تردد :

— مشروع السجد بلفته لسعادة المدير ؟

فأجاب المأمور في ابتسامة خفية :

— ظبماً اليوم آخر النهار أما تأوى أقابل سعادته ..

فأمرع القاضي في رفق وتلفظ ومال على أذن المأمور كأنما يقضى إليه بسر :

— أرجوك بس . مسألة الخمسة جنبهات ..

— مالها ؟ ..

— لا داعي لذكرها ..

هذه الواقعة تمثلت في رأسي فجاء عندما قال لنا القاضي في قلبي : « طلب خصومي ؟ » فقد قرأت ما جال في نفسه . فهو لا شك قد خاف أن نكون قادمين لطلب تبرع من هذا النوع . فأسرعت أرد إليه الاطمئنان وأخبره أن حضورنا هو لمل من أعمال وظيفتنا ، وأخرجنا في الحال من ماف أوراقنا الخطاب النفل وعرضناه عليه وحادثناه فيما يريد منه فأنشرح صدره وقال :

— موضوع بسيط . نشرب الزنجبيل أولاً ..

ثم ننظر بعد ذلك في أمر البلاغ ..

وصفق بيديه وصاح :

نهض وحياناً وأجلسنا على الكرسي وطلب لنا « زنجبيل » ، ورأى عبد القصود افندي أن يوفر على مؤونة بدء الحديث ، فالتفت إلى القاضي الشرعي وقال :

— البك وكيل النيابة ، غرضه يطلب من فضيلتك ...

فأجاب القاضي سريعاً في شيء من القلق :

— خير إن شاء الله . طلب خصومي أو ...

وذكرتني هيأته وقلقه بقصة عنه قصها على المأمور . قال لي يوماً إن المدير اقترح تحسينا لمظهر المركز وصراعاة للصحة العامة إنشاء متنزه في وسط البلد ، وقد تبرع بعض الأعيان بما استطاعوا التبرع به من مالهم ، وبلغ القاضي الشرعي ذلك ؛ فذهب إلى المأمور وسفه له هذا المشروع واقترح أن يقام بدل المتنزه مسجد لعبادة الله ، وحض الناس على التقوى والصلاح ، فأمن المأمور انجيليث على كلام القاضي ويحس لرأيه أعظم التحمس ، وقال له :

— لا بد من عرض اقتراح المسجد على

سعادة المدير ، وأنا متأكد أنه موافق مقدماً ، وزيادة في ادخال السرور على قلب سعادته نكتب اسم فضيلتك في رأس قائمة التبرعات ، باعتبار أنك متبرع بمبلغ خمسة جنبهات . وقد ذكر لي المأمور أنه لم يكذب بلفظ هذا المبلغ حتى اصفر وجهه القاضي ولم يجحد ما يقول ولم يستطع أن يسحب اقتراحه وظهر عليه الضيق والخرج ، وقد كان المأمور يتوقع ذلك على الرغم من علمه يسر القاضي وبسطة حاله . وهذا اليسر لا يبدو على حيلاته فهو يقطن في شبه حجرتين ، وكيفية من الطمام قليل من الجبن . مع جلتين وبلحيتين . وقد زاره

الكتاب من شيء فأسكتني الحاضرون فسكت تأدباً لوجود سعادة المدير ولولا هذا ما سكت ورب الكعبة ، ثم استمر هذا الأفتدى في كلام لا هو بالمقول ولا بالنقول إلى أن قال إن عالمه النصراني قد استطاع بمعادلات جبرية أن يزن الأرض والسماوات فمالكت نفسي ونهضت وأنا أنفضض وبحث به : « مهلاً يا حضرة الأفتدى مهلاً ، أخبرنا قبل كل شيء ، هل هذا العالم (شنتون) وزن السموات والأرض بالكروسي أو بدون الكروسي ؟ ... » فارتبك المدرس ونظر إلى قائلاً : « كروسي إيه ؟ » فرددت عليه بالآية الثرية : « وسع كروسيه السموات والأرض ... » أجب أيها المدرس الأفاك ، ها هذا الحاصل والجوهر ، الوزن كان بالكروسي أو بغير الكروسي ؟ ...

فكتمت ضحكي وقلت في هيئة الجد :

— وأخيراً ... ؟

— وأخيراً يا سيدي ... لا شيء ، لم يستطع

الحاضر أن يجيب ، واحتج وانسحب ، وضج الحاضرون واختلط الحابل بالنابل ، وغضب مني سمادة المدير واعتبرها إهانة لمجلمه ، وترك الناس المحاضرة وهي المسألة الأصلية والتفتوا إلى اعتدائي على مقام المدير وهي مسألة فرعية ، وتكاثروا عليّ يطالبون إلى الاعتذار ، فاعتذرت ، ولكن مع ذلك أشعر أن من يومها والباشا المدير لا ينظر إلى بعين الرضا ...

وسكت قليلاً ثم قال في لهجة أخرى :

— بمناسبة الحالة السياسية اليوم . أطن الوزارة الجديدة ستجرى حركة تغيير وتبدل بين المديرين ورجال الإدارة كالمتاد ؟

فلم أكده أفتح في لأجيب حتى دخل القراش وهو نصف شيخ . أعني أنه يلبس الهامة على جلباب

— يا شيخ حسنين . استمجل لنا القراش ثم صمت قليلاً . وعاد خياناً :

— أهلاً وسهلاً ... حصل لنا الشرف ...

ورأى عبد المقصود أفتدى أن يبدى في صلته بالقاضي وممرفته له فأشار إليه والنفت إلى قائلاً :

— فضيلته من كبار العلماء الراستخين في العلم ووجه الكلام للقاضي :

— أنا يا فضيلة القاضي لا أنسى يوم المحاضرة لما رديت على الولد المدرس ..

فقاطعه القاضي مستغفراً مستمعاً :

— أخزاء الله . أنا لا أطيق الصبر على الكفر والجهل . والنفت القاضي إلى وقال :

— تصورا يا سيدي البك أن هذا الأفتدى

مدرس جغرافيا في المدرسة الثانوية أتى فيها محاضرة علمية عن عالم نصراني اسمه « شنتون » قال إنه قد عرف بالضبط وزن الأرض والسماوات . استغفر الله العظيم ..

وتأملت قليلاً في الاسم الذي نطقه القاضي . واهتديت آخر الأمر إلى أن المقصود به العالم الرياضي « اينشتين » ، ولدت لي أن أعرف ماجرى ، فهذا من غير شك صراع بين مقلتين واسطدام بين رأسين يحاول كل واحد أن يشاهده ويقف على مدهاء ، فقلت للقاضي في شيء من الاهتمام :

— وحضرت المحاضرة يا فضيلة الشيخ ؟

— حضرت والأمر لله من قبل ومن بعد

— وماذا حصل ؟

— حصل يا سيدي أن هذا المدرس قام وقال في حضرة الباشا المدير وكبار الموظفين والأعيان إن هذا العالم الكافر قد أتى بما لم يأت به الأوائل والأواخر ، فقممت وبحث به : « كذاب يا حضرة المدرس ، لقد قال الله في كتابه العزيز : ما فرطنا في

نخرجوا جميعاً . وعاد إلى الأمور يتنفس الصعداء .
ويقول في صوت متعب :

— بق لي يومين بيلتين في القرف ده

وأردت أن أداعبه وأخيفه قليلاً فقلت :

— لكن أنت يا حضرة الأمور معروف عنك
أنك من حزب الوزارة السابقة
فقال لي على الفور :

— اسكت اجمل معروف . أنا طول عمري مع
الوزارة الجديدة بقلبي ، والى في القلب في القلب ؛
والأعمال بالنيات

فابتسمت وقلت له :

— تترك السياسة وتتكلم في الشغل

وأخبرته بنتيجة خص الجشة ووجود العظم
اللاي مكسوراً ، وضرورة البحث عن المجرم في
جناية الخنق الجديدة . وطلبت إليه أن يوجه عنايته
لمساعدتنا في الكشف عن الفاعل . فقال في الحال :

— المركز مش قاضى للخنق والحرق

— محايب . انتم لكم شغل غير المحافظة على
الأمم ؟

— بمعنى حضرتك مش فاهم ...

— لأ مش فاهم ...

— تترك الانتخابات وتلغفت للقتل والخنق ؟ ..

— طبعاً

— ما عندنيش أوامر بالكلام ده

وتركني وجعل يبعث بقبود حذيدية وسلاسل
معلقة على حائطه . وغرني عبد القصور أفندي كي أغلق
هذا الموضوع . وأراد أن ينير مجرى الحديث فقال :

— البك الأمور بسمع بطلب دفاتر السجن ...

وشمرت أن كرامة عملي في خطر فصغخت قائلاً :

عادي قذير كالأيب الفلاحين ، وهو عاري القدمين .
وقدم لنا قنجاين من طرزين مختلفين قد كسر
مقبضاهما . فشربت في احتراس وأنا أنظر إلى داخل
القنجان خشية أن يكون فيه بدل السكر صرصار .
وفرغنا من الحديث والتجيبيل وبدأنا العمل . وطلب
القاضي أورانقا بخط موظفيه ضاهيناهما بخط البلاغ
فلم نجد مشابهة . وعرضنا البلاغ على من في المحكمة
لمل أحدنا يذكر لنا أنه يعرف صاحب هذا الخط
فلم نظفر بظائل . وخرجنا من المحكمة كما دخلنا .
ومشينا في طريقنا إلى دار النيابة . فقال عبد المقصود
أفندي :

— نمر بالرة نفقش سجن المركز ونخلص

فلم أبدأ اعتراضاً . وذهبتنا إلى المركز فوجدنا
الأمور قد جمع بعض الممد في حجرته وجعل يشرح
لهم وجهة النظر الجديدة ويصدر إليهم تعليماته بنفس
الحماسة التي كان يبدئها في مبدئه تولي الوزارة السابقة .
فأنا إن رأني وعلم بالفرض من زيارتي حتى خف
لأستقبلي وأجلسني في صدر حجرته . وقض مجلسه
وهو يشيع الممد إلى الباب قائلاً :

— فتح عينك يا عمدة أنت وهو . مرشح
الحكومة في الانتخاب لازم ينتجح ، أنا نفضت يدي
وأنتم أحرار . مفهوم ؟ ..

فأجابوا في صوت واحد :

— مفهوم يا حضرة البك

وتردد أحدكم وقال :

— فيه يا جناب البك جماعة مشاغبين أقويا
كلهم مضموعة من المائلة الثانية الكبيرة ...

فدفع الأمور في كتفه دفعا وقال له :

— المشاغبين على أنا ... تفضل

— لا يلزم من أن أفقش بنفسى السجن والمركز كله
ونهبشت فى قوة وعزيمة أزعبت الأمور .
فتردد ثم قال فى رفق :
— تفصل . السجن تحت أمرك . . . انتظر
سمادتك دقيقة واحدة
وخرج سريعا من الحجرة وهو ينادى :
— يا شاويش عبد النبي . . .
واختفى عن نظرى . ودفعنى دافع الى النظر
من نافذة للحجرة تطل على فناء المركز . فرأيت
الأمور والجواويش يسرطان الى سجن المركز ويفتحانه
ويخرجان منه أشخاصا تدل هيأتهم على أنهم من
أهالى النواحي ذوى الرخاء ويزجان بهم فى حجرة
النبن والألف وينلقان عليهم بابها بالفتاح . فقلت
لعمري المقصود أفندى :
— تمال وطل بعينك ده ولا سجن الباستيل .

الأمور أخفى بعض الأهالى فى أودة النبن
فقال لى عبد المقصود فى شيء من التوسل :
— يا بك ، الوقت بطل ، والسياسة متحركة
فى البلد ، ما فيش داعى للتدقيق . . .
— يعنى تترك الناس فى الحبس من غير جرة ؟ . . .
— يا سمادة البك ، رئيس الأمور هو وزير
الداخلية ورئيس الوزراء فى الوقت نفسه ، أما رئيسنا
فهم وزير الحفانية فقط ، وقد سبق أن قضاة
وكلاء نيابة وقفوا للإدارة فى ظروف سياسية
مواقف من هذا القبيل قاموا بقولهم الصعيد !
— يعنى تخفى على دفاتر المركز ونسكت ؟ . . .
— يا سيدنا البك ، إحنا حانكون أحسن من
مين . . . كان غيرنا أشعل . . .
— طيب ، قم استعجل لنا الدفاتر والاملام . . .
(يتبع)
نوفير الحكيم

بواخر

شركة مصر للملاحة البحرية

لماذا يفضلها الناس ؟

لأنها تفوق غيرها بدقة النظام وجودة الطعام
ولأن جميع أسباب الراحة متوفرة فيها
ولأنها قطعة من مصر
ولأنها بواخر شركة مصرية صميمة



من الذين منذ ثلاثين عاماً أو يزيد ، يتعقد على رأسه
سجاف قصير من تلك الأقراص التي يتخذها
الفلاحون من روث الماشية ، كأنما أريد به أن يزيد
هامته بمض الطول ، أو يكسب جبهته شيئاً من
الزينة . ولقد عبثت يد الزمن بتلك الأقراص
فتاكت جوانبها ، وبذلك الجبهة الضيقة فتشققت
حتى لتبدو شقوقها كأنها
الفضون في رأس جلاله الشيب
وجمده السنون . على أن ذلك
الكوخ على ضمته كانت تفيض
عليه بساطة من الروح والهدوء
تجمل الأفئدة تهوى إليه ،
وتصبو إلى العيشة القريرة
الساكنة في جواره

في ذلك الكوخ الضيق
يسكن (طليّب) البدوي

واصراته ، وابناها حنظل وراغب ، وبناهما
شروء ، وعز ، وشماء ، على أنهم لا يقضون تحت
سقفه إلا ليالي الشتاء ، أما في النهار فاهم مضطرب
واسع ومتنفس فسيح في ذلك الفضاء المحيط بهم ؛
وأما في الصيف فلم يكن ثمة من سقف يدوم سوى
تلك القبة الزرقاء تربتها مصابيحها اللامعة المتناثرة

كانت شجرة التوت الكبيرة التي تقوم على
رأس حقلنا منذ عشرات السنين مقلنا من حر
الصيف ، ناوى إليها إذا اشتد القيط فنقضى النهار
في ظلالها الوارف السايخ ، ولا نمود إلى القرية إلا في
ضوء القمر أو في لمح الشفق . كان ذلك دأبنا طيلة
عطلة الصيف لا نغل هذه الدوحة ، بل لا نطيق أن

بشعرم أسبوع دون أن نقضي
يوماً إلى جانبها ؛ هنالك حيث
كنا ننعم بذلك الهواء الطرى
الرخي الذي تستروح النفوس
نسائه في أشهر الحر ولا تصيبه
إلا في ظل مريحة فينا تلك
السرحة ، امتد من حولها
الفضاء وانبسطت الأرض
على قيد خطوات من تلك
الشجرة الوارفة الظل بحري



ترعة من تلك الترع الكبيرة التي تنساب في الدلتا
زاخرة في الصيف بذلك الفيض الذي يحمله النهر العظيم
من تلال الحبشة فيملأ به الترع والتدران فتجيش في
أفحاء الوادي بالقوة وتفيض على أرضه الخصب والري
وعلى مقربة من تلك الشجرة تقع العين على
كوخ متواضع ، يستقبل الشمس إذا طلعت ، أقيم

مطرق كأن به هما . وجلست إلى جانبه أحاده وأدابعه
 كمداتي ، فمأثته استبطن دخيلة نفسه :
 — ما حال إبراهيم اليوم يا شيخ العرب ؟
 — ما زال على حاله من الغضب والغفك ،
 لا يسكت أسانه ، ولا تهدأ ثورته . يهدد ويتوعد ،
 ويقسم الإيمان على تنفيذ ما اعتزم ، على الرغم من
 نصحتنا له وزجرنا إياه

كان إبراهيم هذا شريكاً لشيخ العرب في بعض
 غنائه ، توشحت بينهما أسباب المودة ، وتوثقت
 روابط الألفة ، وأجبه شيخ العرب حباً شديداً
 ولا سيما بعد أن خطب إليه ابنته عز . كان فتي في
 نهاية المقد الثالث من سني عمره ، طويل القامة في
 غير إسراف ، ريان البدن في غير امتلاء ، مفتول
 العضل ، وسمي الحيا ، يرف في مقدمة فوديه وشم
 عصفورين باسطلي الجناح ، تزداد زرقة لونهما وضوحاً
 في تلك الحجر التي أشرب بها وجهه الوضوء الأبيض .
 تلمح نيل نفسه في عينية الواسعتين الجليبتين اللتين
 كانتا مضرب المثل في حدة البصر ، وتبين قوة
 عزمه وإياه طبعه في أنفه الطويل الأشم وشارب
 للرهب للبروم ، كما تلمس صرامته وجراً قلبه في
 سداد نظرائه وشفحة حديثه وإشارة يديه . ينظر إليه
 النساء والبنات نظرة الصباية والاحباب ، ويرمقه
 الرجال معجبين بفتوته وخفة حركته وروعة قواه ؛
 وهو إلى ذلك ماهر اليد ذكي الفؤاد في كل ما يطلب
 إليه من عمل ؛ يغزل الصوف في سرعة عجبية وإتقان
 مذهش ، وينسجهم رقماً عجيلة النقش بهيجة الألوان ،
 خبير بالنماذج يميز الجيدة منها لأول نظرة ، خبير بما
 يصيب الثنات من علل ، بصير بما يلزمها من علاج
 أو جيرة ؛ يقظ في السوق لا يتخذ في شراء ولا

أو يتيرها القعير المتلاذء الواضاح

كان شيخ العرب وهذا هو اسمه الذي اعتادته
 الألبين يقوم على حراسة « الوابور » القائم إلى
 جوار كوخه ، في بناء لم يتخذ من اللبن كما اتخذ
 السكوخ ، بل من الآجر المتين ؛ وكان شيخ العرب
 من أولئك الأعراب الذين ينتجعون الرزق في قرى
 مصر ، فلما جرى بذلك « الوابور » أقبل على حراسته
 بأجر معين . وهو إلى ذلك يرعى الأغنام ويتخذ
 من أصوافها ومن لبنها أناناً وطعاماً ، كما يصيب من
 بيع صفارها بعض المال

حللنا ذات صباح ذلك القليل الحبيب تحت
 هاتيك الشجرة ولم يبد من الشمس إلا نصف
 وجهها ، فأخذ بعض الرفاق من بني التميم يبحثون
 فيما ألقينا على الأرض من متاع ليهيئوا لنا الطعام
 وقد أحسننا الجوع بمدسير ساعة ، وتحلقنا على
 حصير حول الطعام ، فأكلنا في شهية كادت تصل
 إلى الشره ، وكانت نفوس الرفاق جميعاً تفيض بالرح
 والبهجة ، يزيدم انتماشاً نسيم الصباح الجليل الوافي ،
 كما كان كل شيء حولنا ينبىء بأننا سنقفى يوماً
 سعيداً

وأقبل شيخ العرب ، وكان قد ذهب مبكراً في
 بعض شأنه إلى عربة على بك وهي تقع غير بعيد على
 الضفة الأخرى للترعة ؛ ودعواناه إلى الطعام فأصاب
 منه يسيراً . ولا فرغنا انصرف الرفاق إلى ما اعتادوا
 من لهو ، فبعضهم ذهب بصيد السمك ، وتأهب
 البعض للعب الزرد ، وكانوا قد جاءوا معهم بصندوقه ،
 وبسط البعض كومة من التراب ثم خططوها
 وهبأوها للعب « السبيجة » . أما شيخ العرب فقد
 أسند ظهره إلى جذع الشجرة وجلس يدخن وهو

إليها بصره الحديد ! ولا تنسى هي إذا خرجت ترى النعم في متوع النهار أن تلف خصرها الدقيق بجزمها الأحمر الذي غزله بنانه ونسجته كفه ، ولا تحمل معها غير ذلك المود من شجر اللوز الذي أهداه إبراهيم يوماً إلى أبيها . وهو يتيمها يبصره أينما أتجعت ، حتى إذا اشتد وهج الظهيرة أودا إلى شجرة جلسا يطعمان مما حملا منهما من زاد

كان من أبهج الأيام عندنا أن يكون معنا إبراهيم ، إذ كان يتيسر لنا لمبه السبجة مع شيخ العرب فرجة متمتع ، كما كنا نطلب إليه بعض الواويل فنصفي إلى حديث قلبه وخالجات نفسه يفيض بها لحنه اللقي ، ويرسلها في القضاء صوته القوى ، ولكننا لم نجد هناك تلك المرة ، كالم تجده في المرة السالفة

كان آخر مرة لقيته ثاراً لا يقر ، مفيطاً عنقاً كأنه في نوزة النمر المزجر المحتاج ، وقد اخفى فيه ذلك الانسان الباش الرزين . ففر من مكانه كالسهم إذا انطلق فواجه أخته وكانت لدى باب الكوخ تتحدث إلى عز ، فحملت برهة في وجهها الذي سرت فيه صفرة كأنها صفرة الموت ، ثم بصق في هذا الوجه وهو يكاد يتميز من الفيض ! يحبس لسانه لكيلا ينطق بأماناً بما لا يليق من فحش القول ، وهو يحرق الأدم ، وينبث من عينيه بريق الشر والقت ، ولولا نظرة ملامة من عز خفت حدة وردت وثبتت لحطم يديه برأس أخته التي كانت تنفض أمامه انتفاض المصفور باغتيه الصقر ، أو الصبي صور له خياله أنه يبين يدي شيطان ! ثم التقط غصاه واتخذ سبيله مبتدعاً عنا دون تحية أو التفاتة ، وهو يتوعد ويؤكد الأمان

ينين في بيع ؛ يشارك الفلاحين في أعمالهم وهو ذلك الراعي فيحملهم على الإعجاب به والاعتراف له بالتفوق ، غطوطه في زراعة القطن كأنها ضربت على خيط ، وآراؤه في الساد والبزود وأوقات الزرع والحصاد آراء الخبير المجرب ؛ هذا إلى ذهن فطن ، وعقل مبتكر ، يفهم ما يلي إليه أول مرة في سرعة ويسر ؛ وتراء إلى جانب ذلك كله المقدم التفوق في القو واللب ؛ ينازل الرفاق في لعبة السبجة فيظهر عليهم ويسخر منهم ويلعب « الحطاب » فلا تخطيء يده ولا تسلك عصاه ، ويفنى في الأرغول أناسيد حساسية تبعث في قلوب خللاه الطرب والقوة

تمثل له في عز طيف أحلامه وصورة خياله فأسلم لها قلبه وأسلم قياده ؛ يرى فيها ما لا تراه عيناه في غيرها من بنات العرب ، فحبهاها الجبل الصبوح تننة ناظريه ، وعيناها الضاحكتان اللذبتان بهجة فؤاده ، وقوامها المرفف الرشيق متممة روحه ، وحبها الذي تسكبه على قلبه في حرارة وقوة هناة نفسه ونعيم حياه . يرى في أتران خطواتها وسرعة التفاتاتها صورة من نزوع نفسه وتوثب همته ، وبحس في حذقها ومهارة كفها ظلاً من مهارته وكفايته ، ثم يرى في رفق حديثها وهدوء طبمها ما يعوزه من رفق وهدوء ، وما تنوق إليه نفسه من سبكينة واطمئنان . على أن أم ما يسمو بها في عينه طهرها التي جمعت به بين بأس الرجال ونومة الأبقار ، والذي جعلها كالوردة في أعلى النصف تأخذها العين قبل غيرها ولكن يحول دون الوصول إليها علوها أولاً ، ثم ما يحيط بها هناك من أشواك رعى غنائم في الأرض القضاء ؛ فيراها عن بعد وسط غنائمها وحدها أوصحة حنظل أو مع أمها أو إحدى شقيقاتها فيعرفها قلبه ، قبل أن يتفقد

الزينة ، وتبالغ في التبرج ؛ فقد ماها الصنيرتان فأعلتاني أبدا ؛ وترى نملها الأصغر اللدقيق نظيفا كأنه لم يمس الأرض ، ومن نقاتها الأحمر المحبوك حول خصرها تتدلى على مرطها الأسود اللامع خيوط مختلفة الطول مشكلة الألوان تنتهي بذلال تملو وتهبط وتبازل عنة ويسرة كلها خبط خطوة أو حانت منها الفتاة . وفي صغيرتها شريطان ساطعا اللون معقودان ولكنهما لا يستقران على رديهما في موضع ؛ أما شقوقها وأقراطها وخواتمها وخالخالها فلم تقنع في اقتنائها بما دون الفضة . وترأها في مشيتها كالظبية تبت في الحقل من حولها السحر والجمال ، فإذا تفتت أو ضحكت أطلقت نفسها على سحبيها فلأتك حدة نبراتها وحلاوة صوتها نشوة وفتنة ، وحمك فيض مرحها على مشاركتها ولو كنت ضائقا بهمك

ولكن الفتيان والرجال لا يذكرونها إلا في تنامز وهمس ، وترام إذا جاء حديثها يتبادلون نظرات الخبث ، ويتناولون عبارات اللغو ، وترى كلا منهم وقد تشكلت أساربه بما يجوز في نفسه واختلجت عيناه بما نعى إليه أخيرا من أمرها

راح شيخ العرب يقص على من حديث إبراهيم وأنا مصغ بسمي اليه ، مقبل بمحواسي عليه قال : — أ رأيت ما كان من ثورته غداة كانت سكينه

هنا تسمى إلى عز بعض حديثها ؟

— رأيت ذلك خيرى وأزججى

— إذا لو علمت ما كان بينه وبين زوجها شبل

وما دب بينهما من شحنة وبضياء ...

قال ذلك وأطرق كمن يشغل رأسه ثم فاستفهمته ما حدث ، فأخبرني أن الرجلين يتربص كلاهما بالآخر

وظلت أخته في مكانها لدى الباب واجهة أول الأمر ثم بالبت أن عاودها هدوؤها ، وانبسطلت أساريرها كأن لم يكن هناك شيء ؟ ولعلها أرادت بذلك السكون أن تتظاهر أمامنا أن الأمر هين وأن ما يفضب أخاها لا يستحق كل هاتيك الثورة ؛ يبيد أنه لم يكن سكوتا متكلفا يحجب وراءه اضطرابا أو إشفاقا ، فقد هالتنا في عينها نظرات جريئة غريبة ، نظرات من يحس أنه في موقف البار والحزى ولكنه لا يستشعر ذلك الحزى ، ولا يرى مكان الحجل من عياه إلا التبعج باسم القى يدل على أنه يحس كل شيء ولكنه لا يبالي بشيء

كانت « سكينه » وهذا هو اسمها فارهة الجلال رائمة المحاسن ، لطيفة التكوين تحس هذا الجلال وتذكر بفرزتها مدى أثره في نفوس الفتيان والرجال فتعصن في الدلال وتسرف في إبداء زينتها ، وليس أحب إلى نفسها من أن ترى ما يقبل جمالها بقلوب الشباب ؛ لها عينان هما السحر أو يقصر عنهما السحر ضاحكتان أبدا ، ساطعتان كأنهما نجمتان جريئتان دجوان تصوبهما إلى القلوب ولا تستردما من حياء كما تفعل النسوة ، كأنما تريد أن تجهز على صرعها ؛ وما استطاع في لمح تينك العينين مرة أن ينسى سحرها أبدا . هذا إلى جبين سقيم وخد أسيل يبدو مشبعا بالحمرة مع ما يحسه من سفح الشمس ، وفم رف كارتف الزهرة في ندى الصبح تحتاج عليه البسات ، وتنقسم بينه وبين عينها النظرات ، وأنف لطيف دقيق إذا تغير قيد شعرة عما هو عليه فلن يوائم تلك القصات وهي لا تقنع بما أسبغته عليها يد الطبيعة من حسن فتراها تمن في

حوله أو هلكوا ! بخيل شديد الحرص ، يحاسب ناظر زراعته على اللبم حسابه إياه على الجنيه ، لا يذكر حسنة ولا ينسى إساءة ، يقيم نفوذه على البطش والجور ، عسوف عنوف لا تأخذه رافة بأحد ، لأنه يرى الرافة ضعفاً لا يليق بمثله ؛ لا يمدل نبوغه في جمع المال من شتى الوجوه إلا مهارته في إحكام الدسائس وتبذير وسائل الكيد ؛ على أنه في أشباع شهواته قد فأت كل نبوغ وتمدى كل حد ، حتى ليتلاشى تلقاء تلك الناحية فيه كل نبوغ آخر !

وقل في الناس من تكون له مثل تلك القوة البهيمية التي لا تعرف كلالاً ولا تحس مللاً

رأى. وهو على حمارة إلى عزبته في ثلاثة من رجاله ذات صباح امرأة في ظل شجرة ، فكأتمها تلاشت كبريأؤه بفتة . سأل رجاله في غير ترفع وفي غير حياء : من تكون تلك المرأة ؟ فأخبروه أنها سكيننة الأعرابية فمحبب كيف تكون في عزبته ولا يعلم بها ! فأفهموه أنها زوجة «النفرة» الجديد شبل ، فسرت في وجهه أولاً أمارات الارتياح ، ثم علم أنها أخت إبراهيم الأعرابي فامتعض وانقبضت أساريره ؛ وبدا له ، فاستماد كبرياده وراح يمان سخيله على وجود امرأة في طريقه دون حياء كأنما هان على الناس أمره ، واعتذر إليه أحواله بشى المماذير فعى أعرابية جاهلة ، وهى لا تعرف أن هذا طريق البك إلى مزارعه ، وهى لن تمود إلى ذلك بعد اليوم ، إلى غير ذلك من وجوه الاعتذار

على أن البك وإن تظاهر بالمزة في الناس ، تهون عليه نفسه فيما بينه وبين نفسه . وسرعان ما تهاقت على سكيننة حتى صارت شغله الشاغل ، وسرعان ما سارت لزوجها الخطوة والمال ؛ وقد عرفت الأعرابية الماكرة ناحية الضعف في هذا المتعاطف

يريد أن يقتله ، وأن الأمر وصل بينهما إلى مثل ذلك التخرج والعدوان ، فقد حدث أن لطم إبراهيم زوج أخته أمام جماعة الفلاحين من أقرانه في عزبة على بك ثم راح يكيل له السباب الملقح الذى يستفز الجبان ، ثم اختفت من غم شبل عشر نمجات ، ووجدت إحدى بقرتيه ميتة والأخرى بين الموت والحياة ؛ والناس جميعاً موقنون أنه ما قبل هذا غير إبراهيم بعد أن تهامس أهل الدزبة بما شاع عن سيرة أخته ، وهو مصمم إذا أراد ، جرىء إذا اتوى ، عات إذا نفذ ، ليس في المزة كلها من يخرج على سطوة على بك ويستخف بسلطانه سواء . على أنه اليوم لا يرى شباكاً كفاً لخصومته ، بل إنه لينظر إلى من هو أعظم وأسمى ، ينظر إلى على بك نفسه ويرى فيه غريمه وعدوه الأول . أو ليس يهطف اليوم على شبل العطف كله ، ويمده بما له ويمفيه من مشاق الأعمال ؟ وكيف يصبر إبراهيم بعد أن يتبين أن البك إنما يفعل ذلك كله من أجل سكيننة وعين سكيننة ؟ كيف يطيق إبراهيم أن يلقى الناس ويحتفظ بينهم بمكانته وهو اليوم تنبمه الفضيحة أبناً سار ، ويأتيه المار من كل مكان ، ويلقاه الخرزى أفى حل

كان على بك من أرباب الضياع ، يتحدث الناس بما كان لجدته من ثراء وجاء ؛ ولقد تقاسم بنوه من بعده هذا الثراء الضخم وذلك الجلاء المريض فاتته إلى على بك بن حسن بك منه جانب كبير ؛ ولكن أخلاق جدته انتهت إليه كاملة ، فهو شديد الكبرياء عظيم الأنفة غليظ القلب ، ينظر إلى أهل عزبته جميعاً نظره إلى عبيده وإمامه لا يهيم إلا أنت يشبع بطنه ويملأ جيوبه ، عاش من

التجبر فأسلمت إياه وحطت من كبريائه ، تدل عليه متى شادت فلن يستطيع قبض كفه عنها ، وتعكر به فلن يقوى على إردائها ، وهي تتقرب إليه مرة وتنفرد منه مرة فلا تجدد في الحالتين إلا الخضوع والإستسلام من ذلك البك الماني ! وأى خضوع هذا الذي يجعله على الرغم من مكاتته لا يتورع أن يتردد على كوخها بنفسه متخذاً من الليل ستاراً ؛ ذلك الكوخ الذي اختاره لها بالقرب من مسكنه غير عابى بما يقول الناس أو بما يتقولون أما زوجها فقد تنافل عن هذا كله وتجاهله ، وحسبه ما يصيب من وراء ذلك من مال أو حظوة عند سيده ! وما كان هذا الضميف ليلاً عيني زوجته المتبرجة الثرود . فهان عليها أمره منذ أن تزوجها ؛ وما مهد له سبيل هذا الزواج سوى صداقته لإبراهيم منذ حدثتهما . ولقد رضيت به كارهة مرغمة ، ثم ما لبثت أن طرحته وراء ظهرها فلم ترع له حقاً أو قل لم تحس له وجوداً . ولقد ظلمه إبراهيم حقاً فيما انتقم به منه فما هو إلا أداة قافزة حقيرة ، لا يملك من أمره ولا من أمر زوجه شيئاً

أفاض شيخ العرب واسترسل ، وما كان يمتني إلا إبراهيم ، وقد عرفت الآن سر غضبه ، وبواعث ثورته . أيستطيع وهو فرد فقير أن يقاوم البك وله من الأعران والجاء ما يقابل به بلده بأجمها ؟ ورأى شيخ العرب في حديثي إشفافاً عليه ، وفي عيني لطفه لسباع بقية خبره فقال : كثيراً ما طلبت إليه أن يأخذ حذره ، وألا يطلق لسانه بما لا يليق ، وعلى الأخص لأن خصمه ماضى البطش ، سريع الانتقام ، فظليع القدر ، لا ينجو من كيد عدو ، ولا يفر من جباله مسيء ، ولو كان

كسحنة الحبشى ، بيد أنها كانت على الرغم من ذلك تملك أشعة الشمس ، فيشند بريقها حتى يخطف الأبصار

وانتهنا على حين غفلة إلى الكلاب تجرى نابجة نحو التربة ، فاتجهت أبصارنا جميعاً إليها ، ولكننا لم نر غير الماء ينساب مسرعاً دافقاً ، وماهى إلا لحظة حتى رأينا حنظل يجرى نحو الضفة ومن وراءه راغب ، وما يشير إلى الماء ، وتبعتهما عزى وهى تؤبدهما بقولها : إنها جثة آدمى وليست جيفة حيوان . وأسمرت إليهم أسهم فوقفت معهم ، ولكنها كانت تخالفهم قائلة : إنها جيفة حمار . وأمعنا النظر فى الماء فرأينا شيئاً ساجماً ، يتحرك حركة غريبة ، هى حركة تدفق الوجود ، ولم تبينه أول الأمر إذ لم يكن يطفو منه فوق الماء إلا جزء يسير ؛ ولكننا استطعنا أن نرى كنفها آدمية عارية وجزءاً من الذراع ، ثم ما لبث الرأس أن تبدى برهة ولكنه عاد فاختفى ، ثم برز الوجه وبرز إلا قليلاً والتيار يحمل الفريق مسرعاً فيبدو للمعين من أجزاء جسمه ما يبدو حسب حركة الوجود . ولقد أحزننا ذلك النظر وروعنا ، ورأينا بعض الناس على الضفة الأخرى ، وكان الفريق أقرب إليها منا يرقعون أصابعهم بالتشهد ، كما رأينا بعض الغلمان يتجمعون ويمجرون على الشط قبالة الجثة ؛ وكأنما يجد شيخ العرب فى مكانه فلم يذهب إلى حيث كانت تقف زوجته وأولاده . وشمل الجو كله من حولنا رهبة شديدة وكآبة قابضة ، والفريق يجرى به للوجود فيدخل فى ظل بعض الحشائش ، ثم يخرج منها إلى ضوء الشمس ثم رأينا خمسة من الرجال يأتون مسرعين على الشط الذى كنا نقف عليه ، فساروا يتبعون الجثة

فى خمس : « رأيت كيف يكون مميت البلوى هؤلاء السادة ، ثم يتهموننا نحن الأعراب بأننا أصل الحوادث ، والحكومة تأخذ بما يقولون ولا تفكر أن تبحث أسباب تلك الحوادث ، أو تتبين بواعثها الخفية . . . »

وتوقف محدثى على نداء ابنه راغب :

— أبنا ؟

— ماذا يا ولد ؟

— حنظل وعزى وأى والنهات ... هاك ...

هاك إيش ها تريد يا بوى ؟

— ما أبنى شئ يا ولد ... اسكت

ولما وصلت عزى وأما وأخوها من «سرحتهم» إلى باب الحظيرة ، أشار شيخ العرب إلى ابنته فجاءت مسرعة وحيت فى طلاقة وهدوء ، وعلى وجهها مسحة من هما الدفين ، وقال لها أبوها : « لكبرى النار يا بنت ، وهات الشاى » ، وأعطيناها بعض ما لدينا من الشاى فذهبت لملعه ، ثم جاءت أمها فحيت وجلست ، وجلس حنظل غير بعيد منا وفى يده مغزله وصوفه

وجاءت عزى بالشاى ، فتهدت أمها وهى تحدها حدج الاشفاق ، وقال لها أبوها وهو يخفق هم : « دبرى الشاى يا عزى » ، وتناول كل منا من يدها قدحاً من تلك الأفداح الزجاجية ، ورحنا نحذى الشاى فى صمت

وكانت الشمس قد لآلأت صفحة الماء بأشعتها القوية التى كانت تبدو لأعيننا أعظم ضوء أو أشد وهجاً ونحن فى ظل الشجرة ، حتى لقد كان يصعب على بعضنا أن ندرك النظر لحظة إلى الماء ، وكان الماء يومئذ مثقلاً بذلك الثرى الذى يهفق به النهر الحبيب فى زمن فيضانه ، فكانت صفحة التربة

لبثت تنتظر وهي لا تدرى من الفريق، ولكن لم يطل انتظارها، فقد عاد راغب مسرعاً وكأنه يحمل إليها ثياباً سارا، وقال في سذاجة الأطفال وبراءتهم: «يا غنى يا غنى إنه إبراهيم أخو سكينه»

صرخت الفتاة مذعورة للثياب الفاجع، ولكنها حتى في ذلك الموقف تداركت وجودنا فقطعت صرختها وهزلت نحو الكوخ؛ وهناك أبصرناها تسقط لدى الباب ممشياً عليها، فجرينا إليها ولكن عبتنا حاولنا أن نفعل شيئاً، وأخذنا في أمرها من الارتباك ما يأخذ الرجال عادة في مثل ذلك الموقف. بيد أننا أسرعنا فأرسلنا من أحضر أباهما وأما، فجلست الأم بذلك يديها ورجليها وقد ألقَتْ رأسها على ركبتيها، وأبعدنا نحن الرجل قسراً عن الكوخ وأجلسناه بيننا تحت الشجرة وبه ضعف ما بابتها، ولم يبق حتى أقفّت من غاضبها، وكأنا عقد اليأس لسانها أو ذهب الملع بلها فلم تقل شيئاً، وكذلك انمقد لسان أبيها فلم يتحرك وهو يقاب كفيه في جزع لن يصفه كلام

وجلسنا نحن حوله وكأننا قوم اجتمعوا في مأتم فلا تتساءل إلا بالأحباط ولا تتجاوب إلا بالاءاء. وصر الرجال بعد لحظة يحملون غريبتهم على عطفهم التي أعدوها، يريدون أن يسرعوا بمقتنه حتى يخفوا الحادث

قضينا يوماً كثيفاً ثقيلاً لم نستطع أن نكمله فعدنا إلى القرية في عصره؛ وانقضى الأسبوع وحل موعد الذهاب إلى التربة، ولكننا لم نذهب فقد علمنا قبل ذلك الموعد بليسة أنه قد ألقى القبض على شيخ العرب فقد جاء ذكره في قضية مقتل علي بك فاستدعى لسباع أقواله إذ قد حامت حوله بعض الشبهات الخفيف

ربما تجنب، وفي وجوههم حسرة واهتمام شديد وكانوا يصيحون بقولهم: «البر البر يا طالب الدفن» ومن متعدياتهم أن الفريق ينجح إلى البر إذا صاح الأحياء أمامه بذلك العبارة

وليت شعري هل استمع الفريق إليهم حقاً؟ فلقد أبصرناه ينجح إلى الشاطئ قليلاً قليلاً حتى أوشك أن يلامسه غير بعيد منا، ولكنني لم ألبث أن تبينت سير جنوحه، فان انتشاء التربة في ذلك المكان جعل الموج يرتد من الشاطئ الآخر إلى شاطئنا فوجه إليه الفريق شيئاً فشيئاً

ودهبنا وذهبت امرأة العربي وابناها لرؤية الفريق. أما شيخ العرب فلبث في مكانه برهة، ثم قام فحامل على نفسه وسار يجر رجليه ليلحق بنا، وهناك رأيناه وقد أخرجه الرجال ممدداً على الشاطئ وقد تمزقت ملابسه وتورم جسده: رأينا إبراهيم جثة هامدة ولاحظنا على فقه ضربة وفي عنقه أثر شجار عنيف؛ ويحمل الرجال فستموا من عصيهم عفة ألقوه عليها وخلموا عليه بعض ملابسهم ووقفنا نحن مشدوهين أمام هذا المنظر وفيما لم نستطع أن نجس دمعه على الأرض لمرأى ذلك الشيخ الذي أذهله الرعب فتركه كالأصم أو المجنون وصرنا نحو الشجرة فرأينا عز وأخواتها في انتظار النبا فما كان لمن أن يرين غريباً ربما تمرى جسده. وهل كانت تستطيع عز أن ترى هذا الفريق ولو كانت على جسده من الثياب أطولها وأعرضها؟ هل كانت تستطيع أن ترى خطيبتها وحبيب روحها ممدداً على الشاطئ جثة هامدة متورمة؟ هل كانت تستطيع أن ترى إبراهيم وأحبابه من حوله يحسسون دموعهم بأ كفهم وهم من أشداء الرجال؟



جاهلها ، وإن كانت قد ناهزت الثلاثين ؟ فأومأت إليه أن يقيمها وانطلق على أثرها إلى غرفة منموزلة ؛ وقالت له بصوت متهدج صرتمش :
— هلم فأخبرني الخبر وأوجز ما استطعت فان زوجي ينتظرنى

فوقع كلائها منه إذ لم يكن يعلم أن لها زوجاً .. وتخاذل من هول الصدمة ، وكاد ينقطع عن الكلام ، لولا أن رأى اضطرابها فمدق الأمل عليه وقال لها :

— إن ضاق بك الوقت فلن يتسع لى أن أخبرك بكل شيء فى هذه المرة ، ولكن حسبك أن تعلمى أنى قد خرجت من السجن ، وكان مأواى فى هذه السنوات العشر الطوال . . أوه أأرجو ألا تنظرى إلى نظرة الاحتقار فلقد كنت أحسبك غير جاهلة أمرى وإن لم أكتب إليك ...

فطاشت نظراتها إليه بنظرات من الخوف والرب ؟ ثم قالت له بصوت صرتمش :
— وما شأنى فى كل هذا ؟

فأبلس ولم يدرك كيف يقول ، وتسلط غايه صوته المنب قبله إرادته ، وكثيراً ما كان يسلبه ما يسلب ويهيج فيه ما يهيج ، ونبه الصوت إلى وجودها ، ونبه وجودها إلى ذكرى الأيام الماضية فحنَّ وأنَّ واعتراه ما يعترى المحبين ، وجعل يلتبس

بينما كانت سيمون أدبل تهم بالخروج من (الأستوديو) إذ كان لها عمل المثلة الأولى فى شريط سينمائى جديد ، اعترضها شاب أنكرته بما كان يفشى وجهه من الأصباغ والطلاء فلم تثبته ، ولكنها دنا منها وأسرَّ إليها اسمه
— شارل جيرو ...

فذهرت الفتاة وتراجعت كأن هذا الاسم قبض على قلبها فهي تريد الإفلات منه ، ولكن الرجل خطا إليها وقال فى مسكنة وذلة :

— أما إنك لم تعرفين فقير عجيب ؟ فقد تصرَّمت عشر سنوات كاملة ، وفى دون هذا تنكر المرأة رجلاً . . . ولعلك تتساءلين ماذا جئت أفعل الآن بعد هذه الضيبة الطويلة ... ؟ فما جئت إلا لآنى على المهمل وما زلت أحبك

فأجابته : لملك جنتك ... !

فجمل رفقها فى ذهول ، ولم يصلق عينيه وأذنيه إذ لم يكن يتوقع أن يرى ويسمع ، وهو الذى تجسم فى شبيلها ولقى ما لقى من أجملها ؟ ثم قال لها :

— أريد أن أفرد بك فان لى حديثاً وكانت سيمون لا تزال كعده بها وضيفة فانتة جذابة ، بأرعة الشكل ، بديمة التكوين ، رقيقة اللامع ، عصبية المزاج ، لم تقل الأيام من

ففضت بصرها وهزمت رأسها علامة النقي ،
ولكنه صرّ في حديثه وقال :

— لقد دفع إليك صديق « أدولف ملبان »
في ذلك الوقت مبلغاً كبيراً من المال وزعم كما
أوعزت إليه أنه من أحد أقاربك ... غير أني
كنت أأمل أن استدركين أنه مني

فبدت الدهشة على وجه سيمون وقالت :

— أدولف ملبان ... ! أدولف ملبان ... !

— آه .. لكلك تذكرينه الآن . ؟ لقد كان
صديقي الحميم فاستودعته المال ليسهل على الحرب .
ألم يدفعه إليك ؟ أجيبني ...

وكانت ترمقه بنظرات غريبة فأخذ يدها بين
يديه وجعل يشد عليها ولكنها انزعجت منه وفرت
لا تولى ، وثبت في مكانه لا يلحق بها

ثم عاد الى غرفته وفي نفسه الأمل ، فذلك
الانفعال الذي بدا عليها لم يكن من غير شك النتيجة
هذه المتعاقبة . . . كلا . . . كلا إنه لن يهون عليها ومن
أجلها سحجن عشرين سنوات . . . ولكنه اغتم لزواجها
وداخله الشك في أمانة صديقه أن يكون قد ذهب
بالمال ولم يؤده إليها ، فترى ماذا فعلت المسكين
بعد اختفائه ؟

وتفتحت له القاذورة وأطرق بفكر في الأيام
الماضية . .

كان شارل وسيمون من بلدة بوجر فتمارقا
وتحباباً منذ الصغر . وكانت أسرته غنية واسعة
النقي ، أما هي فكانت بتيمة لا مال لها . فلما أراد
الزواج منها كبر ذلك على أهلها وأبوا أن يقرروه
فرحل معها الى باريس وكان لها من العمر ثمانية
عشر عاماً ، فأخذ يرتفق ببعض الأعمال ليكسب

الألغاز فلا يجدها ، ولم يدرك كيف يذكر لها أنه
من أجلها سرق ومن أجلها قتل ...

لقد كانت كل ما فعل فما تعلم شيئاً الى الآن ،
وبوده لو كانت تعلم ؛ إذن لأدركت محلها من
نفسه فعسى أن يرتفع بذلك في عينها وتعرف أي
حجب هو ... ؟ ولم يكن يرتاب في أن مجرد التقائهما
بضله منها بما مضى ويستعيد إليه حنانها القديم ،
وإن يكن للحظ عمل فالخط هو الذي هداه اليها
ويسر عليه البحث عنها ، وجاء باسمها بين أسماء
العائلات في السبيل فما كان أسهل عليه بعد ذلك أن
يمرر مقرها ... أفبعد هذا يحشى ويرتاب ويأس ؟
وتعلم لسانه وغنم قائله :

— أراك خائفة مني ... أو لا فهو الحذر
وما يحق لك أن تحذري من يحيا بهواك ، فان
كانت رؤيتي قد ساءت فمذرة ...

فبدا التأثير على وجه سيمون وكأنها ندمت
على ما فرطت منها ، وهاج شجونها منظر الرجل الذي
طلبا أحبتة ، وقد جاء يسألها هذا الحب مرة
أخرى ، فقلبا قلبها وانفرطت الدموع من عينها
وتساءلت في حزن ورقة :

— لست أدري كيف يقدم شاب مثلك على
فعل جزاؤه السجن ؟

فنتجهم جبينه وتساقلت الكلمات من فمه

— لقد اضطررتي اليؤس والحب ...

فاحتجبت عليه قائلة :

— أهنأك بؤس فوق ما تحمّلناه معاً ؟

فلم يطق صبراً وصاح بها :

— ألم تدركي بعد أني لم أقترف ما اقترفت إلا في
سبيلك ولأنت تشك من هذا الشقاء ؟ ألم تعلمي أن
السمادة قد جاءتك في الوقت الذي اختفيت فيه ؟

عامل البنك ويتربص به الى أن سنحت الفرصة فانقض عليه ذات مساء في مكان متقطع قدس في قه خرقة مبللة (بالكلوروفورم) ثم احتوى ما في حقيته من المال وتسلسل الى منزل صديقه ولم يره أحد

ونقض خبره لصاحبه فاطهر له هذا من الاخلاص والمطف ما سكن إليه ؛ وقال في نفسه جريمة دون جريمة ، وسرقة أخف من قتل ...

ولكن جرائد الصباح ظهرت تحمل نبأ وفاة عامل البنك من قتل (الكلوروفورم) فارتاع شارل وأسقط في يده وأخذ العيب . وتنصّح له صديقه فأشار عليه بأن لا يرجع الى باريس حذراً أن يتم عليه المال وقد عرفوه مطلقاً ؛ ثم زين له السفر الى مدينة برن والبقاء فيها حتى يُنسى الخبر ويُعالى القضية

ورأى شارل أن هذا هو الرأى ، فمدّ يده ففكان ثروة ... ثم عزل منه القسم الأكبر ودفعه لصديقه على أن يحتفظه عنده أياماً ثم يؤديه لصاحبه سيمون أدبل في باريس ويزعم لها أنه من أحد أقاربها . قال :

— فان شكك في الأمر فمليك بالصمت وقل لها المال هو المال ، وسوف تعلم متى ما لم تعلم منك ، وإذا نجوت فان أوبى إليها قريبة ، وإذا وقعت فاني متلف جميع أوراق فلا يعرفون اسمي ولا يهتمون بي إليك

وتساقى الصديقان طويلاً ، وسافر شارل الى برن فأقام بها خمسة عشر يوماً وثق بعدها من نجاحه فأزعم العودة الى باريس ؛ وما كاد يترجم حتى كبسه الشرطة وقبضوا عليه ، ولم يدر من أين دهي ١٠٠٠

ما يتبادران به . وكانت هذه حاله بصمة أشهر ، فا نقص من سعادة المال أمته هي بوجودها ، الى أن جاء يوم أعوزته القوت ولم يجد عملاً فأصبحاً ولا مأوى لها يضربان في شوارع المدينة وبينتان في ضرائها فلم يتربدا من الكتابة لأبيه يسأله للموثة ، فأرسل إليه ما يكفي لتوفية دينه وابتاع تذكرة العودة ؛ وهذه ان هو لم يرجع الى الحال ان لا عوون ولا مساعدة ولا ميراث ... !

ولكن شارل لم يعبأ ولم يكثرث لوعيد أبيه وآثر البقاء مع سيمون والحب والفقر ؛ ثم سحت له فكرة السفر الى جنيف ليستمتع خالته الفنية قبل أن تحسّر يده مما أرسله أبوه . وودعته سيمون على الحطة بمد أن تواعدا على اللقاء بعد أسبوع ... ولم يخطر لها في تلك اللحظة أن اللقاء لن يكون الا بعد عشر ساعات كاملة ... !

ولما وصل شارل الى جنيف لقي خالته وسألها ان تقرضه مالا يتسبب فيه بالتجارة ولكن أباه كان قد أنهى إليها الخبر وحذرها ، فمستفته وردّه ردّاً قبيحاً . فتارت فائزته وجن جنونه ، فإذا تفعل سيمون إذا فقد القليل الذي تركه لها ؟ إنها بين موتين ، فاما ان تموت جوعاً أو هو الموت الأدبي للمرأة الحسناء ...

وأخذ يقلّب رأيه ويفكر في حاله ، وكان قد اطلع في الصحف على أخبار السطو على عمال البنوك ، فلم يده فكره المضطرب الى خير من هذه الوسيلة ، وما ينفذ السالم ولا يضره نقص اللصوص واحداً أو زادوا واحداً ...

وأعدّ عذبة وترك منزل خالته بحجة الرجوع إلى باريس ، ثم أوى الى منزل صديقه أدولف مليون وكان طالباً في إحدى جامعات جنيف ؛ وأخذ يتأثر

الميسر وخيليات السباق ، وأصبح عالة عليها تطعمه وتكسوه ، وما تحب المرأة من تطعمه وتكسوه . وكان الى ذلك قليل الحزم كثير التسويف فقال لها وقد أشاح بوجهه عنها :

— ليس هذا بالرأى . . فقد لا يعلم زواجنا أبداً ؛ وما أحسبه إلا يائسا منك إذا أباسته ، فيدعك وشأنك . وكل ما يجب هو ألا يراني فأجابه في ازدراء :

— إنك تخشى إذا هو علم زواجنا أن يهكم بأنك دلت عليه الشرطة وفضحت جريمتي . . فإزلت أنتساءل كيف قبض عليه وقد كان أمنا ولم يتعن أحد غيرك ؟

فبهت الرجل وقال لها وقد اختنق صوته . — أفتظنني مهما كنت سافلاً أسفل الى مثل هذه الدنيئة ؟ أنتقدني ذلك يا سيمون ؟ فأجابه ببرود : ولم لا ؟

فصمق لكلامها وظل باهتا مشدوها ؛ وقامت هي الى الباب وألقت اليه وهي تخرج من الترفة : — لا يدهشك أن تراني في أحضان شارل . . فظل قابلاً متكدساً في مكانه وقد طاش عقله .

فهو ما زال يحب سيمون ، ويؤثر الموت على أن يفقدها ؛ ولكنه قال في نفسه : « إن في ذكرى الأيام السيئة التي قضتها مع شارل ما يحول بينها وبين شارل » ، ونسى هو الآخر أنها من النساء وصدق حدس الحبيب الأول ، فتمكن شارل مرة أخرى من مقابلة سيمون في (الاستديو) والتحدث اليها ، وكانت تصدف عنه في بادئ الأمر ، غير أن الحب للتأجيج في صدره نفى عنه اليأس بل هوّن عليه أمر زواجها وما يدرى بمن تزوجت . . . وقرّ في نفسه أن صديقه لم يؤد اليها

وقلت البتة فعلها في نفس هذا المسكين فتعلاجج ، وقرّ روه وجعلوا يسردون أخبار جريمتهم عملاً عملاً وكلمة وكلمة فتضمض وأقرّ ؛ بيد أنه رآهم يجهلون اسمه ، فانتحل اسماً فأخذوه به وحكم عليه بالسجن عشر سنوات بالأشغال الشاقة ، وكانت الجرائد الفرنسية في شاغل عن مثل خبره باضطراب الحالة الدولية في ذلك الوقت فلم تنشر اليه ، وهكذا أخفى أسرهم وظل مجهولاً من أهله ومن سيمون ، فكان هذا عزاءه في سجنه ، وهان عليه ما سوى الفضيحة عدد من يحب . وأخذ يمل النفس بأنه متى انحسرت هذه الحفنة واتي سيمون وأفضى اليها بالخبر ازداد حظوة لديها فجزته وقاء بقاء وإخلاصاً بإخلاص ؛ ونسى أنها من النساء . . .

وتصرّمت المدة وخرج من السجن فلم يبق بقاء والديه وحرمانه ميراثهما ، ووقع له عنوان سيمون في اعلانات الصحف فكان ما وجد أحب اليه مما فقد . وما هو ذا الآن يردد في نفسه بمد أن قابها « إنها ما زالت تحبني وإن أصبحت ذات بمل ، فان كان قلبها لي وحدي فهي لي وحدي ... »

وجلس سيمون في الوقت نفسه للعشاء مع زوجها أدولف ملبان بمنزلها في شارع كورسيل ، وكان زواجهما من عشر سنوات ، فجري بينهما كلام قالت فيه :

— يجب عليك أن تطلع شارل على الحقيقة قبل أن يعرفها من غيرك فذلك أحرى أن يخفف وقعها عليه

وكان أدولف رجلاً باذناً خامل الحركة ، لم يعمل عملاً منذ ورث الخالية على سيمون بأرباحها الطائلة فهو متبطل يقضى أيامه فيما يزينده مخولاً بين دور

ومر اليوم طويلاً بطيئاً كأنه يسد دقائقه واحدة واحدة ؛ وكانت سيمون تلحظ على زوجها القلق والاضطراب على ما يبدو من سكنته ، فأعجبها ذلك ، وابتسمت ابتسامة خفية وقالت في نفسها : « إنه هو أيضاً يحبني ... »

و فرغت من عملها فأخذت تتحدث إلى بعض صديقاتها ؛ ثم عادت إلى منزلها فدخلت إلى حمامها وأطالت المكث فيه ؛ ثم جمعت تزيين وتجميل في زينتها والوقت يمر لا ينتظر حتى إذا ما استقلت سيارتها كان قد فات الموعد الذي ضربته لشارل ، وانقضت ساعتان ...

فلما بلغت المنزل أبصرت بالقرب منه سيارة عرقها وسرها أن تراها ...

ثم تقدمت إلى الباب الخارجي فلاح لها نور ضئيل ينبعث من إحدى الغرف تحت ظلام الليل الخامس ؛ ففتحت الباب وردته وراءها ثم دخلت إلى الغرفة المضيئة فوقع بصرها على جسم ضخم منكفي على الأرض فندت منه في غير ذعر ولا دهشة ، وانحنى عليه تنبئته فإذا هو زوجها أودلف وقد تشحط قتيلاً في دمه ...

وأخذت تتجمل ما حدث فكانت القضية في خيالها أن الصديقين التقياً على لجأه فجر الكلام الكلام ، وعلم شارل أن أودلف هو صاحب المنزل وهو زوجها الذي خان عهده وخلفه عليها فطاشت الغيرة بمقله فقتله ، ثم هاله ما صنع واستبطلأ قدوسها فنجبا بنفسه ...

وجملت تتأمل الجثة وقد علت شفتها ابتسامة شيطانية ، وقالت تحدث نفسها بصوت مسموع وقد أدمنت أن يسمعها أحد :

— كنت أنساك : من سيقتل منهما ... ؟

المال فاختلّت حالها ، فذلك سبب زواجها آثرته على السقوط ، وتلك فضيلة تسره ولا تحزنه ... ولم تقو سيمون على تبار هذا الحب الجارف فتفتش قلبها وباتت تنتظر صاحبها كل يوم على باب (الاستديو) فتصطحبه في سيارتها للتنزه في الغابة ...

وسألها شارل في أحد الأيام :

— أنا تخشين أن يباغتنا زوجك ؟

فأجابت وعلى شفتها ابتسامة ذات معنى :

— إن هذا لا يعني ألبنة

وكانت هذه هي المرة الواحدة التي جرّ فيها الحديث إلى زوجها ولم يسمح شارل لنفسه أن يسألها عن حياتها طوال هذه السنوات المظلمة وألمها ما هو فيه وأصبح لا يفكر إلا في أمر حبهما ومستقبلهما فقال لها :

— أخبريني أن لك منزلاً ريفياً بضاحية سان جرمان وأنكم لا تنزلون به إلا في الصيف ، وعندى أنه أفضل مكان نختل فيه دون حذر ... فاستحسن رأيه واستعملته إلى أن تحتاط للأمر ثم يكون له ما يجب

وفي ذات يوم فاجأته بقولها :

— سأقوم هذا المساء بعمل التجربة الأخيرة للشريط السينائي الجديد ، ولا ريب أن زوجي سينتهز هذه الفرصة فيقصي البيلة في اليسر كدأه كلما غبت وبهذا يتخلو وجهه .. فهناك مفتاح منزلنا الرقيق واحرص على أن تكون هناك عند منتصف الليل فسأوافيك في هذه الساعة وقد انتهيت من عملي ؟

فلما افتتح دوسه في جيبه ، وما تسفه الدنيا سرورا وغبطة

ومن غيرك يبعث بهذه الرسالة إلى أدولف ؟
ثم أخرج من جيبه خطاباً غفلاً من الامضاء
يجعل يقرأه عليها :
« إن كنت تريد أن ترى بينيك خيانة
زوجتك فاذهب الى منزلك الرقيق عند منتصف
الليل »

فتباهت كأنها لا تفهم شيئاً ، ولكنه نظر
إليها في ازدراء وقال :

— لا تحاولي الإنكار فما تجدني دليلاً إلا قام
دليل ... ولقد فاجأني أدولف ، فلما رأيته يقتل ،
ولكني ظهرت عليه وانزعجت سلاحه ثم رميته
بخيائه فتبرأ منها وأكد لي أنه دفع اليك المال منذ
عشر سنوات ، ولم تكن به ردية فبعت به وأغرخته
وسلّطت عليه هواك وفتنتك ورضيته عاشقاً ،
ثم رضيت به زوجاً ، وعلمت منه كل ما جرى علي
لم يكنك شيئاً ... وكان السكين يمدني والجنون
يطير في عقلي وتمتلك تسخيرين في تقتله على غير
وحي ... ألا فاخبريني الآن ماذا نجّاهت وأنت
عارفة ، وهل تلك إلا نية السوء وضمير الشر ؟

فسكنت هسبة ثم نمت :
— كيف لي بالحجة وأنت لا تصدقني ؟
فاستأنف كلامه بصوت محموم :

— لقد كنت واقعة من قتل أحداً ، فابتلاق
عاشقان لاهراً واحدة في مخدعها إلا على جرعة ...
ولا شك أن أدولف كان يعلم أني أنا الذي ينتظر
هنا في منتصف الليل ، وإن لم تذكر لي اسمي في
خطابك ، فجاء على نية القتل ومعه سلاحه لأنه
كان يخشاني ... ولقد غررت في وخدعتني بمحبك
لتنهني بي إلى هذا المصير قائلاً أو مقتولاً ، وهل
جئت بعد الوعد بساعتين إلا لتكون الجرعة قد

فها هو ذا أدولف وقد استرحت منه بقتله كما
استرحت من الآخر بالقرار
ثم دارت على عقبها وهمت تريد الخروح ،
فانتفض جسمها إذ رأت شارل بالباب يقول لها وقد
تكلم وجهه وانقلب سحنته :
— إذن كان أدولف صادقاً ؟

فامتقع لونها بصفرة الموت ، وظهر في عينيها
الرب ، ولكنها تأسكت وصاحت بصوت غتقت :
— أنقتل زوجي ثم تتجراً ...

غير أن شارل قطع عليها وقال في جفاء
وخشونة :

— كيف علم هذا الرجل وكيف جاء إلى هنا ؟
أجيبني من هذا الذي استدركه ؟

فزاغ بصرها وتلجلج لسانها وتمتعت :
— لست أدري ... لست أدري ... ! لعله
حكم الاتفاق والصادفة ... دعني أخرج من هنا
والأصرخت وجمت الناس عليك

فهز كتفيه ورمأها بقهقهة منكرة اقشعر لها
جسمها ثم قال :

— اصرخي ما شئت فاني يجديك ... فالسكان
منزل والقوم نيام ، وهي أحداً منك فأفانك فانه
سوف يقبض عليك بتهمة الاشتراك في الجريمة ...
ألم تهري مي من جورج قبل افئق عشرة سنة ؟
وبعد هذا أألت أنت أعطيني مفتاح المنزل ؟
فقال وقد انخذلت ووهنت قوتها وأحسبت
الأرض تميد بها :

— لست أدري لم تخاطبني بهذه اللجة ؟
— ذلك لأنك دخلت إلى هذه الغرفة وكل
حركاتك ثم عن دخيلة نفسك الخبيثة ، فقد ظهر
لعيني أنك كنت تتوهمين رؤية هذه الجنة هنا ...

شيء أحبك وأنت صملوك ، وأنت عاثر الجدد ،
وأنت خامل مجهول ؟ أفنتحب بعد ذلك من وقوعي
بسهولة في أحضان أدولف وقد جاءني بالمال والجاء ؟
وما نسيت شؤمك حين ظفرت به فغشيت أن تمود
إلى وتقع في حياتي وقوع الهم في السعادة ، فما
كذبت أعلم من صديقك بما اقترفته من تلك الجناية
وهو يحذني بها متحزناً عليك رائياً لك ، حتى
أسرعت فأبليت الشرطة ودلتهم على غبتك ليأخذوك
عني أنت وشؤمك وتماصتك ...

ثم صاحت وهي تهقه بجنون :

— قال " يرجع الفضل في سجنك هذه الشر
السنوات ... أسمع يا شارل ... أسمع ياشارل ،
وهل فهمت الآن ؟

وبقي شارل كالأخوذ ، على حين ازداد هياج
سيمون واتسمت أوجفانها وحفظت عينها ،
وأخذت تقبل وتدبر كأنما ترقص حول جثة
أدولف ... ثم قالت فيما تهذي :

— وكذلك ضربتُ أحدكم بالآخر ونخلصتُ
منكم معا دون أن ألوث يدي بالجريمة ... ألا ترى
هذا تديراً يا عزيزي ؟

وظهرت عليها أعراض الجنون ، فقال شارل
في نفسه وهو يتنصع لها : « ذلك خير ما أعناه
لبراءتي ... فلن يأخذ أحد بقول امرأة مجنونة ،
وسيمتقدون أنها هي التي قتلت في حالة من حالات
نفسها ، ومسدسه أقوى دليل على انحصار الأمر
فينا بين الزوج وزوجته ... »

وبينا هو في تفكيره انقضت عليه سيمون
تريد الفتك به وهي ترخي وتريد ، فدفعها عن نفسه
وانفلت منها وخرج هارياً والمجنونة تصيح بالهتة :
— اقتل شارل يا أدولف ... اقتل شارل
يا أدولف ... !

محمد الزاوي

وقعت في هاتين الساعتين ؟ فان كنتُ أنا المقتول
هددت زوجك فخطمت منه ، وإن كنت
القاتل أسلمتني إلى الموت إذا لم أفر ... ؟ ولماذا
جئت ، وكأني في اسطاعتك ألا تبجي لولا
ما استحكك من غرضك الخبيث لتتني خطتك
الجهنمية ... ؟ فلا تنسى أنني قضيت عشر سنوات
بين القتلة والمجرمين وعرفت كثيراً من ميولهم
وطباعهم

ثم قطع حديثه وسكت لحظة وكأنما عاوده
حبه وأخذته الذاكرة بها ، فقال بصوت خافت :

— اصنني إلى ياسيمون ... لن أمسك بسوء إذا
أنت أخبرني ، لماذا أردت التخلص مني ومن أدولف ؟
فأجاب سيمون وقد سكن اضطرابها وامت
عينها ، وأخذت تضحك ضحكة جنونية :

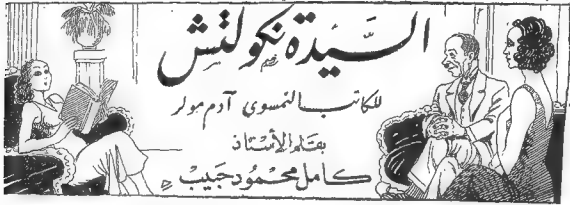
— إن كنت تريد علم ذلك فاعلم أنني أحب
رجلاً ثالثاً ...

فتحرك قلبه وزادته رغبة فيها ، وقال وهو
يفيض حناناً ورقة :

— وهل نسيت ياسيمون أيام حبنا وعهد
شبابنا وأحلامنا ، وأني في سبيلك عانيت ما عانيت ؟
أستُ بهذا أحقُّ بك من هذا الجيب أ

فكأنما طمأنها في قلبها ورأته متطفلاً على الحب
وما كانت تُصانمه قبل ذلك إلا مكيدة وخداعاً ،
فهاجها فجاءها ، وقالت في ثورة من الغضب :

— ألم تدبر بعد أنها الأحقُّ أنك أبغض الناس
إلى ؟ وكيف تريد أن أنسى شؤمك علي ،
وما ابتليت به في مفاشرتك من تكذوم ، وفقر
وتعاسة ؟ لقد استغويتني ففررت ملك إلى باريس
وكنت صنفرة طائشة ، وأملت أن يوافق أهلك
على زواجنا ، فغاب الأمل وذهبت الأمانى ،
وبقيت أنت ومابعك إلا نكد الحياة ، وفي أي



السيدة نكولتش

للكاتب النمساوي آدم مور

بترجمة الأستاذ

كامل محمود جيب

المدرسة ، وهذه فرولين يبسئ أختها تنطلق كل صباح في سيارة السيدة الفخمة الأنيقة لتشتري شيئاً ، أو تزور صديقاً ، أما السيدة نفسها فما كانت تترك الدار إلا بعد أن تتناول طعام الغداء عند الساعة الواحدة بعد الظهر

وكانت الطفلة في سني طفولتها الأولى ترافق أمها إلى الحدائق ، أو إلى الغابات ، أو إلى المنتديات . فلما شبت وترعرعت حال بينهما أصر . فالأم تنطلق إلى لهُوا ومتمتها وميلنكا في خدرها تتلقى درسا في البيان ، أو تجلس إلى مربيها تحدهن حديث المدرسة ، وهذه تقص عليها بعض ما يثر به المعجزة ، وهي يجوز شمعاء تسهر على الطفلة وتجوبها بعض ما تهفو إليه نفسها من الحنان والعطف وأنها هناك ... أو تسكب على درس تطالعه ، أو ...

ودأب تقولاً يتكوف على تناول طعام الغداء في دار السيدة ، والسيدة ترعم أنه معها ، وهو يصحبها هي وأختها في غدوها ورواحهما وبضئيهما المنتديات العامة والسارح والحفلات ، ثم اندموا جميعاً بزجون بأنفسهم في حياة الصخب والحب ، كأن بهم ظمأ للبحث والرح ، وبدت السيدة نكولتش في أعين الرجال جميلة جذابة فيها اللباقة والبراعة والذكاء ، ثم ... ثم لمسوا في حديثها نفثات السحر والطرب ؛ فراحوا يتوددون إليها

منذ سنوات عشر كانت تسكن داراً أنيقة في حي كارتير في فينا ، وهي حسناء ناعمة ، واضحة الجبين ، بإسامة الفتر ، هيفاء رقيقة ، يزيد جمالها شمر فاحم رجبل ، صفقته يد صناع ليضاعف من جمالها ورواقها ، وفي عينيها الزرقاوين الحاليتين تفتقر وحوور ... ولقد عجبت زوجة البواب أن ترى هذه الفتاة تلصق إلى بابها قطعة من نحاس مصقول لامع كتب عليها « السيدة نكولتش » و « السيدة » في فينا هي العاملة أو القابلة أو الخياطة ؛ وما هذه واحدة من أولئك

وكانت زوجة البواب تعلم علماً يشيع في جوانبه الشك أن هذه السيدة أرملة سياسي صربي قضى عمره من عمره في سفارتى برلين وسانت بطرسبرج ، ولكنها تعلم علم اليقين أن للسيدة أسدقاء كثيرين فهي ترى الدار تمتج كل ليلة بالزائرين وهي دائماً تتعطف ، وهي دائماً تسترقق السمع والبصر ؛ لتشبع رغبة في نفسها ، ولتستطيع أن تطعم بعض نفثات المائدة ؛ أو هي تنطلق إلى صاحب الدار ، وهو كوت يجوز فيه السلاح والوقار والزهد ، فتتشر على عينيها بعض ما ترى وما تسمع ، فتكون الفضيحة ...

ولم تكن السيدة تسكن الدار وحدها ؛ فهذه ابنتها الصغيرة ميلنكا تطوى نهارها بين جدران

نشأت في وادي درينا ؛
جئت بك إلى دار أبي
لنستريح قليلاً ، يا عزيزي

أنا لا أحبك الذهب ولا أفتح أمامك
الكنوز الثمالية

لأنني فقير لا أملك من ذلك شيئاً
ولكنني أطرح عند قدميك الصغيرين قلبي
قلبي وقد أفعمه الحب والفراق

وعرفت الطفلة أن هذه الأغنية هي بعض قلب
أبيها لأنه استقبل بها زوجته الحبيبة لأول مرة
هبطاً معاً دار أمه ، وأرادت الطفلة أن تسمع من
المجوز قصة أبيها وما اكتنحت به عيناها ، ولكن
النجوم كانت تدفعها في رفق « ستملحن ذلك ،
يا عزيزتي ، حين تبكين من الفتاة ... »

حقاً ، لقد كان الأب صديقاً أحرم بوطنه
وأحب زوجته وابنته في وقت معاً ، وهفت نفسه
إلى أن ينشئ ابنته في دار أمه ليسكب هوى قلبها
بعض ما يفتل في هروقة من هوى لبلاده ، غير أن
الأم نفرت منه — بعد حين — لتميش في
منأى ... في برلين ؛ وهو يزورها حين الفنية والفنية
ونشأت الطفلة لا تجد السعادة إلا بين جدران
المدرسة ، بين صديقاتها وزميلاتها ، فكهرت
الدار ، وبدأ لها ما يكتنفها من غموض وعزلة ،
فسيطر عليها السخط والألم ؛ فشبت وشب معها
البغض لأهلها ، والمقت لدارها غير أن مفاتها راحت
تملن عن نفسها فبدت فتاة جذابة ، رائحة الحسن ،
جميلة الطامة ، فيها الأنوثة والدقة والنجل ...

وكانت السيدة قد اعتادت أن تصحب اختها

ويتملقونها ، وهي تبسم في رقة وهدهوء ؛ أما يميني
فكان في مرحها الحق ، وفي حديثها المجون ، وفي
نظراتها الاستهتار ، ثم هي لا تتحرج ولا تتأني ،
وكيف تفعل وهي تريد التمتع واللذة ، لقد فقدت
الزوج وفقدت الأمل فيه فأرادت أن تجد الصديق
والصديق و ...

وكان نقولا بيتكوف عضواً في مجلس إدارة
الدولة انتدب في السفارة الروسية ، وهو رجل
طروب لمع المشيب في عارضيه ، غير أن قلبه ما زال
شاباً فيه الزروات الطائشة ، قوى مأسك لم ترعزعه
الشيخوخة وهي تهاجمه في شدة وعنف ، سياسي
عبقري يرى النجاح والرقى في التجسس والإغراء
فهو ينشر شباكاً هنا وهناك فما تخفى عليه خافية من
أسرار العظماء والوجهاء من الأجانب والوطنيين ...
وشاع عنه هذا غفافة الجميع ، وتجنبه جماعة وحذره
جماعة غير أن واحداً لم يلتو عليه

وكانت السيدة وأختها هما ساعدها : فالأولى
تنقص في خداع المرأة ورزاة المحرب ؛ وأما الثانية
فكانت تندفع في طيش وتهور ، أشفقت منهما
السيدة أن بمصفا بما تستمع به من احترام وتقدير ،
وبيتكوف بلغ وبلغ ...

في هذه الحياة المضطربة ابتداء السقم يفتتح عن
زهرة ناضرة جميلة مات أبوها وأما تلوه ، محبسا
دواعي الميث والني في حجرتها ليلافا تريحها ، ثم هي
لا ترى إلا الألم بيتكوف يرميها بالنظر الشرز ويقنع
لها في القول ويقسو عليها ، وإلا مريميتها المجوز
أنوكا ، فما تجد اللذة في شيء سوى أغنية عذبة
تردها المجوز كل مساء عند فرائشها :

أما سياد

دم أجداده الكرماء ، فابه من عبث وما به من
لهو ، فهو يهوى الفتاة ، وهو يريد لها لنفسه منذ
خفق لها قلبه ؛ والمجوز تضطرب في رأسها
الخواطر المتناقضة : أفستطيع الفتى أن يتزوج من
فتاة ، وهي تصل بينهما ، وهي لها الفتاة بعد الأتية
تحت أستار الظلام ، في منأى عن الرقيب والواشى

ورجعت السيدة وأختها وقد آلتها الخيبة ،
وحز في نفسيهما الاعراض والطارد ، وعاد المم
يتكوف ليرى ... يرى الفتاة بين أشجار الحدبة
ترف رفيف الزهرة البانمة في نبات الفجر الندية
نغليه جمالها ، واضطرب قلبه حين وجد فيها صورة
الأم منذ سنوات وسنوات ، واستلبه بعض ما رأى
من قسوته وغلظته ، فهوى على يد الفتاة يقبلها في
شفف ولهفة ، ففزعت هذه وجفلت وهي تقول :
« أى عى ، عى الزبى ! »

وانطلق الرجل الى السيدة ليرى ... ولأول
مرة بدت في نظريه قبيحة تستلبها الشيفوخة من
جمالها ويدا أرويدا ، فافها وانجذب عنها وعن
أختها في وقت مم ، ورأت هي فيه الفتور : وفي
حديثه القسوة ، فحزنت حزن المرأة تفقد عشيقها
وعائلها ... أبابيسى فما كان ليستبها ما رأت من
عمها وهي الرحمة الطروب ، ففادرت الحجر في
خفة وهي تقول : « سأحب ميلنكا الى الكازينو ... »
وكشفت السيدة للرجل عما يضطرم في قلبها
— حين خلاهما المكان — وانهمرت عبراتها
حرى فيها الأسى والشجن . نعم ، لقد أحبا حيناً
من الدهر وأحبته ، وذاعت هي لذة الهوى وذاق
هو ممها ... أفنكون هذه هي النهاية ؟
وعلى حين نجاة قال يتكوف : « مارينا ، إن

-- كل صيف -- إلى حيث يصطاف العظام
والوجهاء لحاجة في نفسيهما ؛ وترى إليها أن ملك
الانجليز يسقى بعض أيام هذا الصيف في مارينباد ،
فانطلقنا إلى هناك ، واستطاع يتكوف أن يهوى
لها حجر في فندق فيرستهورف حيث يهبط
العظام ... وخشيت السيدة أن تبحم حولها
الشبهات وتتناولها الألسن حين خيل إليها أن
ما يبدو على حقيباتها من قدم ورتة يتم من
شئ ، فراحت تسد سهاها في طيش وهرج ؛
وضاق صدر الملك بهذا التطفل والتبعج ، فأمر ،
فغيل بينهما وبينه ، وارادت السيدة وأختها على
أعقابها بعد أسبوعين تحملان الخيبة وضياح الأمل
لأول مرة في الحياة

وكانت ميلنكا في إيشل وأما في مارينباد
تستشعر ألم الوحدة وحرارة المزة ؛ ووجدت إلى
الخلاء طريقاً ، فانطلقت هي وصريبتها إلى الكازينو
كل صباح ، وإلى غابات لوفن كل مساء ؛
واستطاعت أن تتحدث إلى ضابط شاب من ضباط
الحرس الملكي فيه الطرف والمرح تعود أن يجلس
إلى نضد بجوارها ، وصريبتها ترى ... لقد آلتها
حيناً أن ترى الفتاة سجنينة أو كالسجنينة ، فسرهما
الآن أن تراها تجمد اللذة والتمتة في حديث رقيق مع
شاب مهذب فيه الرجولة والحياة

لم تكن الفتاة ماحنة غاشة ، ولم تكن هوجاء
مستهزئة ؛ فهي تمشى على استحياء ، وتجلس في
أدب واحتشام ، تسون نفسها عند الابتذال
والمبث ... ثم هي قد علقت الفتى الضابط كيرات
كرامر وعلقها هو ، وهو من أسرة عريقة في الجدة ،
طنية المنبت ، زكية المنرش ، وفي عروقه يجرى

ابنتك جميلة ... جميلة فائقة خلابة ... وبلى !
 كأنني لم أرها من قبل ! » وفزع السيدة فقالت
 وهي تضطرب : « أفتتقدم ... أفتتقدم ؟ » فقال
 في هدوء : « لقد كانت في الرابعة حين كان
 نكولتش ... فهي الآن في الثامنة عشرة ... »
 وصرخت المرأة في وجهه حين تراءى لها ما يريد
 الرجل : « لا ... لا ... لا ... » فقال هو في سخرية
 وتهكم : « الصغيرة أجل ... لقنيتها ... » وصاحت
 المرأة أخرى وهي تنتفض من الدهر وقلبها يتمزق
 إرباً : « لا ، لن ألقها بين براثنك ، لن تسيطر
 عليها ، لن تقذف بها إلى الهاوية ... » قال وقد
 أصر على أمر : « إفعلي ما شئت فلن تستطعي أن
 تحوليني وبينها ، فأنا الوصي عليها وأنا الذي
 أريد ... إنه فوق طاقتك أن تجدي لها زوجاً غنياً
 كريم الأصل ، ومن العجز أن تزوج من رجل
 فقير ... » قالت : « لا ... أنا لا أفكر في زواجها
 الآن ، ولكنها هي ستكسب ما يكفيها فهي
 ستنال درجتها الجامعية قريباً ... » وابتسم الرجل
 ابتسامة الهزاء وظاهه أن تقف الأم في سبيله تدفعه
 عن أمر يريده لنفسه فاضطربت الكلمات على شفتيه
 « المستقبل المستقبل يا ماربنا ! أنا لا أجد ما أدفعه
 لكم ... سأنتقل إلى عملي في سانت بطرسبرج ثم
 أعود في الحريف القادم لأرى رأيك ... »

ورجعت بيبي من الكازينو بإشارة مستبشرة
 وقد رأت الفتاة تغزو قلب الشاب كيرات كرامر
 رويداً رويداً ، وجلست هي إلى السيدة تقض عليها
 قصة الغرام الجديد ، وابتسمت الأم حين بدا لها
 أن هذا الشاب قد أرسلته العناية الآلهية لينقذ
 الفتاة من هاوية عميقة توشك أن تتردى فيها
 ونادت السيدة ابنتها « ميلنا » : « إنك تتأقنين
 كثيراً كأنما تريد أن تكشفني عن مفاتيكي ! »

واستشرت المرأة الصفة حين تراءى لها أنه
 سيذلها ويخضعها وهي لا تملك شيئاً . لقد اندفعت
 معه في طريق وعر زماناً ، وهو يعلم لماذا انتحرت
 نكولتش وهو شاب فيه القوة والفتوة ، ولماذا
 أصبح هو وصياً على الطفلة ! وارتد تاريخها كله
 ينشر نفسه على عينها وقد أترع الخنازير والساوي
 ويوقظ في نفسها نزعات طيبة أسدل عليها الستار

وأحسّت الفتاة شدة الصدمة في قلبها فطارت الى حجرة تباكي أمهلها الضائع وسامحتها المفقودة ، والسجوز رتبت على كتفها ، وتهدى من ثورتها ، وتبعت في نفسها الأمل الحلو من جديد ، فهي تستطلق في الصباح الباكر الى آل كرامر عدها تلقى الشاب فتحده الحديث وترى رأيه

وترى الى المجوز أن كيرات فادر القصر صباحا الى إيشل فارتدت على عمل بعمل البشرى .. بشرى قدوم الزوج المنتظر

وأفزع السيدة حديث المجوز عن إيشل ، فقصه مارينبار ما تزال على الألسن ، وهي تخشى أن يدوى الخبر في إيشل والفقي عندها فيحجم ، فطارت الى فينا لتدفن سوءاتها هناك

وكانت خطابات يتكوف تبث في نفسها السأم واللل ، فهو ما يزال يتحدث عن ميلنكا ويطلب رسمها ، فأرسلت اليه تصدده في شدة وعنف ، وتأتي أن تسلس له بمسد إذ أحسّت بالأومعة الصادقة تدفق في قلبها قوية تحرس ابنتها وتبهر عليها ؛ وهو ... هو يتكوف الوعد يتخذ من قصة غرام الفتي والفتاة أول حجر في بناء السافل

وعلمت الأم أن قانون الحرس الملوكي يحتم على الشاب أن يتقضى خبر الأسرة التي سيصبح ضمها لها ، فراحت تحدث أختها الحديث ، وتوحي اليها أن تذهب الى أحد مكاتب الاستعلام لترى ما يقولون عنها وهي تقول « لا أظن أن أحدا هنا يستطيع أن يجيد في فترة تنفيذ منها » قالت الأخت « وأنا أوقن أن بلادا غير هذا لا نستطيع أن نجد فيه الأمن والطمأنينة »

وانطلقت بيبي الى مكتب الاستعلام تسأل المدير خبر السيدة نكولتس وابنتها لأن ضابطا شابا

واضطربت الفتاة لما سمعت غير أن السيدة اندفعت « لعلك عقلت هذا الشاب ! » قالت في انكسار « نعم ، نعم يا أمه » وسمت الأم حينئذ قالت « لا بأس ، لا بأس ولكن احذري ! » وطربت الفتاة لحديث الأم الرقيق وعطفها السامى

وفي الحق لقد كان الشاب يرافق الفتاة وخالتها كل يوم حتى باب الدار ثم يقفل راجعا خشية أن تراه السيدة ، والسيدة تنظر من خلال النافذة ، ثم ... ثم أرادت أن تعرف من هو الشاب ؟ فأرسلت الى يتكوف تطلب اليه أن يوافيها بما يعرف عن آل كرامر .. وجاءها البريد يحمل أخبارا تسر ، ثم راحت هي ترى ما وراء ..

وعلى حين بفترة بدت السيدة في الكازينو فييابها السوداء وقبعتها المريضة ، متأنقة متبرجة تحطف البصر واللب ؛ وإلى جانبها ملينكا ، فتاة في مقتبل العمر تحلب القلب وتأسر الأفتدة ؛ ثم بيبي ... ومرمرن جميعا بالفتى وهو جالس الى أخويه خفيان في أدب وهو في مكانه لم يبرحه ، وكان ظهور السيدة قد بث في نفسه الهبة والخوف فما استطاع أن ينطلق اليهن ... وتكرر هذا أياما ..

لشد ما ألم السيدة أن ترى الفتى يزوى ويحجم وهي كانت تأمل أن تراه الى جانبين يتحدث ويتحدث ثم يصحبه الى الدار ... واضطربت بيبي لهذا الاخفاق ؛ أما ميلنكا فقد حز في قلبها أن تنطوي الأيام ثم هي لا تستطيع أن تجلس الى صاحبها تحده ويحدثها ، وتدقق اليأس في قلبها حين قالت لها أمها « أنا أحرم عليك أن تجلسي الى هذا الشاب الوضع أو أن تتحدثي اليه فهو يريد الثمة الرخيصة واللذة السافلة غصب ، إن في هذا الاحجام من الضمة والذممة ما فيه ... »

يريد أن يتزوج من الفتاة، وحدها الرئيس بنظرة فاحصة، وبدا عليه الجذ والاهتمام حين سمع قولها «لأن ضابطاً شاباً...» ثم قال: «أنا لا أعرف شيئاً، ولكنني أستطيع... سأقضي وأرسل إليك... وخشيت المرأة أن يفتضح الأمر فتركت عنوان إحدى صديقاتها...»

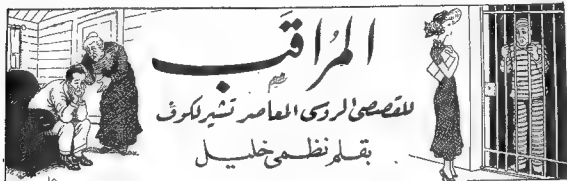
وتصرمت أيام... وانطلقت السيدة وابنتها ذات ليلة — كل واحدة إلى حجرتها، تنأهب للذهاب إلى الأوبرا، وقد ابتدأ الأمل يحيا في نفس السيدة، وخيل إليها أن المموم التي رأت عليها حيناً من الدهر قد انقشمت أوكادت، وأن المستقبل يحمل في أضغاده مسرات ومسررات، بعد إذ انطوت صفحات الماضي وعماها النسيان، ثم جلستا تنتظران يبيسى... وعادت الأخت وفي يدها خطاب كبير... إنه من مكتب الاستعلام...

وسرت في مفاسل السيدة رعدة خفيفة، وسيطر عليها الشك فقالت: «أففضه الآن أم نطرحه جانباً حتى نعود...» قالت يبيسى: «لا، لا بد أن نقرأه الآن»، وترددت السيدة حيناً ثم قالت: «لا بأس، فلنذهب ميلنكا ومرينها فقط...» ثم أرتج الباب، وقُصّ الغلاف وراحت يبيسى تقرأ: «لا ريب في أن السيدات يستمتعن بطيب الأحودثة، والسيدة تمشي في رفاهة وبذخ وإن كانت لا تملك شيئاً، وهي ترمي أنها أرملة سيامي مربى له شهرة ومركز، وهذا زعم بعيد عن الصواب، وتساكنها سيدة أخرى تقول هي إنها أختها، وهذا ادعاء فيه شك، وهما تندقان في طريق ليس فيه الشرف ولا الكرامة، وهما تملان في فرق الجاسوسية الأجنبية...» واضطربت يبيسى وقالت: «يا لمار، يا لمار!» والسيدة

جامدة ذاهلة تستحث الأخت في صوت فيه الألم والحسرة «أقري، أقري!» واستأنفت الأخت «وتنبيء حياة السرف التي تمشيها السيدة وأختها، وقد انطوت أيام شبابهما، أنهما ما تزالان تملان في الجاسوسية... لهذا ولغير هذا مما نكتمه لا نستطيع أن ننصح شاباً ذا كرامة وشم أن يصاهر هذه الأسرة. أما الفتاة نفسها فنحن نجزم بأنها بعيدة عن كل ما يشين السيدتين وبمصاف بكراتهما. وقد ترى إلينا أن الشاب قد نفذ يديه منذ أيام...» وانقض الحديث على السيدة صاعقة تمررها عراكاً، وتهد من كيانها، وأختها إلى جانبها تستشعر الخيبة واليأس والمآر جميعاً. وانهمرت عبراتهما... عبرات الندم تحاول عبثاً أن تغسل بعض ما جنت يداها حين غرتهما الحياة بزخرفها، وحين زين لها الشيطان سوء عملها

ورجعت ميلنكا إلى الدار وفي عينيها هبرة تفرق، وفي قلبها الأسى والحزن، لأنها رأت صديقها على خطوات منها يراها فيصدم عنها، ثم هي تبسم له فيعرض عنها. واندفعت إلى حجرتها علماً تطفئ بعض الواعج المضطربة في قلبها بسيل من عبراتها الحمرى... ولكن أنها نادتها لتنشر على عينيها بعض صفحات الماضي، غير أن الفتاة قالت في غيظ وحنق: «لا، لا أريد أن أسمع شيئاً، ولكن فلنرحل إلى بلد لا يعرفك فيه أحد» ثم جفلت من بين يديها وأنها تناديا...

وفي الصباح وجئت السيدة في بحر لجي من الدم وعلى التضد خطاب منها إلى يتكوف... وجاء الرجل ليصحب الفتاة — دون خالتها — إلى سانت بطرسبرج... إلى الهاوية...



لا ترى أمامها إلا زوجها الشيخ « ستيفان » يسير في الغرفة في خطى مثقاة ، وهو يسمل سملاً حاداً . فلا يكاد يرى زوجه وحدها حتى يشيح عنها ويدمدم بهذه الكلمات : « كفناك ذهاباً وانتظاراً ! » ثم يصمتان — فكلهما كان غارقاً في الأفكار مثقالاً بالمعوم — يكاد الدمع ينبجس من عينيه ، ولكنهما كانا يقاومان الحزن وبشكلان الصمت

كان يتردد على منزل ستيفان صيرف المدينة وهو رجل ثثار مُدْعٍ فيقص على الزوجين كيف يامل المسجونون السياسيون في السجن ، وكيف يحبسون في حجرات ضيقة ذات فتحات ضيقة ينصب منها الماء حتى تنقلص أبدانهم ، وتجمد دماؤهم في عروقهم ، وتقف قلوبهم عن الحركة . فتضطرب ماريا لهول هذا الكلام ؛ فتصيح خائفة وجلة : إلهي ! إلهي ! فيحاول الصيرف أن يهدئ ثورة الأم الحزينة فيقول : ولكنهم قد يطلقون سراح البعض منهم . ثم يمضي في حديثه الطويل المتصل ، وهو يشوه الحقائق ويلفق الروايات حتى يسرى الخوف والرعب في قلوب الزوجين المفزعين في وحيدهما المرز فيقضيان ليلهما على فراش دونه شوك القتاد

اعتادت ماريا أن تذهب كل مساء إلى المحطة تتوسم وجوه الركاب باحثه عن ابنها « نيكولاس » فيقفز قلبها فرحاً كلما وقفت عينها على شاب في لباس الجامعة ولكنها كانت في كل مرة تتفقد ابنها فلا تجده فتندفع إلى العربات وتحرق النظر في الجمهور الواتف على الرصيف ، وهي لا تكاد تصدق عينها ؛ فتسال وهي حائرة قلقة :

— إلى أين يذهب هذا القطار ؟

فيجيبها رجل : إلى موسكو

— وهل جاء من « كيف » ؟

نعم

فتصوب المرأة بصرها جهة « كيف » ثم يملأ وجهها ابتسامة حزينة رقيقة لتلك الصورة المرززة التي ستطلع عليها من وراء ذلك الضباب والدخان — صورة « نيكولاس » المرز وهو في لباس الجامعة — ولكن هذه الصورة الحلو الجميلة سرعان ما تختفي من ناظرها فتهم بالرجوع إلى المنزل وقد قاض بها الحزن حتى كاد يحبس أنفاسها . حتى إذا مادنت من البيت استيقظ فيها ذلك الأمل من جديد فتتوهم أنها ستجد ابنها هناك فتسرع الخطى وتندفع إلى الباب في شوق وخوف ، ولكنها

الطعام ذات النطاء الأبيض لا تزال قائمة وسط
الحجرة . فذكرته هذه بحياته الماضية البعيدة ؛
فالخبرة كما تركها على الكتب ؛ ومحفظة الأوراق
لا تزال عالقة بالخائط ، والأوز يتبختر في فناء المنزل
وهو يضم فراخه الصغيرة الصفراء إليه . فابتسم
نيكولاس لهذه الأشياء كأنه قد رآها بالأمس

كانت السماء صافية سافرة ، والهواء رخوًا لينًا ،
فوقف الشاب في إحدى النوافذ يرقب الطيور وهي
تهرع إلى أوكارها . فأبصر شعبًا يدب من
بعيد يثير الثير بقدسية وحيثما إلى الأرض ،
والمصافير تفر من أمامه وهي تشقشق وتتناقر

فأطمان نيكولاس لهذه المناظر الجميلة المتعددة
— منظر الشارع الهادئ المقفر والحمام الطاهرة
والطيور المغردة ، والأوز الصارخ الفرح ، والغرف
النظيفة المرتبة — وشمر بوحده وهذونه ؛ وسرعان
ما أدرك أن له حياتين متميزتين متباينتين : إحداها
هناك حيث كان يعيش ، والأخرى هنا بين أحضان
والديه . وأن حياته البعيدة أصبحت تلوح له كأنها
قصة خيالية قد قرأها في أحد الكتب ، وأن حياته
في القرية حياصة حقيقية غير متغيرة — كقانون
الطبيعة

— أحب السمك يا عزيزي كوليا ؟
فالتفت كوليا حوله فرأى أمه واقفة وهي
تترنح من فرط السرور . وقد شربت أكجامها
استعداداً للعمل . وقال :

— السمك ؟ حسن . إنى لا أهتم كثيرًا
بالأكل

— إذن اطلعي لك بمضامنه . وسرعان ما عادت
حاملة طبقاً به سمك ووضمته على المائدة وهي تقول :

لم يعض على هذا الحديث بضعة أيام حتى كان
نيكولاس واقفاً بالبواب ، فلم تكده ما يراه حتى
أسرعت إليه وضمته إلى صدرها والدموع تنهمر
على خديها ؛ ثم أخذت تقبله ، وهي لا تكاد تصدق
أن « كوليا » قد عاد إليها ، فكانت تنظر إليه وقد
اندفعت إلى رأسها آلاف الأسئلة تريد أن تلقىها
كلها قبل أن تسمع جواب الأول منها

— هل أنت في صحة جيدة ؟

— أحياناً أطلقوا سراحك ؟

— إلهي ! هل أنت حى حقاً ؟

فنظر إليها في ابتسامة حزينة مضطربة وقال :

« لقد كنت يائساً من لقاءك يا أمه ! »

— ولكنى كنت أذهب إلى الحطة كل يوم

إذ لم نستطع أن نفكر فيما حدث لك

— الأمر عادي ؛ لقد سجنحت بضعة أشهر في

حصن . . .

— وأنتك الآله ؟ لقد صليت من أجلك

يا عزيزي . هل عفواً عنك ؟

— فأجاب كوليا في ابتسامة رقيقة : « لا .

ليس عفواً تاماً ، ولكنهم أرسلوني إليك سراحياً »

— وماذا هم صانعون بك ؟

— إنى لا أعرف على وجه التحديد ، ولكنى

سأدخل الجامعة ثانية في بجز سنتين

— أظنك في حاجة إلى الطعام . إنك ضامر

هزيل . انتظر قليلاً فلن أغيب عنك

كان كل شيء على ما هو عليه : فالغرف نظيفة

مرتبة والستائر مدلاة على النوافذ وشجيرة

« اللبلاب » لا تزال تغمر الباب بأكاليلها ، ومائدة

من العمل خجراً بالقباب الكثير الذى يضايقه فى المكتب، والطريق الطويل الذى يقطعه على قدميه. فأرجو أن تحتل غضبه وضيقه
أما نيكولاس فقد كان يفكر فى هذه المقابلة يخشى الصدام معه. والحقيقة أنه لم يرد أن يفهم أبداً بأنه كان فى الامكان أن يسلك غير ما سلك إذ كان يشعر دائماً أنه على حق، ولكنه كان لا يزال مضطرباً بضيق بالتجمل الذى يفسد عليه حياته؛ ثم نظر من النافذة فرأى والده يحطو متناقلاً كما لو كان أحد الأعيان المتعوظين فى القرية، وقد أمسك فى يده شمسية ضخمة، وتباطئ محفظة كبيرة
— ماذا يحمل أبى؟

فأجابته أمه فى لطف: إنها محفظة الأوراق التى يحملها دائماً حتى ولو لم يكن فيها شيء، كذلك الشمسية وإن لم يكن هناك مطر. فلماذا الرجل من الأوز اندفعت إليه مشرئبة بأعناقها تمض سافة، فوقف فى مكانه وشغ برأسه وأشار إليها بأصبعه فانكششت الأوز وهزنت ذيلها وعادت إلى أحواضها. ثم خرج نيكولاس إلى الباب ولكن بيتيان لم يسرع فى مشيته إذ كان قد علم بحجته وهو فى مكتبه بل قال وهو يتشم: أه! أه! هل أنتيت؟ ولم يرد أن يظهر فرحه الذى غمر قلبه لذلك الشاب الذى كان يظن أنه غاق مسمى حتى أنه قد رآه فى الليلة السابقة فى حلم مرعوع ثقيل كأنه مسوق إلى ساحة الاعداد وقد جاء ليودع والديه، فتقدم إليه كوليا بوجه شاحب وشفتين مرعجفتين وقال: «يوم سعيد يا أبى! فأجابه أبوه: سعيد يا ولدى! ثم تأخذه ثم طاقه عنقاً قصيراً وسمل سعالاً عالياً. ثم أخذ يسأله عن حجته. ثم جاءت ماريا فرأت الأب

أيها العصاة — علام العصيان؟ ما ذا تريدون؟ ولكنها لم تنتظر الجواب فلم تكن تريد أن تعرف ما ذا يريدون. بل أسرعت إلى المطبخ لترى الزبدة التى كانت على النار. ثم عادت وهى تقول: «سأتى والدك الآن، فلا تغفل له. قد ينضبك ولكنه لا يحتفظ بغضبه عليك طويلاً. إنه شيخ قد عاش طويلاً، بينما أنت لا تزال تحبو فى الحياة؛ وليس العمر المحرب الطويل كالسير فى المرمى والحقول

— ومتى يعود أبى؟

— كعادته كل يوم فى الساعة الثالثة

— وأين يعمل الآن؟

— فى نفس المكان الذى كان يعمل فيه — فى مناقصات الحرس — ومرتبه كما هو لم يزد. لقد ضمعت أعضابه حتى كادت يده تقف عن الكتابة. فقال نيكولاس وقد غمره الحزن والألم: شيء مرعب؟

— نعم مرعب يا عزيزى كوليا فقد أصابه شلل كاد يقعده عن العمل. كنا نؤمل أن ... ولكن ماذا ... إنما لا نستطيع أن نعيد الزمن من جديد. كل قبل أن يبرد الطعام. فأخذ نيكولاس يأكل فى تراخ وكسل إذ كان يفكر فى حال والديه وينظر إلى أمه كيف ابيض شعرها ويبتس بداها واحددوب ظهرها. بينما هى كانت تديم النظر إلى الساعة ترقب عودة ستيان تتنازعها مشاعر الخوف والفرح، فقد كانت تتمجل بحجته ليرى ابنه الوحيد، ولكنها كانت تخاف أن يخرج النضوب بالأب فيسبى إلى ابنه. فعملت على تهيئة الجو لهذا المفاجأة الغريبة فقالت: «إن والدك يأتي متعباً

أن ما عملته قد تلاشى كالنجم المحترق
وترى الأم أن الحديث قد أخذ يشتد والجو
يكفهر فتحاول أن تلتق ببعض الماء على النار المتأججة
فتقول : « كل إنسان عنده أولاد ، وهو مضطر
إلى هذا العمل . ليس هناك ما يسوع هذا الأحصاء
الآن » فأجابها الزوج وهو يسعل سعالاً عالياً : « إني
لا أحصى عليه شيئاً ، فقد قريت نهايتنا ، ولا ننتظر
منه شيئاً . لقد عملنا على أن يقب على رجله . . .
ولكن علام نتحدث في هذا وكل إنسان هو
الخالق لسماده » فلم يقو كوليما على سماع باقي الكلام
بل ترك أمه تعقب على أبيه وهي تقول : « ما كان ينبغي
لك أن تهاجم هذا الشاب بهذه السرعة »

خرج نيكولاس إلى الفضاء يمشي بالأوراق
المتساقطة قرب الطريق ويفرهما في يده ثم يغيب
في تفكير عميق وهو واقف أمام ذلك البحر
اللانهاي من القمم الأخضر ؟ ثم استولى عليه نوع
من اليأس العميق إذ كان كل شيء حوله صامتاً
لا يسمع إلا قنابر الحقل تنفي بأصوات مرتمشة
متقطعة حتى بدا له أن هذا العالم نائفه ثقيل ، وأن أم
مشاكله هي الصحة ؟ فان كانت الصحة جيدة حلت
مشكلة الحياة كلها . فيكني أن تترك قلبك يتأمل
هذه الحقول النضرة والأجواء القسيحة والسحب
البيضاء . كل شيء سيكون كما كان من قبل ، وسيأتي
الشتاء ويميقه الصيف ، وستخضر الحقول ثم تدمرها
التلوج ، وستتفرد القبرات وستقام الأسواق وستعج
القرية بوفود الفلاحين

ثم أخذت القرية تصحو على أصوات المشاشية
وهي راجعة إلى حظائرهما ، فثغاء الشياه وخوار

يشيح عن ابنه ، فصملت على تخفيف حدة ذلك
الوقف فقالت : « احمد الله أيها الأب فقد عاد
إلينا ابنا في صحة جيدة ، وهذا كل ما تريد . هيا إلى
الغداء . هل ضايقتك الدياب اليوم ؟
فلم يجب الزوج بل قام الثلاثة إلى المائدة ،
وأخذ الأب يلقي على ابنه بعض الأسئلة القصيرة
المتعصبة فقال :

— وعلى هذا أخرجوك ؟

— نعم

— إذن كنت مجرماً ؟

— نعم

— وتعود إلينا مراقباً ؟

— نعم

— وماذا تريد أن تعمل الآن ؟

— سأستأنف دراستي

— أي إنك تبدأ من جديد ؟ فإذا ما طردت

ثانية رجعت إلى الأول

— فأجابت الأم : لم هذا الكلام الآن ؟ لكل

شيء نهاية

— فقال الأب : حسن ، وستأتي نهايتنا قريباً .

ولكن لماذا طردت يا ولدي ؟

لقد اشتركت في الثورة ؟

— حسن جداً . ولماذا حبسوك ؟

— لا أعرف

— اسمع يا بني ؟ إني مضطر أن أقول لك إني

لم أكن أنتظر هذا العمل منك . لقد كنا مضطرين

إلى دفع نفقات المدرسة ثمانى سنوات وأجر

المدرس الخاص والكتب والملابس ، وكنت أمني

نفسي بأن هذا كله سيرد إلى . ولكن ظهر لي الآن

هذه الكلمة الثرية . ولكنه تمالك نفسه وسار وهو يفكر فيمن تكون هذه الخطيئة وأخيراً وصل الى حجرة صغيرة كثيفة اللون لم يكن بها إلا نافذة واحدة قد ثبتت فيها قضبان من النحاس ، فنظر نيكولاس الى هذه النافذة فرأى فتاة في ثوب بنفسجي بديع ، وقبعة من القش قد زينتها بأزهار الربيع . وقد وقف بجانبها ضابط طويل الشارب تلعب حربته في الفضاء كلما لوح بها أو انتقل من مكانه

فقات الفتاة في ابتسامة رقيقة عذبة : نهارك سعيد . فرد عليها الشاب التحية ، ثم أخذ كل منهما يرمق الآخر ، وبعثا حاول نيكولاس أن يتذكر هذه الفتاة إذا كان قد رآها من قبل . كان وجهها مغلف بقناع خفيف قد ألقت عليه أسلاك النافذة ظلال رقيقة ، فلم يستطع أن يتبين سمات وجهها فقال لها في استحياء : أتمسحين أن ترفي القناع ؟ فرقمت الفتاة القناع فسحرت عيناها ، وجلت وجهه حمرة الحجل

وخفض بصره . لا . لا . إنه لم يرها من قبل وهنا تنبه الضابط لحديث الشاب ، فكان كلما حركت الفتاة يدها لوح هو بستانه وشعل سملاً عاليا يريد أن يفهمها أنه لا يزال يقظا لما يدور بينهما — لقد نسيت بكل تأكيد حبيبتيك (جاليا) فأجاب نيكولاس في غموض : لا . ثم ابتسم فجلبت ضحكة قوية من الفتاة ، وتالت أسنانها من خلال الأسلاك

فلوح الضابط بستانه وقال : « هل تزامن الهدوء قليلاً ؟ » فقات الفتاة في حدة : « أحرام علينا أن

الثيران كان يختلط بأصوات النساء وهن يصحن على فراحن لتذهب الى أوكارها ، وأسواط الرعاة تدوى في الفضاء كأنها طلقات نارية ، ثم امتلأ الجو بسحائب التراب وما لبث الظلام أن لف القرية في سكون مطبق عميق

عاد نيكولاس الى المنزل فاستلقى على مقعد كبير في الحديقة وأخذ يستعيد في غيبته صور ما حدث له في « كيف » وسرعان ما لاحت له صورة تلك الفتاة الثرية حاملة له اللذة والألم ، فتذكر يوم أن كان يقيم في سجنه العنيق الثقيل وقد اعتقد أن هذا العالم قد نسيه حتى أمه ووالده ، إذ دخل عليه السجان يقول : « زائر قد جاء إليك » فهب نيكولاس واقفا وسار خلف السجان في عمر طويل مظلم قد فتحت فيه « الرنازين » على أبعاد متساوية تغيل اليه أنها حديقة حيوانات مرقومة الأبواب وخلف كل باب واحد من هذه الحيوانات الضارية من يكون الزائر يأتري ؟

أيمكن أن تكون أمه ؟ لا ، إنها لاتعلم بسجنه . قد يكون أحد رفاقه . ولكن كل رفاقه في السجن أو في المنفى ، وفوق ذلك فانه لا يسمح بزيارة أحد من رفاقه . إذن لم يأتني أحد . ثم سأل السجان : من جاءني ؟

فأوسع السجان الخطو ولم يجيب ، فقال نيكولاس : « أحرر علينا أن نتحدث معكم ؟ قد تكون غيباً في استدعائك إليي

فنظر اليه السجان وقال في هدوء : خطيبتك ؟ — خطيئة ؟ ثم سكث طويلاً وقد شعر أن قلبه يشب بين أسنانه . وأراد أن يضحك عالياً من

وهل يسمح بشمورى هنا ؟

لم يكن هناك من يجيبه

قضى نيكولاس ذلك اليوم فرحاً مقتبلاً ،
وقد نسى أنه مسجون وهو يطوف بزرائته منشداً
كوحش كاسر قد ضاق بقفصه

لقد كان هذا اليوم يوم ميلاده ! !

ثم جاء مساء ؟ مساء السبت !

وهناك في الأفق البعيد أخذت أجراس
الكنائس تدق فبمشت في نفسه الهدوء ، وأيقظت
فيه ذكريات الطفولة الحارة ، ففتح النافذة وأخذ
ينظر إلى تلك السماء الصافية ، وقد أخذت الشمس
القارية تمكس أضواءها على جدران السجن ، والحمام
ترفرق بأجنحتها في الفضاء ، فأيقظت في قلبه
شجون الذكري وال ألم ، وذكرته بالحريه ؟ ثم
اشتد عليه الحزن وزادت به الوحدة وشعر بم حاجته
إلى التحدث إلى نفسه : من تكون جاليا ؟ ثم
استبد به الشوق فتناول عصا صغيرة ، وأخذ يخدش
بها على جدران الزنزانة :

« النجوم تضيء لامعة في السماء الزرقاء

ومن خلال النافذة يهب عبيق الربيع
وعلى الأرض الناعمة يجمعون غرائس الأحلام
الساجدة على أجنحة القضاء ! »

ولكنه عاد فحما ما كتبه واستلقى على سريره
يفكر فيمن تكون تلك الفتاة الجميلة

قضى نيكولاس الأسبوع كله يترقب يوم
السبت ، وقد شعر أنه لن يأتي . لقد عاش من أجله
ولم يفكر في شيء غيره ، لم يهدأ في نومه إذ كان

نفضحك ؟ ولا أن نصرخ ؟ ... » ثم سألت
نيكولاس إن كان يضحك في سجنه

فأجابها : « إن الانسان هنا لا يحتاج إلى
الضحك ولا إلى الصراخ . أظن أن العالم في الخارج
جميل جداً الآن »

فأخذت جاليا نصف له قدوم الربيع وفيضان
الأنهار ومنظر الطيور وتفتح الأزهار ثم قالت :
سأحضر اليك بعضاً منها المرة القادمة . أحبب
البنفسج ؟

— نعم وسأضعها في زرائتي وستذكرني
دأماً بك

قال هذا بصوت راجف وهو يمدح في وجه
تلك الفتاة . أي وجه جميل هذا ؟

— لا تحزن . سأجىء اليك كل سبت

ثم دقت الساعة اثنتين وانتهى زمن المكالمة .
فقال السجنان وهو يفتح الباب :

— تفضلي . فقالت الفتاة :

— لا تحزن ! وداعاً ! تذكر أنني ذهبت أن
لك أصدقاء

أما نيكولاس فقد تبسع السجنان وهو مطرق
إلى الأرض وعيناه تطفران بالدموع ، ولم يكذب
يصل إلى زرائته حتى أوصدها وراءه وأخذ يثني
في صوت عال : « هبوني حرية السير . هبوني
حرية الحب »

فسمع صوتاً ينهأ عن الفناء والرقص لم يعرف
مصدره ، فقد ظن أن الباب يتكلم فأمسك عن
الفناء ، وقال :

والحب ! أهو مسموح به هنا ؟

فلم يجيبه أحد

وسمع طيور الصباح تفرد على فتن الأشجار ، فاطمان إلى هذا الهدوء ، وهذا الجمال ، وأغص عينيه من جديد محاولاً أن يتذكر حلمه القاذب البعيد فشهّر كأن نوراً كثور الصباح المبكر يضيء قلبه للظلم الحزين . آه ! لقد ظهرت له جاليا في حلمه بملابسها البيضاء وقبعتها المزركشة بأزهار الحقول ، ثم انحنت عليه وهمت في أذنه قائلة : « استيقظ ! يجب أن تذهب إلى الشرطة ! » ولكن هذا لم يكن همس جاليا بل كان صوت أمه ماريا تذكره بما لم يكن قد نسيه ، فقد أصبحت كلمة « البوليس » تستثيره ككلمة أب . فهب غاضباً وارندى ملابسه وخرج مشيحاً من أمه بأرق الدعاء وأخلصه ، فقد كانت نفس الكلمة تثير في قلبها هي أيضاً نوعاً من الألم القامض الخفي !

خرج نيكولاس قاصداً مركز الشرطة ، فلم يكد يصل إلى الباب الخارسي حتى هب الناس وقوا وتهاوسوا فيها بينهم أن يريحهم هذا القادم من ألم الانتظار والشكوى . ثم دخل بيتاً مظلماً يريد أن ينقض نفوح منه الرطوبة وتنتشر فيه رائحة الفيران اللينة وقد جلس النساء على الأرض الرطبة المبللة ، ووقف بجانبهن حارس عملاق يقتل شاربه وينازل سفارهن ، فسأل نيكولاس عن سبب انتظار هؤلاء الناس ، فمات أصوات متعددة مختلطة : « نحن النشهود أياً الرفيق » ثم سار إلى غرفة الانتظار ، فسمع صخباً وضجيجاً ، فن صرير الأفلام إلى وقع أقدام الخدم وهم يقدون وبروحون إلى خشخشة الأوراق . وأخيراً أدخل على رئيس البوليس الذي كان جالساً إلى مكتبه منكباً على أكدهاس من الأوراق ، ولكنه مالبث أن اعتدل في كرسيه ونظر إليه

يهب مذعوراً وهو يردد اسم السبت . وأخيراً جاء يوم السبت ، وكان يوماً مطيراً ؛ ولكن نيكولاس لم يشعر بذلك ، إذ كان قد نسي كل العالم في ذلك اليوم فلما أحضروا النداء صاح : « هل من زائر ؟ » ولكنه لم يلق جواباً ، فبقى الطعام كما هو ، وبقى هو ينتظر ، وأخيراً جاء السجن بالمشاء يحمل معه باقة من البنفسج قد ذبلت أزهارها ، فارتجف نيكولاس ، وقال وهو يتناولها في نعمة حزينة يائسة : وزاري !

فابتسم الحارس ومضى

فنظر نيكولاس إلى الأزهار ، فرأى أمامه جاليا تبتلعها وتقدها إليه في ابتسامتها المشرقة المذبة فدفن وجهه فيها ، ثم أخذ يتنسم أريجها ويستنشق فيها عطر الربيع وعيق الحرية ويرضع أورفاً كأنه طفل غريب ؛ ويحنو عليها محاولاً أن يبق على حياتها بدم شبابه وقلبه ، ولكن هذه الأوراق مالبثت أن اسودت وتفضت وماتت ، ولم يبق منها إلا واحدة وضمتها بين صحائف كتابه

وإذ هو يفتح هذا الكتاب أبصر تلك الزهرة القابلة ، فأخذ يفكر فيمن تكون جاليا الفاتنة !

استيقظ نيكولاس عند سماع همس غريب ، فأصغى إليه ، فآذ هو صوت والده يصلي لله ، وقد سمعه يردد في آخر صلاته : « كذلك ابني الخالماء خادمك نيكولاس » ، ثم قام الرجل ونفض عنه التراب ، وجاء إلى ابنه يوقظه ، وهو يقول : « استيقظ . يجب أن تذهب اليوم إلى الشرطة ، وإلا قبض على أنا . عليك أن تخفي ذلك التهميد المكتوب هناك ، ثم تنصرف » ثم فتح الشيخ النافذة ، فرت بالحجرة نعمة الصباح للنشمة ،

اهتدت إليه وهناك أسندت رأسها الى ظهر ابنها وأخذت تبكي وتنتحب . وأخيراً قال الابن في صوت راجف حزين : « يجب أن أذهب بعيداً . ماذا أعمل ؟ » إلى لا أعرف . لا أستطيع احتمال أكثر من هذا . لن أذهب ثانية الى البوليس . بل يجب أن أذهب إلى مكان آخر

— ولكن ألا ترحم والدك ؟ إنه يصرخ الآن من الألم . ألا ترحم شيخوخته ؟ اكتب التعمد للبوليس . اعمل ما يطلبه منك والدك فهجمت الذكريات الأليمة على نيكولاس وصاح :

— لا ، لا ، لن أعمل شيئاً . سأذهب الى مكان آخر
— إلى أين يا عزيزي كولين ؟ إن والدك سيفضطر أن يجيب عنك
— لا ، لا ، لن أذهب

وفي الصباح وجد نيكولاس ملق في مقعده ينام نومة الرجل المجهد الذي فزع من هوم العالم وأعباء الحياة
ووجد بجانبه كتاب وعليه زهرة البنفسج القذابة .
نظمي جميل

آلام فرتو

للشاعر الفيلسوف جوتة الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد محمد الزيات

وهي قصة طالبة تدعى من آثار الفن الخالد
ومنها ١٥ قرشاً

نيكولاس وقال : « حسن . ماذا تريد ؟ إيه . السواقة ؟ إن عمداً لا يمكن للشباب أن يثأره ... انظر إنك ضامر كالجميا وأما بدين كالقيل . في الناس الذين والقي - الفقير والقي - هذه هي سنة الطبيعة ...

— وأنت ... ؟

— إلى لا أريد شيئاً

— يجب أن تنصرف عن مجالس المهيجين وألا تستمع إلى خطبهم الثورية . إلى لا أحدنك كرئيس للبوليس ولكن كشخص عاش ولده كثير من الخبرة والتجارب . أنظن أني لم أحلم بالسواقة ؟ إلهي ! لقد حلنا بها جميعنا ونحن شبان ولكننا كنا غططين . والآن إنك مراقب هنا . يجب أن تكون نمت أنظار قادماً . ثم خرج نيكولاس بوجه شاحب محتق وجسم مرضوض مجهد وفي عينيه ريق السكرانة وشرر التمرد والثورة

أمضى نيكولاس بقية اليوم يتجول على شاطئ النهر حتى جاء الليل فتسلل إلى كوخه الصغير الذي أقامه في حديقة المنزل ، وهناك استلقى على مقعد كبير ووضع يده على وجهه وأخذ يستمع إلى أصوات الأجرام التي كان يحملها إليه السكون العميق ، ثم لا تلبث أن تذوب في جوف الفضاء . ولكنه ما لبث أن سمع صوتاً ضعيفاً يقول له : « ألم ترم يا عزيزي ؟ » فالتفت نيكولاس إلى مصدر الصوت فرأى أمه واقفة بالنافذة وهي تنن وتبكي
— بربك لا تبكي من أجل يا أمه !
— وكيف العبر يا ولدي العزيز ؟

فتركها الابن وذهب إلى كرسية واستسلم للبكاء . فأخذت أمه تتلصق باب الكوخ حتى

أنتظر فراغ الصبية من ارتداء أثوابها . وكل ما يمكن
ليباني أن يؤديه ، هو أنني كنت أسمع القاذف التاري
يقول لي : عد الى رشذك لأدراك ما أنت فاعل

ولقد فكرت صهرا في ما كان سيقع لي
لو أن الفتاة أسرعت بمخادعة الغرفة كما أمرتها .
لا ريب في أنني كنت سأجد سكوتي بعد ثورة
الخلجل التي ساورتني ، فإن الحزن شيء والياس شيء
آخر ؛ ولكن الله قد جمع بينهما كيلا يتساقط
أحدهما منفرداً دون رفيقه على النفس المتألمة . فقد
كان يكفي أن تخلو غرفتي من هذه المرأة ليضعف
بأسي ويقوى حزني بالندم ، وللندامة ملاكها
للمانع المفران عن قاتلي النفوس . ولو جرت الحوادث
على هذا الوجه ، لكنت وجدت الشفاء وأوصدت
بابي دون كل فاحشة بسد أن أبقى لي زيارتها
الأولى مثل هذا الخلجل وهذا الاشتزاز

ولكن الحوادث اتخذت مجرى آخر
كنت لم أزل جالساً أنتظر خروج الفتاة وفي
نفسى مراحل من الكره والخوف والغضب ؛
أما هي فبقيت منهمكة في ترتيب شعرها وتنسيق
طيأت ثوبها بتبسم لحياتها في المرأة . ومرت ربع
ساعة وأنا أتبع شاردات أفكاري حتى نصبت
وجود شخص آخر في غرفتي ، وبدأت من الفتاة
حركة أشعرتني بوجودها ، فانتبهت من غفلي
وزجرتها ، فذعرت وقامت تطلب الباب وهي ترسل
إلى قبة الدواع من بعيد . وفي هذه اللحظة قرع
جرس الباب الخارجي بشدة ، فهضت مسارعاً إلى
إخفاء الفتاة في غرفة داخلية ماكدت أدفع من لاجها

حتى دخل ديجنه ومعه رفيقان من شبان الجيرة
إن بعض حوادث الحياة تشبه التيارات
الندفمة في عباب البحر ، فهي قضاء أو سسدة

من أعماق النفوس



استغفرت في العصر

لا لفريرى موسى
بقل الأستاد فليتكس قارس

الجزء الثاني

الفصل الأول

وعند ما صحوت في اليوم التالي ، رأيتى بلغت
من الانحطاط والندامة ما جعلني كازها لنفسي ،
فاستهوتني فجأة فكرة مروعة دفنتني من فراثي
فهبيت وأنا أصبح بالخلوقة التي قضيت معها ليلى
قاتلاً لها : ارتدى أثوابك وأخرجي حالا من هذا
المكان

وجلست أحدى بالجدردان حتى بصرت
بأسلحتي المعلقة على الزاوية . . .

عند ما تترامى فكرة متألمة الى أحضان الفناء
فتقدم الروح على الكبار تشعرها الحركة الآلية
للتنفيذ بشيء من الرهبة يصطدم بالإرادة فيزعزعها .
ومن يهاجم الانتحار يستول الذعر على أنامله
وتتقلص عضلات يده عند ما يحس بضيق الحديد .
وما أقدم إنسان نحو الموت إلا وأحس بإحجام
الطبيعة عن مجاراة

يصعب على الآن إيضاح ما كنت أشعر به وأنا

معها المزاح فرجونه بلهجة جافة أن يعفني من مزاحه ، فها هم لقولي بل تناول الموضوع الذي جاء من أجله ، وما جاء إلا ليعلمني أنت خيلاتي لم تسكف بأخاذ عشيقين في أن واحد إذ بلغ عشاقها الثلاثة ، وذلك معناه أنها لم تعامل من خدعتني لأجله بأحسن مما عاملتني

قال ديجنه : إن مزاحي لم يتورع من نشر الخبر ، وقد عرفت باريس كلها بخيانة الخليله له أيضاً ؛ وما أدركت لأول وهلة معنى هذا القول حتى استعدته الحكاية ثلاث مرات ، وإذ فهمتها صعقت ولم أجد سوى الضحك ألجأ إليه حين أيقنت أن من أحببت امرأة ساقطة ، ولكنني وجدت حين قالت لي نفسي بأني أحببتها بل لم أزل أحبها إلى الآن وأيد رفيقا ديجنه ما قاله هو ، فعرفت منهما أن خليلتي كانت في منزلها . وقد التقي الماشقان فيه فكان عراك شديد اشتهر أمره حتى اضطرت المرأة إلى مقارعة باريس هربا من الفضيحة والعار وما كان ليخفي علي ما يصيبني من كل هذه المهازل ، إذ أصبحت مبارزتي من أجل هذه المرأة وتولني بها جميع مافلتني من أجلها سخرية وهزوا ، وما كان ما توصف به من أخط الصقات وما يفترض من عمرها فوق ما اشتهر منه إلا يشعرائي بأني لم أكن إلا واحداً من عديد من تناولهم خداع هذه المرأة الساقطة

ولاحظ الشاب امتعاضه فوقفاً عن التماذي في السخرية ؛ غير أن ديجنه لم يقف إذ كان مصمماً على معاملتي معاملة الطيب ببالغ حريصه بقسوة لا بد من الأخذ بها ، وكان يرى لنفسه هذا الحق وهو الصديق الخيم الذي محضني الود وبإداني الخدمات العديدة ، وقد اعتقد بحسن نيته فما زاده اضطرابي

أو عناية الهية ، سيما ما شئت ، ولكنها كائنية وما ينفخها التعارض في معنى كلماتها . على أن جميع من يذكرون قيصر و نابوليون لا يفوتهم أن يصفوا كلا منهما برجل العناية الإلهية ، فكأنهم يرون الأبطال دون سواهم من الناس يستحقون عناية السماء بهم . ولعل الألهة في اعتقادهم كالثيران في حلبة الصراع لا يستهويها سوى الأوشحة الأرجوانية إن ما ينتج عن أحقر الحوادث في هذه الحياة وما تبدل في مسالكنا أنفه الأمور ، لمعضلة تفتح أحرق المهادي أمام المفكرين

إن أفعالنا لشبيهة بالسهام الصغيرة التي تتلوى بتفويقها نحو الهدف حاسبين أنها ستجبه طوع اختيارنا ومعارتنا ، ولكن لفحة من الهواء تهب على أحدها فجأة فتحوله عن مجراه وترفعه لتدفع به إلى مجال الآفاق

إننا نشعر بصدمة صروعة عندما يتضح أن كبريانا الواقفة من ذاتها ليست إلا شبحاً يتجلى بهارة وعزماً ...

إن القوة نفسها وهي سيدة العالم التي يقبض الانسان عليها وينتضيها سيفاً يناضل به في مترك البقاء ، انما هي خاضعة ليد خفية تحولها عن الهدف الذي نرى اليه ، فاذا جهدنا متطلي كالسيف خلا أمانه مضربه فرمى بحماله الى الحضيض

هكذا بينما كنت أجه بكل ارادي الى تطهير نفسي من أدران خطيئتي ، وللمني كنت أجه أيضاً الى ازال العقاب بنفسى ، رأييتي ماثلاً أمام تجربة خطيرة قدر على أن أستقط فيها

وكان البشر يطفح من وجه ديجنه ، فانطرح على المقعد وهو يتحكم بمنا بين عليه وجهي من اضطراب ومن سهد ، وما كنت في حالة أحتمل

فصل منها وهو مسك الختام ؛ فاعلم ، يا عزيزي
أوكتاف أن المراكب بين عاشق خليلتك القديمة إنما
وقع في ليلة مقمرة ، وبينما كان كل منهما يهدد الآخر
بقطع عنقه ، لاح في الشارع خيال يتمشى على مهل
وقد عرف أن هذا الشبح لم يكن سواك أنت . .
وصحت به : - ومن قال هذا . . من رأى في
الشارع ، أنا . . ؟

فقال : هي خليلتك بعينها التي رأيتك . . ، وهي
نفسها أخبرت بذلك وهي تضعك وتؤكد للناس
أنك لم تزل هائماً بها وتقضى الليل كالسوس أمام
بابها . أفلا يكفيك أن تعلم أنها تمان هذه الأمور
على ما لا الاشهاد ؟

ما تمكنت يوماً أن أكذب في حياتي ، وفي
كل مرة حاولت أنت أموه الحقيقة يفضحني
وجهي . ولكن هذه المرة شرمت بتسلط الخجل
على من إعلان ضمني ، قفلت في نفسي : (ما كنت
لأقف أمام بابها لو أنني عرفت أنها تدهورت إلى هذا
الحال) واجتهدت أن أنفخ ذاتي بأنه لم يكن بإمكان أحد
أن يراني ويعرفني ، فحاولت إنكار الواقع ، ولكن
الاحمرار علا جبينى فاتحاً أمري . وحقد ديجنه
في وهو يتشم فصبحت به : - حذار ، يا هذا ،
فانك تتجاوز الحد

وذهبت في الغرفة أذرعها طويلاً وعرضاً كن
فقد ضواها ، وحاولت أن أضحك فصنعت الضحك ؛
وأخيراً وجدت نفسي تجاه ستر مهتوك فقلت : -
وهل كنت أعلم أن هذه الشقية ...
فانقبضت شفتا ديجنه كأنه يصير على قوله :
أفأ كان بكفيك ما عرفت ؟ .

وجت وكان اللم - وقد انقبضت عليه عروق
ربيع ساعة - تصاعد إلى صدغي فأبصاً فيها فبدأت
أكرر القول وأنا لا أحي - - أينما كنت في

إلا ابتالا في الشدة ليقتذف بي إلى السبيل الذي يريد
لي ، ولكنه ما لبث أن شعر بنفاد صبري فاختار
السكوت ، وما كان سكوته هذا إلا يزيد من ثورتي
فبدأت بدوري أنهرش زائرني مستفهما وأنا أعشى
ذهاباً وإياباً في الغرفة متوقفاً سماع التفاضيل عن هذه
الحوادث التي صُعقت لها . وكنت أتكلف
الابتسام ثم أنظاها بالسكون ، فاجبجت محاولاتي ،
لأن ديجنه تمنع بالصمت فجاء بهد أن ذهب بثرته
إلى مدى بعيد ، فكان ينظر إلى بهوده وأنا أذرع
غرفتي بخطواتي كالتغلب أطبق قفصه عليه

وشعرت بمجزى عن بيان ما كان يدور في
خلدني : أصبح أن تلك المرأة التي تربت صنماً
معبوداً في صميم فؤادي والتي ذقت من هجرها
الأميرين ، تلك المرأة التي حصرت فيها كل هيأى
وأردت أن أبكيها مادمت حياً قد استحال ما بين
ليلة ونحاما فاحشة تلوك اسمها السنة الشبان ،
مهتوكة تملن بنفسها فضائحها على ما لا الاشهاد ؟

وكنت وأنا استمرض هذه الأمور ذهني
أحس كأن كوابي يطبع على كفتي علامة المار . وكلا
استغرقت في التفكير كانت تشكك في الظلمات حولي
فأدير رأسي عن جلسائي وأنا شاعر بابتساماتهم
ولحظهم تنصب على لاستجلاء سبرقي

وكان ديجنه يتبع حركاتي وسكناتي وهو
لا يجهل إلى أن يتجه بما يفعل لأنه كان يعرفني
ويعرف أنني أقدم على كل أمر وأتجاوز كل حد بما
في من اندفاع إلا حداً واحداً وهو الشرف ؛ لذلك
كان يقصد أن يصم الآمى بالمار مستعيناً على
عواطفى بتفكيرى

ولما رأى أنني وصلت إلى الحد الذي يريد ،
صوب آخر منهم من جسيمته إلى فقال :
أفأ أعجبتك هذه القصة ؟ إليك الآن تأخر

هذه المحاولة السحيقة تهتف هازئة : — هذا هو جزاؤك . . .

لو جاء هؤلاء الصحاب فقالوا : إن الناس يهزأون بك لكنت أجيبهم : ما لي وللناس ؟ ولكنهم جاءوا يقولون إن خليلك لا زمام لها ولا عهد

إذا ، لقد اشتهرت الفضيحة وثبتت بشهادتين ما كان يمكن لمؤدبها أن يملأنا وجودي على ما كنت عليه دون أن يحدنا بما كانا عليه أيضاً ، فإذا أكذب الناس ، وما بوسى أن أقول لهم ؟ وأبني أجد لي ملجأ وقد أصبح قلبي وهو مركز حياتي طلالاً مبهماً . وهل لي ما أقول إذا كانت هذه المرأة التي ما كنت لأتردد في اقتحام أية سرخيرة وأبة ملامة من أجلها واحتمل جبال المصائب تنهار على في سبيلها ، هذه المرأة التي أحببتها فأحببت سواي فما طالبتها بالنور المنطفيء بل قنمت بأن أفك باكيًا أمام بابها لا شيء إلا لألعق فيها وأنا بيمد عنها شباقي المضيق وقد استرحلت إلى أطراف تذكار ، ولأففر اسمها دون سواه على لوح قبر دفنت فيه جميع آمالي ... هل لي ما أقول إذا كانت هذه المرأة هي نفسها تسخرني وتهزأ بدموعي ؟ إنها هي نفسها أول من أشار إلى بيناته قاضياً على بالتهوير أمام من لا يعمل لهم إلا الاندفاع في ميلهم إلى الاستمراء بمن يحتقرهم ...

أجل ، هي نفسها من رى بالالهة إلى خارجة من شفتين طالبا التصقتا بشفتي ومن جسد كان روحاً لحياي بل دماً من دمي ولحماً من لحمي . وهل من إهانة أقطع من هذه الإهانة وما هي الافةقة لارحة فيها تصفع الجبين الوجيع برشاش نفثاتها ... وكنت كلما استغرقت في آلامي يمتد غصبي وتضطرم ثورتي ، وما أدري أيصح أن أصف

الشارخ غارقاً بدموعي ، كان المراك قائماً بين الماشقين ؟ : أني تلك الليلة جرى هذا .. وقد هزأت في .. لقد سخرت في .. هي ؟

أما رأيت هذا في حلم يادينه ؟ أيمكن أن يكون مثل هذا صحيحاً ؟ ...

وكنت وأنا أدفع بهذا الهذيان أشمر بالفضب يساورني حتى استولت على هزة عنيفة اضطرتني إلى القعود ويداي ترتعشان .

وقال ديجنه : — ما لك ولهذا الهزلة تقابها بالجد ، يا أوككتاف ؟ لقد أوهقتك هذه الهزلة منذ ثلاثة أشهر ، والأمر ظاهر ، فأنت بحاجة إلى التسلية . تعال لتناول المشاء سوية وغدا نذهب للتنزه في الضواحي

وكان يقول هذه الكلمات بلهجة فملت في نفسي ما لم تفعله أواجي إذ شمرت بأنه يمايلني معاملة طفل عليل

وبقيت ساكناً أحاول التغلب على ذاتي عنانجتها قائلاً : — لقد خدعتني هذه المرأة فجاءت بمدىها النصائح السيئة تمل قلبي ، وما وجدت لي ملجأ إلا في الممل ولا في ادهاق قواي ؛ ولم يبق لي وأنا في المثيرين من ربيع الحياة ما يقيني التدهور في القنوط أو الفساد إلا ذخيرة الآلام المريسة أستعبد بها وقد جاني الآن من يريد تحطيمها بين يدي : إنهم لا يوجهون الأهانة إلى حبيبي الآن بل إلى باس ، لقد أصبحت سرخيرة وهي نفسها تهزأ بي ... وأنا أبكي

وما كنت لأصدق بوقوع مثل هذه الفرية ، فكان الماضي بأمره يحتاج تذكاري فأرى ليالي غرامنا القديم تمر أمامي كأشباح تتوالى مترامية على شفير جرف لا قرار له غير سخور مظلمة كالدم وكنت أسمع فهقة تتجاوب أسداؤها فوق

ولو اضطرت إلى حفر هذا القبر في صميم فؤادي قلت هذا وارتميت على مقعد أنظر إليهم يدخلون الغرفة وأنا أشعر بالمرسة الرائحة التي يشمر بها كل إنسان يفرج كرب الاحتقار عن نفسه ، وإذا ما خطر لإنسان أن يمجب لانتحاذي منه جأ جديداً في حياتي ، فاذلك الإنسان بمطلع على خفايا القلب البشري ولا هو يعلم أن المرء أن يقف عشرين سنة على تردده ، وليس له أن يراجع إذا هو دفع بالخطوة الأولى على أي سبيل

الفصل الثاني

ما أشبه من يصاب بالدوار عن يتنبدل للخلاعة والفحشاء ١ وما أوائل الدروس إلا رعب تمازجه لذة للشرف مرتجعاً من برج مرتفع على الأشماق إذا كانت الرذيلة المسترة تنال من نبالة الخلق وتخط من معزة النفس ، فان في الخلاعة الصريحة التي تقتحم الهواء الطلق شيئاً من كبر الحسارة تراه متجلياً في أشد الخلاء فساداً . إن من يسير تحت جنح الليل سائراً أنفه باردانه ليطلع خياله متكرراً نافضاً زياء نهارة خلصة ، إنما هو كبعض الايطاليين الذين يرسلون خناجرهم رشقاً إلى ظهري من لا يجروون على منازلته . إن في الزوايا المظلمة وفي التلاق تحت جنح الليل ما يشبه كين الأشرار ، في حين أنك ترى في مقتحم الدطارة الصاخبة شيئاً من صفات المحاربين ، فتحسب أنك تشاهد عراكاً في موقعة وتهتف بك الكبرياء قائلاً : إن جميع الناس يفعلون هذا مستترين ، فاهتك السر أنت وأقل علانية ما يرتكبونه في الخفاء وإذا ما ادور الخليع هذه التجوى ، فإن شماع الشمس لينمكس ملتصماً على درعه

ما كنت أشعر به من الغضب ، وكل ما أعرف عنه هو شعوري بباطلة الانتقام . ولكن أتى لي أن أنتقم من امرأة ؟ . وأين السلاح الذي يمكن لرجل أن ينال به من امرأة لأشتره بما عجز وهان ؟ أية ضربة أوجهها إليها وأنا أعزل حتى من السلاح الذي رشقتني بناره ؟ وهل لي أن أنازلها بما نازلتني به من وقية واغتياب ؟

ولاح لي فجأة وراء الباب الزجاجي خيال الفتاة التي كانت لم تزل تنتظر الافراج عنها . وكنت نسيها تماماً ، فهضت من مقمدي وصحت بأعماهي : اسمعوا ... لقد أحبيت ... ، أحبيت كمنجون بل كأحق فاستحققت كل ما ترشقوني به من عار ؟ غير أنني سأعرض عليكم الآن ما يثبت لكم أنني لم أعد ذلك الأحم الذي تنوهمون

ودفعت باب الغرفة الصغيرة برجلي فأنكشف غيباً الفتاة وقد لجأت إلى زاوية لتتقى الأنظار وصحت بديعته : أدخل ، أنت يا من رأني مجنوناً لحياي بأمرأة ؟ أنت يا من لا تحب إلا بنات الواخير ... أفأ ترى حكمتك تختال هنا في هذا الغرفة ؟ سل هذه الحسكة ، سل هذه الفتاة عما إذا كنت قضيت ليلتي كلها تحت نافذة تلك المرأة ، فأنها أخبر من سواها . . . ولكن ليس هذا كل ما أريد أن أقوله ؛ إنك تدعوني إلى تناول المشاء معك هذا المساء وإلى زهرة في الضواحي غداً ، فأنا أقبل دعوتك ، ولكنك لن تبارحني منذ الآن ، فلنمض النهار سوية ، فأقدم لكم ما تشاؤون من خمر وورق ميسر وأزهار . أنتم لي وأنا لكم ، فلنتعاهد على هذا الشمار ، لقد شئت أن أرفع في قلبي مزاراً أحسنت به غرامي ولكنني الآن سأزل هذا الغرام إلى قبر أدفنه فيه

ولا بالنربان يحوم ناعبة فوق رأسه
لقد سردت الحوادث التي رمت بي إلى هذه
الحياة ، فلي الآن أقص ما رأيت فيها :
لأول مرة رأيت فيها المجتمعات التي يدعونها
مراقص بقنمة ، كنت سمعت من يقول إن فيها
دعارة القصور وإن إحدى ملكات فرنسا تنكرت
فيها بزي بائنة أزهار ، ولكنني ما شهدت في هذه
المراقص إلا بائعات أزهار متنكرات بزي خادمات
الجنود . كنت أحسب أنني سأجد فيها المدارة
فكذب الواقع حدي ؛ وما يمكن أن ندعو دعارة
هبابا متساقطا من دخان ، ولا الكم والصنع ،
ولا فتيات سكارى منطربات كالأموات على ركام
الكؤوس المخطئة

لأول مرة رأيت فيها فسق المائدة ، كنت
سمعت أحاديث الشرابة في الولائم وبلغني اسم
فيلسوف يوناني أقام دين الفطرة على لغة الجواس ،
فكنت أتوقع أن ألاقى في هذه الولائم شيئا من
الاستغراق للنسي إذا امتنعت الأفراج الحقيقية فيها
فبا وجدت إلا أقبح ما في الحياة : ما وجدت
إلا ملالا يحاول أن يتمتع بالعيش ، فكان هنالك
قوم يسودم الخلق الانكليزي يتحدثون عن أعمالهم
ويجدون التسلية في هذا الحديث وهم يقدرون
ملذاتهم على ما بذلوا من مال ، وعلى هذه الوتيرة تدور
عليهم ردى الحياة

لأول مرة رأيت فيها بذات الهوى بمسد أن
كنت سمعت قصة (اسبازي) يحتمنها (السيباد)
وهو يتناقش مع (سقراط) ؛ كنت أتوقع أن أرى
انطلاقا وقحا فيه شيء من الروح وخفة الروح ؛
كنت أتوقع أن أشاهد ما ينفي ويطفو ككتاب
الراح المثقة فما وجدت إلا شفاها متراخية وغيوتا
جاحظة وأامل متشعبة

قيل أن ديموكليس كان يحيا وفوق رأسه سيف
معلق ؛ وما حال الخلاء إلا مثل حاله ، فان فوق
كل منهم سيفا يقول : تقدم . . . تقدم أبدا ،
فأنا معلق بخيط على وشك الانقطاع
وما أرى ما أسود به حياة الخلاء إلا وصف
مجلة يقتمدها في أعياد المرافع رهط المقتنين ، وهي
تخترق الطرق مكشوفة يلعب الهواء بعابها من
مشاعل تنير الوجوه المكساة ، وعلى هذه المجلة
فئة تنفي وفئة تضحك وبين الفئتين تلوح غلوقات
كأنها نساء ، وما هي في الواقع إلا بقايا نساء عليهن
من الإنسانية آثار عافية . ويألفن من نساء يلقيهن
بين القبيل كل أنواع الامانات والتحقير ولا يعرف
المحتضن لمن هوية ولا اسما

وكل هذا الرهط تسير به مجلة المسافر مفرقة
تنيرها مشاعل الغاز اللهب ، وقد تحكم السكر في
الرووس نجدها فيها كل تفكير . ولقد تخيل إليك
من حين إلى حين أن هنالك ما يشبه الاحتضان
والتعجيل ، وإذا تدرج أحد من هذه المجلة فما
يهم أحد بأمره ، وهل يهم لشيء من يرى نفسه
خارجا من عدم سائرا إلى عدم . . . على هذه الوتيرة
تسير خيول العرب خبيبا ويمر رهط المسافرين

إذا كان الدهش هو أول ما يشعر به المتخبط
في سلك الخلاء ، فما يشعر به بعد ذلك إنما هو
الاستمزاز بقبض على القلب ليجره جرا إلى الاشفاق .
إن ميدان الخلاعة مجلى للقوة أو بالأحرى مجال
لنقاد القوى ، وذلك ما يجتذب الكثيرين من
عشاق المجازفة ، فيقدمون الى هذا الميدان ليبتذلوا
نفوسهم مبددين ما فيهم من قوى ، فهم كالنفارس
العنيد يتغلى فرسا جوحا وينطلق غير شاعر بما
يعان من لجه ومن دمه على أشجار الطريق ولا بالشرر
بتظاير من محاجر الذئاب تنبئه في الأرباء المقفرة

هذا الزمان ولا في الزمان المنصرم إلا كلمة « البناء » .
وما حفرت هذه الكلمة على الذهب التوهج بشمع
الشمس بل على الفضة التي تبدو لمينيك باهتة كألها
مفشاة بكدورة أنوار الليل

لأول مرة رأيت فيها الشعب ، كان ذلك في
صبيحة المرفع (أرباء الرماح) عند منحدر (كورنيل)
وكانت السماء قد أمطرت الأرض رذاذاً منذ المساء
فأصبحت الأزقة كأنها مزالق أوحال ، وكانت
المجالات الحاملة وهط المغمين تمر مدافعة بلا انتظام
بين التفرجين على جانبي الطريق ، وهم واقفون رجالاً
ونساء يمرضون أنواعاً من القبح على الرصيفين .
وكانت تلمع في عجاجر هؤلاء الناس عيون أعارثها
الجر لوئها فبتت فيها نقمة الوحوش الكاسرة .
وما كانت صدمات المجالات تنال صدورهم لترجمهم
قيده أعملة الى الوراء ، وكنت أنا واقفاً على مقدم
إحدى هذه المجالات المكشوفة فكنت أرى من
حين الى حين أحد المتفرجين يتقدم نحونا من صفه
وهو بأسماله ليوجه إلينا أفعط الشتام ثم يرمينا
بحفنة من الدقيق ويعود أدراجه . وما طال سيرنا
حتى بدأ الناس يرشقوننا بكتل من الأوحال فقمنا
تراجمنا بل داومنا التقدم نحو جزيرة النرام وقاية
(رومانفيل) موطن المناق والسرور . وسقط أحد
أصحابنا عن مقدمه الهجلة الى بلاط الشارع ففرح
الشعب إليه قاصداً تحطيم عظامه ... فترجلنا وأعطنا
به توقيته وكان حامل النفير يتقدم المجالات ممتطيا
جواده فرشقه الشعب وقد فرغ ما لديه من الدقيق
بحجر خدش كفته

وما كنت سمعت بمثل هذا من قبل ، فبدأت
أتمرق حالة العصر الذي نميش فيه
(يتبع) فليكس فارس

لأول مرة رأيت فيها السيدات المتهنكات .
كنت قرأت (بوكاس) و (باندالو) بعد أن
طلعت (شكسبير) ، فكنت أتخيل هؤلاء السيدات
ملائكة جسيم واجهن الحياة بالراشقة والرح ،
وكنت أربم منهت أشكالا تنم عن الجنون في
الخيال ، وقوة الابداع والفحة بميون ساحرات
تثير برشقة لحظ فاطر أحاديث شجون وغرام .
كنت أحسهن في الحياة تموجا واهتزازا كآلهات
البحار ، وأراهن مرئجات غلات ، أو منطرحات
سكرا من غمرة الحب والهيام . هذا ما كنت
أتصور وما كنت أتوقع أن أرى ، فإ رأيت إلا
محمرات رسائل وضاربات مواعيد ، دأبن لإرسال
الأكاذيب لرجل مجهول بعد رجل مجهول ، وستر
الدنيا بالرياء ، وما يرمين إلا الى هدف واحد :
الاستسلام والنسيان

لأول مرة ارتدت فيها أندية اليسر ، وكنت
سمعت الأحاديث عن جداول الذهب والثروات
بالحظة من الزمان ، وعن سيد من قصر هنري
الرابع ربح بورقة واحدة مائة ألف ريال وهي قيمة
ما كان يرتدى من ملابس ، فإ رأيت في هذه
الأندية إلا دكان أثواب يستأجر منه المال المرتدين
قيما ليس لهم سواء ثوبا بعشرين درهماً لتخضية سهرة
واحدة ، وما رأيت إلا جلاوزة يهرسون باب ناد
فيه رهط الجائنين يقامرون مجاذفين بطلقة عيار
نارى على أدمغتهم مقابل رغب ...

لأول مرة رأيت فيها مجتمعا للخاصة وللعامه
من ثلاثين ألف بنى حاملات اجازة بيع أعراضهن
في باريس ؛ وكنت سمعت بكل فيالق الفخشاء
في كل زمان من عهد بابل الى أيام روما ، وقد
كتبت على أبوابها « اللذة » فإ رأيت لا في

نام أوديسيوس منهوك القوى
وذعبت مينرفا تدبر له أمراً في شيريا ، بلد
السلافة ذوى المجد من أبناء فياشيا — ملوك البحر
الذين فروا من وجوه جيرانهم الجسابة
السيكلوس — في العصر الخالي ، ونزلوا بهذا
البلد ، فسادوا حصونه ، وأقاموا أسواره وتوزعوا
أرضه المخصبة ، وأسكنوا الدور والقصور ،
وأنشأوا المابد للأمة عرفاناً وشكراناً
وقضى ملكهم وزعيمهم نوزيتوس ... ثم
استوى على العرش من بعده ألكينوس ، حبيب
الآلهة ، وصفي السماء

كانت الأميرة الحسنة ، نوزيكا ، ابنة
ألكينوس الملك ؟ تخط كاللاك في نوم عميق بين
وصيفتين رائعتين من وصيفاتها ، فوق سرير وثير
في مخدعها الملكي الفاخر

وكان رماح الباب محكما كأنه رماح باب الجنة ،
ولكن ذلك لم يقف بسبيل ربة الحكمة مينرفا ،
التي خطرت الى الداخل كنسمة نادية من نسيات
الصباح ، ووقفت لدى رأس ابنة الملك ترخرف لها
هذا الحلم الفضي الجليل ، وكأنها تبدو لها في المنام في
صورة صديقها وأختها أترايا ابنة ديماس الكرم :
« نوزيكا ! يا وبع لك أيها النوم المكسال !
أهكذا تهملين ملابسك وأنت موشكة أن تُرْفَى إلى

عروسك ، وعليها يتوقف مظهرك ومنظر
ورواؤك ، ورواء حاشيتك وسائر وصيفاتك ؟ كما
يتوقف عليها زهو أوريك بين الناس . انهض مع
الفلسف^(١) قاذهي بطارئك إلى التفتل عند ضفة
النهر قاعسليها وأعديها ليوم زفافك ، يوم تودعين
مرح هذا الشباب الخالي ... هلي ! إلى ساعلونك ،

(١) الفلق أول ضياء الصبح



الأوديسية

لهرميرس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة ما تقدم

« لم يعد أوديسيوس البطل اليوناني فيمن عاد إلى
بلاده بعد حرب طروادة ، لأن بيتون إله البحار
كان عدواً لنودا له فصرده في البحر — وكانت
زوجة البطل من أجل لساء البلاد قطع فيها الطامسون
كل يريدوا زوجة له . فخلصوا منزل أوديسيوس
ليرغموها على التزوج من أحدهم . وقد ثارت مينرفا
ربة الحكمة لهذا فبدت تلفف تلياك بن أوديسيوس في
صورة آدمية وجعلت تمرسه على البحث عن أبيه ،
فزار لهذا الفرش ملكي بيلوس وأسبارطه ، صديقي
أبيه ، فأكرما وفادته ، وأخبره الأخير عما علم من
أخبار أوديسيوس . وروع الشاق لما علموا ما كان
من سفر تلياك فترهبوا له عند إحدى الجزر ليقنطوه
في المودة . أما أوديسيوس فقد انتهى به اللطف في
البحر إلى جزيرة تسكنها إحدى عرائس اللاء
(كاليسو) التي هوجه وشفتها حبه فاحجزته
عندها حتى أرسل كبير الآلهة ولده (هرمن) بالراح
من مينرفا يأمر عروس اللاء أن تصد مركباً
لأوديسيوس يعود عليه إلى بلاده . وأبحر السكين
وما يزال اللوح يلعب به حتى كاد يفرقه ببيتون عند
شاطئ جزيرة ملوك البحار — ولكنه نجى وتأم
منهوكاً في غابة فون السفح »

المطارف ونشرها فوق حصياء الشاطئ الذى طمه
الدونضحة الجزر ، واعتسلن بمد ذلك وتضمعن ،
وجلسن على شفا النهر يتلقعن بلقات ، ثم موزعن
قتلاعن بالأكر ، وتفتن ابنة الملك أعذب الأغاني ،
وتثنت كما تنثن ديانا فى شفاف الجبال وفى بدها
القوس والترس ، وتصيد الخنازير فى أريمانت
— ومن حولها ررب من عذارى الآلهة ، وابنة
لاتونا تتيه^(١) عليهن وتدل ... كذا كانت تيس
ابنة الملك ، فيكشف لآلؤها جمال الأخريات

وهنا ... شادت ميزفا أن يهب أوديسيوس
من نومه ، ليشهد التبداء الهيفاء التى كُتب فى
الأزل أن تقوده إلى المدينة ؛ ففما كانت نوزيكا
تضرب الكرة لتلقفها إحدى وصيفاتها ، إذا هى
تملو وتملو ، ثم تدوم كما يدوم الطائر ، وتهوى
فى الباب المصطخب وسط النهر ...

وصرخ المذارى صرخة داوية ، فانتفض
أوديسيوس وهب مذعوراً مشدوهاً ليرى هذا
النظر المعجب ا

« ويحيى ! أى بنى الموتى قُطان هنا ؟ ليت
شمرى أشوس^(٢) عرابيد أم كرام أجويد ؛ أبوه ا
لنهن عرائس ماء تفرعن فرجت الغيران أصداء
صراخهن ، وراقص الجباب فى الباب من
جبرهن ، وثنى السكلائشوة فى الوادى لأداف
نحوهن فأرى إليهن ... »

وخطر من دغينته^(٣) خطر ان الأسد
هاجته العاصفة ، فانتقدت فى عينيه جرتان من
غضب ، أوطنى فاشتدت غلته إلى الدماء ...
وذال^(٣) نحو المذارى ، فما إن رأيته حتى تفرعن

أنت ياساحرة ألباب شباب الفياشيين ا سلى
أباك رسل إليك عربية وبقلاً تحمل ثيابك ومطارفك
إلى غدوة^(٤) النهر حيث لا شاهد ولا رقيب . »

وانفتلت ميزفا ذات العينين الزرجديتين ،
ورقت أسباب السماء حتى كانت فوق ذروة
أولب ... حيث السكون والمهدوء والعصمت ،
وحيث مستقر الآلهة ، وحيث لا تنصف ريح
ولا تقلب سحب ولا تدمع عين مطر ... وحيث
السماء لازوردية ساقية إلى الأبد

وخطرت أورورا فوق عرش المشرق ، وأرسلت
من لفسها أميناً من رسل النور يداعب جفنى
نوزيكا ، فهبت وحملها الجبل لما يفتأ يساور رأسها
الصغير ، وهرعت من فورها تبحث عن أبوها
تقص عليهما أبناء ما رأأت . وقد أنفست أنها لدى
المدفا مكبة على غزل من صوف أرجوانى موسى
بصبغ بحرى ، ومن حولها وصيفات يساعدها ...
ثم لقيت أباه يكاد يذهب ليرأس مجلس شيوخ
الملكة ، فاستوقفته ، وكلته فى العربة ، واحتجت
بملايس إخوانها الحسة الذين يستحيون أن يرافقوا
المذارى فى الحفلات بملايس لائقين بأبناء الملوك ..
وعقد الخجل لسانها فلم تذكر مطارف زواجها
وشفوف زفافها ... ولم ييخل أبوها بما طلبت ، بل
أمر لها بجمرة كبيرة عديدة ودواب ، وزودتها أنها
بأثريات وآكال وطيوب، ومروخ^(٥)

واستوت مع وصيفاتها فى العربة ، وساطت
البغال فانطلقت تطوى الرحب إلى النهر حيث
وقفت عند منبرج يترقرق فيه بلور الماء ، متدفقا
من ينبع قريب . وسرحت الدواب لترعى المشب
الحلو الناي على حفاف الماء ، ثم أخذن فى غسل

(١) ما مسح به الجسم من دمن أو طيب أو غيرها

(١) هى ديانا

(٢) الدغية والسفل الشجر اللثغ

(٣) ذال ودأن معنى قى خفة ونشاط

إلى مدينتها ، وتسبح على — أسبغت عليها الآلهة كل ما تنمي من هناءة وبُهنية وقران قوى المرى لا تتناول إليه أعين الأعداء — « دأركا يسترسو قى » وأجابته نوزيكا : « حبا أيها القريب النازح وكرامة ! إن سياك تدل على نبيل ، وتمتلك بغيره عن رفعة ! اصطبِر على ما ابتلاك به سيد الآلهة الذى يده العزة ، يشقى من يشاء ، ويهب لمن يشاء . سادلك إلى المدينة ، مدينة الفياشين ملوك البحر ، التى أنا ابنة ملكها العظيم ألكينوس ، رب نعماتها ومصدر رخائها » وأومات الى وصيفاتها وهى تقول : « مكانكن يا عذارى ! فيم فراركن هكذا من إنسى كريم ؟ لقد أبت الآلهة أن تعاقب قدم عدو أرض أحببائها ، بلادنا المقدسة ، التى انمزلت فى لجج هذا الخضم عن كل العالم . إنه غريب يا عذارى ، جواب آفاق ، قذفه البحر الى شاطئنا ، فرحبا به ضيفا من لدن زيوس ، وأهلا بوفادته وسهلا ... هلم إذن يا صويحيبات قدمن له طعاما وشربا ، ثم هيئن له حماما فى منعرج ظليل عند حفافى النهر »

وأهرع البنات فُقدن أوديسوس الى منعرج ذى ظلال وأفياء ، وأعددن له ثوبا وكساء ، وهيان طيوبا يتضمخ بها إذا فرغ من حمامه ، وسألهن أن يذهبن بعيدا حتى لا يترى أمامهن ، إذ « ... لشد ما يحجبنى أنت أبودعاري أُملم الخرد الخفرات ! » ... وهادين إلى مولاهن يحذثنها بما قال : بينا هو قد اقتذف فى الماء يشل كاهله وحقوقه بما جمد عليها من ملح اللجة ، وسعد فتضمخ بالطيب النمين ، ثم أسبغ على بدنه المتيد ذلك الكساء الذى منحته إياه نوزيكا ، ومن أعجب العجب أن ميثرقا نفسها كانت تماونه فى تجميل خلقه ، وتزِيل من شعره الكث

وكتين مذعورات فى الشاطئ ذى النوى ... إلانوزيكا ! فقد نفخت فيها ميثرقا من روحها ، وزعت من فرائصها رجفة الخوف ، فوقفت شماء الأنف تنتظر القادم ...

وارتبك أوديسوس ولم يدر ماذا يصنع ؟ أيجئو تحت قدمها يتوسل ويتضرع ، أم يقف عن كسب يستعطف ، ويسال الفتاة دأركا ، ويرجوها أن تهديه إلى المدينة ! وآثر الثانية فتلعف ، ثم قال :

« عَمَرَكَ اللهُ أَيُّهَا الملكة ! أربة من الخالدات ، أم حسناء من بنى البشر ؟ أضرع إليك أن تجيبى ! فانك إن كنت ربة ، فإيخالك لإديانا ، ابنة سيد الأولب ! ولم لا ؟ ولك قسامتها ووسامتها وقدها المشوق ، وحسنها السوى ، وجمالها الزوى ! أما إن كنت من بنات حواء ، فأأسد آلك بك ، ولشد ما يزهن بجمالك ! كلما خطرت فى لمب ، أو بدحت^(١) فى مرعج ... ثم ما أسعد الزوج الذى سيحظى بكل ذلك الجمال ، لا يضارعه فى العالم جمال ! ألا ما أروع ما تبقيين كالنحلة اليانعة فى دبلوس ، عند مذبح أبولو ، أيها الأميرة ! ألا كم أعنى أن أنتم قدميك ، لولاما يتتابى من روح ، ويؤودنى من فرح — أنا — ذلك المسمى المحزون للشجون — أنا — ذلك المي الموهون الذى أفلت من يد المنون أسس ، كشر له عن نابه فى ذلك البحر اللجى ، بعد سفرة عشرين يوما من جزيرة أوجيبيا ، وسط أنواء ولأواء ، وموج كالجمال حتى شامت العناية أن تفرحنى بشطآنكم الحبيبة ! ولست أدرى ما خبات لى المقادر بعد ! ولكن ، هل ترى مليكنى من أجلى ، وهى أول من لقيت فى هذه الأرض بعد طول عتائى ، فترشدنى

الأشعث تلبذاته التي كانت تبدو كأنها أزهار الخزامى... ثم هي بعد كل ذلك تضي على أمواها من البهاء تظلل بها صدره ، كأنما هي فلكان الصناع يعمل حلية من فضة وذهب ، وجلس على الشاطئ في رونق وروعة ، حتى إذا لمحته الأميرة المذراء أذهلها جماله ، وقالت لوصيفاتها : « نأله يا صويحبات لقد شككت في حال هذا الرجل أول الأمر ، وقد حسنته أفاقاً من رطاع الناس ، لولا أنني أتني أن الآلهة لا تسوق إلى بلادها الحبيبة هذا الصنف من البشر... أما هو الآن ، فلشد ما يشبه أرباب السماء ! أواه ! لوددت أن يكون لي زوج في بهائه وحسن سمته ، على أن يبق آخر الدهر منا... هلم يا وصيفات... قدمن له طعاماً وخمراً » ومددن أمامه سحاطاً كبيراً ، وزودنه بأحسن الأشراب والآكال ، وأخذ أوديسيوس في أكلته حبياً متادباً ، برد عنه تلك المسغبة الطويلة التي أنهكنه وأوهت قوته

ووضعت أجمال المطارف والثلثاب فوق العربة ، وشدت البغال ، واستوت الأميرة في مكانها ، ثم هتفت بأوديسيوس فقالت له : « هلم أيها النازح الغريب ! إلى المدينة إذن ! إني سأرشدك إلى قصر أبي ، حيث ثلقاه فجمع من أشراف الفياشين وسنطلق وسط هذه الحقول ، وإن لي معك من أجل هذا لكلمة... لقد بنيت مدينتنا فوق صخرة راسية ، وأحاط بها سور عظيم ، ثم وصل بينها وبين قُرضتها جسر ضيق ترق على جانبه سقائنا ، رابضة متراصة ؛ ثم ينهض عندها معبد نبتيون العظيم ، وبجوارِه سوق المدينة المبنى من الحجر الصلد ، حيث تباع جبال السفن وشراعها ، وحيث تصنع مجاذيفها وأكثر عتادها — لأن الفياشين لا يمتنون بشيء عنايتهم بهذه المنشآت في البحر

والذي أخشاه أن يرانا الناس ثمة فيسهرزوا بنا ، وقد يسلفوني بالسنة حداد ، فائلين في سفاهة وتندر : ترى ؟ من يكون هذا القريب النجيب المرقلي الذي يقص أثر الأميرة ابنة الملك ؟ أي صدقة جمعت شملها يا ترى ؟ مرعلت ما تراها تزف إليه عرساً كأعبا... قد يكون ضيفاً غير محمود من أرض نائية ؛ أو ربما صادت بصلواتها وتسيبها واحداً من الآلهة أبق من السماء ليقر في حضنها إلى الأبد... الحمد لله الذي من عليها بزوج سعيد من بلاد غريبة يشبع أمانها الجائعة بعد أن رقصت الأيدي الكثيرة التي تقدمت إليها من أبناء الفياشين... هكذا سيقول الناس إن رأونا أيها الرجل ، ولهم الحق ، فأنا نفسي لا أعني من اللائمة فتاة عذراء تستبج أن تمشي مكشوفة مع رجل غريب قبيل عرسها... ولكن اصغ إلى : إنك واصل حتا إلى أبي إذا ابتمت نصيحتي... بعد قليل سيصل ركبنا إلى حراج أشجار الحور المقدس الثاني في تخوم الطريق باسم ربة العدالة والحكمة ميرفا... وإن عنده لنبعا يترقرق وسط كلاً وأعشاب... وإن عنده لحديقة أبي ، الجنة الضحوك الثنائى ! قف ثمة حتى إذا دخلنا بحن المدينة وحصاننا في بيت أبي ، فتقدم أنت وادخل المدينة واسأل أي من الناس ، ولو طفلاً يافقاً ، عن قصر الكينوس الملك ، أي الحبيب ، فانه معروف مشهور لا يضارعه منزل آخر في سمته وأهنته ؛ فإذا دخلته فلا تتوان لحظة ، بل سر قدماً حتى تلقى أي ببالسة لدى الوقد المتأجج بجانب عمود صرصرى مكبة على غزلها الصوفى الورشى بأصباغ البحر ، ومن حولها وصيفاتها يماونها في انجازه — وقريباً منها ترى أبي مستوياً على عرشه بطعم ويشرب كأحد آلهة الأولب... لا تكلمه...

الأشعث تلبذاته التي كانت تبدو كأنها أزهار الخزامى... ثم هي بعد كل ذلك تضي على أمواها من البهاء تظلل بها صدره ، كأنما هي فلكان الصناع يعمل حلية من فضة وذهب ، وجلس على الشاطئ في رونق وروعة ، حتى إذا لمحته الأميرة المذراء أذهلها جماله ، وقالت لوصيفاتها : « نأله يا صويحبات لقد شككت في حال هذا الرجل أول الأمر ، وقد حسنته أفاقاً من رطاع الناس ، لولا أنني أتني أن الآلهة لا تسوق إلى بلادها الحبيبة هذا الصنف من البشر... أما هو الآن ، فلشد ما يشبه أرباب السماء ! أواه ! لوددت أن يكون لي زوج في بهائه وحسن سمته ، على أن يبق آخر الدهر منا... هلم يا وصيفات... قدمن له طعاماً وخمراً » ومددن أمامه سحاطاً كبيراً ، وزودنه بأحسن الأشراب والآكال ، وأخذ أوديسيوس في أكلته حبياً متادباً ، برد عنه تلك المسغبة الطويلة التي أنهكنه وأوهت قوته

ووضعت أجمال المطارف والثلثاب فوق العربة ، وشدت البغال ، واستوت الأميرة في مكانها ، ثم هتفت بأوديسيوس فقالت له : « هلم أيها النازح الغريب ! إلى المدينة إذن ! إني سأرشدك إلى قصر أبي ، حيث ثلقاه فجمع من أشراف الفياشين وسنطلق وسط هذه الحقول ، وإن لي معك من أجل هذا لكلمة... لقد بنيت مدينتنا فوق صخرة راسية ، وأحاط بها سور عظيم ، ثم وصل بينها وبين قُرضتها جسر ضيق ترق على جانبه سقائنا ، رابضة متراصة ؛ ثم ينهض عندها معبد نبتيون العظيم ، وبجوارِه سوق المدينة المبنى من الحجر الصلد ، حيث تباع جبال السفن وشراعها ، وحيث تصنع مجاذيفها وأكثر عتادها — لأن الفياشين لا يمتنون بشيء عنايتهم بهذه المنشآت في البحر

سيرة أبي الهول

مشرحة شعرية في أربعة فصول

للكاتب الفرسى موزيس رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداوى

وأفسى قلباً ! إلى ! فان
وجهك - تحت شمعى
الذى يواريه ظلك - يشبه
وجه أوديب، فكأن حذراً
باريس - أنا مثله خاشاً ؛
لا أخشاك !
أبو الهول - أدن
يا مارسلْيوس !
مارسلْيوس - أجد
بعض التأثير على قلبى

أبو الهول - ألهذا السر خجلاً !
مارسلْيوس - وهو الذى جشمنا العناء
أبو الهول - (ويراہ الأحداث سناً ، فيلنت إليه
برأفة)

إنك تشبه قيسر الصغير ، إنه ظل ذهب ولم يعد
باريس - لم نأت لهذا ، يجب ألا نحم حول
المهوة التى تريد القاءنا فيها ، إن صوتك تارة يتباهد
وتارة يصبح بشرى اللجة . إننا لم نأت لهذا ،

أبو الهول - سلى إذا عما تطلب ؛ أنا مصغ
إليك !

باريس - نريد أن نعلمنا سرّك ؛ وهو أكبر
الأسرار فى هذا الطريق ، وهو السر الوحيد فى
هذا الوجود

أبو الهول - لقد قلت لك ...
باريس - يجب أن نتبنا ...
أبو الهول - كنت لإخالك أكثر شجاعة

يناجى ابنة جوف ، الدرة باجيس
وهنا . . . وقف أوديسيوس يصلى ليزرفا :
« يا ابنة جوف القوى المتعالى اسمى لى ! أضيفى
الآن يارية ! لقد نصامت عني إذ كانت اللجج
تلقفى فراغى الآن ! اجمل لى مرفقاً فى أمرى ،
وهي لى حجة ورجة من قلوب أبناء الفياشيين
أنسى بها الآلى . . (آمين آمين)
ولبت ربة الحكمة واستجابت لدعائه . بيد
أنها احتراماً لعمها (نيتيون) الذى لا يفتأ يفتنى
أثر أوديسيوس ، عدوه الأكبر لم تشأ أن تبدوله
(يتبع)
دربى ضيق

بل جاوزة الى أى الرؤم ثم سئل حاجتك تقضها
لك ، وتمدك الى وطنك مهما كان سحيقاً نائياً ..
أثر فى صميمها عامل الخير والهمة ، تدرك الى آلك
وذوبك وبلادك .. وسلام عليك »
ثم إنها ألهمت ظهور البقال فانطلقت تصدو
مولية عن النهر الذى صار يبتعد قليلاً قليلاً ..
وكانت نوزيكاً أخذت بزمامها لتكبح من جماحها ،
حتى لا تفوت أوديسيوس من ورائها
وكانت الشمس تصبغ بالورس جبين الغرب
حينما وصل الركب الى حرش مينرفا القدس ، الذى
نهض حوره الباسق فى السماء نضراً ملتفّاً كأنما

أبو الهول — تقول : جريئة ! دون أن تعرف
أى سر أواريه فى أتواى !

باريس — كلما أعمت فى الفرار فى زدت عزيمتي !
لا سر عيت الروح المنيرة ! الزوج ! أريد
— منك — بياناً أيتها الشعلة التى تهافت على نارها
قراشات كثيرة

أبو الهول — أيتها الطالب الفرق فى سبيلي !
هل نظرت — أبة درجة بلغ الشحوب فى وجهي ؟
تمال وانظر إلى أشعة القمر وانهم ! فالسر الذى
أكتمه هل يخلق هذه النشوة التى تودع فى هذا
الشحوب الذى يزيد تفكيره وتأمله كلما زاد تأمله .
تمال انظر على شمع فارك الذاهله ، أتريد دائماً
أن تعرف الأشياء التى أعرفها ؟ هل تريد دائماً أن
تفرق فى روضى الباعثة على الروح ؟ هل تريد
الحقيقة الأكثر بأساً ؟

نعم ! هل تريد دائماً يا باريس ؟ بعدما رأيتنى
وعلمت أنى أكثر الكائنات بأساً لأنى أكثرهم
خلوداً !

باريس — نعم : أريدها
مارسليوس — نعم : نريدها ، نريدها
أبو الهول — مع كل ذلك ؟
الاثنان — مع كل ذلك
أبو الهول — لا شيء . يستطيع أن يحيا بعد
معرفة لغزى ! لا يستطيع ..

الاثنان — تكلم !
باريس — أريد ذلك
مارسليوس — أريد أيضاً
أبو الهول — لا أستطيع أن أجيئكما معاً !
مارسليوس — ماذا تقول ؟

وأنت تدري أننا لا نحفل بشأن الملوكة القانين ،
والآلهة الغابرين ... تريد سر هذا الكون البعيد .
أنت تعرفه ؟ قل لنا !

أبو الهول — وإذا ...
باريس — قل لنا على أى حال !
أبو الهول — (بدلاى) لا ...
باريس — هذه كلنك الأخيرة ؟
أبو الهول — ما أجل هذا التحدى ؟ وإذا
كان توفى عن الكلام ..
باريس — كفالك ..

أبو الهول — وإذا كان من حسنة العالم بالتيب
أن يبقى ساكناً ! وإذا كان التراب سيواربك غداً
فلماذا تمشون ؟ وإذا كان صمى أسى ماتعطيه رحمتى
باريس — كفالك كذبا ونهتانا !

أبو الهول — وإذا كان سكونى فى الليل أكبر
ما يمنحه قلبى الهادى ؟ وإذا كانت الحياة الخالية
من المعرفة خير وسيلة ..
باريس — (بنعول)

كيف تستطيع أن تعرف قلوبنا كقلبي . يمكننى
أن أحتمل كل شيء !
أبو الهول — إنك تظن ذلك أيتها البطل !
« حملت » كان يقلب جمجمة فى المقبرة بكفه ولكنه
كان لا يدرى الكلمة النهائية حين كان يقاب !
ربما كان فى الشك سمادة : حافظ ذلك وادمض
لطيتك !

باريس — لا أريد أن أبرح المكان !
أبو الهول — يا للضحكة التاعسة ! ولكفى
سأصمت ..
باريس — صمتك جريئة

إلهي ! إن قلبي يندق سريعاً ، والصحراء
— ينجيل إلى — أنها زادت آماداً ... إلى أقدم
عليك يا أبا الهول ، وروحى التيقظة الآن تصعد
إليك أيها النور العجيب ! أرقى إليك ... أقبل
عليك ... وأحكمك ...

(رقى مارسيليوس إليه ، وكان القبل شاملاً ...
ينحني على فمه ليقول له السر ، وإيريس يتأمل جميع حركات
هذا القفيف من الخلود والفناء ، مارسيليوس يصغر ، وتره
يصغر لونه تحت ضوء القمر ، ثم تنطبق عيناه وتتخذل قواه
كأن أصيب بصاعقة)

باريس — (ملقياً بنفسه على جنة أخيه)
النجدة ! النجدة ! مارسيليوس ! ليس هذا
بحقيقة . أختي لا تطلق هكذا جفنيك ! كلتي ...
أجبنى ! ها أنا باريس يناديك باكياً ...
(يفكر فجأة أمام اللجنة في الكلمات اللاتينية التي كان
يلفظها الفم الحلي ويردها)
إنك ستفندو كمارسيليوس !
(بألم وبكاء)

هل جئت بك من إيطاليا إلى الصحراء ، إلى
الموت ، إلى السكّابة ؟
ألا تنفّس قلبك وأجبنى خلاك ذم ! إنني عجبك !
أبو الهول — لقد مات إلى الأبد ! أجل !
مات إلى الأبد !
(القبل تلم الأسماء ولا نجمة في السماء . أبو الهول
وحده يسمع أين الباكن)

إنه هجر هذه الأرض ، حيث يهوى كل
شيء ، هذه الأرض حيث نطأ تراب قبورنا .
انظر إلى السماء التي لا تحد ؟ إن في منتصف هذه
الليلة آلاف الكواكب المروعة كانت ترتجف
كأنها عيون متطلعة على مصائبنا . إنها كلة ؟ بل
كلّة بسيطة رُجّمت في الليل ، وهذه الظلمة

أبو الهول — انتخبها أحدياً !
مارسيليوس — باريس ..
أبو الهول — (يد صمت طويل)
مارسيليوس !
مارسيليوس — أختي ! لقد اصطفاني الآله
الحجرى ...

باريس — سنقول لي ما يحدثك به
مارسيليوس — ولماذا هذا الانتقاء الغريب
الذي آثرته ؟
أبو الهول — في اللحظة التي ستعرف فيها هل
تضطرب أحياناً ؟
مارسيليوس — لا أحد منا يخشى ! إن هناك
ظماً شديداً !

باريس — اذهب وليبدأ ! امض يا أختي
المحبوب ! يا قطعة من قدرى ! يا خفقة مضطربة من
صباحي ! اذهب واقتطف الحقيقة ... هي لنفسى .
أيضاً ... الحقيقة

مارسيليوس — (بنهرول وغبطة)
يا أختي ، يا قطعة من ذهب ونار ! أليس قلبي
قلبك ؟ إنني في طريق العرفة ... يا لفساء البهي !
إن هذا يكفر عن الشقة التي تحملناها . سأعرف
السكّامة ، كلة العلم الانساني
أختي ! أشبه لي أنت كوكباً جديداً سطع
في دمي

سأعلم كل الحقائق العميقة ، فقبلي قبة عميقة
عنيقة يا أختي الأوحدا ! إن رعشة عميقة تتمشى
فوق ذوائب النخيل ... لقد كنت على حق
يوم هجرتُ ميمنى وجيبتي ، وروما وفنوني
وليالي الحب
(يرقى ويقف على أبي الهول)

على الرمال المتقلبة !
لقد هلك مارسيلليوس - أريد رجلاً آخر
يهلك بعده ؟

تمالى إلى ! وفر من هذا المكان الذى يهيم
عليه الموت ، واهرب من هذا السر القاتل ! وانج
من هذا الموت الذى يخرج من قلبه ... إلى
ساحل إليك الفرار - يا حبيبي باريس !
أبو الهول - (بصوت ليس أعذب)
إنه لن يصنى إليك ولن يسمع بحوالك ! هولى ،
ولا شيء يستطيع أن يستنقذه منى
إيزابيلا - ألم أكن جميلة بقدار ؟ ألم أكن
رفيقة وحنونة ؟

باريس - (مبتعداً عن أبي الهول قليلاً قليلاً)
إيزابيلا !

أبو الهول - أما تشاء أنت تعرف سرى ؟
أغلب عليك الرجل ؟ أراك أصبحت شاحب اللون
باهت الوجه ! لقد رن صوت ملهب هادماً السحر
الذى يربط قلوبنا ... اذهب أيها الحبيب الخائى
ميتة مثل ميتة أخيه

باريس - (إيزابيلا تتلوى به)

لا لا أدينى ...

إيزابيلا - باريس

باريس - أود أن أعلم ...

أبو الهول - اذهب أيها المالك ، واضرب
لمشيقتك موعداً فى مساء

إيزابيلا - لدى من القبلات الحية التى تبعتها
الحبة اللطيفة !

أبو الهول - ولى - فى الليل - صوتى
الرنان ذو الأسرار

انتشرت سدولها فى كل مكان . لأن السر الأعظم
الذى أواربه تحت تقاني عيث القلوب ، ويطفىء
النجوم

باريس - لتسمنى سماء خادمة النور !

أبو الهول - لن يصعد شهيقك إلى السماء !

باريس - اصمت ! اصمت أيها المارد الرعب ؟

أبو الهول - لقد بدلت لهجتك ...

باريس - لهذا الأمر أعجبك هذا الفتى ...

أبو الهول - كل من أفشيت لهم سرى

الحقيقى هلكوا دون أن يفوهوا بلفظة ... وهذا
واحد منهم

باريس - اصمت ...

أبو الهول - ليس فى هذا المنظر شيء عندى !

ولقد أنحك أمام ميت !

باريس - وميتان يزيدان إعجابك ، إذا لا مربة

فيه ، لأنك ستكلمنى بدورى ! بهذا الجسد التمزق

وهاتين العينين الهامدتين ألا ما تكلمت وحدتنى !

لأننى مصر على ذلك . فان قلبه المالك لأكثر

معرفة من فؤادى الحى . وعيناه المغمضتان المحدثتان

قد ملأتهما اللانهاية

(يرتى باريس إلى التمثال كما صنع مارسيلليوس ، وفى

هذه اللحظة توافيه إيزابيلا وتصد برداء أبيض شفاف)

المشهد الرابع

باريس ، مارسيللوس (طريقاً على قدسى أبي الهول) ،
أبو الهول ، إيزابيلا

إيزابيلا - (بصيغة شديدة)

باريس ! لا تصغ إليه !

باريس - إيزابيلا !

إيزابيلا - حنانينك ! لقد وجدت آثارك

(شاحب اللون ، كأنه يرتقب أجله . لكنه جاء بفهم أنه لا يزال حياً ، وبصيغة الظفر) :

إلى أحيا ...

أبو الهول — (بتعجب)

ولماذا لم تمت ؟ وبأى حق تظل فى الحياة ؟

باريس — أنا حى ...

أبو الهول — لا يعيش من يعرف سرى !

باريس — أنا حى ...

أبو الهول — أجمياً عارفاً الكلمة التى تهتر

لها قتي ؟ لا يقدر أحد على ذلك !

باريس — أنا أول من يقدر !

أبو الهول — لن تقدر ! وما قدر أحد على

ذلك . الكل يجهلون سرى ...

باريس — عرفت سرى ولا أزال أحيا ...

نعم ! لا أزال أنففس وأحيا ! وأنت أيها الحبيب

الضعيف العزم لأنك لم تستطع أن تطبق عينيك

على السر ؟ يا رفيق صباى ، نعم هادنا قرر النفس !

إنى سأنجز وعدى ، وسأعود الى ابدعى الأول ،

فالمعمل وحده يذهل عن الألم الكبير . ومن أجلك

أيها الوجه الشاحب ، سأجعل جوابى على سر

الوئ قطعة تندفق فيها الحياة . وهكذا تظل حياً

فى آثارى وأبتكارى ..

(يقترب من جثة مارسيلوس وبرقة زائدة وحنان

صيق مؤثر حله وأفت إيزابيلا موشعها على وجهه الشاحب

وقبل أن يبتعد أجهش بالبكاء وودع أبأ الهول) :

وداعاً

(باريس يوارى وخلفه إيزابيلا ، وبعد لحظة يظهر

أبو الهول ، يفهم ضاحكاً قائلاً بنفسه) :

— لم أقل الحقيقة إلا للمارسيلوس !

الستار

فيل هنرلى

إيزابيلا — اذكر سمادتك ، والأيام التى

قضيتها فى حى !

أبو الهول — إنى أعرف قبلة لا تنتهى أبداً

باريس — لا لا ... أريد أن أعلم !

(يعود إلى أبأ الهول)

إيزابيلا — (متوسلة إلى أبأ الهول)

آه ملك الرمال ! كن أكثر إشفاقاً على منه .

ألا تبصر — إزادك — امرأة تبقى البقاء طيلة هذا

الخلود الشاع البارد ! لا أملك إلا هذه اللحظة

الانسانية التى تصرمنى ... فالتقرون — لديك —

تتراكم فائمة حائرة . يمضى فريق ويعود فريق !

أفنى هذه التقرون إذا كان فك الخالد لا يمنع إلا

الموت للعجب الذى يتأديه !

أما هذا فلا تذقه الردى — إنك إن تفعل

تقضى على منه غداً — لا أملك من الزمان إلا عمر

جبه ، هو إيمانى الذى أعتقد ، وحياتى ، وكوكبى

المساعد ، الحياة خالية إلا به ... إنك إن تقتله ...

أبو الهول — (لباريس)

اصمد ...

إيزابيلا — إنك لن تغمض هذه العين التى

أعبدتها !

إنك

أبو الهول — لقد كنت أتردد فى أمرى ...

قد انتهت كل شىء ... سأكلك !

(يرتقى باريس كارسيلوس ويودعه سره)

باريس — (وهو يسمع كلماته)

إنى أسمع ... أسمع ... وبعيد . وبعيد . وبعيد !

(عاد إلى إيزابيلا الفاجعة ، وهو يكاد يسقط على الأرض

كارسيلوس)

إلى حى ... إنى مائت لا محالة !



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بأفكار عميقة روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البهجة المصرية

الرسالة : تصور مظاهر البهجة لأمة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجدد في الآداب المصرية

الرسالة : تهيئ في النشر أساليب البهجة المصرية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشا ، والخارجي مايساوي جنهما مصر ، والبلاد العربية تخضع ٢٠٪

طبعت بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرقش رقم ٣٥ - تليفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المروية

مجلة أسبوعية تلفظ قصص التاريخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

العدد التاسع ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ — ١ يونيه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



فهرس العدد

صفحة	
٥٢٢	الموسم ... بلدى موباسان ... بقلم أحمد حسن الزيات ...
٥٢٦	من غير عنوان ... لفصصى الروسى تشيرلوكوف ... بقلم الأديب محمود البدوى ...
٥٢٩	غرام ادوارد الثالث ... مصرجة انجليزية ... بقلم الأستاذ عبد الحيد حدى ...
٥٣٤	مات الملك عاش الملك ... لمارى كوليردج ... بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ...
٥٣٩	يوميات نائب فى الأرياف ... صور مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم ...
٥٤٥	الخيالة ... أقصوصة مصرية ... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ...
٥٥٥	ليلة مطيرة ... لفيلكس براون ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...
٥٦١	القلب المظلم ... لواشنطن ارفنج ... بقلم الأديب حسين محمد كامل ...
٥٦٥	اعتراقات فى العصر ... لألفريد دى موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس ...
٥٧١	الأوذيسة ... لهوميروس ... بقلم الأستاذ دبرى خفية ...
٥٧٧	سر أبى الهول ... لوريس رستانت ... بقلم الأستاذ خليل هنداروى ...



ينظر إليهم من حُرُضِ الحسد والحفيق . وربما
قضى أعمار أيام المطة الطويلة يمد هؤلاء واحداً
بمد واحد ، ثم يقول لنفسه : « ما أكثر من لقيت
منهم بين شارع السالدين وشارع درو ! »

كان يمشي ويُدِ الخُطى يفحص ملابس الناس
بمبنيين قد صرنا على تمييز تلك النقط الحمراء من بُمد ،
حتى إذا بلغ الغاية من زهرته كان يجسبه من عدد
الموسمين قد بلغ الغاية من نفسه : « ثمانية أوسمة
من رتبة ضابط ، وتسمة عشر وساما من رتبة فارس .
ذلك كثير ! وإن من السفه أن تبخر الحكومة هذا
التبذير في الأوسمة على هذه الصورة . تأمل فطاعة الحال
إذا لقيت مثل هذا العدد في الرجصة ! » ثم يعود
أدراجه وهو هو في مشيه ؛ فإذا شغلته زحمة الناس
عن الفحص فأذهلته عن واحد من الموسمين حاج
هأنجه وانتفخ سحره

كان يعرف الأحياء التي يكثر فيها أولو الأوسمة ؛
فهم كثار الصدد في شارع (باليه رويال) ؛
وعندهم في شارع الأوبرا أقل منه في شارع
(دلانيه) ؛ وهم على يمين (البشار) أكثر منهم
على يساره . ثم هم يقضون بعض المقاهي والملاهي
على بعض . وكلما رأى السيد سكرمنت شُرْذمة من
ذوي الشعور البيض يقفون على طوار الشارع

في الناس من يولد ومعه غريزة متسلطة ،
فلا يكاد يبلغ حد التفكير والتعبير حتى تتحرك في
شموه وتصرخ في دمه . فالسيد سكرمنت لم يجل
في ذهنه منذ طرأه سنه إلا فكرة واحدة : هي
أن يكون موسوماً ، أو حامل وسام . فكان وهو
في حدائنه يحمل وساماً من الزنك كما يلبس الأطفال
قبعات الجنود ، ثم يقدم يده في عظمة وزهو إلى
مدونة أمه في الطريق وقد رُفِع صدره الصغير المزدان
بالشريط الأحمر والنجمة المدنية . وبعد أن درس
دراسة سقيمة عقيمة فشل في امتحان البكالوريا .
ثم التاث عليه أمره ولم يدر ما يصنع ، فتوسل بفناء
إلى أن تزوج من فتاة جميلة . ثم عاش هو وهي في
باريس عيش السراة من الحضر بلا بسان عالمها
ويعتزلان عالم الناس ، ويلهجان بصداقة ضابطين
من ضباط الفرق ، ويفخران بمعرفة عضو من أعضاء
مجلس النواب يمكن أن يسير يوماً ما وزيراً . ولكن
الفكرة التي سكنت رأس السيد سكرمنت منذ أيامه
الأولى لم تزل حديث أمانيه ولبالبا صدره ؛ فهو
لا ينفك فريسة للألم الملح لأنه لا يملك الحق في أن
يحمل على رُءُوسه ذلك الشريط الصغير الملون .
وكان منظر الموسمين (Décorés) الذين يلقاهم في
الشارع الأكبر يروع فؤاده ويوقد صدره ؛ فهو

ودهشة : « درجة من درجات الأكاديمية ؟ وماذا فملت حتى تبلغ ذلك ؟ فأجابها في حدة وبغضب : « إفضي ما أريد . إني أبحث فيما ينبغي أن أعمل - إنك غبية في بعض حالاتك » فالتسمت الزوجة الحسناء وقالت : صحيح ! إنك على حق ، ولكني لا أعرف أنا ماذا ينبغي ! » فسنتت للرجل فكرة فقال : « لملك إذا كنت النائب (رؤسلي) في هذا الموضوع ظفرت منه بنصيحة غنية . أنا كما تعلمين لا أجزؤ على أن أبدأ بهذا الحديث . ذلك شيء دقيق عرج ؛ فإذا صدر عنك كان طبيعياً لا حرج فيه . نزلت السيدة سكرمنت على مقترح زوجها ، وذهبت إلى النائب رؤسلي فوعدها أن يكلم الوزير . ولما احتته السيد سكرمنت قال له النائب : لا بد أن يقدم طلباً يسرد فيه شهادته ودرجانه . شهادته ودرجانه ؟ ؟ إنه لم يحمل من ذلك شيئاً حتى البكالوريا . على أنه مع ذلك عكف على العمل وشرع بؤلف رسالة عنوانها : (حق الشَّعب في التعلُّم) ، ولكن الأفكار لم تواته فمجز عن إتمامها . ثم أخذ يبحث عن موضوع - أسهل مثلاً وأقرب مصدرًا ؛ فجري على باله هذه الموضوعات متعاقبة : « تعليم الأطفال بالنظر » ويريد بذلك أن يُنشأ في كل حي من الأحياء الفقيرة مساح للجان للأطفال يحشرهم فيها والدوم فيتلقون بها مبادئ المعارف البشرية عن طريق القوانين السحرية . تلك دروس حقيقية يعلم النظر فيها المخ ، فتبقى الصور منقوشة على لوح القاذرة ، ويصبح السلم منظوراً بهذه الطريقة . ولا تجدها أسهل منها في تعليم التاريخ العام ، والجغرافيا ، والتاريخ الطبيعي ، وعلاوم النبات

فيركيون الروور ، قال لنفسه : « هاك ضباطاً من وسام جوقة الشرف ! » ثم تملكه الرغبة في أن يتقدم إليهم فيسلم عليهم ثم لاحظ أن لضباط هذا الوسام مشية تختلف عن مشية فرسانه ، وأن أوضاع هاماتهم على عواتقهم تختلف فيهم عنها في الناس ، لأنهم يشعرون أن لهم باسم الحكومة اعتباراً أعلى وخطراً أجلاً . ثم تأخذ في بعض الأحيان سورة من النضب الاشتراكي الحاقند على الموسمين . ثم يرجع إلى منزله وقد هيبت رغبته رؤية الأوسمة ، كما تهيج رؤية الأطممة شهوة الجائع ، فيقول في صوت قوى : « متى نتخلص من هذه الحكومة القذرة ؟ » فتسأله زوجته وقد لجأها هذا التصريح : ماذا بك اليوم ؟ فيجيبها : « إن مابي هو السخط على الجور الذي يقترب في كل مكان . لمرى إن الشيوعيين على حق ! » عاد بعد الغداء فخرج ، وأخذ يتأمل معارض الأوسمة في بيوتها ويتوسم علامتها المختلفة الأشكال والألوان ، فود لو أنه ملكها جميعاً ، وأنه أصبح على رأس موكب غم في صدراقة حاشدة ، تتلأل على صدره هذه الأوسمة ، وقد رُكبت أنواطها المفوفة واحداً فوق واحد على حسب درجاتها متفاوتة ، ثم يمشي مشية النافج الوقور وهو يتوهج توهج الشمس في جلب من همس الإعجاب وهتاف التجلة ولكنه وأسفاً لا يملك لقباً من الألقاب ينحوله الحق في وسام من الأوسمة : إن وسام اللجيون دونور ، أو جوقة الشرف (كما قال لنفسه) بعيد للنال عن رجل لا يؤدى وظيفة عامة . فعلا يحاول أن ينال درجة من درجات الأكاديمية ؟ ولكنه لا يعرف السبيل إلى ذلك فتحديث به إلى امرأته ؛ فقالت له في عجب

وقدme الى بمض الجماعات العلمية التي تعالج على الأخص مسائل العلم النامضة ، رجة أن يدرك من وراثها بمض الشرف ، ثم أوصى به رجال الوزارة وفي ذات يوم كان النائب المحترم يتفدى عند صديقه السيد سكرمنت (فقد دأب منذ شهور على أن يأكل عنده) فقال له في صوت خافت وهو يصاحه : « لقد ظفرت لك اليوم بنعمة كبيرة : حملت لجنة الأعمال التاريخية على أن تكلفك خدمة ، فناطق بك أن تقوم ببعض الأبحاث في مكتبات فرنسا المختلفة »

لم يكده السيد سكرمنت يسمع هذا الخبر حتى استرخت قواه فلم يستطع أن يأكل ولا أن يشرب . ولم يمر على هذا الحديث أسبوع حتى كان الرجل يضرب في مدن فرنسا ، يزور المكاتب ، ويتصفح الفهارس ، ويقطب المخطوطات . وبلغ به الطاف مدينة (روان) فحدثته نفسه أن يركب إلى باريس ليري زوجته ، فقد مضى على مفارقتها إنهاها أسبوع ركب قطار الساعة التاسعة فبان منزله منتصف الليل . وكان لديه مفتاح البيت ، فدخل وهو ساكت الصوت صامت الخطى ، يرحف من السرور ويتساقط لذة المفاجأة .

كانت امرأته محبوسة في غرفتها فيما للسأم ! ! نادى الزوج زوجته من وراء الباب : « يا جان ! يا جان ! إنه أنا ! »

لاشك أن جان قد فرغت وريمت ، لأنه سمعها تثب من فوق السرير ، وتتحدث وحدها كما يتحدث النائم في الحلم ؛ ثم أسرع إلى مقصورة زينتها ففتحتها ثم أغلقها ، وجلت في الترفة مرآرا حافية القدمين بريمة الخطى ، فصدمت بنص الأنث

والحيوان والتشريح الخ . ثم طبع هذه المذكرة وأرسل منها نسخة إلى كل نائب ، وعشرا إلى كل وزير ، وخمسين إلى رئيس الجمهورية ؛ ثم بحث إلى كل صحيفة بارزية بشر ، وإلى كل صحيفة إقليمية بمجمس

ثم طالع موضوع المكتبات المتنقلة فاقترح أن تسير الحكومة في الشوارع عربات صغيرة كمرابات البرتقال موقرة بأشتات الكتب ، وتجعل لكل ساكن في كل حي حقا في استئجار عشرة كتب في الشهر بصنتم . ووجهته في ذلك أن الشعب لا يشغل باله ولا ينفق ماله إلا في اللهو ؛ وما دام الرجل لا يذهب إلى التعليم فليذهب التعليم إليه على أن هذه الأبحاث لم يعبأ بها لسان ولم يعب بها فكر ؛ ولكنه مع ذلك قدم طلبه ، فأجابوه بأنهم علموه ورقوه ، فلم يبق لديه شك في الفوز . وانتظر ثم انتظر ، فلم يرد على انتظاره شيء . ففقد النية على أن يسي للأمر بنفسه ، فطلب الإذن على وزير المعارف ، فاستقبله في مكتب الوزير موظف حديث السن ولكنه رصين الظهر ، تمرأمله على نضد من الأزرار الكهربائية كما تمرأمله على مضرب البيان ، فيدهو الحجاب والبلدان والكتابة ؛ فأكد له هذا الموظف أن مسألته تسير قدما في طريقها الواصل وأشار عليه أن يستمر في أبحاثه الخطيرة . فانتصح السيد سكرمنت وحسر عن يده للعمل

أصبح النائب روسلين يهتم أشد الاهتمام بفوز سكرمنت ويشجري له ما استطاع الوجوه العملية والنصائح الحكيمة . وهو نفسه قد ظفر بوسام لا يدري أحد إلى اليوم الأسباب التي أهله لهذا التميز . اقترح على السيد سكرمنت دراسات جديدة ،

— نعم ... وإنه لسر ... سر عظيم !
ومضت بالمطف المجد فبينته في خزانة الثياب
ثم أقبلت على زوجها تقول وهي مضطربة شاحبة :
« هذا ممطف جديد استصنعت له . وقد أقسمت
لا أنفضي إليك بشيء . إن ذلك الأنعام لا ينشر
رسمياً قبل شهر أو ستة أسابيع . يجب أن تتم العمل
الذي كلفت به ، ولا ينبغي أن تعرف الخبر إلا بعد
رجوعك . إن النائب روسلين هو الذي طلب لك
هذا الأنعام »

فاسترخت مفاصل السيد سكرمنت وقال في
غمضة : « زوسليف الوسوم ... وسمي بهذا
الوسام ... أنا ... هو ... آه ! » واضطر المسكين
أن يشرب كوباً من الماء ...

وكانت على الأرض ورقة صغيرة بيضاء قد
سقطت من جيب المطف ، فالتفتها السيد سكرمنت
ونظر فإذا هي بطاقة قرأ عليها : روسلين . عضو
مجلس النواب »

فقال له امرأته :

« أرايت ؟ لعلك تصدق ! »

فشق الرجل من السرور وأخذ يركب من الدراج
ولم تمض ثمانية أيام حتى نشرت الجريدة
الرسمية أن السيد سكرمنت قد أنعم عليه بوسام
اللبجونات دونور من درجة فارس مكافأة له على
خدمات استثنائية (الزيات)

المباراة القصصية

طلب إلينا كثير من الكتاب أن نمد في أجل المباراة
في الأقصوصة لوقوع الأجل الأول في أزمة الامتحانات .
فتزولوا على إرادتهم مدداً للأجل إلى آخر يونيو

فصوت ما عليه من أكواب وقوارير وتحب .
وأخيراً قالت تسأل : « أهو أنت يا إسكندر ؟ »
فأجابها إسكندر : نعم إنه أنا : افتحي إذن .
فتح الباب وألقت زوجته قلبها على قلبه وهي
تقول منمغمة : « أوه يا للعرب ! يا للعجاجة !
يا للفرح ! ثم أخذ الزوج ينضو ثيابه على أسلوب
على صرتب ، شأنه في كل شيء ؛ ووجد ممطفه
على كرسي . فتناولوه ليملقه على مشجب الدهليز
على عادته ، ولكنه وقف بثقة وقفة القاهل
الشدوه ، لأنه رأى في عروته شريطاً أحمر ! وأقبل
على امرأته بمجم ولا يكاد يبين :
« ه ... ها ... هذا المطف موسوم ! »

حينئذ قفزت امرأته قفزة فكانت فوقه ،
وأخذت يديها المطف وقالت : « كلا ! إنك
وام ... أعطني إياه » . ولكنه ظل ممسكاً بأحد
ردنيه لا يرسله ، وقال في جنون وحدة : « هيه !
لماذا ؟ أخبريني ... لمن هذا المطف ؟ إنه ليس ممطفي
لأنه يحمل وسام اللبجونات دونور . » فجهدت
المرأة كل الجهد أن تنزع المطف من يده وهي
مستطارة اللب تدمم بهذا الكلام : « اسمع !
اسمع ... أعطني إياه ... لا أستطيع أن أبوح لك
بشيء ... هذا سر ... اسمع ... فتكدر الرجل
وانكفأ لونه وقال : « أريد أن أعرف كيف كان
هذا المطف هنا . إنه ليس ممطفي » وصاحت المرأة
في وجهه قائلة : « بلى . اسكت . أقسم لي ...
اسمع ... لقد أنعم عليك بوسام ... فاعتزت الرجل
هزة من التأثر فتكلم لها جسمه فأرسل المطف
من يده وذهب فارغاً على مقعد

— تقولين ... إني ... إني ... أنا ... موسوم ؟

من غير عنوان

للقصص الرزقي تشيكوت
بقلم الأديب محمود البردوي

نفسه . وحينما يهيج غيظ متمكن ، أو بأسره فرح شديد ، أو يتحدث عن أشياء مروعة تأخذها نشوة قوية ، ويتسائل الجمع من عينه اللامعة ، وتضرب وجهه الحرة ، ويدوي صوته كالرعد . هنا يحس الرهبان الستمعون أن أرواحهم تذبها عظمتها وأنها تقف فيهِ . لقد كانت قوته في هذه الدقائق العظيمة المجدبة لا تحدد ، فلو أمر شيوخ الدير أن يقدفوا بأنفسهم في البحر لاستبقوا إليه مسرعين

كان موسيقاه وصوته وشعره الذي ينتهل به الى الله منبعاً لسرور الرهبان لا ينضب . ففي مدة حياتهم الزمنية تنقلب الأشجار والأزهار والرياح والظروف الى أشياء مملّة ، ثم يقفهم هدير اليم الزاخر ، ويصبح شدو الطير بملول النغم موزون الجرس . ولكن سجايأ رئيسهم كانت لهم بمثابة القوت المحي والقوة المجددة

كورت السنون وما زالت الأيام تشابه الأيام ، والليالي تحاكي الليالي ، وماذا من الدير أحد ، اللهم إلاضوازي الوحش وجوارح الطير . وكانت أقرب للسكان الانسانية بعيداً جداً . ولا تصل إليها من الدير أو تصل الى الدير منها حتى تمر صحراء ذرعها مائة ميل

والذين يجرؤون على القيام بهذا هم أولئك الذين لا يعملون للعبادة قيمة ولا يقيمون لها وزناً ، والذين يندوهم وراءهم ظهرياً ونقضوا أيديهم منها جملة . يولون وجوههم شطر الدير وكأنهم يسرون الى القبر

ولشد ما كانت دهشة الرهبان عند ما قرع بابهم في ليلة من الليالي رجل برهن لهم على أنه من

كانت الشمس في القرن الخامس عشر تشرق كل صباح وتغرب كل مساء كما هي اليوم . وحينما تقبل أشعتها الأولى ندى الأرض تنفض هذه غبار الكرى ، وتشيع في الدنيا الهجعة ، وتحلو الأمانى ، وتمود الأرض في المساء الى سكونها ، ثم تنفوس في غياهب الليل . وقد ترى أحياناً سحابة راعدة تلوح ، ويقصف الرعد وهو زيجر ، أو تهوى نجمة من شاحق وهي وسنسى ، أو يقبل راهب حيث الخطى شاحب اللون ليخبر رفاقه بأنه رأى غمراً قريباً من الدير . كان هذا كل شيء ، ثم تمود ثانية الأيام تشابه الأيام ، والليالي تحاكي الليالي

كان الرهبان يصلون ويسملون : أما رئيس الدير فيعرف على الأرغن ، ويقرض الشعر اللاتيني ، ويؤلف النغم الموسيقي . وكان للكاهن الحلو الوديع ذكاء فادر وسجايأ عميدة . فهو يمزق على الأرغن ببراعة ، حتى أن معظم الرهبان الذين يضمف معهم كلما قربت نهاية حياتهم ما كانوا يستطيعون أن يحبسوا دموعهم كلما هفا صوت أرغنهم من صومعته . وعندما يتكلم ولو عن الشئون العامة كالشجر الوريف والوحوش الضارية والبحر الخضم ، لا يسمعه إنسان دون أن ترى دموعه تترقق في عينيه ، أو بسمة ترسم على شفتيه . فيخيل إليك أن الأتنام التي تتجاوب في الأرغن هي بينما التي تمتلج في

والقحة ولكنه أثر تأثيراً غريباً في رئيس الدير، فنظر هو والرهبان بعضهم إلى بعض ثم قال رئيسهم بوجه شاحب: «إخواني ! إنه لحق . فصحيح أن الحاقة والضفء البشرى جرفا الإنسانية النسة في تيار الجحود والآنم فأهلكها وقضيا عليها . وهانحن أولاء لا نريم من هذا المكان كأنه لا عمل لنا ولا واجب علينا . لماذا أذهب إليهم فأذكرم بالمسيح الذي نسوه ؟ »

قالت كالت رجل المدينة من نفس رئيس الدير ، ففي اليوم التالي أمسك بكازه وودع إخوانه وركب الطريق إلى المدينة ، فأمرى الرهبان لا ينعمون بموسيقاه ولا يحملو حديثه ولا برائع قريضه

تقويه شهراً ثم شهرين فعااد ؛ وأخيراً في نهاية الشهر الثالث سمعوا نقر عصاه المألوف تخف الرهبان للملاقاة وأمطروه بالأسئلة ، ولكنه بدلا من مشاركتهم في جودهم بكى بكاء مراراً وما تبس بينت شفة . رأى الرهبان أنه أصبح نحيلاً ، وأن أعراض الكبر قد بدت على ملامح وجهه .

فما تمالك الرهبان وقد رأوا منه ذلك أن أجشوا بالبكاء ، وسألوه عما يبكيه ، فما أجابهم بكلمة ، وغادرم موصداً عليه باباً ومكث في صومعته خمسة أيام ما شرب فيها شراباً ولا طعم طعاماً ولا عزف على الأرغن . ولما طرق الرهبان عليه باباً وألحوا عليه في الخروج ليشاركوه في أساء كان جوابه الصمت المميق

خرج من معتكفه أخيراً وجمع حوله الرهبان وأخذ يقص عليهم ما حدث له خلال الشهر

سكان المدينة ؛ وكان هذا الرجل أكثر الناس ارتكاباً للآثم وجباً للحياة . وقبل أن يصل أوريجو رئيس الدير أن يباركه طلب طعاماً ونبينا فلما سأله عن سبب قدومه من المدينة إلى الصحراء قص عليهم قصة صيد طويلة : خرج يطلب الصيد ومعه شراب كثير فضل الطريق ، وعند ما أشاروا إليه أن من الواجب عليه أن يمسى راهباً أجابهم في ابتسام :

« است لكم بصاحب ! »

شرب وأكل كل ملء بطنه ، ثم رفع بصره إلى الرهبان الذين يقومون بخدمته وهز رأسه لأثماً وقال :

« إنكم مشعر الرهبان لا تعملون شيئاً ، كل ما تمنون به هو طعامكم وشرابكم . هل هذه هي الطريقة لخلاص أرواحكم ؟ فكروا الآن ! بينا أنتم تعيشون في هدوء هنا ، تأكلون وتشربون وتحملون بالخيرات والبركات إذا بإخوانكم هناك قد كتب عليهم عذاب الجحيم . انظروا ما الذي يحدث في المدينة ! بينا بعض ناس يغتوتون جوعاً ، إذا بالآخرين لا يمرضون كيف يمرضون الذهب . ينغمسون في الدعارة ويهلكون فيها كما يهلك الثياب في السمل ؛ ثم لا صدق ولا إخلاص بين الناس . من الذي يجب عليه انتشالهم من مآم فيه ؟ أنا ألقى أروح صريع الكأس من الصباح إلى المساء ؟ هل أنتم الله عليكم بالإخلاص ومن عليكم بالحب وجباكم القلوب الرحيمة ، لتجلسوا هنا بين هذه الجدران الأربعة ولا تعملون شيئاً ؟ ! »

وكان كلام الرجل الكسير ينطوى على الجرأة

نصف عازية على منضدة وسط القاصفين ، وبصعب عليك أن تصوروا شيئاً أكثر فتنة وسحراً منها ! صبي فاضر زاهر ، وشعر طويل جثل ، وعينان سوداوان لامعتان ، وشفتان مكثرتان محمرتان ، ثم سفاهة وجراءة وقحة . هذه البهيمة تبتسم فتفتخر عن أسنان بيضاء كالبرد كأنها تقول : « انظروا ! إنى جميلة ومستهترة ... » وتبدل من عاتقها الملابس الحربية البدنية الشجرية . على أن جمالها لا تحبته ملابس ، لأنه بشره يفسح لنفسه الطريق بين طيات ثوبها .. كأنه الأعشاب الصغيرة وهي تشق لنفسها الطريق في الأرض زمن الربيع . وتشرب الرأفة التي لا تستحي التبيذ ، وتثقي الأفاني ، ثم تستسلم بعد ذلك للمعربين ... » لوح الرجل الكهل بذراعيه حائفاً ثم استمر يصف لهم سباق الخيل ، وصراع الثيران ، والملاعب ، وحوائث الفنانين حيث يمرض هيكل المرأة المارية مرسوماً بالزيت أو منحوتاً بالصلاصلا

كان الرجل في حديثه لسنا متفهماً جهورى الصوت حلو الجرس كأنه يعزف على آلة موسيقية لاتقع عليها العين ، والرهبان ذاعلون عن أنفسهم ، غائبون عن رشدهم ، وقد أسرتهم كلماته وسحروهم بياثته ، فهم يلهثون من فرط السرور . فلما فرغ من وصف اغواء ابليس وقتنة القسوق وسحر المرأة لمن ابليس ثم غادر المكان واختفى وراء باب

فلما خرج من صومعته صباح اليوم التالي لم يجد راهبا واحدا في الدير . فقد انطلقوا جميعاً مسرعين إلى المدينة !!

محمد البردى

الثلاثة التي خلت والسمع ينضج وجهه والألم يأكل قلبه ، ثم هدأت نفسه وتهللت أساريره حيناً أخذ يصف لهم رحلته من الدير إلى المدينة . غنى الطائر وخر الجدول على جوانب الطريق ، وجاش صدره بالأمانى الحلوة والأمال المسولة . شعر بأنه جندي يتهبأ لافتحام الموقمة والوصول إلى النصر المحقق . سار حالماً يقرض القصيد ويصوغ النشيد ؛ وسرعان ما وجد نفسه في نهاية الرحلة . على أن عينه أومضت بالحب ، ونفسه جاشت بالنصب ، وصوته ارتمش عندما بدأ يتحدثهم عن المدينة والانسانية . ما كان رأى ولا تخيل قبل اليوم كل الذي رآه وأحسناه وهو في قلب المدينة . رأى وفهم لأول مرة في حياته سلطان ابليس وسيادة الجور وضعف القلب الانساني الخاوى . هنا خمسون أو ستون رجلاً جيوهم مترعة بالسال يقصفون ويشربون النبيذ دون حد ، أخذوا وقد تملكهم نشوة الراح يرفقون عقائرهم بالفناء الساقط ، ويتوهون في شجاعة بأشياء جارحة لا يجرؤ إنسان يخاف الله جل سلطانه أن يشير إليها . فهم أحرار سعاد شجمات لا يخافون الله ولا يخشون الحميم ولا يهابون الموت . يقولون ويفعلون ما يشاءون ، ويذهبون إلى حيث تسوقهم رغباتهم الجامحة

أما النبيذ فصاف صفاء الكهرمان ؛ وهو أيضاً زكي الرائحة للذيد الطعم ، لأن كل من يصب منه يطفح وجهه بالبشر ويرغب في الشراب ثانية . وهو يجرى على ابتسام ابتسام ، وتهلل غبطة كأنه يعرف أى ضلال جهنمي يجتئى تحت حللوه

غلى مزاج غضبه وبكى أحر البكاء وأشجاء . ثم استطرد يقص عليهم ما رأى : « وقفت امرأة

غرام إدوارد الثالث

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

بإدعى على مولاي الملك ؟
فأذا في مقدور عبدتك
أن تفعل لتزيل عن
نفسك أسباب الأذى
المأبوس والكآبة
الطبيقة ؟

إدوارد - عفواً يا سيدتى ، إلى لشارد الب ؟
وما أستطيع أن أتر أزهار المزاء على أرض من
الفضيحة والعار ؟ فاني قد أخطأت يا كوتنس ،
منذ دخلت هذا المكان
الكوتنس - حاشا ، يا مولاي ، أن يكون
بين أهل هذه الدار من يستطيع أن يرى مليكي
مخطئاً !

أطلعي يا مولاي الكريم على أسباب امتناعك
إدوارد - وماذا يكون مبلغ قربي من الشفاء
إذا أنا أطلتلك على ما تطلبين ؟

الكوتنس - يكون ذلك على قدر ما تستطيع
جميع قواي النسوية أن تبذل في مشرتى البواء .
إدوارد - إذا كنت تقولين حقاً فني ذلك
كل أسباب الرضا ؟ فاستخذي جميع قواك في
تحقيق أسباب سعادتي ، وعندئذ أسعد يا كوتنس
أو أموت

الكوتنس - سأفعل ، يا مولاي ، ما تريد
إدوارد - أأسمعي على ذلك يا كوتنس
الكوتنس - أقسم بالسما أني سأفعل
إدوارد - إذن انتحي جانبا غير بعيد
واذكرى أن هنا ملكا مفرماً بك
واذكرى أن في مقدورك أن تسعديه ، وأنك

يتحدث الناس اليوم عن غرام دوق ونيسور
(الملك إدوارد الثامن) بسيدة كانت متزوجة يوم
أحبها ، وعما انتهى إليه ذلك الحب من طلاق السيدة
زوجها ، ونزول الملك عن عرشه للاقتراح بها .
وهنا قصة ملك آخر من ملوك الانجيز هو إدوارد
الثالث الذي أحب كذلك سيدة متزوجة ، وقد
انتهى أمد غرامه على ما يرى في هذه التمثيلية الشعرية
التي وضعتها بعضهم ، وقد نسبت إلى شاعر الانجيز
الأكبر شا كسبير

وتلخص القصة في أن الحرب كانت قائمة بين
إدوارد الثالث وبين الاسكتلانديين ، وقد حاصر
الاسكتلانديون حصن روكسبرج وأسرُوا حاكمه
لورد سالسبري ، وقامت زوجته لادي سالسبري
بالدفاع عن الحصن دفاع الأبطال ، حتى إذا اقترب
الملك إدوارد من الحصن تخلى عنه المحاصرون
وتراجعوا هاربين أمام جيوش الملك .

وتفتحت لادي سالسبري أبواب الحصن أمام
الملك الذي أصبح هو وحاشيته ضيوفاً ؟ وما كاد
الملك يرى ربة القصر حتى أحس بجها بهاجم قلبه
وشعر بخرج موقفه ، وفاجأته اللادي واقفاً إلى
نافذة الزدهة شارد الفكر فجري بينهما هذا الحوار :
الكوتنس - يؤلى أن أرى مظاهر الحزن

بعيدة عنها ، بينما أنا محتفظ بها
إن جسمي هو مخدع روعي ، وساحتها ،
ومعبدتها ؛ وروحي ملاك ، نقي ظاهر ، ساهو ،
غير مدنس

فإذا أمرتك بيت هذا الملاك يا مولاي فئات
روحي السكينة ، وقتلتني روعي المذبذبة

وطلب الملك من الأزل وارويك ، والد
الكونتس أوف سالسبري — بحكم عيني الطاعة
التي أقسمها له — أن يذهب إلى ابنته فيأمرها
باطاعة رغبات الملك . وتظاهر الأزل بالطاعة ، وكان
موقفه غاية في الحرج . وفي الحوار الآتي بينه وبين
ابنته يبدو مبلغ ذلك الحرج ، كما تبدو لباقة الأزل
في أداء واجب الطاعة لليمين التي أقسمها ، وواجب
الشرف والحرص على كرامة ابنته

وارويك — كيف أستطيع أداء هذه المهمة
القاسية ؟ يجب ألا أناديها بابنتي ؛ إذ أين هو
الآب الذي يقبل في مثل هذا الظرف التمس أن
يحرص ابنته على الزنا ؟

إذن سأناديها بأمرأة سالسبري ... فهل أتكلم ؟
لا ... إن سالسبري صديق ؛ وأين هو الصديق
الذي يؤذي الصداقة بمثل هذه المثلبة ؟

إذن لا أناديها ابنتي ولا أناديها امرأة صديق .
لا ، فما أنا وارويك كما تتوهمين
إن أنا إلا حمام قادم من بحكمة الجحيم
لبست روحه جسم وارويك
لأجل إليك رسالة من الملك .

فلك إنجلترا العظيم مغرم بك أيتها السيدة ،
والرجل الذي يستطيع أن يسلبك حياتك

قد أقسمت علي أن تبذل في سبيل إسماده كل
ما تستطيع قوتك تحقيقه من أسباب المزاء
أفعل ذلك كله ثم أخبريني متى تتحقق سعادتي
الكونتس — لقد فمات ذلك كله ، يا مولاي
الملك الهيب

ولقد قدمت لك من مظاهر الطاعة والاخلاص
كل ما في مقدوري من قوة الحب التي أستطيع أن
أحبك بها

فقل لي ، يا مولاي ، أي برهان غير ذلك تريد ؟
إدوارد — لقد سمعتني أقول لإني مغرم بك
الكونتس — لأن كنت مغرماً بجالي نغذه
إن استطعت ، فهو على ثقافته لا يساوي في نظري عشر
قيمه ؛ ولأن كنت مغرماً بقضيلتي نغذهما إن استطعت
فنتيح الفضيلة ينفي بمقدار ما ينفي عنه
وليكن غرامك يا مولاي بأى مما أستطيع أن
أعطى وما أستطيع أن تأخذ ، فآثره عني

إدوارد — إن جالك هو الذي أريد أن أنسج به
الكونتس — وددت يا مولاي لو كان جمالي
دهاناً ؛ إذن لحوته غرمت منه نفسي وقدمته اليك
ولكنه ، يا مولاي الملك ، ملتصق بحياتي
ملازم لها

فإذا أنت أخذت أحدها أخذت الثاني معه ،
فجالي كالطيفال التواضع يتبع ضوء الشمس الشرقة
في صيف حياتي

إدوارد — ولكنك تستطعين أن تميريني
إياه فأنسج به

الكونتس — ليس أسهل من أن أعير روعي
بعيداً عن جسمي — والجسم في قيد الحياة —
إلا أن أعير جسمي — وهو مأوى روعي —

الكونتس — حصار غير طيبى ... إذن ما أشد تسمى .. أأنجو من خطر الأعداء لأنفسهم من أصدائى فى خطر أشد منه فطاعة وقسوة ؟ أليست لدى الملك من وسيلة أخرى يدين بها دى الشريف غير إفساد باعث هذا الدم فى عروق وحله على أن يكون محاميه الشرير ورسوله للفضوح ... فلا عجب إذا فسدت الفروع ، بعد أن دب الفساد فى الجذوع . ولا عجب أن يموت الطفل المجنوم إذا تلوثت حمة الفروع وقد جف مئنه . إذن أتركوا للأثم حبله على النار ، وسلموا الشباب الطائش زمام الحرية المطلقة ، وأزيلوا القوانين الشديدة اللائمة ، واحموا جميع القواعد التى تجزى على المار بالمار وتقابل الجريمة بالمقاب . لا ، بل دعونى أمت إذا كانت إرادة الملك الفاضلة تأبى إلا ما يريد . فلأمت قبل أن أطيع لإرادته ، وأمل الدور الذى يريد أن أمثله فى ملهاته شهيرة الفاضحة وارونيك — أراك تتكلمين كما أردت أن تتكلمى . فاصنى إلى فأأما بعيد ما أسمعك من قبل ، فان قبرا شريفاً أجل مكانة من خدع الملك الدنس . وكلا عظمت مكانة الرجل عظمت قيمة عمله كريماً كان ذلك العمل أو شائناً . والذرة الحقيمة التى تنطير فى شمع الشمس تبدوللعين فى أضواء قيمتها الحقيقية . وأشد أيام الصيف صفاء لا يلبث أن يلوث الحبة الهامدة التى يبدو كأنه يقبلها . وعميقة هى الضربات التى تحدثها الفأس القوية ، والجريمة التى ترتكب فى المكان المقدس يتضاعف أثمها عشرات المرات . والعمل الشرير الذى يرتكب بحكم القوة ثم مزدوج مقرون بالتحريض : والقرود التى يكسى باللباس الجليلة البراقة الألوان يصبح منظره

إن أراد ، يستطيع كذلك أن يسلبك شرفك ... فأطيعيه وأعيريه شرفك لتتقضى حياتك فكثيراً ما يضيع الشرف ثم يسترد ، ولكن الحياة إذا ضاعت فإنها لن تعود ؛ والشمس التى تجف الحشائش تلمش الأعشاب ؛ والملك الذى يدينك قادر على أن يرفع مكانتك . ويقول الشعراء إن رمح أشيل العظيم كان يشق الجروح التى يحدسها ... ومغزى ذلك أن الرجل القوي يستطيع أن يصلح ما أسد والأسد قادر على تنظيف فكبيه اللاميتين ، وعلى ستر قسوته بمظاهر الوداعة بينما فريسته الهائلة ترتعد عند قدميه والملك مستطيع — فى عظمتيه — أن يستر عارك وهؤلاء الذين يجرؤون على النظر ناحيته باحثين عنك إنما يفقدون نمرة البصر بالنظر إلى قرص الشمس وما مبلغ الضرر الذى يمكن أن تحدثه نقطة من السم فى المحيط الهائل ؟ وعظمة المحيط كقيلة تطهير كل ما يلقى فيه من الفاسد ، ويتجدها من قوة الأذى ... وأنتم الملك العظيم يبرر سوء عمله ويكسو جرعة الندم المرة غلافاً من السكر حلوا مذاق . واذا كرى إلى ذلك أن لا ضرر فى أن تفعلنى ما لا يمكن أن تصونيه فى مامن من المار وهأنذا بأمر ملكي قد أبرزت الرذيلة فى ثوب الفضيلة . وإنى لمتنظر جوابك فى قضية مولاي

الملك — أن تخضى لارادق
الكونتس — إنما ذلك حثك يا مولاي
الملك — على أن هذا يا أحب الناس إلى ليس
إلا مقابلة حتى يبق ومبادلة حب بحب
الكونتس — بل مبادلة الخطيئة بالخطيئة ،
والمداوة بالمداوة
ولكني إذ أرى جلالتك ميالاً لهذا الأمر فلا
ممانتي ، ولا حي زوجي ، ولا مكانتك السامية ،
ولا الاحترام الواجبة رعايته ، ولا شيء من ذلك
يقادر على أن يتغذى . وإذا لم يكن بد من أن
تتقلب قوتك وتطغى على كل هذه الاعتبارات فاني
أستبدل الرضا بالتمنع .

وسأرغم نفسي على حمل ما لم أكن لأحمله .
إنما أشرت يا مولاي أن تحمو تلك الوانغ التي
تجول بين حب جلالتك وحي

الملك — أذكرى هذه الوانغ يا جيلتي ، وإني
لأقسم بالسما على أن أزيلها
الكونتس — إنها حياتهما هي التي تقف
بين حبينا

وإنى لأغص إذ أقول ذلك يا مليكي
الملك — حياة من يأسيدتي ؟

الكونتس — فليعلم مولاي الملك الحبيب
أنها حياة ملكتك ، وسالبري زوجي الشرعي ،
فهو بصفتك هذه سيحول دون حبينا مادام حياً ،
ولن نستطيع أن ننم إلا بموتهما

الملك — إن ما تطلبين فوق طاقة قوانيننا
الكونتس — وكذلك شأن رغباتك ، فإذا
كان القانون يستطيع أن يمنحك من تنفيذ أحد
الأمرين ، فليمنحك كذلك من محاولة الأمر الآخر

أدعى إلى الزاوة والاحتقار . إنى أستطيع يا ابنتي
أن أطيل الكلام في وصف عظمة الملك وجسامة
المار الذي يلحقك من ورائها ؛ ولا تزيد الكأس
الذهبية منظر السم إلا إشباعه . وتبدو الليلة الظلماء
أشد ظلاماً إذا تخللتها البروق . والزنبقة الفاسدة
أعجب ريحاً من العشب الطين . وكل مجد يتعذر
إلى الأثم يتضاعف المار الذي ينشأ عنه . وإنى
لأترك الآن وقد أودعت نفسك دعواتي التي
ستقلب لمنة قاسية أشد القسوة إذا أنت لوئت
اسمك الذهبي الشريف بلوثة المار الموه بمظاهر
العظمة والمجد (ينصرف)

الكونتس — سأبتمك ، وإذا ما استداع عقل
هذه الناحية فينمر جسمي روي في ثم غير
محدود النهاية

وفي أثناء ثورة مواعظ إدوارد يصل ابنه
البرنس أوف ويلز إلى قصر روكسبرج فتثور في
رأس الملك معركة شديدة يبدو أثرها في حوار بينه
وبين الأمير يذكر فيه واجباته الزوجية ، فيتردد
بين الحرص عليها وبين الاندفاع وراء شهوة الفاحشة
الملحة ؛ وبينما هو في هذا الحوار يتقدم اللورد
فيان قدوم اللادي سالبري ، فيأمر الملك ابنه
بالانصراف والتسلل مع أصحابه ، وتدخل لادي
سالبري فيجري بين الملك وبينها هذا الحوار

الملك — الآن جئت يا صديقة روي

لتزديني من كلماتك القدسية

في معارضة حبي بجمال الفتان !

الكونتس — لقد أمرني أبي ، وهو يباركني ..

ها على جنبي تتدلى سكيننا زواجي
خذ إحداها فاقتل بها ملكك
وتعلم مني أين هي راقدة ،
فسأقتل بالأخرى حبيبي الذي ينام نوما عميقا
في سويداء قلبي ؟
فاذا ذهبنا جميعا فسأوضح لازدتك غرامك .
لا تحاول أيها الملك الداعر أن تمنعني
فان عجزى أسرع في حركته من محاولتك
انهاذي

فاذا تحركت فسأضرب ، قف مكانك ،
واستمع لما أخبرك به
فأما أن تقسم على المدول من رغبتك الشريرة
فلا تمود أبدا إلى عائدتي فيها وإلا أقسمت
بالسما (تركع) أن تطلع هذه السكين الماضية
هذه الأرض بما أردت أن تلوث من دم صدرى
السكين . أقسم يا دورد أقسم !
وإلا فسأضرب هنا وأموت تحت قدميك
إدوارد - إلى لأقسم بالقوة التي تزودني الآن
روح الخجل من نفسي ألا أفتح شفتي بمسد
الآن بكلمة تشير إلى هذا الأمر الشرير .

انهضى أيتها السيدة الانجليزية صدا التي
ستفخر بها جزيرتنا أبدا بخير مما يستطيع أى
رومانى أن يفخر بتلك التي أجهد كثرها للتبوش
أفلام الكثرين عبثا في محاولة وصفها .

انهضى ولتكن خطيئتي عماد سمعك الشريفة
التي ستغنين بها على مر الأجيال
انهضى فلقد أقمت من ذلك الحلم الكبره !
عبد الحميد محمد

وما أستطيع أن أصدق أنك تحبني كما تصف
إلا إذا أنت وفيت باليمين التي أقسمت
ادوارد - كفى . . فليمت زوجك والمسدكة
فأنك لا روع جمالا مما كانت هيرو
ولم يكن يبرولس ليندر بأقوى مني
وقد خاض مجرى الماء سميا إلى حبيته .
أما أنا فسأخوض جعبا من الدماء لأصل إلى
هيكل معبودتي

الكونتس - وإنك لتفعل أكثر من ذلك ،
فستصبغ ماء النهر بدم قلبيهما الذي يشطر حينا
ويفصل بيننا . ونصيبا زوجي وزوجك من هذا
الدم متساويان

ادوارد - إن جمالك يحملهما جرمة موتهما
ويقدم الدليل الذي يقضى بأن يموتا
وأنا باسم هذا الدليل وبصفتي قاضيهما سأذنبهما
الكونتس - يا لله من الجمال المزيف ! ومن
القاضي الفاسد الضمير !

وعند ماتمقد محكمة السماء العالية فوق رؤوسنا
اجتماعها العام وتبدأ حساب الناس ، ونحاسبنا
على هذا الشر الجسيم هل نستطيع إلا أن نتعجب
كلانا من هول الجريمة ؟

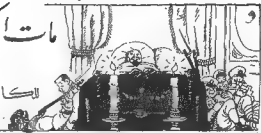
ادوارد - ماذا تقول حبيبي ؟ هل هي مصممة ؟
الكونتس - مصممة على أن أتحلل من
قيودي ، وإذن إليك هذا :

أنجز وعدك أيها الملك العظيم أصبح لك .
قف حيث أنت وسأبتعد عنك قليلا
ثم ترى كيف أسلم نفسي بين يديك
(تلفت إليه لجأة كاشفة عن سكينين)



مات الملك عاش الملك

للكاتبة الإنجليزية ماري كوليردج
بتأليف الأديب محمد عبد الفتاح محمد



أن الغم قد انطبق ، والمينين أسبلتا ، والقلب كأنه
كف عن وجيهه الدائب
ودار الحمس :

— يا لله ! ما أروعها ! ما أشد جلاله !

كانت غشية الموت قد أصابت الملك ، ولكنه
أفاق منها فرأى الصمت الروع الرهيب قد شمل
القاعة . صمت سحري في روعته ، جليل في رهبته .
ووجد نفسه من كثرة الأزهار الفواحة في مثل
الفردوس الذي وعد الله عباده المتقين . وألقى في
نهاية الفراش عند قدميه شمتين ترسلان ضوءاً
خافتاً مرتمشاً ، يخفق تحفان قلب الماشق . وكان
رأسه هو الذي تحرر من النطاء المحمل اللين اللقي
على بدنه الجليل ؛ ورأى على ذلك الضوء الدابل
الضئيل أربعة ، بل خمسة رجال حول السرير
يفطون في نوم عميق

وشاع في نفسه فرح شديد حينما استطاع أن
يتحرك . وما كادت ساعة القصر الكبيرة تنهض
من دقائقها الأحدى عشرة حتى أحس بقوة الحياة
تطرد من جسده ضعف الموت . فهب من رقدته
جالساً وهو يضحك ضحكة خفيفة

ما هذه القوة الفاشمة التي كادت تؤدي به على
حين يرى بلاده في أشد الحاجة إليه ، ولكن
صوتاً خفياً هتف بالملك من وراء النيب يقول :

لم يكن السكون شاملاً ولا الصمت كاملاً في
القاعة الرجبة إلى خيم عليها جلال الاحتضار
وعشيتها الموت . هناك حيث رقد الملك مستسلماً إلى
تلك القوة الخفية التي استولت عليه لتتزع منه سر
الحياة . وكان الناس بين غاد ورائح ، يتهايمون في
سكون وحذر كأنما يخشون أن يزججوا ذلك الذي
يلفظ أنفاسه الأخيرة ، على الرغم من أن الطبيب
الخاص لجلالته قد أذاع أن عليه لم يعد يسمع شيئاً .
وكان أولى بالاحتضار أن يتململ لتجيب زوجه
الصغيرة الحساء وقد جثت على حافة سريرته ، لو كان
دييب الفناء في بدنه قد ترك له شيئاً من حس السماع
وروعي في الاشارة ألا تكون قوية باهرة ، وفي
الستائر أن تظل مسدلة كيلا يؤدي الضوء عيني الراقد
الجليل ، على الرغم من أن الطبيب قد أكد أن
جلالته أصبح لا يرى شيئاً

ولم يسمحوا لإنسان ما أن يدنو من الفراش
معداً أولئك الذين له في قلوبهم أخلص الحب
وأشد الوفاء ، على الرغم من أن الطبيب قرر أن
صاحب الجلالة أصبح لا يعرف من الناس أحداً
رقد وقد تدلت يده الكريمة من الفراش كأنما
تبحث عن شيء ، فتناولتها الملكة بين يديها منتعجة
ممولة ؛ بيد أن الملك لم يستطع أن يجيب على ضغطها
ليده بالمثل ، لأنه كان في واد آخر غير واديهما . ولوحظ

إن أمامه ساعة ليس غير ، سيعود بعدها إلى الحياة ويكون هذا الحلم المزيج قد مر بسلام .
وتنفس الصعداء عند ما مر ذلك بمخاطره ، ثم غنم قائلا :

— ستعود الأمور إلى مجراها بعد حين واستذكر لحظاته الأخيرة ، ثم استدار ومسرح البصر في فراشه وقال :

— غير أني لم أكن يوماً ما جباناً ولا رعيديداً .
وابتسم حيناً ذكر اللذة التي منحها إياه الصوت الهاتف

ونظر أمامه فألقى ملكه الواسع المربض يتد تحت ضوء القمر الزاهر ، فقال لنفسه :

— ساجد ولا ريب ثلاثة آلاف عوضاً عن ثلاثة ، أليس الكل أصدقائي وأحبابي ؟
ومر عند ما ترك باب القصر اللئيف بطفل يبكي بكاء مرّاً ، فقال له في عطف :

— ما خطبك أيها الصغير ؟

فأجابه الطفل من خلال النحيب :

— لقد فارقت أبواي وذهبا إلى القصر .
جاء موت الملك ولم يعودا بعد . وإنني كما ترى وحيد تنسب جائع ، ولم أتناول عشاءً حتى الآن ؛
ثم إن دميتي محطمت . ألا ليت الملك يعود إلى الحياة ثانية ؛

وانهمرت مسارب عيني الطفل واشتد نحيبه ، فسر الملك أشد السرور ، وقال في نفسه :

— ها هوذا أحد أفراد شعبي يتمتع لي عودة الروح ولم يكن لديه بنت ولا ابن ، فأراد أن يداعب الطفل ويلعبه . ولكنه آثر أن يمضي إلى شأن أمم إذ كانت في طريقه إلى منزل الرجل الذي أدناه .

« أيها البعد ! سأمنحك الحياة ساعة بعد هذه الموتة . وإذا عثرت فيها على ثلاثة يشق عليهم فراقك جعلتك من الخالدين »

إذن فهذه ساعته . ساعته التي انتزعها من الموت انتزاعاً . كم ياترى مر منها ؟

لقد كان ملكاً عادلاً كآوء العين لا يفتل عن راحة شعبه ، جرى الصدر لا يعرف من الخوف سبيلاً إلى قلبه ، ولكنه يحب الحياة . لله ما أجملها !
لقد عرفت الآن قيمتها لديه . على أنه لا يحب الحياة لذاتها ، ولا يتعلق بها لقائه ؛ إنما يهوى الحياة لأن أعماله لم تتم ، وآماله لم تحقق ، ورسائله لم تؤد على وجهها الأكمل

وارتدت الأشياء في عينيه ثوباً جديداً وهو يفادر الفرفة ماراً بالحراس الناعمين . وفارقة شعور السخط والتبرم بالقوة الظالة التي سلبته الحياة

وقلب الأمر على جميع وجوهه ، وبند الماطفة وحكم العقل ، وقال في نفسه : « إن البلاد حقاً في حاجة إليه ، ولكن هناك من يمدله من الرجال أو يفضلته . وإن الدنيا مليئة بالعقول الناضجة والقلوب الكريمة . العالم واسع ، وإنه ليراه الآن أوسع . كل شيء يبدو في ناظره أكبر مما كان من قبل . لقد نبذته بلاده الآن وهجرته بصد أن أفنى عمره في السبي لها والحلب عليها

وتردد لدى الباب : أين يذهب أول الأمر ؟
أيذهب إلى زوجته ؟ كلا ، لا ينبغي أن يراها الآن ، فميتهاا قرحوما البكاء ، وجسمها هذه الحزن

يجب ألا يراها إلا حين يستطيع أن يضمها إلى صدره ، ويرى دموع الفرح يهودته إلى الحياة تنضج أسيل الخلد ، كقطرات الطل على نصير الورد .

سلفه من حيث الآراء الغريبة ، وقد كان سلفه يحمل له اللقت والكرامية ؛ وقد عمل أمباس الماكر على أن يفسح لنفسه مكاناً في البلاط الجديد ، وأمل أن يكون قد أفلح . لقد أقسم إلى أنه كان يستهجن سياسة الملك القديم . لا مزية في أنه كان يحبوه المطف والمطف والحظوة ، ولكن يجب ألا تحكم الماطفة إذا أردنا الرغد في العيش . وقد بدأ خطته حين مات الملك ؛ وما أنذا أرسل أمتته في أثره

— حسن جداً !

قالها الرجل الذي عرف الملك فيه أحد سفرائه ، وقال بعد برهة :

— سأتبعه فوراً . وإني أقول لك والسكلام بيني وبينك ، أن ذلك لصالح الدولة ؛ قاللك الجديد أرعن طائش لا يدري ماهية الحكم . لقد أسرني أن أقعد صلحاً لا يفتق وما شيدنا من قصور أو أقالم ؛ غير أن الحرب قاعة لا محالة . ولا اكتمك أنى لو كنت أطلعت أمره لمزت الترتيات في الجيش وشعنت المناصب

ولم يطق الملك سماع بقية الحديث ، فانصرف وهو يقول في نفسه :

— لأذهبن إلى أسدقائي ، فهم على الأقل لا يمنون شيئاً من مهادنة خلفي ، ولعله يجرد من كل ما وهبهم إياه

وسمع الساعة الكبيرة تدق ربع الساعة الأول وهو يسير . لقد كان ملكاً حكيماً ، إذ اتخذ سبيله إلى أفقر الأحياء في مملكته ، وقد زار هذه الأمكنة من قبل متخفياً ، فأثرق نفسه ما هم فيه من المسكنة والفقر

من نفسه وآثره على غيره

وخامره شعور غريب ، وخشى ألا يجده في منزله ، وقال :

— يا أمباس السكين ! إني سعيد إذ لم يمت حزناً على ، فلا أستطيع احتمال فقدته ولا الحياة من بعده . وأني حينما دلف إلى منزل صديقه المشاعل تفسدو وتروح محمولة والحياد مسرحة ؛ وبلغت أصوات المرح والمزج مسميه ، فتلفت هنا وهناك ، ولكنه لم ير الوجه المألوف . وأبصر باباً مفتوحاً ، فتمسك منه ، ولكنه لم يثر على صديقه ؛ وبحث عبتاً في غرفه . كانت كلها خاوية ، فانتابه هلع شديد . لم يقتله الحزن ولا ريب ! . وبلغ الجناح الذي تساقيا فيه الصفو على غرة من الليالي ، ولم يجده هناك أيضاً . رأى الكتب مبثرة والزجاج متناثر الشظايا على بلاط الغرفة

ولوح إطار صورة ملق على الأرض ، فالتفتله فكانت صورته وقد تحطم الاطار ، فتركه يسقط من يده ثانية كأنما لسمته نار تندلع منه

وانتهى ناحية الموقد الكبير في ركن من القاعة ، وكان قلبه يتأجج بالجر كأنه الحب اليائس فرأى بقية من رسالة لم تمسها النار بعد ؛ كانت رسالة كتبها بخطه إلى صديقه الحميم ؛ فتناولها وصر يبصر عليها ، فالتفتها آخر رسائله إليه كان قد ذكر له فيها تفاصيل مشروع اعترم القيام به وما كاد يطعمها النار اللهبية حتى دخل القاعة شخصان يتحدثان : يقول الرجل المرأة :

— أن أمباس ، ألا تسلمين ؟

— ذهب ليقدّم ولاءه للملك الجديد ، إذ نحن كما تعلم في قلق مستمر ، وهذا الملك ليس على شاكاة

— لقد طالب حاول أن يثبت بالقانون . كان أولى به أن يهتم بالأبرياء الذين يضيئون في السجون .

إن في الأمر شيئاً ولا ريب
يا لله ! كأننا التئم هذا الجمع للنيل منه
والقدح فيه

ودقت الساعة الربع الثاني حينما ابتعد الملك
عن هؤلاء الرعا

وأحس دافعا قويا دفعه إلى عدو له كان يكيل
له السبائب والشتم فيقبلها منه هاشبا باسمًا ، واتخذ
سبيله إلى السجن قدما . وانتقى غرفة منه تضم بين
جدرانها اللدكناء رجلا واحدا يكتب مستقدا
على إحدى ركبتيه . فأدام الملك النظر إليه ،
ومرغان مادخل حارس السجن يرافقه رئيس
مجلس الشورى ، وهو رجل كان يعجب به الملك
ويقدره حق قدره

ورفع السجن رأسه بسرعة ثم قال في اضطراب
وقلق :

— ولكن بوى غدا
ثم عاد وتمالك نفسه وقال :
— غير أني الآن على استعداد لي بقاء واحد .
هل آمل أن تبلغوا هذه إلى زوجي ؟

فتكلم رئيس مجلس الشورى في هدوء :
— لقد مات الملك ، وأرجى تنفيذ الحكم
فيك . إن الملك الجديد سياسة أخرى ، ومن
المحتمل أن يطلق سراحك غدا

فقال السجن في حزن عميق :

— مات ؟

فقال الآخر في حزم :

— أجل . مات !

ولم يكن أحد يعلم من أين أتته تلك الحى
الخبينة التى أودت بحياته ، حتى هو نفسه لم يكن
يعلم علم اليقين ، وغشم ضاحكا :

— سوف لا تمس الحيات جسمي بعد الآن
وكانت منازل الحى الوضيع تدل على فقر مدقع
ويؤس شديد ؛ وكانت الأمراض والأدواء تبدو
واضحة على وجوه الأهلين البؤساء الذين وقفوا
جماعات على قاعة الطريق يتهايمسون ويرددون اسمه
من حين إلى حين . كان اسمه جاريا على كل لسان ،
شاغلا كل ذهن ؛ وسمهم فيما سمع رددون النشرات
الطبية التى أذيت عليهم ويحزرون اليوم الذى
يشيمونه فيه إلى مقره الأخير . عجبا ! يظهر أنهم
بحوته مفتبطون

وقى إحدى المواخير أبصر خمسة رجال حول
مائدة يجثسون شرابا ، فوقف يتسمع إلى حديثهم ؛
وسمع أحدهم يقول :

— حمد الله على خلاصنا منه . فما فائدة ملك
يضن بفلس واحد زيادة عما أمر به . ولا يخفى عليكم
ما في ذلك من كساد تجارتنا . أما الملك الجديد فيبدو
لي أنه من صنف آخر . وستروج بضاعتنا في حكمه
وأيام الحق . فقال آخر :

— أجل . لقد كان ملكا لا يطاق . كان يطاردا
ويحرم علينا اللو . بأى حق كان يفعل ذلك ؟ أريد
أن أعلم
فقال ثالث :

— أما أنا فأقول . ليسقط ذوو التيجان . فان
كان لابد منهم فليتركونا وشأننا . وإنى لأؤثر
شابا لا ينصاع لما تخليه عليه سالبات النهى الكواغب
وقال رابع :

وتلبدت السماء بالسحب القائمة فحجبت قرص القمر الزاوى . وهبت ريح باردة نالت من جسده المهوك . وأحس عزلة موحشة تشمله ، ووحدة قاسية تكاد تصرعه ، وقاض قلبه ياساً وغماً أحقاً ليس هناك من يهتم له ويمرّن عليه ؟ إنه يهب كل ماله في سبيل نظرة عطف حقيقية واحدة . كم يتوق الآن إلى شخص يبذل له من ذات نفسه ما يجمع عليه يده ويشد به عضده . كم يموزه الآن أليف غنمه بنعمة وداده ويقبل عثاره لديه لحظات أخرى ثم ينتهي الأجل . كيف بالله احتمال عمره الطويل ؟ على أى حال لم تبق له إلا دقائق معدودة

وأحس سلوة في نفسه وعزاء في قلبه . نسي كل ما أساء به إليه الناس وصغر لديه شأنه وحقر في عيني نفسه ووقف لدى باب غرفة زوجته يقدم رجلاً ويؤخر أخرى . ماذا يفعل لو وجد أمه السابق صراباً ؟ ألا يحمل به أن يعود حتى لا تصرعه الحقيقة المرة ؟ غير أنه غنم قائلاً :

— لم أكن يوماً ما جباناً ولا رعديداً وكانت زوجته تجلس إلى جوار الموقد وحيدة تخفى وجهها بشعرها الأسود الوحف المسترسل . أحس عند ما رآها لأول وهلة بعطف نحوها يكاد يذيب منه القلب . وحجب كيف تسرب إليه الشك في إخلاصها وكان خاتما الثمين يطوق بنصرها كعنه به منذ أن أهداها إياه ، ولم يكن بالفرفة ما يسترعى البصر سوى بريق حجره الأخاذ وشعر يحنن إليها . ودهش لم تركتها وصيغاتها

فهب السجين واقفاً عسج جبينه كالحموم ثم قال : — نسيدى لقد كنت أجعله وأحترمه . كان ملكاً بكل ما في هذه الكلمة من معان سامية ، وقد عاملني معاملته لسيد عظيم . ذلك فضلاً عن زوجه الصغيرة الحسنة ، لكم أتمنى أن يبعث مرة أخرى ، وكان اللمع يجول في عيني الرجل أثناء حديثه

ودقت الساعة الربع الثالث والملك ينادر السجن الرهيب كان عطف عدوه أشد وقفاً على نفسه من غدر خالصاته ومحبيه . خير له أن يموت من أن يكون مدينياً بحياته لئلا ذلك الرجل غير أنه لم يسمه إلا أن يطرب لشعور الرجل نحوه وتقدير ما في نفسه من نبل وسمو ، وهان عليه الموت وسهل لأنه رأى أن عبة الناس له لم تكن إلا حلماً من الأحلام . إن هؤلاء الناس الذين تمس لهم وسهر عليهم لم يلبثوا بمد شاو من يحترم نفسه

— أين أصدقائي الآن ؟ . طفل غريب ، وغدو نبيل . إنهما كل مالى من أصدقاء . وهل للحياة قيمة بمد ذلك ؟ ألا يجدر به أن يستسلم للقضاء . ولا يتمنى بمد الآن شيئاً ؟ لقد تلقى درساً بليفاً . في وسعه أن يرقد فينام فينال الراحة الكبرى . لقد بررت القوة الإلهية مسلكتها مع الانسان الطامع الجاهول . ماذا ينفع المرء أن يثبت عنده كذب أخيه ؟ وقارقه الأنف ، وذهب عنه الحزن ، وبرج الخلفاء ، وتكشفت له الحياة



يَوْمِيَّانَا فِي الْإِرَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

١٩ أكتوبر

رأيت أن الطريق الوحيد بعد ذلك أن أبحث عن ذلك الخطاب الذي كان قد تقدم للبيت ريم . ولكن كيف نستدل عليه ونحن لا نعرف حتى اسمه ؟ فلنطلب إذن إلى المركز أن يأتي إلينا بأحد الجيران لعله يعرف الخطاب . ولكن الجار امرأة ؛ فان المرأة بطبيعتها فضولية ثائرة . فسا من جارة لا نعرف أسماء الخطابين والخطوبات في الحارة .

ولكن هل أستطيع الآن أن أكافل المركز باحضار شاهد أو بالبحث عن مجرم ؟ إن السياسة وحدها هي كل شيء اليوم في المركز ؛ ولن أجد خفيرا يلقى بالا إلى أوامري الساعة . فلنتصل نحن مباشرة

وحيدة . كان يجب ألا يفارقها في تلك الليلة المصيبة . وبدت لها كأنها غارقة في أفكارها وهومها . ألا ليها تسممه صوتها الموسيقى الحنون ، أو حتى تردد اسمه

بجوار فراشه . لذلك أمسكت بيده بين يدي وهو يجود بنفسه . لقد ملكني الخوف وأنا أنتظره هنا وحيدة مع نفسي . ظننت روحه تأتي فتفزعني . ولكن لا ، لقد ذهب إلى حيث لا رجعة . ستعرف

علينا السعادة بأجنحة من الحب بعد الآن وزعت خاتمتها وثمته ثم قدمته إليه وهي تبكي وعند ما دقت الساعة تملأ انتصاف الليل نهض الحراس من نومهم فرأوا الملك واقدا قد تنشاه جلال الموت . غير أنهم لم يروا تغييرا عظيما اعترى حياته ، فقالوا فيها بينهم :

يجب ألا ندع الملكة تراه ثانية

سيرة : محمد عبد الفتاح محمد

بيد أنها كانت صامدة صمت القبور وفزع الملك لحركة مباغتة . وفتح باب سرى في الجدار ؛ باب سرى كان يظن أن أحدا لا يعلم به سواهما ؛ ودلف منه رجل وانتصب أمامها . فرفعت إصبعها إلى فها تومي إليه بالصمت . ثم ألتفت بنفسها أخيرا بين ذراعيه :

— هل عدت أخيرا ؟ كم أنا سعيدة ! عفوا يا حبيبي ! لقد كان على أن أفضل شيئا وأنا جاثية

— أيام انتخاب يساعده البك
— والعمل ؟
— تتصل بدوار العمد وتطلب النفر والحجرة
— اتصل

واستطعنا آخر الأمر أن نظفر بحضور الحجرة
الجارة مع « مخصوص » وكان ميماد غدائي قد حان .
وكان قد أجهدى العمل المتصاد بالكتب . أعنى
تحقيق التزويرات وقضايا الرافا حش والتلبس الوارد
من المركز من « إيراد » اليوم ، وأكثره الآن محاضر
« تشرد » ضد الأهالي غير الموالين للحكومة القائمة .
وما أسهل هذا السلاح وما أقواه في يد رجال الإدارة !
فإن كل نجل كريم من أنجال الأعيان يمكن اتهامه
بأنه لا يحترف صناعة ، ويمكن بذلك القبض عليه
وحبسه أربعة أيام باذن النيابة لحين التحرى عنه
وطلب صحيفة سوابقه من مصر . وأين هو وكيل
النيابة الذى يمارض المركز اليوم في إصدار أوامر
الحبس ؟ وقت لقتناء بمد أن أصدرت من هذه ماشاء
الله والمركز . وعدت بعد الظهر لسؤال المرأة ،
فتكلمت كلاماً كثيراً لم أخرج منه إلا أن الفتى
الخطاطب يدعى « حسين » وهو ليس من أهالي البلدة
بل من بلدة مجاورة

— اسمه حسين إليه يا وليه ؟ فيه ميت حسين
في البلد . لقبه إليه ؟

— ما اعرفش تقبه ياسيدى . البنيت قالت اسمه
« حسين » وأنا مالى بقى أسأل عن أصله وقصله .
أنا حرمة غلبانه فى حالى ، بعبد عنك ما أكره على إلا
كثر الكلام . أنا طول عمرى يا سيدى فى الحارة
ما أحشر تقسى فى كلام ولا فى سؤال . وأنا مالى
قالوا يا داخل بين البصلة وقشرتها ...

بالقرية وتطلب إلى النقطة أن ترسل إلينا المرأة
المطلوبة . وأمرت فى الحال حاجي فتقدم إلى آلة
التليفون وأمسك بالبوب وجعل يصيح أكثر من
ربع ساعة :

— يا نقطة ! يا نقطة ! ردى على يا نقطة ! البك
الوكيل جنبى يا نقطة !

ولكن النقطة غضت طرفها الناعس عنا ولم
تكلم نفسها عناء الرد علينا ؟ واشتد غيظ الحاجب
وجعلت يده تحرك جرس التليفون بقوة كادت تخله .
وهو من طراز تليفونات المراكز التى لا توصل
الكلام بين المتحدث والمخاطب حتى ينقطع نفس
اللاتين من كثرة الصباح ، وحتى ينقطع جبل الحديث
مائة مرة ومرة تشبك خلالها حبال أحاديث أخرى
من بلاد أخرى ومن مصالح مختلفة . فبينما يدور
الكلام حول إرسال متهم إذا صوت بجيب فى مسألة
متعلقة بتفتيش الرى والفتحات ونوبات الترع ، وإذا
آخر يتكلم فى أنفار القرعة ويطلب طلبات فى لهجة
الأمر والنهى . على أننا اليوم لا نلقى ردا على
الاطلاق . ويد الجرس فى يد الحاجب لا يقف لها
دوران ، كأنه يدبر طاحونة بن . ولا ينفك يصيح
تارة مهددا وتارة متوسلا :

— أنا فى عرضك يا نقطة ! كلمة واحدة يا نقطة !
إخص عليك يا نقطة ! ردى على يا ...
فما تمالكت أن قلت :

— شئ لطيف ! ناقص تركع وتقول : « ردى
على يا روح قلبى يا ست هانم يا نقطة ! »

— يظهر يساعده البك أن النقطة خالية من
حاضرة الملاحظ والبولكامين والكل كليله ...

— النقطة خالية ...

زوجها ، ودنت من القاتل الحقيقي وصرت عليه مر
الكرام ، ووصلت إلى ذلك السكين صاحب المستندات
الذي ليس له في الثور ولا في الطحين ، فلكي يفي
صدره لكلمة كاذبة ترويه وصرخت بالصوت :

— غريمي

فأخرج على الرجل وقد فوجئ ، ثم نمالك وقال :

— يا ستي أما أعرفك ؟

فلم تسمع إليه المرأة ومضت تقول :

— غريمي دني . غريمي

والثفت إلى الرجل كالمتجسس :

— يا سيدى البك . أهضنى . أنا همري

لا شفها ولا قاتلها ...

فقام وكيل النيابة وهو أما ولا نفر بأسلته
« النجازية » المحفوظة عن ظهر قلب ، المعتبرة من
« زوتين » العمل التي إذا لم تسأل أحصتها الرئاسة
علينا هفوة ، وإن لم يكن هناك محل لتوجيهها ،
أسئلة سخيفة لا تدنى شيئا في ذاتها ولكن القضاء
بمبتهرها محرجة مضيقية على تخناق المجرم :

— بينك وبينها ضغائن

— أبدا يا سيدى ولا أعرفها

فتمهلت قليلا لكي ألقى ذلك السؤال الذي
يلقيه كل وكيل نيابة وكل قاض في ثقة واطمئنان
كأنما يلقي يده على الدليل المين :

— إذن ما سبب ادعائها عليك ؟

— أنا عارف ! مصيبة على الصبح وارتعت على

— احجزه يا عسكري

— يحجزني ؟ أنا يا سيدنا البك في قضية

مدنية تحت . اعمل معروف خليقي أروح لشقلى
وألقى الرجل في الحبس الاحتياطي . ونودبت

— اسكتي قلبت دماغى في الفارغ ، داهية
تقلب دماغ إلى طلبك . يعنى لو عرضنا عليك الولد
تصرفيه ؟

— أعرفه يا سيدى . يا نداه ! وأنا بقى
خلاص انعميت ... أنا صكنت اسم الله على
مقامك ...

— كفاية ... انت واحدة والله الحمد لا تجبى
كثر الكلام ولا ...

كثر كلام ... أبدا وحياة شرفك ... أنا بصيد
عنك من يوم ...

— بس !

وناديت الحاسب ، وأمرته بإخراج المرأة
واجلاسها في الدمايز بجواره تنتظر حتى تطلب .
وكافته بمخاضة البسلة التي فيها الفتى ليحضروا
الفتيان الذين يسمون فيها باسم « حسين » ممن
تنطبق أحوالهم وأوصافهم على ما لدينا من المعلومات .
وجاست أنتظر ساعة وأنا أفكر في قيمة هذا
العرض « القانونى » . إنى لا أئن كثيرا بفراصة
هؤلاء النسوة . وما زلت أفكر قضية قتل أثنين فيها
زوجة القتل وعرضنا عليها اللهم بيت أشخاص
آخرين جئنا بهم عفوا من قاعة الجلسة المدنية
المنقذة في صباح ذلك اليوم . وكان من بين هؤلاء
شخص منكود الطالع أتى يحمل مستندات شركته
في جاموسة ويسمع الحكم على خصمه بالطلبات .
فاذا هو يحيد نفسه قد زج بين الأفغان الذين أخذوا
من قاعة الجلسة ليقفوا في صف طويل في قاعة النيابة
وقد أخرج عليهم وكيل النيابة امرأة شحطاء ،
وأمرها أن تبرز القاتل من بينهم . ففترست المرأة
في الوجوه وهى تدق صدرها وتدعو بالويل على قاتل

طابقا للقوانين الحديثة بنبني أن يرعى في تطبيقها عقلية هؤلاء الناس ومدى إدراكهم وقدرتهم الذهنية

وحضر المطالبون وأوقفتم في صف طويل وأدخلنا المرأة فتقدمت وهي تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم
ولم أترك لها مجالاً للثروة . فقد انتهت بها :
— كلمة ورد غطاها ياولية . من في الحاضرين
الخطاب ؟ ...

فدنت من أقرب الفتيان إليها ونظرت إليه بعينها « المشاء » نظرة « المرضحالي الأضبطش » إلى « عريضة » يرفعها في يده حتى تمس أنفه . وقالت له في صوت خافت تريد ألا يصل إلى سامي :

— أنت « يا ادلمدى » مش اسمك حسين ؟
فأدركت في الحال مبلغ علم المرأة بما انتدبت لأجله وقلت لها في شدة :

— كل الجدعان اللى قدامك ياولية اسمهم حسين
— قطعة !

لفظها المرأة في صوت الواقع في حيرة من أمره . ثم اتجهت الى التالى وسألته :

— انت منين يا جدد انت ؟
فأجابها الرجل في صوت هادئ :
— من أمبابة يا سقى !

فقال على الفور في لهجة الجد :

— دى بلد الجبر يا جددان . دا كان مرة
« ادلمدى » جوزى اشترى منها حمار ...

فلم أتمالك أن صحت :

— أخرجى يا « قرشانه » يا « وحشة »
يا قليلة الحيا ... ضيعت وقتنا ، نهار بحاله .

قضيته المدنية فلم يحضرها بالضرورة قسّطت دعواه وجلس الرجل أفرصاء على الاسفلت ومستنداً في يده يفكر فيما آل إليه حاله بلا مبرر ولا جبرية تذكرت ذلك وقلت في نفسى : « كلا لا يبنى أن نبالغ في قيمة « المرض القانونى » إن هؤلاء الفلاحين بأعينهم التى أكلها الصديد منذ الطفولة ، ومداركهم التى تركت هملا على مدى حكم ولاية من جميع الأجناس لا يمكن أن يركن إليها في حكم أو تمييز . وهل هناك أعجب من « عرض قانونى » آخر قدت به في قضية تزوير ، وكان التهم « أفنديا » وقد وضعت بين أشخاص مطرشين وحثت بالمجنى عليه الفلاح وأسرته باخراج « غريمه » من بين هؤلاء ، فتفرس في الوجوه لحظة ثم ترك الصف بأ كله ووقف تجاهى أنا وكيل النيابة المحقق وأطال النظر في وجهي وقد بدت في عينيه علامات الشك الذى سيثبته اليقين أنه وقع أخيراً على المجرم الحقيقى ، وكان حاضرا عندى وقتئذ أحد كبار مفتشى النباتات زائراً قد أراد أن يشهد عملية المرض . فها لى أن يطيل الرجل شكاً في أنا فيبدو للففتش رأى لا أراضاه ، فانهزت الفلاح وأمرته أن ينظر في الصف الذى أمامه ويخرج منه التهم . فكان اللعين يمر بالصف سرا سريما ويمود فيلقى بصره على ويفحصنى من رأسى حتى انخص قدى لحص المشبه المستريب . ولن أنسى اضطرابى يومئذ . وقلت في نفسى : « الله يكون في عون المروضين » ولم اجد عند ذاك مندوحة من أن أنهى عملية المرض في الحال قائلاً في سرعة : « لم يستمراف المجنى عليه على أحد » وأمرت الحاضرين بالانصراف فخرج الرجل وهو ما زال يحتلس النظر . كلا إن تلك الاجراءات التى تتبع في أعمالنا القضائية

عن القضية التي ترفع فيها قائلاً إن التهم فيها قد حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة لأنه قتل رجلاً في نظير مبلغ خمسة جنهات . فالقاتل رجل سوداني بدوى قوى الجسم يحترف إزهاق الأرواح . وقد اتفق معه أحد الفلاحين على قتل خصمه له وحررت الكيبالة بشعن « الروح » . وانطلق ذلك المحترف حاملاً بندقيته كما يحمل الفنان قيثارته ، ووقف بها تحت نافذة المسجد حتى دخلت « الروح » الغالبة وسجدت تصلى فأرسل إليها الصياد من بين قضبان النافذة قبلة واحدة ذات صفي من « ماسورة » أرغوله الجهنمي كانت فيها الكفاية . وهي صناعة تحتاج الى ثبات يد ، كصناعة النجارة ؛ فالنجار الحاذق يضرب السمار ضربة واحدة لا عوج فيها ولا ميل ، تصيب اللوح في الصميم . وكان مصير هذا الدم الضائع كالمتاد ومآل القضية البراءة ، لولا خلاف دب بين البائع والمشتري . فالقاتل سلم « البضاعة » حاضرة . ولكن للمشتري مطلبان . ولم يطلق القاتل المحترف صبراً على هذا « الزبون » المتوقف عن الدفع فصاح به وسط الجلسة غير صراخ حرمة قضاء ولا قضاة ...

— ما زنى أقتله لك لوجه الله ؟
وترك « زبونه » والتفت الى هيئة المحاكمة :
— اشهدوا يا ناس على قلة الشرف . أنا أستحق الشنق ؟ الى ما قبضت مقدم . هو يخرب البيوت إلا الشكك
وضحك قليلاً أنا ومساعدى . وقد أبدت له ملاحظتى على هذه التجارة أو الصناعة المروعة في الريف . وهي الاستعجار على القتل . ان الفلاح المصرى يلجأ كثيراً الى عتوف يقتل له . كما كان بعض ملوكنا الأقدمين يلجأون الى الجنود المرتزقة . أهو تنص

إخص على دى شهود ... !

فلتها من غيظي وأنا ليس من عادى « القباحة » ولكن هذه المرأة التي أهتمتى أنها رأت الخاطب بعينها وترعرع إذا حضر أمامها قد اتضح الساعة أنها لا تعرف إلا اسمه . وحتى هذا الاسم الا بتر « حسين » من أدرانا إذا كان هو اسمه الحقيقى أو أنها كلة ألقها على عواهنها هذه المرأة « المهجاسة » وسألت الحاضرين عن الخاطب فلم أجد بينهم من يفهم غرضى أو من يعرف شيئاً عن الموضوع . فصرختهم . ولم أكّد أخلو الى نفسى وأفكر فيما يبنى عمله بعد ذلك ، حتى فتح الباب ودخل على مساعدى أتياً من البندر حيث كان يترافع فى قضايا الجنايات التي أحلتها عليه . وقد رأيت وجهه نفساً مشرقاً . وابتدري قائلاً :

— البنادر هي النعم . يا خسارة رجعتا بسرعة إلى جحيم الريف
— أخذت أحكام براءة
— أما زلت فى أحسن بانسيون وصرفت ضعف بدل السفرية

— رد على سؤالي . القضايا عملت فيها إيه ؟
فوجم الشاب قليلاً ، ولم يكن ينتظر مني الكلام فى العمل والجد منذ اللحظة الأولى . وكان يحسن بي فعلاً أن أكون به لطيفاً رقيقاً ولكن القضية التي فى بدى أتميت أعصابى ، أو لعل شيئاً من الحسد الخفى قام فى نفسى إذ رأيت هذا الفتى عائد كالأهرة المشرقة من ذلك النسيم الذى يقول عنه بينما أنا راسف فى أغلال الوظيفة غارق فى عمل دى مسؤولية لا يقف ولا ينتهى . وتنتهى مع ذلك لمخشوتى وأردت أن أبتمم وأن أكلم فى غير القضايا . ولكن المناسبة كانت قد فانت . ومضى المساعد يحدثنى

ولقد أخبرتني فعلاً أحد المستشارين من أهل الصراحة أنه بعد أن نطق ذات مرة بالحكم في جنابة خطيرة ورجع ليلاً إلى مكتبه وورقه وملفات القضية ليكتب الحثييات، وقع نظره على أقوال وعبارات في محضر جلسة اليوم، وفي المحاضر السابقة، وفي تحقيق النيابة استخلص منها تفكيره الهادي الرزين في ذلك الليل الساجي ما لو عرفه قبل النطق بالحكم لكان حكمه قد تبدل وتبدل. ولكن ما العمل الآن وقد تم النطق بالحكم وما من سبيل إلى تغييره بأي حال؟ لا يستطيع أن يصنع شيئاً. فجعل همه تلك الليلة أن يستخرج من الأوراق جميع الأسباب التي يرد بها النطق بالحكم. وكم من الحثييات العلوية تكتب تبرزراً وتدعوا لحكم سريع مضي النطاق به، لا تفسيراً لمدالة ولا تمحيصاً لحقيقة...

(ينبع) توفيق الحكيم

سَلَامُ خُضَيْرٍ

٥٦٥
٥٦٥



١٠٥٧
صدور بركة

برليشة ذهب عيسار ١٤
مضمون ٣ سنوات

لست تجله الحكي كومات لشقية
مكتبه ورطبة خضير بساع عبد الرز بربره

خلق في الفلاح يضاف إلى أمراضه الجفائية والفكرية والاجتماعية الكثيرة. أم أنها قوة مقدرة وضعت ثقة بالنفس منشؤها اشتغاله بأعمال السبيل من قديم في الأرض والزراعة وترك الفروسية والجنسية للمعبرين وأقربهم بنا عهدا الاعراب والانراك. ان الملاحظة على أشهر محترفي القتل في الأرياف أنهم من دم أجنبي. أم ان الفلاح يحب السلام ويأبى أن يزاول سفك الدماء بيده التي تبذر البذر ويخرج منها الخير. لست أدري. إن الأمر يحتاج إلى درس خاص. ويكفي هنا نحن للتصليح بهذه المسائل أن لا نمر عليها بغير ملاحظة. وقد أفهمت مساعدي أن مهنتنا سخية عمادة البحث والملاحظة. وإنه طول حياته بها لا يبنى أن يسير مغمض العينين. فهي خير مهنة تكون الرجل تكوننا جميعاً. فوكيل النيابة إن هو إلا حاكم صغير في مملكة صغيرة إذا

فهم كل شيء في هذه المملكة، ولا حظ كل شيء ودرس الناس وطباعهم وغرائزهم، فقد استطاع بعد ذلك أن يعرف تلك المملكة الكبيرة التي هي دولته. بل استطاع أن يفهم ذلك العالم الأوسع الذي هو «الإنسانية». ولكن كم من رجال النيابة أو القضاء يستطيع أن يلاحظ أن قوة الملاحظة هي أيضاً هبة عظيمة لا يملكها كل الناس. وقد وحي مساعدي هذا الكلام وهو على قسط وافر من الذكاء. فأطرق قليلاً ثم رفع رأسه وأخبرني أنه لاحظ أمراً استوقف تفكيره في جلسة الجنائيات، ذلك أن المستشارين ينطقون بأذى بدىء بالحكم. ثم ينصرفون بعد ذلك إلى كتابة الأسباب. والنطق الذي يتصوره هو أن يكون الأمر على العكس. ملاحظة قيمة.

الحَيَاة

لدؤستاذ ابراهيم عبد القادر المازني



وما إليها ، وأن تقوم بما تقتضيه الخدمة . وكان أصدقاؤها كثيرين فسرهم هذا وأراحوا له وأقبلوا على « ناديا » ليساعدوها ، وآثروه على الأندية المفتوحة بلا قيد ولا شرط ، أو كما قال بعضهم : « لكل من هب ودب » فصالح حالها بذلك حتى لقد احتاجت أن تنتقل الى شقة واسعة كثيرة الثرف والشرقات . وصار السامعون — على الأيام — خير زائنها وأسخام بدا ، فقد كان أكثر من عدام يحمل معه ، وهو خارج ، ما بقي من طعامه وشرابه ؛ أما أولئك فقد كانوا يتركون الباقي ، ولا يفهمون أن يحسنوا تجزئة الخدمات ؛ وكثيرا ما كانوا يكدون إلى « صفية » أعداد الطعام والشراب الذين يريدونهم ، فيكون لها من ذلك ربح آخر . وقلما كانوا يكتفون بنصف الريال المطلوب

ولم تكن « صفية » كبيرة السن أو دمية ، ولكنها كانت قد فانت سن الاقبال عليها من الشبان وبلغت سنًا تحتاج فيها الى المحاوراة والدائرة ، وتأكد الحسن ، وإبراز اللسان ، فكانت لا تزال تدخل غرفة وتخرج من أخرى ، وتحي هذا وتلاطف ذاك ، وتحمل بيدها البضعة الكوب أو الطبق لتجيء بشيره ، وتتحى الخادمة وتلقى الابتسامات هنا وهناك ، وتحظر في شقوقها المبهوكة التفصيل . ومن

كان الحاضرون يجلسون حيث شاءوا من غرف الشقة الرحبة ، فقد فتحت كلها — ماعدا غرفة النوم — وكان كل اثنين — كل فتاة وفتى — يختاران المكان الذي يراه أوفق لها وأطيب . فتحمل إليهما الخادمة طاولة صغيرة وترص عليها ما يحتاجان إليه من أطباق وكواب ، ثم يجيئهما بشربهما وطعامهما اللذين دخلا بهما ، فيأكلان ويشربان ويسمران ويرقصان — فإن في البيت فونرافا لا يستريح — ويظللان كذلك — « في خور وفي أمور » كما يقول ابن الرومي — الليل كله أو بعضه ؛ ثم ينصرفان راضيين شاكرين . فقد كان هذا اتفاق « صوفي » أو « صفية » — كما تؤثر أن تسمى نفسها — مع ضيوفها ، وكانت خياطة وكان الحال حسنا ، والأيام مقبلة عليها ، فجاءت من هي أروع منها وأكيس وأبقى وأقدر على الاستيلاء على أهواء الزبائن فركدت السوق وقل العمل ونضب المعين ، ثم خطر لها أن تسمع لمارقتها من الجنسين ان يسمروا عندها ليلتين في الأسبوع — السبت والأحد — أي أن تجعل من شقتها ناديا خاصا ، واشترطت أن تنقاضي من كل واحد وواحدة نصف ريال ، ولضيفوها أن يجيئوا بما يشاءون من طعام وشراب ، وعليها أن تعد لهم الأواني والأدوات

تسندته وتقوم اعوجاجه . ولم يكد عبده يراها حتى نهض وتناول ذراع الرجل وقال له بمحبة :

« ما هذا الذى صنعت بنفسك ؟ . كيف تجرؤ أن تجيء إلى هنا وأنت على هذا الحال ؟ »

فقال الرجل وهو ينحط على أقرب كرسي : « إيه ؟ ماني ؟ »

فقال عبده : « ألا تحجل أن تحمل هذه الفتاة عبء جسمك الثقيل ؟ »

فزام الرجل وأدار عينه في الفرفة ، ثم كاشمأ أحسن أن جفونه ثقيلة ، فأغمض عينيه ، ورد رأسه إلى ظهر الكرسي ، فهزه عبده هزاً عنيفاً ، وصاح به يدعوهُ أن يثبته ويثبته ، فأشار إليه الرجل أن يبعد عنه ، فعاد عبده يقول كاشمأ يتحدث نفسه : « ولكن الفتاة ؟ . كيف تكلفها أن تحتمل منك هذا الحال ؟ »

فقال الرجل : « مالها ؟ إنها رابحة على كل حال » فدهش عبده ونظر منه إلى الفتاة ، ثم كاشمأ خطره له خاطر فقال لصفيّة : « اجعلى بالك إليه .. إنه صديق لي . اعتنى به . أرجوك »

والتفت إلى الفتاة وقال لها : « تعالى معي .. إن بقاءك معه وهو على هذه الحال لا يليق .. تعالى تقف في الشرفة »

وأشار إليها فشت أمامه إلى حيث أوما ، فلما سارا وحدهما قال لها : « هل جئت إلى هنا من قبل ؟ »

قالت : « أبداً »

قالت : « هل تعرفين أحد هنا ؟ »

قالت : « عرفته اليوم من صديقة لي »

قال : « من أنت ؟ »

قالت وهي تبسم : « إنك شديد الفضول »

قال « لأن تعرفي صاحباً يبي ما يقول ويفعل ،

خير فيما أظن من أن تعرفي من لا يكاد يبي »

أدري منها بأراز خطوط الجسم الجليل ، واستدارات القدر الشيق ، ولم كساب الأنداء والأرداف فتنة فوق فتنتها الطبيعية ؟

وكان بعض ضيوفها يأتون فرادى اكتفاء بما يملكون أنهم يفيدونه عندها على كل حال من الأنس والهجة ، فما كان يدخل هذا البيت غريب عن رواده ، فكان المستفرد الوحيد يستطيع أن ينتقل من مجلس إلى مجلس ، وأن يماث أو يضاحك أو يسامر أو يراقص من شاء . وكان من هؤلاء عبد الحميد — أو عبده كما كان يسمى في المادة — ولم يكن يعرف من الوجودين إلا اثنين — « دافيد » الذى جاء به « ورشحه » في مرة سابقة ، و « صفيّة » ربة البيت . وكانت « صفيّة » قد أعجبها شكله ووقع من نفسها هدوؤه وسكون طائرته في الأغلب ، وما يدو عليه من قوة الجسم والارادة معاً . وكان قليل الشراب تزر الحديث ، ولكنه لم يكن على هذا لا جامداً ولا قاتراً ولا صارم الجدد ، فكانت صفيّة تقبل عليه وتحاول أن تحمل عنده عمل الساحبة التى لم يجيء بها ، ولا تتركه إلا لحظات قصيرة للمناوبة بغيره إذا بدت لها حاجة إلى ذلك . وقالت له مرة :

« لماذا تجيء وحدك ؟ »

فلم يدر ما مراده ، ونظر إليها — أثارها النظر — قبل أن يجيب ثم أترى اللطافة فقال :

« وهل أأ وحدى ؟ »

فسرها جوابه ، وظنت أنه قانع بمجلسها وحديثها ، وراحت تحنى نفسها الأمانى ، فقد توسمت فيه — من مظهره — النقى ، وأنست من سيرته الجود . وإنها لهم بكلام مناسب ، وإذا بالباب يفتح ، وإذا بآتين يدخلان — رجل وفتاة — وكان لا شك في أن الرجل سكران طافح ، فما كانت رجلاه تحملاه إلا يجهد ، وإلا بفضل الفتاة التى

من السباحين . وضربه على الخصر . أنه لم ير على شفتيها أثر للأحمر وأن حاجبيها طبيعيان .

وقال لها : « ما اسمك ؟ »

فضحكت وقالت : « لكأنك أبي »

فقال : « لا تصحكي .. واسمى .. قد يكون فضولي ثقيلا ولكن يجيبك مع هذا السكران ... »

فقاطعته : « هل الهى الى هنا عيب ؟ »

فقال : « لا . لست أزعج ذلك .. إن المكان لا عيب فيه ... نادى أكثر ولا أقل ... ولكنه

خاص ... ليس لكل الناس ... ولكن أين كنت مع أحد ؟ ... أين سكر الى هذا الحد ؟ ... »

فقالت : « اسمع ... إني كذبت حين قلت إني عرفت من صديقة لى ... الحقيقة أنى لم أره إلا

منذ ربع ساعة ... أى قبل أن ندخل هنا بدقائق »

فقال : « هذا أدهى ... كيف اتفق ذلك ؟ أعنى هل عادت أن تعرف من يشاء أن يعرفك ؟ »

قالت : « لك المذر . وبعث أن أقول شيئاً .

هل تسمح لى أن أخرج ؟ »

فاعتذر إليها ، ولكنه ألح عليها أن تقول له ماذا كان أحمد يقنى بقوله إنها رابحة على كل حال .

فقالت ببساطة : « أقول لك الحق إني لأدرى .

إنه صاحبك فسله بعد أن يفيق »

وهمت بأن تغضى عنه ، فتملق بها وراح يطالبها بأن تقول له كيف جاءت الى هنا مع أحد ؟ فقالت

هل تصدقني إذا قلت لك إني أنا مستغربة ، وإني

لا أعرف كيف اتفق أن يحدث هذا ؟ »

فأحس من نبرة صوتها أنها صادقة ، وقرأ في

عينها الصراحة فقال لها : « مالك ؟ حدثيني »

فابتسمت ، ولكن ابتسامتها كان فيها من

فضحكته فحكة رقيقة خافتة وقالت : « أظن أن الأمر على العكس ! »

فقال : « هل تتبين أن تقولى إنه لا يعرف من أنت ؟ »

قالت : « هذا ما أعنى . إنك ذكى »

قال : « وماذا كان يقنى بقوله إنك رابحة على كل حال ؟ »

فأطردت قليلا وقالت : « إن اهتمامك هذا بأمري يسرنى ، ولكن هل من الضروري أن تغضى

في التحقيق إلى النهاية ؟ »

قال : « عفواً ولكن الكلمة عجيبية ... وأنا أخشى أن تكون .. أن يكون .. »

وأمسك . وماذا عسى أن يقول ؟ إن هذه أول مرة يلتحق فيها ، وليس من اللائق على كل

حال أن يتنحل لنفسه حق القيم عليها ؟ ولكنها كانت جميلة ، وكانت ثيابها تدل على النعمة والترف ،

وقد نجد كثيرات يلبسن من الثياب أغلاها وأنفسها ولا يكن مع ذلك فيها إلا كالستيميرات لها ؛ أما هذه

الفتاة الصغيرة السن فيبدو للناظر إليها — من النظرة الأولى — أنها ألفت النعمة والترف ، وأنها

نشأت في أحضانها . وكان قوامها ليناً ، وقدها صغيراً ؛ وكان ثديها راسخين من غير أن يحسهما

أو يرفضهما شيء . وقد وقمت عين عبده عليهما ، أول ما وقمت على شيء فيها ، ففطن إلى دلالة ذلك

وأدرك أن هذه الفتاة لا يمكن أن تكون إلا غريبة على الرغم من دلالة لسانها . وهل يعقل أن يظل

الثديان راسخين على الرغم من امتداد الأيدي إليهما وكثرة العبث بهما ؟ أبداً .. أبداً .. كذلك كان

يحدث نفسه وهو يكلمها ويحدث في وجهها الدقيق المعارف ، الشرق الديباجة ، الصايح ، يتير ممونة

أن يذكر لها رقم تلفونه وينسى أن يذكر لها اسمه ، وأن تقيده هي الرقم ولا تسأل عن الاسم الذي يبنى أن تذكره وتطلب أن تكلمه ، ولم تذكره تنقب عن نظره وتذهب إلى حيث لا يدري ، حتى فطن إلى هذا السهو ، وأيقن أنه قد فقدتها إلى الأبد ، إلا أن يشاء الله أن يلتقي بها اتفاقاً في الطريق فراح يمدو في الشوارع كالجنون لعله يدركها ، ولكنه لم يكن يعرف أن بيت قريب لها في هذه الناحية ، وأنها دخلته قبل أن يدركها فانه وشعر في العدم ... احتباطاً منها لهذا ...

ومن المبالغة أن تقول إنه أحبها ، فقد كانت حصة نفسه عظيمة ؛ ونفى بذلك أنه لا يشق من النظرة الأولى ، وأن تجاربه علمته الحذر ، وعودته الشك والاسترابة ، ومات به إلى باقي الحياة كما يتفق أن تكون وبشيرة احتفال كبير ، ولكنه لا شك في أن هذه الفتاة وقفت من نفسه واستوت على جانب منها ، أو احتلت مكاناً فيها . وكان يعرف فتيات كثيرات يأمن بهن ويسر بمجلسهن ، ويقضي الساعة والساعتين معهن في سمر وضحك ولعب ؛ وكانت له سبابة لا هي بالفخمة جداً ، ولا بالتي يحق لأحد أن يزدريها ؛ وكان يؤثر أن يحمل التي يتفق أن تكون معه إلى حيث يشاء هو ، ولا يخطر له أن يسألها أين يحب أن تذهب ، ولا يترك لها الخيار ، ولكنه لم يكن يفصل ذلك عن جفوة في طبعه ، أو محبة أو ما يجري هذا الجرى ، بل لأنه اعتاد أن يكون الزمام في يده ؛ ولكن هؤلاء الفتيات اللواتي يعرفهن كن لا يجنبهن ولا يرضى بهن ذوقه ، وكان بعض إخوانه الذين يعرفون سلامة ذوقه يقولون له : « ماذا يجيك في هذه ؟ » — مثلك — فيقول وهو يضحك : « ليس لي في الأمر خيار ... هذا ما وقفني إليه الله ...

الكتابة أكثر مما كان فيها من السرور ؛ وقالت : « هل أروى لك قصة حياتي منذ ولدتني أمي ؟ » فقال : « يسرنى أن أسمعني »

قالت وهي تضحك : « ليس الآن ... يجب أن أخرج ... لقد كنت مجنونة ... أشكرك على عنايتك في .. فضولك رد لي العقل ... نعم كنت مجنونة ... لا بأس ... حصل خير ... فهل أعتد عليك ؟ هل تسمح أن تخرج بي ؟ تخرجني ؟ يجب أن أعود »

فقال : « تعالى » ومضى بها إلى باب الشقة ، ولم يمن بأن يحكي صفة وهو خارج ؛ وكانت صفة تنظر إليه وإلى الفتاة بعين النعمة والحنق ، فقد ساءها منه أنه وكل إليها العناية بصاحبه السكران وينصرف هو عنها . وجعلت تسأل نفسها لماذا لم يكل هذه العناية إلى الفتاة وهي كانت معه ؟ ... كيف يرى عليها هذه الجثة ، وروح هو يختطف الفتاة من صدقه ؟ وأسرتهما في نفسها وحقدتها ، فقد كانت لها مآرب فيه

وحاول عبده أن يقنع الفتاة بأن تذهب معه إلى السينما ، فقد كانت الساعة دون التاسعة ، ففي الوقت متسع ، أو أن يتمشى معها في شوارع غرة وهي مضادة ولكنها كالظلمة ، وكانا قريبين من هذا الحى ، ولكنها أبت وأصررت على العود إلى البيت ، ورجت منه ألا يرافقها ، وأخيراً — وبعد اللتيا والتي — رضيت أن تقيده رقم تلفونه وأن تمد بأن تكلمه « يوماً ما »

تركها وهو لا يعرف من هي ، وهي لا تعرف من هو . فأما هو فألح عليها بلا جدوى أن تخبره من عسى أن تكون ؛ وأما هي فلا تحتاج أن تقول إنها لم تحاول أن تعرف اسمه . وكان من التريب

ذلك بقي كما هو فلم يضمن اعتقاده بأنه فقد درة
ومضت الأيام ، وكان قلما يتلبث في مكتبه
لكثرة ما تحوجه أعماله إلى الخروج . وكان إخوانه
يقولون له محتجين عليه : « يا أخى أين تذهب ؟ »
كلما جئنا أو سألنا عنك بالتليفون قبل لنا خرج »
فيقول لهم : « وما حيلتى ؟ . مطالب الممثل
تضطرني إلى النط هنا وهناك ؛ ولا سبيل إلى إنجاز
أعمالي إلا إذا تهدتها بنفسى » ، ولكنه بعد أن
قابل الفتاة وجد الوسيلة إلى القموذ والاسئناف عن
الخروج ، واكتفى بالتليفون وبمساعده في
المكتب . وكان قلما يبادر الترفه التي فيها التليفون
خافة أن يتفق أن تسلمه فلا يحسن غيره جوابها
لأنها لا تعرف اسمه . . فتأله ما كان أحقه .
كيف تركها تذهب قبل أن تعرف اسمه ؟ ولم يكن
طريقه من غمرة ولا غير هالما هو قريب منها ، فقد
كان بيته في شبرا ، ولكنه صار يذهب إلى شبرا
عن طريق غمرة ، ويجوب بسيارته كل شارع وورقاق
في هذا الحى . وكان كثيرا ما يترك السيارة ويعبى
على سهل وعينه إلى النوافذ والشرقات . وكان ربما
قال لنفسه : إنه أبله ... ومن أدراه أن بيته في هذا
الحى ؟ ثم يعود فيقول لنفسه : إن هذا هو الأرجح .
فقد قالت له إنها الفتى بأحد قبل أن يدخل بيت
صفية بدائق ؛ والمقول أن تكون راجعة الى بيتها ،
ولا فإذا كانت فتاة مثلها تصنع في حى غمرة في
الساعة الثامنة مساء ؟ . ثم يعود فيقول لنفسه :
لعلها كانت عند قريب لها أو في بيت نسيب
أو صديقة ؟ . ولم يمنعه هذا الاضطراب أن يظل
يجوب الحى كل يوم ، وكل ليلة ، مرات ، ولكنه
لم يفز بشئ .
وقال لنفسه عصر يوم وهو ماض الى مكتبه في
شارع عبدالعزيز : « القاهرة واسمة ... فيها مليون

وعصفور في اليد خير من ألف على الشجرة » ،
وكان يدرك أن إخوانه على حق ، وأن اللواتي
يعرفهن لسن أهلا لأن ينفق في سبلهن وقته
وماله . . ولكن ماذا يصنع ؟ . أنه له أن
يصل أسبابه بأسباب فتاة من الطراز التي هو
أحب إليه ؟ إن هذا يتطلب أن يمتن المرء للمرأة ،
أى أن يتحمل همه ووكده أن يتصل بالنساء . وهذا
ممكن ، ولكنه عسير عليه ، فقد كان هناك عمله ،
وخلق به إذا أمهل أن يفقد رزقه . وكان فيه فوق
ذلك حياء ، كان في أول الأمر شديدا ، ثم قاله
وقهره ، إلى حد كبير ؛ غير أن حياءه لم يذهب
ولما بقي كامتا ؟ فكانت تفر به منه نوبات — إذا
صح هذا التعبير — تفسد عليه كل ما عالج به نفسه
وراضها عليه أو ظن أنه راضها عليه . وكانت هذه
الفتاة التي رآها في بيت « صفية » من الطراز
الذى يشتهيه ويصبو إليه — الجسم الصغير والقدر
المتدل والخلق المستوى — وشام الخمر من لهاثها ،
وأنس من كلامها الرشد . ولا ريب أن يجيئها مع
أحمد — ذلك السكران — كان خفة وطيشا ،
ولكنه صدق أنها جاءت معه لا تدرى كيف . .
ومن يدري ؟ لعل نوبة اضطراب نفسى عرتها
فأقدمت على ما كانت خليفة أن تحجم عنه لو كانت
متزنة الأعصاب . . على كل حال قد ذهبت الآن .
وأكبر الظن أنها لن تلقاه . . حظ ! ! درة ظل
حياته يحرص على مثلها في بلج الحياة ، ثم لم يكده
يظفر بها حتى حرما . . ولكن هل حى درة ؟ .
بلا شك ! . ولم يعجبه هذا التسرع ، وقال لنفسه :
إن شعوره بالحرمان الذى مئى به هو الذى يحمله
على المفالة بقيمتها . واقتنع بهذا — اقتنع عقله
بأن الحسرة والأمل هما اللذان يملان به الى اللبالة
والتنجمل والقول بما لا يعلم — ولكن شعوره مع

لست قاهرة .. معذرة »

فأدرك أنه هبور ، وأنه لا معنى لتحميلها تبعة ما لقي في تلك الأيام . وكان الدق الذى فى قلبه قد هدأ ، وأنفاسه قد انتظمت فقال : « معذرة .. لا تؤاخذهنى .. إنما عنت أنى تعبت فى البحث عنك .. أوه كل يوم ... وكل ليلة ... لم أدع شارحاً من شوارع غمرة إلا مشيت فيه مرات بعدد شعر رأسى »

فقال : « غمرة ؟ » (وضحكت) إن يبقى فى المنشية ... ولكن لماذا أتعبت نفسك ؟ » وكانت عيناه قد اتسمتا جدا ، وهو يسمعهما تقول ان بينها فى المنشية ؟ ثم قطن الى ما فى ذلك من سخر القدر ، فابتسم وقال لها : « لأنك أخلفت وعدك ... ألا تذكرين ؟ ما علينا ا . والآن قد وجدتك قالى أين ؟ »

قالت : « إنى ذاهبة لشراء أشياء » قال : « أحملك فى سيارتى الى حيث تريدن فانى أكره أن أكلك فى الطريق . . . لأجلك لا لأجلي »

وأقمتها فركبت معه ، وقال لنفسه إنها دقائق ليس إلا ، فلا يخرج لها بما أجن من الشوق ، وراح يصف كيف كان يصبو إليها ، ويتلف على رؤيتها ، وكيف كان ينتظر بجانب التليفون كل يوم ساعات ، وكيف كان عشى فى غمرة عذقا فى البيوت أى فى شرفاتها وشبابيكها ، ويصطدم بالناس والأشياء ولا يبالي أو يعتذر

وكانت تنصت ولا تقاطع ، فلما فرغ قالت له : « هل تريد أن تضحك على ؟ »

قال وهو كالذهول : « أضحك ؟ » فقالت وقد أيقنت من هيئته أنه صادق : « انى أصدقك ... ولكن أليس هذا غريباً ؟ .. انه

وربع مليون نسمة فلا أمل فى لقاءها إلا بمعجزة ... وأولى فى أن أكب عن البحث فانه عناء باطل ... ولأسهل من ذلك أن أتمس إبرة فى كوم من القش » . وكان قد بلغ العتبة الخضراء فتذكر أنه لم يحلق ذقنه ، فترك السيارة الى جانب الرصيف الأيسر المحاذى لخط الترام ، وذهب الى دكان حلاق وهو يتحدث نفسه بأنه سخي . . يخرج من البيت من غير أن يحلق . . « لنفرض انى التقيت بها فهل أقابلها بهذا الوجه القذر ؟ » وضحك من نفسه وهو يقعد على كرسى الحلاقة وقال — لنفسه طبعاً — : « معنى خلاص ؟ . لم يبق إلا حلاقة الذقن ؟ . أهذا كل ما كان يمنع ان ألقاها ؟ . أما إنى لسخي »

وكان يتسم والحلاق يجرى الموسيقى على صفحة خده فيضطر أن يرفع يده حتى يعود جلد الوجه الى الملاصقة بمد التقبض . ومن يدري ماذا كان الحلاق يقول لنفسه وهو يرى هذا الزبون الطارئ يتسم أو يمس بلامناسبة ؟ . . .

وخرج ومشى مطرقاً الى السيارة ، ووقف أمام بابها ليفتحه ، ويركب ، وإذ به يرى الفتاة واقفة على رصيف الترام . وكانت وحدها أيضاً . أو على الأقل لم يكن الى جانبها أحد لا من هنا ولا من هنا ... فذهب يمدو إليها وقال لها وهو بهج — لامن الجرى بل من الاضطراب المصى — وقلبه يدق كالطرقه

« أنت فين ؟ هلكتنى » فالتفتت إليه مستغربة ، أول الأمر ، ثم عرفت فقالت ببساطة : « آه ... أهو أنت ؟ . سلامات » قال : « سلامات إيه وهباب إيه ؟ . بصحبك كده ؟ . أنا مت .. » فقالت بدهشة — وقطعت — « مت ؟ .

مفاجأة لي أنا على الأقل»

فقال بإخلاص : « لقد كانت مفاجأة لي أنا أقوى ... لم أكن أتصور أن يحدث لي هذا ... أن أحب من النظرة الأولى ... كان هذا يبدو لي مستحيلاً ... ولكن الأيام توالى وأنا لا أزداد الا شغفاً ... لم يفتر شوق اليك وذكرى لك ... لم نهت صورتك ... بل صارت أقوى وأسحر ... لا أدري كيف ... »

فقال فجأة : « اسمع ... اذهب الى الجزيرة » فكاد بطير من الفرح ، وبلهنا في أوجز وقت ، ولم يبال بالمارة ولا بشرطة المرور ، وكانت تبسم إذ تراه لا يتكلم ولا يبتغي بشيء إلا أن يبلغ الجزيرة في مثل ومض البرق . ووقف هناك فقالت : « لا ... يحسن أن نمشي على سهل ... أو وقف ... لا بأس ... » وسره وهو جالس إلى جانبها في السيارة أن يسميها تقول له : « إني أخشى سوء ظنك ولذلك أرى أن أروى لك قصتي ... لن أذكر أسماء ... » القصة فقط ... »

فهر رأسه مقتبلاً ... أليست قد صارت بمنها أن يحسن رأيها فيها ... حسبها هذا ... » وروت له قصتها فقالت : إنها كانت مخطوبة لشاب من أسرة كريمة غنية ، وإنهما تحابا بسد المخطوبة ، فما رآته قبلها ، ومضت الأيام وكرت الليالي ، وكانت تلاحظ مستغربة أنه لا يذهب معها الى سينما أو مسرح ، أو يخرج معها للتنزه ، وكان يستدر دائماً بالعمل وضروراته ، فكانت تقبل عفوه ولا تلج عليه ، ولا تثير الأمر أدنى تفكير ، حتى كانت الليلة التي رأها فيها في بيت صفية ، وكانت في السينما مع أمها ، وإذا بخطيبها يدخل وذراعه حول ذراع فتاة اسرائيلية — هي اسرائيلية على التحقيق ، سمعتها تدل على ذلك — وكانت الأنوار قد أطفئت

لأن السينما كانت قد بدأت تجلسا وراهما ، فلم يبق لهما عين ترى السينما بها ، ولا عقل يفهم ، ولا أذن تسمع إلى ما يهمس به خطيبها في أذن صاحبته فسمعت ما فهمت منه — على الرغم من تقطع الكلام وضجة السينما ، أنه سيظل وفياً لها لا يتخلى عنها ، وأن ما سمعته عن زواجه أو وشيك زواجه كذب واقتراء ، وأن كلام الناس كثير ، وهل هو مجنون حتى يتزوج هذه المصوفة المروقة ؟ ولم تستطع أن تسمع أكثر من ذلك لأن الدم صعد الى رأسها فدار ، ثم نهضت واعتذرت الى أمها بأنها مريضة وأنها ستذهب الى البيت لترقد . همست بهذا في أذن أمها ... وتركها قبل أن تستطيع أن تقول شيئاً ، وخرجت كالمجنونة ، وظلت ماشية على غير هدى ، ولم تدرك أنها في حي غمرة إلا بعد أن خرجت من بيت صافية ... وكل ما تعرفه عن هذا السكران — أحمد — أنه لف ذارعه بذراعها — لا تدري ولا تذكر كيف — وأنها صمدت معه فما كان في رأسها عقل ... هذه هي القصة .. وقد انتهى كل ما بينها وبين خطيبها .. لم تقل شيئاً لأمها ولا لأبيها .. اكتفت بالاصرار على الرفض .. فتركاها وشأنها لما رآها عنف الاصرار ، ولأنهما أدركا أن الأمر لا شك خطير .. وقالت له أخيراً إنها شاكرة له وحافظة لجيله ، لأنه رد إليها عقلها في تلك الليلة

ولما فرغت من قصتها أدهشها بقوله :

« تزوجيني ! »

فلم تستطع أن تقول أكثر من « أ .. أنت .. »

إيه ؟ ... »

فلم يجعل باله الى دهشتها ، ولو جملة لسان خليفاً أن يحس مما يفتر من حماسته ، بل أعاد الطلب : « تزوجيني »

الى الاسكندرية ، واستأجرا هناك شقة مفروشة في « الرمل » قريبا من البحر ، فدخلت عليها يوما صديقة لها من عهد الحداثة اسمها « زكية » وكانت شديدة العناية بئنائهم وعطورها ، مسرفة في حبها للسباحة والرقص ، وكان هواها هذا يثير لفظا كثيرا حول اسمها ، ولكنها كانت لا تبالي ذلك اعتمادا على ما لها وجاء أسرتها ؛ وكانت تمتد أنه يسعها أن تفصل ما تشاء ، لا ما ينبغي ، فكان أترابها يحسن استقبالها في بيوتهن ، ويتفق أن يخرجن معها ، خوفا أن يتبد اليهن القيل والقال ؛ ولم يكن فيها سوء ، ولكن استخفافها بالتقاليد وافرطها في استعمال حريتها ، كانا عظيمين ؛ ولم تكن كل فتاة يسعها ما يسع زكية . وكان معروف عنها أنها تجرى مع أول الخاطر ، وأنها أصرح مما ينبغي ، فكان لسانها يفسد عليها مزايا الصدق والراحة وطيب القلب ؛ ولم تكن تبالي أن تحشر نفسها فيها لا يسنها ، ولم يكن هذا عن فضول بل عن إخلاص وغيره ، ولكن دخولها في شؤون غير هائلة كان يحلو للناس وقالت لمائدة وهي تجلس على كرسى : « ما أبهاك اليوم يا عايدة ! . يظهر أن الزواج زاد حسنك نضارة »

وأبتسمت وهي تخرج من حقيبتها الصغيرة علبه مذهبة مرصعة فتحتها وأخذت منها سيجارة مذهبة الفم أشعلتها وراحت تدخن وتنفخ وقالت عايدة : « وأنت ؟ إلى أراك ترجسة ! . هذا الثوب وحده حلم جميل ... لم أراك منذ أيام ! فإذا كنت تصنعين بنفسك ؟ »

قالت زكية : « دعيني وقولي لي أين عبده ؟ » قالت عايدة : « عبده ؟ .. إنه في مصر ... له ثلاثة أيام هناك ... تعرفين العمل وضروراته » فقالت زكية وهي تنفخ الدخان وقد شردت

فقالت : « إنك مدهش ! » قال : « كلا .. إلى أحبك ، وقد عانيت في الأيام التي افتقدتك فيها ما علمني أنني لا أستطيع أن أحيأ بدونك » فتزوجيني »

قالت : « وأنا ؟ ليس لي حساب عندك ؟ » قال : « بالطبع .. ولهذا أقول تزوجيني » فقالت : « أرجو ألا تنسى . فهم ما أقول ... لو كنت أحبك لما وسمي أن أتزوجك الآن ... » فقد يقال لي تركت خطيبي من أجل رجل آخر » قال : « ماذا تبينين رجل يقول عنك ما قال ؟ » قالت : « لست بأبالي ، وإنما أبالي الناس ... أهلى ومماري »

قال : « ماذا يبتيك منهم إذا كنت سعيدة معي ؟ »

قالت : « اسمع ... قبل أن نخف حدة الألم الذي أعانيه لا سبيل إلى التفكير في شيء » قال : « مسكيفة ! . ولكن هل معنى ذلك أن لي أملا »

قالت : « من يدري ؟ ثم لي لست أني » قال : « أبوك ... آه أبوك ! . ولكن ماله ؟ » قالت : « قد يكون له اعتراض »

قال : « اعتراض على سعادتك ؟ . أم تريد أن تقول لي إنك لا تعرفيني ؟ . ممكن الحق » وعرفها بنفسه وأفضى إليها بكل ما يمكن أن تحتاج إلى العلم به ، ولكنها مع ذلك رجت منه أن يعفيا من حديث الزواج فسكت ، واكتفى بوعدها بأنها تلقاه من حين إلى حين

وصارا يلتقيان كل بضعة أيام مرة ، ثم كل يومين ، ثم كل يوم ، وأخيرا خطبها إلى أبيها وتزوجا وصرا عام وجاء الصيف ، فانتقل عبده و« عايدة » — فقد كان أن تعرف اسمها كما عرفه زوجها —

إن في وسعك أن تردّه إليك إذا أحسنت السياسة ..
الأمر يحتاج إلى كياسة وحسن تدبير ... ولم أقل
لك ما قلت لأفند عليك حياتك ، بل لأنهم لك إلى
الخطر لتعالجه بالحكمة »

فصاحت عايده : « أتظنين انى أقبل ان أظل
مع عبده بعد هذا ؟ . بعد ان خافنى ؟ . كلا ...
ولو ظل يتوسل إلى على قدميه سنوات ١ . يعطى
خاتماً لأموس ، وما مضت على زواجنا سنة واحدة ؟
هه ؟ ... ويخبرها أن يتصل بالخير ؟ . » وتحدثت
الأموس على خديها « إني أحب عبده ... حبه علماً
قلبي ، وكان حبه يمر صدى ... أتظنين انى
أدنى وألجأ الى الحيل لأستعيد حبه ؟ . أألوث
نفسى لأنتزعه من هذه الرأه ؟ . كلا ! الحب الذى
يذهب لا يعود ١ . والثار التى تخمد كيف يرجى أن
تمود مضطربة ؟ . لقد شرب عبده قلبى ١ . إقتلع
أحشائى من جذورها . ولا أستطيع ان أغفر له
هذه الخيانة »

وعلمها البكاء ، وتسانلت عبراتها ، واضطربت
شفتها ، وعجزت عن الكلام . ثم أحسّت نداء على
كتفها ، وصافح سمها صوت عبده :
« أناخن يا عايده ؟ . كيف اكتشفت خيانتى ؟ .
مهلاً ... لقد سمعت كل كلمة »

فقال زكية . « أنا أخبرتها ... رأيتك تعلى
تلك الرأه أمس خاتماً ، وسمعت أن من واجبى
أن أتبه عايده »

فقال عبده : « هل تسمحين بالخروج من هنا ؟ .
ولا تكلفى نفسك عناء الرجوع مرة أخرى ١ . »
فقبضت زكية وصار وجهها كالجرة وقالت
وحى تخرج : « هذه إهانة فظيمة »
فقال عبده : « إذهى وسكنى أعصابك بالرقص
مع أول رجل تصادفينه »

نظرتها : « العمل ... إن العمل لا يمكن أن يقضى
الرجل عن فتاة لها مثل جالك وسحرك ... شيء
واحد هو الذى بنأى به عنها ... امرأة أخرى ١ »
فبهتت عايده وحلفت في وجه صاحبها بعينها
الواسعتين ثم قالت : « هذه سخافة يا زكية ...
لا يبني لك أن تظلى هذه الظنون بعبده ، ومن
باب أولى لا يجوز مثل هذا الكلام عنه »
فقال زكية بلهجة الصر : « ألا يجوز لى
ذلك ؟ حسن . اسمى إذن . وأذكرى أنه ليس لى
غاية أبشها من وراء ما أقول ، وأنه ليس أحب لى
من أن تكونى سعيدة موقفة ... ولكنه يبدو لى
أن من واجبى أن أعرفك أن عبده على صلة بامرأة
هى الخطيئة بمجسدة »

فربت عايده ، ووثبت الى قدميها وأحسّت
أن رأسها يدور ، ويدور ، فاعتمدت على ظهر
الكرسى وامتنع وجهها ونظرت الى زكية مهوثة
فقال زكية : « صحيح يا عايده ١ . لقد
رأيتهما مما البارحة فى سان جيمز ... وسمعت
حديثهما أيضاً ، فقد كنت قريبة منهما أراهما
ولا يراى ، وكان مما سمعته : « إن زوجنى لا يجوز
أن تعرف شيئاً من هذا أبداً ، فليبق بينى وبينك
فقط » ثم أخرج من حبيبه خاتماً لأدرى ماذا يساوى
ولكنه على كل حال لا يمكن أن يكون من قصد بر .
والآن قد عرفت الحقيقة ، فإذا تنوّن أن تصنعى ؟ »
وكانت عايده تنظر الى الأرض ، أو الى قدميها ،
فلم تجب ، فأعادت زكية السؤال ، فقلت عايده :
« أصنع ؟ تسألينى ماذا أنوى أن أصنع ؟ .
ليس هناك سوى شيء واحد أستطيع أن أصنعه ...
أغادر الاسكندرية حالاً ١ . ولن آخذ معى شيئاً ...
إنتهى كل شيء »
فنهضت زكية وقالت : « لا تكونى سخيّة ...

وأخرج من جيبه ورقة ودفع بها إلى عابدة

وقال عبده ، وهو يسير مع عابدة على شاطئ البحر :

« إني سعيد .. سرني ما حدث »

فاستغربت وقالت : « سرك ؟ لست فاهمة »

فقال بإقتسام : « لأنني لما سمعتك وأنا واقف في مدخل الباب ورأيتك تتورين هذه الثورة أيقنت أن حبيك لى لا يمكن أن تنال منه الأيام أو تفره الحوادث »

فقال بجنث : « لا تكن وانثا .. »

وذهبت تندو أمامه ، وقد سمها أن تضحك وتمزح ، فجري وراءها ، وخاض الماء إليها ، وتناولها بين ذراعيه ، وضما إليه ، وأهوى بشفتيه على شفتيها . ابراهيم عبد القادر المازنى

ثم دار وواجه عابدة فقالت وهي تنتحب : « كيف تفعل هذا ؟ كيف ؟ »

وحالت الدموع دون الكلام ، فقال عبده : « إسمي يا عابدة ... ان المرأة التي كنت معها في سان جيمز هي « صوفى » أو صفيه ... هل تذكرين هذا الاسم ؟ . يظهر أنه كان لها مآرب في ... وأنا لا أدري . ويظهر ان زواجى أحقنها ، وقد راحت تلفظ وتتحدث بأنى عرفتك في بيتها ... لا تبالي ، ان هذا طمن عليها هي قبل أن يكون طمنا عليك أو على ... الحقد يسمى ويصم ... لهذا اضطررت أن أنالنها وأقيدها ... إستكتبتها إقراراً بضارها الى قطع لسانها بعد اليوم ؛ وكان لا بد أن أداورها وأحاورها فانقدتها مبلتاً من المال ... قليلاً في الحقيقة .. وأعطيها خاتماً ليس له قيمة كبيرة ، لأنى خفت عواقب لفظها ... سممة المرأة كسممة البنك ... »

علمكم المصرى

يرفرف على

النيل و كوثر

فهما رمز بلادكم

سافروا عليهما تجسّدوا راحتكم المنشودة

غرف فاخرة .. طعام شهى .. خدمة كاملة

اتصلوا بشركة مصر للسياحة شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩



تترقق عبرات النيفظ والشر ... وهو يستشعر في نفسه السمو على من حوله من رفاقه جميعاً حتى الطالب الجامعي مول ، ثم هو يحتقره ويزدرجه لأمر في نفسه ، وهو دائماً يهيج قبطه ويثير غضبه بكلمات فيها السخرية والهكم ؛ ولكنه الآن قد جلس في هدوء وصمت ، ونظراته تقتحم هذا الطالب القذر ... وفي الناحية الأخرى من النضد جلست الیصابات أخت كلوتيلدا الصغرى وهي في السابعة عشرة ، ثم ابنة عمها كلارا وهي في السادسة عشرة ، ثم فنانان في سنهما هما هيلين وماي أختا أُنُو وهوفي الخامسة عشرة ، وهم أبناء أحد الجيران وكلهم يلبسون الورق في هدوء وسكون تبدو عليهم اللذة والنبطة ... إلا الطالب مولر فقد جاس يقرأ شعرا

وراح أُنُو يتكادب في ملال ، وسرت البدوى الى كلارا فراحت تتكادب هي الأخرى ، والى جانبها الیصابات تقبض نشاطا وحياء ، ويزجها ما ترى في هذين من كسل فتثور بهما الفينة بعد الفينة ... وابتدأ الخول يتسرب الى النفوس ؛ غير أن المغارم ما تزال تدفع الى كلوتيلدا المرة بعد المرة ؛ والمطر ما يزال ينهمر والرياح تصفر صغيرها المزجج .

وأرادوا أن يردوا المغارم الى أهلها ، فأرغوا الذين خبروا على أن يملوا عملاً : فهياين تقف

أرخی الليل سدوله على الكون ، وبالطر ما يزال يتطل رذاذاً يلاطم زجاج النافذة في رفق ولين ؛ وم في حجرة من منزل ريفي حيث يقضون عطلتهم ، وقد تناثروا حول نضد عليه مصباح ينبعث منه ضوء هادئ ضئيل ؛ وم جماعة من الشبان والشابات بين الربيع الخامس عشر والمشرين من العمر ؛ وكلوتيلدا أكبر الفتيات سناً لم تسلمخ الثامنة عشرة ؛ فتاة في مقتبل العمر وجف الحياء ، في ميمة الصبا واكتال الأنوثة ، تضطرم في وجنتها حمرة الشباب والجمال ، هيفاء جذابة ، فيها الملاحاة والظرف ، وفي نظراتها السحر والفتنة ؛ وهي جالسة الى جانب طالب جامعي رثّ اللبس ، زرى الهيئة ، منتقع اللون ، تبدو على وجهه سمات الحياء والجبن ، وفي نظراته الاضطراب والضعف ؛ ثم هو هادئ رزين ، يرى مجون من حوله فيسب في هدوء ودعة ، ثم لا يخوض فيما هم فيه من لمو وعيث ... وقبالة كلوتيلدا يجلس أنيلو وهو شاب في السابعة عشرة كثر الشعر سبطه ، تنبعث من عينيه أشعة نقادة علامة ذكاء وفراغة ، وفي وجهه يتدفق دم الشباب الحار علامة صحة وسلامة ، ويدها متقبضتان كأنهما محرزتان ثميناً علامة قوة وقتوة . ثم هو قد ورث عن أمه الألمانية الليل الى البصراخ في وجهه من يمانده ، صراخ الغضب والحنق ؛ وفي عينيه

كلوتيلدا: «نحن بخير يا أماء!» وقالت اليصابات: «لقد أفرغنا المطر والريح. وماذا تفعلين أنت وأني؟ أما ترالان ثلبيان الورق؟» قالت المرأة: «نعم، ما زلنا... اتخذوا لكم سلوة...» ثم أغلقت الباب في رفق... وساد الصمت مرة أخرى

وانطلقت كلوتيلدا وكلارا الى النافذة تنظران من خلال الزجاج، فانطلق مولر على آثارهما وأنيليو جالس الى التند ينظر... وأتو يضرب في أنحاء الحجرة ينفى أغنية انجليزية اهتزت لها اليصابات فراحت ترقص على نقاتها وابنتا الجار ترمقانه في لذة وطرب

وعلى حيث بفتة انتفض أنيليو وهو يقول: «ما هذا؟ ماذا وراء...؟ أفنسيطر علينا الخلود والكسل فنظل في هذه الحجرة الضيقة طول الليل؟ لا بد أن نعمل شيئا...» قال مولر وهو يسم فيهم: «وما تطلب البنا أن نعمل؟ قال: «فلنعمل شيئا.. شيئا مثل... فلنذهب الى الغابة» قال الآخر: «عجبا، أفنذهب تحت هذا الماء النهر؟» وراح أنيليو يقلده ويسخر منه «الماء النهر؟» لقد كان يبهض هذا الطالب من قلبه، أما الآن وقد رأى كلوتيلدا تنظر اليه شرراً حين سخر منه فقد استحال هذا البهض الى كراهية ومقت يخزان قلبه في غير رحمة ولا شفقة

لقد رأى هو هذا الطالب منذ فترة يقف الى كلوتيلدا وقد ألصق جسمه بجسمها فأحس هو بالدفء والحياة، وأحست هي... ثم... ثم أرادت إليه ذكرى أيام عطلة عيد الامبراطورية حين كانت كلوتيلدا لا تراقص إلا هذا الشاب ولا يراقص

صامتة لا تتحرك ولا تتملعل، وكلارا تحفظ قطعة من الشمر، وأتوا يقلد صوت الحيوان، وكلوتيلدا تصطنع الحلاقة فتهدم على رفاقها بالفاظ جافية نابية، وأنيليو يمثل دور صاموك أرستقراطي تمينه رفيقته اليصابات

وراح أنيليو يتصمك على كلوتيلدا، وحين وقف بأزائها نزت منه نزوات الماطقة الفياضة الجائعة، وأحس كأن نارا تستمر في قلبه، فرفع يدها الى فيه يريد أن يقبلها، وعيناه تحدقان في عينيها، ثم ذهل عن نفسه... وأجهدت اليصابات نفسها في أن تبججه بعيدا فأبى وقلبه يضطرب... وسحبت كلوتيلدا يدها في رفق، وفي نظراتها الشفقة والطف، وعلى فيها ابتسامة رقيقة... والجميع يرمقونه في دهشة وعجب، إلا مولر فقد سيطر عليه الحقد والغضب

وانتهى أنيليو ناعية، وثارَت به اليصابات: «حقاً لقد كنت وقحاً» وأصم الشاب أذنيه عن لوم الفتاة، ونهتهم ماري الى أمر حين قالت: «والآن ماذا تفعل، والمطر ما يزال يتدفق؟» وكانت الماصقة تزار وتصفع جدران الدار في شدة وعنف، ثم اضطرب الصباح يوشك أن ينطفئ، وفزعوا جميعا حين سمعوا الباب يصصر صريراً شديدا وأوراق الأشجار تصصف بها الرياح فتنبعث منها أصوات مزججة، والسواء ترعد وتبرق تنذر بأمر، وراح عليهم حزن عميق نزع عنهم ما كانوا فيه من صرح ولهو، فوجوا...

وفتحت باب الحجرة المجاورة امرأة فيها الجمال والظرف، وقد تمشت شعرها الأسود الناعم وعلى شفتيها ابتسامة عذبة ثم قالت: «ماذا بكم يا أولادي؟ لماذا تجلسون في صمت؟» وأجابت

عن هذه الأصوات المتكررة، هذا وقت سرور بانقطاع المطر ! » وقال الطالب وهو يسم في تسهم : « لقد انتهى هناك وابتدأ هنا . . في الدار ! » وفي الحظ لقد كانت القطرات تتساقط من خلال السقف في رفق أولاً ثم في شدة ؟ وقتحت البصابت النافذة فاندفع الى داخل الحجرة هواء ندى بارد فثب فيهم جميعاً روح النشاط والقوة ، فقالت كلوتيلدا : « الآن نستطيع أن نخرج الى زهرة قصيرة ... » ووافق هذا هوى في نفوس الجميع فانطلقوا يفتشون عن معاطفهم وقبعاتهم في صخب ولجب ، ثم راوحوا يتشاورون فيما يفعلون ...

وقال مولر : « زهرة في الناية مشياً على الأقدام » فأجاب أنيليو في إحترار : « مشياً على الأقدام ؟ كيف ؟ كأنك تريد أن تطلق كل اثنين معاً كأنك تمنى . . » ووقفت الكلمات على شفثيه فما استطاع النطق ، فأجابت كلوتيلدا حين اضطرب الشاب : « الأدب والحياة يا أنيليو ! » وبخمد ما كان في أنيليو من حماسة وشجاعة حين رأى عيني الفتاة تقدخان شرراً يتطار ، وهفت نفسه الى أن يشتد ، غير أن كبرياءه ألجته فجهد في مكانه . واندفع الشاب وقد ارتد إليه هدوءه : « لعل ما فيك من ذكاء وفراة قد أوحيا إليك بشيء ، فما هو ؟ » وأحس أنيليو بالصفمتين في وقت معاً فتخاذل ثم قال : « الى النهر ، ونصحب معنا المصاييح اليابانية ندرأ بها الظلمة والضلال . أموافقون ؟ » وصاح أنو والبصابت معاً : « حسن ! » وتبادلت هيلين وكلارا النظرات ... نظرات الفزع والريبة ، وبدأ عليهما الجبن والخور ، غير أنهما ما استطاعتا أن تقولوا شيئاً ، وقالت كلوتيلدا للطالب مولر : « ماذا ترى ؟ » قال : « لا بأس ، فما في النهر ما يفرع وقد هدأت الماصفة ! » قالت هي : « أفتنمتد ؟ » وآلم أنيليو

هو غيرها ... ثم هي لا تذكره هو إلا في النهاية وقد أوشك الحفل أن ينقض فتنتطىق إليه تسأله : « لماذا لم تراقصني ؟ » فيجبج في جفاء : « لا أستطيع الرقص ! » وقلبه يتنازعها إليها . فتهزم هي كتفها ثم تنطلق الى صاحبها ، ليظل هو وحده يتمنى لو أوى إلى فراشه وقد أحجده التعب وأضناه السهر . غير أن ريح كلوتيلدا كان يرف عليه عطرأ ندياً بين الفينة والفينة فيبست فيه النشاط والصبر

لقد ذكر أنيليو هذا وغير هذا مما كان ، فكوتيلدا ومولر كانا يسيران دائماً جنباً الى جنب ، وباتياناً أمراً واحداً ، ويتبادلان الهدايا والنظرات والابتسامات كماشقين يهفو قلب كل منهما نحو الآخر فما يستطيع عنه صبراً ، وارتدت الحوادث المؤلمة في خاطره يشد بعضها بعضاً فطأطأ رأسه وذهب في غمرات من الأفكار السود ؟ واستطاع أن يرفع رأسه — بعد لآي — وأرسل من أعماقه زفرة كاد ينشق لها قلبه . . ثم نظر الى النافذة في فتور وتكسر فما رأى أحداً ، فأدار بصره يبحث فاذا كلوتيلدا وصاحبها قد جلسا يقرآن شعراً في كتاب واحد والحجرة في سكون القبور ...

وقطعت البصابت هذا الصمت العميق بقولها : « أنيليو ! لقد قلت شيئاً ثم أمسكت ! » وفزع هو حين رأى الفتاة تنزعها من أختيته وأراد أن ينحط عليها بكلات قارسة لداعة جزاءاً وقاقاً لما أنبته به منذ حين ، غير أنه هذا من ثورته وقال : « أنا ؟ أنا لا أذكر ! » وصاحت ماري من جانب الحجرة : « لقد انقطع المطر ! » وصاحت هيلين من الجانب الآخر : « حقاً ، حقاً ! » وانطلق الجميع الى النافذة يتدافعون ويتصايحون وكادت تقع بينهم مشادة لولا أن كلوتيلدا زجرتهم : « أمسكوا

وانت حولها الباقون يشجعونها فصرخت أخرى وهي تبكي : « أنا لا أجسر » فطوقتها ميلين بيديها وهي تقول في رفق : « لا تخزني ، سأظل إلى جانبك » وصاح أُو : « نعم ، أيها الجبناء ! » ثم اندفع ليأخذ مكانه في القارب واندفعت اليسانبات على أثره ثم ماري ؛ وأمسك هو بالمجدافين وجذب القارب إلى اليم في قوة وهو يثنى ...

وفي القارب الثاني كلوتيلدا ومول وأتيليو . ودفع أتيليو القارب بين الأمواج في تيار جارف ، ثم ... ثم هبت الريح شديدة عاصفة ، واضطرب النهر ، وبعدت الشقة بين القارين ... وفزعت ماري واضطربت اليسانبات ، فأرسلتنا ممّا صبيحة عالية أفزعت أُو وزعزعت عزيمته ، واضطرب لها قلبه فارتد إلى الشاطئ وقد خشي منبة الاندفاع وجرف التيار القارب الآخر ؛ وأتيليو ومول يحدقان في صمت وإطراق ، وكلوتيلدا تضطرب وقد سلها الفزع من رزائنها ... ثم انفلأ المصباح فران عليهم ظلام عميق ، وخيل إليهم أن صوراً خفيفة تنمكس على صفحة الماء ، وأن أصواتنا خشنة تنبعث من كل ناحية فتنتفث في القلوب الرعب والهلح . . . وأجهد الشبان نفسيهما عبثاً أن يبلننا الشاطئ ، والأمواج تجذب القارب في شدة وعنق ، وبدا لهم جميعاً في كل ما يرون معنى من معاني الحزن واليأس ، وراعت لهم الأصوات حولهم تشيعهم إلى النهاية ..

واستولى الكلال على الطالب فأطلق المجداف من يديه وهو ينظر إلى كلوتيلدا فابتسمت ابتسامة صرة وقد سيطر عليها الأسى واليأس ، وانتفض أتيليو يقبض على المجداف الذي أطلقه مول وهو يصارع الأمواج في عزم وقوة ، ثم أرسل صبيحة دوى لها المكان : صبيحة فيها السرور والبشرى لأنه

ما رأى فقال : « لا ضير ، فأنا ذاهب ومن أراد فليتبني » ثم انطلق وفي نفسه الثقة والدمع ؛ وانطلق الجماعة على أثره

وساروا في طريق غير معبد وسط حديقة مهمل ، قد تشعث فيها الأغصان وأوراق الأشجار ونبتت فيها الحشائش هنا وهناك ؛ والرياح تمصف قهز الأغصان فتساقط عليهم قطرات كبيرة من الماء تبلل ملابسهم ووجوههم ؛ وأقداهم تقوس في أرض رطبة لينية ؛ وحين يلبثوا النهر صاحت اليسانبات : « المصاييح ، المصاييح ! » وانبرى أُو في شجاعة .. ثم انطلق إلى الدار ليحضّر المصاييح والثقاب

وكان الماء يندفع بلاطم بعضه بعضاً فينبعث منه خرير كهذي الرعد ، والأمواج تضطرب وتزجر ، والتيار يحمل بعض الأغصان وأوراق الشجر وقطعا من الخشب ، وفي فجوة على الشاطئ قاربان أترع أحدهما بالماء .. واندفع أتيليو ينشل الماء من واحد ، ومول إلى جبل القارب الآخر يفك عقده ، والفتيات ينظرون في صمت ، وكلوتيلدا تنظر إلى السحب المتكاثفة في السماء

وأفلق الطالب في حل رباط القارب ، وحين انطلق إلى الثاني كان أُو قد عاد وسدده يملو ويهبط من أثر الاجهاد والمصباحان تحت مظفنه . وراحت ماري تهز بالطفل حين رآه قد أساء اختيار المصاييح فتصايح الصبية ، ودوى الصوت في أذني الطالب يزجه وقد أعجزه أن يفك المقدة فصاح في غيظ : « الصمت ، الصمت ! » وكان أتيليو قد انتهى من عمله ، فاندفع إلى الطالب ينزع منه الحبل ، وفي لحظة البصر كان قد حل المقدة ، ثم أضاء المصباحين في مهارة وإتقان ، ثم قال في هدوء وكبرياء : « فليبدأ ! » واضطربت كلارا ثم صرخت : « أنا لا أجسر »

لقد ثارت الماططة في قلب الصبي فا استطاع أن يرد مجاحتها، وترقرقت العبرات في عجزه فا استطاع أن يكفكتفها، فانطوى إلى نفسه يحذرنا حديث قلبه، ثم .. ثم أضاء الصباح وراح يقاب بصره فيها حوله، فرأى طريقاً ممهداً بأزاه النهر فساراً في صمت جنباً إلى جنب، وقطع هو بهذا الصمت بقوله: « يا عجباً، لقد بلغنا البر بعد إذ فقدنا الأمل وعلينا الآن أن نحمد الله ... » وصمتت الفتاة فا أجابت فأطرق هو في حياء وخجل ... ثم قال: « أمتبة أنت يا كلوتيلدا؟ » وأصمت هي أذنها عن حديثه ثم انطلقت سبيداً كأنها تهرب منه، وأحس هو بالألم والحنية بخزان في قلبه، فرفع الصباح ليرى مكانها منه: « ثم اندفع على أثرها يقول في خضوع وذلة: « كلوتيلدا! أفاغضبتك؟ ماذا، ماذا فعلت؟ » ثم انتقع لونه، واضطربت أعصابه، وفترت قوته لأنه ... لأنه تذكر ...

ونازعته نفسه إلى أن يجمم عند قدمها يتوسل ويتوسل، غير أن شيئاً في نفسه رده فا استطاع أن يفعل، ثم قال في عس واضطراب: « كلوتيلدا! ماذا جنيت؟ لم أفعل سوءاً! أنا لا أذكر .. حقاً، أنا لا أذكر ... » وخفت صوت الفتى قليلاً قليلاً، ولكنه ما يزال يستمطفها: « لماذا؟ لماذا تقسين على؟ لماذا؟ لقد عدلتك وأغرمت بك! » وكانت هي قد بسدت عنه فا سمعت كلماته الأخيرة، وانطلق هو على أثرها. فقالت له في جفاء: « دعني، دعني وحيدة! » واستطاع هو أن يرسل من بين أناته الخافتة: « لا، لا يا كلوتيلدا! لم أجن ولم أجترى! إن قلبي ... » ثم راح يلين ما قسا من قلبها، ومن حولها الطبيعة القاسية عابسة متحاجة تبث في قلب الفتى الأسمى والحسرة، وهي ... هي كلوتيلدا تنفث فيه اليأس والألم ...

استطاع أن يجذب القارب زويداً رويداً إلى الشاطئء وقفز مول إلى الشاطئء وأمسك بالقارب يريد أن يجذبه اليه، غير أن موجة قوية غلبته على أمره فانفثت القارب، وأفرغه ما رأى فصرخ صرخة شديدة ... وراحت الأمواج تنقاذ القارب وقد ذهل الاثنان عما هما فيه فا استثمرا الصدمة؛ وما أحسا أن القارب قد انحرق برغم أن حذاء كلوتيلدا كان قد اغتمر في الماء، فكانت ترتد من شدة البرد ومن شدة الخوف ممأ

وأحس أنيليو بالأعياء والجهد فألقى المجدافين جانباً وقد استرخت ذراعه إثر صراع عنيف دام طويلاً؛ ثم قال في أسي: « لقد تهدمت، ستكون النهاية؟ » فأجابت كلوتيلدا بصوت فيه نبضات قلبها المضطرب: « استمر، استمر » وحاول هو أن يستمر، غير أن قوته كانت قد تحطمت ففره في ركبته ومال رأسه فلس رداء الفتاة واستقر في حجرها، فصاحت: « ماذا، ماذا تصنع؟ .. » ولكنه كان قد خرج عن وعيه فطوقها بذراعيه في رفق وشفق، ودغمته هي عنها في صمت ولين، فاستلقى في قاع القارب، ثم قام وقد آلت له الصدمة، واندفع إليها ثانية .. لقد رنت في أذنيه صيحة خافتة ثم لم يشعر بسوى شفتها الجليتين تلمسان شفتيه؛ وإلا جسمها النض الرطيب اللدن ينفع عبره حواله، ثم يلمص بجسمه؛ وإلا شمرها، وقد عثت به الريح، يداعب وجهه فينبث في قلبه الشاب معاني ومعاني ...

ووقف القارب فجأة، فالتفت هو مذعوراً، فبدا له أنهما على خطوات من الشاطئء، وفي قوة الشباب وعزمات الرجولة جذب القارب فاذا هما ... فاذا هما في أمان ... ثم هبطا إلى الأرض وقد ابتدا الظلام ينحسر عن جبين الفجر وهما يستشمران برد الليل في مفاصلهما

ورقة... وهو يرى... وهو يرى... وثبتت الفتاة في خياله ما تبحر ولا تتحول؛ فأحس بدمه يفور في عروقه، فهب يريد النهر...

واستقبله النهر وفي خور أمواجه العويل والبكاء، وجلس هو على شفا جرف بردد بهمه في هذا الخضم، كأنما ينظر إلى نهايته؛ وفي أذنيه ترن هذه النغاث الحزينة تثير في نفسه الشجن والحزن، ثم راح يحدث نفسه: «لو أنني ألقيت بنفسي لانتهد متاعبي...» لقد عصفت به أحزانه فسلطته عقله، فراح ينشق نسيات النهر في لذة ومتمسة، ويرى في اضطراب الأمواج وزجرجتها رنات فيها السحر والفتنة... هنا... هنا ينتهي شبابه ويطوى كتاب حياته... ثم اضطرب وسرت في مفاصله سمحا الخوف، فقال يهدهى نفسه: «ما هذا؟ إن المرء لا يموت إلا مرة!» غير أن الجبن والظور وحسب الحياة والحسرة على شبابه كانت جميعا قد استيقظت في قلبه فارتد عن النهر فرهاق. لقد ذهل عن نفسه لما استطاع أن يسمع وقع أقدام المساة ولا أصواتهم وهم يقتربون منه، وقد ابتسم الفجر... وأصر على أن يرجع إلى الدار لينام، فيستجم، فينسى... ثم انطلق وهو يقول: «ويلي! أفسك هذا في سبيل الفتاة...؟»

وعلى حين بقتة أحس يدين تلسانه في رفق، ووجه بللته البرات بلعن بوجهه في عطف وحنان، وهي تضمه إليه في شوق وشنف، وأضادت الحياة في عينيه مرة أخرى، وشاع السرور في قلبه، وسيطرت عليه نشوة اللذة والسعادة، ثم فتح عينيه يستشف ما وراء، ففزع فارتد... ثم اندفع ثانية ليلقي بنفسه بين أحضان أمه

لأم محمد حبيب

وبدا لها شبح يضرب في الأرض يبحث عن شيء، وارتفع من حاجته صوت بنادي: «من هناك؟ أنيليو... كلوتيلدا...» إنه هو... هو الطالب مول. ونادت كلوتيلدا: «هيا! إنه أنا» ثم اندفعت مولى...

لقد رأى أنيليو الطالب يسرع نحو كلوتيلدا، ورآها هي تسرع نحوه، ثم وقفا جنباً إلى جنب، وخيل إلى أنيليو أنهما يتماثلان فتجههم وتمبئس؛ وهبت نسمة من نسيات الفجر تحمل إليه حفيف الأوراق كأنه قبلة فارتمد وانتفض قلبه، ثم جمد في مكانه، وقد استولى عليه دوار شديد فأغلق عينيه حيناً... وحين أدار بصره رأى الصديقين يلفهما الظلام، وهو ما يزال يسمع صوتاً يناديه: «أنيليو، أنيليو! أسرع فنحن في انتظارك!» وانطرح على الحشائش الندية، والأزهار من حوله تنفخ فيبرها الشذى تريد أن تبعث فيه الهدوء والنشاط؛ غير أنه كان قد انطوى على آلام مبرحة يتفطر لها قلبه، وتتداعى لها رجولته؛ وأظلمت الدنيا في ناظريه؛ فراح يتقلب في قلق ومضض؛ وتدفق اليأس في قلبه لينزع عنه نور الحياة وجمالها؛ واستولى عليه شعور غريب... شعور الفرار من على الأرض، من هذا المذاب... وبدت له الحياة، بعد التي أحب، عبثاً لا خير فيها

واضطرب شبح الموت في خياله، وتراءى له أنه يشق إليه الظلام في مثل عصفة الريح وهدة الموج؛ وكلوتيلدا ماثلة في خواطره؛ فهو يراها ومن عينها السوداءين تنبثق أشعة أسرة تمجدها إليها في غير هودة ولا لين، وهو يرى وجهها الرضاء الجميل، وعلى شفثها ابتسامة رقيقة عذبة؛ وهو يرى قدها التحصيل الضامر يتهدى في دلال



إذ أن الرجل له مصالح وأطامح ، وطبيعته تدفعه إلى ولوج ميدان الحياة ، والكفاح في معمارها الصائب ، والحب عنده ألية في مستقبل حياته ، أو أنشودة ينشدها في أوقات فراغه ، وذلك لأنه في شغل عنه بما يطمح اليه من شهرة ، وما يسمى وراءه من ثروة ، وما يروم تحقيقه من فكرة ، فهو لا يفتأ مشوقا إلى بلوغ ما يصبو اليه من سؤدد بين أئداده من الرجال ، أما المرأة فكل حياتها نهب للمواطف ، وما سيرتها إلا تاريخ لنوازع القلب ، فالقلب دنياها التي تطمع فيها إلى فرض سلطانها وإقرار مكانها ، وفيه تنقب حبا تمنيته من غيبوه الكنوز ، فتطلق كل جارية فيها للغامرة ، وتنطلق بكل روحها مع سفينة المواطف ، فان غرقت سفينتها فقد خاب الرجاء فيها ، إذ معنى ذلك افلاس قلبها ودوال دولتها

قد تسبب خيبة الحب للرجل آلاما ممضة ، وقد تجرح بعض ما رق من أوتار قلبه ، وتصف يعض معالم هناؤه ، إلا أنه مخلوق عامل يستطيع أن يسدد أفكاره ويصرفها بالاندماج في دائرة الأعمال المتنوعة ، كما أن في وسعه أن ينغمس في اللامهي والمسرّات ، أو يسدّل مقر سكناه إذا رأى أن السرح القوي مثلث عليه فصول مأساته محاط

اعتاد الذين تقدمت بهم السنون وتخطت بهم حدود الشباب فلم يمودوا يتأثرون بما يتأثر به الشبان من عواطف ، والذين درجوا على الخلاعة وشبوا في جوها الزايمي حيث لا مقام لشعور أو قرار لماطفة ، أن يهزأوا بأخبار الحب جملة ظانين أنها لا تمدو أن تكون سورا وأقاصيص من نسج خيال القصصيين والشعراء ، إلا أن خبثي بدخية النفس الانسانية تهملي على ألا أرى رأيهم ؟ فقد هدنتي التجارب إلى أن الرء قد يسدو فائرا باردا لشواغل الدنيا ومهموما ، وقد يطالع الناس هاشا كاشا مراعاة لمراسم المجتمع وآدابه ، إلا أن وراء هذا الظاهر الهادي نيرانا كامنة ترقد في أحماق أبرد الصدور ، وهي نيران إذا أثارها مثير احدثت احتداما لا يعرف مدهاء ، وقد تسوء عقباء . الحق أني مؤمن قوى الايمان بذلك السلطان الأهمي ذاهب مع تمايله إلى أقصى حدودها . إني مؤمن بالقلوب المحطمة إيماني بأن خيبة الحب في رجائه قد تمخّل بفنائها ، ولكني لا أرى الحب حرصا كثير الفتك بيني جنسي ، في حيث أني أؤمن الايمان كله بأنه المرض الذي يصيب كثيرا من النساء اللطيفات فيزعجهن ويذهب بهن ومازلن في مستقبل العمر وشرخ الشباب

بمد قليل وجدت الأصدقاء ييكون على قبرها وقد عاينها المنية في وفرة صباها ، فتعجب ما شاء لك العجب كيف هبطت الى عالم الظلام والديدان تلك التي كانت تشع الى عهد قريب ضياء الصحة والجمال ؛ فيقال لك أصابها برد أو مرض شائع فتوقاها ، وما يدري أحد منهم ذلك المرض الفكري الذي سبق فاستنزف قواها وتركها فريسة لأدنى المؤثرات

مثلا مثل الدوحة الفيناء تزهى الثابة بها وتردان ، تقف رشيقة القد مياسة الأغصان وريفة الأفنان بينا ينهش الدود لها فيسرع اليها الذبول حين يري إشراق نضرتها وازدياد توريقها ؛ وعلى غرة نراها وقد مالت بأغصانها الى الأرض وأخذت تتساقط أوراقها ورقة ورقة الى أن تضمحل وتعود تهبوى في سكون الغاب . فإذا ماتنا ملنا هذه الانقراض الجليلة أخفقنا في تحليل ميتتها معاولين عبثا أن نذكر تلك العاصفة التي عساها أن تكون قد أطاحتها ، أو تلك الصاعقة التي لعلها تكون قد صمقتها

لقد لاحظت بعض النساء وهن منحدرات بخطى سرية نحو الذبول وقد أهملن شأنهن فاخترن من الوجود على مهل كانهن يتخرن في الهواء . ولقد ظننت مرارا أني أسبت الحقيقة حين عزوت وفاتهن الى آلام السل المهلكة تارة ، وإلى البرد تارة ، وإلى المزال مرة وإلى الأحزان مرة ، ولكني وجدت في النهاية السبب الحق وهو يأس الحب وضية الأمل

كل يذكرك ولا يرب قصة ذلك البطل الارلندي الشاب « . . . » فهي قصة كان وقمها أليما بحيث

بعلامات لا قبل له بتحمل ما تسببه له من غصص وآلام ، فيرحل الى حيث يشاء متخذاً أجنحة الصباح طائراً الى أقصى البلاد حيث يخلد الى الراحة والسكينة

أما حياة المرأة فهي بالنسبة الى حياة الرجل حياة استقرار وعزلة وتأمل ، وهي أكثر اصطحاباً لأفكارها وعواطفها ؛ فإذا ما استعجالت هذه الى رسل ودواغ للألم والحزن فالى أين النجاة ، وأين تلقى المزاء ؟ إن حظها من الحياة أن تحب وأن تنال ، فإذا ما ساء حظها وغاب فألها في حبا قتل قلبها في ذلك مثل القلمة تقع في أيدي الأعداء فتشعب وتسلب وتترك خواء

كم من عين متألعة خبا ضياؤها ؛ كم من خد أسيل غدا شاحب ؛ كم من وجه جبل ذوى وطواء الردى دون أن يدري امرؤ السبب الذى أودى بتلك النضارة ؛ فمن طبيعة المرأة أن تخفى عن العالم آلام عواطفها المجروحة كما تنغم الحمامة جناحيها الى جانبها تخفى بهما السهم الذى يوغل في مقاتلها . وحب المرأة الحساسة هادىء خجول ؛ وبها أصابت في حبا من توفيق قلما تهمس به لقات نفسها ؛ أما إذا خاب رجاؤها في الحب أودعته طيات صدرها وتركته هناك في هم واصب بين ظلول أسماها الداهب ، فقد أخفقت آمال قلبها وانتهت بهجة الحياة الكبرى عندها ، فهي عندئذ تماق الألاماب البهجة التي تنشئ الفؤاد وتسرع النبضات وتدفع تيارات الحياة والصحة في المروق ، وهي في حالها تلك تقلقها الأحلام السود وتزعزعها في نومها ، ويمتص الأسمى دماءها حتى ليست جسمها من الوهن والمزال ينقض ويهدم تحت أضغاث مؤثر خارجي . فإذا ما سألت عنها

يا لهولة من قبر اكم هو غيف اكم هو سين !
 وقد خلت الذاكرة عما عساه أن يخفف غصة الفراق .
 ولم تستطع تلك اللابسات الوديمة وإن خالطها النهم ،
 أن تذيب ذلك الحزن في تلك الدموع المباركة التي
 تنزل كالطلل من السماء برداً وسلاماً على القلب في
 ساعة الفراق الممضة

ترملت ، وزاد في وحشة حياتها أن تلك الصلة
 قد أثارت غضب والدها وسخطه فنفاها من بيته .
 ولو أن صديقاتها روعت نفوسهن ومنعهن الخوف
 أن يهينها عطفهن ، لما أوزعها العزاء ؛ فالارلنديون
 قوم حساسو النفوس كبرعمو الشعور . ولقد
 مدت إليها بيوتات كريمة يد العونة وأحطتها برقيق
 الرعاية وقدمتها للمجتمعات ، وحاولن الترفيه عنها
 بشق الملاهي والسرور ليزول عنها حزنها ولتبتد
 عن فكرها ذكرى مأساتها ، إلا أن ذلك كان عبثاً
 في عبث ، فإن من النكبات ما يثلف النفس ويذويها
 وينفذ إلى منبت السمادة فيسحقه سحقاً فلا يعود
 إلى إنبات . أما هي فلم تأب التردد على متديبات
 السرور ، ولكنها كانت فيها منفردة بنفسها
 موكولة الى أسائها ، فكانت تسير في وجوم
 يشيب فيه الشعور بالدنيا التي تموج حولها .
 وكانت تحمل في نفسها على الدوام غما دفيناً يسخر
 بداعيات الصديقات ، ولا يحفل بسحر الفناء
 ولا بجمال الرقص

لقد رآها من روى لي قصتها في « كرنفال »
 وقد أخبرني أنه لم ير منظرأ للبؤس أكثر إبلاماً
 للنفس من رؤيتها في هذا الحفل الحافل تمشي كالخيل
 الضارع وحيدة كثيفة بينا كل ما حولها زاه بهيج

لا يمكن أن تنبئ سريماً ؛ فقد حوكم إبان الاضطرابات
 الأيرلندية متهما بالخيانة وتصفية حكم الاعدام بالشنق ،
 وكان لخاتمة حياته الفاجعة صدى عميق في قلوب
 الجمهور ، إذ كان شاباً في ميمة العبي وزهرة الشباب ،
 متوقد الذهن ، كريم النفس ، شجاع القلب ، كل فيه
 كل ما يحب في الفتى من كريم السجيا وحيد الصفات ،
 كما كان سلوكه أثناء المحاكمة سامياً تجلت فيه بسالته
 وإقدامه ؛ وكان لفضيلة النبيلة في دفع تهمة الخيانة عن
 نفسه ، ولدفاعه الرائع عن اسمه ، ولندائه الحار للأجيال
 المقبلة وهو في موقف الاتهام وساعة اليأس صدى
 دافق في أعماق كل صدر كريم ، حتى إن أعداءه أنفسهم
 نددوا بتلك السياسة الفكراء التي قضت عليه بالقتل
 ولكن قلباً واحداً بين هذى القلوب قاقت
 حسرة ولوعة كل وصف ، ذلك هو قلب تلك الفتاة
 الجليلة ابنة أحد مشاهير المحامين الأيرلنديين التي
 كان قد نال حبها أيام سمدته وتوقيعه ، وكانت هي
 قد أحبتة لأول ما أجت تلك الحماسة التي تحب
 بها المرأة حبها الأول في مقتبل أيامها . لقد كانت
 تحبه أيام محنته ، أيام تألبت عليه أقويل الناس
 وأحكامهم ، أيام عصفت العواصف بحاله ، وتهدد
 العار والدمار اسمه ، وأحاط به السوء من كل جانب .
 ولقد كان يزيد حبها لهاماته لتلك الآلام ، فكيف بها
 اليوم وكيف ألما وهي التي كانت تهيم بطيفه وتشغف
 بخياله . وقد حرك المصاب نفوس عدايه . سل عن
 ذلك من سدت أبواب القبر بشتة في وجهه ، وفرقت
 بينه وبين من لم يعدل به وبجبه أحداً ، وقد جشاع على
 حافة القبر كالطرد في دنيا باردة موحشة ذهب عنها
 كل ماهو محبوب وكل ماهو جميل

الزوجة الصالحة ، غاولت أن تسعد بزواجها ، إلا
أن هذا المم الساكن وذلك الحزن السكمن لم يجمع
فيهما علاج

فذهبت رويداً رويداً ، وأخذ منها الهزال
مأخذه ، فسارت وشيكا إلى انحلال لا أمل في البرء
منه ، وهوت أخيراً إلى قبرها مخبئة القلب المحطم
وقد نظم فيها مور الشاعر الأرنلدى الشهير
أبياته الآتية :

بميدة عن الأرض التى بها مئوى بطلها المحبوب ،
يلتف حولها المحبون وهم يصعدون الزفرات ،
إلا أنها تشيح عنهم بوجهها وتأخذ في التعجب
فقد علق قلبها بالثرى الذى ضم الحبيب ،

تنشد أغاني الفطرة عن مواطنها السذج الأعزاء
مؤثرة ما كان يحبه من بيت تلك الأنعام .
آه ! ليس يدري أولئك المعبون بالحنانها
كم يتمزق قلبها وهي تشدو بأنفسها !

عاش لحبه ومات في سبيل بلاده ،
وكان هذات كل ما يمينه من دنياه ؛
وسوف لا تنجف عاجلاً دموع بلاده عليه
ولا أمل لمن أحبه أن يعيش طويلاً من بعده

ابنوا قبرها حيث تستقر أشعة الشمس ،
حين تؤذنت بقبابها يدنو غدر موموق ،
حتى تضيء عليها في نخبعتها كبسمة من القرب
من جزيرة الأحران التى أحبها وعلقت بها
(حدائق القبة) حسين محمد لامل

وقال لي إنه رأى تلبس حلى المرح في حين تسير
ساهرة الوجه بمنقعة اللون يضرها الأمسى كأنما تحاول
عبثاً أن تتدح قلبها لحظة تنسيه فيها حزنه للقيم .
وبعد أن طافت بالحجرات الفاخرة وجالت بين ذلك
الحشد الصاخب شاردة اللب جلست على درج
منصة الموسيقى ؛ وبعد أن نظرت في الفضاء برهة وهي
شاخصة الطرف يبدو عليها عدم الشعور بمجال المناظر
من حولها ، أخفت تنفي ، شأن القلب الليل في
تقلب أطواره ، فكان شدوها باكياً . لقد كان صوتها
رخياً إلا أنه في هذه المرة كان مؤثراً بسيطاً ، فتنفست
عن نفس بائسة ، والتفت حولها الجميع وساد السكون ،
فاذابت النفوس وأدمعت العيون

لقد أثارت قصتها شغف الناس ؛ إذ أن قصة
سيدة على ذلك الاخلاص وهذا التفاني لا بد أن
تثير إعجاب الناس في بلد عرف أهله بالحناسة
والوفاء ، فأحبها وأعظم بها ضابط باسل خطبها وهو
يحدث نفسه بأن من كانت تخلص هذا الاخلاص
للغيث ، تظهر ولا شك مثل هذا الاخلاص
للحي ؛ إلا أنها خيبت أملة في ذلك إذ لم يكن
في وسعها أن تصرف فكرها عن ذكرى حبيبها
الأول . على أنه أمر على طلبه قائلاً : إنه يكفيه منها
التقدير بديلاً عن الحب . وساعده عليها اقتناعها
بمجدارته وعوزها واعتمادها على الغير ، إذ كانت
تميش على فيض ما تجود به الصدقات ، فتجج في
النهاية في الحصول على يداه مع تأكيد رهيب بأن
قلبها ما زال ملكاً لغيره ولا سبيل إلى ضده عن هواه
سافر بها إلى سويسرا لمل تبديل المناظر بمحو
ذكرياتها القديمة . ولقد كانت رقيقة القلب مثال

يتساءلوا ما إذا كان صديقهم قد خرج بفضلهم من مأزق ليقع في مأزق أشد حرجا وشيقا تلك هي واجبات الصداقة في نظر هذا النوع من الأصدقاء

من مصائب الشبهة أنها تتوهم الحياة فأعده على مثال الحوادث الأولى التي طرأت عليها . وهناك نوع من أشقياء المجتمع ترام على أهبة ليقولوا للفقير الصدوق : إنك على حق في اعتقادك بالشر ، ونحن نعلم حقيقة

ولقد سمعت رجلا وخط الشيب شعورهم يتكلمون عن نوع من علاقات الرجل بالمرأة يصفونه (بالماطفة الجواله) فكانوا يتحدثون عن هذه الماطفة كأنها آلة حديثة اخترعها مهندس ، فيصورون كيفية استعمالها ويذكرون ما يجب أن يقول الماشق ، وما عليه أن يجيب به مقررين قواعد رسائل الغرام وكيفية الركوع لاستعطاف المرأة المشتهة . وهكذا كان هؤلاء الأفاضل ينظمون حركات المحجوم والدفاع

وما كانت هذه الأصول الموضوعية إلا لاجتماعي أفعقه خمكا ، لأنني ما تمكنت يوما أن أقول لامرأة أحقرها إنني أحبها حتى ولو كان هذا المتعارف المعمول به مما تعرف المرأة نفسها زيفه . ما جثوت يوما أمام امرأة دون أن يمشو قلبي مني . لذلك ما عرفت حياتي هذا النوع من النساء البتلات ؛ وإذا ما كنت وقت لا أحدا من ، فما كان ذلك إلا دون قصد مني وعن جهل بحال المرأة التي أغوتني

ليس من المستغرب لشي أن يهمل الإنسان نفسه ، ولكن ما أستغرب هو أن يقدم على تدليسها .



مِنْ أَعْمَاقِ الْفُؤُوسِ

اعتراف في العَصْرِ

لألفريد ريس مرسية

بقلم الأستاذ فليكس فانس

الفصل الثالث

وكان ديجنه قد أعد في بيته في الضاحية حفلة للشباب مستكة من خمر وطعام ولعب وصيدورقص وسباق ؛ وكان غي هذا الصديق محملا بحب الضيافة والكرم ؛ وله مكتبة مجهزة بأتم الكتب ، وكان إذا حدثك ثم حديثه عن علم واسع وأدب جم وملت إلى هذه الحفلة كما بقي أغلبها فلا تغلب ؛ وقد احترم ديجنه حزني إذ سكت أنا عن استفساره فلم يعاود الكرة على

وما كان يهتم ديجنه إلا لأمر واحد ، وهو أن يراني ناسبا خليلتي ، فكان يرضيه أن أتناول الطعام كسواي ، وأرافق الأضياف في ألباسهم وصيديم إن في العالم أناسا مثل هذا الصديق يحاولون جهدهم أن يخدموا من يودون فلا يترددون في أن يرشقوا وجهه بحجر إذا رأوا ذباة تلسع خده ... فهم لا يقترون يمنونه عن ارتكاب ما يمدونه خطأ ، ولا يطيب لهم عيش دون أن يتوصلوا إلى طبع هذا الصديق على غرارهم ، فإذا هم ظفروا بناتهم فركوا أيديهم ونفضوا أناملهم دون أن يخاطر لهم ببال أن

الأزهار ورقة أخذتها فاذا عليها :

« إلى أوكتاف من ديجنه ، بشرط المعاملة بالمثل »
وما قرأت هذه الكلمات حتى أدركت ما يرى
إليه ديجنه من اهدائه إلى خليلته كما تهدي
الجواري . . . وما كان ديجنه على ما أعرف به من
الصراحة ليفعل ما فعل تضليلا أو هزواً ، فهو لم
يقدم على فعلته إلا ليلقني درساً

إن هذه المرأة كانت تحبه ، وقد سمى أنني
عليها ، فأراد أن يردعي من التعلق بها في حالتى
قبولى لها ورفضى

فوجت أنفوس فى هذه المرأة ودموعها تتحدرد
على خديها ولا تجرؤ على مسحها خشية أن اتقبه إلى
بكائها ؛ وما كنت لأعلم بماذا تهدها ديجنه حتى
أطاعت . فقلت لها : لا بأس عليك ، أيتها الأنسة ،
ارجعى من حيث أتيت

فقلت : إذا أنا خرجت من غرفتك قبل
بزوغ الفجر ، فإن ديجنه سيميدنى إلى باريس ،
وليس بوسى أن أخالف أمره ، فوالدى فقيرة

فأجبتها : إن فقرك يدفعك إلى تنفيذ أمر
ديجنه إذا ما وافقت أما عليه ، ولقد يستهوى بك جمالك
الرائع ، ولكنك تبكين ، وما تدفين دموعك من
أحلى ، وأنا لا شأن لى فى غير هذه الدموع . اذهبي
وأنا كافل لك أن لا يرجعك ديجنه إلى باريس

إذا كان التأمل صفة نابعة من صفات العقل
فى أكثر الناس ، فما هو عندى إلا كخزينة
لا تتحكم إرادتى فيها ، فان التأمل يجتاحنى كنوب
عاطفية شديدة لا قبل لى بردها ، فمقد ما خرجت
هذه المرأة من غرفتى جلست وقد اعتربنى نوبة

ولقد يكون فى هذا القول شيء من الكبرياء ،
ولكننى أربأ بذاتى أن أرفعها فوق موقعها ، أو أن
أحط بها إلى أدنى من مستواها . وليس أكره إلى
من المرأة التى تهزأ بالحب . ولثل هذه المرأة أن
يبادلنى عاطفتى هذه فأنى لن أنزعها هذا الحب

إن مثيلات هذه المرأة لأحط من الماهرات ؛
وقد تكذب الصاهرة كما تكذب المرأة المحتقرة
للحب ؛ ولكن الأولى قد تحب ، أما الثانية فلا تفقه
للحب معنى

أذكر امرأة تملقت فى فكانت تقول للرجل
الذى الذى تمايشه : لقد مللتك ؛ وهأنذى ذاهبة
إلى حبيبى

إن مثل هذه المرأة خير من النساء اللواتى
لا يتقاضين عن أعراضهن ثمناً

وقضيت فصل الصيف عند ديجنه حيث يلتقى
أن خليلتى بإرحت فرنسا . ومنذ اليوم الذى يلتقى
فيه هذا الخبر استولى علىّ غموم لم أجده لنفسيه
عنى سبيلا

وكننت فى وسط هذا المجتمع الجديد أنطلع
كالفرس الجوح إلى كل ما حولى

وكان لديجنه خلية على غاية من الجمال . وكننت
أعشى منه فى إحدى الليالى فقلت له لئنى أقدر
جمال عشيقته وتعلقها به وإخلاصها له ، وأبشعرته
أننى أغبطه على هذه النعمة . فسكت على عادته وابتسم .

وعند ما دخلت إلى غرفتى لأرقد فى المساء نفسه
سمعت طرقة على بابى فأذنت بالدخول ظناً منى أن
أحد الصحاب أخذته الأرق فلعجاً إلى ، وفتح الباب
فرايت امرأة تتقدم مترددة وقد امتنع لونها وتعرجى.
نصف جسمها ويدها طاقة أزهار قدسها إلى ، وبين

أن تقتل جسداً ؟

ولكنك قد تكون عاشقا لهذا الجسد فلا تجد أمامك إلا من يقول لك : أترع الكأس وأذهب في سبيلك ، فإن للجسد الذى تحترق من أجله معنا معنى . ولكن دمجته يحب خليلته فهو لا يرضى عليها بشيء ، فهل لهذا الرجل حب خاص به دون سواء ؟ لا ؛ إن هذا الرجل لا يعرف الحب ، ولا فرق عنده بين امرأة تستحقه وأخرى لا تستحقه لأنه لا يحب أحدا

وما الذى أبلغ دمجته هذه الدركة من الشعور ؟ فهل هو خلق بهذه الماهة ، أم أصيب بها بعد ولادته ؟ إن دمجته ليس رجلا ما دام الحب أزم للانسان من الماء والهواء . أهو أحد الجبارة أم أحد الصماليك ؟ فهو يرتجى على أحضان امرأة تمسقه دون أن يشعر بأية رهشة ودون أن يتوقع أى خطر ؟ وما الحب لديه إلا سلعة جسد يبدد مال . أية وليمة هي حياته ؟ وأي شراب يتدفق في أفداحه ؟ إن هذا الرجل لم يتجاوز الثلاثين من عمره وقد أصبح مدمنا على السم مكتسبا متاعه نهزا بزفاف الاغنى التى يداها

إن في الأسر لفزا عميقا يا بى ، عليك أن تجد له حلا . مهما اجتهد أنصار الفعشاء بالتمليل فانهم قد يشبتون ليوم من الأيام واللييلة من الايام ولساعة من الساعات أنها ناموس طبيعى ، ولكن إبتائهم هذا لا يصمد لوجه الزمان لأنه ليس من شرب على الأرض لمعتبر المرأة رفيقة الرجل وسلاواه ، أو النبيذ المقدس لحياه ؟ وقد استحققت التمجيد في الصفتين

ومع هذا فانك لترى من الناس من ينتصب

التأمل ، فاذا أنا أنابى نفسى قائلاً : هذا قضاء الله فيك يا هذا ... لعل دمجته كان على حق لاعتقاده بأنه إذا لم يرسل خليلته إليك لكنت تقع أسيراً في هواها

أذا دفقت في حسنها وجمالها فأدركت أنها آية في الخلق وما تجود الطبيعة بمثلها إلا نادرا ؟ ومع ذلك فإن الرجل الذى يريد أن يشفيك من دائك لم يجد وسيلة أجدى عليك من الصاق شفتيك بشفتيها ليحوأ نار الحب من قلبك

ولكم رأى هذه الفتاة رجل قلبك فاستهذفوا للخطر الذى تراميت أنت عليه

وهذا دمجته تعبد جمالها ولكنه لم يؤخذ به ، فهل يحيا هذا الرجل بلا قلب ؟ إن لهذا الرجل قلبا ولكنه يختلف عن قلبك شعورا ، لأنه لا يستقد في شيء ولا يهتم بأى أمر كان ، ولكنه إذا أصيب بأسمة في رجله فإنه يرتمش خوفا . وهو المعتد بانحصار الحياة في جسده ، فاذا ما فقدته فقد الكون بأمره . أيعكس للانسان أن يحيا على هذه الوتيرة فيجلب روحه بالسياط كما يجلب المتبددون أجسادهم ؟ افكر يا هذا واعتبر أنك لترى رجلا يضم بين ذراعيه أجل امرأة وهو مشتمل بحمارة الشباب يمان لهذه المرأة إعجابها وتمانى حبا له فيجيبه يوما صديق يثنى به ويقول له : إن هذه المرأة مبتذلة فيزول كل إعجاب وحب من قلبه ، ولو أن هذا الصديق قال له إن هذه المرأة جانية لما فعل هذا الورس في قلبه ما فعلته كلمة « مبتذلة »

فما هي قوة هذه الكلمة يا ترى ؟ إنها ولازيب تحبل النار ، وتنزل المقاب السادل بالمرأة التى استحققتها ولكنها ليست إلا كلمة وهل للكلمة

الكاذبة إلا بذورا لا تثبت غير المراتة والأوجاع
وقد استنفدت قواى حتى مللتها
إنها لكلمات لا يتفوه بها إلا القلائل ممن
مشوا فى الحياة حيث مشى هذا الرجل ؛ غير أنهم
لا يشعرون بغير معناها فى قلوبهم ؛ وأنا أيضا لا أجد
سواها فى صميم فؤادى

وبعد أن عدت إلى باريس فى أول الخريف
بدأت حياة الشتاء منبذفا إلى الملامى والمآذب
والمراقص ، فما كنت أفرق عن ديجنه إلا نادرا ؛
وكان هو يبدى مزيدا ارتياحه لى ؛ وما كنت أنا
مرتاحا إلى نفسى ، لأننى كنت كلما توغلت فى هذه
الحياة تزايد هوى ، فما طال لى الأمر حتى بدأ
هذا العالم الذى حسبت لأول وهلة واسع الأرجاء
يضيق لى فى كل خطوة ، فكنت كلما لامست شيئا
من إشباحه يضمحل ويتوارى أمامى

وكان ديجنه يستفسرنى من حالى فأقول له :
وأنت مالك أيها الصديق ؛ لمك تذكر قريبا بأرجح
الى القبور ، أم إن فى صدرك جراحا نكبتها
رطوبة الشتاء ؟

وكنت أراه أحيانا يتظاهر بعدم سماع ما أقوله ،
فيكنأهرع الى الموائد وتشرب حتى نفقد الشعور ،
أو نستأجر فرسين وننتقل الى الحقول قاطمين مشر
مراحل لتتناول طعامنا هنالك ثم نمود لنسبح ،
ثم نتناول الشاء ، ثم نترأكض الى موائد القمار ثم
ننسحب الى أسرتنا .. وما كنت أصل الى سريرى
وأوصد الباب على حتى انطرح جاثيا أذرف الدموع ،
وتلك كانت صلاتى فى كل مساء

ومن غرائب حالى أننى كنت أشعر بشيء
من الفرور عند ما كنت أتمكن من الظهور على

للمحارب المدجج بالسلاح ليندفع قافزا فوق الهاوية
التي تقفل الله بها بين الانسان والحيوان . ومن
يقدم على هذا العمل قائما هو ينكر النطق على نفسه
فيصبح كالوحش الأعجم خائفا لجمبة المفكرة الناطقة
بقبلات الجسد وشهواته اذ يضع على فمه ما على أشداق
الحيوان من طابع الصمت الأبدى

إن مثل هذا المسخ يقف أمام أشرف كلة وجب
عليه أن يتملها فينفخ عليها عاصفات من دياجى
الذابة السوداء حيث يأتمر شياطين الفناء بالحياة
لقد تجاوز هذا الرجل الحد الذى أوقف الله
الانسان عليه ، فهو قد تفهقر من هذا الحد أو اندفع
إلى ما وراءه . . . وقد أصبحت أحشائه كاحشاء
المرأة الماعز أو وجدتها الطبيعة نافسة أو تسربت إليها
قطرات أعشاب سامة تقضى على جرثومة الحياة
إن العمل والمطالمة قصرأ عن شغائك يا بنى ؛

وقد أصبح شمالك أن تنسى وتعلم ، وقد كنت
تقلب صفحات الكتب الميتة ، وأنت لما تزل قاصرا
عن دراسة الخرائب والاطلال . أنظر إلى ما حولك
من طمان البشرية وإلى عيني أبى الهول تشعان بين
ما خطته اليد المستترة . طالع كتاب الحياة أيها
الطالب وارم بنفسك فى تيار الحياة فما الحياة
إلا كنهز السيكس فى الأساطير تولى مياه الناعة
لن يجرؤ على اقتحامه من الأبطال . أقدم فأما أن
يقودك هذا التيار الى الموت أو برضك الى الله

الفصل الرابع

قال القديس أوغسطينوس وهو الرجل الكامل
عند ذكره أيام شبابه :

— وما كانت جميع هذه السررات والملاذات

وأشعر أنني رجعت الى الأيام التي كنت فيها طفلا
والرغم من أنني كنت أتبع دقة النظام الذي
قررتُه أنا وأصدقائي في حياتنا المشوشة ، فإني
ما كنت أهمل الذهاب الى بعض المجتمعات العائلية
غير أنني كنت أشعر باضطراب شديد عندما
كنت أنظر الى أية سيدة ، فإني كنت ألس أبدو
النساء إلا مرتمشا بمد أن سمعت على هجر الحب
الى الأبد

ومع هذا فإني رجعت ليلة من أحد المراقص
وقلبي من الألم ما أشمرني بعودة الحب اليه ،
لأنني كنت جلست الى المائدة بقرب سيدة لها
من الجمال والأدب الجم ما لا قبل لي بنسيانه .
وعند ما أغضضت عيني لأنام انتصب خيالها أمامي
فحسبتني مقفيا على بالهلاك ؛ ولذلك صممت على
أن أجنب أية فرصة تمكنني من الاجتماع بها .
وبقيت أغالب نفسي خمسة عشر يوما ما يارحت
فيها مقعدي ، فإني كنت أطرّح عليه ساهيا فلفز في
خيلتي جميع حركات هذه المرأة وكلاتها

وما طال الأمر حتى ذاع صيتي في باريس بحيث
يترصد الناس لسكنات الناس وحركاتهم بأنني
سيد الخلقاء . وكان ذكاء العالم في هذا مدعاة لاجحاي
به ، لأنني بعد أن كنت في عيئة أشد الناس حفاة
عند ما وقعت لي حادثة خيلتي أصبحت الآن الرجل
المتصلب الذي يتحكم في شعوره . وذهب البيض
الى القبول بأنني ما كنت عاشقا لهذه المرأة بل
كنت ألب دوري بمهارة ، فكان ذلك خير ثناء
يوجهه هؤلاء الناس إلي

والآنكي من هذا أنني أصبحت أنا نفسي
أنتفخ غرورا بهذا الشرف المسكين وأتأذ بفروري

غير الحقيقة التي أعهدا في نفسي . فإني كنت أباهي
بالاغراق في وصف شروري وأجدالة شاذة يشوبها
الحزن العميق ؛ وما كنت أشعر إلا باللال عند ما
كنت أسرد حوادتي على حقيقتها ؛ وما أدري كيف
أصف هذه اللذة التي كنت أستغرق فيها عندما
كنت أقص وقائع جنون وفحشاء لا حقيقة لها
وما كنت أتألم لشيء تألمى لاضطراري الى
ارتداد الأماكن . التي كنت أرافق خليلتي إليها فيما
مضى ، فإني كنت أظهر كالمتهو أمام رفاقي وأذهب الى
مكان منفرد لأحدث في أصول الأشجار ونبات
الأرض ؛ حتى إذا مللت تأمل ضربتها برجلي وحاولت
تخطيها . ثم أعود الى حيث أتيت وأنا أتمتع بقولي
المألوف : « إن الله لا ينجي » وكانت تنتهي هذه
النوب بي الى سكوت بطول مدى ساعات

واحتلت دماغي فكرة ملكت جوانبي وهي
أن لا حقيقة إلا في المرى ، فإني كنت أقول إن العالم
يسمى أصباغه وأدهانه فضيلة ، ويدعو سبخته ديناء ،
وأثوابه أدبا ولياقة ، وما الشرف والأخلاق إلا
خدمات لقضاء حاجته . فالعالم لا يشرب خمره إلا
من دموع المساكين الذين يؤمنون به . فهو عشي
مطرقا ما دامت الشمس تتكبد السماء فيذهب الى
السكنائس والمراقص والمجتمعات ، وعند ما يتسدل
ستر الظلام يتعمري قفراء موسما لها من التيس رجلاه
ولكنني كنت أحتقر نفسي بهذا القول إذ
كنت أشعر أن تحت هذا الجسد الذي تستره
الأثواب هيكلا من عظام فإني كنت أرتمش وأسال
نفسى ما إذا كان هذا كل الوجود

وكنت أعود الى المدينة فأصادف في طريق فتاة
تمسك بيد أمها وتسير معها فأتابعها بأنظارى متنبها

مزاحى يدفعني الى الحزن المفرط كما كان حزني يسير
مزاحى فاستغرق في سحري
وسمعت ذات يوم رجلاً يتسجج بأنه لا يعتقد
بأية خرافة وأنه يسخر بكل تفاؤل وكل تشاؤم فجاء
أصحابه الى غرفته ومددوا على فراشه هيكلاً رمة
بشرية وكنوا في غرفة مجاورة ؛ ودخل الرجل الى
غرفته في ساعة متأخرة فلم يسمع السكامنون أية
حركة حتى الصباح ، إذ شاهدوا صديقهم جالساً
على فراشه وهو يلعب بالعظام . وكان الرجل قد سُجن
وقد كان في داخل شيء يشبه هذا الرجل يلعب
بمظامرمة محبوبة ، وماتلك الرمة إلا انقراض غرامي ،
وهي كل ما تبقى لي من سالف أيامي
(يتبع)
فيكس فارس

وكنتم موجهاً كل جهدي الى أن يراني الناس
(واصل الى مقام من تحجرت عواطفهم في حين أنني
كنت أشتغل بالشهوات ونذهب تخيلات الجامعة
في كل مذهب
بدأت أعلن أن ليس للمرأة أقل شأن في
نظري ؛ وكنتم أبذل الجهد لخلق أوهام أعلنها
للناس وأقول إنني أفضلها على الحقائق فكأنني لم
أكن أرى لذة إلا في تشويه ذاتي ، وكان يكفي
أن تلوح لي بفكرة تصمد الرأي العام لا تطوع
للدفاع عنها مهما كلفني الأمر

وهكذا بليت بأعظم النفاض والميوب : بليت
بتقليد كل ما كان يستوقف انتباهي لاجله بل لغيره ؛
وبما أنني لم أكن أرضى أن أظهر في مظهر التقليد
كنت أندفع الى المبالاة لأثبت أنني مبتدع لا تابع ،
فلم أكن أرى شيئاً حسناً حتى ولا مقبولاً ، وأبدي
عجبي ممن يفقدون رزانتهم في إعجابهم ، ومع ذلك
أكن أنورع في حماسي عند ما كنت أدافع عن
نظرية أريد أن آخذ بها ، فكنت أندفع في بياني
حتى تضيق اللغة عن امدادي بالتعابير اللازمة
لابداء إعجابي ؛ وكان يكفي أن يسلم أخصائي بما
أرى اليه لأفقد كل فصاحة وكل حماسة
وما كانت هذه الحالة الفكرية إلا نتيجة
ملازمة لحياتي التي كرهتها وما قدرت على تبديل
خطي فيها . فكنت أعذب تفكيري كأنني أنقم
منه واتخذ كل وجهة طلباً للهرب من نفسي
ولكن بينما كان غروري بداعب ذاته على هذه
الوترية كان قواذي يتقلب على أوجاعه ، فكأنني
كنت أنطوي على رجلين أحدهما ضاحك والآخر
باك ؛ وكان الصراع مستمراً بين دماغي وقلبي ، فكان

في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر

بقلم الأستاذ

ابراهيم عبد القادر المازني

أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

التي بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع غاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك يقبل في منتصف أغسطس



هوميروس

الأميرة إلى القصر فلحقها إخوتها الأمراء الخمسة
النسجولوب، فحار الدواب وحملوا الطارف والثياب،
وصمدت هي إلى غندها حيث كانت خادمتها المعجوز
الشمطاء (يوريمديوسا) تدني بنار الدفأة

ولم تكذب تدري سيدتها حتى حيث وثقت،
وانطلقت تعد لها وجبة المساء

أما أوديسيوس فقد هب من مجاسة وليم
شطر المدينة، وقد نشرت حوله مبرقا — صفيته
الوفية — ظللاً وغماماً يحجبه عن أعين الناس حتى
لا يضايقه أحدم يسأله من هو وفيه أقبل ومن
أى الأقطار جاء ... بيد أنها لاحت له قبل أن يابح
باب المدينة في هيئة فتاة قروية كاعب تحمل فوق
رأسها جرتها ... وتمعدت أن تمترض طريقه،
فانتبهزها فرصة وراح يسألها هكذا: « يا بُنَيَّة !
أسمحين فتدليين على بيت رب هذه البلدة،
ألكينوس الكريم ؟ لقد نال مني الوقي وطول
السفر، وجلت عليكم يا أهل فيشيا الأجايذ ضيفاً



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

في قصر ألكينوس

مقدمة الفصل السابق:

« لم يعد أوديسيوس من طروادة فيمن حاد من أبطال
الاغريق فطعم في زوجته الجميلة — بناب — أمراء
البلاد وحاصروا بيتها ليرغموها على اختيار أحدم زوجاً
لها . وقد ساءت هذه الحال إلهة الحكمة ميرقا وصديقة
البطل غرضت ولله تلياك أن يبحر إلى أسبرطة وييلوس
ليسال الملوك عن أبيه وقد أبحر تلياك ، وعلم أن أباه
ما يزال حياً في جزيرة كليوس عروس الماء — وغيظ
عشاق بناب لما علموا بإبحار تلياك فتربصوا به ليقنطروه
في عودته . أما أوديسيوس فقد صنع له رثماً وأبحر
عليه من عند كليوس ولم يزل يصارع البحر حتى اقترب
من سواحل شيريا مملكة أمهاء البحر وهنا ثارت
العواصف وكاد يفرق ... ونجا بعد جهد ونام في
دغلة في طرف غابة على سفح الجبل . وأقبلت نوزيكا
ابنة ملك شيريا في ررب من وصفاتها لتفسل مطارف
عرسها فلفت أوديسيوس الذي رجأها أن تمنحه
دثاراً وأن تله على مدينتها — وقد أعطته ما سأل
ورمحت له الخطة التي ياتي بها أباه الملك ألكينوس »
وفرغ أوديسيوس من صلاته ، ووصلت عربة

تلقى . إنها سيدة قومها ، وهي محبوبة مبعجة إلى درجة التقديس من زوجها وأبنائها ومن جميع الفياشين ملوك البحار ، الذين طالما تكبكبوا حول موكبها في شوارع المدينة هاتفين داعين ... إنها تجلس وقورا كأحدى ربات الأواب فتعمر بالحبة أبناءها ، وتقضى فيما يشجر بينهم ... لك الله ياسيدي إن قدر لك فاستطعت لقاءها ... إنها إذن تمنحك برها وتسبغ عليك من بركاتها فتعود إلى بلادك راضيا ، وتلقى آلك وخلانك عزيزا مكرما »

ثم غابت ميزفا عن الانظار ، وغادرت أرض شيريا الحبيبة إلى صراثون — ومن غمة رفت رفة فكانت في أثينا حيث أوت إلى قدسها الكريم إركتيوس

ودخل أوديسيوس قصر الملك هيبا متخاذلا ، غارقا في بحر لحي من الهم والفكر ، لأنه ما كاد يطأ بقدمه وصيد الباب الكبير حتى يهره لألاء شديد خائف ينبعث من الداخل ، يزيد في شدته ولما نه تلك الجدران المصفحة بالنحاس زينها إطار من اللازورد الأزرق ، وتلك الأبواب المائلة من الذهب الخالص ، والمعاد السامقة من الفضة المجلوة ، تكللها تيجان من النضار الثمين . وعلى التيجان وعلى التيجان ريش من ذهب ، صنعة فلكان ، صناع السماء الخالد ، وخالد أيد الدهر كل ما صنعت يدا فلكان . ثم تلى بعد ذلك زهرة فسيحة مترامية صفت إلى جذرائها كراسي كأنها عروش ، ونبث فوقها غارق ذات أفواف وشغوف ، صنعة وصيقات القصر ؛ وهنا ... يولم الملك لأصراء شيريا ... فيقف الولدان في جلابيب من ذهب ، وفي يد كل شملة تسكب الأنواء من فوق المذبح على جوع الطاعمين

غير معروف ، من بلد سحيق ، فهل تفعلين ؟ » وقالت ميزفا — ذات المينين الزرجديتين — وهي تنجيح :

« حبا أيها الغريب القور وكرامة ! سأدلك على بيت ألكينوس بنفسى ، فهو غير بعيد من بيت أبى ... ولكن لى إليك وصية ... أصمت مادمت سائرا ، ولا تحدج أحدا بنظرة ، ولا تكلم من أهل هذا البلد إنسيا ، فقد جيلوا على ازدراء الغريب وقلة إياهم ، وتلقهم في فتور وبرود طبع ، وقد أحجم نيتيون رب البحار فأذل لهم أعناق الموج وأسلس لسفهم أعراف الماء ، فعى تخطر فيه كاطير حين تحرف ، أو كالفكرة حين تخطر في الخلد »

وتهدأت ربة الحكمة بين يديه ، ودلف هو وراءها ، ولم تره جموع البحارة الحاشدة التي كان يسير بينها ، لأن ميزفا ضربت على أعينهم غشاوة عجيبة حجبت عنهم ؛ وكان ينظر بعين الدهش إلى مينائهم وسفائهم ورحبة السوق التي يأوى إليها أبطالهم ، وإلى تلك القلاع المهددة بالمدينة في أبهة وجلال ؛ ثم بلما بيت الملك ، فقالت ميزفا :

« هاك يا أبناء القصر الذى سألت أن أدلك عليه . وستلقى فيه رؤساء وأصراء أعجاب السمو يولون ويقصفون ، فلم قالهم بقلب رابط وجأش ثابت ، فهم أعجب الناس بشجاع جرىء ، وأكرهم للاجىء غريب . وستكون اللذة أريتا — سليمة الشرفاء الأجداد آباء ألكينوس الكبير ، وحفيدة الردة الجبارة من ذرارى نيتيون^(١) — أول من

(١) آثرنا ألا نثبت هنا ما ذكر هوميروس من نسب الملكة مخافة الإملال

بُلك كبير وآلاء وافرة أسبغتها الآلهة على
ألكينوس الملك ا

وقف أوديسيوس مسبوه اللب ، مشدوه
الفكر ، يردد طرفه في هذا المنظر المعب ، ثم أفاق
نظير إلى الداخل ، حيث اجتمع زعماء المدينة
وشيوخها يصبون الخمر باسم هرمل رسول الداء
تقدمة وقربانا ، وصلاة غلظت أرباب الأبواب قبل
أن يأووا إلى مضاجعهم . ولم يتلبث عندهم ، بل
تقدم في خطى حثيثة رغم إعيائه ، وكانت ميزفا
تحجبه في ظلال كثيفة من أعين اللأ ، حتى وصل
إلى حيث يجلس الملك والمملكة ، فكُشف عنه
غطاؤه ، وجثا عند قدمي الملك يث شكاته بين
دهش الملكين الكريمين وشدة تحيرهما :

« أريتا يا ابنة ركنور صفى الآلهة : أتوسل
إليك وإلى الملك العظيم ، وإضافكم النبلاء ، من
الله عليهم ، وضاعف لهم آلاؤه ، وأنتم على ذراتهم
وألف بين قلوبهم وقلوب رعاياهم ، أتوسل إليك
يا سليلة الجدد ضارعا أن تمنعني على الرحلة من فوري إلى
بلادي التي أحرق إليها شوقا ، والتي فصلتني عنها
أهوال وأهوال ا

وساد سكون عميق وصمت ، وظل البطل
السكين جاثيا عند حافة الموقد المتأجج ، حتى
تفجرت شأبيب الرحمة والحنان في قلب إخنوس ،
ابن الملك البكر ، فراحت الكلمة الطيبة تتدفق
من فم الجليل المنب في فصاحة وتبيان ، وحكمة
تقليدية ، وخير ، حيث قال :

« حاشا لجذك أيها الملك أن تدع هذا النريب

في كل ليلة ... يا للقصر كأنه جنة الخلا ؟ ... إن
خسيف من غيد شيريا الرايب يخدمون الملك
ثمة ... يطحن التمح ويتخلن الدقيق ، ويندفق
الصوف ويعملن على النول ... مائسات كأفنان
الدوح يداعبن النسم الحلو ... حاذقت في النزل
والنسج كأحدق ما يكون بحارة شيريا في عنفوان
الماصفة .. قد تقفن صناعتين عن ميزفا فافتتن
وأبدعن إبداعا . ثم تكون البوابة الكبرى ، حيث
فردوس القصر البائع ، وجنته دائية القطوف ،
ذات الأسوار المنيمة المحيطة بهذه الأربعة أفدة ...
للآلهة هذا الدوح قد بسق في جنباتها ؛ وللآلهة
أشجار الزمان المثقلة بأثمارها منيرة عن شفاء
الأقاح . . وحررة الخجل قد خضبت حدود التفاح
والكثري ، وسالت قطرات من الشهد في ثمرات
التين ، وتأججت أنوار آذاهية في أفنان الزيتون ...
فاكمة شبيهة جنيية لا مقطوعة ولا ممنوعة شتاء
وصيفا ، يانة أبدا ، تداعبا أنفاس (زفير رب
الصبا فتشيع فيها النضج والجماء ، كلما قطفت يد من
جناها ثمرة نمت مكانها في الحال ثمرات ، فما تقل
آخر الدهر قطوفها وما تنقص

وخلال هذه الجنة المثمرة تمتد الكروم ذات
الأعناق والربط والمناقيذ من نور ، بعضها يهمر
فتقطر الخمر منه ، وبعضها يحف على سوته فيكون
زيبكا جنيكا . . ثم توشى أطراف الحديقة أحواض
من الزهر الشذب اللنسق ، وتنفجر في وسطها
عينان نضاختان ، يترقق الماء من إحداها كاللجين
في مساليل هذا الروض ، وتتدفق مياه الأخرى في
نهر صغير ينساب إلى المدينة من تحت عتبة القصر
فيرتوي الأهول منه

وشاركت في ولائنا ، وهي تبق على عبتنا ،
فلا تمس بأذى رجلاً منا يضرب في الأرض ، وليس
ما بيننا وبينها بأقل مما بينها وبين السيكلوس
أو المردة الجبابرة ، وفي ذلك تغارنا وهو آية مجدنا »
ونهض أوديسيوس الحكيم فقال : « غفرًا
غفرًا أيها الملك ! ما أنا في الآلهة ؟ أين لي
خلقي السوي ، وكيانها الساوي ؟ بل أنا شقي
من أبناء هذه القبراء ، أثقلت كاهله حولة هائلة من
الكوارث والآلام ، حتى لا يعرف الناس من شقي
شقاه ، ولا من تحمل مصائبه وأرزائه . . . بلابا
صبتها على رأسه الآلهة فصر وأبأ . . . أوه ! أبدأ
لا أنتهي إذا سردت لكم طرقًا يسير أمتها ! ولكن
لاداعي الآن . . أرجوكم . . أتوسل إليكم . . دعوني
أبتاع بهذه اللقاة في هذه المذبة الحاملة من الراحة
التي لم أنم بثقلها منذ بعيد . لشد ما يصرخ الجوع
في أذني الجوعان ، ولشد ما يمدح الطوى ! إنه يلبح
عليه بكل صنوف الألم ، حتى ينسيه آلامه وأشجانه .
إن له لشهية عالية الصخب تطلب المون في جوار
وجنون ، حتى ليضيع في ضيغها هتاف جميع الآلام
إلى أن تكتفي . فعوا أيها السادة ! إن أفتأ أضرع
إليكم أن تيسروا لي عوداً أحد ، وأوبة سالمة ، بمد
طول النماء ، والشقاء الذي ليس بمد شقاء ، إنه
لا أحب إلى من أن أودع الحياة بمد نظارة واحدة
أزودها من أهلي ووطني . »
وتأثر القوم من أجله فأنثوا عليه ، وانفتحت
آراؤهم على معاوته حتى يعود إلى بلاده وبلق ذويه
ثم نهضوا فصباو غمر الصلاة باسم الآلهة ، وشربوا
نخب رب النار ، ثم تفرقوا إلى منازلهم ، إلا
أوديسيوس ، فقد ظل جالساً ساهماً وأجماً ، كما ظل

جائماً هكذا في غبار الموقد وفي وهج النار ، وأن
تشر أضيافك ينتظرون أمرك . . . وما تكلم
منهم أحداً ! إلا نخذ بيد القريب وأقمده مقعد
الندي ، وصر الندمان يسقه من كأس جوف كبير
الآلهة ^(١) ، وحبيب القرباء وذوي الحاجات ،
والنادل يهيء له عشاء مما تبق من ولية الليلة »
وما كاد الأمير يفرغ من قائه ، حتى أنهض
الملك أوديسيوس وأجلسه على كرسى نغم جانب
ولده الحبيب الحكيم لاداماس . . . ثم أقبلت
إحدى وصيفات القصر فصبت الماء على يديه من
أبريق فضي ، ثم أحضرت مائدة حافلة بأشهى
الأكل وأطيب اللذائذ والأشربة ، فأكل
أديسبوس وارتوى ، وأمر الملك كبير الشقاة
پوتونوس ، فزج الراح وقدها إلى الجميع حيث
صبوها مقدمة لجوف رب الصواعق وكبير الآلهة ،
وحبيب القرباء ، وحاي ذوي الحاجات ، ثم شربوا
بعد ذلك حتى رواء

وقال الملك : « أيها الرؤساء والشيوخ
النياشيون كلّة عفو الخاطر ، فاسموا وعوا . . .
لقد طعمتم جميعاً وستتفرقون إلى مضاجعكم ،
ثم تجتمع عند مطلع الفجر نحن ، ومن لم يحضر من
نواب الأمة الأجلاء ، فننظر في شأن هذا اللاجئ
القريب . ، بمد أن نضحي للآلهة . . . إنه يطلب
أن يمد في حمايتنا إلى وطنه كيما يصل سالماً
غانماً من غير أن يمس أذى ، إلا أن تكون ريات
الأقدار قد قصت عليه أمراً ، وإلا أن يكون من
أرباب السماء الخالدين . . . لقد وصلت بيننا وبين
الآلهة وشائج القربى ، وطالما غشيت بحالنا
(١) في الأمل (رب الصواعق)

والآكال ؟ ثم أرسلت بين يدي رجلاً رجاء ما انفكت تجرني في عباب من بعده عباب طيلة سبعة عشر يوماً ... وفي الثامن عشر لاحت قم جبالكم الشم تخفق قلبي فرحاً ... بيد أنه كان أملاً مُخْلِياً لم يطل أمده ... فقد أُنِي نيتون الجبار إلا أن يقف بسبيل ، وإلا أن يرسل رجلاً مفاكسة تثير الموج وتبهج الحج ، وتحرق ما التأم مني ومن فلكي الصغير — الذي كان كل أُملي .. ولم يدب من أن أ كافح الماء ، وأذرع اليَم بالسباحة ، حتى تصافرت الرمح والموج ، فقد قُذِيتُ إلى ساحلكم ذي التؤى .. ولم أحتمل صدمة الصخور ، فضجني السيل الراي إلى الأعماق كرة فائنة ... وشرعت أ كافح جمة أخرى ، حتى تفرقني موجة مزبدة في نهر وديع متطامن ... فسبحت إلى إحدى عدوتي ، واستقلت على الشاطئ خفق الأحشاء منهوك القوى ... وأقبل الليل فهاككت على نفسي إلى دغيلة مهدتها بمساليح وشيء من القش وفروع الشجر ، وغت ليلاً طويلاً ونحوه متعبة وظهيرة كلها نصّب وإعباء .. ثم أيقظني صيحات قرية مُرنة ، فاذا بكنتم الأميرة الحبيبة الحُشَّان في دروب من أثرابها يتلاهبان كرباث الأولب على رمال الشاطئ ... وجنوت تحت قدمها ، ومازلت بها أعماق شبها الفض يدموات مسمولات ، وأتير نحوه صباها الفينان أحتى أسرت لي بطعام شهى وخمر ممقنة ، وأشارت إلى منعطف فتوجهت إليه فنسلت ما على جسمي من خبث ، ثم منحتني هذا الصادر وذاك الدثار ...

تلك قصتي أسرها عن قلب عزون .. ما فيها أنارة من مين »

قال الملك : « لشد ما أخطأت بنيتي إذ لم تصحبك

الملك إلى جانبه سامعين واجبين ، والتدل فيما بين ذلك يجمعون أطباق المائدة وأكوابها ، حتى إذا فرغوا أخذت الملكة تتحدث إلى أوديسوس ، وقد لفت نظرها هذا الثوب الفضفاض الذي كان يلفه به : « والآن جادت نوبتي في التحدث إليك أبهذا القريب الكريم ، من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ وأنى لك هذا الصادر وذاك الدثار ؟ ألسنت قد قلت إنك غريب نازح أفلتكت المنيا في لجج البحر ؟ » وقال أوديسوس يجب أربنا :

« أبها الملكة ! قد لا أفرغ من الحديث إذا حاولت أن أسرد قصتي بمخافتها ! بل ليس أشق على من ذلك ، فقد كرتني الآلهة بكل أنواع المهوم وصنوف الآلام ، بيد أنني لم بمأساتي المزمدة في كلمات فأقول : « في أوجيجيا — إحدى الجزر القاصية التي لم تطأها قبلي قدم بشر ولم ينظر بها إلهة — تقيم عروس الماء الفتان — كليسو — البارة الزائمة الصناع ، ابنة أطلس الجبار التي قدر على أن أكون أول لاجئ إلى جزيرتها بمسد أن ساط جوف صواعقه على سفيني فشطرها وأغرق كل رجالي ، وطلقت أنا متشبثاً بالسارية ليالي وأياماً ، حتى دفتني المقادير في اللية العائشة إلى ساحل الجزيرة حيث آوتني كليسو الجميلة الرواة ، وأقعدتني من موة أكيدة وأطعمتني وأكرمت مئواي — ثم عرضت أن تهني الحياة الخالدة والشباب الأبدى ، لولا أنني تأيت ... ثم أفت عندها سبع سنوات لم يرقأ طواها دمي الذي نصضت به أنوابي وما خلعت على من دثار ... وفي الثامنة أرسل إليها جوف كبير الآلهة من بأمرها بإطلاق سراحى ، فأبحرت على رمث زودته بالأطياب والأذخار ، والأشريات

في غير عناء أو أعيا ، واستمر في سبب فخاري
بسفائتي وبحارتي الذين يذرعون البحار ويضربون
أكبادها حين يحسرون بك »
وشاع البشر في أسرار أوديسيوس ذي
التجارب فقال : « أيها الأب الخالد ! الله عمادك
الفر ! أجز يا مولاي يسر ذكرك في البلاد ، وألق
أهلي وأنشق نسمة من وطني »

وهكذا تشقق الحديث بينهما ...
ثم أمرت الملكة بعض وصيفات القصر
فأعدن فراشا وثيرا في الرواق ذي الأحمدية ،
وهيئة بوسائد من دمس ، وبثن فوقه الأرائك
والحشايا ، وعلقن الستائر والأسجاف ، ووضعن
البرانس ^(١) واللحف ... وكانت كل منهن تحمل
شعلة كبيرة تنوهج في جوانب القصر ... حتى إذا
فرغن من كل شيء ، دعون أوديسيوس في أدب
وطرف أن ينهض لينام ... وغفا بطل هيلاس ...
وأسلم عينيه لأحلام سعيدة

ونفض الملك والملكة لينعما بطيب المنام
(ينفع)
دمعني ضمنية

(١) البرنس معناه المرفوف عربى فصيح

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجة بلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثن ١٧ قرشا

إلى هنا في جملة حشمتها مادمت قد رجوتها في
ذلك أول الامر »

وقال أوديسيوس بحبيبه : « إنها لم تخجل أيها
الملك الكريم وما عليها من ملام . لقد كنتي في
مثل ذلك فأبيت لأني خفت أن يسوءك ذلك منها
ومنى ، ولأني أعلم أن الناس في كل مكان ظنانون
قوالون »

فقال الملك : « كلا أيها السيد ، إن صدرى
لا يحمل مثل ذلك القلب الترق ... إن الرصانة
والأناء أفضل ميزات الخلق الكريم ... فآله يا بني
إني لأوترك كوكلى ، وبودى لو قبلت فصهرت
إلى وتزوجت ابنتي ، وعشت معنا كواحد منا ...
وإني - إن رضيت - لقطعك الأظفار الشاسعة
وماحك المنزل الرطب . هذا وليس في فياشيا
كلها من يحسر أن يقسرك على شيء تأباه نفسك .
معاذ الله يا بني ... إن هذا إلا عرض ... مجرد
عرض منى لما أنسته فيك من نحو ورجاحة عقل
ونبل ... فان لم يرقك أن تفعل ، فإني معذ لك
أسباب عودتك غدا ، وستنام ملء عينيك بينما
يكون الفلك ينهب اليم ويعطوى العباب ، منسريا
فوق الموج بقوة الأذرع الفتية التي تعمل في
المجاديف حتى تصل الى وطنك سالما ظانما بل حتى
تصل الى أبعد منه ، ولو الى ما وراء أيوبيا أبعد
الجزائر منا ، حيث يحمل بمارتنا رومنتوس ^(١)
ذا الشعر الذهبي لزيارة تتيوس ^(٢) جبار الأرض ...
إنهم يحسرون به الى هذه الجزيرة ويمودون في يوم

(١) ابن زيوس من زوجته أوروبا وقاضى العدالة

في الدار الآخرة « هيدز » « جريز »

(٢) أحد حمره طارطاروس وينطق جسمه مساحة

تسعة أذنة (جريز)

كمصفور جريح. شفاء
الحب . إنني داخلته إلى
غرفتي

(تقول لنا بيتها)

أرماندا : هاتي حجابي .

باريس — (يوحشة)

لقد خيل إلى أني أرى

أبا الهول تكتنفه النجوم

وقصائد الانسانية كانت

تؤيسنا في بعض الأحيان

ولكنها تصبح أحسن دوتقا حين تمر على لسانك

الشادي ! وشكر آلك لأنك كنت في هذه اللحظات

القصيرة تفرنين شعرنا إلى أحلامنا !

إيزابيلا — (تبسم عنه مرسله إليه قبله)

لكي يصح تزيد الشر بدوق سليم يبنني تقبيل

القم الذي أخرجه

(تضي إيزابيلا ... وأرجاني يدنو من باريس)

أرجاني — لا تذهب ياسيدي ، فالدينة جناه

تريد أن تهنتك !

باريس — زهوك يبالغ في ذلك ؛ فليكن

ما تريد ... سأستقبلهم !

أرجاني — (يزهر)

اسمع كل هذه الأصوات !

باريس — (من غير أن يسي ما قاله أرجاني ، وقد

ملك عليه حلم وكآبة)

هل تكون قطعتي مجموعة صمقي المكتوب ؟

وهل أراي أودعت على الصفحة السرية فؤادي كله ؟

أرجاني — هل محصمهم ؟

(يقدم المحبون كالوج ، وفي المقدمة الأمير وصديق

للؤلؤ)

الأمير — شيء رائع !

سيرة أبا الهول

مسرحة شعرية في أربعة فصول

للكاتب الفرنسي برنيس رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداي

الفصل الرابع

بعد انقضاء عام على السرح الروماني حيث يصاد
تمثيل « أبا الهول » بد انتهاء التمثيل . في الزاوية
(أبو الهول من الورق) . من اليمن باريس بالقرب
من إيزابيلا وهي بزي أبا الهول . أرجاني يحدث
سانتيا ، والنهال منترون في كل مكان

المشهد الأول

باريس ، إيزابيلا ، سانتيا ، أرجاني ، الهال ،
المحبون والمصبات

أصوات الهال — ابتعدوا الستار

من الباب الحديدي

إيزابيلا — (لباريس وهي من السكابة للفتنة)

آه لو كنت تعرف ، بالرغم مما تدوقت من الألم ،

أية سعادة تفرني في إذاعة اسمك في هذه القاعة !

عندما سميت « اسمك » اختنق صوتي ، وأصبحت

شاحبة الوجه ، باهتة اللون . قلت : « قطعة باريس

إيجلانوا » ! لك — يا حبيبي — قد صفقوا وهتفوا

باريس — شكراً !

إيزابيلا — لقد أعدت إليك تاجك ، والقلمة

التي تمزقت هنا قد حلفت منتصرة وسط هتافهم

الصدق — وباعث على المحب !
(يماثله ثم يلمت إلى امرأة خلفه وبصوت منخفض)
ردى جدا
غيره — يملك الأفتدة
» — يهز القلوب
» — يتركها حائرة
» — يبعث فيها القوة
» — يزيد في حركتها
سانتيا — إنك لم تبلغ في حياتك مثل هذه
الركة البعيدة
غيره — في اليوم الذي تريد ستكرن عبقريا
صديق المؤلف — كانوا في الفصل الأول
جامدين ؟ وقد كنت أول هاتف لك . نعم ! لقد
سحت : أحسنت بصوت رنان من مقصورتى
باريس — إني مدين لك من غير شك
بظفري
امرأة — إن مروحتى تحطمت ، لم يبق منها
إلا جناح واحد !
غيرها — قد تمزق قفازى لكثرة التصفيق !
» — من حسنك أنك منعتها هنا زمنا
طويلا حتى تعرضها علينا آية كاملة
فتى — أنك لا أكبر شاعر عليها ، يرون !
أقول : يرون أودانى ...
باريس — لا تبأل ! لا يعرف « يرون »
إلا بعد مائة عام بعد موته . ليس المجد التأتلى على
جبين الأحياء إلا ضاناك لخلود الناس . إنك بعد
موتى تستطيع أن تحكم على
إرجانتي — (مرقا «باريس» برجل كهل متأق
يدعو معبده إلى المغزى :
الدوق دى ليجانو
الدوق — أنذكر — أيها الأستاذ — في

بالرما إحدى الأماسى الراقصة ؟
باريس — (يحاول أن يتذكر عبثا)
ربما ...
الدوق — إنك توحى إلى وسيلة السكتابة
باريس — ولكن ...
الدوق — كيف تنظمون الشعر ؟
باريس — نمدد على الأصابع
الدوق — نمد حتى الثانية عشرة ثم نبدأ
باريس — أنظم الشعر بينما ترقص الدوقة !
لقد قيل لى — والمهدة على الاشاعات — إن
الدوقة تحسن الرقص . إنها ترقص . وتستطيع
أن ترقص بينما ترقص أنت الشعر !
الدوق — لقد طرقتنى هذه الفكرة يوما أثناء
طوافى على البحيرة . أود أن أنظم مقطوعة ...
باريس — ومقطوعة ثانية ! وأين الدوقة
الآن ؟
الدوق — إنها رحلت ... ولماها في هذه
اللحظة زور هيركولانوم
(يعنى الدوق)
المعجبة — (تلقى بنفسها على باريس)
سيدى ! إنك ستكتب كلمة على مجموعة هذه
تجد فيها كلمة من الملاك الكبير ، وكلمتين من
الراقص الروسى . وكان يجب حتما أن أحظى بها ،
ولدى فكرة سطرها عضو فى الجمع العلمى
باريس — كنت إخال أنهم لا يفكرون فى
شئ ، فأوليت مجموعتك !
المعجبة — إليك قلبى !
باريس — بلى ! سأكتب ، ولكن من
أنت يا ذات العينين اللامتين ؟ إني أود أن أعرف
كيف يدعونك ؟ وما اسمك الصغير ؟
المعجبة — أنا المعجبة الحسنة أجلس فى الواقع

الصدق — وباعث على المحب !
(يماثله ثم يلمت إلى امرأة خلفه وبصوت منخفض)
ردى جدا
غيره — يملك الأفتدة
» — يهز القلوب
» — يتركها حائرة
» — يبعث فيها القوة
» — يزيد في حركتها
سانتيا — إنك لم تبلغ في حياتك مثل هذه
الركة البعيدة
غيره — في اليوم الذي تريد ستكرن عبقريا
صديق المؤلف — كانوا في الفصل الأول
جامدين ؟ وقد كنت أول هاتف لك . نعم ! لقد
سحت : أحسنت بصوت رنان من مقصورتى
باريس — إني مدين لك من غير شك
بظفري
امرأة — إن مروحتى تحطمت ، لم يبق منها
إلا جناح واحد !
غيرها — قد تمزق قفازى لكثرة التصفيق !
» — من حسنك أنك منعتها هنا زمنا
طويلا حتى تعرضها علينا آية كاملة
فتى — أنك لا أكبر شاعر عليها ، يرون !
أقول : يرون أودانى ...
باريس — لا تبأل ! لا يعرف « يرون »
إلا بعد مائة عام بعد موته . ليس المجد التأتلى على
جبين الأحياء إلا ضاناك لخلود الناس . إنك بعد
موتى تستطيع أن تحكم على
إرجانتي — (مرقا «باريس» برجل كهل متأق
يدعو معبده إلى المغزى :
الدوق دى ليجانو
الدوق — أنذكر — أيها الأستاذ — في

اليوم — ثرأ لا شعرًا
النيور — ما هذا؟ الجان ، الجان ؟ وما تريد
هو البساطة

غيره — شعر ليس له روح الشعر .
النيور — موسيقى ليس لها تأثير في أنفسنا !
أهذا شعر يصفق له ؟ إن هذا شيء عجيب ! حدثني
عن « ساندور » مثلاً ، فهو شاعر ، قد يمكن أنه
لا يفهم ولكن موسيقاه مؤلفة من ألحان متطابقة
الأمير — (كتبتاهل)

ومن هو ساندور ؟
النيور — هذا هو في الحقيقة إنسان ! ومن
يتلو شعره يا عزيزي لا يذكر بيتاً منه . وهنا
يظهر سره ! ذاك شيء غريب ، إن بيتاً واحداً
يبقى شهيراً
الأمير — ولكن هنالك مجموعة شهيرة ، وأنا
أحب اللثاني

الحسود — نعم أعلم ذلك ، ولكننا إذا فكرنا
قليلاً نراها ليست على شيء . قلم ... وسكون ...
وساعة عمل ، أعطيك فيها مئة بيت على طرازها .
القانون سهل والأسلوب جميل . والبيت من الشعر
لا يحسب بيتاً إلا إذا خطر بمخاضين
الأمير — ألا ترى ؟ إن بي ضعفاً عن محبة
البيت الممنح !

بلى ! برغم « ساندور » وبرغم جميع الذين
روون أن الفصيدة ليست خفة قلب ، ولكنهم مأساة
يمكن حذفها كحذف الطهي ، إنه يبدو نفساً مخترقاً !
لأنني أحب الأبيات الممنحة على أن تطير !
الحسود — ولكن لا شيء أسهل من ذلك
ولا أقل نصباً

الأمير — وإذا كان الأمر سهلاً بهذا المقدار
فأنت به !

الأولى مسترسلة لأحلامي ، أنظم وشاحي من القطع
التي أحملها ، إلى جملة وذكية الفؤاد أيضاً ! لماذا
تريد أن أقول لك « أسيا » ستفسد عند ما يجتنب
النفس فلائده الهلالية . وكأنه يريد أن يظل وردي
اللون ... !

أما المعجبة الحسناء !
(تنحب)
ارجانتي — (يقدم لباريس رجلاً ينضح بالدم)
أرجوك الانصات له !
باريس — من هو ؟
ارجانتي — مدير مسرح أنجليزى شهير ود
أن يمثل « أبا الهول » في مواطن شكسبير
المدير — متى تشاء أن أتكلم معك ؟
(تتلاشى تيمة المحادثة إذ يصعدون ، والخرجون
والآخرون يتناقشون بصراحة
المعجبة — لم ينظم في حياته أوسع ولا أنم
من هذا ؟

امرأة — (مقبة على فريق)
لأنني أوتر قطعت التي كان يحملها « فوسين »
زميل — إن ظهور « أبي الهول » سخييف !
كاتب — هذه ليست بقطعة ، إذ ليس لها
إلا مؤلف واحد !
الأمير — (بخبرة) .

ما تصنع أنت ؟
الكاتب — معين !
أصوات — وهل يتكلم هكذا أبو الهول في
في المساء الأخضر ؟
أصوات أخرى — فيها كثير من الأبيات
الجميلة ، كثير من الأبيات الرائعة !

ارجانتي — (لباريس)
يجب أن تكون سعيداً !
شامت حسود — إن للروح الفئائي أصبح —

ارجانتى - عفواً !

باريس - لماذا أنا لست هناك ؟ هناك فى تلك البقعة أمام النيسل ؟ وعلى جوانب الصحراء حيث تتأبل ظلال النخيل الأزرق منذ آلاف الأعوام ، وحيث ربحى النساء ظله على حفافى الرمل المتورد ، فيبدو الراعى شاعراً وإن لم يفه بشعر

هناك ! يا ارجانتى يجب أن نحيا والحب يشمرنا

ارجانتى - (وقد تفض عنه الأخيلة)

لقد كانت القاعة طالحة بالناس

باريس - ولكنها الآن فارغة ، إن كانتا واحداً إذا أغضض جفنيه ترك الوجود فارغاً !
(ينظر إلى الظلة ، والقاعة الفارغة)

بلى ! القاعة فارغة ، لأننى لم أستطع أن أصافح يدي يد مارسيلوس ، لأنه هلك هناك !
ارجانتى - ولم تفكر فيه من دون انتهاء ؟
باريس - لقد وعدته بأن أعمل !

قال لى : « إذا هلكك قبلك ؟ وإذا قُدر - على عكس الدستور - للأكثر فتوة بأن يقودك إلى هذا السرب المظلم قاعمل ... » إنك ترى يا أخى - أعمل ، وقلبي يجيب على ذلك السر الأعظم الذى أذاقك حزنك ...

ولكن هل لاحظت شيئاً غريباً ؟

ارجانتى - لا !

باريس - فى هذه الظلة التى تستقر فيها نظرك ، وفي هذه القاعة القاعة التى لا أبصر فيها شيئاً ، يحيل إلى أن نظرة قديعة تتبصر ! ألا ترى ملازم لى يدخل فى نفسى ويشارمنى ! إلى - منذ عام - أراه يقتنى أثرى ، وبسطاً موضع قدمي !

ألم يبق أبو الهول هناك ؟ فلماذا هذه الصورة تطوف حولي بدون انتهاء ، تؤلمني وتريد صدرى حرجاً ؟ كائنى معندٍ مزقت خوذته النحاسية

(يعنى باريس وخلفه ارجانتى ، والجميع يهتفون للرة الأخيرة)

باريس - (شاعراً برباه البعض)

كثيرة هى الأكف التى تمتد للمصافحة

ارجانتى - الفوز !

باريس - على أن كثيراً من هذه الأكف

تقتح جراحا

المدعوون - أيها السيد !

باريس - (ضافطاً على يد ارجانتى)

عفواً يا ارجانتى ! أفهم نفسى. إن الأيام التى تفتقر

فيها الى كل هذه الأكف المدودة ، وإلى كل هذه

الضجة المانقة ، لا ترى منها أحداً عند النائبات

فى هذا المساء ما عسى أن يصنع لنا هؤلاء

الخائفون ؟ إننا فى أيام الشقاء نحتاج الى أصدقاء

(يتحدث مع سانتيا القاحلة)

أذاهية ؟

سانتيا - (مع صديقتين لها)

عد معنا !

باريس - إننى أنتظر ايزابيلا

سانتيا - إلى القد ...

باريس - (متناولاً باقة زهر كان قد أخذها من

إحدى المصبات)

تناولى هذه الأزهار ، ووصى بأزهارها صورة

أخيك . يجب أن تقملى لأن الصور هى قبورها

الحقيقية

سانتيا - شكرأ

باريس - إن الأموات الذين لا ينسام أحد

هم الأحياء المجهولون الذين ينفقون فوقنا

(باريس وحده مع ارجانتى على المسرح التارخ)

ارجانتى ، ارجانتى ! لماذا أنا لست هناك ؟

وكيف استطعت أن أعود إلى أوروبا بعد ما وطلت

قدمائى الصحراء

ونفبتُ عنه القرون التي تدود عنه ، وسفمتُ
بناصية ملك الصحراء ! ...

(تبدو إزاييلا ، وقد خلعت رداء أبي الهول ، تخال
في ثوب دقيق يوهج بدنها تحت ... تدو منه بيده ... وهي
ليست إلا عاشقة عصرية تقرب من عاشقها)

المشهد الثاني

إزاييلا ، باريس ، ارجاني

إزاييلا - يا له من ظفر ! يا له من مساء !
إنك لم تقدم إلى مقصودي لتراني ! ولا تزال تخطر
هنا !

باريس - إزاييلا

إزاييلا - أسمع إلى ... أحس قلبي يدق هذا
المساء دقا عنيقا ، يخيل لي أن وجودي كله يهتز
ها إن أيبانك استعالت طيوراً ضخمة مشتعلة
تخفق على صدرى المارى ، لقد رددت على
رقة جنائى !

باريس - (رايأ إليها)

أيها الحبيبة : يا حبيبة لحي ودى ! يا خالقة
عبريقى ! هو كذلك

إزاييلا - هل تحس أية غبطة منيرة ، بهذه
المودة التي تجل عن الوصف للآلهة ؟ في كان ذلك ؛
وأنا السبب المؤثر . أنا أسى ملك للوصول إلى
فوزك الباهر ! إن عشيقه شاعر ، وأمة نظمه
وطرقه ، تود في وقت واحد أن تكون خليلته التي
يصطفها ، ومبدعة عبقريته التي توحى إليه ؛ وإنها
لتكون الأقوى نفوذاً تقتطف الانتصار بمد
الانتصار كالأزهار
(تضمه إليها)

تمال ! فلندخل مثنوا ! فالجد آب إليك في
جهاد يوم واحد . هذه الساعة ساعة الحب ،
وسريتنا الفسح العميق ينادينا ... تمال ثم يجاني
حتى الفجر

باريس - إزاييلا ...

إزاييلا - أحبك حين تنفؤ ، منهوك ،
مثلاً ، على ذراعى كما ينفؤ الطفل الوديع عروفي
بعض النظرات أنيقظ ، فأرى وجهك الساكن
يطفو عليه الرقاد . إنك لا تدري أى ظفر يمدوني
حين أراك هكذا ؛ لاشئ عندك ! والجاهير التي
تمسك أفردتك وحدك . تستطيع أن تنام هادى
الاعماص ، حراً مجهولاً ، متأزماً من الضعف ، بوجه
فتى خفى كوجوه أولئك المجهين حين يتمضمون العيون

باريس - إزاييلا !

إزاييلا - (يشفق)

إن عينيك المطبقين هما كالنجم الذي أشرق
على ضفة مشهد ! إننى لأخشاك حين تكون عيناك
تممضتين ! فظفرك الخاطرة التي قد تكون غاضبة
وجيلة في الوقت ذاته تتواردى تحت جلابيب الليل
التي تكلف من ظلمة الألوان ، وانطباقي الأجناف .
أرأى أكثر الناس تعلقاً واختلاطاً بك ! أتلقن
منك الأسرار المجهولة حيناً تطوق ذراعى الباريتان
رأسك ! هي لا تعلم شيئاً من لم تبصر حبها وتعامل
فيه وهو قائم مطبق جفنيه ، ومن لم تمدد انتفتح
- خلال رقاده النهوك - عينيه بقبها

باريس - إزاييلا !

إزاييلا - غداً ، عندما الفجر الجديد البازغ
على سرير الحب يفتح عيوننا ! تناو بذهول الصحف
التي تتحدث عن أكاليل النار التي حظيت بها هذه
الليلة ! كم تبدولنا انتقادات هؤلاء ضعيفة واهية
قبل أن تراها ، وأنت وحدك المنتصر !

باريس - إزاييلا ...

إزاييلا - باريس ! إن مصر قد دخلت في
النسيان ! مدينتك التي صفقت لك وهتفت هتاف
الاعجاب هي قرينتى ! مجدك وسعادتك يتركان لي

إزاييلا — استقبله ، فهذه ساعة الرحمة قد دنت ! حيث الشاعر للحارب الحنون ، إذا اقتطف أ كاليل النار أخذ يستنشقها . إني عائدة .
(تنطق إزاييلا وارجاني)

المشهد الثالث

باريس ، الصحافي ، والمال
الصحافي — أريد أن أسألك يا سيدي عن
شمورك وعما أثر فيك مشهد هذا المساء ؟
باريس — (بوقاحة)

كنت أظن يا سيدي أنك جئت قبل الوقت ،
ولكنك الآن جئت بعده ...
الصحافي — هذه بعد الأولى ، ولكنه كان
مساء غريباً رائعا ، والجاهل يريد أن تعرف عند
يقظنا ما أوحى إليك هذا الفوز
باريس — حقاً !

الصحافي — (يحاول أن يكتب بقلم صغير)
ستقول لي أليس كذلك ؟ ماذا أحسست إذ
انتصرت ؟ وحين ألقيت المسرح يتأوج لنفانك ؟
أين كنت أيها المعلم متوارداً عنا ؟
باريس — لم أكن في مكان ؟ كنت أودخ
مع المال

الصحافي — أي شعور عراك ؟
باريس — كنت كثيرًا
الصحافي — أ كنت كثيرًا حين هزتنا
نتمتلك ؟ ثم تكتئب ؟

باريس — أ كتئب لأنني وجدت أنها لم تبلغ
ما أردت ؟ أ كتئب لأنني أرى كل شيء على الأرض
حيًا ومجدًا وانتصارًا ، وأنها ليست بشيء منها
الصحافي — لا يمكنني أن أرى ذلك !
باريس — كل ما تخيله يسحر حالًا ، والمأساة

حق ذلك : لقد انهزم الآلهة الجحري من الأفق
باريس — لم تكلمين بهذه اللغة ؟ لم
تذكرينه في ؟

إزاييلا — (تفيض عليه)
لأنني أعبدك ، ولأن الليل جميل بهي ! لأن
خصائل شعورك تمجيني مرحة على عنقك . ولأن
قلبي يدق فيملاء الفراغ ؛ ولأنني أصبحت ولا أخشى
منافسا !

ضمني إلى قلبك ، ضمنى شديداً !
انظر ! ها هو المسرح لا يزال يخفق لفوزك
الغني . أنا لأحب فيك مجرد عبقريتك الممزجة
علي ، ولكني أحبك أنت يا باريس ! أحب عينيك
الفكرتين الملتصقتين في اللانهاية ، يسكن فيهما الدمع
تحت قبلاقي . ومن كل حياتك التي لا تخمد ،
وعبقريتك الساطعة أحب فك

باريس — إزاييلا !
إزاييلا — أنا عائلة أنك ستذهب يوماً عني !
قال رجل يقضي الحياة عاملاً على الفرار من بين أذرعتنا !
(يتماثلان)

تأمل ... فلا تزال عينك تفر من قلبي !
آه ! إن أطول قبة في العالم تنتهي سريعاً !
هناك إنسان ...
(يدنو إنسان مع ارجاني)
ارجاني — (ميسماً باريس)

هذا صحافي يطلب زيارتك للمرة الثانية بعد
أن صرفناه مرتين
باريس — من أين ؟

ارجاني — من صحيفة « المأساة »
باريس — لا أكن أستقبله ، ولا أريده أن أرى
أحداً !

المشهد الرابع

— باريس واقفا أمام أبي الهول —

باريس — ما أنت إلا من ورق شاحب اللون
بعيداً جداً عن مصر ، وبعيداً عن الشهد الذي
يخلق الاضطراب . ولكن عند ما أقف وحدي
بجانبك في السماء ، يجيل إلى أنني واقف أمام أبي الهول
الحقيقي ... أبي الهول المصري الذي يستمر
لأفكاره تحت إكليله المرصع بالجوم دون أن يبالي
بأرزائنا !

هأنذا قد قهرتك أيها الوحش الصامت !

إنني أحيأ ... أنظر إلى ...

إن الذين ماتوا هم كل الذين وقفوا على أسرارك
المظيمة ... ولكنك كلتي ! وها أنا أحيأ على
الأرض ، وإنني أكاد أرى هنية مارسيلوس
لا فظاً أنفاسه ، ماداً ذراعيه نحوي ، تتألق على
وجهه الأسمر شعلات الموت ممزجة بأشعة القمر
أميت مارسيلوس ؟ لا ! ولكنه فني على
إنك لتحبني بأخي الميت في أخيك الحي ! صوتي
يرجع إلى صوتك الخالد ، وأسمع في قلمي أقوى
قلبك الحزين يخفق

(يصبح فريسة للاضطرابات)

ولكن لم هذا الفراغ ؟ وهذا التأثير ؟ هانا
وحدي معه وهو وحده معي . نحن وحدنا كما كنا
من قبل . إنني أسمع هزيم الريح بين أشجار النخيل
في السهول التي لا يخترقها سبيل

بلى ! هذا هو ذات الأريج ، إن الانسان

— يوم بدأ يتألم — وحينها نزل يحمل معه صحراؤه

ريح مصر الباردة تهب عنيفة ...

لا لا : أنا لا أستطيع أن أبقى بدون (إيزابيلا)

لا أستطيع .. إيزابيلا ... إنها لا تسمع تدائي ...

ليست كبيرة إلا في أعماق قلوبنا

الصحافي — لماذا لم تطل على الناس عين
قطعوا الأكف تصفيقاً ؟

باريس — وما صنئ عندم ؟

الصحافي — تحييمهم ، وترى شعباً يعوج إعجاباً
بك . ولماذا لم تنجي حين تصاعد هديرهم

باريس — لأنهم كانوا أكثر !

الصحافي — ولكن جيمهم يحبونك

باريس — أتحال ذلك ؟

الصحافي — أننى أؤمن ...

باريس — أما الأسود فأنهم يصطفون لها حين
تفترس صربها . وإذا كان المرنى هو الذي سيسيطر
على ملوك الصحراء فالشعب يصبح خجلاً ! أريد
منا أن نزعج أنفسنا للذين يأتون لينظروا إذا كنا
أكلنا ؟

الصحافي — ولكن ألا تستثنى أحداً ؟

باريس — أجل ! بعض نفوس صافية يقودها
حب الجبال وحده إلى النور . ولكن هذه النفوس
تفضل — بغير أمل — أن تهتف للشاعر دون
أن تراه

الصحافي — أهذا كل شيء ؟

باريس — هذا كل شيء !

الصحافي — أهذا كل ما يوحى اليك مثل
هذا المساء ؟ أما عندك شيء آخر لنقوله ؟

باريس — لا شيء !

الصحافي — مالي إذن إلا أن أنصرف !

باريس — نعم ! هذا هو كل شيء .

(يذهب هذا الصحافي مضطرباً والعمال يهيمون بتعطيم
أبي الهول)

لا ! لا تمسوه ! دعوني وحدي معه : وحدي ..

السماء قد احترقت جناحي الماطلين . أنا لم
أسعد الى الأعلى ، أنا لا أدري شيئاً . لست إلا
كائنات أرضياً مثلك . وإزاء « أبي الهول » نفسه
« أبو الهول » جديدي يبدأ . فالأرض تقول
« الفناء » والسماء تمطى القضاء

باريس — لا لا ! إنك سلبتني سرايتلني بي .
إنني لن أموت هناك ! سأحيا ! لست واحداً من
أولئك الذين يجب عذابهم
أبو الهول — إنني تبينت وجهك حين تكلمت
ولمحت مستقبلك وقتوتك وموابعك ...
(باريس سائحا من الألم)

ولكن مارسيلوس لأى سبب انتزعته !
أبو الهول — (يد صمت عيني)

عفواً ! لكوني حطمت قلباً في زهو الحياة .
إن « مارسيلوس » السلوب « بيت من « شعر
فرجيل » لم يدفعه الى الموت إلا سبب قدمي . إنني
بقتلي إياه قد آثرته على غيره . وقد أكون أحسنت
في إجابة رغبة كليكا بإعطائه الموت وإبقائك في عالم الحياة
أذكر أيضاً يا باريس ! لقاءنا تحت الأفق !
فليمترج مع كل حب عنيف فيك أثر غيالي الغريب
عنك . إننا لن تتلاقى . ينحلي إلى أن كواكب مصر
وسماء تدعوني إليها . ولكن ، على الأقل ، تبصر
عينك هنا نظري الزمردى ، ولحدي الحجرى
الوداع ...

(تتوارى الصبراء وأبو الهول ، وتظهر إزيابلا ،
وتقع على باريس ... وباريس يبتقيظ كن أزجه حلم)
باريس — إزيابلا ! أعطيني عينيك ، فك أيضاً !
تمالي ... لنمض في موكب الحياة ...

إزيابلا — الحب وحده هو قاهر الموت ...
(يذهبان متماهين)

— الستار —

(تمت الرواية)

كم يبتنا من الأبداد ؟ ... ولسكن ما أدنى
هذا الظلام الذي لا يُرد !

كفى ... دعني أحيأ هكذا يا إله الألم !

صوت أبي الهول — تماؤوا ...

باريس — الصوت ذاته دائماً ...

أبو الهول — تماؤوا ...

باريس — النداء ذاته ، ومع هذا أراي وحيداً
هنا ... لا أريد أن أسمع تداءك أيها الرسول اللعين

أبو الهول — لم أقل الحقيقة إلا له

باريس — كذب واقتراء . كلامك ليس
حقاً ، ولا يمكن أن يكون حقاً

أبو الهول — باريس ! إن مارسيلوس وحده
هو الذي أدرك السر

باريس — النجدة ... أغيثوني !

يتلاشى المشهد للثلاثون والمسرح ... لا شيء . إلا
الصبراء وأبو الهول

المشهد الخامس

أبو الهول . باريس . إزيابلا

أبو الهول — قضى مارسيلوس زهرة مضطربة
وبما أن الحقيقة كانت تقتل فأنا قد أبديتها !

باريس — أبو الهول

أبو الهول — إنك لن تغلب على رسالتى التى
هى الموت . ما أنت إلا جاهل لأنك لا تزال تحيا !

وربما كنت حين حملت أسراي الى مارسيلوس
قبل صرعه ، ربما كنت تخدوعاً

سرى ! وما هو هذا السر الأكبر ؟ أنا وجدت
ولست بآله . إنني غصت كل الزهو الانسانى ،

حتى إذا تأملت فيه لم أجد إلا التراب !

باريس — ماذا تقول !

أبو الهول — إلا للتراب ... هناك الأفق ،
الأمل المجنون ، وقد يكون الأمل على حق . لا أرى

إلا التراب والموت



سید علی
میرزا

الرباطية

مجلة لجمعية الثقافة والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على مدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بأفكار عميقة روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البهود المصرية

الرسالة : تصور مظاهر الحضارة لثقافة مصر

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب المصرية

الرسالة : تقي في النفس أساليب النهضة المصرية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك المأخوذ سنون فرسًا ، والمطبعة في مصر ، أو للبلاد العربية بمصر ٢٠٪

طبع بالمطبعة الرحمانية بمطبع الخرافة رقم ٢٥ - تلفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

جاءل الشترلك عن سته
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في المالك الأخرى
١ ممن العدد الواحد

ادواره
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتة المحضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الحرورية

مجلة اسبوعية للقصص والبرائح

نصدر مؤتاني أول كل شهر وفي نصفه

العدد العاشر ٦ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ — ١٥ يونيه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



فهرس العدد

صفحة

٥٨٦	أكسوس ومكريا	... أسطورة إفريقية ..	يقلم أحمد حسن الزيات
٥٩٣	السال	... أفصوصة فرنسية ...	يقلم الأستاذ ابن عبد الملك
٥٩٧	يوميات نائب في الأرياف	... صور مصرية ...	يقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٦٠٣	الزوجة	... لواشجنطون ارفنج ...	يقلم الأدب حسين محمد كامل
٦٠٨	المريض	... أفصوصة مصرية ...	يقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٦١٦	وتفضلوا بقبول احتراي	... لالتيكوف ...	يقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار
٦٢٠	جزاء الاجتهاد	... لرتشارد جازنت ...	يقلم الأستاذ عبد الحيد حدى
٦٢٦	التراع القابلة	... لتوماس هاردى ...	يقلم نظى خليل
٦٣٣	اعترافات نقي الصر	... لآلفريد دى موسيه ...	يقلم الأستاذ فليكس فارس
٦٤١	الأوذيسة	... لهوميروس ...	يقلم الأستاذ دري خشبة

ألمتها عن مصدر هذه
الحرب

ودلفي كاتملين^(١)
مدينة مقدسة تقيض
جوانبها بالمعجائب ،
والناس يمرون عليها
ومعهم ممرضون ،
وأنا كأولئك الناس

أسطورة عريقة تمثل الفضيلة والشجاعة

ألكسندر الأكبر

لشاعر الفرسى بهجته سيبى مورر
معلم الأستاذ محمد حسن الزيات

في ذات يوم لا أذكر من تاريخه إلا أنه كان
لعمامتين من مونت هرقليس ، كانت مدينة (دلفي)
تموج بالناس وتمج بالضوضاء وترخ بالفتوة . كان
ذلك اليوم آخر أيام الألعاب الفيتونية ؛ ومن أعجب
الأشياء أن الصراع والسباق كانا يجريان على غير
مشهد من أحد ، والرياضيين والسواقين كانوا
ينتصرون على غير علم من إنسان ، حتى قيل إن
الشاعر سيمندس كان ينشد رائع الشعر في الفرس
الجميل ولا يستمع إليه يومئذ إلا بطله ؛ ذلك لأن
كلمة واحدة طار بها السباع فطارت بالقوم من
ميدان اللعب إلى مبدأ أبولون :

« هام أولاء أبناء هرقليس ؛ هام أولاء
أبناء هرقليس ! »
ومن في الناس لا يضحي بمقعد في اللعب
ليرى أبناء هرقليس سيد أبطال الأغريق ؟ وكانت
أثينا منذ شهر قد استيقظت ذات صباح فوجدت
هؤلاء الأبناء مخلوعين مضطهدين مشردين
يتهافون في الساحة السامة على مذبح الرمة
فثارت بها الحفيظة لشكواهم ، وبرزت فيها القلوب
والسيوف بلواهم ، ثم بثت بهم في هذا اليوم
على رأس السفارة المقدسة إلى دلفي يستنبثون

كان الشعور الذي استولى على الأغريق لدى
رؤيتهم أولئك الأبطال يترجم عنه هذا الارتفاع
الأجاعي الصاحب : « يا للآلهة الخالدين ! ما أوفى
القوام وما أصلب المضل ! » وكان في الجمع شيخ
سيط المظالم ، تحسبه وفي يده عصا الذهبية وعلى
جبينه عصا البهضاء ، ملكا من ملوك الأغريق
المشرين ، مال على كاهن من كهنة أبولون ، وهو يجتاز
المبدأ حاملا مبخرة من مبخار المطووع وقال له في
صوت خافت :

— لقد عرفت هرقليس وزوجه ديجانير
حق المعرفة ، فأعرفت لهما غير ثلاثة بنين ؛
فإن إذن هذه العذراء اللتقية التي تجلس مع

(١) بوجه الكاتب الحديث إلى صاحبه التي دعاها
أخته ، وكتب إليها طائفة من الألاميس عنوانها (أفاميس
إلى أختي) Contes à ma soeur وهذه إحداها

قسمتها طبيعة الأرض ومطامع الناس إلى عشرين دولة صغيرة ، يتضارب أسيادها البسيد من شدة الزحام بالرافق والمناكب . وكان الرف المفاوح في الأمم القديمة أن يقتتل الناس رجلاً لرجل ، وجسماً لجسم ، فجمعوا قوة البدن جناع القوى وملاك الفضيلة ؛ وكانوا يتوسمون غايل الكفاية والفضل في قبضة اليد وقوة الكتف ، كما تتوسمها نحن اليوم في أسرار الجبهة ولحمت العين ؛ وحسبك أن هرقليس رمز القوة ومثالها كان إلهاً .

تأخر ظهور الكاهنة الوسيطة التي يتكلم بلسانها الآلهة (La Pythie) ولكن أحداً لم يسمع هنين السأم ، ولم يلمح عبوس الانتظار ، لأن الجمهور كان يجد فيها يرى غذاء لفضوله وريراً لشوقه ؛ كان يرى هيلوس بكر هرقليس وأكبر الأخوة ، وهو عارب عملاق عاري الذراعين مجدول المضلات مطهم الوجه ، فيجده وعلى منكبيه جلد الأسد ، وفي يده المراوة المقداء ، أشبه بأية من الآلهة باليلة . ثم يرى أنتينور وهو سوغ^(١) هيلوس وأدق منه ملامح وأرشق منه قامة . كان يتشع بقداسته الجديدة ، ويتسم لشباب الأغريق ، ومنغراه منفوخان يتنسمان عبر الإعجاب في نشوة ولذة . وعلى الجلة كان الآلهة أنتينور شديد الخلاء والصاف ؛ أما أخوها (إبيسطل) فكان لا يشبههما في شيء غير القوة والشهامة . كان وجوده في هذا العصر وفي هذا العصر خطأ صارخاً في تقويم الزمن . وأعجب شيء فيه أنه كان أشقر الشعر ساهم الوجه متقبض الزاج ، وانقباض الزاج عاطفة عصرية

أبناء هرقليس على مقعد واحد ؟

— كلامك يا أبي الحق لا مبرية فيه ، فليس لهرقليس من ديجانير غير ثلاثة بنين ، ولكن له من زوجته الأخيرة (يول)

— فقاطمه الشيخ قائلاً : صحيح ! ثم ضرب على جبينه بأصبعه علامة التذكر وقال : لقد روى لي (فيلوكتيت) هذا الحديث عشرين مرة ؛ ولكن قرنين من الزمان يدوران على الرأس لا بد أن يضمضاً فيه الذكرة ! نعم أذكر الآن أن هذا الزواج أعقب بنتاً . . . فارتفع من وراء الشيخ صوت ندى عذب بهذه الجلة :

— بنتاً وابناً يا أبي

فالتفت الشيخ فرأى يافماً صاحب اللون هش المطام في زى أهل الأرجوليد يردد في احتشام وخجل :

— بنتاً وابناً وهما إكسوس ومكريا

فقبس الشيخ ضاحكاً من الغلام ، وقال للكاهن : أنظر ! في (ييلوس) يهتف الناس بملى ، وفي (أرجوس) يرسلون إلى تلاميذهم ليملؤني . . .

ثم قال للغلام : من الذي أنباك هذا يا بني ؟ وماذا تسمى ؟ ولكن الفتى لم يتحمل ملاطفة نسطور (وهو الشيخ) فأقلت منه وغاب في زجة الناس دون أن يجيب

وكان ذلك الحفاف لا يزال يدوي في الفضاء لا يمتريه فتور ولا يناله تغير :

« يا لآلهة الخالدين ! ما أوفى القوام وما أصاب المضل ! » ولما كنت تمجيب لهذا الطراء ، وتحمليته على حمل الاستهزاء ، ولكنك تذكرين أننا في بلاد

(١) يقال : هو سوغ أخيه وسينه إذا ولد بعده وليس بينها ولد ، وهو بالفرنسية (Puiné)

وعندئذ اضطربت النبية المذبة في النصبة اضطراب
الديسج ، فغثمت الأصوات وأسنى القوم
بدأت الكاهنة أمرها بالتهيق ، ثم اتبعت
بمقاطع من الأئين والضراعة ، ثم انتهت إلى كلمات
ذاهلة لا تسفر عن معنى ، ثم تكلم الآله بلسانها
فقال :

« إن (منيرفا) ستقاتل ... وعلى خوذتها
الآلهية ستصبح البومة : « إني عطشى » ويذهب
جهدها باطلاً

تدعو مينرفا إلهة النصر
والآلهة النصر أختها فلا تتخذها ...
إني أسمعها وهي قادمة تثرأجنتها في الهواء ...
ولكن البومة تصيح : إني عطشى ، وأريد
أن أرتوى بالدماء ...

إن أرجوس تنتظر ملوكها لتؤلفهم :
اضطربى ويمدى بأرجوس : إن البومة في
طيرانها السفاح تحوم في الجوى باحثة عن جبهة
تقية تضجها .
إنها تحوم وتحوم ثم تقع على ... ولد من أولاد
هرقليس »

وفي هذه الساعة الرهيبية المصيبة على أبناء
هرقليس ، لم يكن في المبدى ملك نفسه وضبط
حسه غير أبناء هرقليس :
على أن الكاهنة لم تكذب تمسك عن الكلام
حتى صاح بها هيلوس :

— عيشى الضحية بالامم

ولكنها كانت تنساق من الضعف على درج
النصبة ولم يبق منها إلا رمق . فقال كبير الكهنة :

مسيحية . ثم كان يرجع من المارك الدامية الشعواء
إلى الدار عذب الروح حيي الطبع ، كأنه أحد
أولئك المماربين الشقر من أهل الشمال : يصرعون
المردة والأغوال ، ثم يطأطئون الهام ويحرمون
الكلام أمام عصا ساحرة صغيرة . كان وهو يتحسر
على عرش (أرجوس) كأنما يأسى على شيء أعز
عليه من عرش : قال أين إذن كانت تصعد زفراته
وتتبخر دموعه ؟ إلى بيت صديق ، أم إلى قبر أم ؟
علم ذلك عند الله : فإن سره لم يسافر عن ضميره
إلى أحد ، حتى أخته الفتاة مكربيا ، وهي أمانة
سر الأميرة لم يفض إليها بذات صدره . وكانت
مكربيا جالسة إلى جانبه تصلى ...

عفواً يا أختاه (١) لقد شفت بالأبطال عن
العدراء ، ولكنك هي اللومة ! انظري ! إنها مستترة
في ظل إخوتها ، كأنها تحرص على أن تنفعلها العيون .
إنها لم تكشف عن وجهها النقاب بعد ، فقسبها
لا تزال مجهولة ، ولكنك أسلفت لها الحب ولاشك ،
لأنك سمعت منذ قليل أنها ودبة تقية

وأخيراً أعلنوا ظهور الكاهنة الوسيطة ، وكان
الوهن لا يزال بادياً عليها من أثر ما أصابها من
اختلاج الأعصاب في وسطائها الأخيرة بين الآلهة
والناس . فهي تجر نفسها جراً من الأعياء والجهد
حتى بلغت النصبة متكئة على كاهنين من كهنة
أبولون . حينئذ افتتح في جوف المجراب باب على
مصراعيه فاقتحمته حية عريضة من الهواء المازف ،
فقمشت دخان القرايين وهزت الجحجحا ففضج
الناس قائلين : « الآلهة ! هذا هو الآلهة ! »

(١) يريد الكاتب أخته هو

والشفقة عاطفة تجنّس القلب ، فكيف يكون
أثرها في الحسن ؟

عادت أسرة هرقليس كلها إلى أثينا في مركبة
واحدة ، وقد عقد الأبطال الثلاثة قلوبهم على أن
يقترعوا بينهم غداً في معبد منير فاليملوا أيهم يجب
عليه أن يموت . وكان إكسوس المسكين قد جاء في
اختيال ومرح يضع اسمه مع أسماء إخوته في الصندوق ،
ولكنهم منموه ودفعوه معتقدين أن عن الاهانة
للآله أن يهبوا للقدر — وهو في أغلب أمره
ساخر عايب — الفرصة ليقدم إليهم هذا القران
الضئيل الأحمق . أما أختهم مكريا فلم يشاءوا أن
يمرضوها معهم على رغبة الموت لسبب آخر غير
سبب إكسوس : لقد كانت خطيبة (ليكوس) وهو
زعيم من زعماء أثينا ذوي الرأي السموع والأمر
النافذ ، (وأثينا هي التي غضبت لهم تلك الغضبنة
وشهرت دونهم السيف) فهم يحرصون لضرب
سياسي أو أدبي على ألا يقطع الاستعداد للتضحية
الاستعداد للزفاف . لذلك وجدت مكريا غرفتها بعد
عودتها تضوع بمبهر الألفاظ والتعجب التي قدتها
(ليكوس) ، ولكن نفسها وهي تتسلف الحداد
على أخ من إختوتها لم يهزها كرم الهدايا ولم يدرها
جمال التحف . على أنها رأت إكليل الزفاف مصوفاً
من الزئبق الجميل البضر ، فغلمته ووضمته على
جبينها من غير إرادة ولا وعي . وفي هذه اللحظة
سمعت من خلفها زفيراً يتصعد في ضعف ، فالتفتت
فاذا هي ترى إكسوس ! إكسوس أخاها الذي
جمت له في قلبها الأم والأخت في وقت ممّا ؛
إكسوس الذي عنيت به وأشبث عليه لأنه

إن الآله كان جبار القلب غليظ الكبد ، فاذا
استأنفت التجربة قتلتها ولا شك . فليقدم أحد
أبناء هرقليس نفسه

فارتفع من بين الجمع ذلك الصوت الرخيم الذي
تسكلم منذ هنيهة من وراء نسطور وقال : أنا أقدم
نفسى ! فقال له الكاهن في لهجة قاسية : « من
أنت ؟ وماذا تسمى ؟ » فأجاب الغلام : « أنا ابن
هرقليس واسمى إكسوس »

فانفجر الناس بأصوات الدهش لهذا الجواب
المفاجيء ؛ ثم قال قائل منهم يتهمكم : « إذا صدق
قوله فقد صدق اسمه » وستملئ يا أختاه أن
إكسوس كلمة يونانية معناها الملقى ، فكأن أبويه
عند ما ولد وسماه بهذا الاسم احتقاراً لشكله
واستصغاراً لشأنه . والحق أن هذا المخلوق المش
يشبه في انتسابه الى هذا العرق القوي ذلك النبات
الطفيل الرخو الذي تبت به الريح وهو قائم على
جذوع السديان

دلف (تينور) إلى الغلام وقال له باللهجة الحانق
المتوحد : لقد منعتك أن تنبئنا إلى داني . . .
ولكن ابنة هرقليس التي ظلت إلى تلك الساعة
ساكنة ساكنة محتجة ، ألفت نفسها بين
الأخوين فقطعت من بينهما الشر ؛ ثم أخذت
الصغير من يده وخرجت به من اللبدي وهي في
صمم من نداء هيلوس يدعوها إليه ، وفي ذهول
عن هتاف الإعجاب الذي انبث عن يمينها وعن
شمالها ، لأن نقابها انجسر من ذات نفسه لسرعة
المشي وشدة الحركة ، فبذت مكريا للعيون بإرعة
الجمال رائمة الحسن لطيفة الروح ، وقد زاد في
جمالها تلك الشفقة التي تجلت في صوتها وفي عينيها ،

فسمعت قارعاً يقرع الباب فذهبت أفتحه وفي حسابي أني أجد الصيادين والصيد ، ولكني وجدت عابري سبيل يطلب الدماء والأوى برهة من الزمن فأدخلته ؛ ثم جلست إلى جانب سريرك ، واشتغل هو بتجفيف ثيابه على نار الموقد . وما كان أشد دهشى حين رأيت نوراً لطيفاً يتلألأ على شعره الأشقر ! غرقت ذلك النور بدياً إلى انكاس النار التي في الموقد ، ولكن الموقد خبا وغرقة المسافر ما تزال مشرقة ! حينئذ أدركت أنه أبولون ، أبولون الذي طرد من الأولب فهم متنكر في العالم على وجهه ، ثم بقيت على رغم تشكرك بقاء النور من هالته

غمرت جاثية أمامه ، وقلت : ماذا تبنتي مني أيتها الآلهة العظيم ؟ فقال : « لا شيء غير الماوى . على أن المطر قد كف والجو قد صفا ، فأنا ذاهب وسأقبلك قبلة الوداع » فتقدمت واحفة القلب ، مضطربة الحواس إلى عمي ، وقدمته من يده إلى مرقدك ، وقلت له : « الأولى أن تلاطف هذا الصبي المسكين فإنه لم يظفر بمد بلاطفة إله . إلس وجنته الذابلة تنفصر ، وانفخ في شفته الباردة فتنفى » فتبسم أبولون لرجائي ، ودنا منك فنفث في فك من روحه ، ولكنك نفتته كانت قوية مضطربة ، فسرت إلى قلبك فأفغمته وأشملته ! من أجل ذلك كان قلبك يحترق ولا يقر عن الوجيب ! ومن أجل ذلك كان جسمك يذوى وروحك لا تستجيب ... وهذا وقد فقتك على جلبة الأمر فهل تصفح عني ؟

فأكان جواب إكسوس إلا أن قبل أخته ، فقالت له : « إن برهان عفوك عني أن تتقادى

عليل الجسم مبذوء الهيئة ، إكسوس الذي لا يخطو في البيت خطوة إلا بابتسامه من مكربا تبعد برؤسه وتجدد أنسه ، فإذا غابت عن الدار غاب عنه الأنس واستولت عليه الوحشة

كان ينظر إلى الزهور الرضبة والدمع يجول في عينه ، والهم يمتلج في صدره ، والألم الممض يرسم على أسرار وجهه ، فاستطير فؤاد أخته من الخوف عليه ، لأنها تعودت أن تراه يشكو ويتألم منذ اثني عشر عاماً ، فلم تحده يوماً على مثل هذه الحال من السكد المقلن واللوعة الأليمة ، فأقبلت عليه تمتنذر إليه وتسرى عنه وتقول :

— أوه ! أعف عني وأغفر لي يا طفلي المسكين !
— أنا أعفو عنك وأغفر لك يا مكربا ؟ علام إذن ؟ والسعادة التي غمرت بها قلبي وعمرت بها وجودي ؟
— لا تشكر لي عنايتي بك ؛ ذلك دين أفضيه ذلك تكفير أؤديه

فأنبشت من عين الفتى المشدود نظرات ضارعة تسأل أخته حل هذا اللغز . فقالت له : سمحك إلى ! منذ أربع سنين (كان عمرك يومئذ ثمانى سنوات وعمرى أربع عشرة) جرت في أسرنا حوادث عجيبة وأمور خارقة لم يصل عليها أبى ولا بأخوتي . لملك تذكر ذلك الكوخ الذى بنوه على شاطئ البحر ليختفوا فيه من أعين المضطهدين الكثيرين الأقوياء . كنت فيه ذات مساء وكان أبى وإخوتي في الصيد ، وكنت أنت منهوك القوى من كثرة ماجريت في الغابة طول النهار ، فاستسلمت على مهددة المطر والريح لنوم ثقيل ؟ وكان الليل قد أقبل منذ حين وأبى وإخوتي لم يقبلوا بمد ،

صالحاً لشيء .. تعلم إقامة التماثيل وشيادة الهياكل
فلما نصير يوماً آلهة « غاولت أن ألبى مبنعى
اخوتي ، ولكن الأزميل والنحت كانا ثقيلين على
يدي ، ثم كانت هناك رؤى غريبة تطوف بيني وبين
جنادل (باروس) وكانت إسبى الناحلة الذاهلة تخط
في التراب اسماً لا تخط غيره : اسم أخوتي الحبيبة مكريا
افتحوا ! أنا إكسوس السكين ! أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

— ٣ —

حينئذ قال لي اخوتي : « إن في مضيقتنا شيئاً
من شيوخ الكلدان يقرأ في صفحة السماء أسرار
النبي وأنباء المستقبل ، فاستمع إليه ، وثقف عليه ،
ثم قل لنا ترى في مطاوي السحب كنوزاً أو نصراً »
فسمعت من الشيخ : ثم قضيت ليالي طويلة أرمصد
النجوم والغيوم فلا أرى كنوزاً ولا نصراً . إنما
كنت أرى عيون السماء تنظر الى نظر الحب ،
كأنها عيون مكريا ...
افتحوا ! أنا إكسوس السكين ! أنا عليقة

السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

— ٤ —

حينئذ قال لي إخوتي : « خذ قوساً ونشاباً
واخرج إلى الصيد في الغاب » فحُبِسْتُ الغاب
بقوس ونشاب ، ثم لم ألبث أن نسيت إخوتي
وذلت عن سيدي . وبينما كنت أسمع غناء الرياح
وتفرّد البلابل أقبلت ظبية فأكلت ظمأى من
جبي ، ثم جاء طائر صغير أعياه طول العاليران
فنام في كنفاتي ، فحملته إلى مكريا

افتحوا ! أنا إكسوس السكين ! أنا عليقة

السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

وتسمع مني ؟ قل يا قليل الحكمة بأى معجزة
تجوز من الموت جوعاً وظمأً في طريقك الطويل
من أثينا إلى دلفي ؟

فقال إكسوس : أوه ! كنت من الصباح إلى
المساء أسترجع النشاط بالفناء ، وأستفتح الأبواب
بالتشديد ، فكلما دلفي الدخان على ولية في أحد
البيوت طرقت الباب وأنشدت الأغنية فيفتح لي
أهله ويترولوني خير منزل

فتبسمت مكريا وقالت : أغنية عجبية ! هل
لك أن تعلمنيها يا إكسوس حتى أغنيها أنا أيضاً
في ذهابي إلى دلفي أو إلى الأولب ؟

فمنع إكسوس وتدل على عادة الفنانين في كل
عصر ، ثم نزل على مشيئة أخته بعد رجاء قليل

أغنية إكسوس

افتحوا ! أنا إكسوس السكين ، أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت
منذ اثني عشر عاماً سقط قزم من جلد الأسد
الذي يتنكب به هرقليس ، فكنت أنا ذاك القزم ؛
كان أبي لا يحبني لأنني كنت صغير الجثة رقيق
البدن ، وحينما كنت أصطدم بركبتي وأنا طفل
كنت أسمع فوق رأسي زجاجة كزجاجة الماصفة ؛
وكان إخوتي يضرّبوني كلما دعوتهم لإخوتي ومع
ذلك أريد أن أعيش لأن لي أختاً محبتي ومحبتي علي ،
هي الجيلة الكريمة مكريا !

افتحوا ! أنا إكسوس السكين ! أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

— ٥ —

قال لي إخوتي ذات يوم : « اجتهد أن تكون

- ٥ -

ورءوسهم مرفوعة، من الذة ، ثم جرت الراس
المالوفة وهي لا تختلف عما رأيتاه في ذلتي ؛ وأقبل
كاهن من كهنة (مينرفا) فأجال الأسماء في
الصندوق ، ثم تقدم طفل مصوب العينين إلى
الأباء المقدس يستخرج منه حكم الموت ، فلم تكذب
يده تلمس حافته حتى دوى على عتبة المبد صوت
امرأة يقول : « قف ! ها كم الضحية . . »

وكان ذلك الصوت صوت مكربا وهي تتقدم إلى
الذبح كاسفة اللون ، كاملة الأهبة ، تنوس على
جبينها الأزهر الجليل عصبة الذبيحة . فدلها إليها
أيمسح وقال : أنها أنت بأختاء ! لقد وعدت أن
تتخفى لتقوى على سربر إكسوس . فقالت وهي
تغالب الدمع وتحبس الزفرة : إن إكسوس مات !
وليس الآن ما معنى أن أفديكم بنفسى . ثم تأملت
سيزها البلى إلى الهيكل بين تصفيق الجمع وإذعان
الآخوة ، ثم جثت مكربا أمام الذبح ، وعوقت
بالإشارة مدية الذابح المجلان حتى تاقى على أخوتها
ابتناسها الأخير ؛ ثم أغضمت عينها ، وأزاحت
الغطاء عن مديها ، وكانت بصد ذقيقتين جسداً
بضطرب على مذبح الهيكل !

ثم أضرمو النار ، وجعلوا منها لاكسوس
ومكربا محرقا واحدة ! وعندئذ رأى الناس شيئاً
يصعد من اللهب إلى السماء ، رقائق الأجنحة تلمع
الريش رائع الرواء !

وهكذا كانت الفضيلة (مكربا) في المصور
الحوالى تكفل الشعر (أكسوس) وتلهمه . والفضيلة
والشعر أجل ما في الحياة وأنبى ما في الانسان
(الزبات)

حينئذ قال لي إخوتي : « إنك لاتصلح لشيء »
ثم ضربوني ، ولكنني لم أبك ، لأن فكركى كان
مشغولاً بأختى ! وغداً سيأخذون منى مكربا ! وغداً
ستسأل وهي جالسة في حفلة الزفاف : ما هذا الدخان
الذى يسلم هناك وراء النار ؟ فيجيبها المدعوون
« لا شيء »

« إنها محرقة إكسوس المسكين ، عليقة
السديانة التي عصفت بها الريح فجعلتها كالريم »
فصاحت الفتاة وقد ملكها الحنان وأدركها
الجزع : كلا إنك ستعيش ! وسأجملك في قلبي ،
حتى إذا تارت المواسف الموح لا يمسك منها
أذى . إن (ليكوس) سعيد محبوب ، وعذارى أثينا
كثيرات يفتحن له درهن وسودرهن . أما أنت
أيها الفريد الشريد الموجه ، فإليك وحدك كل
أبى وأحلامى وحبى !

« خذ يا أختى ، خذ يا شاعرى ! هذا ثمن
أغنيتك » ثم زعت من فوق جبينها الأبلج إكليل
الزفاف وألقته مبتللاً بالدمع تحت قدمى إكسوس !
فأراد إكسوس أن يجيب ، ولكن التأثير الفاجىء
صق الصبي المسكين فلم يستطع إلا أن يقول بصوت
خافت . أوه ! ثم وضع يده على قلبه وخر مشتماً
عليه ! ثم بات طول الليل يتضور من شدة الحمى ،
وأخته بجانبه لا ينام ولا ينام لها جفن ، ولا يرقأ
لينيها دمع

وكان الند موعده أبناء هرقليس إلى المبد
ليقتربوا هناك على الضحية ، فتقدموا إلى الهيكل
كما يتقدمون إلى الممركة : قلوبهم فارغة من الهم ،



كانت الزوجان يسيران على هذه الحال لا يتبادلان الكلام ولا النظر، حتى قالت الزوجة:
— لنقف هنا قليلاً. فوقفا، وتقدم الخادم
إلى الرسام بكرمى صغير من القماش فقمع عليه.
وكان كل من ص بالزوجين الساكنين الساكتين
يلقى عليهما نظرة حنان وحزن، فقد اضطربت
الأسنة بأن حادثاً من حوادث الاخلاص والتضحية
وقع بينهما، إذ تزوج الشاب منها على الرغم من
عاهتها المزمنة تأثراً من حبها بإياه كما يقال. فقال
رجل لآخر وكانا جالسين على مقعدين يجلسان
نظرهما في الفضاء:

— كلا، ليس هذا صحيحاً. أنا أعرف

جان سومير جد المعرفة

— إذن لماذا تزوجها؟ فقد كانت حين الزواج

على هذه العاهة! أليس كذلك؟

— نعم هو كذلك؛ ولكنه تزوجها.

تزوجها كما يتزوج الناس حقاً وسفاهة.

— وبمد؟

— وبمد؟ ليس هناك بمد ولا قبل يا صديق.

الإنسان أحق لأنه أحق. وأنت تعلم من خصائص

الرسامين الزواج المضحك، فهم يتزوجون على

التقريب كل الأمثلة (modèles)؛ وقد يتزوجون من

كانت مدينة (اترنتا) ذات الصخر الأنهب
والحمى الأبيض والبحر الأزرق تستريح تحت
الشمس الصاحبة، في يوم من أيام يوليو الصاحبة.
وكان منظرها العام أشبه بالهلال قد انتهى طرفاً
استدارته يباين أحدهما سفير وهو الآمين، والثاني
كبير وهو الأيسر، ثم تقدما في الماء الساكن
نفوس كلاهما فيه، وارتفعت فته حتى بلغت
مستوى الصخور. وكان قد جالس على شاطئها
الديد جماعة من المصطافين ينظرون إلى المستحمين،
واحتشد على مشرف الكازينو جماعة أخرى قائمة
أوقاعده تعرض تحت أضواء الشمس المشرقة جنة
مزهرة من الزينة تسطع في خلالها المظلات الحر
والزرق مطرزة بأزهار الحرير الملون. وانمزل في
آخر المشرف على طريق الزهرة فريق آخر من
المصطافين يريدون السكون وينشدون الراحة، فوقفوا
خطام الوثيدة على أنفام الموج ببعداً عن زحمة
الأجسام ونجبة الأصوات. وكان بين هؤلاء شاب
معروف نابه هو الرسام جان سودير. كان عثمى
ساحماً واجماً بجانب عربية صغيرة من عربات المقعدين
يدفعها الخادم في هون ورفق، وقد جلست في هذه
العربة زوجته وهي فتاة في ريق العمر تترشح النظر
الحزين في جمال السماء وزينة الأرض وبهجة الناس

معا ، لأن في طبيعتهم أن يكن صادقات كاذبات على أشد ما يكون الصدق والكذب ، أو لا يكن على شيء منهما أصلا

أنظر الى الوسائل التي يتوسل بها أكرم النساء ليبلغن منايردن ، تجدها وسائل مقعدة وساذجة ؛ فهي مقعدة بحيث لم تقع في حدسنا من قبل ، وساذجة بحيث تراها بعد أن نصبح من نخبائها لا يسمنا إلا أن تعجب منها ونقول : « كيف ! لقد خدعتني بحمق وغباوة » . ثم إنهن يتبعن دائما يا عزيزي ، وعلى الأخص إذا تعلق الأمر بزواجهن . وهاك قصة السيد جان سومير :

كانت الفتاة مثالا كما علمت ؛ فكانت تجلس في مرسى على الأوضاع التي يريدتها ؛ وهي بارعة الشكل ظريفة الطبع رشيقة القوام ، فمشقتها كما يمشق الانسان كل فتاة على مثالها في الجدل والفتنة ؛ ثم تخيل أن حبا قد أخذ بعجام قلبه . وهناك ظاهرة غريبة : اذا مارغب الانسان امرأة ظن غلصا أنه لا يستطيع أن يعيش بدونها بقية عمره ، ولكنه متى ملكها زهدا ، ولن تستطيع الشهوة الهيمية أن تمسكه بمجانها طول الحياة ، فلا بد من شيء آخر هو توافق النفس والطبع والمزاج . ومن واجب الرجل أن ينظر حين تفتنه المرأة : أهذه الفتنة صادرة عن إغراء الجسم ، أم عن جاذبية الروح . وقصارى الكلام أنه أحبا أو ظن ذلك ، فاصدها على الاخلاص وواعداها على الوفاء ، ثم عاش هو وهي على هذا الأمل . وفي الحق كانت الفتاة ظريفة ، وزاد في ظرفها تلك التباوة اللطيفة التي تتصف بها الباريسييات الصنبريات ؛ فهي تثرثر وتهذر وتطلق بالمحادثات التي تجعلها الطريقة القريبة التي تلقاها بها

المحدثات العجائز ، ومن السيدات الموهبات لأى سبب من الأسباب ؟ لماذا ؟ لا يعلم أحد لماذا ؟ يخيل إلى على العكس بأن طول معاشرتهم لهذا النوع من النساء الفواجر اللاتي يسميهن الناس (أمثلة) جعلهم يماقون جنس الأنثى ، فأنهم بعد أن يجلسوهن ليرسموا صورهم على مثالهن يتزوجونه . اقرأ الكتيب الصادق القامى الجليل الذى ألفه الفونس دوديه بعنوان (نساء الفنانين)

أما الزوجان اللذان تراهما ، فان الحادث الذى وقع بينهما وقع على صورة خاصة وحال فظيمة لقد مثلت هذه الفتاة مهزلة ، أو بالحري مثلت مأساة ألمة . لقد قاصرت بكل ما تملك لترى كل شيء أو تحسر كل شيء . هل كانت مخلصه ؟ هل كانت تحب جان ؟ لا يدري ذلك إلا الله . ومن ذا الذى يستطيع أن يحدد تحديدا قاطعا ما فى عمل المرأة من زور وحق ؟ إنهن غلصات دائما فى ما يبدو عليهن من آثار انفعالاتهن ومظاهر عواطفهن . فهن ساخطات مجرمات غلصات كرمات لثبات على حسب ما يجرى فى شعورهن من البواعث والآثار . وهن لا يفترن عن الكذب من غير أن يردن ولا يملن ولا يفهمن . وفيهن مع ذلك وعلى رغم ذلك صراحة مطلقة فى الأحاسيس والمواطف اللاتي يظهرنها بأحكام وحلول عنيفة غير متوقمة ولا مفهومة ، تضلل منطقنا فى الرأى والحكم ، وعادتنا فى التمديل والتوفيق . فالفاجأة والعنف فى غرماتهن يجعلانهن ألفنازا لا تحل ، فنحن لا نبرح نسأل هذا السؤال : « هل هن صادقات ؟ » « هل هن كاذبات ؟ » ولكنهن يا صديقى صادقات كاذبات فى وقت

استولى بجأله على فلم أفكر في غيره
فأمسكت عن الكلام، ولكن شهوة الحديث
ملكها بعد لحظة فسألت جان :

— أذهاب أنت غداً إلى باريس ؟

فأجابها :

— لا أعلم

فماودها الغضب، وقالت :

لعلك ترى مما يهيج نفسك أن تنتزه وأنت
صامت . إن الانسان إنسان لأنه يتكلم فلم يجب
على قولها بشيء . وفطنت هي بفضل غريزة المكر
فيها إلى أنها ستحنقه ، فأخذت تنفي ذلك الالحن
للثير القوي آذى الأذان والأذهان منذ عامين ،
ومطلمه : كنت أنظر في الفضاء ... فقال لها ، خذها :

— اسكتي من فضلك ؛ فقالت له بحدة :

— ولماذا تريد أن أسكت ؟ فأجابها :

إنك تفسدين علينا النظر

هنا حدث الشهد الكريه السفينه بمتابة الفجاء
وحسابه المبتسر ، فاحتقنت الوجوه وأنهمرت
الأعين ، ثم علدا الى البيت . وكان جان قد تركها
تمضى في نورتها لا يدفع ولا يهاجم ، لأنه كان
يخدر الأعصاب بنشوة هذه الليلة الملوية التي هبطت
بها إلى الأرض هذه العاصفة الهوجاء

ومضت بسد ذلك ثلاثة أشهر ، كان الفتى

يضطرب اضطراب القنيص في هذه الملاقة القوية
الحفية التي تربطنا بها المادة في مثل هذه الحالة .
كانت الفتاة لا تنفك ترهقه إرهاب المضطهد ،
وتصديه عذاب الشهيد ، فصار يومها وليها
شجاراً متصلاً لا يتخلو من سباب وضرب
وأخيراً صم على أن تنتهي هذه الحال على أى

أشبه بالبراعات الذهنية ؛ وكان لها في كل لحظة
حركات تدن بها عين الرسام : فهي حين ترفع
ذراعها ، وحين تبسط يديها ، وحين تنحنى ، وحين
تركب العربة ، تترك حركات محكمة مقدرة مناسبة .

وفي غضون ثلاثة أشهر لم يلاحظ جان أنها في حقيقة
أمرها تشابه سائر (الأمثلة) ، فاستأجر بيتاً صغيراً
في (أندريسي) ليقضيا فيه الصيف . وكنت هناك

ذات ليلة حين أخذت الهموم الأولى تنبت في قلب
صديقي ؛ وكانت تلك الليلة قراء ، فأردنا أن نجول
جولة على ضفة النهر ، وكان القمر يرسل على الماء
المرتد وبالألمن الضوء ، ويكسر أشمته الصفراء على
دارات الماء وتيار اللج وعباب النهر البطيء الهارب
كنا نسير على طول الشاطئ نشاوى من

ذلك الطرب المبهم الذى تبعثه فينا هذه الليالي
الحالة ؛ وكانت نفوسنا مهيأة لأعمال فوق أعمال
البشر ، وقلوبنا مفتحة لحب كواثر شمعية مبهولة ؛
وكنا نشعر بالجذبات والרגبات والأمانى تختلج في
نفوسنا ، فلزمنا الصمت مقتونين بصفاء السماء
وطراءة الليلة الجميلة ، وعدوبة البحر التي خيل
إلينا أنها نفذت إلى الجسم وغمرت الدهن وعطرته
وغمسته في السعادة

وعلى حين بقية صاحبت جوزفين (وهو اسم
الفتاة) قائلة :

— هل رأيت السمكة الكبيرة التي وثبتت هناك ؟

فأجاب جان من دون أن ينظر أو يعلم :

— نعم يا عزيزتى

فقالت مضطربة :

— كلا إنك لم ترها ، لأن ظهرك كان إليها

فابتسم وقال : نعم هذا صحيح ، فإن الجوق قد

إذا تزوجت قتلت نفسى . أسمع ؟
 فمز كنفه وقال : حسن ! اقتلى نفسك ! فنبست
 بكلمة أو كلمتين وقد أخذ يكظمها لهم القاتل :
 أنقول ؟ .. أنقول ؟ .. أنقول ؟ .. أعد ! فقال معيدا :
 اقتلى نفسك إذا كان هذا يسرك ! فقالت وشحوبها
 يزداد وحالها تسوء : لست فى حاجة إلى التحدى ،
 سألتى بنفسى من النافذة . فضحك جان بملء فيه
 ومضى إلى النافذة ففتحها ، ثم حيا وانحنى ، كمن
 يريد أن يقدم عليه غيره فى الشئ ، وقال : هذا هو
 الطريق ! تفضل ! فثبت فيه نظرها الحائر الطائر
 لحظة ، ثم جمت نفسها كمن يريد أن يقفز سياجا فى
 حقل ، وصرت أمامه وأمى إلى النافذة ثم اخفت !

لا أنسى ما حيت ذلك الأثر الذى أحدثته فى
 نفسى هذه النافذة المفتوحة ، وقد هوى منها ذلك
 الجسم ! لقد رأيتها فى تلك اللحظة واسعة كالسماء
 فارغة كالفضاء ، فرجعت القهقرى ، ولم أجروء على
 النظر كأننى خشيت أن أسقط . وتبيلد جان فلم
 يستطع الحراك ولا النظر ؟ وتسابق الناس فأثوا
 بالفتاة مكسورة الساقين ، فلم تمش على قدميها بمد
 اليوم . وتقدم حبيها مبيل الصدر من وخز
 الضمير ، منفعل النفس من اخلاص الفتاة ؟
 فأواها إليه وتزوج منها

ذلك يا عزيزى حديث هذين الزوجين
 وأقبل النساء ، فرغبت الفتاة فى العودة خشية
 البرد ، فأخذ الخادم يدفع عربة الكسيحة نحو
 القرية ، ومشى الرسام بجانب امرأته وقد مضت
 عليهما ساعة من الزمان لا اللسان يخاطب اللسان ،
 ولا النظر يبادل النظر . (مضى رضى مرهاساره)

وجه وبأى ثمن . فباع رسومه واقترض من أصدقائه
 بعض المال حتى حصل فى يده عشرون ألف فرنك
 فوضمها ذات صباح على المدفأة وممها كتاب الوداع
 وترك لها المنزل ولجأ إلى بيتى

وفى الساعة الثالثة بمد الظهر قرع الباب ،
 فذهبت أفتحه فإذا هى فى وجهى لانتكاد تلك نفسها
 من الحزن والقلق ، فارتبكت أنا ، ودخلت هى ، ورآها
 هو من بعيد فوق حتى أقبلت عليه ورمت بين
 قدميه الغلاف وفيه الأوراق المالية . وقالت فى هيئة
 نبيلة ولمحة موجزة : هاك نقودك . لا حاجة لى
 بها . وكانت حينئذ متمعة اللون مضطربة البسال
 حرية بأن تأتى كل حاقة ؟ وكان هو كذلك كاسف
 الوجه عمنق الصدر حريا أن يرتكب كل شدة ،
 فسألها : ماذا تريدن ؟ فقالت : لا أريد أن تعاملنى
 معاملة البنى ، لقد توسلت إلى حتى سكنت إليك ،
 فأنا لا أطلب إلا أن تبقى عندك

فصرب الأرض برجله وقال متفعلا :
 لا ، هذا كثير . إذا كنت تظنين أنك ...
 فجذبته أنا من يده وقلت له : دعنى يا جان أفعل .
 ثم تقدمت إليها وأخذت أكسر من غضبها بكل
 ما عليه الخاطر فى مثل هذه الحال ، وهى تستمع
 إلى جامدة شاخصة صامتة مصرة . فلما فرغت
 جميعى والحال لا يزال على أشده ، لجأت إلى آخر
 الحيل فقلت : إنه لا يزال على حباك يا صغيرتى ،
 ولكن أسرته تريد أن تزوجه ، وأنت تعلمين ...
 فأخذتها رجفة قوية وقالت :

— آه ... آه ! لقد فهمت الآن ! ثم التفتت إليه
 وقالت : تبنى أن تزوج ؟ فأجابها فى شدة وحزم :
 — نعم . نخطت إليه خطوة وقالت :



يَوْمِيَّانِي فِي الْإِكْرَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

٢٠ أكتوبر . . .

قمت في الصباح بمجرد خزينة المحكمة . فالنيابة هي التي من شأنها مراقبة الخزينة ، وعليها أن تقوم بهذا الجرد مرتين على الأقل في كل شهر بطريق المفاجأة . ويظهر أن كلمة « المفاجأة » وضعت في اللوائح والتعليمات من قبيل التشويق كما توضع في الاعلانات ، فهي في العمل لا وجود لها . وقد جرت المادة أن ينسى وكيل النيابة لكثرة مشاغله هذا الجرد فلا يذكره به إلا الصراف المقصود مفاجأة . فهو الذي يطلب في إلحاح حضور البك الوكيل للجرد حتى يسد الخانة طبقاً للقانون . وفي أكثر الأحيان لا يشعر وكيل النيابة إلا وقد فوجئ هو بالدفتر الخاص بالخزينة يمرض عليه مع المحضر محرراً باسمه « نحن فلان وكيل النيابة قمنا اليوم بمجرد الخزينة ، فوجدنا بها كذا أوراتا مالية وكذا فضة وكذا أشياء ثمينة وكذا أمانات » فيوقع وهو لم يتحرك من كرسيه وهو يقول : « خذوا إصمضاء وخلوا عني بلا وجع دماغ » . غير أني أنا شخصياً أنقل بالفعل وأشاهد الخزينة وإن كنت أوقع آخر الأمر على كل حال دون أن أطيق

صبراً على عد النقود التي توضع أمامي . وانتهيت من هذه الأمور ، وعرجت على مخزن النيابة في طريق أفتشه « بالرة » وهو عبارة عن حجرة تشبه دكان « ألف صنف » فيها من أصناف البنادق والفدارات الريفية والكاكين والشرائر والمناجل والفؤوس والبيلط والنباتيت والمراوات و « الببد » و « البلغ » و « الجلابيب » للطبخة بالدم والطخين و « الصبداري » للثقبوة بالرش والبسارود ؛ كل عليه رقمه وتاريخ ضبطه ورقم القضية التي ضبط على ذمتها . وعندي أن نظرة واحدة تاتي على مخزن نيابة أي بلد تدل في الحال على لون هذا البلد وعقليته ودرجة حضارته . ولا شك عندي في أن مخزن نيابة « شيكاغو » مثلاً لا يمكن أن يحوى مطلقاً هراوة أو شرشرة . وصعدت بعد ذلك إلى مكنتي ، فوجدت حضرة القاضي : « القيم » في الانتظار وقد أحضر له القرائش القهوة . فأكاد يراني حتى صاح :
— خلاص ، الفوضى دبت في البلد :

الوزارة ، وأنتك خطر على سياستها الحاضرة إلى آخر
هذا الأسلوب المعروف

— شيء جميل . البوليس يحرر التقارير السرية
ضد القضاة ؟ !

— حصل

— والمعمل إليه ؟

— أترك لي المسألة . أنا أتحرى من المركز
بلطف وأجرى اللازم . . .

— لهذا الحد تميث السياسة عندنا بالمعادلة
والنظام والأخلاق ، أعوذ بالله ! شيء خفيف . . .
وجعل بهز رأسه أسفاً وحنفاً . ثم التفت إلى
جفأة وقال :

— ذا صحيح . تصور أن فضيلة القاضي
الشرعي « الضلال » حامل اليوم أنه صديق المأمور
الجميل مع أنه كان يكرهه كراهة التحريم من بعد
حادثة الأجزاخانة !

فأبدت عجي . إلى حقيقة كنت قد سمعت من
الأمور فيما سمعت من أخبار القاضي الشرعي هذه
الحادثة : إن أهالي البلد وأعيانها لاحظوا افتقار
البلد إلى أجزاخانة « أصولية » فتنبه من البنادر
الكبيرة فاكثبتوا فيما بينهم ببالغ أسسوا بها
أجزاخانة نظيفة كاملة الأدوات ، وعينوا لها
« أجزجي » قانوني هو رجل سوري اسمه « جبور »
ثم تباحثوا فيمن يصلح مشرفاً على مالية هذه
الأجزاخانة وعلى إدارتها ، ووقع الاختيار في آخر
الأمر على فضيلة القاضي الشرعي . ومن غير فضيلته
بلحيته الوقورة وسبحته الطويلة يؤتمن في هذه
البلدة على أموال المسلمين وغير المسلمين من المساهمين ؟
ووافق المأمور على تنصيب القاضي الشرعي مشرفاً

فأردت أن أفتح في أسأله الافصاح ، فلم يمهلي
ومضى يقول :

— راحت هيئة الأحكام !

— إياه المسألة ؟

— المسألة يا سيدي أني أصدرت حكماً مدنياً
ضد عمدة من الموالين للحكومة وراح المحضر ينفذ
عليه ، تعرف حصل إليه ؟
— لا

— انضرب بمعرفة الممدة « علقه » لكن
« نضيفة » وأحبس أربعة وعشرين ساعة في حجرة
التايغون

— والمركز عمل لها قضية ؟

— أبداً . ما هي هنا الخطورة . لا قضية
ولا مذكرة ، ضحكوا على المحضر وقالوا له يسحب
شكواه وصرفوها

— ما داموا صرفوها انتهينا

— انتهينا إزاي ؟ أنا لا يمكنني أسكت عن
مسألة زى دي . ذا اسمه إجرام ، البوليس يجرم . . .

— يظهر أن حضرتك اشتقت لحر وجه قبلي

— بنقلوا قاضي وجه قبلي لأنه أراد منع المركز

من المبت . . . ؟

— عملوها كثير . وسبق نقلوا قاضي أقاضي
الصعيد لأنه أفرج في قضية معارضة عن متظاهرين
ضد الحكومة ، مع أنت هذا القاضي كان من
الحايدين البعيدين عن الأحزاب وعن السياسة .
ولا يخفى أن بينك وبين المأمور سوء تفاهم عاثلي .
وساعتها تلقى المأمور خمر التقارير السرية عنك
واتهمك بأنك من خصوم الحكومة ، وأنتك من
أرباب الفن والدسائس ، وأنتك تضطهد أنصار

جيور أنت يكسر ساق القاضي إذا حضر إلى الأجزاء بعد ذلك . واستغاث بالمأمور ، وعرض عليه ما وصات إليه حالة الأجزاء . فاذا هو موشك على الافلاس ، فقد اختفت مستحضراتها ونضبت مواردها ، ولم يبق أمل في بقائها ؛ فإن الأجزى هو الآخر إقتداء بفضيلة المشرف الوقور لم يقصر في الاجهاز من جهته على الباقي من « الدرج » والبضاعة والأدوات ، وتنفيذ للمأمور وصاح في الأعيان السامعين :

— الحق علينا الى صدقنا اللحية والسبحة ! ومنذ ذلك اليوم والمأمور دائم التشير بالقاضي الشرعى قائلاً عنه : « الرجل الضلالى » . والقاضى الشرعى من جهته دائم النذل من المأمور قائلاً عنه : « الرجل الزنديق لاعب اليسر »

ولكن السياسة قد جعلت رجال الادارة اليوم أصحاب سلطة غيفة . وقد خشى فضيلته على نفسه ، ورأى بمحنته أن الأمان في مصاحبة المأمور .

فهل يحجم عن التقرب إليه والتزلف له ؟

مر بمخاطرى كل ذلك وأنا جالس وأمامى القاضي الأهلئ ، ولم أتمكن أن قلت كالمخاطب لنفسى :

— لا بأس من الصلح ، لكن في الظروف الحاضرة ... فيه شيء اسمه كرامة ...

فرفع القاضى يده في حركة ذات معنى وقال :

— كرامة عين « يا موشير » !

ونهض يريد الانصراف وهو يميل على ويقول بصوت منخفض :

— كلام فى سرك . فى يوم حضر الى بيتى

فلاح ومعه خروف وقال « الهدية » . فقلت له :

« هدية ليه يا رجل » ؟ فقال : « الهدية الى تم

وتكرم فضيلته وتسلم مهام عمله بأن جعل مجلسه عصر كل يوم أمام باب الأجزاء حيث ينتصح ويبدأ باسم الله والصلوة على نبيه وآله وصحبه . ثم يصيح :

— يا خواجه جيور . القهوة والشيشة !

ثم يجتمع عليه من أصدقائه وأقاربه الآتين من الكفور عدد كثير كل يوم ، فيأمر لهم بالقهوة أو الشاى . وكل هذه الطلبات طبعا على حساب الأجزاء ، وهو لا ينسى مطلقاً أن يلقى نظرة على مستحضرات المحل قبل انصرافه وهو يقول لجيور :

— عندك سابون ممسك من المال ! زجاجة

« الريحة » « الكلونيا » دى لا بأس بها ! ..

ولا يكاد يدخل فضيلته منزله حتى تكون هذه البضاعة التى أعجبتة قد سبقته إلى البيت . ويجلس أحيانا أطفاله إلى جواره يباب الأجزاء أو يتركهم يامبون حوله . فاذا جاءوا أو بكوا صاح القاضى فى الأجزى القانونى :

— يا خواجه جيور ! هات للأولاد كم قرص

نعناع من عندك !

ويحتاج فضيلة المشرف إلى بعض المال فى بعض الأحيان فيقول للأجزى :

— هات من « الدرج » أربع « برايز »

وتربانة دجاج فيشتري منها فضيلته « زوجين » « عتاق » ويصيح فى الأجزى داخل الأجزاء :

— ادفع لما من « الدرج » يا خواجه جيور

وضاق ذرع الأجزى جيور آخر الأمر .

فصاح فى القاضى ذات يوم :

الدرج ! الدرج ! شوها المما بها الدرج !

ونشب الشجار بين المشرف والأجزى . وأقسم

— طول بالك ، انت يظهر عليك إنك مش عارفى . والله لا بد من اتى ...

فقاطعه المدة مستعطفاً :

— أنا رجل غلبان ...

فضى المأمور فى وعيده :

— انتظر ! إن ما كنت أدخلك البرلسان ، ما ابقاش أنا مأمور المركز !

— ليه أنا عملت إيه بس تدخلنى البرلسان ! قالها الرجل فى توسل وارتياح . فضحكت وعجبت . والتفت إلى المأمور قائلاً :

— كشوف الانتخابات فى جيبه وش عارف البرلسان ده بيق إيه . أم محمد نشغل منهم ١١١ ثم عاد المأمور والتفت إلى الرجل قائلاً :

— تفضل من غير مطرود !

نفرج المدة ذليلاً كأنه خادم أو مجرم ، وقلت فى نفسى هذه الآلة التى يذوقها فى حضرة رجال الإدارة لن تذهب سدى ، فهو سيذوقها بينهما لأهالى القرية التى يحكمها ، فان كأس الأذلال تنتقل من يد الرئيس إلى المرؤوس فى هذا البلد حتى تصل فى نهاية الأمر إلى جوف الشعب السكين يجرعها دفعة واحدة

وجلس إلى المأمور يعرف سبب « تشرفى » المركز بالزيارة ، فأخبرته أنه « الشوق » ، فاقبسم المأمور ابتسامة غير المؤمن بهذا السبب الأفلاطونى ، ولم أصر كثير على كلمتى ، وقلت فى هيئة الجدة :

— بلفك يا حضرة المأمور أن أحد المحضرين ضربه وحسوه أثناء تأدية وظيفته ؟

— فأجاب من فوره :

— ما عنديش خبر

عليها الاتفاق علشان رد الولاية امرأتى » . ففهمت وقلت له فى الحال : « انت يا رجل غلطت فى البيت انت قصدك القاضى الشرعى » ١١

فلم أبد دهشة كبرى وأطرقت برأسى . وسكت القاضى محدى قليلاً . ثم تحرك نحو باب الحجره وحيانى بيده نحمة مختصرة وذهب . وجلست وحدى قليلاً أفكر فى كل ذلك . ورأيت أن أقوم الى المركز فى شبه زيارة خاصة لأستطلع من المأمور عما أخبرنى به القاضى . فانطلقت بمفردى وخلقى حاجى حتى بلغت حجره المأمور ، فوجدته فى هذه المرة أيضاً مع أحد الممد يحاديه فى شبه عنف ولم تكن سباً هذا المدة ثم عن يسر ولا عن وقار ، ويخجل إلى أنه من أجناب الممد . « قال المدة كالجرادة » يتخذ شكل الأرض التى يولد فيها . فالأرض الخضراء تخرج الجراد الأخضر ، والأرض الصفراء تخرج الجراد الأصفر . وهذا المدة الأصفر لا شك من بلاد قاصية فقيرة على حدود المركز قرية من الصحارى . وسلمت على المأمور وقلت له باسم :

— دائماً مع الممد !

فقال فى نبرة تعب :

— نعمل إيه يا سيدى !

ثم أجلسنى وطلب لى القهوة . إذ على الرغم من اعتكافى عنه وعن ناديه ، فهو يحترمنى ولا يحمل لى ما يحمله لغيرى من الضغن . فاقى حريص دائماً مع رجال الإدارة على تنفيذ أوامرى فى مظهر بسيط لا يشعروهم بفضاضة الأمر . واستأذنى المأمور فى إتمام حديثه مع المدة لينتهى من شأنه ويتفرغ لى فأذنت له . فالتفت الى الرجل وقال له فى صياح وتهديد :

— إن كان على دى اظمئن
ثم سكت قليلاً ، وقال فى قوة وخيلاء :
— تصدق بالله ؟ أنا مأمور مراكز بالشرف .
أنا مش من المأمير الى انت عارفهم ، أنا لاعمري
أندخل فى انتخابات ، ولا عمري أضغط على حرية
الأهالى فى الانتخابات ، ولا عمري قلت انتخبوا
هذا وأسقطوا هذا .. أبدا ، أبدا ، أبدا . أنا مبدئى
ترك الناس أحراراً تنتخب كما تشاء ...
فقاطعت المأمور وأما لا أمكك نفسى من
الاعجاب :
— شيء عظيم يا حضرة المأمور ، بس الكلام ده
مش خطر على منصبك ؟ أنت على كده .. أنت
رجل عظيم ...
ففى المأمور يقول :
— دى دائماً طريقى فى الانتخابات : الحرية
الطلقة ، أترك الناس تنتخب على كيفها ، لغاية
ما تتم عملية الانتخاب ، وبمدين أقوم بكل بساطة
شابل صندوق الأصوات وأرميه فى التزعة ،
وأروح واضع مطرحة الصندوق الى احتيا موبينته
على دهلنا
— شيء جميل !
قلتها فى شيء من الاستغراب ممزوج بخيبة
الآمل . ولم أشأ أن أعقب على ما سمعت . ومددت
يمنى مسلماً . وخرجت وخرج خفى المأمور يشمعى
إلى الباب الخارجى ، وإذا بى أرى وأنا أجتاز فناء
للركز شريطة من الخفراء تتأهب للشحن فى
« اللوريات » ، ومن بينهم الشيخ عصفور بأسماله
وعوده الأخضر ؛ فالتفت إلى المأمور أسأله فى ذلك ،
فقال وهو يشير بيده إلى الرجال :

— حصل تبليغ للركز ؟
— لو كان حصل كنا ضبطنا لها واقعة وعملنا
قضية
— بالتاكيد
وأطرت قليلاً ، وفكر المأمور لحظة ثم قال :
— حد بلغ سمدتك بشيء ؟
— لو كان حد بلبنى كنت فى الحال باثرت
التحقيق
— مؤكد ؟
— المسألة يظهر أنها مجرد إشاعة
فانطلق المأمور يقول :
— هى وحياتك إشاعة ، خارجة من بطن
الحسكة لتشويه سمعة المركز ، وأنت لا يخفك أن
حضرة القاضى « طالع فيها » وغرضه يشنع علينا
بأى طريقة ...
وأراد المأمور أن يسترسل ، فبادرت باغلاق
هذا الباب حتى لا أزعج بنفسى فى هذا الشجار
القائم بينهما . حسبي أى أفهمت المأمور من
طرف خفى أى لست بناقل عن الموضوع ، وأنى
لا أحجم عن اتخاذ الاجراء اللازم فيه ، ونهضت
فى الحال ، ونهض منى ، وقلت مازحاً :
— والانتخابات يا حضرة المأمور ... ؟
— عال
— ماشية بالأسول ؟
فنظر إلى ملياً ، وقال لى فى مزاح كزاحى :
— حاضحك على بعض ؟ فيه فى الدنيا
انتخابات بالأسول !!
فضحكك وقلت :
— قصدى بالأسول : مظاهر الأسول

ومررت في سيري بجوار الشيخ عصفور
فابتدرته :

— البنت ريم راحت فين ؟
فنظر إلى الرجل شزراً ولم يعن بالرد على .
فأعدت عليه الكسرة في شيء من الرفق والاستعطاف
— ريم ياسيدنا الشيخ ، خلى نفسك وأنا
في مسألة البنت ريم !

فهز الرجل رأسه ، ولوح بعوده ، وقال مترنماً :
إيش راح ينسوك
من الشكيان ويضدك
ليه ما حكمتش
على طيرك وهو في إيدك
فابتسمت وقلت للشيخ عصفور وأنا أشير
بأصبي إلى المأمور :
— قل لحضرة المأمور ، هو اللي استلم الطير !
(يتبع) توفيق الحكيم

— أنفاز قايعة لحفظ النظام ساعة إعطاء
الأسوات ...

— والشيخ عصفور ماله ومال الانتخابات ؟
— مواويله تؤثر على عقول الفلاحين !
— يعني متتدب للدعاة !
فابتسم المأمور ابتسامة المصادق على ملاحظتي ،
وابتسمت أنا أيضاً وأنا أضيف قائلاً :
— حتى الشيخ عصفور شغلته في السياسة !
فنظر إلى المأمور نظرة ذات معنى ، وقال
في تهديد :
— نمعل إيه بس !

وفي هذه المباراة وهذا التهديد كل الكفاية في
جملي أرتي لحال لهذا المأمور وأقدر ذقة موقفه
ومسؤوليته أمام الرؤساء الذين يطلبون إليه نتائج
معينة بالذات بكل الوسائل التي يراها مؤدية إلى
النرض ، فإن أحجم أو تردد فصل بالرحمة ولاشفقة

في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر

بقلم الأستاذ

ابراهيم عبد القادر المازني

أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

التمن بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك يقبل في منتصف أغسطس

مكافأة

للمرسل على القاتل

تطلى مجلة « الرواية » مكافأة وقدرها ٥
جنيهات لمن يدل على القاتل في القضية المشار إليها
في « يوميات نائب في الأرياف » للكاتب الكبير
الأستاذ توفيق الحكيم التي تنشرها المجلة تباعاً
على أن تصل الردود إلى المجلة قبل أول يوليو مع
بيان الأدلة بوضوح وإيجاز



الثقل ، وترأب بمطافها وحدها
صدره المددوع
كنت ذات يوم أهنئ
صديقاً تصممت حوله أسرة
موفورة الصحة جهة النشاط
جمعت بين أفرادها أقوى

« لأخس من درر البهار ما يجده الرجل
من راحة بال ، وما ينم به من خفي البهجة
في كنف حب المرأة ، فما قربت المنزل إلا
وملأت صدري روائح النسيم ، فما أروح
ما يتردد في ظلال الزواج من أنفاس لها عير
ما أحلاه ، وما أطيب البنفسج في حياضه
يبلغ مداه » (مدلتون)

أوأصر المحبة ، فقال لي متحمساً : « ما أستطيع أن
أعني لك نصيباً في الحياة خيراً من أن تكون لك زوج
وبنوت يقاسمونك في يسرك الدجاء ، ويكوتون في
عسرك عزاءك وعونك على الفراء »

وهذا حق ، فقد رأيت الزوج الذي يتردى
في مهاوى البؤس أقرب نهوضاً من سقطته وأندر
على استعادة مكانته من الأعزب الوحيد . ويرجع
بعض الفضل في ذلك إلى أن لدى للزوج دائماً
أقوى على العمل هو حرصه على القيام بمطالب
أعزائه ضعيفي الحيلة الذين يعتمدون عليه في سد
حاجاتهم وحفظ حياتهم ، إلا أن الفضل الأكبر في
ذلك يرجع إلى أن ما يليق للزوج في داره من عطف
ومودة يخفف من همه ويزيل من حزنه ، ويجدد
نشاطه ويذكر ملكاته ؛ هذا إلى أنه لا يفقد الثقة
بنفسه ولا همون لديه قدره حين يرى أنه رغم ما يحيط
به من سواد وبرغم ما يصادف خارج داره من هوان
ما يرح يترفع في بيته عرش مملكة صغيرة من
الحبة والوداد . بيد أن الأعزب يكون في رؤسه

ظالماً أتيسر لي أن أشاهد
بطولة المرأة وثباتها في تلقى
ضربات القدر ممجياً باحثاً لها
الضراء بعد السراء ، حتى
ليجئ للفرء أن المحن التي تقفل
عزيمة الرجل وتصعد أركان

نفسه تستنهض المرأة وتستثير قواها ، وتبعث فيها
من البسالة والسمو ما يبلغ الدروة في بعض الأحيان .
وليس أوقع في النفس من رؤية امرأة رقيقة ناعمة
كانت أيام اليسر والنعيم عنوان الضعف وقلة الحول ،
وإذا بها تسمو بأدراكها فجأة فتصير سند الرجل
ومفرج كربته أيام رؤسه وخلال محنته ، وليس
أروع من رؤيتها تصمد لمواقف البؤس الجائحة
رابطة الجأش ثابتة الجنان

تلذذ الكرم بأوراقها النضرة حول السندiane
مستعينة بها على بلوغ شعاع الشمس قنظل معتمدة
عليها وتلك موكلة بها ، حتى إذا ما زلت بالسندiane
صاعدة فزقتها حنت الكرم عليها بمسايلجها الرقيقة
المطوف تضم بها أعصانها المرفقة وأنسجتها المشقة ،
كذلك حال المرأة تمول على الرجل وتكمل أمرها
اليه ، فلا تمد وأن تكون زينة بيته وحيلة أنسه ، فإذا
ما انقضت عليه البأساء بضربة من ضرباتها الهوج
شاء لطف الله في قضائه أن يجعل منها موئله وعزاه
فتزعي نفسه المضطربة بمحنائها ، وتحتمل برق رأسه

« مضاربات » واسمة النطاق . فلم يعض على زواجه كثير حتى فاجأته المأوى ترى فمصفت بما له . وفي لحظة وجد نفسه قد انحدر الى هوة الفاقة ، فظل وقتاً ما يخفى في نفسه حقيقة ما آل إليه أمره وقد شجب وجهه ، وتحلم قلبه ، وأصبحت حياته كريباً دائماً لا يريم . وبما زاد في كربه وجعله عسير الاحتمال على نفسه اضطرابه أن يتكاف الابتسام والحشاشة أمام زوجته ، إذ أنه لم يكن يقوى على ازواجها بالانفناء إليها بجملة أمره ، وحقيقة خطبه . بيد أنها على رغم ذلك رأت بين الحب التي لا تففل أنه لم يكن على ما يحب . فلاحظت نظراته الحائرة وزفراته العميقة ولم تخدعها محاولاته الناشطة في الظهور بظهور السرور ، وحاولت جهد ما ماكتت من روح صرح أن ترفه عنه ، فأحاطته بكل ما وسعها من رفيق العناء ، ورفيق الملاطفة ، مساهما تفاع في رد السرور الى نفسه وإعادة النبطة الى قلبه ، فأخفق مساهما ولم تفلح إلا في دفع البهم مدى جديداً في صميم فؤاده . فكما رأها أحق بأن يزيد لها حيا ، زادت نفسه كريباً ، وأمضه التفكير فيما سيحياه إليها من الشقاء والحرمان مما قريب . ودار بخله أنه لن يمضي إلا القليل حتى يفارق الفناء شفتها ويبارح الوميض عينها ، ويرزق قلبها الخفافق بين جنينها ، مثل قلبه ، تحت عبء هموم الحياة وأرزائها وأخير آجاء في ذات يوم وروى لي حقيقة حاله وكل ما انتهي إليه أمره بلهجة من أعمق الهجات بأساً ، وأشدّها بؤساً . فلما وقفت منه على جملة حاله سألته : « أو تعرف زوجك ذلك كله ؟ » فصاح بي وقد خففته العبرات : « بالله ألا ترجى فتشقق على ، ولا تذكر شيئاً عن زوجي ، فان التفكير فيها هو الذي يكاد يفقدني صوابي . »

فقلت له : « ولم التكنان ؟ ولا مناص من

عرضة لأن يهمل شأنه ويثلف نفسه ، إذ يحيل اليه أنه وحيد متروك ، سيحل بقلبه من البوار مثل ما يحل بالدار المهجورة حين يموزها النزول للمأول تميد إلى فكري تلك الخواطر ذكرى قصة من قصص الحياة الزوجية شهدت بنفسى ، فقد تزوج صديق لي سلب من فتاة جميلة مهذبة شبت وسط الحياة الجديدة وشفت بأعماطها الطريفة وأزيائها المستحدثة . لم تكن ذات ثراء ، إلا أن زوجها كان في بسطة من العيش ؛ وكان يروقه أن يتبع لها النعمى بمجاراة كل طريف والتحل بكل ما يضفي على المرأة غلالة السحر والفتنة من جميل الزى ، ونفيس الخلى . وكان يقول : « إن حياتها ستكون قصة من قصص عبقر » كان خيالياً يحيل إلى الحد والرصانة في حين كانت هي صريحة طروباً ، فكان لا متراجسهما اثتلاف شجي النغم عذب الألحان . ولطالما شهدت عن كذب ذلك الهيام الصامت الذي كانت تفيض به نظراته إليها ، وهما يجلسان بين الرقاق . وكنت أرى نظراته تلك تبعث في نفسها البهجة والسرور كما كنت أراها تتجه يبصرها إليه وسط التهليل والاحباب ، وكأنها لا تبحث عن مبتها من الاستحسان والقبول إلا عنده . ولقد كانت حين تشكى على ذراعه يلوح جبال قوامها الاثوى رائساً في تباينه مع طول قامته وبأدى رجولته ؛ وكان يبدو الاستسلام ويتدفق الحب في نظراتها إليه مما كان يبعث فيه الزهو بها والحب عليها ، وكأنه ما شنف بهذا الحل الوديع إلا لضعفه وقلة حوله . وهكذا مضيا في طريق هذا الزواج المبكر والاختيار الموفق إلى حياة زوجية تحفها الورود والرياحين مالمكين فيها من أزمة النعيم ومقومات السعادة ، واحتمالات الهناء ما لم يتج لتغيرها من الأزواج وشاء القدر أن ينصر صديق بما له في

« كيف تكتم الأمر عنها في حين أن الواجب أن تسلم به لتستطيع أن تمد المدة لهذا التغير الذي طرأ على معيشتك ، إذ من الواجب عليك أن تغير نظام حياتك ؟ فانت وجهه سبحانه من النعم لم تخف على فاسترسلت أقول : « كلا لا يجعل لذلك سبيلا إلى قلبك ، ولا تر فيه مدعاة لايام نفسك ، فاني واثق أنك لم تجعل سعادتك في يوم من الأيام رهينة للظهور الخارجي . ولا زال لك أصدقاء حميمون لا ينقصك في نظرم أن يقل رونق دارك ، ثم إنى واثق أنك لست بحاجة الى قصر منيف حتى تسد مع ماري »

فصاح مضطربا متأثرا : « اني لا أستطيع أن أسعد معها في كوخ وأن أحمدهم معها الى الغاية وأهوى الى الحضيض ، أستطيع ، أستطيع باركها الله ، باركها الله » صاح بذلك وقد غمره سيل من الأسى والبشجن فقلت له وقد تقدمت إليه وأمسكت يده بحرارة : « صدقي يا أختي وثقي أنها سوف تكون كما كانت وخيرا كما كانت . وسوف يكون من دوايجي فخارها ودليكي على انتصارها وسبيكي في استئثاره كامن قواها واستجاشة مدخر عواطفها أن تبرهن فرحة طروباً على أنها إذ أحبتك أحبتك لذاتك ، فان في قلب كل امرأة قبسا من نار علوية يظل كائنا ما أشرق نور أيام السراء فما ينتشر ضياؤه الاساءة ينجم ظلام الخطوب . وما يدري الرجل حقيقة زوجه وأنها راحة صدره والملك الكريم الذي يحوم حوله حتى يدرك بها غمار الحياة وتصهرها المحن »

لقد كان في صدق تمييزي وبلاغة لمحيي ودقة تصويري ما أقر فكره التأثير وهذا خاطره الروح ؛ وكنت أعرف من أحاول اقتناعه ، فتأملت الضرب على الوتر الذي أشجاء وانتهت باقتناعه بالذهاب الى بيته والافضاء الى زوجه بما أحزنه وناب به قلبه

أن تعرف جليلة الأمر عاجلاً أو آجلاً فلن تمك كتباه عنها طويلاً ، وعند ما تظهر لها الحقيقة يوما ما سوف يكون الخبر أشد وقعا على نفسها ، وأكثر إيلا لها مما لو كاشفتها به ، فان لهجة الحبيب مخففة وقع الخبر الشديد ؛ هذا إلى أنك لم تحرم نفسك بهذا السكنان راحة عطفها فضلاً عن أنك بتصرفك هذا تخاطر بالرباط الذي يؤلف بين القلوب ، ألا وهو تبادل الفكر حرراً ، وبث الشعور صريحاً . ولا بد من أن تكتشف عاجلاً أن أمراً يقلق بالك ويكريك ، وليس طي الأمرار في النفس مما يرضى الحبيب ، فتشعر عندئذ أنك تبخسها حقها وتنتقص قدرها ، ويسوءها أن ترى أحزانك أنت يامن تحب قد أخفيت عنها »

« أوه ! ولكن ألا تتصور يا صديقي أثر تلك الضربة التي سأطرح بها كل آمالها وأمانها ؟ ألا ترى أنني سأهوى بقلبها الى التري حين أخبرها أن زوجها قد أصبح فقيراً ، وأن عليها أن تطرح عنها مطارف الحياة وزينتها ، وتترك مباحج المجتمعات وفننتها . وتزوي مي في عالم الفقر الدقع والظلام الملعين ! كيف أخبرها أنني قد هبطت بها من ذلك الجو الذي تملق فيه ، والذي كان في وسمها لولا ما حل في أن تظل محاطة فيه في اشراق دائم نوراً لكل عين ، وبهجة لكل قلب ، كيف تحتل الفاقة والترتبة ، وقد شبت في أعطاف اليسر ؟ كيف تحتمل الأزواء والامال وقد كانت معبود المنتديات ؟ أوه ! إن ذلك سيحطم قلبها .. إن ذلك سيحطم قلبها رأيت بليتها في جزعه فتركت به يتدفق في حديثه فالحديث يسرى عن نفس المحزون ، ويفرج كربة المكروب . فلما هدأت ثورته ، ورأيت أنه قد هدأته واستسلم للكتابة عدت الى حديثي في رفق ولين وأخذت أحثه على المبادرة بالافضاء الى زوجه بذات نفسه وحقيقة أمره فأولماً بالقبول ؛ ميدأه كان جد محزون

والذي تصلي ناره كل حين توجسا من كشف المستور .
ولست متاعب الفقر شيئاً الى جانب متاعب الادعاء
الكاذب وتكاليف الكبرياء والتطلع للجيب الخاوي .
إن محاولة المحافظة على المظهر الفارغ هي التي يجب
أن تضع لها حداً ؛ فكن شجاعاً في قبول مظهر الفقر
فانك بذلك تجرد الفاقة من سلاحها البتار وعذاها
الآليم « فوجدت من ليسلى تمام الاستعداد لقبول
هذه الفكرة إذ لم يكن فيه ميل للادعاء الكاذب
أوحب للمظهر الفارغ ، أما وزجه فحسبنا ما أظهرت
من ميل للسير وفق مقتضيات ما آل إليه حاله

جاءني ذات مساء بسد ذلك بأيام ، وبعد أن
تخلى عن منزله واتخذ لنفسه كوخاً صغيراً في
القرية على مسافة أميال من المدينة ، وكان قد شغل
طيلة يومه في إعداد أمانه ، وما كانت تلك الدار الجديدة
تتطلب من الأدوات إلا القليل البسيط ، وكان قد
باع الأثاث الفاخر أثاث منزله السابق إلا أنه أتى
قيثار وزوجه وقال : انه احتفظ به لأنه قريب الصلة بها
متصل بأقصوة هواهما ، وأنه يذكره بضمعة لحظات
من أحلى لحظات هيامهما ، حين كان يجلي الى القيثارة
ويستمع الى صوتها الشجي الحنون . فما وسمعي
إلا الابتسام لما ينطوي عليه هذا الزوج اللئيم من
فروسية ووفاء . لقد كان ذاهباً الى الكوخ حيث ترك
زوجه تقوم باعداده ، ولما كنت مشوقاً الى تتبع
قصة هذه الأسرة وكان المساء جيلاً فقد اقتدرحت أن
أحبه . ولقد كان متعباً لما بذل في يومه من جهد
فسار وقد انتابته نوبة من التفكير الحزين . وأخيراً
سعد من بين شغتي زفرة عميقة وقال : « مسكينة
ماري ! » فقلت له : « وماذا لها ؟ هل أصابها شيء ؟ »
فقال لي وقد أتى إلى بنظرة ماول : « كثير عليها
أن تنحدر إلى هذا المكان الوضيع ، وأن تحبس
في هذا الكوخ الشنيع ، وأن تضطر إلى معاناة

ولا بد لي من أن أعترف بأنني على رغم كل ما قلت
كنت قلقاً غير مطمئن الى النتيجة ، إذ من يستطيع
أن يعتمد على جلد من عاشت كل حياتها بين القو
والسرور ؟ أليس من المحتمل أن تمرد تلك النفس
الطروب عند ما ترى ذلك للنحدر الظالم الذي شقه
البؤس فجأة أمامها ؟ أو ليس من المحتمل أن تظل
روحها المرحمة متعلقة بالأفاق المشرقة الخيلية التي
ظلت حتى الساعة تسمد بها ؟ وما أمر الضيق بمد
السمة لمن أحبوا مستحدث الأزياء وطريف الملاهي ،
فان الفاقة لتجلب لهم من الآلام المبرحة ما لا يحسه
غيرهم من الناس . وعجمل القول اني لم أستطع أن
أنتي صديقي في الند إلا وأنا مشفق مضطرب وكان
قد أفضى إليها بدخيلة نفسه وحقيقة خطبه
« وكيف تلت الخبر ؟ »

« كاللاك ، حتى لكأما كانت فيه راحة فكرها ،
فطوقت عنقي بذراعها وسألتني : أهذا كل ما أحرزك
طيلة هذه الفترة الأخيرة ؟ » ثم أضاف الى ذلك قوله
« إلا ان الفتاة المسكينة لا تستطيع أن تتبين ما لا بد
لنا من ملاقاته من تبدل حال بحال . انها لا تعرف
الفقر الا تصورا مما قرأت عنه في شعر الشعراء ،
لا يوجد الا إحاطا بالحلب مقرونا بالهوى ، انها لم تشمر
بعد بانما فقدنا شيئاً ما إذ لم تمان بسد الحرامن مما
ألقت من الناعم والمطارف ، ولكن التجربة الحقيقية
ستكون عندما نصلهم بالواقع وتمان وضع الشاغل
ونافه الحاجات ورقة الحال وسوء المال »

فقلت له : « أما وقد انتهيت من مكاشفتها
وتلك هي المهمة الشاقة فانك ستجد عما قريب سراً
خفياً يبذل أمامك الحياة فتراهما تسير بك من حال
الى حال أهناً وأسعد . نعم إن الكشف عن الخبر
الشؤم قد يؤلم إلا أنه ألم ساعة يزول ، وأما
حرصك على البكتان فهو الكرب الذي لا ينتهي

الأفئاث ، وقد ظهر حول الباب وفي مدخله
المختوض عديد من أواني الزهر نسقت تنسيقاً
فيه سلامة اللبوق ، وانفجر الباب الخارجى الصغير
عن عرق بين الأشباب يؤدى إلى الباب الداخلى
فما كنا نبقله حتى سمعنا نفا موسيقيا ؛ فأمسك ليسلى
بيدى فوقنا نستمع إذ كان الصوت صوت مارى تنفث
فى بساطة رائحة مقطوعة من المقطوعات التى يحبها
شمرت بيد ليسلى تضطرب فى ذراعى ووجدته
يتقدم ليستطيع أن يستمع بوضوح ؛ فكان وقع
أقدامه صوت على المر المرصوف ؛ فأطل من النافذة
وجه مشرق جميل ما لبث أن اختفى وسمعنا خطوات
رفيفة ، وأقبلت مارى للقيانا مرتدية ثوباً ريفياً
جيلاً أبيض اللون ، وقد وضعت فى طيات شعرها
الجليل بضع زهرات برية ، وقد علت النظارة
والرواء وجهها وتوردت وجنتاها وأشرق بالانسام
عيناها ، فارتأيتها قط أكثر منها ابتساماً مما بدت
عليه فى تلك اللحظة ، فهتفت : « عزيزى جورج ،
كم أنا مسرورة بقدموك ! فلقد طال انتظارى إليك ،
ولقد كررت إلى المنهاف أبحث عنك . لقد أعددت
المائدة تحت دوحة جميلة تخاف الكوخ ، ووجعت لك
بعضاً من أطيب نمار الفرولا التى تحبها ، ولدينا إلى
جانب ذلك قشدة ممتازة . إن كل ما هنا عذب وهادئ »
ثم وضمت يدها فى يده ونظرت إليه منشرحة
وقالت : « أوه ! سنكون سعيدين كل السعادة »
فقلب ليسلى على أمره ، وضمها إلى صدره وطوقها
بذراعه وقبلها ثم قبلها ولم يستطع الكلام ، وغلبته
الدموع فلأت عينيه . ولطالبا أكد لى أنه رغم
ما أصابه بعد ذلك من نغمى وبغرم ما انتهى إليه من
خير وسعادة ، فإنه لم يشعر قط بأعذب ولا أسعد من
تلك اللحظة التى غمره فيها من القنطة والسعادة ما لا
سبيل إلى وصفه ولا حد لجلاله . حسين محمد لامل

مشقة العمل فى هذا المسكن النصب »
« هل تأت من هذا الانقلاب ؟ »
« تألت اكلاً ، لم تبارحها عذوبة روحها وصفاء
نفسها حتى ليدبو عليها أنها أكثر مرحاً وسروراً
بما كانت عليه فى أى وقت آخر . ولقد كانت كلها
جباً ، وكلها عذوبة ورقة ؛ فكانت راحة قلبى
وبهجة نفسى » فقلت متعجباً : « يا لها من فتاة
تستحق الإعجاب ! أو تدعى أنك فقير ياصديقى وأنت
لم تكن أكثر غنى منك اليوم ، إذ لم تنكشف لك
قبل اليوم جوانب تلك المظلة التى لاحد لها
والتي أنعم الله عليك بها فى شخص هذه المرأة »
« أوه ! ولكنى لا أستطيع أن أستريح
ياصديقى حتى يمر بسلام أثر اللقاء الأول لهذا
الكوخ ؛ فهذه أول مرة تصطدم فيها بالواقع
وتجرب فيها الحقيقة المرة ، واليوم فقط تلج مسكنا
وضيقاً تكدر فيه طيلة يومها فى إعداد حقير لوازمه ؛
واليوم فقط تذوق متاعب الأعمال المنزلية ؛ واليوم
فقط ترى نفسها وقد حرمت المطارف ، وفقدت
المنع ، وفارقها النعم ، وذهبت عنها الراحة ، ولما لها
تجاس الساعة متمعة كثيفة تفكر فى أمر ذلك الفقر
المقبل الذى تستصلى ناره وتلقى أذاه » ، ولقد كان فيها
قائه شيئاً من الصدق وكثيراً من الاجتهاد لم أستطع
أن أمارى فيه ، فسرنا صامتين
اثنتين من الطريق المام إلى منعطف ضيق
ألقى عليه أشجار الثاب ظلاً كثيفاً أوضح عزلة
ذلك المسكن ، وقد ظهر المنزل قبالتنا تبدو بساطته
خليفة بمحاج أشد الشمرء شفقاً بالريف وإثارة
للبسطة ، وإلى جانب تلك البساطة تجلى جمال
النظر الرقيق ، إذ امتدت على جانب من الكوخ
كرمة برية غمرته بكثيف من ناضر الأوراق كالقوت
على الأشجار الشجرء فينان الأعصان ورشيق

المريض

د. ستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني



لينيها ؟ وكيف جف وتصلب جسمها الذي كان بالأمس رخصاً ؟ وجاوز الأمر التثاؤب الى التعبيس فأحس أنه ثقيل على نفسها ، فكف عن الدرس ، وراح يسأل نفسه : « كيف حدث هذا ؟ . لقد كانت أول يوم خفيفة مرحة ، وكان فيها لين و مرونة ، وكان الجلال يضحك بوجهها ، وبصيته نوره ، فهل ترائى أذونيها وأخذت هذا الضياء ؟ » وضاق صدره ، وهو جالس ، ولم يحتمل كل هذا الجلال الذي يخالبه ، فصفق وطلب كأساً من الويسكي ولم تكن الخمر مما يحب ، ولكنه خالف عادته ، لعل الخمر ترفع هذا الذي جثم على صدره ، وشرب الكأس بلا مزج ، صرفاً ، بغير تقطيب وطلب أخرى ألحقها بالأولى ، وثلاثة شمشعها بالصدود ، فقد أحسن أنه صار أخف وأقوى ، وأن الحجر الذي كان على قلبه قد انحط ، فقد صمد الشراب الى رأسه ، فرقع عينه وأجأها في الفتيات السائرات وراح ينقدهن أيضاً ، فهذه صدرها أعلى مما ينبغي لمن كان لها مثل عودها ، وتلك مصومة لا تدي لها ولا خصر ولا ردف . وهذه الثالثة بديمة التكوين ، ولكن ينقصها أن تكون خطوط جسمها ألين ، والرابية . . . أوه ما شاء الله . . . لقد تحسن النسل جداً في هذا العصر . أين من هؤلاء أمهاتنا اللواتي كن يخرجن ملفوقات في

جلس سالم في (الأمريكين) مطرقاً ينظر إلى كعب حذاءه الذي صقله له الرجل منذ دقائق ، وكان يحركه كأنما يريد أن يحفر حفرة في الأرض الصلبة . وكان كرسيه قريباً من رصيف الشارع ، وكان غاصاً بالناديات والرائحات من كل فائنة عمشوقة القوام ، ولكن عينه لم تكن إلين بل إلى الأرض وكان في الحقيقة يديرها في نفسه ، ويتساءل : « لما دخلت حياتي الى الآن من المرأة ؟ » ولا يهتدي الى جواب لسؤاله ، فقد كان في السابعة والعشرين من عمره ، وكان ماله كثيراً ، ولا عمل له إلا إنفاق هذا المال — إن صح أن هذا عمل — وكان يحس أنه ليس حياً بالمعنى الصحيح ، وينكر من نفسه انقباضه عن الخلق ، وحياده وخجله من المرأة . وتذكر ، وهو جالس راجع نفسه وبتمهما بالضعف وعدم الصلاح للحياة ، أنه حاول مرة أن يتعلم الرقص وكانت مملته رشيقة خفيفة فاستقبلته أول يوم بالابتسام والترحيب ، وعلمته خطوات ، وكان يحسها لينت مؤانية ، ولكنه لم يجعل به الى ذلك ، وإن لم يفته الشعور به ، بل أقبل على الدرس جاداً كأنما الدنيا ليس فيها غير قديميه ، فما أضيّق رقبتها ! فلما كان الدرس الثاني ، دار معها دورات لاحظ أنها انقلبت جامدة ، وأنها سارت كأنها ناعمة ، فقد كانت تتناوب بالقليل ! فمجب أن ذهب

وَأدْهَشَ سَالِكًا أَنْ الْفَتَاةَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ كَمَا نَظَرَ إِلَيْهَا ،
وَأَنَّهُ لَمْ يَسْوَها تَحْدِيقَهُ فِي وَجْهِهَا ، بَلْ ابْتَسَمَتْ
حِينَ أَيْضًا ، وَتَأَمَّلَتْهُ كَأَنَّهَا تَفْحَصُهُ أَوْ تَجْمَعُهُ بِمِيزَانِهَا
ثُمَّ انْصَرَفَتْ عَنْهُ وَمَضَتْ فِي سَبِيلِهَا وَلَمْ تَلْتَمِثْ بَعْدَ
ذَلِكَ وَرَادَهَا أَبَدًا . وَكَانَ عَهْدُهُ بِالْفَتَيَاتِ أَنَّهُنَّ
لَا يَنْظُرْنَ إِلَيْهِ ، وَلَا يَقَعْنَ لَهُ وَزْنًا . وَقَدْ تَلَقَّى عَيْنَهُ
بِمَعِينٍ لِإِحْدَاهُنَّ انْتِفَاقًا ، لَا عَنْ عَمْدٍ مِنْهُ ، فَكَانَ
يَجْرُو عَلَى ذَلِكَ ، فَتَحَوَّلَ وَجْهًا كَأَنَّهَا رَأَتْ مَا تَكْهَرُهُ
فَكَانَ يَمِجُّ وَيَسْأَلُ نَفْسَهُ : « مَاذَا يَأْتِي بِمِغْضِي
إِلَيْهِنَّ ؟ أَأَنَا دَمِيمٌ ؟ فَأَيُّ أَرَى أَشَدَّ النَّاسِ دِمَامَةً
تَعْمَقُهُمْ فَتَيَاتٍ صَدِيقَاتِ الْوُجُوهِ مَدْهَشَاتٍ ! أَمْ
أَنَا ثَقِيلُ الظَّلِّ ؟ وَلَكِنِّي لَا أَقُولُ وَلَا أَفْعَلُ شَيْئًا .
فَإِذَا بَرِينٌ مِنْ ثَقُلِ ظَلِّي إِنْ كَانَ تَقِيلًا ؟ (وَيَمِزُ عَلَيْهِ
أَنْ يَقْرَأَ عَلَى نَفْسِهِ بِثَقُلِ الدَّمِ فَيَقُولُ) أَظُنُّ أَنَّهُ يَنْقُصُنِي
شَيْءٌ . . . وَلَكِنِّي مَا هُوَ ؟ (وَلَا يَهْتَدِي إِلَى النِّقْصِ
فَيَقْصُرُ يَأْنَسًا)

وَلَمْ يَخْطُرْ بِإِلَالَةِ هَذَا الْمَاءِ أَنْ يَهْ نَقْصًا ، أَوْ أَنْ
ظَلَّهُ ثَقِيلٌ ، أَوْ أَنَّهُ دَمِيمٌ ، فَقَدْ صَرَفَهُ عَنْ ذَلِكَ
مَا شَرَبَ عَلَى خِلَافِ عَادَتِهِ . وَكَانَتْ ابْتِسَامَةُ الْفَتَاةِ
حَسْبَهُ مَطْلَبًا لِكُلِّ هَذِهِ الْخَوَاطِرِ الثَّقِيلَةِ مِنْ رَأْسِهِ ،
فَزَرَرَ الْجَاكُتَةَ وَمَضَى وَرَادَهَا يَرِيدُ أَنْ يَدْرِكَهَا .
وَكَانَتْ أَسْرَعَ مِنْهُ ، وَلَكِنَّهُ هَوَّضَ ذَلِكَ بِقُوَّةِ
الْإِرَادَةِ ، وَصَحَّةِ الزَّمَمِ ، وَإِذَا بِهَا تَقِفُ أَمَامَ مَدْخَلِ
عِمَارَةٍ ضَخْمَةٍ عَالِيَةٍ ، عَلَى الْجِدَارِ إِلَى جَانِبِ بَابِهَا
الْوَاسِعِ لَوْحَاتُ كَثِيرَةٍ فَقَالَ وَهُوَ يَهْجُ : « سَمِيدَةُ »
فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ مَلِيًّا ، وَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا أَنَّهُ السَّكْرَانُ
الَّذِي كَانَ يَتَنَّى فِي الشَّارِعِ ، وَخَطَرَ لَهَا أَنْ تَتَّقَى
إِسْحَاطَةَ فَقَالَتْ : « سَمِيدَةُ » وَكَانَتْ السَّكْرَةُ قَدْ
رَاحَتْ . . . طَارَتْ فِي الْمَوَاءِ . . وَلَمْ يَبْقَ فِي رَأْسِهِ
إِلَّا الرِّغْبَةُ فِي مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْفَتَاةِ الْجَمِيلَةِ بِأَيِّ عَمَلٍ ،

الْمَلَامَاتِ ، وَكَأَنَّ مِنْهَا فِي غِرَارَاتٍ أَوْ زَكَايِبِ ؟
وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِهَذِهِ الْمَنَاطِرِ وَزَايِلَةِ الشُّعُورِ بِالْكَدِّ
وَالْحَرَمَانِ ، وَأَنَسَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةَ وَجَرَأَةٍ لَا عَهْدَ لَهَا
بِهَا ، وَكَانَتْ هَذِهِ نَشْوَةً ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ
أَوْ يَفْطَنُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ الشَّرَابُ قَدْ أَدَارَ رَأْسَهُ ، فَخَمَضَ
يَتَمَشَّى وَوَضَعَ طَرَبُوشَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِغَيْرِ احْتِفَالٍ ،
وَكَانَ الزَّرُّ إِلَى الْأَمَامِ ، وَكَانَ رِعَا أَطْرَقَ وَهُوَ سَاطِرٌ
عَلَى عَادَتِهِ ، وَلَكِنَّهُ فِي هَذَا الْمَسَاءِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَرْفَعَ
رَأْسَهُ ، وَكَانَ حِينَ يَفْعَلُ ذَلِكَ نَجَافَةً يَلْمَحُ الزَّرُّ
فِيضَهُمْ وَيَضْرِبُهُ بِأَصْبَعِهِ فَيَدُورُ ثُمَّ يَسْتَقِرُّ بَعْضُ
خَبِيطَتِهِ فَوْقَ الطَّرَبُوشِ وَالْبَاقِي يَتَدَلَّى عَلَى مُسْتَدَارِهِ
فِيضَهُمْ كَرَأْسٍ أُخْرَى وَيَهْزُ رَأْسَهُ مَسْرُورًا ، ثُمَّ يَرْوِحُ
بِقَفِي ، لَا بِشَعْرٍ أَوْ نَحْوِهِ ، بَلْ يَمِضُ مَا يَدُورُ فِي
نَفْسِهِ مِنَ الْخَوَاطِرِ ؟ وَكَانَ تَلْحِينُهُ مَبْتَكِرًا لَا تَشْوِبُهُ
شَائِبَةٌ مِنَ التَّقْلِيدِ ، وَكَانَ فِي الْوَاقِعِ أَشْبَهَ بِمَنْ يَتَقَى
نَفْسَهُ فِي الْحَمَامِ لِيَتَسَلَّى ، وَلَمْ يَكُنْ يَحْسُ أَنْ فِي
الدُّنْيَا نَاسًا يَرْوَحُونَ وَيَجِيشُونَ وَيَسْتَفْرِجُونَ حَالَهُ
وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَبْتَسِمُونَ أَوْ يَقَطِّبُونَ . وَكَانَ هُوَ
يَصْبِيحُ - وَفِي ظَنِّهِ أَنَّهُ يَهْمِسُ - كُلُّ بِنْتٍ تُحِبُّ
أَنْ تُحِبَّ . - يَا سَلَامٌ ! . . . تَمَامٌ ! . . . لَنْ تَأْكُلَنِي
إِحْرَاسًا . . . أَبَدًا ! »

وَأَجَالَ عَيْنَهُ وَهُوَ يَتَبَسَّمُ رَاضِيًا عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ
الدُّنْيَا الَّتِي حَكَمَتْ نَجَافَةً فِي عَيْنِهِ ، فَوَقَعَتْ عَلَى فَتَاةٍ
أَيُّقِنُ حِينَ رَأَاهَا أَنَّهَا أَجَلٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ . وَلَا شَكَّ
أَنَّهُ كَانَ مَبَالِغًا ، وَلَكِنَّهُ الْحَقِيقَةُ أَنَّهَا كَانَتْ جَمِيلَةً .
وَكَانَتْ وَسْطًا لَا بِالطَّوِيلَةِ وَلَا بِالْقَصِيرَةِ ، وَغَضَّةٌ
هَيَفَاءَ لَا هَزِيلَةً مَعْرُوقَةً ، وَلَا بِدِينَةٍ يَلْمَحُ عَلَيْهَا اللَّحْمُ ،
وَسَمَرَاءَ وَلَكِنَّ شَعْرَهَا نَاعِمٌ وَحَفٌّ ، وَذَهَبِي مَرْسَلٌ
لَا يَبْدُو أَنَّ شَيْئًا يَمَسُّهُ مِنْ مَشَابِكِ أَوْ نَحْوِهَا ،
وَكَانَتْ خَطَرَتَهَا رِقَصًا بَلَا تَكْثُفُ ، وَمَشْيُهَا انْسِيَابًا ،

التي احتسها قوت ضمه . وثبتت جناحه فزعته من أن يكون هذا آخر العهد بها ، فلاحق بها كالجنون ، وإذا بها تدخل عيادة الدكتور جيل ولم يكن قد عني بأن يعرف أى طبيب هو ، ولكن ما قيمة هذا ؟ . . . وجلس في غرفة أشار إليها الخادم ، وكانت غاصة بالخلق فتشهد لأن هذا خليف أن يتيسر له أن يطيل المكث حتى يرى الفتاة مرة أخرى أو تمنح فرصة لـ . . . من يدري ؟ . ثم نهض وراح يتعمش في الردهة ، فقد كان يحس أن السكون شاق ، وخرج الخادم في تلك اللحظة من غرفة السيدات ، فأوماً إليه وناوله عشرة قروش وشرع يلقى عليه سؤالاً بسد سؤال ، لا عن الدكتور فما كان يعبأ به شيئاً ، بل عن المارة وملك من هي وأجرة الشقة فيها ، كما أنما كان ينوى أن يشربها ، ثم وثب فجأة وبلا مناسبة إلى السؤال عن الفتاة التي جاء وراءها ، ولم يتمنر على الخادم أن يعرفها لأن سالماً وصفها وصفاً دقيقاً وإن كان لم يخل من المبالغة ، ثم لأنها كانت آخر من دخل قبله ، فأراه إلاً قول الخادم : « آه الرئيسة خديجة ؟ » فدهش سالم وسأله : « عمن تشكك ؟ » قال الخادم : « عن الرئيسة خديجة ؟ » فسأله سالم : « مالها ؟ » فقال الخادم : « ألم تكن تسأل عنها ؟ » فقال باستغراب : « هل سألتك عنها ؟ » قال : « آه ، هذه هي خارجة » وكان هذا صحيحاً ، فهم بأن يتبعها ، ولكنه أحجم فقد صار حسبه أن الخادم يعرف من هي ، ثم سأله : « هل قلت الرئيسة ؟ الرئيسة أين ؟ » قال : « في مستشفى الدكتور » فسأله : « هل للدكتور مستشفى خصوصي ؟ » قال الخادم : « طبياً أحسن مستشفى » فسأله : « ماذا يماجون فيه ؟ » قال : « كل الأمراض » وهم بأن

مظاهير بأن يتأمل اللوحات الكثيرة وقال : « أظن أن عيادة الدكتور جميل هنا ؟ » وأشار إلى اللوحة التي تحمل هذا الاسم . فابتسمت وسرها أنه يتكلف البحث عن اسم طبيب ليخلق موضوعاً للكلام ، وخيل إليها أنه ليس بسكران كما توهمته ، واعترفت أنه وسيم مليح القنيات فقالت : « ربما .. من يدري ؟ » فقال : « إذا لم يكن .. أى هؤلاء أحسن ؟ هل لك أن تشيرى على ؟ » ولم يكن يريد أن يقول ذلك ولكنه قاله بلا تفكير ، فلم يسمها إلا أن تصحك ثم قالت : « هل أنت واثق أنك تريد أن تدخل عيادة طبيب ؟ » فقال : « بالطبع . إلى صريض جداً .. لا أدري كيف عشت إلى الآن .. كيف أسكن أن أعيش » وأحس وهو يقول ذلك أنه ليس خير ما يقال لفتاة جميلة يرجو أن يستعملها إليه . وماذا تصنع فتاة عشت في مستشفى متحرك ؟ ولكن السيف سبق المدل . وسمها تقول — كما كانت تقرأ خواطره — « مسكين ! ألا يحسن أن تذهب إلى مستشفى ؟ » فقال بسرعة ، فما كان يعنيه إلا الكلام والسلام : « والله فكرة ... هل تعرفين مستشفى ؟ » ولم ينتظر جوابها بل اندفع يقول : « اسمي . من أنت ؟ . من عسى تكونين بغض النظر عن كونك أجمل فتاة على ظهر الكرة الأرضية ؟ » فخلقت في وجهه ، وقد أدعشتها جرائه ، ولكن لهجة الجدد والاخلال لم تقها ، ومنعتها أن تنفض ، وأقنتها أنه يقول ما يعتقد فابتسمت واكتفت بأن تقول : « اسمع لي ... » ودخلت المارة وتركته واقفاً ، فتردد وعاوده الحياء القديم الذي أفسد عليه حياته ، فقد كان ذهابها ، هكذا فجأة ، صدمة كانت تضيق تشجيع الإبتسامة التي أجرت وراءها ، ولكن بقية الكؤوس

فقال الدكتور : « بالطبع المستشفى أجسن وأضمن ، ولكن المسألة متعلقة بك »
فكاد سالم يرقص من الفرح وقال : « جيل أستطيع أن أدخل الليلة »
فسأله الدكتور بدعشة : « الليلة ؟ ولم هذه المجلة ؟ »

فقال سالم : « خير البر عاجله ... شيء لا بد منه لسأذا تؤخره ؟ إلى أكره التلكؤ-والبلادة والتردد ... نعم الليلة »

قال الدكتور وهو يتأمل : « حسن ، سأرى . إنك أغرب مريض رأيته ... لا يبدو عليك أقل إدراك لخطورة حالتك »
قال : « بالمعكس ... أنا واثق أنها خطيرة جداً وأنها ستكون أخطر إذا بقيت خارج المستشفى دقيقة واحدة »
قال الدكتور : « كما تحب »
وتناول التليفون

كانت مصحة الدكتور جيل بك في حي هادي محيط به البساتين ، وكان النظام فيها دقيقاً والتمانية شديدة بالرضى ، وكان فيها درجتان افتتان ليس إلا ، فليس للفقير فيها محل ، ولا يحتاج ان يقول ان سالما آثر أن ينزل في الدرجة الأولى ، لا حباً في الواجهة أو الفخفة ، وان كان ماله كثيراً ، بل لأنه أراد أن يكون أقرب الى الريسة خديجة وأدنى وسيلة إليها . وكان رأى الدكتور جيل فيه قد سبقه الى المصحة ، فلم كل من فيها أن مريضاً مدنفاً قد يصبح هامة يوم من الأيام في شهر من الشهور المقبلة قادم ليقيم في المصحة ويراقب ويعالج ما أمكن العلاج ،

يسردها ، ولكن سالماً قطع عليه الكلام بأن دس في يده عشرة قروش أخرى وقال - أوصاح - « هذا أحسن طبيب وأنا أسعد الناس » فقال الخادم : « الله يشفيك يا بك »

وجاء دور سالم فدخل على الدكتور جيل ، وكان طويلاً مديد القامة ، وشاباً ولكنه يؤثر أن يترك عثونه ليزيد وقع علمه وفعل طبه بوقار الشيخوخة المستعار

وسأله الدكتور : « مالك ؟ »
فأبسم سالم وفرك كفيه ، وراح يصف الأمراض التي يسمع بها ولا يعرفها ، ويزعم أنه مصاب بها جميعاً وفي وقت مما . وكان الدكتور يصني إلى وصف حالته وآلامه فيقطب ، ثم يزداد تقطيباً ، حتى صار جبينه كالخصير ، ولما فرغ سالم من الوصف نهض الدكتور وزام وهو يتمشى وقال « ارقد هنا »

ولخصه بمناية وجمل وهو ينقر على بطنه ويتحسس أمعاءه ويضبط هنا وهناك يزوم ويهز رأسه أسفاً ، وسالم يرى ذلك فيخفق قلبه طرباً ، ثم قال الدكتور : « البس ثيابك ... واسمع ... » فأقبل عليه سالم بوجهه وقال : « نعم نعم ؟ » فقال الدكتور : « إلى آسف ... مرضك صعب ويحتاج إلى عناية شديدة ووقت طويل ... والنتيجة (وهو كتفيه) لا أدري ... قد تشفى أو لا تشفى ... »

فسر سالم جداً وقال بلهفة : « ألا ترى يادكتور أنه يحسن أن أدخل المستشفى لينظم العلاج ويؤمن الخلط ؟ »

فقال لها : « إسمي ... متى تكون الريسة خديجة هنا ؟ »

قالت : « غدا صباحا ... لماذا ؟ . هل تعرفها ؟ »
قال : « لن أعرف أحدا إذا لم أعرفها ...
أخبرها أنني أريد أن أكلها قبل أن تغير ثيابها ...
مفهوم ؟ »

حدثت الريسة نفسها أن مريضا مثله مشغيا
على التلف جدير بأن يجاب إلى رجاء كهذا لا ضير
منه ، وفي هذه اللحظة جاء من يدعو إلى التليفون
فذهب وتناول الساعة وقال :

« إسمع يا دكتور من فضلك ... إنى لأحب
أن أرى حولى ناسا وجوههم بيضاء ... السمرة
هى اللون الذى أحبه ولا أطيق سواه ، فإذا لم يكن
عندك ممرضة أو ... أو ... أو ... ريسة سمراء
فانى أخرج الآن ... لا يمكن أن أبقى ... لا فائدة
من أى علاج ... »

فقال الدكتور : « أوه لا تخف ... أطمئن ...
سنجد لك ممرضة سمراء ... انهن كثيرات »

فصاح فى التليفون : « لا لا لا لا . ليست كل
سمراء صالحة . . . سمراء واحدة هى التى يمكن أن
أطمئن إليها وأرضى أن أضغ نفسى بين يديها »
فسأله الدكتور : « من هى ؟ »

قال : « لا أدري . . . لقد رأيتها فى منامى . .
وأحلامى كلها صادقة . . لا يكتنب واحد منها . .
ومتى رأيتها عرفت . . فإذا لم تكن هى التى بدت
لى فى حلمى ، فلن أبقى دقيقة واحدة هنا . . وهذا
شرط لا سبيل إلى النزول عنه »

قال الدكتور ملاحظا : « سنرى غدا . . انتق
من شئت ممن عندنا من السمراوات »

فلما رأوه يدب على الأرض وهو داخل كائنا هو
ذهب إلى مرقص ، وبصفر وهو يمتنى ، ويدبر
المصابين أسابيه ، دهموا وبهتوا وخيل إليهم
أن فى الأمر خطا أو أن هن الأذم أنه هو المريض
وجاء بدلا منه . وفركوا عيونهم التى لم يصدقوها
وأحاطوا به - رجالا ونساء - وراحوا يصمدون
عيونهم إلى وجهه ويصوبونها إلى قدميه ، ثم ينظر
بعضهم إلى بعض مستغربا وأقواهم مفتوحه من فرط
الدهشة ... أهذا هو المريض الذى يخشى على حياته
من الفساد الذى فى مسدنه وأمانه ؟ ... الفساد
الذى لا يكاد يكون له علاج ؟ ... أهذا هو الذى
يدبر عينه فهم كائنا يفقد شيئا لا يراه ولا بدري
أين يلتصه ؟ ... لو كانت المظاهر تصدق لكان
هذا خليقا أن يكون ملاكما فالحق أن الدكتور
جميل بك آية من آيات الله ! ... كيف عرف ياترى
داهه الدفين الذى لا ينشئ به مظهره الخداع ؟

وسألهم سالم ، وهم حافون به فى غرفته : « قولوا
لى ... هل أنتم كل من هنا ؟ »

قالوا : « نعم »

قال : « إذن هناك خطأ ... أين الريسة ؟ »
وكاد يقول : « خديجة » ولكنه آثر أن يكبح نفسه
فتقدمت إحدى الفتيات فنظر إليها مبسكا
وقال : « أنت ؟ هل أنت الريسة ؟ » ثم خطر
له خاطر فأضاف : « الريسة الوحيدة ؟ »

قالت : « لا ... هذه ليلى ... »

قال : « آه ... بالطبع ... أين التليفون ...
اطلبوا لى الدكتور حالا »

فظنوا أنه يمانى ألما باطنيا شديدا ويتجملد ليكتمه
فخرج ثلاثة أو أربعة منهم ، يمدون ، وبقيت الريسة

« اشرب هذا » قالت اليها وقال : « اسمي . هل هذا اللبن ضروري ؟ » قالت . « بالطبع . إنه غذائك الذي أشار به الدكتور » فقال : « لا بأس ! من يدك أتقبل أي شيء » ورد اليها الكوب فارغاً فهمت بالخروج فقال : « إلى أين ؟ » قالت : « سيجيء الدكتور بعد قليل فاستعد للقائه » ، فسألها : « وما الداعي لحضوره ؟ .. أأنت قد دخلت المصحة وانتهى الأمر ؟ » فضحكت وقالت : « سيميد فحسك »

وجاء الدكتور كما قالت — بعد قليل — وأعاد الفحص وأتمبه به ، وأكله أيضاً ، ثم اعتدل بعد طول الانحناء عليه وقال : « خديجة . لا شيء إلا اللبن » ففرع سالم وقال : « ولكنني قلت إنني أمقتة ؟ » فقال الدكتور وهو لا ينظر إليه : « لا شيء إلا اللبن » وخرج

فدنت منه وكان قد أغضض عينيه ، يائساً ، وراح يسأل نفسه : « كيف يمكن أن يمش على اللبن وحده ؟ .. إن هذا سينتهي به إلى ما يشوم الدكتور أنه مصاب به ولا شك » وأحس خديجة تلصص يده ففتح عينيه مسروراً فألفها تجسس ببضه وسمها تقول : « تبيان ؟ » قال : « ميت » قالت : « مسكين .. هل تحس ألماً ؟ » قال : « كلا . إنما أحس أن دمائي تنقي في عروقي .. خلي يدك على يدي » قالت : « هذا من أعراض المرض .. تترى المرء نوبات من النشوة ... »

فقال : « اسمي ... أليس عندكم شيء من الويسكي »

فصاحت به : « إيه ؟ »

قال : « ويسكي ... جون هيج ... بالصودا » قالت : « إنك أعرب مريض رأيتك في

قال : « وتكون لي خاصة .. لا تمنى بأحد سواي . وأؤدي أنا نفقاتها .. مفهوم ؟ » فقال الدكتور : « لا بأس . لا بأس . مسألة بسيطة . ولكن يجب ألا تقلق نفسك أو ترعبها بأسر كهذا .. سنفعل كل ما يمكننا لتكفل لك الراحة ؛ والآن اذهب ونم » فنام مطمئناً ...

وفي الصباح جاءت التي أدخلته المصحة ، ووقفت أمامه تنبسم له ، وعليها ثوب أبيض قصير الكمرين ، فحدث نفسه بنعمة الله عليه ، وقالت له وهي تدير عينيه في الغرفة : « إن ثيابك لا تزال في الحقيقة » ومضت إليها لتخرجها وترصها في الخزانة فقال : « أوه .. لا تنمى نفسك فاني أستطيع أن أرتبها » فقالت : « ولكن هذا واجبي . إنني أفعل ذلك لكل مريض أكون عندهم وأحضر دخوله » فصاح بها : « إذن يجب أن تكفي عن هذا . مريض واحد هو الذي يجب أن تقصرى عنايتك عليه . هذا كان اتفاق مع الدكتور الذي قال إنه ليس في مصر كلها إلا فتاة واحدة يأتونها على » فمرت الفتاة وقالت : « هل قال هذا حقيقة ؟ إذن سأولى أورك بالهنا ؟ » فقال : « بالهنا وبالليل » فنظرت إليه وانحنى على الحقيقة لتخرج منها الثياب وترصها في الخزانة ، وقالت وهي تفعل ذلك : « إن ذوقك جميل ... هذه النامات (البيجامات) بديعة » فسر هذا وحدث نفسه أن البداية طيبة وقالت : « والآن سأخرج وأجيب باللبن » فوجم وطال وجهه ، لسببين : أحدهما أنها خرجت فركد الجو حوله ، والثاني أنها ستجيبه باللبن وليس أبض اليه منه ؛ على أن غيابها لم يطال ، فقد رجعت بعد قليل وفي يدها كوب وقالت :

« ما معنى هذا؟ . هل كنت تصنع شيئاً مخالفاً للأوامر؟ » فقال بابتسام — فقد ارتاح لما أكل وأحس بالامتلاء — « وماذا استطيع أن أصنع هنا غير ما يتبني؟ » فقالت: « إنه يبدو عليك أنك خالفت الأوامر » قال: « أبداً . كل ما حدث أن حسن هذا جاءني بخبر سار جداً . . . فانا لهذا منشرح الصدر . . . اسمع يا حسن . . . هات لي كل يوم خبراً ساراً . . . إن خير علاج هو الأخبار السارة . . . أليس كذلك؟ »

فأحست خديجة أنها غلبت فسكتت وأقيمت على السرير ترتبه وقالت وهي تفعل ذلك: إن الدكتور آت . ولم تكند نفرغ حتى دخل وأوسمه جسداً وضغطاً وتنقيراً حتى كاد يجن ، وقال وهو يفعل ذلك: إنه يظن أن في المدة شيئاً غريباً ، فأدرك سالم أنها الفطيرة وكاد يضحك لولا ما هو فيه من الهم . ثم قال الدكتور: « لقد رأيت إبدال اللبن بعصير البرتقال ليس إلا . . . واسمت أرى داعياً لاجراء عملية . . . وسأرى ما يكون . . »

وظل ثلاثة أيام يشرب عصير البرتقال ولا يصل إلى شيء سواء ، لأن الخادم عجز عن تهريب أي شيء ، فضف وقلت حركته وبدأ عليه الهزال ، وساء خلقه أيضاً ، مع غير خديجة بالطبع ، كما لا يحتاج أن نقول . وكانت أخبار شراسته مع الممرضات وغيرهن تبلغ الدكتور جبيل ، فزاد اقتناعاً . بأن هذه الحالة العصبية التي تزدري بالاعتداء باللفظ أو اليد مما يؤيد صحة التشخيص ويستوجب زيادة العناية والتدقيق . وكان المزاج الوحيد الذي يساعد سالماً على الاحتمال والصبر ، هو وجود خديجة إلى جانبه أكثر الوقت وقد استطاع بالنف مع سواها ، وبالل الذي يبذله للمصحة ولأن فيها

حياتي . . . ألا تعلم أن هذا يقتلك؟ »
قال: « ألم يقل لك الدكتور إن ميت لأمالة؟
فإذا بهم؟ سيان أن أموت بالويسكي أو باللبن . . .
بالويسكي أحسن . . . وألذ أيضاً »
قالت: « يحيل إلى أنك ضريف! »
قال: « سلى الدكتور . . . صدقيه إذا كنت لا تصدقني »
قالت: « لقد أسرني أن أدلك لك معدتك »
قال: « بالطبع . . . هذه هي . . . إنه دكتور حكيم . . »

ولو أن غذاءه ظل مقصوراً على اللبن لمات كما قال لنفسه ، وهو يشرب الكوب الأول منه ، ولكن خادمه كان يجيئه — سرّاً — بما يشتهي فيأكله خلسة . فاتفق يوماً أن دخل عليه الخادم بفطير وكان قد غاب يومين فتصور سالم ، فلما رآه مقبلاً صاح به: « أين كنت كل هذا الدهر؟ .
إني أموت جوعاً هنا » قال: « ياسيدي لا تؤاخذني . . . لقد جئت يومين ولكنهم كانوا يفتشونني ويأخذون ما ممي . . . غير أني استطعت اليوم أن أغافلهم وقد خبأت هذه الفطيرة . . »
فتناولها سالم بسرعة ومال عليها بفمه فلاء بقضمة كبيرة منها ، وأراد أن يقول له اغلق الباب ، ولكن فيه كان محشواً فنجزوا كفتي بالإشارة إليه ، وعرف الخادم المراد فوقف وراء الباب وأسند ظهره إليه لأنه لم يجد مفتاحاً . وأقبل سالم على الفطيرة يلتمها بأسرع مما كان يتوهم أن في قدرته أن يصنع ، ولم يكد يفرغ حتى سمع نقرأ خفيفاً جميل يقوى .
لقد كان يشير للخادم ألا يفتح زجياً يسمح فيه ويعني على آثار الفطير . ثم دخلت خديجة وقالت:

سالم لم يكن سلوك مريض مدنف مشف على الملأك
وسرها في قرارة نفسها أنه تعارض من فرط حبه
لها وأنه إنما أراد أن يكون قريباً منها ، واشتدت
أن تسمع هذا منه هو ، لا من عمه فقط

ولم يخيب سالم أمهلاً فقال : « صحيح وسأناص
عليك القصة ... شاب خجول لا يستطيع أن
يكلم فتاة ، فإذا حاول أن يكلمها وقف لسانه في
حلقه ، وماله كثير ولكن ما خير المال وحده ؟
فاتفق يوماً أنه شرب كأسات من الوiski صرفاً ،
ورأى بعد ذلك أجمل فتاة في الدنيا ، ونظرت إليه
الفتاة فابتسمت ، وكانت هي الوحيدة التي رأت
وجهه وابتسمت ، فجري وراءها ، ولم يكن مريضاً
ولكنه اضطر أن يخترع لنفسه مرضاً يسوغ به
اقتحامه عيادة طبيب ، فاخترع واخترع حتى طار
عقل الطبيب المسكين ، وقد أحب هذه الفتاة حب
عبادة ، وفي سبيلها صبر على الابن الصرف واحتمل
عصير البرتقال ... يا لها من تضحية ! وهو يحيا
وحده ، بلا أنيس أو إلف ... وبيته موحش ، فقل
تظنين أن الفتاة يمكن أن ترضى بهذا المجنون زوجاً
لها ؟ »

وكان ألم ينظر إليها ممجياً ، وابتسم لها
مشجعاً ، فقالت وقد وقع من نفسها أن سالماً عرض
نفسه للملأك من أجلها « ولكني لست سوى
مرضة ... لست كفؤاً لك »

فقال وهو يضع ذراعه على صدرها : « ستظنين
مرضة ... فقد أصابني في طفولتي أ ... أ ... »
فضحكمت ونهضت عن السرير وقالت : كفى
اختراعاً ... »

وخرج الثلاثة ، بعد قليل ، معاً ...

ابراهيم هيب القادر المارئي

أن يحتكرها لنفسه ، وأما على ذلك أن الدكتور
جميل يعطى عليه ويرثى له ، ولكن الخادم قلق
وأشقى على سيده ، وكان قد رياه وحله صغيراً وظل
معه بعد وفاة أبويه ، فلم يسمه إلا أن يفضى
بوساوسه وهو أجسه إلى عمه - عم سالم -
وإن كان سيده قد أمره ألا يخبر أحداً أنه دخل
مصحة . فجاء ألم وزار ابن أخيه ، وألح عليه أن
يفضى إليه بالحقيقة وأن يطمئن قلبه ، فقال له سالم
إنه بخير ، ولا خوف عليه ، وأن كل ما في الأمر
أنه « مريض جداً » ! فضحك ألم ، وكان ظريفاً
كيساً ؛ وقال لابن أخيه ، إذن قم والبس ثيابك
واتفق أن خديجة كانت في ذلك الوقت تهم
بالدخول ، فلما رأت هذا الزائر وقفت ونظرت منه
إلى مريضها ، وحدث فيها ألم والثفت إلى ابن
أخيه وسأله :

« أمي هذه ؟ »

فهرز سالم رأسه أن نعم

فقال ألم : « إنك معذور ... »

وكانت خديجة تسمع هذا الحوار وتتمجب ،
ولا تفهم شيئاً ، فأشار إليها سالم أن تدنو وأن
تجلس على السرير ، فترددت ، فألح ، فأطاعت ،
فقال لها :

« هذا عمي . إنه كارتين ، لا يخيف ... وهو
يدعوني إلى الخروج من هنا ، والموء إلى البيت ،
وأنا أصر على البقاء ، لأن حياتي هنا أملاً وأمتع ..
إلا إذا قبلت أن تذهبي معي إلى البيت »
فقالت : « ما ذا تقول ؟ لست فاهمة »

فقال ألم : « يا ستي هذا مريض حزين ..
متمارض من أجلك »

فنظرت إليهما كالذهولة ، وتذكرت أن سلوك



ذهشة شديدة : « ولكن أين نحن الآن ؟ وهل كان مارأينا حلقاً ؟ »

ولس كل منهما الآخر ليستوثق هل هو في حلم أو يقظة . وكان أمامهما المحيط ، ووراءهما تسع قليل من الأرض خلفه المحيط أيضاً ، فيكيا لأول مرة بعد أن ألتى ديوانهما

ونظر كلاهما إلى الآخر فرآه لا يرتدى غير قميص النوم ، وقد علق في جيبه صفيحة عليها رقم . وقال أحدهما : « الآن موعد تناول القهوة ؟ ولكن من لنا بها الآن ؟ » ثم عاد إلى البكاء وقال : « ما الذي نفعله يا صاحب السعادة ؟ إننا لو كتبنا تقريراً فكيف نبحث به ؟ »

فأجابه الموظف الآخر : « سأخبرك بالذي يجب أن نفعله يا صاحب السعادة : أنا أذهب شرقاً وأنت تذهب غرباً ، ثم نمود إلى الاجتماع هنا ، وإذا اهتدى أحدهنا إلى رأى تشاورنا فيه »

وهنا اختلفا في تعرف الشرق والغرب وتذكرا قول رئيس الديوان :

« إذا أردت أن تعرف الشرق فاجعل الشمال أمامك ، فالذى على يمينك عند ذلك هو الشرق » ، ولكنهما لما أرادا أن يعرفا أين هو الشمال اتجها نحو كل الجهات دون أن يهتديا إليه . ولأنهما قضيا كل حياتهما في دار المحفوظات ، فقد ذهب مجهودهما هذا عبثاً

كانا في وقت ما يشغلان منصبين من مناصب الحكومة

وكان كلاهما فارغ الرأس . ومن أجل ذلك وعلى غرة منهما وجدا نفسيهما « يشحنان » إلى جزيرة غير مأهولة كأنما ينقلهما إليها بساط سليمان وكانا قد قضيا عمرهما في ديوان حكوى نشأ فيه وترىا وشابا ؛ وكانما قد ولذا به أيضاً . وهما من أجل ذلك لا يعرفان أى شيء لا يتصل بأعمالهما . وكل الذى يعرفانه ينحصر في الصيغ الديوانية المألوفة التى تنتهى بهذه الجملة : « وتفضلوا بقبول إضرابي »

لكن هذا الديوان ألتى وأتالهما الحكومة فهاجرا ، بعد إذ أطلق سراحهما ، إلى شارع بوديشسكايا في بطرسبورج . وكان لكل منهما فيه منزله وطايبه ومماشه

ولما استيقظا من النوم في الجزيرة التى « شحنا » إليها ، وجدا نفسيهما نائمين تحت لحاف واحد . ولم يفهما بالطبع في البداية ماذا أصابهما ؛ فأخذتا يتكلمان كالوكان الأمر بينهما يجرى على عادته قال أحدهما : « ما أغرب الحلم الذى رأيت له لبة الأسس يا صاحب السعادة ! لقد رأيت في الحلم أنى نقلت إلى جزيرة غير مأهولة »

لكنه ما كاد ينطق بهذه الكلمات حتى وثب من مكانه ووثب الموظف الآخر أيضاً ، وقال في

سمك وسماني وأرانب وفاكهة وأن ليس في مقدورها الحصول على شيء منها

قال أحد الموظفين : لا أعرف كيف نعيش هنا ؟
إننا حتى لو استعملنا الحصول على طائر فكيف نذبحه
وننظفه ونطبخه ؟ كيف يحدث كل ذلك ؟

فأجابه الآخر : « إنني في الحق لا أفهم كيف
يحدث كل ذلك »

ثم عاد إلى الصمت وحاول أن يناما ، ولكن
قبل أن تنمض عيونهما مر سرب من السماني
فتخيله وهو مقل على الأطباق . وقال أحد
الموظفين : « لقد همت من شدة الجوع أن آكل
حدائي » فأجابه الآخر : « إنني سأمتص جوربي »
ونظر كل منهما إلى الآخر نظرة شركاء نفسه
تحمده بأن يأكل صاحبه ؛ ثم صرخ كل منهما صرخة
جنونية كأنها عواء الذئب . وقال الموظف الذي
اشتغل مرة بالتدريس : « أظننا لن ننتظر حتى
يحاول أحدهما أن يأكل الآخر » فأجابه : « وكيف
نفعل ؟ إننا بلا ريب سنلقى الموت ؛ فما رأيك
يا صاحب السمادة ؟ »

قال : « يجب أن تقطع الوقت بالمحادثة ، وإلا
فان واحدا منا سيأكل الآخر لا محالة » فأجابه
الموظف الآخر : « ولكن ماذا نقول ؟ إبتدىء أنت ! »
قال الموظف الذي كان مدرسا : « قل لي لماذا
تشرق الشمس أولا ثم تغرب ؟ ولماذا لا يكون
العكس ؟ » فأجابه الآخر : « هذا سؤال مضحك
يا صاحب السمادة . إن الشمس تشرق لكي نستيقظ
ويذهب كل منا إلى الديوان ، ثم تغرب لكي ننام »
قال : « ولكن لماذا لا يفترض العكس فنذهب
عند شروق الشمس إلى الفراش فننام ونحلم ، وعندما
تغرب الشمس ... » فقاطعه الآخر قائلا : « إن

وقال أحدهما : « أرى يا صاحب السمادة أن
يذهب أحدهما إلى اليسار والآخر إلى اليمين »

وكان هذا الموظف قد اشتغل فضلا عن عمله
في دار المحفوظات بتدريس علم الخط وقتا ما ، فهو
لذلك أذكي قليلا من صاحبه

وكان كما اقترح . أما الموظف الذي ذهب إلى
اليمين فوجد أشجارا تحمل كل أنواع الفاكهة ؛
وكان بوده لو يستطيع تناول فاكهة ، ولكن الثمر
كان شديد الملو فلا يستطيع الحصول عليه إلا إذا
تسلق الشجر . وقد حاول أن يتسلق إحداها ،
ولكن ذهبت محاولته سدى . وكل الذي نجح
فيه أنه مرق قبيص نومه

وأتى نظرة على الماء فراء ممتلئا بالسمك ، فتمنى
لو أن كل ما فيه من السمك معروض للبيع بشارع
بود شسكايا . ولما مر هذا المظطر ذهنته جرى
لما به . ومضى في القاعة فرأى كل أنواع الطيور
والأرانب والفرلان فقال :

« يارب ما أكره رزقك وما أقل قدرتنا على
الحصول عليه ! »

واشتدت عليه وطأة الجوع . وعاد إلى المكان
الذي اتفق مع صاحبه على لقائه فيه فوجده في انتظاره
قال : « ما ذا وجدت يا صاحب السمادة ؟ »
فأجابه صاحبه : « لم أجد غير عدد قديم من جريدة
الوقائع الرسمية » . فأخذ يحمله عما وجده هو .
وجلس الموظفان ، ثم حاول كل منهما أن ينام
ولكن خلو معدتيهما من الطعام سبب لهما أرقا
شديدا . وكان من أسباب الأرق أيضا تفكيرهما
في الماش الرتب لسكن منهما ، وفيمن يتقاضاه
عنهما الآن فيتمتع به دونهما . وكان من أسباب
الأرق فضلا عن ذلك تفكيرهما فيما بالجزيرة من

السعادة ؟ وأى صنف من الخدم نجده هنا ؟
 فقال : « خادم بسيط كسائر الخدم يستطيع أن
 يمد لنا الطعام وأن يصيد السباقي والسماك ويطبّخهما »
 قال : « هذا حسن ولكن كيف نجده ؟ »
 فقال : « لماذا ؟ إن الخدم موجودون في كل مكان .
 إننا نقوم فنبعث حتى نجد واحداً منهم . ولا بد
 أن يكون هنا خادم على الأقل »

اطمان الموظفان إلى هذه الفكرة . وقام كل
 منهما ليعث عن خادم . وطالت مدة بحثهما ،
 ولكنها لم تذهب سدى ، فقد وجدا في النهاية
 رجلاً أسود اللحية على جسمه ثوب من جلد اللعازر
 وهو قائم تحت شجرة ؛ فلكزه صاحب السعادة
 وصاح : « كيف تنام هنا ونحن موظفان نكاد
 نموت من الجوع . قم ! »

فنهض الخادم ونظر إلى الموظفين وكان أول
 ما سمع به أن يفر ، ولكنها أمسكا بثلابيه فاستسلم
 المسكين للقدر القدر عليه ، وصعد بالأمر وتسلق
 شجرة تفاح فجمع للسيد الجديد خيراً ما فيها .
 وقطف تفاحة توشك على الفساد ، فجعلها لنفسه .
 ثم نزل عن الشجرة ، فجمع مقداراً من البطاطس
 وأوقد النار بفسرة سحجرين في وسط هشيم وطبخ
 البطاطس ؛ وفي أثناء ذلك صاد أرنباً فأضافه إلى
 الطعام . وصاد كذلك زوجاً من السباقي ؛ فأدرك
 الموظفان مقدار ما لقياه من السعادة فبقر هذا
 الخادم . ونسيا أنهما كادا يموتان من الجوع منذ قليل .
 وقال كل منهما للآخر : « ما أسمع حياة الموظف ! »
 وقال لهما الخادم : « هل أنما مسروران ؟ »

فقالا : « نعم ونحن نقدر خدماتك »
 قال : « فهل تسمحان لي الآن بأن أستريح ؟
 فقالا : « نعم على شرط أن تأتي لنا بجبل أولاً » فذهب
 وجمع ألباقاً طويلة ولم يزل يفتلها حتى صنع منها جبلاً

هذا القول لا يستقيم مع التفكير ، لأن شروق الشمس
 يحمل الإنسان على الاستعداد للذهاب ، كما أن غروبها
 يحمل الإنسان على طلب المشاء »

وقد أفسدت كلمة المشاء المحادة لأنها حاجت
 جنون الموظفين الجائعين ، فقال أحدهما : « إن أحد
 الأطباء قال إن الإنسان يستطيع أن يعيش مدة ما بما في
 جسمه من سوائل . فقال الآخر : « لأنهم ماذا تعنيه »
 قال : « هذا يعني أن في الجسم أنواعاً مختلفة
 من السوائل ، وأن بعضها يتحول إلى بفض حتى
 تصير إلى الخلاصة الغذائية » فقال الآخر : « وماذا
 يحدث بعد هذا ؟ »

قال : « يحتاج الإنسان في النهاية إلى طعام جديد
 ليتحول إلى الأنواع المختلفة من تلك السوائل » فقال :
 « إذن فالمبردة كلها بالطعام ! لعنة الله على الطعام ! »
 وأدرك الموظفان أن هذا النوع من الحديث
 لا يؤدي إلى الفرض الذي يقصدان إليه ، بل هو
 يزيد من شهوتهما فقررا أن يتركا الحديث ؛ فلما طال
 بهما الصمت تذكر أحدهما الواقع الرسمية فتناولها
 ليقراً فيها لصاحبه . ولكن انتهت الفقرة الأولى
 — وهي خبر وليمة رسمية — إلى ذكر أنواع الطعام ،
 فأخذ الآخر منه الجريدة ليقراً خبراً آخر . وأخذ
 يقرأ ، ولكن الخبر — وهو استكشاف جديد — قد
 انتهى بإقامة حفلة تكريم ، وتناول أيضاً ذكر الطعام
 ودفع بالجريدة إلى صاحبه فقرأ فيها فقرة
 لا تتعلق بدائها بالطعام ، ولكنها انتهت إلى ذكره
 أيضاً . فأتق كلا الرجلين وتساءلوا تثاراً بما مؤلف

ثم برقت عينا صاحب السعادة إذ خطر بباله
 خاطر سعيد . ووقف فجأة ليعلم استكشافه وصاح :
 « ماذا تقول ؟ لقد عرفت السبيل إلى النجاة ، فإذا
 تقول إذا أنينا بمخاد ؟ »

فصاح الآخر : « وكيف تأتي بمخاد يا صاحب

المزمل المجاور للديوان الذى كان به
ولم يكن من السططاع طبعاً أن يطلب هذان
الموظفان الى الخادم شيئاً فيتردد ضناً منه بلذئهما
وسرورهما ، ففكر في الوسيلة المؤدية الى عودتهما ،
وصنع لهما من أشجار القانة سفينة لم تكن كسائر
السفن ، ولكنها مجرد أخشاب مربوطة بعضها الى
بعض ، وصنع لنفسه مجدافين ليتولى بمفرده
تسيير السفينة

وأبدت الرحلة ، فسكانا يلمنانه ويلقبانه بأقبح
الألقاب كلها ظناً أن حياة اثنين من الموظفين
ستعرض للخطر في سفينة هذا الخادم
وكان يقول : « لا تخافوا يا صاحبي السعادة فاني
وسائر الخدم متادون تسيير هذا النوع من السفن
كلما أردنا الفرار من خدمة السادة

وكان البليدان لا يملان شيئاً في السفينة ، فمض
الخادم مع أفرادها بالتجديف يهيم لها الطعام بما
يصيده من السمك ويشويه حتى بلغت السفينة النهر
وما كان أسدهما عندما انتقلت السفينة من
بحر البلطيق الى نهر النيقا . ودخلت السفينة قناة
كثرتنا وهما لا يزالان بها ، ولم يخطر ببالهما أن يقطعا
بقية المسافة مشياً على الأقدام . وفي النهاية وصل الى
العاصمة ، فاستمر الخادم يبحث حتى وصل الى شارع
بوديشسكايا

كانت سمادتهما سادة بالثة عندما زلا من
السفينة فجلسا على أقرب مقهى من الشاطىء يشربان
القهوة . وفي اليوم التالى لبسا الثوب الرسمى وذهبا
لقبض التجمد من الماش . ولست أستطيع الاخبار
عن مقدار هذا الماش ولكنهما لم ينسيا الخادم ،
فقد أهديا إليه زجاجة من الويسكى وخمسة
قروش صغيرة

تمتع يا خادم ! عبر اللطيف البشار

طويلاً متيناً فسلمه اليهما واستأذن في السماح له بالراحة
فقيداه بالحبل وأذناه بأن ينام في ظل الشجرة المجاورة
وزاد حذق الخادم في تهية الطعام فزاد
الموظفان بدانة وصحة . وقال أحدهما للآخر وهما
يتناولان طعام الانظار : « ما رأيك يا صاحب
السعادة ؟ هل تعتقد أن قصة برج بابل قصة
رخزية أم قصة واقعية ؟ »

فقال : « إنها بلا شك قصة واقعية ، والدليل على
ذلك كثرة ما في العالم من اللغات . وإلا فكيف
تنشأ اللغات لولا تبليبل الألسن ؟ »

قال الآخر : « وهل تعتقد أن قصة الطوفان
صحيحة ؟ » فقال صاحب السعادة : « نعم بغير شك .
ودليلها وجود أنواع كثيرة من الحيوان » وتناول
عدد الوقائع الرسمية . فأخذ يقرأ للمرة العاشرة من
أوله الى النهاية

لكن السأم دب الى نفسيهما ، فقد كانا يذكران
ثيابهما الرسمية ومعاشهما وطايعيهما في بطرسبورج
فتدرف عيونهما الدمع

وقال أحدهما : لأعرف كيف شارع بوديشسكايا
الآن يا صاحب السعادة » فقال : لا تذكرني به فقد
كاد يقتلني الحنين الى الوطن »

قال الآخر : « إن الحياة هنا لذيذة لا عيب
فيها ، ولكن الحبل يتوق الى شئ أمه ، ونحن
نتوق الى رؤية بلدنا والى ارتداء ثيابنا الرسمية في
يوم قبض الماشات على الأقل

قال صاحب السعادة : « إن الملابس الرسمية حتى ولو
كانت من الدرجة الرابعة تدر الانسان وتنسيه متاعبه
واستدعى الموظفان الخادم ليشير عليهما برأى
لسكى يعمودا الى شارع بوديشسكايا ، وقد كان من
حسن الحظ أن هذا الخادم الذى يعرف كل شئ
قد عرف هذا الشارع أيضاً ، وكان أيضاً خادماً في



جزاء الاجتهاد

للكاتب الانجليزى ريتشارد جارت
بقلم الاستاذ عبد الحميد حمدى

ولكن أباهما كان أكثر تنبها الى حديثهما .
قال لهما يوما :

— أخشى يا ولدى أن تكونا — فى دراستكما
وتقديراتكما المختلفة — قد نظرتا الى قوانين بلادكما
والا لأدركتما أن الانسان لا يصيب الثروة التى
يصبو إليها بالوسائل التى صورتموها لنفسيكما
فسأل الفتيان أباهما :

— ما معنى ذلك يا أبانا ؟

فأجاب الشيخ :

— لقد قال آباؤنا بحق إن الاحترام الواجب
علينا لمطاء الرجال الذين نمسكهم فى هياكلنا بما نحن
مدينون لهم به من وسائل الحياة ، هذا الاحترام
لا يمكن إلا أن يتأذى اذا حاول نسلهم أن يكسبوا
شمس عظمهم وصيتهم بمخترعاتهم الجديدة ، أو اذا
هم تجرأوا على أن يصلحوا ما يحسبونه غير صالح من
أعمالهم . وعلى ذلك قد حرم على الناس بأمر من
الامبراطور سون أن يخترعوا شيئا ، كما حرم عليهم
بأمر من الامبراطور ووشى أن يحسنوا شيئا من
الاختراعات التى وجدت حتى الآن . ولقد فصل
سلفى : فى المركز التواضع الذى أشغله ، من عمله ،
لقوله أنه يرى من الأمثل أن تكون العملة مستديرة

فى الصين ، وفى حكم أسرة تانج^(١) ، فى مستهل
القرن السابع الميلادى ، عاش حاكم صينى عالم
ولكنه فقير . وكان للرجل ثلاثة أبناء : فورسى
وتورسن ووانج - لى ، وكان الأولان شابين نشيطى
العقل ، يجهدان نفسيهما دائما فى البحث عن شيء
جديد مفيد . وكان وانج - لى ماهرا ولكن فى
الألعاب التى تتطلب الذكاء ، وقد تفوق فى هذه
الألعاب إلى مدى بعيد

وكان فورسى وتورسن دائمى التحدث أحدهما
الى الآخر فى الاختراعات المجيبة التى سيخترعها
حتى بلغا سن الرشد ، وفى الثروة والصيت البعيد
اللذين سينمان بهما إذا ذاك . ولم يكدهما حديثهما
يصل الى أذن وانج - لى الذى لا يرفع عينيه إلا
نادرا من رقعة الشطرنج التى يحل عليها مسائله

(*) ولد ريتشارد جارت سنة ١٨٣٥ وتوفى سنة
١٩٠٦ وشغل وظيفة أمين الكتب المخطوطة بالتنصيف
البريطانى من سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٨٩٩ واشتغل فى
ساعات فراغه بوضع كتابه « غنى الآلهة » الذى نقلت عنه
هذه القصة

(١) أسست أسرة تانج العظيمة سنة ٦١٨ ومؤسسها
هو لى بوون الذى اتخذ لنفسه اسم كاو - تاو ، وفى عهد
هذه الأسرة انتشر نفوذ الصين وشهدت فترة نجاح استمرت
أكثر من ثلاثة عا

فكان الجواب على سؤاله :

— إن الملك العظيم قد مات ، وقد فصل رأسه
من جسمه فصلاً تاماً ، ولم يبق في فارس ملك
لا عظيم ولا صغير
فسأل الفتى :

— وأين أستطيع أن أجد ملكاً عظيماً آخر ؟
فأجابوه :

— في مدينة الاسكندرية حيث أمير المؤمنين
يجد في نشر دينه

ف قصد فورس الى الاسكندرية حاملاً قوالبه
وحروفه

ولم يكذب بجنائز أبواب المدينة حتى رأى سحابة
هائلة من الدخان تكاد تحجب المدينة كلها من
الأنظار . وقيل أن يتمكن من السؤال عن سبب
هذا الدخان أقبل عليه الحرس فقادوه الى حضرة
الخليفة عمر ^(١)

(١) لعل الكاتب قد اختلط عليه الأمر من تفتابه اسم
عمر باسم عمرو ، فالخليفة عمر بن الخطاب لم يحضر إلى مصر
والتي فتحها هو القائد عمرو بن العاص ، وقد نسب المؤلف
بسد ذلك إلى عمر الأمر بحرق مكتبة الاسكندرية بمسنداً
في ذلك على رواية مكنوية فنحدها للمؤرخون للدقون ومن
بينهم بعض المستشرقين

على أنه مما يؤسف له أن بعض كتب التاريخ التي تدرس
الآن في المدارس الثانوية تسجل على عمرو بن العاص هذه
الرواية السكاذبة دون إشارة إلى كذبها ، وهذه الكتب
قد اشترك في تأليفها بعض كبار الأساتذة المصريين ؟ فإذا
جاز لنا أن نلصق الصنم لمؤلف هذه القصة التي قد يكون
الخيال والفرن القصصى للوصول إلى المفزى الذي يقصد إليه
جما اللذان حملاه على الأخذ بهذه الرواية المكنوية ، كما حملاه
على اختراع المباريات التي نسبها بعد ذلك إلى عمر ، فأى عذر
تتلصق للأستاذ المصري الذي ثبت مثل هذه الرواية المكنوية
ضارباً صفاً عن الروايات الصادقة التي أثبتتها المحققون . من
المؤرخين وقدنوا بها هذه الفرية التي دست على تاريخ عمر
ابن الخطاب وقائده عمرو بن العاص ؟

بدل أن تكون مربعة ، كما هي الآن ، وأنا شخصياً
قد تمرست لفقد حياتي لمحاولتي الجمع بين مبرد
صغير وزوج من ملاقط الشعر ، فقال الفتان :
— إذا كان هذا هو الشأن فليس وطننا بالبلد
الذي يصلح لأن نميش فيه

وعانق الولدان أباهما وتركوا البيت غير مودعين
أخاهما وانج لي إذ كان منهما في حل مسألة من
مسائل الشطرنج . وقبل أن يفارق أحدهما الآخر
اتفقا على أن يعودا الى الاجتماع في هذه النقطة
نفسها بعد ثلاثين سنة مزودين بالثروة التي لم يكونا
ليشكا في أنهما سيحصلانها باستغلال مواهبهما
الاختراعية في البلاد الأجنبية . وتعاهدا فوق ذلك
أنه إذا خان الحظ أحدهما فلم يحصل على جزاء مجهوده
فان الآخر يشاظره ثروته

وقصد فورمين الى مهرة الصناع الذين يقطعون
أحرف الكتابة من الخشب الصلب ، لاستعمالها
في طباعة الكتب ، حتى إذا وقف على أسرار
صنائعهم قصد الى صانع السبائك النحاسية فدرس
عنده طريق صناعة أمهات الحروف من النحاس ؛
فلما انتهى من ذلك أيضاً قصد الى عالم بمن أكثروا
السياحة في أرجاء الدنيا المختلفة فتلقى عليه اللغات
اليونانية والفارسية والعربية . ثم صب عدداً من
الحروف اليونانية في قوالب من النحاس ، ووضعها
في كيس مزوداً بنفسه في الوقت نفسه بعدد من
الحروف الخشبية التي قطعها بنفسه ، وسافر باحثاً
عن الثروة . وبعد أن عانى الكثير من المتاعب
وتمرض للكثير من الأخطار . وصل الى بلاد
فارس ، وسأل أهلها عن الملك العظيم

فقال فورسي :

— ليعلم الخليفة أن مواطني الصينيين قد جمعوا بين التقييضين ؛ فهم في وقت واحد أعقل أهل الأرض وأغباهم . فقد اخترعوا فن نشر العلم والمعرفة ، وهو الفن الذي لم يوفق قط الى معرفته عقلاء الهند واليونان ، ولكنهم لم يتعلموا بل وانهم ليأبون أن يتعلموا كيف يخطون الخطوة الواحدة الصغيرة الضرورية بعد ذلك لجعل هذا الاختراع صالحاً من الوجهة العامة لجميع أبناء العالم ثم قدم الفتي للخليفة ما يحمل من قوالب وحروف كاشفاً له عن سر كل في فن الطباعة

فقال عمر :

— يلوح لي أنك لا تعلم أننا بالأمس قد أمرنا بحرق جميع الكتب وإخفائها من فوق الأرض ، لأن ما تحويه لم يكن يخرج عن أحد أمرين : فهو إما مخالف لما جاء في القرآن فيكون في هذه الحال كفراً ، وإما أن يكون متفقاً مع ما جاء فيه فيكون في هذه الحال زائداً على الحاجة وليس نعمة ما يدعو لبقائه . . . ويلوح لي فوق ذلك أنك غير عالم بأن اللسان الذي يخيم على المدينة إنما مصدره مكتبة الكفار التي أحرقت بأمرنا .

وعاد الرجل الى الصين في بضع متحملاً مختلف صنوف الآلام مستجدياً قوته على طول الطريق . ووصل الى المكان الذي اتفق هو وأخوه على الاجتماع فيه ، في اليوم الأخير من السنة الثلاثين من منادريه إليها . فلم يجد أثراً لبيت أبيه التواضع ، ولكنه وجد مكانه قصراً شاهقاً ، محيط به الحدائق والمرائش وتكتنفه أشجار الصفصاف وقنوات الماء

تقطعها الجسور وتحوم حولها الطيور البديعة الألوان فقال الرجل يحدث نفسه :

— ليس من شك في أن تورسن قد أصاب غنيمته ولن يأتني أن يشاطرنها على مقتضى اتفاقنا وما كاد ينتهي من هذه السكيات التي خاطب بها نفسه حتى سمع من ورائه صوت انسان ؛ فلما التفت رأى رجلاً أسوأ منه حالاً يسأله الاحسان ، ولم يك هذا الرجل غير تورسن فتصانق الاخوان وقد انهمرت دموعهما ، وبعد أن سمع تورسن حكاية ما أصاب فورسي أخذ يروي قصته قال :

— لقد قصدت الى هؤلاء الذين يعرفون سر السحوق الذي اصطلح على تسميته تراب النار ، الذي لم يتمكن سوين من منعه من اختراعه ، وان كان ووشى قد اهتم بمنع استعماله الا في الألعاب النارية . . . وبعد أن وقفت على سر هذا السحوق وضمت كمية معينة منه في أنابيب مجوفة صنمها من الحديد والنحاس ، وضعت فوقها كوراً من الرصاص تتفق أحجامها مع تجاويف الأنابيب ، ثم وجدت أنني بايصال اللب الى تراب النار من أحد طرفي الأنبوبة أستطيع أن أدفع الكرة الرصاص من الطرف الآخر بقوة تمكنها من اختراق ثلاثة من دروع المحاربين في وقت واحد ؛ فلأنت برميلاً من هذا السحوق وخبائه هو والأنابيب على سجاجيد حملها على ظهور الثيران ، ثم رحلت قاصداً مدينة القسطنطينية ، ولست أروى لك الآن حكاية المتاعب التي اعترضني في هذه الرحلة ، ويكفي أن تعلم أنني وصلت آخر الأمر نصف ميت

وجه ذلك الرجل الصبني لم يكن سوى وجه أخينا
وانج لي

« ولو أنني كنت في ظرف غير الذي كنت
فيه لأجهدت نفسي في الوقوف على معنى ذلك الذي
شهدت ، ولكن لفهتي كانت شديدة وكذلك
كانت حاجتي وجوعي . فبحثت عن صناعات الأساحة
البرزين ، واستطعت بمشقة كبيرة أن أجمعهم كلهم
في مجلس واحد . وقدمت اليهم الأنايب و تراب النار
وافنذت رسايتي بسهولة من أحسن درع استطاعوا
أن يقدموه »

فصاح صانع دروع الصدر : « من ذا الذي
يحتاج الآن الى دروع الصدر ؟ »

وقال صانع خوذ الرأس : « أو الخوذ ؟ »
وقال كبير صناعات التروس : « أنا لم أكن
لأأخذ خمسين بزة ثمنا لهذا الجن ، فما فائدة الآن ؟
وقال صانع السيوف : « وستقل قيمة سيوفى »
وقال صانع السهام في لهجة حزينة : « وسهامى
ستصبح عديمة القيمة »

وصاح أحدهم : « إن هذا العمل دنىء »
وصاح آخر : « بل انه لسحر ساحر »

وصاح ثالث في صوت قاصف : « إني أنا
التاجر الشريف اللئيم بجهتي أقول ان ما ترونه ليس
إلا وها - ولكي يبرهن على صدق رأيه أتني بمحديقة
متأججة في برميل ، فطار الجميع جملة مع سقف
المنزل في الهواء ، وهلكوا جميعا ، ولم ينج سوى
وقد فقدت شمري وجللى . وشبت في الحال
حريقا أكلت ثلث مدينة القسطنطينية

« ووجدتني بعد أيام راقدا على فراش السجن

من التنب والمشاق مجردا من كل شيء إلا بضاعتى ،
واستطعت بتقديم مامى من السجاجيد رشوة
لأحد الضباط أن أحصل على الأذن بالدخول على
الأمبراطور^(١) والتحدث ، اليه وقد وجدته منهمكا
في لعب الشطرنج يكدح رأسه في حل إحدى مسائله
« وقد أخبرته أنني كشفت سرا يمكنه من أن
يصبح سيد العالم ويساعده بنوع أخص على طرد
المسلمين الذين يهددون إمبراطوريته بالخراب

فقال لي : « يجب أن تلاحظ أنه ليس من
الاحتمل أن أستطيع الإصغاء اليك قبل أن أنتهى من
حل هذه المسألة ، ومع ذلك فلكيلا يقول انسان
إن الأمبراطور يهمل واجباته منهمكا في تسليية
سخرية ، فاني سأحبل اختراعك على صناعات
الأسلحة البرزين في ماسمقى ، ثم أعطاني كتابا الى
الصناع وعاد الى اللعب ، وعند ما تركت القصر
حامل رسالة الأمبراطور صادفت في الطريق موكبا
عظيما . فالمرسان والمشاة الراكضون ، والمأزفون
على الموسيقى ، والمنادون ، وحاملو الأعلام - كل
هؤلاء يحيطون برجل صيني يجلس في سميت
تحت مظلة ذهبية فوق فيل مسرج بسرجه نفيس ،
وكانت جديبلته مضفرة بالورود الصفراء ، وكان
الموسيقيون يمزفون ويدقون الطبول ، وحملة الأعلام
يلوحون بأعلامهم في الجوى ، بينما المنادون يصيحون :
هكذا يحتفل بالرجل الذى ينتهبط الأمبراطور
بتكرمه - وان لم أكن غخطا خطأ كبيرا فان

(١) الأمبراطور كونستانس الثاني الذى حكم من سنة
٦٤١ الى سنة ٦٦٧ وقد حارب ضد العرب للمسلمين الذين
استولوا من أملاكه على الشام وقبرس ورومدوس وأفريقيا

لغير التسلية المجردة من كل غاية ، ولم أفكر قط في استخدامها لجمع الثروة إلى أن سمعت يوماً عن طريق المصادفة أن الشهبوب الغريبة تجهل هذه اللعبة جهلاً تاماً ، وحتى إلى هذه اللحظة لم أفكر في كسب المال عن طريق الشطرنج ، ولكنني شعرت بشفقة شديدة على هؤلاء البرابرة المتأخرين حتى لقد أحسست أنني لن أذوق شيئاً من الراحة قبل أن أنير عقولهم ، وتحقيقاً لهذه الرغبة الملحة قصدت إلى مدينة القسطنطينية فاستقبلت هناك كرسول من السماء ، وقد بلغ من تأثيري في القوم أنه لم يعض غير قليل حتى أصبح الأمباطور ورجال دولته لا يفكرون في شيء غير لعب الشطرنج ليل نهار ، وحتى شملت الفوضى شئون الأمباطورية واستطاع المسلمون أن يهاجموها في قوة وعنف . وتقديراً لخدماتي للأمباطور رأي أن بكائني بظواهر التكريم التي رأيت أنت يا أخي نموذجاً منها عند باب القصر

« وهكذا بعد أن وقع الحريق الذي تسببت أنت فيه وإن لم يكن من عمد ، تحدث الناس بأن الأمباطور كان يعمل على تخريب ماصمته بالتآمر مع ساحر أجنبي ، يقصدونك بذلك . وبمسد فترة قصيرة تآمر كبار الضباط ودخلوا بخادع الأمباطور بفكرة خلعهم عن العرش ، ولكنه أعلن أنه لن يتنازل بحال من الأحوال قبل أن ينتهي من دست الشطرنج الذي كانت يلعبه متى في تلك اللحظة ، فوقف الضباط ينظرون إلينا ، ولم يلبثوا أن اهتموا بالمالينا ، وبدأ النزاع بينهم على أينا سيفوز ؛ وبيناهم في خصامهم أقبل الضباط المخلصون وقبضوا

وقد شغيت من بعض جروحي ، مصفياً في حزن إلى مشادة بين اثنين من حراسي حول ما يجب أن أعامل به : هل أحرق أو أدفن حياً ؟ وبيننا للشادة قاعة وصل إلى السجن أمر من الأمباطور بإطلاق سراحى ، فقرأه الحرس متمضين شاعرين بشيء من الضمة ، وكان نص عبارته : أقذفوه خارج المدينة . وقد عجبوا من لين ذلك الحكم ومع ذلك أقذفوه بحماسة شديدة حتى وجدني قد طرت في الهواء وسقطت وسط البوسفور ، حيث التقطني مراكب سيد وأزلت على الشاطئ الأسبوى ؛ ومن هناك قفلت راجماً إلى بلادى استجدى القوات على طول الطريق

والذي أراء الآن هو أن نستطف رب هذا البيت العظيم ونستثير شفقتة ، فقد رأف بنا عندما يعلم أننا كنا نعيش فيما مضى في البيت الصغير الذي أخلى الطريق لإنشاء قصره العامر»

واجتاز الرجال باب الحديقة ومشيا على استحياء متجهين إلى القصر ، متأهبين للوقوع على قدمي سيده ، ولكنهما لم يفعلا ، لأنهما قبل أن يحاولا الركوع عرفا في ذلك السيد أنهما لم يستطعا وأنجى إلى أن يصرف أخويه لأول وهلة ولكنه لما عرفهما آخر الأمر أسرع بتقديم إليهما كل ما يحتاجان إليه ، حتى إذا سد حاجتهما من الطعام والشراب وارتديا فاخر الملابس قصا على أخيهما قصتهما ، وسألاه أن يقص عليهما قصته فقال :

« أخرى ... إني بأنهما في لعبة الشطرنج

النيلية التي اخترعت . لحسن الحظ قبل عصر الأمباطور سوين زمان طويل ، لم أكن أقصد

عليهم . وقد ضاعف هذا الحادث مكانتي احتراماً
لدى الامبراطور ، ثم لم تلبث هذه المكالمة أن
تضاعفت مرة أخرى بعد ذلك الحادث بقليل عند
ما لعبت مع أمير البحر المسلم الذى كان محاصراً
الرفأ فربحت منه أربعين سفينة محملة غللاً بدلت
من قنطريون المدينة رخاء ويسراً

« وسألتى الامبراطور أن أعني عليه ما شئت
فقلت ان كرمه لم يبق لى ما أطلبه غير حياة مواطن
مسكين علمت أنه مسجون بتهمة محاولة حرق المدينة .
فأمرنى الامبراطور أن أكتب أمر الفو عنه
بيدى . وثق يا تورسن اننى لو عرفت أن ذلك
السجين هو أنت لأظهرت من الاهتمام بشخصك
ما يرضيك

« وأخيراً عادت القسطنطينية عائداً الى بلادى
مزرودا بالثروة الطائلة فى ركب خريح أقطع الطريق
مراحل على ظهور الابل البريمة . فلما وصلت الى
هنا ابنت بيت أبى الصغير وأنشأت فى مكانه هذا
القصر العظيم حيث أعيش مفكراً فى حل مسائل
الشطرنج وفى أقوال العقلاء مقتنماً بأن الشيء
الصغير الذى تعرفه الدنيا وتبذل الى الأخذ به خير
من الشيء العظيم الذى لم يعرفه الناس بعد ، فهم
لا يستطيعون تقدير قيمته . فالعالم ليس إلا طفلاً
كبيراً يفضل أسباب التسلية على وسائل الثقافة والتعليم
فسأله أخواه فى دهشة وفى صوت واحد :
— اوتسمى الشطرنج مسلاة وملهاة ؟
فبدا الحير محمى

شركة بيع المصنوعات المصرية

نعمل على احياء الصناعة المصرية وترويجها
معرض دائم لكافة منتجات البلاد

تعرض

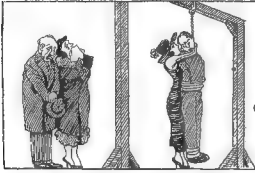
المنسوجات الصيفية

من جميع الأنواع : قطن . حرير . كتان

بضاعة جديدة لهذا الموسم ، صنع شركات بنك مصر

التي أجمع الكل على متانتها وتفوقها

شاهدوا مبتكرات الصناعة الحديثة قبل شراء حاجياتكم



الذراع الذابذة

لِلشاعِرِ الانجِلِيزِيِّ توماس هاردي
بِقلمِ نَظْمِي خَلِيلٍ

— إِمض بِنِيْ وخُبرْنِي إِذَا كَانَتْ سَمَاءُ
أَوْ بِيضَاءُ ، طَوِيلَةٌ مِثْلِي أَوْ قَصِيرَةٌ ، وَإِذَا كَانَتْ
تُظْهِرُ رِيَّةَ بَيْتٍ أَوْ فِتَاءَ نَاهِيَةِ الْأَطَافِرِ لَمْ تَعْتَدْ بِمَدِّ
حَيَاةِ الْمَنْزَلِ

فَانْطَلِقِ الْابْنَ إِلَى السُّوقِ ، وَلَمْ يَكِدْ يَمُودُ عَنْ
مَنْزِلِهِ حَتَّى رَأَى وَالِدَهُ يَسِيرُ وَبِجَانِبِهِ فَتَاةٌ تَصْغُرُهُ
بِسِنَوَاتٍ . كَانَ وَجْهَهَا صَافِيًا صَبُوحًا كَأَنَّهُ نُورٌ
مُتَبَعٌ بَيْنَ خُثَايِلِ الْوَرْدِ . فَسَدَّ الْوَلَدُ إِلَيْهَا بَصَرَهُ
بِالرَّغْمِ مِمَّا كَانَ يَنْوَدُ بِهِ ظَهْرُهُ ؛ وَكَانَتْ الشَّمْسُ قَدْ
غَمَرَتْ وَجْهَ تِلْكَ الْفَتَاةِ فَهَزَّتْ مَلَاعِجَهُ قُوَّةَ جَذَابَةٍ
فَاغْتَاظَتْ الزَّوْجَةُ الشَّابَّةُ « جَزْ تَرُدُّ » مِنْ ذَلِكَ
الصَّبِيِّ الَّذِي يَحْدِثُهَا بِنَظَرَاتِهِ الْقَوِيَّةِ الطَّوِيلَةِ فَقَالَتْ
لِزَوْجِهَا :

— أَنْظُرِي إِلَى ذَلِكَ الصَّبِيِّ الْفَقِيرِ كَيْفَ يَحْدِثُنِي
بِالنَّظَرِ !

— أَجَلْ ، قَدْ يَكُونُ أَحَدُ سُكَّانِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ
— أَظُنُّهُ يَمُرُّ فَنَا
— أَجَلْ ، يَجِبُ أَنْ تَتَوَقَّيْ مِثْلَ هَذِهِ النَّظَرَاتِ
فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْفِ الْجَدِيدِ

وَالْآنَ — هَيَا ، لَمْ يَبْقَ عَلَيَّ مَنْزِلُنَا إِلَّا مِيلٌ وَاحِدٌ
عَلَّنَا نَبْلُغُهُ قَبْلَ أَنْ يَهْجُمَ اللَّيْلُ
أَمَّا الْوَلَدُ فَلَمْ يَكِدْ يَصِلُ إِلَى الْمَنْزَلِ حَتَّى ابْتَدَأَتْهُ
أُمُّهُ قَائِلَةً :

غَضَّ الطَّرِيقَ بِطَوَائِفِ الْقُرُوبَاتِ وَهِيَ رَاجِعَاتُ
إِلَى مَنَازِلِهِنَّ الرِّبِيَّةِ الصَّغِيرَةِ يَتَجَاوِزْنَ شَقِيَّ
الْأَحَادِيثِ مِمَّا يَتَّصِلُ بِمَيَّاتِنِ الزَّوْجِيَّةِ ، حَتَّى إِذَا
مَادُونُ مِنْ نَهَايَةِ الطَّرِيقِ هَمَّتْ إِحْدَاهُمَا بِصَوْتٍ
خَافِضٍ كَأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ جُوفِ بَقَرَتِهَا :

— « أَلَا خَبَرَانِي ، أَيَقْرَتَنِ السَّيِّدُ » لُوجُ »
زَوْجُهُ الْجَدِيدَةُ غَدًا ؟

— لَقَدْ بَلَغَنِي هَذَا
— أَلَمْ تَرِيهَا ؟ لِنَهْمٍ يَقُولُونَ لَهَا فَتَاةٌ ضَائِلَةٌ
الْجِسْمُ مَوْرَدَةٌ الْخُدَيْنِ — قَالَتْ هَذَا ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَى
بَقَرَتِهَا وَهِيَ تَضْرِبُ بِذَيْلِهَا فَيَكَادُ يَصَافِحُ وَجْهَهَا
— فَأُجَابَتْهَا إِحْدَى سَاحِبَاتِهَا : « إِنَّهَا تَصْغُرُهُ
بِسِنَوَاتٍ . أَنْتَرَفَيْنِ كَمْ يَبْلُغُ مِنَ الْعُمَرِ الْآنَ ؟

— حَوَالَى الثَّلَاثِينَ
ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَى مَنَازِلِهِنَّ ، وَفِي الصَّبَاحِ التَّالِيِ
نَادَتْ « رُودَا » زَوْجَ السَّيِّدِ « لُوجُ » الْقَدِيمَةَ
أَبْنَاهَا وَقَالَتْ لَهُ : « لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ وَالِدَكَ سَيَتَزَوَّجُ
مِنْ زَوْجَةٍ شَابَّةٍ الْيَوْمَ — إِنِّي أُرِيدُكَ الْآنَ أَنْ
تَذْهَبَ إِلَى السُّوقِ حَيْثُ يَمَكِّنُكَ أَنْ تَرَاهَا . فَقَالَ
لَهَا الْابْنُ : أَعَازِمُ أَيُّ عَلَى الزَّوْاجِ إِذَنْ ؟

فَأُجَابَتْهُ أُمُّهُ : نَهْمٌ . . . يَمَكِّنُكَ أَنْ تَرَاهَا وَأَنْ
تُجَدِّدَنِي عَنْ بَعْضِ قَسَمَاتِ وَجْهِهَا
— أَجَلْ يَا بَنِي

لأن جميع الأعين كانت ترنمها -
ولم يكده الصبي يستقر في منزله حتى يادره
أمه قائلة :

« إيه احسن »

فأجابها ابنها إنها ليست طويلة بل قصيرة
فتنهت أمه فقد شمرب بشيء من الارتياح
ثم استأنف الولد كلاًه فقال : ولكنها جميلة
جداً ، جداً يا أمي ، بل هي فائنة . والواقع أن جمال
هذه الفتاة قد ملك زمان قلب ذلك الصبي الناشئ .
فأجابته أمه : كفى . كفى . هذا كل ما أريد أن
أسمعه . هيا إلى السائدة . مد عليها الخوان . إن
الأرب الذي اصطدته طري شهي ، ولكن احذر
أن يصطادك أحد

ولكنك لم تخبرني مانوع يديها

- لم أرها فقد كانت لابسة قفازها

- ماذا كانت تلبس هذا الصباح ؟

- لقد رأيته في ثوب أبيض ههههه تعبت
به نسبات الريح كلما هبت فقمسكه بيديها تخافة أن
يتطاير عن يديها . أما والذي فقد كانت تملأ وجهه
ابتنامة الرخي ويتبختر في سيره كأنه أحد النبلاء
ثم توالى زيارات الصبي لهذين الزوجين كلما
شمربت أمه بالحاجة إلى أوصاف جديدة لهذه الزوجة
الشابة ، ثم أخذت تكون من هذه الأوصاف صورة
ذهنية لتلك الفتاة التي لم ترها بعينها

خلت الأم ذات مساء إلى نفسها ، وقد أوى
ابنها إلى فراشه وبقيت هي وحيدة تنقلب في
فراشها تطلب النوم فيتأني عليها ، ثم أخذت
تستجمع في مخيلتها هذه الأوصاف التي سمعتها من
ابنها حتى غابت في نومها فلاح لها شبح تلك الفتاة
بحوم أمام عينيها وقداردت ثوبها الأبيض الههههه

- ألم ترها ؟

- بلى ، رأيته

- أمي سيدة تماماً ؟

- نعم ، إنها مكتملة الشباب وفي عينيها بريق

المرأة الناضجة

- طبعاً ، وما لون شعرها ووجهها ؟

- إن شعرها كضوء النهار ووجهها كدمية

الصبية

- إذن عيناها ليستا سوداوين كميني

- لا . إنها تملان إلى الزرقاء وقها صنفير

جميل بشفتين رقيقتين تنفرجان عن ابتسامة سلوة
وأسنان مفضضة لاسمة

- وهل هي طويلة ؟

- لم أر طولها ، لقد كانت جالسة

- إذا عليك أن تذهب إلى الكنيسة غداً

فستجدها هناك . إذ ذهب وراقها في مشيتها
وأخبرني إذا كانت أطول مني

- حسن يا أمه ، ولكن لماذا لا تذهبن

أنت وترينها بنفسك ؟

- بنفسي ! إنني لن أسمع لنفسي أن أنظر إليها

ولو كانت تسير تحت هذه النافذة . لقد كانت مع

السيد لوج طبعاً فإذا قال أو فعل ؟

- لم يأت شيئاً جديداً

وفي اليوم التالي ألبست الأم ابنها ثوباً نظيفاً

وأرسلته إلى الكنيسة ؛ فكان أول من وصل

إليها وجلس في أحد المقاعد الأمامية ، وأخذ يراقب

جوع الوافدين ، وأخيراً جاء لوج ومعه زوجته

الشابة وهي تتمش في مشيتها حياة وخجلاً كما تفعل

كل فتاة في سنّها تظهر في المجتمع لأول مرة ،

ولكنها لم تنتبه إلى نظرات ذلك الصبي هذه المرة

ثم أخذت تتردد على المنزل من يوم إلى آخر حتى أنست كل واحدة الى صاحبتها . وفي ذات يوم جاءت « جرترود » وقد امتنع لونها واستولى عليها المزال والسأم ، فسالها « رودا » عن علمها ، فأجابها : « إني أشكو مرضاً حيرني وأيامي وإن لم يكن ذا خطر ، ثم كشفت عن ذراعها اليسرى فنظرت إليها « رودا » وسرعان ما تذكرت تلك الذراع التي أمسكت بها في حلمها ، ثم توهمت أنها ترى فيها آثار قبضتها وما تركته أصابعها الأربعة عليها فسالها : كيف حدث هذا ؟ فأجابها « جرترود » وهي تهز رأسها : « لأدري ، ولكن حدث أن كنت نائمة فראيت في حلمي أفي انتقلت الى مكان غريب وجأة شعرت بألم ينتاب ذراعي فاستيقظت وأخبرت زوجي بالأمر فهوته على وقال إنه سيحول عما قليل » — منذ كم حدث هذا ؟

— منذ أسبوعين في الساعة الثانية

لقد كانت هي الليلة والساعة التي رأت فيها « رودا » ذلك الشبح ، فشعرت أنها آتمة مجرمة . وسرعان ما هجمت عليها تلك الأفكار القديمة ولاح أمامها شبح ذلك الحلم كما لو كان قد حدث بالأمس ، ثم قالت في نفسها بعد أن ودعت صاحبتها : « أوه ! أيمكن أن يكون هذا ؟ أيمكن أن أتسلط على غيري وأصيب لهم إضراراً على غير إرادتي ؟ ثم مضت تفكر في شتى الحلول

تناهت الأيام وذراع « جرترود » تزداد ذولاً وجفافاً وشكوك الالام تزداد يقيناً حتى لقيتها أخيراً وقالت لها : « أرجو أن تكون ذراعك قد صحت تماماً » فأجابها « جرترود » : « لا ، إنها تزداد سوءاً على سوء ، فقد اشتد في المرض حتى لأتوى الآن على إحتماله »

— صبر بك أن تذهبي الى طبيب.

ولكن وجهها كان قد عبثت به التجاعيد فبدت كأنها عجوز ، ثم شعرت أنها قد جثمت فوق صدرها كأنها كابوس ثقيل ، ثم أخذ ذلك الحلم يزداد شيئاً فشيئاً حتى كاد يكظم أنفاسها فبهت من نومها واستجمعت قواها ودفعت ذلك الشبح عن نفسها وهي تصيح : « يا إله السماء ... » ثم جلست على حافة سريرها والعرق البارد يتساقط من جبينها : لم يكن هذا حلماً بل كانت هي بعينها ، لقد نلت ذراع غريمها وهي تدفعها عن نفسها . لست الذراع بلعدها وعظما — كما توهمت ذلك — ثم نظرت إلى الباب فلم تر شيئاً

لم تدق النوم في تلك الليلة ، فلما جاء الصباح كان وجهها شاحباً كوجوه الموتى ، وكانت جسمها يهتز كأنه القصبه المرشوخة ، فلم تقو على حلب اللبن إذ كان ينصب بعبداً من الحلب ؛ فقد كانت لا تزال تشعر أنها ممسكة بذراع غريمها . فلما رأى ابنها منها ذلك قال : « ماذا حدث لك يا أماء الليلة الماضية ؟ لقد سقطت عن سريرك لاشك »

— هل سمعت وقع جسم ؟ ومتى ؟

— حوالى الساعة الثانية

ثم سمعت الأم وأخذت تتناول طعامها في تراخ وكسل ، ولم يبرخ الابن المنزل ذلك اليوم بل بق فيه يماون أمه في عملها . وفي الساعة الحادية عشرة جاءت امرأة لم تكذب تنظر إليها حتى تذكرت ذلك الشبح الذي ظهر لها في حلمها الليلة الماضية ، ولكنها لم ترفي وجهها تلك التجاعيد والخشونة التي رأتها في حلمها ؛ فقد كان ميوته حلواً رقيقاً ، وإشارات لطيفة بالثة ، وابتناساتها لذبة ودعة ، حتى لم تمد تصدق حواسها . لقد جاءت « جرترود » الزوجة الشابة ترور صاحبها حاملة إلى الصبي جفاءً جيداً وبمض اللب

على هذه الفتاة المسكينة بسوء نيتها إذ لم تكن تبني أن تسبب لها ألماً جسيماً ، ثم أخذت تفكر فيما تظنه تلك الزوجة لوعلت بأمر ذلك الحلم ، ثم برأت أنها إذا كتبت عنها ذلك الأمر كالت هذا خيانة أخرى منها

أخذت تفكر في هذا طول الليل حتى إذا ما جاء الصباح خرجت لترى زميلاتها وقد شمعت بحاجة قوية الى هذا اللقاء ، فلم تكذب تدنو من المنزل حتى خرجت إليها « جررود » وحينها تحية الصباح فقالت « رودا » : « أود أن تكون ذرامك ... »

— لقد قيل لي إنه ليس هناك إلا طريق واحد أعرف به علة هذا المرض ، وقد أعرف الدواء أيضاً ، وهي أن أذهب الى ساحر يقيم في الاقليم المجاور لنا ، ولكننا لا نعرف إن كان حياً أو ميتاً ، ولا أذكر الآن اسمه ، ولكني سمعت أنك تعرفين عنه الكثير . إلى أحاول أن أذكر اسمه . فقالت صاحبتها وقد امتنع لونها : « أليس اسم الساحر « ترندل »

— آه نعم هو بيسنه . أهو حي ؟

— أظن هذا

— ولكن لماذا يدعونه ساحراً ؟

— لأن له السلطان على من خوله من الناس

— ما أسخف عقول هؤلاء الناس الذين

يمتقدون في مثل هذه الخرافات . لقد ظننت أنهم

يسنون طائفاً طبيكاً . سوف لا أفكر في مثل هذا

الرجل ثانية

فشمزت « رودا » بشيء من السكينة والطأنينة

فقد كانت تخشى أن يفرض ذلك الرجل أمرها عند

صاحبتها فتتظر إليها كأنها شيطانة في صورة إنسان ،

كانت السبب في تشويه جمالها والقضاء على سعادتها

لم يحض على هذا يومان حتى جاءت « جررود »

— لقد سمعني زوجي الى أحد الأطباء ولكن الطبيب لم يستطع أن يعرف علة مرضي بل نصحني أن أضع ذراحي في ماء ساخن ، فعملت كما أمرني ولكن هذا لم يفتني شيئاً

— أسمعيني أن أراه ؟ فكشفت عن ذراعها وأشارت الى موضع الألم وكان هذا فوق المصم . فلما رأت « رودا » ذلك لم تستطع أن تحبس عواطفها . لم يكن هناك أثر لرحم بل كان هناك آثار الأصابع الأربعة ، الأول تجاه المصم والرابع تجاه الرقبة

— يلوح لي أن هذا من قبضة يد ، فاني أرى آثار أصابع هنا ، فأجابتها « جررود » في ابتسامة ضيقة ضميعة : « إن زوجي يقول ان أحد الشياطين هو الذي فعل هذا » فانتفضت « رودا » انتفاضة عنيفة وقالت : « إن هذا وهم ، ولو كنت مكانك لما صدقت » فأجابتها « جررود » في شيء من التردد : « اني لا أمهم كثيراً لهذا لو لم يكن بي مايفر زوجي مني أو يعض من جبه لي . إن الرجال يقيمون وزننا كبيراً للظهر الخارجي »

— أجل ولكن زوجك لا يحب سواك

— نعم كان هذا في أول الأمر إذ كان غفورا

بي ؟ أما الآن ...

— يمكنك أن تستريه عن نظره

— آه ! ولكنك يعرف مكان التشويه — قالت

هذا وهي تحاول حبس الدموع التي ملأت عينها

— أدعوك بالشفاء من هذه العلة قريباً

ثم انصرفت « جررود » وخلت « رودا »

الى نفسها وقد انتالت الأفكار على خاطرها حتى

أصبح عقلها هدفاً لتلك الرساوس التي جرها عليها

ذلك الحلم البنيض ، وقوى عندها ذلك الشعور بالألم

حتى أخذت تؤنب نفسها على ما ظنت أنها جلبته

لها الرجل : ان الطب عاجز عن شفائك ؛ فان هذا من تديبر عدو . فازوت « رودا » في نفسها وتراجعت الى الوراء أما « جرترود » فقد صاحت : « أى عدو ! » فغز الرجل رأسه وقال : « انك تمرقينه جيداً ، ولو أردت لأدريتك اياه وإن كنت أنا نفسى لا أعرفه . فلما ألحت عليه « جرترود » أن يخبرها من هو أشار الرجل الى رودا بالبقاء في مكانها ، ثم قاد جرترود الى غرفة صغيرة وأجرى أمامها عملية السحرة فأحضر كوباً وملاء ماء وجاء ببيضة وكسرها على حافة الكوب فنزل الزلال في الكوب وبقي الملح ، ثم حمل الكوب الى النافذة وأمر المرأة أن تنظر فيها ولكنها لم تستطع أن تبين ذلك الوجه الذى خيل إليها أنها تراه في الكوب . فلما خرجت كان وجهها أشد امتقاعاً ، ثم عادتا الى القرية وقد شمعت رودا أن صاحبتهما قد تغيرت

فعمداً ما سألتها عما رأت أجابتها في شيء من التحفظ والحرج : « لاشيء يستحق الذكر » ثم تلا وجهها شعوب غريب حتى أصبح شبيهاً بذلك الوجه الذى رآه رودا في نومها . وبعد صمت طويل قالت جرترود :

أ كنت أنت أول من فكر في هذا الساحر ؟ عجباً لو كان هذا ...

— لا . ولكنى لست آسفة على مجيئنا الى هنا . إن كل شيء مقدر مكتوب

ثم سارتما في الطريق دون أن تتحدثا كثيراً وقبل أن تفترا قالت جرترود « ان الناس يتهايمون بأن علة مرضي سببها نظراتك الى . فامتقع وجه المرأة وغابت في تفكير عميق ولم يأت الربيع حتى كانت « رودا » وابنها

الى منزل صاحبتهما وقالت لهما إن ذراعى تزداد سوءاً وأصبح الأمر جد خطير ، حتى فكرت ثانية في ذلك الرجل الذى حدثنى عنه وإن كنت لا أعتقد في أمثال هذا الرجل إلا أنى أشعر برغبة في زيارته الآن . أيعمد عنا كثيراً ؟

— نعم ، هو على مسافة خمسة أميال

— حسن سأضئ إليه — ألا تصحيتينى لتدليينى على الطريق ؟

فتمت « رودا » قائلة : « لست أنا » ثم أخذ الخوف بماودها من جديد خشية أن ينكشف أمر حلما فتفقد صداقة صاحبتهما ، ولكنها لم تجد طريقاً للاعتذار وانفقتا أخيراً على أن يتقابلا عند نهاية الطريق حتى لا يراها أحد

استيقظت « رودا » في اليوم التالى وأخذت تفكر في شتى الحلول التى تخلصها من هذا المأزق ، ولكنها لم تجد بداً من الذهاب ، فتوجهت الى السكان الذين حيث قابلت صديقتهما ، وقد أخفت ذراعها في مئزرها ثم مضت في سيرها لا تتحدثان إلا قليلاً

لقد كان طريقاً طويلاً مقفراً ، وقد امتلأ الجو بالسحب فحجب الشمس ، وأخذت الرياح تمول وتصفر وهي تهب فوق التلال ثم تهوى الى بطن الوادى

أما « جرترود » فقد كانت كلما فتحت موضوعاً للحديث ردت عليها صاحبتهما في إجابات مقتضبة محاولة إقفاله ؛ وكانت تشعر كلما تقدمت في الطريق أن شيئاً ثقيلاً يبحم على صدرها حتى كرهت أن تسير بجانب الدراع المريضة أو أن تدنو منها . وأخيراً جاءت الى الرجل « حنيا « رودا » وقصت عليه « جرترود » قصة ذراعها ، فقال

عنق أحد المشقوقين . فارتاعت المرأة لتلك الصورة التي رسمتها في ذهنها هذه السمكات - ثم مضى الساحر في كلامه : على أن يكون هذا عقب إزاله من المشقة مباشرة

فسألته الزوجة : « ولكن ما فائدة هذا ؟ » فأجابها الرجل : إن هذا يزيد في دورة الدم . عليك أن تذهبي إلى أحد السجون وترقي إحدى نضجايه . لقد طالما أرسلت إلى السجن عشرات النساء اللواتي جئن إلى يشكون بعض هذه الأعراض . ثم ودعته المرأة وانصرفت وقد أبي أن يأخذ منها أجراً عادت المرأة إلى منزلها وهي تشك في كلام الساحر ولكنها بعد أن يشتت من الشفاء اندفست بأمل إعادة حبها المفقود بشفاء ذراعها إلى تحقيق فكرة ذلك الساحر وقد تذكرت كلامها لها : « إن ما يأتي بالرق يذهب بالرق أيضاً . » فقضت مدة طويلة وهي لا تفكر إلا في المشقوقين حتى أن صلاتها لم تكن إلا بعض هذه السمكات : « اللهم اشق لي أحد الأشقياء أو أحد الأبرياء ! » لم ترد أن تستعين بزوجها فقد كان يضيق بأفاعيل السحر ولا يؤمن بأعمال السحرة

ثم جاءها يوماً يخبرها بمزمه على تركها يومين لقضاء أمور خاصة به ، فقرحت الزوجة لهذا النياب إذ وجدت فيه فرصة لتحقيق غايتها . فلم يكده يغيب عنها حتى امتلأت جواداً مطعماً أخذ يطوى بها الأرض حتى وصلت أخيراً إلى السجن المقصود حيث تجد فيه شخصيتها التي ارتبعت سمادتها بنهايته ، ثم ذهبت إلى الجلاد تسأله عن تلك الضحية ، فظلم الجلاد إحدى قريبات النقي المسكين أو سيده . فقال : إنه صبي لم يتجاوز الثامنة عشرة قد ساقه القدر إلينا عند ارتكاب الجريمة . ولم نجد غيره

قد تركا القرية

عاشت جبر ترود مع زوجها ستة أعوام كانت حالتها تزداد سوءاً على سوء ، ففاض الابتسام والاشراق من جبينها ونضبت الجلال من وجهها وأصبحت الذراع المشوهة مصدر قلقها وتمسها ، وفوق هذا لم تعقب من زوجها لداً كما كان أحوجها إلى ابن يحمي في اسمه ويرث أرضه

لم تقعد الزوجة لحظة عن السى في علاج ذراعها وذهبت النصائح والأوصاف الطبية في غير جدوى ولم تجدد عليها الرق والتوايد شيئاً

ولكن الحنين إلى الولد كان يشتد بالرجل يوماً بعد يوم حتى لم يستطع أن ينفله ، فجاء إلى زوجته يوماً وقال : لقد فكرت أن أتبنى ولداً ولكن الوقت قد فات فقد مضى الولد ، ولا أعرف مكانه الآن - فأدرت الزوجة الترض التي يرى إليه فان قصة الزوجة الأولى « رودا » لم تكن قد غابت عن ذهنها وإن لم يتحدث أحدهما إلى الآخر عنها كانت في الخامسة والمشرين ولكنها كانت تبدو فوق هذه السن بكثير . فقد قضت ستة أعوام كانت كلها عبدة ثقيلة لم تنق فيها الحب إلا شهرين . وكثيراً ما كانت تخلو إلى نفسها وتستعيد أيامها الماضية ، فتهجم عليها ذكريات مرضها فتثور وتنثم تناؤه قائلة : « آه لو عادت إلى أمي حي الأول » ثم أرادت أن تربي بآخر سماتها للشفاء من هذا الداء المياد ، فانطلقت إلى الساحر القديم ، ولم تكن قد زارته منذ ست سنوات ، فلم يكده يراها حتى تذكرها ، فذكرت له المرأة التجارب التي عملها فجز الرجل رأسه وقال إن معظم هذه الأشياء لا تنفع - ليس هناك إلا طريق واحد ، ولكن صعب تحقيقه . وهو أن تطوق بذراعك المشوهة

فاستجمعت المرأة قوتها ومدت ذراعها ، فأخذها الجلابد ورفع الغطاء عن الحنطة وطوق بها عنق المسكين ، فشمرت المرأة بهزة عنيفة وأخذ الدم يتدفق إلى تلك البرراع المريضة ، ولكنها لم تكد تلتفت وراءها حتى رأت « رودا » وقد اجمرت عينها من البكاء وأرخت شعورها على كتفها ، وقد وقف بجانبها زوجها « لوج » ساهما حزينا ولكن عينيه لا تدمعان ، فقال لها في صوت غاضب أجش : « ماذا تعلمين هنا ؟ » ، ثم صاحبت الأم : « رودا » يا لك من شيطانة أمحولين بيننا وبين ابني .. إنك لتمثلين حقاً تلك الصورة البشمة التي رأيتها في حلمي القديم ، ثم جذبتها من ذراعها المارية ودفعتها إلى الحائط ، فوقعت تحت قدمي زوجها ، فلما رفعها زوجها عن الأرض كانت غائبة عن الرشد

لقد كان المشنوق ابن « رودا » قد اتهم ظلاماً في إحدى الجرائم ، ثم جاء إليه والده في الساعة الأخيرة ليشهد مصيره المحتوم . ولم يرد أن يخبر زوجته جرثود بهذا بل قال لها إنه ذاهب إلى قضاء أمر من أموره الخاصة

حملت الوجة ولكنها لم تبق إلا ثلاثة أيام حتى فاضت روحها لأن دورة الدم كانت أقوى مما تحتمل

أما الزوج فلم يكد يفرغ من دفن زوجته حتى ترك قريته إلى بلدة أخرى حيث مات هناك بعد ذلك بعامين وقد أوصى معظم ثروته إلى أحد الملاجئ تاركاً جزءاً يسيراً منها إلى زوجته رودا — إن كانت لا تزال حية — إذ كانت قد اختفت من ذلك الاقليم كله . ولكنها عادت بعد ذلك بسنوات كثيرة وقد ابيض شعرها وتخاذل جسمها ولم يبق فيها إلا جبين مفضن يخفي أعمق الأفكار ، وقلب مكلوم يحمل آلم الذكريات

قطمى ضليل

نهمه . فأجابته المرأة : لمت أسأل عن هذا بل أريد وأن أعرف موعد التنفيذ . فقال الجلابد : في الساعة الثانية عشرة كالعادة ، أي بمجرد وصول البريد من لندن . فقد يكون هناك غفر . فارتاعت المرأة وصاحت : غفو ؟ إلى لا أود هذا ، فسالها الرجل : « ماذا تريدن ؟ »

فقلت : أريد أن أسه لأنه أحد الطلام التي كانت السبب في تشويه ذراعي وهدم سعادتي . وقد أشار على بهذا أحد السحرة . فقال الجلابد : أوه . نعم ، نعم . لقد أدركت غرضك الآن . كثيركم من النساء يأنين إلى لئل هذا الفرض . ثم تشكين ؟

فكشفت له المرأة عن ذراعها فأخبرها الرجل أن تذهب إلى محافظ السجن وأن تصطحب معها طبيباً ثم تقدم اسمها وعنوانها . فقلت له : ولكني لا أريد أن يعلم أحد بهذا — أنتين حبيبك ؟

— لا . بل زوجي
— حسن . سأشهد لك الطريق
— ولكن أين هو الآن ؟
— إنه لا يزال حياً في داخل هذا السجن . ثم

رسم الطريق الذي تسلكه ، فانصرفت شاكرة . وفي الساعة الثانية عشرة من اليوم التالي كانت المرأة جالسة في إحدى غرف السجن تنتظر تنفيذ الاعدام في المتهم الشاب

ثم قرى الحكم وسبق للتهم إلى المشقة وفي تلك اللحظة دخلت المرأة بسرعة وقد حسرت عن ذراعها المريضة ، ثم انحنى على الصندوق الذي كان فيه المشنوق ، ولكنها لم تكد تراه حتى غارت قواها وكادت تهوى إلى الأرض فأمسك بها الرجل وحس في أذنها قائلاً : « هيا »

لشموره حتى يبدأ رد الفعل في أعضائه فينقلب إلى
المرح الجنوني كروماً من الحجر ما يفقده رشده
فيستولى عليه روح الهدم والتعطيم . ولكم دأبه
يختتم نوبه هذه بقدفه كرسياً إلى نافذة مفاقة يحلم
زجاجها بقرمة تعم الآذان

وكفت أداني منشفة بالبرغم متى إلى تشريح
أخلاق هذا الرجل ، فكان يلوح لي كأنه فرد من
مجتمع غريب لا أعرف له مقرأ على هذه الأرض .
فما كنت أعلم أكان هذا الانسان مسيراً في عمله
يئس مريض أم بدلال ولد صغير

وكان ديجنه يبدو بخاسة في أيام الأعياد كأنه
ماخوذ بثورة عصبية فيأني بأعمال صبيانية يحتفظ
فيها بكل برودة خلقه فكان من براه لا يتألك من
الاستفراق في الضحك . وقد أفتنى يوماً بأن
أخرج للتنزه معه وحدنا عند الفسق قارتدينا
أواباً غريبة الشكل وقمتنا وجهينا وحمل كل
منا آلة موسيقية وذهبنا على هذه الصورة مأهين في
الأحياء الصاخبة محتفظين برصانة أرباب القنون ؛
وصادفنا في تجوالنا عربية كان سائقها قد دب فيه
النماس فنام على مقعده فسار معنا إلى حل أربطة
الفرسين ثم تقدمنا إليه وسحبنا به فأفاق ، وركبنا
العربة طالين منه إيصالنا ، وما لوح المسكين بسوطه
في الهواء حتى ذهب الفرسان خيباً وبقي هو في
عربته مشدوها ، وتوجهنا بعد ذلك إلى أشتارلزيه
فرأى ديجنه عربية تقدم نحونا فاعترضها وأمر
السائق بالوقوف وتهدده بالقتل إن لم يترجل عن
مقعد ، وإذ نزل الرجل عند إرادته مذعوراً أمره
بالانبطاح على الأرض معرضاً نفسه لأوخر المواقب ؛
ثم فتح باب العربة كأنه قاطع طريق فرأينا شاباً
وسيدة استولى عليهما الرعب الشديد ، وأمرني ديجنه
بمجاراة فيما سيفعل ، فأخذ يقفز من الباب ليعود



من أعماق النفوس

أشرفاً في العصور
لألفريد موسيه
بسلام الأستاذ فليكس فانس

(تابع)

وما كانت هذه الحياة للضطربة تخلو من
أوقات لها قتها وصفاتها ، فقد كان مباشر
ديجنه من الطبقة الراقية وأكثرم من أرباب
القنون ، فكانت غص ليالى عديدة يسود سمراً الخليل
فيها ما يمد جسد البمد عن الفحشاء ؛ وكان أحد
الصحاب ماشقاً مغنية مشهورة تشجينا بصوتها
الساحر الحزين . ولكم جلسنا إلى المائدة فنسنا
ما عليها من طعام مستغرقين فيما يثير إنشاده
الغنية في نفوسنا من حنين ؛ ولكم درنا بأفداح
الشراب ونحن نصنى إلى أحداً يلقى علينا بصوت
عميق رائع بعض مقطوعات من لامارتين ؛ فكاننا
نؤخذ بمآنها حتى كأن تفكيرنا حصر في دائرة
منها ؛ فكانت تمر الساعات دون أن نشعر بها ، حتى
إذا جلسنا بعدها إلى المائدة ساداً سكوت رهيب
وعلفت بأهدابنا الدموع

وكان يجعل هذا التأثير في مثل هذه الأوقات
على ديجنه بأكثر من يجليه في الآخرين وهو
المعروف بيننا بسلامة خلقه وبرودة طبعه ، فكانت
المواقف تتمدق من كآته ولفنته كأنه شاعر ساعة
زول الألام عليه . وما كانت تنتهي نوبة استسلامه

شهوة الصبا من إهابها النض وعلى خوان عملها
رواية كل صفحاتها صباة وغرام ، وهي لم تلقن
علماً ولا تعرف عن الآداب والأخلاق شيئاً فتتغنى
حياتها تخطيط الأثواب أمام نافذتها حيث تمتد طريق
منع رجال الشرطة المرور عليها ليحجبها عند المساء
رھط من بنات الهوى الحاملات الأجازات يخطفن
عليها ذهاباً وإياباً ، ماتفل هذه الفتاة بعد أن تسكون
قطعت أصابعها واستنفدت نور عينها منذ الصباح
حتى المساء عاملة في رداء أو في قيمة إذا هي انكأت
عند الفسق إلى نافذتها فرأت ما عمت فيه يداها
الشريفتان لكسب قوت من حولها يرتديه قوام
فاجرة ورأس عامرة . . .

ولكم من عربة تقف أمام بابها كل يوم فتدخل
منها فتاة لها رقها كالعربة التي تستقلها ، وتدخل
على هذه العاملة المسكينة لتعدها بلقعات الاحتقار
وتقف أمام صراحتها لتجرب مراراً الرداء الذي
انكببت عليه في سواد الليالي لأنجازها . وتخرج
الماهرة من كيسها ستة دنانير يتوهج ذهبها ، وهي
العاملة لا تكسب إلا ديناراً طوال أسبوعها ،
فلا تملك نفسها من التفرس فيها والتأمل فيما تلبس
من حلى ثم تنبهما بأنظارها حتى تركب عربتها
وتتوارى

ويجيء يوم ينقطع فيه العمل عنها ويسود
الظلام على البيت الذي تظله الفاقة ، وقد انطرح
في إحدى زوايا الأم الربضة ، فتفتح العاملة البائسة
بابها وتمتد يداها قابضة على مجهول يمر على الطريق ...
هذه هي حكاية الفتاة التي تعرفت إليها .
وكانت تحسن المزق قليلاً على البيانو وتعرف شيئاً
من فن الرسم ومن التاريخ والعرف ، فكانت
كل مآرفها على هذا النحو شيئاً يسيراً من كل
شيء . ولكم كنت أنهم ينظر في هذه المخلوقة

فيفترق من الباب الآخر وأما أتيمة حتى خيل إلى من في
العربة والظلام سائد أن المهاجرين عصابة من المصوص
يقول لك بعض الناس إن الحياة تولى من
يبتليها اختباراً ؛ ولهم يصيبون في سرائرهم إذ
يصدقهم سامعهم . وهل العالم إلا عاصفة إعصار
لا يشبه أحدها الآخر ؟ فكل ما في الحياة يذهب
بدداً كسرب أطيبار ينتشر في الفضاء الفسيح ، فما
تجد مدينة تتشابه أحيائها ؟ فمن عرف أحدها يبقى
جاهلاً بسائرها ؟ غير أن هذه الأعاصير التي تدور منذ
وجود العالم لم تزل تخترقها سبعة أشباح لا تنفیر
على عمر الأجيال : وأولها يسمى الأمل ، والثاني
الضمير ، والثالث الرأي ، والرابع الشهوة ،
والخامس الحزن ، والسادس الكبرياء ، أما الأخير
فيسمى الانسان

وما كنت وأصحابي إلا كسرب أطيبار ، فبقينا سوية
إلى أن جاء الربيع نلعب حيناً ، ونركض أحياناً
ولعل القارئ يتساءل أين النساء في هذه
الحوادث وأين هي الفحشاء ؟

وماذا عساني أقول من هذه المخلوقات الحاملات
اسم النساء واللواتي راودن حياتي كأشباح أحلام ؟
أيمكن للانسان أن يحتفظ بالذكريات من وقائع لم
يكن فيها شيء من الأمان والآمال ؟

وأين أبجد هذه الوقائع الآفة لأثير منها نذكاراً ؟
وهل من شبح أشد صمناً منك أيها المرأة العابرة
كالظل ؟ وهل من انطباع أسرع إلى الزوال منك
في صفحة الذكريات ؟

وإذا كان لابد من إيراد شيء عن النساء
فلأذكرن منهن اثنتين :

وإليك الأولى

أسألك أولاً عما يمكن أن تقول إليه عاملة
بالخطاطة لها من العمر ثمانية عشر ربيعاً تتدفق

انتهاز الفرصة للأخذ بأحدث لا طائل تحتها . أما (الفالس) فرقصة تتيح لك أن تتمتع بالمرأة التي تضمها نصف ساعة بين ذراعيك وتسير بها بين تصادم الراقصين وهي خفة الجوارح فتكاد لا تعلم إذا كنت تقتصب إرادتها أو تحمي ضعفها . وكما بين الراقصات من يستسلمن إلى قيادتك بتفسير تتدفق الشهوة منه فلا تعلم ما يدور في خلدك أشهر هو أم حذر ، وتقف مرتاباً في نفسك فلا تدري حين تشد بالراقصة إلى قلبك أترشح غلة أم تنقص كالقمعية الضئيفة بين يديك

لأرب في أن ألمانيا التي اخترعت هذا النوع من الرقص بلاد ما خفيت حقيقة الحب عن أهلها وكنت أخسر راقصة رائدة الجمال تذهب إلى المسرح الإبطالي جاءت إلى باريس لتمضية أعياد المرفع ، وكانت بزى الراقصات في هيكل إله الخمر ترتدي قفطاناً من جلد النمر ، وما كنت رأيت في حياتي امرأة تشبه هذه المرأة في دلالتها ، فقد كانت بمشوقة القد ناعلة القوام تنطلق في خطواتها بسرعة ، ولكنك تخالها تنسحب سحباً وهي تنقص في دلها . ولقد يحسب الناظر إليها أنها تنص مرافقها في حين أنه لا يحس بها إلا كخيال

ميال بين ساعديه

وكانت هذه الثانية مربية صدرها بطاقة كبيرة من الورد تورثي نشوة أن منها نشوة الراح ، وكانت تنطوى على ساعدي لأقل حركة كأنها من الأماليد عاشقات الشجر ، فكنت إخالها بما فيها من ليونة وعذوبة خلابة وشاحاً من ناعم الحرير يلفي كأذيال النعام . وكان عقدها التتلي من عنقها يهتز في كل دورة من دوران الرقص ضارباً على نطاقتها اللعني فأسمع له صوتاً خافتاً كخفيف الفصول . وكانت في حركاتها من الجلال ما يوقفي منها أمام كوكب

والأسمى يرين على قلبي إذ أرى فيها بداية حمل الطبيعة ونهاية ما يأتيه المجتمع من التشويه ، ولكم شخصيت بشخصي أمامها إلى ليل ملهم تلوح فيه شرارات ضئيلة من نور عليل ولكم حاولت أن أشمل بعض الجرات الخامدة تحت هذا الرماد ، وقد كانت حلة شعرها بلونه ، فكنا ندعوها (ساندريون)

وما كانت تروق تسمح لي بأن أعين لها مملين فتولي ديجته الانفاق على تعليمها ، ولكنها مجزت عن بلوغ أي نجاح ، فما كانت الملم يتوادي عن نظرها حتى تكثف يديها وتبقى الساعات الطويلة محدقة بما وراء نافذتها . وكانت تمر الأيام على هذه الوتيرة فتهدتها يوماً بأني سأقطع عنها المال إذا هي لم تتجهد ، فبدأت بالعمل دون إبداء أية مقاومة ، ولكن بلني بمد ذلك أنها كانت تخرج خلسة من البيت ولا يعلم إلا الله إلى أين كانت تذهب ، وقد فرجوها قبل أن أسرحها أن تطرزي كيساً ، وقد احتفظت بهذا الكيس مدة طويلة كذخيرة حزينة وأبقىته معلقاً على جدار غرفتي كأنه رسم لكل طلل عابر في هذه الحياة

أما الثانية فهذه قصتها :

وكانت الساعة الماثرة مساء ، وكنا قضينا نهراً نال الرياضة النعومة فتوجهنا إلى منزل ديجته وكان هو قد سبقنا إليه لأعداد ما يلزم لليلة راقصة . ولما دخلنا البهو رأينا مخرجاً بالمدعويين وبينهم عدد وفير من الممثلات ، وقد بين لي الصعاب السبب في دعوتهن إلى الحفلات فقالوا إن الرجال يتراحمون ملين وما وصلت إلى القاعة حتى اندفقت مع تيار الراقصين ، وكنت شديد الميل إلى رقصة (الفالس) إذ ليس بين أنواع الرقص ما يخالها خفة ورشاقة وليس غيرها إلا حركات لا معنى لها يقصد منها

ورائها وإذا هو لم ينفذ إليه ذلك الشيء المجهول
أو تلك الكهارب المسكرة التي تنتشر في الرقص
حين تتعالى التلغيات ويكف قلب الجسوم أنوار
المصابيح وما تنتشر هذه الكهارب إلا من
أجسام الحسان فيتكبرن بها أولاً، ثم تهب منهن
كالسحب المتصاعد من مبخرة تتأبل مع الرياح

واستولى على خيل صريع . وما كنت أجهل
أن الحب يورث هذا الخلل ، وما كانت هذه أول
مرة عرفته ، ولكنني ما كنت أعلم من قبل أن
وسع امرأة أن تدفع بالقلب إلى مثل هذا الخفق
وأن تثير في الخيلة مثل هذه الأشباح بجبالها
وبأزهارها وبثوب غطط بكلك الحيوان المفترس ،
وبحركات دوران اقتبسها من أحد المهرجين ،
وبالتفاف معصم بض على كتف ، وذلك دون أن
تنبس بكلمة أو تبدي فكرة واحدة كأنها ترفع
عن الاعتراف بمرتها وسلطانها

وما كان ما أشعر به من الحب بل من الظلم
المحرق ، فاني لأول مرة في حياتي كنت أشعر
باهتزاز أوتار مشدودة على غير قلبي ، فإن تجسلي
هذا الحيوان الرائع لميني كان قد استنطق وترأ غير
أوتار القلب في أحشائي ، وما كنت أحس بنفسي
ما بدفني إلى أن أقول لهذه الثانية إنني أحببتها
أو أعجبت بها أو حتى لأعلن لها تقديري لجمالها ، فما
كنت أشعر أن علي شفتي ألا تعطشا للالتصاق
بشفتي لأقول لها : منطقتي بهذين المصمين
التراخين وأنتي على كفتي رأسك المسائل وارشي
بهذه البسمة المذبة شفتي

لقد عشق جسدي جسدها فكنت من جمالها
في سكرة مسكرة الراح ...

ومر في دميته فسانني عما أفعل حيث كنت
فأجيبته : من هي هذه المرأة ؟ فقال : وأية امرأة

رائع يتسهم لي فأخاطها جنية تنشر جناحيها لتمود
أدراجها . وكان الموسيقى الشجية الهائعة كانت
تصدح من بين شفتيها وهي مائلة برأسها إلى الوراء
تكلمها الصفائر السوداء ، وقد أرقق عنقها من
ثقلها فالتوى

وما انتهى دور الرقص حتى ارتيمت على مقعد
في زاوية القاعة ، وكان قلبي ينبض بسرعة قطعت
أنفاسي ، فهفتت قائلاً : يا لله مما رأيت ،
يا للسخ الزائع ! ويا لك من أفعى كلما حسن وجمال
تعرف كيف تلذذ وكيف تملل بجملها اللين
الأرقط ... لقد علمتكم حبة الجنان القوية كيف
تلذبن على شجرة الحياة وبين أسنانك ثمرة الموت .
يا لك ساحرة تتحكمين في قلوب الناس وتلملين
ما يفعل بهم هذا الدلال الذي يتجاهل قوته وهلا
تلملين أنك تهلكين وتفرقين وأن كل من لمسك
سيهل به المذاب ، وأن ابتسامك وجع أزهارك
والاقتراب إلى ملاذك يؤدي إلى الموت ... ذلك
هو سر الخلاوة في افتراق تفرك وتفتق أزهارك ،
فأنت ترفين هدفك عند ما ترسلين ممصمك
متراحياً على السكواهل

لقد أعلن الأستاذ هاللي حقيقة مروعة حين
قال : (إن المرأة عصب البشرية والرجل عضلها)
وقد قال هومبولت العالم الجدي نفسه : إن أعصاب
النسر يحوطها إشعاع خفي . وأتباع سبلاتزاني
يمتدنون أيضاً أنهم اكتشفوا الحاسة السادسة . إن
في هذه الطبيعة التي تقذف بنا إلى الوجود ثم تدفنا
إلى الموت وهي هازمة بنامن القوات الخفية ما يكفها ،
فلا نضيفن إلى ما نتسكع به من ظلمات ظلمات أخرى
ولكن أي رجل يعتقد أنه يتمتع بالحياة إذا
هو أبكر سلطان المرأة عليه ، إذا هو لم يشعر
بارتماش ساعديه بعد أن يكون خاصر امرأة جميلة

يسحب رجله المرجاء ليطبق على (فينوس) ويشبها
تقبيلًا ، ولحيته تلمس يدخان مصنه وهو يحدج
بنظرائه الزائفة جسم إلهة الجمال الرض مستغرقا
في التحديق بها وهي كل ما يملك فيحاول أن يتسم
ويتظاهر بالارتعاش مسرة وحبورا ، ولكنه في
الوقت نفسه يندكر أباه كبير الآلهة (جوبيتر)
الجالس على عرشه في السماء

وحدق ديجنه في وجهي ولكنه لم يجب بل
قبض على يدي وجري قائلا :

إنني جد متعب وأشعر بحزن ، فأنت هذا
المصعب يقتلني . هيا بنا إلى المائدة نستعيد قوامنا .
وجلسنا إلى مائدة جمعت كل ما لك وطالب ،
ولكنني كنت أشاهدها ولا أتمتع بها إذ كانت
شفتاي ترتجفان في انقباضهما ، وسألتني ماركو عما
في قبعت شاحصا كالصنم أمرح أبصارى من
رأسها إلى قدمها صامتًا ذاهلًا

وما تأملت ماركو نفسها من الضحك فضحك
ديجنه معها من بييد وهو يرتينا . وكانت أمامها
كأس كبيرة من البور تنعكس عليها الأنوار
فتتكسر على أضلاعها لتنع بالسبمة الألوان . ومدت
يدها للبراقية فلألت الكأس بخمرة قبرصية فيها
حلاوة الشرق وتكلمته وقدمتها الى قائلة :

— هذه لك يا بني

أخذت الكأس ثم أعدتها إليها قائلة :
بل لك ولي

ورطبت شفتها من الحباب وأعادتها إلى
فكرتها دفعة واحدة وأنا أرسل إليها نظرات
حزينة قائمها معانها

فسألتني : أردتة هي ؟

— لا

— أمتب أنت ؟

تعي ؟ فقبضت على ساعده وسرت به في القاعة ؛
ولحظت الإيطالية أننا نتجه نحوها فابتسمت وإذا
تراجعت قليلا قال ديجنه — آه لقد رقصت مع
ماركو ...

— ومن هي ماركو ؟

— هي تلك الدلة الضاحكة هنالك ... فهل

أنت معجب بها ؟

— لا ، لقد رقصت معها وأحب أن أعرف

اسمها . وهذا كل إعجابي بها

وما قلت هذا إلا لأنني شعرت بشيء من
الجل ، فتولى ديجنه عني وذهبت أنا نحو الإيطالية ،
فاستوقفتني قائلة : رويدك ، يا وكثاف ! ليست ماركو
كسائر البنات ، فهي في عهدة سفير ميلانو وتكاد
تكون زوجة له ، وقد جاءت إلى هذه السهرة مع
أحد أصحاب السفير ، غير أنني سأكلها في شأنك
فلا أدعك تموت إلا إذا لم يكن بد من موتك .
سأحاول إبقاء ماركو عندنا للعشاء

قال هذا وتوجه إليها فسادني اضطراب يعجز
بياني عن تحديده ، وما بدأ بمحادثتها حتى تمشيا
سوية وظلما عن عياني بين ذرافات المدعوين

وكنت أأجى نفسي قائلا : أيمكن أن يصيب
حديس ؟ أتمكن هذه المرأة هي من صاحب ؟
ولكن ما لقلبي ولهذا فأن حواسي وحدها تعمل
عملها بمزول عنه

وكنت أحاول بمثل هذا التفكير أن أهدي
روعي . وما طال انتظاري حتى شعرت بيد ديجنه
تلقى على كتفي وهو يقول : سنذهب إلى المائدة ،
وعليك أن تشبك ساعديك بساعد ماركو فهي تعرف
أنك معجب بها وقد تم الاتفاق ...

قلقت : اسمع ، يا ديجنه ، إن ما أشعر به بغوت
إدراكى ، فكأنني في رؤي أشهد (فولكان) فيها

تتكلم ولم تشرب بل أسندت رأسها بيدها وتاهت
في أحلامها . وما كان يوح على وجهها ما يدل على
تأثر أو استغراب ؛ فقلت لها :

— أما تريد أن تغلي ما يفلون ؟ لقد سقيتي
خمرة الشرق فهل لك بتذوقها ؟

قلت هذا وملأت كأسها دهقا فرفعتها بيدها
إلى فيها وارتشفتها حتى التمالة ، وبعد أن أعادت
الكأس إلى المائدة عادت إلى استغرابها

وكنت كلما أدت النظر إلى هذه الفادة أزداد
استغرابي للحالها، فهي لا تسر لشيء ولا يضيقها شيء ؛ بل
تفعل ما يطلب منها ولا تقوم بأية حركة من تلقاء نفسها
فذكرتني بتمثال الراحة الأبدية ؛ فقلت في نفسي
لو نفخت روح في هذا التمثال لما كان يبدو لنا إلا
كاركو ثانية

وكنت أقول لها : أنت طيبة القلب أم أنت
سريرة ... أحزينة أنت أم مرحة ... أروعك أن
تجبي ... أتبهون المال والذلات ... وأي نوع منها
تفضلين ... أسباق الخيل أم الجرام الرقص ...
أي شيء يمتع بك ... وماذا تحلين ؟

فما كنت أظن منها إلا ببواب واحد على جميع
هذا ، وهو ابتسامة لا حزن فيها ولا سرور ، كأنها
تعني الاستسلام وعدم المبالاة

وقربت إلى مبسمها شقي فألقت عليها قبلة
مترامية تشبهها ، ثم رفعت حنديلها إلى فيها فصرخت
بها : ويل لمن سيجبك يا ماركو ...

فألقت إلى بنظرة من مقلتها السوداء ثم رفعتها
إلى الملا وأشارت بإصبعها بحركة إيطالية لا تقلد
ولفظت بتمهل الكلمة الكبرى الخاصة بنساء
بلادها : لقد يكون ...

وقدمت أشكال الحلوى والفاكهة ونهض
فريق من اللدعويين إلى القاعة يدخنون ويلعبون .

— لا

— أنشكو صداعا ؟

— لا

— ما بك إذا إلا هموم غرام

وظهرت على وجهها علام الجذ ، وكنت أعلم
أنها وليدة نابولي لذلك نبضت إيطاليا في قلبها عندما
تفوهت باسم الغرام

وفي هذه الأثناء كانت الدماء تتصاعد إلى
الرؤوس والأفئدة تتصادم بين الأنامل وبدأت
الحدود تصطبغ بلون الخمر فكانها كانت تبرقع
أشد الوجوه اصفرارا كيلا تملوها من الخجل حرمة .
وكانت الضجة تنهال وتنخفض كأنها نبرات
أمواج ، والأحداق ترسل لعلها إلى كل صوب ثم
تذهب ثانية . . . فكان في القاعة نسيات خفية
كانت تخفق فيها كل هذه الأرواح الهائجة في نشوتها ،

وكل روح تتلصص طريقها إلى سواها
وهبت إحدى النساء من مكانها بين الحشد
كما تتعالى على صفحة البحر الساكن أول موجة
تنسم الماصفة فملو منذرة بإقترابها . وقفت
وأشارت بيدها لينصت الحضور إليها وكرعت
كأسها ثم حولت أناملها إلى شعرها تنثر غداثرها
الدعوية على كتفها وعلى صدرها التهدج بأنفاسه ،
فما أسمعنا سوى نبرتين غننقتين وامتنع لونها فجأة
فتراحت على مقدمها

وقامت قيامة الحاضرين ، فسادهم المرح والرج
حتى نهاية السمر ، فما كان لأحد أن يتميز شيئا
وقد اختلط الضحك بالنناء والصراخ

وسألني ديجنه عما أقول في هذا فأجبتة بأنني
لا أجد ما أقوله ، فإلى إلا أن أسد أذني وأسرح
أبصارى ...

وبقيت ماركو ساكنة وسط هذه العممة فلم

على شعور غريب يبدد ما تثير هذه المحاسن من شهواتي
ولم أكن كنت مأخوذاً باستهواء من الاشماع
الخطي فتحكم في ما في هذه الغانية من سكون وجود .
وانطرحت متمثلاً بها على القدم المستطيل قبالة
سريها وتغلغل صقيع الموت في روحي
إن نبضان الدم في العروق لي شبه حركة ساعة
غريبة لا تسمك خفقانها إلا في الليل ، في طيات
الظلام تتواري مشاغل الانسان حوله فيعود منكشاً
على نفسه ليسمع حركة الحياة فيه

وامتنعت جنوني عن التمتع بالرغم مما تحمات
من متاعب نهاري وأحزانه ، وكانت عينا ماركو
تحدقان في فسكان كل منا شخصاً في الآخر وقد
خيم علينا السكون
وقالت : ماذا يشغلك هناك ؟ أفا تريد أن تجيء
إلى جانبي ؟

فقلت : بلى ... إنك رائمة الجلال يا ماركو ...
وسمعت صوتاً كأنه نبرة أنين ، وكان ذلك
صوت انقطاع وتر من قيثارة ماركو . وأدبرت
وجعي نحو مصدر هذه الأنة ، فرأيت أوائل أشعة
الفجر تلوح بنورها الباهت ستائر النوافذ
نهضت فأزحمت إحدى الستائر فانتشر الضياء
في جوانب الغرفة ووقفت لحظسة أنظر إلى السماء
فاذا هي مجلوة صافية الأديم
وكررت ماركو دعوتها إلى ، فأشرت إليها
بأن تنتظر

وكانت هذه الفادة اختارت لسكنائها هذا
الحلى البعيد عن مراكز المدينة احتراساً ، وكان
لها منزل آخر تستقبل فيه أصدقاء عشيقها .
ولعل الرفقة التي كنا فيها ليست سوى موضع
خلوة ، فقد كانت تشرف على حديقة اللوكسنبورج
التي رأيته منبسطة أمامي

وما بقي على المائدة إلا العدد القليل . وكانت بعض
النساء يجتلسن للرقص والبعض الآخر للنماس ،
وعادت جوقة الموسيقى إلى المزف وتضاءلت أنوار
الشموع فاستبدلت بها سواها ، فتذكرت وليمة
(بترن) التي ما كانت تنطفئ المصابيح فيها حول
من طرحتهم السكر على مقاعدهم حتى يتسلل الخدم
إلى المائدة ليسرقوا ما عليها من الأواني الثمينة
ودام الانشاد يتعالى من أفواء الثلاثة الغنيين
الانكليزي ذوي الوجوه الشاحبة

ودعوت ماركو إلى الانصراف فهضت
واستندت إلى ذراعي فشيمننا ديجنه قائلا :
— إلى القد

وخرجت بها من القاعة وكنت كلما اقتربت
إلى منزلها يزداد خفوق فؤادي ويستولى الصمت
على لحيرتي في هذه الغانية التي تترفع عن الشهوة كما
ترفع عن الكره ، وما كنت أدرك السر في ارتجاف
يدي وهي تلف هذه المخلوقة الساكنة الجامدة

وبلغنا غرفة ماركو فاذا هي على مثالها قاعة
تنتشر الشهوة في جوها ، وكانت منارة مصباح من
الرخام الناصع البياض يرسل في جوانبها أشعة
منكسرة ، وكانت المقاعد كأنها أسرة وثيرة مشدودة
بالحرير على زغب الطيور ، وما دخلت إلى هذا
السكن حتى هبت في وجعي رائحة عطور تركية
أصلية مستوردة من القسطنطينية ، وهي أقوى
المطور تهيباً للأعصاب وأشدّها خطراً

وقرعت ماركو جرساً فجاءتها وصيفتها الفتية
وسارت وإياها إلى الحדר وما لبثت حتى انطرحت
فيه على سريها وقد استندت وجهها يدها مترخية
على عاداتها

ووقفت أمامها أنتم النظر فيها . وكنت كلما
مؤغلت في إعجابي وكما ازداد انجلاء محاسنها لي يستولى

بنقل هائل يخفض رأسى التنب
وتقدمت بضعة خطوات إلى مكتب كان
مفتوحاً قرب نافذة أخرى غامت مستنداً ساعدي
إليه ، والتفت بلا قصد أحديق رسالة تركت
مفتوحة عليه ، وهي لا تتضمن إلا كلمات قليلة ،
فقرأتها مراراً دون أن أفهم معناها حتى انجبت
تدريجاً ، فذعرت منها فجأة ، وأخذت الورقة
بيدي أقرأها ، فإذا هي مشحونة بأغلاط الاملاء .
وقد ورد فيها :

(لقد ماتت أمس عند الساعة الحادية عشرة
ليلا . شعرت باقباض قدعنى وقالت لى : لوزون
أنا ذاهبة للقاء رفيق . افتحي الخزانة وخذى منها
النطاء الملحق بمسارقاته كذلك النطاء ...)

جثوت باكياً أمامها فمدت إلى يدها صاروخة :
لا تبكى ... لا تبكى ... ثم أرسلت زفرة ...
وكان باقى الصفحة ممزقاً

يصعب على بيان ما فعلت فى هذه الأسطر
الفاجعة . قبلت الرسالة بيدي فإذا على ظهرها عنوان
ماركو وتاريخ اليوم المنصرم فصرخت : — لقد
ماتت ... ومن هى التى ماتت ؟
وتقدمت نحو السرير منادياً : من هى التى
ماتت ...

وفتحت ماركو حينها فقرأتني مستنداً إلى
سريها والرسالة فى يدي فقالت :
— هى أبى ... أفا تريد أن تأتى إلى جنبي ...
ومدت ذراعها نحوى . فقلت لها : — اسكنى ...
فأبى ودعبنى هنا . فالتفت على جنبها لتسترقق فى
نوسها ثانية

وشخصت إليها حتى تأكدت أنها لن تسمع
حركتى وتراجعت رويداً وانسحبت من المكان
(يُجمع) فبكس فارس

وكنْتُ أشعر فى قرارة نفسى بقوة أغالها
فلا أستطيع التحكم فيها فكأننى منها كلقابض
على قطنة من الفلين يريد إغراقها فى الماء فتتملأ
بين أسابعه وتأنى طبيعتها إلا الاثلاث إلى سطحه ،
ولكننى عند ما مدت بأظفارى إلى مسارج
الحديقة انتفض قلبي بين جنبى فهب التذكار فى
يبدوكل فكرة تراودنى . لكم هربت من المدرسة
وأنا صغير لأجأ إلى ظلال هذه الأشجار حيث
كنت أنظر حويديى كتاب من جاعات الأشعار ،
وتلك كانت جميع ضلالات صباى وآسفاه ...
وتنهت ذكرياتى البعيدة تشارفنى من الأشجار
الباسقة المارية من أوراقها وتطلع إلى من خلال
الأعشاب النابلة تحت ظلالها . إلى هنا أتيت مرة
للتزهر مع أخى ومعلمى وكنْتُ فى العاشرة من
عمرى ، فكنا نرى بقطع الخبز إلى ذرافات الطيور
الجائعة . وهنا جلست مرة منزويًا أنفجر على رھط
من الفتيات يرقصن فيرقص قلبي لنفائهن : نفائ
نشيد الأطفال ؟ وهنا أيضاً مررت ألف مرة على
الطريق ذاتها فى رجوعى من المدرسة ، وأنا أقنف
الحصى برجلي ، وأطارد بذهنى بيتاً من قصائد فرجيل
شخصت ملياً أمام هذه المشاهد ففتفت :
— هذه أنت يا طفولتى ، وهما أنت هنا يا لى

وأدرت طرفى إلى الغرفة فإذا ماركو قائم وقد
انطفا المصباح ؛ وكان ضوء النهار قد تبدل منظر الغرفة
تبدلاً ، فظهر لون الورق الملصق على الجدران ،
وكنْتُ حسبته فى الليل مستمعاً زفرة الآفاق ،
بلون الأوراق الخضراء وقد أخلها الذبول ، ورأيت
ماركو ، التمثال الرائع ، منطرحة على سريها
ووجها ممتقع كوجه الأموات

وملكننى رعدة لم أفر على احتلاكها فكنت
أنظر تارة إلى السرير وطوراً إلى الحديقة فأشعر



هوميروس

حفل أولمبي

وصبت أورورا بمثل حمة المجلد وجنات المشرقين ، فاستيقظ الملك ، وهب أوديسيوس من نومه ؛ وذهب إلى الشاطئ حيث تأنى السفن مراسيها ... وهناك ... فوق مقعد حجري أماس ، جلسا يتحدثان ؛ بينما كانت مينرفا تدق البشار في شوارع المدينة ، وقد بدت في صورة منادي الملك وطيلسانه ، تدعو سادات الفياشين وشيوخهم إلى مجلس الملك ، للنظر في أمر هذا الغريب الكريم الالاجي الذي حل عليه ضيفاً ... « كأحد آلهة الأولمب ، رغم ضربه الطويل في عرض البحار » وأزدهم سادات المدينة وأشياخاها في قاعة المجلس ، وكانوا يلقبون في أوديسيوس نظرات الإعجاب والدعش ، وكيف لا ؟ وهذي مينرفا قد أضفت على صدره الرحب وكففيه النظيمين ، وجسمه السامق ، رؤاً علويًا من الآلهة والجلال ، كان يتمكس وقاراً ورهبة في قلوب الفياشين

(أ)



الأولمبي

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فهرسة الفصل السابعة

« لم يد أوديسيوس البطل اليوناني الكبير من طروادة بعد أن وضعت الحرب أوزارها بل ظل يضرب في البحار عدة سنوات مما أطع أمراء النواحي في زوجته الجيلة ، غاصروا بيتها وأتلفوا ثروتها وترهبوا لولها تلك ليقطوه ! وهو عائد من أسيرة وبيوس بعد أن لقي ملكيهما ، وحده أحداهما من مصر أبيه ... أما أوديسيوس فقد غرقت سفنه ، ونجا هو من الموت ، وصبح إلى جزيرة إحدى ممالك الماء (كليسو) التي هوج وشققها حبه فأيقنه لديها زمناً طويلاً حتى أمرها زيوس كبير الآلهة بإطلاق سراحه ومنحه سفينة يعود فونها إلى بلده ، وقد أبحر على رمت صغير ظل البحر يلعب به حتى إذا بلغ أرض شيا غريق الرمت وصبح أوديسيوس إلى القاطية ، وفي الصباح لقي ابنه ملك الفياشين في جماعة من أتباعها يتلاهون فوق القاطية ، فسالها أن تمنحه دثاراً يستر به عورته ؛ وركت له الفتاة ، فأكرمت منواه ودلته على بيت أبيها الملك الذي حش له ویش ، وحرص عليه أن يزوجه ابنته إذ لم يكن ثمة حائل دون ذلك ؛ وأرجأ النظر في عودته إلى بلاده إلى الصباح ... »

تذبح وتنتزع أنيابها حتى أخذ الجميع فيما أقبلوا له
من طعام وشراب . . . ثم أقبل متادى الملك يقول
للنشيد الألهي الأسمى ، رخيخ الصوت ، صفى ربات
الفنون ، اللآلى عدلى له بقسطنطين من خير ومن شر
سواء ، فوهبته التطريب المعجز ، وسلبته النور
من عينيه الميزرتين . . . وأقيم له عرش مُمسرد
في وسط الصالة الكبرى ، عند محمود مرمرى
عظيم ، فاستوى عليه ، وأعلمه بونتونوس مكان
قيثاره المعلقة فوق رأسه ، ووضع بين يديه سلة من
طعام ومزينة^(١)

وما كادوا يفرغون من آ كالم حتى رقصت
عراس الفنون في فم النشيد الطرب ، فأرسل غناء
سحر ألباب الناس ، ورق بها إلى أنير الآلهة
في قبة السماء . . . لقد تنفى هذه الأغنية التي تنظم
النزاع الذي شجر بين (أخيل) بن بليوس ، وبين
أوديسيوس بن ليرليس أثناء الوليمة الالهية ، والذي
جاءت به نبوءة أولولو (في دلفوس) حينما استوحاه
أجاممنون عن يوم سقوط طروادة في أيدي اليونانيين
وسكت المفنى ، ودفن أوديسيوس وجهه السام
في ذيل ثوبه الأرجواني الفضفاض خشية أن يلاحظه
أحد . . . وطقق بيكى . . . ويستخرط في البكاء
ثم كشف عن جبينه ، وسق الثرى كأساً من خمر
صلاة للآلهة . . . ثم عاد إلى بكائه حينما وصل المطرب
غناؤه ، وكان يرسل عبراته في كسائه غير ملحوظ
من أحد إلا من ألكينوس ، الذي غر عليه ما رأى
وما سمع من عبرات ضيقه ، ومن تهذيبه ، فقال :
« حسبننا يأسادة ما طعمنا وما سمعنا . . . هلموا جميعاً
نشهد الضيف الكريم بمضى ألهما لتذكرك في
المالين أن القياشيين خير من بحرى ومن يثب ،

(١) خمر لذيق الطعم

ولما انتظم عقد القوم نهض أليكنوس الملك ،
فقال : يأسادة القياشيين وشيوخ الأمة ، كلة
مرتبجة ، فاسموا وعوا : لقد حل هذا الضيف
الكريم الذى لا أذكر اسمه في بيتي بعد أن شرى
في آفاق العالم وغرب ؛ وإنه ليرجو أن تمدوا له
يد المونة فيعود أدراجه إلى بلاده في كنفسكم
سالمًا ، إذ طالما كان هذا دأبكم ، إكرام الضيف ،
والاحسان إلى الغرباء اللاجئين ، وردم إلى ديارهم
بهما كانت سحبة آمنين . . . فالبدار إذن . . .
هلموا إلى سفائنكم فتخبروا أحسنها حالاً ، وأصلحها
لجالة هذا البحر ؛ ولتمدوا لها نخبة ذوى بأس
من أصاب قتيانكم عوداً وأشددم مراسا . . .
إثنين وخمسين عدداً من أنيع زهرات شباب
هذه الأمة . . . ثم تناولوا إلى قاني فوم لكم نخبة
لهذا الضيف ، فلا يتأخر منكم أحد أبداً . . .
وليحضر معكم أحب النشدين دمودوكوس الآلهي ،
صاحب الألحان الخالدة ، والصوت الساوى الساحر ،
فليشرف آذاننا بحلو أنشائه التي لا يقدر عليها
إلا هو . . . »

وانصرف الملك في إثره شيوخ القياشيين ، وانطلق
رسول إلى منزل النشيد دمودوكوس الآلهي . . .
واختيرت النخبة ذات البأس من شباب الملاحين ،
وأعدت السفينة في مكانها الأمين من اليم ،
فصُبت القلاع ونشر الشراع وصُفّت المجاديف . . .
ثم مضى الجميع إلى بيت الملك ، حيث كانت الجماهير
الحاشدة تكظ الأبياء ، وتردح في الدهاليز ، وتملأ
الصالة الكبرى . . . وجرى بالقبائح . . . فهذان ثوران
كبيران ذوا خوار . . . وهذان اثنتا عشرة شاة
سمينة ، وتلك أربعة خنازير كيناز^(١) ما كادت

(١) كيناز جمع مفردة مثله كثيرة اللحم والشحم

مقتول الساعدين ، وإن له لمتقاً أى عنق ... كل ذلك برغم بدوات الضي وأمارات العناء ، وما حطم البحر من جسمه الخصب ، وهل أهلك الجحوم الرجال من أجبال المباب ١ ؟

وكانما راقّت هذه الكلمات البطل يوريالوس فطلب إلى لوداماس أن يدعو الضيف إلى النزال ، فنهض لوداماس ثانية وقال : « هلم أيها الضيف فأرنا هل تجد من هذه الألما ب شيئاً ؟ إنه ما يستحق أن يعيش من لم يعمل بيديه ويسع بساقيه ... هلم ؟ حاول إذن ! فإم احترازك هكذا ؟ إنا لن نؤخرك قط ، فالسفينه مدهه والملاحون على أهبة »

وقال أوديسيوس يجيبه : « أتتخذنى هزواً حين تدعونى للعب بالوداماس ؟ أى لهو وأى لعب وأنا نضو أسقام وطريح آلام ، لا أمل له إلا أن يمود إلى بلاده ، وفى ذلك ما يضرع لملك وللناس ! »

وهب يوريالوس بصيد^(١) ويقول : « سلا أيها الصديق ... إني عزيزك ، فسجاك لا تنبىء عن رجل رياضى ، بل أكبر الظن أنك من رجال الأعمال أو حفظة الخازن ... أو ... إن لم يخضب حدسى ... من أدلاء السفن فى الثفود ؟ ومن يدري ؟ فقد تكون عياراً أو قرصاناً ! »

وعبس أوديسيوس وبسر ، وانتشرت فوق جبينه ظلمات من الهم ، وتهدج صوته فقال : « إنك لم تحسن كيف تتكلم أيها السيد ، وإنك لم نبال أن تطلق فى لسانك بهجر القول كأننى رجل لا اعتبارى ... على أن الآلهه — جالت وعلت —

وأمر الناس فى السلم والمصارعة ! » ونهش الملك ، ونهض فى إثره كل أضيفه ، وتقدم المنادى فقاد دمودوكوس ، وقصد الجميع إلى ساحة السوق الكبرى ، حيث احتشدت كواكب الشجعان والشباب البانغ من ذوى القوة والفتوة والبأس الشديد ، أتوا من كل حذب لهذا الحفل المشهود ... وفى وسط الحلبة وقف الأبطال آكرون وأوكيال وإلاتريوس ونوت وپرمينوس ؛ ثم وقف خلفهم الأبطال أئخمال وأنايسين وإرتمبوس وپونت وپرور وأمفيال وتون ... ثم نهض حليف مارس المهبوب يوريالوس ، ثم نفر شباب الفياشين نوبوليد ... وقف كل هؤلاء ... ثم هب أبناء الملك الثلاثة ... لوداماس ولده البكر ، ثم هاليوس ، ثم كليتون الأسفر ، وشارك نفر من أولاء فى سباق الجرى ، فأخذوا أهبتهم ، ثم انطلقوا يثيرون التراب فى أثر كليتون — ابن الملك — الذى شام^(٢) جميعاً ، وتركهم يثيرون وراءه كما تتمثر الثيران فى إثر البغال ... وتلقاهم النظارة بالهتاف المالى والتبصيق الشديد ، ثم كانت المصارعة التى برز فيها يوريالوس على كل أقرانه ، كما برز أمفيال فى الوثب الطويل ، وألاتريوس فى قذف القرص ... أما فى الملاكمة فقد تفوق لوداماس النبيل ابن ملك شيريا ، وكان فوزه مسك ختام المباريات ، ثم نهض لوداماس فقال :

« والآن أيها الأصدقاء نسأل ضيفنا الكريم إذا كان يحبذ شيئاً يفخر به من هذه الألما ب ؟ إنه ما يزال غرييض الشباب ، بادی الفتوة ، مكتئز المضلات ، عظيم منة الساعين والفخذين ،

مجلانة تقيس مدى القذفة ، ثم قالت : « ألا أبهذا
الغريب ! الأعمى نفسه لا ينكر برهائك الدماغ
القوى ! إنه مدى لا يستطيعه أحد غيرك ، فتبه
على هؤلاء الفياشين ! إن منهم من لا يستطيع أن
يباريك في أى من هذه الألما ب فادهم إليك
وما عليك من بأس »

وشاعت الكبرياء في نفس أوديسيوس حين
سمع هذا الحاف من صمم الفياشين يطربه وينبئ
عليه وينصب من نفسه قاضيا له ، فقال ، وقد
انكسرت حدة غضبه :

« هلموا أيها الشباب فاقدنوا هذه القذفة ،
أقذف أبعد منها وبقرص أكبر وزنًا ! هلموا !
ليأت أقوى ملائكم قاني له ! وليقف أشدري
مصارعكم فأنما أخوه ! وليجبر من أسرع عدائكم
فلن يلحق غباري ! لقد هجمت فأرى فلهلوا ! إلى
اتحادكم جميعًا ! لا لوداماس فانه مضيفي وصاحب
قراي ، وليس في أن أنزل من أكرم مشاوي في
دار غربي ، وليس في من الزرق ما يحملني على شيء
من ذلك ... أما غيره فأننا له ، وسيعلم منازل مهما
يكن مبلغ قواي ... إنه ليس من ألما ب الناس
ما يجزني ... فأننا رب القوس ، وطالما صرعت
الألوف من الأعداء تحت أسوار طروادة ، وأبدا
ما رى أحدهما كما رميت إلا فيلكتيتس يوم حاز
قصب سبقيها دوني ... على أنه من أنا ؟ ؟

إنني لم أبلغ من الحول بعض ما بلغ هرقل أو
يوريتوس الذي نفس عليه أولو مهارته في الزمالة
قتله ... هذا ... وإذا ذكر الرمح السهري ،
فاني أبلغ به المدي الذي لا تبليه سهامكم ! على أنني
لا أطمع أن أبلغ خفتكم ورشاقة حركاتكم - فأنه
قاسيت من الأرزاء ما قصم ظهري ، وصارت

لم يتفق أن منحت أحدا من الماين كل ألما ب في
وقت مما ... بسطة الجسم ورجاحة العقل وقوة
البيان ... فقد يلوح لك هذا الرجل مهدما عطفاً
في حين قد وهبه جوف بيانا متينا ولسانا مينا
حتى ليخلب ألباب سامعيه ، وحتى ليرتفع في
نفوسهم إلى مصاف الآلهة ... وقد تنظر إلى ذاك
الرجل كأنما تتدفق في عضلاته قوى السماء ، وهو
لا يحسن أن يقول كلمة ... مثلك ... مثلك تماما ...
فلقد أوتيت بسطة في الجسم ، حتى لتوشك في
ذلك أن تكون مثالا تقيس عليه الآلهة ، إذا أرادت
أن تخلق ماردا جبارا . ولكنك - وأسفاه ! -
لم تؤت بيانا ولا حكمة ! فلقد أثرت فأرى بكلائك
الغلاظ . المعاف ! إلى - أيها السيد - كما
ذكرت - لا أحسن من هذه الألما ب قليلا
ولا كثيرا ... ولكنني كنت فتاهما وقارس حلبها
أيام كنت شابا يافعا فغض ألما ب ريان الشباب ...
أما أنا الآن أفوا أسفاه ! إن حيد فان الزمان
لم يُبق مني ... ولا على ! لقد ذبل شبابي في تقع
الحروب وسوح الوغى ... وفي هذا البحر اللجي
يفشاه موج من خلفه موج ... كالجلال ... بيد
أنني ... على الرغم بما ينقص ظهري من ويلات ،
سأثبت في سجل شعاعكم قوتي ! فان لما هرفت
به من قول السوء لأنيابا تمضني وتمشي ...
أو أدل على قوتي وجبروتي ... »

وكان إلى جانبه قرص القذف الذي يستعمله
أبطال الفياشين في مباراتهم فاقنض عليه واحتمله
بيده القوة الفتولة ثم دفعه دفعة هائلة كلن لها هزم
وقصف ، واستهلها بحجارة الفياشين الشجمان
نفضوا رؤوسهم حتى استقرت بجيتا خلفهم ...
وهنا بدت ميزفا بين اللأ في صورة أحدهم ، وهبت

أوديسيوس وشدة تعجبه ، والطرب فيما بين ذلك
 بوقع لهم النعم الحلو ، والموسيقى المألوفة ... وفروغا
 من رقصهم ، فشرع المنشد يتنقى أسطورة مارس
 وممشوقته الآتمة سبتريا^(١) إذ أغواها رب الحروب
 المشتهر بمسول الكلام ومطول الغرام فاستلانت
 له ... وكان أبوللو - إله الشمس - يرقبهما
 من مركبته الذهبية في علياء السماء ، فطار بالقضبة
 المشئومة إلى الزوج الناعس ... فلكان ... الذي
 استطير وثار ثأره ، فراح يصنع أنشودة كبيرة
 كالشرك من حلق الحديد الفرغ الذي لا يقوى
 عليه أحد ، حتى إذا فرغ منها حملها إلى داره ودمها
 حول سريره ثم ألم بالنمرج النعس حيث أوى
 مارس إلى فينوس - الزوجة الآتمة - وكان
 مارس يبالغ في عينيه أخريات غفوة الضحي ،
 فلمح فلكان بطوى الرعب إلى أرض لنوس -
 أحب المدائن إلى قلب الآله الحداد ... وطرب
 مارس أيما طرب ... وأيقظ ممشوقته قائلا :
 « هلى فينوس ... إنهمض أيتها الحبيبة ... لقد
 ذهب زوجك إلى لنوس أرض البرابرة ... هلى
 إلى البيت ... إلى السرير الدافئ ... إلى الحب ...
 إلى نعم الهوى ! ! » وهبت فينوس ... وانطلقت
 الأتيان إلى سرير فلكان ، وفي قلب مارس غلة ،
 ومله جوانحه غواية وإثم ... وفي دمه شيق إلى
 هذه الفاكهة يكاد يقتله ... ولكن ... وأسفاه !
 إنهما ما كادا ينظران فوق الفراش الوثير حتى
 انطرحا فوقهما الأنشودة المألوفة ... وأمسكت
 بهما إمساكا شديدا ... لم يجدا منه حولا ، ولم
 يجدا منه مخلصا ... وكان أبوللو يرقبهما كذلك ،
 وقد حدث فلكان بما رأى .. فقاد الآله الحداد

موج هذا الخضم حتى حطمتي وأوهاني ، ولقيت
 من الطوى ما براني ! !

وصمت الفياشيون ولم ينسوا . ثم تكلم الملك
 فقال : « عمرك الله أبهذا التنازع الكريم لقد
 جلبات في آذاننا ككأنك ، فدلنا على شجاعة
 وعنفوان ، وأخمت هذا الشاب الذي جرح عزتك
 وأهان كبرياءك أمام الجميع ، نعمسكت عن محديك ..
 ولكن نعال فانظر إلى ما نريك من ضروب الخفة
 وفنون الرقص وفنون الغناء والسبق في العدو ،
 وسهارتنا حين ننسوس الفلك فوق أعراف الموج
 ورضاء التبج ، كما نتحدث بهذا كله إلى أقرانك
 وبين ظهري قومك ، وتحكيه لأطفالك . عمرك الله
 أيها الشريب المكرم إنه لا نغر لنا في ميدان اللكم
 والمصارعة ، بل غاية المتاع عندنا ثوب موشى ،
 وطعام ملون ، وقيثارة مرسنة ، ورقصة خاطفة ،
 وحمام دافئ وفراش وثير والآن ... هلموا
 أيها الفياشيون فاهلوا أمام ضيفكم والسوا ، وأروه
 من رقصكم وشنفوا أذنيه بشنائكم ، فلسوف يتحدث
 بكل ذلك في الأفاق ، وحسبكم أن يذكر عنكم
 أنكم أهرمن ركبا البحار ! ... هلموا ... ليحضر
 أحدكم دمودوكوس الآلهي ... يمزق على قيثارة
 ويتلاعب بقلوبنا بفنائه ... امجثوا عنه في بعض
 ردهات القصر ... »

وانطلق منادى الملك يبحث عن الطرب
 الآلهي ، وانطلق آخر يمد قيثاره ، ثم نهض تسعة
 فياصل يمهدون أرض الملعب ويهبتون الحلقة ،
 ويزحزون الجماهير ... وأقبل النادى والطرب
 يسى بين يديه ، وجلس في وسط الحلقة حيث
 أحدق به الولدان اليوانع اليوانع يمسون ويرقصون
 بسيفان مخطف كمثل خطيف البرق ، بين دهش

الفادحة للأله الأعرج ... ثم خاطب أبولو
— رب الشعاع الرضاء — هرمن فقال : « يا ابن
جوف ، يا رسول السماء ، ألك في هذه النفوة الحلوة
في حضن فينوس ، على أن تقع معها في هذا الشرك ؟ »
وأجابه هرمن عابسا : « يا رب الرماء ! بنفسى
بنفسى ! منذ الذى بأبى حضن فينوس في شرك
هو ثلاثة أضمان هذا الشرك ، على أن يرمقه سكان
الأرض والسماء ! » ؛ وتضاحك سكان السماء ،
ولكن نبتيون الذى ساءه هذه الحال خاطب فلكان
فقال : « هلم فلكان ففك هذه السلاسل والأغلال ،
ولن زعيم لك كغليل أنه مؤد إليك كل ما تقرض
عليه من غرم ! » ... ورفض فلكان أن يطلق
فريسته ... « لأنه من يضمن ألا ينطلق مارس
وهو لا يلقى على شيء ، فبر عانيه بكل ما عساه
أن يمد ؟ » . وقال رب البحار : « ليطمن قلبك
يا فلكان ، فوعزنى وجلالى لن لم يف مارس
لأنجزنا أنا ، ولأؤدين عنه غرامته ! » . فأجاب
رب الحديد الصناع : « إذن ، فلن يخبى رجائك ،
ولن يرد طلبك : » . وتقدم ففك الأغلال عن
الماشقين الفاسقين ، وانطلق مارس إلى مأواه
بأرض تراقية ، وانطلقت فينوس إلى صرتمها الجبل
بأرض بافيا — حيث تلقاها ورب من أترابها
بالنشر والترحاب ، ففسلها ، وضمختها بالطيوب
القدسية ، وأسبلن عليها شقوق الصبي وأردية الشباب

وفرغ دمودوكوس من إنشاده بين تأثر
أوديسيوس وتلفف البحارة الفياشين ، ثم أومأ
للك إلى أبنائه فوثبوا وسط الساحة ، وأخذوا
يرقصون في خفة ، ويتقاذفون كرة غالية من صنع
بوليب ، فكان أحدهم يرسلها عالية حتى تدنو من

على الجبل ، ولم يكن قد بلغ شيطان لنوسى بمد ...
وكان قلبه يبق ... لا ... بل كان قلبه يكاد ينخلع
فوقف في البهو الكبير ثم أرسل صيحة مدوية
يستصرخ بها الآلهة : « يا جوف العظيم ! يا آلهة
الخلود جميعا ! أنظروا ! إشهدوا كيف تفضح
فينوس زوجها مع عشيقها الفاجر مارس ! وله ؟
لأنه وسيم قسيم قوى ولأننى محطم منهوك موهون !
ذنب من ؟ إنها جريرة من أنسلوني وجاؤا بي إلى
الحياة ! أنظروا كيف يتمرغ الشهوانيون الفساق
فوق فراشى ! لقد تنالجت مشاعرهم فهم لا يبالون
أن يأكلنى النيط أو يقتلنى الحقن ... ولكن لا ..
حسبهم هذا الشرك الذى لن يفلتهم حتى يرى
جوف فيهم رأسه .. جوف الكبير المتعالى .. والد
فينوس ! الذى أطلب إليه أن يرد إلى قناطير الهدايا
الزوجية التى قدمتها باسم ابنته الماهرة كشروط
لاطلاق مراحها ! »

ولم يكذب فرغ من صرخته حتى اجتمع في
بيت جوف ذى الأرض النحاسية جميع الآلهة ...
وكان أول من أقبل نبتيون رب البحار ، ثم تلاه
هرمن رسول الآلهة وصاحب القوس ، ثم أبولو ...
ثم غيرهم وغيرهم ... ولم يحضر من ربات الأولب
واحدة ! فقد احتجزهن النخل من شهود
هذه الفضيحة ! ثم أطل الآلهة بقمهون
ويضحكون ... ويتلهون بهذا المنظر العجيب ،
ويقول بعضهم لبعض : « يا للآثم ساق إلى
أوخم المواقب ! وباللأعرج الأكسح ، يشأى ! »
السباق المحلى ! ! لقد استطاع فلكان أن يمسك
بتلابيب مارس ، الذى هو من هو ... مارس !
أسرع عدائى السماء ! ! إن عليه أن يؤدى الفرامة

به ، كما أفرغ منه الخمر تقدمه للآلهة » . وسألها
أن تمد للرجل حماما ينمسه ، وأن تدع الأنواب
والأكسية كما يهدر بها
وأمرت الملكة خدسها فأعددت الحمام ،
وأحضرت هي ثوبا فضفاضا فوضعت فيه بدر
الذهب وكأس الملك وسائر الهدايا ؛ ثم تلفتت إلى
أوديسيوس فقالت له : « والآن أيها السيد هلم فناق
هذا الصندوق فهو لك ، لتكون أثنا عليه إذا عفوت
في السفينة » . ولي أوديسيوس ، وأغلق الصندوق
ثم ربطه بحبل طويل عقده تمقيدا . ثم دعته ربة
البيت إلى حمامه ؛ ولله كم ألقت عيناه حين رأى
الثوب الديباجي العظيم ، الذي لم يلبس مثله منذ
فارق كليسو ... ثم اغتسل وتدر ، وتضمخ بأحسن
الطيبوب ، وبرز كأحد آلهة الأولمب ... وبينما هو
يطوى الأبناء إذا صوت جيل ذوغنة يهتف به ...
وإذا هي الأميرة الفينائية — نوزيكا — واقفة
خلف عمود عظيم وهي تقول : « س . س . س ...
أيها الغريب النازح اذكرني دائما ، أنا ، أولئك
لقبك هنا » . وتبسم أوديسيوس وقال : « نوزيكا !
أنت ؟ ابنة أكرم الملوك ألكينوس ؟ لك الله !
ألا وحق جوف رب الصواقي لو سحت الأحلام
ووصلت سالما إلى بلادى لظلت آخر الدهر أعبدك
عبادة أيها الجميلة المندراء كما أعبد الآلهة أرباني » .
وبلغ مجلس الملكة فاستوى إلى كرسي بجواره ،
 واجتمع الفياشيون مرة أخرى ، ودارت الأقداح ،
 وأجلس المطرب الأعلى الآلهي ، غرشيرا ، قريبا
من العرش ، وقدم إليه أوديسيوس جزءا من
شواء حله أحد الندمل ، فأقبل عليه المطرب حتى
اغتنى ؛ ثم توجه إليه أوديسيوس بالحديث فقال :
« كم أبت جدر بالثناء يا دمودوكوس ، بل أنت
أولى به من أكثر الناس ! ليت شمري ! هل

السحب ، فينب الآخر فيلتقطها وهو معلق في
المهواء ، ثم يتقاذفونها أحدهم بعد الآخر ، بين
تهليل الفتيان وتصفيقهم الشديد . وسر أوديسيوس
مما أبداه أبناء الملك في الرقص ، وأثنى عليهم لأبيهم ،
ورجاء في الذي رجاء فيه من تهينة عودته ، فتوجه
الملك إلى زعماء شعبه وقال : « يا زعماء الفياشين
وأشياخ الأمة ! حمى بنا أن نكرم مئوى هذا
الضيف الذي بدا لكم من وقاره وحكمته وأثير
أرومته الشيء الكثير ... هلموا إذن ... إنكم إتنا
عشر زعما ، وأنا الثالث عشر ... فليحضر كل
متكم بدرة من الذهب وصدرا مفضوا فتكون
من الجميع هدية سنية له ... أما يوريلوس فعليه
هدية كذلك ، وعليه أن يعتذر عما فاه به » . ووافق
الكل على ما اقترح الملك ، وأرسلوا رسلهم يحضرون
البدر والصدور ، ثم نهض يوريلوس يعتذر ويقدم
لأوديسيوس سيفا جبرازا له مقبض من فضة ،
وقراب مطعم بالماج ؛ ودعا له أن تكلأ الآلهة
بعين الرعاية حتى يرى زوجه وولده وبلاده ، بعد
كل الذي احتمل من عناء ونصب . وتقبل
أوديسيوس الهدية ، ودعا لصاحبه بحياة الأمن
والسلم والرفاهية . ثم علق الجبراز فوق كاهله الضخم
ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس ،
فنهض أبناء الملك يتسلمونها ، ويحمأونها إلى داخل
القصر ، ووصلت الهدايا الأخر مع غروب الشمس
فنهض أبناء الملك يتسلمونها ويحمأونها إلى داخل
القصر ، حيث أهم أربنا الملكة ... ونهض الملك
فتوجه إلى الداخل كذلك ، وسأل الملكة أن تحضر
ثوبا وأكسية ، وأن تمد صندوقا يتسع لهدايا الزعماء ،
ملوك البحر ، التي خلعوها على الضيف ؛ وقدم هو
هديته ... كأسه الخاصة من الذهب الخالص ،
الحلي بأبهج الطرف وأبهى التصاوير ... « ليذكر

مرة إلى زوجها القتييل ، ومريتين إلى أبنائها
 التاسعين ١١ كذلك كان أوديسيوس وكذلك كان
 يخنى دموعه في طرف رداءه فلا يراها أحد إلا
 الكينوس الملك الجالس قريبا منه ... وقال الملك
 متحدثا إلى رعاياه : « أيها الرعماء والأشياخ
 الفياشيون ، أولى ثم أولى أن يفرغ للنشد من إنشاده ،
 فلقد تصدع قلب ضيفكم ووهنت روحه مما يسمع
 من هذا القصص الحزين ! لقد أحبيناه كأخ ووهبنا
 له محبتنا وودنا وصافي أخوتنا لا يحزن أوباسي ...
 والآن ! هل يسمح ضيفنا فيذكر لنا اسمه الذي يعرفه
 به آله ويدعونه به ؟ لقد كنتم هذا هنا ، فهل ولد
 أحد ولم يجعل اسمها ؟ من أنت أيها العزيز ، وما
 بلادك ؟ وإلى أين تحملك سفيتي ويبحر بك رجالي ؟
 لقد بمنحنا نيتيون - رب البحار - الأمن في ذلك
 البوم وذلل لنا قواشيه ، ولكنه ليس أشقى عليه من
 أن تحمل سفنتنا أغرابا مثلك لانرفهم فتبحر بهم
 إلى بلادهم ١١ إنه بغضب علينا ، وقد يفرق سفنتنا
 تشقيا وانتقاما حينئذ تمود أدرأجها إلى بلادنا ، فتموى
 إلى الأحماق ثم يسرحها إلى جبل قائم فوق الباب ،
 قَبِيلَ شيريا ! تسلم أيها السيد ! أصدقنا ! من
 أنت ؟ ومن أي البلاد قدمت ؟ وأين ضربت
 بطون الركائب ؟ وأي الأمصار شاهدت ؟ وماذا
 يفجر هذا الأسمى في أحماقك كلما سمعت عن جنود
 الأخيين وكلا ترددت في أذنك أفتيات طروادة ؟ إن
 الآلهة تحيك من حاضر الرء طيلسان المعلوم لقدمه !
 أقتل أبوك عذ ؟ أم صرع أخوك تحت أسوارها ؟
 أم قفى حموك في ساجتها ؟ أم أودى أصدقاء لك
 أحباء في حلبتها ، كنت تصدم كبحض أهلك ،
 أو أعز من أهلك ؟ تكلم ! »

دريتي فشب

(يتبع)

نفتت موسيقاك على عرائس الفنون ، أم أنت قد
 حذفتها على أبولو نفسه ! لقد أنشدت ما كان من
 جيش الأخيين كأنك كنت شاهد عيان ، أو كأن
 شاهد عيان قد قصه عليك ! أنشد لعمرك ! تحدث
 عن الحصان المولة الذي صنعه إيبوس بإرشاد مينرغا ،
 والذي حمله أوديسيوس الجبار هو وصحبه إلى قلاع
 طروادة ، ثم اختبأ هو وم فيه ، فكانوا أول خراب
 اليوم ! ! تقن ! إلى سوف أجل اسمك فأنشره في
 الأفاق أيها المطرب الممجز الذي لا يباريه إلا عازف
 موسيق السباء ، أبولو ! تقس اسمه »

ونزل أبولو على لسان النشد فزاح بقص الوقائع
 الطروادية مذ حرق اليونانيون معسكرهم وبعد
 إقلاعهم من شيطان اليوم وذلك الانقسام في الرأي
 بين الطرواديين عن الحصان المولة أيقصمون ظهره
 أم يدقون عنقه أم يحفظونه نذكارا لهذه الحرب
 ونصيحا للآلهة ... على كل حال لقد نقلوا الحصان
 داخل أسوارهم ليكون القاضي عليهم بمن فيه من هذه
 النخبة أولى القوة من أبطال الآخرين ... وهكذا
 قدر عليهم في الأزل أن يهدموا قريتهم بأيديهم ...
 تقن الشاعر المتفنن بكل هذا ، وأنى أيماناء على
 أوديسيوس الذي كان يكر كانه مارس ، ومتالايوس
 الذي كان يفر كالمعاقة ، وعلى بقية الأبطال الصناديد
 الذين فازوا بالنصر في ظل باللا - مينرغا - ربة
 الحكمة . وكان أوديسيوس بنصت إلى غناء المطرب
 وإنشاده ، ودموعه تنحدر غزيرة على خديه ،
 والآهات العميقة تشق صدره شقا ... كأنها آهات
 تلك الأم الرؤوم التي وقفت فوق جثان زوجها
 الباسل تبكيه وتنسيه ، وقد سقط في الحومة يدفع
 عن مدينته أعداءها ، وقد وقف من خلفها أبنائها
 خضض ينأي كأفراخ القطا ... ثم يقبل الأعداء
 فيخمدون أنفاس هذه الأم بضربة لازمة ، فظفر



الرسالة

مجلة لجمعية لادب والعلم والفن

مجلة الاداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

- الرسالة : تعبر باهتمام عميق روح النهضة المصرية
- الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد المصرية
- الرسالة : تصور مظاهر العقيدة لدى المصريين
- الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الاداب المصرية
- الرسالة : تبحث في النفس أساليب النهضة المصرية

مجموعة اعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي مايساوي جنينها مصر ، والبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪

طبع بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ - تليفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السئول
احمد حسن الزيات

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الوزارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٩
التهة الخضره — القاهرة
تلفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الحمد لله

مجلة الأسبوعية ملققة ص والتاريخ

نصبر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الحادي عشر ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ - ١ يولييه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



فهرس العدد

٦٥٠	عفراء حلب	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	بقلم الأستاذ فليكس فارس	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
٦٥٧	في اللروج	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	بقلم أحمد فتحي مرسى	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
٦٦٣	يوميات نائب في الأرياف	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
٦٦٤	عائل	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
٦٧٤	في حمرة الموت	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	بقلم الأستاذ عبد الحيد حمدي	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
٦٨٣	الرسالة الأخيرة	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	بقلم محمد عبد الفتاح محمد	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
٦٨٧	الطفل السيد	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	بقلم شكري محمد عياد	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
٦٩٣	أنشد التلمي	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	بقلم محمد الزاوي	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
٦٩٧	اعتذارات في النصر	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	بقلم الأستاذ فليكس فارس	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
٧٠٤	الأوذنة	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	بقلم الأستاذ دريني خشبة	٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

قوتيهما إلى سهول
سورية ووجهتهم صاحب

وكان يوم من أيام
الربيع والنسيم البليل
هبَّ على جنائن
حلب الطوق المدينة

نحسبها عوداً على نحر حسناء .
هنالك ، في تلك المدينة التي
تنصب الخيرات إليها من
جبهاتها الأربع : مصر
وطرابزون وبغداد
وأرضروم ، كان شعب
كبير من بقايا مملكة الدنيا ،
مملكة الرومان الخالدين
بقوتهم وضعفهم وضلالهم
ورخائهم

وكانت حلب ، عذائتها المدينة منفردة على
سهولها الخضبة الخضراء كالثرى بنجومها البدة
على صفحة الأطلس الأعلى . وفي وسطها المدينة
الكبرى حاملة قلعتها كالتاج على مفرق بهائها
وسلطانها ...

نحن الآن أمام هذه المدينة الزاهرة في أواخر
حكم اليونان على مدخل عصر جديد وحياة جديدة ،
في الأسواق حركة للتجارة وحياة الأمم ، وفي الدور
والجنائن مجالى الهو والنحشاء : قبور الشعوب ...

وكانت عادة من بنات اليونان السوريين جالسة
إلى نافذة تطل على المروج في أطراف المدينة وقد

عَزَاءُ حَلَبَ

لأَسْتَأْذِنُكَ سَفَرًا

منذ ٢٧ سنة كنت أتصفح تاريخ العرب ،
عظرت أن أنسى . منه أقاميس أضمتها الواقع
بأمانة للورخ وأنسج برديتها خيال القاص ،
وما كان في ذلك العهد من بهم للأقصوة
فيا أذكر لا ترجمة ولا تأليف . كتبت هذه
الأقصوة ونصرتها في جريدتي التي كانت
تصدر باسم (لسان الاتحاد) سنة ١٩١٠ في
بيروت ، وأردت متابعة التأليف فاجتاحت قلى
عواصف السياسة تردده من الماضي إلى الحاضر .
ومررت السنين فإذا أنا أرى هذه الأقصوة
بين مئات الصفحات التي أمتها السياسات الحوالة
كعبر كريم يتلمع على أكوام من الرماد .
فليكس فارس

ولما فتح بيت المقدس
أبوابه لمع بن الخطاب ، وقف
هذا الخليفة العظيم على أطلال
مملكة الرومان وآثار الملك
الخالد الذي وضع أساسه
رجل ليس من هذا العالم ،
وقف الخليفة حزينا على تلك
الأرض المقدسة التي دنسها
الرخاء وتحولت فيها أشرف
البادي إلى طقوس وأوهام ،

فلم يملك النفس أن يمدح البطرك سفرونيوس بنظرة
ما أكثر من يستحقها من كاهن وشيخ في هذه الأيام
وكان الحجر الذي ألقى يعقوب رأسه عليه
ليجلم حلمه المشهور منطى بالأقدار ، فأمر الخليفة
أتباعه بتطهير ذلك المكان حيث بنى الجامع النخيم ،
ثم دعا إليه أبا عبيدة وي زيد بن أبي سفيان وخولما
السيادة على سورية وفلسطين ، فكانت بلاد قيسرية
فيلبس . نصيب يزيد ، وسورية على رجبها نصيب
أبي عبيدة . فتحت فلسطين أبوابها ليزيد ، وكانت
قرية رام الله أول من أبرم عهدا مع الفاتح ، ولكنه
وقف عند أبواب قيسرية لمناعتها ، وتحول عنها
راجعا إلى أبي عبيدة فأنضم الجيشان المريان ودفعا

— دامس !

ووقف البطل العربي مرتجفاً كأنه مائل أمام
اللات والعزى ، يبعد في جبال الفتاة أنصام أجسادهم ،
وضع يمينه على قلبه ، وشاله لم تزل قابضة على مقبض
سيفه ، وقال متكلماً باليونانية ولهجة الضاد بادية في
كل مقطع من مقاطع كلامه :

— إذا كان هذا القلب لا يكفيك من الدنيا ،
تغير لي أن أعود إلى الصحراء وأموت . لماذا
لا تتبعين من جاء ليقدم إليك حياته ويملكك إلى
بلاد الحب

وكان دامس قد جثا أمام هيلانة وهي تنظر إليه
ملكاً ثم تلتفت إلى ما حولها ، والدمع يحول في
عينها ؟ وبعد سكوت عميق وضعت الفتاة يدها
على كتف البطل العربي وقالت :

— أحبك يا دامس ، ولكنني أحب بلادي .
إن التي تولد في رياض خلج لا تقدر أن تعيش في
لواحق الصحراء . ولولا أنني آمله احتلال جيوشكم
هذه البلاد لكنت أبارحها معك لأموت بين
ذراعيك حيث تشاء ، ولكن لا تنس يا دامس أن
أبطال عمر واقفون على مقربة منا ، وأنا أتظار تقع
أهلي وأبناء هذه البلاد الجميلة نهاية استبداد خلفاء
هرقل لينهض هذا الشعب البائس من سقائه بعد
أن ظال استبداده لكبرياء أسياده . لقد استحوالت
الشرائع السامية التي سادت أجدادنا إلى قذارة عند
قاعدة عروش الظالمين الذين لا يعرفون غير شريعة
القساوة والاعتصاب . ألا تذكره يا دامس ، ذلك
الشاب الزاهد المتشح بالسواد الذي رأيت يمشي أمام
هذه الحديقة في أول يوم رأيتك فيه ؟

— إنني أذكر ذلك

أرخت شعرها على كتفها وأسندت وجهها
الأبيض الناصع إلى يدها وأملها تتحرك باهتزاز
عصبي ، وعينها شاخصتان تارة إلى السماء وتارة
إلى أسوار القلعة الراسية فوق المرتفع كبرج حصين
يهدد الآفاق ويهزأ بما انبسط تحته من سهول ...
ومالت الشمس إلى الغرب ، ورنث أجراس
المعابد من جوانب المدينة فانتهمت الفتاة ورسمت
على وجهها وصدرها رسم الصليب ، وهي معلقة
أبصارها على الطريق التوارية في السهول البعيدة
ولاح بين الجفائين شبح تقدم مسرعاً حتى كان
أمام النافذة فوقف هناك راسماً حلقة في الهواء ثم
اختفى وراء أشجار الفستق الغضة .
وأرسلت الشمس قبلتها الأخيرة على أحجار
القلعة وتوارت وراء الجبال السحيقة

مرت الساعة الأولى من الليل وساد الظلام
وكانت الحديقة المهادية لبيت عادة حالب قد
أفقرت وأغلق بابها الحديدي
وكان الأشجار قد شعرت بانطفاء عيون الرقباء
فالت مع النسبات تتماقن أغصانها فتمازح أوراقها
بحفيف كأنه ارتجاء الشهور على التحور ...
وظهوت فتاة تحت جناح الليل ملقعة بدثار من
أجل ما نسجت أنوال خلج اليونانية ، وقفت
الفتاة أمام المدخل الحديدي وشخصت إلى أعلى
رتاجه ، وما عمت أن انقض من أعلى السور إلى
الحديقة رجل ملتف بعباءة وعلى رأسه كوفية
سوداء وعلى جبينه يمانى محذوب ؟ انحدر كما ينحدر
الطير من الهواء منفضاً على غصن ، أو كفرش
الرياح تسكره الزهرة ببيرها فتجذبه إليها ...

— هيلانة !

وكان الجلاس قد بلغ أشده في دامس وهو يتكلم فارتفعت كوفيته عن جبينه واسترخى عقاله فلاح جبينه الأسمر مكللا بقطرات المرق، وكانت عيناه ترميان شرراً؛ وذعرت الفتاة من هذا المشهد فأصبحت مغلوبة أمام جبينها تستدفع الى الاقرار فيصدها ما تراه من حماسة، كان دامس يطلب الحب في الحق وهي تحاذر أن يقضى ذلك الحق على حبه شمرت هيلانة بحرب تستمر في قلبها بيوت ماضيا وحاضرا، فأحنت رأسها بتمب كما تحفى الزهرة أمام عاصفة هوجاء، فقالت في نفسها: «إنه وهو في شك يكاد يمين، فايكون حاله لو عرف الحقيقة ياترى؟» إن الحاضر له ومستقبل بين يديه؛ أما الماضي فهو لى، لى وحدى أحفظ بأسراره وليس لغير الله أن يسبر أغواره

على أن صوتاً خفياً كأنه الأنين كان يرتفع من ضمير الفتاة هاتفا:

«إن من خدع في الحب فقد كفر بقلبه وقضى على عواطفه، إن المحبة المستقرة على الخفايا والأسرار ليست محبة كأن الله إذا جهل الوجود لا يكون إنساها» ولكن مدينة ذلك الزمان لم تكن تؤهل أبناءها لسباع مثل هذا الصوت الخفى، لذلك انتفضت هيلانة كأنها تستغيث من حلم عميق وقالت:

— لقد رجوتك مرارا يا دايس ألا تعود إلى مثل هذا الكلام. حلفت لك وأكرر أمامك القسم بأننى ما أحببت سواك فاكثف

— أمام قسمك أكذب نفسى وعياني يا هيلانة، وأنا أقسم لك بأننى لن أحول عن نيك مادام فى دم وحية، ولو كفى فتح حلب هلاكى، فسا أنا راجع عن أمانى ولو اضطررت إلى تسلق جدران القلعة وخدى

وارتمش دامس كأن فى هذه الذكرى نارا لاسمة، فابتسمت الفتاة بمرارة وقالت:

— أجل هى شرارة النيرة، يا ابن الصحراء! هذه لماتها فى أحداقك. لا تشكر. أنظن أننى أحببت؟ أفى لهذا الرض الهائل الذى لا تعرفه بنات اليونان فى رجالهن!

رفع دامس بصره إلى السماء وقد خرج من فمه أنين عميق كأنه زفير لبث جريح وقال:

— إن لم يكن فينا نحن العرب من داء غير هذا الداء لكفانا دلالة على ما فينا من أفنة وشم. هى ممزة النفس تتألم. هو الدم يحترق بمرارة الصيانة والشرف. هو الجسد الأثيل ذلك الداء. أو تسمينه داء يا ابنة الجسد اللتداعى التى لا ترى حولها غير رجال استعجرت قلوبهم وجددهم فى عروقهم المتراخية! إن النيرة ليست واحدة فى قلوب الرجال يا هيلانة، فثم من يشار لأنه تعود الانفاس فى الشموات فهو لا يرى إلا الشر حبيبا أدار بصره؛ ومنهم من يشار عن صيانة فى النفس ورقة فى القلب، وما أنا بمن يفترون بما يشعرون. أريدك سامية كما يصورك خيالى العربى فى دماغى اللتهب. أريدك واقفة من حى الى درجة إظهار نفسك أمامى كما هى؛ ولعلك لا تدريكن ما أرجوه منك.

لقد لحت منك نظرة أقيمتها على ذلك الزاهد ولم تزل تلك النظرة مستقرة كالسهم فى قلبي، وأراك تتمدين إلى التموه كلما أردت سبر مرك. ونحن معشر العرب لم تعود الكذب. قولى لى إنك كنت أحببت ذلك الزاهد فلا أحقن ولا أتور، ولكن الشك فى صدقك وإخلاصك يقضى على. لقد أبت نفسا أن تلتصق بالكاذبين ونحن نعملها تحت البنود إلى الفتح المبين ...

— التفت المتحوسون حول يوا كينا لأنهم اعتقدوا فيه الاستبسال في الدفاع عن البلاد ، وقد تبعوه الى معركة أمس وأنت أدري بما سيكون —
— أليس في المدينة بقية من حزب القتلى يحيل الى التسليم ؟

— بلى ، كلهم يريدون الأمان ، ولكن وقاحة يوا كينا تنقل عليهم ولم تزل أشباح إخوانهم تتراى في الليل على الدماء التي خضبت الساحة ولم يسمح الظلام بمحو آثارها

وكان دامس يتكث الأرض برأس سميته مستغرقاً في التفكير ، ثم رفع رأسه وقال :

— إلى الملتقى إذا يا هيلانة ! جدي إيمانك واثبتى على العهد . إن شبك سيحرر من عبوديته ، وحين يسود المدل ربوك سأقيم لك من أضلاحي بيتاً تسكنينه على أرض أجدادك ، ولكن اعلمى أنني لم أزل أذكر تلك اللقطة المائلة ..
ويلاه . . . إن الأيام هانكة الأستار ، فإذا رأيت المسقبل أشد غيرة منك على شرفي فاني أحول هذا السيف الى صميم القلب لأموث . . . لك هذه الدقائق القليلة ، يا هيلانة اهتكي أمانى أستنار كبرياتك فلا تضادى نفسك . أجبني بحق لإتهك الذى أعبد وتميدن ، هل أحببت أحداً قبلى ؟

— لا

وتماثق الجبينان

وكانت قطرات الأمل تسقط كالندى على قلب دامس ، ودموع هيلانة تنحدر متراجمة إلى ناهها كأنساب الفسليين على حجارة جهنم السوداء . . .

وساد الظلام على مدينة حلب وأرجائها وكانت مضارب الحملة العربية منتشرة حول أبواب المدينة

— اسمع يا دامس ، لقد قطعت على الكلام بلواسع غيرتك الجنوبية ، فلم تصبر ربنا أقص عليك ما نعلم . ذكرك بالزاهد لا لأثير حنقك ، بل لأقول لك إنه مات مقتولاً بسيف أخيه في ساحة حلب نفسها .

— إذا هو أخ يوا كينا حاكم البلاد ، وآخر حامل لتاج هرقل .. علمنا أن هذا الملك قتل زاهداً ولكننا ما علمنا أن القاتل أخوه

— إن يوحنا الزاهد هو أخ يوا كينا الظالم السفاح ، فان يوحنا الذى أسأت به الظن ، قد دعا الشعب للاستسلام للعرب ، لأنه عرف عدلم ويتيقن نبالة قسدهم ، وكان قد ذهب إلى مسكر أبى عبيدة بتيمة عدد من أهل المدينة فأبرم مع الفاتحين عهداً ، ورجع بمن معه عند الفروب على أمل تسليم المدينة عند بزوغ الفجر ، ولكن يوا كينا كان فى انتظارهم فى الساحة العمومية مع جنده ؛ ولما التقى بأخيه ألقى القبض عليه وأمر بنحر من اتبعوه واحداً فواحداً حتى خضبت الساحة بدمائهم ، فثارتم حمية يوحنا فصرخ بأعلى صوته أمام الجماهير المحشدة :

— ليأت العرب بعدلم لتخليص الشعب من ظلمك . . .

حينئذ نزع سيف يوا كينا فخرق صدر أخيه ، فسقط المسكين قتيلاً وهو يعمل على تحرير قومه من السفاح وتهديج صوت الفتاة بفصاة الدموع ، فشمع دامس بهبوب نلمات الذكرى من وراء القبور فارتمش وكادت غيرته أن ترجع به إلى خطابه البثور ولكنه ثبت فى موقف التفكير بأحوال الحملة الفاتحة فأمر يده على جيئته وقال :

— وبمد ذلك ؟

لأطير وأقتض من حالى على يوا كينا النائص الآن
فى بحار ملذاته !

وسقطت من جفون دامس دهمتان نزلتا ببطء
على شاربيه فسحقهما بأردانه وشخص إلى السماء ،
وتقدم الشيخ الطويل إليه حتى لامسه ووضع يده
على كتفه وقال :

— اسمع أيها العربى . أنا يونانى أحفظ فى
ذا كرى كثيراً من أجداد مملكة هرقل فى سوريا .
أنا مسيحي أؤمن بالمسيح وإنجيله الطاهر ، فأنا
اليونانى المسيحي سأسلم أمتع قطعة فى ملكنا إلى
بذ العربى المسلم ، ويشهد الله أن ما أقوم به إنما
هو واجب على الضمير على ، فلست بالخائن ولو
وصمنى الناس بالروق . إن حلب بأسرها تسلم
زمانها لخليفة نبيكم ولكن يوا كينا العاصى يهصن
فى هذه القلعة ويطيل الحصار مدعياً أنه يصد
هجمات الاسلام حفظاً لدين أجداده وهو الذى
يدعى المحافظة على الدين قد صيغ الساحة بدماء
رجالنا وكان ابنى الوحيد بيت أولئك الوطنيين
للمتمردين على الفساد والظلم

بكيت وحيدى بكل دموى ، وأقسمت ألا
أجيب داعى اللون ، وأن أتمرد عليه إلى أن يقبض لى
الله أن أرى انهيار هذا الملك وانحطام عرش يوا كينا
الناسم ، إننى لن أترك الحياة الا وأنا أحرق قطعة
من عرش يوا كينا على قبر ابنى الشهيد
واختنق صوت الشيخ فترة ليرتفع بكل
نبرات الاقتناع فقال :

— لست بحاجة لإطالة الكلام لأبرر نفسى
أنت تعرف أن النصارى كلهم أنفوا اللذل وتركوا
الحياة مستعبدين لرجل لا إله له غير كبريائه وشهواته

تسب النيران بينها والجنود واقفون ينتظرون
المشاء

على أن من يتميز هؤلاء المريان عن قرب يجد
بينهم عدداً وفيراً من سكان المدينة ويرى من حين
إلى آخر نسوة يونانيات حاملات لاجنود أطباق
الحلوى

وكان هواء الليل يحمل إلى بعيد صوت نشيد
عربى نغم بدوى كأنه هتاف الحجاز على أطلال
بزانطة للتداعية ، ثم لا يلبث أن يجاوبه نشيد
متقطع باللغة اليونانية كأنه أنين الأجيال للزمنة
الرحيل عن ملمب الدنيا

على مقربة من أحد المضارب الراسمة كان
البطل دامس جالساً القرفصاء وقد تشنجت أصابعه
على مقبض سيفه وهو غارق بالتفكير ، مضت ساعة
وهذا الرجل جامد لا يتحرك ولكن خشيش
الأعشاب اليابسة أمام مضربه منه لقدم رجل
طويل القامة ملتف برداء يونانى وقف أمامه وقال له :
— أراك قانطاً يا دامس وليس لثلى هذا اليوم
يحفظ الأبطال القنوط

بقى دامس جامداً ولكن ارتجافاً عصبياً كان
يحمد جبينه العالى ، فرفع رأسه وقال :

— سوف نمود من حيث أتينا ، وهذا العقاب
الكاسر متحصن وراء هذه الجدران . والله لو أن هذا
الحصن النيع حراب مسمومة لاخرقته بصدرى ،
ولكنه حجر أصم جامد فلا هو يقتلى ولا أنا
أقوى على تحميمه

وانتفض دامس محدقا بالقلعة وهى مخترقة
السحاب كأنها تهزأ بالزمان
— أو اه ! لو يستبدل الله ساعدى بمخاحين

الصوت الخالد الهيب في أعماق ضميره الى الجهاد من أجل الحق، ولكن البطل العربي في نشوة إيمانه كان قد لامس بحسه الباطن الواقع الكاثنية التي تتجلى مبادئها وراء الزمان والمكان، فسمع هاتفا عميقاً بعيداً عن حواسه يناديه :

إن في القلعة قبر حيك، ولكن وراء بابها الحطم بقبضة يدك الخطوة الأولى للمهد الجديد، بداية حكم العرب المجيد ...

وكانت الساعة الأولى بعد نصف الليل، وأخذت الأنوار تنطفئ متتابعة داخل أسوار القلعة، وبلغ السكر حده في أدمغة الجنود والحراس فتقلت أعضانهم ونابوا وهم يعضفون بقية الألحان اليونانية التي كانوا يتشددون بها ...

وكان يوا كينا لم يزل ساهراً يكرج الراح في إحدى البنايات الفخمة القائمة إلى جنوب القلعة وبين يديه غادة رومسية استندت إلى عود تنطق أوتارها لغة القلوب وكانت تنشد قائلة :

« وإذا جن الليل وأرسلت السماء من نجومها لمات الأسرار، عندما يستغرق كل شيء في السكون ينتبه الكون بأسره في عين تلعب، وقلب ينبض ثم حينئذ إذا كنت جندياً فاجمل من درعك كأسك، وإن كنت كاهناً فاكرع الحجرة من كأس الهيكل، الحب هو الآلهة المبود، فإن زهدت في الحب كفرت بربك »

وكان يوا كينا يصبو أنظاره حيناً غنياً إلى الجهة الشمالية من البرج فتخفق أهداب جفنيه على نظرات منكسرة في أحداقه

وكانت تقف أبصاره على غرفة موصدة هنالك في طرف القلعة حيث كان يقيم أخوه الزاهد يوحنا.

إن من يبلطخ يده حتى يدم ابن أبيه وأمه ليس إلا كافراً بالله وبروح الله، وأنا أعتقد كما يعتقد جميع العقلاء في بلادنا أن دين النبي العربي ليس إلا شملة من روح الحق يرسلها الله إلى الأرض لتجديد قوى الخير والقضاء على الفساد والضلال، فالنصرانية الحققة الثالثة من الطغاة الكافرين بها تمد يدها من قلوبنا لتصافح الاسلام، وما هو إلا صنوها التي حطم الأصنام ودعا الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد

إن يوا كينا يتلاعب بنا باسم الدين ليدعم مرشاه الهادى بمجامع أبنائنا، وهو الكافر بربه فكيف يعتقد بالمسيح؟ إنما الدين هو العدل، وما أورش الله الأرض إلا رجال الحق، وأنتم أولئك الرجال - إننى أومن بالفتح المبين لاستقاط سلطنة المارقين، ولكنى لا أعيذ السبيل إليه في قضاء الله، وهذه القلعة واقعة بين الماضي والمستقبل حلقة جبارة تملأ الفضاء، وأية قوة تستصل إليها لتكسرها؟

- إذهب إلى أبى عبيدة وتهد له بفتح القلعة وعد إلى لثم عملنا ههنا السماء، ولتكن جنودكم على أهبة الهجوم

- إننى أنيمك بأن تريد، أقذف في إلى أشداق الموت. إن الجهاد حق على المؤمنين

ونهض دامس وقد ملأت عقيدته جوانب نفسه، فخرج القلعة المتألفة بالأنوار بلفحات النسر المتحيز للانطلاق، وما تقدم بضع خطوات حتى استوقفه خفقان قلبه الماشق وقد هتف صوت هيلانة فيه : تقدم إلى اللقاء، إلى كوتر الحب التندق من شقى، فانتفض المجاهد المطلق في وجدانه يخفق هذا الصوت الدخيل خشية تطرقه الى نبرات

كالأسد الثائر فكتم أنفاسه وألقاه صريخاً ، وكان الشيخ اليوناني قد تقدم كالبرق الخاطف نحو الباب الكبير ففتحه من الداخل ، ولم تغض فترة من الزمان حتى كان أبطال العرب مستولين على الحصن تخفق على مرتفعاته أعلامهم الخضراء ...

وتكحل الشفق بأوائل ذرات النور في إحدى خنادق القلعة كانت جثة باردة ممتدة وقد تقلصت أصابع كفها على ذخيرة مفتوحة تدلت منها خصلة شعر تحضبت بالدم ...
الذخيرة ذخيرة يوحنا الزاهد القتييل يشهد رسم هيلانة وشعرها فيها بما أودى بحياة دامس البطل العربي الذي دون التاريخ فتحه أبواب الحصن الننيع

وفي القاعة الكبرى ، داخل الحصن ، كان رجل بكلل المرق جبينه طارحاً سيفه عند قدميه يدور به أبطال العرب وهو رافع يده هاتفاً :
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ..
هو يواكينا ذلك الشهيد ، هو مرهق شعبه وعبد شهواته وناحر أخيه بيده هو الجاني على دين الله في المذهبين الموصلين الى الله
وبين المقابر كان شيخ هرم يحرق قطعة من الخشب الموشى بالذهب فوق حفرة لم تخب ردودها بعد

وعلى قصر من قصور حلب الشاهقة ، كانت فتاة ترفع أبصارها إلى السماء وتضع يدها على قلبها معلقة أبصارها على الطريق منتظرة عودة من خلد الحب وأرداء الخلداع ...

فنيكس فارس

هنالك في تلك الغرفة المدخل السري الوحيد للقلعة ولكن ذلك المدخل موصد الآن على بقايا أبواب الراهب القتييل وقد علفت بها سلسلة ذهبية مربوطة على ذخيرة انفتحت عن صورة فتاة وخصلة كبيرة من الشعر

للشرفات هود كما للخير غفلات في ضمير الانسان

وكان صوت المغنية الرومية يرن في أذن السفاح فيذهب قسم منه الى ضلاله ويتساقط قسمه الثاني على روحه كالنندي على الأزهار اليابسة . كانت كلمات الأغنية البذيئة تستقر في شهوته وتدور مع دمه الفاسد ، ولكن اللحن أو النغمة أو الايقاع ، تلك الأصوات السرية التي لم يقو الانسان على إفسادها كانت ترفرف فوق كلمات الأغاني كأنها حمامة بيضاء تائهة فوق جيفة متفنة ، فتذكر يواكينا أن في الكون شيئاً لا يقدر الانسان أن يتناوله بيد الأرجاس

ولكن هذا المحارب اليوناني الماني الذي تمضى إلى معقله للننيع على أنهار من الدماء لم تستوقفه طويلاً همسات نجواه ، فتقدم مترنحاً في سكرة إلى الفتاة الرومية يمتصنها ويداعب شعرها الذهبي الطويل مولياً ظهره لباب غرفة أخيه الموصدة ..

وفي تلك الدقيقة ، ابتدأت أخشاب ذلك الباب بالسقوط تحت ضربات خفية وظهر شبح اليوناني الطويل دليل دامس فتقدم باحتراس متطلماً إلى كل جهة ، وكان هنالك حارس ممدد على الأرض فانتبه من نومته مذعوراً قابضاً على سحيفه ووقف لبنادي ، ولكن دامساً اقضض عليه من الغرفة

فخالمروك

للقصصيّ الروسي مكسيم جوركي
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى

على ضفاف «الدينير»
وكان أولنا جندياً سابقاً
في الجيش، رجلاً أحمر
الشعر، باث الطول،
ضامر النود، طلق
اللسان، بروى الكثير
عن حياة السجون،
وعيشة الأسار

أما الثاني فكان شاباً
ريق الشباب، لدنّ
الماعطف، ضاوي الجسم،
وقد أخبرنا عند لقيانا

أنه طالب في جامعة موسكو، فلم نمن لذلك كثيراً،
فقد كان كل ما يمتدنا أنه جائع طاوى البطن مثلنا
وكنّا أما قائلهم بوجع الجفون الصامت،
وحياى الذى لازمى منذ بواكر أيامى، ولنى أنطلق
ملك في الحديث عن نفسى فليس هذا مقام ذلك،
ولكنى أقصر القول على أننى كنت كثير الوثوق
من نفسى ولم أزل كذلك...

وكنّا أما شامى الجندى في المقدمة، أما الطالب
فكان يتضاخر وراءنا في ولاء ومهل، وقد علق بعطفية
شئ بال كان يشبه المطف في حين من الأحيان،
وعلب رأسه بقايا قبعة زرقاء قديمة، وبدأ في قدميه
حذاء عتيق يحيل إلى أنه التقطه من جنبات الطريق،
أما الجندى فكان يكتمى قيصاً وردى اللون، وقبعة
حريرية الطراز، أما قدماه فكانتا عاريتين شثنتين...

وهكذا كنّا أنا أيضاً

وطفنا قلب الطرف في أرجاء تلك المروج
الناشرة الجنيات، فإعادت نواظرنا منها بظائل
ألمهم إلا السماء الزائقة الساحية، التى كانت أشبه
شئ بطنى أزرق هائل قلب على الأرض، وكان

... ومضينا في طريقنا نحث الخطى، بعد
أن خلفنا وراءنا «ميركوب» نهما كالذئب،
فالما على المالم أجمع... ففد اثنتى عشرة ساعة أوزيد،
ونحن ندير العطف في نواحي المروج، وتتقصى النظر
على جنبات الطريق، علنا تقع على شئ نقيم به
أودنا... ولكن أمينا حسرت من ذلك نهاية
ذلك القضاء المتصل... وأخيراً فرّنا المزم على
أن نصل السير... ولكن إلى أين؟... ثمّة إلى
الأمام قليلاً... فسرنا في صمت وضيق، وقد
تراخت أعصابنا من الجوع، وارتبكت مفاصلنا
من التعب، وقصرت خطانا من الأبن
وكنا ثلاثة عرفت كل منا الآخر في سائر ليلى

تحتفل الأوساط الأدبية في موسكو في هذه الأيام
بذكرى مرور عام على وفاة شيخ أدبها الحديث، وكانت
الابن مكسيم جوركي... وقد توفى جوركي في مثل هذه
الأيام من العام الماضى. بعد أن قضى حياة بالسة طويلة ذات
فيها الكثير من ضروب الموز والناقة والتفرد، وقد طبعته
هذه الحياة على نوع من الأدب ملازم من غيره. وهو اثنتان
في وصف البؤس وذكر البائسين، وقد تخيرنا له هذه القصة
لأنها تتمثل — على ما نرى — جانباً من عيشته، وطرفاً
من حياته

— لا شيء هنالك ... لم يبق إلا أن نقضى الليل في ذلك الصقع النائي ... فهيا نجتمع بعض الحطب لنضرم النار أيها الرفاق

فانطلقنا نلتقط من الرجز ما اعترض سبلنا من أضغاث الأعشاب الجافة، وكنا كلما تشبى الجسم لالتقاط عود جاف يسقط على نفسه، وبأنى أن يستقيم ويستوى ثانية كأن به رغبة ملحة إلى الهدوء والنظر، لا أضواء من الأعياء والنصب والجوع.

وهتف الجندي أخيراً :

— لو قُبِضَ لنا الله من هذا الرجز ثمة جذر من جذور النبات، فإن من الجذور ما يؤكل ؟

ولكن الحزون كانت تبدو حولنا منبسطة ممهدة خالية من الأشجار ... وكان الليل غاشياً على الكون، وقد رجفت في ثناياه النجوم الفرارة، وضياء الطلعة، وهاجت الجبين ... وعلى حين غرة أقبل الطالب علينا هامساً :

— أيها الرفاق ... إن عنى شمالكم رجلاً راقداً في الرجز، فقال الجندي :

— رجل ؟ .. ولم يردق هنا ؟ لا بد أنه مزمود بال طعام ... فما يدلج إنسان في تلك الشعاب النائية دون طعام وأشراب ... هيا نذهب إليه أيها الرفاق وتقصدنا الطالب بيمينه البراقة الخضراء، فسيح الخطو، حثيث السير، وكان الرجل جامداً في مرقدته لا يمتلج أطرافه، ولا تظرف عيناه فتطرق إلينا الشك ... وقال الجندي :

— ربما لم يكن هذا رجلاً ...

ولكن سرعان ما تبددت الريب فقد طرق سمعنا صوت متزن الجرس، متسق النبرات شق غواشي الظلام يقول :

— مكانكم .. وإلا ألحبت رءوسكم !

الطريق ضيقاً حصباً تلوح على حفافيه أكرام مشتتة من القمح المشيم، بينما انتشرت في نواحي الرجز بضعة أعواد جافة أغفلها من أجل الحاصد فلاحت كتلك الشمرات البيضاء المتناثرة في عذارى رقيقنا الجندي ومضينا في سيرنا، ووجهتنا ذلك الأفق البعيد، وقد ضرب عليه السحاب لثاماً رائقاً غراماً، فرفع الطالب إليه لخطه وأومأ نحوه بينماه قاتلاً في تخيل وزهو :

— تلك ولا شك جبال « السكريميان » التي درسناها

فنظر إليه الجندي هيباً وقال :

— جبال ... أى جبال يارفيق ؟ ... تلك سحابة صافية شفة كاللبن المروق، ووددت من من نفسى لو كانت حقاً من اللبن المروق فزوى منها عطشنا، ونبل بها صدافاً ... ومضت برهة قبل أن يندس أحدها بينت شفة. وأخيراً قال الطالب في لهجة الماتب :

— لقد قلت لكم إنكم تفسرون إلى الأصقاع الغير الآلهة بالسكان ... ققاطمه الجندي قاتلاً :

— لقد قلت لنا ...؟ حقا هذا دورك لتقول لنا، فأنت بيننا الضارب بهمهم أوفر في العلم، ولكن خبرني يارفيق أين هي إذن الجهات الآلهة بالسكان ...؟ فلم يجر الطالب جواباً، وسرنا يرتق فوقنا الصمت، وكانت الشمس قد جمعت خبسطها الذهبية عن الكون ولم يبق منها على الأفق إلا الشفق الأحمر الزهيم، وقد تمثل فيه الأمل الباسم، ولفته غلالة وردية شفة من السحب، فسدت المروج موحشة صامتة، وقد هفا عليها السكون، ورائت فوقها الهدأة، وأخيراً قال الجندي وهو يتنصت ويتلفت :

رفيقاً وأخذت أحطهم ذلك الخبز الجاف بأسنانى
التي كانت على أهبة لضغ الصخر، وأحسست وأنا
ألوكُ فى شِدْق تلك القيمات، أنها مرغان
ما انقلب دماء دافقة فى الجِمْ فأنسنى بما مضى
من الجوع وما مر من الفاقة... ولكن عند
ما ألقيت فى فمى بما بقى من فتات الطعام أحسبت
جوعاً ممحاً من جديد... وحس إلينا
الجندى أخيراً:

— إتنى على يقين من أن ذلك الرجل معه لحم
أيضاً... وأضاف الطالب:

— وللتثبت من ذلك أقول إن الخبز يفوح
برائحة اللحم....

وكنا جلوساً بمضنا
إلى بعض وقد جمع حولنا
الليل موحه السود،
وبسط علينا الصمت
بحناحه الشامل حتى عدنا
نسمع ضربات قلوبنا،
ونامة أنفاسنا....
... وكنا جاثمين!

انتظروا قريباً السيد عمر مكرم مع الأستاذ محمد فريد أبو حديد

ومضينا تتداول وتتناول فى ذلك، إلى أن
أشرت أخيراً على رفيق أن تسطو على الرجل
فنأكل ما بقى من طعامه دون أن نمسه بشر؛
وصادف هذا الرأى هوى من نفس الجندى فصاح:

— هيا بنا أيها الرفاق

فقمنا متخاذلين وبمنا شطار الرجل ونحن
نتأمل فى خطانا، فحازنا خطوتين أو ثلاث
خطوات... حتى أصمّ آذاننا دوى طاق شديد
شق سكون المروج الشامل... فصاح الجندى
بالرجل:

— أخطأت الرى أيها الرفيق!...

فانتبهنا فإذا الرجل قد انتهض من رقدته وفى يده
«مسدس» صغير، ألجم به أفواهنا وعقل أقدامنا
وأخيراً هتف به الجندى:

— لا تُزع أيها الرفيق... قلن نمسك بسوء
اننا نكاد نصرع جوعاً... فأعطنا شيئاً من الخبز
ولكن الرجل تلبث فى مكانه جامداً لا يخرج،
شاخصاً لا يطرف... فاسترسل الجندى:

— ألا تسمع أيها الرفيق... فأجاب الرجل
وهو راجف وأجف

— حسن... فصاح به الجندى

— لا تطرق فؤادك الرية أيها الرفيق...

فاننا لا نبني بك شراً

وتبدت على شفى
الجندى ابتسامة ظافرة،
لم يثبتها الرجل الغريب
لطول الشقة وبهمة
الليل... وأخيراً قال
الغريب:

— انتظروا... ثم

لوح بيده فى الهواء فسقط

عند أقدامنا شيء أسود هوى عليه الطالب بيده،
فإذا به بضغ لقيمت جافة مُمِرّة، سوداء مُشعّة،
فلم نلن إلا لهذه الصفات الأخيرة المتتابعة، بل
جلسنا حول الجندى، وكان قد ارتفق الأرض
وظفق يقسم بيننا الخبز

— هذا نصيبك أيها الرفيق.... ونلك
حصتك أيها الطالب... وهذا ما تبقى لى....
كلا، ماهذه بقسمة عدل، أعطى قطعة من نصيبك
أيها الطالب

فانصاع الطالب صاغراً وأعطاء ما طلب،
وجلسنا نأكل فى صمت... وقد انفردت عن

— وماذا عن الرجل ؟
 — فليذهب إلى الشيطان ... أما كفى أن أكلنا طعامه
 وتفرقنا من اللرج نجوع ما ألقينا من الأعشاب
 عندما يفتنا الرجل ثم أشعلنا النار في كومة
 الحشيش ، فاضطربت وتوهجت وأنضت ما حولنا
 من الظلمة ، فسرى الدفء في الجحوم ، ودب
 الكرى إلى الجفون . وطرق سمعنا صوت النجار
 الخافت يقول :
 — أيسمح الرفاق أن أدنو من النار قليلا ؟..
 إن عظامي يكاد يفتتها البرد ...
 وأخذنا عليه المطفئ فسمعنا له بالدنو ، فأتى
 يدب على رجله وقدميه .. وقد أغرق عينيه فيض
 من الألم ، وغمر وجهه صبخ من الصفرة .. وبدأ
 في لمع النار زائغ البصر ، متكئا اللون ، ثم جلس
 على كسب متاع عرس أطرافه للرضوضة ، ويبسط
 أصابعه المثناة .. وبعد برهة سألَه الجندي :
 — ولم لم تركب البحر مادمت على هذه الحال
 من الاعياء والوهن ؟
 فأجاب في خفوت :
 — لقد نصحو لي أن أخخذ طريق البر لأنه
 آمن على صحتي . ولكني لا أستطيع الرسول ..
 وسيطوني الموت في تلك المروج النائية ولن أرى
 طفاتي الحبيبتين .. يا لاسخي ..
 وأخذ الرجل يصيح فنهز الجندي قائلا :
 — « كفى ... صدعت رؤوسنا أيها النبي »
 وجمحت أنابه :
 — « لا تفكر علينا صفو النوم أيها الرجل »
 ثم أضاف الجندي :

وأسرعنا إلى الرجل فألقى الطالب بنفسه على
 كيس طعامه ... واتجه الجندي نحو الرجل
 المسكين وكان قد تطرح على ظهره وهو واجف
 راعش ، فركله الجندي بقدمه قائلا :
 — كان الأولي أن تطلق النار على نفسك
 أيها النبي . — وهنت الطالب مازحا :
 — لقد عثرت على اللحم أيها الرفاق فتمالوا
 نأكل ...
 وجلسنا نأكل من جديد ، وكان الليل حولنا
 ملثما بظلامه ، سواد على سواد ... وعلى حين
 غرة سمعنا الرجل المسكين يغمغم من صوت خافت
 كأنه الأثين :
 — عفوا ... أيها الرفاق ... كيف لي أن
 أعلم ... لقد أطلقت النار لأن العرب ملاء جوامحي .
 إني في طريق إلى مقاطعة « سمولنسك » وقد
 تولتى الحمى عند مغرب الشمس ، فوهي منها
 جسمي ، ووهنت أعصابي ، وأخذت على مذاهب
 السير ... إني أمارس التجارة ... ولئى زوجة
 وطفلتان لم تريا منذ أربعة أعوام خلون ... لكم
 الطعام فكلوا كل شيء .. أيها الرفاق ... »
 فأجاب الطالب :
 — « وهل نحن في انتظار إذنك ؟ » ثم هس
 إلينا الطالب :
 — لا شك أن ذلك الرجل معه نقود أيضا
 فأجاب الجندي :
 — إنك دائما صائب التخمين أيها الرفيق
 ثم نهض الجندي قائلا :
 — هيا نفرم النار لننام أيها الرفاق ...
 فالتفت عينا الطالب ثم قال :

— تنبه ... ! تيقظ أيها الرفيق ... دعنا

نذهب سريعاً

فانهمضت مرتعاً من النوم فرأيت الجندي واقفاً بجانبى يستعشى الى السير وقد تكفأ لونه وتوجف قلبه ، وكانت شمس الصباح الضاحية قد لآلأت نواصي الأعشاب في الرج ...

وتلفت عينا فاذا النجار ماتي على ظهره ممزق الثياب وكان أزرق الوجه فاغر الفم جاحظ العينين وقد أغرقهما الرعب ، وتصلبت فيهما الحاجر ... و هتف الجندي أخيراً :

— أما كفاك تأملاً ... هيا امض بنا ... قفلات في تردد :

— أهو ... أهو قتيل ؟ ... هل الطالب ... ققاطني قائلاً :

— « ومن غيره ... ربما أنت أو أما »

واسترسل قائلاً :

— أهدأ أثر العلم في نفسه ... أغاية العلم أن يترك رقيقة على هذه الحال ... أما والله لو علمت طوية نفسه قبل ذلك لسفكت دمه ... هيا بنا أيها الرفيق ، يجب أن نذهب عن هذا المكان قبل أن نلحقنا عين إنسان .. أقام أنت .. إنهم سيكشفون أمره اليوم ويترسمون خطانا ... » ثم وضع يده في جيبه قائلاً :

— ولكن هذا مسدسه مى ... فصاحت به :

— ألقه في الطريق ...

— كلا لن ألقيه . إنه شيء ذو قيمة

ومضينا نبحث السير فذكرت في الطريق طفلتي النجار المسكين فقلت :

— هذا كثير على زوجة الرجل وطفلاته

فأجاب :

— أسمع أنت ؟ .. أظن أنك ستنال عطفنا بعد أن أطلقت علينا النار .

وصمت الرجل وصمتنا ... واستلقى الجندي على ظهره .. وتطرح النجار على كومة من الشب وردت أنا عن عيني ، واضطجع الطالب إلى يساره وهو يتنأب ويتناوم وبعد برهة هتف الجندي وهو يتأمل في السماء :

— ما أروع الليل الساكن .. وما أبهج السماء الصافية .. تأمل أيها الصديق .. إنه ليخيل إلى أن الله خلق السماء دُماراً لتلك الأرض الناعسة النافية . ما أجل تلك الحياة الطلقة الحرة أيها الرفيق .. إنه قد يكتنفها الجوع . وقد يكدرها البرد ولكننا فيها أحرار طلقاء ... نضرب في ذلك الفضاء الرحيب لا إرماً لأحد علينا ولا نعي ، بل نحن سادة أنفسنا . لقد كاد يقتلنا الجوع فيها أياماً ... وهانحن أولاد قدأ كلانا وروينا .. ورددنا تط لمانا بلحظها النجوم الفوان كائنها تقول لنا : « خففوا عليكم جأشكم أيها الزقاق .. واضربوا في فضاء الله الواسع وتعلموا وتدبروا ولا تحفلوا بأحد . »

وصمت الجندي قليلاً ثم قال :

— كيف أنت أيها الرفيق النجار .. لا تكن غاضباً علينا لأننا أكلنا طعامك ... ماذا كنت تريدنا أن نفعل وممكن طعام وليس معنا شيء ... ثم إنك ستمر غداً على سوق « بيركوب » فتبتاع منه ما شئت من الطعام .. منذ كم أخذتكم الحمى ؟ ومضى موهن من الليل كانت تحمل الرمح خلاله إلى همس الجندي وجواب النجار ، ثم غشى الصمت على الكون ، وسكن هزيم الرياح في الأفق وعقد السكرى أهداب الجفون ...

القلب الحب والعطف ، وأجل له في طوايا النفس
التجلة والاحترام ، وقد سرتنا سويًا إلى اقليم « كارا »
ثم افترقنا إلى حيث لا لقاء . فسألته :

— أو لم تطفئك الذكري بعد ذلك إلى ذلك
النجار المسكين ؟
فضحك ثم قال :

— ما الذى تريدنى أن أذكره فيه ، أو أستشعره
لأجله ... اننى لن ألام على ما حدث له ، ولن
تلام أنت ولن يلام أحد غيرنا ... فان يجدى
اللوم ... لأننا كلنا أشباه وحوش ضارية .
أسكندرية أحمد فخرى مرسى

واجب !

ما الذى يمنحك من أن توفر لنفسك
القوميسيون ومصاريف المحل و ... الخ إذا
وجدت أمامك مورد مصرى يستورد لك الصنف
من أشهر فارك ألمانيا ويسلمها لك رأسًا بشكائيفها
فقط

مرب

قلم حبر الكتابة سفنكس القلم الأبيض
ذو الريشة الذهب المضمونة عيار ١٤ مثله فى
السوق يباع ببائين قرشا ، أرسل فقط ٤٠ قرشا
إلى حسين حسنين شارع الطيران عمرة ٣١ مصر
الجديدة وللخارج زيادة خمسة قروش يرسل
إليك الطلب فى الحال

مطلوب وكلاء فى الشرق والأقاليم للقلم
ولأنصاف أخرى مما نستورده من الخارج ما

— دع هذا الآن ... واسرع فى سيرك ...
عج بنا إلى اليمن فأغلب الظن أن البحر فى تلك
الجهة

وحذانا عن الطريق فزكرت زميل فى عرض
الرج ، وصمدت على وهدة عالية كانت على كتب
معا ، وأشرفت بناظرى على مامضى من الطريق ،
فسمعت رفيق يقول :

— علام تنظر أيها الرفيق .. أدخل فى روعك
أن الحياة ستدب فى جسمه ثانيا .. وصمت الرجل
قليلا ثم عاد يقول :

— ما أسهر والله ذلك الطالب الذى غافلنا
وخادعنا ... ان الناس أيها الرفيق يوغولون فى الشر
كلما أوغلوا فى العلم ... يوما بعد يوم ، وعاما إثر
عام ...

وصمت الرجل فماد الصمت يبسط جناحيه
على الكون ، وبدت الشمس تتألا فى صدر السماء ،
و ضرب الأفق دائرة الزرقاء على المروج فتأبنا
السير دراكا ...

وأخيرا قال رفيق الجندى وهو يخرج من
جيبه لفافة من التبغ الرخيص :

— اننى جائع أيها الرفيق

— وما عسانا نأكل هنا ؟

— تلك مشكلة أخرى ...

وختم الراوى قصته — وكان رجلا أشيب
الرأس يرقد إلى جوارى فى المستشفى — بهذا القول :

— ومنذ ذلك الحين توقفت وشائج المودة
بينى وبين ذلك الجندى لما هو عليه من خلوص
النية ، وبساطة الخلق ، فكنت أكن له فى شفاى



يَوْمِيَّانَا فِي الْأَرْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

القاتل !

رأى الأستاذ توفيق الحكيم أن يفسح الأجل
أسبوعين آخرين للتسابق في معرفة القاتل
لقمر الدولة علوان في القضية التي ينشرها في يوميات
نائب في الأرياف ، ففضل ألا ينشر شيئاً منها في
هذا المدد لأن ما سينشره سينم عن القاتل . وإنا

معروضات باريس

زوروا

شركة بيع المصنوعات المصرية

لتشاهدوا ما أعدته لكم

شركة مصر للغزل والنسيج

و

شركة مصر للنسيج الحرير

خصوصاً لمعرض باريس

من الأقمشة الفاخرة ذات الألوان الجميلة والذوق السليم



موعد مع « سميرة » تلك الفتاة التي عرفها من صديق له، وتشبث بها، كأنها كنز، لأنها كنز بل لأنها تعينه على تفسير هذه الحياة الطردة التي لا تختلف ولا تتنوع ؟ ولو ترك لزوجته الكفاية أما كان يسهل أن يلقى سميرة، وأن يقضى معها ساعات ينسى فيها أن حياته مملّة، وأن يثيرها واحدة، وأن روحه زهقت ؟. آه لماذا لا تستطيع الزوجة أن تكون أبداً جديدة ؟. لماذا تدع زوجها يمل حياته معها، وإن كان يحبها ويعرف لها قدرها ويشكر إخلاصها ووفاءها ؟ المصيبة أن الزوجة لا يخطر لها أن الرجل يمل هذه الوتيرة الواحدة... لا يخطر لها أنها هي لا تستطيع أن تأكل كل يوم « ملوخية » لماذا لا تنكف نفسها عن التفكير في ما هو خالق أن يجعل الحياة معها كل يوم جديدة ؟ لماذا تترض أنه لن يمل أو يضجر أو يسأم هذا العيش الذي لا يتغير ..؟

ولم يكن عيب « عاقل » قلة الانصاف، فلم يسهل إلا أن يقول لنفسه، وهو مسند ذقنه إلى راحتيه، إن زوجته أيضاً مثله : أي خليفة أن يمل وأن تضجر ولكنها لا تضجر ولا يمل، ولا تلتئم مثله التسلية والترفيه عن النفس بما يتفق أن تفوز به خارج

صنع « عاقل » من راحتيه كأساً لبقفه وحدهج النافذة بنظره، وراح يفكر .. هذه ثالثة مرة في أسبوع واحد يدس ريلاً لزوجته تحت الوسادة، ويخرج من البيت متسللاً كالص على أطراف أصابعه لئلا تستيقظ فتسرد له الحاجات المختلفة التي تقتضي زيادة في النفقة فما يكنى ريال للمطالب المدينة التي يمررها ولا يجعلها . وماذا عساها تصنع فيما ركبها من الدين ؟.. اللسان له عشرة قروش . وانجاز له أكثر من ثمانية عشر قرشاً ... وغيرها أيضاً ... وكانت العادة أن يؤدي عن ما يأخذ، فارتاب هؤلاء الناس لما رأوا أنه يأخذ ولا يؤدي الثمن، ولو كان عودهم غير ذلك لاعتادوه، فان غيره يأخذ ويعطى أول الشهر ... ولم يكن يمجزه أن يترك لامرأته ما يكنى، ولكن .. ولكن ماذا ؟ ماله لا يصارح نفسه ؟ أليست الحقيقة أنه مل هذه الحياة الجافة التي لم يجد فيها متعة أو لذة فهو يضن على بيته وأولاده بما ماله لعل وعسى ؟؟ عسى أن يتفق أن يلقى ما يسره ويمجد نفسه فلا يقول كما قال السميز : « فتراني طول حمري تألباً من غير عفة ؟ عسى ؟ أليكن حتى على نفسه ؟ ويأبى إلا أن يخالط، وإن كان لا أحد معه ؟ سبحان الله ! أليس على

البيت .. بل هي لا تخرج أبداً . إلا إذا كانت معه ولزيارة قريب مريض ، أو لبيع من هذا القبيل ، ليس لها سواها .. هو محور عالمها كله . لا تكاد تعرف لنفسها حقاً يقابل واجباتها ... حسبها أنها تأكل وتشرب وتلبس وأن تكون حقيقتها فيها جنبان أو ثلاثة .. ما يكفيها والسلام . فما لها مطلب تعرفه وراء ذلك . لا شيئاً ولا خلافه ... لم تطلب منه قط أن يحملها معه في سيارته وأن يحول بها جولة في الهواء الطلق ... كلا ... أبداً ... مسكينة ... وإنما لاحق بالسيارة منه فقد أبت له أن يركب تلك السيارة القديمة وألحت عليه أن يشتري أخرى جديدة تليق به فاعتذر بأنه ليس معه مال ، فخرجت له عن كل ما ادخرت .. ثلاثين جنباً وضعت في يده ليتيسر له أن يشتري سيارة جديدة بالتقسيط ... ولشده ما يفرحها أن تراه مقيلاً في السيارة الجديدة وتركب أحياناً معه فتقول له وهي تضحك : « إنها سيارتي . أليست كذلك ؟ » فيقول : « بالطبع » فتقول : « إذن من حق أن أستمع الكلاكسون » فيقول : « كما تشائين » فيسرها أنها تضغط الزر من حين إلى حين فيصيح « الكلاكسون » بالناس أن تنحوا عن الطريق . وتضحك مسرورة ثم تنجبل فتكف .

ولكن من الانصاف لنفسه أن يقول إن قناعها به راجعة إلى أن أفتها محدود ، وضيق الأفق نقص ولكنه أثر فضيلة لا شك فيها ؛ أما هو فرجيب أفقر النفس ، فإذا كان لا يقنع بالحياة الضيقة المملة الثثة ، فالسبب هو هذه السمة في روحه وفي آفاته ، وبالتالي في مطالبه وحاجات نفسه .. ومع ذلك ما داعي هذه الفلسفة كلها ؟ ..

الواقع أنه لا يحسن بإمكان القنابة بهذه الحياة الجافة التي لا تنوع فيها ولا اختلاف في وجوهها ، والسؤال هو لماذا لم يستطع أن يحكم تدير الجنب المالى بحيث يتيسر له أن يؤدي مطالب البيت على الوجه الكافي المريح ، وأن يستبقى بعد ذلك ما يحتاج إليه في سد المطالب الأخرى ؟ .. هذه هي المسألة الجديرة بالتفكير والنباهة ، وما عدا ذلك كلام لن يغير من الواقع شيئاً ولن يسوغ فيهك أو يقبح حسناً بل هناك مسألة أخرى أحوج إلى البت السريع وتلك أنه على موعد مع « سميرة » ولكن صديقاً له دعاه إلى الغداء مع « رقيقة » وهي فتاة مسلمة تتسمى هذا الاسم الاسرائيلي ؟ ورقيقة شيء جديد ، فالها حلاوتها ولجلسها أنسه وفتنته الاستفادة على الأقل من الجدة ، وصحيح أنها صديقة صديقه لا صديقته هو ، فليس له مطمع في أكثر من الحديث والنظر ، ولكن من يدري ؟ .. ولا بأس من إخلال موعد سميرة ، فانه يستطيع أن يتخير إليها بعد ذلك وهي تعرف أين تجده على كل حال .

وهز رأسه متمججاً وقال لنفسه : « كيف ياترى يعرف فكرى (يعنى صديقه) هؤلاء الفتيات البارعات ؟ » ذلك أنه هو نفسه مجيد عمراً وعطاء شديدين في الاتصال بمن يحايِلنه من البنات ذوات الدل والحسن ؛ وما أكثر ما تنصدى له الفتيات بجمالهن وزينتهن في الشرفات وفي الطرق ، فيخجل أن يفعل ما يفعل الشبان الأفاع ، ويندر أن يزيد على الابتسام ثم ينصرف أسفاً متوجعاً ؛ ولقد وقف مرة في شارع ينتظر أن يفتح له شرطي المرور الطريق ، وإذا بفتاة تضع كعها البضة على يد الباب وتنظر إليه متبسمه باشة وتقول بصوت حلو :

أن يعرف فتاة شريفة يستطيع أن يأنس بمجلسها وحديثها ، وأن يقضى معها ساعة كل يوم ينسى فيها حياته المملة ويمجد فيها نفسه ؛ وأطمأنت الفتاة إليه ، ووقتت به ، فصارا صديقين ، وكانت قصة حياتها حزينة ، فكانت تقول له بشجوها وهو ينظر إليها وقلبه يفيض بالمطف عابها ، ثم يرفه عنها ويمسح لها على قلبها — حقيقة ومجازاً — ولا يتركها إلا بعد أن يمسح على وجهها البشر والاشراق ، وإلى نفسها الرضى والسكون ، فوجدت عنده المسكنة ما لم تجده عند أبيها ، وأصدقائها ، قصار عندها فوق الصديق وأقرب ما يكون إلى الحبيب ؛ وأدرك هو ذلك ، ففزع وخشى أن يتورط معها في علاقة يكون من ورائها حرج له ولها أيضاً ، واتفق يوماً أن يفتح أبوابها له الباب ، وقال له بلهفة :

« ادخل يا سيدي بسرعة ... ابلى ...

ابلى ... »

فسأله : « ما لها ؟ »

فقال : « مضطربة ... جداً ... ولا أحد يستطيع أن يمسح إليها نفسها سواك ... عجل يا سيدي ! »

فرى طربوشه ومطفيه — فقد كان الوقت شتاء — وحث خطاه إليها فألقاها راقدة على سريرها وسد رها يملو ويهبط كوج البحر ، فتناول كفها في صمت ومسحها وربت لها على خدها وإذا بدموعها تتسائل ، وتجري على خديها إلى عنقها ، فقال لها برقة وعطف : « ابكى ... ابكى إذا شئت ... فانه أشقى ... لا تنجلي »

فتنهدت ورففت كفها إلى عينها ، وكفكت

« افتح ! » ، فخذق في وجهها مبهوتاً من جرأتها ، مرتاباً في أمرها ، ثم لم يسمه إلا أن يقول لها : « بالطبع ... تفضلي » ، فرفقت حاجبها مقدار مليمترين — كأنها كانت هي الحقيقة بأن تنمجب — وقالت : « صحيح ؟ » بلهجة حائرة ، فلم يدرك أي تستوثق أم تستنكر ؟ ولكنه ترك ذلك وقال : « بالطبع ... ولم لا ؟ ... » فضحكت — نعم ضحكت ... قهقهت في الطريق —

وقالت : « مرسي ... » ولكنها لم تركب بل وقفت لتلفت كأنها تشاور نفسها ، أو كأنها تنفض المسكان لتطمئن وتستوثق من أنه لا يراها أحد ممن تعرف ثم ردت إليه وجهها وقالت : « في وقت آخر ... مرسي » كأنها كان يعرفها ويعرف أين يلقاها حين يصبو إليها ، فنفق قلبه خفقات قوية لها في رأسه دوى ، وأحس أن ركبتيه تملخاها ، وصارت يده ترعش كما ترعش القروور ، وسمع نفسه يقول : « أرجوك .. أرجوك .. لا تخيبي أُمِّي » ، ولكنها رمت إليه ابتسامة ومضت خفيفة رشيقة إلى الرصيف ... وفتح الطريق في هذه اللحظة ، فلم يسمه إلا أن ينطلق ؛ غير أنه وقف بالسيارة على محاذاة الرصيف ودار في مقدمه ، وأرسل طرفه إلى حيث رآها تذهب ، فلم يمر لها على أثر ؛ وكان الذي استخفنه أنها على التحقيق ليست من بنات الشارع — يدل على ذلك أنها غضة السن صغيرتها ، ولا يكاد يحفل أن تكون الحرفة قد أدركتها ... مستحيل ! ... ولكن جرأتها ؟ ... أو ووه ! ... هذا شيء يطير العقل ...

وكانت له معلمة نموية رّوسية سكن إليها زمناً ؛ ولم يكن يريد أن يتعلم شيئاً وإنما كان يبنى

وأخشاه ... لست لي ولا أنا لك فيحسن أن ينتهي الأمر الآن»

فحدثت في وجهه كالمهونة فقال : « نعم ... هذا خطأ ... خلط فطيع ... وأنا للسئول فقد كان ينبغي أن أقدر هذا كله وأن أستشف النهاية من البداية ... ولكنني أعترف أنني استمذبت صداقتنا وسكنت نفسي إليها واطمأنت ، فخل الرضا عزي وأضعف رأيي ، حتى رأيت منك ما رأيت الليلة فمادت إلى القوة فهل أنت فاحمة ؟ »

فصاحت به : « ولكن هذه قسوة ... ظلم ... »

قال : « القسوة والظلم أن أدعك تلجين في حالة ليس لها من عاقبة إلا الحسرة والندم والألم » قالت : « ولكن لا أبني منك شيئا ولا طمع لي في شيء ... إنني أعرف أنك متزوج ... دعني أحبك . ما ذا عليك لو قبلت ؟ »

قال : « هذا كلام تقولينه الآن ... هديني فاني أدري منك بالحياة ، وأعرف بالنفس الانسانية وأطول خيرا ، وأعني في الأمور نظرا ... تسألين ما ذا لو تركتكي ؟ الجواب يا فتاتي المسكينة أن على تيمة أمام ضميري ... أنا أيضا أحبك ... »

فصاحت مقاطعة : « انتهي .. تعال تعال .. » فقال : « مهلا .. لا تعجل .. نعم أحبك .. حب لي لك حب الصديق بل أكبر وأقوى ... هو كحب الأب أو الشقيق إذا شئت ... ولكنه مع ذلك من نوع آخر ... هل تسمحين لي أن أحذتك بصراحة ؟ حسن ... اسمحي إذن ... نعم أحبك حبا لا هو عشق ولا هو صداقة ولا هو حنو أب أو أخ ... لا أدري ماذا هو ، ولكنني أدري أنه

من دميها ، وتركها هو تفعل ذلك وأقبل على ذراعها يدلكها ، وعلى صدرها أيضا ، وعلى ساقها ورجلها وهي ساكنة مطمئنة ، وكان وجهه إلى قدميها ، وهو يدلكهما ، ثم رى إليها نظرة خاطفة فألفاها فبررة العين تنبسم كأنما ترى حلما جيلا ، فرد وجهه إلى القدمين وقال لنفسه : « آه .. كان ما خفت أن يكون ... ما العمل الآن ؟ » وحيده السؤال وجوابه ، فترك الأمر للمقادير ولألهام اللحظة ، والتفت إليها وسألها بيمينه : « أحسن ؟ » فأجابت بإبسامة ، ونحنت خصلة من شعرها الذهبي عن جبينها الرضاء ، فحنا عليها ، وأراح كفيه الفليطتين على جانبي عيهاها الدقيق المارف وقال لنفسه : « هذه فرصتي لتأكيد ما بيننا من التفاوت في السن واستعصاء الحب الطويل العمر ، المأمول الأخير بيننا » وكيف يتركها تحبه وهو خالق أن يعلها بمد شهر ؟ ومال عليها ولثم جبينها فضحكت ضحكة عصبية وقالت : « كأنك أبي يقبلني » وكان هذا ما يريد أن يقرره في نفسها ... أنه كأبيها ... فادعى أنه لم يسمع ما قالت واعتدل وأخرج سيجارة وهم بأن يشمها ، وإذا بها تنتفض قاعمة وتخطف السيجارة ، وترى بها وتطوقه بين ذراعيها وتهوى على وجهه بالقبل الحار ، وهو مستسلم لهذه الثورة العصبية وإن كان قد لف ذراعه على خصرها وكأنما أضجرها فتوره ، فدغمته بكفها وانحنت وأنشأت تبكي وتنشج ، كأنما كان قلبها يتفطر ، ثم قالت له وقد سكت قليلا : « معذرة ... إنني آسفة ... قل إنك غفرت لي » فأشار إليها بيده إشارة من يريد أن يقول إنه لا شيء هناك يستوجب الاعتذار ثم قال لها بجذ : « اسمي يا ابنتي ... لقد كنت أقدر هذا

الترفة: « أشكر مرة أخرى ... والآن هل انتهي
الدرس الذي تلقيه علي ؟ »

فقال: « لا تهكمي ... اني أتكلم جاداً ...
لماذا لا تفهمين ؟ »

فقال وهزت كتفها: « أحسب أن إدراكك
قاصر ... هذه الفلسفة عويصة »

فنهض وقال: « إذن لم يبق لي كلام ... فهل
تسمحين لي أن أخرج ... أعني أن أودعك ؟ »

قالت ببرود: « أوه ... أمسافر أنت ؟ »
قال: « أظن ... الغالب ... يحسن أن أسافر »

قالت: « أرجو أن أراك بخير »
وشعر وهو خارج أنه أذلما ، فقد باحت له

بمحبا فصددها ووردها بقسوة وغلظة . ولكن القسوة
تكون في أحيان كثيرة خيراً من اللين الويليل ...

قسوة ! ولين ؟ كلام فارغ ! فلسفة سخيصة !
لماذا لم ينتم بهذا الحب الذي وفق إليه ؟ ... هذه

فتاة جميلة مهذبة تحسن الحديث وتستطيع أن
تخوض معه في كل موضوع ، وقد ألقاها القدر بين

يديه ، وصارحته بأنها تحبه ، وأنها لا تبغ منه
شيئاً ، وأنها تدرك مقتضيات موقفه ، ولا يخفى

عليها أنه متزوج ، وأنه رب أسرة ، وأن لا سبيل
بينهما إلى أكثر من الصداقة الوثيقة ، وأنها

موطنة نفسها على ذلك كله ... وهو يحبها أيضاً ...
ليس حباً في الحقيقة ولكنه يأنس بها ، وتطيب

نفسه بالوجود معها ، وينشرح صدره ويذهل عما
يسخطه ويضجره في الحياة ، فلماذا قطع الجبل وأبي

إلا أن يكون سخيلاً أحق ؟ ... وأن يجد خيراً
منها ، وأصفى نفساً ، وأكرم خبياً ، وأحسن ودّاً

وأظرف وأحلى ؟ ... أوه ! ... ولماذا يطلب غيرها ؟

يسرنى أن أريح يدي على صدرك ، وأن ألس
بأطراف أصابعي ثمديك ، وأن أطوقك بذراعي ...

وأشتحي أن أضمك أيضاً إلى صدري ... أضمك
كما يضم الزكر الحمامة ... وأن ألس شعرك ... أن

أعيت به وأرسل خصله المتوجة على خديك
الأسيلين ... وأن أرفع ساقك فأضمها على ساق

ونحن نقرأ ... وأحس أحياناً بلسعة نار ... كأن
لسانك من اللب الحامي يرتفع فجأة فيلسع قلبي ثم

يزول هذا عني بأسرع مما كان ... فأني إلى سكوتي
وبرودي المألوفين ... وما أكثر ما جلست الى

جانبك والكتاب أمامنا ، وذراعي حول ظهرك ؛
وأصابعي على ثمديك الناهد ... وما أكثر ما نظرت

في عينيك كأنما أريد أن أغوص على سر نفسك ...
وأحسب أنك لم يفك ذلك ... ولعل أسأت به من

حيث لا أريد ... ولا أدري ... ولكن ما أكثر
ما كبحت نفسي ورددتها عما تشتهي ... إشفاقاً

عليك ... اسألي نفسك أين يمكن أن ينتهي هذا
إذا بدأ ؟ ... النهاية خيفة ... لك أولاً ... ثم إلى

لا أريد أن أعاني الحب ... لا صبر لي عليه ... ولا
لذة لي في جنونه ... كلا ... لا أريد أن أحب ...

لهذا خفقت العاطفة وهي وليدة ... قلت لنفسي :
هي أفسى ، ودستها بقدي هاتيت ... وما زلت

أحبك يا إيللي فما يسمى غير ذلك ، ولكنه عطف
وحنو ومودة ... ذلك أني كالأعصار ... خفيف ...

وأنا أخاف عليك من نفسي لأنني أعرف نفسي ...
قولي إنك تفهمين وتدركين وتذنين »

فلم تقل شيئاً من هذا ولكنها تحكت وقالت :
« أشكرك »

ثم قالت وهي تنهض عن السرير وتتمشي في

وهو اليوم على موعد معها، ومع فكرى وصاحبه
« رقيقة » .. وقد اعترى أن يخاف موعد سيرة وأن
يجدد نفسه بقاء رقيقة وإن كانت لغيره .. ودخل
عليه فكرى وقال بلا تحية : « هه ، قم » فأحس
عاقل أن رأسه يدور ، ويدور وقال : « إلى أين ؟
ألا يمكن أن تمفني ؟ »
قال فكرى : « كيف يمكن ؟ إن رقيقة تلح
على أن أجيء بك »

فقال لنفسه : « تلح عليه ؟ لماذا تلح ؟ كلام
فارغ ... وهبه غير فارغ فسادا يستغني من رقيقة
أو غيرها ؟ .. لماذا أعذب نفسي وأشقها ؟ ..
ليس هي رقيقة ... بل هي أن أجد فتاة أحبا
وحسبي منها ألا أكون ثقيلا عليها وبضيئا
إليها ... يا لهكم الأقدار ... كانت لنا فتاة تحبنا
وتقنع منا بأن ندعها تحبنا ... ولم نكن نكرهها ..
ولكننا اغتررنا وتبطرنا فرفسنا النعمة التي ساءت
إلينا حسن الحظ والآن نندم ونشتعي أن نحجب
ونقنع بالأنا نكون ثقلاء ... يا لسخرية الأقدار ! »
وقال لفكرى : « أرجو أن تمفني ...
لا أستطيع ... رأسي لا أدرى ماله ... ولكني
لست في حالة تصلح لثل هذه الجلسة »

فقال فكرى لمها : « قم يا شيخ ... رفه عن
نفسك ... هذا تأثير العمل للتواصل ... يجب أن
ترجع نفسك قليلا ... إن هذا انتحار ... قم .. قم .. »
فأبى عاقل إلا التناد ، وأصر على الاستغناء ،
فلم يجد فكرى حيلة فأنصرف آسفا

ولم يكده يذهب حتى ندم عاقل ونأزعت نفسه
أن يلحق به ، ولولا الحياء لفعل .. وخرج من مكتبه
وهو يقول لنفسه : « مالي أنا ؟ إنهما حبيبان فما

لماذا لا يقنع بيته ؟ ... يقنع ؟ ... نعم ينبغي أن
يقنع بحياته المأدبة المنتظمة ، ماذا جرى لقله ؟ يجب
أن يروض نفسه على الرضى والسكون والقناعة
بالموجود ، كما راض نفسه على قطعة إبلى ...
أيقوى على هذا ولا يقوى على ذاك وهو أولى ؟
.. ولم تتركه إبلى إلا بعد أن يئست - كتبت

إليه بضع رسائل تستمطفه وتالج عليه أن يرجع
فكان يرد إليها الرسائل من غير أن يفيضها ، فقد
كان يعرف خطها فلم يسمها إلا أن تقصر

ومضت شهور ، استطاع فيها أن يجعل نفسه
على مكروها ، وأن يلزم بيته ، ويتخل لمهله ،
ويصرف عينه عن النظر والتطلع ، وقلبه عن الاشتاء ،
حتى لقي سيرة ... فتذكر أنه رأى مرة طفلا يفحص
الأرض بقدمه فتقلقت حصة صغيرة فنحاهما
الغلام بأصبع رجله ، وإذا بلأه ينبع ويروح يفور
منها ويسيل على وجه الأرض .. كذلك هو ..
كان شيء في نفسه محبوسا ... كانت عواطفه
الزائفة لا يحجبها إلا شيء رقيق .. فلم يكده يلتقي
بفتاة تضع أصبعها على قلبه ، كما كان ذلك الغلام يصنع
بقدمه ، حتى أنهدم السد الذي يحجز الطوفان ،
كما تقلقت الحصة فابتدق الماء من تحتها .. ولم تكن
سيرة ترضيه ولكنها كانت تملأ .. وكان فيه وفاء
فأبى له أن يرى بها على حين تقبل هي عليه .. غير
أنه مع ذلك مل .. مل .. مل .. يريد خيرا من
سيرة .. أذكر وأبرع .. وأرشد وأظرف ..
أحلى ابتساما .. وأرسخ نديا .. وأعدل قواما ..
لقد سمحت سيرة .. غلظت ساقها واكثر لملها ..
أوه لماذا تركت نفسها تزداد لملها وتنقص جمالا
ورشاقة ؟

ولا قيمة لها ... أهدأ صحيح ؟ ... أوه ... هذا
وجع رأس ... أكف والسلام ... وبعد ذلك
أبحث عن البواصت ... أستطيع أن أفتح نفسي
بشرف البواصت ... ولكن لماذا أغالط نفسي في
الحقائق ؟ ... أمفعل أنا ؟ ... من الذى قال إنى أغالط
نفسى ؟ ... إذن كن صريحاً يا شيخ ... هب الآن
أن فتاة جميلة من اللواتى يصبو اليهن قلبك قابلك
الآن ؟ ... مجرد فرض بالطبع ... لا أمل فى ذلك
ولامطمع ... ومن أين تجيء منى النفس هذه ؟ ...
ليتها تجيء ! ...

وإنه لماش يحدث نفسه بهذا وما إليه ، وإذا به
يلتقى بصديق يصيح به بصوت عال كأنما ظنه
أصم : « أهلاً ! يعطها كأنما يصيح يقوم بميدى ،
فقال له عاقل : « ماذا عندكم اليوم من المأكول ؟ »
وكانت صداقته به وثيقة ، وبين الأسترين مودة ،
فقال صاحبه « زكى » :

« أوه .. وما الذى أدرانى ؟ تسال منى وكل
الوجود »

قال عاقل : « حسن . امض إلى المائدة فانى
أتنصور جوعاً »

فسأله زكى : « وأين السيارة ؟ مع الست ؟ »
قال : « لا الست ولا السيد ... تركتها
لأتمشى »

وبلنا البيت وأقبلت عليه أخت زكى
— كريمة — تحييه وترحب به ، فقال زكى :
« ألا تهينها ؟ »

قال عاقل : « خير ان شاء الله ؟ . مبروك على
كل حال »

فاضطرم وجه كريمة ، وكانت سبيحة الوجه

محل بينهما ؟ حسنا فلت بالاعتذار » وقال لسائقه
— فقد كان له سائق يمينه أكثر الأحيان من
العمل — : « اذهب أنت بالسيارة .. سأتمشى »
فسأله السائق : « ألا أقول لى شيناً فى البيت ؟ »
قال : « لا أعرف متى أعود ... وخذ ...
أعط الست هذا »

وناوله خمسة جنيهات ، وأحس بالراحة لما فعل
ذلك كأنما كفى به عن سيئة الصباح والريال الذى
دس به يده تحت المائدة ولم يترك سواء لزوجته ؟
ومشى يحدث نفسه أنه كان سخيلاً مجرباً ... معه
كثير ... غير الخمسة الجنيهات التى دفع بها إلى
السائق أيضاً ... ومع ذلك يستبقها ويترك ريالاً ...
ولماذا ؟ ... لأنه قد يتفق له أن يتلقى ... أوه
بالسخافة ... ونقص العقل ... وسوء الرأى ...
ماذا ترى يكون رأى زوجته فيه لو عرفت هذا ؟ ..
زوجته التى تتق به ولا يمكن أن يختلج فى نفسها
شك أو تخبط على بالها ردية ؟ .. ولو كانت زوجته
من هؤلاء المصريات اللواتى لا يفتان يخرجن إلى
حيث لا يدرى أحد ؟ ... أعوذ بالله ! ... لا بل
الحمد لله ، والشكر له ، على هذه النعمة الجزيلة ...
نعمة الاطمئنان على عرضه وشرفه ... وهل جزاؤها
أن ينجونها وهى آمنة مطمئنة ، وواثقة فى عفته
وطهره ؟ ... لا . يجب أن يكف عن هذا كله ...
إن أعصابه متممة مرهقة ، وهو يزيد بها إرهاقاً بهذا
السلوك اللئيم ، فليكن يريح أعصابه ، إذا
لم يكف وفاء لزوجته واحترام لها ... بل يكف
وفاء لها ، وإلا كان الكف غير خليف بأن يريح
ضميره ... يكف والسلام ... هذا هو المهم ...
البواصت لا تهين هنا ... ولكن أمى لا تهين ؟

« ماقولك يا زكى ! إني أريد أن أحب »

فقال زكى وقد تولته الدهشة : « تريد ... أن

تحب ... ؟ »

قال : « غريب ... أليس كذلك ؟ ولكنها

الحقيقة ... نعم أريد أن أحب ... أخشى على نفسي

هذا الجفاف في حياتي ، أحس أني سأذوى إذا لم

يسقني الحب ماء الحياة ... »

فقال زكى : « ولكن هل الحب بالارادة ؟ »

وقالت كريمة : « ولكنك تحب زوجتك ؟ »

فقال يجيبهما : « نعم بالارادة ... أشغل قلبك

بارأة معينة ، يُشغَل ... وأنت يا مولاي أقول

لك إني أحب زوجتي ... وسأظل أحبها ... ما في

هذا شك ... بحكم المادة على الأقل ... ولكنه

حب هادي فاتر ... قولي إذا شئت إنه حب

رزين .. وماذا ينفع الحب الرزين ؟ ... ان الانسان

يحتاج أحيانا الى وقدة الآتون ليصهر نفسه في النار ،

فيصفو معدنه من الأخلاط التي تتكسد كالصدا

على السلك فتقطع تيار الحياة .. التيار الروحي الذي

هو سر الحياة ... وهذا ما لا تستطيع زوجتي

الآن ... ولا أنا أستطيعه لها ... كلانا أصبح غير

صالح لأن يشير في نفس صاحبه تلك الزوبعة التي

تحرك أحماق النفس وتُطْفئ على السطح بعض

مارسب فيها ، وما لعله أصلح من الطلاق الآن ...

النفس تحتاج الى الزوايح أحيانا لاراز السكامن

وإثارة الدفين ... من يدري ماذا في أحرق أحماق

نفسى ؟ ... وماذا يمكن أن يدفع بهذا للضمير الا

ثورة شديدة ؟ ... وكَمْ دفنت حبا بارادتي ، فلماذا

لا أحب بارادتي ؟ ... »

فقال كريمة - وأحس عاقل من نبرات

نصيرته ، ونجلاء حوراء ، وهيفاء ممشوقة ، وقال

زكى : « أنظر الى يدها وخن »

فنظر عاقل فرأى الخاتم فايقظ وقال : « هل

أهني بلساني أو بقمي ؟ »

فقال زكى : « وما الفرق ؟ »

قال : « الفرق هو هذا . تمالي هنا يا سقى ..

أبني أن أبقيك ؟ .. أقول لك .. في كل مكان

إلا شفتيك .. أدع هذين خطيتك .. فان هذا

حقه ولا يجوز أن أعتدي عليه »

ودار بنفسه إحساس غريب وهو يمس خدها

الناعم الطرى ، بشفتيه ، فنظر في عينيها وهو مقطب

وإن كانت هيته تضحك وقال : « هوأولى بالتهنته ..

ليني أكون على يقين من أنه يستحقك ... من

هو على كل حال ؟ »

فقال زكى : « ابن عمي ، سيد »

فقال عاقل : « سيد ... ! »

وأمسك فبا يلقى أن ينال منه أمام خطيئته ،

ويبسط لسانه فيه على مسمع منها ، مهما بلغ من

سمة صدرها

وقال زكى : « يظهر أنك لا ترضى عنه ؟ »

فقال عاقل : « طيبى ألا أرض عن أى رجل

يخطفها منا »

فقال كريمة : « ولكنه لن يخطفني »

فقال عاقل : « بالطبع سيخطفك ... أنت

ترجستنا الآن جميعاً ولكن غداً ؟ تكونين ترجسته

هو وحده ... ثم إنه سيذهب بك الى الأقصر ،

فلا نمود نراك إلا كل حين وحين »

وقاموا الى طماهم ، فقال عاقل وهو يفرك

الخبز الطرى ، أولبائه على الأصح ، ويقتله :

فانقد وجهها وقالت : « وهل أنا أعرف ! »
 ونهض ليرقد دقائق ، فقد كان والدها في طنطا
 يزوران السيد البدوي ، في البيت متمسكه ، وخطر
 له وهو يعضى الى غرفة من غرف النوم ، وهي تسمى
 أمامه ، أن في وسمه أن يجها ... فان لها لفتتها ،
 وإن كانت دون اللينور - ابلى كما اعتاد أن
 يسميها - أم لا ذا ترك ابلى وتخلى عنها ؟ حافة !
 لا خير في الندم الآن ... ونام وهو يفكر في كريمة
 وفي إمكان ... ولكن كيف يمكن ! كيف يمكنني ؟
 وأيقظته ، كما رجا منها أن تفعل حوالى الساعة
 الخامسة مساء ، فدبده اليها فأنهضته ثم أراح
 كفه على كتفها وهو يقف وأحس أن يده أصبحت
 عفواً الى صدرها ، ولست تديها الناهد ... فشر
 بالدماء تغلى في عروقه ، ودار رأسه فجذبها اليه ،
 وضمها وقبلها ... قبل فها هذه المرة
 وقالت وقد تخلصت من عناقه : « احذر أن
 تفلط مرة أخرى ... لست لك ... »
 فسألها : « ولماذا لا تكونين لي » وخطر له
 أنها تقول له ما قاله هو لا يلى ؟ يا للسخرية !
 قالت : « أنت تعرف ... »
 قال : « أتكرهين أن أحبك ؟ »
 قالت : « هل يحبني ؟ »
 قال : « من يدري ! ربما كنت أحبك ...
 لعل كنت أحبك طول الزمن الذى أتوم فيه أنى
 لأحبه ... لعل هذا كان السبب فيما أحس أنى أعانيه
 من الشقاء ... شقاء الذوى والجفاف ... سارى
 الليلة ... غدا أقول لك هل أحبك أو لا أحبك »
 قالت : « لماذا تهكم على ؟ »

صوتها المطف - : « يظهر أنك تمذبت كثيرا ...
 صوتك وحده يدل على ذلك »
 فقال عاقل بإبتسام : « أوه ... إن أشد
 ما يعذبني ... أفسى ما أكابد ، هو هذا الفراغ ...
 نفسى أصبحت صحراء جرداء فهل ألام إذا رحلت
 ألتمس الرى والخصب ؟ »
 فقالت كريمة : « ولكن زوجتك ...
 لا تستحق هذا منك »
 فقال : « بإفتاقى تملئ هذا الدرس .. لا تنتظري
 أن تظل نار الحب مستمرة .. لا يمكن .. ما من
 شيء في الدنيا يدوم ويخلد على الأيام ، فلماذا يخلد
 الحب وحده ... ؟ هل تحبين خطيبك هذا ؟ »
 فاستحيحت أن تقول شيئا ، ولكنه خيل إليه
 أنه يستطيع أن يقرأ في وجهها أن كل فرحتها هي
 بالزواج في ذاته ، وأنه ليس ثم فيما عدا ذلك شيء
 خاص .
 وكأنا أرادت أن تحول الحديث عن مجراه ،
 فقالت وهي تضحك : « قل لي من تنوى أن تحب ؟ »
 قال : « من تظننيها جديرة بحبي ؟ اختارى لي »
 قالت : « هل تريد أن تزوج ؟ »
 قال : « يا للمرأة ؟ لا تفهم إلا هذا الاحتكار
 الملل ... كلا ... أريد أن أحب ... فاختارى لي
 كما يختار الصاحب لصاحبه الجياد التي يظهر رابحة
 في السباق »
 قالت وهي تضحك : « مرسى ... جملتنا
 جيادا ... »
 قال : « لا تهربي ... إنك تملين أنى لا أعى
 هذا ... فاختارى ... أربنى ذوقك »

على السر . اهتديت إلى أصل الماء . الراحة ؟
كيف السبيل إليها وأنا كالبغل المشدود إلى الساقية
وكلاؤنى أو وقف صاح به صاحبه : « عا...ط »
أو ألهب ظهره بالسوط ... ليس لى سيد ... ولا
أسمع أحداً يصيح بى ليستعثنى ... ولكن السوط
فى يد الزمن ... ووقمه على روى ، لا على الجلد ،
ولو كان على الجلد لكان . نعم يجب أن أرتاح ...
أقول لك ... سأذهب الى لبنان وأخذ زوجتى
وأبنائى معى ... ليتك تبيث منى ... إذن لم
هنائى ... هل تستطيعين ؟

فهزت رأسها فقال : إذا كان كل ما يملك ...
فهذا لقيمة له . ولم يصرح

فقال : « كلا ... يجب أن أكون بعيدة عنك
ما رأيت منك اليوم يوجب الحذر من قربك ...
أنت كالنار ... ولست أريد أن أحترق »
قال : « صدقت ... وأنا يجب أن أجد نارى
ولماذا ؟ ولكن لماذا أخطئ نفسى ؟ »

قالت : « يجب ... لى كبتك ، ولكنى
أعرف أن هذا هو الواجب وألح عليك أن تلتزمه
فأحس أن خنجرأ نفذ الى قلبه ... كبتته ...
وادرغت يده إلى شفره كأنها ظن أنه فى وسعه أن
يرى الشعر الأبيض فى الظلام بيده ... كبتته ؟؟
لولا هذه الشمرات البيضاء ؟؟ أوه ... ما الفائدة ؟
ما الفائدة ؟

وظلت كلنا « ما الفائدة » تدوران فى نفسه ،
ويرددها بلا صوت ، وهو راقد فى ليلته تلك ، على
سريره إلى الفجر حتى غلبه النوم !

ابراهيم عبد القادر المازنى

قال : « والله لى لصادق ... لست أعرف
نفسى ... تعالى ... »

قالت : « احذر ... ألم أقل لى لست لك ؟
ثم ان زكى قادم »

قال : « أهذا كل ما تخافين ! »

قالت : « كلا ... لست لك ... فلا تخرجنى »

قال : « قبلة واحدة »

فهزت رأسها وقالت : « لى أسفة ... مثالة
لك ... أشمر أنك غير سميد ... ولكن ماذا أصنع
اعذرنى »

قال : « أشكرك على هذه . صدقت . لست لى
ممذرة »

قالت : « الآن خذ القبلة . أصبحت
تستحقها . »

فقبلها . لا قبلة خفيفة بل بنهم وشرة ، فقالت
وحى تنأى عنه وتتحنن شفتيها : « أعوذ بالله ...
ورمت شفتائى ، ما هذا ؟ »

قال : « اعذرنى ... صرت كالجلجلى الذى يدخر
للأيام المقبلة .. أيام القحط والحل والجوع .. »

ومضى بهما فى ذلك المساء إلى السيما ، وكانت
جالسة بينه وبين أخوها ، فكان يهمس فى أذنها من
حين إلى حين ، كأنها كان يفترض عليها بما هو دائر
فى نفسه من الخواطر : « صدقت . لست لى »
فكانت تبسم ولا تقول شيئاً . وماذا عسى أن
تقول ؟ . ثم همس : « هل أنت ساخطة على ؟ »

قالت : « كلا . بل أنا متوجة لك . ومتعجة
أيضا : أظن أنك محتاج لى راحة »

قال : « صدقت . إنك حكيمه جداً . وقت

في عنصرة الموت

على جسر أول كريك

لامبروس بيرس بquam عبد الحميد حمدي



- ١ -

على الأقدام ، ولم تكن العين لتقع وراء أحد هذين الحارسين على شبح إنسان ، فقد كان الخط الحديدي يتجه مستقيماً إلى الغابة مسافة مائة ياردة ثم يلتوى ويختفي عن الأنظار ، وما من شك في أن كان هناك وراء ذلك مغفراً مأمي ، وفي الضفة الأخرى من النهر فناء مفتوح ، يحيط به سور من جنوع الشجر العمودية ، التي تستعمل المسافات الضيقة بين أحدها والآخر فتحات لاطلاق البنادق من خلالها ، وفي البناء كوة واحدة تبدو منها ماسورة مدفع من النحاس يتحكم في الجسر ، وفي وسط الطريق بين الحصن والجسر . وقف النظارة الذين سمح لهم بمشاهدة تنفيذ حكم الاعدام — ولم يكن هؤلاء النظارة غير صف واحد من جنود المشاة ، وقفوا موقف الاستعراض ، ارتكزت بندقياتهم على الأرض ، ومالت مواشيرها قليلاً إلى الوراء مستعدة إلى أكتافهم اليمنى بينما أيديهم مشبكة حول سوق هذه البنادق ، ووقف إلى يمين الصف ضابط برتبة ملازم ارتكز من سيفه على الأرض ، وقد استندت يده اليسرى إلى اليد اليمنى . وفيما عدا الأربعة الرجال ، القائمين فوق الجسر بمهمة التنفيذ ، لم يكن أحد ليتحرك ، بل وقف الجميع ينظرون إلى الجسر ثابتين كالصخور الجامدة ، أما الحارسان اللذان يواجهان ضفتي النهر ، فقد

على جسر الطريق الحديدية في آلاباما الشمالية ، وقف رجل ملوى الساعدين إلى ما وراء ظهره ، مشدود الوثاق عند المعصمين ، وقد أحيط عنقه بحبل مهوى معقود إلى صليب من الخشب اللين فوق رأسه ، وقد تدلت نهاية الحبل إلى مستوى ركبتيه . وكانت عيناه شاخصتين إلى السماء السريع الجريان تحت عشرين قدماً من موقفه

وفوق الكتل الخشبية المرتكزة عليها القضبان الحديدية ، وضمت ألواح من الخشب غير مثبتة أعدت ليقف عليها الرجل وجلادوه ، وهم جنديان من جنود المراسلة في جيش الاتحاد يقودها ضابط صف يقاب أنه يعمل في الحياة المدنية نائب عمدة ، وعلى مسافة قريبة فوق هذه البسطة الموقفة نفسها وقف ضابط مسلح ، في ملابس الجندي التي تدل على أنه قائد مائة ، وعلى كل من مدخل الجسر وقف جندي يحمل بندقيته في وضع عمودي أمام مقدمة الكتف اليسرى ، وقد ارتكزت قاعدتها على الزند المعدود أفتياً على الصدر — وهو وضع رسمي غير طبيعي يرغم الجسم على التصلب في وقفة متعبة ولم يكن يبدو من هيئة هذين الحارسين أن من مهمتهما معرفة ما يجري وسط الجسر ، فقد كان كل منهما أن يسدا المر الخشبي المد لبيور اللشين

الحديدية ، وكان موقف المحكوم عليه قريباً من رباط رابع ولكنه غير متصل به . وكان ثقل قائد المائة الذى حل محله ثقل ضابط الصف هو الحافظ لتوازن اللوح الخشبي والحائل دون سقوطه ، فتى أشار القائد لضابط الصف إشارة التنفيذ ، وتدحى هذا عن موقفه مال اللوح بالمحكوم عليه فيسقط الرجل بين رباطين من أربطة الجسر . وهكذا كانت الاستمدادات التى اتخذت لاعدام الرجل بسيطة فمالة ، ولم يكن وجهه قد غطى ولا عيناه عسبنا . ونظر الرجل لحظة إلى موقفه الزرع ، ثم شخص بصره قائماً إلى السماء المضطرب فى عصف جنونى تحت قدميه ، فاسترعت انتباهه قطعة من الخشب ترقص فوق الماء ، فتبعها نظره وهى تسير مع التيار . فما كان أبداً حركتها فى تقديره ، وإياه من نهر بليد مكسال :

أغمض الرجل عينيه وحصر تفكيره الأخير فى امرأته وأطفاله ، ولكن الماء الذى ألقت عليه شمس الصباح وشاحها الذهبى ، وأثر الضباب البعيد فوق الماء على مسافة غير قريبة من موقفه ، والحصن والجنود ، و قطعة الخشب المائعة فوق الماء ، كل هذه المراتب التى وقع عليها ، نظر الرجل التيمس — قد شئت تفكيره ، فلم يستطع حصره كما أراد — على أن عاملاً جديداً للاضطراب قد أضيف الآن إلى هذه العوامل ، فقد شوش تفكيره فى أعزائه صوت لم يستطع تجاهله ولا فهمه ، صوت معدنى ، حاد . واضح ، أشبه بصوت ضربات مطرقة الحداد على السنديان ، قرنة الصوتين واحدة ، ولقد حار فى تعرف مصدر ذلك الصوت ، ولم يستطع أن يتبين إن كان هذا الصوت قريباً منه أو بعيداً عنه — قد خيل إليه أنه قريب وبعيد فى وقت

كأنما أشبه يتمثالين زينان مدخل الجسر . ووقف الضابط قائد المائة مثبك الساعدين على صدره رقب فى صمت عمل مساعديه ، والحق أن الموت لرد مقام عظيم ، إذا أقبل ، ملئاً من قدومه ، استقبل بظواهر الاحترام الرسمية حتى لدى هؤلاء الذين ألفوه ، والسكوت والجود من مظاهر الاحترام فى القانون المسكرى وكان الرجل الذى اتخذت هذه الاستمدادات لاعدامه ، لا يتجاوز الخامسة والثلاثين ، فيما يبدو من مظهره ، تدل ملابسه وهى ملابس المزارعين ، على أنه من الرجال المدينين ، جميل تقاسيم الوجه مستقيم الأنف ، ثابت الفم ، واسع الجبين ، قد سرح شعر رأسه الأسود الطويل إلى الوراء متديلاً خلف أذنيه ، إلى ياقة سترته الحسنة القطع ، ذا شاربين ولحية مديية ، واسع العينين أسودهما ، فى نظره رقة يصعب أن يراها الانسان فى مبنى الرجل الذى وضع عنقه فى خية الجلاد ، وكان واضحاً أن ذلك الرجل لم يكن من التتلة السفاكين ، على أن قانون العسكرية المطلق كفيل بإعدام أى صنف من أصناف الناس دون استثناء للسادة من ذوى الخلق الكريم

وإذ تمت معدات التنفيذ وثب الجنديان المحيطان بالمحكوم عليه عن موقعهما وسحب كل منهما لوح الخشب الذى كان واقفاً عليه ، والتفت ضابط الصف إلى قائد المائة ، غيابه ووقف وراءه مباشرة . وفى هذه اللحظة ترك الضابط مكانه ووقف على مسافة خطوة من مصطبة الاعدام . وكان من أثر هذه الحركات المتتالية أن ترك المحكوم عليه وضابط الصف واقفين على طرفى لوح واحد من الخشب ، مركز على ثلاثة من أربطة الجسر

تحمساً لقضية الجنوب . ولقد حالت ظروف ، لا ضرورة لشرحها هنا ، هي ظروف طبيعية متكررة مستبدة ، دون اشتراك مع الجيش الباسل الذى حارب المواقع الخطيرة التى انتهت بسقوط كورنث وقد تارت نفسه لهذا التراجع المريب ، وتطلع إلى الفرصة التى يستخدم فيها نشاطه فيحقق أعظم ما يطمح إليه الجندى من الصيت الحسن والتميز ، ولقد كان يشمر في نفسه أن هذه الفرصة ستأتى كما تأتى لكل إنسان في زمن الحرب ، وفي الوقت نفسه فقل كل ما في مقدوره أن يفعل . فلم يكن ليألف من أداء أى عمل بالغة ما بلغت تفاهته

لمساعدة الجنوب ، ولم يكن ليتردد أمام أى خطر يمكن أن تنطوى عليه أية مقامرة إذا كانت مما يتفق وخلق الرجل المدنى الذى هو جندى في قرارة نفسه ، والذى أغرته عقيدته السليمة وقلة مؤهلاته بأن يأخذ ولو بجزء واحد — على الأقل — من التلميم الصارخ الشر القاتل بأن كل شيء مباح في الحب وفي الحرب

وفي ليلة ، بينما كان فاركوهار وزوجه جالسين فوق مقعد ريفى على مقربة من مدخل دارهما ، دنا من الباب جندى من الفرسان في ملابس رمادية ، وطلب ماء ليشرب . فكان من أشد بواث السرور إلى نفس السيدة فاركوهار أن تقدم له الماء بيديها البيضاء . وإذا دخلت إلى الدار لتحضّر الماء اقترب زوجها من الفارس الأقرب وسأله في لغة عن أخبار ميدان القتال

فأجاب الجندى : الأعداء مشتغلون باصلاح الطرق الحديدية والاستعداد لتقدم جديد . وقد وسالوا إلى جسر أول كريك ، وأصلحوه ، وبنوا حصناً على الضفة الثانية . وأذاع القائد منشوراً

واحد . وكان تتابع الدقات منتظماً ، ولكنه كان بطيئاً كدقات نافوس الموت . وكان ينتظر — وهو لا يدري لماذا — هذه الدقات بصبر فارغ وتنبه شديد . وكانت الفترات بين الدقات بعضها وبعض قد بدأت بالتدرج ، وأصبح تباطؤها مما يسبب الجنون ، فقد اصطحب هذا التباطؤ الشديد بازدياد الضربات قوة وحدة ، فكانت تؤذى أذنيه كما لو كانت وخزات سكين ، ولقد خشى الرجل أن يصبح متوجماً . ولم تكن هذه الدقات غير دقات ساعته !

وماد الرجل ففتح عينيه فرأى الماء تحتته مرة ثانية . وقال في نفسه : « لو استطعت أن أخلص يدي من قيدهما لكان من اليسور أن أطرح الحية من عنقي وأن أثب إلى الماء . وعندئذ أستطيع أن أتق طلاقات الرصاص بأن أغطس تحت الماء ، وإذا سبعت بقوة وصلت إلى الشاطئ » واندفعت إلى النابذة ثم وصلت سالماً إلى داري . وأحداً الله ألا يزال يبقى بعيداً عن خطوطهم ، وما زالت امرأتى وصدارى الأعزاء وراء أبعد نقطة وصل إليها العدو الفاذى في تقدمه »

وبينما كانت هذه الأفكار ، التى تصورها هنا كلمات تندفع إلى رأس المحكوم عليه بدل أن تخرج منه ، أشار قائد المائة إلى ضابط الصف ، فوثب الضابط منتحباً عن موقفه

— ٢ —

كان بيتون فاركوهار مزارعاً ميسر الحال من أسرة قديمة لها في نفوس الناس مكانة سامية من الاحترام . وإذا كان الرجل مالك رقيق ، وكان كغيره من ملاك الرقيق سياسياً ، فقد كان بالطبيعة من طلاب الانفصال الأصليين ومن أشد الناس

— ٣ —

عند ما سقط بيتون فاركوهار تحت الكبري من الفرجة بين الرباطين ، فقد صوابه ، وأصبح كارجل الذي قارق الحياة ، ولم يوظفه من هذا الحال — بعد أجيال ، على ما خيل إليه — إلا ألم ضغط شديد حول عنقه ، تبعه شعور بالاختناق ، وأحس بالآلام حادة شديدة تسرى من عنقه هابطة في كل عصب من أعصاب جسمه وأطرافه ، وخيل إليه أن هذه الآلام تومض في خطوط معينة تمييزاً دقيقاً متفرعة في كل ناحية من نواحي هيكله ، وهي تدق دقاً متوالياً في سرعة لا يدركها العقل ، وكأنها أنهر من النار الخائفة تصعد بجمراته إلى درجة تفوق حد التصور ، أما رأسه فلم يشعر فيه بشيء غير الاحتقان التام ، ولم تكن جميع هذه الاحساسات مصحوبة بشيء من التفكير ، فلقد طمس جانب التفكير من طبيعته طمساً كاملاً ، ولم يبق له غير قوة الشعور ، وكان الشعور مؤلماً مسيباً للعبء ، كان يشعر بالحركة ، وأحس بأنه منمور في سحابة ملتهبة هو قلبها المتقد ، وأخذ يتأرجح وسط دوائر غير مستقرة ، وهو مجرد من القوة المادية التي يستطيع بها أن يملك قياد نفسه ، فهو يتأرجح دون تفكير وبغير إرادته ، أشبه ما يكون برقص الساعة ، ثم إذا بالضوء المحيط به يتدفع إلى أعلى اندفاعاً مفاجئاً مرعباً مصحوباً بصوت تحط الماء تحطاً خفيفاً ضربه الجوى في أذنيه ، ثم إذا كل ما يحيط به بارد مظلم ، وعادت إليه قوة التفكير ، فأدرك أن الحبل الذي يجمعه في الهواء قد قطع ، وأنه قد هوى إلى قاع النهر ، وليس في ذلك ما يسبب له اختناقاً جديداً ، فلقد كانت الخلية حول عنقه

علق في كل مكان ، أعلن فيه أن كل مدنى يضبط ، وهو يحاول البث بالطرق الحديدية أو جسورها أو أنفاقها أو القطارات ، يشق في الحال . ولقد رأيت هذا المنشور بنفسى —
وكم هي المسافة من هنا إلى جسر أول كريك ؟

— حوالى ثلاثين ميلا

— ألا توجد قوة على هذه الناحية من النهر ؟
— لا يوجد غير مخفر البوليس الحربى على مسافة نصف ميل من الجسر إلى جانب الطريق الحديدى ، وحارس واحد عند مدخل الجسر فقال فاركوهار مبتسماً :

— وإذا فرضنا أن رجلاً — وليكن مدنياً وطالب شتى — استطاع أن يمرق ، غير ملاحظ ، من مخفر البوليس الحربى وأن يتغلب على الحارس ، فماذا يكون في مقدوره أن يفعل بعد ذلك ؟
ففكر الجندى قليلاً ثم أجاب :

— لقد كنت هناك منذ شهر ، ولاحظت أن فيضان الشتاء الماضى قد حمل كيات كبيرة من الأخشاب فكسبها بجانب الدعامة الخشبية عند نهاية الجسر ، وهذه الأخشاب الآن جافة ويمكن أن تلتهم كالحطب

وهنا وصلت السيدة تحمل الماء ، فنسب الجندى وشكر لها صنيعها في احترام شديد وانحنى لزوجها ثم انطلق بجواده . وبعد ساعة ، بعد أن هبط الظلام ، عاد مرة أخرى فر بالزرعة متجهاً إلى الشمال في نفس الطريق التي جاء منها في المرة الأولى

لقد كان الرجل كشافاً في جيش الاتحاد

به بعيداً في كثير من العنف ، وقد أشبه تلويده تلوى
ثيمان الماء ، نجيل للرجل أنه قد صاح مخاطباً يديه :
« أعياده مكانه ! أعياده مكانه ! » فقد أعقب زرع
الغية عن عنقه ألم مبرح قاس لم يكن قد أحسه بعد ،
كان عنقه يتوجع توجعاً مروها ، وكأنما النار تلمب
في رأسه ؟ وقبله ، الذي كان يدق دقاً ضعيفاً ،
وثب الآن وثبة كادت تخرجه من فمه ، وفي الجلسة
دب الألم والوجع الذي لا يطلق في كل قطعة
من جسمه ، ولكن يديه الماصبتين لم تحفلا
بأحره ، فقد أخذتا تفران الماء في عنف ضربات
سريمة إلى أسفل ، مرغمتين الجسم بذلك على الصمود
وشعر برأسه يبرز من الماء ، ثم غشيت حينها
بضوء الشمس للشرقة ، وتمدد صدره في حركة
تشنجية ، وابتعلت رثاء في ألم قتال كية كبيرة
من الهواء لم يلبث أن زفره متوجعاً !

أصبح الرجل الآن مالكا جميع مشاعره
الطبيعية . وفي الحق قد سارت جميع حواسه حادة
متبقلة لدرجة غير عادية . فالاضطراب المروع الذي
أصاب جهازه المضوى قد ضخم هذه المشاعر
وأرهمها : حتى أصبحت تدرك أشياء لم تكن من
قبل تدركها

فهو يحس وقع قطرات الماء على وجهه ويسمع
أصواتها المتفرقة كلما أصابته . ونظر إلى الغابة على
ضفة النهر ، فرأى الأشجار شجرة شجرة ، ورأى
أوراقها واهتزاز كل ورقة وحدها — ورأى
الحشرات تمشي فوق هذه الأوراق ، رأى الجراد ،
والفراش البديع الألوان ، والمنكبوت الرمادي
يصل غزله من غصن إلى غصن ، ورأى الألوان
التاوجة في قطرات الندى وهي تتساقط على الملايين

تحفقه فعلا وتحول دون وصول الماء إلى رثته ،
أيوت في قاع النهر جثثاً بجبل ؟ لقد بدت له هذه
الفكرة فكاهة تمتح على الضحك ! ففتح عينيه
في ذلك الظلام الدامس ، ورأى فوقه وميضاً من
النور ، ولكنه لم يستطع أن يتعرف الذي بينه
وبين هذا الضوء ، ولا مبلغ الصموبات التي تترص
الطريق إليه ! وكان لا يزال يهبط ، فأخذ الضوء
يتضاءل شيئاً فشيئاً حتى أصبح مجرد بصيص ، ثم عاد
الضوء ينمو ويزداد وضوحاً ، إذن هو يرتفع مرة
أخرى إلى سطح الماء — أدرك ذلك كارهاً ، لأنه
كان في مستقره هنا يشعر بشيء من الراحة
والاطمئنان ، وقال في نفسه : « ليس من المكروه
أن يشق الإنسان ثم يفرق ، ولكنني لا أريد أن
أضرب بالرصاص ! لا لن أضرب بالرصاص ،
فهذا أمر غير محبوب »

لم يكن المشنوق الفريق مدركاً أنه يبذل أي
جهد في سبيل الخلاص ، ولكن أنما حداً في
ممصيه نهم إلى أنه كان يحاول تحرير يديه من
قيدها ، فالتفت إلى هذا الجهد كما يلتفت البليد إلى
حركة الشمعدان غير مكترث للنتيجة ، وباله من مجهود
عظيم ! — إلهاماً من قوة هائلة فوق طاقة البشر !
آه . . . لقد كان ذلك جهداً بديعاً : مرعى ! لقد
أفادت الجبل مصمصيه ، وانطلقت ساعدها حرتين
تطفوان فوق الماء ، وقد رأى يديه على جانبيه في
في شيء من التموض ، كأنما يراها من وراء
السحب ، وكان الضوء يزداد انتشاراً لحظة بعد
أخرى ، ولم يلبث أن أهتم بحركتهما عندما اندفعت
الأولى ، ثم تبتها الأخرى وأتبتت على الجبل
المنفرد حول عنقه ، لقد اختطفنا ذلك الجبل وقذفنا

الرامة القاتلي الصيت كلهم من ذوى الميون الرامدية
ومع ذلك فقد أخطأ هذا الرجل الرامة
وأصابت دوامة مبارضة فاركوهار فأكلوته ،
فاذا هو يواجه ثمانية الذابة على ضفة النهر القابطة
للحصن . فسمع من وراءه صوتاً قوياً منها عملاً
يخترق الهواء ، ثم أصاب الماء في غف وشجة غطت
على ما عداه من الأصوات ، حتى صوت قطرات
الماء اللدوية في أذنيه ، والرجل وإن لم يكن جندياً
فانه قد ألف للمسكرات ، فهو يستطيع أن يفهم
دلالة هذه الأغنية القوية البطيئة المضخمة . لقد
كان الضابط على الشاطئ يشترك في أعمال الصباح
فهو في جود وقسوة ، وفي تلعين هادئ يحاول
أن يثبت الطائفة في نفوس الرجال ، فكان ينطق
بهذه الكلمات في وضوح وقسوة وفي فترات متيزة :
« تنهوا .. تجمعوا .. احملوا السلاح ..

استعدوا .. صوبوا .. أطلقوا .. »

فقطس فاركوهار في الماء ، غطس إلى أبعد
ما يستطيع أن يغطس .. فكان دوى الماء في
أذنيه كدوى شلال نياجرا . وعلى الرغم من ذلك
سمع صوت الطلقات النارية ، فلما صعد ثانية إلى
سطح الماء رأى قطعاً من للمدن اللامع تهبط حوله
في ببطء وقد انبطحت في شكل عجيب ، وقد لمس
بمضها وجهه ويديه ، ثم استمرت في هبوطها إلى
القاع ، وسكنت إحداها بين ياقته وعنقه ، وكانت
حارة كالجرة فأنزعها وألقى بها بعيداً

فلما طفا فوق سطح الماء مثلهما إلى استنشاق
الهواء ، أدرك أنه قضى فترة طويلة غاطساً ، فقد
سار مع التيار شوطاً بعيداً ، فأصبح أقرب إلى
السلامة ، وكان الجنود قد انتهوا من إعادة حشو

من أوراق الحشيش . وسمع ظنين البموض الذى
يرقص فوق زوبمة النهر ، كما سمع ضربات أجنحة
فرس البحر وهي تصيب سيقان منكبوت الماء ،
مشبهة القاذيف التى تلطم الماء على جانبي الزورق
لندفعه الى الأمام . وقد تألفت من جميع هذه
الأصوات نغمات موسيقية شديدة الوضوح ، وصرفت
تحت نظره سمكة فسمع صوت تصادم جسمها مع
الماء وهي تشقه على الجانبين

وطفا الرجل على سطح الماء ناظراً إلى النهر
أسفل منه ، وفي لحظة أحس بالبدنيا التى يقع عليها
بصره وهي تدور حوله في ببطء شديد ، وهو نفسه
قد أصبح مركز المائرة ، ورأى الجسر ، والحصن
وقائد المائة ، وضابط الصف ، وجندي المراسلة ،
تلك المجموعة من الرجال التى أنفذت فيه حكم
الاعدام . لقد كانوا كلهم في نظره أشباحاً سوداء
تمترس المدى بينه وبين الماء الزرقاء فصاحوا
وحركوا أطرافهم مشيرين إليه ، ولوح القاذب بسدسه
ولكنه لم يطلق النار . وكان الآخرون غير مسلحين
وكانت حركاتهم سخرية قزمية ، وكانت أجسادهم
كبيرة هائلة

وسمع فجأة صوت طلق ناري ، وعلى مسافة
بضع بوصات من رأسه صدم جسم جامد الماء صدمة
شديدة أمارت رشاشه على وجهه ، وسمع صوت
طلق آخر ، ورأى أحد الحارسين يحمل بندقيته على
كتفه وقد انبثت من فوهتها دخان أزرق خفيف
ورأى الرجل الطافي فوق الماء عيني الرجل الوائف
على الجسر تحدقان في عينيهِ من خلال منظار البندقية
ولاحظ أن هاتين العينين زماديتان ، فذكر أنه قرأ
يوماً أن الميون الرامدية هي أحد السيون نظراً ، وأن

نفسه كاللدومة ، فالساء ، والشاطئان ، والغابة ،
والجسر البعيد ، والحصن ، والرجال ؛ كل هؤلاء
اختلط بمضهم يعض ، وقامت بينه وبينهم سحابة
كثيفة . ولم يكن يرى الأشياء إلا بألوانها فقط .
فهناك خطوط من الألوان المختلفة مستديرة وأفقية
هى كل ما يبدو لناظريه . لقد انغمس فى إعصار ما
لفه وأدار كل شيء فى نظره ، فكاد يفقد الصواب
وبعد لحظات وجد نفسه وقد طرحه التيار على
الرمل فوق قاعدة الضفة اليسرى للنهر — الضفة
الجنوبية فى منحى يخفيه عن أنظار أعدائه . وكان
وقوف حركته للفاخى وجرح يده عند اصطدامها
بالرمال ، هما الماملان اللذان أفاقا وردا إليه الصواب
فبكى سرورا ، ودس يده وأصابه فى الرمل بقبض
منه وهبيل على نفسه شاكرًا له بصوت عال فضله
عليه ، فكانت تلك الرمال فى نظره ذهبًا وألصقا
وياقوتًا وزمردًا ، وفى الجملة لم يكن يذكر شيئًا نفيسًا
الا شبه به ذلك الرمل الدبزر

وكانت الأشجار فوق الشاطئ أشبه بنباتات
عالية فى بستان بديع ، وقد لاحظ أنها منسقة
تنسيقًا خييالًا بأسر المشاعر ، واستنشق لها عبيرًا
منعشًا . ورأى من الفتحات بين سوقها ضوءًا
ورديا خلابًا ، وكان الهواء يوقع على أغصانها نغمات
أشبه بما روت الأساطير من أنغام قيثارة فولس
ملك الريح ، ولم يشعر الرجل بالرغبة فى إتمام هربه
فقد أخذ يجال هذا الموضع الساحر وود أن يستقر
فيه الى أن يقبضوا عليه من جديد

ولكن أفاقه من هذا الحلم الجليل صفير الرصاص
بين الأغصان فوق رأسه . فقد أطلق المدفى الفاشل
عليه قنبلة الواح . فهم واقفا واندفع صاعدًا الى
الشاطئ المائل وغاب بين أشجار الغابة الكثيفة

بنادقهم ، ورأى بريق الكبسات فى ضوء الشمس
وقد أخرجت من فوهات البنادق وارتفعت فى
الجو ثم وضعت فى فتحاتها ، وأطلق الحارسان
النار مرة أخرى دون انتظار أمر ضابطهما ،
ولكن بلا طائل

رأى الرجل المطارد كل ذلك من وراء كتفه ،
وكان فى هذه اللحظة يسبح فى عنف مع التيار ،
ولم يكن رأسه أقل نشاطًا من ساعديه ورجليه ،
فقد كان يفكر فى سرعة البرق ، وقال لنفسه مقبلاً
على ما رأى :

« لن يكرر الضابط هذه القطة مرة أخرى ،
فمن السهل أن يبق الانسان الطلقات الكثيرة إذا
أطلقت معاً ، كما يبق الطلقة الواحدة ، ولعله قد
أصدر أمره للجنود أن يطلقوا أحراراً غير مقيدين
بأمره ، فليكن الله فى عونى لما أستطيع الانفلات
منهم جميعاً »

وهل بعد يارتدين من مكانه سمع صوتاً مرعباً
ردد الحصن صده ، ثم أعقبه انفجار هائل أثار ماء
النهر من قاعه ، وارتفعت فى الجو صفحة من الماء
ثم سقطت فوقه فأحتمته وخنقته ! لقد اشتبك
المدفع فى المطاردة ، وإذ خلس رأسه من الماء
الذى غمره ، سمع صوت القنبلة الثانية تصفر فى
الهواء ، وبعد لحظة اصطدمت بأشجار الغابة بعيداً
عنه ، وانفجرت بينها ، فقال فى نفسه :

« إنهم لن يفعلوا ذلك مرة أخرى ، وسيطلقون
فى المرة القنبلة قنبلة متفجرة ، فلأترقب المدفع
بنظري ، وسيدلنى الدخان ، فالصوت يأتى متأخراً
لأنه يلكأ وراء القذيفة ، وهذا المدفع من
النوع الجيد »

وجاءه رأى الرجل نفسه يهوى دائراً حول

جحظنا فلم يمد في مقدوره أن يغمضهما ، وجف لسانه من العطش فحاول أن يخفف من حرارته بإبرازه من بين أسنانه فيبقى به الهواء البارد . وما أسرع ما غطت الحفرة الطريق غير المسلوكة ببساط لين سميك ! فلم يمد يشمر بصلابة الأرض تحت قدميه !

لقد نام الرجل — على الرغم من تعب — وهو يسار على قدميه ، ما في ذلك من شك . ولأنه يرى الآن منظرأ جديداً — ولعله قد صحا من نوبة أصابته من هول ما لقي . إنه لواقف أمام باب بيته ، وكل شيء تقع عليه عيناه باق كما تركه ، وكل ما يرى وشاء جميل تحت شمس الصباح المشرقة ، فلا جدل في أنه قد سرى الليل كله . ولقد دغم الباب فافتتح ومشى في الممر الأبيض الواسع ، فأبصر اهتزاز ملابس نسوية على بضع خطوات منه ، وهذه هي امرأته — في نضارتها وثيابها وجلالها — تهبط درج الشرفة لتستقبله . ولقد وقفت عند قاعدة السلم تنتظر إقباله عليها ، وقد غمرت وجهها ابتسامة تنبئ عن فرحة يميز القلم عن وصفها ، وهي في موقفها هذا مثل للمظلة والسهم غير مقارن . آه ما أجملها ! لقد وثب إلى الامام مفتوح الساعدين ، وهو على وشك اجتصاصها إذا هو يشمر على مؤخر عنقه بضربة صاعقة ؟ وإذا ضوء أبيض يمشى الأبصار يكتنفه من كل ناحية مصحوبا بصورة كموت الدفع المصمى — ثم إذا كل شيء مظلم ساكن !

لقد مات بيتون فاركوهار ، وهذه جثته مكسورة العنق ، تتأرجح في الهواء ، في تودة ، من ناحية إلى ناحية ، تحت دعائم جسر أول كريك هيد المحير حمري

ومشى اليوم كله مهتديا بحركة الشمس . وخيل إليه أن الغابة تمتد إلى غير نهاية ، ولم يقع نظره في أية ناحية من نواحيها على طريق مسلوكة ، حتى ولا درب من دروب قطاع الأخشاب ، ولم يكن يعلم أنه يسكن في منطقة موحشة كهذه . ولقد كان لهذا الكشف في نفسه أثر عجيب !

ولم يأت المساء حتى كان التمسب قد أخذ منه ، وكانت قدماه قد أنهكها المسير ، وقد أوشك أن يهلك من الجوع

ولكن التفكير في امرأته وأطفاله كان حافزا له على مواصلة التقدم ، ووجد آخر الأمر طريقا ، هي فيما يعلم الطريق التي توجه الاتجاه الصحيح . وكانت طريقا واسعة مستقيمة أشبه بطرقات المدن ولكنها لم تكن مع ذلك مطروقة ، فلا الزارع تكتنفها ولا على مقربة منها يلوح أى أثر للساكنين وحتى لم يسمع بها نباح كلب ينبئ عن وجود إنسان ، وكانت الأشجار الباسقة السوداء تؤلف جدارين مستقيمين على جانبيها ، يلتقيان على مدى النظر في نقطة في نهاية الأفق ، ونظر الرجل إلى السماء من خلال هذه الفرجة التي تشق الغابة ، فرأى مجموعة كبيرة من النجوم الذهبية المضيئة ، ولكن منظرها لم يكن مألوفا له ، وكان يجمعهما عجيبا ، ولم يكن يشك في أن هذه النجوم قد رتبت في نظام معين يجعل في طياته سرا سبي الدلالة ، وكانت الغابة من الجانبين تدوى بأصوات غريبة ، سمع بينها أكثر من مرة كلاما بلغة لا يعرفها

وأحس فاركوهار الألم يشتد في عنقه فرفع يده يتحسس موضع الألم ، فوجد العنق قد غار غورا مقزعا ، وكان على بيته من أنه يحوط بدائرة سوداء من أثر الجبل الذي ضفطه ، وشمر كأن عينيه قد

الرسالة الاخيرة

بقلم رالف بلومر

ترجمة محمد عبد الفتاح محمد



إحالة وتوانيه . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل راح يقدر فيه وينال منه أمام زملائه في الجيش وإخوانه وقد قال له فيما قال . . . « فورلاندا . . . سوف لا تسلم من ارتكاب الحماقات والأخطاء مادمت حياً . . إن حياتك المليئة بالأغلاط . منعمة بالأخطاء منذ أن أدركت معنى الحياة . وإنى أقول لك على رؤوس الملأ : إن دخولك في رحمة الله أو إلقاءك في قرارة الجحيم لن يكون ألبتة سوى نتيجة حتمية لاحدى هذه الفطالت . . . أيها الرجل ! إنك تمشي على الأخطاء وستموت من جرائها » وأطلق فورلاندا العنان لأفكاره تملق في أجواء السنتين السابقتين ، وهو يكتب عنوان الكولونيل على الظروف

ونعى الظروف جانباً ، ثم أمسك بأحدى يديه الرسالة التي كتبها منذ لحظة . بينما كانت يده الأخرى تمتد في حركات عضبية مضطربة بمسح متوسط الحجم

وراحت عناء تجرّيان على كلمات الرسالة
« الكولونيل أ . ه . با كستر

سيدى الكولونيل

أرجو المذرة يا سيدى إذا وجدت أن هذا الكتاب لا يمت إلى أعمال الجيش بصفة . وسوف أكون - حينها يصلكم هذا - إما في جنة الخلد

أخذ الناس على أنفسهم أن يتجنبوا سبيل الأخطاء ، ووضعوا نصب أعينهم أن يجيدوا عن طريق الأغلاط ؛ ومع ذلك فكثير منهم من يهوى في هاويتهما ، ويتردى في حماتهما ؛ بل أصبحت وكأنها من مستلزمات الحياة ، أو من ضروريات البشر ، فقد ترى البعض يتدارك الخطأ قبل الوقوع في نتائجه ، والآخر يقع فيه ويتخبط في أشراكه وجرائره

بيد أن الأخطاء كثيراً ما يعمو بعضها بعضاً . وهنا نرى أن القدر يشاء للبعض أن يمضي من وراء ذلك ويربح . . . ويشاء للبعض الآخر أن يخسر من جرائه بل وبهك

أخذت يد « جرافيل فورلاندا » ترتجف ارتجافاً تحت المصباح الكهربائي الموضوع على المكتب ، وهو يترع كأسه من شراب البراندى . وما كاد يفرغ من ذلك حتى تقلصت يده على الكأس وتقم : لقد انتهت كل شيء ، وعما قريب سأسمى في حالة أخرى ، آمن بها كل عدوان الدنيا وغدرات الناس ، وهجران الزمن

ثم غيب يده في درج المكتب وأخرج مظروفاً وضمة نصب عينيه
لقد ظلّا ناب عليه رئيسه الكولونيل با كستر

وقد تقول : إنه كان في وسلك أن تقتض
البلغ غير أنى سوف لأكون ملك إبان اكتشاف
الحادث ، بل إن روى هي الأخرى ستأني أن
تحضرك ، لأنى لأرضى أن ترجحك . ولا أود أن
تهيجك

وإنى على يقين أن رحيل إلى العالم الآخر هو
خير سبيل تطرق ، وأفضل طريق تسلك ؛ ودعى
أقول لك : وداعا يا سيدى الكولونيل !

الخلاص

جرافيل فورلاند
ملازم أول

وغيب الرسالة بعد ذلك في الظروف وختمه...
ثم ألصق عليه أحد طوابخ البريد . وكان هو يفعل
ذلك حلقا ساهما ، مفكرا واجما ، تتناوب وجهه
الجرة والصفرة . يرى يديه ترجف وأصابه ترتعش..
ولم يكن ذلك لما يشعر من تأنيب في الضمير لسرقته ،
أو وخز في النفس لقلته . بل كانت ذلك لأنه
لا يستطيع درء الفضيحة عنه ، ولا يمكنه دفع البار
بميداء منه ، ولأنه سيفقد عمله لما أتاه من المنكر ،
ولما اقترفه من الجرم

إن السبيل الوحيدة والطريق السهلة المعبدة .
للخلاص من الفضيحة ، والاعتقال من المارالمدين .
سيجرهما عليه اكتشاف الحادث . هي رصاصة
تخترق رأسه

وأبصر يده ترجف وهو يشمل إحدى لفافات
التبغ ، فأيقن أن تظاهره بالثبات وإدعاءه الزانة
والهدوء إنهما إلا قناعا شفافا يخفى وراءه ما يصطخب
في نفسه ويصع من عوامل الرعب والفرع الهائلة ..
وقال بلهجة الرائق يحدث نفسه :

— سينتهى كل ذلك سريرا .. ما هي إلا ضغطة

أو في عذاب السمير . هناك حيث ينال المرء جزاءه
من جنس عمله . وقد فضلت هذه النهاية وأثرتها
لأنى عجزت عجزا بينا عن إعادة ما امتدت إليه يداى
الاكتئان من أموال الفرقة التي وكلت بحفظها .
ودُسِّد إلى أمر حراستها والنيابة بها . ولا يجب
إذا وصلت كتابتى هذا قبل اكتشاف الحادث ،
فذلك ما عملت على أن يكون

وكان الأمل يشيع في نفسى حتى الآن ، لظنى
أنى لا بد ووجد طريق الخلاص الذى ينتهى عن
ذلك المأزق الضيق الخائق . وكان مما يغمى نفسى
بالأمل ويفيض عليها بالرجاء ، أن يوم اكتشاف
الحادث ليس منا بقريب ، بل دونه أيام عديدة ،
وليال كثيرة تمكننى من إخفاء الأمر وتسديد
المعجز وإكمال النقص

غير أن الأيام قد مرت ، واليالى قد تصرمت ،
وأصبح اليوم الروح الهيب قاب قوسين أو أدنى
فلا يمر الليل حتى يفيض نوره ، ولا تغضى ساعات
إلا وبنزغ فجرة وترجل شمس . كل ذلك وأنا كما
كنت . . . عاجز عن إخفاء الحادث ، أو إكمال
النقص الذى أحدثته يداى الموثنان .. فليس أمامى
في هذه الحال غير السجن والمار .. سوى الخراب
والدمار . . وليس ذلك مما أسيفه أو أرضاه

أما عن البالغ المختلس فقد بلغت قيمته حتى الآن
ستائة جنيه أو تزيد . فهل يدور بخلدك يا سيدى
أنه في وسعى إعادته الى مكانه من الخزنة دون أن
يدرى أحد ؟ قد يكون ذلك ممكنا من وجهة نظرك
ولكن المعجزات لا تحدث في عصرنا هذا يا سيدى
الكولونيل ، إنما الأخطاء تغيب هي التى يشيع
حدوثها ، أو إحداها إن شئت

« سيدى : لقد أسرنى عمك جيمس . ب .
مويث أن أرسل إليك هذا الكتاب وبه ألف من
الجنهات ، وهى نتيجة الارتفاع المفاجئ لأسهم
شركة آبار البترول ، التى كان لك حظ الاشتراك فيها
عند فجر حياتك »

وكانت الرسالة ماهرة بامضاء مسجل ثم
وأحسن فورلاند رغبة ملححة فى أن رفع عقيرته
الصباح فرحاً وابتهاجاً ، هاهى ذى ألف من
الجنهات فى يده . . ملكه وحده ، لا يتنازعها فيها
منازع . ولا يشارك فيها شريك ، سعيد ما اختلعه
فى صبيحة اليوم التالى قبل اكتشاف الأمر دون
أن يعلم أحد . . أية معجزة أية خارقة . . أى حظ
سعيد ؟ لقد هنأ بالمعجزات وهاهى ذى قد حدثت ،
وسخر من الخوارق وهاهى ذى قد حلت

بيد أنه عبس قليلاً وهو ينظر الى المال ،
لساذن لم يرسله عمه صكا على المصرف ؟ ولكنه عاد
وتذكر أن عمه يمت بمعاملة البنوك ، بل هو لا يتق
بها ولا يأمن لها ، إن عادته دوماً أن يدفع بالنقد
وتذكر قول عمه له ذات يوم : « اصغ الى
يا فورلاند ، إن شركتنا هذه وإن كانت لا تدر
علينا أى ربح الآن . فانها ستفقد فى مدى زمن
— طال أمر قصر — من أعظم الشركات الدولية
فى العالم » إذن فهذه هى أولى الأرباح . . . إذن
سترى عليه البالغ بعد الآن . . .

وفورلاند يعلم عن عمه أنه ما كان يرسل إليه
فلسا واحداً ، إذا درى بموقفه الدقيق الخرج ، إنه
— أى عمه — يكره أن يرى أحد أفراد الأسرة
يتلوث بهذا المار ، ويتفرغ فى هذا الرجس . وتقلب
جبينه وهو يفكر . . . حسناً . . . سعيد المال
المسروق فتنبق له بعدئذ أربمائه جنبيه أو تقتل ، ولن

واحدة لهذا الزناد وينتهى الأمر كله ! بل ويشقى على
أى أحد أن يلحق بى أو ينالنى
وأخفى السدس فى أحد أدراج المكتب ، ثم
تناول الرسالة ، وغادر البيت ليودعها صندوق
البريد ، أى حظ تمن ذلك الذى يلازمه ؟ من له
بمن يعد له يد المون فيرد المال المطلوب قبل أن
يجردوا الخزائنه ؟ أى دهر جائر ظلم ، هذا الذى
يأبى مساعدته وتخليصه من وهددة المار التى تردى
فيها ، وهابية الذرن الذى تمرغ فيه ؟
وتقم فورلاند يحدث نفسه :

— هاهوذا آخر يوم من أيام حياتى ، لينقضى
نحت سعى وبصرى
وألقى الرسالة فى صندوق البريد ، ثم كر راجعا
الى مثواه

وهناك أخرج السدس وأدناه من رأسه المغموم ،
وزم شففيه ، وأغمض عينيه ، وراحت أصبعه
تضغط على الزناد شيئاً فشيئاً . وكاد كل شيء ينتهى ،
لولا أنه سمع وقع أقدام تقترب منه أعقبه سملة
مكبوتة ودق خفيف على الباب

ودخل الخادم فألقى سيده منتحيا فاحية من
المكتب جالسا فى تراخ وتحوّل ، أما السدس فقد
كان غثفيا وراء عتبة السجائر
— لقد جاءت الآن فقط يا سيدى

فاه الخادم بهذه الجملة فى صوت خافت ولهجة
احترام وهو يمد يده الى سيده برسالة مسجلة . . .
فتناولها فورلاند بيد مرتجفة ثم أومأ إليه بالانصراف
وفض المظروف فى مجلة واضطراب فسقطت منه
الرسالة وهو يخرج حزمة من الأوراق المالية كانت فيه
والنقط الرسالة وأخذ يقرأ ما جاء فيها بسنتين
جاحتين

وهو يدل إليهم بأنه أرسل بحض الخطأ والتسرع
خطاباً يود استرداده . ثم وصف لهم المظروف
فأجاب أحد المال في رقة مشوبة بحزم أن إعادة
أية رسالة إلى صاحبها ضرب من المستحيل وأفهمه
أن مصلحة البريد تمد نفسها مسئولة عن الرسائل
حتى تصل إلى الرسالة إليهم

فأخذ فورلاند يتهدد ويتوعد تارة . ويلين
ويتذلل تارة . وكان كل ذلك عبثاً . فبلغ إليهم
بالرشوة ، ولوح لهم بالمال . وقد رفع البالغ حتى
أخفى يقرى الرء على خالفة ضميره والاخلال
بواجبه ، فنظر إليه العامل نظرة شذراء مليئة بالهكم
والاذدراء . ثم أدار عنه وجهه واستغرق في عمله
نفرج فورلاند يلتمس الهواء البارد الرطب
عساء يلطف من هاته النار التي تضطرم بين أضلعه
اضطراباً ولله يخمد ذلك السعير الذي يحترق في
أحشائه احتداماً

وترافقت على صفحات ذهنه كلمات الكولونيل
التي طالما صوبها إليه ممرساً به قادحاً فيه « إنك
أيها الرجل تمشي على الأخطاء وسوف تموت من
جرائها »

وفي مأواه غرق في مقعده وراح يشحذ ذهنه
ويكد قريحته لعله يصل إلى حل لتلك المعضلة
الجديدة أو عساه يجد طريقاً للخلاص مما وقع فيه
من الخطأ مرة أخرى

وهبط الليل وانتشرت معالم السحماء الطاخية
على الكون . بل مضى كل الليلة إلا قليلاً واقترب
الفجر وكاد يبرخ . وفورلاند لما يجد بعد حلا
لتلك الاشكال الجديد ، وظل جالساً بأعين حاذقة
وجفون مفرقة ، وشعر مشعث وخدين أصفرين
غائرين

يكون هناك ما يشينه ويصيه أمامه أو يحط من
قدره . بيد أنه أن كوحش حبيس ، وزأر كأسد
جريح ، حينما تذكر الخطاب التي أرسله إلى
الكولونيل بمنوان بيته في « إست كوست » ...
لامرية أنه سيتسلمه في الصباح الباكر

وهب واقفاً في ذعر .. ما الذي يحق الشيطان
جعله يتسرع ويرسل الكتاب ؟ أما كان أولى به
أن يترث إلى الصباح ؟ إنه لا يسهه الآن أن يتلقى
الأمر أو يتفادى الكارثة . . ولا يمكنه أن يمسد
المال ، ويزعم أنها مضرة من مضره ، أو بهزلة
أراد بها التسلية واستطلاع ما قد يحدث . فقد
يرتاب الكولونيل في الأمر . ويجرد الخزانة بعين
أخرى .. منتبهة متيقظة . ويميط اللثام عن التلاعب
الذي أحدثه بالمال منذ سنتين

وألقى فورلاند للسدس في درج الكتب .
ووضع المال في حرز حرز . ثم تناول قيمته وغادر
مشوا إلى صندوق البريد

يا للعظ الشمس . ويا للأمل الخائب ! لقد
أفرغت الرسائل التي في الصندوق منذ عشر دقائق
خسب

وترامت له أشباح السجن والفضيحة والمآر .
فجن جنونه . إن مصيره الآن في يد رجل ، ولو أنه
طبيب القلب إلا أنه لا يلين ولا يرحم في مثل تلك
الأمر . ثم إن عمه جيمس لا يتردد في اذدرائه
ولفظه والتبره منه إذا بلغه خبر جريته الشنماء وإثمه
الكبير الزرى

وأبصر مكتب البريد يجثم في نهاية الطريق
فهول إليه . وألفاهم هناك في مجلة من أسهم وهم
يفرزون الرسائل

وارتدى فورلاند ثوب الهدوء وثبات الجنان

وغرق في مقدمته ثم تتم :

— السجن ١١١ ...

واعتدل في جلسته بقنفة ثم أردف :

— سيأتي البوليس بين لحظة وأخرى ...
أجل ، سيأتي فوراً . ألم ينبئ الكولونيل بالسبب
الذى حدا به إلى الانسلاخ من هذا العالم والتخاوص
من الحياة ؟

وعادت وتراءت له أشباح السجن والماء والدمار
ونفخ مرة أخرى ثم جلس على حافة المكتب

وأفرغ في جوفه كأسين مترعتين من الشراب

ثم امتدت يده تبحث عن المسدس

— كل ذلك من أجل غلطة ... غلطة واحدة
ألا ليتنى تريت قليلاً قبل أن أبث بهذه الرسالة
الليينة

ثم رفع السلاح إلى رأسه اللئيم بالمرق البارد
في عزم وإصرار

وعلى عتبة الباب الخارجى راح الخادم يتفكر
ويدبر النظر في رسالة سلمها إليه موزع البريد ،
وكانت تحمل — فضلاً عن عنوان الكولونيل
باكستر — ثلاثة أحرف توى إلى أن اسم الراسل
مكتوباً على الوجه الآخر من الظروف
وزجر موزع البريد يقول :

— إنه لا يحمل اسم البلد المرسل إليه ، وقد
أعدناه لنقص العنوان . كثير من الناس يقع في
مثل هذه الغلطة ... يا لآلهي ! ما هذا ؟

« وهذا » هذه كانت طلقة نارية دوت في
سكون المنزل العميق أعقبها سقوط جسم على الأرض

محمد عبد الفتاح محمد
بالساحة والنجم بينها

ستصل الرسالة إلى الكولونيل بعد بضعة
ساعات فيقرأها ويدرك كل شيء

ليس هناك سبيل لنزع ذلك ، على الرغم من
أن الخطاب لا يزال في مكتب البريد . يا لله !
كيف يمنع وصوله ؟ لقد أصبح ذلك مستحيلاً ،
لأن الكولونيل يتسلم رسائله يدأ بيد من موزع
البريد . وزأ فورلاندي يقول :

— لماذا لم أترث قليلاً ؟

واختفى فورلاندي المرح الطروب ، واحتل
مكانه فورلاندي آخر وحشى النظرات . كساء اليأس
نوب الجنون ، وأورنه الهم والقلق حالة التوحش
ها هو ذا الخراب يتراءى له كوحش هائل
يريد ابتلاعه ، والدمار يهاجمه كجراح جبار يبني
اختطافه ، ومع ذلك كان في وسمه أن يتفادى ذلك
لو أنه لم يخطئ ويرسل ذلك الخطاب

وملاً كأسه من الكونياك ودفعا إلى فمه بيد
ترتد في شدة وعنف ، حتى لقد تساقطت قطرات
من الشراب على أرض الغرفة

واقبه أخيراً من ذهوله فرأى أن الصبح قد
تنفس وزغ النهار وأضاء . فأخذ يضعك بينا
كانت أصابعه تهبث بالأوراق المالية عنها بشيء
نافه لا خير فيه

إن الكولونيل ليرفض رفضاً باتاً أن يأخذ منه
المال ويودعه الخزنة دون أن يظن إلى الأمر أحد
يا للخراب ! يا للدمار ! لقد خرب ودمر ...
كل ذلك من جراء غلطة واحدة . ألا ليتني تريت
إلى الصباح ، أو إلى أن أمّاه المال من عمه

ونظر إلى الساعة فألفهاها تشير إلى التاسعة
سبستم الكولونيل باكستر الرسالة حالاً ...
إنه يقرأها الآن ، وربما يكون قد أخطر البوليس



- ١ -

كان يقول لسيدة ونظراته تنطق بالروعة والاحجاب :
 « لسوف يكون ابنك قاضياً يوماً من الأيام . »
 وكانت الأيام لا تترى إلا وفي أحشائها أم حبيب
 جدد ؟ فمتدما بدأ الطفل يتعلم كيف ينقل خطاه
 بعضها في إثر بعض ، رأى رتشاران في ذلك عصرًا
 جديدًا من تاريخ البشر . حتى إذا ما جال لسانه في
 شدقه بلفظ : « بابا » لأبيه ، ولقب « ما — ما »
 لأمه ، وكنية : « شارنا » لمريه ، استخف الزح
 رتشاران ، فراح ياقى بالغير إلى كل من بصرت
 به عيناه

وأنى على ذلك حين من الدهر فأصبح على
 رتشاران أن يظهر عبقريته بأساليب أخرى ؛ فقد
 كان عليه أن يلعب دور حصان مثلاً ، يشب على
 أقدامه ويمسك اللجام بين أسنانه . ثم يصارع حله
 الخفيف ، ويمتثل ليرتى على ظهره مهزوماً متغلباً .
 فان هو فشل فثم سخب ونخب

وفى ذلك العهد حول أنوكول إلى مقاطعة على
 ضفاف البادما . فابتاع لابنه — وهو في الطريق إلى
 كلكتا — عربة صغيرة ، كما اشترى له صداراً من
 ساتان أصفر ، وقيمة ذات شرائط مذهبة ، وأساور
 وخلاخيل من ذهب . فكان من دأب رتشاران
 — كلما خرج في زمة مع صاحبه — أن يخلعها
 عليه جميعاً في زهو وكبرياء

كان رتشاران يبلغ من العمر اثني عشر عاماً
 عندما لحق بمجده سيدة ، وإذا كان ينتمى وإياه إلى
 جنس واحد فقد صار إليه أحر المنايا بأنه الصغير
 ودار الزمن دورته فانقلبت الطفل من بين ذراعى
 رتشاران ليذهب إلى المدرسة ، ثم إلى الجامعة ، ثم
 ليتبوأ منصباً في القضاء

ولقد انفرد رتشاران بمجده طيلة ذلك العهد
 حتى إذا ما تزوج شعر الرجل الأمين بأنه قد أصبح
 مولو لسيدين بعد أن كان تابعاً لسيد واحد ، فقد
 طار من بين يديه ما كان له من سلطان ، ثم استقر
 على بساط السيد الجديد

غير أن رتشاران لم يلبث أن صرفه عن كل
 ذلك قادم ثان ، فقد أنجب أنوكول طفلاً ، وملك
 رتشاران قياد الطفل بلطف عنايته ، وحسن رعايته
 فكان يلاعبه ويداعبه ، ويلافيه ويناغيه ، ويلصق
 خده بمجده ، ثم يبعده عنه وقد أضادت صفحته
 ابتسامة لطيفة

وسرعان ما استطاع الطفل أن يحب وأن يجوز
 باب المنزل ؛ وعند ما كان رتشاران يذهب ليأق به ،
 كان يجلبل بضحكات عابثة ، فيأخذ المعجب من
 رتشاران مأخذه ، ويدهش لما يبيده الطفل عند
 مطالعته من تدبير يارع ، وحكم صائب . حتى لقد

فأشار يسه إلى الاتجاه المضاد وهو يقول حافزاً مستتيراً : « انظروا ! انظروا ! أيها الطفل ! انظر هذا الطائر .. » ثم دفع بالربة بعيداً عن الشجرة وهو يدمدم بأصوات لا معنى لها

ولكن ليس من اليسير أن يخدع طفلٌ قسم له أن يتربع على أريكة الحكم ، ويتبوأ منصة القضاء ! ثم إنه لم ير شيئاً خليقاً بأن يلقى إليه باله ، أو يوجه أنظاره ؛ وإلهامه بوجود طائر خيالي أمر لم يمد في الامكان

وتشبث السيد الصغير برأيه ، فوضخ له رتشاران ، وقال أخيراً : « حسناً أيها الطفل ، اجلس أنت في عريتك قرر المين ، وسوف أذهب فكائك بما شئت من زهر جميل .. ولكن حذار أن تقرب الماء .. »

وما كاد رتشاران يذهب حتى هرع الطفل صوب الماء الذي حرم عليه ، كان النهر يمدو ويتدافع صاخباً مزبداً ، فكان الوبجيات المصبية أطفال آبهة من رتشاران ، مدوبة بضجكات ألف طفل سوياء .. فتجوب فؤاد الصغير بالأعيانها ، فأنسل من عريته يندو شطر المجرى ؛ وبينما هو في ذلك إذ بصر بعضاً صغيرة ، فأنحى بها على النهر وكأنه يصطاد ، ولكن أرواح البحر كانت تدعوه إليها ، وتناديه أن تمال نلعب ونغزح في صرعتنا الوسيع

وكان رتشاران قد قطف ملء قبضته زهراً ، وعاد وهو يحمله في طرف ثوبه ، والسرور علاً عطفه ويشيع في أسارير وجهه ؛ ولكنه عندما بان مكان الربة لم يجد أحداً ، فجال بطرفه فيما حوله ، فلم يجد أحداً ، فجمع إلى الربة بصره ، فلم يجد أحداً ، فتجمد الدم في عروقه ، ودارت الدنيا من حوله ، وكأنه يسمع في ضباب كثيف ، وانبعثت

ثم أقبل فصل الأمطار فأنشأت السماء تمطر الأرض بشكايب مزين هطال . فكان النهر الجائع أفعوان هائل يزدرد كل ما يصادفه من المنازل والقرى والحقول ، وينمر بفيض مياهه الحشائش الطويلة المشرفة على الساحل الرمل . وبين الفينة والفينة كان بدوي في الفضاء صوت ارتطام المياه بالشاطئ ، وكنت تستطيع أن تسمع هدير التيار من بعد قصى ، فإذا اقتربت من النهر هالتك تلك القادير العظيمة من الزبد يدفعها التيار دفعاً عنيفاً ونغيض ماء السماء بعد ظهر يوم من الأيام فلاح النفس رائقاً دقيفاً وإن جلات النجوم السماء . ولم يرض السيد الصغير أن يقبع في عقر داره في مثل ذلك اليوم الجميل ، فاستقل عربته الصغيرة ، وراح رتشاران يجره في توان ومخاذل ، حتى إذا ما شارف ضارح الأرز الممتدة على شاطئ النهر لم يجد أحداً ، فلا في الحقول أمحاجها ولا في النهر قواربه . وإنما انشقت السحب وراء الباب من شمس دامية مودعة ، كأنها سفينة يحترق في خضم زخار

ووسط ذلك السكون العميق أشار الطفل بأصبعه إلى الأمام على حين غرة ، ثم صاح : « شارنا ! » فعلى مقربة منهما وسط دفعة مستوحلة كانت تقوم شجرة باسقة من أشجار « الكادامبا » وكان السيد الطفل يرمقها بنظرات مأوفا الطمع والتشعبي ، ففهم رتشاران مراده ، إذ كان قد اتخذ له من أزهارها شبه عربة صغيرة منذ عهد قريب . وما كان أشد سرور الطفل وهو يجرها هنا وهناك ! لقد شغلته اليوم بطوله حتى عن أن يلجم صاحبه ، فارتفع من حصان إلى سائس ! وما كان رتشاران يتوافق إلى أن يخوض في الطين حتى ركبته ليحصل لسيدة على الزهر ،

لقد كان الطفل زين يحل من ذهب ... »

- ٢ -

واردت رتشاران إلى قريته عززونا كاسف البال، فلم يك قد نسل حتى ذلك الوقت ، ولم يبق له أمل في نسل . . إلا أن زوجه أنجبت طفلاً قبل أن ينسلخ على قدومه عام ، ثم قضت بحبها ، وخلفته فريسة حنق عظيم ، يشظه صراى طفله ، وتتماون النظنون أنه ما جاء إلا لينصب السيد الصغير مكانته ، ثم أليس من البنى أن يقر بطفله عيناً ، وسادته يتقلبون على القناد وجداً على إبهم وألماً ؟ ولولا رحمة أرملة وقفت نفسها على العناية بالطفل لما عاش إلا قليلاً ولكن تحولاً طراً على عقل رتشاران ثم سكن فيه شيئاً فشيئاً . لقد راعه أن بدأ الطفل يحب بدوره هنا وهناك ، ويجوزاب المنزل وقد ارتسمت على وجهه علام الغلب والعبث ؛ وكان هو الآخر بارع الحيلة زكى الفؤاد إن شاء هروبا ، بل لقد كان بنبرات صوته ، ورنين ضحك ، وعويل بكائه ، ولطيف إيمائه ، يشبه السيد الصغير حدوك القذة بالقذة ؟ حتى لقد كان يحيل لرتشاران وهو يصيح أن سيده الصغير يناديه من وادى اللوت السحيق ، ويصرخ باكياً لفقد « شارنا »

وسرعان ما بدأ الطفل يلوك الكلام ، فعرف كيف ينادى « با - با » و « ما - ما » في لغاه طفل رضيع ، وأنبج السر أمام عيني رتشاران إذ راح السيد الصغير يناديه « شارنا » بعد أن يمث في بيته قارة أخرى

ولم يصد بخامر رتشاران أدنى شك في صحة هذا الزعم ، فقد رأى الطفل نور الحياة بمد وفاة السيد بقليل ، وأبوه على يأس من أن يجيى الخاض زوجة الماقر ، ثم إن القادم الجديد كان يصر كيف ينادى « با - با » و « ما - ما » ، وكانت

من أجناء صدره الكسير صرخة بتراء : « مولاي ... مولاي ... مولاي الصغير . . . » ولكن أحداً لم يناده : شارنا ، ولا تحك من خلفه طفل عابث ، ولا جابوته صيحة مرح من قلب صغير ، ما طرق أذنيه إلا هدير البحر يبلو صاخباً مزجراً كما كان ، كأنه لا يعلم مما حدث شيئاً ، أو كأنه ليس خليفاً أن ياق السمع إلى ذلك الحادث الانساني المارض ، إلى موت طفل . .

ومضى الليل لا يزيد قلب السيدة إلا خوفاً واضطراباً ، فبمشت بالرجال يجوبون الحى باحثين ، فانطلقوا والمشاعر في أيديهم حتى شارفوا ضفاف الپادما ، حيث ألفوا رتشاران يحتاج للزراع كأنه صرصر غائبة ، ويصبح صيحة اليأس : مولاي . . مولاي . . مولاي الصغير . . .

وعند ما عادوا به إلى المنزل خر تحت قدمي سيده صمعا ، فراحوا يهزونه ويسألونه عن مكان الطفل ، فلا يظفرون منه بشئ

وأيقن الجميع أن الپادما قد ابتلع الطفل ، وإن خاسرهم شك ضعيف فيما حدث ، فقد شاهد الناس ظهر ذلك اليوم عصابة من النور تقرب في أطراف القرية ؛ وهبات للأمر مرارة التشكل ووقدة الحزن أن تشاران ربما كان السارق بيمينه ، فانتبذت به مكاناً بعيداً ، وراحت تبتهل إليه في ضراعة وتوسل : « رتشاران ! أردد إلى طفلى . . أواه ! أردد إلى طفلى . . خذ ماشئت من مال وعتاد ، واردد إلى طفلى . . . »

فكان رتشاران لا يجيب إلا بالضرب على جبينه ، حتى أمرته سيده أن يغادر المنزل غير مأجور وأراد أنوكول أن يحاج زوجته لخصها من من شكوكها ، سألمها : « ولماذا بالله يتعرف مثل هذا الجرم ؟ » فما أجابته إلا بقولها : « من يدري !

خدمه كتاب . . وزاد الطين بلة أن رتشاران
أضمر أبوة لفائنا ، ولم يكشف بذلك أحداً
ولقد كانت أساليب رتشاران الريفية موضع
سخرة الطلاب من قاطني الفندق ، بل لقد كان
فائنا يشاركونهم مبهم ما غالب أبوه . وعلى الرغم من
ذلك فقد كانوا كلهم يحبون الرجل الطيب المعجوز ،
وكان ابنه يحبه أيضاً ، ولكن في ترفع وكبرياء
وتقدم رتشاران العمر وأوقرته السنون ، فراح
تخدمه بسدد أخطائه ، ويحصى عليه سقطاته ،
ويدرك عجزه عن القيام بعمل لم يكن له أهلاً . . .
فلقد كان يطوى نفسه على جوع ونحمة ، ليوفر
لابنه أسباب السرور والنعيم . حتى لقد هزل
جسمه ، وشحب لونه ، وآده عملة ، وضمت
فأكوته ، وتبدل ذهنه . ولكن سيده لم يعبده ،
إذ كان يريد العمل تاماً كاملاً . ثم إن ما أتى به
رتشاران من ثمن عقار كان قد نفذ ، وبقي الفتى
متدبراً يطلب الملابس ، ويريد النقود

— ٣ —

وأخيراً صم رتشاران على أمر . فأعطى فائنا
قدراً من المال ، وقال له : « إني ذاهب إلى البلد
في عمل ، وسوف أعود وشيكاً » . وصران ما قصد
إلى « باراست » حيث كان أنوكول قاضياً ، وكانت
زوجه ما برحت موحمة القلب مكروبة الفؤاد ،
وقد ران على قلبها الحزن أن لم تلد من بعد
فقيدها ولداً

وذاث يوم كان أنوكول يقبل من عناء عمل
شاق ، بينما كانت زوجته تدفع الثمن الفاجح إلى
دجال جوال ، لقاء عقار يشفي من المقم ؛ فسُمع
في رحبة الدار داع يدعو بالتحية فبرز أنوكول يرى
من القادم ، فما أن عرف فيه رتشاران حتى صفا
إليه فؤاده . وطفق يسأله عن حاله ، ثم وعد بأن

تلوح عليه غنايل قاض فاضل وحكم عادل
وانتالت على رتشاران ذكرى ما ألصقته به
سسيده من تهم ، فطفق يباحي نفسه في ذهول :
« واهأ قلب الأم ما كان كذوباً ، إنما أوحى إليها
أني كنت سارق طفلها . . » وما كاد التفكير
يؤدي به إلى هذه النتيجة حتى غشيه الندم على
ما كان من إهماله ، فأبحه بروحه وجسمه إلى الطفل
الصغير ، وعضه خالص حبه ولولائه ، وطفق يتولاه
كأنه ابن سري . فابتاع له عربة صغيرة ، وصداراً
من ساتان أصفر ، وقبعة منمنمة بالذهب ، ثم صهر
حلى امرأته ، وصاغه أساور وخلائيل . وأبى على
الطفل أن يلعب مع أطفال جبرته ، فاندرد برفقته
ليلاً ونهاراً . حتى إذا ما كبر ونما وعد في الثمان
كان الصبي اللدال الأنيق ، يسخر منه أهل القرية
وينادونه « بياصاحب السعادة » ؛ بينما كان أبائهم
يمجبون لشفت رتشاران بالطفل شفقاً بلغ حد
الوله والجنون

ثم شازف الطفل سن الدرس فباع رتشاران
ما كان له من عقار قليل ، ثم احتمل إلى كلكتا
حيث اشتغل بالخدمة بسد لأى وعناء ، ثم بعث
بابنه إلى المدرسة لايألو جهداً في سبيل تثقيفه
وإسماعه ، وإن قنع هو بمجفنة من الأرض يقيم بها
صلبه ، هامساً بينه وبين نفسه : « آء يمولاي
الصغير يا سيدي العزيز ، لقد أحبتني فمدت إلى
في بيتي ؛ تأله أن ينالك مني سهو ولا تقصير »

ومضت على ذلك أعوام اثنا عشر ، فاذا الفتى
قد أجاد القراءة والكتابة ، واستوى على عوده
وضاحاً قوياً ؛ معنيا بظاهر وسامته ، متمكناً بشمره
بفرقه ويساويه ، ميالاً إلى التألق والتباهي ، مبسوط
الكف لا يقيم لالدال وزناً . . . حتى لقد أنف أن
يقرب أبوة رتشاران له ، لأنه وإن أحبه كأب ، فقد

منى واشتمل الرأس شيئا ، ولم يبق في الإذناء
يجبور ويدا »

وقالت السيدة : « ذره يبق في ذلك سرور
الطلى . . لقد غفرت له ما تقدم من ذنبه . . . »
ولكن ضمير القاضي أبى على رتشاران أن يبقيه ،
فقال : « كلا . . . فإلى المفرة من سبيل . . . »
وانبطح رتشاران على الأرض بضم قدمي
أنوكول صاحبا : « ذرى باقيا يمولاي فإني أبيت
شيئا فريا ؛ إنما هي إرادة الله »

وما زاد ذلك أنوكول إلا ثورة خاطر ، فقد
تقل عليه أن يهتم القدر رتشاران ، فقال : « كلا .
فأعدت أستطيع أن أعفو أو أبلعن إليك خرة
أخرى ، بعد إذ خنت وغفرت ذمى »

وهب رتشاران فاستوى واقفا ثم قال : « إنى
ما اقترفت إنما ولا جنيت ذنبا . . »

فسأله أنوكول : « وإذن فمن فعل ؟ »

وأجاب رتشاران : « إنه القدر »

ولكن هذا لم يكن عذرا كافيا في عين رجل
مثقف ، فظل أنوكول عتيقا صلبا الفؤاد

ولما فهم فإلنا أنه ليس ابن رتشاران بل سليل
قاض ترى ، غضب وثار أول الأمر ، ظنا منه أنه
خدع في أصله ومنبته ؛ ثم نهته من غربه أن رأى
رتشاران حزينا . فقال لأبيه : « سامحه يا أباه !
ودعه يعيش ممنا أو فاجر عليه كل شهر نفقة »

ولم يجر رتشاران بسد ذاك جوابا بل طفق
يديم إلى وجه ابنه نظرة وداع ؛ ثم صعد ألسنته
ساده ، فخرج وقد اعتركت في باطنه أشباح شقي
واكتهل الشهر فصدق أنوكول وعده ، وبث
بقدر من المال إلى رتشاران في قريته ، فرد إليه
لأنه لم يكن بين أهل القرية من يدعى رتشاران
شكوى محمد عباد

بعميده إلى خدمته مرة أخرى . فاقبسم رتشاران
ابتهامة شاحبة ثم قال : « أريد أن أقدم فروض
الطاعة لولائى . . » فذهب به إلى داخل المنزل ،
ولكن سيده لم تستقبله بمثل حفاوة سيده فطوى
رتشاران عن ذلك كشعا ، وضم يديه وهو
يقول : « تالله ما استلب الابدان طفلك ، بل هي
جرمى . . . » فصاح أنوكول : « الله أكبر !
ماذا ؟ وأين هو ؟ . . . » فأجاب رتشاران : « إنه
مى ، وسوف آتيك به بعد غد »

وكان اليوم الأحد إذ القضاء معطل ، فأنشأ
الزوجان برقان الطريق مرتبعين ، ينتظران على
الجر قدوم رتشاران ؛ حتى هلت طلعتة في الساعة
الماشرة ، ممسكا بيمينه فإلنا

وأخذت الزوجة السلام في حجرها دون أن
تنبس بكلمة ، ثم استغفها الروح فهي ضاحكة باكية
تدله وتلاعبه ، وتقبله في شعره وجبينه ، وتحدق
في محياه بأعين جائمة ولهى . كان الفتى قسبا وسيا ،
في كساء عطرير ، وثياب غريق . فطفق فؤاد
أنوكول بالبشر والحب ، ولكنه راح يسأل سؤال
كل قاض : « أما لديك من بينة أو برهان ؟ »
فأجاب رتشاران : « وكيف أستطيع على ما قلت
سوق دليل ؟ إنما هو الله يسمع ويرى ، ويعلم أنى
سازق طفلك ، أما وحدي لا سوى ! »

ولما رأى أنوكول تملق زوجته بالطفل وضع
له عبث السؤال ، فرأى الحكمة في أن يصدق
ويؤمن ؛ فمن أين لرجل عجوز مثل رتشاران بهذا
الفتى ؟ ولم يكذب خادمه الأمين ويخذه على غير
طائل ؟ ولكنه قال في حزم وصرامة : « رتشاران !
لم يد لك في هذا البيت مقام »

وأجاب رتشاران في صوت مرتجف ، وهو
يضم يديه : « وأنى أذهب يمولاي ؟ لقد وهن العظم

النقد الذهبى

للكاتب الفرنسى فرنسوا كوبيه
ترجمة محمد العزواى



ولكن نفسه نازعته للتطلع فألقى السمع ، فبانغ صاخبه رنين الذهب ووسوسة النقود ، بفسيان بين ضحكة نصر مقتضبة ، وحشرجة يأس مفير ، وزفرة مغلوب خنقه الحظ فهو حسير كظيم ، وصعداء غالب راض حظه يمد أن احتبس غلت بواديه شآبيب واعدة ورذت ساحتها حزنة هاطلة

وذهل عن ذاك بأسره : لقد أقوى حبيبه بمد أن كان عاصراً بحال يهر الدين ويخطف البصر . وخوى وقاضه فما فيه لسد الرمق وإقامة الأود شيء . آماله ولت سراها فهي غزلان وجل ، تخاف فتتأذى في دل حبيب الى النفس ، شديد عليها مربر .

كان الناظر إليه يخاله ناعماً وما هو بناغم . ولكنه كان في سكرة بسبب أمره ، وغشية لا يعلمها إلا خلو الرفاض . لقد قلب أمره بين يديه فوجد المجتمع ينبذه — وهو الحسب ذو الجاه والنشب — فهو طريد ، والعالم يجهله — وهو النسب ذو الأصل والنسب — فهو شريد ، والأمل يهجره — وهو الطموح ذو المجد — فهو يائس ، والصديق ينكره — وهو الكرم ذو الفضل — فهو وحيد . . . لقد قلب أمره بين يديه فوجد صديقه في مقعد احتضنه وعطف عليه في محنته وغرائه — كما احتضنه اللداهنون من قبل في نعمته وسرائه —

حينما بصر « لوسيان دى هيم » بأخر تقدم من ذى المائة فرنك تجرفه عصا التريم فتأخذ وانقض عن نقد النرد . وما كان له أن يجلس الى غريمه بمد أن فقد — منذ قليل — ماله الذى سهر دلى جمه ليتأهب به لحرب ضرورس . وما كان له أن يفعل وقد دارت به الأرض دواراً فقد به عن الوقوف ، فتخاذل ، فارتعى ، فاحتضنه مقعد مزيج . ثم انطوى على نفسه وصوب للجمع بهراً غشسته سحب الأحزان فهو زائف العين مبهوم ، لقد رأى جماعاً اجتمع لانهم في هوة أذى ، وموطن فساد ، حيث أفنى شبهاً بنصر قليلا وذوى . . لقد رأى وجوهاً مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ، يزيد أنبساطها حظ مؤات وريح كثير . وتلك أخرى تكاد تميز من النبط فهي مصفارة ، منقبضة الأسارير ، علا على الجبين منها ماء منهر ، تسابل على الخلدود فاستوى على البوارض والأذقان ، فاختلط بدمع الحنق شتري من عيون جحظت خوفاً وطمعاً . . لقد رأى شهاباً يهبط من سماء لا يرى ثوباً وضيقاً فوق كهف خست قلبه وجهه فيها فلا بصر إلا بنور ضئيل لا ينفذ الى نظيره خلال حجب النيران الفاشية وسحب الحرفة النهم ، فوجد نفسه في أحضان مقعد الصديق ، فلهذا وحده نفسه وغلب في أحضان مقعد الصديق

وأما لثمن وقاضا. وجينا ، وأجشهم عيناً ونفساً ؛
وهو برغم ذلك شحيح بخيل : لا أثر للنعمة
يبدو عليه ، فهو بلبس ستره من قماش « الصائمة »
لا يكاد يفقها ويفعل عنها ، وهو بها قرر المين
جدلان

تقدم درونسكي وتغم ، وشاعت كلمات المهمة
في أرجاء الحية شهباء : هلا أقرضني خساً من
الفرنكات بإسدي ؟ أنظر ... إلى لم أرح الندى
لخسة أيام خلون ؟ وما كان لي حتى أربح أو أجد لي
مع عددي - السابع عشر - أسراً ، فهو لهاتيك
الخمسة لا يزيد ولا ينقص . لك أن تضحك متى
يتراءى لك ويحاول ، بل لك أكثر من ذلك : لك أن
تقطع يدى إذا لم يرق السابع عشر سلم الزيادة
والتضخم قبل أن تدق الساعة أولى دقائقها الاثنتي عشرة
وما كان لوسيان إلا أن يهز كتفيه ، وقد
فصل . إذ أتى له بما يقيم الأود به ما يرجو
المجوز ؟ . . . وأزاح الرجل من طريقته يستر
واجفة دون أن ينطق بكلمة ؛ ودنا من الباب بقدم
واحدة يقيهما التجلد ، وبشبتا التحامل ، وأدلف إلى
البهو الكبير حيث ارتدى سترته وأحكم قبضته
فوق رأسه المموم ، وهبط الدرج بدمع واكبر ،
وقلب حزين . .

لقد مكث لوسيان بالندى أربع ساعات طوال ؛
كان الثلج أثناءها يسقط على باريس فيتوج هام
البيوت ، ويهب الشوارع بسطاً من شقوق جميل . .
وبدا لوسيان يسير الهوينى ، والسكون متمدد فوق
رأسه متواصل ، والنجوم ينبثق منها نور خافت
متضائل ، والبساط أبيض شفاف عتد أمامه دون
حائل ، ففرح وابتهج لتلك الطبيعة زين لأنه تاب

فهو عطوف أمين . . . في موت منجز من يؤس
ومسكنة لا يرضى بهما نبلة ومجده ، وذلل ومسفنة
بأبائهما كرم نفسه وشرف معتده . . . في بندقة أبيه
- القائد دى هيم - تحمل إليه ذاك الموت الحبيب
كما حملت للأنثى في « زانتشا » الفاصلة موتاً أحمر على
يد والده المجيد . . .

ألمب التفكير رأسه ، وسمر لهم قلبه ، وكوى
الحزن فؤاده ، ثم تداركه الكرى رحمة منه ، فأغنى
طرفه فهو نائم سعيد . ولما أن أفاق من غفوته
بهد نصف ساعة أو يزيد قليلاً وجد فيه لرجاً من
لعاب سال أثناء نومه . فأزاله وتعلّى . وكان بحاجة
لهواء منعش جديد ينتشل جسمه من وهدة الكسل
وذنه من بلادة ونخود . فقام في تراخ وكسل .
وألقى الساعة لدى الباب تشير - في هدوء -
إلى الثانية عشرة إلا ربماً . وسار ماداً يده يريد
الباب . وحينذاك أدرك أن ليته ليلة الميلاد ، فوجم
وجوماً . ذلك لأنه تذكر للماضى بزمه وجلاله ،
وشمر به يشرف عليه خلال بياض الأيام وسواد
الليالي ، يؤنب ويعاتب ، ثم يهوى هادراً متوعداً .
تذكر حين الطفولة وما أصاب من عز كثير .
وتغلت له ليالي الميلاد شامخة ساخرة . وأدكر
كيف كان يضع حذاءه الجديد على أئفئة الموقد
بدار أبيه ليلاً ليلبسه في الصباح الجليل . . . تذكر
كيف سحب ذيل النعوى ، وخطر في شقوف
الحزير ، وأين هو من تلك النعوى وذاك الحزير . .
إنه لصدى تلك الأيام الخوالي وإنه لطريد عز تليد
وتقدم لوسيان يريد الباب حين اعترض سبيله
شيخ مجوز ؛ لقد كان « درونسكي » أحد أقطاب
ذاك اللهو الأثيم ، وأشد جبارته بأساً وشرّاً ،

ولكنه ردها حزينا محسورا . فقد اذكر أن لا مال معه . ولكن غريزة دفناته فأتى ما أتى من الأمر دون وعي وتدبير . وتقدم من الفتاة يريد حملها وإزالتها بيته حيث الدفء والفرش الوثير . ولكن ما كاد بفعل حتى بهر بصره شيء لامع يقبع في حذاءها المخلوع

ودنا بوجهه — تشيع فيه الرغبة والرجاء — ليستبين ذلك الشيء ، وما كان إلا تقدأ ذهبيا من ذى المشرين فرنكا

لقد وهبه الفتاة كريمة . وما من شك أن المحسن سيدة مرث ففتحها القدر العظيم لتقر به عينها إذا ما سحت من غفوتها ، وتطيب به نفسا إذا أصححت فتكف عن السؤال ، وزيد إيمانها بالتخير يهيم ليلة الميلاد ؛ عشرون فرنكا إياه من قدر أو ليس هو الزعيم بسعادة بضعة أيام ؟ أو ليس هو بشير الراحة لتلك الطفلة اللابغة ؟ أو ليس النفي بذاته لآثار الحظ ، والنعم بهيمة للساغب المكدود ؟ . وإنه لآثار الحظ ، وإنه لساغب مكدود !

لقد كاد يوقظ الفتاة لولا أن ذكر قول ورونسكى المعجوز :

— ... لم أبرح الندى لحسة خلون ... بل لك أن تقطع يدى إذا لم يرق السابع عشر سلم الزيادة والتضخم قبل أن تدق الساعة أولى دقائقها الاثنى عشرة . .

يا لله ! إن هناك فرصة لأمل ! !

وقفز ذلك الشاب — سليل الأصيل الكريم والبيت النبيل ، ذو القلب الحربى والمجد الأثيل — فقد اعتزم في نفسه أمرا ... إنه لم يبلغ الثلاثة والعشرين ربيعا فهو شجاع جريء . وهو إذا اعتزم

وأصلح من إملاق وفاقه ! وفرح وابتهج لأنه شعر بمبع ثقیل — كان جاشافي جيبوه — رحل فأراحه ! وفرح أخيرا وابتهج لتلك الراحة فتفتح ذراعيه مرحبين لتلقفه ثم تنبیه في غيابة الموت ، وبرد الراحة . . . راحة هي به أولى وأحق ؛ وأولى بمجلها بندقية أبيه الجليد . . . جعل لوسيان يهيم لغير قصد يرومه أو مكان ينزع إليه . فأنشأ يضرب في شتاب باديس الواسعة — غير أنه لم يسر طويلا حتى استوقفه أمر أليم نهيه من غشية وأقفه من خفلة

لقد بصر بفتاة أضناها كد اليوم ونصب السؤال ، مكدودة حيرى فطاف بها الكرى ، وراى على قلبها الأمان وحلته السكينة ، فتطلق من همه الأليم وعذابه الواسع . واستكانت إلى الطريق اللاحظ واستراحت إليه ، فآثرت طواره ، وانخذلت من الجليد دمارا . . . كانت جميلة ساحرة رغم ما ترتدبه من أجار وأسمال ؛ نظيفة فاهمة رغم نومها في الطريق ، بريئة طاهرة فهي بمد طفلة لها تبلغ السابعة

كانت تتوسد ذراعها الأبيض وقد انحسرت عنه أسماها فهو عارجيل وكان وجهها المشرق الوضى بطالمك فيهرك منه جمال جابع ووديع . أما رأسها فقد مال نحو الأرض في سكينة ودعة . وكان جبينها المريض تكسوه طرة غدافية اللون تدلت من مفرقها واستراحت على أرنبة أنفها الوسيم . وكانت ذراعها الأخرى منبسطة على الجليد كأنها علفت السؤال وأغرمت به ، فهي تنزع إليه أبدا وترجوه دائما ، وكان قدناها مغمورين في الجليد ، وأخذ حذاؤهما الصنير في إهمال عجيب وأراد لوسيان أن يهبها شيئا فديده لجيبه ،

أول الليل بعد اثنتي عشرة مرة . ثم فكر أن يسترد أملاك أبيه التي أنشأها في بضعة أعوام ، فكان يملئ القدر حتى بلغ — مرة — الثلاثة من النقود الذهبية ذات العشرين فرنكا . لقد أرعت جيوبه بالمال ولا ينقطع فيض النضار فهو يضعه في جيوب سداره وسراويله ، ويضعه في منسدله وصندوق سيجاره ، وهو يضعه أخيرا فيها يصالح لمل النضار ! كان يلعب دائما في شيخ أبدأ . فهو ييمثر ويبدّر غير عاين ولا مكترث ، وهو يتسلف ويمجور فيهمظ للفلولين وبرهقم ، وهو يرى كل ما تستطيع أن تحتفنه يده المجدودتان على الخواص في ثقة واطمئنان .

لقد كان مجدودا سميدا دون شك ، ومن أدرى منه بمجد وسمد ؟ نعم ! ولكن خيال تلك الفتاة البائسة كان يلقن باله ، ويحز قلبه ، ويسكر سمده ، فهو ما يفتأ يذكرها ، وهي ما تنفك تنسج أمامه — إنها تنام هناك فهي لم تزل وسى ظارقة في : سباتها الجليل ، ساحرة ناعمة كما تركتها منذ حين ، وإني لأقسم أن لن تبين الواحدة إلا وتكون الفتاة بصحبي في طريق الى منزلي . فلا تزلها من نفسي منزلة طيبة . ولأترن لها عن سريري لتنام عليه ولأنهذهها كابتة ، وأرهاها كأخت ، سوف أمهرها مهرأ كبيرا . سوف أحبها ، ثم سوف أحبها !

ولكن اقتربت الساعة واصطرع الأمل ، فالحظ يأتيه بغيث منهر ، وهو لم يشبع بعد أو يرتوي فباصر لوصير واضطربت معه الفتاة ، إن ربما من ساعة ليس بكثير . ومضى ربح ثم ثان وثالث ، وهو لا يزال ييمثر ماله فيأتى له ربح وفير ، ولا يزال يتسلف ويمجور فيهمظ وبرهق ، ولا يزال ينثر المال

أمرأ لا يقبده جبن ولا يموزه مضاء . إلا أنه حين يفكر في الأمر اضطرب جسمه واحمر وجهه ، فقد خالطت الصبوة الحياء فهو في حيرة من أمره . غير أنه لم يكن يملك لنفسه من الأمر شيئا .

لقد ترصد الناس فلم يبصر بشيء يثير الرية فيوجب الحذر . إن الطريق خال إلا منه وتلك الفتاة فبا عليه من بأس أن « يستمر » المال دينأ عليه . وامتدت يده الواجفة « تسلب » الفتاة نقدها العزيز وحين اطأ على النقد عدا نحو الندى عجولا ، ورقى الدرج في سرعة البرق وبأس المصافة ، ثم دفع الباب بقبضة قوية آملة حين بدأت الساعة تدق أولى دقائقها الاثنتي عشرة . فرى نقده على النضاصأحا — على السابع عشر !

وفاز السابع عشر . فدفع لوسيان فرنكاته الأربعة والثلاثين « للأهر » وفاز الأهرأ وترك ماله المتضاعف على اللون نفسه ففاز مرة أخرى !

وأقدم على الرهان بالقدر كله مرة وأخرى وثلاثة إذ ما عاد يخشى احتباسا لحظه ، أو عثارا لجده . لقد كان يكس النضار أمامه ، والورق في سترته . ثم بدأ يشرك « الروليت » مع النرد فكان لها من ماله نصيب رابح دائما في تضخم أبدأ . وكذلك كان الحظ موافيا مع « الدسنة » و « العدد » ومع « العمود »

لقد كان حظا ذهبيا لم يسمع به إنسان ! وقال الناس بسحر ينبعث من عيني الفتى فيأمر الكرة الناجية الصغيرة حين الدوران في الآلة ! واستطاع لوسيان أن يسترد ماله الذي افترقه

مقدمه الذى احتضنه أول الليل ، وحل بساحته
كابوس ثقيل .

وبدأ فجر أحد الأيام يفصح فى الشرق خجولا
حييا : ضرب نهار السحاب الشف من دونه ، وقام
متعزراً فى طيات الليل اللدبر ... وبدأ النور يسترق
خطاه مترقفاً ، فبدأت الحجرات تضيء من وراء
النوافذ

فى ذلك اليوم اغتسل « لوسيان دى هيم »
وتناول فطوره وقصد « جماعة أنصار الحرب » ،
وأدوج اسمه متطوعاً فى الفوج الأفريقى الأول
لقد أصبح الآن لوسيان « ملازماً » بالجزائر
صالحاً لا يقامر ولا يشرب ، يكسب ما يقوته ويقم
أوده . وفى يوم كان زميل له يسير خلفه فى طريق
« كاسية » المنحدر فراه يحسن إلى فتاة أسيانية
حسنة ، نعم ! لقد كانت حسنة فائنة ! وكانت
تنام فى الطريق !

ودهش الزميل من كرم لوسيان ...
لقد كان بيد الفتاة نقد من ذى العشرين
فرنكا ...
سير محمد العزاري
كلية الآداب

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامتريين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

المن ١٢ قرشا

فى ثقة واطمئنان ! وأعلنت الساعة الثانية إلا ربما .
إلا أربع عشر ... إلا ثلاث عشر . وقام صاحب
الندى عن « بنكه » الخاسر يقول :

— لقد أفلس « البنك » بإسادة ! كفى لعباً
الليلة !

فساء ليل المنذرين ! إذ هم بين خاسر وموتور
وحسير . وتدافع الجميع عليه بالنكاب ، ودوا لو
ينهبونه ويستردون مالهم السليب ، ولكن لوسيان
دفعهم بيديه مفسحاً قدمه بجألاً بين أقدامهم الزاحفة
وصرق من بينهم كهمهم مفوق يريد الباب فالدرج
وعدا مسرعاً شطر الفتاة الوسى . لقد رآها على
نور مصباح الطريق

— حمد الله ففى ما فتئت هنا ! وأسرع نحوها
ثم أمسك يديها
— كم هى متلجة تلك الساحرة ! واحتضنها
بين ذراعيه فالت رأس الطفلة للوراء دون أن
تصحو فقال :

— ما أجل نومكم أبها الأطفال الأعززة !
وشددها الى صدره كي يشيع الفء فيها .
وأراد أن يوقظها بقبلة بطبعمها على عينيها الناعسة ،
ذات الأهداب الوطفاء . ولكن .. مالها مسبلتان
أبداً ؟ لقد كانت عيناها نصف متلفتين فشففتا عن
عيون صافية . ولكن ... لا حراك لهما !

لأنها ميتة وإنها لضحيته ! . بينما هو يكسب
الآلاف من الفرنكات ويبيع الآلاف من الفرنكات
كانت « ممولته » تموت من برد وزهرير
لأنه لم يحتمل الصدمة فأراد الصباح ، ولكن
صوته احتبس فى حلقه فأذاه ، فأيقظه ذلك من سنة
أخذته رجمة ، ونوم طاف به رافقة . لقد نام فى

فصرت يداً بيد بحركة اغتصابية فسألني ديجنه :
ما هذا ؟

قلت : لو كنت رساماً ولاح لي أن أصور
السامة والضرع لما كنت أرسم رمزها فثابة
مستغرقة في التفكير وفي يدها كتاب
تقال : هل تكيد لأحد هذا المساء ؟

ولم تستوقفي ابتسامته فقلت : إن هذه المجدلية
الناقصة بدموعها لم يزل صدرها ناهداً بالأمل ، ويدها
الناحلة التي تسند إليها رأساً لم يزل تنبثق بالمعطر
الذي سكبه على قدمي المسيح ، وهذه الصحراء
وما حولها أهلة بأشباح أفكار تتجه بالصلاة إلى الله
فقل لي أهدأ هو رمز السامة والضرع ؟

فقال بصوت لا أثر للشموه فيه : ليس هنا
إلا امرأة تطالع كتاباً
قلت : ولكن هذه المرأة سميكة والكتاب
الذي تطالعه جليل

وأدرك ديجنه ما أرى إليه ، وأنا مستسلم
للأسي ، فسألني عما ألم بي ، ولكنني ترددت في
الجواب فكان يداً ربطت على قلبي

وبعد صمت قصير قال ديجنه : إذا كان هنالك
ما يؤلمك فلا تكتمه عني وأنت تعلم أنني لك خير
صديق

قلت : أعلم أن لي صديقاً ولكن آلامي
لا صديق لها

وأخ على فقلت : إذا أعربت لك عما يخالطني
فما يفيدك ذلك وأنت عاجز عن تفريج كربتي وأنا
أعجز منك . أفتريد تسبر أعماق سريري ، أم أنت
تطلب كلمة أنتحل لك فيها الأعذار ؟

من أعماق النفوس

اعترافاً بفتي العصور

لألفريد موريه

بقلوب الأستاز فليكس فانس

الفصل الخامس

وكننت وديجنه جالسين ذات مساء قرب الموقد
والنافذة مفتوحة ، إذ كنا في أوائل مارس ، وقد
انقطع مطر النهار ، فهبت علينا من الحديقة طلائع
هبقات الربيع

وقلت لديجنه : ماذا تريد أن تفعل في الربيع
فأني أشعر بحاجة إلى السفر ؟

قال : سأفعل ما فعلته السنة الماضية ، فأذهب
إلى الضاحية عند ما يمين الزمان
قلت : أفتريد أن تسير في كل سنة على وتيرة
واحدة

فقال : وماذا تريد أن أفعل ؟
فهضت نجاة وصحت به : أجل ، قلت حقاً
يا ديجنه ... فأنا قد تبيت من كل هذا ، أما مللت
أنت هذه الحياة ؟

فأجاب : كلا
وكننت واقفاً أمام رسم للمجدلية في الصحراء

فقال : كُنْ حراً الضمير

فقلت : اسمع إذا ... لقد بذلت نصحك لي فيما

مضى ، فاصنع لي الآن كما أصغيت حينئذ إليك

قف أمام أي رجل كان وقل له إن في الحياة
أناكساً يعضون أيأسهم في احتساء الخمر وركوب الخيل
والضحك واللعب واغتنام فرص اللذات بأنواعها ،
فلا شيء يحول دون مضيقهم على السبيل الذي اختاروه
لأن شريقتهم تقوم على استحقاقهم ، ولهم من
يشاءون من النساء لأنهم أغنياء ، ولهم لهم ، فكل
أيأسهم أعياد

فإذا لم يكن هذا الرجل الذي تخاطبه من أهل
الورع والثقي فإنه يقول لك إن هذه الحياة نهاية
ما يتصوره الإنسان من سمادة على الأرض

خذ بهذا الرجل واقفد به إلى هذه الحياة التي
وصفت ، أجلسه إلى مائدة قرب امرأة وضع كأساً
في يده وانفحه كل صباح ييذرة من الذهب وقل
له : هذه هي حياتك : بينما تكون ناعماً إلى جنب
هشيقتك تكون خيولك تحفش على مرابطها ، وبينما

تكون ممتطياً جوادك يقرع المنزهات بموافره ،
يكون شرابك ينفى غمتمراً في دنانة . وبينما تحبي
ليتك شارباً تملأ ، يكون أرباب المصارف يملون
على أنعام ثروتك . فاعليك إلا إبداء رغباتك لتتقلب

أمانيك حقائق . أنت أسعد الناس ولكن حذار
أن تفرط في الشرب في ليلة من لياليك ، فتجد
جسدك بعيداً عن تذوق لذاتك لأن كل مصيبة
تجد عزاءها ما عدا هذه المصيبة الدهماء . لقد يكبو
جوادك في الغاب وأنت تلهو بالطراد مع رفاقك
فتندهور إلى مستنقع ، وإذا تستقيت لا يصل صوتك
إلى أذان هؤلاء الصحاب وقد أصمهم السكر وجلبة

الجبور . حذار أن يمروا بك دون أن يمتروا عليك
فيتوارون عنك وأنت تزحف بأعضائك المحطمة
تحت جنح الليل

لا بد أن تخسر بالقاهرة في ليلة من لياليك
فلتحظ ساعته السوداء ، فإذا ما عدت إلى منزلك
لتجلس أمام موقدك ، حاذر أن تضرب جبينك
بيدك وأن تدع الأسمى يبال أجفانك ، وأن تدير
لحاظك مفتشاً عن صديق . إحذر بخاسة ألا يجمع
بك خيالك إلى كوخ بنام فيه زوجان على فراش
الطائفنة وقد اشتبكت أنامل أحدهما بأنامل الآخر
حتى في الرقاد . لأنك لن ترى أمامك على فراشك
الفخم الوثير من تسر إليه نجومك سوى المخوفة
الشاحبة التي تتمشق دنائرك ، وإذا ما لجأت إليها
لتشرح صدرك فلن يخفي عليها أسرك وسبب حزنتك
إنها لتشعر بفداحة خسارتك فتذهب دموعك مبعثرة
في قلبها الشجون ، لأنها ستشعر من دموعك هذه
بخطر يهدد ثوبها بالألأ يتجدد والخوازم التي تلع في
أناملها بأن تسقط منها

حذار ، يا هذا ، أن تفوه أمامها باسم من ربح
مالك هذا النساء فلقد تلقينه هي غداً فترسل إليه
لحظات الأعواء من خلال ما يحوطك من خرائب
وأطلال

ذلك هو الضمير البشري ، أيها الرجل ، فهل
لك من قوة تختمل مثل هذا الضمير ؟
إذا كنت رجلاً فاحذر السكامة ، إنها لداء
غيا ، والليت خير من حى سئم الحياة

إحذر الحب إذا كان لك قلب لأن الحب عار
الفاستق ، وخير لهم أن يصابوا بأي داء من أن
يصبحوا مهزلة في أعين أمثالهم القديرين لكل خليفة

عنك بما في أحشائها من حياة فتتركك ، حتى الأشجار
الباسقة وأماليد القلب

لقد خرقت شريمة أمك فأنكرت كل رضيع
من إخوانك في الحياة

إحذر غضب الله ، أيها المنفرد ، لأنك تقتصب
أمام وجهه الكريم متحجراً كالصنم على قاعدة
إرادتك المتمردة فما تغدق السماء عليك رشاشها إلا
لتفت من أعضائك وتذيب هيكلك ، وما يهب الهوام
عليك لينفحك بقبلة الحياة وهي قبلة التوحيد بين
جميع الأحياء ، بل يمصف عليك عصفاً ليهزك
ويقوضك تقويضا . إن كل امرأة تضمها إليك
ستجذب شرارة من قوتك دون أن تبادل شرارة
من قوتها . فما أنت إلا حقيقة تترى مهالكة على
أشباح وحيث تسقط نقطة من عرق جبينك تنبت
شجرة من مظلات القبور

مت ، فما أنت إلا عدو لسلك من يجب وإسلك
ما يجب ... إقبض على ذانك في عزلتك وانفردك
ولا تتوقع أن تبلغ نهاية عمرك ، اذهب ولا تبقي
منك على الأرض نسلا تستبقى فيه للحياة دماً من
دمك المفسود

تبدد كالسحابة ولا تحرم بظلك حبة القمح
الناجمة من نور الشمس .

وما انتهيت من هذا الخطاب حتى استلقيت
على القعد وقطرات الدموع تتساقط من عيني ، وأنا
أعول قائلاً : أليس هذا ما قتلته لي أنت يا ديجنه ؟
أفأنا كنت تعرف هذا من قبل ؟ وإذا كنت عرفت
فلماذا لم تتكلم

وكان ديجنه مشبكاً أمامه ، وقد علته صخرة

ثمناً . وليس للمرأة التي تنبج نفسها أن تحترق أحداً
إلا الرجل الذي يحبها ...

إذا ما شعرت بالحلم يجتاح قلبك فاحذر أن
ينم وجهك عليه ... فما يتخلل عن درعه إلا الجندي
الجليل . وعلى الفاسق ألا يظهر تملقه بشيء
لأن ظفره قائم على أن لا يمس شيئاً إلا بيد من
رخام دهنت بالزيت كيلا يعلن عليها أثر مما
تقبض عليه

إذا كنت نزقاً وأردت أن تحيا ، فتدرب على
القتل لأن في الحُر ما يقودك إلى المشغبة ، وإذا
كان لك ضمير فاحترس من الساعة التي تلقى فيها
رأسك على الرصاص ، لأن الفاسق إذا ندم بعد فوات
الأوان يشبه حركبا اخترقته مياه البحر فليس له
عن موقفه متقدم ولا متأخر ، فلا يسير إلى الباب
ولا يعود إلى البر وعينها تدفعه الرياح إذا جذبته
البحج ، إنه ليدور على نفسه ويفور .

إذا كان لك جسد فاحذر الأوجاع ، وإذا كان
لك روح فاحذر القنوط ، بل احذر الناس بأسرهم ،
أيها الشقي ، فانك ما دمت سائراً في طريقك التي
تخترت لتشهد سهلاً فسيحاً تدور عليه حلقات
الراقصين متأسكات متتابعات كدوائر الأزهار ،
ولكن ما تشهده ليس إلا مراباً خادعاً في قاحل
الصحراء

إن الناظرين إلى مواعيل أقدامهم يعلمون أنهم
ينسحبون على مرأط ممتد فوق نهر عميق ولكنهم
تهادى إليه السائرون فضمهم إلى سكونه فانطبقت
عليهم صفحته الماددة دون أن تتجهم
حذار أن تزل بك القدم فان الطبيعة لتراجع

الموت وأنهم الدمع من عينيه

عليه حتى تراميت لتقبيله فأغمى على

ولما أقفّت على فراشي في غرفة أخرى سمعت من حولى يقولون : لا تدعوه يذهب وإن أصر . انتظرت حتى رقد جميع من في البيت وأخذت مصباحاً وتوجهت إلى غرفة الميت فوجدت فيها كاهناً قتيلاً جالساً قرب السرير ، فقلت له : لا حق لك بأن تنازع ولداً ليلة أخيرة يقضها قرب أبيه . لا أعلم ماذا قيل لك بشأن غير أننى أرجوك أن تدخل إلى الغرفة المجاورة وأنا آخذ على حافى كل تبعة قد تقع عليك

ذهب الكاهن فقصت مكانه ومددت يدي أ كشف للمرة الثانية عن هذه الملامح التي قضى على بالاً أراها بعد

وخطبت الميت قائلاً : ماذا كنت تريد أن تقول له يا أبى ؟ لقد أدركت لحاظك مفتشاً على قبل انطفاء عينيك ، فما كانت فكرتك الأخيرة يا ترى ؟

وكان والدى يكتب مذكرات يدون فيها وقائع أيامه ، وكان كتاب هذه المذكرات مفتوحاً على الخوان فقدمت إليه وجئت فاذا على الصفحة الأخيرة هذه الكلمات :

(الوداع يا والدى . . . أحبك . . . وأموت)

جهدت دموعي واختنقت زفراتى ، فكأن يداً شدت على عنق وخمت على فمي . فوقفت شاخصاً باليت المسجى أمامى . وما كان في حياته يجهل ما كانت عليه حياتي ، فقد كان يشكونى إلى نفسى ويوجه إلى التبريع ، وما اجتمعت به مرة إلا وحديثى عن مستقبل ، وتناول بالوم مآنى شهابى . ولكن أنقذتنى نصابه من تهلكة ، فقد كان لارشاده

وساد بيننا السكون . وقرعت الساعة فذكرتنى فجأة اننى في مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ سنة تكشفت لى خليفتى مخادعة خائنة

فصحت بديجته : أسمع دقات هذه الساعة ؟ أسمعها . . . ؟ اننى لا أعلم ماذا تفدرنى ؟ ولكننى أشعر أنها ساعة رهيبة سيكون لها شأنها في حياتى وكنت أنفقه بهذه الكلمات وأنا مسلوب الارادة مضمض الحواس ، وفتح الباب فجأة في تلك اللحظة نفسها ، ودخل القاعة أحد الخدم ، فأخذ ييدى وانتهى بى إلى زاوية وأمر إلى قوله : أتيت لأخبرك يا سيدي بأن أباك على فراش الموت فقد أصيب بالشلل ، ولا أمل للأطباء في حياته

الجزء الثالث

الفصل الأول

وكان والدى يقطن ضاحية قريبة من باريس . وعند ما وصلت إلى السكن رأيت طبيياً واقفاً أمام الباب فقال لى : لقد وصلت متأخراً ، وكان أبوك يتمنى لو يراك للمرة الأخيرة

دخلت فاذا والدى مسجى وقد فارقت الحياة فقلت للطبيب : أرجوك أن تبعد كل من في الغرفة دعنى وحدى فقد كان لوالدى ما يقوله لى ، ولسوف يقول كلمته الآن

وخرج الخدم فتقدمت إلى السرير ورفعت البطاء عن وجه الميت ، ولكننى ما ألقيت نظرى

لأننى كنت فقدت التفكير فاستغرقت فى سكبنة مطبقة . فإن ما صدمت به كان من المنف والاستمرار على قوة نالت منى حتى غدوت كالسلاوب / تنقر أعصابه فلا يجيب

وكان خادى لاريف شديد التعلق بوالدى ولعله كان خير الناس بعده فى تقديرى ، وكان من سنه ومن قده وبلبس ما يهبه إياه من أثوابه ، وقد وخط الشيب شمعه بمد أن قفى عشرين سنة فى خدمته ، فاقبس شيئا من حركاته

وكنت بمد المشاء أعمشى فى الغرفة فاسمع وقع أقدام خادى يمشى أيضا فى الدار وما كان يدخل إلى الغرفة بالرغم من تركى الباب مفتوحا ، ولكننا كنا نلتقى من حين إلى حين فىرى أحدانا الآخر من خلال دموعه ، وهكذا كانت تمر ليالينا ، فاكنت أطلب من الخادم إشعال المصباح إلا بمد أن يكون مضى وقت طويل على غروب الشمس

وكان البيت لم يزل على ترتيبه القديم ، فإزح الخادم ولا أنا ورقة من موضعها ، فكان مقعد والدى لم يزل قرب اللوقد ، وبقى الخوان والسكتب والرياش فى مواضعها ، وكننت أحترم الشبار الذى علا هذه الأشياء ، وعند ما كننت أرتدى مبالذ أبى وأسترخى على مقعده كان ينحيل إلى أن فى الجدران عيوننا ترمقنى بلحظات الاشفاق ، وأبنى أسمع همسا يقول : أين مضى الوالد . . . فإ يترجع على كرسية الاليتيم . . .

ووردت إلى بعض الرسائل من باريس ، فأجبت الجميع أننى أرى تعضية الصيف فى الضاحية وحدى جريا على عادة أبى ، وبدأت أدرك أن فى

قوته المستمدة من فضيلته لأنه كان مثال الدعة ومكارم الأخلاق . وقد كان يمشى لو يأتى قبل موته ليردنى عن السبيل الضلول الذى توغلت فيه ، ولكن النية عاجلته فلم تدع له إلا كلمة واحدة يقولها ، فقال : إنه يحبى ...

الفصل الثانى

وكان قبر والدى يحوطه سور من خشب ، لأنه أراد أن يدفن فى مقبرة القرية ، فكنت أذهب كل يوم لأقضى ساعات على مقعد صغير كان موضوحا داخل السور ثم أعود إلى المسكن الذى كان يقطنه ولا رفيق لى إلا خادم واحد

مهما فعلت أحزان الشهوات فى النفوس فإهى إلا آلام حياء ، وهل تقاس آلام الحياة بأحزان الموت ؟ إن أول ما تبادر إلى ذهنى حين وقفت إلى جنب سرير والدى الميت هو أنفى ولد جاهل لا يعلم شيئا ولا يعرف شيئا ، وعند ما رطب الأمس على قلبى شمعت به كأنفى جسدى حتى كننت أنلوى كنن أفاق من غفلة فشمع ببجوله وأحس بالآلامه

ومضت الشهور الأولى على فى الضاحية وأنا ذاهل لا أذكر الماضى ولا أبلى بالمستقبل . فاكنت أشعر أن من ماش فىا مضى كان إياى ، وما كان ما يستولى على فى ذلك الحين ليشبه آلام اليأس الثائر التى كانت تقبض على من قبل ، بل كان نوعا من الجلود والتعب فكأننى كرمعت السامة فوجدت لها صرارة تتشجج لها أحشائى

وكننت أجلس طيلة نهارى إلى كتاب أنصفحه ولا أقرأ ، بل أنظر إليه لأعيش فى أجواء تشبه البدم

الرجل يخشى أن أبيع البيت وأذهب به إلى باريس ولعله كان مطالعاً على حقيقة حياتي الماضية إذ كانت تبدو عليه دلائل القلق في أول الأمر، ولكنه عند ما رآني أعد المنزل لأقيم فيه شمعت بنفوذ نظرائه إلى أعماق قلبي، وكان ذلك يوم استحضرت من باريس صورة كبيرة لأبي علقها على جدار غرفة الطعام، ولما دخل لاريف ورأى هذه الصورة أخذته الدهول وبدأ ينقل نظرائه من رسم والذي إلى وجهي وفي هذه النظرات من تساوي الحزن والفرح ما يصعب التعبير عنه، فكأنه كان يقول لي: يا للسمادة، لسوف نستغرق بسكون في حزننا

ومددت له يدي فأوسمها تقبيلًا، وكان هذا الخادم يعني بأحزان سيده كأنها سيدة أحزانه، وكنت كلما ذهبت في الصباح إلى القبر أرى أنه سبقني إليه وسقى أزهاره لينسحب عند وصولي ويخلى لي المكان

وكان يقيم عند ما أمطلي جوادي وأذهب متنزهًا في الغاب، فأراه قد أطل على الوادي ماشيًا يسير ورأى وهو يمسح عرق جبينه لاهثًا، فاشتريت له فرسًا من أحد الفلاحين، وهكذا أصبحنا كلانا نذهب متجولين في الغاب

وكان في القرية من معارف أبي من كانوا يزورونه أحيانًا، ولكنني اضطرت إلى قفل بابي دون كل زائر وإن صبب ذلك على، فما كان لي جلد على مقابلة أحد.

وفكرت يوماً أن أطلع على أوراق والذي، فقدمها لي لاريف بيد خاشعة مرتجفة. ففك رباطها وتبرها أمامي، وما تلوت الصفحات الأولى منها

كل شر بمض الخير، وأن الآلام المظلمة مهما قيل فيها راحة عظمى، فإذ ما تكشف المقدور لنا من علم غيب الله فانه ليصدعنا لينبها من غفلات الحياة، وإذا ما تكلمت هي أسكت صوته كل صوت، وإذا كانت الآلام الوقوة تجدف شاكية ظلم السماء، فان الآلام الستمرة الكبرى لا تجدف ولا تشكو بل تخضع وتتنبه لتسمع وتري

وكنت كل صباح أفق الساعات الطوال متأملًا في مشاهد الطبيعة، وكانت نوافذ غرفتي تطل على واد عميق يرتفع من وسطه جرس المبد على قبابه، فكان كل ما يعتد نظري عليه يتم من البساطة والفقر، وما كانت مشاهد الربيع بأزهاره المتفتحة وأوراقه الخضراء لتثير في نفسي ما يتخيله الشعراء من التفتيح، إذ يرون في انجلاء الحياة ابتسامة ساخرة بالوت، ولا أرى من يقول بهذا القول إلا من الطاع أو شاعرًا بقلب لم يتكامل

الشعور فيه

إن من يخرج عند بزوغ الفجر من قاعة المقاهرة وقد فرغت يده يمكنه أن يشعر أن بينه وبين الطبيعة عداء ونضالا، فهو أمام أنوار الشفق كصباح ليلة فاجرة... ولكن ما يمكن أن تسره الأوراق الطلة من غصون الربيع للولد المنتحب على أبيه؟ وما دموم عينيه إلا أخوات الأنداء، وهل أوراق الصفصاف نفسها إلا قطرات دموم؟ لقد نظرت طويلاً إلى السماء والباب والروح، فأدركت أن تمزجة الناس للناس إنما هي تملة من بنات الخيال، وما كان لاريف ليخطر له أن يمزى نفسه أو يوجه إلى عبارات التعزية، فقد كان هذا

فكنت أتبع في الطعام والقراءة والتزهد الخطة التي اتبعها هو فتعددت الحياة المهادنة للنظمة تدخل الطمأنينة إلى قلبي طول نهاري ، حتى إذا جلد المساء رقدت مستكنة وأنا أشعر بالنبطة حتى في أحزاني

وكان والذي شديد الميل إلى العمل في الحديقة فيوزع أوقاته بعد حرثها توزيعاً متساوياً بين المطالعة والتزهد فيعمل على لقله ولجده ما يحق لكل منهما . واقتديت بأبي أيضاً في أعمال البر متممًا ما بدأ به فكنت أذهب مفتشاً من من أعين من مد يد الساعده لهم ، وهددم وفيه في الوادي حتى اشتهرت بينهم . وهكذا لأول مرة في حياتي شعرت بالسعادة فليس كل لحظة ما يطهر الأحزان ويقدمها فقد يارك الله دموعي فتملت القضية من الآلام ...
(يتبع) فليكس فارس

مكافأة

لهم يدل على القاتل

تم على مجلة « الرواية » مكافأة وقدرها ٥ جنيهات لمن يدل على القاتل في القضية المشار إليها في « يوميات نائب في الأرياف » للكاتب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم التي تنشرها المجلة تباعاً على أن تصل الردود إلى المجلة قبل أول يولييه مع بيان الأدلة بوضوح وإيجاز

حتى شعرت بانتماش كأن نبات علية هبت على من جوانب بحيرة صافية ساكنة ؛ وكنت كلما قلبت صفحة ونفضت عنها غبار الزمان ، عبت منها كالقطار حياة أبي تتوالى يوماً بعد يوم ، فاعد فيها خفقان فؤاده وأستعرض وقائعها كقول مساح كلها جيد ، وقد بقيت في كل جوانبها أزهار المطف والنبل ، وتمازجت ذكريات حياته بتدكار موته ، فكنت أتتبع هذه الحياة تتحدرك كالجدول الصافي نحو بحر الموت

وهتفت في صمتي : أيها الرجل الصالح الذي لم يعرف الخوف ولم يتدنس بأوم لك كنت طاهراً في جهادك ، وغلصاً في ولاك ، ووفياً في حبك لزواجك أي ، لك كنت معجباً بالطبيعة ، ومتعبداً لربك ، فحسرت في هذه المواطن كل حيائك ، ولم تدع لسواها منفذاً إلى قلبك ، فما كانت التلويح على أعلى الجبال يأتي من ناصع شيبك في شبحوختك الصالحة ، ألق هذا الشيب على رأسي يا أبي فإن فيه من الشبيبة ما ليس على شعري الذهبي . هبني أن أعيش كما عشت أنت وأن أموت كما مت ، فاني أريد أن أغرس في التراب الذي يواريك غصناً ناضراً لحياتي الجديدة فأسقيه من دموعي والله راعي كل يتم ، ينمو هذا الفرس القدس ليظل أوجاع ولد وتذكر شيخ ...

وبعد أن اطلعت على الأوراق جيمها ، قررت أن أدون أنا تذكريات أبي فأعدت لها كتاباً على مثال كتاب والدي ، وبدأت بالسير على آثاره وطبع حياتي على غرار حياته . فكانت الساعة كلما دقت تذكريني بحركة من حركات أبي وسكنة من سكناته



هوميروس

في أرض المردة (السيكلوبس)

وشرع أوديسيوس يجيب عما تسأل عنه الملك فقال : « أيها الملك تعالى جده ، لشد ما يطرب ما تنقني هذا المنشد غناء الآلهة ، ولقل ما تعدل الدنيا بأمرها هذا المجلس الشاذي ذا الأضياف والآكال والأشربة ! على أنني مجيبك على ما بدهك من دموعي وهومي ، وما لقيت وما سوف أتقي مما قسم لي من أشجان وأحزان ! إذن فأعرف اسم ضيفك الشريد الذي لا يجهل اسمه أحد ... ضيفك اللائذ بكرمك ، المستدري بمحك ، للتشبت بك ليصل في ظلك إلى بلاده مهما تقاسمت ومهمانات ... أنا أيها الملك ... أوديسيوس ... أجل ... هو أنا أوديسيوس ذو الذكر ، المعروف في السموات بالدهاء والسكر ، ... ابن لبريس رب إيثاكا ، وملك نريوتس ذي الشماف السامقة ، وأنجزر الآلهة حول ساموس ودخلجوم وزاسنتوس ، أم لجازر التي تصافح تباشير الصباح بكل روضة فيحاء وخيلة لفاء ، وجنات ذوات

من
أساطير
الأولين



الأولاد

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فهرسة الفصول السابقة

« انتهت حرب طروادة ولكن أوديسيوس العظيم لم يعد فيمن عاد من أبطال اليونانيين إلى بلادهم ، وكانت زوجته بثلوب آية في الجمال ، فطعم فيها كل أسراء النواحي وحاصروا بيتها ليرغموها على التزوج من أحدهم . وكان لأوديسيوس ولد اسمه تليك حرضته مبنقرة الحسكة على الإهبار ليسأل عن أبيه ملكي ييلوس وأسيرطه . وغيط الشاقي لما علموا بإبحاره فتربصوا له ليقتلوه . أما أبوه فإنه لما أبحر من طروادة نسي أن يعضي للآلهة ففرقت أساطيله ونجا هو إلى جزيرة تسكنها هموس الماء كليسيو التي عصفته أول ما رآته وأبقته عندها سبع سنين ، حتى أمرها كبير الآلهة زيوس أن تطلق سراحه فأبحر على رمث صغير ، ولكن نبتيون عدوه الأكبر لعه وهو يقرب من أرض ملوك البحر فأغرقه صرة أخرى ، وبعد تضال شديد سبج إلى الشاطئ حيث لقي نوزيكا ابنة الملك فأرشدته إلى بيت أبيها الذي أكرم مثواه ووعده أن يرده سالما إلى بلاده . وأقام الملك حفلا رياضيا اشترك فيه أبطال المدينة وغز أوديسيوس بكلمات بنى عليه فيها أنه لا يعرف من الرياضة شيئا ولا لشارك في تلك الألعاب ، فغضب أوديسيوس ونهض فنفذ بالقرص الكبير قذفة بلغت من المدى أضفاف ماقدف أقوى أبطالهم ، ثم تحدى الجميع لمصارعته وملكته فغاصروا ... وسأله الملك من هو ولم كان يبيك حينما سمع للمنشد يذكر حروب طروادة وبطلها العظيم أوديسيوس ... وهو هنا يجيب عن أسئلة الملك بهذا الفصل الفريد الذي يرتفع فيه هوميروس إلى القروة »

شجر ونحو، مسبقاً لأبنائها الأوفياء ... هناك ...
 حيث احتجزتني عروس الماء كليسو في كهفها ،
 وراودتني لأكون "بها" ... وهناك ... حيث
 أغرتني سيرس هي الأخرى ، سيرس صاحبة جزيرة
 إيبا ... التي حاولت أن تتخذ مني خليلاً فأبيت ، ولم
 أقبل أن أضحي وطني وأهلي ، ولو أصبحت زوجاً
 لاحدى الزيات الخالدات ... ولكن لا ، لم قبل
 كل شيء أقص عليك من أنباء رحلتى منذ بارحت
 اليوم ، ولأدع ما قبل ذلك فهو معلوم مشهور :

« أقلمت بنا الفلك إلى بلد السيكون
 (إزماروس^(١)) ، (فبدل لي أن أزيد في رثوة رجالي
 وما قازوا به من أسلاب طروادة ، فأشرت عليهم
 بفتح المدينة واغتنام ما فيها من كنوز وأختار^(٢))
 وسرطان ما تم لنا ذلك ، قتلنا المسكر وملكننا
 القرية ، ووزعت السبي والأسلاب على جنودى ،
 ثم أشرت عليهم بالرحيل فمضوا أحرى ، وعثوا في
 المدينة مفسدين ، وعاثوا من الحجر وعقروا من
 الشاء ما أذهلهم عن أنفسهم ، وأتاح لأعدائهم لم
 السمث ، ففجأوا ببجيش عرمرم منهم ومن
 جيرانهم ، وناضلوا عن مدينتهم فأوقموا بنا ، ولم
 يُفنتا أننا قاتلناهم حتى مطلع فجر اليوم التالى ، بل
 ظل فرسانهم الصناديد يكرون ويفرون ، حتى
 قذرو بنا فى البحر ، فوقفنا فى سفائنا تناوشهم
 برماحنا ... وصمدنا لهم حتى توارت الشمس
 بالحجاب ... فانسحبنا نجر أذيال الهزيمة والحزى ،
 بعيد إذ انتزع السيكون غار النصر . وعدت إلى

(١) على الشاطئ الشمالى لبحر إيجة

(٢) ماين الفوسين من شرح الأستاذ جبريل وليس

من الأوديسة

اللو توفاجى الصحراء ! ... وتظنرت عودة رجلى ،

بمخيف البحر ... ثم غمنا على الشاطئ حتى مطلع
الفجر ، وأشرقت أورورا تنشر بالورد مشرق
الآفاق ، فهضنا نجوب الجزيرة ، وتنبأ ظلال
الحور ، ونرى عرائس الماء ترحي الماعز ، فبادرنا
إلى سفنتنا ، وأحضرنا الحراب والأواس ، ثم نفرقنا
ثلاث فرق ، وشرعنا نصيد من هذا الحيوان ،
فاجتمع لنا منه الشيء الكثير ، ونال كل من رجال
سفائتنا الاثنتي عشرة تسع أعدن ، بعد أن نحرت
عشرا نفسى ، ولبننا يومنا هذا نفتدى بكل شواء
حنيد ، ونكسر كل كأس روية ، في غير تخمة
ولا شجى ^(١) ... وللآلهة تلك الخمر السلاف
السيكوتية التى افترعناها من زقاق أزماروس !
ثم نظرنا ناحية الغرب ، فإرعنا لإدخان كثيف
يساعد فى الأرض القريبة ، ودرء وضوء
كالرعد تنتشر فى جنباتها ، وإذا هؤلاء السيكاوس
للردة ينتشرون فى الأرجاء ، وأمامهم قطعانهم من
الشاء والأنعام ... أعداد لا حصر لها ... عليها
إذا عُد الحصى يتخلف !

ونمنا ليلتنا مروعين ، حتى إذا بزغت أورورا
نهضنا واحتشدنا فى صعيد واحد ، ثم تمت فى رجالى
خطيبا ، ققلت : « أيها الأخوان ! لثبق غالبيتكم
فى هذه الجزيرة ، فإى ذاهب فى نفر منكم ترود
هذه الأرض ، ونعرف من أنباء أهلها ، ونعلم من
أحوالهم ، ونرى هل قوم ظلم وضيم ونضالهم أم
دريون يهشون للكرمات ، ونجبتون للآلهة ؟ »
« وأقلت فى نخبة من رجالى فوصلنا طرفا
من الجزيرة نائتا فى البحر ، قوقه قلاع مشرفة
عليه ، فهبطنا فيه ، وذهبنا نروده ، حتى انتهينا

بيد أنهم لم يرجعوا ، فاضطررت أن أذهب بنفسي
إلى حيث هم ، فحملتهم قسرا إلى الشاطئ بين المويل
والضجيج ، وقذفت كلا منهم فى قرة مثولاً مكبلا
مشدود الوثاق ، ثم أمرت الملاحين فأبحرنا على
مجل قبل أن يأكل بعضهم من اللونس الملمون
فيضل ضلالهم وينسوا أوطانهم ، ويظفوا فى هذه
الأرض جاعين

« وما عمتنا أن وصلنا إلى أرض اللردة الجبارة
السيكاوس — الطفاة المائة ، الذين لا يخضعون
لشرية ، ولا يأمرون بقانون ؛ الذين تؤق أرضهم
أكلها رغدا من غير كد ولا عناء ... حبسا
وأبنا ، وحدائق غلبا وقصبا وعبا ، تسقى
مما يفيض عليها جوف من ماء المين ... يمشون
فوضى ، لا تربطهم رابطة ، ولا يقوم بينهم نظام ؛
ياوون إلى كهوف موحشة ، وغيران سحيقة ،
فى قلل الجبال وأحيادها ... يعنى كل منهم نفسه
وزوجه وأولاده وقطعانه ، ولا يأبه للباقيين ، وتلقاء
أرضهم توجد جزيرة مشعبة أريضة شجراء ، فيها
من الماعز البائم قطعان لا حصر لها ، ولكنها
مع ذلك يهائم ^(١) مضلة ، لم تظأها فيما غير قسم
إنسان ، ولم يرش إلى حيوانها منهم صائد ، لأن
السيكاوس لم يحاولوا أن يركبوا البحر مطلقا ،
ولم يعرفوا طوال حياتهم هذه الجوارى اللنشآت
فيه كالأعلام . لذلك سلت الجزيرة بما فيها من
خير ، وتكاوت قطعانها حتى امتلأت بها مروجها
الخضر السندسية ... وثمة ، فى جوف هادى جميل ،
ألقينا مراسينا ، ونزلنا من سفائتنا ، فى ظلام الليل
الدامس ، وفى حراسة الآلهة ، بعد إذ ارتطمنا

علوى للشاربين ؛ ثم كان معنا زُكْرًا^(١) به أكل كثير ، وكنا عددًا عديدًا من الأبطال الصناديد ، ولكننا مع ذلك كانت تمرينا رعدة ، وكان يشيع في قلوبنا فزع ، أن يفجأنا هنا الجنى صاحب المكان ، الذى لا يخشى فينا شريعة ، ولا يرد عنه أذانا قانون ... ، ثم تولقنا كذلك ، فأشرقنا على مشارة حقيقة هى مقام السيكلوب ومنامته من غير ريب ؛ بيد أننا لم نجد عندنا ، فقلنا ربما انطلق بقطمانه رماها في الروح القريبة .. ورددنا العرف في المارة فرأينا مصاق كثيرة معلقة بز الحصير^(٢) منها ههنا وههنا ، فمرقنا أن السيكلوب يصنع الجبن من ألبان مواشيه ، ضيا وقد امتلأ المكان بيواط كثيرة مقفلة بالحصير والخيش ، وعلى مقربة منا شهدنا حظار واسعة لصفار الشاة والحلان واللاغر ، وقد قسّمت فرقا حسب سنّها ... وقد بدا لبعضنا أن نذهب بما هنالك من جبن وزيد ، وأن نستاق الحلان والجذعان إلى سفائننا ؛ غير أنى - وا أسفاه ! - تأيبت ، لأننى آثرت لقاء السيكلوب ، رجاء أن ينفخنى من كنوزه ، وييسبغ على من آلاه ؛ ولقا ، جلسنا ريثما يمود ، وأكلنا من جبنه وزيده ، وأشعلنا نارا نستدفئ ، ثم إذا هو يطوى المروج الخضر بقطمانه ، وإذا على كاهله الرعب أفتال وأحبال من الحطب وفروع الشجر اليابس ، حتى إذا كان لدى الباب ألقاها في بطش فاهترت الأرض ودوى المكان ، وانحبس وصيد الكهف ، فالتفت الرعب في أفئدتنا ، فهورنا مذعورين صمقين ، واختبأنا كالخفافيش في زوايا

إلى كهف عظيم ضارب في الصخر ، وقد نما النار الجليل على باب الشخيم ... ودخلنا ... وأأردمنا هذه الحظيرة الكبيرة في وسط الكهف ، تنسع لقطمان لا عدد لها من الأنعام والأغنام واللاغر ، ثم هذا الفناء العظيم المحدث بها يفصله عنها سور عتيد من الحجر الصلد ، متّسرس بجنوع الحور والسنديان ؛ ولقد عرفنا فيما بعد أن صاحب هذه المارة مارد جبار من أراذل السيكلويس ، لصق بهذا الطرف من الجزيرة يمسف ويظلم ويعلّوه بشيا وعدوانا ... ثم هو إلى الجان والشياطين أقرب منه إلى أى خلق آخر ؛ فوجهه مرديعوس أبدا ، وهو إلى ذلك هولة تحسبه إذ تراه قطعة من الصخر نحت منها تطور فوق ناصية الجبل ... وتولقنا^(٣) ... وكان مى زق من خمر معتقة مما أعطانيه مارون بن إيثانت ، قسّ فوبوس ، رب إزماروس ، لقاء ما أيقنا عليه وعلى زوجة وأولاده يوم غزوتنا لقريته ... ياله من كاهن سمج طيب القلب ؛ لقد نفخنى بأكرم اللهى^(٤) وأجزل الهبات ؛ وهل أنسى ما حييت تلك البدر السبع من الذهب الخالص ، وذلك الدن من الفضة الغالية ، وتلك الجرار الاثنتي عشرة من الخنودريس الصرف التى تُشرب باسم الآلهة ؟ لقد كان يقديسها بنفسه وماله ، فلم يكن يعرف نجياها أحد غيره وزوجه وأمينه ... لقد كانت كأس روية واحدة من هذه اللدامة تمزج بمشرين ضعف من الماء القراح ، وهى مع ذلك سكر ولقة وروح

(١) الزكر (الحرج) بضم الراء ما يحمل فيه الزاد

(٢) اللاه يسقط من الجبن

(٣) تولق : صمد فوق جبل

(٤) المطايا

والغارة وشقوقها... أما هو ، فقد أدخل قطعانه ، واحتجز ذكرياتها في الفناء الخارجي ، ثم أخذ في حلب الأنث في الرحبة الداخلية... ونهض بعد ذلك فسد مدخل الكهف بمحجر واحد كبير لو وضع على عربتين عظيمتين لم يستطع عشرون نورضهم أن ترحله من مكانه... وجلس يحلب النماج والماضر ، وكلما فرغ من واحدة أرسلها إلى جذطنها^(١) ترضع ما تبقى في ضرعها... وكان يقسم لبنه قسمين ، فيحتفظ بأحدهما لشربه ، ويغض الآخر لزيد وجنبه ثم فرع من هذا كله وأضرم نارا عظيمة ما كادت تذهب حتى رآنا معلقين فوق نوى الكهف. فصاح بنا : « من هنا ؟ وي ١ من أنتم أيها الثريا ، ومن أي البلاد ترحم وفيهم خضم هذا الباب إلى هنا ؟ آفاقون ؟ أم تجار ؟ أم قرصان نسيثون في بلاد الناس ؟ » وزولنا زلزالا عظيما ، وكان صوته الأجش الحشن يلقى الرعب في قلوبنا فتعتلج اعتلاجاً... ثم إنى جمت ما تبقى من وعي ، وما أبقى عليه الزوع والهلع من إدراك ، فقلت أحبيبه : « نحن إغريقيون أيها العزيز وقد ذرنا البحر اللحي شرقاً ومغرباً ، وتقاذفتنا قوة كل ريح ، منذ يارحنا اليوم التي فتحتها الله علينا ، لأثنا من عساكر أجا ممنون الملك ، ابن أتريوس الكريم ، قاهر طروادة ، ومبيد الطرواديين... وها نحن أولاء ، قد لذنا بك بمد طول النصب ، فنضرح إليك أن تقي علينا مما أفاء جوث عليك ، وأن تردنا غائمين... فيا مولانا أكرم مثوانا ، فنحن الأغراب في كنف جوث أبداً ، وأينما نول^١ فانه معنا »

ونجههم السيكلوب الجني وقال مضطرباً مستهزئاً : « حَسْبُكَ أيها الأَخ الغفل ما خَوَّفت من جوث ، فنحن السيكلوس لا نبالي جوث ، حامل إيبيس^(١) ، ولا سكان السماء قاطبة... أنا أقوى منهم بكثير ، وأنا نفسي ، لن آبه لأيعا نذير من جوث كبير الأولب... ولكن حدثني قبل كل شيء متى ألفت سفينتك مراسبها في أرضنا ؟ وأين هي ؟ أقرية أم قاصية من هنا ؟ قل الحق ولا تخف عني شيئاً... وأجبتني في حيلة ورفق ، وقد عرفت ما رى إليه : « لقد نسف نيتيون رب البعار مركبنا في اليم نسفاً ، وسلط عليها الزوابع فجرت بألواحها بعيداً... بعيداً من ههنا... ونجوت مع هذا النفر من رفاق فقط إلى شاطئكم » ولم ينبس السيكلوب الجبار بكلمة... بل أقبل نحونا ، واقض على رجال كالصاغة ، ثم أمسك باثنين منهم ، وأرسلهما في الهواء ، ثم ضرب بهما أرض الكهف ذات النوى ، فهشم رأسهما ، وانشتر الخ فوق الحجارة هنا... وهنا... وألقاهما بعد ذلك في الجر المتأجج حتى نضجا... واستوى كالسبع الرئبال ، وطفق ينهشهما... ولم يمض وقت طويل حتى أتى عليهما ، غير مبق على عظمة واحدة أما نحن فيا لألهة السماء... لقد كان هذا المنظر الفاجع يصف بنفوسنا ، ولم نملك إلا أن نرفع الألف فنتبهل إلى جوث أن ينجبنا. وأن يرحمنا ولم يكن لنا مع ذاك من أمل في نجاة ١١

وبعد أن أشعب الجبار نهيمته من هذا الاحم الآدى النريض ، وبعد أن شرب من اللبن شرب الحميم ، انطرح بين قطعانه ، وجعل يرسل في

والكهف شيخيراً مزيجاً... ولقد حدثتني نفسي أن أنقض عليه فأخوض في كَيْتِهِ بجزاري ، ولكن فكرة سوداء طافت برأسي ، حيناً نظرت إلى باب الكهف فأبصرت الحجر الضخم الذي لا يطيق أحد أن يزحزحه ، وتذكرت للوثة الجاهلية المفزعة التي سنمونها إن قلت... فقفزت قنوطاً شديداً ، وأرسلت أهوات الحسرة والندامة أنا وأصحابي ، وانتظرنا بقلوب فارغة تباشير الفجر ورأيتنا أوروورا الوردية ترسل أول أشعثها من الكوى الصغيرة ، فهب السكاوب إلى قطعانه ، وأخذ في حلب لئانها ، وكل فرغ من واحدة أرسل إليها صفارها ترضع وتنخب ؛ ثم إنه قبض على اثنين من رجالي وفعل بهما كما فعل بصاحبينا أمس ، حتى إذا فرغ من إظهاره ، هب إلى الحجر فزحزحه في سهولة ويسر ، كأنما كان يزحزح غطاء آتية ، ثم استاق قطعانه ، وأعاد الحجر إلى مكانه ، ومضى يرعى بهمه ، وبقيتنا نحن ندعو ثيورا... وفكرت ألف فكرة في وسيلة أنتقم بها من هذا اللارد الوحش ، وتوسلت بميزفا أنف أستطيع... وانفجرت أسارى فجأة ، وأشرق وجهي بنور الأمل... ذلك أنني أبصرت بمجدح زيتون مشذب أعده الجتنى ليكون عصا يهش بها على قطعانه ، فقلت في نفسي : « ولم لا يكون في هذا الجذع خلاصتنا ؟ » ، ثم إنى أصرت رجالي بـبَرِّي أحد طرفيه ، وكان الجذع طويلاً جداً ، يصلح سارية لسفينة كبيرة يعمل فيها عشرون بحاراً... فأقبلوا عليه يشحون ويبرون ، وأكبت أنا على نهاية الطرف أحده... ثم انتهينا من حملنا وأخفينا الجذع تحت القش الكثير اللقي في الكهف ،

(١) أوتيس Ootis معناها (لا أحد) ولم يستحسن مترجمو هومر ترجمتها ، لأنها قد تعني (ذو الأذنين الكبيرين) ولكنها تؤثر ترجمتها

قائلهم : « ماذا دهاك يا بوليفيم حتى تروعنا هكذا في ظلام الليل ، وحتى تقض مضاجعنا بصراخك الفظيع ؟ هل خفت أن يستاق أحد قطمانك ، أم خشيت أن يقتلك أحد بقوة أو غدر ؟ » وقال بوليفيم وهو يتصمد : « آه أصدقاؤى ! إني أموت ! ولقد قتلتى أوتيس ^(١) » فقال قائلهم : « إن كان أوتيس — الذى هو لا أحد — قد ألحق بك أذى فاصنع بك هذا إلا جوف ؟ تجلد يا صاح ، وادع أبائنا نيتون ليساعدك ، بأنك من أعماق اليم » وتركوه وانصرفوا الشائهم ، وشحكت أنا فى سريتى لأنى استطعت أن أسمى عليهم بهذا الاسم اللئيق المقترب . وما رح بوليفيم بيكى ويعول ويهزه الألم والأسى ، حتى زحزح الحجر الذى يسد الباب ، وجلس عنده ، ماداً ذراعاه ليمسح أحداً منا أن يقات أو أن يذهب ييمض أناماه . . . إنه يحسبنا بلهاء مثله !! وجلسنا نعمل الفكرة بيد الفكرة ، ونرسم الخطط نلو الخطط لنجائنا . . حتى تأتت فى فكرة حسنة ، أيقنت أنها تفلتنا من هذا السجن السحيق إن كان شئ مستطعاً أن يطلق . . . مرحاضنا منه لقد فكرت وفكرت ، فبدا لى أن لدى السيكاوب كباشاً كفاً أن نستطيع أن نحمّلنا إذا ربط كل منا تحت بطن واحد منها . . ولقد كانت الكباش سميئة حقاً ، ذات فراء كثة وقوة كبيرة فقمّت من فورى فجذلت من أعصان الصفصاف التى كان السيكاوب الشنيع ينام فوقها ، وجملت من كل ثلاثة حبالاً واحداً ، ثم ربطت كل رجل تحت بطن كبش كبير قوى جملته بين كبشين لا يحملان أحداً ، بل يكونان وقاية للكبش القوى يعمل رجلاً

(٢) ليدكر القارىء أن معنى أوتيس (لا أحد)

وبه أسمى فى بلادى ! ولكنك وعدت أن تشيبنى على ما قدمت لك من خمر ، فإذا عساك ما يحى ؟ » فاستهزأ السيكاوب وقال : « اطعمنى يا صاح ! سأهب لك أن تكون آخر من أكل من إخوانك . . هذا هو جزاؤك ! » وتناوب وتناوب ، ثم انطرح وسط قطمانه يغط فى نوم عميق . . . وكان يصعد أنفاسه بقوة فتتخذ من بلمومه شوائب من خمر ، تخرج بقضبات من لحم بشرى . . . ؟ . . . وقفزنا إلى جزع الزيتون فوضنا طرفه الحد المبرى فى الجر التاجج حتى تاجج مثله ، وبكلمات قليلة أثرت النخوة فى نفوس إخوانى حتى لا نخذلهم قوام ، ثم استنمت الآلهة فابتشت فينا قواها السحرية ، واستجمعنا كل ما فينا من مئة اليأس ، ووضعنا الطرف المشتعل فى عين السيكاوب المغلفة ، وحررنا الجذع وطفقت أنا أقلبه فيها من مكان عكس ، كما يفعل السفان الصناع بمخاطفي فى خشب السنديان . . . وانبجس الدم من عين السيكاوب الممياء ، وحفظ إنسانها كأنه عين حنة من دم وعاز . . . وقصاراى : لقد كنا كالحداد الماهر الذى يطفى سلاحاً محمى فى ماء بارد !! ولقد صرخ السيكاوب ^(٣) صرخة ردد أصداءها الكهف . . ثم رددتها الثيران والجبال المجاورة ؛ وذعرنا نحن ، فلصقنا بالشقوق والزوايا ؛ وراح الجنى الجبار يخط فى ظلام العمى بعد إذ انتزع الجذع المشتعل من عينه ، وهروا كالليل نحو الباب فوقف عنده ، وطفى يولول ويهتف ويصيح ، ويدعو جميع إخوانه السيكاوبس كلاً باسمه ، فاجتمعوا إليه من كل فج عميق . . . وقال

(١) يحسن أن نلتفت نظر القارىء إلى طبيعة السيكاوب وأنه لا يملك إلا عيناً واحدة

بينهما ... أما أنا فتعلقت بصوف الكباش الأخير، وبقيت ساكنة صامتة، ومكثنا هكذا ننظر الفجر المقدس الريب، بعيون واكفة وقلوب واجفة... حتى بزغت أوردوا فهروا لاذكران كمادتها للرجي، وبقيت الأنثى لكي تحلب، وتهادت الكباش بالانقال الملققة تحتها وهي تكاد تنوء بها، وكان السيكلوب ما يزال يمول ويشكو بثه إلى فير سميج، وكان يلمس يديه ظهور الكباش وهو لا يدري ما تحتها، حتى إذا برز كبشى، زلزلت زلزالا، وسمعته يقول له وهو يتحسس: «يا كبشى الحبيب مالك استأنيت هكذا وكنت دائما سباقا إلى المرمى على رأس القطيع تقضم الكلا الخلو... سباقا إلى الفدير ذى الخريز نهل من ماء السلسيل؟ بل كنت سباقا كذلك إلى مآواك هنا... في كل مساء؟ ويحي ويحيك يا كبشى الحبيب! لقد أسيت لي، وخزنت من أجلى، وشمرت بما دعى صاحبك من الشمس الرحيم أوتيسس، وأتباعه اللؤماء المفلوكين... أوتيس الذى سحرني بخمره... ويل له؟ إنه لن يسفلت من الموت اليوم! آه لو كان قلبك مثل قلبي، وآه لو كان لي بصرك الحديد فيدلي أن اختبأ أوتيس التمس! إذن كنت أحطم رأسه فوق هذا الصخر، أوتيس الوغد... الذى اسمه لا أحد! فهو لا يساوى شيئا؟»

ثم أفلته المغفل فانطلق الكباش في إثر رفاقه، حتى إذا كنا بيمينين من الكهف ومن صاحبه قفزت من مكنتي، وعدوت فأطلقت سراح رفاقي، وسقنا نخبة من أحسن النعاج إلى حيث سفينتنا المنتبئة في الجون المهادى... في ظلال الحور والسندبان... وأبحرنا من فوراً فوصلنا إلى إخواننا في الجزيرة الأخرى الذين هناؤنا بقدر ما ذرفوا

الدموع على فخايا بوليفيم! واعتزنا الأبحار فاستمد كل في سفينة، وأقلنا نالوي على شيء. حتى إذا كنا على مسافة مبلغ الصوت من الشاطئ، نهضت وجعلت أعتف بالسكلوب بوليفيم هكذا: «بوليفيم! لقد بؤت بما صنعت بذاك، وكان جزأؤك وفاقاً، أيها النذل الخسيس! لقد خسبت أنك تنفال رجال قائد لا سلطان له عليك، ولا قدرة له على الانتقام منك، فرحت تنفذ كالوحش باهر ضيوفك الذين لجأوا إليك وتقيأوا ظلك... فاهنا الآن أيها المولة بما حل بك!». وما كدت أصمت حتى ثار نازر وغلت جراحه، وانترع صغراً كبيراً من شعاف الجبل، وقذف به في قوة وعنفوان ناحية الصوت، فهوى الصخر على مقربة منا، وكاد يهشم سكان السفينة؛ وقد انفرج البحر، وانشطرت أمواجه، وارتدت السفينة نحو الشاطئ حتى لسكات نفوس في رماله وتتعلم على أواذيه، لولأن أسكت بالسارية الكبرى وجعلت أدفع وأدفع حتى حادت السفينة إلى مكانها في البحر... وابتعدنا قليلاً... وجاهد رجالى بمجاديفهم حتى كنا على مسافة حى ضعف المسافة الأولى... وهنا، حاولت أن أسبح بالسكلوب مرة أخرى، غير أن إخواني حالوا بيني وبين ذلك، وسمعت بعضهم يقول: «وبك أوديسوس! لم تهيج الجنى بكلماتك، وقد كاد الحجر الذى قذفه إلينا يودى بنا جميعاً ويحطم سفينتنا على الشاطئ؟» أما نحمد الآلهة التى أنقذتنا من ساعديه الجبارتين، وهو لو سمع ركزاً من أحدنا لهشمتنا جميعاً قبل أن تنادر غارده؟ على أننى ما أصخت لهم، بل هتفت بالسارد الجبار أقول: «أيها السيكلوب الطاغى! إذا سألك أحد من عمك قتل له أعمامى أوديسوس ابن ليرتيس الأثيناكى!»

يرتق فوقنا ، وسقط وراةنا بمقربة من السكان ،
فانشطر البحر إلى فرقتين كل فرق كالطود العظيم ،
ثم انحسر الماء فجرت السفينة إلى الشاطئ مرة
أخرى ، ولكنها هذه المرة أرست على الشاطئ
الآخر الذي أرست عنده سفائننا الأخرى ، حيث
أقام إخواننا يشهدون المعركة الهائلة ويجزعون ...
ثم إننا نزلنا إلى البر ، وفرقنا الأنصبات من نجاج
السيكوب بيننا . وكان من نصيبى ذلك السكبش
اللفدى الذى نجاني ، فذبحته على رمال الشاطئ
قربنا لجوف التمالى ... وأسفاه ! إن أكبر ظلى
أنه لم يقبل قربانى ، لأن أكثر سفائننا أغرقت
فيا بسد ... وأكلنا هنيئاً ، وشربنا الخمر الممتعة ،
وانتظروا مد البحر ، ولكنه استأنى علينا ، فتمننا
حتى نصرت أورو را خبيث الشرق بالورد ،
ونهنضنا ... ونشرنا الشرع وأسلحنا القلاع ،
وأبحرنا ، بقلوب واجفة ، ونفوس نال منها الهلع ،
لاذنين بالفرار
(يتبع)
دريش فشب

في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر

بقلم الأستاذ

ابراهيم عبد القادر المازني

أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

الثنى بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٧١ مصر

الاشتراك يفضل في منتصف أغسطس

وتأوه المارد حتى كاد يتصدع وقال : « ولى منك !
لقد صدقت النبوءة ، وتحقق ما قال تلوس يورعيد
النبي الذى شب بيننا وظالما تحدث إلينا معشر
السيكوبس عما خبا القضاء في صحف الغيب لنا ؛
لقد قال لى إنى سأقعد بصرى بوساطة رجل من
البشر يدعى أوديسيوس ، فظلت أنتظره ، وكنت
أحسبه مخلوقاً طويلاً عظيم الجسم بآدى القوة ...
فاذا هو أنت أبها القزم - اللاتىء ! - الذى
قهرتنى أولاً بالخر ثم أذهبت بصرى وأطفأت النور
من عيني ! أوه ... ولكن ... عد إلى يا أوديسيوس
وحل على ضيفاً من جديد ، أكرم مثواك ... وأصل
من أجلك لأبى ... نبتيون ... الفخور فى ، أن
يمهد لك البحر ، ويطامن من تحتك الموج حتى
تصل إلى بلادك سالماً ... إنه وحده هو اللطيف
فى ، وليست قوة فى الوجود غيره تستطيع أن
تضفى وترد على بصرى ! » قفلت له : « بنفسى
لو استطعت قذفت بك من حالى إلى قرار جهنم
فلا يقدر أحد على رد بصرى إليك - حتى ولا أبوك
هذا ! » . وغيظ السيكلوب وحنى ، ورفع كفيه
إلى السماء يصلى لأبيه هكذا : « أباه نبتيون المحيط
بالأرض اسمع دعائى ، يا صاحب الشعر اللازوردى ،
إننا كنت حقاً أبى ، وإذا كنت حقاً تفخر بنبتونى
فاكرم هذا القزم المدعو أوديسيوس بن ليرتيس
الأثيناكى من المود إلى بلاده ، إلا أن يكون هذا
قضاء فى الأزل فأقم المقاب فى طريقه ، وشرده
طويلاً فى البحر ، وأغرق سفائنه وأقبر فى الأعماق
أحبابه ، وأوحجه إلى ذل السؤال وطلب المونة
من الناس ليمدوه بركب يمدود عليه ، وإذا عاد فليلق
الهم والغم مقيمين بياه ... آمين ! » ولى نبتيون ،
ورفع السيكلوب حجراً أضخم من الأول ، وجعل
يهوم به بكلمات يديه ، ثم قذفه قذفة هائلة ، فذهب



Elmasri

زوجة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والفن والعلوم

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على مدى وبصيرة

- الرسالة : تعبر بأخصاص عمه روح النهضة المصرية
- الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البهود المصرية
- الرسالة : تصور مظاهر البصرية للأمم المصرية
- الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب المصرية
- الرسالة : تقي في النفس أساليب البصوفة المصرية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنبهما مصر ، وللبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪

طبع بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ — تليفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

يرد الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

إدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
التيبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مرتين في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثاني عشر ٧٠ جادى الأولى سنة ١٣٥٦ — ١٥ يوليه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



فهرس العدد

صفحة			
٧١٤	حفلة عرس	ليلاسكو ايانيز	بقلم الأستاذ عبد الطيف النشار
٧٢١	خيانة في رسائل	قصة مصرية	بقلم الأديب نجيب محفوظ
٧٢٨	يوميات نائب في الأرياف	صور مصرية	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٧٣٤	النبابة	الكتابة كاترين منسفيلد	بقلم الأستاذ عبد الحليم حمدى
٧٣٩	ناهد	أقصصة مصرية	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
٧٤٨	ماتيو فالكوني	لبرسيير ميرييه	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٧٥٣	بمد عشرين عاماً	لثوماس هاردى	بقلم الأديب نظى خليل
٧٦١	اعترافات فتى الصر	لأنفريد دى موسىه	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٧٦٨	الأوذيسة	لهوميروس	بقلم الأستاذ دريق خشبة



حَفَلَةُ الْعَرَبِ

للكاتب: الإسباني بلاسكو إيبانيز
بقتله الأستاذ عبد اللطيف النشار

— ١ —

مدينة « بنى مصلان »
مدينة أسبانية ناعمة يحيط بها
مثل البحر من أشجار
الزيتون والكروم

جدران بيضاء ، ونوافذ
مظلمة ، وفي الوسط قبة
كنيسة خضراء وحصن عال
كاد يبله الزمن

مدينة بنى مصلان قرية
ككل قرى أسبانيا متأخرة
مظلمة غير قابلة للتطور ، تحكمها
التقاليد العتيقة ، ويسودها
سوء الظن والأهواء الجامحة
والمساوآت والأحقاد .
وأهلها بسطاء لا يبالون بالمال
ولا بما يجري فيه ، مسرفون في
عبادتهم وفي عداوتهم وأطماعهم

قرية بنى مصلان وطن « ماريتا » ، و « توني »
و « سيجارات » و « الم سانتو » ووطن بضع مئات
على هذه الشاكلة

— ٢ —

« تيوسانتو » أو الم سانتو قد أعلن عزيمته

على الزواج للمرة الثانية
ولكى تفهم تأثير هذا
الخبر في قريته يحسن أن تعلم
أن الم سانتو أكبر دافع
للضرائب في الأقليم كله ، وأن
له الزعامة في قريته ، وأن التي
يريد الزواج منها بنت راع
فقير . وهل تسأل عن المهر
الذى سيقدمه إليها ؟ نظرات
ساحرة من عيني سوداوين
طويلتي الأهداب وشعر لامع
رجراج

ولم تكن دهشة القرية
أقل من غيظها ، ولا اختاف
الرأي فيها بين واحد وواحد ،
فالكمل يردد جملة بينها وهي
كيف يتزوج رجل في هذا
العمر من فتاة كهذه ؟ رجل

يملك نصف أزمزم ، وفي منزله مائة قرية من النبيذ
القديم ، وفي صربط خيله خمسة بقال ، ثم يترك هذا
كله لابتنة فقيرة مثل ماريتا ، تلك التي كانت في
طفولتها تحصل على خبزها ، كما تحصل الفتاة على
قوتها : مسكينة زوجته الأولى ! لقد تركت

ولد إيبانيز في مدينة بلنسية سنة ١٨٦٧
ودرس الحقوق كمعظم الشبان الصغار في
أسبانيا ، ولكنه اشتغل بالسياسة في جدة
الشباب ، ودعا إلى الجمهورية ثائراً ضد نظام
الحكم الملكي في بلاده ؟ وتعرضت حياته
للخطر عدة مرات بسبب الثورات الناشئة
عن أسباب من بينها دعوته . وبدأ مهده
الأدبي بإصدار مجلدين من الأناصيص التي
يصنف فيها حياة أهل بلده ؟ وفي سنة ١٨٩٧
أصدر روايته « الكوخ » وهي تصد
خير مؤلفاته ، وأصدر بعدها « فاكهة
النبيذ » و « الكندرية » و « الرمل
والدم » . وقد حل في هذه الكتب على
عادات بلاده . وفي سنة ١٩١٢ رحل إلى
أمريكا الجنوبية ، ولكنه عاد قبل أن يتم
برنامج رحلته ، وذلك في سنة ١٩١٤
بسبب نشوب الحرب العالمية وبسبب حاجته
إلى المال . ومرض على الحكومة الفرنسية
خدماته كنائب للديانة قبلتها بأجر عظيم
فوضع روايته « الفرسان الأربعة » وقد
اشتهرت في دول الحلفاء شهرة عظيمة ، ثم
وضع كتاباً عن الملك ألفونس جل عنوانه
« ألفونس غير اللقن » فطرد من أسبانيا
وأحدث الكتاب هجة عظيمة في أوروبا .
ومات إيبانيز منذ سنوات

قصرها وضيمتها لهذا الزوج القليل الوفاء، وترك
للزوجة الثانية فراش منزلها التي كانت مزمومة
به في الحياة... هل تعود تلك المسكينة من القبر
لترى ذلك الفراش في حوزة من كانت الناس
يتصدقون عليها بالطعام؟

ابن ست وخمسين يتزوج من أجل الحب !
انظروا إليه كيف يرقص، وأنصتوا إليه كيف
يتكلم، وراقبوا النظرة البلهاء التي تبدو على
وجهه. إنه كالشباب الصغير عندما يبالغ الحب
للمرة الأولى

وافترق أهل القرية على أن المم سأتوق قد عقله ؛
وكان يحدث في الكنيسة في يوم الأحد من كل
أسبوع ما يشبه المظاهرة ، فان أهل الزوجة
الأولى يحضرون الصلاة ، وعند انتهائها يلتقون
بصهرهم القديم وتثور ثأرتهم ، ويصفونه بأنه
لص ... نعم إن قريبتهم أوصت له قبل الوفاة بكل
ما تملك ، ولكنها كانت تعتقد أنه لن يخون
ذكرها ، وهاهوذا يدفع بهذه الثروة إلى فتاة صغيرة
— ومن نعط منعط — إن العالم ليمد خاليًا من
الصدالة ، إذا سمح لابن السادسة والخمسين بأن
يفعل هذا

وكان أهل القرية يهتمون حول أهل الزوجة
الأولى ، ويحتنونهم على مقاضاة الرجل وفسخ
عقد الوصية

وفي غير أيام الأحد كان مثل هذا الحديث
يدور في المقام وفي الميادين العامة والشوارع ؛
وكان يشترك فيه حتى الفتيات من بنات الأسر
الكبيرة اللواتي كن ينفضن أيديهن من حديث
على يتعلق بالزواج لولا تحدث كل أهل القرية به

« توني » ويزونه لأنهم على ما يظهر قد
وجدوا فيه الرجل الذي يصلح للأخذ بشارم ؛
وكرر في القرية المفيدة من بكرم توني ويدعوه إلى
بحاله وطعامه وشرابه

وكانوا يقولون له ليستثيروه : « توني ! ما علمت
أن ماريتا ستزوج ؟ » فينظر إليهم وذهنه شارد ،
وينقل لفاعفة التبغ من أحد جانبي فم إلى الجانب
الأخر ، ثم يحدث في قارورة النبيذ ، وأخيرًا يهز
كتفيه ويقول :

« هم يقولون ذلك . لقد كان الأولى بهذا الشيخ
الخرف ألا يتكلم عن الزواج إلا بعد تمامه »

وكان في هذا الجواب ما يقتنع كل إنسان بأن
أمرًا سيحدث ؛ وكيف لا يحدث أمر وتوني يتوعد
هذا الوعيد وخصمه ليس بالرجل الضعيف ؟ إن
المم سأتوق قد انتخب عمدة عدة مرات . وقد رفع
يده بالمعنى على رجال أكبر وأقوى منه لأنهم
وقفوا في سبيله

لذلك كان أهل القرية يتربصون ما سيحدث
باهتمام شديد

- ٣ -

هذه الكيفية كان القسيس مقبلاً ومعه بقية المدعوين من أصدقاء الأسترتين ورفقت هدايا المرس عن الناخذ ووضمت بدلها أطباق الفاكهة وانفطائر والأشربة الحلوة .

وتنحج وكيل العقود ومسح ثيابه بمنديله ووضع حفنة من الرمل فوق الكتابة ليحفظها . وأخذ يتلو ما كان عليه ، فلما وصل إلى اسم الزوج التفت إليه وأخفى رأسه قهقهة المدعوون . ولما وصل إلى اسم المروس التفت إليها وأعاد هذه الحركة فأعاد المدعوون الضحك . ولكن لما وصل وكيل العقود إلى ذكر شروط الزواج فعدد المزارع والننازل الموهوبة والجياد والبغال علت أوجه الضاحكين منذ لحظة علمهم الحسد . وكان للبتمس الوحيد هو الزوج فقد أتيحت له فرصة يظهر فيها غناه ويظهر حسن معاملته لزوجته . أما والد المروس فلم يستطيعا منع دموع الفرح ، وكأنه يتخيل أن على كل إنسان أن يقول لما أتت الأبواب الوحيدان الجديران بالهبة فقد ائتمنما على ابتئكما من هو جدير بأن يؤتمن

وبعد توقيع العقد أدبرت المرطبات وأخذ دون جوليان يتندر في حديثه بالطريف من القصص والفكاهات ويمرض في سخريه غير مكشوفة بالقسيس

وفي الساعة الحادية عشرة كان كل شيء قد تم . وذهب القسيس والمعدة سوياً . وتقدم المم سانتو إلى وكيل العقود وسكرتيه يدعوها إلى قضاء بقية الليل بمنزله

وكان الطريق بين المنزل الحثير الذي عقد فيه العقد وبين منزل المم سانتو طريقاً مطلقاً ضيقاً .

اشتهر المم سانتو بأنه من الذين إذا قاموا بأى عمل أدوه على وجهه الأكل . وقد ظهر صدق هذه الشهرة في اليوم المحدد لتوقيع عقد الزواج فقد وهب زوجته ثلاثمائة مثقال من الذهب نقداً غير ثياب المرس وخواتم الخطلبة والأمشاط وفراش المنزل وهو من مخلفات زوجته الأولى ، وغير تكاليف الوليمة التي دعا إليها المئات ، وغير الهدايا التي أرسلت إلى منزل أبيها على ظهور ثلاثة بقال . ولا تسلم عن المتادبل وزجاجات العطر والأواني الفضية مذهبة وغير مذهبة

وحضر الوليمة كل المشتغلين بالسياسة في الاقليم وعلى رأسهم نائب البرلمان

وأهديت الهدايا إلى المروس من كبار المدعوين ، فعند ما شئت من العقود وأمشاط الشعر والمصوغات المختلفة التي كانت تتلقاها وهي شديدة الخجل . أما أمها فكانت تبكي بكاء الفرح . وأما أبوها فقد لزم الصمت لأنه لم يجد الكلمات التي تفي بشكر ضهره على إحسانه المتكرر

وكان موعد العقد في بيت والد المروس . وقد عهد بتحريره إلى « دون جوليان » وكيل العقود في القرية ، فجاء مع سكرتيه في عربة نغمة وأعدت له في منزل الراى متضدة مذهبة عليها أربعة حوامل للشمع من الذهب الخالص . ودخل متكبراً عرضها ، ومن أحق من وكلاء العقود بالكبرياء وبإظهاره ؟ أليسوا هم اللطمين على أسرار القانون ؟ وأخذ يعلو على سكرتيه صيغة المقصد وهو يتلفت يمنة ويسرة ، ويرفع النظائر ثم يضمه . وفي الوقت الذي كانت صيغة المقصد المدني تلى

لا ينتهي من ذبح الدجاج والطيور . والم باسكوال الخادم يبدي مثل مهارة الطيب في تذريح هذه الذبائح . وناهيك بشمور هؤلاء الضيوف حين يرون هذه الضحايا وحين يعرفون أنها طعام لهم وهم الذين يقضون المام كله لا يطمعون شيئاً سوى الخبز القفار أو مادوماً بالجبن أو اللبن

إن مثل هذه الوليمة يعد حادثاً لا يتكرر وقوعه في تاريخ القرية ، فقد يكون بين فلاحها من يرى الطعام وهو يطبخ ولكن ليس فيها من يرى في وقت واحد عشرات القدور تحوى مختلف الطعوم لتقدم للضيوف بغير حساب . وليس فيهم من يرى عشرات القرب مملوءة بالنبيذ وليس على الراغب في الشرب إلا أن يشير فيؤتى له بالجر المتقة التي تهر نشوتها أكثرهم اعتياداً على السكر وإدماناً .

وأما الحارثي فعد ما شئت من صنوفها المشتهاة لقد كان كل شيء باخراً غنياً وكان ديوميني نفسه منقطعا بالشراب فهو مدعو وفي الحفل خراب يكفي فكيف لا يلبى

وكانت الأجراس لا تزال تدق ، وآن موعد اللوكب فسار ، وكان النساء في الثياب البيضاء ، والرجال في الماطف السوداء ، وبين الساترين ديوميني ورأسه الى وراء وأنفه متجه نحو السماء . وعلى رأس المريس قبعة جديدة من القطيفة ، وسترة ضيقة عند خصره النحيل ، وبجانبه مارييتا وما أجل تلك المروس وما أرقى ! إن أية عروس من أرق البيوت لا تستطيع أن تظهر في حفلة عرسها بظهر أجل وأروع مما ظهرت فيه بنت ذلك الراعي الفقير كان على لبتها عقد من المؤلؤ كعقد الأميرات ، وعلى كتفها طيلسان من أغلى الحرير وفي أذنها

وكانت الكلاب تنبح كلما من بعضها فريق من المأدين . ولكن بقية القرية كانت في سبات عميق

وكان دون جوليان ومن معه يعيشون في تودة ورفق حذر المثور بحجر يوقعهم في الطريق . وكان الأول يشعر بقلق شديد من مسيره في هذه الليلة الحالكة الظلام . وتوهم أنه رأى ما يريب في ركن من الطريق كأن به أحداً مختفياً يتربص بالسائرين سوءاً

قال بصوت خافت : « انظروا ! انظروا ! » وقيل أن يجاب على كلمته انطلقت رصاصة من ذلك الركن ففزع واستند إلى باب منزل مفتاح . وكان الرصاص لا يزال يطلق ويصيب الحائط فشمع جوليان بأن العرق يتصبب من رأسه .

أما المم ساتو فكان واقفاً في وسط الطريق وهو يصيح : « أقسم بالله أني أعرف من القى فعل ذلك . إنني عرفتك أيها الكلب القذر »

ثم هز عصاه الفليضة منادياً باسم توني وبأسماء أصهاره القدماء أقارب الزوجة المتوفاة

— ع —

كانت أجراس القرية تدق منذ آذنت الشمس بالشروق وكان الخبر بأن المم ساتو قد تزوج — قد وصل إلى أقاصي الاقليم . وكان الفلاحون مقبلين على ظهور الخيل والجر ليقوموا بواجب التهنية

كان منزل المم ساتو طول الأسبوع الماضي في حركة مستمرة لا تنرفها الهدوء ، وهو الآن مبث خجة شديدة ، فالضيوف مقبلون من كل حدب ، والخدم نادون راحون بالأطعمة والأشربة ، وجزار القرية

لم يعد يده الى الطعام اكتفاء بالنبيذ الذي يفرب منه أمام سائر المدعوين ، فكانت أعينهم لا تتحول عن الدجاج . ولأول مرة تناولوا الطعام كما يتناوله السادة ، فأمام كل منهم طبقه الخاص وزجاجته ، وعلى صدره فوطته أيضاً

وكانت مارييتا جالسة بجانب زوجها وهي تأكل مفقودة الشهية ، ووجهها شاحب وقد بدت عليه علام الألم واضطراب الأعصاب ، وهي تنظر نحو الباب كأنها تتوقع أن يدخل توني بين لحظة ولحظة ، وقد كان هذا الوغد جديراً بأن يقدم على أى أمر

وكانت تتذكر في ألم شديد وداعها إياه في المرة الأخيرة ، وتتذكر قوله لها إن أمانيتها ستعقل عليها في يوم ما فتهجره وتزوج من أجل المال

لكنها الآن على رغم خوفها منه كانت مسرورة من توقعها أنه سيفار وأنه سيعمل ماتوحي به النيرة ، وكان موضع سرورها من هذا التوقع أنه يدل على حبه إياها . وكان يسرها أن تكون محبوبة منه ؟ وإن فقدته فقدان الأب

وقل ما بقي في الأطباق من طعام ، وضعت الشهيات ، وبدأ التندر بالفكاهات والأحاديث ، وتناول بعض من اشتد بهم السكر التروسين بالفكاهة والزاح ؛ فتضاعفت من أجل ذلك الضحكات ، وفي النهاية وقفت مارييتا وتناولت طبقاً ودارت به على المدعوين تطلب منهم (النقوط) وسرعان ما امتلأ طبقها بالنقود الذهبية التي كانت تنهال على الطبق ، خصوصاً من أقارب العريس الذين يطعمون أن يتذكروهم عندما يكتب الوصية

قرطان كانت الزوجة الأولى تقصر تحليها بهما على الحفلات النادرة

وأجبه الموكب في اتجاه الكنيسة وكان كل أهل القرية ينتظرون عند بابها ، وكان بينهم بعض أقارب الزوجة الأولى ، وقد استخفهم الفضول فقمضوا المهد الذي كانوا قد قطعوه على أنفسهم بأن يقاطعوها هذه الحفلة

ولكن لما راى الم سائقو أماسهم صاحوا منادين إياه بكلمة الامس ، فلم يجبههم بأكثر من ابتسامة دلت على نهاية الرضى والافتئاع

ودخل ديوميني الكنيسة والناس ينتظرون اليه ويتنازعون ، وبعضهم يتهاشم باسم صديقه توني

ولاحظت المروس توني جالساً في الحانة التي أمام الكنيسة فأحنت رأسها واصفر لونها ولاحظه أيضاً الم سائقو فابتسم ابتسامة المنتصر فأجاب توني على هذه الابتسامة بحركة دالة على الاحتقار ، وآلم المروس أيماً ألم أن توجه إليها هذه الحركة في يوم عرسها

وماد الموكب من الكنيسة فدخل مئات من المدعوين إلى القاعة التي صفت بها مقاعد تحمل أطباق الشكولاته والحلوى ، ولكن الضيوف لم يتناولوا منها إلا القليل خشية من الشبع ، ولم يبق على موعد العشاء غير ساعة واحدة

وظهر ديوميني وفي يده قيثارة يمزف عليها ويصيح بالفناء ، وأقبل القسيس فجلس أمام المنضدة وهو يقول : « إن الشيطان نفسه لا يولم ولمية أبعد من هذه »

وجلس ديوميني أيضاً إلى المنضدة ، ولكنه

بالسعادة . وعلى أثر ذلك عاد المدعوون من المدينة في الأزقة المظلمة وكان وكيل العقود نائماً منذ ساعة في ركن من الثرفة فأيقظه سكرتيه ولم يبق في المنزل غير أقارب المروسين

وأخيراً صاحت أم المروس باينتها : « وداعاً » ولقد يخال من يسمع صوتها إذ ذاك أنها تودع راحلاً إلى القبر . وأما أبو الدروس فكان لا زال في مرحه وسروره وقال لزوجته : « إنك لم تكوني على مثل هذا الحزن عند ما خرجنا من المنزل ، فلماذا هذه الكآبة ؟ » ثم فرق بينها وبين ابنتها وقادها نحو الباب

وذهب كل الخدم الى حجراتهم وجلس الم سائقو وماريننا في الثرفة المتهتلة النظام التي كانت فيها الوليمة والتي لا زال بها الشموع الموقدة . وظلا صامتين مدة طويلة ، ثم أخذ الم سائقو يباين بائناصه ثم يثنى على ثياب المروس

أما المروس فكانت تصني وكأنها تخال ، ولكنها لا تفكر فيما تسمع بل في توتى رفيق ضيائها ودقت الساعة فقال الم سائقو : « الساعة الحادية عشرة » ثم نهض وقال : « وهذا وقت النوم » ومشيا نحو غرفة النوم ولكن الم سائقو ما كاد يصل إلى بابها حتى وقف فجأة لأنه سمع أصواتاً غريبة عن بعد تشبه الدق بثبات من المصى على الصفيح

واقترب الصوت ، وسمع وقع أقدام وعلت ضحكات وسمع غناء ويوميني في وسط هذه الأصوات وصاح الم سائقو بصوت النكر : « عرفكم يا خنازير » ثم أخذ يضرب الهواء بقبضة يده وليس في المكان من يرى هذا التهديد غير زوجته

ولم يدفع القسيس غير قرش واحد ، متذمراً بأن الكنيسة لم تمد تملك شيئاً في هذه الأيام التي سادت فيها الحربة

ولما انتهت المروس من طوافها على الضيوف ، ألقت بالمال الذي جمته في جيبتها ، وقد أطربها رنينه

وأصبحت الوليمة الآن وليمة كما ينبغي أن تكون الولائم ، فالجميع يتكلمون في وقت واحد ، ثم نهض أحد المدعوين ورى زجاجة على الأرض فتخطط ، وكان ذلك دعوة منه للجميع باحتذاء حذوه ، فالقيت كل الزجاجات والأطباق على الأرض

وأراد أعدم سكران أن يبالغ في المزاح ، دلالة على شدة السرور ، فأخذوا يقذفون الرئيس بقطع من الخبز المكسور ، وسرت المدوى بين الجميع فصاح الم سائقو : « كفوا عن هذا ! كفوا ! » ، ولكنهم كانوا من القسوة في مثل حالة المجانين ، فاستمروا واستمر يحدثم حتى استحال صياحه إلى زجاجة ، وحتى هرع النساء اللواتي كن انسجبن بعد جمع النقود ليرين ما الخبر

وأخيراً عاد الهدوء ، عدا أن الصبيان الذين كانوا في الطريق تمكنوا من الدخول عن طريق النوافذ وأخذوا يجمعون ما تساقط على الأرض من الطعام الذي في بقايا الأدوات المتهتلة . وأخذوا يقرصون أرجل السيدات ، فصحن ، وتذمر الم سائقو فأصر بطرد الصبيان وأبدى لأول مرة تذمره من هذه الديلة

— ٥ —

في نحو الساعة العاشرة عاد المدعوون الذين جاءوا من قرى أخرى وهم يفتنون ويدعون للزوجين

بندقيته ويطلق منها رصاصة في الهواء . فامتلازت
الفرقة بالدخان وبرائحة البارود ، ووقمت ماريتا
على الأرض وهي في حالة إغماء وخرج المتظاهرون
كما جاءوا

وبعد قليل سمع طارق على الباب ومناد بصيح :
« افتحوا باسم القانون ! »

وتناقل الم سائق في مشيته وفتح الباب ،
فرأى الجندي ورأى أمام الباب جثة مخضبة بالدم ،
هي جثة توني ، وكان المتظاهرون قد أبلغوا البوليس
أن الم سائق هو الذى قتله ، وذلك بعد أن رأوه
قد انتحرو . فقاد رجل البوليس الم سائق الى
الحاكمة وهو بصيح : « يا لها من ليلة عرس ! »
عبر اللطيف الفناء

ولكن بعد لحظة ظهر في المكان نحو عشرين
شخصاً على رأسهم توني وأغرب الزوجة السالفة
ومن بينهم ديوميني الذى كان طول يومه يتمتع
بضيافة الم سائق ويطرب للدعوى بالزنى على
قيثاره . وشمر الم سائق بالواجب الذى تولى به
المزة والكرامة . أليس هو أم رجل في المدينة ؟
أليس هو الذى اعتاد أن يأمر فيطاع ؟ فكيف
إذن يكون منزله ميداناً لهذه السخيرة ؟ أمن أجل
أنه تزوج من فتاة صغيرة ؟

وأخذ الجميع ينشدون لحناً محزوناً كأنهم في
جنازة وصوب توني إلى رأس الم سائق عصاه
وضربه بها ، فقهقر الرجل في ذلة ، واستطاع
والدم يسيل من جراحه أن يدخل الحجر فيتناول

شركة بيع المصنوعات المصرية
تعمل على احياء الصناعة المصرية وترويجها
معرض دائم لمنتجات البلاد
تعرض المنسوجات الصيفية
من جميع الأنواع : قطن - حرير - كتان
بضائع جديدة لهذا الموسم
صنع شركات بنك مصر
التي أجمع الكل على متانتها وتفوقها
شاهدوا مبتكرات الصناعة الحديثة قبل شراء حاجاتكم

خيانه في رسائل

بقلم الأديب نجيب محفوظ

وما أبأسى ...

« كيف ... ؟ »

« لن أسمد بقراءة

كلمة لك طوال مدة غيابي ،

لأنك لا تستطيع أن

تكتب إلي ، أما أنت

فتستطيع أن تطلع على

همسات روعي كلما مكنتني الفرص من اختلاس

الكتابة اليك ... فأينا أسمد حظا ... ؟ »

« من تواتيه فرص التعبير فيخفف عن

مراحل عاطفته »

وهنا ظلت وجهه سحابة كدر ، وسألها

بمد تردد :

« هل لك أبناء عم ؟ ... »

فابتسمت ابتسامة دلت على أنها سرت للقلق

الذي يث هذا السؤال وأجابته :

« نعم لي ... ولكنهم لم يجاوزوا عهد

الطفولة ، ولو كان الأمر كما تتوهم ما أوجب أدنى

خوف أيها الرعديد النيور ... والآن هات فك

أودعك ... وهيا نقول مما هذه الكلمة المروعة

التي تفزع لها القلوب :

« أستودعك الله ... »

من الفد يصبح له في قنا جيبان عزيزان :

جبية القلب عائدة ، وصديق الصبا وزميل عهد

الدراسة الأستاذ أحمد مرزوق المدرس بمدرسة

قنا ، ولكنه بينما يتصل بصديقه بالكتابة فهو

محروم بحكم الظروف من تمام هذا الاتصال الروحي

بجيبته ، لأن جهما ما يزال سرا خفيا كما يدر

بأضه الأهل ...

وانقضت أربعة أيام على سفر عائدة ، ثم وصله

« هذه أول أزمة تصيب جينا ! نعم طالما آلتني

الفراق الهين ، وأجهدني الشوق إلى اللقاء ، وعذبني

الدلال ، أما الوداع ، أما الرحيل إلى قنا ، فهذا أمر

جديد ، يدفع إلى نفسي شعورا بالحزن لا عهد لها

به ، فهلا عدلت عن هذا السفر ... ؟ »

« لو كان الأمر لي ما رغبت نفسي أدنى رغبة

في السفر ، فما أحفل بقضاء الشتاء في أعلى الصعيد

بعض احتفالي بالقرب منك كما أواسل هذا اللقاء

السميد ، ولكن ما حيلقي وهذا ما يريد أبي ويقمله

منذ أحيل إلى الماش . ولقد اعتاد أن يغنى شهرا

أو شهرين من الشتاء في قنا عند عمي الدكتور .. »

« يستطيع عقل أن يتصور المجزات ،

ولكن لا يستطيع أن أنصور ما عسى أن تكون

عليه حياتي هذين الشهرين ، فهذا الحب غدا حياة

لشعوري ، وهذا اللقاء أسمى ألفة لنفسي ، أجد فيها

راحة بعد تمب ، وهزاء عن شوق دائم ، فما عسى

أن أصنع ... بل ما يكون زاحي وسلوقي ... ؟ »

فوضعت بدا خيرة فاحمة على كتفه ، وداعبت

بأطراف أناملها خده ، وحمست في أذنه :

« هذا شعوري وهذا حزني ، ولولا كراهيتي

للمزاء لنصحت لك بالتمزى والتلمي ، فليس أماننا

سوى الصبر الجميل حتى ينطوي دهر الفراق

ويتصل جبل اللقاء ... ومع هذا فما أسمدك

منها كتاب جاء فيه :

« حبيبي حسنى !

أعجب لهذه الوحشة كيف تجنم على صدرى وأنت مى . . . نعم أنت مى لم تفارقنى لحظة سواء فى ضييح النهار أو فى سكون الليل ؛ مى وأنا أرسل الطرف من نافذة القطار أشاهد الحقول الممتدة وأشجار النخيل البمصرة ؛ مى وأنا بين أهل مى ألتقى الأحاديث وأرد عليها ، وأضحك هذا وأسمع لذلك ؛ مى فى كل مكان وكل حين ، فلا عجب لنفسى بمد ذلك أن هزها الحنين إليك أو استشمرت وحشة وضيقا فى البعد عنك ، أو ألهمها الشوق عذاباً وجوى

وأرجو ألا تمنى بالتكاسل عن الكتابة إليك فبيت مى عامر بالأطفال وهم لا يتركوننى لحظة أخلو الى نفسى ؛ وقد انبثت كلمات هذا الكتاب من شعورى وامتلا بها عقلى وتثلث فى حواسى وحفظها عن ظهر قلب قبل أن تؤايننى الفرس فأسطرها لك خلسة على ضوء القمر المتسلل من نافذة حجرى والعيون قد أغمضها عنى المنام . . . فاعذرنى إن تأخرت عنك رسائلى وأرجع إن شئت إلى قلبك فاعتقداى أنه على عليك عن لسانى ما أحب أن أقوله لك دائماً

أما عن قنا فجوها دافئ جميل ، وخلا ذلك فنحن فى منى ، ولولا ما يرمحه أبى فيها من صحة وعافية ما تركته يسكن إليها لحظة من الزمان »
فأخذ من الكتاب كل ما استطاع أن يمنعه من المزاء والبسولة والسعادة

وكان صديقه مهزوق لا يقطع عن مراسلته وإن خلت كتابته من الطرافة والجدية ، فهى التحيات المحفوظة وبث الأشواق والتلف على

إدبار العام الدراسى وإقبال العطلة الصيفية ، إلا أنه أضاف الى هذه المحفوظات فى آخر كتابه ما نصه :

« طالبا قلت لك إنى أعيش فى قنا كما عاش أبونا آدم قبل أن يخلق الله منه أمنا حواء ، لا يقع بصرى على وجه امرأة قط ، وإن كنت أرى أحياناً بعض الأصدقاء يشيرون إلى كتلة من الثياب السوداء الملفوفة تسير كممود من الدخان الكثيف وأسمهم يقولون : انظر الى هذه المرأة . . . ولكن وقع بالأس ما يمد حدثاً تاريخياً فى حياة قنا ، إذ حضر الدكتور سامى حسنى مفتش الصحة الى البستان المسمى وفى صحبتها غادة جميلة سافرة الوجه ، ففز البلد وزلزل كيائها . إنه رجل جسور لا يعبأ بأراء التزمتمين ، ويحجده دائماً على استمداد لرد على تطفل التطفلين بما يجعله مثلاً وعبرة ، ولم يلبث أن شاع الخبر وملأ الأسماع فروع الشباب الموظفين من مدرسين ومهندسين وكتبة الى البستان وهم يسوون أربطة الرقبة ويحكون أوضاع الطربوش على رؤوسهم ، فلورأت البستان حين ذاك لحسبته حديقة غناء فى مصر الجديدة أو قصر النيل إنها شاة جميلة تحمل فى طياتها عطر القاهرة العبق ، فليهنأ قفر قنا بهذا القطر العذب . . . »

تخفق قلبه لدى مطالعة الكتاب ولم يداخله أدنى شك فى معرفة صاحبة الشخصية الجميلة التى أثارت لوعة الشباب فى قنا

ياله من كلام يحمل فرحاً وألماً والألم فيه أكثر ! أيجوز أن تسعد قنا ومن فيها بحبيبته ويوقى هوى القاهرة تسيل نفسه حشرات عليها . . . وهم أن يكتب لصديقه كتاباً يعلن فيه بأن الفتاة التى هز مقدمها قنا هى حبيبته اليوم ، ثم خطيبته وزوجه غداً ، ولكنه جفل من هذا

ولتلمس بمدحني في أي غيباً من غابي* القدر كانت
تنتظره هذه المفاجآت ... »

ما هذا الذي يقول مرزوق من أن عينييه
تجذبان إليه عينيها ؟ إن لميى مرزوق أن تجذباً
كيف تشاءان . أما عينا صاحبتة فلما بالهما تنجذبان
وتستجيبان ؟ ... هلا يكون ذلك مجرد نظر برىء
فسره صديقه على ما يهوى غروره ويحب ؟ ...
إنه لا يشك أبداً في إخلاص عائدة ، ولكن يبنى
ألا ينسى أن لصاحبه عيني جلتين يحس الناظر
إلهما سخونة في أعصابه ولذعة في قلبه ، وهو
— إلى ذلك — مدرس محترم من حلة الدبلومات
المالية ، ومن ذوى المستقبل السعيد . أما هو فلم
يزد على أن يكون موظفاً صغيراً ، كل مؤهلاته
شهادة البكالوريا ، ومستقبله مظلم محدود ، أفلا
يكون لجميع هذه الفوارق أثر في الحب ؟ ..

إنه يشعر بحزن عميق يخيم على نفسه فيصاحبها
من السكابة كنفس هريم متشائم ، ويحس بدم
الغبرة ينطلق من قلبه ويولث دمه ... أواه ... إن
أحلامه وآماله تترجح على كف رجيم ...

وفي ذلك الوقت أنه كتب من عائدة ،
فانكب عليه بهتة ، وتلاه مرة بعد أخرى ، ولم
يكن يخرج في معناه عن رسالتها الأولى ،
فترعرعت شكوكه ، وطوده الثقة ، وذاق بعض
الطمانينة والشفاء ، وحل غرور صديقه ثم ما جرى
عليه كتابه من الشك والسذاب ، ولكنه تسلم
رسالة من صديقه بعد ذلك بأسبوع ، جاء فيها :

« كن على يقين من أن الماطفة النامية لم تعد
قاصرة على جانب واحد ، فعيينا الفتاة — واجمها
عائدة — تقتحان الحاضرين من الشبان وتستقران
على أنا . إنى أطالع في وجهها عند حضوري سيبا

الاعلان ووجد رغبة خفية أن يكتمه إياه وأن يطلب
منه أن يوافيه بأخبارها التي تستحق الرواية والحديث
لقد تردد لحظة وطرح على نفسه هذا السؤال :
ألا بمد هذا تجسساً منه على حبيته ؟

وهل يجوز هذا في شرع المحبين ؟ .. أو ليس
الأفضل أن يربأ بنفسه عن أن يضع صاحبتة موضع
الانهام والظنة ؟ ..
ولكن عاطفة الندم هذه لم تستطع أن تقهر
مواطف قلبه الجياشة السوداء فطردها من نفسه
وكتب الى صديقه بما أملت عليه شكوكه من
بادئ الأمر

وبمد حين وصله كتاب كان من صديقه جاء
فيه عن عائدة ما يلي :

« تفسر كل شيء في قنا وكل شيء في حياتي .
لم تعد قنا قبرا موحشاً فأغراً فاه مكشراً عن أنيابه ؟
ولم تعد حياتي ساماً ثقيلًا متصلاً . كيف لا يكون
هذا وأنا مطمئن إلى أنى سأحظى أصيل كل يوم
برؤية ذلك الوجه السافر المبتسم الذي يحيي موات
النفوس ، ويبعث مصفر الأمل ... ما أجملها ،
وما أعذبها ...

علت الآن أنها ابنة أخي مفتش الصحة ، أو
هذا ما علمته قنا عامة وعلمه شبابها خاصة . إن
جميع الميون تلهمها التهام الجوع ، فلعل هذه
الصحة تثير الفيرة في نفوس الآباء الموظفين ،
فتشجعهم على الاستهتار بتقاليد الصمد وأهليه ،
وإبراز بناتهم للعيان ، وهما يكن من الأمر
فنتحن الرابحون

لا تنحس على أخيك من قهر ، فهو بطل صنديد
وشخصية لا يشق لها غبار ، وإن عني لتتغذبان
من بين الميون جيماً وتجذبان عينيها إلى ، قصيراً

بالحقيقة السافرة ويضع آماله بين يدي شهامته وما يمهده فيه من الاخلاص والروءة ، ولكن كبريائه تأبى عليه أن يكون في حبه من المسترحمين السائلين ، وهو يندفع برغبة جنونية نحو جحيم المذاب كأنما غدا يستطيط النار للموقدة ؛ وأبى إلا أن يمرض حبه لأقصى امتحان . فاما إلى نعم الطمأنينة ، ولما إلى أهوال المذاب ، وعليه فقد تمالك وكتب إلى صديقه :

« إذا كانت ثمرة الحب ناضجة فاقطفها بلا تردد ، فان حكمة الدنيا لتدوب حسرة على ثمرة حب ناضجة يزهد فيها الانسان ، أقدم ولا تبال بالنتائج البعيدة ، وتمتع بالحب في منى قنا ولا تحملن نفسك هوم التفكير في الند ، ولا تففل عن تزويدى بكل جديد فاني أصبحت من تتبع حيك على حب شديد »

وانتظر رد صاحبه بصبر نافذ وجزع لجوج ، حتى وافاه منه كتاب جاء فيه من عائدة ما يلي :

« بوركك من حكيم سديد الرأي ! لقد اتبعت نصحك أيها الأخ ، وضربت لها موعداً حمساً ، ووافيت إليه في صباح اليوم الثاني وأما حائر بين الشك واليقين ، بين اليأس والأمل ؛ ولكن لشد ما كان فرحى عندما رأيتهما قادمة ! والحقيقة أنها كانت مترددة مذعورة على رغم خلو السكان الذى يوحى بالطمأنينة في خفية عن أعين الرقباء ، وبلغ بها الذعر أنها صرخت في غير ملتفتة إلى يدي الممتدة كأنها جاءت لسير موعدى ، فقبمتها وحييتها وطمأنيتها حتى قالت لي مضطربة :

« لا أدري كيف جئت .. كيف أطمنتك .. إنني مضطربة ... » فهدأت خاطرهما وسكنت اضطرابهما ولطفتهما بما أوتيت من بيان وحرمان وحماس حتى أفرخ روعهما واطمأن صديقه

الشوق والتطلع تحاول أن تخفيها بدم أكثر من مفتعل ، وأقرأ في عينها استجابات خفيفة لرسائل الهامة الالهية ، وأستشف أحياناً على فها ابتسامات خفيفة ، ولعلها تخاطب عمها أو أحد أبنائه الصغار بصوت مسموع وهي تمنيني . لا تدهش لأقوال هذه فاني أطاردها في إصرار ، وأتبعها في عناء ، وأخاطبها بصوت مكتوم تنبيء عنه شفتاى المتحركتان ، وأبث إليها بإشارات الشكوى والرجاء ، وقد اقتربت منى مرة وهي تلاعب طفلاً من أبناء عمها وسعمتها تقول له أو لى إن شئت : « دائماً في أعقابى ، فإذا تصنع لو رجعت الى مصر ؟ ... » . فقلت لها بهمس مسموع : « لملك لا تمودين ... » ، إنها كلمة ذات مغزى خاص إذا قالها شاب أعزب موظف مثلى . وقد كان لها الأثر الجليل . والآن أفتى فانك خبير طبيب عالم بأحوالى ، هل أقدم أم حسي ما ذقت من لذة بريشة وأولى ظهورى ودأ لن ينتهى بالثام ... ؟ إن ثمرة الحب ناضجة دائية تنتظر من يقطفها فما رأيك ؟ ... »

بالظلام ... يا للألم الساخر ... عيشاً يحاول دفع هذه الآلات بالشك والتكذيب ، فائدة بلا ريب هي التي لا تستطيع مغالبة الشوق بالتستر وعدم الاكتراث المفتعل ، وهي التي تحدث النير وتمنى المجدود من الرجال ، وهي التي تجيب عيناها الاجابات الخفية ... وهي تسكرها سيرة الزواج فيا للظلام ويا للخيبة القاتلة ... والأدنى أنه يريد منه أن يكون مستشاراً في تأساة قلبه ... ولعله يزجو أن يشير بما يقطع خيط المنكوبات الذى يمسك بكفة أحلامه وسادته .. فيا للسخرية ! من استطاع أن يحاول انقاذ سعادته فيمان صديقه

وكتب إليه في رسالة أخرى :

« منذرة أيها الصديق عن تأخير غير مقصود ؛
والحق ماذا أقول لك ؟! فالحياة الجميلة هي هي ..
لقاء فأحدث ، فداعبات فتقبيل وعناق ، فوداع
ولقاء . إنها غدت مجنونة بي ، وكلما مررت ساعة
اشتد بها الجزع وتكاد تنطق جوارحها : أن أذهب
إلى والدي ومخاطبه في حيناً لأن يكون لك طول العمر
إنما أمنية طبيعية ولكن ما كل ما يتمنى المرء
يدركه .. »

ثم كتب إليه بعد حين :

« قومت الألفة تلمس الحياء وصيرت التلميح
تصريحاً وأمنت عادة تاح على أن أكلم أباهما
لنتخذ علاقتنا الصيغة الشرعية المقدسة ، وكانت
حياتي تكون السعادة نفسها لولا هذه التفتصات
والحق أني أجد بين دينها سعادة صافية جميلة
شديد المطف عليها ، وبشت في الضمير أما مبرحاً .
وإنه ليسودني ما أبت لها من نية القدر والمهجر
لأنني في الحقيقة لم أرفها أكثر من ملهاة مجتمعة
أسكن إليها في هذا المنفى القصى . وما أشبه غرائبي
هذا بفرام الرحالة الجواب تتمدد وعوده تتمدد
ما يجوبه من البلدان . وما يثير النفس يا صديق أني
— أول أمس على أثر عودتي من لقائهما — جلست
إلى مكنتي شارداً أنلب بعض الكتب فسا راعني
إلا ديوان شوق تنشق صفحاته عن صورة حفظها
فيه وكدت أنساها ، هي صورة خطيبي بوجهها
الصبيح الجليل وقد سطر على ظهرها بخط جميل
« تذكاري الوفاء » فكأنه سوط عذاب ألحني نارا ،
ألا فليفرق الله ما تقدم من ذنبي وما تأخر أيها
الحبيبة ! والحق لقد اضطرب فؤادي وألقيت على
الصورة نظرة دهر سريمة ثم أخفيتني عن عيني أو
أخفيت عيني عنها لأنه وقع في نفسي أنها تعلم بخيبيتي

لقد تمدنتا طويلاً ، بل طويلاً جداً ، ولو أردت
أن أسطر لك ما دار بيننا ما انتهيت وما سمعتي
الأسطر ؛ فحسبك أن تعلم أنها فتاة جميلة رشيقة حلوة
المعشر ، مهذبة الطباع ، وإن كانت تغلب عليها حدة
الاحساس وتوقد الماطفة والذهاب مع الخيال .
وقد حامت بمهارة حول موضوع الزواج فخاريتها
بخفة ولباقة لا تهويان بها إلى قرار اليأس ولا تملوان
بها إلى عقد الميثاق ، وعند الافتراق تناولت منها
قبلة شبيهة خلت حلالة جدتها أنها أول قبلة
تناهنا شفتائى ... »

انتهى الأمر ، وتبددت الأحلام ، وخابت
الآمال وقضت على قلبه القذى انتهى طويلاً بأفراح
الحب أن يتجرع آلام اليأس والخيبة
وانقطعت عنه رسالتها ولكنه كان على علم
متصل بأحوالها من رسائل صديقه التي جاءت تترى
وقد كتب إليه في إحداها :

« أما — باختصار — سعيد جداً ، فخيالي
ملئمة بالبهجة والمسرّة ، وعائدة خير عزاء عن
الوحدة والوحشة في هذا المنفى السحيق ، وإني كلما
أذكر أني سأحرم هذه المتعة بمد شهر يشيب شمري
من الهول ، وأضمه إلى صديري بشفق ، وألهم
منها قبيلات ملهية كأنني أخزن منها ما أعود إليه
عند الفراق . أما هي فتعتقد أنها لن تعود إلى القاهرة
أو أنها تعود لكي ترجع إلى إلى الأبد ، فن يدريها
أن لي خطيبة تنتظرني في القاهرة من سنوات
طويلة ... »

وبهذه المناسبة أقول لك إن عائدة من اللاتي
ومهن الله دلالة وقتنة ، ولكنها على قدر غير هين
من الاستهتار والثرق ؛ أما خطيبي فشابة حية
هادئة الطبع وعلى خلق عظيم ، وإني أدخرها للزواج
وأنا سعيد

من هذه الفتاة الثائرة الثمارة التي لم يميزها الله إلا بمظاهر الجلال المتبذل لا بلبث أن يتبخّر أثره في الهواء . وسهما يكن من الأمر فإن ينقضى أسبوع حتى تكون الآنسة عائدة في طريقها إلى حيث ألفت »

قرأ جميع هذه الرسائل - رسائل صديقه وقائه - بامان شديد

وكانت تتسلط على نفسه في ذلك الوقت عاطفتان : عاطفة حزن عميق وشهور حاد بالغيرة والغيرة وانهار الأمل جعلته لا يدوق لذة في اللحظة ولا راحة في السهاد ، وعاطفة تشف وانتقام أن تنتهي بها الخيانة إلى مثل ما انتهت به الحال من خيبة أمل وانهار صرخ سعادة ...

ولم يفرط في واحدة من هذه الرسائل التي سجلت تاريخ أكبر هزة عنيفة امتحن بها شبابه فجعله في رزمة وحفظها في حق جاكيل ووضعها في مكان أمين وانتظر ...

جاءه رسالة مقتضبة من عائدة نفسها تملنه بقدمها وترجوان يذهب للاقائها في موعدهما الموعود عند العصر ...

وفكر في أمره طويلاً ، تفكير من تسيطر عليه عاطفة مسمومة ونفس جريحة حتى انتهى من أمره إلى تدبير ، فذهب إلى الموعد في الساعة الموعودة ، ولم ينتظر هذه المرة لأنه وجدها في انتظاره ، واستقبلته بيدين مفتوحتين وابتسامة مشرقة ، فضمها بين ذراعيه وأثم شفتها وهو يتسم ابتسامة كلفته غالباً من المجد وضبط النفس

وجلسا إلى نفسيهما كما كانا يفعلان في الأيام الخوالي السعيدة ، وسمعا يقول بفرح فائض : « وأخيراً »

وأنها تصوب نحو نظرة لا تمشي أمامها الحياة » وكتب إليه في رسالة أخرى يقول :

« لست فتي عصياً كما كنت أعتقد ، ولو أني كنت كذلك لما هالني القدر ولا كبرت على نفسي الخيانة ولسهل على اصطناع الوداد للفتيات اصطناع تحيات الصباح والمساء ، ولهذا تجدني معذباً موزع القلب فلا أنا بالراعي على نفسي لأنني تكثرت ميثاق خطيبتك ولا أنا بالسيد بما ألقى من حب عائدة التي رماني فنانها في هاوية من الندم

ولا ينبغي عليك أن الملل حرف طريقه إلى نفسي وأنني بت منه في سقام ؟ وقد كانت ذلك مقدوراً ولكن ما الذي جعل به ؟ . لعله ذكرى خطيبتك ، أو لعله أن أقبلت على عائدة إقبال منهوم جائع فامتصبت حللوتها في رشقة ، أو ربما كان ذلك لأن جالما طلاء لا ينبغي من ورائه شخصية ذات بهاء وجلال » ثم كتب :

« أمسى اللقاء غير ذي ثمرة ، لأنني من ناحية بت ألقى من السأم وادهاق الضمير ، ومن ناحية أخرى فالفتاة تصر على مخاطبتي في شأن الزواج ولا تسكد تصبر عن هذا الموضوع فرمت بي في الحرج والحيرة ، وينتهي موعد اللقاء ونحن لم نفرغ من الجدل المقيم والتصديق السقيم والاعتذار والهرب الفضوحين »

وأخيراً كتب إليه يقول :

« لأول مرة أخلف اليماد ، وإنني لأعذر نفسي وأغبطها ، وأرجو أن تفهم الفتاة أن هذا مني إعلان بالظيمة ، ولم يكن من هذا بد بعد أن بلغنا في علاقتنا موضعاً ينبغي أن يتقرر فيه المصير ، فاما إلى يمين وإما إلى شمال ، وما كان ينبغي أن أختار من جديد ، وما أحببت ذلك قط فإن خطيبتك تنتظر أوبتي بفارغ الصبر وهي أكرم على نفسي

فاعتقادي أنه لدينا ما يلزم لنا حديثه أكثر من هذا ...

« طيباً .. طيباً .. ولكن وأسفاه قد قدر على أن أحرم هذه اللذة الليلة .. لأن أي مريضة وينبغي أن أكون إلى جانبها مريضاً فلنؤجل هذا الحديث للمتم إلى المرة القادمة فنظرت إليه قلقة وسألت :

« مالك ؟ لست كهدي بك ! تقول إن أمك مريضة ؟ لا بأس عليها .. أمضطر أنت إلى الذهاب إليها حالا ؟ »

إنه يحس برغبة شديدة تدفعه إلى الانفجار لينفخ عن صدره بعض غليانه المكتوم وحقه الدفون ، ويود لو يجبه هذا الزياء بما عزق قناعه ويهتك ستره ويفضح شناعته ، ولو فعل ما جنى على الرحمة والمدالة ، فن حقه أن يصب جام غضبه ويثأر لآلام قلبه ويعحق الخيانة والكر السيئ

ولكنه كان قد انتهى من أمره إلى مرعاً لا يريم عنه ، وكان بطبعه هادئاً رزيناً كئوباً يبد فيه القتل الهوى وتتقلب لديه الحكمة على الثورة ، فغالب دواعي النضب في نفسه حتى أسكنها وقال بهدوء غريب :

« إنى تمب موعوم مكدود الذهن ، ولولا شدة توقى لرؤيتك ، ما هان على أن أقادر أوى ، وهى طريحة الفراش ... فلنفرغ من هذا اللقاء ولو على مضض ... والآن اسحقى لى أن أقدم إليك هدية جميلة : هذا الحق الماجى ... ورجائى ألا تسميه إلا حين خلوتك إلى نفسك فى غرفتك لتحظى بالمفاجأة السعيدة فى غيبة عن أعين الرقباء ... وإلى اللقاء القريب أيتها الحبيبة ...

نوبى محفوظ

ليسانس آداب — القاهرة

فردد قولها : « وأخيراً » ثم نظر إليها بعينين مبهجتين تخفيان دهشة وقال لنفسه : يا عجبا ! ما أقدركن أيتها النساء على إخفاء مشاعركن وتكلف ما ليس بكن ! وانطلقت هى تقول :

« أستطيع أن أخبرك كم ثانية غبتها على طوال هذه الدة الثقيلة لا أرجعها الله »

« الذى يبدو لى أن استغراقك فى حساب الزمن شذاه عن الكتابة إلى »

« أنسخر منى ... آه لو تعلم كم كانت تنكفى الرسالة أكتبها إليك ! كنت أنسل إلى مكان قصى بالبيت كى أخفى نفسى عن أعين أبناء عمى ... فيجدون فى أترى ويبددون عزلى ويفزعون أخيلتى المنسجمة وهواطفى الحارة ، فاذا انتهيت منها احترت كيف أسأله إلى صندوق البريد »

« ألم يكن الخروج هينا عليك ... »

« أحيانا مع عمى »

« لم لم تخرجى فى الصباح وعمك فى عمله والجو خال ؟ .. »

« لو فعلت لكان أصرأ مثيراً ... والشبان هناك جائمون أراذل عديمو الشرف ... »

« يا سلام ! ... »

« نعم يا عزيزى ... »

فمز كفته وقال وهو ينغم فيها النظر :

« أرى عذرم بينا ... فن يطالع هذا الوجه الجميل ولا يقهر على الحب قلبه ؟ ولكن ماذا صنعوا معك حتى استعصموا عندك هذا الحكم القامى ؟ »

فصمت لحظة ثم قالت :

« إنها صفائر مألوفة لا يبنى عنها الشبان ... ولكنها ليست بذى بال ... فلندع هذا الآن ...

وترفق صورة من هذه الأسئلة والأجوبة مع تقرير
وجيز بالقطريز الحامى « لمينات » القى والبراز
لارسالها للتحليل . هذا مع عدم نسيان قص أطراف
التهم ، وقص جيوبه وإرسالها كذلك داخل أحواز
مخومة للتحليل الكيوى . إذ كثيراً ما تكون
آثار الزرنيخ عالقة بالأطراف والجيوب . وناديت
كاتب التحقيق وأمرته بتهيئة اللازم للقيام وطلبت
إليه الاستشارة المذكورة أنى عليها نظرة وأندك ما فيها .
فأحضرها وأحضر معها التعليلات فقرأت ما بلى :
« فقرة ١٤١ - عند إرسال الأحراز إلى القلم

الطبي الشرعى ... على النيابة أن ترسل فى آن واحد
لنائب العموى ... الاستشارة الآتية بعد استيفاء
جميع الخانات بالضبط :

- (١) تاريخ التبليغ عن الحادثة
- (٢) اسم المصاب وعمره وجنسيته
- (٣) هل كان المصاب فى صحة جيدة قبل
الاصابة ؟

(٤) الأعراض التى لوحظت : كالقيء ، الاسهال
الألم ، العطش ، ألم الرأس ، الدوار ، فقد قوة
الأطراف ، التقلصات ، النعاس ، الرق ، التيبس
حالة الحذقتين ، النبض ، التنفس !

(٥) هل كان المصاب يشكو من مذاق خاص
فى فمه من الطعام ؟

(٦) هل حصل للمصاب تخدير أو تنميل
بلسانه أو أطرافه ؟

(٧) هل حصل للمصاب غيبوبة ؟

(٨) هل حصل له تشنجات أو التواءات

بالفضلات ؟

(٩) هل ظهرت الأعراض بقاء ؟

(١٠) هل سبق أن حصل للمصاب حالة تشبه

هذه ؟



مصحف الأيام

يَوْمِيَّاتِي فِي الْأَرْيَافِ

لِلْأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

٢١ أكتوبر ...

ما كنت هذا الصباح أرشف فنجان القهوة
على مكنتى حتى وردت إشارة تليفونية بوقوع حادثة
تسمم فى دائرة المركز : امرأة تناولت من مطلقها
فطيرة فظهرت عليها الأعراض ، وهى تهمة بسماها
للتخلص من النفقة الشرعية . كلام معقول . ومسألة
تستدعى التحقيق من غير شك . ولكنى من جهة
أخرى أعرف قضايا التسمم . وما فيها من « قرف »
خصوصاً على الصباح . وأعلم أنى سأنتقل فأجد امرأة
عائمة فى بركة من النوى والبراز . وكذا وجهت إليها
سؤالاً تلقيت جواباً لا من الكلمات بل من ال...
أعوذ بالله ! ولم أعمالك وأخرجت مندبلى وبصقت
فيه . وجعلت أفكر فى إحالة هذه القضية على
المساعد . وطلبت به بالفعل فحضر فسلمته الإشارة ، فر
عليها بنظرة سريعة وصاح :

— تسمى ! وأنا عمري حققت قضايا تسمم أو
حتى حفرت تحقيق التسمم !

كلامه هو الآخر معقول . خصوصاً التسمم .
حتى أنا القديم الثمرن ، لا أستطيع تحقيق هذه
القضايا إلا وسمى « الاستشارة » للنصوص عنها فى
تعليمات النائب العموى . هذه الاستشارة فيها أسئلة
معمية بالذات لا بد من سؤالها وتلقى الجواب عنها .

وقلت للمساعد أن يذهب هو لحضور التشرريح وإفادتي بنتيجته بمجرد الفراغ منه . ففى هو إلى المستشفى . ومضيت أنا إلى منزل المرأة التي أكلت الفطيرة ؟ وكان الأمر فملاً كما توقعت : وجدت المرأة في صحن الدار وحوملها جاراتها لم يتركن فيها يخيل إلى آنية ولا « حلة » ولا « كروانة » في الحارة إلا آئين بها ووضعها تحت فم المصاصة الطروحة أرضاً تتلوى وتخرس . ونظرت نظرة إلى كاتب التحقيق فهم منها أن يفتتح المحضر ، وتقدمت بين الأواني المملوءة حتى دونت من الجنى عليها وسألها :

— اسمك ومهرتك وجنسيتك ؟

فلم تجب . ولم يبد على وجهها الباهت التقاوس المضلات أنها فهمت معنى . فأعدت عليها السكره في شبه صياح ، فلم يخرج من فمها غير آئين طويل ممزوج بشروع في قه جديد . وقد أسرع بعض النسوة إليها يستندن رأسها المائل بأكفهن ، وهن يتهايمن :

— أبوه يسبها في غلبها !

فأجبت مؤمناً على منطقتين وكانى مخاطب نفسى :

— والله كودى أن أتركها في غلبها ، لكن أحمل إيه ؟؟ فلم النائب العموى في انتظار الاستمارة والعطريز !

وتشجعت امرأة لسنة بين النسوة وقالت لى :

— « مش ادلمدى » حضرتك طالب تعرف

اسمها ؟ اسمها نبوية

— نبوية إيه ؟

— لا ما نرفش غير نبوية . أمى في الحارة

كنا نقول لها تعالى يا نبوية روحى يا نبوية ولكن هذا لا يكفى . ولا بد من كتابة اسمها كاملاً . فتوسلت إلى النسوة أن يساعدننى على حملها على النطق دقيقه واحدة . فتكأرن عليها ورفسن

(١١) الفترة بين تماطلي المادة المشتبه فيها وأول ظهور الأعراض ؟

ملاحظة — يجب ذكر تواريخ واضحة وساعات معينة عما تقدم أى أنه لا يقال مثلاً بعد اليوم الثانى بثلاث ساعات أو في يوم (الاثنين) بل يقال مثلاً ابتدأت الأعراض في الساعة ٤ بعد ظهر يوم ١٦ شهر كذا سنة كذا وأول ما لوحظ منها هو كذا وذلك في الساعة ٣ مساءً أو صباحاً بالضبط ...

شئء مجيل جداً !! كل هذه الأسئلة يبنى أن تطرح على مصاب لا يعرف رأسه من رجله . والأعجب من ذلك أن نطالبه بأن يخبرنا بأن الأعراض ابتدأت في الساعة كذا بالضبط . إذ لا يبنى أن يقال مثلاً في يوم (الاثنين) . بل على هذا المصاب المسكين الفارق في متحصلات جوفه الشاعر بالدوار وفقد قوة الأطراف والتقلصات والنماس الخ الخ . باعتراف الاستارة ... على هذا الرجل أو هذه المرأة الفلاحة الساذجة التي لا تحمل في جيبها ساعة وربما لم ترف حياتها الساعة أن تقول لنا إن الأعراض لوحظت أول ما لوحظت في الساعة ٣ والدقيقة بالضبط !!!

النهاية . فلما نصب هذه الأسئلة على رأس المرأة المسومة . واصطعجت معى المساعد بشاهد حتى تزول حجبته في المستقبل . غير أننا ماكدنا نتحرك حتى وردت إشارة تليفونية أخرى قدسها إلى الحاجب فقلت :

— نهاري من أوله !

وقرأت فإذا هي إخطار من المستشفى الأميرى بوفاة قمر الدولة علوان . فصحت : « مات الرجل قبل أن نعرف منه سر الموضوع » . وظللت قلماً وأشرت في الحال على ذبل الإشارة البارة المألوفة في مثل هذه الحالة : « نأمر بتسريح اللجنة » .

النسوة إذا خالجنى طمع في أن ألتقي من هذه الطريحة
جواباً بالساعة والدقيقة عن الأعراض والفترة بين
تماطى المادة وظهور أول ... إلى آخر هذا الكلام
الطبعوع على استهارة صنعت فوق مكاتب العاصمة
في صفاء وهدهد بالبعد أعين مناظر القاء والاسمهال :
وأومات إلى الكاتب أن « أقفل المحضر » وأفهمته
أن الصابة لم يمكن استجوابها واكتفينا بأخذ
« عينات » التي والبراز وقص أطاظر وجيوب التهم .
ثم عدنا إلى دار النيابة حيث ارتعيت على مقعدى تنبأ
أغمضت عيني قليلاً ؟ ثم فتحتها على صوت
الباب يفتح وقد دخل منه مساعدي أصفر الوجه .
فأققت من خولي في الحال وابتدرته :

— مالك ؟

— التشرريح

— آه حضرت العملية ، والنتيجة ؟؟

— النتيجة ألى أنا ...

وجلس على كرسي قريب ؟ فحدقت بنظري
ملياً في وجهه . ففهمت كل شيء . إن هذا الشاب
قد حدث له ما حدث لي يوم حضرت لأول مرة
تشرريح جثة آدمية . هذا الشاب الرقيق الذي
خرج بالأمس من بين الكتب ؟ تلك الكتب التي
أرثنا وأفهمتنا أن الانسان شيء عظيم ، إنه هو
محور الكون ، وأنه العظمى للمحوظ دون بقية
المخلوقات ببنية الخالق الأعظم ، وأنه الكائن
النوراني الروحاني الذي سوف يبعث ؟ هذا الانسان
لم يتح لكثير من الناس أن يطمعوا على تركيبة من
الداخل ؟ فإذا ما اطلع أحدنا على ذلك سرت في
نفسه صدمة يختلف تفسيرها باختلاف مزاج
الشخص وطبيعته وثقافته ؟ وإني لن أنسى أبداً
يوم وقفت للمرة الأولى على رأس جثة رجل أصيب
في دماغه ببيار نارى أطلق عن قرب فكسر

رأسها الذي لا يريد إلا أن يقع على صدرها ومهنس
في أذنها يرجونها الكلام وإجابة البك النياية .
وبعد ساعة بالتام حركت الصابة شفتيها فاستبشرت
النسوة وشجعنها رابات على كتفيها :

— أيوه ... أيوه ردى علينا يا حبيبتى !

فأسرعت أصبح قرب أذنها وقد نصب
المرق منى :

— اسمك ؟ اسمك إيه بقى ؟ ...

فأنت وزامت وقالت في صوت خافت متهدج :

— اسمي ... نبوة

فكذت أشق ثيابي :

— مفهوم ! نبوة ! كويس خالص ! لكن

نبوة إيه ؟ اسم « أبوك » إيه ؟ أنا في عرض

« أبوك » ! نبوة إيه ؟ ولكني أخاطب وأتوسل

إلى شبه جثة . فقد انحدر رأسها وسقط على صدرها

تمن جديد . ولزمت الصمت إلا من ذلك الآن

الخافت . وبلغ من اليأس والضييق ، فضعت

في النسوة صيحة داوية فأسرعت وأهضنها مرة

أخرى ومسحت صدغها بالساء البارد وناجيتها

بالكلام المنب إلى أن ظفروا آخر الأمر باسمها

كاملاً . ولكن بقي في الاستهارة عشرة أسئلة !

وإذا كان ذكر الاسم على بساطته قد اقتضى هذا

المجهود ، فكيف الباقى ؟ خصوصاً السؤال الأخير :

بيان الفترة بين تماطى المادة للشبه فيها وأول ظهور

الأعراض ؟ مع وجوب ذكر تواريخ واضحة

وساعات معينة كما تقول للمحظوظة ! ! أى أن هذه

المرأة التي لم تخرج اسمها من بين فكها إلا بعد أن

كادت تخرج أرواحنا ستقول لنا عن الساعة

والدقيقة بالضبط التي لاحظت فيها ظهور الأعراض

أول ما لاحظت ؟ شيء جميل ، أنا مجنون أسأل هذه

الأسئلة ؟ أليس في عيني نظر ؟ ماذا تظن بعقلي هؤلاء

— جرح نأرى طوله أربعة سيمتر . . .
وحاول أن يمرر بأصبعه على الرصاصة فلم يستطع
فتناول منشار أמן المدن من حقيبته وجعل ينشر
الجمجمة من الجهة ليفتح الرأس فلم ينجح في نشرها
لصلابتها فأخذ مطرقة صغيرة من بين أدواته وطلق
يدق بها فوق المنشار كأنما يدق على علبه « سردين » .
وسمعت إحدى العجائز ذلك ورأت من فجوة السطح
ذلك اللق و « الهبد » في رأس رجل المائلة وعميد
الدار فوضعت كفها على خدها وقالت متهمدة :
— اسم الله عليه !

هذه الكلمة هزتي . ووجدت لوقعها غرابة .
إن تلك المعجوز ما زالت تعتقد أن رجلين هو
رجلهم بشخصيته وأدميته ، أما أنا فنذ لحظة
قد بدأت أشك في ذلك

وتم زرع الفطاء أو « القراعة » ، وظهر من تحته
الغلاف الرقيق الذي فوق الخنق مباشرة ، فزقه الطبيب
بعشرته ، وجعل يفحص ما حول الجرح وهو على :
— تزييف دموي شديد بأنسجة الخنق . . .

وجعل يبحث بأصبعه عن الرصاصة فلم يجد
شيئا . واستمر في البحث حول تلك المنطقة القريبة
من الجرح فلم يمرر للرصاصة على أثر . أين ذهبت
إذن ؟ وليس هنالك من فتحة أخرى يظن أن
القذوف خرج منها . ولما بيأس الطبيب . وقال
لي باسم : إن القذوف الناري يتخذ أحيانا خطوط
سير عجيبة في جسم المصاب وأحيانا تدخل الرصاصة
من البطن فلا يمرر عليها إلا في الفخذ : قد يكون
هنا موقولا . ولكن رصاصة تدخل من الرأس
تستخرج من القدم ! هذا شغل « حواة » ولا أصدق
أن الرصاصة لها كل هذه القدرة . واستاء الطبيب
أخيرا وصاح :

— وعلى إله ! أدى مخ الرجل بحاله . . .

الجمجمة وهناك الجدار الأيمن للأذن حتى برز جزء
من جوفه الخنق ؛ وحضر الطبيب للتشريح فقامت
معه أشاهد ما يفعل ؛ وكادونا النيط الذي وقمت
فيه الحادثة ؛ وانتقلنا إلى دار المجنى عليه ؛ وهي دار
قريبة متواضعة ، وهي بالقتيل يحمل أهله وقد لفوه
في لحاف جديد « بيوشه » ، ومن حوله النسوة
بهولهن وصياحهن وطينهن يطلحن به وجوههن
وكان منى مأثور نشيط أمر رجاله بإخلاء المكان
إلا من رجال الحفظ والطبيب وحلاق الصحة
ومعاونيه ، وأنوا « بطشتين » كبيرين وضموها
تحت « دكة » خريضة من الخشب في محن الدار ؛
ووضع الحلاق ومعاونوه الخطة فوق « الدكة » وخلعوا
ملابس القتيل ، وكانت جديدة احتفالا ببيد
القطار ، إذ وقمت الجريمة في اليوم الأخير من شهر
رمضان ، كأنما أراد القاتل أن يسرع خشية أن يحمل
الميد وغريمه على قيد الحياة ، وحرصا منه على أن
تكون هدية الميّد تلك الرصاصة في رأس القتيل ،
ورغبة منه في أن تتغير نعمة أصوات الميّد وأنشيدته
المتصاعدة من جوف هذه الدار ، وأعمل الطبيب
المشروط حالا في رأس القتيل وهو على على الكاتب :
— ونزعنا الفروة (يقصد فروة الرأس طبعا)
وعندئذ علا صياح النسوة ، ولكن قد تسألن
وتسألن سطح الدار والأسطح الماوراة « المرشة »
بمحلب القطن والقدرة ، وسمعت بيت أنصواتهن
المتخلطة صوتا رفيعا حاراً مؤثرا أوجع قلبي يصيح :
— يا شجرة و « مضللانا » يا بوا !
وتلاه صوت آخر في مثل وقفه ولهيته وقد
امتزج بنشيج وبكاء مر :

— يا لي كنت خارج بسحورك في بطناك يا بيه
وتم زرع الفروة ، ووضع الطبيب أصبعه في فتحة
الجرح يسبر غوره ويعرف حدوده ، وأمل الكاتب :

مليا . فأتضح لنا أن الرصاصة قد تكون سقطت من نفس الجرح لاتساعه وتقلها وسقطت بسقوطه على الأرض . وفرغنا من العمل وانصرفنا وأنا أعجب لما حدث في نفسي من انقلاب . أنا الرقيق الحس أرى الجزر والتقطيع بل أربيه ولا أرتعد ! ثم أى خيبة أمل ! لقد كنت أحسب الانسان أعظم من ذلك اكلا ، لا يبنى أن نرى أنفسنا من الداخل .

إن صورة ما رأيت لا يمكن أن تزول من تخيلى . ولا ريب أن تلك المناظر قد أحدثت في نفس مساعدى أحداثا .. وأردت أن أسأله في ذلك . ولكن الباب فتح وظهر حاجبى ومعه إشارة تليفونية قلت :

— اللهم خيرا !

وتناولت الإشارة . وما كدت ألقى عليها نظرة حتى بحث :

— البنت ريم ؟ ! .

فأسرع مساعدى متلهفا .

— ما لها ؟

— وجدوا جثتها في الرياح قبلى البلد ؟

— وماتت ؟

قلت لك وجدوا جثتها ، خذ أقرأ الإشارة ! فأخذ المساعد الورقة وجعل يقرأ بعينه حتى وصل إلى آخر عبارة وهى : « ويحتمل أن يكون سبب الوفاة اسفكسيا الفرق » وقفت عيناها عليها لحظة من التأثر ، وكنت أنا أشد منه حزنا على انطفاء حياة هذا الشيء الجميل بهذه السرعة

وأطرقت قليلا أفكر في سوء حظنا ، لا من حيث العمل ، ولا لأن ريم مفتاح من مفاتيح القضية ، بل لأنها كانت صورة بديعة هزت نفوسنا جميعا فأقلنا ومجنونتنا ، وغلوفا حلوا منعنا أوقات حلوة ولحظات مشرفة ، ونسبنا ليلها هب على

وأخرج بكلمات يديه كل ما فى الجمجمة من مخ حتى أخلاها فأصبحت مثل « السلطانية » النظيفة وقسم هذا المخ أقساما أربعة أعطى كلا من معاونه قسما وكلنهم أن يبحثوا عن المذئوف بحثا جيدا فجعلوا « بانفوسون » بأصابعهم فى هذه السادة التى يعزى اليها كل نبوغ الإنسانية ، حتى صيروها شبه سائلة كالمهلية ؟

هذا هو مخ الانسان !

قلت ذلك همسا لنفسى : وقد بدأ الروع الذى أخذنى أول الأمر يزول عني شيئا فشيئا . وتصلبت أعصابى وعهد إحساسى وتيقظ في نفسى حب الاستطلاع ؛ ورغبة فى أن يفتح أمامى كل هذا الجسم المسجى لأنظر فيه . وما دمت قد رأيت المخ هكذا فآثر القلب ولز الكبد ولز الأحشاء . لم يمد هذا الرجل في نظرى رجلا ، إنما هو ساعة حيط كبيرة ممددة أريد أن أفتحها لأشاهد آلائها وتروسها ومجالاتها وأجرامها

ولم يجد الرجل شيئا كذلك بعد البحث الطويل . إنه لسوء حظ كما قال الطبيب ؛ ولكننا مطالبون بالنتيجة على أية حال . ها هو ذا القتل ولا بد أن تكون الرصاصة فيه . وشكر الطبيب عن مساعد الجسد والضيق وأعمل المشرط فى ذلك الجسد ، وأنا من خلفه أشاهد وأقول :

— قطع ! اشترط ...

وأخذتني حمى غريبة وفقدت كل شعور إنسانى فجعلت أقول للطبيب : أرنى رتنيه ، أرنى أمعاه ، أرنى الطحال الخ الخ . ولم يتردد الطبيب ، وشرط الصدر حتى أسفل البطن وأخرج القلب ثم الأمعاء وأمنى :

— وجدنا القلب سليما ، والأمعاء بها طعام مهضوم ، ولم نثر مع كل ذلك على شيء . ففكرنا

حتى سمعنا صياحا في الطريق ، فقمنا إلى النافذة ،
فاذا بنا نرى الشيخ عصفور، يجري في الطريق ،
عاري الرأس بدون عوده الأخضر ، والصبيبة
والفلان ، وجمع من الأهالي خلفه وهو يصيح
كالجنون :

ورمش عينها يا ناس
يفرش على الميتة
واحدة بياض شفتى
والثانية بلطيه
والثالثة من بعدها
غرقها في الميتة ...

ونار يردد ذلك بصوت نارة كالعويل وتارة
كأثير ، وتارة في حركات حركات خطباء المساجد
وهو يمسي أحيانا ويرقص أحيانا ويجري في كل
جهة حتى اختفى عن أنظارنا ، فلبثنا عند النافذة
صامتين مأخوذين ، ثم انتبهنا بعد لحظة وعدنا حيث
كننا من الحجرة ونحن نقول كمن يخاطب نفسه :
— مسكين !

وعدت الى الإشارة ، وأمسكت بالقلم بين
جديد ، ولكن الشك والقلق خالجانى ..
— سمعته لما قال : « غرقها في الميتة » ! من
الى غرقها ؟ !

فقال المساعد :

— دى « هلسة » مجانين ! حانفتح تحقيق
بناء على « خطرقة » رجل يخول في الشارع ؟ !
أظن الأحسن تدفن البنت وننتهى !
فحذا قوله ترددى ، وضغطت على القلم ضغط
الدم والافتناع وسقطت أمر الدفن وأما أقول :
— صدقت ، أما حتى نفسى انصدت عن

القضية وأصحابها ! !

(يتبع)
توضيح الحكم

محرماء حياتنا الماطفة المجدبة في هذا الرب التفر
واستيقظت من تفكيرى ، ورفقت رأسى
ومددت يدى إلى مساعدى أسترد الإشارة وأخط
عليها المبارة المألوفة : « نأمر بتشريع الجثة » ،
ولجأة تنهت إلى فطاعة هذه المبارة ، نعم لأول
مرة أجدها فطيمة ، طالما شرحنا جنتا ، فليكن ،
وإلى لملى استعداد لتشريع نصف أهالى هذه
البلدة ، أما هذه الفتاة ... أما هذا الجلال فحرام أن
نمزقه لنرى ما بداخله ، ولحق مساعدى نص الإشارة
بنظرة الحباد فصاح :

— أظن ناوى تقول لى احضر التشريع

— وبين غير حضرتك ؟ !

— مستحيل ، أنا أولا كفاية على تشريع

الصبح ! حرام ! أقعد طول النهار أشاهد فتح
جثث ! أنا مساعد نياية مش مساعد حانوى ! تأنيا
البنت دى بنوع خصومى ...
فتأملت قوله ، وعذرتة . وأطرقت لحظة
ثم قلت :

لك حق ، ريم بنوع خصومى ! من له
قلب يحضر .. أنا لو دفعوا لى عشرين جنبها ... !
هات الإشارة نشطب على التشريع ونأمر بالدفن
ونخلص ... !

والواقع أن فى أيدىنا أن نفعل ذلك بدون أن
نتمرض للنقد والمسئولية ، فالطبيب الذى كشف
عن الجثة عقب استخراجها من النهر قرر أن
الوفاة من اسفكسيا الفرق ، أى أنه لم يجد آثارا
مشتبها فيها تدل على أن الوفاة جنائية ، فاجرام
التشريع فى هذه الحالة دقة لا مبر لها ، آه لرجال
الفقة والقانون أصحاب النرض ! لهم يستطيعون
أن يتصرفوا على كل وجه تصرفا منطقيا مقبولا .
وما كدت أمسك بالقلم لأشطب الأمر السابق

الذئب الجالس

للكاتبة الانجليزية كاثرين منسفيلد
يقدم الأستاذ عبد الحميد حمدي

جلس الشيخ وودفيلد على كرسيه المريح يدخن السيجار الذي قدمه إليه صديقه ، وينظر نظرة ، يكاد يبدو فيها أثر الشره ، إلى ذلك الصديق الذي يدور فوق كرسي مكتبه متدل القامة أحمر الوجه ، فهو وإن يكن أكبر من ضيفه سنًا بخمس سنوات

إلا أنه لا يزال قويًا ولا يزال قابضًا على الدفة ، وإن الانسان لينتمش بالنظر إليه . ثم قال الشيخ بصوته الصغرى فى شيء من اللباقة والاهجاب :

« نعم ، يشهد الحق أن هذا المكان هانىء مريح »

فقال المدير ، وهو يفتح صفحات جريدة فينشال تيمس بقطع الورق :

« نعم ، إنه مريح بالقدر الكافى »
والواقع أن الرجل كان غفوراً بفرقة مكتبه ، وكان يحب أن يجلب بها الناس وبخاصة صديقه المجوز الشيخ وودفيلد . ولقد كان من أشد بواعث شعور الرضى العميق الثابت فى نفس المدير أن يجلس متمدلاً وسط هذه الفرقة متراضاً تمرصاً تاماً لنظر صديقه الشيخ الضميف القلبيع فى ذلك الكرسي الكبير الذى يكاد يخفيه عن العيون وقال المدير موضحاً كما وضع فى الأسابيع الماضية التى لا يذكر عددها :

« لقد أعددت هذه الفرقة أخيراً اعدادها جديدا ، فهذه سجادة جديدة » ، وأشار إلى السجادة الحمراء الزاهية ذات الرسوم والدوائر البيضاء الكبيرة ثم قال :

قال مستر وودفيلد فى صوت يشبه الصفير :
« إنك هنا مستكمل جميع أسباب الراحة والرفاهة ... »

وكان. مستر وودفيلد جالسا على كرسي كبير من النوع المريح من الجلد الأخضر ، إلى جوار مكتب صديقه المدير ، وأطل مستر وودفيلد ، وهو بوجه هذه السمكات إلى صديقه ، من كرسيه كما يطل الطفل من عربته ، وبهذه الجلسة ختم حديثه معه ، وقد آن موعد انصرافه ، ولكنه لم يكن رافعا فى الانصراف ، فهو منذ أن استقال من عمله ، أو بعبارة أخرى منذ أن أضرب عن العمل ، اعتادت زوجته وبناته أن يجلسنه فى البيت طوال أيام الأسبوع ما عدا يوم الثلاثاء ، فى يوم الثلاثاء يسمح له بارتداء ملابس واصلح هندامه والخروج إلى طرقات المدينة ، حيث يقضى النهار كله أى شاء ، ولكن لم يكن فى مقدور زوجة وبناته أن يتخيلن ما يعمله فى أثناء غيبته عن البيت ، على أبهن كن يفترضن- أنه يزور بعض أصدقائه فيضايقهم بأحاديثه .. وقد يكون هذا الافتراض مطابقا للواقع والحق أننا لننتشبت بمسراتنا الأخيرة كما تشبت الشجرة بأوراقها الأخيرة أيضا ، وهكذا

« هذا هو الدواء ، ولقد قال لي الرجل الذي أخذته منه ، في لهجة التوكيد ، إنه جاء به من مخازن قصر وندسور »

فلم يقع نظر الشيخ ووديفيلد على الزجاجة حتى فترقاه ؟ ولم يكن ليدهش أشد مما دهش لو أن صاحبه أخرج بدل الزجاجة أرنباً وقال في لهجته الصغيرة :

« أليس ذلك هو الوسكى ؟ »

فأدار صاحبه الزجاجة وأراه روضاً مصطنعاً فقد كانت بالفعل زجاجة وسكى

وقال ووديفيلد وهو يحقق النظر في صاحبه : « أتعرف أنهم في البيت لا يسبحون لي بتدقيق الوسكى ؟ »

وبدا عليه كأنه يكاد يصيح من شدة الفرح . وقال صاحبه رافعاً صوته :

« آه ... هذا هو الموضوع الذي نمرض فيه أكثر قليلاً من البهيدات »

ومال نحو قديمين كأنما على السائدة مع زجاجة الماء فصب في كل منهما كمية وافية من الوسكى وقال : « اشرب هذا فسيفيدك جداً ، ولا تزعجه بشيء من الماء ، فمن الخسارة إفساد مثل هذه المادة المقدسة . آه ! »

ثم جرع كأسه وتناول منديله فمسح شاربيه مسرعاً ، ونظر من طرف عينيه إلى ووديفيلد الذي كان يداعب قدحه بشفتيه

وشرب ووديفيلد القدر دفعة واحدة ، وبقى لحظة صامتاً ، ثم قال في صوت خافت : « إنه شديد الراحة »

ولكن الخمر دفأته وأعادت قوة التذكر إلى رأسه البارد المجوز — فتذكر وقال وهو يرفع نفسه ليقف على قدميه :

« وأنث جديد » وأشار برأسه إلى المكتبة الكبيرة والمائدة ذات الأرجل المتتوية ذات اللون المسلي ، ثم قال : « ومدافء كهربائية »

ولوح بيده مبهجاً نحو الخس الأمايب الشفافة المضيفة باللون الأحمر اللطيف داخل جهاز من النحاس ذي رفرف كالظلة فوق هذه الأمايب

ولكن الرجل لم يوجه نظر ووديفيلد إلى الصورة الفوتوغرافية المعلقة فوق المكتب والتي تمثل فتى عابس الوجه ، ووفقاً لآبائه المسكري ، وسط واحدة من تلك الحداث الخيالية التي يمدّها المصورون في دورهم ، وراه سحب متكاثرة هي كذلك من صنع الخيال . ولم تكن هذه الصورة جديدة في مكانها هذا ، فهي معلقة فيه منذ أكثر من ست سنوات

وقال ووديفيلد المجوز : « كان عندي ما أردت أن أقوله لك » وهنا ظلت عينيه غشاة الذكري ثم قال : « والآن لا أكاد أذكر ما كنت أريد أن أقول فما هو يا ترى ؟ لقد كان في رأسي عند مغادرتي بيتي صباح اليوم »

وبدأت يده ترتجفان وبدأت بقع حمراء على لحيته فرمأه صاحبه وأشفق عليه وقال في نفسه : إن هذا الصديق المسكين قد بذل أقصى جهده في الحديث ، ثم غمز له بعينه وقال مازحاً :

« سأخبرك أنا بهذا الأمر . فان عندي هنا فطيرة من شيء ينفعك قبل أن تخرج إلى صقيع الطريق مرة أخرى . وهو مادة لطيفة لن تضر طفلاً صغيراً » وأخذ مفتاحاً من حلقة مفاتيحه وفتح دولاباً تحت مكتبه وأخرج منه زجاجة مضلمة داكنة اللون وقال :

على قبور أعزائنا فقد وجب أن ندفع كل ما يطلب منا دفعه ، هذا هو تفكيرهم »

واجه الشيخ صوب الباب

وقال المدير في صوت مرتفع وإن لم تكن في رأسه أية فكرة جما هو هذا الحق :

« نعم هذا حق ! نعم هذا حق ! »

وخرج الرجل من وراء مكتبه وتبع صاحبه في خطواته البطيئة حتى أوصله إلى الباب . وخرج ووديفيلد فغاب عن الأنظار

ووقف صاحب المحل لحظة طويلة ينظر إلى غير شيء . بينا « ساعي » الكتب الأشيب الشعر يرقبه من مكانه في احتراس شديد ، يخرج رأسه بحذر ثم يميده كالكتاب الذي يتوقع أن يأخذه صاحبه معه في مرحلة طويلة . ولم يلبث سيده أن قال له : « لا أريد أن أقابل أحداً لمدة نصف ساعة .. هل فهمت ؟ لا أريد أن أقابل أحداً مطلقاً »

« ليكن ما تريد يا سيدي »

وأقفل الباب ، واجتازت الخطوات الثابتة الثقيلة السجادة الزاهية مرة أخرى ، وارتدى الجسم السمين في الكرسي اللولبي ، ومال الرجل إلى الأمام غيباً وجهه بين كفيه . لقد أراد ولقد اعترم بل لقد أهدى عذته للبكاء ...

لقد كانت الصدمة قاسية عظيمة عندما فاجأه الشيخ ووديفيلد بملاحظته على قبر ابنه . فلقد كان الأمر تماماً كما لو أن الأرض قد فتحت ورأى ابنه في قبره وبنات ووديفيلد ينظرون إليه . لأن المسألة كلها كانت غريبة فانه وإن كان قد مضى ست سنوات على موت ابنه ، إلا أنه لم يتصوره إلا راقداً في لباسه العسكري لم يصبه تغير ولا تشوه ، وإن هي إلا تومة الأبد المأداة

وقال المدير منتحباً : « ابني ! »

« هاك ما أردت أن أقول ، فقد ظننت أنك تود أن تعرف أن البنات قد ذهبن إلى البلجيكي في الأسبوع الماضي ليلتين نظرة على قبر رجبى المسكين ولقد تصادف أن رأيت كذلك قبر ابنتك ويبدو لي أن القبرين متجاوران »

ووقف الشيخ ووديفيلد عن الكلام ولكن صاحبه لم يبهجه ، غير أن رمشة جفنيه أنبأت بأنه قد سمع وقال الشيخ في صوته الرفع :

« وقد أتتهجت البنات بما رأين من العناية بالمكان ، ولو كانت هذه القبور في إنجلترا لما كانت بأحسن حالا مما هي عليه هناك . وما أحسبك قد ذهبت إلى ذلك المكان ؟ »

فأجاب الرجل : « لا . لا . »

وهو لأسباب عديدة مختلفة لم يسافر إلى البلجيكي فقال ووديفيلد في صوت مرتجف : « إن مساحة المكان تبلغ عدة أميال وكلها نظيفة منسقة كالحديقة ، والأزهار تنمو على جميع القبور . وهناك طريق واسعة جميلة »

وقد ظهر من نبرات صوت الشيخ مبلغ حبه للطريق الجلية الواسعة ، وسكت الشيخ ووديفيلد مرة أخرى ثم ابتهج ابتهاجاً غريباً وقال في صغيره المعتاد : « أتدري كم تقاضى الفندق البنات ثمناً لملية الربى ؟ لقد تقاضاهن عشرة فرنكات ! وإنى لأسى ذلك مرفقة . ولقد كانت العلية صغيرة كما تقول جرترود ، لا يزيد حجمها على حجم نصف الزبال الانجليزى ، ولم تكن قد أخفت منها أكثر من ملقة صغيرة عندما تقاضوها المشرة الفرنكات . لذلك أخذت جرترود العلية وجاءت بها معها لتأق عليهم درساً . وهذا حق أيضاً ، فان هؤلاء القوم يتاجرون على حساب عواطفنا . فهم يظنون أننا مادمننا مضطربون لأن نذهب إلى هناك لتأق نظرة

ولكن عينيه لم تدرأ الدمع بعد ، وقد كان في الماضي ، في الأشهر الأولى وحتى في السنوات الأولى بعد موت الفتى ، يكفي أن يذكر ابنه ليستولى عليه من الحزن ما لا يمكن أن يخفف من قسوته إلا نوبة جارة من البكاء المر ، وكان يقول إذ ذاك ، لشكل إنسان : إن الوقت لا يستطيع أن يبدل من حاله تلك ، وإن غيره من الرجال قد يشفون من أحزانهم ، وقد ينسون الخسارة التي أصابهم ويبتسمون عنها . أما هو فلن يكون ذلك شاة أبداً ، ولن يبدل الزمن من حاله بأهنا منها ، وهل كان من الميسور أن يبدل حاله ؟ لقد كان ابنه ولداً وحيداً ، ومنذ ولادته شرع أبوه يؤسس له هذا العمل الذي يقوم عليه ، ولم يكن لعله هذا من معنى إن لم يكن مقصوداً منه أن يبقى للصبي الصغير يقوم عليه بعد أبيه ؟ بل إن حياة الرجل نفسها لم يمد لها من معنى آخر غير ذلك ، فهو إنما يحيا من أجل ولده الصغير ، وأى شيء على وجه الأرض كان يحمله على أن يستمبد نفسه ، وينكر ذاته ، ويواصل العمل طوال هذه السنوات ، لولا الأمل المائل أمامه دائماً أن يرى ابنه يدرج في نعليه ، ويرتدي لباسه ، ويواصل العمل من حيث يتركه هو ؟ وكان هذا الأمل على وشك أن يتحقق ؟ فلقد قضى الفتى سنة قبل الحرب ، في مكتب أبيه ، يتدرب على الأعمال الأولية . فكان للأب وابنه يذهبان معاً كل صباح إلى المكتب ، وبعد انتهاء العمل يعودان كذلك معاً في قطار واحد ، وما أكثر ما تلقى الأب من التهنئات بصفته والداً لهذا الولد الناجح ، ولا عجب في ذلك ؟ فلقد كان الغلام مبدعاً حقاً في إتقان عمله ، ولم تعلق به في أية ناحية من نواحيه شائبة التورود الذي يتلف خلق من كان في مثل مركزه ؟ بل لقد كان على

المكس من ذلك ، غلاماً صحيحاً مشرقاً ، طيبى الخلق ، يخاطب كل إنسان برأيه الصريح فيه ، في عينيه نظرة الطفولة البريئة ، وقد تعود أن يجيب على ما يطلب منه بكلمات الطاعة المؤدبة . ولكن كل ذلك قد انتهى وتلاشى كأنه لم يكن من قبل ؟ فقد جاء اليوم الذي حمل فيه الخادم « مامى » إلى سيده الرسالة البرقية التي هدمت الحبل كله على رأسه ، وقد استهلّت تلك الرسالة بهذه الكلمات : « يؤلنا أشد الأمل أن نبأفك ... » وترك الرجل مكتبته ، مكسور القلب ، محطم الحياة كان ذلك منذ ست سنوات مضت . . . نعم منذ ست سنوات .. فما أسرع من الزمن ! وكان ما حدث قد حدث في الأسس القريب ... وأزاح الرجل كفيه عن وجهه وقد علته الحيرة فقد خيل إليه أن في نفسه شيئاً غير سليم ، وقد أوهزه الشعور الذي أراد أن يشمر به . فاعتزم أن يقف وينظر الى صورة ابنه الفتوة غرامية . ولكنها لم تكن إحدى الصور التي يجيها ، فنظرة الغلام فيها لم تكن طبيعية بل لقد كانت نظرة جامدة ، بل كانت نظرة عابسة متجهمة ، وهي نظرة لم يرها أحد قط من قبل على وجه الصبي في هذه اللحظة رأى الرجل أن ذبابة قد فسقت في الدواة الكبيرة وأنها تجاهد في ضئف ولكن جهاد المستبثس لتخليص نفسها من الشرك الذي وقعت فيه وكأنما كانت أرجلها المتخيلة تنادى : الموت ! الموت ! ولكن جوانب الدواة كانت مبللة زلقة فسقطت الذبابة مرة أخرى في الحذر وشرعت تسبح فوق سطحه . فتناول الدير قلعه والتقط الذبابة فوضها فوق ورق النشاف : فبقيت نصف ثانية جامدة لا تتحرك فوق البقعة السوداء التي ارتسمت حولها . ثم تحركت رجلها الأماميتان وارتكزت على الأرض ، فجرت جسمها المبلل جراً

فترة انتظار موحجة ولكن صه . . . فهاجها الساقان
الأماميتان تمودان إلى الحركة ، وشعر الرجل بإرتياح
مفاجئ ، فأنحنى على الذبابة وقال بخاطبها في رقة
ولطف : « آيتها الخلوقة الصغيرة المجتهدة . . . »
وحاول فملاً أن يساعدها بأنفاسه في تجفيف نفسها
ولكن على الرغم من ذلك كانت حركتها في هذه
المرّة ضعيفة بطيئة ، وقرر المدير وهو يذمّس قلبه
في الخبر مرة أخرى أن تكون هذه آخر مرة

ولقد كانت بالفعل آخر مرة ، فقد سقطت
نقطة الخبر الأخيرة على ورق النشاف ، فرقدت
الذبابة القذرة تخمها جامدة لا تتحرك ، وقد انصهت
أرجلها الخلفية بجسمها ، أما الساقان الأماميتان
فقد اختفتا عن النظر

فقال الرجل : « هلم ... استيقظي ! »

وحاول أن يثير بقله حركة الذبابة ، ولكن
هبتاً — فلم تتحرك ولم يمد من اليسور أن تتحرك
لقد ماتت الذبابة

فرفع الرجل الجثة على طرف مقطع الورق ،
وألقي بها في سلة المهملات . ولكنه في هذه اللحظة
أحس بشعور ساحق من التماسه يستولى عليه عنيفاً
حتى لقد تملكه خوفاً حقيقياً ، فهم من مكانه
وضغط زر الجرس ظالماً خادماً « ماسي »
فلما جاء الخادم قال له في لهجة حادة :

« جئني بورق نشاف جديد والحصى جيداً »
وبينما الخادم يسير عائداً في خطواته الثقيلة أخذ
المدير يسائل نفسه في حيرة : في أي شيء كان يفكر
من قبل ؟ ماذا كان الموضوع الذي شغل رأسه ؟
لقد كان يفكر ... وتناول منديلته من جيبه فذسه
بين عنقه وياقته . . . فلقد نسي نسياناً تاماً في أي
شيء كان يفكر ...

عبد الحميد حمدي

حتى رفعتة قليلاً ، وعندئذ بدأت المهمة الكبرى
مهمة إزالة الخبر عن جناحها ، فكانت رجلها
ترتفعان وتبهطان محتكين بالجناحين احتكاكاً حزين
السن بالنتيج ، ثم وقفت هذه العملية لحظة ، وبدت
الذبابة واقفة على طرفي رجلها الأماميتين ، وقد
اجتهدت في نشر أحد جناحيها ثم نشرت الجناح
الأخر ، وقد نجحت في محاولتها ، وجلست أشبه
ما تكون القطة محاولة تنظيف وجهها . وليتصور
الإنسان منظر الرجلين الأماميتين تحتك إحداهما
بالأخرى في خفة وإبتهاج . فقد انتهى الخطر
النفطية ، وقد نجت الذبابة من الموت واستمدت
مرة أخرى لمواجهة الحياة .

ولكن في هذه اللحظة بدت لصاحب المحل
فكرة طارئة ، ففمس قلبه خبره أخرى في الخبر
ووضع قبضته المفلطحة على ورق النشاف ، ولم تكذب
الذبابة تحرك جناحيها محاولة الطيران حتى غمرتها
نقطة خبر كبيرة ثقيلة . فإذا عساها أن تفعل في
هذا الخطر الجديد ؟ نعم ماذا عساها أن تفعل !
لقد بدا على الخلوقة التيمسة أنها قد ذهلت وأصابها
الحيرة واستولى عليها الخوف من الحركة جزعاً مما
قد يدعها بعد ذلك . ولكنها لم تلبث أن جرت نفسها
إلى الأمام وكأنيما كانت تفعل ذلك في شيء من البطء
وقال الرجل في نفسه إن هذه الذبابة شيطان
صغير جريء ، وشعر بإعجاب حقيقياً بشجاعته .
فهذه هي الطريق التي يجب أن تعالج بها المشكلات
هكذا هو الروح القوى السليم . لا تقل أبداً
« أموت » فما هي إلا مسألة . . . ولم يكن لدى
المدير من الوقت ما يتسع لأكثر من إعادة غمس
قلبه في الخبر وسكبه مرة أخرى على الذبابة التي
كانت قد نظفت جسمها مرة ثانية وقال في نفسه :
« وماذا أنت فاعلة في هذه المرة ؟ » وتبع ذلك

ناهِيك

دُرُستاز ابرهيم عبدالقادر المازني

به ... شيء بطير
المقل ... على كل حال
الذنب اللينة لا لي ..
والآن وقد اطمان
قلبي فهل هذه الشقة
ممكنة ؟

فسرها أنه يكلمها
كلام رجل لفاتة ، لا كلام

معلم لتلميذة ، وصار كل ما يقول يفرها بالضحك
وقالت وهي تقالب الضحك الذي لا داعي له :

« نعم .. لنا فيها سنوات .. وحضرتك ؟ »

فقال واعتدل في وقفته وزوى ما بين عينيه :

« حضرتي الساكن الجديد في هذه الشقة المجاورة

لحسن الحظ - لشقتكم .. شاءت القادر أن تكون

جيراننا ، فإذا كان هذا لا يفرحكم بالحرب أفلا ترين

أنه يحسن أن نسقط « حضرتك وحضرتي » من

حديثنا ، وأن تتكلم كما ينبغي أن يتكلم الجيران

بلا تكلف ولا مجاملات »

فقالت وهي فرحة مسرورة : « بالطبع ..

ولكن يا أستاذ كيف يمكن ؟ »

فقال : « أه رجعتنا .. كل ارتقنا الفتق من

ناحية أنهار من ناحية أخرى .. أستاذ ..

وحضرتك ... يظهر أنني اتخذت مسكني في

مدرسة داخلية .. »

فضحكت وارتج نديها الناعدان وقالت :

« ولكن كيف أقول حين أغاظك .. لست

أحب التكلف ، غير أنني مع ذلك لا أرى كيف

أقول ... »

قال : « قولي ما تريدن بغير أستاذ وحضرتك .

على كل حال .. ألا ترين من واجبك أن تعرفيني

« أوه ... » - ووضعت يدها على صدرها

الناضج ، بينما كانت يدها الأخرى على الباب :

« هل خوفتك ؟ ... إني أسف ... المرة

الآنية أضع على وجهي ستارا ... هكذا ... »

وغطى وجهه بكفيه ، وجعل ينظر إليها من بين

أصابعه وهي تضعك

ووسعها أن تتكلم فقالت : « ألسن حضرتك

الأستاذ السميع ؟ »

فقال وهو يتكلف الجد : « كنت قبل اليوم

غفورا بأن أدعى الأستاذ وأن يكون اسمي السميع ..

هو اسم لا بأس به .. ويجب أن أعترف بأن أبي

أحسن الاختيار وأولاني فوق ما أستحق حين

سماني السميع ... ولكني سأظل بحد اليوم أذكر

فزعك حين رأيتني ... أم ترى هو وجهي الذي

خفت منه ؟ »

فابتسمت « فاهد » وقالت : « لا يا أستاذ ..

معدرة .. كل ما في الأمر أنك كنت أستاذي

في المدرسة الـ .. »

ففرح الأستاذ بكفيه وقال : « أه هذا أحسن ..

الآن فهمت لماذا أفزعتك رؤيتي .. معقول ..

المعلمون شيء خيف .. دأبهم أن يأمرؤا وينهؤا ..

يأمرؤن بالشئ كانوا يهون عنه أو يهون عما أمرؤا

بعض الموض عما يفوته خارج المدرسة . ولكن هن
يفرحن به لفرط ما يمانين من العزلة في هذه
المدرسة « الداخلية » والاستيحاش والحرامان ، فما
كن يرين من الرجال سوى بعض الخدم واثنيث
أو ثلاثة من الشيوخ المتحجرين ، وهذا الشاب
الظريف الساخر الذي يصدمهن ويروعهن بأرائه
الجديدة في الحياة وفي كل شيء ، والذي لا يفرض
مع ذلك عليهن رأياً ، بل يدعوهن إلى التفكير الحر
المستقل في كل أمر وكل حالة من حالات النفس
والاجتماع ، وبهش لهن وعزم مهمهن ويضحكهن من
أنفسهن ، ويسخر من كل مانسان عليه من العادات
والثقائد ، ويشمرهن أنهن إخوة له لا تلميذات
ينهرن ويذرجن ويمتابن كالأيتام الأساذة الآخرون
يفعلون ، بل كما يفعل المعلمات أيضاً ، بل الناظرة
الانجليزية التي تكاد تمدهن من طبقة دون طبقة
الانسان . وكانت « ناهد » فتاة كاسمها ناهدأ ،
ورثت عن أمها رقة الحس ودقة الشعور وعن أبيها
— وكان لواء في الجيش — الصراحة والجرأة
وحسن التقدير للواجب والادراك لمزية النظام .
وكانت لها زميلة في المدرسة تحبها حباً يقرب من
العباداة وكانت هذه الزميلة — سعاد — ضامرة
ضاوية ولكنها غنية مرفهة تجيء معها من البيت
كلما عادت منه بألوان شتى من « المهربات » — حتى
السجاري كانت تدمسها في خزانها ، فإذا أمنت عين
الرقية أشعلت واحدة واضطجعت على الوسادة
وراحت تدخن والبنات ينظرون إليها مبتسمات
حسداً ، ولكنهن كن يحبينها فكن لا يقان شيئاً ،
ويحرصن على ستر هذه المخالفة عليها . وكانت كريمة
سخية بكل ما معها إلا السجاري فكانت لا تجوز

بهذه الفتاة الجيلة التي كانت تلميذته ؟
فقالت بإيجاز وقد انتقد وجهها حتى صار

كالجرة « ناهد »

فترك ذهنه بيده وقال كأنما يحدث نفسه
وعينه إلى الأرض : « ناهد . . ناهد . . اسم
حلو . . ليت كان اسمي » (ضحك منها) ، ولكنه
لا يجرى في هذا الغزال الذي جملة الله في بديلا من
الذكرة أى اختلاج . . أسف جدا . . لا حق
لي أبدا . . ولكني أعدك ألا أنساه بعد اليوم . .
وكيف يمكن أن ينسى اسمك الحلو من يراك ؟ »

فأخرجها هذا الثناء الزدوج عليها وعلى اسمها ،
وحدث له في سرها أن قصير الملح الصريح على اسمها

ولم يصدق الأستاذ السمر حين قال لها : إنه
لا يذكرها ولا يذكر اسمها فقد كان معلما ثلاث
سنوات كاملة ولم تنب عنه إلا عاماً واحداً . وكانت
أحب تلميذاته إليه وأجراً من عليه ، وكان يسره
منها أنها لم تكن تحجم عن مناقشته إذا بدا لها رأى
فيما يقول ، وكان هو يؤثر أن يشجع تلميذاته على
السؤال والبحث والنوص وعدم الاكتفاء بما
يسممن منه كأنما كان أستاذاً في جامعة لا في مدرسة
ثانوية ، وأعداهن بالجرأة والدفن معه الحرية في
في البحث فكن يحفن به في حيناً يجذبه — في
فناء المدرسة أو على السلم أو في الفصل — ويعطره
أسئلة في كل موضوع ولو كان لاصلة له بالتاريخ
الذي يدرسه لهن . وكان هذا لا يسوءه أو يشغل
عليه ، فقد أتم تعليمه في إنجلترا فلما عاد ثقلت عليه
وطأة الفصل بين الجنسين ، فلما تقل إلى هذه
المدرسة كان يأبى بمحدث الفتيات ويرى في ذلك

يتجاهل هذا وينفي عنه ويكلمها كما يمكن أن يكلم
 أبة فتاة ، خفي قلبها ورصيت عن نفسها وعنه
 واتصلت الأسباب بين الاثنين ، وتبوءت
 الزيارات وكثر لقاء الأستاذ السدير بناهد . وكانا
 كثيرًا ما يقفان في شرفتيهما للتجاورتين يتحدثن
 واستطاع بلباقة أن يزيل السكافة . وتدبقت ندعوه
 الأستاذ . ولكن اللفظ نقد ما كان له من الدلالة
 القديمة . وكان هو يعتمد أن يحمل من نفسه عادة
 لها وأن يشمرها أنه رجل وأنها هي فتاة ، وكان إذا
 لقها يحس أنها تهم بأن تمد يدها إليه لتحيته كما هي
 المادة فيتعهد أن يعمل ذلك ليذيقها الحرمان وإن
 كان طفيفًا وفي أمر لا قيمة له . وأحيانًا يريح كفه
 الكبيرة على كتفها ويحدق في عينها كأنما ينوص
 على سرها ، فتطرف وتنفض حياءً ويضطرم بحياها
 النضير الصبيح فيربت لها على ظهرها ويلبس ذهنها
 بأطراف أصابعه ، ويرفع وجهها حتى تلتقي العيون
 مرة أخرى ، فتنبسم وتنازعه نفسه في أمثال هذه
 اللحظات أن يلثم فمها ، فيرد نفسه بمجد ويمضي عنها
 إلى النافذة وهو مطرق فتنبه بعينها ولا يسعها إلا
 أن تفكر في هيئته وحالته ودلالة ما ترى منه .
 وقال لها مرة - وكان في شقتها - بعد أن
 شرب القهوة : « اسمي » وسبقها إلى النافذة :
 « ما قولك ؟ بعد غد عيد الجلس . »
 قالت : « آه »
 قال : « هذه فرصة يمكن أن ننتقمها للخروج
 مرة إلى الرياض »
 قالت : « لست فاحمة »
 قال : « لقد كنت منذ بضعة أيام في القناطر
 الأخيرة .. »
 فسأله : « وحدك ؟ »

على بنت بأكثر من « نفس » ولكنها كانت تلح
 على ناهد أن تدخن وتمرض عليها السجائر كلها
 فتقر ناهد رأسها وتشيع عنها بوجهها نافرة - من
 التدخين ومن المخافة - وكانت سعاد ربما جج
 بها حبها لناهد فتطوقها بذراعيها وتضعها وتقبلها
 وتدعوها أن تفعل مثل ذلك فيضيق صدر ناهد
 بهذا الحب ، وتتلفت من عناقها متأففة متبرمة
 وتصبح بها : بس . فتكف سعاد وتروح تستنطفها
 وتسترضيها وتجاول أن تتألفها من نفرتها وترقد إلى
 جانبها على سريرها كالقطعة أو الكلب وترجو منها
 أن تدعها ترقد على سريرها لتتعم بقرها فتهرها
 ناهد - وإن لم تكن بها قسوة - ولا تزال بها
 حتى تعصها عن سريرها فتقوم السكينة أسفة
 محزنة مطاطة الرأس ، فيرق لها قلب ناهد وتردها
 إليها وتقبلها وتقول لها : « الآن اذهبي إلى سريرك
 راضية » فيشرق وجه سعاد ويلمع فيه نور البشر
 وتجري إلى سريرها قريرة العين
 وكانت ناهد تحس حين تاقى الأستاذ السدير
 وتتاح لها فرصة الحديث معه أن هذا خير عوض
 عما تمنى من حب سعاد لها - هذا على الأقل رجل
 ولم تكن تدرك شيئًا من الماني الجنسية بوضوح
 ولكنها لم تكن محتاج إلى أكثر من فطنة الفرزة
 ولم تكن خبرتها بالحياة والناس قد زادت بمد
 تركها المدرسة اكتفاء بما حصلت من التعليم
 الثانوي فقد بقيت حياتها في البيت - كما كانت في
 المدرسة - أشبه بحياة الراهبات في الدير سوى
 أن وطأة الرهينة في البيت أخف ، فلما التقت بعملها
 السابق فرحت بذلك وسرها على الخصوص أنه
 تناسى وهو يكلمها أنها كانت تلميذه ، وكانت هي
 قد نسيت ذلك أيضًا ثم عادت تذكره حين رآته

بيتها أمام السراى .. »

فقال : « هل تريد أن يضحك مني الخلق ؟ »

تركبين منى إلى عابدين ؟ .. لا لا لا .. »

قالت : « لن أدخل السراى .. تضمنى أمام

البيت وتذهب أنت إلى التشريفات .. لم لا ؟ »

فقال : « لا يا سقى .. اذهبي أنت وحدك .. »

أو انتظري حتى أعود ثم اذهبي بالسيارة »

قالت : « يا بابا أنت مدعش .. أنتظر حتى

نتنتهى التشريفات ثم أذهب ؟ .. وماذا أرى إذن ؟ .. »

طيب اذهب انت وحدك .. أقول لك .. خذنى

معك إلى العتبة الخضراء .. »

فرضى وحملها معه في السيارة إلى العتبة الخضراء

ولو ألحت لجلها إلى ميدان عابدين ؟ بل لدخل بها

القصر ؟ فقد كان حبه لها — وهى وحيدة —

عظيما ودلالها عليه كبيرا ، وقلم استطاع أن يرضى

عن نفسه إذا هو رفض لها رغبة أو أبى عليها شيئا

ولم يفسدها هذا التدليل الشديد ؟ بل زادها حبا

له وإكباراً

ولقيت السمر عند قاعدة التمثال ، وكانت

معه حقيبة فحملها ومضى إلى جانبها صوب المحطة ،

وجلسا في القطار وكرا إلى ذكريات المدرسة

فمضى ذكر إحدى البنات البارزات ، وكانت

باهرة الجلال . فقالت فاهد : « إنها فظيعة ... »

يقال إنها تشرب الخمر ... » ، وخجلت من نفسها

لأنها قالت هذا وأغتابت زميلتها ، ولكن

الاغتياب لا يذ

فقال الأستاذ السمر : « تشرب خمرآ ... »

وما غير القليل من الخمر يفتاقى التقية الوزعة ... ؟

ليت منى شيئا منها أشربه على الطعام »

فقالت بسداجة : « ولكنها تلتف أنسجة

فخطر له أن يدعها تظن ما شئت لأن هذا

أخاف بأن يزيد بها تعلقاً به وقال : « والحق إنها

جنة .. فتعالى تذهب إليها يوم عيد الجلوس وتنتدى

هناك .. أسبق أنا إلى المحطة وانتظرلك عند تمثال

نهضة مصر وتلحقين بى هناك .. سأعد أنا كل

ما نحتاج إليه »

فقالت : « ولكن كيف أستطيع ؟ .. ماذا

أقول لهم ؟ »

قال : « إذن سأنتظرك هناك .. الساعة

التاسعة تماماً .. »

فاظهرت التردد وبدت عليها الحيرة فأراد أن

يستثير احترامها لنفسها فقال : « لا داعى من الخوف

على نفسك من وجودك منى في هذه الحديقة العامة .. »

فاغضبها أنه يتوهم أنها تخاف وتارت نفسها على

هذا الظن ، وفعلت ما كان ينتظر فقالت : « طيب »

وانصرف مسروراً راضياً عن نفسه ، وارتدت منى

عن الباب بمد أن شيعته إليه ساخطة عليه تقول

لنفسها (بظن أنى أخاف منه .. يققف ..) وخطر

لها على الرغم من سخطها وغضبها أن عينه براءة وأن

الشمر الكثيف الذى على ظهر كفيه جميل

وقالت لأبيها صباح اليوم الموعد : « أنت

ذاهب إلى التشريفات .. خذنى معك »

فقطب وقال بلهجة المستغرب : « آخذك منى ؟

إلى التشريفات ؟ .. »

فأضحكها هذا جداً ، وقالت وهى تكاد تقع

عليه : « أنت غريب يا بابا .. موت .. »

فقال : « .. ولكن ماذا تمنين ؟ .. آخذك

منى ؟ .. »

قالت : « إلى بيت زميلة لى من أيام المدرسة

أنفجر من عندها على .. على .. على التشريفات .. »

والدماع ... هذا ثابت عليك... كل كتاب في
الفسولوجيا يقول ذلك »
فقال : « أمنتك بما قرأت من كتب
الفسولوجيا ... طبعا قرأتها كلها ... بالبرية
والانجليزية والتركية واليابانية أيضا »
فقلت : « أوه ، إنك تعرف ماذا أعنى ،
فلا تنهكهم »

فقال : « بالطبع ... ولكن هل تعرفين أنت
ماذا تمنين ؟ ... الحقيقة أن قليلا من الخمر قد يفيد
فتاة مثلك ... يخرجك من هذا الجسد الصارم في
أمر لا قيمة لها ولا وزن ... يجعلك أقرب إلى
النوع الانساني ... ألا تشتهين أن تحبي ؟ ... مرة
واحدة ؟ ... لحظة واحدة ولو قصيرة ؟ ... حياة
حافلة ؟ ... »

فسمعت أن إلحاحه هذا عليها بهذا الكلام
يزعجها ... وأحسنت كما كانت خليقة أن تحس
لو أنه وضع أصبعه على ضلع من ضلوع صدرها
وغرزه ... وقلت ...

وبلغا الرياض الفسيحة عند القناطر ، فاختار
مكانا ظليلا تحت شجرة لغاء وقعدا على دكة هناك
متقابلين وأخرج ما في الحقيقة استعدادا للأكل
وقال لها : « ربي هذا ... هذا عمك ... ويجب
أن تصنعي شيئا لتستحي الطعام ... اكسبي رزقك
مرة بمرق الجبن ... »

ووضع زجاجة على الدكة ، فنظرت إليها وتناولتها
وقرأت ما عليها وقالت : « هذا نبيذ ... »
قال : « نعم نبيذ ... ومن خير الأنبيذ ...
نبيذ الون ... يجب أن يوضع في الثلج ... سأدعو
خادم البوفيه ليحيئنا بوعاء وثلج »
وذهب ثم عاد فألفاها لا تزال تتأمل الزجاجة

من اللذة
وقال لها : « هل لك في كأس أخرى ؟ »
فهزت رأسها وقالت : « لا مرسى ... يظهر
أن المادة هي التي تجعل مذاقه سائفا »
فلم يلح عليها بل قال : « لا بأس .. هذا يترك
بقية الزجاجة كلها لي وحدى ... مرسى »

وصارت على صدره ، وخيل إليها أنها تستطيع أن تبقى كذلك الى الأبد . وكبر بها الى الذكّة وأخرج السجائر وقدم إليها واحدة فأولت أن تذخن المرة التاسعة أو العاشرة في حياتها . والمرة التاسعة أو العاشرة أخفقت ولم ترض عن الطعم الذي وجدته ولكنها مع ذلك كانت مسرورة — النبيذ الماسخ وهذه الذكّة الخشبية الناشفة والأرض الخضراء النوجة والأشجار الباسقة الهرمة والشمس التي تملأ الدنيا بشراً ودفاً وأخيراً هذا الرجل

ولم تفزع بل أحست بالرضى والافتباط حين دفع ذراعه ، فأحاط بها خصرها وأمال خدها الصابع على كتفه ، وسرها أن تفس بخدها ثوبه الخشن الدافئ ، ولكنها استبادت لما رفع عيهاها إليه ليقبلها ، وحدثت نفسها أن الرجال جميعاً هكذا ، وإن كانت هذه أولى تجاربها ، ورأى هو اقتباسها . فقال لها وهو يضحك : « هل تعرفين حكاية الرجل الذي سأل الطبيب هل يمكن أن يعيش — كأييه — مائة سنة ؟ فسأله الطبيب : هل هو يدخن ، أو يشرب الخمر ، أو يحب النساء أو يحب الليل بالسهرة ، أو يهوى شيئاً من الأشياء التي يكلف الناس بها . فقال الرجل : إنه لا يفعل شيئاً من ذلك ، وأنه لا هوى له في شيء ، فعجب الطبيب وسأله : إذن لماذا تبقى أن تعيش مائة سنة . ماذا تصنع بها ؟ »

وأدهشها أنه طوفها فجأة وأهوى على فمها بالقبل في غير رفق حتى لأحست أنها توشك أن تختنق ، واستغربت من نفسها أن امتناخها حين همّ بتقبيلها أول مرة زال ، وأنها لا تسخط على الرجال ، بل أدهشها أنها شمعت أن شفتيها دبّت فيها الحياة وقالت بضعف : « أرجو ... »

خففت له أنه لم يبلغ وشمرت بالاطمئنان ، فقد كان الخوف يساورها على الرغم من تشجيعها وسرعان ما أحست أن ممدتها حيث بفعل النبيذ ، فدفّت يدها وأترعت لنفسها كأساً أخرى ولحمها الأستاذ فتمتدد الاغضاء وشمرت بالدفء والخفة والسرور وحلت المناظر في عينيها وأحست أنها تريد أن تجري هنا وهناك — وهل هي إلا طفلة ؟ — وأدرك السميز ذلك فنظر اليها وقال : « لم لا ؟ قوى اجري ... سابقيني ... أو أقول لك ... هذه كرة جئت بها منى ... تعالى نلعب بها ... »

وكانت قد نهضت فأنحنت عليه وهو يخرج الكرة من الحقيبة وقالت مستغربة : « كرة ؟ .. كيف خطر لك أن تجيء بها ؟ »

فقال : « من أجلك ... يا صغيرتي ... » وأخرج شيئاً آخر ملفوفاً في ورق وقال وهو يلوح لها به : « وجئت أيضاً بشيكولاتة ... لفتاتنا الصغيرة فان الصغيرات يحببن الحلوى » فقالت : « أتسخر مني ؟ » قال : « أولست صغيرة ؟ »

قالت : « صغيرة بالطبع ... ولكن ليس الى هذا الحد ... لست طفلة »

فقال : « حسن ... نرد الشوكولاتة الى مكانها ونذخرها لهنّ صغيرة ... »

فصاحت به : « لا لا لا » وضحكت وخطفت الشوكولاتة

ولمبا بالكرة قليلاً وسرها أن رجلاً طويلاً عربيضاً مثله يلعبها وكادت تقع مرة وهي تحاول أن تلقف الكرة ، فأدركها — أحاطها بذراعه فتملقت به اتقاء للسقوط على الحشائش البليلة

إلا ما تحس ... طبيعية ...

فأغضبتها هذه الجملة منه عليها بلا مسوغ تعرفه ،
وأسخطها أنه يستفزها ، واستصغرت منه ما يحاول
من تحقيرها ، ونفرت من لهجة الشموخ والتمالي
فقال له بمرأة أدهشها هي قبل أن تدعشه : « ألا
يمكن أن يخطر لك أن في نفسي حرارة كافية
ولكنك أنت لست ذلك البطل اللغزى الساحر
الفائن الذى تتوهم ؟ . يمكننى أن أقول لك إني وأنا
صغيرة أحببت ابن البقال الذى كان تحت بيتنا ...

كان صبيًا مثلى ولكنه كان فيه رجولة ... لم يكن
طابقًا يرسل يده كالأفعى ليلس الثدي .. لم يكن
يحاول إغراء البنات الساذجات بقلب دروس
التاريخ قصصاً غرامية وتصور الدنيا كلها كأنها
ليس فيها إلا رجال يتنزون ونساء تركن الشهوة
الجائعة كالورقة المبلولة . لقد عميت لحظة عن
حقيقتك ولكنى الآن أراك .. كما أنت .. فآرة ؟
مالك أنت ؟ . من فضلك اسمح لى أن أعود .. »

ونهضت ووقفت معتذلة القامة كأنها أنهاها
الجندي وخيل إلى الأستاذ السميع لحظة وهو ينظر
إليها مبهوتين أنه لن يستغرب إذا طر لها شارب ..
وعجب لأنوثتها أين ذهبت ، ولذلك اللين الساحر
في عودها ماذا صنع الله به .. منذ دقائق كانت إلى
جانبه ، وكان يحسها كالزبد الطرية والآن .. تقف
كالرمح ... بنت أيها .. عجيب ...

وقال وهو يعد إليها يده : « إني أسف ...
ومستدبر ... وأصدقك فأقول إني كنت أتوقع ولا
أستغرب أن أسمع منك شيئاً أو زجراً أو نحو ذلك
ولكن هذا الكلام ... أعترف أنه آخر ما كان
يمكن أن يخطر لي أن أسمعه حتى من رجل فكيف
بفتاة غريبة مثلك »

فصاح بها : « ألا تريد أن تكوني امرأة
حقيقية ، لا مجرد فونوغراف يمد ما حفظ في
الدرسة ؟ ... ألا تشتهين أن تحسى وتشمرى
بجسمك يحترق وتضطرم فيه النار ... تندلع من
أخص القدم إلى الرأس ؟ ... هه ؟ »

فقات : « لا أدري ... أظن ... ولكن ... »
فصاح بها مرة أخرى : « تظنين ماذا ؟ ...
خائفة ؟ ... هه ؟ »

وجذبها إليه مرة أخرى وقبلها بمنف ، فزاح
بصرها ، وخفق قلبها ، وسرت في بدنها رعدة
خفيفة - من السرور لا من الفزع أو الجزع -
وخيل إليها أنها كرمال الشاطئ الجافة التي ارتفع
المد إليها بالأمس فزواها ، ولكنه أسرف في التقبيل
وعنف في الفم ، فأحست بالبرد والفراغ في بدنها
ووسمها أن تصبح به كما كان يصيح : « بس ...
قلت لك بس ... » ، ولم تكن قد قالت له « بس »
ولكن هكذا زعمت ... فغلاها ، ولكنه ظل
ينظر إليها نظرة الصبي الذى يعمر صدره اليقين
بأنه ذاهب إلى للمعب ليرى الدبة الراقصة وقال :
« إنك فآرة ... ليس فيك حرارة »

فساءها ذلك وقالت : « فآرة ؟ ... لقد مرنا
نتكلم بصراحة ... لست فآرة .. وأقول لك
إني استطيت القبله الأولى ، ولكنك أردت بمد
ذلك أن ... باختصار ... زدتها ... فهل يرضيك
هذا الاعتراف ؟ ... فآرة ؟ ... »

فقال وهو يتألمها : « نعم فآرة ... ليس
الذى في عروقك دم حار ، وإنما هو حبر أحمر ...
تكلأ ، لا حرارة على الاطلاق في هؤلاء الفتيات
المتعلقات ... لقد أصبحت أوأم من المرأة الأمية ...
إنها على الأقل لا تتكلم ولا تتفلسف ، ولا تعرف

وحدها بل منها ومن التجربة ... وأى تجربة لهذه
التي لعل أول من قبلها كما قبلها . . ولكن من
يدري . . . كيف أكون واثقا بصد الذي سمعته
منها ؟ المرأة لنزحير . . أهو ذكاء فطري . . . !

واقترعا في اللحظة بلا مصافحة ، وعاد كل منهما
إلى البيت من طريق ، وحلت النبوة ووقعت
الجفوة ، وفتر الحال بين الأسترين ، وانقطعت
الزيارات ، وامتنع التلاق ، وصارت هي لا تخرج
إلى الشرفة حتى تستوثق أن شرقته خالية ، وصار
هو يرتد أو يحول وجهه إلى ناحية أخرى إذا برزت
في الشرفة أو أطلت من نافذة : وكان كلامها مع
ذلك مشغولا بصاحبه . . هو يندم على ما كان
ويحدث قومه أنه فقد كنزا ، وإن كان كنزا
رهيناً . . كنزا فيه أو هو في بركان . . . وهي تحمل
وعينها مفتوحة بالقبلة الحلوة ، والضمة القوية ،
والشمر الكفيف على ظاهر اليد ، وتتساءل عما وراء
ذلك من أسرار اللذة الخفية . . .

وجاء يوم أحسبت فيه أن أمها تنبئها بمينها
وتحملها أبدا عليها ، وخيل لها أن أباها يرميها
أحيانا بنظرة قاحصة ، وزاد قلقها أنها لم يقولا
لها شيئا ولم يستغربا هذا الفتنور الحاصل بين أسرتهما
وأسرة السميع بصد الاختلاط الوثيق ، وأنهما
لم يسألاها حزة عن شيء . وثقل هذا الشموز على
نفسها وحيرها الأمر ، ولم تدر ماذا تصنع ، ونازعها
نفسها أن تصارع أباهما بالأمر كله ، فقد كانت على
خلاف المألوف المعود تسكن إلى أبيها وتبته ما في
نفسها واثقة من عطفه وفهمه ، ولا تفعل ذلك مع
أمها ، ولكنها ترددت وطال التردد ، وخطر لها
مرة أخرى أن تكلم الأستاذ السميع نفسه في
الوضع . ولكن ماذا تقول له ؟ . . أتستجده . .

فقال ببساطة : « إني فتاة غريبة ... هذا
صحيح ... لا تجربة لي ... لم أعرف الرجال ...
ولكني لست ... لست حمارة ... وتو أن كل
الفنيات مثل ... تنقصهن التجربة ولكنهن لا
ينقصهن الإدراك الصحيح ... يستحيين أن يقلن
ما يعرفن ... هذا كل ما هنالك ... ولكني أنا
تعودت ألا أستحي ... لماذا أخجل ... ؟ » وهزت
كتفها ومشت أمامه

وعاد في صمت وكانت هي تحدث نفسها وهي
جالسة في الفطار تحقر ما بدا من صفاؤه لها ، غير
أن صوراً معينة أثبت ألا أن تغالبها — منظر
كفه الكبيرة التي يكسو ظهرها الشعر . . ورأسها
المائل على كتفه الخشنة . . وشفتاه على شفتيها . .
وحلاوة القبلات الأولى للمباغتة ... حلاوة لا عهد
بها ولا كان في ظنها أن مثلها استفاد من الشفاء . .
وودت لو تعرف من أين تبيء هذه الحلاوة . . .
ولماذا تسرى الرعدة في البدن . . أتري الشفة باب
شيء ؟ باب إلى ماذا ؟ هذا المجهول ماذا هو ياترى ؟
وكان هو يتحدث نفسه أنها نسخة طبق الأصل
من أبيها ، وأنها جديرة أن تلبس بذلة صفراء . . .
كاكي . . . وتبدو في شك عسكري . . . والكلام
الذي قالته من علمها إياه . . لم يكن يعرف أن فتاة
غريبة مثلها — هي غريبة على التحقيق — يمكن
أن يكون هذا إدراكها وتلك لهجتها . . لو كانت
في الستين من عمرها لكان كلامها غير مستغرب . .
أما منها . . عجيب . . أتراها تقرأ كتباً . . ولكن
أى كتب . . . لتقرأ كل ما في الدنيا من كتب
فانما المبرة بشير ذلك ... النبرة بماذا . . لا أدري
كيف أقول ، ولكني أظن أن الكتب وحدها
لا تكفي . . الإدراك الصحيح يجيء لامن الكتب

أنتطلب منه النجدة ؟ ..

فقال : إذن لا أمل لي ... فاستفريت وإطمأن قلبي ..

ساعيني يا ناهد إذا كنت قد فقت عليك ... لم أسمى بك الظن ... ولكنك صغيرة والرجال شياطين ... وقلت له هل يتصور أن من الممكن أن يتزوج فتاة متملة في هذا العصر على رغم أنفها ... أو هل يريد مني أن أكون جلاداً ... نهايته هذا ما كان ... فما قولك ؟

فأطرقت ثم رفعت رأسها وقالت : « لا أدري » .
وهزت رأسها : « ينجل إلى أحياناً أنى أحبه ...
وأحياناً أخرى أنى أحتقره ... لا لست أحتقره
ولكنى لا أطيع سخريته وتعاليه ... بارد ...
فأبتسم ابتسامة العارف الفاهم الدرك . وقال :
« هذا التردد معناه أنك راضية ... لا تقاطعي ...
انتظري ... أنت مشغولة به ... وهل الحب إلا هذا
الشنفلات ؟ ... أنا أعرف ... أبوك يعرف ...
يا ناهد صدقيني ...

فترك الموضوع وأغراها الفضول بسؤاله :
« هل أحببت في حياتك يا بابا ؟ »

فقال : « طبعاً أحببت » ثم أسرع فقال : « أمك »
فربت له على خده الخشن وإن كان حليفاً .
وقالت بلهجة من يدلل طفلاً ، وأحست وهي تفعل
ذلك أنها يستطيع أن تكون أما لهذا الرجل
الكبير الضخم الأبيض الشعر ، وشمرت بفيض
من الحنو : « وهل أحببت غيرها .. غير أى ؟ »
فارتبك وارتفعت يده إلى شاربيه وقال : « إيه ؟
ما هذا الكلام ؟ قوى .. قوى .. قوى .. أ ..
أ .. أنا جائع »

فانفجرت ضاحكة وقالت : « هذا أصرح اعتراف
سمعته أو سمعت به »

وخرجت تنساب لتسد له الطعام
أبراهيم هيب القادر المازني

وضاق صدرها بما أجن ، وقلها بما وجد ،
وكان صدرها يمنح للأستاذ السميع خليطاً جميعاً من
المهوى والنفور والشوق والامتناع ؟ وخيل إليها
أيضاً أن قلبها يمنح له الاحترار ، ولكنها لم تستطع
أن تقنع نفسها بهذا . واتفق يوماً - أو ليلة على
الأصح - أن دخلت على أبيها ، وكان وحده ،
فقال : « هل أضايقك إذا بقيت ؟ » فأفسح لها
إلى جانبه ولم يقل شيئاً ، وقدمت وطال الصمت ،
وتوهمت أن أباه ينظر إليها خلسة ، وكبر في ظلها
أن على لسانه كلاماً يرد نفسه عنه بجهد ، فلم تمد
تطبيق وصاحت به فجأة ووضعت يدها على صدره
المريض : « أبى ... » وانطلقت تمحده وتروى
له ما كان ، وهو مطرق يسمع ولا يقطع ولا يقول
شيئاً حتى انتهت ، فرفع إليها وجهه الشاحب
وابتسم ، فانفجرت باكياً ، فربت لها على ظهرها
وقال بايمجاز : « لم يحب ظي بك » فحفت دموعها
بسرعة وحذقت في وجهه وسألته :

« هل ... هل ... كنت تعرف شيئاً » فقال :
« كلا ... لم أكن أعرف شيئاً ... كنت أشعر
أن هناك شيئاً ... وأتوقع أن تقصيه على ... وخبر
لي أنت أذهب إلى الأستاذ السميع وأسأله ...
لا لا لا لا لا ... لا تجزئني ... لم أفعل شيئاً من
هذا ... اترد إلى عقلي ... لم تكن في حاجة إلى
الكلام معه ولا إلى سؤاله لأنه هو جاني أمس
وسألني هل أرضى أن أزوجه منك ... واعترف
أن هذا السؤال زاد قلبي ... خفت أن يكون قد
حدث أمر خطير ... فقد كان يكلمني وكأنه يشيع
ميناً ... اعتقدت أن هذا الطلب تكفير عن إساءة
خفت أن يكون هذا هكذا ... لم أقل له شيئاً ...
بل قلت له : إن هذا سؤال جوابه عند ناهد ...



مانيوفا الكوني رجل عند الخمسين ، متكفل
المضلل ، مقتول الذراعين ، عربض ما بين المنكبين ،
خفيف الحركة كالسينور ، له عينان كبيرتان تنبش
منهما أشعة قوية نفاذة ، وشفقتان رقيقتان ، وشعر
أسود جسد . ذهب سيمه في أرجاء وطنه - جزيرة
قورسقا - بما له من مقدرة عجيبة على إصابة الهدف
فهو أرى أصاب ، سواء بالليل أم بالنهار : وهو
لطيف المشر ، رضى الخلق ؛ فاذا جرح أو أمتن
فهو عدو لدود فيه المتو والجبروت ، ينزل عن
إنسانيته حتى يبلغ من خصمه ماربا ...

وفي نحوه يوم من أيام الخريف - والطفل
في الماشرة - انطلق الأب وزوجته يستطلمان
خبر غنمهما ، وأراد الابن أن يصحبهما فأبى الأب
إلا أن يظل عند الدار يحرسها

وتصرمت ساعات والطفل وحده ينطرح حيناً
في دعة أمام الباب ، تحت أشعة الشمس الهادئة ؛
وحيناً يستمتع بالنظر إلى أشجار الغابة الباسقة ،
 وإلى الجبال الشاهقة على مرى البصر ؛ ولذلك حيناً
بالأخيلة الجميلة تضطرب في رأسه حين يتخيل إليه
أنه سيزور المدينة يوم الأحد فيرى عمه القائد ،
ويجول في أرجائها فيشهد أشياء حرم منها حيناً
من الدهر ؛ وسيطرت عليه الفكرة قابض ، غير
أن صوتاً سلبه من لغة الخيال وأفزعه عن مكانه .
فهب يرى ... وأحس كأن قلبه يتخلع من الدهر
والخوف ، لأن ما سمع هو صوت طلقات نار بقرعة

رجل مانيوفا الكوني عن مسقط رأسه الذي
نشأ فيه وترعرع إلى ثغر بورتوفيكو في جنوب
الجزيرة ليعيش هناك عيشة الهدوء والطمأنينة في
منزل ريفي وضع تحيط به غابة متشابكة الأشجار ،
ملتفة الأغصان ، في منأى عن صخب الحياة ولجها
وقضى دهره من عمره يتمهد بنفسه قطعة من الأرض
وبعض قطمان الذنم ، فينال من كل ذلك ما لا يرقه
إلى صف أعيان الريف وأغنيائه ؛ ثم هو سخي سمح
طلق اليدن والوجه ، سريع إلى الخير ، بطيء
عن الشر

تزوج مانيو من جيوزيا صغيراً فرزق منها
ثلاث بنات تزوجن جميعاً ؛ واستطاع هو أن يجد
الموتة في أزواج بناته ، غير أن قلبه ما زال حزينا
بأسف على أن لم يحبه الله بذكر يحمل عنه بعض

وهو يدس القطعة في جيبه ، ويهيل التبن على الجرم
الجريح ؛ ثم انطلق يمشي آثار الدم في دقة وهارة ؛
ثم استلقى أمام الباب كأن شيئاً لم يكن ..

وجاء الشرطة - بمدحجين - وعلى رأسهم
ضابط ... إنه هو تيودور جامباين عم فورتناو ،
وهو فتى بفورقة ونشاط ، يتقصص الجرمين
والجناة لا تأخذه بهم رافة ولا شفقة ، ويثقة في
آثارهم في غير هواة ولا لين ...

وايتسم الضابط وهو يسير إلى ابن عمه فورتناو
يسأله خبر الجرم الفار : « أوما رأيت رجلاً يمر بك
الساعة ؟ » قال الصبي : « آه نعم ، رجس
يمر في الساعة ! » قال الضابط : « نعم رجل
ذو لحية طويلة ينزف الدم من غذه » قال فورتناو
وهو يمشي بآبى عمه : « نعم ، تذكرت ، إنه
القس ، لقد كان يمتطي صهوة جواده الجليل
يبرو ... » وثار غضب الضابط أن رأى الهبي
يهزأ به ، فقال : « لقد رأيته ، فأين هو ؟ قل أيها
الحديث وإلا ... » وراح الصبي يسخر من
الضابط : « أقتراني أستطيع أن أراه وأبأ تأم في
هدوء ؟ » فقال الضابط المغضب في شدة : « قل
أيها اللعين ، إنه سر بك الساعة ! » ، وأجاب
الصبي وهو ييسم في تهكم : « أنا فورتناو ،
وهذه دار أبي ماتيو فالكوني ، أفتريد أن تستجم ؟ »
ونفذ صبر الضابط ، فاندفع في حلق يأمر
الشرطة : « إلى الدار أيها الراق ، فلا بد أن يكون
هذا الشيطان قد خبأ الجرم ! » . وانطلق الشرطة
يصعدون بما أسروا ، وأمسك الضابط بأذن الصبي
ينمعه وهو يتملبل ويصيح : « إن أبي ماتيو فالكوني
لا يرضيه أن يدخل جماعة من الأغراب داره وهو

ومتوالية تقترب منه رويداً رويداً . وأجال بصره
فما حوالبه فابدا له غير شبح يهدف إليه من القاعة
بتكفاً في طريقه ، ويتعامل في مشيته ، من أثر
الآين والتنب ، والدم يتقاطر أرسالا من غذه

لاجرم ، فهذا جرم انسل ، والليل ساج ، إلى
الدينة ؛ فاحبط عليه الجند ، فأسلس وانقاد بمد لآي
ثم وجد مهرباً فأفلت يريد الحرية ويحطم قيود
السجن وهي تنتظره على خطوات ؛ وهم على أثره
لا يصيبهم الجهد ، ولا ينال منهم النصب ، يعطرونه
بوابل من بنادقهم ، وهو يدفعهم عن نفسه بالرصاص
والهرب في وقت ممك

لقد كان ضخم الجثة ، حيواني المظهر ، زرى
الهيئة ، رث اللباس ، كث اللحية مرسلها ، أشعث
أغبر يمش في النفس الفزع والرعب ، غير أن الأعياء
تركه محطاً ضعيفاً

ثم انتهى إلى الصبي ، ووقف إزائه يطلب إليه
أن يجده منفذاً « إنني جيانيتو ساندييروا ؟ إن
الشرطة على أثرى ، وأنا لا أستطيع الهرب ، أفلا
أجد في دارك ملجأ ؟ » وأشاح الطفل عنه - يادى
ذى بدء - وأبى عليه بمض ما طلب ؛ فراح الرجل
يهدد ويتوعد ، غير أن الطفل كان يرى ما يقاسى
من ألم وما أصابه من كلال قفزز بعيداً وهو يقول :
« لا بندقتك تستطيع أن تصل إلى لأنك تنفقر إلى
الذخيرة ، ولا حربتك تنال مني مارباً لأنني في
حصن منها حصين ! » وأحس الرجل بمقابلة أمره
فاندفع يستمطع الصبي في ذلة ، ويتراض في لين ،
ويلوح له بقطعة فضية من النقود يداعبها بأصابعه ؛
فاستيقظت الشفقة والرحمة في قلب الصبي ، ورأى
في قطعة النقود أجر ما يقدم من خير فتعلق بها
بصره ... ثم انفجرت شففته من ابتسامة رقيقة

ثم يتدافعون نحوك يسألونك : « كم الساعة ؟ »
وأنت تبسم . . . وبدا للضابط أن عيني الطفل
قد انبث منها شمع من أمل ، وشمع من
طمع ، وهو يحدج الساعة بنظرانه ، ويقول :
« لا ، لا أزيد ، إنه حين تكبر سنى سيمطينى
عمى القائد ساعة أجل من هذه » قال الضابط :
« حقاً ، غير أن لاينه ساعة كهذه ، وهو أصغر
منك سنًا » ، وخيل إلى الصبي أن الضابط
يسخر منه ليستدرجه فقال : « أقهرأ بى ؟ »
قال الضابط وهو يقدم الساعة إليه ، وقد عاد إليه
الأمل مرة أخرى : « هاهى ذه فخذها ، ثم أخبرنى
أين هو المجرم چيانيتو ؟ » ، وتقدم الصبي في هدوء
نحو الساعة رويداً رويداً وهو يراها وهاجة براقة ؛
نحت أشعة الشمس ، تخطف البصر ، ثم أمسك
بها بقلها بين يديه ، وقد استبشش وانسطت
أساريه ، ونفسه محدثة : « ألقى بقطعة النقود إلى
صاحبها ، وخذ هذه فعلى أعلى وأغننى ا » ،
واسطرت في نفس الصبي عوامل الوفاء والجشع ؛
أفيخون عهده وينقض موأثيقه ؟ ولكن الساعة ..
الساعة ! أفيفقدها بعد إذ احتوتها يدها ؟
وغلبه الحرص والطمع وحسب لئال جيمًا ،
وهو قبالة ابن عمه الضابط ، ومن خلفه كومة
التبن ؟ فرضع يده في هدوء يشير إلى الوراء ... إلى
كومة التبن ...

وتدافع الشرطة ييمثرون كومة التبن هنا
وهناك ، فانفجرت عن جريح لا يستطيع أن يحمل
نفسه ، وفي لحظة البصر نزع الشرطة عن چيانيتو
بندقته وحرجه ، وشدوا وثاقه ؛ غير أنه استطاع
أن يدير بصره نحو الصبي ، ومن حجاجيه شر

غائب ا » ، وراح الضابط يهدد الصبي : « أولى
لك فأولى ! أفلا تعلم أننى قادر على أن أحلك إلى
كورت أو إلى باستيا فألقى بك في غيابة السجن
ترسف في أغلال من حديد ، ثم أضع رقبتك بين
حدى المقصلة جزاء ما فعلت ؟ » ، وأغرق الصبي
في الضحك لما سمع . . .

وارتد الشرطة بعد أن وجدوا الخيبة والفشل
وجاء واحد منهم إلى الضابط يقول : « لم نجد أحدا
فلنتمس طريقاً غير هذا ! »

وبدت الدهشة على وجه الضابط جامبا حين
خيل إليه أنه مضى بالاخفاق ، واضطرب حين
لم يجد الطريق إلى فريسته . إن البار أمامه ،
وهو يستطيع أن يرى كل ما فيها في نظرة خاطفة ؛
فهاهى غير حجرة واحدة عارية عن الأثاث ، لقد
سيطر عليه الارتباك ، والصبي إلى جانبه يداهب
قطعة ويسم لمسام فيه من حيرة

ياضيمة المهود ، وبأخية الأمل ! لقد هوأ
يريدون الرجوع بعد ما بذلوا من جهد ، وما لاقوا
من عناء ، غير أن عيني الضابط لمتا حين بدت له
براقة من أمل . لقد تهدد الصبي فأجدى التهديد ،
وتوعده فأغنى الوعيد ؛ فليطرق باباً غير هذا
عله . . . فالتفت إلى الصبي : « فورتناو ، لقد
ظننت بك سوءاً ، ولكننى وجدتك شجاعاً ذكياً ،
لنتك تصحبى ! » قال فورتناو وهو ما يزال يمش
بأن همه : « جامبا ، أسرع إلى عمك وإلا اختفى
چيلينيتو فلا تثر عليه أبداً ؟ » وأخرج الضابط
ساعته الفضية وهو يقول : « أفلا تريد أن يكون
لك مثل هذه الساعة ، فتمشى الخيلاء بين رفاقك
في شوارع المدينة ، وقد علقت في صدرك كأنها
وسام ، والناس من حولك ينظرون ويمجبون ،

بالخنية ! » ، ثم التفت فوجد جيانيتو ماقى على سرير من قش ، شُدَّ إليه في غير رفق ولا لين ، وثبت بصره على الرجل فا استطاع أن يحوله رفق رأسه الأسى والأسف ، وفي وجهه السيوس والحزن ، وفي عينيه اللوعة والحسرة ؛ فزأى الرجل بدير بصره نحو الدار فيصق ويقول : « هنا ، هنا دار الخائنين السفلة ! »

أى امرئ تحبته نفسه أن يهين هذا الرجل القورسبقي وهو بضن بكرامته أن تلم ، ويصون شرفه أن يمتن ؟ ويل له ... ويل لمن تنفرج شفاته عن كلة يستشمر منها ماتيو بالاهاة والسخرية إن طلقة واحدة من بندقيته ، أو رمية واحدة من حرجته هي المقاب الوحيد لمن يفعل ! ثم هو لا يطعن خاطره أو يهدأ باله إلا أن يشل الاهاة بدم التبيج الجريء ! ولكن ... ولكن ماذا يفعل وابنه هو الذى تلم عرشه ولوث شرفه ؟ لقد أحس بوخزات الألم تحز في قلبه ، ورأى الفضيحة والعار فيما فعل ابنه ، فوضع يده على جبينه للتسمر والمهوم تتنازعه ...

وأراد الابن أن يفرغى الرجل المسكين حين رأى ما ارتسم على وجه أبيه فولى وجهه شطرن الدار ومشى يشاقل ثم عاد وبين يديه وعاء ملي لبناً وقدمه في ذقة وخضوع الى جيانيتو ، غير أن الرجل صرخ في وجهه : « تنج ، تنج أيها الس ... » ثم التفت الى شرطى الى جانبه يطلب اليه ماء ... لقد شرب من يد الشرطى وهو كان — منذقة — يصب عليه وابلا من رصاص ؛ أما ابن ماتيو ... ماتيو فالكونى ...

وانطلق الضابط والشرطة يحملون المجرم الى

بخطير ، ثم بصق وهو يقول : « أيها الس ... ! » وألقى الصبي بقطعة نقوده ، وجيانيتو في شغل عنها يقول للضابط : « عزيزى جابيا : إننى لا أستطيع السير ، فسترغون على جملى ! » ، وشمخ الضابط بأنفه في كبرياء ، وصتر خذّه في صلف ثم قال : « إن نشوة الانتصار ، ولذة الفوز يمتنان في قوة أستطيع بها أن أحملك وحدى على كتفى حتى تبلغ المدينة »

وتفرق الشرطة ، فبعض بأسو جراح جيانيتو وبعض يهين له سريراً من قش ، والضابط بأزائهم ينظر ... وعلى خطوات الصبي فورتنتاو يداهب ساعته فرحاً متهللاً ... وبينما كل في عمله لا ينى ولا يتباطأ يهبط ماتيو فالكونى وزوجته ...

ووقف ماتيو فالكونى حائراً لا يدري مما حوالبه شيئاً ، ولكن جابيا اندفع بقص القصة ويثني على فورتنتاو ، ويشكر ما أسداه إليه من خير ، واستطرد في حديثه : « إن هذا المجرم الأثيم قد دفننا عنه في قوة وشدة ، ثم اندس في التبن ، فا استطاع واحد أن يستشمر وجوده ، ولولا فورتنتاو ... » ، وصاح الأب والأم معاً : « فورتنتاو ! » ، قال الضابط في هدوء : « نعم ، لولا فورتنتاو ما استطعنا أن نثر عليه ، ولذهب في الهباء ما طائفا من شدة وما بذلنا من جهد . سأخبر عمه التائد ليرسل إليه جائزة سنية ، وسأسجل اسمك واسمه في التقرير الذى أرفعه إلى النائب العموى » ، واستشمر الأب شدة الصدمة فصدم قلبه حين بدا له أن ابنه باع شرفه بالثمن البخس ، فصاح من الأعماق صيحة خافتة كأنها صدى خفقات قلبه المكبوم : « يا الخنية ،

الدوى له المكان وتزلزلت منه قوة الصبي « اقرأ سلوانك ! » فاستل الصبي صرخاً . ثم رفع رأسه بمدحين ، وفي عينيه المبرات ، فقال الرجل : « هل أتعمتها ؟ » فقفا الصبي نحو أبيه « آه ، أبى ! أبى لا تقتلى ! الرحمة يا أبى والصنح ! لن أعود لثلاثها . سأطلب الى عمى القائد أن يبادل سجينه بالحصى . أبى لا تقتلى ! ! إننى ابنك ؛ لقد أخطأت فأرجو الغفران والشفقة ! » ثم اندفع فى حديثه بلين ما قسا من قلب أبيه ، ولكن الأب كان قد صوب إليه بندقيته وهو يقول : « فليساعدك الله »

وأراد الصبي أن يتكبد على قدمى أبيه بقبلهما ، غير أن النية لم تمهله .. لقد دوت الرصاصة فاستقرت فى قلب الطفل نقر يتلوى ويتخبط فى دمه المتفجر وهو يئن : « آه ، آه ، آه يا أبى ! »

وقفل مانيو راجعاً دون أن يلقى نظرة واحدة على جثة الصبي الهامدة

وسمعت الأم — وهى راكبة تصلى عند تمثال المذراء — دوى الطاقى النارى فانشقت كبدها أسى ولوعة ، وتمزق فؤادها جزءاً على ابنها وأهلها ، حين بدا لها أنها فقدته إلى الأبد ؛ ثم انطلقت فى جنون التكللى تمزكها المصيبة عركاً . وعلى خطوات من الدار رأت الأب يعمد مطرقة ذاهلاً ، تتوزعه الموموم وتتناهيه الأحزان بعد أن نفذ القضاء ، فاندفعت إليه وهى تصيح : « أبى ! ماذا ، ماذا فعلت ؟ » فأجاب الرجل فى صوت خافت ضعيف فيه أنات المفنود : « العدل ، العدل يا عزيزتى — جيوزيا ! » قالت : « وأين هو ؟ » قال : « هناك هناك فى المنحدر ، سادفته . لقد مات ساستنفر له دوى ! »

عاش محمود مهيب

المدنية ، ومانيو وجيوزيا فى مكانهما مطرقين وقد اربد وجههما . والصبي بينهما يردد بصره فى وجه أمه حيناً وفى وجه أبيه حيناً آخر وقد ذهل عن نفسه . ثم نظر الأب الى ابنه فى قسوة وقال فى صوت أجش كأنه قصف الرعد : « حسن ما فعلت ! » وصرخ الصبي فزعاً : « أبى ، أبى ! » ثم انطلق يمشو هند قدمى أبيه والمبرات تتناثر من محجريه تسأله العطف والرحمة : فصاح الأب : « تنح ، تنح أيها النذل ! » فجعد فى مكانه

ورأت الأم طرف السلسلة يتدلى من جيب صديرة الصبي فقالت : « أتى لك هذه ؟ » قال : « أعطانيها ابن عمى جابيا » فزعها الأب فى شدة وألقى بها فى عنف على سخرة فتشظمت قطعاً قطعاً وهو يقول : « هذا هو أول خائن فى أسرنا ! » وانهمرت عبرات الطفل مرة أخرى ، ومانيو يمدح به بنظرات قاسية ملتهبة ، ثم صار فى صمت نحو الثابة وبندقيته على كتفه ، ثم .. ثم نادى الصبي فتيمة وهو يركى ؛ وانطلقت جيوزيا على أثرها وقلبها يضطرب ، والأرض تكاد تميد بها من فرط الشجن ؛ وأمسكت بذراع زوجها تستمطفه « مانيو ، مانيو ، إنه ابنك » فقال الرجل فى غيظ « ارجى ، ارجى ! إنه ابنى وأنا أبوه ! » فراحت المرأة تضم ابنها إليها فى قوة كأنها تريد أن تنتزعه من بين يدي أبيه ، وهى تذرف الدمع السخين . وعادت الى الدار يمشو عند رصم المذراء ، وتصلى فى خشوع وضراعة

وفى قلب الثابة ، عند سخرة كبيرة ، وقف الرجل ثم نادى ابنه : « تمال ، تمال هنا يا ولد ، اركع واقرأ سلوانك ! » غير أن الصبي اندفع نحو أبيه : « أبى ، أبى لا تقتلى ! » فزأر الرجل زفيراً



— بحير
— لقد فاني أن أهنك على نجاحك في انتخاب
المجالس البلدية الأخير حتى أن زوجي كانت عازمة
على تهينة مسر يارنت
— يسرنا أن نراك أنا وزوجي في أي وقت
تشاءان

— ولكن خبرني يا سيد يارنت لم تفكر في
بناء بيت جديد وبينك الذي أنت فيه الآن فسيح
جميل، فضمت يارنت قليلاً ثم قال: حسن؛ إنا نريد
أن نعيش خارج البلدة، ثم إن بيتي الآن قد قدم
ثم أخذت العربية تنهب بهما الأرض حتى
وصلا أخيراً إلى البلدة فوجدنا الشوارع لا تزال
تفيض بالناس والمصاييح تلقى بأنوارها على واجهات
الحوانيت، فلما أتيا المنزل أسرعت الزوجة
والأطفال إلى الباب يستقبلون رب البيت بمد
غياب النهار كله

فلما رأى يارنت هذا صاح مبتهجاً: «إناك
لا شك سميد يا «دون» بهذه الزوجة وهؤلاء
الأطفال، كم أود أن يكون لي بيت كهذا».

فأجابه دون مبتسماً: «حسن. نعم إنا نعيش
هنا عيشة هادئة مطمئنة». فقال يارنت وهو
يحاول إخفاء الشموخ بالمرارة والألم: «إن بيتي

كان السائر بمحاذاة التل الشرقي لا يكاد يسمع
رفيقه الذي يسير والتل الغربي، فقد كانت الأصوات
تغيب وتختفي في مداخل البلدة التي تفصلهما.
أما في الليل فقد كان سكان تلك البلدة يسمعون
أولئك الفلاحين الذين يملأون الجو غناء وصغيراً.
وقد اتخذ الناس هذين التلين طريقاً للوصول
إلى البلدة. ففي ذات مساء قبل أن يبدؤا الشفق
ركب رجل نمليه وأخذ يتدحرج من ذلك التل
الشرقي إلى البلدة وقد حمل في يده حقيبة صغيرة
ومظلة، ولكنه لم يكدهم في طريقه حتى سمع
صوتاً يقول: «مرحباً «دون»! أهو أنت؟»
ثم وقف الشاب الأنيق المترف ببريقته وقال: «هيا
اصعد حتى تصل إلى دارك»

فالتفت الرجل إلى مصدر الصوت فحيا صاحبه
مبتسماً وقال: «أشكرك يا سيد يارنت»، ثم
ركب معه

كان يارنت أكثر غنى وأنعم عيشاً من صاحبه
«دون» المسمى الناشي، إذ كان أبوه من كبار
تجار الصوف فاستطاع أن يجمع ثروة طائلة أصاب
الابن بعضها بجانب ثقافة عالية وخلق سمح كريم.
ثم أخذ الصديقان يتحادثان فقال «دون»:

— كيف حال مسر يارنت؟

الحوانيت ، فذكرته هذه المناظر بما كان عليه والده من مجد وشهرة . ثم مضى في طريقه حتى وصل الى منزل صاحبه « لوسى » . فلما رآه اندفع الدم الى وجهها وألقت عليه نظرة كلها دهشة واستخفاف ؛ فلما رأى يارنت منها هذا قال : « إني أعرف أنه ليس لي عمل هنا ، ولكنى شعرت برغبة قوية الى رؤيتك والاطمئنان عليك . هل لك أن تمنحني يدك لترى كم من مرة أمسكتها »

— إني أفضل أن أنسى الماضى لأن أذكره فاني لا أجد فيه ما يستحق الذكر أو يسمح لك بالجيء الى هنا

— ولكن ليس فيه ما يؤلم . انى لا أضايك كثيراً يا « لوسى »

— إني لم أنشرف حقاً بزيارتك من مدة ، ولكنى لم أكن أنتظرها الآن . أرجو أن تكون مسروراً بيارنت بخبر

— نعم . نعم . أو على الأقل أظن هذا

— كيف هذا وهى زوجك ؟

وفي هذه اللحظة أيقظت كلات ذلك الزائر الفضولى « كئاريا » كان يتام في قصبة ، فهب الطائر مذهوراً وأخذ يضرب القفص بجناحيه ، فذهبت إليه لوسى ودنت منه وتمتمت ببعض الكلمات . فسكن الطائر إليها وعاد إلى هدوئه الأول . والحقيقة أنها حملت هذا التريح نفسها من عناء الحديث مع ذلك الضيف

ثم استطرد الرجل قائلاً :

« إني لم آت لأتحدث عن مسر بيارنت بل أتيت لأتحدث عنك أنت وحدك ولأنف على حالك منذ ذلك الصاب العظيم » . قال هذا وهو يلتفت

الذى أقفم فيه صالح لي كما تقول ، فقد بناء جدى منذ عهد بعيد ونشأ فيه والذى وقد ولدت فيه أنا وقضيت فيه سنى شبابي ولكنى أشعر الآن بالحاجة إلى منزل جديد .

— لماذا ؟

— سمياً وراء الهدوء ، إني أطلب السعادة فلا أجدها .

ثم هم « دون » بالدخول فتعثر في المظلة والمحفظة فزلت قدمه وهوى على ركبتيه ، فأسرعت اليه زوجته ، وقد تجاهلت وجود يارنت وأعاتته على الوقوف ثم قبلته قائلة : أرجو ألا يكون قد أسأبك شيء يا عزيزى .. أما الأطفال فقد أحاطوا بالدم وهم بصيحوهم : « بابا بابا » فقال يارنت وهو يدير عينيه بين الزوجة والزوج : لا بأس ، ثم حياهما وانصرف ، وقلبه يثقل إلى تلك المرأة

عاد يارنت الى منزله فلم يجد زوجته إذ علم من الخادم أنها ذهبت الى « الخياطة » . فصباح الرجل متعباً : « أى خياطة في مثل هذا الوقت ؟ »

— لقد تناولت غداءها وخرجت وهى تمتدرد لك عن صحبتها هذا الساء

— ولكنكها كانت تعلم بمجيئى الليلة

— نعم يا سيدي

— أذهبي إليها وأخبريها بأمرى

ثم جلس يارنت إلى المائدة يتناول عشاءه في تراخ وكسل ، وسرطان ما تذكر صديقه « دون »

وحياة السيدة ثم أخذ يقارن بين الحياتين ، ثم نهض أخيراً وقد امتلأت نفسه حقناً ودلف الى الخارج ، وكانت الشوارع لا تزال تفيض بالأنوار تحييه كلما أبصر اسم أسرته على إحدى واجهات

إلى عخطئة أن أشار كأن هذا الحديث . يجب ألا
تأتي إلى هنا . إلى أخشى القضية .

— حقاً . ليس لي حق في هذا ، سوئاً
لأعود ثانية

— إنه لمن حق الطبيعة البشرية أن ينظن
الإنسان أن الطريق الذي لم يسلكه هو الأصوب .
فتقدم الآن قبل أن تعرف إذا كنت أرضى
بك زوجاً

وفي هذه اللحظة التقت عيناها بعينه فلم تقو
على النظر إليه وخافها صوتها ، ثم صمتا برهة ،
وأخيراً استأنفت لوسي كلامها فقالت : « إلى
دونك جاهاً ومالاً . لذلك لم يكن أمر زواجنا
ميسوراً ، والآن أرجو أن تتركني »

— أجل . ولكني لن أقابل فتاة أعز منك .
ثم مضى

وفي اليوم الثاني جاء « دون » زيارة صديقه
بارنت فلم يكده يدخل البيت حتى رأى مسز بارنت
خارجة من المنزل ، فالتفت إلى صديقه وقال :
« أود أن يصلح أمر كما قريباً »

— إذن لقد سمعت نبأ الانفصال الأخير ؟
فحاول « دون » أن يخفي سروره في قلبه بأن
قال وهو يتظاهر بالأسف : « لا . لم أسمع عن شيء
مهم . لكن لدى بعض أخبار غامضة عن ذلك »

— قد تظن أن الأمر نافع ، ولكني أرى
فيه غير ذلك ، والآن كيف حال زوجك وأطفالك ؟
— بخير أشكرك ، فقد خرجوا اليوم كلهم
للنزهة . إنك عصي المزاج يا سيد بارنت ، وإلى

لأذكر أيام التلذذ ، وكيف كنت تنور إذا مارس
أحد شغورك بكلمة

إلى صورة أبيها التي كانت معلقة على الحائط
— لا بأس ، أشكرك

— ماذا كنت تملين عندما جئت إلى هنا ؟
أنتظرين الأزهار ؟ — وعلى ضوء الشمعة ؟

— كنت أحمل الحوائش فقط . أحمل هذا
ليلاً توفيراً للوقت . فاني مزمنة بأنجاز ثلاثين غطاء
في نهاية هذا الشهر

فنظر إليها يارنت وقال بصوت المشفق عليها :
« حرام أن تجهدي عينيك هذا الاجهاد —

لا . إلى أفضل الصمى على أن أرى هذا بعيني »
فصاحت لوسي في وجهه : « وهل هذا هو

الوقت والمكان الذين تذكر فيهما هذه الأشياء —
لقد اعتدت أن تحترمني وتحترم نفسك .. أرجو

ألا تنطق بمثل هذا الكلام وألا تأتي إلى ثانية .
فاني لا أظن أن زيارتي ذات بال عندك »

— ذات بال ؟ لقد أتيت لأرى صديقاً قديماً
عزيراً — لا لأن أذكر هذه الأشياء . ولقد أتيت

لزيارة المرأة التي أحب ؟ فلا تفضي ، فاني لا أستطيع
أن أمتنع هذا . إن كثيراً من الأشياء قد دفع في

إلى هنا — فقد حدث في هذا المساء أن قابلت
صديقاً ، فلما رأيت ما ينم فيه ذلك الصديق من

حياة منزلية هائبة ، مع أن إرادته لا يصل إلى
عشر إرادى استولى على شعور غريب دفنى إلى

هنا . آه إنه مصيري الذي ساقني إلى هذا . إلى
لا أعرف كيف أفلت مني . فقد كنت المرأة التي

كان يجب أن تكون زوجتي ، ولكني تركتك
تقتلين . يالي من أحمق !

فأجابته لوسي ، وقد أغرورقت عيناها
بالموع : « لا تتر هذا الموضوع من جديد .

— الى أين أنت ذاهب الآن ؟
 — الى الميناء
 — طبعاً . لقد بدأت طلائع الصيف وأخذ
 الناس يهرعون الى الشواطئ
 — لوسى . أراك اليوم ضامرة العود ، شاحبة
 الوجه — خبريني هل عكفتي أن أساعدك . إن الجو
 اليوم صفو والهواء رخاء عليل
 ثم مضى ، ولكنه لم يكذب بذهب بعيداً حتى
 هبت عاصفة شديدة غيرت وجه الطبيعة ، فبدت
 غيظة غاضبة ، وعندما وصل الى الميناء تقدم إليه
 أحد البحارة وهو يقول : «خطب عظيم يا سيدى»
 — ما هذا يا رجل ؟
 — لقد ركب اليوم سيدتان هما مسز بارت
 ومسز دون أحد القوارب طلباً للزفة ، ولكنهما
 لم يبتعدا عن الشاطئ كثيراً حتى هبت عاصفة
 شديدة أطاحت بالقارب بعيداً فانكفأ على من فيه
 — أين ؟
 — أسرع الى تلك الصخرة واطلب من ذلك
 الصبي الواقف هناك أن يذكك على مكان الحادثة
 — وهل أقنعت السيدتان ؟
 — لقد أقنعتوا واحدة
 — من ؟
 — مسز بارت ، أما مسز دون فيخشى أن
 تكون قد غابت في جوف النهر ، فأسرع بارت
 الى مكان الحادث فرأى جملاً من الناس قد تجمهروا
 هناك ، فنفذ وسط ذلك الجمع ، وهناك رأى امرأة
 ملقاة على الرمال يعلو بندها ثوب بنفسجي وفي
 يديها قفاز أصفر فعرف أنها زوجته
 عاد الرجل بزوجه الى المنزل ودعا إليها بمض

— أجل إنك مصيب يا صاحبي ، وهذا راجع
 الى أنى أطلب دائماً الهدوء فى المنزل فلا أجده ،
 فلو أنى ظفرت به لكان على كل شيء آخر
 — لقد فكرت أكثر من مرة فى إصلاح
 ما بينك وبين زوجك ، ولكنى لا أدري إذا
 كانت هذه الفكرة تروقك ، على كل حال
 سأعرضها عليك ولك أن تأخذ بها أو تتركها ،
 والحق أن زوجى هو صاحبة الفكرة ، فقد رأيت
 أن تذهب الى مسز بارت وتتفاهم معها . إنى واثق
 من أنهما ستصلان الى نتيجة مرضية . فان زوجى
 لها قدرة عجيبة على كسب بنات جنسها
 — وبني جنسها أيضاً ، إنها امرأة ذكية
 الفؤاد عظيمة التأثير ، وإنك لحسن الحظ بها
 — قد يكون هذا ، إن زوجى مستعدة للقيام
 بهذه الوساطة إذا وثقت أنها جديرة بمركز مسز
 بارت الاجتماعى
 — إنى أشكرك كثيراً ، ولكنى أخشى ألا
 تصلا الى نتيجة ، ثم حياه وانصرف
 وفى ذات يوم كانت السيدتان راكبتين قارباً
 صغيراً يقطع بهما عرض النهر جيئة وذهوباً .
 بينما كانت السيد بارت فى طريقه الى منزل
 « لوسى »
 كانت « لوسى » فى حديقة المنزل تقطف
 بعض الأزهار عندما دنا منها بارت ، فلم تكدر تراه
 حتى قالت له فى ابتسامة عذبة رقيقة وهي تمد يدها
 الى إحدى الزناجب الحمراء : « لقد ذكرتك كثيراً
 يا سيد بارت منذ أن تركتك زوجك ،
 وهأت هنا ...
 — نعم « لوسى »

فأخذ ينظر إلى زوجه المسجاة في صمت وذهول ؛ لقد كانت تكبره بسنوات ، ولكنها لم تخط بعد سن الشباب ، فأخذ يتفرس فيها ، فرأى قسبات وجهها أكثر فتنة وسحرًا ، ورأى فيها الدقيق وشفتيها الرقيقتين قد التصقتا ، وجبينها المشرق الوضاء يوج فوقه شعر أسود جميل ، فصاح متعجبًا : « إن هذا الجلال لن يموت ! » ثم عاد ثانية إلى النافذة فرأى الدخان لا يزال يتصاعد من المدخنة في بيت صديقه ، ورأى « الكناري » لا يزال في القفص ، فهجمت عليه الذكريات القديمة ، وأخذ يفكر في زوجه ولوسى ونفسه

قضت الزوجة أسبوعا طريحا الفراش ، ثم فاضت روحها بين يدي زوجها ، فأمرع الزوج إلى إعداد الجثة ومواراتها التراب ، ولكنه لم يكبد بهم بالخروج حتى دخل عليه خادمه بخطاب من صديقه « دون » يقول فيه :

عزيزى بارت :

رأيت من الأفضل أن أعلمك بأننى سأزوج من « لوسى » على رغم أنى لم أعلن هذا بين أصدقائى نظراً للحداد ، وعلى ذلك ستكون هناك حفلة خاصة ، ولكنى أود أن تشهدها وأن تصحبنا إلى الكنيسة في الساعة العاشرة . ما أخذ بارت يتلو هذا الخطاب مرة ومرة ، ثم وقف قليلا يفكر في الأمر

لم يكن هذا الرجل بالواهن المزم ، الضعيف الارادة ؛ بل كانت ذا قدرة عظيمة على احتمال الخطوب والصبر على الكاره ، فلم يكن له عزم أمام هذين الخطيئين الذين ألباه في تلك اللحظة

الأطباء ، والترهب في أمر هذا الرجل أنه شعر أن حبه لزوجه هو الصلة الوحيدة التى تربطه بالحياة ، ثم أسرع إلى صديقه دون في مكتبه ، وماكاد يقضى إليه بذلك النبأ الفاجع حتى هب الرجل مذعورا وبقي واقفا لا يدرى ما ذا يعمل ، وبقاة أجهش بالبكاء فجذبه بارت من يده وذهبها معها إلى الميناء ، حيث بقيا زمنا ينتظران إخراج الجثة ، ولكن النهر كان لا يزال هائجا فلم يمر النواصون عليها ، فعاد بارت إلى منزله تاركا دون مع بقية الأسدقاء يرقبون الفرقة ، فلم يكذب يخطو عتبة الدار حتى وجد الطبيب خارجا ، فقال له : « خير » فأجابه الطبيب : « قد عملنا جهدا ، ولكننا لم نصل إلى نتيجة ، إنى أشاطرك هذا المصاب »

فلم يقدر الرجل شعور ذلك الطبيب كثيرًا ، إذ ظنه يتسكع به ، ولا سيما وأنه كان واقفا على النزاع الأخير ، ثم أردف الطبيب قائلا : « أرجو يا سيد بارت أن تنتهى من ذلك الأمر قريبا »

فأجابه بارت قائلا : « دعك من هذا الآن ، وامنض إلى الميناء فقد يكون الريد دون في حاجة اليك » ، ثم دخل المنزل فرأى الخدم خارجين من غرفة زوجه ، وقد بدا عليهم الحزن واليأس ، فأسرغ إلى الترفة ووقف صامتا برهة وهو ينظر إلى السرير ، ثم مضى إلى غرفته الخاصة وظل يقطعها في خطى متثقلة ثقيلة ، وقد شعر أن كل شئ قد مات في هذا البيت ، فلم يمد يسمع همسا أو نفسا . فذهب إلى النافذة وأخذ يسرح نظره في البلدة الصاخبة ، فرأى الدخان يتصاعد من إحدى الدواجن البعيدة ، فأدرك أن لوسى تنبأ لعمل الشاى كمأذنها . ثم عاد إلى غرفة النوم

الصخر الجلود أو المدن الصلب ، ولكن هذه البلدة وإن بدت طويلة في عمر الانسان لا تذكر بجانب عمر الانسانية ، ولا تترك فيها شيئاً وأخيراً بعد عشرين عاماً عاد بارت إلى موطنه الأول الذى لا يحول عنه ولا يتحول . فرأى وجوهاً غريبة ومعالماً جديدة ، ومضى يسأل عن شريكه القديم السيد « وانتكز » . فصادف ابنه فسأله عن والده فقال له الابن : « لقد مات أبى من مدة »
— آه يؤسفنى أن أسمع هذا — لقد تركت

هذه البلدة من زمن بعيد

— ولكن هل الشركة قائمة الآن ؟
— أجل إنها لا تزال قائمة ، ولكن أسقط منها اسم بارت . ذلك الاسم الخيالى الذى لا اعتقد أن صاحبه قد جاش بيننا وسامى في هذه الشركة
— ألا يزال « أندروجون » يعمل مهندساً للشركة ؟

— أوه ! لقد مات يا سيدى
— وكيف حال قسيس كنيسة القديسة ماري
مستر « مدروز » ؟

— لقد توفاه الله منذ سنوات عديدة
فصمت بارت برهة وقال : « كيف حال مستر « دون » الحامى ألا يزال يعمل في الحمامة »
— لا يا سيدى ، لقد مات منذ سبع سنوات
فصمت بارت ثانية ، وشمر بقشعريرة تسرى في بدنه ثم قال : « وهل مسز دون لا تزال على قيد الحياة ؟ » قال هذا وهو يكاد يقضم شفتيه بأسنانه

— نعم إنها لا تزال حية وتقيم في المنزل القديم
— مع أطفالها طبعاً

ولم يكن أحد قد سمع بموت زوجته ، ولم يرد أن يخبر صديقه « دون » في ساعة زواجه ، فقام بأعداد كل شيء بنفسه ، ولما انتهى من ذلك أسرع إلى الكنيسة فرأى « دون » و « لوسى » ساجدين أمام الهيكل وحولهما بعض الناس ، فتقدم إلى « دون » وهنأه ، ثم التفت إلى « لوسى » وهو يتوقع أن يرى في عينها بريق الائم والندم ، ولكنه وجدها مأخوذة بالوقوف الجديد ، فهناها وانصرف ، فقال له « دون » :

— انتظر حتى تصبحينا إلى المنزل

فأجاب بارت : « لا . لا . لست مستعداً لهذا . سأقف في الخارج مع الواقفين حتى تركبا العربة إلى المنزل — ثم أراقب ذلك الشعور الذى يقمرنى عندئذ . فضحك الزوجان ثم ابتسم بارت وخرج فلما انتهت الحفلة وركب الزوجان وانصرف المدعوون مضى بارت في خطى متعرة وفكر شارداً إلى مدافن البلدة وهناك انحنى على قبر زوجته يرفه عن نفسه بالبكاء ثم عاد إلى منزله وقد عزم على أمر عظيم

فلما استقر به المكان أرسل جملة رسائل إلى شركائه ثم دعا أحد الحاميين وهو صديق قديم لوالده وطلب إليه أن ييسعه لجميع أملاكه وأن يرسل إليه ثمنها وفي اليوم التالي كان بارت في طريقه إلى حيث تقوده قدمه

لكنه قبل أن يغادر البلدة أرسل إلى صديقه « دون » ينبئ بموت زوجته في الساعة التى وافاه فيها خطابه الذى يملئه فيه بزواجه من « لوسى »

إن عشرين عاماً لا تحصى دون أن تترك أثراً في

زوجي قد مات منذ أمد بعيد وأنى أعيش وحيدة
الآن اللهم إلا بعض زيارات من بنات زوجي مستر
« دون »

— وقد أصبحت أنا شيخاً وحيداً
— أين قضيت هذه المدة الطويلة ؟ ولماذا
اختفيت عنا فجأة ؟

— حسن يا لومى ، لقد ألفت مدة في أمريكا
وزمناً في استراليا . وسنوات في الهند ، وفرة في
جنوب إفريقيا ، وهكذا فلم أمكث في مكان واحد
كما ترين
أما لماذا اختفيت فجأة فأنت تعرفين السبب .
ألم تفسكري مرة ؟

— لا — لم أفكر — ولا أى واحد آخر قد
فكر في هذا

— حسن . فكري الآن . ثم انظري إلى
وأخبريني إن كنت لا تعرفين
فنظرت إليه لومى في ابتسامة رقيقة وقالت :
« أظن أنه ليس من أجل »

فهز الرجل رأسه وابتسم ابتسامة حزينة فقالت :
— ألا تى زوجت « دون » ؟

— نعم ، وفي اليوم الذى أصبحت فيه حراً
لأن أطلب يدك . إذ ماتت زوجي قبل ذهابك مع
« دون » الى الكنيسة بمشروعات ، ولقد ذهبت
إليها عقب فراغى من الدفن

فألقت عليه لومى نظرة كلها حب وعطف
وقالت : « لم أفكر في هذا ، ولكنى أعرف أنك
أظهرت لى بعض الشعور الطيب مرة ؟ ثم إنى لم أتزوج
إلا وأنا أعتقد أن زوجك لا تزال حية . أظنك في
حاجة الى الشاى . لقد اعتدت أن أشرب الشاى

— لا — ليس لها أطفال — إلا بنات زوجها
« دون » من زوجها الأولى ، وقد تزوجن كلهن
فهى تمشي الآن وحيدة
— وحيدة ؟

— نعم يا سيدى وحيدة
فشكره الرجل وانصرف ، ومضى إلى الفندق
فتناول غداءه ثم ارتدى ملابسه وحلق ذقنه وخرج
إلى بيت لومى كما كان يفعل قبل ذلك بمشرين عاماً
فلما وصل إلى الدار وجد نوراً ضئيلاً ينبعث
من إحدى الغرف ، والسكون يخيم على المنزل فدنا
من الباب وقرعه فأسرع الخادم وفتحه وقال :
« ما اسمك يا سيدى ؟ »

— صديق قديم
ففى الخادم وأخبر سيده بذلك . فقالت له :
« ماذا يشمه ؟ »

فأجابها الخادم . « إنه رجل قد وخط الشيب
فودبه »

فهمضت المرأة التى كانت يوماً ما الفتاة « لومى »
وقد ذبلت الوردتان اللتان كانتا على خديها وعرف
الشيب طريقه إلى شعرها . ولكن عينها لم تفقدا
سحرهما وقوتهما ولم تستطع المشربون عاماً أن
تذهب بكل ذلك الجمال وذلك السحر
— ألا تعرفينى يا لومى ؟

— لقد عرفتك منذ رأيتك — إنى لا أعرف
لماذا كنت أفكر دائماً في عودتك — لقد قالوا
إنك مت ، ولكن لم أصدق قولهم

— آه لقد مضى زمن طويل على لقائنا الأخير
— نعم . ماذا رأيت في طوافك بجانب
ما رأيت في هذا المكان المنزل . إنك تعرف أن

إغفاء وسدأ . إني أتكم جادا
 - وإني أعارض في أية فكرة في الزواج
 - حسن فلأنصرف ، مادام الأمر كذلك .
 ثم نهض بتأهب للخروج ، فأعانتة على لبس معطفه
 وودعته حتى الباب
 فقال لها : أسعدت مساء . أرجو ألا أكون
 قد أسأت إليك

- لا ، لا ، بل إني أرجو منك هذا
 فابتسم قليلاً وقال : « سأقلب أوجه الرأي
 وأرى فيما بعد . أسعدت مساء »
 ثم راقبته حتى اختفى في الطريق فمادت الى
 غرفتها وأوصدت الباب دونها ثم استلقت على
 فراشها وأخذت تستعيد صور ما حدث منذ لحظة .
 وكيف تلقى صاحبها ذلك الرقص في ثبات وهدهو
 كأنه كان يعتقد أنه لا يستحق إلا هذا . لقد كان
 رجلاً في هذا الموقف . بل كان أكثر من رجل .
 ثم نهضت الى المرأة وأخذت تتطلع فيها فرأت أنها
 لا تزال تحتفظ بكثير من جاهها القديم . ثم بدا لها
 رأى جديد

أخذت ترقب عودته يوماً بعد يوم ولكن
 كبرياءه أبت عليه أن يعود إليها . وقد أخبرها أنه يقيم
 بالفندق . فلما طال الانتظار ذهبت اليه تسأل عنه
 فقيل لها إنه غادر المدينة في الصباح ولم يحتفظ بفرشته
 - ألم يترك عنوانه ؟

- لا
 فمادت الى منزلها ساعمة مهمومة موطنة العزم
 على الانتظار

فانتظرت الأيام والسنين ولكنه لم يعد
 نظمي خليل

بدلاً من المشاء منذ وفاة زوجي فهل تسمح وتتناوله
 مي ؟

فأظهر الرجل رغبته في الشئ وسرعان ما أعد
 لها . فجلسا يشربان ويتحدثان ثم أخذ يارنت يسرح
 بصره في الغرفة وأخيراً قال :

- أرى تغيراً في نظام الترفة . ففي مكان
 « البيان » الآن كان يقوم بعض أوراق الحائط وبها
 بعض البطاقات والرسائل ، وفي ذلك الركن قرأت
 ذلك الخطاب الذي أرسله إلى دون منذ عشرين
 عاماً يملئ فيه بزواجه منك . فتركت المنزل ولم
 أعد اليه إلا الآن
 - آه لقد فهمت كل شيء

ثم أوقد المدفأة واستأنفا الحديث ، وأخيراً
 قال يارنت : « لوسي ! إن بعض الشيء أفضل من
 لا شيء ، فان كان الوقت قد فات فان ما بقي فيه
 خير من عدمه . هل تزوجين مي الآن ؟ »
 فتراجعت المرأة مندحشة . ولكنها لم تكن
 تجهل للموقف تماماً ثم قالت :

- ماذا ؟ إني لا أزوجك ولو وهبتي هذه
 الدنيا كلها

- حتى بعد هذا ؟
 - لو أني كنت أفكر في الزواج لفضلتك
 على سواك ولكني لا أفكر فيه الآن ولا بعد الآن
 - ولكن ألا تتيرين من رأيك هذا ؟

-- إنك لا تدري ماذا تقول . إني لا أستطيع
 أن أقول إنه كلام مضحك لأنني أراك تتكلم جاداً
 ولا أستطيع أن أصغى الجدل بالمزاح

- أجل إني جاد . فقد فكرت في هذا منذ
 شهرين وأنا في مدينة « الرأس » لكني أجد منك

ورجعت إلى البيت ، فدعوت لاريف ووصفت له السكن الحاط بالحديقة الصغيرة عند مدخل القرية واستفسرت منه عن سكانه ، فقال : إن من يقطنه سيدتان إحداهما عجوز مشهورة بالقوى والأخرى تدعى مدام يارسون وهي السيدة التي رأيتها . ولما استملت عنها وعما إذا كانت زارت والدي من قبل قال : إنها تمشي منعزلة وإنه قليلا مارأها عند والدي ولم استرده إيفضا ، بل عدت إلى ممضى الرزفون وجلست على مقعده ، فاقترب الجدى منى بلاطفى فشعرت بحزن عميق يستولى على ، ونهضت أرسل بصرى على الطريق التي كانت مدام يارسون قد اتجهت إليها ، ثم اندفعت اتخطاها وأنا ذاهل حتى توغلت في الجبل

وكانت الساعة الحادية عشرة مساء ، عندما خطر لى أن أعود أدراجى ولكننى رأيت ضريعة قريبة منى فتوجهت إليها لأتناول فيها قذح لبن وقطعة خبز ، وكنت من جهة أخرى شعرت بنقطة كبيرة تنساقط من الغمام منذرة بعاصفة شديدة ، فقصدت بيت المزرعة وطرقت بابه ، فأجابنى أحد بالرغم من وجود نور فيه ، فقدمت إلى النوافذة ، وتطلعت فإذا في الباحة ناز مشبوبة والزراع الذي كنت أعرفه جالس قرب فراشه . وضربت على زجاج النافذة لأناديه فإذا بالباب يفتح فجأة ومام يارسون تطل منه سائلة : من الطارق ؟ وما كنت لأتوقع أن أرى هذه السيدة فاخفى عليها اندهاشى

دخلت الغرفة ملتصقا الالتجاء من الطر وإذا كنت أسأل من سبب وجود هذه السيدة في هذا المكان في مثل هذه الساعة المتأخرة ، سمعت أنينا ، فأدرت وجهى نحو مصدره فإذا امرأة الزارع



أَعْمَاقُ النَّفْسِ فِي الْعَصْرِ

لألفريد ريس
بقلم الأستاذ فليكس ومارس

الجزء الثالث الفصل الثالث

وكنيت أعشى ذات مساء عند مدخل القرية تحت ظلال الرزفون فزأيت سيدة فتية تخرج من أحد المساكن المنفردة وكانت مقنعة ومرتدية أثوابا على غاية من البساطة ؛ غير أن قامتها الهيفاء ، وخطراتها الرشيفة استوقفتنى فانبتمتها بنظري . وعندما وصلت إلى المرح كان هناك جدى أبيض يرتى منفردا فلما رأها قفز للملاقاة ، فأمرت يدها على رأسه ، وتلفتت يمينا وشمالا كأنهما تفتش عن أوراق خضراء تقطفها له ، وكان قربى شجرة من التوت البرى تقطعت منها غصنا ، وتقدمت به نحو الجدى فتقدم هو أيضا نحوى ولكن بخطوات متهملة ، حتى إذا دنا من النصف وقف وجلا ينظر إلى صاحبه كأنه يتوقع صدور أمرها ، فأشارت إليه لتشججه على الاندفاع ، غير أنه لبث خائفا حتى جاءت ووضعت أناملها على النصف فاخطفته الجدوى من يدي . والتفتت المرأة المجهولة إلى مسلة وسارت في طريقها

عن وصفه كل بيان
واشدت أنهار المطر وغرقت الحقول المغفرة
بالظلام تمرقه من حين إلى حين بروق خاطفة تبتعها
قمقمة الرعود ، فكان زئير العاصفة وأزيز الرياح
وثورة المناصر خارج الكوخ يزيد رهيبة ما في داخله
من صمت خاشع ، فيبدو المشهد أسمى أشد روعة
في قدسيته

و كنت أجيل الطرف فيما حولى على الجدران
الحقيرة ، وزجاج النوافذ تقرعه الأمطار ، والضباب
الكثيف تقذفه الماصفة كاللحسان ، فأرى بأس
الزراع في جزعه الجامد ، وزعر الأطفال ، وهذه
المدنفة تحاصرها كل هذه المناصر النائرة الصاخبة ،
وأرى قربها على هذا السرح الفجيع هذه المرأة
المتنصبة بشحوبها ولطفها تذهب ونجىء كأنها
تجس الأرض جسا وهي مستغرقة بما تهتم به ، فلا
تبالي بالماصفة ولا بأحد ممن ينظرون إليها حتى
كأنها لا تبالي بمرأتها وإقداها . فكنت أشعر
أن بهذا العمل المبرور من الصفاء في رسالته ما هو
أبهى من صفاء السماء ، وقد انقشمت عنا النجوم
فأنظر إلى هذه المرأة كأنها مخلوق أسمى من البشر
لأنها وقد أجاطت بها كل هذه المفجعات لم يداخها
الشك لحظة في وجود ربها ورحته

من هي يا ترى هذه المرأة ؟ ومن أين أنت ؟
وهل هي منذ زمن بعيد إذ يذكر الناس أنها كانت
بائمة وروود ؟ لماذا لم أسمع بها من قبل ؟ لقد جاءت
وحدها إلى هذا الكوخ في مثل هذه الساعة فهي
إذا لا تمارع إلا إلى حيث تدعوها المصائب
والأخطار ، فتتجول تحت المواصل بين التناوب في
الجبال مقننة تحمل الحياة لمن يحتاجون إلى الحياة .

منطرحة على سريرها ، وقد رسم الموت طابعه
على وجهها

وقد مدت مدام ييارسون تجاه زوج المليلة وقد
انهدم في جزعه وحزنه ، وأشارت إلى بدم الانيان
بأقل حركة لأن المريضة كانت نائمة ، فأخذت
مقعداً وجلست منتظراً مرور الماصفة

وكانت مدام ييارسون نهض من آن لآخر
لقرب فراش المريضة ثم تعود لتقول للزراع بعض
كلمات بصوت خافت . وكان أحد أطفال البيت قد
اقترب مني فأجلسته على ركبتي ، فقال لي : إن هذه
السيدة تجيء كل مساء لميادة أمه وأنها تضي
الليل عندم بعض الأحيان لأنها كانت تضي
بالمريضة لمدم وجود راهبات في هذه الأثناء ،
وأضاف الولد إلى هذه المعلومات قوله بصوت جد
منخفض : — ليس من ممرضة سواها ولا طبيب
عندنا إلا الطبيب الجاهل ... أما هي فتدعى بريجيت
الوردية ، أفلا تعرفها ؟

فقلت : لا ولكن لماذا يلقبونها بالوردية ؟
فقال : لا أدري ولعلها احتفظت بهذا اللقب
منذ كانت بائمة وروود

وكانت مدام ييارسون زعت قناعها ، ولما نزل
الولد عن ركبتي نظرت إليها ، فإذا هي واقفة أمام
سرير المريضة تقدم لها كأساً لتشربها وقد انتبهت
هذه المريضة من نومها ، وكانت الممرضة شاحبة
الوجه متمقنة اللون ذات شعر أشقر يضرب إلى
الرمادي ، وما أدري ما أقول عن جمالها غير أنني
حين رأيتهما تحديق ببيكها السوداوين ببيني المريضة ،
والمريضة تملق أبصارها بها ، رأيت بين لحظات
هذا الاحسان وهذا الامتنان نوعاً من الجمال يقصر

زوجها قائلة : جزاك الله خيراً يا زوجي المسكين
ونَهَضَتْ مِنْ مَكَانِهَا وَقَدْ ثَارَ ثَائِرُ لِحَافَةِ
هَؤُلَاءِ النَّاسِ الَّذِينَ يَمِيرُونَ عَنْ امْتِنَانِهِمْ لِلرَّكْ
بِتَوْجِيهِ التَّنَاءِ إِلَى بَيْتِ الْكَاهِنِ . وَكَانَتْ عَلَى وَشَكِّ
تَقْرِيبِهِمْ عَلَى عَقِيمٍ وَمَعَامِلَتِهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ ،
وَلَكِنِّي رَأَيْتُ مَدَامَ بِيَارْسُونَ تَرْفَعُ بِذِرَاعِهَا أَحَدَ
الْأَطْفَالِ لِتُقَدِّمَهُ إِلَى أُمِّهِ قَائِلَةً لَهُ : قَبْلُ أُمِّكَ قَدْ
زَالَ عَنْهَا الْخَطَرُ

وَجِئْتُ إِذْ ضَمَمْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَتَفَرَّسْتُ فِي
وَجْهِ هَذِهِ الرَّأَةِ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ أَوْضَحَ اقْتِبَاطٍ ثُمَّ عَنْهُ
رُوحٌ عَسَنَةٌ كَرِيمَةٌ ، وَكَانَتْ آثَارُ التَّمَبِّ قَدْ زَالَتْ
مِنْ مَلَاغِمَا فُطْنِهَا وَجْهَهَا بِالْبَشَرِ وَرَفَعَتْ شُكْرَهَا
لِلَّهِ هِيَ أَيْضًا . إِنَّ كُلَّ مَا كَانَتْ تَطْمَحُ إِلَيْهِ هَذِهِ
الْمَرْضَةُ هُوَ أَنْ تَتَكَلَّمَ الْمَدْفَعَةُ ، أَمَا هِيَ تَتَكَلَّمُ
فَلْتَقُلْ مَا تَشَاءُ ...

وَبَعْدَ بَعْضِ زَمَانٍ طَلَبَتْ مَدَامَ بِيَارْسُونَ مِنَ الْأَوْلَادِ
أَنْ يَنْهَضُوا خَادِمَ الزَّرْعَةِ مِنْ رَقَادِهِ لِيُوصِلَهَا إِلَى بَيْتِهَا
فَتَقَدَّمَتْ أَطْلَبُ إِلَيْهَا أَنْ أُسِيرَ مَعَهَا حَارِسًا مَا دُمْتُ
ذَاهِبًا فِي الطَّرِيقِ نَفْسَهَا ، وَأَعْلَنْتُ لَهَا أَنِّي أَعَدُّ
قَبُولَهَا شَرْقًا لِي ، فَسَأَلَتْنِي : أَفَأَنْتِ أَوْ كَثَافَتُ؟
فَاجْبَبْتُهَا : أَنَا هُوَ ، وَسَأَلَهَا مَا إِذَا كَانَتْ تَذْكُرُ
وَالَّذِي ، وَاسْتَفْرِغْتَ ابْتِسَامًا عِنْدَ مَا أوردتَ هَذَا
السُّؤَالَ . وَلَكِنِّهَا أَخَذَتْ بِسَاعِدِي وَخَرَجْنَا بِسُرُورٍ
إِلَى الطَّرِيقِ

الفصل الرابع

وَكُنَّا نَقْطَعُ الطَّرِيقَ صَامِتِينَ ، وَكَانَتْ الْمَاصِفَةُ
فَارْتَمَشَتْ الْأَشْجَارَ تَنْفُضُ عَنْ أَغْصَانِهَا قَطْرَاتِ
الْأَمْطَارِ ، وَكَانَ لَمْ يَزَلْ عَلَى الْأَقْفِ الْبَمِيدِ وَمِضَانِ

وَيَبِينَا نَحْمَلُ كَأْسَ الدَّوَاءِ لِلْأَعْلَاءِ لَا تَنْسَى أَنْ
تَلَاظِفَ جَدِيدَهَا الْإَبْيَضَ فِي طَرِيقِهَا

إِنَّ هَذِهِ الرَّأَةَ تَسِيرُ بِخَطَوَاتِهَا التَّزَنَةَ الْمَهَادَةَ
لِكَافَةِ الْمَوْتِ مَاشِيَةً بِالْخَطَوَاتِ نَفْسَهَا إِلَى مَوْتِهَا
هَذَا مَا كَانَتْ تَقْمَلُهُ هَذِهِ الرَّأَةُ فِي هَذَا الْوَادِي
بَيْنَمَا كُنْتُ أَنَا أَرْتَادُ قَاعَاتِ الْمَيْسَرِ وَأَمْشِي عَلَى
سَبِيلِ الضَّلَالِ . وَلَمَّا وَلَدْتُ فِي هَذَا الْوَادِي
وَسْتَدْفِنُ فِي مَقْبَرَتِهِ بِالْقَرْبِ مِنْ لَحْدِ أَبِي الْمَحْبُوبِ .
فَتَذْهَبُ مِنَ الدُّنْيَا دُونَ أَنْ يَمْرُقَهَا النَّاسُ وَهِيَ الَّتِي
يَسْأَلُكَ الْأَطْفَالُ وَهِيَ يَذْكُرُونَهَا : — أَفَأَسْأَلُ تَعْرِفُ
بِرَبِّبَتِ الْوَرْدِيَّةِ ؟

لِصَمْبٍ عَلَى بَيَانِ مَا كُنْتُ أَشْعُرُ بِهِ ، وَقَدْ
وَقَفْتُ فِي زَاوِيَةٍ لَا أَبْدَى حِرَاكًا وَلَا أَنْفَاسَ إِلَّا
مَرْتَجِفًا ، وَلَاحِظٌ لِي أَنِّي إِذَا تَقَدَّمْتُ لِمُسَاعَدَةِ هَذِهِ
الرَّأَةِ فَأَوْفَرَ عَلَيْهَا خُطْوَةً مِنْ خَطَوَاتِهَا ، أَوْ تَكَبُّ
خُرْقًا وَالْمَسَ يَبْدِي الدَّنَسَةَ آتِيَةً مَقْدَسَةً

وَدَامَتْ الْمَاصِفَةُ سَاعَتَيْنِ حَتَّى سَكَنْتُ ، فَأَقَافَتْ
الْمَلِيلَةُ وَجَلَسَتْ عَلَى فَرَاشِهَا وَهِيَ تَقُولُ إِنَّهَا تَشْعُرُ
بِالرَّاحَةِ ، فَقَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلَتْ الدَّوَاءَ ؛
فَتَرَاكَدَ الْأَطْفَالُ إِلَى أَسْهُمٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ، وَقَدْ
تَمَازَجَ فِي عَيُونِهِمُ الْفَرَحُ وَالْاضْطِرَابُ وَأَمْسَكُوا
بِرِءَاءِ مَدَامَ بِيَارْسُونَ

وَقَالَ الرَّجُلُ وَهُوَ لَا يَتَذَكَّرُ مِنْ مَكَانِهِ :
كَانَتْ أَنْتَ هَذَا لَأَتْنَا عَهْدَنَا إِلَى الْكَاهِنِ بِأَنْ
يَصِلَ ، وَقَدْ كَلَفْنَا ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ السَّالِ

وَعِنْدَ مَا سَمِعْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَدَالَةَ عَلَى الْخَشَوَةِ
وَالْحَقِّ ، التَفَتُّ إِلَى مَدَامَ بِيَارْسُونَ فَرَأَيْتُ مِنْ تَمَبِّ
جَفَوَتِهَا وَمِنْ التَّوَاءِ قَامَتِهَا وَامْتِنَانُهَا أَنَّ التَّمَبَّ
وَالنَّهْرَ ذَهَبَا بِكُلِّ قُوَاهَا . وَسَمِعْتُ الْمَلِيلَةَ تَجَاوِبُ

يتسنى لها أن تجتمع به هي ، لأن عمته كانت تلعب وإياه بالورق في السهرات ، وأخيراً دعته إلى زيارتها وعند ما وصلنا إلى منتصف الطريق أحست بالاعياء فجلست على مقعد كانت وقته الأغصان الفضة بلل الأمطار ، فوقفت أمامها أنظر إلى أشعة القمر الباهتة تنير جبينها ، وبمسد دقائق نهضت وإذا رأني ذاهلاً قالت : فيماذا تفكر ؟ أأنا أن لنا أن نستأنف السير ؟

— كنت أفكر في الناية التي خلقك الله لها فأدركت أنه أوجدك رحمة للعالمين
— إنها لكلمة لا أحملها منك إلا على محل
الاطراء

— ولماذا ؟
— لأنه يلوح لي أنك لم تزل في ريمان العمر
— أفليس في العالم من بلغوا من العمر أكثر ما تدل سياؤهم عليه ؟
— لقد يكون ذلك كما أنه يمكن للإنسان أن يأتى بأقوال أنضج منه
— أأنا تمتددين بالاختبار ؟
— إن ما أعرفه عنه هو أن أكثر الناس يطلقون اسمه على أحزانهم أو على أمحالم الجنونية فإهو مبلغ المعرفة التي يتوصل إليها من كانت في سنك ؟

— رب رجل في العشرين رأى من الدهر ما لم تراه امرأة في الثلاثين ، فان ما يتمتع به الرجال من الحرية يصل بهم إلى صميم الحياة بأسرع مما تصل النساء . فالرجال يتهاقون على ما يجتذبههم دون حائل فيختبرون كل الأمور . فإذا ما لاح لهم أمل مشوا إليه ، حتى إذا بلغوه ارتدوا عنه تاركين الأمل

لبقايا البروق وهبت من الأعشاب الرطبة عبقات نشرها الهواء وقد دبّت الحرارة فيه . واقشمت السحب عن وجه المساء ففمر القمر بأنواره قم الجبال

وذهب فكري بتلمس من الصدف أسرارها وقد عجبت لها تجمع في ساعات يني وبين امرأة ما كنت لأظن أنها موجودة عند ما أشرقت الشمس ، وهأنذا أحجبها في طريقها المقفر في المراء تحت جنح الليل

لقد قبأت هذه المرأة أن ترافقني لوثوقها من شرف عتدى فهي الآن تستند إلى ذراعي وتسير معي مستسلمة مطمئنة

وكننت أرى في هذه الثقة كثير من الجراءة أو كثيراً من السذاجة ، وشمرت أن رفيقي تجمع بين هذه وتلك لأنها بهذه القوة المزدوجة دفعت بعقلي إلى عاطفة الطور والافتخار

وبدأ حديثنا يدور على المربضة التي تركنا في السكوخ ، ثم تحول إلى مشاهد الطريق وما خطر لأحدنا أن يوجه إلى الآخر ما يوجهه التمارقان حديثاً . وتكلفت مدام بيارسون عن أبي بالهجة نفسها التي ذكرته بها للمرة الأولى أي بلهجة فيها شيء من السرور الرصين ، فبدأت أنهم كلاً توغلت في الحديث معها سبب تكلمها بهذه الهجة لا عن الموت فحسب بل أيضاً عن الحياة وما فيها من حوادث وآلام ، فأدركت أن ليس في الأرض من ألم تراه مبشئاً للشكوى من الله ، لذلك كان ابتسامها عبادة وتسليماً لارادته

وحديثها عن حياة المزة التي اخترتها فقالت إن عمته كانت تجتمع بالدي أكثر مما كان

من ثياب بدل على التجديد في الزى والحياة؟ أما هي فكانت تتمتع بكل ذلك وكأنها منسلخة عما حولها . وقد استرعى انتباهي ما في ذوقها من التناسق الذي يندب عن كل مستغرب ، فلا تأنس إلا للجنة والحسن ؛ وكان حديثها يدل على علم مستكمل ، فسا كانت تتناول موضوعا دون الاجادة فيه ، فكنت أحس بأن وراء هذه السذاجة غورا مليئا بالكنوز وأن ذكاء طليقا وافرا يرف فوق قلبها الهادي في عزلتها ، فكان هذا الذكاء طين من أطياف السواحل يتعالى إلى السحاب مرصفا فوق طحلب الصخور حيث ابنتي عشه .

ودار حديثنا حول الأدب والموسيقى وكدنا تتناول السياسة ، وكانت قد ذهبت في الشتاء إلى باريس وما كانت تتصل بالجميع إلا في فترات متقطعة ، غير أن القليل الذي كانت تشاهده كان يكفيها لفتح مجال واسع أمام تفكيرها .

وكان خير ما يجعلها سرور هادي لا يصل إلى الروح الذي يثب وثبا ، فكانها خلقت زهرة غيرها السرور .

ويمعز بياني عن وصف ما كانت تفعل حينها السوداوان وما تلتصمان على صفحة وجهها الشاحب . وما كان يزيد في بهائها سكنات وحركات تأتي بها عفوا فتدل على أنها عركت الدهر وبلت الحياة وما أدرى أية قوة كانت تملن أن السرور الكلال لجبين هذه المرأة لم يأتيها من هذا العالم ، بل أنزل عليها من السماء وأنها ستمود بهذا السرور كاملا إلى الله بالرغم عن الناس . فكانت هذه المرأة تتجلى لي في بعض اللحظات كاملة قبس تنسم هبوب الريح لتقي النور الشع في يدها

مضيقا على الطريق ، وقد خدعتهم الصادة بما منهم من مواعيد

وكنت أسير في كلاي على هذا النمط حتى بلغنا أكمة ينحدر الطريق منها إلى الوادي ، وكان الانحدار استهوي رفاقي فبدأت تقفز برشاقة فجارتها وسرنا ركضا وساعدانا مشتبكان والعشب الميت تحت أرجلنا يزيد في انزلاقنا ، وهكذا انحدرنا كطيرين أصابهما الدوار حتى بلغنا قاعدة الأكمة وقالت : لقد كنت متعبة فزال تعب الآن ، فهلا عاجلت اختباراتك بما أعالج به تعبى . . . لقد سرنا بسرعة فستتناول الطعام بشهية

الفصل الخامس

وذهبت لزيارتها في اليوم التالي فوجدتها جالسة إلى البياض ، ورأيت العمة الشيخة قرب النافذة منهمكة في الحياة ، وكانت الثرفة الصغيرة مليئة بالأزهار وشعاع الشمس يغمر المرائش المحيطة بها حيث نصب قفص كبير تتطاير فيه المصافير

وكنت أتوقع أن أرى زاهدة عابدة أو على الأقل امرأة قروية لا علم لها بشيء مما يجري وراء منطقة ضاحيتها ولا تحيد عن عادات عيالتها . وقد كنت أنظر إلى من يعيشون بمنزلة كاشهم يخفون عن الناس هنا وهناك في المدن بشيء من الحذر كأنني أرى فيهم بئرا آسنة فسد فيها الهواء ؟ فان في كل ما يتلف بالنسيان على الأرض شيئا من الموت . غير أنني رأيت على مكتب مدام بيارسون جرائد ومجلات حديثة كانت ترصد لها ما يتفق لديها من الوقت ، وقد كان كل ما حولها من الرياش وما تلبسه

في القرية وهو من خريجي سان سوليس ومن أنسباء الكاهن خادم الرعية

وكان هذا الرجل ميمنا صاحب اللون وما كنت حياتي إلا مستقيحا هذا النوع من الصحة العلية ؛ وكان هذا الرجل فضلا عن هذا التناقض في شخصه يتكلم بلهجة تدل على الادعاء ، فكان يورد ألفاظه متوثبة متمهلة ، وكان في مشيته شيء من التصنع للتناقل زاد في نفوري منه ؛ أما نظراته فلا يسعني أن أقول عنها إنها نظرات لأنها ما كانت لتعني شيئا ذلك كان حكيم على هذا الرجل من ملاحظه ، وما كذبت الأيام فراستي فيه ، وأأسفاه ...

جلس هذا الرجل على مقعد وبدأ بالتحدث عن باريس ، وكان يدعوها بابل المصر ، فقال إنه جاء منها وهو يعرف جميع من فيها ، وأنه كان يتردد على مدام ب وهي ملاك كريم ، فيقوم بالوعظ والارشاد في قاعاتها الكبرى حيث كان الناس يأتون زرافات ليصنوا إلى أقواله وهم ساجدون . (وما كان الذي يقوله هذا الرجل كذبا ولا للأسف)

وذهب في حديثه فقال إن من عرفه إلى هذا البيت الكريم إنما كان أحد زملائه ؛ غير أن هذا الزميل كان قد أغوى فتاة ، فطرد من المدرسة لهذا الجرم الشنيع

ثم انقلب هذا المحدث يكيل الثناء لمدام بيارسون لما تتصف به من حب الخير وما تأتبه من أعمال البر بالاعتناء بالمرضى والسهر عليهم بنفسها قائلا : إنها لأعمال جليلة لن أغفل عن ذكرها في سان سوليس فكأنه كان يقول إنه لن يغفل ذكر هذه الأعمال عند أقدام عرش الله

وما أمضيت ساعة في الغرفة الصغيرة حتى اندفعت أحدث صاحبها عن كل سرأري ذا كرا حياتي الماضية وما تركت لي من أحباب وما تحملت منها من الأحزان ؛ وكنت أنثى في الغرفة ، فتارة أنحني على الأزهار أنثى غيرها وتارة أرفع رأسي إلى السماء محدقا بالشمس ، ثم تقدمت إلى مدام بيارسون أخيرا ورجوتها أن تسمعي لإنشادها ، فارتدت وبدأت تنشد ، فذهبت إلى النافذة لأنطلع إلى الطيور بينما أنصت إلى الانشاد . وخطرت على بالي كلمة لوبتان وهي : (لا أحب الحزن ولا أحترمه بالرغم من إجماع الناس على تحجيدته ، فما الحزن إلا كلمة سخماء جعلها الناس حلية للحكمة والفضيلة)

وسمعت صوتي يتعالى بالرغم مني قائلا : يا للسادة ويا للراحة والسرة والسلوان !

فرفت العمة رأسها ونظرت إلى نظرة استغراب وتوقفت مدام بيارسون فجأة عن الانشاد ، فعلا احمرار الخجل جيني إذ شعرت بما أتيت من جنون ، فارتعيت على القعد سامتا

ثم نزلت وإياها إلى الحديقة ، فرأيت هناك المدي الأبيض راقدًا على المشب ؛ ولما رأته هب نحوها ومشى ليقبنا ، وما قطعنا أول ممشي في الحديقة حتى لاح لنا قرب المدخل شاب طويل القامة صاحب الوجه ملتف برداء أسود ، فاجتاز الحاجز دون أن يقرع الجرس وتقدم إلى مدام بيارسون مسلما ، ولحظت أن غمامة سوداء صرمت على ملامح هذا الرجل عند ما رأيته ، وقد تشاءمت أنا لمرآه ؛ وكان القادم كاهنا يدعى مركاتسون ، كنت شاهدة

فقات لها : لقد تذرت باسم والدى لدخول
هذه المملكة فاسمحي لي باسمه أبعث أن أعود لأومن
بالسعادة وأنا كد أنها لم تدفع بي إلى زاوية النسيان
مدت يدها إلى فليستها دون أن أجسر على
رفعها إلى شفتي ، وأمسى النساء فعدت إلى مسكني ؛
وعند ما أوصدت بابي واستلقيت على فراشي لاح
البيت الأبيض الصغير أمام عيني ، فكنت أراي
أخترق القرية متجها إلى الحاجز لأقرع بابه .
وهتفت قائلاً : تبارك الله ، يا قلبي ، فانك لم تزل
فتيا ويمكنك أن تحيا ويمكنك أن تحب بهد
(يتبع)
فليكس فارس

واجب !

ما الذى يمكنك من أن توفر لنفسك
القوميسيون ومصاريف المحل . . . الخ إذا
وجدت أمامك مورد مصرى يستورد لك البنيف
من أشهر قبارك ألمانيا ويسلمها لك رأساً بتكاليفها
فقط

مريب

قلم حبر الكتابة سفنكس القلم الأنيق
ذو الريشة الذهب المضمونة عيار ١٤ مثله في
السوق يباع بثانين قرشا . أرسل فقط ٤٠ قرشا
إلى حسين حسنين شارع الطيران عمرة ٣١ مصر
الجديدة وللخارج زيادة خمسة قروش يرسل
إليك الطلب في الحال

مطلوب وكلاء في الشرق والأقاليم للقلم
ولأصناف أخرى مما نستورده من الخارج

وكنت تبيت من سماع هذا الخطاب فاستلقيت
على المشب وبدأت أداعب الجدى الأبيض ، فأزل
مركانسون نظره المنطقي على قائلاً : لقد كان
فارينو الشهير يحب أن يتطرح على المشب
ويداعب الحيوانات

فقلت : هذا نوع من الهوس الطاهر يا حضرة
القس ؛ ولو أن هوس الناس كله من هذا النوع
لسكانت الأمور تجري مجراها ولا تحتاج لتدخل
أحد فيها

وما أعجبه جوابي فقطب جبينه وغير الحديث
قائلاً إنه موفد من قبل كاهن القرية ليحدث مدام
بيارسون عن رجل فقير لا يملك ما يقتات به ، وبعد
أن دل على مسكن الرجل قال إنه يؤمل أن تهتم
السيدة الفاضلة بأمره

وكنت أتوقع أن تتكلم هي ليزيل صوتها أو
صوت الكاهن الأبح من أذني ، فإبدت جواباً
بل انحنيت مسلة ، فنهض الكاهن وذهب
في سبيله

وما تواري حتى عاودنا الحبور ، فعدتني للذهاب
مهما إلى حجرة النبات في طرف الحديقة ، وكانت
هذه السيدة تمتنى بأزهارها عنايتها بالأطيار
والفلاحين ، لأنها كانت تود أن ترى كل شيء
حولها متمصاً بالصحة فلا يحرم أحد أو شيء قطرة
الماء وشمام الشمس ، فإ كانت تشمر بالسعادة
إلا إذا بلغت ما يريده الملاك الكامن فيها

وكانت حجرة أزهارها على غاية من الجمال ،
وبعد أن مررت بها قالت : هذه هي ملكتي الصغيرة
وقد رأيت كل ما فيها لأن هنا آخر حدودها

أوديسيوس يروي قصته

- أ - لايولوس وجعبة الرياح الأربع
ب - في جزيرة الجبابرة
ج - غرام سيسرس



الأوديسيوس

لهيرميرس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فصل الفصل السابع

« شرع أوديسيوس يروي قصته لذلك الكينوس ، فذكر كيف أظنت سفاته بعد إذ وضعت حرب طروادة أوزارها ، وكيف أرسلت في مياه إزهاروس ، وذكر ما كان من غزوته لهذه المدينة ونهبها ، وكيف كر أهلها عليهم فأوقعوا بهم ... وما كان من إبحاره ، ورسوه عند جزيرة اللوتوفاي ، أكلة اللوتس ، وما كان من مشاركة بعض رجاله أهل الجزيرة في أكل هذا اللوتس السبب ونسيانهم بذلك أوطانهم ، وتفضيلهم الأقامة بين اللوتوفاي ، حتى اضطر أن يذهب إليهم بنفسه ، ويرغمهم على العودة إلى الأسطول مكبلين في الأصفاة ... ثم روى ما حدث له بعد هذا في أرض المردة — وكيف حبسهم السيكلوب في كهفه ، وكيف كان يتندى ويتمنى بأن يأتين اثنين من رجاله ، وما دبروا له من قلع عينه بمجنع الزيتونة المحسى في النار ، وما كان من هربهم مقلعين بطون الكباش مقلعين من أذى السيكلوب ، وما كان من إغاطة أوديسيوس له وهو واقف يتشى منته في سيفيته في عرش البحر ... وهو هنا قمت قصته ... »

« وبلغنا جزيرة الأوليين حيث يحكم الملك لايولوس بن هيولاس ، حبيب الآلهة . وهي جزيرة تلوح طافية فوق الباب بسورها النعاسي الهائل ، وأواذها التي يتكسر فوقها الموج . ولقد زوج الملك أبناءه الستة من بناته الست ، وهو يقيم معهم في قصره اللئيف ، في في وارف من حب اللسكة ، في بلهمنية وورغد ، وعيش واسع مخففرج ، ونمى طائلة ، ولذائذ شتى ... يقضون وقتهم في لهو برى وصرح ، وبأوون إذا أجهم الليل إلى سرد موضوعة ، وزرابى مبشوة ... وأرائك من حرير ولقد لقينا الملك بالبشر والايانس ، وأقننا في كنفه شهراً كاملاً ، فاعين طامعين ، ثم سألني فقصصت عليه قصة (اليوم) وكيف سقطت في أيدينا ، وما كان من إبحار أسطول الأخيين بعد ذلك ، وما تم من رحلتنا في ذاك الباب ، عاشين ، ضاربين على غير هدى ... ثم إنى ضرعت إليه أن يمدني في خفارته إلى بلادي ، فأجاب سؤلي ، وأمدني بكل ما ييسر رحلتي ، ثم تفضل فشئى معي إلى البحر ، حيث قدم إلى جعبة مصنوعة من جلد عجل كبير جسد ، خُيَل إلى أنه ذئب في سن التاسعة ، وهي جعبة من صنع جوف سيد الأوب ، حبس فيها عظيم الآلهة رليح العالم أجمع ، وأحكم رباطها بسلك فضي متين ، حتى لا يفلت منها نفس واحد إلا بأذن ... وانطلق الملك بعد أن أمر زفيروس — رب النسيم الحلو — فلا شرعنا ،

وهب رخاء بين أيدينا ... وأأسفاه ! لقد كانت
هباته اللطيفة الرخية عينا ، وضاعت في غفلة
رجالي ، سدى ! ! ... فلقد جرت بنا الفلك آمنة
مطمئنة طوال تسعة أيام بليالها ، ثم بدت لنا
شطآن إيثا كما خفقت قلوبنا فرحا ، واستطمت أنا
نفسى أن ألمح مواطني الأعزاء يوقدون النار في
شعاف الجبال ... كيد أنى كنت منهم كما موهونا
من كثرة العمل ووعثاء السفر ، وطول السهر
والرافية ، فداعبت عيني سينة من الكرى ،
لأنى كنت أسهر على القيادة بنفسى طيلة الرحلة ،
ولم أكن آمن أحدا من رجالي على الاضطلاع بها
خشية الونى ، وخافة التأخير ... وبينما كنت
نائما ، لمب الوسواس في صدور رجالي ، زاعمين
أنى أحل أذخارا من الذهب والفضة أسبقها على
إبولوس الملك ... قال قائلم : « يا للآلهة ! أبدا
ما وطئت قدما أودسيوس بلاد قوم حتى تهلكوا
عليه فرحين متعجبين مسكينين ! وهو اليوم يمود
من طروادة ومعه من طرقيها وسليها الجم
الكثير ... أما نحن فوأسفاه علينا ! لقد
شاركناه تلك الرحلة المشئومة ، وهانحن نرضى
من التذمة بالأياب ، ونمود منها أسفار الأيدي ،
لا أمانا ولا وراةنا ! وها هو أيضا قد فاز دوننا
برفد ملك الرياح ، إبولوس العظيم ، هلدوا يارفاق !
البدار إلى هذه الجمبة ننظر ما احتوت من أصفر
وأبيض ، وأعطيات وهبات ... ولمى ! » ، وأقبل
بعضهم على بعض ، وامتدت أيديهم إلى الجمبة
خلوا رابطها ... واحسرتاه ! لقد انطلقت الرياح
الحبيسة ، وزجرت العواصف الموح من كل
صوب ، وطفقت تكسحننا في شدة وعنف ...
بمبدأ ... من إيثا كما ! ! ولقد قفزت من غفوتى

خائفا مذعورا ... حتى كُخيل لي أن ملوقانا قد
غمرنا ! ! ... وظللت برهة في ذهول ودعش ،
وطفت الأحزان على قلبي ، ورائت الموموم على
نفسى ، وقت اليأس في عضدى ... ولكننى لم
أجد من الصبر بدا ؛ فتحملت السكارنة في هدوء
وصمت ، وعصبت رأسى بثوب شف ، وانبطحت
في قمرى ... وراحت المواصف تدفع الأسطول
في غير هودة ، حتى بلغ شطآن الأولين حمرة
أخرى ... وهنالك بكى بحبي ... ولات حين
بكاء ! ! وهبطنا الشاطئ ، وكان ههنا أن نرتشف
من ماء إيوليا الدذب رشفات ، ثم جلسنا نمد
أكله مجبلى ونلثمها ؛ وتوجهت أنا وصديق
إلى قصر الملك فانية ... وقد كان يجلس لولية
كبيرة هو والملكة الحسناء المصون ، وأبناؤه القرو
الميامين ... ولشد ما بدهه أن رانا بعد طول النأى
لخدجتنا وقال : « ويك أودسيوس فيم عدت
أدراجك ؟ وأى سلطان مشئوم لوى عنائك يبعد
إذ أرسلناك ضرودا بحير زاد لتصل إلى بلادك ،
وتلقى آلاك ؟ أو أى آلر آخرين ؟ ! » ، وكان
فؤادى يتخلع حين قلت أجيبه : « تبارك الملك !
لقد خافنى رجلى اللاؤماء ، وخافنى معهم طائف من
الكرى ! فإذا شاء الملك فليجبر ما انصدع منا ،
وهو ما يزال صاحب الحوّل والطول ! » ...
وهكذا شادت القادير أن أنف ضارعا إلى هذا الملك
مرة أخرى ... وقد تلبث أبناؤه صامتين
لا يتيسون ... واكفهر وجه الملك وقال :
« أيها الرجل انطلق ... إخرّب عن جزيرتنا
هذه يا أتمس الناس ! انطلق فوالله إنى لأستغفر
الآلهة أن أكرمت مئوى رجل مثلك عدو
نفسه ، محقوت من الأرباب ، مفضوب عليه من

مدخل المدينة فتاة عذراء تملأ جرتها من عين ماء هنالك ؟ فاكادوا يسألونها حتى علموا أنها ابنة الملك أنتيپاس ملك هذه البلدة وهشت بين أيديهم حتى كانوا في قصر الملك ، وهناك لقيتهم امرأة هولة عظيمة الجسم ، كأنها هضبة ، فلم يحسروا أن يمدوا إليها أبصارهم بما غشيم من النزاع وكانت هذه هي الملكة ، التي صاحت عند ما لحق رجالي ، بزوجها ، فأقبل يهتز وتزول الأرض من تحته ، وما كاد يلح هؤلاء الفراء حتى أمسك بواحد منهم وخطبه الأرض خطمه كأنما أقبل ليخوض معمة وانطلق الآخرون لايوليان على شيء ؟ حتى بلغا سفائننا . . . ثم زحير الملك بصوت قاصف كالرعد يدعو إليه رعاياه ، فأقبلوا إليه من كل حذب ، مرده جبارين كالأغوال ، لا عدد لهم ، ولا تقع العين على أشبع منهم . . . ثم تهاووا إلى الشاطئ حيث أرسى سفننا ، فجأوا يقذفونها بحجارة من سجيل ، جعلت رجائنا كصف ما كوله وجلعت مراكبنا حطاما كان يهوى إلى الأعماق ؛ بينما هؤلاء الجبابرة ينشلون قتلانا بحراهم ليمودوا بها إلى يوتهم فرائس سائفة يملأون بها بطونهم . . . وهكذا استمرت هذه المذبحة الدامية وكنت واقفاً في مركبي ، وجرازي إلى جانبي ، فأمرعت إلى جبال المرساة فقطعتها به ، وبدر رجالي إلى مجاذيفهم فأحملوا فيها أيديهم وبذلك نجونا من هذا الروع برغم الحجارة المائلة التي كانت تنطير فوق رؤوسنا وتهاوى عن شمالكنا وعن أيماننا ، فتشيع في فرائصنا خطر الموت . . . وظللنا نكافح الموج ونصارعه ، فوحين بنجاننا ؛ ومع ذلك ، فقد كانت تمتلج قلوبنا هماً وأسى على إخواننا . . . ثم رسونا آخر الأمر عند جزيرة إيايا ،

السماء ٢ . وهكذا طردني الملك شر طردة ، فخصيت على وجهي ، ولقيت أمحابي ، وأبحرنا نذرع اليم المصطخب بمجاذيفنا ، ونسكب في هذه الأعماق المضطربة قوانا ، لا أمل لنا في الوصول إلى بلادنا ، ولا رجاء في الخلاص من هذه البؤوس ١ . ووصلنا مدينة ليستريجونيا بمد نصب ستة أيام بلياليها . . . تلك المدينة الموحشة التي بناها منالاموس العظيم والتي (تنزو الحشرات صروجها نهاراً ، فيخرج الرعاة بقطمان الغنم ذات الفراء السمكة التي تجمي الحيوانات من ذبابة الماشية وتدفع عنها فائلها ، فإذا جن الليل عادوا بأغنامهم إلى حظائرهما ، وذهبوا بالعم لترعى في هدأة الليل ، ولتكون بآمن من غوائل الألباب الذي يكون قد غلبه النعاس)^(١) ووصلنا إلى هذه المدينة فألفيناها حصنة بصور عظيم من الحجر الصلب ، يتحدر قليلا قليلا إلى البناء ، بمضيق صغير لا تعلو فيه موجة ، لا يتحرك فيه الماء وقد أدخل رجالي سفائنهم في هذا البوغاز ، وآرت أنا أن أظل بسفينتي عند فمه ما يلي البحر ، فألقيت مرساي ، وثبتها في حجر كبير ، ثم وثبت إلى الشاطئ ، وتسمنت روبة عالية ، وأخذت أجيل فاظري في الجزيرة ولم أقف لأنس أو حيوان على أثر ، وبدت الأرض جرداء بلقما ؛ بيد أن دخانا كثيفا كان يصاعد من وسطها ؛ فرأيت أن أبث بائين من رجالي جعلت عليهم قائلاً رئيساً ، ليعلموا لنا من أنباء الجزيرة ، وليتجسسوا أخبار أهلها وقد قص هؤلاء آثار العربات التي يستعملها السكان في نقل الأخشاب من النابة إلى مدينتهم ، ولقوا عند

(١) كلام هورنا غامض شديد الغموض ولذلك استلنا في إتيانته على شرح مترجمه . . .

نقط في سبات هادئ . . . وذرت أورورا ابنة
الفجر الوردية ففتفت برجلي ، فهبوا ، ثم جلسنا
ساعة نتشاور ، وأنا أقول لهم : « أيها الرفاق !
يا إخوان الشدايد ! ها نحن قد لصقنا بهذه الأرض
ولسنا ندرى أيان نذهب ؟ هل نشرق ، أم نغرب
أم نظل هنا أبد الدهر ؟ ولكن ههنا ننظر
لأنفسنا غلصاً مما نحن فيه . . . فاني حينما تسهت
ذروة هذا الجبل أجلت الطرف في أرجاء هذه الأرض
فعرفت أنها جزيرة تتراى الى مدى البصر ؛ ثم
إني آتست دخاناً يملو في الجو من وسطها ، ينبثق
من سروات طوال فيها ، قرواً لأنفسكم أنا بكم
الله ! — وكأنا سقط في أيديهم ، وكأنا حاق
بهم ذكريات آنتينا تأس وقومه المستريحون ؛ وما
لغوا من هول السكالب أكلة اللحم البشري ،
فبكوا ساعة من الزمان ، ثم استرجعوا حيث
لا يجدي البكاء . . ثم إن قسمة من فريقين ، جعلت
على أحدهما يوربلاخوس ، وقرن الألهة ، وجعلت
نفسى على الفريق الآخر ، وجلسنا نقزع ، من
بذهب لارتباد الجزيرة ، فوضعنا الرقاق في خوذتي ،
ثم كانت القرعة على يوربلاخوس ، فنفسى ، وتحت
إمرته اثنان وعشرون من رفاقنا ، كانوا جميعاً
بذرفون الدمع خوفاً وفزعاً مما وجهوا اليه ، وكنا
نحن نبادلهم دماً بدمع وبكاءً بيبكاء . . . ووجدوا
قصر سيرس في بطيحة^(١) منخفضة ، فاذا رأوا ؟
قصر منيف مُمرّد يحدق في تماثيل حية من
سباع وذؤبان مسحرتها سيرس بعقائرها ذات
القوى الخارقة الخفية . . . ولم تؤذهم تلك الوحوش ،
بل كانت تثب على أرجلها الخلفية في دل وتلطف ،
ثم تبصص بأذنانها كأنها كلاب السادة. المظلماء

حيث تقبم سيرس ، ربة الغناء والسحر ، ذات
الشعر الكهرماني ، أخت إيتيس الحكيم من أيها
الشمس ، وأما برس ابنة أوشيانوس^(٢) . وكأنا
مشيت عناية البناء بين أيدينا فرسوفا في جون هادئ
ساكن في غير جبلية ولا ضجيج ، ثم هبطنا الى
الساحل فقلبتنا فيه يومين كاملين نستجم ونستروح
بما بنا من أين وجهه ، وكلنا فرائس لما في أضالعنا من
شجو وهم وشجن . ثم إنى تسلمت برعى وسيفي
وحشنت خطاى في أسناد الجبل حتى كنت في ذراه
الشاهقة ، ووقفت ثمة أنظر وأتحسس ، فلمحت في
البعد دخاناً يصاعد بين الدوح والزهري من قصر
سيرس . وبدأ لي أن أنوجه إليه من فوري عسى
أن أجد عنده خيراً . ولقد ترددت بعد ذلك كثيراً
وكدت أعود أدراجى الى السفينة لأرسل نفرًا من
رجال يكشفون لي الطريق الى القصر ؛ وما كدت
أخطو خطوات حتى ساق إلى أحد الألهة بطبي
غير يرشد من المرج المشب الخلو ليستقي مما ألح به من
ظلم فأرسلت إليه رعى فقصم ظهره ، وسقط يتخبط
في دمه ؛ وقطعت شيئاً من عساليج الصفصاف
وجدلت منها حبالا ، وأوثقت الغزال من أياطله
واحتملته على ظهري ، ومضيت قدماً الى رفاق
متوكتاً في كل خطوة على رعى إذ لم تمد شيخوختي
تستقيم لمثل هذا الجبل الكبير ، وهنت برجلي في
مرح وظرف : « هلموا يارفاق فلن نقضى قبل أن
نبحن أجالتنا ! ! هلموا الى طبي فتيق وخر عتيق ،
واطرحوا ما بكم من هم وضيق . . . وأقبلوا فزحين
وشمروا عن سواعدهم وهم يستهللون من جذل هذا
القنص الفريض ، وظللنا يومنا هذا نظم ونشرب
حتى إذا أرخى الليل سدوله انكفأنا على الشاطئ^(٣)
(١) لم يترس سراج هومر لهذه الفترة ولما أئبناها
كما هي

فطفق بصمقنا بأنباء ما رأى : « أوديسوس ياذا
المجد ! لقد ذهبنا نتحسس كما أمرتنا ، وزود هذا
الوادي الأشب ، فوجدنا قصرًا مشيدًا فوق أكمة
عالية ، وسط بطيخة منخفضة ، ذاقبة سامقة
جلست تحتها امرأة أو ربة — لا أدري — وهي
لافتًا نعمل على منسج بخفة وصنعة ، وترسل ألحانا
حنونًا حلوة ؟ وما كادوا يهتفون بها حتى نهضت
قلقيتهم بالبشر وفتحت لهم بابها على معراعيه فدخلوا
جميعًا — حاشاي — فقد أوجست خيفة ، ووقر
في قلبي أن نمة شركاوشك أن تدرى فيه ؟ وقد
راقبت رفاقي إذ هم جلوس لحظة غير قصيرة ، ثم
هالني ألا أراهم فجأة ! » وما كاد ينتهي حتى قفزت
إلى سيني فتسلحت به وأخذت قوسى وسهامي ،
وأمرته أن ينطلق بين يدي إلى حيث ذهبوا من قبل
ولكنه ركع أمامي وتملق بساق وجعل يرجو
ويلحف في الرجاء ألا تذهب .. « فأنك لن تفشل
في إعادة رفاقنا فقط ، بل قد تفشل في أن تنجو
بنفسك . فانطلق عني بقى منا ، وباحبذا لو استطلعنا
الفرار ! » ولكنني أجبت أنه لن يبقى هو يأك كل
ويشرب في السفينة ، ويكون بنجوة مما عزرع منه
أما أنا ، فلم أر ضرورة لبقائي

وانطلقت لا ألقى على شيء ، ولكنني قبل أن
أبلغ البطيخة التي بها القصر ، لقيني هريس الحبيب
إله الصا السحرية . وكانت غايل الصبا وبدوات
الشباب تتدفق في برديته ، وجررة الورد تاهب في
خديه ، لقيني فصاغني متلطفًا وقال : « أيها التمس أيان
تضطرب وحك في هذه الأرض وقد حبست سيرس
من أرسلت من رجالك في حظائرهما بملأ ذمعتهم
إلى خنازير شقية ؟ هل أقبلت لتنجهم ؟ أم جئت
لتحتجزك معهم إلى الأبد ؟ ولكن اصغ إلى ؛ إني

حينًا تملقهم في وليمة من أجل لقبات ... وصمقوا
أول الأمر ؛ ثم انطلقوا حتى كانوا تلقاء باب الربة
صاحبة المكان ... وتسموا ، فاذا سيرس تنفنى
بصوتها المعجب المطرب وهي تعمل على نولها ،
مشفولة بنسيج سابري عبقري عجيب ، ليس يقدر
على مثله إلا الآلهة . وكان في رجال الفريق أمير
عظيم هو عندي أربطهم جأشًا فقال : « أتمعون
أيها الأصدقاء إلى هذا الغناء الحلو تردده جنبات
القصر ؟ إنه لا شك غناء ربة الدار التي تعمل على
نولها ، ولست أدري أربة خالدة هي ، أم من بنات
حواء .. وعلى كل هلموا نهتف بها . » وتنادوا ،
وأقبلت سيرس فهتت لهم ويشت ، وأذنت لهم
أن يدخلوا .. فدخلوا ، وأسفاه ، لإبوريلوخوس
فقد خشي أن تكون نمة مكيدة أو أجبولة . ولقد
قادتهم إلى هيو كيز سفت فيه عروش نفحة من
ذهب ، ما كادوا يستقرون عليها حتى أقبل الساق
بضمير وعسل ثم جى بهجين وطعام آخر ، غلوط
بمقاير سحرية تذهب وهي آكلها ، وتنسبهم
ماسلف من أمورهم ، بل تسلبهم ذكريات أوطانهم
ثم ضربت كلا بمصاها السحرية بمد إذ أكلوا
ورودًا ، واستاقفهم إلى حظائرهما حيث مسخروا
فكانوا خنازير ، وإن أبقى السحر على ألباسهم .
أما طعامهم بمد هذا ، فقد كانوا يتناولونه من يدها
مباشرة ، فكانت تطعمهم جوز البلوط والشاهبلوط
والكريز^(١) الكلاي . وما إلى هذا وذلك من
أكل الخنازير الخسيسة السائبة

وأقبل يوريلوخوس ينتفض من الدهر ،
وبنمقد لسانه فسا بكاد بين ، ثم هدأ روجه قليلًا
(١) الكريز : وجه الكراز بالضم الأقط ، والمراد
هنا فاكهة الكريز

عليه ، وذهبت هي فزجت لي كأساً من الخمر بنيتي .
 من عقارها ، وقدمته لي فاحتسيتها ، بيد أنني لم أنغير
 ولم أنحول عن صورتي ، فضربتني بمصاها السحرية
 وهي تقول : « هلم إلى الخطيرة حث تفر مع رفاقك »
 ولم تنكد تصمت حتى وثبت من مقعدى وامتشقت
 سيني ، وهجمت عليها ، وفي عيني جحيمان من نار
 النضب ، فروعت ربة السحر ، وزلزلت زلزالاً
 عظيماً ، وجرت نحوي ، وركمت عند قدمي ،
 وتملت بساق ، وأخذت تضرب لي وتقول في
 بيان رائع وكلمات باكية : « عمرك الله من أنت
 ومن أين قدمت وما ديارك ؟ تكلم ! أنت يا من
 لم تحرك جرعتي المائلة التي لم يذقها أحد وظل
 في صورته لحظة واحدة ! ولكنك تحمل قلباً
 لا تجوز عليه نفثات السحر ... ولكن هلم ...
 تعال ... إلى ... إلى ... أعرفك أحسن المعرفة ... إنما
 أنت أوديسيوس الصانع ذو الذكاء ، ولقد وصات
 إلى هنا من اليوم بدورك فلم يشأ هرمض ذو المصا
 الذهبية أن يخبرني بمجيبك ! ولكن اغمد سيفك ،
 وهلم فنم بالنمق فوق فراشي الوثير كزوجين ،
 وليفرخ روعك وليبدأ بالك ... اطمن يا أوديسيوس
 هلم ! » وصمت لحظة ثم انطلقت أجيبها :
 « سيرس ! كيف تتصورين أن يفرخ رومي ويبدأ
 بالي وقد حبست في رحابك رفاقي وشركاء رحلتي
 بعد إذ سحرتهم إلى خنازير أيتها الربة ؟ ثم تخشين
 إفتلاقي فتخادعينني وتبهرين علي بطلاسم الحب ،
 داعية إياي إلى فراشك لتشوين صفاء فضيلتي برجس
 وذبلتك ... لا ... لا ، إلى أن أقامكم هذا الفراش
 حتى تقاسموني أغلظ الأقسام ألا تلحقني أي أذى ،
 وألا تحاولي الاضرار بي » وراحت تحلف وتؤكد
 الحلف ، وتقسم وتغلظ في القسم ، ثم إلى انطرح

سأحب ما فعلت ، وسأحميك وأحفظك . خذ
 هذا القار^(١) ولا يهتك بعد أن تدخل قصر سيرس
 فانه ينذك من كل خطر ... وهلم أعلمك ما عندها
 من السحر ، إنها ستمزج لك كأساً من الشراب
 بما عندها من رجس ، وستضع لك منه في طعام
 تقدمه لك فكل وارو ولا نبال ، فهذه البقلة
 المعجية التي أعطيتك ستحبط كل ما تحيك لك فلا
 تقدر على مسخرك كمن مسخت من رفاقك ...
 فإذا طالتك بمصاها السحرية فاهجم عليها بسيفك
 غير هياب ، وأرسل إليها شرر النضب من عينيك
 فانها حينذاك تنقاد لك ، وتقودك إلى فراشها ،
 وتحتال عليك بصنعة الحب وتلطفت الهوى ،
 فإياك أن تنصاع لها حتى تعطيك موثقاً أن تبطل
 ما أنزلت برفاقك من سحر وأن تترفق بك فلا
 تمسك بأذى ، واحذر إصباح أن تدنس فضل خيرك
 بما ركب في طبعها من شر . » وانجني رسول
 الآلهة فالتقط عشبة من الأرض ثم وضعها في يدي
 وأخذ يكشف لي أسرارها ويقفني على قواها الخارقة .
 وذكر لي أن اسمها (مولي) ، وبه يدعوها في السماء
 وأن الآلهة وحدهم يعرفون كيف يشفون بها رقي
 السحر ... وكانت جذورها سوداً حالكة السواد
 أما زهرتها فكانت يمساء فاصمة البياض كاللبن ...
 وودعني هرمض ، ثم رف ورف ، وأخرج في السماء .
 وانطلقت أنا أخبط في ظلمات من هواجسي حتى
 كنت لدى باب ربة السحر التي وجدتها تعمل
 كما ذكر لي صاحب على نولها ... وصحت صيحة
 عالية ، فأقبلت تنهادي نحوي وفتحت مصاريع
 أبوابها ، ودعنتي ، فدلقت ورامها ، حتى كنتا عند
 عرش عظيم مجرد فضي ، ذي درج ، فاستوت

فعادوا إلى صورهم البشرية ، وبدوا في أنفصر شباب وأصبا ، ثم أقبلوا يحوى بلثمون يدي ، ودموع الفرح تبال مآقيهم ، وطفقا يصيحون ويصيحون وتردد أصداءهم جنبات القصر ، حتى تأثرت سيرس نفسها بما رأت ، وراحت تقول : « يا ابن ليرتيس الصنّاع ، هلم إلى مركبك فاشدها فوق البر لتكون بئامن من غوائل البحر ، ثم خبيء كنوزك وأذخارك في غيران هذه الجبال ، وعد إلى في جميع رفاقك »

ولطبت لهذه الفكرة فهرولت إلى الشاطئ حيث لقيت رفاق الآخرين يندبوننا ويذرفون دموعهم علينا . وما إن رأوني حتى أهرعوا يحوى يرقصون ويطربون ويحيون كهذه البهيم التي تعود في المساء إلى حظائر ها فتتلقها صفارها بالثنا والثناء والفضضاء . وهكذا تلقاني أولئك الرفاق . وبدت دموع أحزانهم بمرات السرة ، وخيل لهم أنهم رأوا في وطنهم الثاني المحبوب إيثاكا ، حيث ولدوا وحيث نشأوا وترعرعوا . . . قال قائلهم : « تالله لكنا رأينا فيك أوطاننا يا أوديسيوس ، وتالله لقد طفرت قلوبنا حين عدت إلينا فعادت أرواحنا إلى أبدانها . حدثنا أيها العزيز كيف هلك إخواننا في هذا التيه » .

وقلت لهم : « هلوا أولا نبحر مركبنا على هذا السيف الهادئ الطعمن ولنخبيء أذخارنا وسلاحنا في غيران هذه الجبال ، ولنطلق جميعا إلى سيرس حيث ترون جميع رفاقكم في أمانسة وعز وطعام وشراب ، ونعيم مقيم » . وسعدوا بما أمرتهم إلا يوريلوخوس ، فقد سمر مكانه ، وكأنه لم يحفل بما أخبرت به ، ثم حرك شفثيه فقال : « ويح لنا نحن الأشقياء البائسين ، فقم ذهابنا نحن الآخرين إلى قصر سيرس ، وقد تمسخنا جميعا إلى سباع أو ذؤبان أو خنازير ، ونظل إلى الأبد نحرس عربتها مرغمين ؟ لقد ذهب كثيرون منا خفية هوس

في سيرها الفخيم الديباجي . وأقبلت أربع من عربائس البحر ، خطرن من اليم وأقبلن من الميرون والحرج المجاور لينهضن بخدمتنا ؟ أما الأولى فقد أصلحت من سيرنا وطرحت عليه مطارف الخبز ، وأما الثانية فقد صفت الموائد ورتبت السكرامى ، وجاءت الثالثة بزق عظيم من خمر طيبة ملأت بها الكؤوس الذهبية للتضدة فوق الموائد — أما الرابعة فقد أعدت لي حماما ساخنا وضمتني بأحسن الروائح والطيوب ، حتى انتمش جسمي الخائر ، وتأرجحت روعي الفاترة . . . ثم ألبستني ثوبين غاليين من أنذر الديباج ، ومشت بين يدي إلى عرش عظيم مزدان بأحسن التصاوير ، ومطعم بالذهب والفضة ، فاستويت عليه ، واضما قدى على درج من لباد ناعم . . . وأقبلت بعد ذلك هرئوس أخرى فصبت الماء على يدي من إبريق من ذهب ، في طست من فضة ، وجاءت عائدة حافلة بأشهى الآكال فوضعتها قدامى ، لكننى ما مددت إلى شيء من ذلك يدي ، لما كان يساورنى من الهم ، وما يشغل بالى من الانتقام ؟ فلما لحظت ذلك سيرس أقبلت تيمس ، وأخذت تالطفتنى وتقول : « مالك تجلس ساكنا هكذا يا أوديسيوس كالذى غشى عليه ما تكاد تعتمد يدك إلى شيء ، كأن ألف وسواس يخمارك ؟ أما تزال تمشى مكيدة فتخاف أن تتردى فيها ؟ ! ألا ما أكبر غفلتك يا صاح ، إطمئن ، فلقد أعطيتك موثقى وحلفت لك بأغلظ الایمان : « وأجبته قائلا : « كيف تعتمد يدي إلى طعام أو شراب ورفاق ما يزالون في إساد سحرى ؟ أبدا لن أذوق شيئا حتى ترحبهم إلى صورم ، ثم ألتقى بهم » ونهضت فجعلت عصاها السحرية ، وذهبت من فورها إلى الحظائر حيث أطلقت رفاقى ، وكانوا ما يزالون في صور الخنازير ، ثم جاءت بترقياق فسحقهم به ،

في أرغد عيش وأحسن حال ، متقلين في أرغه
نعم ! ثم استدار الزمان ، وهتف بنا قانون الأزل ،
فدعاني رجال إلى جلسة خارج القصر فقالوا لي :
« تذكر يا مولانا وطننا الأول ، فانا نحن إليه ،
ونتمنى لو ساقطنا المقادير إلى شعثانها » ، وكأنا
نهبوا منى غافلاً ، قتلبننا يومنا هذا على مائدة ربة
السحر في بلهنية وعيش مخفرج وخمر ، وأقبل
الليل فأوى كل إلى فراشه ، وأوت أنا إلى سيرس
فداعيتها ولاطفها ، ثم قلت لها في رجاء وظرف :
« سيرس يارب ا حبيذا لو وفيت بمهدك فأرسلتنا
فوق هذا البحر رحمة بنا ، لنقص حاجات الوطن ،
ولتنقطع شكوى صحابي التي مرقت نياط قلبي » .
وقالت سيرس : « أوديسوس العزيز ، للمروف
بإسالة الرأي ورجاحة الفكر ، إني لن أقرك على
البقاء هنا ، لا أنت ، ولا أحداً من رفاقك ،
ولكنك قبل أن تفكر في شد رحالك إلى بلادك
ينبغي أن تذهب في رحلة شاقة بعيدة المدى ...
إلى هيدز ^(١) ... دار بلوتو ^(٢) وبرسقونية ...
حيث تلقى النبي الصديق الصالح تيريزياس ، الذي
احتفظ وحده في عالم الموتى بكل أسرار وقواه الغيبية
الخارقة ، والذي يثوي في رجاب مليكة الفناء
يتنبأ لها وتسوحيه وتستشير فيمر ^(٣) لك عما
يهمك ويقفك على ما ينطوي لك من مصف
الغيب » وما كادت تنتهي حتى أحاولت الدنيا
في عيني وتدقت الموم في نفسي ، وأجهشت
وأجهشت ، ثم استخرطت في بكاء طويل .
وما كدت أصحو من هذه النوبة حتى قلت لها :
« أني لي يارب أن أذهب إلى هيدز ؟ ومنذا الذي

أوديسوس وقلة بصره ، يوم حبسنا للمسكوب
من أجل أطاع رئيسنا الطباش ^(١) » وأوشكت
أضرب رأسه بجرازي ، فيخر إلى الأرض برغم
ما يربطني به من أسرة الوطن ووشيجة الغربة ،
لولا أن هب رجال الآخرون يصرخون ويقولون :
« أوديسوس الكريم ! لنتركه هنا ليحرس
فلكتنا ، أما نحن فراحلون منك إلى قصر سيرس ،
ولو كان ملثه الفزع الأكبر ! » وتدققوا من
السفينة على الشاطئ ، وانخرط يوريلوخوس بينهم
منصاعاً لنظراتي التاجبة ... أما ما كان من
سيرس حينذاك ، فأنا أدخلت رفاق إلى حشائها
ثم ضمختهم بأحسن الطوب ، وخلمت عليهم أغفر
الملابس ، ولما وصلنا وجدناهم بطعمون ، فإ إن
رأونا حتى هبوا يمانفون مصحابهم ويكفون ، ثم
جلسوا يستمعون إلى قصة ما حل بأخوانهم ، وهم
يصمدون زفرات الحزن ، تردها قباب القصر .
ونهضت سيرس فوجهت إلى الخطاب إذ تقول :
« ابن ليرتيس العزيز هون عليك ، وليرفه رجالك
عن أنفسهم ، ولا يستلخوا هكذا لنوبة الحزن ،
ولترقا دموعهم جميعاً ... إني لا أجهل ما تجشوا
من أهوال في ذاك البحر المضطرب ، وما لقوا من
فواح في كل أرض ، بما كتب لهم في لوح
القضاء ... ولكن ، تسالوا جميعاً ... أنشوا
نفوسكم الخالدة بكؤوس الراح ، ولتستشعروا بأسكم
الذي كنتم تستشعرونه يوم قادتم شعثان إيشا كا
العزيزة ... إنكم إن لم تنشأوا الآمك فأنها تفت في
عصدم وتوهي من قوتكم وتكون أبداً حلقاً لكم
وإلبا عليكم ، ولا تمودون تشمرون معها بلذة العيش
وهجة الحياة » ، ووقفت كلأها في قلوبنا فأقبلنا
على الطعام والدما ؛ ثم إننا أقننا عندها عاماً بأكلة

(١) النار الآخرة

(٢) إله الموت وزوجه

(٣) يتكهن — من المرافة بالكسر

يحدوني إليها ، ولم يسبقني إليها أحد من أحياء البشر ؟ » فقالت مجيبي : يا سليل ليرتيس العظيم ليفرخ وركع ، ولا يمزرك ألا يكون لك إلى هيدز من دليل . بل هلم إلى سفينتك فأصلح قلاعها ونشر شراعها وستهب الصبا مسججاً فتدّ هديكم رويدا ، فإذا جزتم هذا البحر المحيط ، وبلغتم الشاطئ^(١) الذي تنمو فوقه أشجار الحور والصفصاف الباسقة ، نمة باسم پرسفونيّه ، فادفعوا إليه بسفينتكم ثم هاوروا إلى مئوى باتو السحيق الذى يندى عند الصخرة الهائلة التى تشكسر فوق أواظها أمواه أشيروا وستيكس وكوكيتوس فازكوا بسفينتكم نمة ، واحفروا عندها حفرة ذراعاً فى ذراع ، ثم صبوا فى جهتها الأولى قربانا من لبن وعسل ، وفى الثانية خرا معتقة من أحسن ما تمصرون ، وفى الثالثة ماء قراحا ، فإذا كانت الرابعة فأنثروا الدقيق فوق الجميع ، واصنعوا ذلك باسم الخوى جميعا ، ثم اندزوا لهم أن تذبخوا - يوم تعودون إلى إيشاكا سالين - مجلّاجدا من أحسن قطعانكم : واندزوا كذلك لثيرزياس كبشا سموريا ليس فى أغنامكم آمن منه ولا أقوى جلادا فإذا فرغتم من صلاتكم ونذوركم وأدعيتكم لجميع الموتى من كل الأمم ، فاذبحوا فى الحال كبشا ونمجة سمورية ، على أن تكون رأسا الضحيتين تلقاء إربوس وعلى أن تشيعوا بوجوهكم تلقاء الشاطئ فإذا صنعتم كل هذا فسرعا ما ترون أرواح الموتى تقبل نحوكم من كل فج ، فسارعوا إلى ذبائحكم فاسلخوها وألقوا بالحوما فى النار مصلين ملين داعين كيلا تهدأ نفسا باتو وزوجته پرسفونيّه ، ولا تسمحوا لأرواح الموتى أن تقرب أخصيتكم ، وذودوهم عنها بأسيا فكم حتى تلهجوا تيرزياس قادما

فليقاكم ويحدثكم ويوضح لكم ما غم عليكم من سبيلكم فى هذا البحر انجراج التلاطم بالأمواج » وسكنت ، وانبلج الصبح ، فنهضت تصلح من أثوابها وتضفى عليها من شقوفها البيض كالندف ، وتثر فوق رأسها تلك الثلالة الرقيقة كالناج . أما أنا فنهضت كذلك ، واكتسيت صدارى ودثارى ثم توجهت إلى رفاق فأيقظتهم وحثتهم على الابهجار من تونا كما رسمت سيرس . وقد هبوا جميعا إلا فتى يافما لم يكن له يدان فى هذه الشدائد ، بل كان كل همه فى كاس من خمر ينطرح بملها وهو لا يسي شيئا . وكان اسمه البنور ، وكان قد غرق فى سبات عميق فوق سطح القصر وقد أفرغه ماسمع من جلبة أسلحتنا فهب من نومه مخمورا متخاذلا وساقته قدماه إلى حافة السطح فزلت قدماء ، وسقط إلى الأرض ، ودق عنقه ، فسبقت روحه إلى هيدز . وقلت لأصحابي لسا اكتمل جمعهم : أنظنونا أما مبحرون إلى أوطاننا ! كلا يا رفاق ! فأما منا رحلة طويلة شاقة إلى هيدز ، حيث يبنى أن تلقى تيرزياس النبي الصالح ليُصرف لنا ويقفنا على صفحة مما يطوى لنا الغيب ، بهذا رسمت سيرس ، وأنا لنصحبها لساممون ! ، وخفقت قلوب إخواني ، ونظر بعضهم إلى بعض ، ثم جلسوا يشدون شموهم من الحسرة ، ولكنهم صدعوا أخيرا ، بعد إذ أيقنوا أن لا شيء غير هذا ينفعهم . وانقلبنا إلى البحر ، وكانوا مايزالون يذرفون دموعهم ويصعدون حسراتهم ... وفيما نحن ذاهبون ، كانت سيرس تسوق إلى السفينة كبشا عظيما ونمجة سمورية ... وإن كنا لم نرها قط ، ومنذا التى تستطيع عيناه أن تראה كريمة راءية أو جائية إن لم تبشأ هى أن تكشف نفسها ؟

دريش فشب

(يتبع)

(١) الذى يزل للام مصدر استعمل صفة oozy

FIN

DU

DOCUMENT

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بأخصاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصور مظاهر العقيدة للأمة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تنجي في النشء أساليب النهضة العربية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشا ، والخارجي ما يساوي جنيتها مصريا ، وللبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الكرداسي رقم ٩ بالقاهرة

المروية

مجلة أسبوعية للفقه والتاريخ

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

1937
Volume 1